الربع الثاني من احيا العادات

بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله الذي احسن تدبير الكائنات فخلق
الارض والسموات * وانزل الماء الفرات من المعصرات * فانشا الحب والنبات وقدر
الارزاق والاقوات * وحفظ بالماكولات قوى الحيوانات واعان على الطاعات والاعمال
الصالحات باكل الطيبات * والصلاة على محمد ذي المعجزات الباهرات وعلى اله واصحابه
صلاة تتوالى على ممر الاوقات * وتتضاعف بتعاقب الساعات وسلم تسليما

اما بعد فان مقصود ذوي الالباب * لقاء الله تعالى في دار الثواب ولا طريق
للوصول الى الله الا بالعلم والعمل ولا يمكن المواظبة عليهما الا بسلامة البدن ولا يصفو
سلامة البدن الا بالاطعمة والاقوات والتناول منها بقدر الحاجة على تكرر الاوقات فمن هذا
الوجه قال بعض السلف ان الاكل من الدين واليه نبه رب العالمين بقوله وهو
اصدق القائلين كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فمن يقدم على الاكل ليستعين به على
العلم والعمل ويتقوى به على التقوى فلا ينبغي ان يترك نفسه مهملا سدى يسترسل في الاكل
استرسال البهائم في المرعى فانما هو ذريعة الى الدين ووسيلة اليه ينبغي ان يظهر
انوار الدين ادابه وسننه التي تزم العبد بزمامها * وتلجم المتقي بلجامها حتى توزن
بميزان الشرع شهوة الطعام في اقدامها واحجامها * فيصير بسببها مدفعة للوزر
ومجلبة للاجر وان كان فيها اوفى حظ للنفس قال عليه السلام ان الرجل ليوجر حتى
في اللقمة يرفعها الى فيه والى في امراته وانما ذلك اذا رفعها بالدين وللدين مراعيا
فيها ادابه ووظائفه وها نحن نرشد الى وظائف الدين في الاكل فرائضها و
سننها وادابها ومروءاتها وهيئاتها في اربعة ابواب وفصل في اخرها بتوفيق الله وتيسيره

الباب الاول فيما لا بد منه في مراعاة الاكل وان انفرد بالاكل

الباب الثاني فيما يزيد من الادب عند الاجتماع

الباب الثالث فيما يخص تقديم الطعام الى الاخوان الزائرين

الباب الرابع فيما يخص باداب الدعوة والضيافة

الباب الاول

فيما لا بد للمنفرد منه وهي ثلثة اقسام قسم قبل الاكل
وقسم مع الاكل وقسم بعد الاكل القسم الاول في الاداب التي
تقدم على الاكل وهي سبعة الاول ان يكون الطعام بعد كونه حلالا في نفسه طيبا في جهة
مكسبه موافقا للسنة والورع لم يكتسب بسبب مكروه في الشرع ولا بحكم هوى ومداهنة
في دين على ما سياتي معنى الطيب المطلق في كتاب الحلال والحرام وقد امر الله تعالى
باكل الطيب وهو الحلال وقدم النهي عن الاكل بالباطل على القتل تفخيما لامر الحرام وتعظيما
لبركة الحلال فقال عز من قائل لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل فالاصل في الطعام كونه
طيبا وهو من الفرائض واصول الدين الثاني غسل اليد قال صلى الله عليه وسلم الوضوء قبل
الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم وفي رواية ينفي الفقر قبل الطعام وبعده ولان اليد لا تخلو
عن لوث في تعاطي الاعمال فغسلها اقرب الى النظافة والنزاهة ولان الاكل لقصد الاستعانة

على الدين عبادة فهو جدير بان يقدم عليه ما يجري منه مجرى الطهارة من الصلاة الثالث ان
يوضع الطعام على السفرة الموضوعة على الارض فهو اقرب الى فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
من رفعه على المائدة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتي بطعام وضعه على
الارض فهذا اقرب الى التواضع فان لم يكن فعلى السفرة فانها تذكر السفر ويتذكر من
السفر سفر الاخرة وحاجته الى زاد التقوى وقال انس ما اكل رسول الله على خوان
ولا في سكرجة قيل فعلى ماذا كانوا ياكلون قال على السفرة وقيل اربع احدثت بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم الموائد والمناخل والاشنان والشبع واعلم انا وان قلنا
الاكل على السفرة اولى فلسنا نقول الاكل على المائدة منهي عنه نهي كراهة او تحريم اذ لم يثبت فيه
نهي وما يقال انه ابدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس كل ما ابدع منهيا عنه بل المنهي عنه
بدعة تضاد سنة ثابتة وترفع امرا من الشرع مع بقاء علته بل الابداع قد يجب في بعض الاحوال اذا
تغيرت الاسباب وليس في المائدة الا رفع الطعام عن الارض لتيسر الاكل وامثال ذلك مما لا
كراهية فيه والاربع التي جمعت في انها مبدعة ليست متساوية بل الاشنان حسن لما فيه من
النظافة فان الغسل مستحب للنظافة والاشنان اتم في التنظيف وكانوا لا يستعملونه لانه كان
لا يعتاد عندهم او ما هو متيسر او كانوا مشغولين باهم من المبالغة في النظافة فقد كانوا
لا يغسلون اليد ايضا وكان مناديلهم اخمص اقدامهم وذلك لا يمنع كون الغسل مستحبا
واما المنخل فالمقصود منه تطييب الطعام وذلك مباح ما لم ينته الى التنعم المفرط واما
المائدة فلتيسير الاكل وهذا ايضا مباح واما الشبع فهو اشد هذه الاربع فانه يدعو
الى تهييج الشهوات وتحريك الادواء في البدن فليدرك التفرقة بين هذه المبدعات
الرابع ان يحسن الجلسة على السفرة في اول جلوسه ويستديمها كذلك كان النبي عم
ربما جثى على ركبتيه وكان يقول لا اكل متكئا انما انا عبد اكل كما ياكل العبد واجلس كما
يجلس العبد والاكل والشرب متكئا مكروه للمعدة ويكره الاكل متكئا ونائما الا ما يتنقل
به من الحبوب روي عن علي رضي الله عنه انه اكل كعكا على ترس وهو مضطجع ويقال
منبطحا على بطنه والعرب قد تفعله الخامس ان ينوي باكله ان يتقوى به على طاعة الله
ليكون مطيعا بالاكل ولا يقصد التلذذ والتنعم بالاكل قال ابن عثمان بن شيبان
منذ ثمانين سنة ما اكلت شيئا بشهوتي فانه اذا اكل لاجل قوة العبادة لم يصدق نيته
الاكل ما دون الشبع فان الشبع يمنع من العبادة ولا يتقوى عليه فمن ضرورة هذه النية
كسر الشهوة وايثار القناعة على الاتساع قال عليه السلام ما ملا ادمي وعاء شرا
من بطن حسب ابن ادم لقيمات يقمن صلبه فان لم يفعل فثلث طعام وثلث شراب
وثلث للنفس ومن ضرورة هذه النية ان لا يمد اليد الى الطعام الا وهو جائع فيكون الجوع
مما لا بد من تقديمه على الاكل ثم ينبغي ان يرفع اليد قبل الشبع ومن فعل ذلك استغنى عن
الطبيب فاما فائدة قلة الاكل وكيفية التدريج في التقليل في كتاب كسر شهوة الطعام من
ربع المهلكات السادس ان يرضى بالموجود من الرزق والحاضر من الطعام ولا يجتهد في
التنعم وطلب الزيادة وانتظار الادام بل من كرامة الخبز ان لا ينتظر به الادام وقد
ورد الامر باكرام الخبز وكل ما يديم الرمق ويقوي على العبادة فهو خير كثير لا ينبغي
ان يستحقر بل لا ينتظر بالخبز الادام واذا حضر الاكل ووقت الصلاة فيوخر الصلاة ان
كان في الوقت سعة قال اذا حضر العشاء والعشاء فابدوا بالعشاء وكان ابن عمر

ربما سمع قراءة الامام وهو لا يقوم من عشائه ومهما كان النفس لا يتوق الى الطعام ولم يكن
في تاخيره ضرورة فالاولى تقديم الصلاة فاما اذا احضر الطعام واقيمت الصلوة وكان
في التاخير ما يبرد الطعام او يشوش امره فتقديمه احب عند اتساع الوقت تاقت
النفس او لم تتق لعموم الخبر لان القلب لا يخلو عن الالتفات الى الطعام الموضوع
وان لم يكن الجوع غالبا **السابع** ان يجتهد في تكثير الايدي على الطعام ولو من اهله
وولده قال عليه السلام اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه وقال انس
كان عليه السلام لا ياكل وحده **القسم الثاني** في الادب مع الاكل وهو ان يبدا
بسم الله في اوله وبالحمد في اخره ولو قال مع كل لقمة بسم الله فهو حسن حتى لا يشغله الشره
عن ذكر الله ويقول مع اللقمة الاولى بسم الله ومع الثانية بسم الله الرحمن ومع الثالثة بسم الله
الرحمن الرحيم ويجهر به ليذكر غيره وياكل باليمين ويبدا بالملح ويختم به ويصغر اللقمة ويجود
مضغها وما لم يبتلعها لم يمد اليد الى الاخرى فان ذلك عجلة في الاكل وان لا يذم ماكولا
كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يعيب ماكولا كان اذا اعجبه اكله والا تركه وان ياكل مما يليه الا
الفاكهة فان له ان يجيل يده قال عليه السلام كل مما يليك ثم كان يدور على الفاكهة
فقيل له في ذلك فقال ليس هو نوعا واحدا وان لا ياكل من ذروة القصعة ولا من وسط
الطعام بل ياكل من استدارة الرغيف الا اذا قل الخبز فيكسر الخبز ولا يقطع بالسكين ولا
يقطع اللحم ايضا نهي عنه وقال انهشوه نهشا ولا توضع على الخبز قصعة ولا غيرها الا ما يؤكل
به قال عليه السلام اكرموا الخبز فان الله انزله من بركات السماء ولا يمسح يده بالخبز
وقال عليه السلام اذا وقعت لقمة احدكم فليأخذها وليمط ما كان بها من اذى ولا
يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه فانه لا يدري في اي طعامه البركة
ولا ينفخ في الطعام الحار فهو منهي عنه بل يصبر الى ان يسهل اكله وياكل من
التمر وترا سبعا او احدى عشر او احدى وعشرين او ما اتفق ولا يجمع بين التمر والنوى في طبق ولا
يجمع في كفه بل يضع من فيه على ظهر كفه ثم يلقيه وكذا ما له عجم وثفل وان لا يترك ما استرذله من
الطعام ويطرحه في القصعة بل يتركه مع الثفل حتى لا يلتبس على غيره فياكله وان لا يكثر الشرب في
اثناء الطعام الا اذا غص بلقمة او صدق عطشه ان ذلك مستحب في الطب وانه دباغ المعدة
واما الشرب فادبه ان ياخذ الكوز بيمينه ويقول بسم الله ويشربه مصا لا عبا
قال عليه السلام مصوا الماء مصا ولا تعبوه عبا ولا يشرب قائما ولا مضطجعا ويراعي اسفل
الكوز حتى لا يقطر عليه وينظر في الكوز قبل الشرب ولا يتجشى في الكوز بل ينحيه عن فيه ويرده
بالحمد وقد قال عليه السلام بعد الشرب الحمد لله الذي جعله عذبا فراتا برحمته ولم يجعله
ملحا اجاجا بذنوبنا وقد شرب عليه السلام قائما مرة ولعله لعذر والكوز وكل ما يدار على
قوم يدار يمنة شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنا وابو بكر عن شماله واعرابي عن
يمينه وعمر ناحية فقال عمر اعط ابا بكر فناول الاعرابي وقال الايمن فالايمن ويشرب في
ثلاثة انفاس يحمد الله في اواخرها ويسمي الله في اوائلها ويقول في اخر النفس الاول الحمد لله
وفي الثاني رب العالمين وفي الثالث الرحمن الرحيم فهذا قريب من عشرين ادبا
في حالة الاكل والشرب دلت عليه الاثار والاخبار والله اعلم **القسم الثالث**
ما يستحب بعد الطعام وهو ان يمسك قبل الشبع ويلعق اصابعه ثم يمسح بالمنديل ثم يغسله
ويلتقط فتات الطعام قال عليه السلام من اكل ما يسقط على المائدة عاش في سعة وعوفي

في ولده ويتخلل ولا يبتلع كلما يخرج من بين اسنانه بالخلال الا ما يجتمع من اصول اسنانه
باللسان اما المخرج بالخلال فيرميه ويتمضمض بعد الخلال وفيه اثر عن اهل البيت وان يلعق
القصعة فيقال من لعق القصعة وشرب ماءها كان له عتق رقبة وان التقاط الفتات مهور
الحور العين وان يشكر الله بقلبه على ما اطعمه ويرى الطعام نعمة منه قال الله تعالى كلوا من طيبات
ما رزقناكم واشكروا الله ومهما اكل حلالا فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم
اطعمنا طيبا واستعملنا صالحا وان اكل شبهة فليقل الحمد لله على كل حال اللهم لا تجعله
قوة لنا على معصيتك ويقرا بعد الطعام قل هو الله احد ولايلاف قريش ولا يقوم من
المائدة حتى ترفع وان كان اكل طعام الغير فليدع له وليقل اللهم بارك لنا فيما رزقتنا
وله فيما رزقته ويسر له ان يفعل منه خيرا وقنعه بما اعطيته واجعلنا واياه من الصالحين
والشاكرين وان افطر عند قوم فليقل افطر عندكم الصائمون واكل طعامكم الابرار وصلت
عليكم الملائكة وليكثر الاستغفار والحزن على ما اكل من شبهة ليطفئ بدموعه وحزنه حر النار
التي تعرض لها لقوله عليه السلام كل لحم نبت من الحرام فالنار اولى به وليس من ياكل ويبكي
كمن ياكل ويلهو. **واذا** اكل لبنا قال اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وزدنا منه وان اكل غيره قال اللهم بارك لنا
فيما رزقتنا وارزقنا خيرا منه فذلك الدعاء خصص به النبي صلى الله عليه وسلم اللبن لعموم نفعه
ويستحب عقيب الطعام ان يقول الحمد لله الذي اطعمنا وسقانا وكفانا واوانا سيدنا ومولانا يا كافي من كل
شيء ولا يكفي منه شيء اطعمت من جوع وامنت من خوف فلك الحمد اويت من يتم وهديت من ضلالة
واغنيت من عيلة فلك الحمد حمدا دائما كثيرا طيبا نافعا مباركا فيه كما انت اهله ومستحقه اللهم
اطعمتنا طيبا فاستعملنا صالحا اجعله عونا لنا على طاعتك ونعوذ بك ان نستعين به على معصيتك
واما غسل اليد بالاشنان فيكفيه ان يحمل الاشنان على كفه اليسرى ويغسل الاصابع الثلاث
من اليد اليمنى اولا ويضرب اصابعه على الاشنان اليابس فيمسح به شفتيه ثم يحسن غسل الفم
باصبعه ويدلك به ظاهر اسنانه وباطنها والحنك واللسان ثم يغسل اصابعه من ذلك
بالماء ثم يدلك بقية الاشنان اليابس اصابعه ظهرا وبطنا ويستغني بذلك عن اعادة الاشنان
الى الفم واعادة غسله **الباب الثاني** فيما يزيد بسبب الاجتماع والمشاركة في الاكل
وهي سبعة **الاول** ان لا يبتدي بالطعام ومعه من يستحق التقديم بكبر سن او زيادة
فضل الا ان يكون هو المتبوع والمقتدى به فحينئذ ينبغي ان لا يطول عليهم الانتظار اذا اشرأبوا
الى الاكل واجتمعوا له **الثاني** ان لا يسكتوا على الطعام فان ذلك من سيرة العجم ولكن يتكلمون بالمعروف
ويتحدثون بحكايات الصالحين في الاطعمة وغيرها **الثالث** ان يرفق برفيقه في القصعة فلا يقصد
ان ياكل زيادة على ما ياكل فان ذلك حرام ان لم يكن موافقا لرضى رفيقه مهما كان الطعام مشتركا
بل ينبغي ان يقصد الايثار ولا ياكل تمرتين في دفعة الا اذا فعلوا ذلك واستاذنهم فان قلل
رفيقه بسطه ورغبه في الاكل وقال له كل ولا يزيد في قوله كل على ثلاث مرات فان ذلك الحاح
وافراط كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خوطب في شيء ثلاثا لم يراجع بعد ثلاث وكان عليه
السلام يكرر الكلام ثلاثا فليس من الادب الزيادة عليه فاما الحلف عليه بالاكل فمنهي عنه
قال الحسن بن علي الطعام اهون من ان يحلف عليه **الرابع** ان لا يحوج رفيقه الى ان
يقول له كل قال بعض الادباء احسن الاكلين اكلا من لا يحوج صاحبه الى ان يتفقده في الاكل
وحمل على اخيه مؤنة القول فلا ينبغي ان يدع شيئا مما يشتهيه لاجل نظر الغير اليه فان ذلك
تصنع بل يجري على المعتاد ولا ينقص من عادته في الوحدة ولكن ليعود نفسه حسن الادب
في الوحدة ولكن ليعرف نفسه حسن الادب في الوحدة حتى لا يحتاج الى التصنع عند الاجتماع

نعم لو قال من اكله ايثارا لاخوانه ونظرا لهم عند الحاجة الى ذلك فهو حسن وان
زاد في الاكل على نية المساعدة وتحريك نشاط القوم في الاكل فلا باس به بل هو حسن
وكان ابن المبارك يقدم فاخر الرطب الى اخوانه ثم يقول من اكل كثيرا اعطيته بكل نواة
درهما وكان يعد النوى فيعطي كل من له فضل نوى بعدده دراهم وذلك لكسر الحيا
وزيادة النشاط في الانبساط وقال جعفر بن محمد احب اخواني الي اكثرهم اكلا
واعظمهم لقمة واثقلهم علي من يحوجني الى تعاهده في الاكل وكل هذا اشارة الى
الجري على المعتاد وترك التصنع وقال جعفر ايضا تبين محبة الرجل لاخيه بجودة اكله
في منزله الخامس ان غسل اليد في الطشت لا باس به وله ان يتنخم فيه ان اكل وحده
وان كان معه غيره فلا ينبغي ان يفعل ذلك واذا قدم الطشت غيره فليقبله ولا يرده
اكراما اجتمع انس بن مالك وثابت البناني على طعام فقدم انس الطشت اليه فامتنع فقال
انس اذا اكرمك اخوك فاقبل كرامته ولا تردها فانما يكرم الله عز وجل وروي ان هرون
الرشيد دعا ابا معوية الضرير فصب الرشيد على يده في الطشت فلما فرغ قال يا ابا معوية
تدري من صب على يدك فقال لا قال صب امير المومنين فقال معوية يا امير المومنين انما
اكرمت العلم واجللته فاجلك الله واكرمك كما اجللت العلم واهله ولا باس ان يجتمعوا
على غسل اليد في الطشت في حالة واحدة فهو اقرب الى التواضع وابعد عن طول الانتظار
فان لم يفعلوا فلا ينبغي ان يصب ماء كل واحد بل يجمع الماء في الطشت قال صلى الله
عليه وسلم اجتمعوا وضوكم جمع الله شملكم قيل المراد به هذا وكتب عمر بن عبد
العزيز الى الامصار لا يرفع طشت من بين يدي القوم الا مملوءا ولا تشبهوا بالعجم وقال
ابن مسعود اجتمعوا على غسل اليد في طشت ولا تستنوا بسنة الاعاجم والخادم
الذي يصب الماء على اليد كره بعضهم ان يكون قائما واحب ان يكون جالسا لانه اقرب
الى التواضع وكره بعضهم جلوسه فروي انه صب على يد واحد خادم جالسا فقام
المصبوب على يده فقيل له لم قمت فقال احدنا لا بد وان يكون قائما وهذا اولى
لانه ايسر للصب والغسل واقرب الى تواضع الذي يصب واذا كان له فيه نية
فتمكينه من الخدمة ليس فيه تكبر فان العادة جارية بذلك ففي الطشت سبعة اداب
ان لا يبزق فيه وان يقدم به المتبوع وان يقبل الاكرام بالتقديم وان يدار يمنة وان
يجتمع فيه جماعة وان يجمع الماء فيه وان يكون الخادم قائما وان يمج الماء من فيه و
يرسله من يديه برفق حتى لا يرش على الفراش وعلى اصحابه وليصب صاحب المنزل
بنفسه الماء على يد ضيفه هكذا فعل مالك بالشافعي في اول نزوله عليه وقال لا
يروعنك ما رايت مني فخدمة الضيف فرض السادس ان لا ينظر الى
اصحابه ولا يراقب اكلهم فيستحيون بل يغض بصره ويشتغل بنفسه ولا يمسك قبل
اخوانه اذا كانوا يحتشمون الاكل بعده بل يمد اليد ويقبضها ويتناول قليلا الى ان
يستوفوا فان كان قليل الاكل توقف في الابتدا وقلل الاكل حتى اذا توسعوا في
الطعام اكل معهم اخرا فعل ذلك كثير من الصحابة فان امتنع بسبب فليعتذر اليهم
دفعا للخجل عنهم السابع ان لا يفعل ما يستقذره غيره فلا ينفض يده في القصعة
ولا يقدم اليها راسه عند وضع اللقمة في فيه واذا اخرج شيا من فيه صرف وجهه
عن الطعام واخذه بشماله ولا يغمس اللقمة الدسمة في الخل ولا الخل في الدسومة فقد
يكرهه غيره واللقمة التي قطعها بسنه لا يغمس بقيتها في المرقة والخل ولا يتكلم بما

يذكر المستقذرات الباب الثالث في اداب تقديم الطعام الى
الاخوان الزائرين اعلم ان تقديم الطعام الى الاخوان له فضل كثير قال جعفر
بن محمد اذا قعدتم مع الاخوان على المائدة فاطيلوا الجلوس فانها ساعة لا تحسب
عليكم من اعماركم وقال الحسن كل نفقة ينفقها الرجل على نفسه وابويه
فمن دونهم يحاسب عليها العبد الا نفقة الرجل على اخوانه في الطعام فان الله تعالى
يستحيي ان يسالهم عن ذلك هذا مع ما ورد من الاخبار في الطعام قال صلى
الله عليه وسلم لا تزال الملايكة تصلي على احدكم ما دامت مائدته موضوعة بين يديه اضيافه
حتى ترفع وروي عن بعض علماء خراسان انه كان يقدم الى اخوانه طعاما كثيرا
لا يقدرون على اكل جميعه وكان يقول بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
ان الاخوان اذا رفعوا ايديهم عن الطعام لم يحاسب من اكل فضل ذلك الطعام فانا احب
ان استكثر مما اقدمه اليكم لنأكل فضل ذلك وفي الخبر لا يحاسب العبد على ما
ياكله مع اخوانه وكان بعضهم يكثر الاكل مع الجماعة لذلك ويقلل اذا اكل وحده وفي
الخبر ثلثة لا يحاسب العبد عليها اكلة السحور وما افطر عليه وما اكل مع الاخوان
وقال علي رضي الله عنه لان اجمع اخواني على صاع من طعام احب الي من ان اعتق رقبة
وكان ابن عمر يقول من كرم الرجل طيب زاده في سفره وبذله لاصحابه وكان الصحابة
يقولون الاجتماع على الطعام من مكارم الاخلاق وكانوا يجتمعون على قراءة القران ولا يتفرقون
الا عن ذواق وقيل اجتماع الاخوان على الكفاية مع الانس والالفة ليس من الدنيا
وفي الخبر يقول الله تعالى للعبد يوم القيمة يا ابن ادم جعت فلم تطعمني فيقول كيف
اطعمك وانت رب العالمين فيقول جاع اخوك المسلم فلم تطعمه ولو اطعمته كنت اطعمتني
وقال عليه الصلاة والسلام اذا جاءكم الزائر فاكرموه وقال عليه السلام ان في الجنة
غرفا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها هي لمن الان الكلام واطعم الطعام وصلى
بالليل والناس نيام وقال عليه الصلاة والسلام خيركم من اطعم الطعام وقال عليه الصلاة والسلام
من اطعم اخاه حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه بعده الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندقين
مسيرة خمسمائة عام واما ادابه فبعضها في الدخول وبعضها في تقديم الطعام اما
الدخول فليس من السنة ان يقصد قوما متربصا لوقت طعامهم فيدخل وقت الاكل فان ذلك من
المفاجاة وقد نهي عنه قال الله تعالى لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يوذن لكم الى طعام
غير ناظرين اناه يعني منتظرين حضوره ونضجه وفي الخبر من مشى الى طعام لم
يدع اليه مشى فاسقا واكل حراما ولكن حق الداخل اذا لم يتربص فاتفق انه صادفهم
على الطعام ان لا ياكل ما لم يوذن له فاذا قيل له كل نظر فان علم انهم يقولونه عن محبة لمساعدته
فليساعد وان كانوا يقولون حياء منه فلا ينبغي ان ياكل بل ينبغي ان يتعلل اما اذا كان
جايعا فقصد بعض اخوانه ليطعمه ولم يتربص وقت اكله فلا باس به قصد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر منزل ابي الهيثم ابن التيهان وابي ايوب الانصاري
لاجل طعام ياكلونه وكانوا جياعا والدخول على مثل هذا للقاصد اعانة لذلك المسلم على
حيازة ثواب الاطعام وهي عادة السلف كان عون بن عبد الله المسعودي له ثلثمائة
وستون صديقا يدور عليهم في السنة ولاخر ثلثون يدور عليهم في الشهر ولاخر سبعة
فكان اخوانهم معلومهم وجملا عن كسبهم فكان قيام اوليك بهم على قصد التبرك

عادة لهم فان دخل ولم يجد صاحب الدار وكان واثقا بصداقته عالما بفرحه اذا اكل
من طعامه فله ان ياكل بغير اذنه اذ المراد من الاذن الرضا لاسيما في الاطعمه وامرها
على السعه فرب رجل يصرح بالاذن ويحلف وهو غير راض فاكل طعامه مكروه ورب غائب
لم ياذن واكل طعامه محبوب وقد قال تعالى او صديقكم ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
دار بريره واكل طعامها وهي غائبه وكان الطعام من الصدقه فقال بلغت الصدقة محلها
وذلك لعلمه بسرورها بذلك وكذلك يجوز ان يدخل الدار بغير استيذان اكتفا بعلمه
بالاذن فان لم يعلم فلابد من الاستيذان اولا ثم الدخول وكان محمد بن واسع واصحابه
يدخلون منزل الحسن فيا كلون ما يجدون بغير اذن فكان الحسن يدخل ويرى ذلك
فيسر ويقول هكذا نفعل **وروى** عن الحسن انه كان قائما ياكل من متاع بقال ياخذ من هذه
تينه ومن هذه قصبه فقال له هشام ما بدا لك يا ابا سعيد في الورع تاكل متاع
الرجل بغير اذنه فقال يا لكع اتل علي آية الاكل فتلى الى قوله او صديقكم فقال فمن
الصديق يا ابا سعيد فقال من استروحت اليه النفس واطمان اليه القلب وجاء قوم
الى منزل سفيان الثوري فلم يجدوه في منزله ففتحوا الباب وانزلوا السفره وجعلوا ياكلون
فدخل الثوري فقال ذكرتموني اخلاق السلف هكذا كانوا **وزار** قوم بعض التابعين
ولم يكن عنده ما يقدمه اليهم فذهب الى منزل بعض اخوانه فلم يصادفه في المنزل فدخل فنظر
الى قدر قد طبخها والى خبز قد خبزه وغير ذلك فحمله كله فقدمه الى اصحابه وقال كلوا
فجاء رب المنزل فلم ير الطعام فقيل له اخذه فلان فقال قد احسن فلما لقيه قال
يا اخي ان عادوا فعد فهذه اداب الدخول **فاما اداب التقديم**
فترك التكلف اولا وتقديم ما حضر فانه لم يحضره شي ولم يملك شيا فلا يستقرض لاجل
ذلك فيشق على نفسه وان حضره ما هو محتاج اليه لقوته ولم تسمح نفسه بالتقديم فلا
ينبغي ان يقدم **دخل بعضهم** على زاهد وهو ياكل فقال لولا اني اخذته بدين
لاطعمتكم **وقال** بعض السلف في تفسير التكلف ان تطعم اخاك ما لا تاكله انت بل
تقصد زيادة عليه في الجودة والقيمه **وكان** الفضيل رحمه الله يقول انما تقاطع الناس بالتكلف
يدعو احدهم اخاه فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع اليه **وقال** بعضهم ما ابالي من اتاني من
اخواني فاني لا اتكلف له انما اقرب ما عندي ولو تكلفت له لكرهت مجيه **وقال** بعضهم
كنت ادخل على اخ لي فيتكلف فقلت له انك لا تاكل وحدك هذا ولا انا فما بالنا اذا اجتمعنا
اكلنا ما لا نجري العاده به فاما ان تقطع هذا التكلف او اقطع المجي فقطع التكلف ودام اجتماعنا
بسببه ومن التكلف ان يقدم جميع ما عنده فيجحف بعياله ويؤذي قلوبهم **وروي**
ان رجلا دعا عليا رضي الله عنه فقال اجيبك على ثلاث شرائط لا تدخل من السوق
شيا ولا تدخر ما في البيت ولا تجحف بالعيال وكان بعضهم يقدم من كل ما في بيته
فلا يترك نوعا الا ويحضر شيا منه **وقال** بعضهم دخلنا على جابر بن عبد الله
فقدم الينا خبزا وخلا وقال لولا انا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم **وقال** بعضهم
اذا قصدت للزيارة فقدم ما حضر وان استزرت فلا تبق ولا تذر **وقال** سلمان
امرنا رسول الله ان لا نتكلف للضيف ما ليس عندنا وان نقدم اليه ما حضرنا **وفي حديث**
يونس ان النبي صلى الله عليه وسلم زاره اخوانه فقدم كسرا وجز لهم بقلا كان يزرعه ثم قال
كلوا لولا ان الله لعن المتكلفين لتكلفت لكم وعن انس بن مالك وغيره من الصحابه انهم

كانوا

كانوا يقدمون ما حضر من الكسر اليابسه وحشف التمر ويقولون لا ندري ايهما اعظم
وزرا الذي احتقر ما يقدم اليه او الذي يحتقر ما عنده **الادب الثاني**
وهو للزائر ان لا يقترح ولا يتحكم بشي بعينه وربما يشق على المزور احضاره فان خيره
بين طعامين فليختر ايسرهما عليه كذلك السنه في الخبر انه ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين شيين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما **وروى** عن الاعمش عن ابي وايل
قال مضيت مع صاحب لي نزور سلمان فقدم الينا خبز شعير وملحا جريشا
فقال صاحبي لو كان في هذا الملح زعتر كان اطيب فخرج سلمان فرهن مطهرته واخذ
زعترا فلما اكلنا قال صاحبي الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا فقال سلمان لو
قنعت بما رزقت لم تكن مطهرتي مرهونه هذا اذا توهم تعذره على اخيه او كراهته
له فان علم انه يسر باقتراحه وتيسر عليه ذلك فلا يكره له الاقتراح فعل الشافعي ذلك
مع الزعفراني اذ كان نازلا عنده ببغداد وكان الزعفراني يكتب كل يوم رقعه بما يطبخ
من الالوان ويسلمها الى الجاريه فاخذ الشافعي الرقعه في بعض الايام والحق بها لونا اخر
بخطه فلما راى الزعفراني ذلك اللون انكر وقال ما امرت بهذا فعرضت الجاريه
خط الشافعي في الرقعه ملحقا فلما وقعت عينه على خطه فرح بذلك ثم اعتق الجاريه
سرورا باقتراح الشافعي عليه **وقال** ابو بكر الكتاني دخلت على السري فجا بفتيت
وجعل يجعل نصفه في القدح فقلت ايش هذا تجعل انا اشربه كله في قدح مرة فضحك
وقال هذا افضل لك من حجة وقال بعضهم الاكل على ثلاثة انواع مع الفقرا بالايثار
ومع الاخوان بالانبساط ومع ابناء الدنيا بالادب **الادب الثالث** ان يشتهي المزور الزائر
ويلتمس منه الاقتراح مهما كانت نفسه طيبة بفعل ما يقترح فذلك حسن وفيه اجر وفضل
جزيل قال صلى الله عليه وسلم من صادف من اخيه شهوة غفر له ومن سر اخاه المؤمن فقد
سر الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه جابر من لذذ اخاه بما يشتهي كتب الله
له الف الف حسنه ومحى عنه الف الف سيئه ورفع له الف الف درجه واطعمه من ثلاث جنات
جنة الفردوس وجنة عدن وجنة الخلد **الادب الرابع** ان لا يقول له هل اقدم لك
طعاما بل ينبغي ان يقدم ان كان عنده شي قال الثوري اذا زارك اخاك فلا تقل له اتاكل
او اقدم اليك ولكن قدم فان اكل والا فارفع وان كان يريد ان لا يطعمهم طعاما فلا ينبغي
ان يظهره عليهم ويصفه لهم قال الثوري اذا اردت ان لا تطعم عيالك مما تاكله فلا
تحدثهم به ولا يرونه معك وقال بعض الصوفيه اذا دخل عليكم الفقرا فقدموا اليهم
طعاما واذا دخل الفقها فسلوهم عن مسله واذا دخل القرا فدلوهم على المحراب • والله اعلم

الباب الرابع في اداب الضيافه ومضان الاداب فيها ستة الدعوة اولا
ثم الاجابه ثم الحضور ثم تقديم الطعام ثم الاكل ثم الانصراف ولنقدم على شرحها فضيلة
الضيافه قال صلى الله عليه وسلم لا تتكلفوا للضيف فتبغضوه فانه من ابغض الضيف فقد
ابغض الله ومن ابغض الله ابغضه الله وقال صلى الله عليه وسلم لا خير فيمن لا يضيف ومر
رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل له ابل وبقر كثير فلم يضفه ومر بامراة لها شويهات
فذبحت له فقال عليه السلام انظروا اليهما انما هذه الاخلاق بيد الله فمن شاء ان يمنحه
خلقا حسنا فعل وقال ابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نزل به ضيف
فقال قل لفلان اليهودي نزل بي ضيف فاسلفني شيا من الدقيق الى رجب فقال اليهودي

قادمة لا اسلفته الا برهن فاخبرته فقال والله انى لامين فى السماء امين فى الارض ولو اسلفنى
لاديته فاذهب بدرعى فارهنه عنده وكان ابرهيم عليه السلام اذا اراد ان ياكل
خرج ميلا او ميلين يلتمس من يتغدى معه وكان يكنى ابا الضيفان ولصدق نيته
فيها دامت ضيافته فى مشهده الى يومنا هذا فلا تنقضى ليلة الا ويأكل عنده
جماعة من بين ثلاثة الى عشرة الى مائة وقال قوامه فى مشهده انه لم يخل الى الان عن ضيف
وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الايمان فقال اطعام الطعام وبذل السلام وقال
صلى الله عليه وسلم فى الكفارات والدرجات اطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام وسئل
عن الحج المبرور فقال اطعام الطعام وطيب الكلام وقال انس كل بيت لا يدخله ضيف لا تدخله
الملائكة والاخبار الواردة فى فضل الضيافة والاطعام لا تحصى فلنذكر آدابها اما الدعوة
فينبغى للداعى ان يقصد بدعوته الاتقياء دون الفساق قال صلى الله عليه وسلم اكل طعامك
الابرار ودعا لبعض من دعا له وقال لا تأكل الا طعام تقى ولا يأكل طعامك الا تقى ويقصد الفقراء
دون الاغنياء على الخصوص قال صلى الله عليه وسلم شر الطعام طعام الوليمة يدعى اليها الاغنياء دون
الفقراء وينبغى ان لا يهمل اقاربه واهله فى ضيافته فان اهمالهم ايحاش وقطع رحم
وكذلك يراعى الترتيب فى اصدقائه ومعارفه فان فى تخصيص البعض ايحاش للباقين وينبغى
ان لا يقصد بدعوته المباهاة والتفاخر بل استمالة قلوب الاخوان والتسنن بسنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اطعام الطعام وادخال السرور على قلوب المؤمنين وينبغى ان
لا يدعوا من يعلم انه يشق عليه الاجابة او اذا حضر تأذى بالحاضرين بسبب من الاسباب
وينبغى ان لا يدعوا الا من يحب اجابته قال سفيان الثورى من دعا الى طعام
وهو يكره الاجابة فعليه خطيئة فان اجاب المدعو فعليه خطيئتان لانه حمله على الاكل
مع كراهيته ولو علم ما كان يأكله واطعام التقى اعانة له على الطاعة واطعام الفاسق
تقوية له على الفسق قال رجل خياط لابن المبارك انا اخيط ثياب السلاطين فهل
تخاف ان اكون من اعوان الظلمة قال لا انما اعوان الظلمة من يبيع منك الخيط والابر
اما انت فمن الظلمة انفسهم واما الاجابة فهى سنة مؤكدة وقد قيل بوجوبها فى بعض المواضع
قال صلى الله عليه وسلم لو دعيت الى كراع لاجبت ولو اهدى الى ذراع لقبلت وفى
للاجابة خمسة آداب الاول ان لا يميز الغنى بالاجابة عن الفقير فذلك هو التكبر المنهى عنه
ولاجل ذلك امتنع بعضهم عن اصل الاجابة وقال انتظار المرقة ذل وقال آخر اذا وضعت
يدى فى قصعة غيرى فقد ذلت له رقبتى ومن المتكبرين من يجيب الاغنياء دون الفقراء
وهو خلاف السنة كان صلى الله عليه وسلم يجيب دعوة الحر والعبد ودعوة المسكين ومر
الحسين بن على بقوم من المساكين الذين يسألون الناس على قارعة الطريق وقد نشروا
كسرا على الارض فى الرمل وهم يأكلون وكان على بغلته فسلم عليهم فقالوا له هلم الى الغداء
يا ابن رسول الله فقال نعم ان الله لا يحب المستكبرين فنزل وقعد معهم على الارض واكل
ثم سلم عليهم وركب وقال قد اجبتكم فاجيبونى فوعدهم وقتا معلوما فحضروا فقدم اليهم
فاخر الطعام وجلس يأكل معهم واما قول القائل من وضعت يدى فى قصعته فقد ذلت له
رقبتى قال بعضهم هذا خلاف السنة وليس كذلك فانه ذل اذا كان الداعى لا يفرح بالاجابة
ولا يتقلدها منة وكان يرى ذلك يدا له على المدعو ورسول الله كان يحضر لعلمه بان الداعى

له يتقلد منة ويرى ذلك شرفا وذخرا لنفسه فى الدنيا والآخرة وهذا يختلف باختلاف
الحال فمن ظن به انه يستثقل الاطعام وانما يفعل ذلك مباهاة او تكلفا فليس من السنة
اجابته بل الاولى التعلل ولذلك قال بعض الصوفية لا تجب الا دعوة من يرى انك اكلت
رزقك وانه سلم اليك وديعة كانت لك عنده ويرى لك الفضل عليه فى قبول تلك
الوديعة منه وقال سرى السقطى آه على لقمة ليس لله علىّ فيها تبعة ولا لمخلوق فيها
منة قال ابو تراب النخشبى عرض على طعام فامتنعت فابتليت بالجوع اربعة عشر يوما
فعلمت انها عقوبته وقيل لمعروف الكرخى كل من دعاك تمر اليه فقال انا ضيف
انزل حيث انزلونى الثانى انه لا ينبغى ان يمتنع عن الاجابة لبعد المسافة ولا يمتنع لفقر
الداعى وعدم جاهه بل كل مسافة يمكن احتمالها فى العادة لا ينبغى ان يمتنع وقال فى
التوريه او فى بعض الكتب سر ميلا عد مريضا سر ميلين شيع جنازة سر ثلاثة اميال
اجب دعوة سر اربعة اميال زر اخا فى الله وانما قدم اجابة الدعوة والزيارة لان فيه
قضاء حق الحى فهو اولى من الميت وقال صلى الله عليه وسلم لو دعيت الى كراع لاجبت
وهو موضع على اميال من المدينة افطر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان لما بلغه
وقصر عنده فى سفره الثالث ان لا يمتنع لكونه صائما بل يحضر فان كان يسر
اخاه افطاره فليفطر وليحتسب فى افطاره بنية ادخال السرور على قلب اخيه ما يحتسب فى
الصوم وافضل وذلك فى صوم التطوع وان لم يتحقق سرور قلبه فليصدقه بالظاهر وليفطر
وان تحقق انه متكلف فليتعلل وقد قال صلى الله عليه وسلم لمن امتنع بعذر الصوم تكلف لك
اخوك وتقول انى صائم وقد قال ابن عباس من افضل الحسنات اكرام الجلساء بالافطار فالافطار عبادة
بهذه النية وحسن خلق فثوابه فوق ثواب الصوم وان لم يفطر فضيافته الطيب والمجمرة
والحديث الطيب فقد قيل الكحل والدهن احد القراءين الرابع ان يمتنع من الاجابة ان كان
الطعام طعام شبهة او الموضع او البساط المفروش غير حلال او كان يقام فى الموضع منكر
من فرش ديباج او اناء فضة او تصوير حيوان على سقف او حائط او سماع شئ من المزامير
والملاهى والتشاغل بشئ من اللهو والهزء واللعب فكل ذلك مما يمنع الاجابة واستحبابها
ويوجب تحريمها او كراهيتها وكذا اذا كان الداعى ظالما او مبتدعا او فاسقا او شريرا او
متكلفا طلبا للمباهاة والفخر الخامس ان لا يقصد بالاجابة قضاء شهوة البطن فيكون
عاملا فى ابواب الدنيا بل يحسن نيته ليصير بالاجابة عاملا للآخرة وذلك ان ينوى الاقتداء
بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله لو دعيت الى كراع لاجبت وينوى الحذر من معصية
الله لقوله عليه السلام من لم يجب الداعى فقد عصى الله ورسوله وينوى اكرام اخيه المؤمن اتباعا
لقوله عم من اكرم اخاه المؤمن فانما يكرم الله وينوى ادخال السرور على قلبه امتثالا لقوله
عليه السلام من سر مؤمنا فقد سر الله وينوى مع ذلك زيارته ليكون من المتحابين فى الله اذ شرط
رسول الله صلى الله عليه وسلم التزاور والتباذل فى الله وقد حصل البذل من الجانبين فتحصل الزيارة
من جانبه ايضا وينوى صيانة نفسه عن ان يساء به الظن فى امتناعه ويطلق اللسان فيه
بان يحمل على تكبر او سوء خلق او استحقار اخ مسلم وما يجرى مجراه فهذه ستة نيات تلحق
اجابته بالقربات احادها فكيف مجموعها وكان بعض السلف يقول انا احب ان يكون لى فى
كل عمل نية حتى فى الطعام والشراب وفى مثل هذا قال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات

ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى
دنيا يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فالنية انما تؤثر في المباحات والطاعات
اما المنهيات فانه لو نوى ان يسر اخوانه بمساعدتهم على شرب الخمر او حرام اخر لم تنفع النية
ولم يجز ان يقال الاعمال بالنيات بل لو قصد بالغزو الذي هو طاعة المباهاة وطلب المال انصرف
جهة الطاعة وكذا المباح المردد بين وجوه الخيرات وغيرها يلتحق بوجوه الخيرات بالنيات
فتؤثر النية في هذين القسمين لا في القسم الثالث واما الحضور فادبه ان يدخل الدار ولا يتصدر
فياخذ احسن الاماكن بل يتواضع ولا يطول الانتظار عليهم ولا يعجل بحيث يفاجيهم قبل تمام
الاستعداد ولا يضيق المكان على الحاضرين بالزحمة بل ان اشار اليه صاحب الدار بموضع لم
يخالفه البتة فانه يكون قد رتب في نفسه موضع كل واحد فمخالفته تشوش عليه وان اشار
اليه بعض الضيفان بالارتفاع اكراما فليتواضع قال صلى الله عليه وسلم ان من التواضع
لله الرضا بالدون من المجلس ولا ينبغي ان يجلس في مقابلة باب حجرة النساء وسترهم ولا يكثر النظر الى
الموضع الذي يخرج منه الطعام فانه دليل الشره ويخص بالتحية والسلام من يقرب منه اذا جلس
واذا دخل ضيفا للمبيت فليعرفه صاحب الدار عند الدخول القبلة وبيت الماء وموضع الوضوء
كذلك فعل مالك بالشافعي وغسل مالك يده قبل الطعام قبل القوم وقال الغسل قبل الطعام
لرب البيت اولا وانما يتقدم بالغسل في اول الطعام لانه يدعو الناس الى مكرمة فحكمه ان
يتقدم بالغسل وفي اخر الطعام يتاخر بالغسل وفي اخر الطعام يتاخر بالغسل ينتظر ان يدخل
من ياكل معه واذا دخل فراى منكرا غيره ان قدر والا انكر بلسانه وانصرف والمنكر فرش
الديباج واستعمال اواني الفضة والذهب والتصوير على الحيطان وسماع الملاهي والمزامير وحضور
النسوة المتكشفات الوجوه وغيرها ذلك من المحرمات حتى قال احمد اذا رأى مكحلة راسها فضة ينبغي ان
يخرج ولم ياذن في الجلوس الا نادبه وقيل اذا راى اكلة ينبغي ان يخرج فان ذلك تكلف لا فائدة
لا يدفع حرا ولا بردا ولا يستر شيئا وكذا قال يخرج اذا راى حيطان البيت مستورة بالديباج
كما تستر الكعبة وقيل اذا اكترى بيتا فيه صورة او دخل الحمام فراى صورة فينبغي
ان يحكها فان لم يقدر يخرج وكلما ذكره صحيح وانما النظر في الكلة وتزيين الحيطان بالديباج
فان ذلك لا ينتهي الى التحريم اذ الحرير محرم على الرجال وقال عليه السلام هذان حرامان
على ذكور امتي وما على الحائط ليس منسوبا الى الذكور ولو حرم هذا لحرم تزيين الكعبة بل الاولى
اباحته بموجب قوله تعالى قل من حرم زينة الله لا سيما في وقت الزينة اذا لم يتخذ عادة للتفاخر
وان تخيل ان الرجال ينتفعون بالنظر اليه فلا يحرم على الرجال الانتفاع بالنظر الى الديباج مهما
لبسه الجواري والنساء اذ ليس موصوفا بالذكور فاما احضار الطعام فله اداب خمسة الاول
تعجيل الطعام فذلك من اكرام الضيف وقد قال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الاخر
فليكرم ضيفه ومهما حضر الاكثرون وغاب واحد او اثنان وتاخروا عن الوقت الموعود فحق الحاضرين
في التعجيل اولى من حق اولئك في التاخير الا ان يكون المتاخر فقيرا ويكسر قلبه بذلك فلا باس
بالتاخير واحد المعنيين في قوله تعالى هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين انهم اكرموا بتعجيل
الطعام اليهم دل عليه قوله تعالى فما لبث ان جاء بعجل حنيذ وقوله تعالى فراغ الى اهله فجاء بعجل
سمين والروغان الذهاب بسرعة وقيل في خفية وقيل جاء بفخذ من لحم وانما سمي عجلا لانه عجله
ولم يلبث قال حاتم الاصم العجلة من الشيطان الا في خمس فانها من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

اطعام الضيف وتجهيز الميت وتزويج البكر وقضاء الدين والتوبة من الذنب ويستحب
التعجيل في الوليمة وقيل الوليمة في اول يوم سنة وفي الثاني معروف وفي الثالث رياء الثاني
ترتيب الاطعمة بتقديم الفاكهة اولا ان كانت فذلك اوفق في الطب فانها اسرع استحالة
فينبغي ان تقع في اسفل المعدة وفي القران تنبيه على تقديم الفاكهة في قوله تعالى وفاكهة
مما يتخيرون ثم قال تعالى ولحم طير مما يشتهون ثم افضل ما يقدم بعد الفاكهة اللحم و
الثريد فقد قال صلى الله عليه وسلم فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام
فان جمع اليه حلاوة بعده فقد جمع الطيبات ودل على حصول الاكرام باللحم قوله تعالى
في ضيف ابرهيم اذ احضر العجل الحنيذ اي المحنوذ وهو الذي احمي بقعبه وهو احد معنى الاكرام
اعني تقديم اللحم وقال تعالى في وصف الطيبات وانزلنا عليكم المن والسلوى والمن العسل
والسلوى اللحم سمي سلوى لانه يتسلى به عن جميع الادام ولا يقوم غيره مقامه ولذلك قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم سيد الادام اللحم ثم قال بعد ذكر المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم
فاللحم والحلاوة من الطيبات قال ابو سليمان الداراني اكل الطيبات يورث الرضا عن الله
وتتم هذه الطيبات بشرب الماء البارد وصب الماء الفاتر على اليد عند الغسل قال المامون
شرب الماء بثلج يخلص الشكر لله وقال بعض الادباء اذا دعوت اخوانك فاطعمتهم حصرمية
وبورانية وسقيتهم ماء باردا فقد اكملت الضيافة وانفق بعضهم في ضيافة فقال
بعض الحكماء لم يكن يحتاج الى هذا اذا كان خبزك جيدا وماؤك باردا وخلك حامضا فهو كفاية
وقال بعضهم الحلاوة بعد الطعام خير من كثرة الالوان والتمكن على المائدة خير من زيادة لونين
وقيل ان الملائكة يحضرون المائدة اذا كان عليها بقل فذلك ايضا مستحب ولما فيه
من التزيين بالخضرة وفي الخبر ان المائدة التي انزلت على بني اسرائيل كان عليها من كل البقول
الا الكراث وكان عليها سمكة عند راسها خل وعند ذنبها ملح وسبعة ارغفة على كل رغيف زيتون
وحب رمان فهذا اذا اجتمع حسن للموافقة الثالث ان يقدم من الالوان الطفها حتى يستوفي
منها من يريد فلا يكثر الاكل بعده وعادة المترفين تقديم الغليظ ليستانف حركة الشهوة
بمصادفة اللطيف بعده وهو خلاف السنة فانه حيلة في استكثار الاكل وكان من سنة المتقدمين
ان يقدموا جملة الالوان جملة واحدة ويصففون القصاع على المائدة ليأكل كل انسان مما يشتهي
وان لم يكن عنده الا لون واحد ذكره ليستوفوا منه ولا ينتظروا الطيب منه ويحكى عن بعض
ارباب المروات انه كان يكتب نسخة بما يستحضر من الالوان ويعرض على الضيفان وقال
بعض الشيوخ قدم الى بعض المشايخ لونا بالشام فقلت عندنا بالعراق انما يقدم هذا
اخرا فقال وكذا عندنا بالشام ولم يكن له لون غيره فخجلت منه وقال اخر كنا جماعة
في ضيافة فقدم الينا الوانا من الرؤوس المشوية طبيخا وقديدا فكنا لا ناكل ننتظر بعدها
لونا او حملا فجاءنا بالطست ولم يقدم غيرها فنظر بعضنا الى بعض فقال بعض الشيوخ
وكان مزاحا ان الله تعالى يقدر ان يخلق رؤوسا بلا ابدان قال فبتنا تلك الليلة جياعا
نطلب فتيتا للسحور فلهذا يستحب ان يحضر الجميع او يخبر بما عنده الرابع ان لا يبادر الى
رفع الالوان بل يمكنهم من الاستيفاء حتى يرفعوا الايدي عنها فلعل فيهم من يكون بقية
ذلك اللون اشهى عنده مما يستحضر او بقي فيه حاجة الى الاكل فيتنغص عليه بالمبادرة وهو
من التمكن على المائدة التي يقال انه خير من لونين فيحتمل ان يكون المراد به قطع الاستعجال

ويحتمل ان يراد به سعة المكان حكي عن الستوري وكان صوفيا مزاحا فحضر عند واحد
من ابناء الدنيا على مائدة وقدم اليهم جمال وكان في صاحب المائدة بخل فلما راى القوم مزقوا الجمال
كل ممزق ضاق صدره وقال يا غلام ادفع الى الصبيان فرفع الجمال ليدخل داخل الدار فقام الستوري
يعدو خلف الجمال فقيل له الى اين فقال اكل مع الصبيان فاستحيا الرجل وامر برد الجمال
ومن هذا الفن ان لا يرفع صاحب المائدة يده قبل القوم لانهم يستحيون بل ينبغي ان يكون
اخرهم اكلا كان بعض الكرام يخبر القوم بجميع الالوان ويتركهم يستوفون فاذا قاربوا الفراغ
جثى على ركبتيه ومد يده الى الطعام واكل وقال بسم الله ساعدوني بارك الله عليكم فكان
السلف يستحسنون منه ذلك الخامس ان يقدم من الطعام قدر الكفاية فان التقليل عن الكفاية
نقص في المروءة والزيادة عليه تصنع ومراياة لا سيما اذا كان لا يسمح نفسه بان ياكل الكل
الا ان يقدم الكثير وهو طيب النفس لو اخذوا الجميع ونوى ان يتبرك بفضل طعامهم اذ في
الحديث انه لا يحاسب عليه احضر ابرهيم ابن ادهم طعاما كثيرا على مائدة فقال له سفيان
يا ابا اسحق اما تخاف ان يكون هذا سرفا فقال ابرهيم ليس في الطعام سرف فان لم تكن له هذه
النية فالتكثير تكلف قال ابن مسعود نهينا ان نجيب دعوة من يباهي بطعامه وكره جماعة
من الصحابة اكل طعام المباهات ومن هذا ومن ذلك كان لا يرفع من بين يدي رسول الله فضلة طعام
قط لانهم كانوا لا يقدمون الا قدر الحاجة ولا ياكلون تمام الشبع وينبغي ان يعزل اولا نصيب اهل البيت
حتى لا يكون اعينهم طامحة الى رجوع شيء منه فلعله لا يرجع فتضيق صدورهم وتنطلق في الضيف
السنتهم ويكون قد اطعم الضيفان ما يتبعه كراهية قوم وذلك خيانة في حقهم وما بقي من الاطعمة
فليس للضيفان ان ياخذوه وهو الذي تسميه الصوفية الزلة الا اذا صرح صاحب الطعام بالاذن
فيه عن قلب راض او علم ذلك بقرينة حاله وانه يفرح به فان كان يظن كراهته فلا ينبغي ان
يوخذ واذا علم رضاه فينبغي مراعاة العدل والنصفة مع الرفقاء فلا ينبغي ان ياخذ الواحد الا ما يخصه
او ما يرضى به رفيقه عن طوع لا عن حياء فاما الانصراف فله اداب ثلاثة الاول ان يخرج مع الضيف
الى باب الدار وهي سنة وذلك من اكرام الضيف وقد امر باكرامه قال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله
واليوم الاخر فليكرم ضيفه وقال عليه الصلاة والسلام ان من سنة الضيف ان يشيع الى باب الدار
قال ابو قتادة قدم وفد النجاشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام يخدمهم بنفسه فقال له اصحابه
نحن نكفيك يا رسول الله فقال كلا انهم كانوا لاصحابي مكرمين واني احب ان اكافيهم وتمام الاكرام
طلاقة الوجه وطيب الحديث عند الدخول والخروج وعلى المائدة قيل للاوزاعي ما كرامة الضيف قال
طلاقة الوجه وطيب الحديث وقال يزيد بن ابي زياد ما دخلت على عبد الرحمن بن ابي ليلى
الا حدثنا حديثا حسنا واطعمنا طعاما حسنا الثاني ان ينصرف الضيف طيب النفس وان جرى في حقه
تقصير فذلك من حسن الخلق والتواضع قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة
الصائم القائم ودعي بعض السلف برسول فلم يصادف الرسول فلما سمع حضر وكانوا قد تفرقوا
وفرغوا فخرج اليه صاحب المنزل وقال قد خرج القوم فقال هل بقي بقية قال لا قال فكسرة ان بقيت قال
لم يبق قال فالقدر امسحها قال قد غسلتها فانصرف يحمد الله فقيل له في ذلك فقال قد احسن
الرجل دعانا بنية وردنا بنية فهذا هو معنى التواضع وحسن الخلق وحكي ان الاستاد
ابا القاسم الجنيد دعاه صبي الى دعوة ابيه اربع مرات فرده الاب في المرات الاربع وهو
يرجع في كل مرة تطييبا لقلب الصبي بالحضور ولقلب الاب بالانصراف فهذه نفوس قد

ذللت بالتواضع لله فاطمانت بالتوحيد وصارت تشاهد في كل رد وقبول عبرة فيما
بينه وبين ربه تعالى فلا تنكسر بما يجري من العباد من اذلال كما لا تستبشر بما يجري من العباد
من الاكرام بل يرون الكل من الواحد القهار ولذلك قال بعضهم انا لا اجيب الدعوة الا لاني
اتذكر به طعام الجنة اي هو طعام طيب يحمل عنا كده ومؤنته وحسابه الثالث ان لا يخرج
الا برضى صاحب المنزل واذنه ويراعي قلبه في قدر الاقامة واذا نزل ضيفا فلا يزيد على ثلاثة
ايام فربما يتبرم به ويحتاج الى اخراجه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الضيافة ثلثة فما زاد
فصدقة نعم لو الح رب المنزل عن خلوص قلب فله المقام اذ ذاك ويستحب ان يكون عنده فراش
للضيف النازل قال صلى الله عليه وسلم فراش للرجل وفراش للمراة وفراش للضيف والرابع للشيطان

فصل يجمع ادابا ومناهي طبية وشرعية متفرقة الاول حكي عن ابرهيم النخعي انه قال
الاكل في السوق دناءة واسنده الى رسول الله واسناده غريب وقد نقل ضده عن ابن عمر
انه قال كنا ناكل على عهد رسول الله ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام وروي بعض مشايخ الصوفية
المعروفين ياكل في السوق فقيل له في ذلك فقال ويحك اجوع في السوق واكل في البيت
فقيل تدخل المسجد فقال استحيي ان ادخل بيته للاكل فقط ووجه الجمع ان الاكل في السوق
تواضع وترك تكلف من بعض الناس فهو حسن وخرق مروءة من بعضهم فهو مكروه ويختلف
ذلك بعادات البلاد واحوال الاشخاص فمن لا يليق ذلك بسائر احواله حمل ذلك على قلة المروءة
وفرط الشره ويقدح ذلك في الشهادة ومن لا يليق ذلك بسائر اعماله حمل ذلك على قلة المروءة
او كان ذلك منه تواضعا قال علي رضي الله عنه من ابتدأ طعامه بالملح اذهب الله عنه سبعين نوعا
من البلاء ومن اكل يوما سبع تمرات عجوة قتلت كل دابة في بطنه ومن اكل كل يوم احدى و
عشرين زبيبة حمراء لم ير في جسده شيئا يكرهه واللحم ينبت اللحم والثريد طعام العرب و
الغباريجات تعظم البطن وترخي الاليتين ولحم البقر داء ولبنها شفاء وسمنها دواء والشحم
يخرج مثله من الداء ولن تستشفي النفساء بشيء افضل من الرطب والسمك يذيب الجسد وقراءة
القرآن والسواك يذهبان البلغم ومن اراد البقاء ولا بقاء فليباكر الغداء وليقل من غشيان النساء
وليخفف الرداء وهو الدين الثالث قال الحجاج لبعض الحكماء عرفني صفة اقتدي بها ولا اعدوها
قال لا تنكح من النساء الا فتاة ولا تاكل من اللحم الا فتيا ولا تاكل المطبوخ حتى ينعم نضجه ولا
تشربن دواء الا من علة ولا تاكل من الفاكهة الا نضيجها ولا تاكلن طعاما الا اجدت مضغه
وكل ما احببت من الطعام ولا تشربن عليه فاذا شربت فلا تاكل عليه ولا تحبس الغائط والبول
واذا اكلت بالنهار فنم واذا اكلت بالليل فامش قبل ان تنام ولو مائة خطوة وفي معناه قول
العرب تغد تمدد تعش تمش يعني تمدد كما قال تعالى ثم ذهب الى اهله يتمطى اي يتمطط
ويقال ان حبس البول يفسد الجسد كما يفسد النهر ما حوله اذا سد مجراه والرابع في الخبر
قطع العروق مسقمة وترك العشاء مهرمة والعرب تقول ترك الغداء يذهب بشحم الكاذة يعني
الالية قال بعض الحكماء لابنه يا بني لا تخرج من منزلك حتى تاخذ حلمك اي تتغدى اذ به
يبقى الحلم ويزول الطيش وهو ايضا اقل لشهوته لما يرى في السوق قال حكيم لسمين
ارى عليك قطيفة من نسج اضراسك فما هي قال اكل لباب البر وصغار المعز وادهن بخام بنفسج
والبس الكتان الخامس الحمية تضر بالصحيح كما يضر تركها بالمريض هكذا قال وقال
بعضهم من احتمى فهو على يقين من المكروه وعلى شك من العافية وهذا حسن في حال
الصحة وراى رسول الله صلى الله عليه وسلم صهيبا ياكل تمرا واحدى عينيه رمدة فقال اتاكل
التمر وانت رمد فقال يا رسول الله انما امضغ بالشق الاخر يعني جانب السليمة

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم • السادس انه يستحب ان يحمل طعام الى اهل الميت ولما جاء
نعي جعفر ابن ابي طالب قال عليه السلام ان آل جعفر شغلوا بميتهم عن صنع طعام
فاحملوا اليهم ما ياكلون فذلك سنة واذا قدم ذلك اليهم حل الاكل منه الا اذا كان مهيأ
للنوائح والمعينات عليه بالبكاء والجزع فلا ينبغي ان يؤكل معهم السابع لا ينبغي ان يحضر
طعام ظالم فان اكره فليقلل الاكل ولا يقصد الطعام الاطيب رد بعض المزكين شهادة من
حضر طعام سلطان فقال كنت مكرها فقال رايتك تقصد الاطيب وتكبر اللقمة وما كنت
مكرها عليه واجبر السلطان هذا المزكي على الاكل فقال اما ان آكل واخلي التزكية او ازكي ولا
آكل فلم يجدوا بدا من تزكيته فتركوه وحكي ان ذا النون المصري حبس فلم ياكل اياما
في السجن فكانت له اخت في الله فبعثت اليه من مغزلها طعاما على يد السجان فامتنع ولم
ياكل فعاتبته المراة بعد ذلك فقال كان حلالا ولكن جاءني على طبق ظالم واشار به الى يد
السجان وهذا غاية الورع الثامن حكي عن فتح الموصلي انه دخل على بشر الحافي زائرا فاخرج
بشر دراهم ودفعها لاحمد الجلاء خادمه وقال اشتر به طعاما جيدا وادما طيبا فاشتريت
خبزا نظيفا وقلت لم يقل النبي صلى اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه سوى اللبن فاشتريت
اللبن واشتريت تمرا جيدا فقدمت اليه فاكل واخذ الباقي فقال بشر تدرون لم قلت
اشتر طعاما طيبا لان الطعام الطيب يستخرج خالص الشكر تدرون لم لم يقل لي كل
لانه ليس للضيف ان يقول لصاحب الدار كل تدرون لم حمل ما بقي لانه اذا صح التوكل لم يضر الحمل
وحكي عن ابو علي الروذباري عن رجل انه اتخذ ضيافة فاوقد فيها الف سراج فقال
له رجل قد اسرفت فقال ادخل فكل ما اوقدته لغير الله فاطفه فدخل الرجل فلم يقدر على اطفاء
واحد منها فانقطع واشترى ابو علي الروذباري احمالا من السكر وامر الحلاويين
حتى بنوا جدارا من السكر عليه شرف ومحاريب على اعمدة منقوشة كلها من سكر ثم دعا
الصوفية حتى هدموها وانتهبوها السابع قال الشافعي رحمه الله تعالى الاكل على
اربعة انحاء الاكل باصبع من المقت وباصبعين من الكبر وبثلاثة اصابع من السنة
وباربع وخمس من الشره واربع تقوي البدن اكل اللحم وشم الطيب وكثرة الغسل من غير
جماع ولبس الكتان واربع يوهن البدن كثرة الجماع وكثرة الهم وكثرة شرب الماء على الريق
وكثرة اكل الحموضات واربع تقوي البصر الجلوس حيال القبلة والكحل عند النوم والنظر الى
الخضرة وتنظيف المجلس واربع توهن البصر النظر الى القذر والنظر الى المصلوب والنظر الى
فرج المراة والقعود مستدبر القبلة واربع تزيد في الجماع اكل العصافير واكل الاطريفل
الاكبر واكل الفستق واكل الجرجير والنوم على اربعة انحاء نوم على القفا وهو نوم الانبياء
يتفكرون في خلق السموات والارض ونوم على اليمين وهو نوم العلماء والعباد ونوم على
الشمال وهو نوم الملوك ليستمرؤا طعامهم ونوم على الوجه وهو نوم الشياطين واربع تزيد
في العقل ترك الفضول من الكلام والسواك ومجالسة الصالحين والعلماء واربع من العبادة
لا يخطو خطوة الا على وضوء وكثرة السجود ولزوم المساجد وكثرة قراءة القرآن وقال ايضا
عجبت من يدخل الحمام على الريق ثم يؤخر الاكل بعد ان يخرج كيف لا يموت وعجبت لمن احتجم
ثم يبادر الاكل كيف لا يموت وقال لم ار شيئا انفع للوباء من البنفسج يدهن به ويشرب

كتاب آداب النكاح وهو الكتاب الثاني من ربع العادات

بسم الله الرحمن الرحيم — من كتاب احياء علوم الدين

الحمد لله الذي لا تصادف سهام الاوهام في عجائب صنعه مجرى ولا ترجع العقول اذا
تفكرت فكرا عن اوائل بدائعها الا والهة حيرى ولا تزال لطائف نعمه على العالمين تترى
فهي تتوالى عليهم اختيارا وقهرا ومن بدائع الطافه ان خلق من الماء بشرا فجعله نسبا
وصهرا وسلط على الخلق شهوة اضطرهم بها الى الحراثة واستبقى بها نسلهم اقهارا
وقسرا ثم عظم امر الانساب وجعل لها قدرا فحرم بسببها السفاح وبالغ في تقبيحه
ردعا وزجرا وجعل اقتحامه جريمة فاحشة وامرا امرا وندب الى النكاح وحث عليه
استحبابا وامرا فسبحان من كتب الموت على عباده فاذلهم به هدما وكسرا ثم بث
بذور النطف في اراضي الارحام وانشا منها خلقا وجعله لكسر الموت جبرا تنبيها على
ان بحار المقادير فائضة على العالمين نفعا وضرا وخيرا وشرا وعسرا ويسرا وطيا ونشرا والصلاة
على محمد المبعوث بالانذار والبشرى وعلى آله واصحابه صلاة لا يستطيع لها الحساب عدا وحصرا
وسلم تسليما كثيرا اما بعد فان النكاح معين على الدين ومهين للشياطين و
حصن دون عدو الله حصين وسبب للتكثير الذي به مباهاة سيد المرسلين لسائر النبيين
فما احراه بان يتحرى اسبابه ويحفظ سننه وآدابه ويشرح مقاصده وآدابه ويفصل فصوله
وابوابه والقدر المهم من احكامه ينكشف في ثلاثة ابواب الاول في الترغيب فيه وعنه
الباب الثاني في الآداب المرعية في العقد والعاقدين الباب الثالث
في آداب المعاشرة بعد العقد الى الفراق الباب الاول في الترغيب في النكاح و
الترهيب عنه اعلم ان العلماء قد اختلفوا في فضل النكاح فبالغ بعضهم فيه حتى زعم انه افضل
من التخلي لعبادة الله مهما لم تتق النفس الى النكاح توقانا يشوش الحال ويدعو الى الوقاع
وقال آخرون الافضل تركه في زماننا هذا وقد كان له فضيلة من قبل اذ لم تكن الاكتساب
محظورة واخلاق النساء مذمومة ولا ينكشف الحق فيه الا بان تقدم اولا ما ورد من الآثار و
الاخبار في الترغيب فيه والترهيب عنه ثم نشرح فوائد النكاح وغوائله حتى يتضح منهما
فضيلة النكاح وتركه في حق من سلم من غوائله او لم يسلم الترغيب في النكاح اما من
الآيات قال الله تعالى وانكحوا الايامى منكم وهذا امر وقال تعالى في وصف الرسل ومدحهم
ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية فذكر ذلك في معرض الامتنان واظهار
الفضل ومدح اولياءه بسؤال ذلك في الدعاء فقال تعالى والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا
وذرياتنا قرة اعين الآية ويقال ان الله تعالى لم يذكر في كتابه من الانبياء الا المتاهلين
فقالوا ان يحيى عليه السلام قد تزوج ولم يجامع قيل انما فعل ذلك لنيل الفضل واقامة السنة
وقيل لغض البصر واما عيسى فانه سينكح اذا نزل الى الارض ويولد له واما الاخبار فقوله
صلى الله عليه وسلم النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فقد رغب عني وقوله عليه الصلاة والسلام
النكاح سنتي فمن احب فطرتي فليستن بسنتي وقال ايضا تناكحوا تناسلوا فاني اباهي بكم الامم
يوم القيامة حتى بالسقط وقال ايضا من رغب عن سنتي فليس مني وان من سنتي النكاح
وقال صلى الله عليه وسلم من ترك التزوج مخافة العيلة فليس منا وهذا ذم لعلة الامتناع
لا لاصل الترك وقال صلى الله عليه وسلم من كان ذا طول فليتزوج وقال من استطاع منكم
الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لا يستطيع فليصم فان الصوم له وجاء

وهذا يدل على ان سبب الترغيب فيه خوف الفساد في العين والفرج والوجاء هو عبارة عن
رض الخصيتين للفحل حتى تزول فحولته فهو مستعار للضعف عن الوقاع بالصوم وقال
صلى الله عليه وسلم اذا اتاكم من ترضون دينه وامانته فزوجوه الا تفعلوه تكن فتنة في
الارض وفساد كبير وهذا ايضا تعليل للترغيب لخوف الفساد وقال صلى الله عليه وسلم
من نكح لله وانكح لله استحق ولاية الله وقال صلى الله عليه وسلم من تزوج فقد احرز شطر
دينه فليتق الله في الشطر الثاني وهذا ايضا اشارة الى ان فضيلته لاجل التحرز
من المخالفة تحصنا من الفساد وكان المفسد لدين المرء في الاغلب فرجه وبطنه وقد كفي
بالتزويج احدهما وقال عليه السلام كل عمل ابن ادم ينقطع الا ثلاث فذكر فيه وولد صالح يدعو
له الحديث ولا يوصل اليه هذا الا بالنكاح واما الاثار فقال عمر رضي الله عنه لا يمنع من النكاح
الا عجز او فجور فبين ان الدين غير مانع منه وحصر المانع في امرين مذمومين وقال ابن عباس
لا يتم نسك الناسك حتى يتزوج ويحتمل انه جعله من النسك وتتمة له ولكن الظاهر انه اراد به
انه لا يسلم قلبه لغلبة الشهوة الا بالتزويج ولا يتم النسك الا بفراغ القلب ولذلك كان يجمع
غلمانه لما ادركوا عكرمة وكريبا وغيرهما ويقول ان اردتم النكاح انكحتكم فان العبد اذا زنى
نزع الايمان من قلبه وكان ابن مسعود يقول لو لم يبق من عمري الا عشرة ايام لاحببت ان
اتزوج ولا القى الله عزبا وماتت امرأتان لمعاذ بن جبل في الطاعون وكان هو ايضا مطعونا
فقال زوجوني فاني اكره ان القى الله عزبا وهذا منهما يدل على انهما رايا في النكاح فضلا لا من
حيث التحرز من غائلة الشهوة وكان عمر يكثر النكاح ويقول ما اتزوج الا لاجل الولد وكان بعض
الصحابة قد انقطع الى رسول الله يخدمه ويبيت عنده لحاجة ان طرقته فقال له رسول الله الا تتزوج
فقال يا رسول الله اني فقير لا شيء لي وانقطع عن خدمتك فسكت ثم اعاد ثانيا فاعاد
الجواب ثم تفكر الصحابي وقال والله لرسول الله اعلم بما يصلحني في دنياي واخرتي وما يقربني
الى الله تعالى مني ولئن قال لي الثالثة لافعلن فقال له الثالثة الا تتزوج قال فقلت يا رسول
الله زوجني قال اذهب الى بني فلان فقل ان رسول الله يامركم ان تزوجوني فتاتكم قال
فقلت يا رسول الله لا شيء لي فقال لاصحابه اجمعوا لاخيكم وزن نواة من ذهب فجمعوا له
فذهبوا به الى القوم فانكحوه فقال اولم وجمعوا له من الاصحاب شيئا للوليمة وهذا التكرير
يدل على فضل في نفس النكاح ويحتمل انه توسم فيه الحاجة الى النكاح وحكي ان بعض العباد
في الامم السالفة فاق اهل زمانه في العبادة فذكر لنبي زمانه حسن عبادته فقال نعم الرجل
هو لولا انه تارك لشيء من السنة فاغتم العابد لما سمع ذلك فسال النبي عن ذلك فقال انت
تارك للتزويج فقال لست احرمه ولكني فقير وانا عيال على الناس قال انا ازوجك ابنتي
فزوجه النبي ابنته وقال بشر بن الحارث فضل علي احمد بن حنبل بثلاث بطلب الحلال
لنفسه ولغيره وانا اطلبه لنفسي فقط ولاتساعه في النكاح وضيقي عنه ولانه نصب اماما
للعامة ويقال ان احمد تزوج في اليوم الثاني من وفاة ام ولده عبد الله وقال اكره ان ابيت
عزبا واما بشر فانه لما قيل له ان الناس يتكلمون فيك بتركك النكاح ويقولون هو
تارك للسنة فقال قل لهم هو مشغول بالفرض عن السنة وعوتب مرة اخرى فقال ما يمنعني
من التزويج الا قوله تعالى ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف فذكر ذلك لاحمد فقال واين
مثل بشر انه قعد على مثل حد السنان ومع ذلك فقد روي انه رؤي في المنام فقيل

له ما فعل الله بك قال رفعت منازلي في الجنة واشرف بي على مقامات الانبياء
ولم ابلغ منازل المتاهلين وفي رواية اخرى قال لي ما كنت احب ان تلقاني
عزبا قال فقلت ما فعل ابو نصر التمار فقال رفع فوقك بسبعين درجة قلت
بماذا فقد كنا نراك فوقه قال بصبره على بنياته والعيال وقال سفيان بن
عيينة كثرة النساء ليست من الدنيا لان عليا كان ازهد اصحاب النبي وكان
له اربع نسوة وسبعة عشر سرية والنكاح سنة ماضية وخلق من اخلاق الانبياء
وقال رجل لابرهيم بن ادهم طوبى لك قد تفرغت للعبادة بالعزوبة فقال لروعة
منك بسبب العيال افضل من جميع ما انا فيه فقال فما الذي يمنعك من النكاح فقال ما لي
حاجة في امرأة وما اريد ان اغر امرأة بنفسي وقد قيل فضل المتاهل على العازب كفضل
المجاهد على القاعد وركعة من متاهل افضل من سبعين ركعة من عزب واما ما جاء
في الترغيب عن النكاح فقد قال عليه الصلاة والسلام خير الناس بعد المائتين
الخفيف الحاذ الذي لا اهل له ولا ولد وقال عليه السلام ياتي على الناس زمان
يكون هلاك الرجل على يد زوجته وابويه وولده يعيرونه بالفقر ويكلفونه ما لا يطيق
فيدخل المداخل التي يذهب فيها دينه فيهلك وفي الخبر قلة العيال احد اليسارين
وكثرتها احد الفقرين وسئل ابو سليمان الداراني عن النكاح فقال الصبر
عنهن خير من الصبر عليهن والصبر عليهن خير من الصبر على النار وقال ايضا الوحيد
يجد من حلاوة العمل وفراغ القلب ما لا يجد المتاهل وقال مرة ما رايت احدا من اصحابنا
تزوج فثبت على مرتبته الاولى وقال ايضا ثلاث من طلبهن فقد ركن الى الدنيا من
طلب معاشا او تزوج امرأة او كتب الحديث وقال الحسن اذا اراد الله بعبد خيرا لم
يشغله باهل ولا مال قال ابن ابي الحواري تناظر جماعة في هذا الحديث فاستقر رايهم
على انه ليس معناه ان لا يكونا له بل ان يكونا له ولا يشغلانه وهو اشارة الى قول ابي سليمان
الداراني ما شغلك عن الله من اهل ومال وولد فهو عليك مشؤوم وبالجملة لم ينقل عن احد الترغيب
عن النكاح مطلقا الا مقرونا بشرط واما الترغيب في النكاح فقد ورد مطلقا ومقرونا
بشرط فلنكشف الغطاء عنه بحصر افات النكاح وفوائده افات النكاح وفوائده
وفيه فوائد خمسة الولد وكسر الشهوة وتدبير المنزل وكثرة العشيرة ومجاهدة النفس بالقيام
بهن الفائدة الاولى الولد وهو الاصل وله وضع النكاح والمقصود ابقاء النسل وان لا يخلو
العالم عن جنس الانس وانما الشهوة خلقت باعثة مستحثة كالموكل بالفحل في اخراج
البذر وبالانثى في التمكين من الحرث تلطفا بهما في السياقة الى اقتناص الولد بسبب
الوقاع كالتلطف بالطير في بث الحب الذي يشتهيه ليساق الى الشبكة وكانت القدرة
الازلية غير قاصرة عن اختراع الاشخاص ابتداء من غير حراثة وازدواج ولكن الحكمة
اقتضت ترتيب المسببات على الاسباب مع الاستغناء عنها اظهارا للقدرة واتماما
لعجائب الصنعة وتحقيقا لما سبقت به المشيئة وحقت به الكلمة وجرى به القلم وفي التوصل
الى الولد قربة من وجوه اربعة هي الاصل في الترغيب فيه عند الامن من غوائل الشهوة
حتى لم يحب احدهم ان يلقى الله عزبا الاول موافقة محبة الله بالسعي في تحصيل الولد
لبقاء جنس الانسان الثاني طلب محبة رسول الله في تكثير من به مباهاته والثالث طلب
التبرك بدعاء الولد الصالح بعده والرابع طلب الشفاعة بموت الولد الصغير اذا مات قبله

اما الوجه الاول فهو ادق الوجوه وابعدها عن افهام الجماهير وهو احقها واقواها عند ذوي
البصائر النافذة في عجائب صنع الله ومجاري حكمته وبيانه ان السيد اذا سلم الى عبده البذر
والات الحرث وهيأ له ارضا مهياة للحراثة وكان العبد قادرا على الحراثة ووكل به من يتقاضاه
عليها فان تكاسل وعطل آلة الحرث وترك البذر ضايعا حتى فسد ودفع الموكل عن نفسه بنوع
من الحيلة كان مستحقا للمقت والعتاب من سيده والله سبحانه خلق الزوجين وخلق الذكر
والانثيين وخلق النطفة في الفقار وهيأ لها في الانثيين عروقا ومجاري وخلق الرحم
قرارا ومستودعا للنطفة وسلط متقاضي الشهوة على كل واحد من الذكر والانثى فهذه الافعال
والالات تشهد بلسان ذلق في الاعراب عن مراد خالقها وتنادي ارباب الالباب بتعريف
ما اعدت له هذا ان لم يصرح به الخالق على لسان رسوله بالمراد حيث قال تناكحوا تكثروا
فكيف وقد صرح بالامر وباح بالسر فكل ممتنع عن النكاح معرض عن الحراثة مضيع للبذر ومعطل
لما خلق الله من الالات المعدة وجان على مقصود الفطرة والحكمة المفهومة من شواهد الخلقة
المكتوبة على هذه الاعضاء بخط الهي ليس برقم حروف واصوات يقراه كل من له بصيرة ربانية
نافذة في ادراك دقايق الحكمة الازلية ولذلك عظم الشرع الامر في القتل للاولاد وفي الوأد
لانه منع لتمام الوجود واليه اشار من قال العزل احد الوأدين فالناكح ساع في اتمام ما
احب الله تمامه والمعرض معطل ومضيع لما كره الله ضياعه ولاجل محبة الله لبقاء النفوس
امر بالاطعام وحث عليه وعبر عنه بعبارة القرض فقال من ذا الذي يقرض الله قرضا
حسنا فان قلت قولك ان بقاء النسل والنفس محبوب يوهم ان فناها مكروه عند الله وهو فرق
بين الموت والحياة بالاضافة الى ارادة الله ومعلوم ان الكل بمشيته وان الله غني عن العالمين
فمن اين يتميز عنده موتهم عن حياتهم وبقاؤهم عن فنائهم فاعلم ان هذه كلمة حق اريد بها
باطل فان كل ما ذكرناه لا ينافي اضافة الكاينات كلها الى ارادة الله خيرها وشرها نفعها
وضرها ولكن المحبة والكراهة يتضادان وكلاهما لا يضادان الارادة فرب مراد مكروه ورب
مراد محبوب فالمعاصي مكروهة وهي مع الكراهة مرادة والطاعات مرادة وهي مع كونها
مرادة محبوبة مرضية اما الكفر والشر فلا نقول انه مرضي ومحبوب بل هو مراد وقد قال تعالى
ولا يرضى لعباده الكفر فكيف يكون الفنا بالاضافة الى محبة الله وكراهته كالبقا والله تعالى يقول
ما ترددت في شي كترددي في قبض روح عبدي المؤمن المسلم وهو يكره الموت وانا اكره
مساته ولا بد له من الموت فقوله لا بد له من الموت اشارة الى سبق الارادة والتقدير المذكور في
قوله تعالى نحن قدرنا بينكم الموت وفي قوله هو الذي خلق الموت والحيوة ولا مناقضة بين قوله
قدرنا بينكم الموت وبين قوله وانا اكره مساته ولكن ايضاح الحق في هذا يستدعي تحقيق
معنى الارادة والمحبة والكراهة وبيان حقايقها فان السابق الى الافهام منها امور تناسب
ارادة الخلق ومحبتهم وكراهتهم وهيهات فبين صفات الله وصفات الخلق من البعد
ما بين ذاته وذاتهم وكما ان ذوات الخلق جوهر وعرض وذات الله مقدس عنه ولا يناسب
ما ليس بجوهر وعرض الجوهر والعرض فكذا صفاته لا تناسب صفات الخلق وهذه الحقايق داخلة
في علم المكاشفة ووراءه سر القدر الذي منع من افشائه فلنقتصر عن ذكره ولنقتصر على ما نبهنا
عليه من الفرق بين الاقدام على النكاح والاحجام عنه فان احدهما مضيع نسلا ادام الله وجوده
من ادم عليه السلام عقبا بعد عقب الى ان انتهى اليه فالممتنع من النكاح قد حسم الوجود المستدام
من وجود ادم على نفسه فمات ابتر لا عقب له ولو كان الباعث على النكاح مجرد دفع الشهوة لما

قال معاذ في الطاعون زوجوني لا القى الله عزبا فان قلت فما كان معاذ يتوقع ولدا في ذلك
الوقت فما وجه رغبته فيه فاقول الولد يحصل بالوقاع ويحصل الوقاع بباعث الشهوة وذلك امر
لا يدخل في الاختيار وانما المتعلق باختيار العبد احضار المحرك للشهوة وذلك متوقع في كل حال فمن
عقد فقد ادى ما عليه وفعل ما اليه والباقي خارج عن اختياره ولذلك يستحب النكاح للعنين ايضا
فان نهضات الشهوة خفية لا يطلع عليها حتى ان الممسوح الذي لا يتوقع له ولد لا ينقطع ايضا في حقه
الاستحباب على الوجه الذي يستحب للاصلع امرار الموسى على راسه اقتداء بغيره وتشبها بالسلف
الصالحين وكما يستحب الرمل والاضطباع في الحج الان وقد كان المراد منه اولا اظهار الجلد للكفار
فصار الاقتدا والتشبه بالذين اظهروا الجلد سنة في حق من بعدهم ويضعف هذا الاستحباب
بالاضافة الى الاستحباب في حق القادر على الحرث وربما يزداد ضعفا بما يقابله من كراهة تعطيل
المراة وتضييعها فيما يرجع الى قضاء الوطر فان ذلك لا يخلو عن نوع من الخطر فهذا المعنى هو الذي
ينبه على شدة انكارهم لترك النكاح مع فتور الشهوة **الوجه الثاني** السعي في محبة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ورضاه وتكثير ما به مباهاته اذ قد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ويدل على
مراعاة امر الولد جملة بالوجوه كلها ما روي عن عمر انه كان ينكح كثيرا ويقول انما انكح للولد وما روي
من الاخبار في مذمة المراة العقيم اذ قال عليه السلام لحصير في ناحية البيت خير من امراة لا تلد
وقال خير نسائكم الولود الودود وقال سوداء ولود خير من حسناء لا تلد وهذا يدل على
ان طلب الولد ادخل في اقتضاء فضل النكاح من دفع غائلة الشهوة لان الحسنا اصلح للتحصين وغض
البصر وقطع الشهوة **الوجه الثالث** ان يبقى بعده ولدا صالحا يدعو له كما ورد في الخبر ان جميع عمل
ابن ادم ينقطع الا من ثلاث وفي الخبر ان الادعية تعرض على الموتى على اطباق من نور وقول القائل ان الولد
ربما لا يكون صالحا لا يؤثر فانه مؤمن والصلاح هو الغالب على اولاد ذوي الدين لا سيما اذا عزم على تربيته
وحمله على الصلاح وبالجملة دعاء المؤمن لابويه مفيد برا كان او فاجرا فهو مثاب على دعواته وحسناته فانه
من كسبه وغير مواخذ بسيئاته فانه لا تزر وازرة وزر اخرى ولذلك قال تعالى الحقنا بهم ذرياتهم وما
التناهم من عملهم من شي اي ما نقصناهم من اعمالهم وجعلنا اولادهم مزيدا في احسانهم **الوجه الرابع**
ان يموت الولد قبله فيكون له شفيعا فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الطفل يجر
ابويه الى الجنة وفي بعض الاخبار ياخذ بثوبه كما انا الان اخذ بثوبك وقال ايضا ان المولود
يقال له ادخل الجنة فيقف على باب الجنة فيظل محبنطيا اي ممتليا غيظا وغضبا ويقول لا ادخل
الجنة الا وابواي معي فيقال ادخلوا ابويه معه الجنة وفي خبر اخر ان الاطفال يجتمعون في
موقف القيمة عند عرض الخلايق للحساب فيقال للملايكة اذهبوا بهؤلاء الى الجنة فيقفون على باب
الجنة فيقال لهم مرحبا بذراري المسلمين ادخلوا الجنة لا حساب عليكم فيقولون فاين اباؤنا و
امهاتنا فتقول الخزنة ان اباءكم وامهاتكم ليسوا مثلكم انهم كانت لهم ذنوب وسيات فهم
يحاسبون عليها ويطالبون بها قال فيتضاغون ويضجون على باب الجنة ضجة واحدة فيقول الله
وهو اعلم بهم ما هذه الضجة فيقولون يا ربنا اطفال المسلمين قالوا لا ندخل الجنة الا مع ابائنا
فيقول الله تعالى تخللوا الجمع فخذوا بايدي ابائكم فادخلوهم الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من
مات له اثنان من الولد فقد احتظر بحظار من النار وقال صلى الله عليه وسلم من مات له ثلاثة لم
يبلغوا الحلم ادخله الله الجنة بفضل رحمته قيل يا رسول الله واثنان قال واثنان وحكي
ان بعض الصالحين كان يعرض عليه التزويج فيابى برهة من دهره قال فانتبه من نومه
ذات يوم وقال زوجوني زوجوني فزوجوه فسئل عن ذلك فقال لعل الله يرزقني
ولدا ويقبضه فيكون لي مقدمة في الاخرة ثم قال رايت في المنام كان القيمة قد قامت

الحنث

وكان في جملة الخلائق في الموقف وبه من العطش ما كاد ان يقطع عنقه وكذا الخلائق في شدة
العطش والكرب فبينما نحن كذلك اذ ولدان يتخللون الجمع عليهم مناديل من نور وبايديهم
اباريق من فضة واكواب من ذهب وهم يسقون الواحد بعد الواحد يتخللون الجمع ويجاوزون
اكثر الناس فمددت يدي الى احدهم وقلت اسقني فقد اجهدني العطش فقال ليس لك
فينا ولد انما نسقي اباءنا فقلت ومن انتم قالوا نحن من مات من اطفال المسلمين واحد
المعاني المذكورة في قوله تعالى فأتوا حرثكم انى شئتم وقدموا لانفسكم تقديم الاطفال
الى الاخرة فقد ظهر بهذه الوجوه الاربعة ان اكثر فضل النكاح لاجل كونه سببا
للولد الفائدة الثانية التحصن عن الشيطان وكسر التوقان ودفع غوائل
الشهوة وغض البصر وحفظ الفرج واليه الاشارة بقوله من نكح فقد حصن نصف دينه
فليتق الله في الشطر الاخر واليه الاشارة بقوله عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم
فان الصوم له وجاء واكثر ما نقلناه من الاثار والاخبار اشارة الى هذا المعنى وهذا المعنى
دون الاول لان الشهوة موكل متقاضي لتحصيل الولد فان النكاح كاف لشغله ودافع
لجنده وصارف لشر سطوته وليس من يجيب مولاه رغبة في تحصيل رضاه كمن يجيب لطلب
الخلاص عن غائلة التوكيل فالشهوة والولد مقدران وبينهما ارتباط وليس يجوز ان يقال
المقصود اللذة والولد لازم منها كما يلزم مثلا قضاء الحاجة من الاكل وليس مقصودا في ذاته
بل الولد هو المقصود بالفطرة والحكمة والشهوة باعثة عليه ولعمري في الشهوة حكمة اخرى
سوى الارهاق الى الايلاد وهو ما في قضائها من اللذة التي لا يوازيها لذة لو دامت فهي منبهة
على اللذات الموعودة في الجنان اذ الترغيب في لذة لم يجد لها ذواقا لا ينفع فلو رغب العنين
في لذة الجماع او الصبي في لذة الملك والسلطنة لم ينفع الترغيب فاحدى فوائد لذات الدنيا الرغبة
في دوامها في الجنة ليكون باعثا على عبادة الله فانظر الى الحكمة ثم الرحمة ثم الى التعبية الالهية كيف
عبيت تحت شهوة واحدة حياتان حياة ظاهرة وحياة باطنة فالحياة الظاهرة حياة المرء
ببقاء نسله فانه نوع من دوام بقاء الوجود والحياة الباطنة هي الحياة الاخروية فان هذه اللذة
الناقصة بسرعة الانصرام تحرك الرغبة في الكاملة بلذة الدوام فتستحث على العبادة الموصلة اليه
فيستفيد العبد بشدة الرغبة فيها تيسر المواظبة على ما يوصله الى نعيم الجنان وما من ذرة
من ذرات الانسان ظاهرا وباطنا بل من ذرات ملكوت السموات والارض الا وتحتها من لطائف
الحكم وعجائبها ما تحار العقول فيها ولكن انما تنكشف للقلوب الطاهرة بقدر صفائها وبقدر
رغبتها عن زهرة الدنيا وغرورها وغوائلها والنكاح بسبب دفع غائلة الشهوة مهم في الدين
لكل من لا يؤتى عن عجز وعنة وهم غالب الخلق فان الشهوة ان غلبت ولم يقاومها قوة
التقوى جرت الى اقتحام الفواحش واليه اشار بقوله صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى الا تفعلوه
تكن فتنة في الارض وفساد كبير وان كان ملجما بلجام التقوى فغايته ان يكف الجوارح عن اجابة
الشهوة فيغض البصر ويحفظ الفرج فاما حفظ القلب عن الوساوس والفكر فلا يدخل تحت
اختياره بل لا تزال النفس تجاذبه وتحدثه بامور الوقاع ولا يفتر عنه الشيطان الموسوس اليه
في اكثر الاوقات وقد يعرض له ذلك في اثناء الصلاة حتى يجري على خاطره من امور الوقاع ما لو
صرح به بين يدي اخس الخلق لاستحيا منه والله مطلع على قلبه والقلب في حق الله كاللسان
في حق الخلق وراس الامر للمريد في سلوك طريق الاخرة قلبه والمواظبة على الصوم لا يقطع مادة
الوسوسة في حق اكثر الخلق الا ان يتضاف اليه ضعف في البدن وفساد في المزاج ولذلك
قال ابن عباس لا يتم نسك الناسك الا بالنكاح وهو محنة عظيمة قل من يتخلص منها قال قتادة

في معنى قوله تعالى ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به هو الغلمة وعن عكرمة ومجاهد انهما قالا
خلق الانسان ضعيفا انه لا يصبر عن النساء وقال فياض بن نجيح اذا قام ذكر الرجل ذهب
ثلثا عقله وبعضهم يقول ذهب ثلث دينه وفي نوادر التفسير عن ابن عباس ومن شر
غاسق اذا وقب قيل قيام الذكر وهذه بلية غالبة اذا هاجت لا يقاومها عقل ولا
دين وهي مع انها صالحة لان تكون باعثة على الحياتين كما سبق فهي اقوى آلة الشيطان
على بني ادم واليه اشار عليه الصلاة والسلام بقوله ما رايت ناقصات عقل ودين
اغلب لذي الالباب منكن وانما ذلك لهيجان الشهوة وقال صلى الله عليه وسلم
في دعائه اعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي وشر منيي وقال اسألك ان تطهر قلبي وتحفظ
فرجي فما يستعيذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يجوز التساهل فيه لغيره وكان بعض
الصالحين يكثر النكاح حتى لا يكاد يخلو من اثنتين وثلاث فانكر عليه بعض الصوفية فقال هل يعرف
احد منكم انه جلس بين يدي الله جلسة او وقف بين يديه موقفا في معاملة فخطر على قلبه
خاطر شهوة فقالوا يصيبنا من ذلك كثير فقال لو رضيت في عمري كله بمثل حالكم في وقت
لما تزوجت لكني ما خطر على قلبي خاطر يشغلني عن حالي الا نفذته لاستريح وارجع الى
شغلي ومنذ اربعين سنة ما خطر على قلبي معصية وانكر بعض الناس حال الصوفية فقال
له بعض ذوي الدين ما الذي تنكر منهم قال ياكلون كثيرا قال وانت ايضا لو جعت كما
يجوعون لاكلت كما ياكلون قال ينكحون كثيرا قال وانت ايضا لو حفظت عينك وفرجك
كما يحفظون لنكحت كما ينكحون وكان الجنيد يقول احتاج الى الجماع كما احتاج الى القوت فالزوجة
على التحقيق قوت وسبب لطهارة القلب ولذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من وقع بصره
على امراة فتاقت اليها نفسه ان يجامع مع اهله لان ذلك يدفع الوسواس عن النفس روى
جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم راى امراة فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج وقال ان المراة
اذا اقبلت اقبلت في صورة شيطان فاذا راى احدكم امراة فاعجبته فليات اهله فان معها
مثل الذي معها وقال عليه السلام لا تدخلوا على المغيبات التي غاب زوجها فان الشيطان
يجري من احدكم مجرى الدم قلنا ومنك قال ومني ولكن الله اعانني عليه فاسلم قال سفيان
ابن عيينة فاسلم انا منه هذا معناه فان الشيطان لا يسلم وكذلك يحكى عن ابن عمر وكان
من زهاد الصحابة وعلمائهم كان يفطر من الصوم على الجماع قبل الاكل وربما جامع قبل ان يصلي
المغرب ثم يغتسل وذلك لتفريغ القلب لعبادة الله واخراج عدة الشيطان منه وروي انه
جامع ثلاثا من جواريه في شهر رمضان قبل العشاء الاخرة وقال ابن عباس خير هذه
الامة اكثرها نساء ولما كانت الشهوة اغلب على مزاج العرب كان استكثار الصالحين منهم
للنكاح اشد ولاجل فراغ القلب ابيح نكاح الامة عند خوف العنت مع ان فيه ارقاق الولد
وهو نوع اهلاك وهو محرم على كل من قدر على حرة ولكن ارقاق الولد اهون من اهلاك الدين
وليس فيه الا تنغيص الحياة على الولد مدة وفي اقتحام الفاحشة تفويت الحياة الاخروية التي
تستحقر الاعمار الطويلة بالاضافة الى يوم من ايامها وروي انه انصرف الناس ذات يوم
من مجلس ابن عباس وبقي شاب لم يبرح فقال ابن عباس هل لك من حاجة قال نعم اردت ان
اسال مسالة فاستحييت من الناس وانا الان اهابك واجلك فقال ابن عباس ان العالم بمنزلة
الوالد فما افضيت به الى ابيك فافض الي به فقال اني شاب لا زوجة لي وربما خشيت
العنت على نفسي فربما استمنيت بيدي فهل في ذلك معصية فاعرض عنه ابن عباس ثم قال

اذ وقف نكاح الامة خير منه وهو خير من الزنا وهذا ينبه على ان العزب المغتلم مردد بين
ثلاثة شرور ادناها نكاح الامة وفيها ارقاق الولد واشد منه الاستمنا باليد وافحشه الزنا
ولم يطلق ابن عباس الاباحة في شي منه لانهما محذوران يفزع اليهما حذرا من الوقوع في
محذور اشد منه كما يفزع الى تناول الميتة حذرا من هلاك النفس فليس ترجيح اهون الشرين
في معنى الاباحة المطلقة ولا في معنى الخير المطلق وليس قطع اليد المتاكلة من الخيرات وان
كان يؤذن فيه عند اشراف النفس على الهلاك فاذا في النكاح فضل من هذا الوجه لكن هذا
لا يعم الكل بل الاكثر فرب شخص فترت شهوته بكبر سن او مرض وغيرهما فينعدم هذا الباعث
في حقه ويبقى ما سبق من امر الولد فان ذلك عام الا للممسوح وهو نادر ومن الطباع ما تغلب
عليها الشهوة بحيث لا تحصنه المراة الواحدة فيستحب لصاحبها الزيادة على الواحدة الى
الاربع فان يسر الله له مودة ورحمة واطمان قلبه بهن والا فيستحب له الاستبدال فقد نكح
علي رضي الله عنه بعد وفاة فاطمة بسبع ليال ويقال ان الحسن بن علي كان منكاحا حتى نكح زيادة
على مائتي امراة وكان ربما عقد على اربع في عقد واحد وربما طلق اربعا في وقت واحد و
استبدل بهن وقال عليه السلام للحسن اشبهت خلقي وخلقي وقال عليه السلام حسن مني
وحسين من علي فقيل ان كثرة نكاحه احد ما اشبه به خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوج
المغيرة بن شعبة بثمانين امراة وكان في الصحابة من له الثلاث والاربع ومن كان له اثنتان لا يحصى
ومهما كان الباعث معلوما فينبغي ان يكون العلاج بقدر العلة فالمراد تسكين النفس فلينظر
اليه في الكثرة والقلة **الفائدة الثالثة** ترويح النفس وايناسها بالمجالسة والنظر و
الملاعبة اراحة للقلب وتقوية له على العبادة فان النفس ملول وهي عن الحق نفور لانه على خلاف
طبعها فلو كلفت المداومة بالاكراه على ما يخالفها جمحت وثابت واذا روحت باللذات في بعض
الاوقات قويت ونشطت وفي الاستيناس بالنساء من الاستراحة ما يزيل الكرب ويروح القلب
وينبغي ان يكون لنفوس المتقين استراحات الى المباحات ولذلك قال تعالى زوجها ليسكن
اليها وقال علي كرم الله وجهه روحوا القلوب فانها اذا اكرهت عميت وفي الخبر على العاقل
ان يكون له ثلاث ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة
يخلو فيها بمطعمه ومشربه فان هذه الساعة عون على تلك الساعات وعنه بلفظ اخر
لا يكون العاقل ظاعنا الا في ثلاث تزود لمعاد ومرمة لمعاش ولذة في غير محرم وقال
عليه الصلاة والسلام لكل عامل شرة ولكل شرة فترة فمن كانت فترته الى سنتي فقد اهتدى
والشرة الكد والمجاهدة بحدة وقوة وذلك في ابتدا الارادة والفترة الوقوف للاستراحة وكان ابو
الدردا يقول اني لاستجم نفسي بشي من اللهو لاتقوى بذلك فيما بعد على الحق **وفي** بعض
الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال شكوت الى جبرائيل عليه السلام ضعف
الوقاع فدلني على الهريسة وهذا ان صح لا محمل له الا الاستعداد للاستراحة ولا يمكن تعليله
بدفع الشهوة لانه استثارة للشهوة ومن عدم الشهوة عدم الاكثر من هذا الانس
وقال عليه الصلاة والسلام حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنسا وقرة عيني في
الصلاة فهذه ايضا فائدة لا ينكرها من جرب اتعاب نفسه في الافكار والاذكار وصنوف
الاعمال وهي خارجة عن الفائدتين السابقتين حتى انها تطرد في حق الممسوح ومن لا شهوة
له الا ان هذه الفائدة تجعل للنكاح فضيلة بالاضافة الى هذه النية وقل من يقصد
بالنكاح ذلك فاما قصد الولد وقصد دفع الشهوة فمما يكثر ثم رب شخص يستانس

بالنظر

بالنظر الى الماء الجاري والخضرة وامثالها ولا يحتاج الى ترويح النفس بمحادثة النسا وملاعبتهن
فيختلف هذا باختلاف الاحوال والاشخاص فليتنبه له **الفائدة الرابعة** تفريغ القلب
عن تدبير المنزل والتكفل بشغل الطبخ والكنس والفرش وتنظيف الاواني وتهيئة
اسباب المعيشة فان الانسان لو لم يكن له شهوة الوقاع لتعذر عليه العيش في منزله وحده
اذ لو تكفل بجميع اشغال المنزل لضاع اكثر اوقاته ولم يتفرغ للعلم والعمل فالمراة الصالحة
المصلحة للمنزل عون على الدين بهذا الطريق واختلال هذه الاسباب شواغل ومشوشات
للقلب ومنغصات للعيش ولذلك **قال** ابو سليمان الداراني الزوجة الصالحة ليست من
الدنيا فانها تفرغك للاخرة وانما تفريغها بتدبير المنزل وبقضا الشهوة جميعا **وقال** محمد
بن كعب القرظي في معنى قوله تعالى ربنا اتنا في الدنيا حسنة قال المراة الصالحة وقال
عليه الصلاة والسلام ليتخذ احدكم قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة مومنة تعينه على اخرته
فانظر كيف جمع بينها وبين الذكر والشكر وفي بعض التفاسير في قوله تعالى فلنحيينه حياة
طيبة الزوجة الصالحة **وكان** عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ما اعطي العبد بعد الايمان
بالله خيرا من امراة صالحة وان منهن غنما لا يحذى منه ومنهن غلا لا يفدى منه وقوله لا يحذى
اي لا يعتاض عنه **وقال** عليه الصلاة والسلام فضلت على ادم بخصلتين كانت زوجته
عونا له على المعصية وازواجي اعوانا لي على الطاعة وكان شيطانه كافرا وشيطاني مسلم لا يامر
الا بخير فعد معاونتها على الطاعة فضيلة فهذه ايضا من الفوائد التي يقصدها الصالحون الا انها
تختص ببعض الاشخاص الذين لا كافل لهم ولا مدبر ولا يدعو الى امراتين بل الجمع ربما ينغص
المعيشة ويضطرب به امور المنزل ويدخل في هذه الفائدة قصد الاستكثار بعشيرتها وما
يحصل من القوة بسبب تداخل العشاير فان ذلك مما يحتاج اليه في دفع الشرور وطلب
السلامة ولذلك قيل ذل من لا ناصر له ومن وجد من يدفع عنه الشرور سلم حاله وفرغ قلبه للعبادة
فان الذل مشوش للقلب والعز بالكثرة دافع الذل الكثير من الانسان **الفائدة الخامسة**
مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والولاية والقيام بحقوق الاهل والصبر على اخلاقهن واحتمال
الاذى منهن والسعي في اصلاحهن وارشادهن الى طريق الدين والاجتهاد في كسب الحلال لاجلهن
والقيام بتربية الاولاد فكل هذه اعمال عظيمة الفضل فانها رعاية وولاية والاهل والولد رعية
وفضل الرعاية عظيم الفضل فانها وانما يحترز منها من يحترز خيفة من القصور عن القيام بحقها
والا فقد قال عليه السلام يوم من وال عادل افضل من عبادة سبعين سنة ثم قال الا كلكم راع
وكلكم مسول عن رعيته وليس من اشتغل باصلاح نفسه فقط ولا من صبر على الاذى كمن رفه
نفسه واراحها فمقاساة الاهل والولد بمنزلة الجهاد في سبيل الله ولذلك قال بشر فضل علي احمد
بن حنبل بثلاث احداها انه يطلب الحلال لنفسه ولغيره وقد قال صلى الله عليه وسلم ما انفق الرجل
على اهله فهو له صدقة وان الرجل ليوجر في رفع اللقمة الى في امراته وقال بعض العلما
من كل عمل قد اعطاني الله نصيبا حتى ذكر الحج والجهاد وغيرهما فقال له اين انت من عمل الابدال
قال ما هو قال الكسب الحلال والنفقة على العيال وقال ابن المبارك وهو مع اخوانه في الغزو
تعلمون عملا افضل مما نحن فيه قالوا ما نعلم ذلك قال انا اعلم رجل متعفف ذو عيال قام من الليل
فنظر الى صبيانه نياما متكشفين فسترهم وغطاهم بثوبه فعمله افضل مما نحن فيه وقال
عليه الصلاة والسلام من حسنت صلاته وكثر عياله وقل ماله ولم يغتب المسلمين كان معي
في الجنة كهاتين وفي حديث اخر ان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال وفي الحديث اذا كثرت

ذنوبا لعبد ابتلاه الله بهم ليكفرها وقال بعض السلف من الذنوب ذنوب لا يكفرها
الا الغم بالعيال وفيه اثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا
الهم بطلب المعيشة وقال عليه الصلاة والسلام من كان له ثلاث بنات فانفق عليهن و
احسن اليهن حتى يغنيهن الله عنه اوجب الله له الجنة البتة الا ان يعمل عملا لا يغفر له كان ابن عباس
اذا حدث بهذا قال هو والله من غرائب الحديث وروي ان بعض المتعبدين كان يحسن القيام على
زوجته الى ان ماتت فعرض عليه التزويج فامتنع وقال الوحدة اروح لقلبي واجمع لهمي ثم قال
رايت في المنام بعد جمعة من وفاتها كان ابواب السماء فتحت وكان رجالا ينزلون ويسيرون
في الهواء ويتبع بعضهم بعضا فكلما نزل واحد نظر الي فقال لمن وراءه هذا هو المشوم فيقول
الاخر نعم ويقول الثالث كذلك فيقول الرابع نعم وخفت ان اسالهم هيبة من ذلك الى ان مر
بي اخرهم وكان غلاما فقلت له يا هذا من المشوم الذي تومون فقال انت فقلت ولم ذلك
قال كنا نرفع عملك في اعمال المجاهدين في سبيل الله فمنذ جمعة امرنا ان نضع عملك مع الخالفين
فلا ندري ما احدثت فقال لاخوانه زوجوني زوجوني فلم تكن تفارقه زوجتان او ثلاث
وفي اخبار الانبياء ان قوما دخلوا على يونس عليه السلام فاضافهم فكان يدخل ويخرج
الى منزله فتوذيه امراته فتستطيل عليه وهو ساكت فتعجبوا من ذلك فقال لا تعجبوا فاني
سالت الله عز وجل وقلت ما انت معاقبي به في الاخرة فعجله لي في الدنيا فقال ان عقوبتك
بنت فلان تتزوج بها فتزوجت بها وانا صابر على ما ترون منها وفي الصبر على ذلك رياضة
النفس وكسر الغضب وتحسين الخلق فان المنفرد بنفسه او المشارك لمن حسن خلقه لا تترشح
منه خبائث باطنه ولا تنكشف بواطن عيوبه فحق على سالك طريق الاخرة ان يجرب نفسه بالتعرض
لامثال هذه المحركات واعتياد الصبر عليها لتعتدل اخلاقه وترتاض نفسه ويصفو عن الصفات
الذميمة باطنه والصبر على العيال مع انه رياضة ومجاهدة تكفل لهم وقيام بهم وعبادة
في نفسها فهذه ايضا من الفوائد ولكنه لا ينتفع بها الا احد رجلين اما رجل قصد الرياضة
والمجاهدة وتهذيب الاخلاق لكونه في بداية الطريق فلا يبعد ان يرى هذا طريقا في المجاهدة
وترتاض به نفسه واما رجل من العابدين ليس له سير بالباطن وحركة بالفكر والقلب وانما
عمله عمل الجوارح بصلاة او حج او غيره فعمله لاهله واولاده بكسب الحلال لهم والقيام
بتربيتهم افضل له من العبادات اللازمة في بدنه التي لا يتعدى خيرها الى غيره واما الرجل المهذب
الاخلاق اما بكفاية في اصل الخلقة او بمجاهدة سابقة اذا كان له سير في الباطن وحركة بفكر
القلب في العلوم والمكاشفات فلا ينبغي ان يتزوج لهذا الغرض فان الرياضة هو مكفي فيها
واما العبادة بالعمل في الكسب لهم فالعلم افضل من ذلك لانه ايضا عمل وفائدته اعم واشمل
لسائر الخلق من فائدة الكسب على العيال فهذه فوائد النكاح في الدين التي يحكم له بها
في الفضيلة **اما افات النكاح فثلث** الاولى وهي اقواها العجز عن طلب الحلال فان ذلك
لا يتيسر لكل احد لا سيما في هذه الاوقات مع اضطراب المعايش فيكون النكاح سببا
للتوسع في الطلب والاطعام من الحرام وفيه هلاكه وهلاك اهله والمتعزب في امن من ذلك
واما المتزوج ففي الاكثر يدخل في مداخل السوء فيتبع هوى زوجته ويبيع اخرته بدنياه
وفي الخبر ان العبد ليوقف عند الميزان وله من الحسنات امثال الجبال فيسال عن رعاية
عياله والقيام بهم وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه حتى يستغرق بتلك المطالبة

كل اعماله فلا تبقى له حسنة فتنادي الملائكة هذا الذي اكل عياله حسناته في الدنيا وارتهن
اليوم باعماله **ويقال ان** اول ما يتعلق بالرجل يوم القيامة اهله وولده فيوقفونه بين
يدي الله تعالى ويقولون يا ربنا خذ لنا بحقنا منه فانه ما علمنا ما نجهله وكان يطعمنا الحرام
ونحن لا نعلم فيقتص لهم منه **وقال** بعض السلف اذا اراد الله بعبد شرا سلط عليه في
الدنيا انيابا تنهشه يعني العيال **وقال** عليه الصلاة والسلام لا يلقى الله سبحانه عبد بذنب
اعظم من جهالة اهله فهذه افة عامة قل من يتخلص منها الا من له مال موروث او مكتسب
من حلال يفي به وباهله وكان له من القناعة ما يمنعه عن الزيادة فان ذلك يتخلص من هذه
الافة او من هو محترف ومقتدر على كسب حلال من المباحات باحتطاب او اصطياد او كان في
صناعة لا تتعلق بالسلاطين ويقدر ان يعامل بها اهل الخير ومن ظاهره السلامة وغالب
ماله الحلال وقال ابن سالم وقد سئل عن التزويج فقال هو افضل في زماننا لمن ادركه
شبق مثل الحمار يرى الاتان فلا ينتهي عنها بالضرب ولا يملك نفسه فان ملك نفسه فتركه
اولى **الافة الثانية** القصور عن القيام بحقوقهن والصبر على اخلاقهن واحتمال
الاذى منهن وهذه دون الاولى في العموم فان القدرة على هذا ايسر من القدرة على الاولى و
تحسين الخلق مع النساء والقيام بحظوظهن اهون من طلب الحلال وفي هذا ايضا خطر لانه
راع ومسؤول عن رعيته **قال** عليه الصلاة والسلام كفى بالمرء اثما ان يضيع من يعول
وروي ان الهارب من عياله بمنزلة العبد الابق لا يقبل منه صلاة ولا صيام حتى يرجع اليهم
ومن يقصر عن حقهن وان كان حاضرا فهو هارب وقد قال تعالى قوا انفسكم واهليكم
نارا امرنا ان نقيهم النار كما نقي انفسنا والانسان قد يعجز عن القيام بحق نفسه واذا تزوج
تضاعف عليه الحق وانضافت الى نفسه نفس اخرى والنفس امارة بالسوء ان كثرت كثر الامر
بالسوء غالبا ولذلك اعتذر بعضهم عن التزويج وقال انا مبتلى بنفسي فكيف اضيف اليها
نفسا اخرى كما قيل لم تسع الفارة في جحرها علقت المكنس من دبرها وكذلك اعتذر
ابرهيم بن ادهم وقال لا اغر امراة بنفسي ولا حاجة لي فيهن اي من القيام بحقهن و
تحصينهن وامتاعهن بالمعروف وانا عاجز عنه وكذلك اعتذر بشر وقال يمنعني
من النكاح قوله تعالى ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وكان يقول لو كنت اعول دجاجة
خفت ان اصير جلادا على الجسر **وروي** سفيان على باب السلطان فقيل له ما هذا
موقفك فقال وهل رايت ذا عيال افلح وكان سفيان يقول يا حبذا العزبة والمفتاح
ومسكن تخرقه الرياح لا صخب فيه ولا صياح فهذه افة عامة ايضا وان كانت دون
عموم الاولى لا يسلم منها الا حكيم عاقل حسن الاخلاق بصير بعادات النساء صبور على
لسانهن وقاف عند اتباع شهواتهن حريص على الوفاء بحقهن يتغافل عن زللهن
ويداري بعقله اخلاقهن والاغلب على الناس السفه والفظاظة والحدة والطيش وسوء
الخلق وعدم الانصاف مع طلب تمام الانصاف ومثل هذا يزداد بالنكاح فسادا من
هذا الوجه لا محالة فالوحدة اسلم له **الافة الثالثة** وهي دون الاولى والثانية ان
يكون الاهل والولد شاغلا له عن عبادة الله تعالى وجاذبا الى طلب الدنيا وتدبير حسن
المعيشة للاولاد بكثرة جمع المال وادخاره لهم وطلب التفاخر والتكاثر بهم وكل ما شغل
عن الله من اهل ومال وولد فهو مشوم على صاحبه ولست اعني بهذا ان يدعو الى
محظور فان ذلك مما اندرج تحت الافة الاولى والثانية بل ان يدعوه الى التنعم بالمباح

بل الى الاغراق في ملاعبة النساء وموانستهن والامعان في التمتع بهن ويثور من النكاح
انواع من الشواغل من هذا الجنس يستغرق القلب فينقضي الليل والنهار ولا يتفرغ المرء
فيهما للفكر في الاخرة والاستعداد لها ولذلك قال ابن ادهم من تعوّد افخاذ النساء لم
يجيء منه شيء وقال ابو سليمان من تزوج فقد ركن الى الدنيا اي يدعوه ذلك الى
الركون الى الدنيا فهذه مجامع الافات والفوايد فالحكم على شخص واحد بان الافضل له النكاح
او العزوبة مطلقا قصور عن الاحاطة بمجامع هذه الامور بل يتخذ هذه الفوايد والافات
معيارا ومحكا ويعترض المريد عليه فان انتفت في حقه الافات واجتمعت الفوايد
بان كان له مال حلال وخلق حسن وجدّ في الدين تام لا يشغله النكاح عن الله وهو
مع ذلك شاب يحتاج الى تسكين الشهوة ومنفرد يحتاج الى تدبير المنزل والتحصن
بالعشيرة فلا يتمارى في ان النكاح افضل له مع ما فيه من السعي في تحصيل الولد وان
انتفت الفوايد واجتمعت الافات فالعزوبة افضل له وان تقابل الامر وهو الغالب
فينبغي ان يوزن بميزان القسط حظ تلك الفوايد في الزيادة من دينه وحظ تلك
الافات في النقصان منه فاذا غلب على الظن رجحان احدهما حكم به واظهر الفوايد الولد
وتسكين الشهوة واظهر الافات الحاجة الى كسب الحرام والاشتغال عن الله تعالى فلنفرض
تقابل هذه الامور فنقول من لم يكن في اذية من الشهوة وكانت فايدة نكاحه في
السعي لتحصيل الولد وكانت افته الحاجة الى كسب الحرام او الاشتغال عن الله فالعزوبة له اولى
فلا خير فيما يشغل عن الله ولا خير في كسب الحرام ولا يفي بنقصان هذين الامرين امر الولد
لان النكاح للولد سعي في طلب حياة الولد موهومه وهذا نقصان في الدين ناجز فحفظه لحياة
نفسه وصونها عن الهلاك اهم من السعي في الولد وذلك ربح والدين راس المال وفي فساد الدين
بطلان الحياة الاخروية وذهاب راس المال فلا يقاوم هذه الفايدة احدى هاتين الافتين
واما اذا انضاف الى امر الولد حاجة كسر الشهوة لتوقان النفس الى النكاح نظر فان لم يقو لجام
التقوى في راسه وخاف على نفسه الزنى فالنكاح اولى لانه متردد بين ان يقتحم الزنى او اكل الحرام
والكسب الحرام اهون الشرين وان كان يثق بنفسه انه لا يزني ولكن لا يقدر مع ذلك على غض البصر
عن الحرام فترك النكاح اولى لان النظر حرام والكسب يقع دايما وفيه عصيانه وعصيان اهله
والنظر يقع احيانا وهو يخصه وينصرم على قرب والنظر زنى العين ولكن اذا لم يصدقه الفرج
فهو الى العفو اقرب من اكل الحرام الا ان يخاف افضاء النظر الى معصية الفرج فيرجع ذلك الى
خوف العنت واذا ثبت هذا فالحالة الثالثة وهو ان يقوى على غض البصر ولكن لا يقوى على دفع
الافكار الشاغلة للقلب فالاولى ان يترك النكاح لان عمل القلب الى العفو اقرب وانما يراد فراغ
القلب للعبادة ولا تتم عبادة مع الكسب الحرام واكله واطعامه فهكذا ينبغي ان يوزن هذه
الافات بالفوايد ويحكم بحسبها ومن احاط بهذا لم يشكل عليه شيء مما نقل عن السلف من
ترغيب في النكاح مرة ورغبة عنه اخرى اذ ذلك بحسب الاحوال صحيح فان قلت
فمن امن الافات فالافضل له التخلي لعبادة الله او النكاح فاقول يجمع بينهما لان النكاح
ليس مانعا التخلي لعبادة الله من حيث انه عقد ولكن من حيث الحاجة الى الكسب فان قدر
على الكسب الحلال فالنكاح ايضا افضل لان الليل وسائر اوقات النهار يمكن التخلي فيه

للعباده والمواظبة على العباده على غيرا ستراحة غير ممكن فان فرض كونه مستغرقا الاوقات
بالكسب حتى لا يبقى له وقت سوى اوقات المكتوبه والنوم والاكل وقضاء الحاجه فان كان
الرجل ممن لا يسلك سبيل الاخرة الا بالصلاة النافلة او بالحج او ما يجري مجراه من الاعمال البدنية
فالنكاح له افضل لان في كسب الحلال والقيام بالاهل والسعي في تحصيل الولد والصبر على اخلاق
النساء انواعا من العبادات لا يقصر فضلها عن نوافل العبادات وان كان عبادته بالعلم والفكر
وسير الباطن والكسب يشوش عليه ذلك فترك النكاح افضل فان قلت فلم ترك عيسى
عليه السلام النكاح مع فضله وان كان الافضل التخلي لعبادة الله فلم استكثر رسولنا عليه السلام
من الازواج فاعلم ان الافضل الجمع بينهما في حق من قدر ومن علت منيته وعلت همته
فلا يشغله عن الله شاغل فرسولنا عليه السلام اخذ بالقوة وجمع بين فضل العباده والنكاح
ولقد كان مع تسع من النسوة متخليا لعبادة الله وكان قضاء الوطر بالنكاح في حقه غير مانع كما
لا يكون قضاء الحاجه في حق المشغولين بتدبيرات الدنيا مانعا لهم عن التدبير حتى لا يشغلو
في الظاهر بقضاء الحاجة وقلوبهم مستغرقة بهمومهم غير غافلة عن مهماتهم فكان رسول الله
لعلو درجته لا يمنعه امر هذا العالم عن حضور القلب مع الله فكان ينزل عليه الوحي وهو في فراش
امراته ومتى يسلم مثل هذا المنصب لغيره فلا يبعد ان يغير السواقي ما لم يغير البحر الخضم فلا ينبغي
ان يقاس عليه غيره واما عيسى عليه السلام فانه اخذ بالحزم لا بالقوة واحتاط لنفسه ولعل
الجمع بين النكاح والتخلي للعباده فاتر التخلي للعبادة وهو اعلم باسرار احوالهم واحكام اعصارهم
في طيب المكاسب واخلاق النساء وما على الناكح من غوايل النكاح وما له فيه ومهما كانت الاحوال منقسمة
حتى يكون النكاح في بعضها افضل وتركه في بعضها افضل فحقنا ان ننزل افعال الانبياء عليهم
السلام على الافضل في كل حال

الباب الثاني فيما يراعى حالة العقد من احوال المراة وشروط العقد

اما العقد فاركانه وشروطه لينعقد به ويفيد الحل اربعة
الاول اذن الولي فان لم يكن فالسلطان الثاني رضى المراة ان كانت ثيبا بالغة
او كانت بكرا ولكن يزوجها غير الاب والجد الثالث حضور شاهدين ظاهري العدالة
فان كانا مستورين حكمنا بالانعقاد للحاجة الرابع ايجاب وقبول متصل به بلفظ الانكاح
او التزويج او معناهما الخاص بكل لسان من شخصين مكلفين ليس فيهما امراة سواء كان هو الزوج
او الولي او وكيلهما واما ادابه فتقديم الخطبة مع الولي لا في حالة عدة المراة بل بعد انقضائها
ان كانت معتدة ولا في حالة سبق غيره بالخطبة اذ نهي عن الخطبة على الخطبة ومن ادابه
الخطبة قبل النكاح ومزج التحميد بالايجاب والقبول فيقول المزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله
زوجتك ابنتي فيقول الزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلت نكاحها على هذا
الصداق وليكن الصداق معلوما وخفيفا والتحميد قبل الخطبة ايضا مستحب ومن ادابه
ان يلقي امر الزوج الى سمع الزوجة فان كانت بكرا فذلك اولى بالالفة ولذلك يستحب النظر
اليها قبل النكاح فانه احرى ان يودم بينهما ومن الاداب احضار جمع من اهل الصلاح زيادة على
الشاهدين الذين هما ركنان للصحة ومن الاداب ان ينوي بالنكاح اقامة السنة وغض البصر
وطلب الولد وساير الفوايد التي ذكرناها فلا يكون قصده مجرد الهوى والتمتع فيصير عمله
من اعمال الدنيا ولا يمنع ذلك هذه النيات فرب حق يوافق الهوى قال عمر بن عبد
العزيز اذا وافق الحق الهوى فهو الزبد بالنرسيان ولا يستحيل ان يكون كل واحد من حظ
النفس وحق الدين باعثا معا ويستحب ان يعقد في المسجد في شهر شوال قالت عايشة

رضي الله عنها تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال فاما المنكوحة فيعتبر فيها نوعان
احدهما الحل والثاني لطيب العشرة وحصول المقاصد النوع الاول ما يعتبر فيها للحل وهي ان تكون
خالية من موانع النكاح والموانع تسع عشرة **الاول** ان تكون منكوحة للغير **الثاني** ان
تكون معتدة عن الغير سوا كانت عدة وفاة او طلاق او وطي بشبهة او في استبرا وطي عن
ملك يمين **الثالث** ان تكون مرتدة عن الدين بجريان كلمة على لسانها هي من كلمات الكفر **الرابع**
ان تكون مجوسية **الخامس** ان تكون وثنية او زنديقة لا تنتسب الى نبي وكتاب ومنهن
المعتقدات لمذهب الاباحة فلا يحل نكاحهن وكذلك كل معتقدة مذهبا فاسدا يحكم بكفر
معتقده **السادس** ان تكون كتابية قد دانت بدينهم بعد التبديل او بعد مبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومع ذلك فليست من نسب بني اسرائيل فاذا عدمت تلك الفضيلتين لم يحل
نكاحها وان عدمت النسب فقط ففيه خلاف **السابع** ان تكون رقيقة والناكح حرا قادرا
على طول الحرة او غير خائف من العنت **الثامن** ان تكون كلها او بعضها مملوكا للناكح ملك
يمين **التاسع** ان تكون قريبة للزوج بان تكون من اصوله او فصوله او فصول اول اصوله او من اول
فصل من كل اصل بعده اعني باصول الامهات والجدات وبفصوله الاولاد والاحفاد وبفصول اول اصوله الاخوة واولادهم وباول فصل من كل اصل بعده اصل العمات والخالات
دون اولادهن **العاشر** ان تكون محرمة بالرضاع ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب من
الاصول والفصول كما سبق ولكن المحرم خمس رضعات وما دون ذلك لا يحرم **الحادي عشر**
المحرمة بالمصاهرة وهو ان يكون الناكح قد نكح بنتها او جدتها من قبل او وطيهن بشبهة
في عقد او وطي امها او احدى جداتها بعقد او شبهة عقد فمجرد العقد يحرم امها وجداتها
ولا يحرم فروعها الا بالوطي ويكون ابوه او ابنه نكحها من قبل **الثاني عشر** ان تكون المنكوحة
خامسة اي يكون تحت الناكح اربع سواها اما في نفس النكاح او في عدة الرجعة فان كانت
في عدة بينونة لم يمتنع نكاح الخامسة **الثالث عشر** ان تكون تحت الناكح اختها او
عمتها او خالتها فيكون بالنكاح جامعا بينهما وكل شخصين بينهما قرابة لو كان احدهما
ذكرا والاخر انثى لم يجز بينهما نكاح فلا يجوز ان يجمع بينهما **الرابع عشر** ان يكون
هذا الناكح قد طلقها من قبل ثلاثا فهي لا تحل له ما لم يطاها زوج اخر في نكاح صحيح **الخامس عشر**
ان يكون الناكح قد لاعن عنها فانها تحرم عليه ابدا بعد اللعان **السادس عشر** ان تكون محرمة
بحج او عمرة او كان الزوج كذلك فلا ينعقد النكاح الا بعد تمام التحلل **السابع عشر** ان تكون ثيبا
صغيرة فلا يصح نكاحها الا بعد البلوغ **الثامن عشر** ان تكون يتيمة فلا يصح نكاحها الا بعد
البلوغ **التاسع عشر** ان تكون من ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن توفي عنها او دخل بها
فانهن امهات المؤمنين وذلك لا يوجد في زماننا **فهذه هي الموانع المحرمة** واما الخصال
المطيبة للعيش التي لا بد من مراعاتها في المراة ليدوم العقد وتتوفر مقاصده فهي ثمانية
الدين والخلق الحسن وخفة المهر والولادة والبكارة والنسب وان لا تكون قرابة قريبة الاولى
ان تكون ذات دين فهذا هو الاصل وبه ينبغي ان يقع الاعتنا فانها ان كانت ضعيفة الدين
في صيانة نفسها وفرجها ازرت بزوجها ان يقع الاعتنا فانها ان كانت كذلك سودت بين
الناس وجهه وشوشت بالغيرة قلبه وتنغص بذلك عيشه فان سلك فيه سبيل
الحمية والغيرة لم يزل في بلاء ومحنة وان سلك سبيل التساهل كان متهاونا بدينه و
عرضه ومنسوبا الى قلة الحمية والانفة واذا كانت مع الفساد جميلة كان بلاؤها اشد

يشق على الزوج مفارقتها فلا يصبر عنها ولا يصبر عليها ويكون كالذي جاء الى رسول الله
فقال يا رسول الله ان لي امراة لا ترد يد لامس قال طلقها قال فاني احبها قال امسكها
وانما امره بامساكها خوفا عليه بانه ان طلقها اتبعها وفسد هو ايضا معها فراى ما في دوام
نكاحه من دفع الفساد عنه مع ضيق قلبه اولى وان كانت فاسدة الدين باستهلاك
ماله او بوجه اخر لم يزل العيش مشوشا معه فان سكت ولم ينكر كان شريكا في المعصية
مخالفا لقوله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا ولهذا بالغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تنكح
المراة لمالها وجمالها وحسبها ودينها فعليك بذات الدين تربت يداك وفي حديث اخر
من نكح المراة لمالها وجمالها حرم مالها وجمالها ومن نكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها
وقال صلى الله عليه وسلم لا تنكح المراة لجمالها فلعل جمالها يرديها ولا لمالها فلعل مالها يطغيها
وانكح المراة لدينها وانما بالغ في الحث على الدين لان مثل هذه المراة تكون عونا على الدين فاما اذا
لم تكن متدينة كانت شاغلة عن الدين ومشوشة **الثانية** حسن الخلق وذلك اصل مهم
في طلب الفراغ والاستعانة على الدين فانها اذا كانت سليطة بذية اللسان سيئة الخلق كافرة
النعم كان الضرر منها اكثر من النفع والصبر على لسان النسا مما يمتحن به الاوليا **قال** بعض
العرب لا تنكحوا من النسا ستة لا انانة ولا منانة ولا حنانة ولا تنكحوا حداقة ولا براقة
ولا شداقة **اما** الانانة فهي التي تكثر الانين والتشكي وتعصب راسها كل ساعة فنكاح
الممراضة او المتمارضة لا خير فيه **والمنانة** التي تمن على زوجها فتقول فعلت معك كذا وكذا
والحنانة التي تحن الى زوج اخر او ولدها من زوج اخر **والحداقة** التي ترمي الى كل شي
بحدقتها فتشتهيه وتكلف الزوج شراه **والبراقة** تحتمل معنيين احدهما ان تكون طول
النهار في تصقيل وجهها وتزيينها ليكون لوجهها بريق يحصل بالتصنع والثاني ان
تغضب على الطعام فلا تاكل الا وحدها وتستقل نصيبها من كل شي وهذه لغة يمانية
يقولون برقت المراة وبرق الصبي الطعام اذا غضب عنده **والشداقة** المتشدقة
الكثيرة الكلام ومنه قوله عليه الصلاة والسلام ان الله يبغض الثرثارين المتشدقين
ويحكى ان السايح الازدي لقي الياس عليه السلام في سياحته فامره بالتزويج ونهاه
عن التبتل ثم قال لا تنكح اربعا المختلعة والمبارية والعاهرة والناشزة اما المختلعة فهي
التي تطلب الخلع كل ساعة من غير سبب والمبارية المباهية لغيرها المتفاخرة باسباب
الدنيا والعاهرة الفاسقة التي تعرف بخليل وخدن وهي التي قال تعالى ولا
متخذات اخدان والناشزة التي تعلو على زوجها في الفعال والمقال والنشز العالي من
الارض وكان علي رضي الله عنه يقول شر خصال الرجال خير خصال النسا البخل والزهو
والجبن فان المراة اذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها واذا كانت مزهوة
استنكفت ان تكلم كل احد بكلام لين مريب واذا كانت جبانة فرقت من كل شي
فلم تخرج من بيتها واتقت مواضع التهمة خيفة من زوجها **فهذه** الحكايات ترشد
الى مجامع الاخلاق المطلوبة في النكاح **الثالثة** حسن الوجه فذلك ايضا مطلوب اذ به
يحصل التحصن والطبع لا يكتفي بالدميمة غالبا كيف والغالب ان حسن الخلق والخلق
لا يفترقان وما نقلناه من الحث على الدين وان المراة لا تنكح لجمالها ليس زجرا عن رعاية

الجمال بل هو زجر عن النكاح لاجل الجمال المحض مع الفساد في الدين فان الجمال وحده في غالب الامر
يرغب في النكاح ويهون في امر الدين ويدل على الالتفات الى معنى الجمال ان الالفة والمودة تحصل
به غالبا وقد ندب الشرع الى مراعات اسباب الالفة ولذلك استحب النظر قبل العقد فقال اذا اوقع الله
في نفس احدكم من امراة فلينظر اليها فانه احرى ان يودم بينهما اي يولف بينهما من وقوع الادمة
على الادمة وهي الجلدة الباطنة والبشرة الجلدة الظاهرة وانما ذكر ذلك للمبالغة في الايتلاف وقال
عليه الصلاة والسلام ان في اعين الانصار شيا فاذا اراد احدكم ان يتزوج منهن فلينظر اليهن
قيل كان في اعينهن عمش وقيل صغر وكان بعض الورعين لا ينكحون كرايمهم الا بعد النظر احترازا
من الغرور وقال الاعمش كل تزويج يقع على غير نظر فاخره هم وغم ومعلوم ان النظر لا يعرف
الخلق والدين وانما يعرف الجمال والقبح وروي ان رجلا تزوج على عهد عمر وقالوا احسبا شابا
فاوجعه عمر ضربا وقال غررت القوم وروي ان بلالا وصهيبا اتيا اهل بيت من العرب فخطبا
اليهم فقيل لهما من انتما فقال بلال انا بلال وهذا اخي صهيب كنا ضالين فهدانا الله وكنا
مملوكين فاعتقنا الله وكنا عايلين فاغنانا الله فان تزوجونا فالحمد لله وان تردونا فسبحان الله
فقالوا بلى تزوجان والحمد لله فقال صهيب لبلال لو ذكرت مشاهدنا وسوابقنا مع رسول الله
فقال اسكت فقد صدقت فانكحك الصدق والغرور يقع في الجمال والخلق جميعا فيستحب
ازالة الغرور في الجمال بالنظر وفي الخلق بالوصف والاستيصاف فينبغي ان يقدم ذلك على النكاح
ولا يستوصف في اخلاقها وجمالها الا من هو صادق خبير بالظاهر والباطن ولا يميل اليها فيفرط
في الثنا ولا يحسدها فيقصر فالطباع مايلة في مبادي النكاح ووصف المنكوحات الى الافراط
والتفريط وقل من يصدق فيه ويقتصد بل الخداع والاغرا اغلب فالاحتياط فيه مهم لمن
يخشى على نفسه من التشوف الى غير زوجته فاما من اراد من الزوجة مجرد السنة او الولد
او تدبير المنزل فلو رغب عن الجمال فهو الى الزهد اقرب لانه على الجملة اقرب باب من الدنيا
وان كان قد يعين على الدين عند بعض الاشخاص قال ابو سليمان الداراني الزهد
في كل شي حتى في المراة يتزوج الرجل العجوز ايثارا للزهد في الدنيا وقد كان مالك بن دينار
يقول يترك احدكم ان يتزوج يتيمة فقيرة فيوجر فيها ان اطعمها وكساها تكون خفيفة المونة
ترضى باليسير ويتزوج بنت فلان وفلان يعني ابناء الدنيا فتشتهي عليه الشهوات
وتقول اكسني كذا وكذا واختار احمد بن حنبل عوراء على اختها وكانت اختها جميلة فسال من
اعقلهما فقيل العوراء فقال زوجوني اياها وروي انه انفذ امراة الى امراتين ليخطب احديهما
فقالت الاخرى الحسنى لاختها لمن خطب فقالت لها انا اصلح وما اراد الا نت بانكسار
فبلغ ذلك احمد فقال لا تزوج الا هي بانكسارها فهذا هذا من لم يقصد التمتع فاما من لم
يامن على دينه ما لم يكن مستمتع فليطلب الجمال فالتلذذ بالمباح حصن للدين وقد قيل
اذا كانت المراة حسنا خيرة الاخلاق سود الحدقة والشعر كبيرة العين بيضا اللون
محبة لزوجها قاصرة الطرف عليه فهي على صورة الحور العين فان الله وصف نسا الجنة بهذه
الصفة في قوله خيرات حسان اراد بالخيرات حسن الخلق وفي قوله قاصرات الطرف وفي قوله
تعالى عربا اترابا فالعروبا هي العاشقة لزوجها المشتهية للوقاع وبه تتم اللذة والحور البيض
والحورا شديدة بياض العين شديدة سوادها في سواد الشعر والعينا واسعة العين وقال
عليه الصلاة والسلام خير نسايكم التي اذا نظر اليها زوجها سرته واذا امرها اطاعته واذا
غاب عنها حفظته في نفسها وماله وانما يسر بالنظر اذا كانت محبة للزوج الرابعة

ان تكون

ان تكون خفيفة المهر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير النسا احسنهن وجوها
وارخصهن مهورا وقد نهي عن المغالات في المهر تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض
نسايه على عشرة دراهم واثاث بيت وكان رحا يد وجرة ووسادة من ادم حشوها
ليف واولم على بعض نسايه بمدين من شعير وعلى اخرى بمدين من تمر ومدين سويق وكان
عمر ينهى عن المغالات ويقول ما تزوج رسول الله ولا زوج بناته باكثر من اربعماية درهم
ولو كانت المغالات بمهور النسا مكرمة لسبق اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد
تزوج بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على وزن نواة من ذهب يقال قيمتها
خمسة دراهم وزوج سعيد بن المسيب ابنته من ابي هريرة على درهمين ثم حملها هو اليه
ليلا فادخلها هو من الباب ثم انصرف ثم جاها بعد سبعة ايام فسلم عليها ولو تزوج على
عشرة دراهم للخروج من خلاف العلما فلا باس **وفي الخبر** من بركة المراة
سرعة تزويجها وسرعة رحمها اي الولادة ويسر مهرها وقال ايضا اير كهن اقلهن
مهورا وكما يكره المغالات في المهر من جهة المراة فيكره السوال عن مالها من جهة الرجل
فلا ينبغي ان ينكح طمعا في المال قال الثوري اذا تزوج الرجل وقال اي شي للمراة فاعلم
انه لص واذا اهدى اليهم شيا فلا ينبغي ان يهدي ليضطرهم الى المقابلة باكثر منه وكذلك اذا اهدوا
اليه فنية طلب الزيادة نية فاسدة واما التهادي فمستحب وهو سبب المودة قال عليه السلام
تهادوا تحابوا واما طلب الزيادة فداخل في قوله تعالى ولا تمنن تستكثر اي تعطي لتطلب اكثر
وتحت قوله تعالى وما اتيتم من ربا ليربو في اموال الناس فان الربا هو الزيادة وهذا طلب
زيادة على الجملة وان لم يكن في الاموال الربوية فكل ذلك مكروه وبدعة في النكاح تشبه
التجارة والقمار وتفسد مقاصد النكاح الخامسة ان تكون المراة ولودا فان عرفت بالعقر
فليمتنع من تزويجها قال عليه الصلاة والسلام عليكم بالولود الودود وان لم يكن لها زوج
ولم تعرف مرعي صحتها وشبابها فانها تكون ولودا في الغالب في هذين الوصفين السادسة
ان تكون بكرا قال عليه السلام لجابر وقد نكح ثيبا هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك وفي البكارة
ثلاث فوايد احدها ان تحب الزوج وتالفه فيوثر ذلك في معنى الود وقد قال عليكم
بالودود والطباع مجبولة على الانس باول مالوف واما التي اختبرت الرجال ومارست الاحوال
فربما لا ترضى بعض الاوصاف التي تخالف ما الفته فتقلي الزوج الثانية ان ذلك اكمل في مودة
له فان الطبع ينفر عن التي مسها غير الزوج نفرة ما وذلك يثقل على الطبع مهما يذكر وبعض
الطباع في هذا اشد نفورا الثالثة انها لا تحن الا الى الزوج الاول واكد الحب ما يقع مع الحبيب
الاول السابعة ان تكون نسيبة اعني ان تكون من اهل بيت الدين والصلاح فانها ستربي بنيها
وبناتها واذا لم تكن مودبة لم تحسن التاديب والتربية ولذلك قال عليه السلام اياكم
وخضرا الدمن فقيل ما خضرا الدمن فقال المراة الحسنا في المنبت السو وقال عليه الصلاة والسلام
تخيروا لنطفكم فان العرق نزاع الثامنة ان لا تكون من القرابة القريبة فان ذلك يقلل
الشهوة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنكحوا القرابة القريبة فان الولد يخلق ضاويا اي
نحيفا وذلك لتاثيره في ضعف الشهوة فان الشهوة انما تنبعث بقوة الاحساس بالامر
الغريب فاما الامر المعهود الذي دام النظر اليه مدة يضعف الحس عن تمام ادراكه والتاثر
به فلا تنبعث به الشهوة فهذه ايضا هي الخصال المرغبة في النسا ويجب على الولي ان
يراعي خصال الزوج وينظر لكريمته فلا يزوجها ممن ساء خلقه او خلقه او ضعف دينه
او قصر عن القيام بحقها او كان لا يكافيها في نسبها قال عليه الصلاة والسلام

النكاح رق فلينظر احدكم اين يضع كريمته والاحتياط في حقها اهم لانها رقيقة بالنكاح لا
مخلص لها من الزوج والزوج قادر على الطلاق بكل حال ومهما زوج ابنته ظالما او فاسقا
او مبتدعا او شارب خمر فقد جنى على دينه وتعرض لسخط الله بما قطع من حق الرحم وسوء
الاختيار قال رجل للحسن قد خطب ابنتي جماعة فمن ازوجها قال ممن يتقي الله فانه ان
احبها اكرمها وان ابغضها لم يظلمها وقال عليه الصلاة والسلام من زوج كريمته من
فاسق فقد قطع رحمها **الباب الثالث في اداب المعاشرة**
وما يجري في دوام النكاح والنظر فيما على الزوج وفيما على الزوجة اما الزوج فعليه
مراعاة الاعتدال والادب في اثني عشر امرا في الوليمة والمعاشرة والمداعبة والسياسة والغيرة
والنفقة والتعليم والقسم والتاديب بالنشوز والوقاع والمفارقة بالطلاق **الادب الاول**
الوليمة وهي مستحبة قال انس راى رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الرحمن بن عوف اثر صفرة
فقال ما هذا قال تزوجت على وزن نواة من ذهب قال بارك الله لك اولم ولو بشاة واولم
رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفية بسويق وتمر وقال عليه الصلاة والسلام طعام اول يوم
حق وطعام الثاني سنة وطعام الثالث سمعة ومن سمع سمع الله به لم يرفعه الا زياد
بن عبد الله وهو غريب ويستحب التهنية فيقول من دخل على الزوج بارك الله لك وبارك
عليك وجمع بينكما في الخير وروى ابو هريرة انه عليه الصلاة والسلام امر بذلك ويستحب اظهار
النكاح قال عليه السلام فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت وقال عم اعلنوا هذا النكاح
واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدفوف **وعن** الربيع بنت معوذ قالت جاء رسول الله
صلى الله عليه وسلم فدخل علي غداة بني بي فجلس على فراشي وجويريات لنا يضربن بدفهن ويندبن
من قتل من ابائي الى ان قالت احداهن وفينا نبي يعلم ما في غد فقال لها اسكتي عن هذه وقولي التي
كنت تقولين قبلها **والادب الثاني** حسن الخلق معهن واحتمال الاذى منهن ترحما عليهن
لقصور عقلهن **قال** الله تعالى وعاشروهن بالمعروف **وقال** تعالى في تعظيم حقهن
واخذن منكم ميثاقا غليظا **وقال** والصاحب بالجنب قيل هي المراة واخر ما اوصى به رسول
الله ثلث كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه وخفي كلامه جعل يقول الصلاة الصلاة وما
ملكت ايمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون الله الله في النساء فانهن عوان عندكم وفي ايديكم يعني
اسرا اخذتموهن بعهد الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله **وقال** عليه الصلاة والسلام
من صبر على سوء خلق امراته اعطاه الله من الاجر ما اعطى ايوب على بلائه ومن صبرت على
سوء خلق زوجها اعطاها الله مثل ثواب اسية امراة فرعون **واعلم** انه ليس حسن الخلق
معها كف الاذى عنها بل احتمال الاذى منها والحلم عند طيشها وغضبها اقتداء برسول الله
صلى الله عليه وسلم فقد كان ازواجه يراجعنه في الكلام وتهجره الواحدة منهن يوما الى الليل
وراجعت امراة عمر في الكلام فقال اتراجعينني يا لكعاء فقالت ان ازواج رسول الله يراجعنه
وهو خير منك فقال عمر خابت حفصة وخسرت ان راجعته ثم قال لحفصة لا تغتري بابنة
ابي قحافة فانها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخوفها من المراجعة ودفعت احداهن في
صدر رسول الله فزبرتها امها فقال عليه السلام دعيها فانهن يصنعن اكثر من ذلك وجرى
بينه وبين عائشة كلام حتى ادخل بينهما ابا بكر حكما واستشهده فقال لها رسول الله
صلى الله عليه وسلم تكلمين او اتكلم فقالت بل تكلم انت ولا تقل الا حقا فلطمها ابو بكر حتى
دمي فاها وقال يا عدوة نفسها او يقول غير الحق فاستجارت برسول الله وقعدت خلف
رسول الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم ندعك لهذا اولم نرد هذا منك وقالت له مرة في

كلام

كلام غضبت عنده انت الذي تزعم انك نبي الله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتمل ذلك
حلما وكرما وكان يقول لها اني لاعرف غضبك من رضاك قالت وكيف تعرفه قال اذا رضيت
قلت لا واله محمد واذا غضبت قلت لا واله ابراهيم قالت صدقت انما اهجر اسمك ويقال
اول حب وقع في الاسلام حب النبي عائشة وكان يقول لها كنت لك كابي زرع لام
زرع غير اني لا اطلقك وكان يقول صلى الله عليه وسلم لنسائه لا تؤذوني في عائشة فانه
والله ما نزل علي الوحي وانا في لحاف امراة منكن غيرها **وقال** انس رضي الله عنه كان رسول
الله ارحم الناس بالنساء والصبيان **الثالث** ان يزيد على احتمال الاذى بالمداعبة والمزح
والملاعبة فهي التي تطيب قلوب النساء وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح معهن و
ينزل الى درجات عقولهن في الاعمال والاخلاق حتى روي انه كان يسابق عائشة
في العدو فسبقته يوما وسبقها في بعض الايام **فقال** عليه السلام هذه بتلك وفي
الخبر انه كان افكه الناس مع نسائه وقالت عائشة سمعت اصوات ناس من الحبشة
وغيرهم وهم يلعبون في يوم عاشورا فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اتحبين ان
ترى لعبهم قالت نعم فارسل اليهم فجاؤا وقام رسول الله بين البابين فوضع كفه على الباب
ومد يده ووضعت ذقني على يده وجعلوا يلعبون وانظر وجعل رسول الله يقول حسبك
واقول اسكت مرتين او ثلثا ثم قال يا عائشة حسبك فقلت نعم فاشار اليهم فانصرفوا
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكمل المومنين ايمانا احسنهم خلقا والطفهم باهله وقال
عليه الصلاة والسلام خياركم خياركم لنسائه وانا خيركم لنسائي **وقال** عمر
مع خشونته ينبغي للرجل ان يكون في اهله مثل الصبي فاذا التمسوا ما عنده وجد رجلا
وقال لقمان ينبغي للعاقل ان يكون في اهله كالصبي فاذا كان في القوم وجد رجلا
وفي **تفسير** الخبر المروي ان الله يبغض الجعظري الجواظ قيل هو الشديد على اهله
المتكبر في نفسه وهو احد ما قيل في قوله تعالى عتل العتل هو الفظ اللسان الغليظ القلب على
اهله وقال عليه السلام لجابر هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك ووصفت اعرابية زوجها
وقد مات فقالت والله لقد كان ضحوكا اذا ولج سكيتا اذا خرج اكلا ما وجد غير سائل
عما فقد **الرابع** انه لا ينبسط في الدعابة وحسن الخلق والموافقة باتباع هواها الى حد
يفسد خلقها ويسقط بالكلية هيبته عندها بل يراعي الاعتدال فيه فلا يدع الهيبة و
الانقباض مهما راى منكرا ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات البتة بل مهما راى ما
يخالف الشرع والمروة تنمر وامتعض **قال** الحسن والله ما اصبح الرجل يطيع امراته فيما
تهوى الا اكبه الله في النار وقال عمر خالفوا النساء فان في خلافهن البركة وقد قيل
شاوروهن وخالفوهن وقد قال عليه الصلاة والسلام تعس عبد الزوجة وانما قال ذلك
لانه اذا اطاعها في هواها فهو عبدها وقد تعس فان الله ملكه المراة فملكها نفسه فقد عكس
الامر وقلب القضية واطاع الشيطان كما قال ولامرنهم فليغيرن خلق الله اذ حق الرجل
ان يكون متبوعا لا تابعا وقد سمى الله الرجال قوامين على النساء وسمى الزوج سيدا فقال
تعالى والفيا سيدها لدى الباب فاذا انقلب السيد مسخرا فقد بدل نعمة الله كفرا ونفس
المراة على مثال نفسك ان ارسلت عنانها قليلا جمحت بك طويلا وان ارخيت عذارها
فترا جرتك ذراعا وان كبحتها وشددت يدك عليها في محل الشدة ملكتها قال
الشافعي ثلاثة ان اكرمتهم اهانوك وان اهنتهم اكرموك المراة والخادم اراد به

ان محضت الكرام ولم تمزج غلظتك بلينك وفظاظتك برفقك وكانت نساء العرب
يعلمن بناتهن اختبار الازواج وكانت المراة تقول لابنتها اختبري زوجك قبل الاقدام و
الجراة عليه انزعي زج رمحه فان سكت لذلك فقطعي اللحم على ترسه فان سكت فكسري
العظام بسيفه فان صبر فاجعلي الاكاف على ظهره وامتطيه فانما هو حمارك وعلى الجملة
فبالعدل قامت السموات والارض وكل ما جاوز حده انعكس على ضده فينبغي ان يسلك سبيل
الاقتصاد في المخالفة والموافقة ويتبع الحق في جميع ذلك لتسلم من شرهن فان كيدهن عظيم
وشرهن فاش والغالب عليهن سوء الخلق وركاكة العقل ولا يعتدل ذلك منهن الا بنوع
لطف ممزوج بسياسة قال عليه الصلاة والسلام مثل المراة الصالحة في النساء كمثل
الغراب الاعصم بين مائة غراب يعني الابيض البطن وفي وصية لقمان يا بني اتق
المراة السوء فانها تشيبك قبل الشيب واتق شرار النساء فانهن لا يدعون الى خير وكن من
خيارهن على حذر وقال عليه السلام استعيذوا من الفواقر الثلاث وعد منهن امراة
سوء فانها المشيبة قبل المشيب وفي لفظ اخر ان دخلت عليها لسنتك وان غبت عنها
خانتك وقد قال عليه السلام في خيرات النساء انكن صواحبات يوسف يعني ان صرفكن
ابا بكر عن التقدم في الصلاة ميل منكن عن الحق الى الهوى وقال الله تعالى حين افشين سر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما اي مالت وقال ذلك في خير
ازواجه وقال عليه السلام لا يفلح قوم تملكهم امراة وقد زجر عمر امراته مرة لما راجعته وقال ما انت
الا لعبة في جانب البيت ان كانت لنا اليك حاجة والا جلست كما انت فاذن فيهن شر وفيهن ضعف
فالسياسة والخشونة علاج الشر والمطايبة والرحمة علاج الضعف والطبيب الحاذق هو الذي
يقدر العلاج بقدر الداء فلينظر الرجل اولا الى اخلاقها بالتجربة ثم ليعاملها بما يصلحها كما يقتضيه
حالها الخامس الاعتدال في الغيرة وهو ان لا يتغافل عن مبادي الامور التي تخشى غوائلها ولا يبالغ
في اساءة الظن والتعنت وتجسس البواطن فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تتبع عورات
النساء وفي لفظ اخر ان تبغت النساء ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره
قال قبل دخول المدينة لا تطرقوا النساء ليلا فخالفه رجلان فسبقا فراى كل واحد في منزله
ما يكره وفي الخبر المشهور المراة كالضلع ان قومته كسرته فدعه تستمتع به على عوج وهذا
في تهذيب اخلاقها وقال عليه السلام غيرة يبغضها الله وهي غيرة الرجل على اهله
من غير ريبة وذلك من سوء الظن الذي نهينا عنه فان بعض الظن اثم وقال علي رضي
الله عنه لا تكثر الغيرة على اهلك فترمى بالسوء من اجلك واما الغيرة في محلها فلا بد منها
وهي محمودة قال عليه السلام ان الله يغار والمؤمن يغار وغيرة الله ان ياتي المؤمن ما حرم
الله وقال عليه السلام اتعجبون من غيرة سعد والله لانا اغير منه والله اغير مني
ولاجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه العذر من الله ومن
اجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين ولا احد احب اليه المدح من الله ومن اجل ذلك وعد
الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت في الجنة قصرا وفيه جارية فقلت لمن هذا
فقال لعمر فاردت ان انظر اليها فذكرت غيرتك يا عمر فبكى عمر وقال اعليك اغار يا رسول الله
وكان الحسن يقول اتدعون نساءكم يزاحمن العلوج في الاسواق قبح الله من لا يغار وقال
عليه الصلاة والسلام ان من الغيرة ما يحبه الله ومنها ما يبغضه الله ومن الخيلاء ما يحب الله
ومنها ما يبغض الله فاما الغيرة التي يحبها الله فالغيرة في الريبة والغيرة التي يبغضها

الله فالغيرة في غير ريبة والاختيال الذي يحبه الله اختيال الرجل بنفسه عند القتال وعند
الصدقة والاختيال الذي يبغضه الله الاختيال في الباطل وقال عليه السلام اني لغيور
وما من امرئ لا يغار الا منكوس القلب والطريق المغني عن الغيرة ان لا يدخل عليها الرجال
وهي لا تخرج الى الاسواق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة اي شيء خير للمراة
قالت ان لا ترى رجلا ولا يراها رجل فضمها اليه وقال ذرية بعضها من بعض ف
استحسن قولها وكان اصحاب رسول الله يسدون الثقب والكوى في الحيطان لئلا يطلع
النساء على الرجال وراى معاذ امراته تطلع في الكوة فضربها وراى امراته دفعت الى غلام له
تفاحة قد اكلت بعضها فضربها وقال عمر اعروا النساء يلزمن الحجال وانما قال ذلك
لانهن لا يرغبن في الخروج في الهيئة والثياب الرثة وقال ايضا عودوا نساءكم لا وكان
قد اذن رسول الله للنساء في الخروج الى المساجد والصواب الان المنع الا العجائز بل استصوب
ذلك في زمن الصحابة حتى قالت عائشة رضي الله عنها لو علم النبي ما احدثت النساء بعده
لمنعهن من الخروج ولما قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا اماء الله
مساجد الله فقال بعض ولده بلى والله لنمنعهن فضربه وغضب عليه وقال تسمعني اقول
قال رسول الله لا تمنعوا فتقول بلى وانما استجرا على المخالفة لعلمه بتغير الزمان وانما
غضب عليه لاطلاقه اللفظ بالمخالفة ظاهرا من غير اظهار العذر وكذلك كان النبي قد اذن
لهن في الاعياد خاصة ان يخرجن ولكن لا يخرجن الا برضا ازواجهن والخروج الان ايضا
مباح للمراة العفيفة برضا زوجها ولكن القعود اسلم وينبغي ان لا تخرج الا لمهم فان الخروج
للنظارات والامور التي ليست مهمة تقدح في المروة وربما تفضي الى الفساد واذا خرجت
فينبغي ان تغض بصرها عن الرجال ولسنا نقول ان وجه الرجل في حقها عورة كوجه المراة في
حقه بل هو كوجه الصبي الامرد في حق الرجال فيحرم النظر عند خوف الفتنة فقط فان لم
يكن فتنة فلا اذ لم يزل الرجال على ممر الزمان مكشوفي الوجوه والنساء يخرجن منتقبات
ولو كان وجوه الرجال عورة في حق النساء لامروا بالتنقب او منعن من الخروج الا لضرورة
السادس الاعتدال في النفقة فلا ينبغي ان يقتر في النفقة عليهن ولا ينبغي ان يسرف بل
يقتصد قال الله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال ولا تجعل يدك مغلولة الى
عنقك ولا تبسطها كل البسط وقال صلى الله عليه وسلم خيركم خيركم لاهله وقال عم
دينار انفقته في سبيل الله ودينار انفقته في رقبة ودينار تصدقت به على مسكين و
دينارا نفقته على اهلك اعظمها اجرا الدينار الذي انفقته على اهلك قيل كان لعلي اربع نسوة
فكان يشتري لكل واحدة في كل اربعة ايام لحما بدرهم وقال الحسن رضي الله عنه كانوا
في الرجال مخاصيب وفي الثياب والاثاث مجاديب وقال ابن سيرين
يستحب للرجل ان يعمل لاهله كل جمعة فالوذجة وكان الحلاوة وان لم تكن من المهمات
ولكن تركها بالكلية تقتير في العادة وينبغي ان يامرها بالتصدق ببقايا الطعام
وما يفسد لو ترك وهذا اقل درجات الخير وللمراة ان تفعل ذلك بحكم الحال من غير تصريح
باذن من الزوج ولا ينبغي ان يستاثر عن اهله بماكول طيب ولا يطعمهم منه فان ذلك مما
يوغر الصدور ويبعد عن المعاشرة بالمعروف فان كان مزمعا على ذلك فلياكله في خفية بحيث

لا يعرف اهله ولا ينبغي ان يصف عندهم طعاما ليس يريد اطعامهم اياه واذا اكل فيقعد العيال
على مائدته فقد قال سفيان بلغنا ان الله تعالى وملائكته يصلون على اهل بيت ياكلون
جماعة فاهم ما يجب عليه مراعاته في الانفاق ان يطعمها من الحلال ولا يدخل مداخل السوء لاجلها
فان ذلك جناية عليها لا مراعاة لها وقد اوردنا الاخبار الواردة في ذلك عند ذكر افات
النكاح **السابع** ان يتعلم المتزوج من علم الحيض واحكامه ما يحترز به الاحتراز الواجب
ويعلم زوجته احكام الصلاة وما تقضى منها في الحيض وما لا تقضى فانه امر بان يقيها
النار بقوله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا فعليه ان يلقنها اعتقاد اهل السنة ويزيل عن
قلبها كل بدعة ان استمعت ويخوفها بالله ان تساهلت في امر الدين ويعلمها من احكام
الحيض والاستحاضة ما تحتاج اليه وعلم الاستحاضة يطول فاما الذي لا بد من ارشاد
النساء اليه بيانه الصلوات التي تقضيها فانها مهما انقطع دمها قبيل المغرب بمقدار ركعة
فعليها قضاء الظهر والعصر واذا انقطع قبل الصبح بمقدار ركعة فعليها قضاء المغرب
والعشاء وهذا اقل ما يراعيه النساء فان كان الرجل قائما بتعليمها فليس لها الخروج لسؤال
العلماء وان قصر علم الرجل ولكن ناب عنها في السؤال واخبرها بجواب المفتي فليس لها الخروج
فان لم يكن ذلك فلها الخروج للسؤال بل عليها ذلك ويعصي الرجل بمنعها ومهما تعلمت ما هو
من الفرائض عليها فليس لها ان تخرج الى مجلس ذكر ولا الى تعلم فضل الا برضاه ومهما
اهملت المراة حكما من احكام الحيض والاستحاضة ولم يعلمها الرجل خرج الرجل معها وشاركها
في الاثم **الثامن** اذا كان له نسوة فينبغي ان يعدل بينهن ولا يميل الى بعضهن فان خرج
الى سفر واراد استصحاب واحدة اقرع بينهن كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فان ظلم امراة بليلتها قضى لها فان القضاء واجب عليه وعند ذلك يحتاج الى معرفة احكام
القسم وذلك يطول ذكره وقد **قال** عليه السلام من كان له امراتان فمال الى احداهما دون
الاخرى وفي لفظ اخر لم يعدل بينهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل وانما عليه العدل في
العطاء والمبيت اما في الحب والوقاع فذلك لا يدخل تحت الاختيار قال تعالى ولن تستطيعوا
ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم اي لا تعدلون في شهوة القلب وميل النفس ويتبع ذلك
التفاوت في الوقاع وكان النبي صلعم يعدل بينهن في العطاء والبيتوتة في الليالي ويقول اللهم
هذا جهدي فيما املك ولا طاقة لي فيما تملك ولا املك يعني الحب **وقد كانت عايشه**
رضي الله عنها احب نسائه اليه وسائر نسائه يعرفن ذلك وكان يطاف به محمولا في مرضه في كل يوم وليلة
فيبيت عند كل واحدة ويقول اين انا غدا ففطنت امراة منهن فقالت انما يسال عن يوم عايشه
فقلن يا رسول الله قد اذنا لك ان تكون في بيت عايشه فانه يشق عليك ان تحمل في كل
ليلة فقال وقد رضيتن بذلك فقلن نعم قال فحولوني الى بيت عايشه ومهما وهبت واحدة ليلتها
لصاحبتها ورضي الزوج بذلك ثبت الحق لها **كان** رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقسم بين نسائه فقصد ان يطلق سوده بنت زمعه لما كبرت فوهبت ليلتها لعايشه
وسالت رسول الله ان يقرها على الزوجية حتى تحشر في زمرة نسائه فتركها وكان لا يقسم لها
ويقسم لعايشه ليلتين ولسائر نسائه ليلة ليلة ولكنه لحسن عدله وقوته كان اذا تاقت
نفسه الى واحدة من النساء في غير نوبتها فجامعها طاف في يومه او ليلته على سائر نسائه
فمن ذلك ما روي عن عايشه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف على نسائه في ليلة واحدة
وعن انس انه عليه الصلاة والسلام انه طاف على تسع نسوة في ضحوة نهار **التاسع** في النشوز

ومهما وقع بينهما خصام ولم يلتئم امرهما فان كان من جانبهما جميعا او من الرجل فلا تسلط
المراة على زوجها ولا يقدر على اصلاحها فلا بد من حكمين احدهما من اهله والاخر من اهلها
لينظرا بينهما ويصلحا امرهما وان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما وقد بعث عمر حكمين الى
زوجين فعادا ولم يصلحا امرهما فعلاهما بالدرة وقال ان الله تعالى يقول ان يريدا
اصلاحا يوفق الله بينهما فعادا الرجلان واحسنا النية وتلطفا في الامر فاصلحا بينهما
واما اذا كانت من المراة خاصة فالرجال قوامون على النساء فله ان يؤدبها ويحملها على الطاعة
قهرا وكذلك اذا كانت تاركة الصلاة فله حملها على الصلاة قهرا ولكن ينبغي ان يتدرج في
تاديبها وهو ان يقدم اولا الوعظ والتحذير والتخويف فان لم ينجع ولاها ظهره في المضجع او
انفرد عنها بالفراش وهجرها وهو في البيت من ليلة الى ثلاث ليال فان لم ينجع ضربها ضربا
غير مبرح بحيث يؤلمها ولا يكسر لها عظما ولا يدمي لها جسما ولا يضرب وجهها فذلك منهي
عنه **وقد قيل** لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما حق المراة على الرجل فقال يطعمها اذا طعم
ويكسوها اذا اكتسى ولا يقبح الوجه ولا يضرب الا ضربا غير مبرح ولا يهجرها الا في البيت وله
ان يغضب عليها ويهجرها في امر من امور الدين الى عشر والى شهر فعل ذلك رسول الله اذ
ارسل بهدية الى زينب فردتها عليه فقالت له التي هو في بيتها لقد اقمأتك اذ ردت عليك
هديتك اي اذلتك واستصغرتك فقال عليه السلام انتن اهون على الله ان تقمئنني ثم
غضب عليهن كلهن شهرا الى ان عاد اليهن **العاشر** في اداب الجماع ويستحب ان يبدا
بسم الله تعالى ويقرا قل هو الله احد اولا ويكبر ويهلل ويقول بسم الله العلي العظيم اللهم
اجعلها ذرية طيبة ان كنت قدرت ان تخرج من صلبي **وقال** صلى الله عليه وسلم لو ان احدكم
اذا اتى اهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فان كان بينهما
ولد لم يضره الشيطان واذا قربت من الانزال فقل في نفسك ولا تحرك شفتيك الحمد لله الذي
خلق من الماء بشرا الاية وكان بعض اهل الحديث يكبر حتى يسمع اهل الدار صوته
ثم ينحرف عن القبلة ولا يستقبل القبلة بالوقاع اكراما للقبلة وليغط نفسه واهله بثوب
كان رسول الله يغطي راسه ويغض صوته ويقول للمراة عليك بالسكينة وفي الخبر اذا جامع احدكم
اهله فلا يتجردا تجرد العيرين اي الحمارين وليقدم التلطف بالكلام والتقبيل **قال** عليه السلام
لا يقعن احدكم على امراته كما تقع البهيمة وليكن بينهما رسول قيل وما الرسول قال القبلة والكلام
وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث من العجز في الرجل ان يلقى من يحب معرفته فيفارقه قبل ان يعلم
اسمه ونسبه والثاني ان يكرمه احد فيرد عليه كرامته والثالث ان يقارب الرجل جاريته
فيصيبها قبل ان يحادثها ويؤانسها ويضاجعها فيقضي حاجته منها قبل ان تقضي حاجتها
منه ويكره الجماع في ثلاث ليال من الشهر الاول والاخر والنصف يقال ان الشيطان
يحضر الجماع في هذه الليالي ويقال ان الشياطين يجامعون فيها وروي كراهة ذلك عن
علي ومعويه وابي هريره ومن العلماء من استحب الجماع يوم الجمعه تحقيقا لاحد التاويلين
من قوله عليه السلام رحم الله من غسل واغتسل ثم اذا قضى وطره فليتمهل على اهله حتى تقضي
هي ايضا نهمتها فان انزالها ربما يتاخر فيهيج شهوتها ثم القعود عنها ايذاء لها والاختلاف
في طبع الانزال يوجب التنافر مهما كان الزوج سابقا الى الانزال والتوافق في وقت الانزال
الذ عندها ليشتغل الرجل بنفسه عنها فانها ربما تستحيي وينبغي ان ياتيها في كل اربع ليال
مرة فهو اعدل اذ عدد النساء اربعة فجاز التاخير الى هذا الحد نعم ينبغي ان يزيد وينقص
بحسب حاجتها في التحصين فان تحصينها واجب عليه وان كان لا تثبت المطالبة بالوطء

فذلك لحسن المطالبة والوفاء بها ولا يأتيها في الحيض ولا بعد انقطاعه وقبل الغسل فهو محرم بنص
الكتاب وقيل ان ذلك يورث الجذام في الولد وله ان يستمتع بجميع بدن الحائض ولا يأتيها في
غير المأتى اذ حرم غشيان الحائض لاجل الاذى والاذى في غير المأتى دائم فهو اشد
تحريما من اتيان الحائض وقوله تعالى فأتوا حرثكم انى شئتم اى اى وقت شئتم وله ان يستمني
بيديها وان يستمتع بما تحت الازار بما يشتهي سوى الوقاع وينبغي ان تتزر المرأة بازار من حقويها
الى فوق الركبة في حال الحيض فهذا من الادب وله ان يؤاكل الحائض ويخالطها في المضاجعة
وغيرها وليس عليه اجتنابها فان اراد ان يجامع ثانية بعد اخرى فليغسل فرجه اولا وان احتلم
فلا يجامع حتى يغسل فرجه او يبول ويكره الجماع في اول الليل حتى لا ينام على غير طهارة فان
اراد النوم او الاكل فليتوضأ اولا وضوءه للصلاة فهو سنة **قال** ابن عمر قلت للنبي عم اينام
احدنا وهو جنب قال نعم اذا توضأ ولكن فيه رخصة قالت عائشة كان رسول الله ينام جنبا
لم يمس ماء ومهما عاد الى فراشه فليمسح وجه فراشه او لينفضه فانه لا يدري ما حدث بعده
ولا ينبغي ان يحلق ويقلم ويستحد ويخرج الدم ويبين من نفسه جزءا وهو جنب اذ ترد اليه سائر
اجزائه في الآخرة فيعود جنبا ويقال ان كل شعرة تطالبه بجنابتها **ومن الادب** ان لا يعزل
بل يسرح الماء الى محل الحرث وهو الرحم فما من نسمة قدر الله كونها الا وهي كائنة هكذا قال النبي
فان عزل فقد اختلف العلماء في اباحته وكراهته على اربعة مذاهب فمن مبيح مطلقا بكل حال
ومن محرم بكل حال ومنهم من قال يحل برضاها ولا يحل بدون رضاها وكأن هذا القائل يحرم
الايذاء دون العزل ومن قائل يباح في المملوكة دون الحرة والصحيح عندنا ان ذلك مباح واما
الكراهة فانها تطلق لنهي التحريم ولنهي التنزيه ولترك الفضيلة فهو مكروه بالمعنى الثالث
اى فيه ترك فضيلة كما يقال يكره للقاعد في المسجد ان يقعد فارغا لا يشتغل بذكر وصلاة
وللحاضر في مكة مقيما بها ان لا يحج كل سنة والمراد بهذه الكراهة ترك الاولى والفضيلة فقط
وهذا ثابت لما بيناه من الفضيلة في الولد ولما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليجامع
اهله فيكتب له من جماعه اجر ولد ذكر قاتل في سبيل الله فقتل وانما قال ذلك لانه لو ولد له ولد
مثل هذا الولد لكان له اجر التسبب اليه مع ان الله تعالى خالقه ومحييه ومقويه على الجهاد و
الذي اليه من التسبب فقد فعله وهو الوقاع وذلك عند الامناء في الرحم وانما قلنا لا كراهة
بمعنى التحريم والتنزيه لان اثبات النهي انما يمكن بنص او قياس على منصوص ولا نص ولا
اصل يقاس عليه بل ههنا اصل يقاس عليه وهو ترك النكاح اصلا او ترك الجماع بعد النكاح او
ترك الانزال بعد الايلاج فكل ذلك ترك للافضل وليس بارتكاب نهي ولا فرق اذ الولد يتكون
بوقوع النطفة في الرحم ولها اربعة اسباب النكاح ثم الوقاع ثم الصبر الى الانزال ثم الوقوف
لينصب المني في الرحم وبعض هذه الاسباب اقرب من بعض فالامتناع عن الرابع كالامتناع
عن الثالث وكذلك الثالث كالثاني والاول وليس هذا كالاستجهاض والوأد لان ذلك جناية
على موجود حاصل وله ايضا مراتب واول مراتب الوجود ان تقع النطفة في الرحم وتختلط بماء
المرأة فتستعد لقبول الحياة وافساد ذلك جناية فان صارت مضغة وعلقة كانت الجناية
افحش فان نفخ فيه الروح واستوت الخلقة ازدادت الجناية تفاحشا ومنتهى التفاحش في
الجناية بعد الانفصال حيا وانما قلنا مبدأ سبب الوجود من حيث الوقوع في الرحم لا من حيث
الخروج من الاحليل لان الولد لا يخلق من مني الرجل وحده بل من الزوجين جميعا اما من مائه ومائها
او من مائه ودم الحيض **قال** بعض اهل التشريح ان المضغة تخلق بتقدير الله من دم الحيض
فان الدم منها كاللبن من الرائب وان النطفة من الرجل شرط في خثورة دم الحيض وانعقاده

كالانفحة للبن اذ بها ينعقد الرايب وكيفما كان فماء المرأة ركن في الانعقاد فيجري
الماءان مجرى الايجاب والقبول في الوجود الحكمي في العقود فمن اوجب ثم رجع قبل القبول
لا يكون جانيا على العقد بالنقض والفسخ ومهما اجتمع الايجاب والقبول كان الرجوع بعده
رفعا وفسخا وقطعا وكما ان النطفة في الفقار لا يتخلق منها الولد فكذا بعد الخروج من الاحليل
ما لم يمتزج بماء المرأة او دمها فهذا هو القياس **قلت** فان لم يكن العزل مكروها من حيث
انه دفع لوجود الولد فلا يبعد ان يكره لاجل النية الباعثة عليه اذ لا يبعث عليه الا نية فاسدة
فيها شيء من شوائب الشرك الخفي **فاقول** النيات الباعثة على العزل خمس الاولى في السراري وهو
حفظ الملك عن الهلاك باستحقاق العتاق وقصد استبقاء الملك بترك الاعتاق ودفع
اسبابه ليس بمنهي عنه الثانية استبقاء جمال المرأة وسمنها لدوام التمتع بها واستبقاء حياتها
خوفا من خطر الطلق وهذا ايضا ليس منهيا عنه الثالثة الخوف من كثرة الحرج بسبب كثرة
الاولاد والاحتراز من الحاجة الى التعب في الكسب ودخول مداخل السوء وهذا ايضا غير منهي عنه
فان قلة الحرج معين على الدين نعم الكمال والفضل في التوكل والثقة بضمان الله تعالى حيث
قال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فلا جرم فيه سقوط عن ذروة الكمال وترك
الافضل لكن النظر الى العواقب وحفظ المال وادخاره مع كونه مناقضا للتوكل لا نقول انه منهي
عنه الرابعة الخوف من الاولاد الاناث لما في تزويجهن من المعرة كما كانت من عادة العرب في
قتلهم الاناث فهذه نية فاسدة لو ترك بسببها اصل النكاح او اصل الوقاع اثم بها لا بترك
النكاح والوطئ فكذا في العزل والفساد في اعتقاد المعرة في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويتنزل منزلة امرأة تركت النكاح استنكافا من ان يعلوها رجل فتتشبه بالرجال فلا ترجع
الكراهة الى ترك عين النكاح الخامسة ان تمتنع المرأة لتعززها ومبالغتها في النظافة والتحرز
من الطلق والنفاس والرضاع وكان ذلك عادة نساء الخوارج لمبالغتهن في استعمال
المياه حتى كن يقضين صلوات ايام الحيض ولا يدخلن الخلاء الا عراة فهذه بدعة تخالف السنة
فهي نية فاسدة واستأذنت واحدة منهن على عائشة لما قدمت البصرة فلم تأذن لها فيكون
القصد هو الفاسد دون منع الولادة **فان قلت** فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من ترك
النكاح مخافة العيال فليس منا **قلنا** فالعزل كترك النكاح وقوله ليس منا اي ليس موافقا
لنا على سنتنا وطريقتنا وسنتنا فعل الافضل فان قلت فقد قال صلى الله عليه وسلم في العزل
ذلك الوأد الخفي وقرأ واذا الموؤدة سئلت وهذا في الصحيح **قلنا** وفي الصحيح ايضا اخبار
صحيحة في الاباحة وقوله الوأد الخفي كقوله الشرك الخفي وذلك يوجب كراهة لا تحريما فان قلت
فقد قال ابن عباس العزل هو الوأد الاصغر فان الممنوع وجوده به هو الموؤدة الصغرى
قلنا هذا قياس منه لدفع الوجود على قطعه وهو قياس ضعيف ولذلك انكره عليه علي رضي الله
وقال لا تكون موؤدة الا بعد سبع اي بعد سبعة اطوار وتلا الآية الواردة في اطوار الخلقة
وهو قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين الى قوله
ثم انشأناه خلقا آخر اي نفخنا فيه الروح ثم تلا قوله تعالى في الآية الاخرى واذا الموؤدة سئلت
واذا نظرت الى ما قدمناه في طريق القياس والاعتبار ظهر لك تفاوت منصب علي وابن عباس رضي
في الغوص على المعاني ودرك العلوم كيف وفي المتفق عليه في الصحيحين عن جابر انه قال كنا
نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن ينزل وفي لفظ آخر كنا نعزل فبلغ ذلك رسول
الله ولم ينهنا وفيه ايضا عن جابر انه قال ان رجلا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان
لي جارية هي خادمتنا وساقيتنا في النخل وانا اطوف عليها واكره ان تحمل فقال عم اعزل

عنها ان شئت فانه سيأتيها ما قدر لها فلبث الرجل ثم اتاه فقال ان الجارية قد حملت فقال
قد اخبرتكم انه سيأتيها ما قدر لها كل ذلك في الصحيحين الحادي عشر في آداب الولادة وهي
خمسة الاول ان لا يكثر فرحه بالولد الذكر وحزنه بالانثى فانه لا يدري الخيرة له في ايهما
فكم من صاحب ابن يتمنى ان لا يكون له او يكون بنتا بل السلامة منهن اكثر والثواب
فيهن اجزل قال صلى الله عليه وسلم من كانت له ابنة فادبها فاحسن ادبها وغذاها فاحسن
غذاءها واسبغ عليها من النعمة التي اسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار الى الجنة وقال
ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد يدرك له ابنتان فيحسن اليهما ما صحبتاه
الا ادخلتاه الجنة وقال انس قال عليه السلام من كانت له ابنتان او اختان فاحسن
اليهما ما صحبتاه كنت انا وهو في الجنة كهاتين وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
خرج الى سوق من اسواق المسلمين فاشترى شيئا فحمله الى بيته فخص به الاناث دون الذكور
نظر الله اليه ومن نظر اليه لا يعذبه وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حمل
طرفة من السوق الى عياله فكأنما حمل اليهم صدقة حتى يضعها فيهم وليبدأ بالاناث قبل
الذكور فانه من فرح انثى فكأنما بكى من خشية الله ومن بكى من خشية الله حرم الله بدنه على النار
وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له ثلاث بنات او اخوات فصبر على
لأوائهن وضرائهن ادخله الله الجنة بفضل رحمته اياهن فقال رجل واثنتان يا رسول الله
فقال واثنتان فقال رجل او واحدة قال وواحدة الادب الثاني ان يؤذن في اذن المولود
فقد روى نافع عن ابيه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم اذن في اذن الحسين حين ولدته فاطمة رضي
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من ولد له مولود فاذن في اذنه اليمنى واقام في اذنه
اليسرى رفعت عنه ام الصبيان ويستحب ان يلقنه اول انطلاق لسانه لا اله الا الله ليكون
ذلك اول حديثه والختان في اليوم السابع ورد به خبر الثالث ان يسميه باسم حسن فذلك
حق الولد وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا سميتم فعبدوا وقال احب الاسماء الى الله عبد الله وعبد
الرحمن وقال سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي قال العلماء كان ذلك في عصره اذ كان ينادي يا ابا
القاسم والآن فلا بأس نعم لا يجمع بين اسمه وكنيته قال صلى الله عليه وسلم لا تجمعوا بين اسمي
وكنيتي وقيل ان هذا كان في حياته وقال ابو هريرة كان اسم زينب برة فقال عليه السلام
تزكي نفسها فسماها زينب وكذلك ورد نهي في اسم يسار ونافع وبركة لانه يقال ثم بركة فيقول لا
الرابع العقيقة عن الذكر شاتان وعن الانثى شاة ولا بأس بالشاة ذكرا كان او انثى وروت عائشة
ان رسول الله امر في الغلام بشاتين مكافئتين وفي الجارية بشاة وروي انه عق عن الحسن بشاة
وهذا رخصة في الاقتصار على واحدة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الغلام عقيقته فاهريقوا
عنه دما واميطوا عنه الاذى ومن السنة ان يتصدق بوزن شعره ذهبا او فضة فقد ورد
فيه خبر روي انه عليه الصلاة والسلام امر فاطمة يوم سابع حسين ان تحلق شعره وتصدق بوزن
شعره فضة كانت عائشة رضي الله عنها لا يكسر للعقيقة عظم الخامس ان يحنكه بتمرة
او حلاوة روي عن اسماء انها قالت ولدت عبد الله بن الزبير بقباء ثم اتيت به رسول الله صلى
الله عليه وسلم فوضعه في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه فكان اول شيء دخل جوفه
ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حنكه بتمرة ثم دعا له وبارك عليه وكان اول مولود ولد في الاسلام
ففرحوا به فرحا شديدا لانهم قيل لهم ان اليهود قد سحرتكم فلا يولد لكم الثاني عشر في الطلاق
وليعلم انه مباح ولكنه ابغض المباحات الى الله تعالى وانما يكون مباحا اذا لم يكن فيه ايذاء بالباطل
ومهما طلقها فقد آذاها ولا يباح ايذاء الغير الا بجناية من جانبها او بجناية من جانبه قال تعالى

فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا اي لا تطلبوا حيلة الفراق وان كرهها ابوه فليطلقها قال ابن عمر
كان تحتي امرأة احبها وكان ابي يكرهها ويأمرني بطلاقها فراجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا ابن عمر طلق امرأتك فهذا يدل على ان حق الوالد مقدم ولكن والد يكرهها لا لغرض فاسد
مثل عمر ومهما آذت زوجها وبذت على اهله فهي جانية وكذلك مهما كانت سيئة الخلق او فاسدة الدين
قال ابن مسعود في قوله تعالى ولا يخرجن الا ان يأتين بفاحشة مبينة مهما بذت على اهله
وآذت زوجها فهي فاحشة وهذا اريد به في العدة ولكنه تنبيه على المقصود وان كان الاذى
من الزوج فلها ان تفتدي ببذل مال ويكره للرجل ان يأخذ اكثر مما اعطى فان ذلك اجحاف بها وتحامل
عليها وتجارة على البضع قال تعالى ولا جناح عليهما فيما افتدت به فرد ما اخذته فما دونه لائق
بالفداء فان سألت الطلاق بغير ما بأس فهي آثمة قال صلى الله عليه وسلم ايما امرأة سألت زوجها
طلاقها من غير ما بأس لم ترح رائحة الجنة وفي لفظ آخر فالجنة عليها حرام وقال صلى الله عليه وسلم
المختلعات هن المنافقات ثم ليراع الزوج في الطلاق اربعة امور الاول ان يطلقها في طهر لم يجامعها
فيه فان الطلاق في الحيض والطهر الذي جامع فيه بدعي حرام وان كان واقعا لما فيه من تطويل العدة
عليها فان فعل ذلك فليراجعها طلق ابن عمر زوجته في الحيض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر مره
فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء طلقها وان شاء امسكها فتلك العدة التي
امر الله تعالى ان يطلق لها النساء وانما امره بالصبر بعد الرجعة طهرين لئلا يكون مقصود الرجعة
الطلاق فقط الثاني ان يقتصر على طلقة واحدة فلا يجمع بين الثلاث لان الطلقة الواحدة بعد العدة
تفيد المقصود ويستفيد بها الرجعة ان ندم في العدة وتجديد النكاح ان اراد بعد العدة واذا
طلق ثلاثا ربما ندم فيحتاج الى ان يتزوجها محلل والى الصبر مدة وعقد المحلل منهي عنه ويكون
هو الساعي فيه ثم يكون قلبه معلقا بزوجة الغير وتطليقه اعني زوجة المحلل بعد ان زوج منه
ثم يورث ذلك تنفيرا من الزوجة وكل ذلك ثمرة الجمع وفي الواحدة كفاية في المقصود من غير محذور
ولست اقول الجمع حرام ولكنه مكروه بهذه المعاني واعني بالكراهة تركه النظر لنفسه الثالث
ان يتلطف في التعلل بتطليقها من غير تعنيف واستخفاف وتطييب قلبها بهدية على سبيل
الامتاع والجبر لما فجعها به من اذى الفراق قال الله تعالى ومتعوهن وذلك واجب
مهما لم يسم لها مهر في اصل النكاح كان الحسن بن علي مطلاقا منكاحا ووجه ذات يوم
بعض اصحابه بطلاق امرأتين من نسائه وقال قل لهما اعتدا وامره ان يدفع الى كل واحدة
عشرة آلاف درهم ففعل فلما رجع اليه قال ماذا فعلتا فقال اما احداهما فنكست رأسها و
سكتت واما الاخرى فبكت وانتحبت وسمعتها تقول متاع قليل من حبيب مفارق فاطرق
الحسن وترحم لها وقال لو كنت مراجعا امرأة بعد ما فارقتها لراجعتها ودخل الحسن ذات
يوم على عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فقيه المدينة ورئيسها ولم يكن له بالمدينة نظير وبه
ضربت المثل عائشة حيث قالت لو لم اسر مسيري ذلك لكان احب الي من ان يكون لي ستة عشر
ذكرا من رسول الله مثل عبد الرحمن بن الحارث فدخل عليه في بيته فعظمه عبد الرحمن واجلسه
في مجلسه وقال الا ارسلت الي فكنت اجيئك فقال الحاجة لنا فقال وما هي قال جئتك
خاطبا ابنتك فاطرق عبد الرحمن ثم رفع رأسه وقال والله ما على وجه الارض احد يمشي
عليها اعز علي منك ولكنك تعلم ان ابنتي بضعة مني يسوءني ما ساءها ويسرني ما سرها
وانت مطلاق فاخاف ان تطلقها وان فعلت خشيت ان يتغير قلبي في محبتك واكره ان
يتغير قلبي عليك فانك بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فان شرطت ان لا تطلقها
زوجتك فسكت الحسن وقام وخرج وقال بعض اهل بيته سمعته وهو يمشي يقول ما اراد

عبد الرحمن الا ان يجعل ابنته طوقا في عنق وكان علي رضي الله عنه يضجر من كثرة تطليقه فكان يعتذر منه على المنبر ويقول ان حسنا مطلاق فلا تنكحوه حتى قام رجل من همدان فقال والله يا امير المومنين لننكحنه ما شاء فان احب امسك وان احب ترك فسر ذلك عليا وقال هذا البيت

ولو كنت بوابا على باب جنة ... لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

وهذا تنبيه على ان من طعن في حبيبه من اهل وولد بنوع حيا فلا ينبغي ان يوافق فهذه الموافقة قبيحة بل الادب المخالفة ما امكن فان ذلك يسر لقلبه وادفق لباطن رايه والقصد من هذا بيان ان الطلاق مباح وقد وعد الله الغنى في الفراق والنكاح جميعا فقال وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وقال تعالى وان يكونوا فقرا يغنهم الله من فضله الرابع ان لا يفشي سرها لا في الطلاق ولا عند النكاح فقد ورد في افشا سر النسا في الخبر الصحيح وعيد عظيم ويروى عن بعض الصالحين انه اراد طلاق امراة فقيل له ما الذي يريبك منها فقال لا اهتك ستر امراتي فلما طلقها قيل له لم طلقتها فقال ما لي ولامراة غيري فهذا بيان ما على الزوج

القسم الثاني من هذا الباب النظر في حقوق الزوج عليها والقول الشافي فيه ان النكاح نوع رق وهي رقيقة له فعليها طاعة الزوج مطلقا في كل ما طلب منها في نفسها مما لا معصية فيه وقد ورد في تعظيم حق الزوج عليها اخبار كثيرة قال صلى الله عليه وسلم ايما امراة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة وكان رجل خرج الى سفر وعهد الى امراته ان لا تنزل من العلو الى السفل وكان ابوها في الاسفل فمرض فارسلت المراة الى رسول الله تستاذن في النزول الى ابيها فقال عليه الصلاة والسلام اطيعي زوجك فمات ابوها فاستامرت فقال اطيعي زوجك فدفن ابوها فارسل رسول الله اليها يخبرها ان الله غفر لابيها بطاعتها لزوجها وقال عليه السلام اذا صلت المراة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها واطاعت زوجها دخلت جنة ربها فاضاف طاعة الزوج الى مباني الاسلام وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم النسا فقال حاملات والدات مرضعات رحيمات باولادهن لولا ما ياتين الى ازواجهن دخل مصلياتهن الجنة وقال صلى الله عليه وسلم اطلعت على النار فاذا اكثر اهلها النسا فقلن لم يا رسول الله قال يكثرن اللعن ويكفرن العشير يعني الزوج المعاشر وفي خبر اخر اطلعت في الجنة فاذا اقل اهلها النسا فقلت اين النسا فقيل شغلهن الاحمران الذهب والزعفران يعني الحلي ومصبغات الثياب وقالت عائشة اتت فتاة الى رسول الله فقالت يا نبي الله اني فتاة اخطب واني اكره التزويج فما حق الزوج على المراة قال لو كان من فرقه الى قدمه صديد فلحسته ما ادت شكره قالت افلا اتزوج قال بلى تزوجي فانه خير وقال ابن عباس اتت امراة من خثعم الى رسول الله وقالت اني امراة ايم واريد ان اتزوج فما حق الزوج فقال ان من حق الزوج على الزوجة اذا اراد ها فراودها عن نفسها وهي على ظهر بعير ان لا تمنعه ومن حقه ان لا تعطي شيا من بيته الا باذنه فان فعلت كان الوزر عليها والاجر له ومن حقه ان لا تصوم تطوعا الا باذنه فان فعلت لعنتها الملائكة حتى ترجع الى بيتها او تتوب وقال صلى الله عليه وسلم لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها من عظم حقه عليها وقال عليه الصلاة والسلام اقرب ما تكون المراة من وجه ربها اذا كانت في قعر بيتها وان صلاتها في صحن دارها افضل من صلاتها في المسجد وصلاتها في بيتها افضل من صلاتها في صحن دارها وصلاتها في مخدعها افضل والمخدع بيت في بيت وذلك للستر ولذلك قال عليه السلام المراة عورة فاذا خرجت استشرفها الشيطان وقال ايضا للمراة عشر عورات فاذا

تزوجت ستر الزوج عورة واحدة فاذا ماتت ستر القبر العشر عورات فحقوق الزوج على الزوجة كثيرة واهمها امران احدهما الصيانة والستر والاخر ترك المطالبة بما وراء الحاجة والتعفف عن كسبه اذا كان حراما وهكذا كان عادة النسا في السلف كان الرجل اذا خرج من منزله تقول امراته او ابنته اياك وكسب الحرام فانا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار وهم رجل من السلف بالسفر فكره جيرانه سفره فقالوا لزوجته لم ترضين بسفره ولم يدع لك نفقة فقالت زوجي منذ عرفته عرفته اكالا وما عرفته رزاقا ولي رب رزاق يذهب الاكال ويبقى الرزاق وخطبت رابعة بنت اسمعيل احمد بن ابي الحواري فكره ذلك لما كان فيه من العبادة وقال لها والله ما لي همة في النسا لشغلي بحالي فقالت اني لاشغل بحالي منك وما لي شهوة ولكني ورثت مالا جزيلا من زوجي فاردت ان انفقه على اخوانك واعرف بك الصالحين فيكون لي طريقا الى الله فقال حتى استاذن استاذي فرجع الى ابي سليمان قال وكان ينهاني عن التزويج ويقول ما تزوج احد من اصحابنا الا تغير فلما سمع كلامها قال تزوج بها فانها ولية لله هذا كلام الصديقين قال فتزوجتها فكان في منزلنا كر من جص ففني من غسل ايدي المستعجلين للخروج بعد الاكل فضلا عمن غسل بالاشنان قال وتزوجت عليها ثلاث نسوة فكانت تطعمني الطيبات وتطيبني وتقول اذهب بنشاطك وقوتك الى ازواجك وكانت هذه تشبه في اهل الشام برابعة العدوية في البصرة ومن الواجب عليها ان لا تفرط في ماله بل تحفظه عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لها ان تطعم من بيته الا باذنه الا الرطب الذي يخاف فساده فان اطعمت عن رضاه كان لها مثل اجره وان اطعمت بغير اذنه كان له الاجر وعليها الوزر ومن حقها على الوالدين تعليمها حسن المعيشة وادب العشرة مع الزوج كما روي ان اسما بنت خارجة الفزاري قالت لابنتها عند التزويج انك خرجت من العش الذي فيه درجت فصرت الى فراش لم تعرفيه وقرين لم تالفيه فكوني له ارضا يكن لك سما وكوني له مهادا يكن لك عمادا وكوني له امة يكن لك عبدا لا تلحفي به فيقلاك ولا تباعدي عنه فينساك ان دنا فاقربي منه وان ناى فابعدي عنه واحفظي انفه وسمعه وعينه فلا يشم منك الا طيبا ولا يسمع الا حسنا ولا ينظر الا جميلا وقال رجل لزوجته شعر

خذي العفو مني تستديمي مودتي ... ولا تنطقي في سورتي حين اغضب
ولا تنقريني نقرك الدف مرة ... فانك لا تدرين كيف المغيب
فاني رايت الحب في القلب والاذى ... اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

والقول الجامع في اداب المراة من غير تطويل ان تكون قاعدة في قعر بيتها لازمة لمغزلها لا يكثر صعودها واطلاعها قليلة الكلام لجيرانها لا تدخل عليهم الا في حال يوجب الدخول تحفظ بعلها في غيبته وحضرته وتطلب مسرته في جميع امورها ولا تخونه في نفسها وماله ولا تخرج من بيتها الا باذنه مختفية في هيئة رثة تطلب المواضع الخالية دون الشوارع والاسواق محترزة من ان يسمع غريب صوتها او يعرفها بشخصها لا تتعرف الى صديق بعلها في حاجاتها بل تتنكر على من تظن انه يعرفها همها صلاح شانها وتدبير بيتها مقبلة على صلاتها وصيامها واذا استاذن صديق لبعلها على الباب وليس البعل حاضرا لم تستفهمه ولم تعاوده في الكلام غيرة على نفسها وبعلها وتكون قانعة من زوجها بما رزق الله وتقدم حقه على حق نفسها وحق سائر اقاربها متنظفة في نفسها مستعدة في الاحوال ليستمتع بها ان شا مشفقة على اولادها حافظة للستر عليهم قصيرة اللسان عن سب الاولاد ومراجعة الزوج وقد قال صلى الله عليه وسلم انا وامراة سفعا الخدين كهاتين في الجنة امراة امت

من زوجها وحبست نفسها على بناتها حتى بانوا او ماتوا **وقال** صلى الله عليه وسلم حرم الله على كل
آدمي الجنة يدخلها قبلي غير اني انظر عن يميني فاذا امرأة تبادرني الى باب الجنة فاقول ما لهذه
تبادرني فيقال لي يا محمد هذه امرأة كانت حسناء جميلة وكان لها يتامى فصبرت عليهن حتى بلغ
امرهن الذي بلغ فشكر الله لها ذلك ومن آدابها ان لا تفاخر على الزوج بجمالها ولا تزدري
زوجها لقبحه فقد روي ان الاصمعي قال دخلت البادية فاذا انا بامرأة من احسن الناس
وجها تحت رجل من اقبح الناس وجها فقلت لها يا هذه اترضين لنفسك ان تكوني تحت
مثله فقالت يا هذا اسكت فقد اسأت في قولك لعله احسن فيما بينه وبين خالقه فجعلني
ثوابه ولعلي انا اسأت فيما بيني وبين خالقي فجعله عقوبتي افلا ارضى بما رضي الله لي
فاسكتتني **وقال** الاصمعي رأيت في البادية امرأة عليها قميص احمر وهي مختضبة وبيدها
سبحة فقلت ما ابعد هذا من هذا فقالت **شعر**

ولله مني جانب لا اضيعه * وللهو مني والبطالة جانب *

فمن آداب المرأة ملازمة الصلاح والانقباض في غيبة زوجها والرجوع الى اللعب والانبساط
واسباب اللذة في حضور زوجها ولا ينبغي ان تؤذي زوجها بحال **عن** معاذ بن جبل قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا الا قالت زوجته من الحور
العين لا تؤذيه قاتلك الله فانما هو عندك دخيل يوشك ان يفارقك الينا ومما يجب عليها
من حقوق النكاح اذا مات عنها زوجها يوشك ان يفارقك الينا ومما يجب عليها من
حقوق النكاح اذا مات عنها زوجها ان لا تحد عليه اكثر من اربعة اشهر وعشرا وتجتنب الطيب
والزينة في هذه المدة قالت زينب بنت ابي سلمة دخلت على ام حبيبة زوج النبي حين توفي ابوها
ابو سفيان بن حرب فدعت بطيب فيه صفرة خلوق او غيره فدهنت به جارية ثم مست بعارضيها
ثم قالت والله ما لي بالطيب من حاجة غير اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل
لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحد على ميت اكثر من ثلاثة ايام الا على زوج اربعة اشهر
وعشرا ويلزمها لزوم مسكن النكاح الى آخر العدة وليس لها الانتقال الى اهلها ولا الخروج الا لضرورة
ومن آدابها ان تقوم بكل خدمة في الدار تقدر عليها فقد روي عن اسماء بنت ابي بكر الصديق
انها قالت تزوجني الزبير وما له في الارض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه وناضحه فكنت
اعلف فرسه واكفيه مؤنته واسوسه وادق النوى لناضحه واعلفه واستقي الماء واخرز
غربه واعجن وكنت انقل النوى على رأسي من ثلثي فرسخ حتى ارسل الي ابو بكر بجارية فكفتني
سياسة الفرس فكأنما اعتقتني ولقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه اصحابه والنوى
على رأسي فقال صلى الله عليه وسلم اخ اخ لينيخ ناقته ويحملني خلفه فاستحييت ان اسير
مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته وكان اغير الناس فعرف رسول الله اني قد استحييت
فجئت الزبير فحكيت ما جرى فقال والله لحملك النوى على رأسك اشد علي من ركوبك معه

كتاب آداب الكسب والمعاش

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمد موحد انمحق في توحيده ما سوى الواحد الحق وتلاشى ونمجده تمجيد من صرح
بان كل شيء ما سوى الله باطل ولا يتحاشى وان كل من في السموات والارض لن يخلقوا
ذبابا ولو اجتمعوا له ولا هو انشا ونشكره اذ رفع السماء للعباد سقفا مبينا ومهد
الارض بساطا لهم وفراشا وكور الليل على النهار فجعل الليل لباسا وجعل النهار معاشا
لينتشروا في ابتغاء فضله وينتعشوا به عن ضرعة الحاجات انتعاشا ونصلي على رسوله
الذي يصدر المؤمنون عن حوضه رواء بعد ورودهم عطاشا وعلى آله واصحابه الذين لم
يدعوا في نصرة دينه تشمرا وانكماشا وسلم تسليما كثيرا **اما بعد** فان الرب الواحد الوهاب
رب الارباب ومسبب الاسباب جعل الآخرة دار الثواب والعقاب والدنيا دار التمحل والاضطراب
والتشمر والاكتساب وليس التشمر في الدنيا مقصورا على المعاد دون المعاش بل المعاش ذريعة
الى المعاد ومعين عليه فالدنيا مزرعة الآخرة ومدرجة اليها والناس ثلاثة رجل شغله معاشه
عن معاده فهو من الهالكين ورجل شغله معاده عن معاشه فهو من الفائزين والاقرب
الى الاعتدال هو الثالث الذي شغله معاشه لمعاده فهو من المقتصدين ولن ينال
رتبة الاقتصاد ما لم يلازم في طلب المعيشة منهج السداد ولم ينتهض طلب الدنيا وسيلة الى
الآخرة ودرجة ما لم يتأدب في ادبها بآداب الشريعة **ونحن نورد آداب التجارات**
والصناعات وضروب الاكتسابات وسننها ونشرحها في خمسة ابواب **الباب الاول** في
فضل الكسب والحث عليه **الباب الثاني** في علم صحيح البيع والشرى والمعاملات **الباب الثالث**
في بيان العدل واجتناب الظلم في المعاملة **الباب الرابع** في بيان الاحسان فيها ٥ ٥
الباب الخامس في شفقة التاجر على دينه **الباب الاول** في فضل الكسب والحث عليه
اما من الكتاب فقوله تعالى وجعلنا النهار معاشا فذكره في معرض الامتنان **وقال** تعالى
ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون فجعلها نعمة وطلب الشكر عليها
وقال تعالى ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم **وقال تعالى** وآخرون يضربون في الارض
يبتغون من فضل الله **وقال** تعالى فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله **واما الاخبار**
فقد قال صلى الله عليه وسلم من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم في طلب المعيشة **وقال**
التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء **وقال** صلى الله عليه وسلم من طلب
الدنيا حلالا تعففا عن المسألة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره لقي الله ووجهه كالقمر
ليلة البدر وكان صلى الله عليه وسلم جالسا مع اصحابه فنظر الى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر
يسعى فقالوا ويح هذا لو كان شبابه وجلده في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم لا تقولوا هذا فانه ان
كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسألة فهو في سبيل الله وان كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو في
سبيل الشيطان **وقال** صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العبد يتخذ المهنة ليستغني بها عن
الناس ويبغض العبد يتعلم العلم يتخذه مهنة **وفي الخبر** ان الله تعالى يحب العبد المحترف
وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالتجارة فان فيها تسعة اعشار الرزق وروي ان عيسى عليه
السلام رأى رجلا فقال ما تصنع فقال اتعبد قال من يعولك قال اخي قال اخوك اعبد منك
وقال نبينا صلى الله عليه وسلم اني لا اعلم شيئا يقربكم من الجنة ويبعدكم من النار الا امرتكم به
ولا اعلم شيئا يبعدكم من الجنة ويقربكم من النار الا نهيتكم عنه وان الروح الامين نفث في روعي
ان نفسا لن تموت حتى تستوفي رزقها وان ابطأ عليها فاتقوا الله واجملوا في الطلب امرنا
بالاجمال في الطلب ولم يقل اتركوا الطلب ثم قال في آخره ولا يحملنكم استبطاء شيء من الرزق
على ان تطلبوه بمعصية الله فان الله لا ينال ما عنده بمعصيته **وقال** صلى الله عليه وسلم الاسواق
موائد الله فمن اتاها اصاب منها **وقال** صلى الله عليه وسلم لان يأخذ احدكم حبله فيحتطب
على ظهره خير من ان يأتي رجلا اعطاه الله من فضله فيسأله اعطاه او منعه **وقال**
من فتح على نفسه بابا من السؤال فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر **واما** الآثار فقد قال لقمان
الحكيم لابنه يا بني استغن بالكسب الحلال عن الفقر فانه ما افتقر احد قط الا اصابه ثلاث خصال
رقة في دينه وضعف في عقله وذهاب مروءته **واعظم** من هذه الثلاث استخفاف الناس
به **وقال** عمر لا يقعد احدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علمتم ان السماء

لا تمطر ذهبا ولا فضة وكان زيد بن مسلمة يغرس في ارضه فقال له عمر اصبت استغن عن
الناس يكن اصون لدينك واكرم لك عليهم . شعر

فلن ازال على الزوراء اعمرها . ان الكريم على الاخوان ذو المال

وقال ابن مسعود
اني لاكره ان ارى الرجل فارغا لا في امر دنياه ولا في امر آخرته وسئل ابرهيم عن التاجر
الصدوق اهو احب اليك او المتفرغ للعبادة قال التاجر الصدوق احب الي لانه في جهاد
يأتيه الشيطان من طريق المكيال والميزان ومن قبل الاخذ والعطاء فيجاهده وخالفه
الحسن البصري في هذا وقال عمر ما من موضع يأتيني الموت فيه احب الي من موطن اتسوق
فيه لاهلي ابيع واشتري وقال الهيثم ربما يبلغني عن الرجل يقع فيّ فاذكر استغنائي
عنه فيهون ذلك علي وقال ايوب كسب فيه شيء احب الي من سؤال الناس وجاءت
ريح عاصفة في البحر فقال اهل السفينة لابرهيم بن ادهم ما ترى هذه الشدة فقال ما
هذه شدة انما الشدة الحاجة الى الناس وقال ايوب قال لي ابو قلابة الزم السوق فان
الغنى من العافية يعني الغنى عن الناس وقيل لاحمد ما تقول فيمن جلس في بيته او في مسجده
وقال لا اعمل شيئا حتى يأتيني رزقي فقال احمد هذا رجل جهل العلم اما سمع قول النبي صلى الله
عليه وسلم ان الله جعل رزقي تحت ظل رمحي وقوله حين ذكر الطير فقال تغدو خماصا و
تروح بطانا فذكر انها تغدو في طلب الرزق وكان اصحاب رسول الله يتجرون في البر والبحر
ويعملون في نخيلهم والقدوة بهم وروى ان الاوزاعي لقي ابرهيم بن ادهم وعلى عنقه
حزمة حطب فقال له يا ابا اسحق الى متى هذا اخوانك يكفونك فقال دعني عن هذا يا ابا
عمرو فانه بلغني انه من وقف في موقف مذلة في طلب الحلال وجبت له الجنة وقال ابو سليمان
ليس العبادة عندنا ان تصف قدميك وغيرك يقوت لك ولكن ابدأ برغيفك فاحرزهما ثم
تعبد وقال معاذ بن جبل ينادي مناد يوم القيمة اين بغضاء الله في ارضه فيقوم سؤال المساجد
فهذه مذمة في الشرع للسؤال والاتكال على كفاية الاغيار ومن ليس له مال موروث فلا
ينجيه من ذلك الا الكسب والتجارة فان قلت فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ما اوحي الله
الي ان اجمع المال وكن من التاجرين ولكن اوحي الي ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين
واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وقيل لسلمان الفارسي اوصنا فقال من استطاع منكم ان
يموت حاجا او غازيا او عامرا لمسجد ربه فليفعل ولا يموتن تاجرا ولا خائنا فالجواب ان وجه الجمع
بين هذه الاخبار تفصيل الاحوال فنقول لسنا نقول التجارة افضل مطلقا من كل شيء
ولكن التجارة اما ان تطلب بها الكفاية او الثروة والزيادة على الكفاية فان طلب منها الزيادة على
الكفاية لاستكثار المال وادخاره لا ليصرف الى الخيرات والصدقات فهي مذمومة لانه اقبال
على الدنيا التي حبها رأس كل خطيئة فان كان مع ذلك خائنا فهو ظلم وفسق وهذا ما اراده سلمان
بقوله لا تمت تاجرا ولا خائنا واراد بالتاجر طالب الزيادة فاما اذا طلب بها الكفاية لنفسه
واولاده وكان يقدر على كفايتهم وغناهم عن السؤال فالتجارة تعففا عن السؤال افضل
وان كان لا يحتاج الى السؤال وكان يعطى من غير سؤال فالكسب افضل لانه انما يعطى لانه
سائل بلسان حاله وينادي بين الناس بفقره فالتعفف والتستر اولى من البطالة
بل من الاشتغال بالعبادات البدنية وترك الكسب افضل لاربعة عابد بالعبادات البدنية
او رجل له سير بالباطن وعمل بالقلب في علوم الاحوال والمكاشفات او عالم مشتغل بتربية
علم الظاهر مما ينتفع الناس به في دينهم كالمفتي والمفسر والمحدث والمقرئ وامثالهم او رجل
مشتغل بمصالح المسلمين وقد تكفل بامورهم كالسلطان والقاضي والشاهد فهؤلاء

اذا كانوا يكفون من الاموال المرصدة للمصالح والاوقاف المسبلة على العلماء والفقراء فاقبالهم
على ما هم فيه افضل من الاشتغال بالكسب ولهذا اوحي الى رسول الله ان سبح بحمد ربك وكن
من الساجدين ولم يوح اليه ان يكون من التاجرين لانه كان جامعا لهذه المعاني الاربعة الى
زيادات لا يحيط بها الوصف ولهذا اشار الصحابة على ابي بكر بترك التجارة لما ولي الخلافة اذ
كان ذلك يشغله عن المصالح وكان يأخذ كفايته من مال المصالح وراى ذلك اولى ثم لما
توفي اوصى برده الى بيت المال ولكنه راه في الابتداء اولى ولهؤلاء الاربع حالتان اخريان
ان تكون كفايتهم عند ترك الكسب من ايدي الناس وما يتصدق به عليهم من زكاة او
صدقة من غير حاجة الى سؤال فترك الكسب والاشتغال بما هم فيه اولى اذ فيه اعانة الناس
على الخيرات وقبول منهم لما هو حق عليهم او افضل لهم الحالة الثانية الحاجة الى السؤال وهذا
في محل النظر والتشديدات التي رويناها في السؤال وذمه تدل ظاهرا على ان التعفف عن
السؤال اولى واطلاق القول فيه من غير ملاحظة الاحوال والاشخاص عسير غير صحيح بل هو موكول
الى اجتهاد العبد ونظره لنفسه بان يقابل ما يلقى في السؤال من المذمة وهتك المروة والحاجة
الى التثقيل والالحاح بما يحصل من اشتغاله بالعلم والعمل من الفائدة له ولغيره فرب شخص تكثر
فائدته للخلق وفائدته في اشتغاله بالعلم والعمل ويهون عليه في السؤال تحصيل الكفاية
وربما يكون بالعكس وربما يتقابل المطلوب والمحذور فينبغي ان يستفتي المريد فيه قلبه وان
افتاه المفتون فان الفتاوى لا تحيط بتفاصيل الصور ودقائق الاحوال فلقد كان في السلف
من كان له ثلثمائة وستون صديقا ينزل على كل واحد في كل سنة مرة وحده في ليلة
ومن له ثلثون وكانوا يشتغلون بالعبادة لعلمهم بان المتكفلين بهم يتقلدون منة من
قبولهم لمبراتهم فكان قبولهم لمبراتهم مضافا الى عباداتهم فينبغي ان يدقق النظر في
هذه الامور فان اجر الآخذ كأجر المعطي مهما كان يستعين به على الدين والمعطي يعطيه عن
طيبة قلب ومن اطلع على هذه المعاني امكنه ان يتعرف حال نفسه ويستوضح من قلبه ما هو الافضل
له بالاضافة الى حاله ووقته والله اعلم فهذه فضيلة الكسب وليكن العقد الذي به الاكتساب
جامعا لاربعة امور الصحة والعدل والاحسان والشفقة على الدين ونحن نعقد في كل واحد بابا
ونبدأ بذكر اسباب الصحة في الباب الثاني

الباب الثاني في علم الكسب

بطريق البيع والربا والسلم والاجارة والقراض والشركة وبيان شروط الشرع في صحة هذه التصرفات
التي هي مدار المكاسب اعلم ان تحصيل علم هذا الباب واجب على كل مكتسب لان طلب
العلم فريضة على كل مسلم وانما هو طلب العلم المحتاج اليه والمكتسب يحتاج الى علم
الكسب ومهما حصل علم هذا الباب وقف على مفسدات المعاملة فيتقيها وما شذ
عنه من الفروع المشكلة فيقع على سبب اشكالها فيتوقف فيها الى ان يسأل فانه اذا لم
يعلم اسباب الفساد بعلم جملي فلا يدري متى يجب عليه التوقف والسؤال ولو قال لا
اقدم العلم ولكني اصبر الى ان تقع الواقعة فعندها اتعلم واستفتي فيقال له
وبم تعلم وقوع الواقعة مهما لم تعلم جمل مفسدات العقود فانه يستمر في التصرفات ويظنها
صحيحة مباحة فلا بد له من هذا القدر من علم التجارة ليتميز له المباح عن المحظور وموضع
الاشكال عن موضع الوضوح ولذلك روي عن عمر رضي الله عنه انه كان يطوف في السوق
ويضرب بعض التجار بالدرة ويقول لا يبيع في سوقنا الا من يفقه والا اكل الربا شاء
ام ابى وعلم العقود كثير ولكن هذه العقود الستة لا تنفك المكاسب عنها وهي البيع
والربا والسلم والاجارة والشركة والقراض فلنشرح شروطها العقد الاول البيع وقد احل الله

البيع وله ثلاثة اركان العاقد والمعقود عليه واللفظ الركن الاول العاقد ينبغى للتاجر ان لا يعامل بالبيع
اربعة الصبى والمجنون والاعمى والعبد لان الصبى غير مكلف وكذا المجنون وبيعهما باطل فلا يصح بيع
الصبى وان اذن فيه الولى عند الشافعى وما اخذ منهما مضمون عليه لهما وما سلمهما فى المعاملة
فضاع فى ايديهما فهو المضيع له واما العبد العاقل فلا يصح بيعه وشراؤه الا باذن سيده فعلى البقال
والخباز والقصاب وغيرهم ان لا يعاملوا العبيد ما لم ياذن لهم السيد فى معاملتهم وذلك بان
يسمعه صريحا او ينتشر فى البلد انه ماذون فى الشراء لسيده وانه يبيع له فيعول على الاستفاضة
او على قول عدل يخبره بذلك فان عامله بغير اذن السيد فعقده باطل وما اخذه منه مضمون عليه لسيده
وما سلمه اليه فى يد العبد لا يتعلق برقبته ولا يضمنه سيده بل ليس له الا المطالبة به اذا عتق
واما الاعمى فانه يبيع ويشترى ما لا يرى فلا يصح فلنامره بان يوكل وكيلا بصيرا ليشترى له او
يبيع فيصح توكيله ويصح بيع وكيله فان عامله بنفسه فالمعاملة فاسدة وما اخذه منه مضمون عليه
بقيمته وما سلمه اليه ايضا مضمون له بقيمته واما الكافر فتجوز معاملته لكن لا يباع منه
المصحف ولا العبد المسلم ولا الامة المسلمة ولا يباع منه السلاح ان كان من اهل الحرب فان فعل
فهى معاملات مردودة وهو عاص بها ربه واما الجند من الاتراك والتركمانية والعرب والاكراد
والسراق والخونة واكلة الربا والظلمة وكل من اكثر ماله حرام فلا ينبغى ان يتملك مما فى ايديهم
شيا لاجل انها حرام الا اذا عرف شيا بعينه انه حلال وسياتى تفصيل ذلك فى كتاب الحلال والحرام
الركن الثانى فى المعقود عليه وهو المال المقصود نقله من احد العاقدين الى الاخر ثمنا كان او
مثمنا فيعتبر فيه ستة شروط **الاول** ان يكون طاهرا فى عينه فلا يصح بيع الكلب والخنزير ولا بيع
زبل وعذرة ولا بيع العاج والاوانى المتخذة منه فان العظم ينجس بالموت ولا يطهر الفيل بالذبح
ولا يطهر عظمه بالتنقية ولا يجوز بيع الخمر ولا بيع الودك النجس المستخرج من الحيوانات التى
لا تؤكل وان كان يصلح للاستصباح وطلاء السفن ولا باس ببيع الدهن الطاهر الذى ينجس بوقوع
نجاسة او موت فارة فيه فانه يجوز الانتفاع به فى غير الاكل وهو فى عينه ليس بنجس وكذلك لا ارى
باسا ببيع بزر القز فانه اصل حيوان ينتفع به وتشبيهه بالبيض وهو اصل حيوان اولى من
تشبيهه بالروث ويجوز بيع فارة المسك ويقضى بطهارتها اذا انفصلت من الظبية فى
حالة الحياة **الثانى** ان يكون منتفعا به فلا يجوز بيع الحشرات ولا الفارة ولا الحية ولا التفات
الى انتفاع المشعوذ بالحية وكذلك انتفاع ارباب الحلق باخراجها من السلة وعرضها على الناس
ويجوز بيع الهر وبيع النحل وبيع الفهد والاسد وما يصلح لصيد او ينتفع بجلده ويجوز بيع الفيل لاجل
الحمل ويجوز بيع الطوطى وهى الببغا والطاووس والطيور المليحة الصور وان كانت لا تؤكل فان
التفرج باصواتها والنظر اليها مقصود مباح وانما الكلب هو الذى لا يجوز ان يقتنى اعجابا بصورته
لنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ولا يجوز بيع العود والصنج والمزامير والملاهى فانه لا منفعة
لها شرعا وكذا بيع الصور المصنوعة من الطين كالحيوانات التى تباع فى الاعياد للعب الصبيان فان
كسرها واجب شرعا وصور الاشجار يتسامح بها واما الثياب والاطباق وعليها صور الحيوانات فيصح
بيعها وكذا الستور وقد **قال** رسول الله صلى الله عليه وسلم لعايشة اتخذى منها نمارق ولا يجوز
استعمالها منصوبة ويجوز موضوعة واذا جاز الانتفاع من وجه صح البيع لذلك الوجه **الثالث**
ان يكون المتصرف فيه مملوكا للعاقد او ماذونا من جهة المالك فلا يجوز ان يشترى من غير
المالك انتظارا لاذن المالك بل لو رضى بعد ذلك وجب استيناف العقد ولا ينبغى ان يشترى
من الزوجة مال الزوج ولا من الزوج مال الزوجة ولا من الوالد مال الولد اعتمادا على انه
لو عرف لرضى به فانه اذا لم يكن الرضا متقدما لم يصح البيع وامثال ذلك مما يكثر فى الاسواق

فواجب على العبد المتدين ان يحترز منه **الرابع** ان يكون المعقود عليه مقدورا على تسليمه
شرعا وحسا فما لا يقدر على تسليمه حسا لا يصح بيعه كالابق والسمك فى الماء والجنين فى البطن
وعسب الفحل وكذلك بيع الصوف على ظهر الحيوان واللبن فى الضرع لا يجوز فانه يتعذر تسليمه لا
ختلاط غير المبيع بالمبيع والمعجوز عن تسليمه شرعا كالمرهون والموقوف والمستولدة فلا يصح
بيعهما ايضا وكذا بيع الام دون الولد اذا كان الولد صغيرا وكذا بيع الولد دون الام لان
تسليمه تفريق بينهما وهو حرام فلا يصح التفريق بينهما بالبيع الخامس ان يكون المبيع معلوم
العين والقدر والوصف اما العلم بالعين فبان يشير اليه بعينه فلو قال بعتك شاة
من هذا القطيع اى شاة اردت او ثوبا من هذه الثياب التى بين يديك او ذراعا من هذا
الكرباس وخذه من اى جانب شئت او عشرة اذرع من هذه الارض وخذه من اى طرف شئت
فالبيع باطل وكل ذلك مما يعتاده المتساهلون فى الدين الا ان يبيع شايعا مثل ان يبيع نصف الشى
او عشره فان ذلك جايز واما العلم بالقدر فانما يحصل بالكيل والوزن او النظر اليه فلو قال
بعتك هذا الثوب بما باع به فلان ثوبه وهما لا يدريان ذلك فهو باطل ولو قال بعتك
بزنة هذه الصنجة فهو باطل اذا لم تكن الصنجة معلومة ولو قال بعتك هذه الصبرة من
الحنطة او بعتك بهذه الصبرة من الدراهم او بهذه القطعة من الذهب وهو يراها صح البيع
وكان تخمينه بالنظر كافيا فى معرفة المقدار واما العلم بالوصف فيحصل بالرؤية فى الاعيان
فلا يصح بيع الغايب الا اذا سبقت رويته منذ مدة لا يغلب التغير فيها والوصف لا يقوم
مقام العيان هذا احد المذهبين فلا يجوز بيع الثوب فى المنسج اعتمادا على الرقم ولا بيع
الحنطة فى سنابلها ويجوز بيع الارز فى قشرته وكذا بيع اللوز والجوز فى القشرة السفلى
لجريان عادة الاولين به ولكن يحتمل اباحة بعوض فلو اشتراه ليبيعه فالقياس بطلانه
لانه ليس مستترا بخلقته ولا يبعد ان يتسامح به اذ فى اخراجه افساده كالرمان وما يستتر
خلقة **السادس** ان يكون المبيع مقبوضا ان كان قد استفاد ملكه بمعاوضة وهذا شرط خاص
فقد نهى رسول الله عن بيع ما لم يقبض ويستوى فيه العقار والمنقول فكل ما اشتراه وباعه
قبل القبض فبيعه باطل وقبض المنقول بالنقل وقبض العقار بالتخلية وقبض ما ابتاعه بشرط
الكيل لا يتم الا بان يكتاله فاما بيع الميراث والوصية والوديعة وما لم يكن الملك حاصلا
فيه بمعاوضة فهو جايز قبل القبض **الركن الثالث** لفظ العقد ولا بد من جريان ايجاب وقبول
متصل به بلفظ دال على المقصود مفهم اما صريح او كناية فلو قال اعطيتك هذا بذاك بدل قوله
بعتك فقال قبلت جاز مهما قصد به البيع فانه قد يحتمل الاعارة اذا كان فى ثوبين او دابتين
والنية ترفع الاحتمال والصريح اقطع للخصومة ولكن الكناية تفيد الملك والحل ايضا فيما يقتضيه
ولا ينبغى ان يقرن بالبيع شرطا على خلاف مقتضى العقد فلو شرط ان يزيد شيا اخر او ان يحمل
المبيع الى داره واشترى الحطب بشرط النقل الى بيته كل ذلك فاسد الا اذا افرد استيجاره
على النقل باجرة معلومة مفردة عن الشرا المنقول ومهما لم يجر بينهما الا المعاطاة بالفعل
دون التلفظ باللسان لم ينعقد عند الشافعى اصلا وانعقد عند ابى حنيفة ان كان فى
المحقرات ثم ضبط المحقرات عسير فان رد الامر الى العادات فقد جاوز الناس المحقرات فى
المعاطاة اذ يتقدم الدلال الى البزاز ياخذ منه ثوب ديباج قيمته عشرة دنانير ويحمله
الى المشترى ويعود اليه بانه استرضاه وارتضاه فيقول له خذ عشرة فياخذ من صاحبه
العشرة ويعود اليه بانه اقتضاه فيسلمها الى البزاز فياخذها ويتصرف فيه ومشترى الثوب
يقطعه ولم يجر بينهما ايجاب وقبول اصلا وكذلك يجتمع المجهزون على حانوت البياع فيعرض متاع

قيمته مائة دينار مثلا فمن يريد يقول هذا على تسعين ويقول الاخر على مائة وتسعين ويقول الآخر بانه فيقول له نعم فيزن ويسلم ويأخذ المتاع من غير ايجاب وقبول وقد استمرت به العادات وهذه من المعضلات التي ليست تقبل العلاج اذ الاحتمالات ثلاثة الاول اما فتح باب المعاطاة مطلقا في الحقير والنفيس وهو محال اذ فيه نقل الملك من غير لفظ دال عليه وقد احل الله البيع والبيع اسم للايجاب والقبول ولم يجر ولا ينطلق اسم البيع على مجرد فعل بتسليم وتسلم فبماذا يحكم بانتقال الملك من الجانبين لا سيما في الجواري والعبيد والعقارات والدواب النفيسة ومما يكثر التنازع فيها اذ للمسلم ان يرجع ويقول قد ندمت وما بعته اذ لم يصدر مني الا مجرد تسليم وذلك ليس ببيع **الاحتمال الثاني** ان نسد الباب كما قال الشافعي من بطلان العقد وفيه اشكال من وجهين احدهما انه يشبه ان يكون ذلك في المحقرات معتادا في زمان الصحابة ولو كانوا يتكلفون الايجاب والقبول مع البقال والخباز والقصاب لثقل عليهم فعله ولنقل ذلك نقلا منتشرا ولكان يشتهر وقت الاعراض عن ذلك بالكلية عن تلك العادة فان الاعصار في مثل هذا تتفاوت والثاني ان الناس الآن قد انهمكوا فيه فلا يشتري الانسان شيئا من الاطعمة وغيرها الا ويعلم ان البائع قد تملكه بالمعاطاة فاي فائدة في تلفظه بالعقد اذا كان الامر كذلك **الاحتمال الثالث** ان يفصل بين المحقرات وغيرها كما قاله ابو حنيفة وعند ذلك يعسر الضبط في المحقرات ويشكل وجه نقل الملك من غير لفظ يدل عليه وقد ذهب ابن سريج المخرج قول للشافعي على وفقه وهو اقرب الاحتمالات الى الاعتدال فلا بأس لو ملنا اليه لمسيس الحاجات ولعموم ذلك بين الخلق ولما يغلب على الظن بان ذلك كان معتادا في الاعصار الاول فاما الجواب عن الاشكالين فهو ان نقول اما الضبط في الفصل بين المحقرات وغيرها فليس علينا تكلفه بالتقدير فان ذلك غير ممكن بل له طرفان واضحان اذ لا يخفى ان شراء البقل وقليل من الفاكهة والخبز واللحم من المعدود في المحقرات التي لا يعتاد فيها الا المعاطاة وطالب الايجاب والقبول فيه يعد مستقصيا ويستبرد تكلفه لذلك ويستثقل وينسب الى انه يقيم الوزن لامر حقير لا وزن له فهذا طرف الحقارة والطرف الثاني الدواب والعبيد والعقارات والثياب النفيسة فذلك مما لا يستبعد تكلف الايجاب والقبول فيها وبينهما اوساط متشابهة يشك فيها هي في محل الشبهة فحق ذي الدين ان يميل فيها الى الاحتياط وجميع ضوابط الشرع فيما يعلم بالعادة كذلك ينقسم الى اطراف واضحة واوساط مشكلة واما الثاني وهو طلب سبب لنقل الملك فهو ان يجعل الفعل باليد اخذا وتسليما سببا اذ اللفظ لم يكن سببا لعينه بل لدلالته وهذا الفعل قد دل على مقصود البيع دلالة مستمرة في العادة وانضم اليه مسيس الحاجة وعادة الاولين واطراد جميع العادات بقبول الهدايا من غير ايجاب وقبول مع التصرف فيها واي فرق بين ان يكون فيه عوض او لا يكون اذ الملك لا بد من نقله في الهبة ايضا الا ان العادة السالفة لم تفرق في الهدايا بين الحقير والنفيس بل كان طلب الايجاب والقبول يستقبح فيه كيف كان وفي البيع لم يستقبح في غير المحقرات هذا ما نراه اعدل الاحتمالات وحق الورع المتدين ان لا يدع الايجاب والقبول للخروج عن شبهة الخلاف ولا ينبغي ان يمتنع بان البائع قد تملكه بغير ايجاب وقبول فان ذلك لا يعرف تحقيقا فربما اشتراه بايجاب وقبول فان كان حاضرا عند شرائه او اقر البائع به فليمتنع منه وليشتر من غيره فان كان الشيء محقرا وهو اليه محتاج فليتلفظ بالايجاب والقبول فانه يستفيد به قطع الخصومة في المستقبل معه اذ الرجوع من اللفظ الصريح غير ممكن ورد الفعل ممكن فان قلت فان امكن هذا فيما يشتريه فكيف يفعل

اذا حضر في ضيافة او على مائدة وهو يعلم ان اصحابها يقتصرون بالمعاطاة في البيع والشراء او سمع منهم ذلك او رآه ايجب عليه الامتناع من الاكل ام لا فاقول يجب عليه الامتناع من الشراء اذا كان ذلك الشيء الذي اشتروه مقدارا نفيسا ولم يكن من المحقرات واما الاكل فلا يجب الامتناع منه فاني اقول ان ترددنا في جعل الفعل دلالة على نقل الملك فلا ينبغي ان يجعله دلالة على الاباحة فان امر الاباحة اوسع وامر نقل الملك اضيق فكل طعام جرى فيه بيع معاطاة فتسليم البائع اذن في الاكل يعلم ذلك بقرينة الحال كاذن الحمامي في دخول الحمام والاذن في الاطعام لمن يريد المشتري فينزل منزلة ما لو قال ابحت لك ان تأكل هذا الطعام او تطعم من اردت فانه يحل له ولو صرح وقال كل هذا الطعام ثم اغرم لي عوضه يحل الاكل ويلزمه الضمان بعد الاكل هذا قياس الفقه عندي ولكنه بعد المعاطاة اكل مالكه ومتلف له فعليه الضمان وذلك في ذمته والثمن الذي سلمه ان كان مثل قيمته فقد ظفر المستحق بمثل حقه فله ان يتملكه مهما عجز عن مطالبة من عليه فان كان قادرا على مطالبته فانما يتملك ما ظفر به من ملكه لانه ربما لا يرضى بتلك العين ان يصرفها الى دينه فعليه المراجعة واما هاهنا فقد عرف رضاه بقرينة الحال عند التسليم فلا يبعد ان يجعل الفعل دلالة على الرضا بان يستوفي دينه مما سلم اليه فيأخذه بحقه لكن على الاحوال كلها جانب البائع اغمض لان ما اخذه فقد يريد المالك فيه ليتصرف ولا يمكنه التملك الا اذا تلف عين طعامه في يد المشتري ثم ربما يفتقر الى استيناف قصد التملك ثم يكون قد تملك بمجرد رضى استفاده من الفعل دون القول فاما جانب المشتري للطعام وهو لا يريد الا الاكل فهين فان كان سامحا بالاباحة المفهومة من قرينة الحال ولكن ربما يلزم من مساق هذا ان الضيف يضمن ما اتلف وانما يسقط الضمان عنه اذا تملك البائع ما اخذ من المشتري فيكون كالمتقاضي دينه والمحتال عنه فهذا ما نراه في قاعدة المعاطاة على غموضها والعلم عند الله وهذه احتمالات وظنون رددناها ولا يمكن بناء الفتوى الا على هذه الظنون واما الورع فانه ينبغي ان يستفتي قلبه ويتقي مواضع الشبه **العقد الثاني** عقد الربا وقد حرمه الله وشدد الامر عليه ويجب الاحتراز منه على الصيارفة المتعاملين على النقدين وعلى المتعاملين على الاطعمة اذ لا ربا الا في نقد او طعام وعلى الصيرفي ان يحترز من النسيئة والفضل اما النسيئة فان لا يبيع شيئا من جواهر النقدين بشيء من جواهر النقدين الا يدا بيد وهو ان يجري التقابض في المجلس وهذا احتراز من النسيئة وتسليم الصيارفة الذهب الى دار الضرب وشراء الدنانير المضروبة به حرام من حيث النساء ومن حيث ان الغالب ان يجري فيه تفاضل اذ لا يرد المضروب بمثل وزنه واما الفضل فليحترز منه في ثلاثة في بيع المكسر بالصحيح فلا تجوز المعاملة فيهما الا مع المماثلة وفي بيع الجيد بالردي فلا ينبغي ان يشتري رديا بجيد دونه في الوزن او يبيع رديا بجيد فوقه في الوزن اعني اذا باع الذهب بالذهب والفضة بالفضة فان اختلف الجنسان فلا حرج في الفضل والثالث في المركبات من الذهب والفضة كالدنانير المخلوطة من الذهب والفضة ان كان مقدار الذهب مجهولا لم تصح المعاملة عليها اصلا الا اذا كان ذلك نقدا جاريا في البلد فانا نرخص في المعاملة عليه اذا لم يقابل بالنقد وكذا الدراهم المغشوشة بالنحاس ان لم يكن رائجة في البلد لم تصح المعاملة عليها لان المقصود منه النقرة وهي مجهولة وان كان نقدا رائجا في البلد رخصنا في المعاملة لاجل الحاجة وخروج النقرة عن ان يقصد استخراجها ولكن لا تقابل بالنقرة اصلا وكذلك كل حلي مركب من ذهب وفضة فلا يجوز شراؤه لا بالذهب ولا بالفضة بل ينبغي ان يشترى بمتاع آخر ان كان قدر الذهب منه معلوما الا اذا كان مموها بالذهب تمويها لا يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار فيجوز بيعها بمثلها من

النقد وبما اريد من غير النقد وكذلك لا يجوز للصيرفي ان يشتري قلادة فيها خرز وذهب بذهب
ولا ان يبيعه بل بالفضة ان لم يكن فيها فضة ولا يجوز شرا ثوب منسوج بذهب يحصل منه ذهب
مقصود عند العرض على النار بذهب ويجوز بالفضة وغيرها واما المتعاملون على الاطعمة فعليهم
التقابض في المجلس اختلف جنس الطعام المبيع بالمشترى او لم يختلف وان اتحد الجنس فعليهم
التقابض ومراعاة المماثلة والمعتاد في هذا معاملة القصاب بان يسلم اليه الغنم ويشتري
به اللحم نقدا او نسية وهو حرام ومعاملة الخباز بان يسلم اليه الحنطة ويشتري به الخبز
نسية او نقدا فهو حرام ومعاملة العصار اذ يسلم اليه الجوز والسمسم والزيتون وغير ذلك
مما يتخذ منه الدهن ليوخذ منه الادهان وهو حرام وكذا اللبان يعطى اللبن ليوخذ منه
الجبن والسمن والزبد وسائر اجزاء اللبن فلا يباع الطعام بغير جنسه الا نقدا وبجنسه
الا نقدا ومتماثلا وكل ما يتخذ من الشي المطعوم فلا يجوز ان يباع به متماثلا او متفاضلا فلا
يباع بالحنطة دقيق وخبز وسويق ولا بالعنب دبس وخل وعصير ولا باللبن سمن وزبد
ومخيض ومصل وجبن والمماثلة لا تفيد اذا لم يكن الطعام في حالة كمال الادخار فلا يباع الرطب
بالرطب والعنب بالعنب متماثلا او متفاضلا فهذه جملة مقنعة في تعريف البيع والتنبيه على ما
يشعر التاجر بمثارات الفساد قد يستفتى فيها اذا شك والتبس عليه واذا لم يعرف هذا
الا اذا لم يتفطن لمواضع السوال واقتحم الربا والحرام وهو لا يدري **العقد الثالث** السلم وليراع
التاجر فيه عشر شروط **الاول** ان يكون راس المال معلوما على مثله حتى لو تعذر تسليم المسلم
فيه امكن الرجوع الى قيمة راس المال فان اسلم كفا من الدراهم جزافا في كر من حنطة لم يصح في
احد القولين الثاني ان يسلم راس المال في مجلس العقد قبل التفرق فلو تفرقا قبل القبض انفسخ
السلم الثالث ان يكون المسلم فيه مما يمكن تعريف اوصافه كالحبوب والحيوانات والمعادن و
القطن والصوف والابريسم والالبان واللحوم ومتاع العطارين واشباهها ولا يجوز في المعجونات
والمركبات وما تختلف اجزاؤه كالقسي المصنوعة والنبل المعمول والخفاف والنعال المختلفة اجزاؤها
وصنعتها وجلود الحيوانات ويجوز السلم في الخبز وما يتطرق اليه من اختلاف قدر الملح والماء
بكثرة الطبخ وقلته يعفى عنه ويتسامح فيه الرابع ان يستقصي وصف هذه الامور القابلة
الوصف حتى لا يبقى وصف تتفاوت فيه القيمة تفاوتا لا يتغابن به الا ذكره فان ذلك هو
القائم مقام الرؤية في البيع الخامس ان يجعل الاجل معلوما ان كان موجلا فلا يوجل الى الحصاد والى
ادراك الثمار بل الى الاشهر والايام فان الادراك قد يتقدم ويتاخر السادس ان يكون المسلم فيه
مما يقدر على تسليمه وقت المحل ويومن فيه وجوده وعدمه غالبا فلا ينبغي ان يسلم في العنب الى
اجل لا يدرك فيه وكذا سائر الفواكه فان كان الغالب وجوده وجاء المحل وعجز عن التسليم بسبب آفة
فله ان يمهله ان شاء او يفسخ ويرجع في راس المال ان شاء السابع ان يذكر مكان التسليم فيما
تختلف الغرض به كيلا يثير ذلك نزاعا الثامن ان لا يعلقه بمعين فيقول من حنطة هذا البلد
وثمرة هذا البستان فان ذلك يبطل كونه دينا نعم لو اضاف الى ثمرة بلد او قرية كبيرة لم يضر
ذلك التاسع ان لا يسلم في شي نفيس عزيز الوجود مثل درة موصوفة يعز مثلها او جارية
حسنا معها ولدها او غير ذلك مما لا يقدر عليه غالبا العاشر ان لا يسلم في طعام مهما كان
راس المال طعاما سواء كان من جنسه او لم يكن ولا يسلم في نقد اذا كان راس المال نقدا
وقد ذكرنا هذا في الربا **العقد الرابع الاجارة** ولها ركنان الاجرة والمنفعة فاما العاقد
واللفظ فيعتبر فيه ما ذكرناه في البيع والاجرة كالثمن فينبغي ان يكون معلوما وموصوفا بكل ما
شرطناه في المبيع ان كان عينا وان كان دينا فينبغي ان يكون معلوم الصفة والقدر وليحترز فيه

عن الغبن فيجوز الاستيجار عليه وجعالة وفروع هذا الباب تندرج تحت هذه الرابطة ولكنا
لا نطول بشرحها فقد طولنا القول فيها في الفقهيات وانما نشير الى ما يعم به البلوى فليراع في
العمل المستاجر عليه امور خمسة الاول ان يكون متقوما بان يكون فيه كلفة وتعب فلو استاجر
طعامه ليزين به الدكان او اشجاره ليجفف عليها الثياب او دراهمه ليزين بها الدكان لم يجز فان هذه
المنافع تجري مجرى حبة سمسم وبر من الاعيان وذلك لا يجوز بيعها وهذا لو استاجر بياعا على ان
يتكلم بكلمة يروج بها سلعته لم يجز وما ياخذه البياعون عوضا عن جاههم وحشمتهم وقبول
قولهم في ترويج السلع فهو حرام اذ ليس يصدر منهم الا كلمة لا تعب فيها ولا قيمة لها وانما
يحل لهم ذلك اذا تعبوا اما بكثرة التردد واما بكثرة الكلام في تاليف امر المعاملة ثم لا يستحقون الا
اجرة المثل فاما ما تواطأ عليه الباعة فهو ظلم وليس ماخوذا بالحق الثاني ان لا يتضمن الاجارة
استيفاء عين مقصودة فلا يجوز اجارة الكروم لارتفاعها ولا اجارة المواشي للبنها ولا اجارة البساتين
لثمارها ويجوز استيجار المرضعة ويكون اللبن تابعا لان افراده غير ممكن وكذا يتسامح بحبر
الوراق وخيط الخياط لانهما لا يقصدان على حيالهما الثالث ان يكون العمل مقدورا على تسليمه
حسا وشرعا فلا يصح استيجار الضعيف على عمل لا يقدر عليه ولا استيجار الاخرس على التعليم
وغيره وما يحرم فعله فالشرع يمنع من تسليمه كالاستيجار على قلع سن سليمة او قطع عضو
لا يرخص الشرع في قطعه واستيجار الحائض على كنس المسجد والمعلم على تعليم السحر والفحش
او استيجار زوجة الغير على الارضاع دون اذن زوجها او استيجار المصور على صور الحيوانات
او استيجار الصائغ على صنعة الاواني من الذهب والفضة فكل ذلك باطل الرابع ان لا
يكون العمل واجبا على الاجير او بحيث لا تجري النيابة فيها عن المستاجر فلا يجوز اخذ الاجرة
على الجهاد وعلى سائر العبادات التي لا نيابة فيها اذ لا يقع ذلك عن المستاجر ويجوز عن الحج
وغسل الميت وحفر القبور ودفن الموتى وحمل الجنائز وفي اخذ الاجرة على امامة صلاة
التراويح وعلى الاذان وعلى التصدي للتدريس او اقراء القران خلاف اما الاستيجار على
تعليم مسئلة بعينها او تعليم سورة بعينها لشخص معين فصحيح الخامس ان يكون العمل والمنفعة
معلوما فالخياط يعرف عمله بالثوب والمعلم يعرف عمله بتعيين السورة ومقدارها وحمل الدواب
يعرف بمقدار المحمول وبمقدار المسافة وكل ما يثير خصومة في العادة فلا يجوز اهماله وان
تفصيل ذلك يطول وانما ذكرنا هذا القدر ليعرف به جليات الاحكام ويتفطن به لمواقع الاشكال
فيسال فان الاستقصاء شان المفتي لا شان العوام **العقد الخامس القراض** وليراع فيه ثلاثة
اركان الركن الاول راس المال وشرطه ان يكون نقدا معلوما ومسلما الى العامل فلا يجوز القراض
على الفلوس وعلى العروض فان التجارة تضيق فيه ولا يجوز على صرة من الدراهم لان قدر
الربح لا يتبين فيه ولو شرط المالك اليد لنفسه لم يجز لانه يضيق طريق التجارة الركن الثاني
الربح وليكن معلوما بان يشرط له الثلث او النصف وما شاء فلو قال على ان لك من الربح
مائة والباقي لي لم يجز اذ ربما لا يكون الربح اكثر من مائة فلا يجوز تقديره بمقدار معين
بل بمقدار شايع الثالث العمل الذي على العامل وشرطه ان لا تكون تجارة غير مضيقة عليه
بتعيين وتاقيت فلو شرط ان يشتري بالمال ماشية ليطلب نسلها فيتقاسمان النسل
او حنطة فيخبزها ويتقاسمان الربح لا يصح لان القراض ماذون فيه في التجارة وهو البيع
والشراء وما يقع من ضروراتهما فقط فهذه حرفة من الخبز ورعاية المواشي ولو ضيق عليه
وشرط ان لا يشتري الا من فلان او لا يتجر الا في الخز الاحمر او شرط ما يضيق باب التجارة

فسخ العقد ثم مهما انفسخ فالعامل وكيل يتصرف بالغبطة تصرف الوكلاء ومهما أراد المالك الفسخ
فله ذلك فإذا فسخ في حالة والمال كله نقد لم يخف وجه القسمة وإن كان عروضاً ولا ربح فيه رد عليه
ولم يكن للمالك تكليفه أن يرده إلى النقد لأن العقد قد انفسخ وهو لم يلتزم شيئاً وإن قال العامل أبيعه
وأبى المالك البيع فالمتبوع رأي المالك إلا إذا وجد العامل زبوناً يظهر بسببه ربح على رأس المال
ومهما كان ربح فعلى العامل بيع مقدار رأس المال بجنس رأس المال لا بنقد آخر حتى يتميز الفاضل
ربحاً فيشتركان فيه وليس عليه بيع الفاضل على رأس المال ومهما كان رأس السنة فعليهم تعرف قيمة
المال لأجل الزكاة فإذا كان قد ظهر من الربح شيء فالأقيس أن زكوة نصيب العامل على العامل وأنه
يملك الربح بالظهور وليس للعامل أن يسافر بمال القراض دون إذن المالك فإن فعل صح تصرفاً
ولكنه ضمن الأعيان والأثمان جميعاً لأن عدوانه بالنقل يتعدى إلى ثمن المنقول وإن سافر بالإذن جاز
ونفقة النقل وحفظ المال على مال القراض كما أن نفقة الوزن والكيل والحمل الذي لا يعتاد التاجر مثله
على رأس المال فأما نشر الثوب وطيه والعمل اليسير المعتاد فليس له أن يبذل عليه أجرة وعلى العامل
أيضاً نفقته وسكناه في البلد وليس ذلك عليه أجرة الحانوت ومهما تجرد في السفر
لمال القراض فنفقته في السفر على مال القراض الذي بيده وقدرناه فإذا رجع فعليه أن يرد
بقايا آلات السفر من المطهرة والسفرة وغيرهما كما مر في الباب الذي تقدم والله تعالى أعلم

العقد السادس الشركة وهي أربعة أنواع ثلاثة منها باطلة الأول الأول شركة المفاوضة وهو
أن يقولا تفاوضنا لنشترك في كل مالنا وعلينا ومالاهما متمايزان وهي باطلة الثانية شركة الأبدان
وهو أن يتشارطا الاشتراك في أجرة العمال الثالثة شركة الوجوه وهو أن يكون لأحدهما حشمة وقول
مقبول فيكون من جهته التنفيذ ومن جهة غيره العمل وإنما الصحيح الرابعة المسماة شركة العنان
وهو أن يختلطا مالاهما بحيث يتعذر التمييز إلا بقسمة ويأذن كل واحد منهما لصاحبه في التصرف
ثم حكمهما توزيع الربح والخسران على قدر المالين ولا يجوز أن يعين ذلك بالشرط ثم بالعزل يمتنع التصرف
على المعزول وبالقسمة ينفصل الملك عن المالك والصحيح أنه يجوز عقد الشركة على العروض المشتركة
ولا يشترط النقد بخلاف القراض فهذا العقد من علم الفقه بخلاف الغرض يجب تعلمه على كل مكتسب وإلا
اقتحم الحرام من حيث لا يدري وأما معاملة القصاب والخباز والبقال فلا يستغني عنه المكتسب وغيره
والخلل فيه من ثلاثة وجوه من إهمال شروط البيع وإهمال شروط السلم والاقتصار على المعاطاة إذ
العادات جارية بكتب الخطوط على هؤلاء بحاجات كل يوم ثم المحاسبة في كل مدة ثم التقويم بحسب ما يقع
عليه التراضي وذلك مما يرى القضاء بإباحته للحاجة ويحمل تسليمهم على إباحة التناول مع انتظار
العوض فيحل الأكل ولكن يجب الضمان بالأكل ويلزمه قيمته يوم الإتلاف فيجتمع في الذمة تلك
القيم فإذا وقع التراضي على مقدار فينبغي أن يلتمس منهم الإبراء المطلق حتى لا يبقى عهدة إن تطرق
إليه تفاوت في التقويم فهذا عيب القناعة به فإن تكليف وزن الثمن لكل واحد من الحوائج في كل يوم
وكل ساعة تكاليف شطط وكذا تكليف الإيجاب والقبول وتقدير ثمن كل قدر يسير منه فيه عسير
وإذا ذكر كل نوع سهل تقويمه

الباب الثالث في بيان العدل واجتناب الظلم في المعاملة

اعلم أن المعاملة قد تجري على وجه يحكم المفتي بصحتها وانعقادها ولكنها
تشتمل على ظلم يتعرض به المعامل لسخط الله إذ ليس كل نهي مقتضياً فساد العقد وهذا الظلم نعني
به ما يستضر به الغير وهو ينقسم إلى ما يعم ضرره وإلى ما يخص المعامل القسم الأول فيما يعم ضرره وهو
أنواع **الأول** الاحتكار فبائع الطعام يدخر الطعام ينتظر به غلاء الأسعار وهو ظالم عام وصاحبه
مذموم في الشرع **قال** رسول الله صلى الله عليه وسلم من احتكر الطعام أربعين يوماً ثم تصدق
به لم تكن صدقته كفارة لاحتكاره **وروى** ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من احتكر

الطعام أربعين يوماً فقد برئ من الله وبرئ الله منه وقيل فكأنما قتل الناس وعن علي رضي الله عنه
من احتكر الطعام أربعين يوماً قسا قلبه وعنه أنه أحرق طعام محتكر بالنار وروي في فضل
ترك الاحتكار عنه صلى الله عليه وسلم من جلب طعاماً فباعه بسعر يومه فكأنما تصدق به وفي لفظ آخر
فكأنما أعتق رقبة وقيل في قوله تعالى ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم أن الاحتكار من
الظلم وداخل تحته في الوعيد وعن بعض السلف أنه كان بواسط فجهز سفينة حنطة إلى البصرة
وكتب إلى وكيله بع هذا الطعام يوم تدخل البصرة ولا تؤخره إلى غد فوافق سعة في السعر فقال له التجار
إن أخرته جمعة ربحت فيه أضعافه فأخره جمعة فربح فيه أمثاله وكتب إلى صاحبه بذلك فكتب إليه
صاحب الطعام يا هذا إنا كنا قنعنا بربح يسير مع سلامة ديننا وإنك قد خالفت وما نحب أن نربح
أضعافه بذهاب شيء من الدين وقد جنيت علينا جناية فإذا أتاك كتابي هذا فخذ المال كله فتصدق
به على فقراء البصرة وليتني أنجو من إثم الاحتكار كفافاً لا علي ولا لي **واعلم** أن النهي مطلق ويتعلق
النظر به في الوقت والجنس أما الجنس فيطرد النهي في أجناس الأقوات أما ما ليس بقوت ولا معين على
القوت كالأدوية والعقاقير والزعفران وأمثاله فلا يتعدى النهي إليه وإن كان مطعوماً وأما
ما يعين على القوت كاللحم والفواكه وما يسد مسداً يغني عن القوت في بعض الأحوال وإن كان
لا يمكن المداومة عليه فهذا في محل النظر فمن العلماء من طرد التحريم في السمن والعسل والشيرج
والجبن والزيت وما يجري مجراه وأما الوقت فيحتمل أيضاً طرد النهي في جميع الأوقات وعليه تدل
الحكاية التي ذكرناها في الطعام الذي صادف في البصرة سعة في السعر ويحتمل أن يخصص بوقت
قلة الأطعمة وحاجة الناس إليه حتى يكون في تأخير بيعه ضرر ما فأما إذا اتسعت الأطعمة
وكثرت واستغنى عنها ولم يرغبوا فيها إلا بقيمة قليلة فانتظر صاحب الطعام ذلك ولم ينتظر
قحطاً فليس في هذا إضرار وإذا كان الزمان زمان قحط كان في ادخار العسل والسمن
والشيرج وأمثالها إضرار فينبغي أن يقضى بتحريمه ويعول في نفي التحريم وفي إثباته على
الضرار فإنه مفهوم قطعاً من تخصيص الطعام وإذا لم يكن إضرار فلا يخلو احتكار الأقوات
عن كراهية لأنه ينتظر مبادي الضرار وهو ارتفاع الأسعار وانتظار مبادي الضرار محذور
كانتظار عين الضرار ولكنه دونه وانتظار عين الضرار أيضاً هو دون الإضرار فبقدر درجات
الإضرار تتفاوت درجات الكراهية والتحريم وبالجملة التجارة في الأقوات مما لا يستحب
لأنه طلب ربح والأقوات أصول خلقت قواماً والربح من المزايا فينبغي أن يطلب فيما خلقت
من جملة المزايا التي لا ضرورة للخلق إليها ولذلك أوصى بعض التابعين رجلاً وقال لا تسلم ولدك
في بيعتين ولا في صنعتين بيع الطعام وبيع الأكفان فإنه يتمنى الغلاء وموت الناس والصنعتين
أن يكون جزاراً فإنها صنعة تقسي القلب أو صواغاً فإنه يزخرف الدنيا بالذهب والفضة والنوع
الثاني ترويج الزيف من الدراهم في أثناء النقد فهو ظلم إذ لم يعرف وإن عرف فسيروجه على
غيره وكذلك الثالث والرابع ولا يزال يتردد في الأيدي ويعم الضرر ويتسع الفساد ويكون
وزر الكل ووباله راجعاً إليه فإنه الذي فتح ذلك الباب **قال** رسول الله صلى الله عليه وسلم
من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ومثل وزر من عمل بها لا ينقص من
أوزارهم شيئاً وقال بعضهم إنفاق درهم زيف أشد من سرقة مائة درهم لأن السرقة
معصية واحدة وقد تمت وانقطعت وإنفاق الزيف بدعة أظهرها في الدين وسنة سيئة
يعمل بها من بعده فيكون عليه وزرها بعد موته إلى مائة سنة أو مائتي سنة إلى أن
يفنى ذلك الدرهم ويكون عليه ما فسد ونقص من أموال الناس بسببه فطوبى لمن إذا مات
ماتت معه ذنوبه والويل الطويل لمن يموت وتبقى ذنوبه مائة سنة ومائتي سنة يعذب بها

في قبره ويسأل عنها الى آخر انقراضها قال تعالى ونكتب ما قدموا وآثارهم اى نكتب
ايضا ما اخروه من آثار اعمالهم كما نكتب ما قدموه وفيه مثل قوله تعالى ينبأ الانسان يومئذ
بما قدم واخر وانما اخر آثار اعماله من سنة سيئة سنها عمل بها غيره وليعلم ان في
الزيوف ثلاثة امور الاول انه اذا رد عليه شىء منها فينبغى ان يطرحه في بئر بحيث لا تمتد اليه
اليد واياه ان يروجه في بيع آخر وان افسده بحيث لا يمكن التعامل به جاز الثاني
انه يجب على التاجر تعلم النقد لا ليستقصى لنفسه ولكن لئلا يسلم الى مسلم زيفا وهو لا
يدرى فيكون آثما بتقصيره في تعلم ذلك العلم فلكل عمل علم به يتم نصح المسلمين فيجب تحصيله
ولمثل هذا كان بعض السلف يتعلم علامات النقد نظرا لدينهم لا لدنياهم الثالث انه ان
سلم وعرف المعامل انه زيف لم يخرج عن الاثم لانه ليس يأخذه الا ليروجه على غيره ولا يخبره
ولو لم يعزم على ذلك لكان لا يرغب في اخذه اصلا فانما يتخلص من اثم الضرر الذى يخص معامله
فقط الرابع انه ان اخذ الزيف ليعمل بقوله عليه السلام رحم الله عبدا سهل البيع سهل الشراء سهل
القضاء وسهل الاقتضاء فهو داخل في بركة هذا الدعاء ان عزم على طرحه في بئر وان كان عازما
على ان يروجه في معاملة فهذا شر روجه الشيطان عليه في معرض خير فلا يدخل تحت من
تساهل في الاقتضاء الخامس ان الزيف نعنى به ما لا نقرة فيه اصلا بل هو مموه او ما لا
ذهب فيه اعنى في الدنانير اما ما فيه نقرة فان كان مخلوطا بالنحاس وهو نقد البلد
فقد اختلف العلماء في المعاملة عليه وقد رأينا الرخصة فيه اذا كان ذلك نقد البلد سواء
علم مقدار النقرة او لم يعلم وان لم يكن هو نقد البلد لم يجز الا اذا علم قدر النقرة فان كان
في ماله قطعة نقرتها ناقصة عن نقد البلد لم يجز الا اذا علم قدر النقرة فعليه ان يخبر
به معامله وان لا يعامل به الا من لا يستحل الترويج في جملة النقد بطريق التلبيس فاما
من يستحل ذلك فتسليمه اليه تسليط له على الفساد فهو كبيع العنب ممن يعلم انه يتخذ منه
الخمر وذلك اعانة على الشر ومشاركة فيه وسلوك طريق الحق بامثال هذا في التجارة اشد
من المواظبة على نوافل العبادات والتخلى لها فلذلك قال بعضهم التاجر الصدوق افضل من
المتعبد وقد كان السلف يحتاطون في مثل ذلك حتى روى عن بعض الغزاة في سبيل الله انه قال
حملت على فرسى لاقتل علجا فقصر بي فرسى فرجعت ثم دنا منى العلج فحملت عليه ثانية فقصر
فرسى ثم حملت الثالثة فنفر منى فرسى وكنت لا اعتاد ذلك منه فرجعت حزينا وجلست
منكس الرأس منكسر القلب لما فاتنى من العلج وما ظهر لى من خلق الفرس فوضعت رأسى
على عمود الفسطاط وفرسى قائم فرأيت في النوم كأن الفرس يخاطبنى ويقول لى بالله عليك
اردت ان تأخذ العلج ثلاث مرات وانت بالامس اشتريت لى علفا ودفعت في ثمنه
درهما زائفا لا يكون هذا ابدا قال فانتبهت فزعا فذهبت الى العلاف وابدلت ذلك
الدرهم فهذا مثال ما يعم ضرره وليقس عليه امثاله القسم الثاني ما يخص ضرره المعامل
فكل ما يستضر به المعامل فهو ظلم وانما العدل ان لا يضر باخيه المسلم والضابط الكلى فيه
ان لا يحب له الا ما يحب لنفسه فكل ما لو عومل به لشق عليه وثقل على قلبه فينبغى ان
لا يعامل غيره به بل ينبغى ان يستوى عنده درهمه ودرهم غيره وقال بعضهم من باع
اخاه شيئا بدرهم وليس يصلح له لو اشتراه لنفسه الا بخمسة دوانيق فانه ترك النصح المأمور به
في المعاملة ولم يحب لاخيه ما يحب لنفسه هذه جملته فاما تفصيله ففى اربعة امور ان لا يثنى
على السلعة بما ليس فيها وان لا يكتم من عيوبها وخفايا صفاتها شيئا اصلا وان لا يكتم
في وزنها ومقدارها شيئا وان لا يكتم من سعرها ما لو عرفه المعامل لامتنع عنه اما الاول

فهو ترك الثناء فان وصفه للسلعة ان كان بما ليس فيها فهو كذب فان قبل المشترى ذلك فهو تلبيس وظلم
مع كونه كذبا وان لم يقبل فهو كذب واسقاط مروءة اذ الكذب الذى يروج قد لا يقدح في
ظاهر المروءة وان اثنى على السلعة بما فيها فهو هذيان وتكلم بكلام لا يعنيه وهو محاسب على
كل كلمة تصدر منه لانه لم يتكلم بها قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد الا
ان يثنى على السلعة بما فيها مما لا يعرفه المشترى ما لم يذكره كما يصفه من خفى اخلاق العبيد و
الجوارى والدواب فلا بأس بذكر القدر الموجود منه من غير مبالغة واطناب وليكن قصده منه
ان يعرفه اخوه المسلم فيرغب فيه وتنقضى بسببه حاجته ولا ينبغى ان يحلف عليه البتة فانه ان
كان كاذبا فقد جاء باليمين الغموس وهى من الكبائر التى تذر الديار بلاقع وان كان صادقا فقد
جعل الله عرضة لايمانه وقد اساء فيه اذ الدنيا اخس من ان يقصد ترويجها بذكر اسم الله تعالى
من غير ضرورة وفي الخبر ويل للتاجر من بلى والله ولا والله وويل للصانع من غد وبعد غد
وفي الخبر اليمين الكاذبة منفقة للسلعة ممحقة للبركة وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة عتل مستكبر ومنان بعطيته ومنفق سلعته بيمينه
واذا كان الثناء على السلعة مع الصدق مكروها من حيث انه فضول لا يزيد في الرزق فلا يخفى
التغليظ في امر اليمين وقد روى عن يونس بن عبيد وكان خزازا انه طلب منه خز للشراء فاخرج
غلامه سفط الخز ونشره ونظر اليه وقال اللهم ارزقنا الجنة فقال لغلامه رده الى موضعه
ولم يبعه وخاف ان يكون ذلك تعريضا بالثناء على السلعة فمثل هؤلاء هم الذين اتجروا في الدنيا
ولم يضيعوا دينهم في تجارتهم بل علموا ان ربح الآخرة اولى بالطلب من ربح الدنيا الثاني
ان يظهر جميع عيوب المبيع خفيها وجليها ولا يكتم منها شيئا فذلك واجب فان اخفاه كان ظالما
غاشا والغش حرام وكان تاركا للنصح في المعاملة والنصح واجب ومهما اظهر احسن الوجهين للثوب
واخفى الثاني كان غاشا وكذلك اذا عرض الثياب في المواضع المظلمة ويدل على تحريم الغش
ما روى انه صلى الله عليه وسلم مر برجل يبيع طعاما فاعجبه فادخل يده فرأى بللا فقال ما هذا
فقال اصابته السماء فقال فهلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من غشنا فليس منا ويدل
على وجوب النصح باظهار العيوب ما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما بايع جريرا على الاسلام
ذهب لينصرف فجذب ثوبه واشترط عليه النصح لكل مسلم فكان جرير اذا قام الى السلعة
يبيعها بصر عيوبها ثم خيره وقال ان شئت فخذ وان شئت فاترك فقيل له انك ان
فعلت هذا لم ينفذ لك بيع فقال انا بايعنا رسول الله على النصح لكل مسلم وكان واثلة بن الا
سقع
واقفا فباع رجل ناقة له بثلثمائة درهم وغفل واثلة وقد ذهب الرجل بالناقة فسعى وراءه
وجعل يصيح به ويقول يا هذا اشتريتها للحم او للظهر فقال بل للظهر فقال ان بخفها نقبا
قد رأيته وانها لا تتابع السير فعاد فردها فنقصها البائع مائة درهم وقال لواثلة رحمك
الله افسدت على بيعى فقال انا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم
وقال سمعت رسول الله يقول لا يحل لاحد يبيع بيعا الا يبين ما فيه ولا يحل لمن يعلم ذلك
الا تبيينه فقد فهموا من النصح ان لا يرضى لاخيه الا ما يرضاه لنفسه ولم يعتقدوا ان ذلك
من الفضائل وزيادة المقامات بل اعتقدوا انه من شروط الاسلام الداخلة تحت بيعتهم
وهذا امر يشق على اكثر الخلق فلذلك يختارون التخلى للعبادة والاعتزال عن الناس لان
القيام بحقوق الله مع المخالطة والمعاملة مجاهدة لا يقوم بها الا الصديقون ولن يتيسر ذلك
على العبد الا بان يعتقد امرين احدهما ان تلبيسه العيوب وترويجه السلع لا يزيد

في ورقة بالحصة ويذهب ببركته وما يجمعه من متفرقات التلبيسات يهلكه الله دفعة واحدة
فقد حكي ان واحدا كان له بقرة يحلبها ويخلط بلبنها الماء ويبيع فجاء سيل فغرق البقرة
فقال بعض صبيانه ان تلك المياه المتفرقة التي صببناها في اللبن اجتمعت دفعة واحدة
واخذت البقرة كيف وقد قال صلى الله عليه وسلم البايعان اذا صدقا ونصحا بورك لهما في
بيعهما فاذا كتما وكذبا نزعت بركة بيعهما وفي الحديث يد الله على الشريكين ما لم يتخاونا
فاذا تخاونا رفع يده عنهما فاذن لا يزيد مال من خيانة كما لا ينقص من صدقة ومن لا يعرف
الزيادة والنقصان بالميزان لم يصدق بهذا الحديث ومن عرف ان الدرهم الواحد قد يبارك
فيه حتى يكون سببا لسعادة الانسان في الدنيا والدين والالاف المؤلفة قد ينزع الله البركة
منها حتى تكون سببا لهلاك مالكها بحيث يتمنى الافلاس منها ويراه اصلح له في بعض احواله
فيعرف معنى قولنا ان الخيانة لا تزيد في المال والصدقة لا تنقص منه والمعنى الثاني الذي
لا بد من اعتقاده ليتم له النصح ويتيسر عليه ان يعلم ان ربح الاخرة وغناها خير من ربح الدنيا
وان فوائد اموال الدنيا تنقضي بانقضاء العمر وتبقى مظالمها واوزارها فكيف يستجيز
الانسان ان يستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير والخير كله في سلامة الدين قال عليه السلام
لا تزال لا اله الا الله تدفع عن الخلق سخط الله ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على اخرتهم وفي
لفظ اخر ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم بسلامة دينهم فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله
قال الله كذبتم لستم بها صادقين وفي الحديث من قال لا اله الا الله مخلصا دخل
الجنة قيل وما اخلاصها قال ان تحجزه عما حرم الله وقال ايضا ما امن بالقران من استحل
محارمه ومن علم ان هذه الامور قادحة في ايمانه وان ايمانه راس ماله المعد لعمر لا اخر له لم يضيع راس ماله بسبب ربح
ينتفع به اياما معدودة وعن بعض التابعين انه قال لو دخلت الجامع وقيل لي من خير
هؤلاء وهو غاص باهله لقلت من انصحهم لهم فاذا قالوا هذا قلت هو خيرهم واذا قالوا من
شرهم قلت من اغشهم لهم فاذا قيل هذا قلت هو شرهم والغش حرام في البيوع والصنايع
جميعا فلا ينبغي ان يتهاون الصانع بعمله على وجه لو عامله به غيره لما ارتضاه لنفسه
بل ينبغي ان يحسن الصنعة ويحكمها ثم يبين عيبها ان كان فيها عيب وسال رجل ابن سالم
فقال كيف لي ان اسلم في بيع النعال فقال اجعل الوجهين سوا ولا تفضل اليمنى على الاخرى
وجود الحشو وليكن شيئا واحدا تاما وقارب بين الخرز ولا تطبق احدى النعلين على الاخرى
ومن هذا الفن ما سيل عنه احمد من الرفو بحيث لا يتبين قال لا يجوز لمن يبيعه ان يخفيه
وانما يحل للرفا اذا علم انه يظهره او انه لا يريده للبيع فان قلت فلا تتم المعاملة مهما
وجب على الانسان ان يذكر عيوب المبيع فاقول ليس كذلك اذ شرط التاجر ان لا
يشتري للبيع الا الجيد الذي يرتضيه لنفسه لو امسكه ثم يقنع في بيعه بربح يسير
فيبارك الله له فيه ولا يحتاج الى التلبيس وانما تعذر هذا لانهم لا يقنعون بالربح اليسير
وليس يسلم الكثير الا بتلبيس فمن تعود هذا لم يشتر المعيب فان وقع في يده معيب
نادرا فليذكره وليقنع بقيمته وباع ابن سيرين شاة فقال للمشتري ابرا اليك
من عيب فيها انها تقلب العلف برجلها وباع الحسن بن صالح جارية فقال للمشتري
انها تنخمت مرة عندنا دما فهكذا كانت سيرة اهل الدين فمن لا يقدر عليه فليترك المعاملة
او ليوطن نفسه على عذاب الاخرة الثالث ان لا يكتم في المقدار وذلك بتعديل الميزان و
الاحتياط فيه وفي الكيل فينبغي ان يكيل كما يكتال له قال تعالى ويل للمطففين الذين اذا

اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون ولا يخلص من هذا الا بان
يرجح اذا اعطى وينقص اذا اخذ اذ العدل الحقيقي قلما يتصور فليستظهر بظهور الزيادة
والنقصان فان من استقصى حقه بكماله يوشك ان يتعداه وكان بعضهم يقول
لا اشتري الويل من الله بحبة فكان اذا اخذ نقص نصف حبة واذا اعطى زاد حبة
وكان يقول ويل لمن باع بحبة جنة عرضها السموات والارض وما اخسر من باع طوبى
بويل وانما بالغوا في الاحتراز منه لانها مظالم لا يمكن التوبة منها اذ لا يعرف اصحاب الحبات
حتى يجمعهم ويؤدي حقوقهم ولذلك لما اشترى رسول الله شيا قال للوزان لما كان
يزن ثمنه زن وارجح ونظر فضيل الى ابنه وهو يغسل دينارا يريد ان يصرفه ويزيل تكحيله
وينقيه حتى لا يزيد وزنه بسببه فقال يا بني فعلك هذا افضل من حجتين وعشرين عمرة
وقال بعض السلف عجبت للتاجر كيف ينجو يزن ويحلف بالنهار وينام بالليل وقال
سليمان صلوات الله وسلامه عليه لابنه كما تدخل الحبة بين الحجرين كذلك تدخل الخطيئة بين
المتبايعين وصلى بعض الصالحين على مخنث فقيل له انه كان فاسقا فسكت فاعيد فقال كانك
قلت لي كان صاحب ميزانين يعطي باحدهما وياخذ بالاخر اشار به الى ان فسقه مظلمة بينه وبين
الله وهذا من مظالم العباد والمسامحة والعفو فيه ابعد والتشديد في امر الميزان عظيم والخلاص منه
يحصل بحبة ونصف حبة وفي قراءة عبد الله بن مسعود ولا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن باللسان
ولا تخسروا الميزان اي لسان الميزان فان النقصان والرجحان يظهر بميله وبالجملة كل من ينتصف لنفسه
من غيره ولو في كلمة ولا ينصف بمثل ما ينتصف فهو داخل تحت قوله تعالى ويل للمطففين الذين اذا
اكتالوا على الناس يستوفون فان تحريم ذلك في الكيل ليس لكونه كيلا بل لكونه امرا مقصودا ترك
العدل والنصفة فيه فهو جار في جميع الاعمال فصاحب الميزان في خطر الويل وكل مكلف فهو
صاحب موازين في افعاله واقواله وخطراته فالويل له ان عدل عن العدل ومال عن الاستقامة
ولولا تعذر هذا واستحالته لما ورد قوله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا
فلا ينفك عبد ليس معصوما عن الميل عن الاستقامة الا ان درجات الميل تتفاوت تفاوتا
عظيما فلذلك تتفاوت مدة مقامهم في النار الى اوان الخلاص حتى لا يبقى بعضهم الا بقدر تحلة
القسم ويبقى بعضهم الف والوف سنين في النار فنسال الله ان يقربنا الى الاستقامة والعدل
فان الاشتداد على متن الصراط المستقيم من غير ميل غير مطموع فيه فانه ادق من الشعر واحد
من السيف ولولاه لكان المستقيم عليه لا يقدر على جواز الصراط الممدود على متن النار الذي
من صفته انه ادق من الشعر واحد من السيف وبقدر الاستقامة على الصراط المستقيم يخف العبد
يوم القيمة على الصراط وكل من خلط بالطعام ترابا ثم كاله فهو من المطففين في الكيل وكل قصاب
وزن مع اللحم عظما لم تجر العادة بمثله فهو من المطففين في الوزن وقس على هذا سائر
التقديرات حتى في الذرع الذي يتعاطاه البزاز فانه اذا اشترى الثوب في وقت الذرع لم يرخه
مدا واذا باعه مده في الذرع ليظهر تفاوت في القدر فكل ذلك من التطفيف المعرض صاحبه للويل
الرابع ان يصدق في سعر الوقت ولا يخفي منه شيا فقد نهى رسول الله عن تلقي الركبان وهو ان
يستقبل الرفقة ويتلقى المتاع ويكذب في سعر البلد فقد قال صلى الله عليه وسلم لا تتلقوا
الركبان ومن تلقاها فصاحب السلعة بالخيار بعد ان يقدم السوق وهذا الشرا منعقد
ولكنه ان ظهر كذبه ثبت للبايع الخيار وان كان صادقا ففي الخيار خلاف لتعارض عموم الخبر مع

ذلك التلبيس وقد نهى عليه الصلاة والسلام ان يبيع حاضر لباد وهو ان يقدم البدوي البلد ومعه قوت يريد ان يتسارع الى بيعه فيقول له الحضري اترك عندي حتى اغالي في ثمنه وانتظر ارتفاع سعره وهذا في القوت محرم وفي سائر السلع خلاف والاظهر تحريمه لعموم النهي لانه تاخير للتضييق على الناس على الجملة من غير فائدة للفضولي المضيق ونهى عن النجش وهو ان يتقدم الى البايع بين يدي الراغب المشتري ويطلب السلعة بزيادة وهو لا يريدها انما يريد تحريك رغبة المشتري فيها فهذا ان لم يجر مواطاة مع البايع فهو فعل حرام من صاحبه والبيع منعقد وان جرى مواطاة ففي ثبوت الخيار خلاف والاولى اثبات الخيار لانه تغرير بفعل يضاهي التغرير في المصراة وتلقي الركبان فهذه المناهي تدل على انه لا يجوز ان يلبس على البايع والمشتري سعر الوقت ويكتم منه امرا لو علمه لما اقدم على العقد بالنجش ففعل هذا من الغش الحرام المضاد للنصح الواجب وقد حكي عن رجل من التابعين انه كان بالبصرة له غلام بالسوس يجهز اليه السكر فكتب اليه غلامه ان قصب السكر قد اصابته آفة في هذه السنة فاشتر السكر قال فاشترى سكرا كثيرا فلما جاء وقته ربح فيه ثلاثين الفا فانصرف الى منزله فافكر ليلته فقال ربحت ثلاثين الفا وخسرت نصح رجل من المسلمين فلما اصبح غدا الى بايع السكر فدفع اليه ثلاثين الفا وقال بارك الله لك فيها فقال ومن اين صارت لي فقال اني كتمتك حقيقة الحال وكان السكر قد غلا في ذلك الوقت فقال رحمك الله قد اعلمتني الآن وقد طيبتها لك قال فرجع بها الى منزله وتفكر وبات ساهرا وقال ما نصحته فلعله استحيا مني فتركها لي فبكر اليه من الغد وقال عافاك الله خذ مالك اليك فهو اطيب لقلبي فاخذ منه ثلاثين الفا فهذه الاخبار في المناهي والحكايات تدل على انه ليس له ان يغتنم فرصة وينتهز غفلة صاحب المتاع ويخفي من البايع غلاء السعر ومن المشتري تراجع الاسعار فان فعل كان ظالما تاركا للعدل والنصح للمسلمين ومهما باع مرابحة بان يقول بعت بما قام علي او اشتريته فعليه ان يصدق ثم يجب ان يخبر بما حدث بعد العقد من عيب او نقصان ولو اشترى باجل وجب ذكره ولو اشترى مسامحة من صديقه او من ولده يجب ذكره لان المعامل يعول على عادته في الاستقصاء انه لا يترك النظر لنفسه فاذا تركه بسبب من الاسباب فيجب اخباره اذ الاعتماد فيه على امانته

الباب الرابع في الاحسان في المعاملة

وقد امر الله تعالى بالعدل والاحسان جميعا والعدل سبب النجاة فقط وهو يجري من التجارة مجرى سلامة راس المال والاحسان سبب الفوز ونيل السعادة وهو يجري من التجارة مجرى الربح ولا يعد من العقلاء من قنع في معاملات الدنيا براس ماله فكذا في معاملات الآخرة فلا ينبغي للمتدين ان يقتصر على العدل واجتناب الظلم ويدع ابواب الاحسان وقد قال تعالى واحسن كما احسن الله اليك وقال سبحانه ان الله يامر بالعدل والاحسان وقال تعالى ان رحمت الله قريب من المحسنين ونعني بالاحسان فعل ما ينتفع به المعامل وهو غير واجب عليه ولكنه تفضل منه فان الواجب يدخل في باب العدل وترك الظلم وقد ذكرناه وتنال رتبة الاحسان بواحد من ستة امور الاول في المغابنة فينبغي ان لا يغبن صاحبه بما لا يتغابن به في العادة فاما اصل المغابنة فماذون فيه لان البيع للربح ولا يمكن ذلك الا بغبن ما ولكن يراعى فيه التقريب فان بذل المشتري زيادة على الربح المعتاد اما لشدة رغبته او لشدة حاجته في الحال فينبغي ان يمتنع عن قبوله فذلك من الاحسان ومهما لم يكن تلبيس لم يكن اخذ الزيادة

ظلما وقد ذهب بعض العلماء الى ان الغبن بما يزيد على الثلث يوجب الخيار ولسنا نرى ذلك ولكن من الاحسان ان يحط ذلك الغبن يروى انه كان عند يونس بن عبيد حلل مختلفة الاثمان قيمة كل حلة اربعمائة وضرب قيمتها مائتان فمر الى الصلاة وخلف ابن اخيه في الدكان فجاء اعرابي وطلب حلة باربعمائة فعرض عليه من حلل المائتين فاستحسنها ورضيها فاشتراها منه ومضى بها وهي على يديه فاستقبله يونس فعرف حلته فقال بكم اشتريت فقال باربعمائة قال لا تسوى اكثر من مائتين فارجع حتى تردها فقال هذه تساوي في بلدنا خمسمائة وانا ارتضيها فقال له انصرف فان النصح في الدين خير من الدنيا وما فيها ثم رده الى الدكان ورد عليه مائتي درهم وخاصم ابن اخيه وقاتله وقال له اما استحييت اما اتقيت الله تربح مثل الثمن وتترك النصح للمسلمين فقال والله ما اخذها الا وقد رضي بها قال افلا رضيت له بما ترضاه لنفسك وهذا ان كان فيه اخفاء سعر وتلبيس فهو من باب الظلم وقد سبق وفي الحديث غبن المسترسل حرام وقال كان الزبير بن عدي يقول ادركت ثمانية عشر من الصحابة ما منهم احد يحسن يشتري لحما بدرهم فغبن مثل هؤلاء المسترسلين ظلم وان كان من غير تلبيس فهو من ترك الاحسان وقلما يتم هذا الا بنوع تلبيس واخفاء السعر وانما الاحسان المحض ما نقل عن السري السقطي انه اشترى كر لوز بستين دينارا وكتب في روزنامجه ثلاثة دنانير ربحه وكان راى ان يربح على العشرة نصف دينار فصار اللوز بتسعين فاتاه الدلال وطلب اللوز فقال خذه فقال بكم فقال بثلاثة وستين فقال الدلال وكان من الصالحين فقد صار اللوز بتسعين فقال السري قد عقدت عقدا لا احله لست ابيعه الا بثلاثة وستين فقال الدلال واني عقدت بيني وبين الله ان لا اغش مسلما لست آخذ منك الا بتسعين قال فلا الدلال اشترى منه ولا السري باعه فهذا محض الاحسان من الجانبين فانه مع العلم بحقيقة الحال وروي عن محمد بن المنكدر انه كان له شقاق بعضها بخمسة وبعضها بعشرة فباع في غيبته غلامه شقة من الخمسيات بعشرة فلما عرف لم يزل يطلب ذلك الاعرابي المشتري طول النهار حتى وجده فقال له ان الغلام قد غلط عليك فباعك ما يسوى خمسة بعشرة فقال يا هذا قد رضيت فقال وان رضيت فانا لا نرضى لك الا ما نرضاه لانفسنا فاختر احدى ثلاث خصال اما ان تاخذ شقة من العشريات بدراهمك واما ان نرد عليك خمسة واما ان ترد شقتنا وتاخذ دراهمك فقال اعطني خمسة فرد عليه خمسة فانصرف الاعرابي يسال ويقول من هذا الشيخ فقيل هذا محمد بن المنكدر فقال لا اله الا الله هذا الذي نستسقي به في البوادي اذا قحطنا فهذا احسان في ان لا يربح على العشرة الا نصف درهم او واحدا على ما جرت به العادة في مثل ذلك المتاع في ذلك المكان ومن قنع بربح قليل كثرت معاملاته واستفاد من تكررها ربحا كثيرا وبه تظهر البركة وكان علي رضي الله عنه يدور في سوق الكوفة بالدرة ويقول معاشر التجار خذوا الحق واعطوا الحق تسلموا لا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره وقيل لعبد الرحمن بن عوف ما سبب يسارك قال ثلاث ما رددت ربحا قط ولا طلب مني حيوان فاخرت بيعه ولا بعت نسيئة ويقال انه باع الف ناقة فما ربح الا عقالها باع كل عقال بدرهم فربح منها الف وربح

من نفقته عليها ليومه. الثاني في احتمال الغبن المشتري ان اشترى طعاما من ضعيف او شاب فقير فلا بأس ان يحتمل الغبن ويتساهل ويكون محسنا وداخلا في قوله عليه الصلاة والسلام رحم الله سهل البيع سهل الشرى فاما اذا اشترى من غني تاجر يطلب الربح زيادة على حاجته فاحتمال الغبن منه ليس هو محمود بل هو تضييع مال من غير اجر ولا حمد فقد ورد في حديث من طريق اهل البيت المغبون لا محمود ولا ماجور وكان اياس بن معوية قاضي البصرة وكان من عقلاء التابعين كان يقول لست بخب والخب لا يغبنني ولا يغبن ابن سيرين ولكن يغبن الحسن ويغبن ابي وصف معوية بن قرة والكمال ان لا يغبن ولا يغبن كما وصف بعضهم عمر فقال كان اكرم من ان يخدع واعقل من ان يخدع وكان الحسن والحسين وغيرهم من خيار السلف يستقصون في الشرا ثم يهبون مع ذلك الجزيل من المال فقيل لبعضهم تستقصي في شرائك على اليسير ثم تهب الكثير ولا تبالي فقال ان الواهب يعطي فضله وان المغبون يغبن عقله **وقال** بعضهم انما اغبن عقلي وبصري فلا امكن الغابن منه واذا وهبت فاعطي لله ولا استكثر له شيا. **الثالث** في استيفاء الثمن وساير الديون والاحسان فيه مرة بالمسامحة وحط البعض ومرة بالامهال والتاخير ومرة بالمساهلة في طلب جودة النقد وكل ذلك مندوب اليه ومحثوث عليه **قال** صلى الله عليه وسلم رحم الله سهل البيع سهل الشرا سهل القضا سهل الاقتضاء فليغتنم دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عليه السلام اسمح يسمح لك وقال صلى الله عليه وسلم من انظر معسرا او ترك له حاسبه الله حسابا يسيرا وفي لفظ اخر اظله الله في ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله وذكر صلى الله عليه وسلم رجلا كان مسرفا على نفسه حوسب فلم يوجد له حسنة فقيل له هل عملت خيرا قط فقال لا الا اني كنت اداين الناس فاقول لفتياني سامحوا الموسر وانظروا المعسر وفي لفظ اخر وتجاوزوا عن المعسر فقال الله تعالى نحن احق بذلك منك فتجاوز الله عنه وغفر له **وقال** صلى الله عليه وسلم من اقرض دينارا الى اجل فله بكل يوم صدقة الى اجله فاذا حل الاجل فانظره بعده فله بكل يوم مثل ذلك الدين صدقة وقد كان من السلف من لا يحب ان يقضي غريمه الدين لاجل هذا الخبر حتى يكون كالمتصدق بجميعه كل يوم **وقال** صلى الله عليه وسلم رايت ليلة اسري بي على باب الجنة مكتوبا الصدقة بعشر امثالها والقرض بثمانية عشر فقيل في معناه ان الصدقة قد تقع في يد المحتاج وغير المحتاج ولا يتحمل ذل الاستقراض الا محتاج **ونظر** النبي صلى الله عليه وسلم الى رجل يلازم رجلا بدين فاوما الى صاحب الدين بيده ضع الشطر ففعل فقال للمديون قم فاعطه وكل من باع شيا وترك ثمنه في الحال ولم يرهق الى طلبه فهو في معنى القرض **ويروى** ان الحسن باع بغلة باربعماية درهم فلما استوجب المال قال له المشتري اسمح يا ابا سعيد قال قد اسقطت عنك ماية قال له فاحسن يا ابا سعيد فقال قد وهبت لك ماية اخرى فقبض من المشتري مايتي درهم فقيل له يا ابا سعيد هذا نصف الثمن فقال هكذا يكون الاحسان والا فلا وفي الخبر خذ حقك في عفاف واف او غير واف يحاسبك الله حسابا يسيرا. **الرابع** في توفية الدين ومن الاحسان فيه حسن القضا وذلك بان يمشي الى صاحب الحق ولا يكلفه ان يمشي اليه يتقاضاه فقد قال صلى الله عليه وسلم خيركم احسنكم قضاء ومهما قدر على قضاء الدين فليبادر اليه ولو قبل وقته وليسلم اجود مما شرط عليه واحسن وان عجز فلينو قضاءه مهما قدر قال صلى الله عليه وسلم من ادان دينا وهو ينوي قضاءه وكل به ملايكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه وكان جماعة من السلف يستقرضون من غير حاجة لهذا الخبر ومهما كلمه مستحق الحق بكلام خشن فليحتمله وليقابله باللطف اقتدا برسول

الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه صاحب الدين عند حلول الاجل ولم يكن اتفق قضاؤه فجعل الرجل يشدد الكلام على رسول الله فهم به اصحابه فقال دعوه فان لصاحب الحق مقالا ومهما دار الكلام بين المستقرض والمقرض فالاحسان ان يكون الميل الاكثر من المتوسط الى من عليه الدين فان المقرض يقرض عن الغنى والمستقرض يستقرض عن حاجة وكذا ينبغي ان تكون الاعانة للمشتري اكثر فان البايع راغب عن السلعة يبغي ترويجها والمشتري يحتاج اليها هذا هو الاحسن الا ان يتعدى من عليه الدين حده فعند ذلك نصرته في منعه من تعديه واعانة صاحبه اذ قال صلى الله عليه وسلم انصر اخاك ظالما او مظلوما فقيل كيف ننصره ظالما فقال منعك اياه من الظلم نصرة له. **الخامس** ان يقيل من يستقيله فانه لا يستقيل الا متندم مستضر بالبيع فلا ينبغي ان يرضى لنفسه ان يكون سبب استضرار اخيه المسلم قال صلى الله عليه وسلم من اقال نادما صفقته اقاله الله عثرته يوم القيمة. **السادس** ان يقصد في معاملته جماعة من الفقرا بالنسية وهو في الحال عازم على ان لا يطالبهم ان لم تظهر لهم ميسرة فقد كان في صالحي السلف من له دفتران للحساب احدهما ترجمته مجهول فيه اسما من لا يعرف من الضعفا والفقرا وذلك ان الفقير كان يرى الطعام او الفاكهة فيشتهيه فيقول احتاج خمسة ارطال من هذا مثلا وليس معي ثمنه فكان يقول خذه واقض ثمنه عند الميسرة ولم يكن يعد هذا من الخيار بل عد من الخيار من لم يكن يثبت اسمه في الدفتر اصلا ولم يجعله دينا لكن يقول خذ ما تريد فان تيسر لك فاقض والا فانت في حل منه وسعة فهذه طرق تجارات السلف وقد اندرست والقايم به محيي هذه السنة وبالجملة فالتجارة محك الرجال وبها يمتحن دين الرجل وورعه ولذلك قيل لا يغرنك من المرء قميص رقعه او ازار فوق كعب الساق منه رفعه ادره بالدرهم تعرف غيه او ورعه ولذلك **قيل** اذا اثنى على الرجل جيرانه في الحضر واصحابه في السفر ومعاملوه في الاسواق فلا تشكوا في صلاحه **وشهد** عند عمر شاهد فقال ايتني بمن يعرفك فاتاه برجل فاثنى عليه خيرا فقال له عمر انت جاره الادنى الذي يعرف مدخله ومخرجه قال لا فقال كنت رفيقه في السفر الذي يستدل به على مكارم الاخلاق فقال لا فقال فعاملته في الدرهم والدينار الذي يستبين به ورع الرجل فقال لا فقال اظنك رايته قايما في المسجد يهمهم بالقران يخفض راسه طورا ويرفعه اخرى فقال نعم فقال اذهب فلست تعرفه وقال للرجل اذهب فاتني بمن يعرفك.

الباب الخامس

في شفقة التاجر على دينه فيما يخصه ويعم اخرته لا ينبغي للتاجر ان يشغله معاشه عن معاده فيكون عمره ضايعا وصفقته خاسرة وما يفوته من الربح في الاخرة لا يفي به ما يناله في الدنيا فيكون ممن اشترى الحياة الدنيا بالاخرة بل العاقل ينبغي ان يشفق على نفسه وشفقته على نفسه بحفظ راس ماله وراس ماله دينه وتجارته فيه **قال** بعض السلف اولى الاشيا بالعاقل احوجها اليه في العاجل واحوج شي اليه في العاجل احمدها عاقبة في الاجل **وقال** معاذ بن جبل في وصيته انه لا بد لك من نصيبك من الدنيا وانت الى نصيبك من الاخرة احوج فابدا بنصيبك من الاخرة فخذه فانك ستمر على نصيبك من الدنيا فتنتظمه **وقال** الله تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا اي لا تنس في الدنيا نصيبك منها للاخرة فانها مزرعة الاخرة وفيها تكتسب الحسنات وانما تتم شفقة التاجر على دينه بمراعاة سبعة امور **الاول** حسن النية والعقيدة في ابتداء التجارة فلينو بها الاستعفاف عن السوال وكف الطمع عن الناس استغناء بالحلال عنهم والاستعانة بما يكسبه على الدين وقياما بكفاية العيال ليكون من جملة المجاهدين به ولينو

اتباع طريق العدل والاحسان في معاملته كما ذكرناه وليتق الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في
كل ما يراه في السوق فاذا اضمر هذه العقائد والنيات كان عاملا في طريق الآخرة فان استفاد
مالا فهو مزيد وان خسر في الدنيا ربح في الآخرة **الثاني** ان يقصد القيام في صنعته وتجارته
بفرض من فروض الكفايات فان الصناعات والتجارات لو تركت بطلت المعايش وهلك الخلق
فانتظام امر الكل بتعاون وتكفل كل فريق بعمل ولو اقبلوا كلهم على صنعة واحدة لتعطلت البواقي
وهلكوا وعلى هذا حمل بعض الناس قوله عم اختلاف امتي رحمة اي اختلاف هممهم في الصناعات
والحرف ومن الصناعات ما هي مهمة ومنها ما يستغنى عنها لرجوعها الى طلب التنعم والتزين في
الدنيا فليشتغل بصناعة مهمة ليكون في قيامه بها كافيا عن المسلمين مهما في الدين وليجتنب
صناعة النقش والصياغة وتشييد البنيان بالجص وجميع ما يزخرف به الدنيا فكل
ذلك كرهه ذوو الدين فاما عمل الملاهي والآلات التي يحرم استعمالها فاجتناب ذلك من قبيل ترك
الظلم ومن جملة ذلك خياطة الخياط القباء من الابريسم للرجال وصياغة الصائغ مراكب الذهب
او خواتيم الذهب للرجال وكل ذلك من المعاصي والاجرة المأخوذة عليه حرام ولذلك وجبت الزكاة فيها
وان كنا لا نوجب الزكاة في الحلي لانها انما قصدت للرجال فهي محرمة وكونها مهيأة للنساء لا يلحقها
بالحلي المباح ما لم يقصد ذلك بها فيكتسب حكمها من القصد **وقد ذكرنا** ان بيع الطعام
وبيع الاكفان مكروه لانه يوجب انتظار موت الناس وحاجاتهم بغلاء الاسعار ويكره ان يكون
جزارا لما فيه من قساوة القلب وان يكون حجاما او كناسا لما فيه من مخامرة النجاسة وكذا الدباغ
وما في معناه وكره ابن سيرين الدلالة وكره قتادة اجرة الدلال ولعل السبب فيه قلة استغناء الدلال
عن الكذب والافراط في الثناء على السلعة لترويجها ولان العمل فيه لا يتقدر فقد يقل وقد يكثر
ولا ينظر في مقدار الاجرة الى عمله بل الى قدر قيمة الثوب هذه هي العادة وهو ظلم بل ينبغي ان ينظر الى
قدر التعب وكرهوا شرى الحيوان لان المشتري يكره قضاء الله فيه وهو الموت الذي هو بصدده
لا محالة وحلوله وقيل بع الحيوان واشتر الموتان وكرهوا الصرف لان الاحتراز فيه عن دقائق
الربا عسير ولانه طلب لدقائق الصفات فيما لا يقصد اعيانها وانما يقصد رواجها وقلما يتم للصيرفي
ربح الا باعتماد جهالة معامله بدقائق النقد فقلما يسلم الصيرفي وان احتاط ويكره للصيرفي
وغيره كسر الدرهم الصحيح والدينار الا عند الشك في جودته او عند ضرورة **قال احمد**
ابن حنبل ورد نهي عن رسول الله وعن اصحابه في الصياغة من الصحاح وانا اكره الكسر وقال يشتري
بالدنانير دراهم ثم يشتري ذهبا ويصوغه واستحبوا تجارة البز **قال** سعيد بن المسيب
ما من تجارة احب الي من البز ما لم يكن فيها ايمان **وقد روي** خير تجارتكم البز وخير
صناعتكم الخرز **وفي حديث آخر** لو اتجر اهل الجنة لاتجروا في البز ولو اتجر اهل النار لاتجروا
في الصرف **وقد كانت** غالب اعمال الاخيار من السلف عشر صنائع الخرز والتجارة والحمل
والخياطة والحذو والقصارة وعمل الخفاف وعمل الحديد وعمل المغازل ومعالجة صيد البر والبحر
والوراقة **قال عبد الوهاب الوراق** قال لي احمد بن حنبل ما صنعتك قلت الوراقة قال
كسب طيب ولو كنت صانعا بيدي لصنعت صنعتك ثم قال لي لا تكتب الا مواضعه واستبق
الحواشي وظهور الاجزاء واربعة من الصناع موسومون عند الناس بضعف الرأي الحاكة والقطانون
والمغازليون والمعلمون ولعل ذلك لان اكثر مخالطتهم مع النساء والصبيان ومخالطة ضعفاء العقول
يضعف العقل كما ان مخالطة العقلاء تزيد في العقل **وعن مجاهد** ان مريم مرت في طلبها
لعيسى عليه السلام على الحاكة فطلبت الطريق فارشدوها غير الطريق فقالت اللهم انزع البركة من

كسبهم

كسبهم وامتهم فقرا وحقرهم في اعين الناس فاستجيب دعاؤها **وكره** السلف اخذ الاجرة
على كل ما هو من قبيل العبادات وفروض الكفايات كغسل الاموات ودفنهم وكذا الاذان وصلاة
التراويح وان حكم بصحة الاستئجار عليه وكذا تعليم القرآن وتعليم علم الشرع فان هذه اعمال
حقها ان يتجر بها للآخرة فاخذ الاجرة عليها استبدال بالدنيا عن الآخرة فلا يستحب ذلك **الثالث**
ان لا يمنعه سوق الدنيا عن سوق الآخرة واسواق الآخرة المساجد **قال الله تعالى** رجال لا تلهيهم
تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكوة وقال في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها
اسمه فينبغي ان يجعل اول النهار الى وقت دخول السوق لآخرته فيلازم المسجد ويواظب على الاذكار و
الاوراد **وكان عمر** رضي الله عنه يقول للتجار اجعلوا اول نهاركم لآخرتكم وما بعده لدنياكم وكان
صالحو السلف يجعلون اول النهار للدنيا وآخره للآخرة والوسط للتجارة فلم يكن يبيع الهريسة
والرؤوس بكرة الا الصبيان واهل الذمة لانهم كانوا في المساجد بعد وفي الخبر ان الملائكة
اذا صعدت بصحيفة العبد وفي اول النهار وفي آخره ذكر وخير كفر الله عنه ما بينهما من سيء الاعمال
وفي الخبر تلتقي ملائكة الليل وملائكة النهار عند طلوع الفجر وعند صلاة العصر فيقول
الله تعالى كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم يصلون وجئناهم يصلون فيقول الله تعالى اشهدكم
اني قد غفرت لهم ثم مهما سمع الاذان في وسط النهار للاولى والعصر فينبغي ان لا يعرج على شغل
وينزعج عن مكانه ويدع كل ما كان فيه فما يفوته من فضيلة التكبيرة مع الامام لا يوازيها الدنيا
وما فيها ومهما لم يحضر الجماعة عصى عند بعض العلماء **وقد كان** السلف يبتدرون عند الاذان
ويخلون الاسواق للصبيان واهل الذمة فكانوا يستأجرون بالقراريط لحفظ الحوانيت وكان ذلك
معيشة لهم وقد جاء في تفسير قوله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله انهم كانوا
حدادين وخرازين فكان احدهم اذا رفع المطرقة او غرز الاشفى فسمع الاذان لم يخرج الاشفى
من المغرز ولم يوقع المطرقة ورمى بها وقام الى الصلاة **الرابع** ان لا يقتصر على هذا بل يلازم
ذكر الله في السوق ويشتغل بالتسبيح والتهليل فذكر الله في السوق بين الغافلين افضل **قال** صلى
الله عليه وسلم ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل خلف الفارين وكالحي بين الاموات وفي لفظ آخر كالشجرة الخضراء
بين الهشيم **وقال** صلى الله عليه وسلم من دخل السوق فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله
الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له الف الف حسنة وكان ابن عمر
وسالم بن عبد الله ومحمد بن واسع وغيرهم يدخلون السوق قاصدين لنيل فضيلة هذا الذكر **وقال**
الحسن ذاكر الله في السوق يجيء يوم القيامة له ضوء كضوء القمر وبرهان كبرهان الشمس ومن استغفر الله
في السوق غفر الله له بعدد اهلها وكان عمر رضي الله عنه اذا دخل السوق يقول اللهم اني اعوذ بك
من الكفر والفسوق ومن شر ما احاطت به السوق اللهم اني اعوذ بك من يمين فاجرة وصفقة
خاسرة **وقال** ابو جعفر الفرغاني كنا يوما عند الجنيد فجرى ذكر ناس يجلسون في المساجد
ويتشبهون بالصوفية ويقصرون عما يجب عليهم من حق الجلوس ويعيبون من يدخل السوق فقال الجنيد
كم ممن هو في السوق حكمه ان يدخل المسجد ويأخذ باذن بعض من فيه فيخرجه ويجلس مكانه اني
لاعرف رجلا يدخل السوق ورده كل يوم ثلثمائة ركعة وثلاثون الف تسبيحة قال فسبق الى
وهمي انه يعني نفسه فهكذا كانت تجارة من يتجر لطلب الكفاية لا للتنعم في الدنيا فان من
يطلب الدنيا للاستعانة بها على الآخرة كيف يدع ربح الآخرة والسوق والمسجد والبيت له حكم
واحد وانما التجارة بالتقوى **قال** صلى الله عليه وسلم اتق الله حيث كنت فوظيفة التقوى لا
تنقطع عن المتجردين للدين كيفما تقلبت بهم الاحوال وبه يكون حياتهم وعيشهم اذ فيه يرون تجارتهم
وربحهم وقد قيل من احب الله عاش ومن احب الدنيا طاش والعاقل على دينه فاتش والاحمق

يغدو ويروح في لا شيء الخامس ان لا يكون شديد الحرص على السوق والتجارة فهما مكروهان ه
يقال من ركب البحر فقد استقصى في طلب الرزق وفي الخبر لا تركب البحر الا لحج او عمرة او غزو وكان
عمرو بن العاص يقول لا تكن اول داخل في السوق ولا اخر خارج منها فان بها باض الشيطان
وفرخ وروي عن معاذ بن جبل وعبد الله بن عمر ان ابليس يقول لولده زلنبور سر بكتائبك فات اصحاب
الاسواق زين لهم الكذب والحلف والخديعة والمكر والخيانة وكن مع اول داخل واخر خارج منها وفي
الخبر شر البقاع الاسواق وشر اهلها اولهم دخولا واخرهم خروجا وتمام هذا الاحتراز ان
يراقب وقت كفايته فاذا حصل وقت كفايته انصرف قانعا به وكان حماد بن سلمه
يبيع الخز في سفط بين يديه فكان اذا ربح حبتين رفع سفطه وانصرف وقال ابرهيم
ابن بشار قلت لابرهيم ابن ادهم امر اليوم اعمل في الطين فقال يا ابن بشار انك طالب ومطلوب
يطلبك من لا تفوته وتطلب ما قد كفيته اما رايت حريصا محروما وضعيفا مرزوقا فقلت ان
لي دانقا عند البقال فقال عز علي بك تملك دانقا وتطلب العمل وقد كان فيهم من ينصرف بعد
الظهر ومنهم بعد العصر ومنهم من لا يعمل في الاسبوع الا يوما او يومين وكانوا يكتفون به
السادس ان لا يقتصر على اجتناب الحرام بل يتقي مواقع الشبهات ومظان الريب ولا ينظر
الى الفتاوى بل يستفتي قلبه فاذا وجد فيه حزازة اجتنبه واذا حمل اليه سلعة رابه امرها سال
عنه حتى يعرف والا اكل الشبهة وقد حمل الى رسول الله لبن فقال من اين لكم هذا فقالوا من الشاة
فقال ومن اين لكم هذه الشاة فقيل من موضع كذا فشرب منه ثم قال انا معاشر الانبياء امرنا ان
لا ناكل الا طيبا ولا نعمل الا صالحا وقال ان الله امر المومنين بما امر به المرسلين فقال تعالى يا ايها
الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم فسال صلى الله عليه وسلم عن اصل الشي واصل اصله ولم يزد
لكن ما وراء ذلك يتعذر وسنبين في كتاب الحلال والحرام موضع وجوب هذا السوال فانه عليه
الصلاة والسلام كان لا يسال عن كل ما يحمل اليه وانما الواجب ان ينظر التاجر الى من يعامله فكل منسوب
الى ظلم او خيانة او سرقة او ربا فلا يعامله وكذا الاجناد والظلمة لا يعاملهم البتة ولا يعامل اصحابهم
واعوانهم لانه معين بذلك على الظلم وحكي عن رجل انه تولى عمارة سور لثغر من
الثغور قال فوقع في نفسي من ذلك شي وان كان ذلك العمل من الخيرات بل من فرائض الاسلام
لكن كان الامير الذي تولى في جهته من الظلمة قال فسالت سفيان فقال لا تكن عونا لهم على قليل ولا
كثير فقلت هذا سور في سبيل الله للمسلمين فقال نعم ولكن اقل ما يدخل عليك ان تحب بقاءهم ليوفوك
اجرك فتكون قد احببت بقاء من يعصي الله وقد جاء في الخبر من دعا للظالم بالبقا فقد احب ان يعصى
الله في ارضه وفي الحديث ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق وفي خبر اخر من اكرم فاسقا
فقد اعان على هدم الاسلام ودخل سفيان على المهدي وبيده درج ابيض فقال يا سفيان
اعطني الدواة حتى اكتب فقال اخبرني اي شي تكتب فان كان حقا اعطيتك وطلب بعض
الامراء من بعض العلماء المحبوسين عنده ان يناوله طينا ليختم به الكتاب فقال ناولني الكتاب اولا
حتى انظر ما فيه فهكذا كانوا يحترزون عن معاونة الظلمة ومعاملتهم اشد انواع الاعانة فينبغي ان
يجتنبه ذو الدين ما وجد اليه سبيلا وبالجملة فينبغي ان ينقسم الناس عنده الى من يعامل ومن لا يعامل و
ليكن من يعامله اقل ممن لا يعامله في الزمان قال بعضهم اتى على الرجل يدخل السوق ويقول
من ترون لي ان اعامل من الناس فيقال عامل من شئت ثم اتى زمان اخر كان يقال عامل من شئت
الا فلانا ثم اتى وقت اخر فكان يقال لا تعامل احدا الا فلانا وفلانا واخشى ان ياتي زمان يذهب
هذا ايضا وكانه قد كان الذي كان يحاذر ان يكون فانا لله وانا اليه راجعون السابع ينبغي ان
يراقب جميع مجاري معاملته مع كل واحد من معامليه فانه مراقب ومحاسب فليعد الجواب ليوم

الحساب

الحساب والعقاب في كل فعلة وقولة انه لم اقدم عليها ولاجل ماذا فانه يقال انه يوقف التاجر يوم القيمة
مع كل رجل باعه شيا وقفة ويحاسب عن كل واحد محاسبة على عدد من عامله قال بعضهم
رايت بعض التجار في النوم فقلت ماذا فعل الله بك فقال نشر علي خمسين الف صحيفة فقلت
اهذه كلها ذنوب فقال هذه معاملات الناس بعدد من كنت عاملته في الدنيا لكل انسان صحيفة
مفردة فيما بيني وبينه من اول المعاملة الى اخرها فهذا ما يجب على المكتسب في معاملته من العدل
والاحسان والشفقة على الدين فان اقتصر على العدل كان من الصالحين وان اضاف اليه الاحسان
كان من المقربين فان راعى مع ذلك وظايف الدين كما ذكرناه في الباب الخامس كان من الصديقين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق الانسان من طين
لازب وصلصال ثم ركب صورته في احسن تقويم واتم اعتدال ثم غذاه في اول نشوه بلبن
استصفاه من بين فرث ودم سائغا كالماء الزلال ثم حماه بما اتاه من طيبات الرزق عن
دواعي الضعف والانحلال ثم قيد شهوته المعادية له عن السطوة والصيال وقهرها بما
افترض عليه من طلب القوت الحلال وهزم بكسرها جند الشيطان المتشمر للاضلال
فلقد كان يجري من ابن ادم مجرى الدم السيال وضيق عليه عزة الحلال المجرى والمجال اذ
كان لا سبيل له الى العروق الا الشهوات المائلة الى الغلبة والاسترسال فبقي
لما زمت بزمام الحلال خائبا خاسرا ما له من ناصر ولا وال والصلاة على محمد الهادي من
الضلال وعلى اله خير ال اما بعد فقد قال صلى الله عليه وسلم طلب الحلال فريضة على
كل مسلم رواه ابن مسعود وهذه الفريضة من بين سائر الفرائض اعصاها على العقول فهما
واثقلها على الجوارح فعلا ولذلك اندرست بالكلية علما وعملا وصار غموض علمه سببا لاندراس
عمله اذ ظن الجهال ان الحلال مفقود وان السبيل دون الوصول اليه مسدود وانه لم يبق من
الطيبات الا الماء الفرات والحشيش النابت في الموات وما عداه فقد اخبثته الايدي العادية
وافسدته المعاملات الفاسدة واذا تعذرت القناعة بالحشيش من النبات لم يبق سوى وجه
الاتساع في المحرمات فرفضوا هذا القطب من الدين اصلا ولم يدركوا بين الاموال فرقا وفصلا
وهيهات هيهات فالحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات ولا تزال هذه الثلثة
مقترنات كيف ما تقلبت الحالات ولما كانت هذه بدعة عم في الدين ضررها واستطار في
الخلق شررها وجب كشف الغطاء عن فسادها بالارشاد الى مدرك الحلال والحرام والشبهة على
وجه التحقيق والبيان لا يخرجه التضييق عن حيز الامكان ونحن نوضح ذلك في سبعة ابواب
الباب الاول في فضيلة الحلال ومذمة الحرام **الباب الثاني** في مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها
عن الحلال والحرام **الباب الثالث** في البحث والسوال والهجوم والاهمال ومظانهما في الحرام والحلال
الباب الرابع في كيفية خروج التائب من المظالم المالية **الباب الخامس** في ادرارات
السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم **الباب السادس** في الدخول على السلاطين ومخالطتهم
الباب السابع في مسائل متفرقة **الباب الاول** في الحلال والحرام وفيه فضيلة الحلال
ومذمة الحرام وبيان اصناف الحلال ودرجاته واصناف الحرام ودرجات الورع فيه **فضيلة**
الحلال ومذمة الحرام قال الله تعالى كلوا من الطيبات واعملوا صالحا امر بالاكل من الطيبات

واعملوا صالحا امر بالاكل من الطيبات قبل العمل وقيل ان المراد به الحلال وقال تعالى لا تاكلوا
اموالكم بينكم بالباطل وقال تعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما وقال تعالى يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مومنين ثم قال سبحانه تعالى فان لم تفعلوا فاذنوا
بحرب من الله ورسوله ثم قال سبحانه ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون جعل اكل الربا
في اول الامر موذنا بمحاربة الله ورسوله وفي اخره متعرضا للنار والايات الواردة في الحلال
والحرام لا تحصى وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال طلب الحلال فريضة على كل
مسلم ولما قال النبي العلم فريضة على كل مسلم قال بعض العلماء اراد به طلب علم الحلال والحرام
وجعل المراد بالحديثين واحدا وقال صلى الله عليه وسلم من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد
في سبيل الله ومن طلب الدنيا حلالا في عفاف كان في درجة الشهداء وقال
صلى الله عليه وسلم من اكل الحلال اربعين يوما نور الله قلبه واجرى ينابيع الحكمة من قلبه على
لسانه وفي رواية وزهده الله في الدنيا وروى ان سعدا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يسال الله ان يجعله الله مجاب الدعوة فقال له اطب طعمتك يستجب دعوتك ولما ذكر
صلى الله عليه وسلم الحريص على الدنيا قال رب اشعث اغبر مشرد في الاسفار مطعمه حرام
ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام يرفع يديه فيقول يا رب يا رب فانى يستجاب
لذلك وفي حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ان لله ملكا على بيت
المقدس ينادي كل ليلة من اكل حراما لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا فقيل الصرف النافلة
والعدل الفريضة وقال صلى الله عليه وسلم كل لحم نبت من حرام فالنار اولى به وقال
من لم يبال من اين اكتسب المال لم يبال الله من اين ادخله النار وقال عليه السلام ان
العبادة عشرة اجزاء تسعة منها في طلب الحلال روي هذا مرفوعا وموقوفا على بعض
الصحابة وقال عليه السلام من امسى وانيا من طلب الحلال بات مغفورا له واصبح والله عنه
راض وقال عليه السلام من اصاب مالا من ماثم فوصل به رحما او تصدق به او انفقه
في سبيل الله جمع الله ذلك جميعا ثم قذفه في النار وقال صلى الله عليه وسلم خير دينكم الورع
وقال من لقي الله ورعا اعطاه الله ثواب الاسلام كله ويروى ان الله عز وجل قال في بعض
كتبه يا موسى انه لم يتصنع المتصنعون لي بمثل الزهد في الدنيا ولم يتقرب المتقربون الي بمثل
الورع عما حرمت عليهم ولم يتعبد لي المتعبدون بمثل البكا من خيفتي فقال موسى يا رب فما اعددت
لهم اذا فعلوا ذلك فقال اما الزاهدون فاحكمهم الفردوس يتبوون منها حيث شاؤوا واما الباكون
من خيفتي فاسكنهم الرفيق الاعلى واما الورعون فاني استحيي ان احاسبهم وقال صلى الله
عليه وسلم درهم من ربا اشد عند الله من ثلاثين زنية في الاسلام وفي حديث ابي هريرة
المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة فاذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة واذا سقمت
صدرت بالسقم ومثل الطعمة من الدين مثل الاساس من البنيان فاذا ثبت الاساس وقوي
استقام البنا وارتفع واذا ضعف الاساس واعوج انهار البنيان ووقع وقد قال الله تعالى افمن
اسس بنيانه على تقوى من الله الاية وفي الحديث من اكتسب مالا من حرام فان تصدق به لم
يقبل منه وان تركه وراءه كان زاده الى النار وقد ذكرنا جملة من الاخبار في كتاب اداب الكسب
تكشف عن فضل كسب الحلال واما الاثار فقد روي ان الصديق شرب لبنا من كسب عبده
ثم سأله فقال تكهنت لقوم فاعطوني فادخل اصبعه في فيه وجعل يقي حتى ظننت ان نفسه
ستخرج ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما حملت العروق وخالط الامعاء وفي بعض الاخبار

انه صلى الله عليه وسلم اخبر بذلك فقال اوما علمتم ان الصديق لا يدخل جوفه الا طيبا وكذلك
شرب عمر من ابل الصدقة غلطا فادخل اصبعه وتقيا وقالت عايشة انكم لتغفلون
عن افضل العبادة الا وهو الورع وقال عبد الله بن عمر لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا و
صمتم حتى تكونوا كالاوتار ما تقبل الله ذلك منكم الا بورع حاجز وقال ابراهيم بن
ادهم لم يدرك من ادرك الا من كان يعقل ما يدخل جوفه وقال الفضيل من عرف
ما يدخل جوفه كتبه الله صديقا فانظر عند من تفطر يا مسكين وقيل لابراهيم بن ادهم
لم لا تشرب من ماء زمزم قال لو كان لي دلو لشربت وقال سفيان الثوري من انفق
الحرام في طاعة الله كان كمن طهر الثوب بالبول والثوب لا يطهره الا الماء والذنب لا يكفره الا الحلال
وقال يحيى بن معاذ الطاعة خزانة من خزائن الله ومفتاحها الدعاء واسنانها لقمة الحلال
وقال ابن عباس لا يقبل الله صلاة امرئ في جوفه حرام وقال سهل التستري لا يبلغ
العبد حقيقة الايمان حتى يكون فيه اربع خصال اداء الفرائض بالسنة واكل الحلال بالورع
واجتناب المناهي من الظاهر والباطن والصبر على ذلك الى الموت وقال من احب ان
يكاشف بايات الصديقين فلا ياكل الا حلالا ولا يعمل الا في سنة او ضرورة ويقال من
اكل الشبهة اربعين يوما اظلم قلبه وهو تاويل قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا
يكسبون وقال ابن المبارك رد درهم من شبهة احب الي من ان اتصدق بمائة الف
ومائة الف حتى بلغ ستمائة الف وقال بعض السلف ان العبد ياكل اكلة فينقلب
قلبه فينغل كما ينغل الاديم ولا يعود الى حاله ابدا وقال سهل من اكل الحرام عصت جوارحه
شاء ام ابى علم او لم يعلم ومن كانت طعمته حلالا اطاعته جوارحه ووفقت للخيرات
وقال بعض السلف ان اول لقمة ياكلها العبد من حلال يغفر الله له بها ما سلف من
ذنوبه ومن اقام نفسه مقام ذل في طلب الحلال تساقطت عنه ذنوبه كما تساقط ورق الشجر
وروي في اثار السلف ان الواعظ كان اذا جلس للناس قال العلماء تفقدوا منه ثلاثا
فان كان معتقدا لبدعة فلا تجالسوه فانه عن لسان الشيطان ينطق وان كان سيء الطعمة
فعن الهوى ينطق وان لم يكن مكين العقل فانه يفسد بكلامه اكثر مما يصلح فلا تجالسوه
وفي الاخبار المشهورة عن علي وغيره ان الدنيا حلالها حساب وحرامها عذاب وزاد
اخرون وشبهتها عتاب وروي ان بعض الصالحين دفع طعاما الى بعض الابدال فلم ياكله
فسأله عنه فقال نحن لا ناكل الا حلالا فلذلك تستقيم قلوبنا ويدوم حالنا ونكاشف
بالملكوت ونشاهد الاخرة ولو اكلنا مما تاكلون ثلاثة ايام لما رجعنا الى شيء من علم اليقين ولذهب
الخوف والمشاهدة من قلوبنا فقال له الرجل اني اصوم الدهر واختم القران في كل شهر ثلاثين ختمة
فقال له البدل هذه الشربة من اللبن التي رايتني شربتها احب الي من ثلاثين ختمة في ثلاثمائة
ركعة من اعمالك وكانت شربة لبن من ظبية وحشية وقد كان بين احمد بن حنبل ويحيى
بن معين صحبة طويلة فهجره احمد اذ سمعه يقول اني لا اسال احدا شيا ولو اعطاني السلطان
شيا لاكلته فهجره الامام احمد رحمه الله حتى اعتذر يحيى وقال كنت امزح فقال تمزح بالدين اما
علمت ان الاكل من الدين قدمه الله على العمل الصالح فقال تعالى كلوا من الطيبات واعملوا
صالحا وفي الخبر انه مكتوب في التوراة من لم يبال من اين مطعمه لم يبال الله من اي
ابواب النار ادخله وعن علي انه لم ياكل بعد قتل عثمان ونهب الدار طعاما الا مختوما حذرا
من الشبهة واجتمع فضيل بن عياض وابن عيينة وابن المبارك عند وهيب بن الورد بمكة

فذكروا الرطب فقال وهيب هو من احب الطعام الي الا اني لا اكله لاختلاط رطب مكه
ببساتين زبيدة وغيرها فقال ابن المبارك ان نظرت في مثل هذا ضاق عليك الخبز قال
وما سببه قال ان اصول الضياع قد اختلطت بالصوافي فغشي على وهيب فقال سفيان قتلت
الرجل فقال ابن المبارك ما اردت الا ان اهون عليه فلما افاق قال لله علي ان لا اكل خبزا ابدا
حتى القاه فكان يشرب اللبن فاتته امه بلبن فسالها فقالت هو من شاة بني فلان فسال
عن ثمنها وانه من اين لهم فذكرت فلما ادناه من فيه قال بقي من اين كانت ترعى فسكتت
فلم يشرب لانها كانت ترعى من موضع للمسلمين فيه حق فقالت امه اشرب فان الله يغفر لك
فقال ما احب ان يغفر لي وقد شربته فانال مغفرته بمعصيته وكان بشر الحافي من الورعين
فقيل له من اين تاكل فقال من حيث تاكلون ولكن ليس من ياكل وهو يبكي كمن ياكل وهو
يضحك وقال يد اقصر من يد ولقمة اصغر من لقمة فهكذا كانوا يحترزون عن الشبهات

اصناف الحلال ومداخله اعلم ان تفصيل الحلال والحرام انما يتولى بيانه كتب الفقه
ويستغني المريد عن تطويله بان يكون له طعمة معينة يعرف بالفتوى حلها وكان لا ياكل
من غيرها فاما من يتوسع في الاكل من وجوه متفرقة فيفتقر الى علم الحلال والحرام كله كما
فصلناه في كتب الفقه ونحن الان نشير الى مجامعه في سياق تقسيم وهو ان المال انما يحرم اما
لمعنى في عينه او لخلل في جهة اكتسابه **القسم الاول** الحرام في عينه كالخمر والخنزير
وغيرهما وتفصيله ان الاعيان الماكولة على وجه الارض لا تعدو ثلاثة اقسام فانها اما ان تكون
من المعادن كالملح والطين وغيرهما او من النبات او من الحيوان فاما المعادن وهي اجزاء الارض
وجميع ما يخرج منها فلا يحرم اكله الا من حيث يضر بالاكل وفي بعضها ما يجري مجرى السم والخبز
لو كان مضرا لحرم والطين الذي يعتاد اكله لا يحرم الا من حيث الضرر وفائدة قولنا انها لا تحرم
مع انها لا توكل انها لو وقع منها شي في مرقة او طعام لم يصر به محرما واما النبات فلا يحرم منها
الا ما يزيل العقل او يزيل الحياة او الصحة فمزيل العقل البنج والخمر وساير المسكرات ومزيل
الحياة السموم ومزيل الصحة الادوية في غير وقتها وكان مجموع هذا يرجع الى الضرر الا الخمر
والمسكرات فان الذي لا يسكر منها ايضا حرام مع قلته لعينه ولصفته وهي الشدة المطربة
واما السم فاذا خرج عن كونه مضرا بقلته او بعجنه بغيره فلا يحرم واما الحيوانات فتنقسم
الى ما يوكل والى ما لا يوكل وتفصيله في كتاب الاطعمة والنظر يطول في تفصيله لاسيما في الطيور
الغريبة وحيوانات البر والبحر وما يحل اكلها فانما يحل اذا ذبح ذبحا شرعيا روعي فيه شروط
الذابح والالة والمذبح وذلك مذكور في كتاب الصيد والذبايح وما لم يذبح ذبحا شرعيا او مات
فهو حرام ولا يحل الا ميتتان السمك والجراد وفي معناهما ما يستحيل من الاطعمة كدود التفاح
والجبن فان الاحتراز عنهما غير ممكن فاما اذا افردت واكلت فحكمها حكم الذباب والخنفسا
والعقرب وكل ما ليس له نفس سايلة فلا سبب في تحريمها الا الاستقذار ولو لم يكن لكان
لا يكره وان وجد شخص لا يستقذره لا يلتفت الى خصوص طبعه فانه التحق بالخبايث لعموم الاستقذار
فيكره اكله كما لو جمع المخاط وشربه كره ذلك وليست الكراهة لنجاستها فان الصحيح انها لا
تنجس بالموت اذ امر النبي صلعم بان يمقل الذباب في الطعام اذا وقع فيه وربما يكون حارا و
يكون ذلك سبب موته ولو تهرت نملة او ذبابة في قدر لم يجب اراقتها اذ المستقذر جرمه
اذا بقي له جرم ولم ينجس حتى يحرم بالنجاسة وهذا يدل على ان تحريمه للاستقذار و
كذلك نقول لو وقع جزو من ادمي ميت في قدر ولو وزن دانق حرم الاكل لا لنجاسة فان

الصحيح ان الادمي لا ينجس ولكن لان اكله محرم احتراما لا لاستقذار واما الحيوانات الماكوله
اذا ذبحت بشرط الشرع فلا يحل جميع اجزايها بل يحرم منها الدم والفرث وكلما يقضى
بنجاسته منه بل تناول النجاسة مطلقا محرم ولكن ليس في الاعيان شي نجس الا من الحيوانات
واما النبات فالمسكرات فقط دون ما يزيل العقل ولا يسكر كالبنج فان نجاسة المسكر
تغليظ للزجر عنه في مظنة التشوف ومهما وقعت قطرة من النجاسة المايعة او جزء من
نجاسة جامدة في مرقة او دهن او طعام حرم اكل جميعه ولا يحرم الانتفاع به لغير
الاكل فيجوز الاستصباح بالدهن النجس وكذا طلاء السفن والحيوانات وغيرها فهذه
مجامع ما يحرم لصفة في ذاته **القسم الثاني** ما يحرم لخلل في جهة اثبات اليد
عليه وفيه يتسع النظر فنقول اخذ المال اما ان يكون باختيار المالك او بغير اختياره
فالذي بغير اختياره كالارث والذي باختياره اما ان لا يكون من مالك كنيل المعادن
او يكون من مالك والذي يوخذ من مالك فاما ان يوخذ قهرا واما ان يكون لسقوط عصمة
المالك كالغنايم او لاستحقاق الاخذ كزكوات الممتنعين والنفقات الواجبة عليهم والماخوذ
تراضيا اما ان يوخذ بعوض كالبيع والصداق والاجرة واما ان يوخذ بغير عوض كالهبة
والوصية فيحصل من هذا السياق ستة اقسام **الاول** ما لا يوخذ من مالك كنيل المعادن
واحياء الموات والاصطياد والاحتطاب والاستقاء من الانهار والاحتشاش فهذا حلال
بشرط ان لا يكون الماخوذ مختصا بذي حرمة من الادميين فاذا انفك عن الاختصاصات
ملكها اخذها وتفصيل ذلك في كتاب احياء الموات **الثاني** الماخوذ قهرا ممن
لا حرمة له وهو الفي والغنيمة وساير اموال الكفار المحاربين وذلك حلال للمسلمين اذا
اخرجوا منها الخمس وقسموها بين المستحقين بالعدل ولم ياخذوها من كافر له حرمة
وامان وعهد وتفصيل هذه الشروط في كتاب السير وكتاب الفي والغنيمة وكتاب الجزية
الثالث ما يوخذ قهرا باستحقاق عند امتناع من هو عليه فيوخذ دون رضاه وذلك
حلال اذا تم سبب الاستحقاق وتم وصف المستحق الذي به استحقاقه واقتصر على القدر
المستحق واستوفاه من يملك الاستيفاء من قاض او سلطان او مستحق وتفصيل ذلك
في كتاب تفريق الصدقات وكتاب الوقف وكتاب النفقات اذ فيها النظر في صفة المستحقين
للزكاة والوقف والنفقة وغيرها من الحقوق فاذا استوفيت شرايطها كان الماخوذ حلالا
الرابع ما يوخذ تراضيا بمعاوضة وذلك حلال اذا روعي شرط العوضين وشرط العاقدين
وشرط اللفظين اعني الايجاب والقبول مما تعبد الشرع بهما من اجتناب الشروط المفسدة
وبيان ذلك في كتاب البيع والسلم والاجارة والحوالة والضمان والقراض والشركة والمساقاة
والشفعة والصلح والخلع والكتابة والصداق وساير المعاوضات **الخامس** ما يوخذ بالرضا
من غير عوض وهو حلال اذا روعي شروط المعقود عليه وشروط العاقدين وشروط العقد ولم
يود الى ضرر بوارث او غيره وذلك مذكور في كتاب الهبات والوصايا والصدقات **السادس**
ما يحصل بغير اختيار كالميراث وهو حلال اذا كان المورث قد اكتسب من بعض الجهات الخمسة
على وجه حلال ثم كان ذلك بعد قضاء الدين وتنفيذ الوصايا وتعديل القسمة بين الورثة
واخراج الزكاة والحج والكفارة ان كان واجبا وذلك مذكور في كتاب الوصايا والفرايض فهذه
مجامع مداخل الحلال اوما نا الى جملتها ليعلم المريد انه ان كانت طعمته متفرقة لا من جهة

معينة فلا يستغني عن علم هذه الامور وكلما ياكل من هذه الجهات ينبغي ان يستفتي فيها اهل العلم ولا يقدم عليه بالجهل فانه كما يقال للعالم خالفت علمك يقال للجاهل لم لازمت جهلك ولم تتعلم بعد ان قيل لك طلب العلم فريضة على كل مسلم

درجات الحلال والحرام

اعلم ان الحرام كله خبيث ولكن بعضه اخبث من بعض والحلال كله طيب ولكن بعضه اطيب من بعض واصفى وكما ان الطبيب يحكم على كل حلو بالحرارة ولكن يقول بعضها حار في الدرجة الاولى كالسكر وبعضها في الثانية كالفانيد وبعضها في الثالثة كالدبس وبعضها في الرابعة كالعسل فكذلك الحرام خبيث في الدرجة الاولى وبعضه في الثانية والثالثة والرابعة وكذا الحلال تتفاوت صفائه درجات وطيبه ولنقتد باهل الطب في الاصطلاح على اربع درجات ايضا تقاربا لا تحصيرا فكم من سكر اشد حرارة من سكر وكذا غيره فكذلك نقول الورع على اربع درجات الاول ورع العدول وهو الذي يجب الفسق باقتحامه وتسقط العدالة به ويثبت اسم العصيان والتعرض للنار بسببه وهو الورع عن كل ما تحرمه فتاوى الفقها الثانية ورع الصالحين وهو الامتناع عما يتطرق اليه احتمال التحريم ولكن المفتي يرخص في التناول بنا على الظاهر فهو من مواقع الشبهة على الجملة فلنسم التحرج عن ذلك ورع الصالحين وهو في الدرجة الثانية الثالثة ما لا تحرمه الفتوى ولا شبهة في حله ولكن يخاف منه اداؤه الى محرم وهو ترك ما لا باس به مخافة مما به باس وهذا ورع المتقين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا باس به مخافة مما به باس الرابعة ما لا باس به اصلا ولا يخاف منه ان يؤدي الى ما به باس ولكنه يتناول لغير الله ولا على نية التقوى به على عبادة الله او يتطرق الى اسبابه المسهلة له كراهية او معصية والامتناع منه ورع الصديقين فهذه درجات الحلال الى ان نفصلها بالامثلة والشواهد واما الحرام الذي ذكرناه في الدرجة الاولى وهو الذي يشترط التورع عنه في العدالة واطراح سمة الفسق فهي ايضا على درجات في الخبث فالماخوذ بعقد فاسد كالمعاطاة مثلا فيما لا يجوز فيه المعاطاة حرام ولكن ليس في درجة المغصوب على سبيل القهر بل المغصوب اغلظ اذ ترك طريق الشرع في الاكتساب وايذاء الغير وليس في المعاطاة ايذاء وانما فيه ترك طريق التعبد فقط ثم ترك طريق التعبد بالمعاطاة اهون من تركه بالربا وهذا التفاوت يدرك بتشديد الشرع ووعيده وتاكيده في بعض المناهي على ما سياتي في كتاب التوبة عند ذكر الفرق بين الصغيرة والكبيرة بل الماخوذ ظلما من فقير او صالح او من يتيم اخبث واغلظ من الماخوذ من قوي او غني او فاسق لان درجات الايذاء تختلف باختلاف درجات المؤذى فهذه دقائق في تفاصيل الخبائث فلا ينبغي ان يذهل عنها فلولا اختلاف درجات العصاة لما اختلفت درجات النار واذ عرفت مثارات التغليظ فلا حاجة الى الحصر في ثلاث درجات او اربع فان ذلك جار مجرى التحكم والتشهي وهو طلب حصر فيما لا حاصر له ويدل على اختلاف درجات الحرام في الخبث ما سياتي في تعارض المحذورات وترجيح بعضها على بعض حتى اذا اضطر الى اكل الميتة او اكل طعام الغير او اكل صيد الحرم فانا نقدم بعضها على بعض

امثلة الدرجات الاربع في الورع وشواهدها

الدرجة الاولى وهي ورع العدول فكلما اقتضى الفتوى تحريمه مما يدخل من المداخل الستة التي ذكرناها من مداخل الحرام بفقد شرط من الشروط فهو الحرام المطلق الذي ينسب مقتحمه الى الفسق والمعصية وهو الذي نريده بالحرام المطلق فلا يحتاج الى امثلة وشواهد

واما الدرجة الثانية فامثلتها كل شبهة لا توجب اجتنابها ولكن يستحب اجتنابها كما سياتي في باب الشبهات اذ من الشبهات ما يجب اجتنابها فتلحق بالحرام ومنها ما يكره اجتنابها والورع عنه ورع الموسوسين كمن يمتنع عن الاصطياد خوفا من ان يكون الصيد قد افلت من انسان اخذه وملكه وهذا وسواس ومنها ما يستحب اجتنابها ولا يجب وهو الذي ينزل عليه قوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك ونحمله على نهي التنزيه وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام كل ما اصميت ودع ما انميت والانماء ان يجرح الصيد فيغيب عنه ثم يدركه ميتا اذ يحتمل انه مات بسقطة او بسبب آخر فالذي نختاره كما سياتي ان هذا ليس بحرام ولكن تركه من ورع الصالحين وقوله عليه السلام دع امر تنزيه اذ ورد في بعض الروايات كل منه وان غاب عنك ما لم تجد فيه اثرا غير سهمك وكذلك قال صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم في الكلاب المعلمة وان اكل منه فلا تاكل فاني اخاف ان يكون انما امسك على نفسه على سبيل التنزيه لاجل الخوف اذ قال لابي ثعلبة الخشني كل منه قال وان اكل قال وان اكل وذلك لان حال ابي ثعلبة وهو فقير مسكين لا يحتمل هذا الورع وحال عدي كان يحتمله وروي عن ابن سيرين انه ترك لشريك له اربعة الاف درهم لانه حاك في قلبه شي مع اتفاق العلما على انه لا باس به وامثلة هذه الدرجة نذكرها عند التعرض لدرجات الشبهة فكل ما هو شبهة ولا يجب اجتنابه فهو مثال هذه الدرجة اما الدرجة الثالثة وهي ورع المتقين فيشهد له قوله صلى الله عليه وسلم لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا باس به مخافة مما به باس وقال عمر كنا ندع تسعة اعشار الحلال مخافة ان نقع في الحرام وقال ابو الدردا ان من تمام التقوى ان يتقي العبد في مثقال ذرة حتى يترك بعض ما يرى انه حلال خشية ان يكون حراما يكون حجابا بينه وبين النار ولهذا كان لبعضهم مائة درهم على انسان فحملها اليه فاخذ تسعة وتسعين وتورع عن استيفا الكل خيفة الزيادة وكان بعضهم يتحرز فكلما يستوفيه ياخذه بنقصان حبة وما يعطيه يوفيه بزيادة حبة ليكون ذلك حاجزا من النار ومن هذه الدرجة الاحتراز عما يتسامح به الناس فان ذلك حلال في الفتوى ولكن يخاف من فتح بابه ان ينجر الى غيره وتالف النفس الاسترسال فيترك الورع فمن ذلك ما روي عن علي بن معبد انه قال كنت ساكنا في بيت بكرا فكتبت كتابا واردت ان آخذ من تراب الحائط لاتربه واجففه ثم قلت الحائط ليس لي فقالت لي نفسي وما قدر تراب من حائط فاخذت من التراب فلما نمت فاذا انا بشخص واقف يقول يا علي سيعلم غدا الذين يقولون وما قدر تراب من حائط ولعل معنى ذلك انه يرى كيف يحط منزلته فان التقوى منزلة تفوت بفوات ورع المتقين وليس المراد انه يستحق عقوبة على فعلها ومن ذلك ما روي عن عمر انه وصل اليه مسك من البحرين فقال وددت لو ان امراة وزنت حتى اقسمه بين المسلمين فقالت امراته عاتكة انا اجيد الوزن فقال لا احببت ان تضعيه في الكفة ثم تقولين فيها اثر الغبار فتمسحين بها عنقك فاصيب بذلك فضلا على المسلمين وكان يوزن بين يدي عمر بن عبد العزيز مسك المسلمين فاخذ بانفه حتى لا تصيبه الرائحة وقال وهل ينتفع منه الا بريحه لما استبعد ذلك منه واخذ الحسن تمرة من الصدقة وكان صغيرا فقال عليه السلام كخ كخ القها ومن ذلك ما روي عن بعضهم انه كان عند محتضر فمات ليلا فقال اطفئوا السراج فقد حدث للورثة حق في الدهن وروى سليمان التيمي عن نعيم العطارة قالت كان عمر يدفع الى امراته طيبا من طيب المسلمين قال فتبيعه امراته فباعتني طيبا فجعلت تقوم وتزيد وتنقص وتكسر باسنانها فتعلق باصبعها شي فقالت به هكذا باصبعها ثم مسحت به

خمارها فدخل عمر فقال ما هذه الرائحة فاخبرته فقال طيب المسلمين تاخذينه وانتزع الخمار
من راسها واخذ جرة من ماء فجعل يصب على الخمار ثم يدلكه في التراب ثم يشمه ثم يصب
الماء ثم يدلكه ثم يشمه حتى لم تبق له رايحة ثم اتيتها مرة اخرى فلما وزنت علق باصبعها
منه شي فادخلت اصبعها في فيها ثم مسحت بها التراب فهذا من عمر ورع التقوى لخوف اداء
ذلك الى غيره والا فغسل الخمار ما كان يعيد الطيب الى المسلمين ولكن اتلفه عليها زجرا
وردعا وابقاء وخوفا من ان يتعدى الامر ومن ذلك ما سيل احمد بن حنبل يكون في المسجد
رجلا فيحمل مجمرة لبعض السلاطين يبخر المسجد بالعود فقال ينبغي ان تخرج من المسجد فانه
لا ينتفع من العود الا بريحته وهذا قد يقارب الحرام فان القدر الذي يعبق بثوبه من رايحة
الطيب قد يقصد وقد يبخل به فلا يدرى انه يتسامح به ام لا وسيل احمد عمن سقط
منه ورقة من احاديث فهل لمن وجدها ان يكتب منها ثم يردها فقال لا بل يستاذن ثم
يكتب منها وهذا ايضا قد يشك في ان صاحبها يرضى به ام لا فما هو في محل الشك فالاصل
تحريمه فهو حرام وتركه من الدرجة الاولى ومن ذلك التورع عن الزينة لانه يخاف منها ان يدعو
الى غيرها وان كانت الزينة مباحة في نفسها وقد سيل احمد بن حنبل عن النعال السبتية فقال اما
انا فلا استعملها ولكن ان كان للطين فارجو واما من اراد الزينة فلا ومن ذلك ان عمر لما ولي الخلافة
كانت له زوجة يحبها فطلقها خيفة ان تشير عليه بشفاعة في باطل فيطيعها ويطلب رضاها
وهذا من ترك ما لا باس به مخافة مما به باس اي مخافة ما يفضي اليه واكثر المباحات داعية الى
المحظورات حتى استكثار الاكل واستعمال الطيب للمتعزب فانه يحرك الشهوة ثم الشهوة تدعو
الى الفكر والفكر الى النظر والنظر الى غيره وكذلك النظر الى دور الاغنيا وتجملهم مباح في
نفسه ولكن يهيج الحرص ويدعو الى طلب مثله ويلزم منه ارتكاب ما لا يحل في تحصيله وهكذا
المباحات كلها اذا لم تؤخذ بقدر الحاجة وفي وقت الحاجة مع التحرز من غوايلها بالمعرفة اولا
ثم بالحذر ثانيا فقلما تخلو عاقبتها عن خطر وكذا كل ما اخذ بالشهوة فقلما يخلو عن خطر حتى
كره احمد بن حنبل تجصيص الحيطان وقال اما تجصيص الارض فيمنع التراب واما تجصيص الحيطان
فزينة لا فايدة فيه حتى انكر تجصيص المسجد وتزيينه واستدل بما روي ان النبي عم
سيل ان يكحل المسجد فقال لا عريش كعريش موسى وانما هو شي مثل الكحل يطلى به فلم
يرخص به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وكره السلف الثوب الرقيق وقالوا من رق ثوبه رق دينه
وكل ذلك خوفا من سريان اتباع الشهوات في المباحات الى غيرها فان المحظور والمباح تشتهيهما
شهوة واحدة واذا تعودت الشهوة المسامحة استرسلت فاقتضى خوف التقوى الورع من هذا
كله فكل حلال انفك عن مثل هذه المخافة فهو الحلال الطيب في الدرجة الثالثة وهو كل ما لا
يخاف اداوه الى معصية البتة اما الدرجة الرابعة وهي ورع الصديقين فالحلال المطلق عندهم
كل ما لا تتقدم في اسبابه معصية ولا يستعان به على معصية ولا يقصد منه في الحال والمال قضا
وطر بل يتناول لله تعالى فقط وللتقوي على عبادته واستبقا الحيوة لاجله وهولاء هم الذين
يرون كل ما ليس لله حراما لقوله تعالى قل الله ثم ذرهم وهذه رتبة الموحدين المتجردين عن
حظوظ انفسهم المفردين لله تعالى بالقصد ولا شك في ان من يتورع عما يوصل اليه بمعصية او
يستعان عليه بمعصية فيتورع عما يقترن بسبب اكتسابه معصية او كراهية فمن ذلك ما روي عن
يحيى بن يحيى انه شرب دواء فقالت له امراته لو مشيت في الدار قليلا حتى يعمل الدوا فقال هذه مشية
لا اعرفها وانا احاسب نفسي منذ ثلثين سنة فكانه لم يحضره نية في هذه المشية تتعلق بالدين
فلم يجز الاقدام عليها وعن سري انه قال انتهيت الى حشيش في جبل وما يخرج منه فتناولت من

بط

ذلك الحـ

ذلك الحشيش وشربت من ذلك الماء وقلت في نفسي ان كنت قد اكلت يوما حلالا طيبا فهو
هذا اليوم فهتف بي هاتف ان القوة التي اوصلتك الى هذا الموضع من اين هي فرجعت
وندمت ومن هذا ما روي عن ذا النون المصري انه كان جايعا محبوسا فبعثت له امراة
صالحة طعاما على يد السجان فلم ياكل ثم اعتذر وقال جاءني على طبق ظالم يعني ان القوة
التي اوصلت الطعام الي لم تكن طيبة وهذه الغاية القصوى في الورع ومن ذلك ان بشرا
رحمه الله كان لا يشرب الماء من الانهار التي حفرتها الامرا فان النهر سبب لجريان الماء ووصوله
اليه وان كان الماء مباحا في نفسه فيكون كالمنتفع بالنهر المحفور باعمال الاجرا وقد اعطيت اجرتهم
من الحرام ولذلك امتنع بعضهم من العنب الحلال من الكرم الحلال وقال لصاحبه افسدته اذ سقيته
من ماء يجري في النهر الذي حفرته الظلمة وهذا ابعد من الظلم من شرب نفس الماء لانه احتراز
من استمداد العنب من ذلك الماء وكان بعضهم اذا مر في طريق لم يشرب من المصانع التي عملها
الظلمة مع ان الماء مباح ولكنه بقي محفوظا بالمصنع والمصنع عمل بمال حرام فكانه انتفاع به وامتناع
ذي النون من طعام على يد السجان اعظم من هذا كله لان يد السجان لا يوصف بانه حرام بخلاف
الطبق المغصوب اذا حمل عليه ولكن وصل اليه بقوة اكتسبت بالغذاء الحرام ولذلك تقيا الصديق
من اللبن خيفة من ان يحدث الحرام فيه قوة مع انه شربه على جهل وكان لا يجب اخراجه ولكن تخلية
البطن عن الخبيث من ورع الصديقين ومن ذلك التورع من كسب حلال اكتسبه خياط يخيط
في المسجد فان احمد كره جلوس الخياط في المسجد وسيل عن المغازلي يعمل في قبة في المقابر
في وقت يخاف من المطر فقال انما هي من امر الاخرة واطفا بعضهم سراجا اسرجه غلامه
من قوم يكره مالهم وامتنع من تسخين تنور الخبز وقد بقي فيه جمر من حطب مكروه وامتنع من
ان يحكم شسع نعله في مشعلة سلطان فهذه دقايق الورع عند سالكي طريق الاخرة والتحقيق
فيه ان الورع له اول وهو الامتناع عما حرمته الفتوى وهو ورع العدول وله غاية وهو ورع الصديقين
وهو الامتناع من كل ما ليس لله مما اخذ بشهوة او توصل اليه بمكروه او اتصل بسببه مكروه
وبينهما درجات في الاحتياط فكلما كان العبد اشد تشديدا على نفسه كان اخف ظهرا يوم
القيمة واسرع جوازا على الصراط وابعد ان تترجح كفة سياته على كفة حسناته وتتفاوت المنازل
في الاخرة بحسب تفاوت هذه الدرجات في الورع كما تتفاوت دركات النار في حق الظلمة
بحسب تفاوت درجات الحرام في الخبث واذا علمت حقيقة الامر فاليك الخيرة فان شئت فاستكثر
من الاحتياط وان شئت فرخص فلنفسك تحتاط وعلى نفسك ترخص والسلام ٥٥٥

الباب الثاني في مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات لا يعلمها
كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرا لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات وقع في
الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه فهذا الحديث نص في اثبات الاقسام الثلثة و
المشكل منها القسم المتوسط الذي لا يعرفه كثير من الناس وهو الشبهة فلا بد من بيانها وكشف
الغطاء عنها فان ما لا يعرفه الكثير قد يعرفه القليل فنقول الحلال المطلق هو الذي خلا عن ذاته
الصفات الموجبة للتحريم في عينه وانحل عن اسبابه ما تطرق اليه تحريم او كراهية ومثاله الماء
الذي ياخذه الانسان من المطر قبل ان يقع على ملك احد ويكون هو واقفا عند اخذه وجمعه
من الهوى في ملك نفسه او في ارض مباحة والحرام المحض ما فيه صفة محرمة لا يشك فيها كالشدة
في الخمر والنجاسة في البول او حصل بسبب منهي عنه قطعا كالمحصل بالظلم والربا ونظايره
هذان طرفان ظاهران يلحق بالطرفين ما تحقق امره ولكن احتمل تغيره ولم يكن لذلك الاحتمال

سبب يدل عليه فان صيد البر والبحر حلال فمن اخذ ظبية فيحتمل ان يكون قد ملكها
صياد ثم افلتت منه وكذلك السمك يحتمل ان يكون قد تزلق من يد الصياد بعد وقوعه
في يده وخريطته فمثل هذا الاحتمال لا يتطرق الى ماء المطر المختطف من الهوى ولكنه في
معنى ماء المطر والاحتراز منه وسواس فليسم هذا الفن ورع الموسوسين حتى يلحق به
امثاله وذلك لان هذا وهم مجرد لا دلالة عليه نعم لو دل عليه دليل فان كان قاطعا كما لو
وجد حلقة في اذن السمكة او كان محتملا كما لو وجد على الظبية جراحة يحتمل ان يكون
كيا لا يقدر عليه الا بعد الضبط ويحتمل ان يكون جرحا فهذا موضع الورع واذا انتفت
الدلالة من كل وجه فالاحتمال المعدوم دلالته كالاحتمال المعدوم في نفسه ومن هذا
الجنس من يستعير دارا فيغيب عنها المعير فيخرج ويقول لعله مات وصار الحق للوارث
فهذا وسواس اذا لم يدل على موته سبب قاطع او مشكل اذ الشبهة المحذورة ما ينشأ من
الشك والشك عبارة عن اعتقادين متقابلين نشآ عن سببين فما لا سبب له لا يثبت
عقده في النفس حتى يساوي العقد المقابل له فيصير شكا ولهذا نقول من شك انه
صلى ثلاثا او اربعا اخذ بالثلاث اذ الاصل عدم الزيادة ولو سئل الانسان ان صلاة
الظهر التي اداها قبل هذا بعشر سنين كانت اربعا او ثلاثا لم يتحقق قطعا انها اربع واذا
لم يقطع جوز ان يكون ثلاثا وهذا التجويز لا يكون شكا اذ لم يحضره سبب اوجب اعتقاد كونه
ثلاثا فليفهم حقيقة الشك حتى لا يشتبه بالوهم والتجويز بغير سبب فهذا يلتحق بالحلال
المطلق ويلتحق بالحرام المحض ما تحقق تحريمه وان امكن طريان محلل ولكن لم يدل عليه سبب كمن في
يده طعام لموروثه الذي لا وارث له سواه فغاب عنه فقال يحتمل انه مات وقد انتقل الملك
اليه فاكله فاقدامه عليه اقدام على حرام محض لانه احتمال لا مستند له فلا ينبغي ان يعد هذا
النمط من اقسام الشبهات وانما الشبهة نعني بها ما اشتبه علينا امره بان تعارض لنا فيه اعتقادان
صدرا عن سببين مقتضيين للاعتقادين **ومثارات الشبهة** خمسة المثار
الاول الشك في السبب المحلل والمحرم وذلك لا يخلو اما ان يكون متعادلا او غلب احد الاحتمالين
فان تعادل الاحتمال كان الحكم لما عرف قبله فيستصحب ولا يترك بالشك وان غلب احد
الاحتمالين عليه بان صدر عن دلالة معتبرة كان الحكم للغالب ولا يتبين هذا الا بالامثال والشواهد
فلنقسمه على اقسام اربعة القسم الاول ان لا يكون الحل معلوما من قبل ثم يقع الشك في المحلل
فهذه شبهة يجب اجتنابها ويحرم الاقدام عليها **مثاله** ان يرمي الى صيد فيجرحه
ويقع في الماء فيصادفه ميتا ولا يدري انه مات بالغرق او بالجرح فهذا حرام لان الاصل التحريم
الا اذا مات بطريق معين وقد وقع الشك في الطريق المعين فلا يترك اليقين بالشك كما في
الاحداث والنجاسات وركعات الصلوات وغيرها وعلى هذا ينزل **قوله** صلى الله عليه وسلم
لعدي بن حاتم لا تاكله فلعله قتله غير كلبك ولذلك كان صلى الله عليه وسلم اذا اتي بشيء اشتبه
عليه انه صدقة او هدية سال عنه حتى يعلم ايهما هو **روي** انه صلى الله عليه وسلم ارق ذات ليلة
فقال له بعض نسائه ارقت يا رسول الله قال اجل وجدت تمرة فخشيت ان تكون من الصدقة
وفي رواية فاكلتها فخشيت **ومن** ذلك ما روي عن بعضهم انه قال كنا في سفر مع رسول الله
فاصابنا الجوع فنزلنا منزلا كثير الضباب فبينا القدور تغلي بها اذ قال عليه السلام امة
مسخت من بني اسرائيل فاخاف ان تكون هذه فاكفانا القدور ثم اعلمه الله تعالى بعد ذلك
انه لم يمسخ الله خلقا فجعل له نسلا وكان امتناعه اولا لان الاصل عدم الحل وشك في كون
الذبح محللا القسم الثاني ان يعرف الحل ويشك في المحرم فالاصل الحل وله الحكم كما اذا نكح

رجلان امرأتين وطار طاير فقال احدهما ان كان هذا غرابا فامرأتي طالق وقال الاخر
ان لم يكن فامرأتي طالق والتبس امر الغراب فلا نقضي بالتحريم في واحدة منهما ولم
يلزمهما اجتنابهما ولكن الورع اجتنابهما وتطليقهما حتى يحل لسائر الازواج وقد امر
مكحول بالاجتناب في هذه المسالة وافتى الشعبي بالاجتناب في رجلين كانا قد تنازعا
فقال احدهما للاخر انت حسود فقال الاخر احدنا زوجته طالق ثلاثا فقال الاخر
نعم واشكل الامر وهذا ان اراد به اجتناب الورع فصحيح وان اراد التحريم المحقق فلا
وجه له اذ ثبت في المياه والنجاسات والاحداث والصلوات ان اليقين لا يجب تركه
بالشك وهذا في معناه **قلت** واي مناسبة بين هذا وبين ذلك فاعلم انه لا يحتاج
الى المناسبة فانه لازم من غير ذلك في بعض الصور فانه مهما تيقن طهارة الماء ثم
شك في نجاسته جاز ان يتوضا فكيف لا يجوز له ان يشربه واذا جوز الشرب فقد سلم
ان اليقين لا يترك بالشك الا ان هاهنا دقيقة وهو ان وزان الماء ان يشك في انه طلق
زوجته ام لا فيقال الاصل انه ما طلق ووزان مسالة الطائر ان يتحقق نجاسة احد
الانائين ويشتبه عينه فلا يجوز له ان يستعمل احدهما بغير اجتهاد لانه قابل يقين النجاسة
بيقين الطهارة فيبطل الاستصحاب فكذلك هاهنا قد وقع الطلاق على احدى الزوجتين قطعا
والتبس عين المطلقة بغير المطلقة **فنقول** اختلف اصحاب الشافعي في الانائين على ثلاثة
اوجه فقال قوم يستصحب بغير اجتهاد وقال قوم بعد حصول نجاسة في مقابلة
يقين الطهارة يجب الاجتناب ولا يغني الاجتهاد وقال المقتصدون يجتهد وهو الصحيح ولكن
وزانه ان يكون لرجل زوجتان فيقول ان كان غرابا فزينب طالق وان لم يكن فعمرة طالق فلا جرم
لا يجوز له غشيانهما بالاستصحاب فيه ولا يجوز الاجتهاد اذ لا علامة ويحرم عليه وطؤهما لانه لو
وطئهما كان مقتحما للحرام قطعا وان وطئ احدهما وقال اقتصر على هذه كان متحكما بتعيينها
من غير ترجيح ففي هذا افترق حكم شخص واحد وشخصين لان التحريم على شخص واحد محقق
بخلاف الشخصين اذ كل واحد يشك في التحريم في نفسه فان قيل فلو كان الاناءان
لشخصين فينبغي ان يستغني عن الاجتهاد ويتوضا كل واحد باناءه لانه يتيقن طهارته
وقد شك لان فيه **فنقول** هذا محتمل في الفقه والارجح في الظن المنع وان تعدد
الشخص ههنا كاتحاده لان صحة الوضوء لا يستدعي ملكا بل وضوء الانسان بماء غيره في رفع
الحدث كوضوئه بماء نفسه فلا يتبين لاختلاف الملاك واتحاده اثر بخلاف الوطء لزوجة الغير فانه
لا يحل ولان للعلامات مدخلا في النجاسات والاجتهاد فيه ممكن بخلاف الطلاق فوجب
تقوية الاستصحاب بعلامة ليندفع به قوة يقين النجاسة المقابل ليقين الطهارة وابواب
الاستصحاب والترجيحات من غوامض الفقه ودقائقه وقد استقصيناه في الكتب الفقهية
ولسنا نقصد الان الا التنبيه على قواعدها **القسم الثالث** ان يكون الاصل التحريم ولكن
طرا ما اوجب تحليله بظن غالب فهو مشكوك فيه والغالب حله فهذا ينظر فيه فان استند
غلبة الظن الى سبب معتبر شرعا فالذي نختاره فيه انه يحل وان اجتنابه من الورع **مثاله**
ان يرمي الى صيد فيغيب عنه ثم يدركه ميتا وليس عليه اثر سوى سهمه ولكن يحتمل انه
مات بسقطه او بسبب اخر فان ظهر عليه اثر صدمة او جراحة اخرى التحق بالقسم الاول
وان لم يظهر عليه وقد اختلف قول الشافعي في هذا القسم والمختار انه حلال لان الجرح
سبب ظاهر وقد تحقق والاصل انه لم يطرا غيره عليه فطريانه مشكوك فيه فلا يدفع

اليقين بالشك **فان قيل** فقد قال ابن عباس كل ما اصميت ودع ما انميت وروت
عائشة رض ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم بارنب فقال رميتها فعرفت فيها سهمي فقال
اصميت ام انميت فقال بل انميت قال ان الليل خلق من خلق الله لا يقدر قدره الا الذي
خلقه لعله اعان على قتله شيء وكذلك **قال** صلى الله عليه وسلم لعدي في كلبه المعلم وان
اكل فلا تاكل فاني اخاف ان يكون انما امسك على نفسه والغالب ان الكلب المعلم لا يسيء
خلقه ولا يمسك الا على صاحبه ومع ذلك نهى عنه وهذا التحقيق وهو ان الحل انما يتحقق اذا
تحقق تمام السبب وتمام السبب ان يفضي الى الموت سليما من طريان غيره عليه وقد شك
فيه فهو شك في تمام السبب حتى اشتبه ان موته على الحل او على الحرمة فلا يكون هذا في
معنى ما تحقق موته على الحل في ساعته ثم شك فيما يطرأ عليه **فالجواب** ان نهي ابن عباس
ونهي رسول الله صلى الله عليه وسلم محمول على الورع والتنزيه بدليل ما روي في بعض الروايات
انه قال كل منه وان غاب عنك ما لم تجد فيه اثرا غير سهمك **وهذا تنبيه**
على المعنى الذي ذكرناه وهو انه ان وجد اثرا اخر فقد تعارض السبب فتعارض الظن واذا لم
يجد سوى جرحه حصل غلبة الظن فيحكم به على الاستصحاب كما يحكم بخبر الواحد والقياس المظنون
والعمومات المظنونة وغيرها واما قول القائل انه لم يتحقق موته على الحل في ساعة فيكون
شكا في السبب فليس كذلك بل السبب قد تحقق اذ الجرح سبب الموت وطريان الغير شك
فيه ويدل على صحة هذا الاجماع على ان من جرح وغاب فوجد ميتا فيجب القصاص على جارحه
بل ان لم يغب يحتمل ان يكون موته بهيجان خلط في باطنه كما يموت الانسان فجأة فينبغي ان
لا يجب القصاص الا بحز الرقبة والجرح المذفف لان العلل القاتلة في الباطن لا يؤمن ولاجلها
يموت الانسان الصحيح فجأة ولا قائل بذلك مع ان القصاص مبناه على الشبهة وكذلك جنين
المذكى حلال ولعله مات قبل ذبح الام لا بسبب ذبحه او لم ينفخ فيه الروح وغرة الجنين
تجب ولعل الروح لم ينفخ فيه او كان قد مات قبل الجناية بسبب اخر ولكن يبنى على الاسباب
الظاهرة فان الاحتمال الاخر اذا لم يستند الى دلالة لم يدل عليه التحق بالوهم والوسواس كما ذكرناه
فكذلك هذا واما قوله صلى الله عليه وسلم اخاف ان يكون انما امسك على نفسه فللشافعي في هذه الصورة قولان
والذي نختاره الحكم بالتحريم لان السبب قد تعارض اذ الكلب المعلم كالالة والوكيل يمسك على
صاحبه فيحل ولو استرسل المعلم بنفسه فاخذ لم يحل لانه يتصور منه ان يصطاد لنفسه ومهما
انبعث باشارته ثم اكل احتمل ان انبعاثه على انه نائب ولنفسه اليه وانه يسيء في وكالته
ونيابته ودل الاكل اخرا على انه امسك لنفسه لا لصاحبه فقد تعارض سبب الحل فتعارض
الاحتمال والاصل التحريم فيستصحب ولا يزال بالشك وهو كما لو وكل رجلا بان يشتري له جارية
ومات قبل ان يبين انه اشتراها لنفسه او لموكله لم يحل للوكيل وطؤها لان للوكيل قدرة على
الشراء لنفسه ولموكله جميعا ولا دليل مرجح والاصل التحريم فهذا يلتحق بالقسم الاول لا بالثالث
القسم الرابع ان يكون الحل معلوما ولكن يغلب على الظن طريان محرم بسبب معتبر في غلبة
الظن شرعا فيرفع الاستصحاب ويقضي بالتحريم اذ بان لنا ان الاستصحاب ضعيف ولا يبقى
له حكم مع غالب الظن **ومثاله** ان يؤدي اجتهاده الى نجاسة احد الاناءين بالاعتماد
على علامة معينة توجب غلبة الظن فيوجب تحريم شربه كما وجب منع الوضوء به وكذلك اذا قال
ان قتل زيد عمرا او قتل زيد صيدا منفردا بقتله فامرأتي طالق فجرحه فغاب ووجد ميتا
حرمت زوجته لان الظاهر انه منفرد به كما سبق وقد نص الشافعي انه من وجد في الغدران ماء

متغيرا احتمل ان يكون بطول المكث او بالنجاسة فيستعمله ولو راى ظبية بالت فيه ثم وجده
متغيرا واحتمل ان يكون بالبول وبطول المكث لم يجز له استعماله اذ صار البول المشاهد دلالة
مغلبة لاحتمال النجاسة وهو مثال ما ذكرنا وهذا في غلبة ظن استند الى علامة متعلقة بعين
الشيء فاما غلبة الظن لا من جهة علامة تتعلق بعين الشيء فقد اختلف قول الشافعي في ان اصل
الحل هل يزال بها اذ اختلف قوله في التوضي من اواني المشركين ومدمني الخمر والصلاة في
المقابر المنبوشة والصلاة مع طين الشوارع اعني المقدار الزائد على ما يتعذر الاحتراز منه وعبر
الاصحاب عنه بانه اذا تعارض الاصل والغالب فايهما يعتبر وهذا جار في حل الشرب من اواني
مدمني الخمر والمشركين لان النجس لا يحل شربه فان ماخذ النجاسة والحل واحد فالتردد في
احدهما يوجب التردد في الاخر والذي اختاره ان الاصل هو المعتبر وان العلامة اذا لم
تتعلق بعين المتناول لم يوجب رفع الاصل وسياتي بيان ذلك وبرهانه في المثال الثاني
للشبهة وهي شبهة الخلط فقد اتضح من هذا حكم حلال شك في طريان محرم عليه او ظن وحكم
حرام شك في طريان محلل عليه او ظن وبان فرق بين ظن يستند الى علامة في عين الشيء
وبين ما لا يستند اليه وكل ما حكمنا في هذه الاقسام الاربعة بحله فهو حلال في الدرجة الاولى
والاحتياط تركه فالمقدم عليه لا يكون من زمرة المتقين والصالحين بل من زمرة العدول الذين
لا يقضي في فتوى الشرع بفسقهم وعصيانهم واستحقاقهم العقوبة الا ما الحقناه برتبة الوسواس
فان الاحتراز عنه ليس من الورع اصلا **المثار الثاني** للشبهة شك منشاه الاختلاط وذلك
بان يختلط الحرام بالحلال ويشتبه الامر فلا يتميز والخلط لا يخلو اما ان يقع بعدد لا يحصر
من الجانبين او من احدهما او بعدد محصور فان اختلط بمحصور فلا يخلو اما ان يكون اختلاط امتزاج
بحيث لا يتميز بالاشارة كاختلاط المائعات او يكون اختلاط استبهام مع تميز الاعيان كاختلاط
الاعبد والدور والافراس والذي يختلط بالاستبهام فلا يخلو اما ان يكون مما يقصد عينه
كالعروض او لا يقصد كالنقود فيخرج من هذا التقسيم سبعة اقسام **القسم الاول**
ان يستبهم العين بعدد محصور كما لو اختلطت ميتة بمذكاة او بعشر مذكاة او تختلط رضيعة بعشر
نسوة او يتزوج احدى الاختين ثم يلتبس فهذه شبهة يجب اجتنابها بالاجماع لانه لا مجال
للاجتهاد والعلامات في هذا واذا اختلط بعدد محصور صارت الجملة كالشيء الواحد فتقابل فيه
يقين التحريم والتحليل ولا فرق في هذا بين ان يثبت حل فيطرأ اختلاط محرم كما لو وقع الطلاق
على احدى زوجتيه في مسئلة الطائر او يختلط قبل الاستحلال كما لو اختلطت رضيعة باجنبية
فاراد استحلال واحدة وهذا قد يشكل في طريان التحريم كطلاق احدى الزوجتين لما سبق من
الاستصحاب وقد نبهنا على وجه الجواب وهو ان يقين التحريم قابل يقين الحل فضعف الاستصحاب
وجانب الحظر اغلب في نظر الشرع فلذلك رجح وهذا اذا اختلط حلال محصور بحرام محصور فان
اختلط حلال محصور بحرام غير محصور فلا يخفى ان وجوب الاجتناب اولى **القسم الثاني**
حرام محصور بحلال غير محصور كما لو اختلطت رضيعة او عشر رضائع بنسوة بلد كبير فلا يلزم
بهذا اجتناب نكاح نساء اهل البلد بل له ان ينكح من شاء منهن وهذا لا يجوز ان يعلل
بكثرة الحلال اذ يلزم عليه ان يجوز النكاح اذا اختلطت واحدة حرام بتسعة حلال ولا
قائل به بل العلة الغلبة والحاجة جميعا اذ كل من ضاع له رضيع او قريب او محرم بمصاهرة
او نسب من الانساب لا يمكن ان يسد عليه باب النكاح وكذلك من علم ان مال الدنيا خالطه حرام
قطعا لا يلزمه ترك الشراء والاكل فان ذلك حرج وما في الدين من حرج ويعلم هذا بانه لما سرق
في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم مجن وغل واحد في الغنيمة عباءة لم يمتنع احد من شراء

المجن والعباءة في الدنيا وكذلك كل ما سرق وكذلك كان يعرف ان في الناس من يربي في الدراهم
والدنانير وما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الناس الدراهم بالكلية وبالجملة انما تنفك الدنيا عن الحرام اذا
عصم الخلق كلهم عن المعاصي وهو محال واذا لم يشترط هذا في الدنيا لم يشترط ايضا في
ذلك الا اذا وقع بين جماعة محصورين بل اجتناب هذا من ورع الموسوسين اذ لم ينقل ذلك
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من احد من الصحابة رضي الله عنهم ولا يتصور الوفاء به في ملة من
الملل ولا في عصر من الاعصار **فان قلت** فكل عدد محصور في علم الله فما حد المحصور ولو
اراد الانسان ان يحصر اهل بلد لقدر عليه ايضا ان مكن منه فلتعلم ان تحديد هذه الامور غير ممكن
وانما يضبط بالتقريب فنقول كل عدد لو اجتمع على صعيد واحد لعسر على الناظر عدهم
بمجرد النظر كالالف والالفين فهو غير محصور وبين الطرفين اوساط متشابهة يلحق باحد الطرفين
بالظن وما وقع الشك فيه استفتى فيه القلب فان الاثم حزاز القلوب وفي مثل هذا المقام
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوابصة استفت قلبك وان افتوك وافتوك وكذلك الاقسام
الاربعة التي ذكرناها في المثار الاول فتطع فيها اطراف متقابلة واضحة في النفي والاثبات وفي
اوساط متشابهة فالمفتي يفتي بالظن وعلى المستفتي ان يستفتي قلبه فان حاك في صدره شيء
فهو الاثم بينه وبين الله تعالى فلا ينجيه في الآخرة فتوى المفتي فانه يفتي بالظاهر والله يتولى
السرائر **القسم الثالث** ان يختلط حرام لا يحصر بحلال لا يحصر كحكم الاموال في زماننا هذا
فالذي يأخذ الاحكام من الصور قد يظن ان نسبة غير المحصور كنسبة المحصور الى المحصور وقد
حكمنا ثم بالتحريم فالحكم هاهنا والذي نختاره خلاف ذلك وهو انه لا يحرم بهذا الاختلاط
ان يتناول شيئا بعينه احتمل انه حرام وانه حلال الا ان يقترن بتلك العين علامة تدل على انه
من الحرام فان لم يكن في العين علامة فتركه ورع واخذه حلال لا يفسق به آكله ومن العلامات
ان يأخذه من يد سلطان ظالم الى غير ذلك من العلامات التي سيأتي ذكرها ويدل عليه الاثر
والقياس اما الاثر فما علم في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين بعده اذ كانت اثمان الخمور
ودراهم الربا في ايدي اهل الذمة مختلطة بالاموال وكذا غلول الغنيمة ومن الوقت الذي
نهى عليه السلام عن الربا اذ قال اول ربا اضعه ربا العباس ما ترك الناس الربا باجمعهم
كما لم يتركوا شرب الخمر وسائر المعاصي حتى روي ان بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باع الخمر فقال عمر
لعن الله فلانا هو اول من سن بيع الخمر اذ لم يكن قد فهموا ان تحريم الخمر تحريم لثمنه
وقال صلى الله عليه وسلم ان فلانا يجر في النار عباءة قد غلها وقتل رجل ففتشوا متاعه
فوجدوا فيه خرزا من خرز اليهود لا يساوي درهمين قد غله وكذلك ادرك اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الائمة
الظلمة ولم يمتنع احد منهم عن الشراء والبيع في السوق بسبب نهب المدينة وقد نهبها اصحاب يزيد
وكان من يمتنع من تلك الاموال المشهور به في ايام الظلمة ومن اوجب ما لا يوجبه السلف الصالح
وزعم انه تفطن من الشرع لما لم يتفطنوا له فهو موسوس مختل العقل ولو جاز ان يزاد عليهم
في مثل هذا لجاز مخالفتهم في مسائل لا مستند فيها سوى اتفاقهم ان الجدة كالام في التحريم
وابن الابن كالابن وشعر الخنزير وشحمه كاللحم المذكور في القرآن والربا جار فيما عدا الاشياء
الستة وذلك محال فانهم اولى بفهم الشرع من غيرهم واما القياس فهو انه لو فتح هذا الباب
لانسد باب التصرفات وخرب العالم اذ الفسق يغلب على الناس ويتساهلون بسببه في شروط
الشرع في العقود ويؤدي ذلك لا محالة الى الاختلاط فان قيل فقد نقل انه صلى الله عليه وسلم
امتنع من الضب وقال اخشى ان يكون مما مسخه الله وهو في اختلاط غير المحصور **قلت**
يحمل ذلك على الورع والتنزه او يقول الضب شكل غريب ربما يدل على انه من المسخ فهي دلالة

في عين المتناول فان قيل فهذا معلوم من زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة بسبب الربا
والسرقة والنهب وغلول الغنيمة وغيرها ولكن كانت هي الاقل بالاضافة الى الحلال فماذا تقول
في زماننا وقد صار الحرام اكثر ما في ايدي الناس لفساد المعاملات واهمال شروطها وكثرة
السلاطين الظلمة فمن اخذ مالا لم يشهد عليه علامة معينة في عينه للتحريم فهو حرام ام لا
فاقول ليس ذلك حراما وانما الورع تركه وهذا الورع اهم من الورع اذا كان قليلا ولكن
الجواب عن هذا ان قول القائل اكثر اموال الناس حرام في زماننا غلط محض ومنشاه
الغفلة عن الفرق بين الكثير والاكثر فاكثر الناس بل اكثر الفقهاء يظنون ان ما ليس بنادر فهو
الاكثر ويتوهمون انهما قسمان متقابلان ليس بينهما ثالث وليس كذلك بل الاقسام ثلاث قليل
وهو النادر وكثير واكثر **ومثاله** ان الخنثى فيما بين الخلق نادر واذا اضيف اليه المريض وجد
كثيرا وكذا السفر حتى يقال المرض والسفر من الاعذار العامة والاستحاضة من الاعذار النادرة
ومعلوم ان المرض ليس بنادر وليس بالاكثر بل هو كثير والفقيه اذا تساهل وقال المرض والسفر
غالب وهو عذر عام اراد به انه ليس بنادر فان لم يرد هذا فهو غلط فالصحيح والمقيم هو الاكثر
والمسافر والمريض كثير والمستحاضة والخنثى نادر فاذا فهم هذا **فنقول** قول القائل الحرام
اكثر باطل لان مستند هذا القائل اما ان يكون كثرة الظلمة والجندية وكثرة الربا والمعاملات
الفاسدة او كثرة الايدي التي تكررت من اول الاسلام الى زماننا هذا على اصول الاموال الموجودة
اليوم اما المستند الاول فباطل فان الظالم كثير وليس بالاكثر فانهم الجندية اذ لا يظلم الا ذو غلبة
وشوكة وهم اذا اضيفوا الى كل العالم لم يبلغوا عشر عشيرهم فكل سلطان يجتمع عليه من الجنود
مائة الف مثلا فيملك اقليما يجمع الف الف وزيادة ولعل بلدة واحدة من بلاد مملكته يزيد عددهم
على جميع عسكره ولو كان عدد السلاطين اكثر من عدد الرعايا لهلك الكل اذ كان يجب على واحد من
الرعية ان يقوم بعشرة منهم مع تنعمهم في المعيشة ولا يتصور ذلك بل كفاية الواحد منهم تجمع من
الف وزيادة وكذا القول في السراق فان البلدة الكبيرة تشتمل منهم على عدد قليل واما المستند
الثاني وهو كثرة الربا والمعاملات الفاسدة فهي ايضا كثيرة وليست بالاكثر اذ اكثر المسلمين
يتعاملون بشروط الشرع فعدد هؤلاء اكثر والذي يعامل بالربا وغيره فلو عددت معاملته وحده
لكان عدد الصحيح منها يزيد على الفاسد الا ان يطلب الانسان بوهمه في البلد مخصوصا بالمجانة
والخبث وقلة الديانة حتى يتصور ان يقال معاملاته الفاسدة اكثر ومثل ذلك المخصوص نادر
وان كان كثيرا فليس بالاكثر لو كان كل معاملاته فاسدة كيف ولا يخلو هو ايضا من معاملة
صحيحة تساوي الفاسدة او تربي عليها وهذا مقطوع به لمن تامله وانما غلب هذا على النفوس
لاستكثار النفوس الفساد واستبعادها اياه وان كان نادرا حتى انه يظن ان الربا وشرب الخمر
قد شاع كما شاع الحرام فيتخيل انهم الاكثرون وهو خطأ فانهم الاقلون وان كان فيهم كثرة
واما المستند الثالث فهو اخيلها ان يقال الاموال انما تحصل من المعادن والنبات والحيوان
حاصل من التوالد فاذا نظرنا الى شاة مثلا وهي تلد في كل سنة فيكون عدد اصولها الى زمان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من خمسمائة ولا يخلو هذا ان يتطرق الى واحد من تلك الاصول غصب او
معاملة فاسدة فكيف يقدر ان يسلم اصولها عن تصرف باطل الى زماننا هذا وكذا بذور
الحبوب والفواكه تحتاج الى خمسمائة اصل او الف اصل الى اول الشرع ولا يكون هذا حلالا ما لم يكن اصله
واصل اصله وكذلك الى اول زمان النبوة حلالا واما المعادن فهي التي يمكن نيلها على سبيل
الابتداء وهي اقل الاموال واكثر ما يستعمل منها الدراهم والدنانير ولا تخرج الا من دار الضرب
وهي في ايدي الظلمة بل المعادن في ايدي الظلمة يمنعون الناس منها ويلزمون الفقراء استخراجها

الاعمال الشاقة ثم ياخذونها منهم غصبا فاذا انظر الى هذا اعلم ان بقي دينار واحد بحيث
لم يتطرق اليه عقد فاسد او ظلم وقت النيل ولا وقت الضرب في دار الضرب ولا بعده في
معاملات الصرف بعيد نادر او محال فلا يبقى اذن حلال الا الصيد والحشيش في الصحاري في
المعادن والحطب المباح ثم من يحصله لا يقدر على اكله فيفتقر الى من يشتري به الحبوب
والحيوانات التي لا تحصل الا بالاستنبات والتوالد فيكون قد بذل حلالا في مقابلة الحرام
فهذا هو اشد الطرق تخيلا **فالجواب** ان هذه الاغاليط لم تمتنا من كثرة الحرام
المخلوط بالحلال تخرج عن النمط الذي نحن فيه وتلتحق بما ذكرناه من قبل وهو تعارض الاصل
والغالب اذ الاصل في هذه الاموال قبولها التصرفات وجواز التراضي عليها وقد عارضه سبب غالب
يخرجه عن الصلاح فيضاهي هذا محل القولين للشافعي في حكم النجاسات والصحيح عندنا انه
تجوز الصلاة في الشوارع اذا لم ير نجاسة وان طين الشوارع طاهر وان الوضوء من اواني المشركين
جائز والصلاة في المقابر المنبوشة جائزة فنثبت هذا اولا ثم نقيس ما نحن فيه عليه ويدل على
ذلك توضؤ عمر رضي الله عنه من جرة نصرانية مع ان شربهم الخمر ومطعمهم الخنزير ولا يحترزون
عما نجسه شرعنا فكيف تسلم اوانيهم من ايديهم بل نقول نعلم قطعا انهم كانوا يلبسون الجلود
المدبوغة والثياب المصبوغة والمقصورة ومن تامل احوال الدباغين والقصارين والصباغين علم ان
الغالب عليهم النجاسة وان الطهارة في تلك الثياب محال او نادر بل نقول انهم كانوا ياكلون خبز
البر والشعير ولا يغسلونه مع انه تداس بالبقر والدواب وهي تبول عليها وتروث وقل ما
تتخلص منها وكانوا يركبون الدواب وهي تعرق وما كانوا يغسلون ظهورها مع كثرة تمرغها
في النجاسات بل كل دابة تخرج من بطن امها وعليها رطوبات نجسة قد تزيلها الامطار وقد لا تزيلها
وما كان يحترز عنها وكانوا يمشون حفاة في الطرق وبالنعال ويصلون معها ويجلسون على التراب
ويمشون على الطين من غير حاجة وكانوا لا يمشون في البول والعذرة ولا يجلسون عليه ويستنزهون
منه ومتى تسلم الشوارع عن النجاسات مع كثرة الكلاب وابوالها وكثرة الدواب وارواثها ولا
ينبغي ان يظن ان الاعصار والامصار تختلف في مثل هذا حتى يظن ان الشوارع كانت تغسل في
عصرهم او كانت تحرس من الدواب هيهات فذلك معلوم استحالته بالعادة قطعا فدل على انهم
لم يحترزوا الا من نجاسة مشاهدة او علامة على النجاسة دالة على العين فاما الظن الغالب الذي يستثار
من رد الوهم الى مجاري الاحوال فلم يعتبروه وهذا عند الشافعي وهو يرى ان الماء القليل ينجس
من غير تغير وقع اذ لم تزل الصحابة رضي الله عنهم يدخلون الحمامات ويتوضؤون من الحياض وفيها
المياه القليلة والايدي المختلفة تغمس فيها على الدوام وهذا قاطع في هذا الغرض ومهما ثبت جواز
التوضي من جرة نصرانية ثبت جواز شربه والتحق حكم الحل بحكم النجاسة **فان قيل**
لا يجوز قياس الحل على النجاسة اذ كانوا يتوسعون في امور الطهارات ويحترزون في شبهات الحرام
غاية التحرز فكيف يقاس عليه **قلنا** ان اريد به انهم صلوا مع النجاسة والصلاة معها
معصية وهي عماد الدين فبئس الظن بل يجب ان يعتقد فيهم انهم احترزوا عن كل نجاسة وجب
اجتنابها وانما تسامحوا حيث لم يجب وكان من محل تسامحهم هذه الصورة التي تعارض فيها
الاصل والغالب فبان ان الغالب الذي لا يستند الى علامة تتعلق بعين ما فيه النظر مطرح واما
تورعهم في الحلال فانه كان بطريق التقوى وهو ترك ما لا باس به مخافة مما به باس لان امر
الاموال مخوف والنفس تميل اليها ان لم يضبط عنها وامر الطهارة ليس كذلك فقد امتنع طائفة
منهم عن الحلال المحض خيفة ان يشغل قلبهم وهو محكي عن واحد انه احترز عن الوضوء من ماء
البحر وهو الطهور المحض فالافتراق في ذلك لا يقدح في الغرض الذي جمعنا فيه على انا

نجري في هذا المستند على الجواب الذي قدمناه في المستندين السابقين ولا نسلم مع ما ذكروه
من ان الاكثر هو الحرام لان المال وان كثرت اصوله فليس بواجب ان يكون في اصوله حرام بل
الاموال الموجودة اليوم مما تطرق الظلم الى اصول بعضها دون بعض وكما ان الذي يغصب
غصبه اليوم هو الاقل بالاضافة الى ما لا يغصب ولا يسرق فهكذا كل مال في كل عصر وفي كل اصل
فالمغصوب من مال الدنيا والمتناول بالفساد في كل زمان بالاضافة الى غيره اقل وليس يدرك
هذا الفرع بعينه من اي القسمين فلا نسلم ان العالم حرم فانه كما يزيد المغصوب بالتوالد يزيد غير
المغصوب بالتوالد فيكون فرع الاكثر لامحالة اكثر في كل عصر وزمان بل الغالب ان يلحق المغصوب بعد
تغصب الاكل لا المدخر وكذا الحيوانات المغصوبة اكثرها تؤكل ولا تقتنى للتوالد فكيف يقال ان فروع الحرام
اكثر ولم تكن اصول الحلال اكثر من اصول الحرام وليتفهم المسترشد من هذا الطريق معرفة الاكثر فانه
مزلة قدم واكثر العلماء يغلطون فيه فكيف العوام هذا في المتولدات من الحبوب والحيوانات فاما
المعادن فانها مخلاة مسبلة ياخذها في بلاد الترك وغيرها من شاء ولكن قد ياخذ السلاطين
بعضها منهم او ياخذون الاقل لا الاكثر ومن حاز من السلاطين معدنا فظلمه بمنع الناس عنه
واما ما ياخذه منه فياخذه السلطان باجرة والصحيح انه يجوز الاستنابة في اثبات اليد على المباحات
والاستئجار عليه فالمستاجر على الاستقاء اذا حاز الماء دخل في ملك المستقى له واستحق الاجرة
وكذا النيل فاذا فرعنا على هذا لم يحرم عين الذهب الا ان يقدر ظلمه بنقصان اجرة العمال وذلك
قليل بالاضافة الى ما دفع اليه ثم لا يوجب تحريم عين الذهب بل يكون ظالما ببقاء الاجرة في
ذمته واما دار الضرب فليس الذهب الخارج منها من اعيان ذهب السلطان الذي غصبه وظلم به الناس
بل التجار يحملون اليهم الذهب المسكوك والنقد الردي ويستاجرونهم على السبك والضرب وياخذون
مثل ما سلموا الا شيئا قليلا يتركونه اجرة لهم على العمل وذلك جائز فان فرض دنانير مضروبة
من ذهب السلطان فهو بالاضافة الى مال التجار اقل لامحالة نعم السلطان يظلم اجراء دار الضرب بان
ياخذ منهم ضريبة لانه خصصهم بها من بين سائر الناس حتى توفر عليهم مال الحشمة للسلطان
مما ياخذ عوضا من حشمته وذلك من باب الظلم وهو قليل بالاضافة الى ما يخرج من دار الضرب فلا
يسلم لاهل دار الضرب والسلطان من جملة ما يخرج منه من المائة واحد وهو عشر العشر فكيف يكون
هو الاكثر فهذه اغاليط سبقت الى القلوب بالوهم وتشمر لتزيينها جماعة ممن رق دينهم حتى منعوا
الورع وسدوا بابه واستقبحوا تمييز من يميز بين مال ومال وذلك عين البدعة والضلال **فان قيل**
فلو قدر غلبة الحرام وقد اختلط غير محصور بغير محصور فماذا تقولون فيه اذا لم يكن في العين
المتناولة علامة خاصة **فنقول** الذي نراه ان تركه ورع وان اخذه ليس بحرام لان الاصل الحل
ولا يرفع الا بعلامة معينة كما في طين الشوارع ونظائرها بل ازيد **واقول** لو طبق الحرام
الدنيا حتى علم يقينا انه لم يبق في الدنيا حلال لكنت اقول نستانف تمهيد الشروط من وقتنا
ونعفو عما سلف **ونقول** ما جاوز حده انعكس الى ضده فمهما حرم الكل جاز الكل وبرهانه انه اذا وقعت
هذه الواقعة فالاحتمالات خمسة احدها ان يقال يدع الناس الاكل حتى يموتوا من عند آخرهم
الثاني ان يقتصروا منها على قدر الضرورة وسد الرمق يزجون عليها اياما الى الموت الثالث
ان يقال يتناولون بقدر الحاجة كيف شاؤوا سرقة وغصبا وتراضيا من غير تمييز بين مال ومال وجهة
وجهة الرابع ان يتبعوا شروط الشرع ويستانفوا قواعده من غير اقتصار على الحاجة الخامس
ان يقتصر مع شروط الشرع على قدر الحاجة اما الاول فلا يخفى بطلانه واما الثاني فباطل
قطعا لانه اذا اقتصر الناس على سد الرمق وزجوا اوقاتهم مع الضعف فشا فيهم الموتان

وبطلت الأعمال والصناعات وخربت الدنيا بالكلية وفي خراب الدنيا خراب الدين لأنها مزرعة الآخرة
وأحكام القضاء والخلافة والسياسات بل أكثر أحكام الفقه مقصودها حفظ مصالح الدنيا ليتم
مصالح الدين وأما الثالث وهو الاقتصار على قدر الحاجة من غير زيادة عليه مع التسوية بين مال
ومال بالغصب والسرقة والتراضي وكيف ما اتفق فهو رفع لسد الشرع بين المفسدين وبين
أنواع الفساد فتمتد الأيدي بالغصب والسرقة وأنواع الظلم ولا يمكن زجرهم منه إذ يقولون ليس يتميز
صاحب اليد باستحقاق عنا فإنه حرام عليه وعلينا والمبذول له قدر الحاجة فقط فإن كان هو
محتاجا فإنا أيضا محتاجون وإن كان في حقي زائدا على الحاجة فقد سرقته ممن هو زائد على حاجة
يومه وإذا لم نراع حاجة اليوم والسنة فالذي نراعي فكيف يضبط ويؤدي إلى بطلان سياسة
الشرع وإغراء أهل الفساد بالفساد فلا يبقى إلا الاحتمال الرابع وهو أن يقال كل ذي يد على ما في يده
ويقال هو أولى به ولا يجوز أن يؤخذ منه سرقة وغصبا بل يؤخذ برضاه والتراضي هو طريق الشرع
وإذا لم يجز إلا بالتراضي فللتراضي أيضا منهاج في الشرع يتعلق به المصلحة فلم يتعين أصل التراضي
وتعطل تفصيله وأما الاحتمال الخامس وهو الاقتصار على قدر الحاجة مع الاكتساب بطريق
الشرع من أصحاب الأيدي فهو الذي نراه لائقا بالورع لمن يريد سلوك طريق الآخرة ولكن لا وجه
لإيجابه على الكافة ولا إدخاله في فتوى العامة لأن أيدي الظلمة تمتد إلى الزيادة على قدر الحاجة
في أيدي الناس وكذلك أيدي السراق وكل من غلب سلب وكل من وجد فرصة سرق ويقول
لا حق له إلا في قدر الحاجة وأنا محتاج فلا يبقى إلا أن يجب على السلطان أن يخرج كل زيادة
على الحاجة من أيدي الملاك ويستوعب بها أهل الحاجة ويدر على الكل الأموال يوما فيوما أو
سنة فسنة وفيه تكليف شطط وتضييع أموال أما تكليف الشطط فهو أن السلطان لا يقدر على
القيام بهذا مع كثرة الخلق بل لا يتصور ذلك أصلا وأما التضييع فهو أن ما فضل عن الحاجة من الفواكه
واللحوم والحبوب ينبغي أن يلقى في البحر أو يترك حتى يتعفن فإن الذي خلقه الله من الفواكه والحبوب
زائد على قدر توسع الخلق وترفههم فكيف على قدر حاجتهم ثم يؤدي ذلك إلى سقوط الحج والزكاة
والكفارات المالية وكل عبادة نيطت بالغنى عن الناس إذا أصبح الناس لا يملكون إلا قدر حاجتهم
وهو في غاية القبح بل أقول لو ورد نبي في هذا الزمان لوجب عليه أن يستأنف الأمر ويمهد
تفصيل أسباب الأملاك بالتراضي وسائر الطرق ويفعل ما يفعله لو وجد جميع الأموال حلالا من غير
فرق وأعني بقولي يجب عليه إذا كان النبي ممن بعث لمصلحة الخلق في دينهم ودنياهم إذ لا يتم
الصلاح برد الكافة إلى قدر الضرورة والحاجة البتة فإن لم يبعث للصلاح لم يجب هذا ونحن نجوز أن
يقدر الله تعالى سببا يهلك به الخلق عن آخرهم فتفوت دنياهم ويضلون في دينهم فإنه تعالى
يهدي من يشاء ويضل من يشاء ويميت من يشاء ويحيي من يشاء ولكنا نقدر الأمر جاريا على
ما ألف من سنة الله في بعثة الأنبياء لصلاح الدين والدنيا وما لنا نقدر هذا وقد كان ما قدرناه
فلقد بعث نبينا محمد على فترة من الرسل وكان شرع عيسى قد مضى عليه قريب ستمائة
سنة والناس منقسمون إلى مكذبين له من اليهود وعبدة الأوثان وإلى مصدقين
قد شاع الفسق فيهم كما شاع في زماننا الآن والكفار مخاطبون بفروع الشريعة
والأموال كانت في أيدي المكذبين له والمصدقين أما المكذبون فكانوا يتعاملون
بغير شرع عيسى وأما المصدقون فتساهلوا مع أصل التصديق كما تساهل الآن
المسلمون مع أن العهد بالنبوة أقرب فكانت الأموال كلها أو أكثرها أو كثير منها حراما
وعفا صلى الله عليه وسلم عما سلف ولم يتعرض له وخصص أصحاب الأيدي بالأموال ومهد

الشرع

الشرع وما ثبت تحريمه في شرع لا ينقلب حلالا إلا لبعثة رسول ولا ينقلب حلالا إلا بأن يسلم
الذي في يده الحرام فإنا لا نأخذ في الجزية من أهل الذمة ما نعرف بعينه أنه ثمن خمر أو مال
ربا فقد كانت أموالهم في ذلك الزمان كأموالنا الآن وأمر العرب كان أشد لعموم النهب
والغارة فيهم فبان أن الاحتمال الرابع متعين في الفتوى والاحتمال الخامس طريق الورع
بل تمام الورع الاقتصار في المباح على قدر الحاجة وترك التوسع في الدنيا بالكلية وذلك
طريق الآخرة ونحن الآن نتكلم في الفقه المنوط بمصالح الخلق وفتوى الظاهر له حكم و
منهاج على حسب مقتضى المصالح وطريق الدين لا يقدر على سلوكه إلا الآحاد ولو اشتغل
الخلق كلهم به لبطل النظام وخرب العالم فإن ذلك طلب ملك كبير في الآخرة ولو اشتغل
الخلق بطلب ملك الدنيا وتركوا الحرف الدنية والصناعات الخسيسة بطل النظام ثم
يبطل ببطلانه الملك أيضا فالمحترفون إنما سخروا لينتظم الملك للملوك وكذلك المقبلون على
الدنيا سخروا ليسلم طريق الدين لذوي الدين وهو ملك الآخرة ولولاه لما سلم لذوي الدين أيضا
دينهم فشرط سلامة الدين لهم أن يعرض الأكثرون عن طريقهم ويشتغلوا بأمور الدنيا وذلك
قسمة سبقت بها المشيئة الأزلية وإليه الإشارة بقوله تبارك وتعالى ورفعنا بعضهم فوق
بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا **فإن قيل** لا حاجة إلى تقدير عموم التحريم
حتى لا يبقى حلال فإن ذلك غير واقع وهو معلوم ولا شك في أن البعض حرام وذلك البعض
هو الأقل والأكثر فيه نظر وما ذكرتموه في أنه الأقل بالإضافة إلى الكل جلي ولكن لا بد من دليل
يحصل على تجويزه ليس من المصالح المرسلة وما ذكرتموه من التقسيمات كلها مصالح مرسلة
فلا بد لها من شاهد معين يقاس عليه حتى يكون الدليل مقبولا بالاتفاق فإن بعض العلماء
لا يقبل المصالح المرسلة **فنقول** إن سلم أن الحرام هو الأقل فيكفينا برهان عصر رسول الله
صلى الله عليه وسلم والصحابة مع وجود الربا والسرقة والغلول والنهب وإن قدر زمان يكون الأكثر
هو الحرام فنحل التناول أيضا وبرهانه ثلاثة أمور **الأول** التقسيم الذي حصرناه وأبطلنا منه
أربعة أقسام وأثبتنا القسم الخامس فإن ذلك إذا جرى فيما إذا كان الكل حراما كان أجرى
فيما إذا كان الحرام هو الأكثر أو الأقل وقول القائل هو مصلحة مرسلة هوس فإن ذلك إنما تخيل
من تخيله في أمور مظنونة وهذا مقطوع به فإنا لا نشك في أن مصلحة الدين والدنيا مراد
الشرع وهو معلوم بالضرورة وليس بمظنون ولا شك في أن رد كافة الناس إلى قدر
الضرورة أو الحاجة أو إلى الحشيش والصيد مخرب للدنيا أولا وللدين بواسطة الدنيا ثانيا فما
لا يشك فيه لا يحتاج إلى أصل يشهد له وإنما يستشهد على الخيالات المظنونة المتعلقة بآحاد
الأشخاص **البرهان** الثاني أن يطلب قياسا محررا مردودا إلى أصل يتفق الفقهاء الآن
بالأقيسة الجزئية إليه وإن كانت الجزئيات مستحقة عند المحصلين بالإضافة إلى مثل ما ذكرناه
من الأمر الكلي الذي ضرورة النبي لو بعث في زمان عم التحريم حتى لو حكم بغيره لخرب العالم
والقياس المحرر الجزئي هو أنه قد تعارض أصل وغالب فيما انقطعت فيه العلامات المعينة
غير من الأعيان التي ليست محصورة فنحكم بالأصل لا بالغالب قياسا على طين الشوارع وجرة
النصرانية وأواني المشركين وذلك قد أثبتناه من قبل بفعل الصحابة وقولنا انقطعت
العلامات المعينة احترازا عن الأواني التي يتطرق الاجتهاد إليها وقولنا ليست محصورة
احترازا عن التباس الميتة والرضيعة بالمذكاة والأجنبية **فإن قيل** كون الماء

طهورا مستيقن وهو الاصل ومن يسلم ان الاصل في الاموال الحل بل الاصل فيها التحريم
فنقول الاموال التي لا تحرم لصفة في عينها حرمة الخمر والخنزير خلقت على صفة يستعد بها
لقبول المعاملات بالتراضي كما خلق الماء مستعدا للوضوء وقد وقع الشك في بطلان الاستعداد
منها فلا فرق فانها تخرج عن قبول المعاملة في التراضي بدخول الظلم عليها كما يخرج الماء عن قبول
الوضوء بدخول النجاسة عليه فلا فرق **والجواب** الثاني ان اليد دلالة ظاهرة دالة على الملك
نازلة منزلة الاستصحاب واقوى منه بدليل ان الشرع الحقه به اذ من ادعى عليه ملك في يده
فالقول ايضا قوله لان الاصل براءة ذمته وهذا اقوى استصحاب ومن ادعى عليه ملك في يده
فالقول قوله اقامة لليد مقام الاستصحاب فكلما وجد في يد انسان فالاصل انه ملكه
ما لم يدل على خلافه علامة معينة **البرهان الثالث** هو ان ما دل على جنس لا يحصر ولم يدل
على عين لم يعتبر وان كان قطعا فبان لا يعتبر اذا دل بطريق الظن اولى وبيانه انا نعلم
ان مالك زيد مثلا يمنع من التصرف فيه بغير اذنه ولو علم ان له مالكا في العالم ولكن وقع الياس
عن الوقوف عليه وعلى وارثه فهو مال مرصد لمصالح المسلمين يجوز التصرف فيه بحكم المصلحة
ولو دل على ان له مالكا محصورا في عشرة اشخاص مثلا او عشرين امتنع التصرف فالذي يشك
في ان له مالكا سوى صاحب اليد ام لا لا يزيد على الذي يتيقن قطعا ان له مالكا ولكن لا يعرف
عينه فليجز التصرف فيه بالمصلحة والمصلحة ما ذكرنا في الاقسام الخمسة فيكون هذا الاصل شاهدا
له وكيف لا وكل مال ضائع فقد مالكه يصرفه السلطان الى المصالح ومن المصالح الفقراء وغيرهم
فلو صرف الى فقير ملكه ونفذ فيه تصرفه ولو سرقه منه سارق قطعت يده فكيف نفذ تصرفه
في ملك الغير ليس ذلك الا لحكمنا بان المصلحة تقتضي ان ينتقل الملك اليه ويحل له فقضينا
بموجب المصلحة فان قيل ذلك يختص بالتصرف فيه للسلطان فنقول والسلطان لا يجوز له التصرف
في ملك غيره بغير اذنه لا سبب له الا المصلحة وهو انه لو ترك لضاع فهو مردد بين تضييعه
وبين صرفه الى مهم والصرف الى المهم اصلح من التضييع فرجح عليه والمصلحة فيما نشك فيه ولا
نعلم تحريمه ان يحكم بدلالة اليد ويترك على ارباب الايدي اذ انتزاعها بالشك وتكليفهم الاقتصار
على الحاجة يؤدي الى الضرر الذي ذكرناه ووجوه المصلحة تختلف فان السلطان تارة يرى من
المصلحة ان يبني بذلك قنطرة وتارة ان يصرفه الى الجند الاسلام وتارة الى الفقراء ويدور مع المصلحة
كيف ما دارت فكذلك الفتوى في مثل هذا تدور على المصلحة وقد خرج من هذا ان الخلق غير مأخوذين
في اعيان الاموال بظنون لا تستند الى خصوص دلالة في تلك الاعيان كما لم يؤاخذ السلطان والفقراء
الآخذون منه بعلمهم ان المال له مالك حيث لم يتعلق العلم بعين مالك مشار اليه ولا فرق بين
عين المالك وبين عين الاملاك في هذا المعنى وهذا بيان شبهة الاختلاط ولم يبق الا النظر في
امتزاج المائعات والدراهم والعروض في يد مالك واحد وسياتي بيانه في باب تفصيل طريق الخروج
المثار الثالث للشبهة وهو ان يتصل بالسبب المحلل معصية اما في قرائنه واما في لواحقه
واما في سوابقه او في عوضه وكانت من المعاصي التي لا توجب فساد العقد وابطال السبب المحلل
مثال المعصية في القرائن البيع في وقت النداء يوم الجمعة والذبح بالسكين المغصوب والاحتطاب
بالقدوم المغصوب والبيع على بيع الغير والسوم على سومه وكل نهي ورد في العقود ولم يدل على
فساد العقد فان الامتناع من جميع ذلك ورع وان لم يكن المستفاد بهذه الاسباب محكوما بتحريمه
وتسمية هذا النمط شبهة فيه تسامح لان الشبهة في غالب الامر تطلق لارادة الاشتباه والجهل
ولا اشتباه ههنا بل العصيان بالذبح بسكين الغير معلوم وحل الذبيحة ايضا معلوم ولكن قد

تشتق الشبهة من المتشابه وتناول الحاصل من هذه الامور مكروه والكراهة تشبه الورع
فان اريد بالشبهة هذا فتسمية هذا شبهة له وجه والا فينبغي ان تسمى هذه كراهة لا شبهة واذا
عرف المعنى فلا مشاحة في الاسامي فعادة الفقهاء التسامح في الاطلاقات ثم اعلم ان هذه
الكراهة لها ثلاث درجات الاولى منها تقرب من الحرام والورع عنه مهم والاخيرة تنتهي الى نوع
من المبالغة يكاد يلتحق بورع الموسوسين وبينهما اوساط نازعة الى الطرفين فالكراهة في
صيد كلب مغصوب اشد منه في الذبيح بسكين مغصوب والمقتنص بسهم مغصوب اذ الكلب له
اختيار وقد اختلف في ان الحاصل به لمالك الكلب او للصياد ويليه البذر المزروع في الارض المغصوبة
فان الزرع لمالك البذر ولكن فيه شبهة ولو اثبتنا حق الحبس لمالك الارض لكان كالثمن الحرام ولكن
الاقيس ان لا يثبت حق حبس كما لو طحن بطاحونة مغصوبة واقتنص بشبكة مغصوبة اذ لا
يتعلق حق صاحب الشبكة في منفعتها بالصيد ويليه الاحتطاب بالقدوم المغصوب ثم ذبح ملك
نفسه بالسكين المغصوب اذ لم يذهب احد الى تحريم الذبيحة ويليه البيع في وقت النداء فانه
ضعيف التعلق بمقصود العقد وان ذهب قوم الى فساد العقد اذ ليس فيه الا انه اشتغل بالبيع
عن واجب آخر كان عليه ولو افسد البيع بمثله لافسد بيع كل من عليه زكاة او صلاة فائتة
وجوبها على الفور او في ذمته مظلمة دانق فان الاشتغال بالبيع مانع له من القيام بالواجبات
فليس للجمعة الا الوجوب بعد النداء وينجر ذلك الى ان لا يصح نكاح اولاد الظلمة وكل من في ذمته
درهم لانه اشتغل بقوله عن الفعل الواجب عليه الا انه من حيث ورد في يوم الجمعة نهي على
الخصوص ربما يسبق الى الافهام خصوص فيه فتكون الكراهة اشد ولا باس بالحذر منه ولكن
قد ينجر الى الوسواس حتى يتحرج عن نكاح بنات ارباب المظالم وسائر معاملاتهم وقد
حكي عن بعضهم انه اشترى شيئا فسمع انه اشتروه يوم الجمعة فرده خيفة ان يكون ذلك
مما اشتري وقت النداء وهذا غاية المبالغة لانه رد بالشك ومثل هذا الوهم في تقدير المناهي او
المفسدات لا ينقطع عن يوم السبت وسائر الايام فالورع حسن والمبالغة فيه احسن ولكن له
حد معلوم **فقد قال** صلى الله عليه وسلم هلك المتنطعون فليحذر من امثال هذه المبالغات
فانها وان كانت لا تضر صاحبها ربما اوهم عند الغير ان ذلك مهم ثم يعجز عما هو ايسر منه
فيترك اصل الورع وهو مستند اكثر الناس في زماننا هذا اذ ضيق عليهم الطريق فايسوا عن
القيام فاطرحوه فكما ان الموسوسين في الطهارة قد يعجزون عن الطهارة فيتركونها فكذا بعض الموسوسين
في الحلال سبق الى وهمهم ان مال الدنيا كله حرام فتوسعوا وتركوا التمييز وهو عين الضلال
واما مثال اللواحق فهو كل تصرف يفضي في سياقه الى معصية واعلاه بيع العنب من الخمار
وبيع الغلام من المعروف بالفجور بالغلمان وبيع السيف من قطاع الطريق وقد اختلف
العلماء في صحة ذلك وفي حل الثمن المأخوذ منه والاقيس ان ذلك صحيح والمأخوذ حلال والرجل
عاص بعقده كما يعصي بالذبح بالسكين المغصوب والذبيحة حلال فانه يعصي عصيان الاعانة
على المعصية ولا يتعلق ذلك بعين العقد فالمأخوذ من هذا مكروه كراهة شديدة وتركه من
الورع المهم وليس بحرام ويليه في الرتبة بيع العنب ممن يشرب الخمر ولم يكن خمارا وبيع
السيف ممن يغزو او يظلم ايضا لان الاحتمال قد تعارض وقد كره السلف بيع السيف
في وقت الفتنة خيفة من ان يشتريه ظالم فهذا ورع فوق الاول والكراهية فيه اخف ويليه
ما هو مبالغة ويكاد يلتحق بالوسواس وهو قول جماعة انه لا تجوز معاملة الفلاحين بآلات
الحرث لانهم يستعينون بها على الحراثة ويبيعون الطعام من الظلمة ولا يباع منهم
البقر ولا الفدان وهذا ورع الموسوسين اذ ينجر الى ان لا يباع من الفلاح طعام لانه

يتقوى به على الحراثة ولا يسقى من الماء انعام لذلك وينتهى هذا الى حد المتنطع المنهي عنه وكل متقي
الى شيء على قصد صحيح لا بد وان يعرف انه لم يلزمه العلم المحقق وربما يقدم على ما يكون بدعة في
الدين ويستضر الناس بعاجزه وهو يظن انه مشغول بالخير ولهذا قال صلى الله عليه وسلم فضل
العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي والمتنطعون هم الذين يخشى عليهم ان يكونوا
ممن قيل فيهم الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا
وبالجملة لا ينبغي ان يشتغل الانسان بدقايق الورع الا بحضرة عالم متقن فانه ان جاوز ما رسم
له من غير علم وتصرف بذهنه من غير سماع كان ما يفسده اكثر مما يصلحه وقد روى عن سعد
ابن ابي وقاص انه احرق كرمه خوفا من ان يباع العنب ممن يتخذه خمرا وهذا لا اعرف له وجها ان لم
يعرف هو سببا خاصا يوجب الاحراق اذ ما احرق نخيله وكرمه من كان ارفع قدرا من الصحابة ولو
جاز هذا لجاز قطع الذكر خيفة من الزنا وقطع اللسان خيفة من الكذب الى غير ذلك من الاتلافات
واما المقدمات فلتطرق المعصية اليها ثلاث درجات الدرجة الاولى وهي العليا التي
تشتد الكراهة فيها ما بقي اثره في المتناول كالاكل من شاة اعلفت بعلف مغصوب او
رعت في مرعى حرام فان ذلك معصية وقد كان سببا لبقايها وربما يكون الباقي من لحمها ودمها
واجزايها من ذلك العلف وهذا الورع مهم وان لم يكن واجبا ونقل ذلك عن جماعة من السلف
وكان لابي عبد الله الطوسي التروغندي شاة يحملها على رقبته كل يوم الى الصحراء ويرعاها وهو يصلي
وكان ياكل من لبنها فغفل عنها ساعة فتناولت من ورق كرم على طرف بستان فتركها في
البستان ولم يستحل اخذها فان قيل فقد روى عن عبد الله بن عمر وعبيد الله انهما
اشتريا ابلا فبعثاها الى الحمى فرعت فيه ابلهما حتى سمنت فقال عمر رعيتموها في الحمى
فشاطرهما فهذا يدل على ان اللحم الحاصل من العلف لصاحب العلف فليوجب هذا تحريما
قلنا ليس كذلك فان العلف يفسد بالاكل واللحم خلق جديد وليس هو عين العلف فلا
غرمه لصاحب العلف شرعا ولكن عمر غرمهما قيمة الكلا ورأى ذلك مثل شطر الابل بالاجتهاد
كما شاطر سعد بن ابي وقاص ماله لما قدم من الكوفة وكذلك شاطر ابا هريرة اذ راى ان
ذلك كله لا يستحقه العامل ورأى شطره كافيا على حق عمله وقدره بالشطر اجتهادا والرتبة
الوسطى ما نقل عن بشر رحمه الله تعالى من امتناعه عن ماء يساق في نهر احتفره الظلمة لان النهر
موصل اليه وقد عصى الله بحفره وامتناع آخر من عنب كرم سقي بماء جرى في نهر حفر
ظلما وهو ارفع منه وابلغ في الورع وامتناع آخر من الشرب من مصانع السلاطين في الطرق
واعلى من ذلك امتناع ذي النون من طعام حلال اوصل اليه على يد سجان وقوله انه جاءني على
يد ظالم ودرجات هذه الرتب لا تنحصر المرتبة الثالثة وهو قريب من الوسوسة
المبالغة ان يمتنع من حلال وصل على يد رجل عصى الله بالزنا او القذف وليس هذا كما لو عصى
باكل الحرام فان الموصل قوة حاصلة من الغذاء الحرام والزنا والقذف لا يوجب قوة يستعان بها
على الحمل بل الامتناع من اخذ حلال وصل على يد كافر وسواس بخلاف اكل الحرام اذ الكفر لا يتعلق
بحمل الطعام وينجر هذا الى ان لا يوخذ من يد من عصى الله ولو بغيبة او كذبة وهو غاية التنطع
والاسراف فليضبط ما عرف من ورع ذي النون وبشر بالمعصية في السبب الموصل كالنهر
وقوة اليد المستفادة بالغذاء الحرام ولو امتنع من الشرب من كوز لان صانع الفخار الذي عمل الكوز
كان قد عصى الله يوما بضرب انسان او شتمه لكان هذا وسواسا ولو امتنع من لحم شاة
ساقها آكل حرام فهذا ابعد من يد السجان لان الطعام يسوقه قوة السجان والشاة تمشي

بنفسها والسايق يمنعها عن العدول عن الطريق فقط فهذا قريب من الوسواس
فانظر كيف تدرجنا في بيان ما يتداعى اليه هذه الامور واعلم ان كل هذا خارج عن
فتوى علماء الظاهر فان فتوى الفقيه يختص بالدرجة الاولى التي يمكن تكليف كافة الخلق به
ولو اجتمعوا عليه لم يخرب العالم دون ما عداه من ورع المتقين والصالحين والفتوى في
هذا ما قاله صلى الله عليه وسلم لوابصة استفت قلبك وان افتوك وافتوك وعرفت ذلك
اذ قال صلى الله عليه وسلم الاثم حزاز القلوب فكل ما حاك في صدر المريد من هذه الاسباب
فلو اقدم عليه مع حزازة القلب استضر به واظلم قلبه بقدر الحزازة التي يجدها بل لو
اقدم على حرام في علم الله وهو يظن انه حلال لم يوثر ذلك في قساوة قلبه ولو اقدم على
ما هو حلال في فتوى علماء الظاهر ولكنه يجد حزازة في قلبه فذلك يضره وانما الذي ذكرناه
في النهي عن المبالغة اردنا به ان القلب الصافي المعتدل هو الذي لا يجد حزازة في مثل
تلك الامور فان مال قلب موسوس عن الاعتدال ووجد الحزازة فاقدم مع ما يجده في
قلبه فذلك يضره لانه ماخوذ في حق نفسه بينه وبين الله تعالى بفتوى قلبه ولذلك يشدد
على الموسوسين في الطهارة ونية الصلاة فانه اذا غلب على قلبه ان الماء لم يصل الى جميع
اجزايه بثلاث مرات لغلبة الوسوسة عليه فيجب عليه ان يستعمل الرابعة وصار ذلك
حكما في حقه وان كان مخطيا في نفسه اولئك قوم شددوا فشدد الله عليهم ولذلك
شدد على اصحاب موسى لما استقصوا في السوال عن البقرة ولو اخذوا اولا بعموم لفظ
البقرة وكل ما ينطلق عليه الاسم من البقر لاجزاهم فلا تغفل عن هذه الدقايق التي اوردناها
نفيا واثباتا فان من لا يطلع على كنه الكلام لا يحيط بمجامعه يوشك ان يزل في مقاصده
واما المعصية في العوض فلها ايضا ثلاث درجات الدرجة العليا التي تشتد الكراهة
فيها ان يشتري شيا في الذمة ويقضي ثمنه من غصب او مال حرام فينظر فان سلم البايع اليه
الطعام قبل قبض الثمن بطيبة قلب فاكله قبل قضاء الثمن فهو حلال وتركه ليس بواجب
بالاجماع اعني قبل قضاء الثمن ولا هو ايضا من الورع المؤكد فان قضى الثمن بعد الاكل من
الحرام فكانه لم يقض الثمن ولو لم يقضه اصلا لكان متقلدا للمظلمة بتركه ذمته مرتهنة
بالدين ولا ينقلب ذلك حراما فان قضى الثمن من الحرام وابراه البايع مع العلم بانه حرام فقد
برئت ذمته ولم يبق عليه الا مظلمة تصرفه في الدراهم الحرام بصرفها الى البايع وان ابراه على ظن
ان الثمن حلال فلا تحصل البراءة لانه يبريه مما اخذه ابراء استيفاء ولا يصلح ذلك للابراء فهذا
حكم المشتري والاكل منه وحكم الذمة وان لم يسلم اليه بطيبة قلب ولكن اخذه فاكله
حرام سواء كان قبل توفية الثمن من الحرام او بعده لان الذي يقتضي الفتوى به ثبوت حق
الحبس للبايع حتى يتعين ملكه باقباض الثمن كما تعين ملك المشتري وانما يبطل حق حبسه
اما بالابراء او الاستيفاء ولم يجر شيء منهما ولكنه اكل ملك نفسه وهو عاص به عصيان الراهن
للطعام اذا اكله بغير اذن المرتهن وبينه وبين اكل طعام الغير فرق ولكن اصل التحريم
شامل لهذا اكله اذا قبض قبل توفية الثمن اما بطيبة قلب البايع او من غير طيبة قلبه واما
اذا وفى الثمن الحرام اولا ثم قبض فان كان البايع عالما بان الثمن حرام ومع هذا اقبض
المبيع بطل حق حبسه وبقي له الثمن في ذمته اذ ما اخذه ليس بثمن ولا يصير اكل المبيع
حراما بسبب بقاء الثمن فاما اذا لم يعلم انه حرام وكان بحيث لو علم لما رضي به ولا اقبض
المبيع فحق حبسه لا يبطل بهذا التلبيس فاكل الحرام تحريم اكل المرهون الى ان يبريه او يوفي
من حلال او يرضى هو بالحرام ثمنا ويبرئ فيصح ابراؤه ولا يصح رضاه بالحرام فهذا مقتضى الفقه

وبان الحكم فى الدرجة الاولى من الحل والحرمة واما الامتناع منه فمن الورع المهم لان المعصيه
اذا تمكنت من السبب الموصل الى الشى تسرى الكراهيه فيه كما سبق واقوى الاسباب الموصلة
الثمن ولولا الثمن الحرام لما رضى البايع بتسليمه اليه فرضاه به لا يخرجه عن كونه مكروها كراهة
شديدة ولكن العدالة لا تنخرم به وتزول به درجة التقوى والورع ولو اشترى سلطان مثلا
ثوبا او ارضا فى الذمه وقبضه برضى البايع قبل توفية الثمن وسلمه الى فقيه او غيره صلة
او خلعة وهو شاك فى انه سيقضى ثمنه من الحلال او من الحرام فهذا اخف اذ وقع الشك
فى تطرق المعصية الى الثمن وتتفاوت خفته بتفاوت كثرة الحرام وقلته فى مال السلطان
وما يغلب على الظن فيه وبعضها اشد من بعض والرجوع فيه الى ما يقدح فى القلب **الرتبه
الوسطى** ان لا يكون العوض غصبا ولا حراما ولكن تهيا بمعصيه كما لو سلم عوضا عن الثمن
عنبا والاخذ شارب خمر او سيفا وهو قاطع طريق فهذا لا يوجب تحريما فى مبيع اشتراه فى
الذمه ولكن يقتضى فيه كراهيه دون الكراهيه التى فى الغصب وتتفاوت درجات هذه
الرتبه ايضا بتفاوت غلبة المعصيه على قابض الثمن وندوره ومهما كان العوض على حرام فيه
حرام وان احتمال تحريمه ولكن ابيح بظن فذلك مكروه وعليه ينزل عندى النهى عن كسب الحجام
وكراهته اذ نهى النبى صلى الله عليه وسلم مرات ثم امر بان يعلف الناضح منه وما يسبق الى
الوهم من ان سببه مباشرة النجاسه والقذر فاسد اذ يجب طرده فى الدباغ والكناس
ولا قايل به وان قيل به فلا يمكن طرده فى القصاب اذ كيف يكون كسبه مكروها وهو بدل عن
اللحم واللحم فى نفسه غير مكروه ومخامرة القصاب النجاسه اكثر من الحجام والفصاد جراح هى
تخريب لبنية الحيوان واخراج لدمه وبه قوام حياته والاصل فيه التحريم وانما يحل بالضروره وتعلم
الحاجة والضروره بحدس واجتهاد وربما يظن نافعا ويكون ضارا فيكون حراما عند الله ولكن يحكم
عالم بالظن والحدس ولذلك لا يجوز للفصاد فصد عبد او صبى ولا معتوه الا باذن وليه وقول
طبيب ولولا انه حلال فى الظاهر ما اعطى صلى الله عليه وسلم اجرة الحجام ولولا انه يحتمل التحريم
لما نهى عنه فلا يمكن الجمع بين اعطايه ونهيه الا باستنباط هذا المعنى وهذا كان ينبغى ان
نذكره فى القراين المقرونة بالسبب فانه اقرب اليه **الرتبة السفلى** وهى درجة الموسوسين
وذلك ان يحلف الانسان على ان لا يلبس من غزل امه فباع غزلها واشترى به ثوبا فهذا لا كراهة
فيه والورع عنه وسوسه وروى عن المغيره انه قال فى هذه الواقعه لا يجوز واستشهد بان النبى صلى الله عليه وسلم
لعن اليهود اذ حرمت عليهم الخمور فباعوها وهذا غلط لان بيع الخمر باطل اذ لم يبق للخمر
منفعة فى الشرع وثمن البيع الباطل حرام وليس هذا من ذلك بل مثال هذا ان يملك الرجل جارية
هى اخته من الرضاع فباعها بجارية اجنبية فليس لاحد ان يتورع عنه ويشبه ذلك ببيع الخمر
فهذا غاية السرف فى هذا الطرف وقد عرفنا جميع الدرجات وكيفية التدريج فيها وان كان
تتفاوت هذه الدرجات لا تنحصر فى ثلاث واربع ولا فى عدد ولكن المقصود من التعديد التقريب
والتفهيم فان قيل فقد قال صلى الله عليه وسلم من اشترى ثوبا بعشرة دراهم فيها درهم حرام
لم يقبل الله له صلاة ما كان عليه ثم ادخل ابن عمر اصبعيه فى اذنيه وقال صمتا ان لم اكن سمعته
منه قلنا ذلك محمول على ما لو اشترى بعشرة بعينها لا فى الذمه واذا اشترى فى
الذمه حكمنا بالتحريم فى اكثر الصور فليحمل عليها ثم كم من ماكل يتوعد عليه بمنع قبول الصلاة
لمعصية تطرق الى سببه وان لم يدل ذلك على فساد العقد كالمشترى فى وقت النداء وغيره
المثار الرابع الاختلاف فى الادلة فان ذلك كالاختلاف فى السبب لحكم الحل والحرمة
والدليل لمعرفة الحل والحرمة فهو سبب فى حق المعرفة وما لم يثبت فى معرفة العبد فلا فايده

لثبوته فى نفسه وان جرى سببه فى علم الله تعالى وهو اما ان تكون لتعارض ادلة الشرع او
لتعارض العلامات الداله او لتعارض التشابه **القسم الاول** ان تتعارض ادلة الشرع مثل
تعارض عمومين من القران والسنه او تعارض قياسين او تعارض قياس وعموم وكل
ذلك يورث الشك ويرجع فيه الى الاستصحاب والاصل المعلوم قبله ان لم يكن ترجيح فان ظهر
ترجيح فى جانب الحظر وجب الاخذ به وان ظهر فى جانب الحل جاز الاخذ به ولكن الورع تركه
واتقاء مواضع الخلاف مهم فى الورع فى حق المفتى والمقلد وان كان المقلد يجوز له ان ياخذ بما
افتاه مقلده الذى يظن انه افضل علماء بلده ويعرف ذلك بالتسامع كما يعرف افضل اطباء
البلد بالتسامع والقراين وان كان لا يحسن الطب وليس للمستفتى ان ينتقد من المذاهب احسنها
عليه بل عليه ان يبحث حتى يغلب على ظنه الافضل ثم يتبعه فلا يخالفه اصلا نعم ان افتاه امامه
بشى ولامامه فيه مخالف فالفرار من الخلاف الى الاجماع من الورع المؤكد وكذا المجتهد اذا تعارضت
عنده الادله ورجحت جانب الحل بحدس وتخمين وظن فالورع له الاجتناب فلقد كان المفتون يفتون
وحذرا من الشبهه فيها **ولنقسم** هذا ايضا على ثلاث مراتب المرتبة الاولى ما يتاكد
الاستحباب فى التورع عنه وهو ما يقوى فيه دليل المخالف ويدق وجه ترجيح المذهب الاخر عليه
فمن المهمات التورع عن فريسة الكلب المعلم اذا اكل منها وان افتى المفتى بانه حلال لان الترجيح
فيه غامض وقد اخترنا ان ذلك حرام فهو اقيس قولى الشافعى ومهما وجد للشافعى قول جديد
موافق لمذهب ابى حنيفه او غيره من الايمه كان الورع مهما وان افتى المفتى بالقول الاخر ومن ذلك
الورع عن متروك التسميه وان لم يختلف فيه قول الشافعى لان الايه ظاهره فى ايجابها والاخبار
متواتره فيها فانه قال صلى الله عليه وسلم لكل من سال عن الصيد اذا ارسلت كلبك المعلم
وذكرت عليه اسم الله فكل ونقل ذلك على التكرار وقد شهر الذبح بالتسميه وكل ذلك يقوى دليل
الاشتراط ولكن لما صح قوله صلى الله عليه وسلم المومن يذبح على اسم الله سمى او لم يسم واحتمل ان يكون
هذا عاما موجبا لصرف الايه وسائر الاخبار عن ظواهرها واحتمل ان يخصص هذا بالناسى ويترك
الظواهر بلا تاويل وكان حمله على الناسى ممكنا تمهيدا لعذره فى ترك التسميه بالنسيان وكان
تعميمه وتاويل الايه ممكنا امكانا اقرب رجحنا ذلك ولا ننكر رفع الاحتمال المقابل له فالورع عن
مثل هذا مهم واقع فى الدرجة الاولى **الثانيه** وهى متاخمة لدرجة الوسواس ان يتورع عن
اكل الجنين الذى يصادف فى بطن الحيوان المذبوح وعن الضب وقد صح فى الصحاح من الاخبار
حديث الجنين وان ذكاته ذكاة امه صحة لا يتطرق احتمال الى متنه ولا ضعف الى سنده
كذلك صح انه اكل الضب على مايدة رسول الله وقد نقل ذلك فى الصحيحين فالظن بابى حنيفه
انه لم يبلغه هذه الاحاديث ولو بلغته لقال بها ان انصف وان لم ينصف منصف فيه كان خلافه
غلطا لا يعتد به ولا يورث شبهه كما لو لم يخالف وعلم الشى بخبر الواحد **الرتبه الثالثه**
ان لا تشتهر فى المساله خلاف اصلا ولكن يكون الحل معلوما بخبر الواحد فيقول القايل قد
اختلف الناس فى خبر الواحد فمنهم من لا يقبله فانا اتورع فان النقله وان كانوا عدولا
فالغلط جايز عليهم والكذب لغرض خفى جايز عليهم فان العدل ايضا قد يكذب والوهم جايز عليهم
فانه قد يسبق الى سمعهم خلاف قول القايل وكذا الى فهمهم فهذا ورع لم ينقل مثله عن
الصحابه فيما كانوا يسمعونه من عدل تسكن نفوسهم اليه فاما اذا تطرقت تهمة بسبب خاص
ودلالة معينه فى حق الراوى فالتوقف وجه ظاهر وان كان عدلا وخلاف من خالف فى اخبار
الاحاد غير معتد به وهو كخلاف النظام فى اصل الاجماع وقوله انه ليس بحجة ولو جاز مثل هذا

الورع لكان من الورع ان يمتنع الانسان من ان ياخذ ميراث الجد بالاب ويقول ليس في كتاب الله
ذكر الا للبنين والحاق ابن الابن بالابن من اجماع الصحابة وهم غير معصومين والغلط عليهم جائز
اذا خالف النظام فيه وهذا هوس ويتداعى الى ان يترك ما علم بعمومات القران اذ من المتكلمين
من ذهب الى ان العمومات لا صيغة لها وانما يحتج بما فهمه الصحابة منها بالقران والدلالات
وكل ذلك وسواس فاذا لا طرف من اطراف الشبهات الا وفيها غلو واسراف فليفهم ذلك ومهما
اشكل امر من هذه الامور فليستفت فيه القلب وليدع الورع ما يريبه الى ما لا يريبه وليترك
حزاز القلوب وحكاكات الصدور وذلك يختلف بالاشخاص والوقايع ولكن ينبغي ان يحفظ
قلبه عن دواعي الوسواس حتى لا يحكم الا بالحق فلا ينطوي على حزازة في مظان الوسواس ولا
يخلو عن الحزازة في مظان الكراهة وما اعز مثل هذا القلب ولذلك لم يرد عليه السلام كل احد
الى فتوى القلب وانما قال ذلك لوابصة لما كان قد عرفه من حاله **القسم الثاني** ان تتعارض
العلامات الدالة على الحل والحرمة فانه قد ينهب نوع من المتاع في وقت ويندر وقوع مثله من غير
النهب فيرى مثلا في يد رجل من اهل الصلاح فيدل صلاحه على انه حلال ويدل نوع المتاع
وندوره من غير المنهوب على انه حرام فتعارض الامر وكذلك يخبر عدل بانه حرام واخر بانه
حلال او تتعارض شهادة فاسقين او قول صبي وبالغ فان ظهر ترجيح حكم به والورع الاجتناب
وان لم يظهر ترجيح وجب التوقف وسياتي تفصيله في باب التعرف بالبحث والسؤال **القسم
الثالث** تعارض الاشباه في الصفات التي بها تناط الاحكام مثاله ان يوصى بمال للفقهاء فيعلم
ان الفاضل في الفقه داخل فيه وان الذي ابتدا التعلم منذ يوم او شهر لا يدخل وبينهما درجات
لا تحصى يقع الشك فيها فالمفتي يفتي بحسب الظن والورع الاجتناب وهذا اغمض مثارات
الشبهة فان فيها صورا يتحير المفتي فيها تحيرا لازما لا حيلة له فيها اذ يكون المتصف بالصفة
في درجة متوسطة بين الدرجتين المتقابلتين لا يظهر له ميله الى احدهما وكذلك الصدقات
المصروفة الى المحتاجين فان من لا شيء له معلوم انه محتاج ومن له مال كثير معلوم انه غني ويتصدى
مسائل غامضة لمن له دار واثاث وثياب وكتب فان قدر الحاجة منه لا يمنع من الصرف اليه والفاضل
يمنع والحاجة ليست محدودة وانما تدرك بالتقريب ويتصدى منه النظر في مقدار
سعة الدار وابنيتها ومقدار قيمتها لكونها في وسط البلد ووقوع الاكتفاء بدار دونها وكذلك
في نوع اثاث البيت اذا كان من الصفريات لا من الخزف وكذلك في عددها وقيمتها وكذلك
فيما يحتاج اليه كل يوم وما يحتاج اليه كل سنة كالات الشتاء وما لا يحتاج اليها الا في سنين وشيء
من ذلك لا حد له والوجه في مثل هذا ما قاله صلى الله عليه وسلم اذ قال دع ما يريبك الى ما لا يريبك
وكل ذلك في محال الريب فان توقف المفتي فلا وجه الا التوقف وان افتى المفتي بظن وتخمين
وحدس فالورع التوقف وهو اهم مواضع الورع وكذلك ما يجب بقدر الكفاية من نفقة الاقارب
وكسوة الزوجات وكفاية الفقهاء والعلماء على بيت المال اذ فيه طرفان يعلم ان احدهما قاصر
وان الاخر زائد وبينهما امور متشابهة تختلف باختلاف الشخص والحال والمطلع على الحاجات هو
الله وليس للبشر وقوف على حدودها فما دون الرطل المكي في اليوم قاصر عن كفاية الرجل الضخم وما
فوق ثلاثة ارطال زائد على الكفاية وما بينهما لا يتحقق له حد فليدع الورع ما يريبه الى ما لا
يريبه وهذا جار في كل حكم نيط بسبب يعرف ذلك السبب بلفظ العرب وسائر اهل
اللغات لم يقدروا متضمنات اللغات بحد محدود تنقطع اطرافها عن مقابلاتها كلفظ الستة
فانها لا تحتمل ما دونها وما فوقها من الاعداد وسائر الفاظ الحساب والتقديرات فليست

الالفاظ اللغوية كذلك فلا لفظ في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم الا ويتطرق الشك الى
اوساط في مقتضياتها تدور بين اطراف متقابلة وتعظم الحاجة الى هذا الفن في الوصايا و
الاوقاف فالوقف على الصوفية مثلا مما يصح ومن الداخل تحت موجب هذا اللفظ هذا من الغوامض
وكذلك سائر الالفاظ وسنشير الى مقتضى لفظ الصوفية على الخصوص حتى يعلم به طريق
التصرف في الالفاظ والا فلا مطمع في استيفائها فهذه اشتباهات تثور من علامات متعارضة
تجذب الى طرفين متقابلين وكل ذلك من الشبهات يجب اجتنابها اذا لم يترجح جانب
الحل بدلالة تغلب على الظن او باستصحاب بموجب قوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما
لا يريبك وبموجب سائر الادلة التي سبق ذكرها فهذه مثارات الشبهات وبعضها اشد
من بعض ولو تظاهرت شبهات شتى على شيء واحد كان الامر اغلظ مثل ان ياخذ طعاما
مختلفا فيه عوضا عن عنب باعه من خمار بعد النداء يوم الجمعة والبائع قد خالط ماله حرام
ليس هو اكثر ولكنه صار مشتبها به فقد يؤدي ترادف الشبهات الى ان يشتد الامر في
اقتحامها فهذه مراتب عرفنا طريق الوقوف عليها وليس في قوة البشر حصرها فما اتضح من هذا
الشرح اخذ به وما التبس فليجتنب فان الاثم حزاز القلب وحيث قضينا باستفتاء القلب
اردنا به حيث اباح المفتي اما حيث حرمه فيجب الامتناع ثم لا يعول على كل قلب فرب
موسوس ينفر عن كل شيء ورب شره متساهل يطمئن الى كل شيء ولا اعتبار بهذين
القلبين وانما الاعتبار بقلب العالم الموفق المراقب لدقائق الاحوال فهو المحك الذي يمتحن به خفايا
الامور وما اعز هذا القلب في القلوب فمن لم يثق بقلب نفسه فليلتمس النور من قلب بهذه
الصفة وليعرض عليه واقعته وقد جاء في الزبور ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام
قل لبني اسرائيل اني لا انظر الى صلاتكم ولا الى صيامكم ولكن انظر الى من شك في شيء فتركه
لاجلي فذلك الذي انظر اليه وانصره بنصري وابا هي به ملايكتي

ومجانبتها

الباب الثالث في البحث والسؤال والهجوم والاهمال

اعلم ان كل من قدم اليك طعاما او هدية او اردت ان تشتري منه او تتهب فليس لك ان
تفتش عنه وتسأل وتقول هذا مما لا اتحقق حله فلا اخذه وليس لك ان تترك البحث فتاخذ من كل
احد او تاخذ كل ما لا تتيقن تحريمه بل السؤال واجب مرة وحرام مرة ومندوب مرة ومكروه مرة
فلا بد من تفصيله والقول الشافي فيه هو ان مظنة السؤال مواقع الريبة ومنشأ الريبة
ومثارها اما امر يتعلق بالمال او يتعلق بصاحب المال المثار الاول احوال المالك وله
بالاضافة الى معرفتك ثلاثة احوال اما ان يكون مجهولا او مشكوكا فيه او معلوما بنوع ظن يستند
الى دلالة **الحالة الاولى** ان يكون مجهولا والمجهول هو الذي ليس معه قرينة تدل على
فساده وظلمه كزي الاجناد وما لا يدل على صلاحه كثياب اهل التصوف والتجارة والعلم و
غير ذلك من العلامات فاذا دخلت قرية لا تعرفها فرايت رجلا لا تعرف من حاله شيئا ولا عليه
علامة تنسبه الى اهل الصلاح او اهل الفساد فهو مجهول واذا دخلت بلدة غريبا ودخلت سوقا
ووجدت رجلا خبازا او قصابا او غيرهما ولا علامة تدل على كونه مريبا او خائنا ولا ما يدل على
نفيه فهذا مجهول لا تدري حاله ولا تقول انه مشكوك فيه لان الشك عبارة عن اعتقادين
متقابلين لهما سببان متقابلان واكثر الفقهاء لا يدركون الفرق بين ما لا يدرى وبين ما
يشك فيه وقد عرفت بما سبق ان الورع ترك ما لا يدرى قال يوسف بن اسباط منذ
ثلاثين سنة ما حاك في قلبي شيء الا تركته وتكلم جماعة في اشد الاعمال فقالوا هو الورع

فقال لهم حسان ابن ابي سنان ما شيء عندي اسهل من الورع اذا حاك في صدري شيء تركته
فهذا شرط الورع وانما نذكر الآن حكم الظاهر **فنقول** حكم هذه الحالة ان المجهول ان قدم اليك
طعاما او حمل اليك هدية او اردت ان تشتري من دكانه شيئا فلا يلزمك السؤال بل يده وكونه
مسلما دلالتان كافيتان في الهجوم على اخذه وليس لك ان تقول الفساد والظلم غالب على الناس
فهذه وسوسة وسوء ظن بهذا المسلم بعينه وان بعض الظن اثم وهذا المسلم يستحق باسلامه
عليك ان لا تسيء به الظن فان اسأت الظن به في عينه لانك رأيت فسادا من غيره فقد
جنيت عليه واثمت به في الحال نقدا من غير شك ولو اخذت المال لكان كونه حراما مشكوكا
فيه ويدل عليه انا نعلم ان الصحابة في غزواتهم واسفارهم كانوا ينزلون في القرى
ولا يردون القرى ويدخلون البلاد ولا يحترزون من الاسواق وكان الحرام ايضا موجودا
في زمانهم وما نقل عنهم سؤال الا عن ريبة اذ كان صلى الله عليه وسلم لا يسأل عن كل ما يحمل اليه
بل سأل في اول قدومه الى المدينة عما يحمل اليه اصدقة ام هدية لان قرينة الحال وهو دخول
المهاجرين المدينة وهم فقراء يغلب على الظن ان ما يحمل اليهم يحمل بطريق الصدقة ثم اسلام المعطي
ويده لا يدل على انه ليس بصدقة **وكان** صلى الله عليه وسلم يدعى الى الضيافات فيجيب ولا يسأل
اصدقة ام لا اذ العادة ما جرت بالتصدق بالضيافة ولذلك دعته ام سليم ودعاه الخياط الذي
رواه انس بن مالك وقدم اليه طعاما فيه قرع ودعاه الرجل الفارسي فقال صلى الله عليه وسلم
انا وعائشة فقال لا فقال فلا ثم اجابه بعده فذهب هو وعائشة يتساوقان فقرب اليهما اهالة
ولم ينقل السؤال في شيء من ذلك وسأل ابو بكر عبده عن كسبه لما رابه من امره شيء وسأل عمر الذي
الذي سقاه من لبن الصدقة اذ رابه فانه اعجبه طعمه ولم يكن على ما كان يألفه كل ليلة وهذه
اسباب الريبة فكل من وجد ضيافة عند رجل مجهول لم يكن عاصيا باجابته من غير تفتيش بل
لو رأى في داره تجملا ومالا كثيرا فليس له ان يقول الحلال عزيز وهذا كثير فمن اين يجتمع هذا
من الحلال بل هذا الشخص بعينه اذا احتمل ان يكون ورثه او اكتسبه فهو بعينه يستحق
احسان الظن به وازيد على هذا واقول ليس له ان يسأله بل ان كان يتورع فلا يدخل جوفه
الا ما يدري من اين هو فهو حسن فليتلطف في الترك وان كان لا بد له من اكله فليأكل
بغير سؤال اذ السؤال ايذاء وهتك ستر وايحاش وهو حرام بلا شك **فان قلت** لعله لا
يتأذى فاقول لعله يتأذى وانت تسأل حذرا من لعله فان قنعت بلعل فلعل ماله حلال وليس
الاثم المحذور في ايذاء مسلم باقل من الاثم في اكل شبهة وحرام والغالب على الناس الاستيحاش
بالتفتيش ولا يجوز له ان يسأل من غيره بحيث يدري هو به لان الايذاء في ذلك اكثر وان سأل
من حيث لا يدري ففيه اساءة ظن وهتك ستر وفيه تجسس وفيه تشبيب بالغيبة وان لم
يكن صريحا وكل ذلك منهي عنه في اية واحدة **قال** تعالى يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من
الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا وكم من زاهد جاهل يوحش القلوب
في التفتيش ويتكلم بالكلام الخشن المؤذي وانما يحسن الشيطان عنده ذلك طلبا للشهرة
باكل الحلال ولو كان باعثه محض الدين لكان خوفه على قلب مسلم ان يتأذى اشد من خوفه
على بطنه ان يدخله ما لا يدري وهو غير مؤاخذ بما لا يدري اذا لم يكن ثم علامة توجب
الاجتناب فليعلم ان طريق الورع الترك دون التجسس واذا لم يكن بد من الاكل فالورع
الاكل واحسان الظن هذا هو المألوف من الصحابة ومن زاد عليهم في الورع فهو ضال مبتدع
وليس بمتبع فلن يبلغ احد مد احدهم ولا نصيفه ولو انفق ما في الارض جميعا كيف وقد اكل
رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام بريرة فقيل انه صدقة فقال هو لها صدقة ولنا هدية ولم

يسأل عن المتصدق عليها فكان المتصدق مجهولا عنده ولم يمتنع **الحالة الثانية** ان يكون
مشكوكا بسبب دلالة اورثت ريبة فلنذكر صورته ثم حكمه اما الصورة فهو ان يدل على تحريم
ما في يده دلالة اما من خلقته او من زيه وثيابه او من فعله وقوله اما الخلقة فان يكون على
خلقة الاتراك والبوادي والمعروفين بالظلم وقطع الطريق وان يكون طويل الشارب وان يكون
الشعر مفرقا على رأسه على دأب اهل الفساد واما الثياب فالقباء والقلنسوة وزي اهل
الفساد والظلم من الاجناد وغيرهم واما الفعل والقول فهو ان يشاهد منه الاقدام على ما لا
يحل فان ذلك يدل على انه يتساهل في المال ويأخذ ما لا يحل فهذه مواضع الريبة فاذا اراد
ان يشتري من مثل هذا شيئا او يأخذ منه هدية او يجيبه الى ضيافة وهو غريب مجهول
عنده لم يظهر له منه الا هذه العلامات فيحتمل ان يقال اليد تدل على الملك وهذه الدلالات
ضعيفة فالاقدام جائز والترك من الورع ويحتمل ان يقال ان اليد دلالة ضعيفة وقد قابلها مثل
هذه الدلالة فاورثت ريبة فالهجوم غير جائز وهو الذي نختاره ونفتي به لقوله صلى الله عليه وسلم
دع ما يريبك الى ما لا يريبك وظاهره امر وان كان يحتمل الاستحباب ولقوله صلى الله عليه وسلم
الاثم حزاز القلوب وهذا له وقع في القلب لا ينكر ولان النبي صلى الله عليه وسلم سأل اصدقة هي
ام هدية وسأل ابو بكر غلامه وسأل عمر غلامه وكل ذلك كان في موضع الريبة وحمله على الورع وان
كان ممكنا ولكن لا يحمل عليه الا بقياس والقياس حكمي ليس يشهد لتحليل هذا فان دلالة اليد
والاسلام عارضتها هذه الدلالات فاذا تقابلا فالاستحلال لا مستند له وانما لا يترك حكم اليد في
الاستصحاب لشك لا يستند الى علامة كما اذا وجدنا الماء متغيرا واحتمل ان يكون بطول المكث فان
رأينا ظبية بالت فيه ثم احتمال التغير به وبغيره تركنا الاستصحاب وهذا قريب منه ولكن بين
هذه الدلالات تفاوت فان طول الشوارب والقباء وهيئات الاجناد يدل على الظلم بالمال
اما القول والفعل المخالفان للشرع ان تعلق بظلم المال فهو ايضا دليل ظاهر كما لو سمعه يأمر
بالغصب والظلم او يعقد عقد الربا فاما اذا رآه وقد شتم غيره في غضبه او اتبع نظره امرأة
مرت به فهذه الدلالة ضعيفة فكم من انسان يتحرج في طلب المال ولا يكتسب الا الحلال ومع ذلك
لا يملك نفسه عند هيجان الغضب والشهوة فليتنبه لهذا التفاوت ولا يمكن ان يضبط هذا بحد
فليستفت العبد في مثل ذلك قلبه واقول ايضا هذا اذا رآه من مجهول فله حكم وان رآه ممن
عرفه بالورع في الطهارة والصلاة وقراءة القرآن فالحكم اخفى اذ تعارضت الدلالات بالاضافة
الى المال فتساقطت وعاد الرجل كالمجهول اذ ليست احدى الدلالتين تناسب المال على الخصوص فكم
من يتحرج في المال ولا يتحرج في غيره وكم من يحسن الصلاة والوضوء والقراءة ويأكل من حيث يجد
فالحكم في مثل هذه المواضع ما يميل اليه القلب فان هذا امر بين العبد وبين الله فلا يبعد ان
يناط بسبب خفي حتى لا يطلع عليه الا هو رب الارباب وهو حكم خزانة القلب ثم لينتبه لدقيقة
اخرى وهو ان هذه الدلالة ينبغي ان تكون بحيث تدل على اكثر ماله قليلا لم يكن السؤال واجبا
بل كان السؤال من الورع **الحالة الثالثة** ان يكون ذلك الحال معلوما بنوع خبرة وممارسة
بحيث يوجب ذلك ظنا في حل المال وتحريمه مثل ان يعرف صلاح الرجل وديانته وعدالته في
الظاهر وجوز ان يكون الباطن بخلافه فهاهنا لا يجب السؤال ولا يجوز كما في المجهول بل
الاولى الاقدام والاقدام هاهنا ابعد من الشبهة من الاقدام على طعام المجهول فان ذلك
بعيد عن الورع وان لم يكن حراما واما اكل طعام اهل الصلاح فدأب الانبياء والاولياء قال
صلى الله عليه وسلم لا تأكل الا طعام تقي فاما اذا علم بالخبرة انه جندي او مغن او مرب
استغنى عن الاستدلال عليه بالهيئة والشكل والثياب فهاهنا السؤال واجب لا محالة كما في موضع

٥ الرتبة المثار الثاني ما يشكل فيه الى سبب في المال لا في حال المالك وذلك بان
يختلط الحرام بالحلال كما اذا طرح في سوق احمال من طعام غصب واشتراها اهل السوق
فليس يجب على من يشتري في تلك البلدة وتلك السوق ان يسأل عما يشتريه الا ان يظهر ان
اكثر ما في ايديهم حرام فعند ذلك يجب السؤال فان لم يكن هو الاكثر فالتفتيش من الورع
وليس بواجب اذا لم يكن الاغلب الحرام والسوق الكبيرة حكمها حكم البلد والدليل على انه لا يجب
السؤال والتفتيش ان الصحابة لم يمتنعوا عن الشرى من الاسواق وفيها دراهم الربا وغلول
الغنيمة وغيرها وكانوا لا يسألون في كل عقد وانما السؤال ينقل عن احادهم نادرا في بعض الاحوال
وهي محل الريبة في حق ذلك الشخص المعين وكذلك كانوا ياخذون الغنائم من الكفار الذين
كانوا قد قاتلوا المسلمين وربما اخذوا اموالهم واحتمال ان يكون في تلك الغنائم شيء مما اخذ
من المسلمين وذلك لا يحل اخذه مجانا بالاتفاق بل يرد على صاحبه عند الشافعي وصاحبه
اولى به بالثمن عند ابي حنيفة ولم ينقل قط التفتيش عن هذا وكتب عمر رضي الله عنه
الى اذربيجان انكم في بلاد تذبح فيها الميتة فانظروا ذكيه من ميته اذن في السؤال وامر به ولم
يامر بالسؤال عن الدراهم التي هي اثمانها لان اكثر دراهمهم لم تكن اثمان الجلود وان كانت
هي ايضا تباع واكثر الجلود كانت كذلك وكذلك قال ابن مسعود انكم في بلاد اكثر قصابيها
المجوس فانظروا الذكي من الميتة فخص بالكثرة الامر بالسؤال ولا يتضح مقصود هذا الباب
الا بذكر صور وفرض مسائل يكثر وقوعها في العادات فلنفرضها مسئلة شخص معين
خالط ماله الحرام مثل ان يباع على دكان يباع فيه طعام مغصوب او مال منهوب ومثل ان
يكون القاضي او الرئيس او العامل او الفقيه الذي له ادرار على سلطان ظالم له ايضا مال
موروث ودهقنة او تجارة او رجل تاجر يعامل بمعاملات صحيحة ويربي ايضا فان كان الاكثر
من ماله حراما لا يجوز الاكل من ضيافته ولا قبول هديته ولا صدقته الا بعد التفتيش فان ظهر
الماخوذ من وجه حلال فذاك والا ترك وان كان الحرام اقل والماخوذ مشتبه فهذا في محل النظر
لانه على رتبة بين الرتبتين اذ قضينا بانه لو اشتبه ذكيه بعشر ميتات مثلا يجب اجتناب
الكل وهذا يشبه من وجه من حيث ان مال الرجل الواحد كالمحصور لا سيما اذا لم يكن كثير
المال مثل السلطان ويخالفه من وجه اذ الميتة يعلم وجودها في الحال يقينا والحرام الذي قد
خالط ماله يحتمل ان يكون قد خرج من يده وليس موجودا في الحال فان كان المال قليلا وعلم
قطعا ان الحرام موجود في الحال فهو مسئلة اختلاط الميتة ولحد وان كثر المال واحتمل
ان يكون الحرام غير موجود في الحال فهذا اخف من ذاك ويشبه من وجه الاختلاط بغير
محصور كما في الاسواق والبلاد ولكنه اغلظ منه لاختصاصه بشخص واحد ولا يشك في ان
الهجوم عليه بعيد من الورع ولكن النظر في كونه فسقا مناقضا للعدالة وهذا من حيث المعنى
غامض لتجاذب الاشباه ومن حيث النقل غامض لان ما ينقل فيه عن الصحابة من الامتناع
في مثل هذا وكذا عن السلف يمكن حمله على الورع ولا يصادف فيه نص على التحريم وما ينقل
من اقدام على الاكل كاكل ابي هريرة طعام معاوية مثلا ان قدر جملة ما في يده حرام فذلك ايضا يحتمل
ان يكون اقدامه بعد التفتيش واستبانة ان عين ما ياكله من مباح فالافعال في هذا ضعيفة
الدلالة ومذاهب العلماء المتاخرين مختلفة حتى قال بعضهم لو اعطاني السلطان شيئا لاخذته
وطرد الاباحة فيما اذا كان الاكثر ايضا حراما مهما لم يعرف عين الماخوذ واحتمل ان يكون حلالا
واستدل باخذ بعض السلف جوائز السلاطين كما سياتي في بيان اموال السلطان فاذا
اذا كان الحرام هو الاقل واحتمل ان لا يكون موجودا في الحال لم يكن الاكل حراما وان تحقق وجوده

في الحال كما في مسئلة اشتباه الميتة بالذكية فهذا مما لا ادري ما اقول فيه وهي من المتشابهات
التي يتحير المفتي فيها لانها مترددة بين مشابهة المحصور وغير المحصور والرضيعة اذا
اشتبهت بقرية فيها عشرة وجب الاجتناب وان كان ببلدة فيها عشرة آلاف لم يجب وبينهما
اعداد لو سئلت عنها لكنت لا ادري ما اقول فيها ولقد توقف العلماء في مسائل هي اوضح
من هذه اذ سئل احمد بن حنبل عن رجل رمى صيدا فوقع في ملك غيره ان الصيد
للرامي او لمالك الارض فقال لا ادري فروجع فيه مرات فقال لا ادري وكثيرا من ذلك حكيناه
عن السلف في كتاب العلم فليقطع المفتي طمعه عن درك الحكم في جميع الصور وقد سأل ابن المبارك
صاحبه من اهل البصرة عن معاملة قوم يعاملون السلاطين فقال ان لم يعاملوا سوى
السلطان فلا تعاملهم وان عاملوا السلطان وغيره فعاملهم وهذا يدل على المسامحة في الاقل
ويحتمل المسامحة في الاكثر ايضا وبالجملة فلم ينقل عن الصحابة انهم كانوا يهجرون بالكلية
معاملة قصاب وخباز وتاجر لتعاطيه عقدا واحدا فاسدا ولمعاملته السلطان مرة
وتقدير ذلك فيه بعد والمسئلة مشكلة في نفسها فان قيل فقد روي عن علي بن ابي طالب
انه رخص فيه وقال خذ ما يعطيك السلطان فانما يعطيك من الحلال وما ياخذ من الحلال
اكثر من الحرام وسئل ابن مسعود عن ذلك فقال السائل ان لي جارا لا اعلمه الا خبيثا يدعونا
ونحتاج فنستلفه فقال اذا دعاك فاجبه واذا احتجت فاستلفه فان لك المهنأ وعليه
المأثم وافتى سلمان بمثل ذلك وقد علل علي بالكثرة وعلل ابن مسعود بطريق الاشارة بان عليه
المأثم لانه يعرفه ولك المهنأ اي انت لا تعرفه وروي انه قال رجل لابن مسعود ان لي جارا
ياكل الربا فيدعونا الى طعامه فنأتيه فقال نعم وروي ذلك عن ابن مسعود بروايات كثيرة مختلفة
واخذ الشافعي ومالك جوائز الخلفاء والسلاطين مع العلم بانه قد خالط مالهم الحرام قلنا اما
ما روي عن علي رضي الله عنه فقد اشتهر من ورعه ما يدل على خلاف ذلك فانه كان يمتنع من مال
بيت المال حتى يبيع سيفه ولا يكون له الا قميص واحد في وقت الغسل لا يجد غيره ولست انكر
ان رخصته صريح في الجواز وفعله محتمل للورع ولكنه ان صح فمال السلطان له حكم اخر فانه بحكم
كثرته يكاد يلتحق بما لا يحصر وسياتي بيان ذلك وكذلك فعل الشافعي ومالك متعلق بمال
السلطان وسياتي حكمه وانما الاشكال في احاد الخلق واموالهم قريب من الحصر واما قول ابن مسعود
فقيل انما نقله خوات التيمي وانه ضعيف الحفظ والمشهور عنه ما يدل على توقي الشبهات اذ قال
لا يقولن احدكم اخاف وارجو فان الحلال بين والحرام بين وبين ذلك مشتبهات دع ما يريبك الى ما لا
يريبك وقال اجتنبوا الحكاكات فهي الاثم فان قيل فلم قلتم اذا كان الاكثر حراما لم يجز الاخذ
مع ان الماخوذ ليس فيه علامة تدل على تحريمه على الخصوص واليد علامة على الملك حتى ان من سرق
مال من هذا الرجل قطعت يده والكثرة توجب ظنا في الاختلاط بغير محصور اذا كان الاكثر هو
الحرام ولا يمكن ان يستدل على هذا بعموم قوله عليه السلام دع ما يريبك الى ما لا يريبك لانه
مخصوص ببعض المواضع بالاتفاق وهو ان يريبه بعلامة في عين المالك بدليل الاختلاط القليل
بغير المحصور فان ذلك يوجب ريبة ومع ذلك قطعتم بانه لا يحرم فالجواب ان اليد دلالة
ضعيفة كالاستصحاب وانما يؤثر اذا سلمت عن معارض قوي فاذا تحققت الاختلاط وتحققنا
ان الحرام المخالط موجود في الحلال والمال غير خال عنه وتحققنا ان الاكثر هو الحرام وذلك
في حق شخص معين يقرب ماله من الحصر ظهر وجوب الاعراض عن مقتضى اليد وان لم
يحمل عليه قوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك لا يبقى له محمل اذ لا يمكن ان
يحمل على اختلاط قليل بحلال غير محصور اذ كان ذلك موجودا في زمانه وكان لا يدعه

وعلى اي موضع حمل هذا كان هذا في معناه وحمله على التنزيه صرف له عن ظاهره بغير قياس فان
عرف تحريم هذا غير بعيد عن قياس العلامات والاستصحابات وللكثرة تاثير في تحقيق الظن وكذا
للحصر وقد اجتمعا حتى قال ابو حنيفة لا يجتهد في الاواني الا اذا كان الطاهر هو الاكثر فا
شترط اجتماع الاستصحاب والاجتهاد بالعلامة وقوة الكثرة ومن قال يأخذ اي انية
اراد بلا اجتهاد بنا على مجرد الاستصحاب فيجوز الشرب ايضا فيلزمه [illegible] بمجرد علامة
اليد ولا يجزى ذلك في بول اشتبه بماء اذ لا استصحاب فيه فلا يطرد ايضا في ميتة اشتبهت
بمذكية اذ لا استصحاب في الميتة اذ اليد لا تدل على انها غير ميتة وتدل في الطعام المباح
على انه ملكه فههنا اربع متعلقات استصحاب وقلة في المخلوط وكثرة والحصار او اتساع
في المخلوط به وعلامة خاصة في عين الشي يتعلق بها الاجتهاد فمن يغفل عن مجموع
الاربعة ربما يغالط فيشبه بعض المسايل بما لا يشبهه فتحصل مما ذكرناه ان المخالط في
ملك شخص واحد اما ان يكون الحرام اكثره او اقله وكل واحد اما يعلم تعيينا او يظن عن علامة
او يتوهم والسؤال يجب في موضعين وهو ان يكون الحرام اكثر يقينا او ظنا كما لو راى تركيا
مجهولا يحتمل ان يكون كل ماله من غنيمة وان كان الاقل معلوما باليقين فهو محل التوقف
ويكاد يميل سير اكثر السلف وضرورة الاحوال الى الميل الى الرخصة واما الاقسام الثالثة
الباقية فالسؤال فيها غير واجب اصلا **مسألة** اذا احضر طعام انسان علم ان دخله في يده
حرام من اول كان في اخذه او وجه اخر ولا يدري انه بقي الان ام لا فله الاكل ولا يلزمه
التفتيش وانما التفتيش فيه من الورع ولو علم انه قد بقي منه شي ولكن لم يدر انه الاكثر ام
الاقل فله الاخذ بانه الاقل وقد سبق ان الامر الاقل مشكل وهذا يقرب منه ايضا
مسألة اذا كان في يد المتولي لسبيل الخيرات والاوقاف او الوصايا مالان يستحق هو
احدهما ولا يستحق الثاني لانه غير موصوف بتلك الصفة فهل له ان ياخذ ما يسلمه اليه صاحب
الوقف ينظر فيه فان كانت تلك الصفة ظاهرة يعرفها المتولي وكان المتولي ظاهر العدالة فله ان
ياخذ بغير بحث لان الظن بالمتولي انه لا يصرف اليه ما يصرفه الا من المال الذي يستحقه وان كانت
الصفة خفية اذ كان المتولي ممن عرف حاله يخالط ولا يبالي كيف يفعل فعليه السؤال اذ ليس هاهنا
يد ولا استصحاب يعول عليه وهو نظير سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصدقة والهدية
عند تردده فيها لان اليد لا تخصص الهدية عن الصدقة ولا الاستصحاب فلا ينجي منه الا السؤال
فان السؤال حيث اسقطناه في المجهول اسقطناه بعلامة اليد والاسلام حتى لو لم يعلم انه مسلم
واراد ان ياكل من يده لحما من ذبيحته واحتمل ان يكون مجوسيا لم يجز له ما لم يعرف انه مسلم اذ
اليد لا تدل في الميتة ولا في الصورة تدل على الاسلام الا اذا كان اهل البلد مسلمين فيجوز ان يظن
بالذي ليس عليه علامة الكفر انه مسلم وان كان الخطا ممكنا فيه فلا ينبغي ان تلتبس المواضع التي
تشهد فيها اليد والحال بالتي لا تشهد **مسألة** له ان يشتري في البلد دارا وان علم انها تشتمل
على دور مغصوبة لان ذلك اختلاط غير محصور ولكن السؤال احتياط وورع وان كان في سكة
عشرة دور مثلا احدها مغصوبة او وقف لم يجز الشراء ما لم يتميز ويجب البحث عنه ومن دخل
بلدة وفيها رباطات ومدارس يختص بوقفها ارباب المذاهب وهو على مذهب واحد من جملة
تلك المذاهب فليس له ان يسكن ايها شاء وياكل من وقفها بغير سؤال لان ذلك من باب الاختلاط
في المحصور فلا بد من التمييز ولا يجوز الهجوم مع الابهام لان الرباطات والمدارس في البلد
لا بد وان تكون محصورة **مسألة** حيث جعلنا السؤال من الورع فليس له ان يسال
صاحب الطعام والمال اذا لم يامن غضبه ولا يامن قط غضبه وانما وجب السؤال اذا تحقق

ان اكثر ماله حرام وعند ذلك لا يبالي بغضب مثله اذ يجب ايذاء الظالم باكثر من ذلك والغالب
ان مثل هذا لا يغضب من السؤال نعم ان كان ياخذ من يد وكيله او غلامه او تلميذه او بعض اهله
ممن هو تحت رعايته فله ان يسال مهما استراب فانهم لا يغضبون من سواله ولان عليه ان يسال
ليعلمهم طريق الحلال ولذلك سال ابو بكر غلامه وسال عمر من سقاه من ابل الصدقة وسال ابو هريرة
ايضا لما ان قدم عليه بمال كثير فقال ويحك كل هذا طيب من حيث انه تعجب من كثرته وكان هو
من رعيته لا سيما وقد رغب في تصحيحه السؤال ولذلك قال علي ليس شي احب الى الله من عدل امام
ورفقه ولا شي ابغض اليه من جور وخرقه **مسألة** قال الحارث المحاسبي لو كان
له صديق او اخ وهو يامن غضبه لو ساله فلا ينبغي ان يساله لاجل الورع لانه ربما يبدو له ما كان مستورا
عنه فيكون قد حمله على هتك الستر ثم يودي الى البغضاء وما ذكره حسن لان السؤال اذا كان من الورع
لا من الوجوب فالورع في مثل هذه الامور احتراز عن هتك الستر واثارة البغضاء اهم وزاد على
هذا فقال وان رابه شي بعينه لم يساله ويتلطف به انه يطلب من الطيب ويجتنب الخبيث فاذا كان
لا يطمين قلبه اليه فيحترز متلطفا ولا يهتك ستره بالسؤال قال لاني لم ار احدا من العلماء
فعله فهذا منه مع ما اشتهر به من الزهد يدل على مسامحة فيما اذا خالط المال الحرام القليل لكن ذلك
عند التوهم لا عند التحقق لان لفظ الريبة يدل على التوهم بلا دليل عليه ولا يوجب اليقين فليراع
هذه الدقايق في السؤال **مسألة** ربما يقول القايل اي فايدة في السؤال ممن بعض ماله حرام
ومن يستحل المال فربما يكذب فان وثق بامانته فليثق بديانته في الحلال فاقول مهما علم مخالطته
للحرام لمال لاجل انسان فكان له غرض في حضورك ضيافته او قبولك هديته فلا يحصل الثقة بقوله فلا
فايدة السؤال منه فينبغي ان تسال من غيره وكذا ان كان بياعا وهو يرغب في البيع لطلب الربح فلا
يحصل الثقة بقوله انه حلال ولا فايدة في السؤال منه وانما يسال من غيره من صاحب اليد اذا لم يكن
متهما كما يسال المتولي عن المال الذي يسلمه انه من اي جهة وكما سال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الهدية والصدقة فان ذلك لا يوذي ولا يتهم القايل فيه وكذلك اذا اتهمه بانه ليس يدري طريق
الكسب الحلال فلا يتهم في قوله اذا اخبر عن طريق صحيح ولذلك يسال عبده وخادمه ليعرف طريق
اكتسابه فيها هاهنا يفيد السؤال فاذا كان صاحب المال متهما فليسال من غيره فاذا اخبره عدل واحد
قبله وان اخبره فاسق يعلم من قرينة حاله انه لا يكذب حيث لا غرض له فيه جاز قبوله لان هذا
امر بينه وبين الله تعالى والمطلوب ثقة النفس وقد يحصل من الثقة بقول فاسق ما لا يحصل بقول
عدل في بعض الاحوال وليس كل من فسق يكذب ولا كل من تراه عدل الصدق ظاهره يصدق
وانما نيطت الشهادة بالعدالة الظاهرة لضرورة الحكم فان البواطن لا يطلع عليها وقد قبل ابو حنيفة
شهادة الفاسق وكم من شخص تعرفه وتعرف انه قد يقتحم المعاصي ثم اذا اخبرك بشي وثقت به
وكذلك اذا اخبر به صبي مميز عرفته بالتثبت فقد يحصل الثقة بقوله فيحل الاعتماد عليه واما
اذا اخبر به مجهول لا تدري من حاله شي اصلا فهذا مما جوزنا الاكل من يده لان يده دلالة ظاهرة
على ملكه وربما يقال اسلامه دلالة ظاهرة على صدقه وهذا فيه نظر ولا يخلو قلبه عما ترايا في
النفس حتى لو اجتمع منهم جماعة يفيد ذلك ظنا قويا الا ان اثر الواحد فيه لضعفه فلينظر
الى حد تاثيره في القلب فان المفتي هو القلب في مثل هذا الموضع وللقلب التفاتات لطيفة الى
قرائن خفية يضيق عنها نطاق النطق فليتامل فيه ويدل على وجوب الالتفات اليه ما روي
عن عقبة بن الحارث انه جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني تزوجت امراة
فجاءت امة سوداء فزعمت انها قد ارضعتنا وهي كاذبة فقال دعها فقال انها سوداء يصغر من شانها
فقال صلى الله عليه وسلم وكيف وقد زعمت انها قد ارضعتكما لا خير لك فيها دعها عنك

وفي لفظ اخر كيف وقد قيل ومهما لم يعلم كذب المجهول ولم تظهر امارة غرض له فيه كان له وقع في القلب لا محالة فلذلك يتأكد الامر بالاحتراز فان اطمأن اليه القلب كان الاحتراز حتما واجبا **مسألة** حيث يجب السؤال فلو تعارض قول عدلين تساقطا وكذا لو تعارض قول فاسقين ويجوز ان يترجح في قلبه قول احد العدلين او احد الفاسقين ويجوز ان يرجح احد الجانبين بالكثرة او بالاختصاص بالخبرة والمعرفة وذلك مما يتشعب تصويره **مسألة** لو نهب متاع مخصوص فصادف من ذلك النوع متاعا في يد انسان واراد ان يشتريه واحتمل ان لا يكون من المغصوب فان كان ذلك الشخص معروفا بالصلاح جاز الشراء وكان تركه من الورع وان كان الرجل مجهولا لا يعرف منه شيئا فان كان ذلك بالكثرة مع ذلك المتاع من غير المغصوب فله ان يشتري وان كان لا يوجد ذلك المتاع في تلك البقعة الا نادرا وانما كثر بسبب الغصب فليس يدل على الحل الا اليد وقد عارضته علامة خاصة من شكل المتاع ونوعه فالامتناع من شرائه من الورع المهم ولكن الوجوب فيه نظر فان العلامة متعارضة ولست اقدر على ان احكم فيه بحكم الا ان ارده الى قلب المستفتي لينظر ما الاقوى في نفسه فان كان الاقوى انه مغصوب لزمه تركه والا حل له شراؤه واكثر هذه الوقايع يلتبس الامر فيها فهي من المتشابهات التي لا يعرفها كثير من الناس فمن توقاها فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن اقتحمها فقد حام حول الحمى وخاطر بنفسه

مسألة لو قال قائل قد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لبن قدم اليه فذكر انه من شاة فسأل عن الشاة من اين هي فذكر له فسكت عن السؤال عن اصل المال ام لا وان وجب عن اصل واحد او اثنين او ثلثة وما الضبط فيه **فاقول** لا ضبط فيه ولا تقدير بل ينظر الى الريبة المقتضية للسؤال اما وجوبا او ورعا ولا غاية للسؤال الا حيث تنقطع الريبة المقتضية له وذلك يختلف باختلاف الاحوال فان كانت التهمة من حيث لا يدري صاحب اليد كيف طريق الكسب الحلال فان قال اشتريت انقطع بسؤال واحد وان قال من شاتي وقع الشك في الشاة فاذا قال اشتريتها انقطع وان كانت الريبة من الظلم وذلك فيما بين العرب يتوالى ايديهم المغصوب فلا ينقطع بقوله من شاتي ولا بقوله ان الشاة ولدتها شاتي فاذا نسبها الى الوراثة من ابيه وحال ابيه مجهولة انقطع السؤال وان كان يعلم ان اكثره حرام فبكثرة الوسائط وطول الزمان وتطرق الارث اليه لا يتغير حكمه فلينظر الى هذه المعاني **مسألة** سئل عن جماعة من سكان خانقاه الصوفية وفي يد خادمهم الذي يقدم الطعام اليهم وقف على اهل المسكن ووقف اخر على جهة اخرى غير هؤلاء وهو يخلط وينفق الكل على هؤلاء فاكل طعامه حرام ام حلال او شبهة فقلت هذا ينبني على سبعة اصول **الاصل الاول** ان الطعام الذي يقدم اليهم في الغالب يشتريه بالمعاطاة والذي اخترناه صحة المعاطاة لا سيما في الاطعمة المستحقرات فليس في هذا الا شبهة الخلاف **الاصل الثاني** ان ينظر الخادم يشتريه بعين المال الحرام او في الذمة فان اشتراه بعين المال الحرام فهو حرام فان لم يعرف فالغالب انه يشتري في الذمة ويجوز الاخذ بالغالب ولا ينشأ من هذا تحريم بل شبهة احتمال بعيد وهو شراؤه بعين حرام **الاصل الثالث** انه ممن يشتريه فان اشترى ممن اكثر ماله الحرام لم يجز وان كان اقل ماله ففيه نظر قد سبق واذا لم يعرف فيجوز له الاخذ بانه يشتريه ممن ماله حلال ام ممن لا يدري المشتري حاله فيكون كالمجهول وقد سبق جواز الشراء من المجهول لان ذلك هو الغالب فلا ينشأ من هذا تحريم بل شبهة احتمال **الاصل الرابع** انه يشتريه لنفسه او للقوم فان المتولي والخادم كالنائب وله ان يشتري لهم ولنفسه ولكن يكون ذلك بالنية او صريح اللفظ فاذا كان يجري بالمعاطاة فلا يجري اللفظ والغالب انه لا ينوي عند المعاطاة والتقا

والخباز ومن يعامله يعول عليه ويقصد البيع منه لا ممن لا يحضرون فيقع عن جهة ويدخل في ملكه وهذا الاصل ايضا فيه عرض يسير ولا يشبهه ولكن ثبت انهم يأكلون من ملك الخادم **الاصل الخامس** ان الخادم يقدم اليهم ولا يمكن ان يجعل ضيافة وهدية بغير عوض فانه لا يرضى بذلك وانما يقدم اعتمادا على عوضه من الوقف فهو معاوضة وليس ببيع ولا اقراض لانه لو اراد مطالبتهم بالثمن استبعد ذلك وقرينة الحال لا تدل عليه فاشبه اصل تنزل عليه هذه الحالة الهبة بشرط الثواب اعني هدية لا لفظ فيها من شخص تقتضي قرينة حاله انه يطمع في ثوابه وذلك صحيح والثواب لازم وههنا مطمع الخادم في ان يأخذ ثوابا عما قدمه الا حقهم من الوقف ليقضي بذلك دينه من القصاب والخباز والبقال وغيره فهذا ايضا فيه شبهة اذ لا يشترط لفظ في الهدية ولا في تقديم الطعام وان كان مع انتظار الثواب ولا مبالاة بقول من لا يصحح هدية في انتظار ثواب **الاصل السادس** ان الثواب الذي يلزم فيه خلاف فقيل انه اقل متمول وقيل قدر القيمة وقيل ما يرضى به الواهب حتى له ان لا يرضى باضعاف القيمة والصحيح انه يتبع رضاه فاذا لم يرض رد عليه وههنا الخادم قد رضي بما اخذ من حق السكان على الوقف فان كان لهم من الحق بقدر ما اكلوه فقد تم الامر وان كان ناقصا ورضي به الخادم صح ايضا وان علم ان الخادم لا يرضى لولا انه في يده الوقف الاخر الذي يأخذه بقوة هؤلاء السكان فكانه رضي في الثواب بمقدار بعضه حلال له وبعضه حرام والحرام لم يدخل في ايدي هؤلاء السكان فهذا كالحلال المتطرق اليه الثمن وقد ذكرنا حكمه من قبل وانه متى يقتضي التحريم ومتى يقتضي الشبهة وهذا لا يقتضي تحريما على ما فصلنا فلا تنقلب الهدية حراما بتوصل المهدي بسبب الهدية الى حرام **الاصل السابع** انه يقضي دين القصاب وديون الخباز والبقال من ارتفاع الوقفين فان وفى ما اخذ من حقهم بقيمة ما اطعمهم فقد صح الامر وان قصر عنه ورضي القصاب والخباز باي ثمن كان حراما او حلالا فهذا خلل تطرق الى ثمن الطعام ايضا فليلتفت على ما قدمناه من الشراء في الذمة ثم قضاء الثمن من حرام هذا اذا علم انه قضاه من حرام فان احتمل ذلك واحتمل غيره فالشبهة ابعد فقد خرج من هذا ان اكل هذا ليس بحرام ولكنه اكل شبهة وهو بعيد من الورع لان هذه الاصول اذا كثرت وتطرق الى كل واحد احتمال صار احتمال الحرام بكثرته اقوى في النفس كما ان الخبر اذا طال اسناده صار احتمال الكذب والغلط فيه اقوى مما اذا قرب اسناده فهذا حكم هذه الواقعة وهي من الفتاوى وانما اوردناها لتعرف كيفية تخريج الوقائع الملتفة الملتبسة وانها كيف ترد الى الاصول فان ذلك مما يعجز عنه اكثر المفتين

الباب الرابع في كيفية خروج التائب عن المظالم المالية

اعلم ان من تاب وفي يده مال مختلط فعليه وظيفة في تمييز الحرام واخراجه ووظيفة اخرى في مصرف المخرج فلينظر فيهما **النظر الاول** في كيفية التمييز والاخراج اعلم ان كل من تاب وفي يده ما هو حرام معلوم العين من غصب او وديعة او غيره فامره سهل فعليه تمييز الحرام وان كان ملتبسا مختلطا فلا يخلو اما ان يكون في مال هو من ذوات الامثال كالحبوب والنقود والادهان واما ان يكون في اعيان متمايزة كالعبيد والثياب والدواب والدور فان كان في المتماثلات او كان شايعا في المال كله كمن اكتسب بتجارة يعلم انه كذب في بعضها في المرابحة وصدق في بعضها او من غصب دهنا وخلطه بدهن نفسه او فعل ذلك في الحبوب والدراهم والدنانير فلا يخلو اما ان يكون معلوم القدر او مجهولا فان كان معلوم القدر مثل ان يعلم ان قدر النصف من جملة ماله حرام فعليه تمييز النصف وان اشكل فله طريقان احدهما الاخذ باليقين والاخر الاخذ بغالب الظن وكلاهما قد قال به العلماء في

اشتباه ركعات الصلاة وعن الخروج عن الصلاة الا الاخذ باليقين لان الاصل اشتغال الذمه فيستصحب ولا يغير بعلامة قويه وليس في اعداد الركعات علامات يوثق بها اما ها هنا لا يمكن
ان يقال ان الاصل اكثر ماله في يده حرام بل هو مشكل فيجوز له الاخذ بغالب الظن اجتهادا ولكن
الورع في الاخذ باليقين فان اراد الورع فطريق التحري والاجتهاد ان لا يستبقي الا القدر الذي
يتيقن انه حلال وان اراد الاخذ بالظن فطريقه مثلا ان يكون في يده مال تجارة فسد بعضها
فيتيقن ان النصف حلال وان الثلث مثلا حرام ويبقى سدس يشك فيه فيحكم فيه بغالب الظن وهكذا طريق التحري في كل مال وهو ان يقتطع القدر المستيقن من الجانبين في الحل والحرمه والقدر
المتردد فيه ان غلب على ظنه التحريم اخرجه وان غلب الحل جاز له الامساك والورع اخراجه وان
شك فيه جاز الامساك والورع اخراجه وهذا الورع اوكد لانه صار مشكوكا فيه وكان امساكه
اعتمادا على انه في يده ليكون الحل اغلب عليه وقد صار ضعيفا بعد تيقن اختلاط الحرام ويحتمل
ان يقال الاصل التحريم فلا يأخذ الا ما يغلب على ظنه انه حلال وليس احد الجانبين باولى من الاخر وليس يتبين لي في الحال ترجيح وهو من المشكلات فان قيل هب انه اخذ باليقين لكن الذي يخرجه ليس يدري
انه عين الحرام فلعل الحرام ما بقي في يده فكيف يقدم عليه ولو جاز هذا لجاز ان يقال اذا اختلطت
ميتة بتسع مذكاة فهي العشر فله ان يطرح واحدة اي واحدة كانت ويأخذ الباقي ويستحل ذلك
ولكن يقال لعل الميتة فيما استبقاه بل لو طرح التسع واستبقى واحدة لم يجز لاحتمال انها هي
الحرام فنقول هذه الموازنة كانت تصح لولا ان المال يحل باخراج البدل لتطرق المعاوضة اليه واما الميتة فلا تتطرق المعاوضة اليها فلنكشف الغطاء عن هذا الاشكال بالفرض في درهم حرام
اشتبه بدرهم اخر من ماله درهمان احدهما حلال وقد اشتبه عينه فقد سئل احمد بن حنبل عن مثله
فقال يدع الكل حتى يتبين وكان قد رهن ابنه سطلا فلما قضى الدين حمل المرتهن اليه سطلين فقال
لا ادري ايهما سطلك فقال لا اعرف فتركهما فقال المرتهن هذا هو الذي لك وانما اختبرتك فقضى دينه
ولم يأخذ الرهن وهذا ورع ولكنا نقول انه غير واجب فلنفرض في درهم لمالكين معينين حاضرين
فنقول اذا رد احد الدرهمين عليه ورضي به مع العلم بحقيقة الحال حل له الدرهم الاخر لانه لا
يخلو اما ان يكون المردود في علم الله هو المأخوذ فقد حصل المقصود وان كان غيره فكل واحد قد حصل
لكل واحد درهم في يد صاحبه فالاحتياط ان يتبايعا في التعويض فان لم يفعلا وقع التقاص والتبادل
بمجرد المعاطاة وكان المغصوب منه قد فات له درهم في يد الغاصب وتعذر الوصول الى عينه
واستحق ضمانه فالذي وقع عن الضمان وهذا في جانبه واضح فان المغصوب له يملك الضمان
بمجرد القبض من غير لفظ والاشكال في الجانب الاخر انه لم يدخل في ملكه فنقول لانه ايضا
ان كان قد سلم درهم نفسه فقد فات له ايضا درهم في يد الاخر وليس يمكن الوصول اليه فهو
كالغائب فيقع هذا بدلا عنه في علم الله ان كان الامر كذلك ويقع هذا التبادل في علم الله كما يقع
التقاص ولو اتلف رجلان كل واحد درهما على صاحبه في عين مسالتنا لوقع التقاص ولو سرق مما
ما في يده في البحر او احرقه كان قد اتلفه ولكن عليه عوض للاخر بطريق التقاص فلذلك اذا لم
يتلف فان القول بهذا اولى من المصير الى من يأخذ درهما حراما ويطرحه في الف درهم
لرجل اخر يصير كل المال محجورا عليه لا يجوز التصرف فيه وهذا المذهب يؤدي اليه فانظر ما في هذا
من البعد وليس فيما ذكرنا الا ترك اللفظ والمعاطاة بيع ومن لا يجعل ذلك بيعا فحيث يتطرق
اليه احتمال اذ الفعل ضعيف دلالته وحيث يمكن اللفظ وها هنا هذا التسليم والتسلم لما ذكرنا
قطعا والبيع غير ممكن لان المبيع غير مشار اليه ولا معلوم في عينه وقد يكون فيما لا يقبل
البيع كما لو خلط رطل دقيق بالف رطل لغيره وكذلك الدبس والرطب وكل ما لا يباع البعض منه

بالبعض فان قيل فانتم تجوزون تسليم قدر حقه مثل هذه الصور وجعلتموه بيعا
قلنا لا نجعله بيعا بل نقول هو بدل عما فات في يده فيملكه كما يملك المتلف عليه من الرطب اذا
اخذ مثله هذا اذا ساعده صاحب المال فان لم يساعده واصر وقال لا اخذ درهما اصلا الا
عين ملكي فان استبهم فاتركه ولا اهبه واعطل عليك ما لك فنقول على القاضي ان ينوب
عنه في القبض حتى يطيب للرجل ماله فان هذا محض التعنت والتضييق والشرع لا يرد به
فان عجز عن القاضي ولم يجده فيحكم رجلا متدينا ليقبض عنه فان عجز فيتولى هو بنفسه
ويفرد على نية الصرف اليه درهما ويتعين ذلك له ويطيب له الباقي وهذا في خلط المائعات اظهر
والدهن فان قيل فينبغي ان يحل له الاخذ وينتقل الحق الى ذمته فاي حاجة الى الاخراج اولا ثم
التصرف في الباقي قلنا قال قائلون يحل له ان يأخذ ما دام يبقى قدر الحرام ولا يجوز ان يأخذ
الكل فان اخذ لم يحل له ذلك وقال اخرون ليس له ان يأخذ ما لم يخرج قدر الحرام بالنية
وقصد الابدال وقال اخرون يجوز الاخذ في التصرف ان يأخذ منه واما هو فلا يعطي فان
اعطى عصى هو دون الاخذ والاخذ يجوز اخذ الكل وذلك لان المالك لو ظهر فله ان يطالب حقه
من هذه الجملة اذ يقول لعل المصروف الى يقع عين حقي فهذا المال يترجح بهذا الاحتمال على
غيره وما هو اقرب الى الحق مقدم كما يقدم المثل على القيمه والعين على المثل فلذلك يحتمل
فيه رجوع العين يقدم على ما لا يحتمل ولو جاز لهذا ان يقول ذلك لجاز لصاحب الدرهم
الاخر ان يأخذ الدرهمين ويتصرف فيهما ويقول على قصاصك من موضع اختلاط الاختلاط من
الجانبين وليس تملك احدهما بان يقدر فائتا اولى من الاخر الا ان ينظر الى الاقل فيقدر انه
فائت وينظر الى الذي خلط فيجعل بفعله متعلقا لحق غيره وكلاهما بعيدان جدا وهذا واضح
في ذوات الامثال فانها تقع عوضا في الاتلافات من غير عقد واما اذا اشتبهت دار بدور او
عبد بعبيد فلا سبيل الا المصالحة والتراضي فان ابى ان يأخذ الا عين حقه ولم يقدر عليه واراد
ان يعوق عليه جميع ملكه فان كانت متماثلة القيم فالطريق ان يبيع القاضي جميع الدور ويوزع
الثمن عليهم بقدر النسبه وان كانت متفاوتة اخذ من طالب البيع قيمة انفس الدور وصرف الي
الممتنع منه مقدار قيمة الاقل ووقف فيه قدر التفاوت الى البيان والاصطلاح لانه مشكل وان لم
يوجد القاضي فالذي ربما الخلاص في يده الحال ان يتولى ذلك بنفسه هذا هو المصلحة وما
عداها من الاحتمالات ضعيفة فلا نختارها وفيما سبق تنبيه على العلة وهذا في الخلط ظاهر
وفي النقود دونه وفي العروض غامض اذ لا يقع البعض بدلا عن البعض فلذلك احتيج الى البيع
ولنرسم مسائل بها يتم هذا الاصل مسالة اذا ورث مع جماعة وكان السلطان قد
غصب ضيعة لمورثهم فرد عليه قطعة معينه فهي لجميع الورثه ولو رد من الضيعه نصفا وهو قدر
حقه ساهمه الورثه فان النصف الذي له لا يتميز حتى يقال هو المردود والباقي هو المغصوب
ولا يصير مميزا بنية السلطان وقصره حصر الغصب في نصيب الاخرين مسالة اذا وقع
في يده مال اخذه من سلطان ظالم ثم تاب والمال عقار وكان قد حصل منه ارتفاع فينبغي
ان يحسب اجر مثله لطول تلك المده وكذلك كل مغصوب له منفعه او حصل منه زياده فلا تصح
توبته ما لم يخرج اجرة المغصوب وكل زيادة حصلت منه وتقدير اجرة العبد والثياب والاواني
وامثال ذلك مما لا تعتاد اجارتها مما يعسر ولا يدرك ذلك الا بالاجتهاد وتخمين وهكذا كل
التقويمات تقع بالاجتهاد وطريق الورع الاخذ بالاقصى وما يرجع على المال المغصوب بسبب
عقود عقدها على الذمه وقضى الثمن منه فهي ملك له وحق ولكن فيه شبهه اذا كان الثمن
حراما كما سبق حكمه وان كان باعيان تلك الاموال فالعقود كانت فاسده وقد قيل

تنفذ باجازة المغصوب منه للمصلحة فيكون المغصوب منه اولى به والقياس ان تلك العقود تفسخ ويسترد
الثمن وترد الاعواض وان عجز عنه لكثرته فهي اموال حرام حصلت في يده فللمغصوب منه قدر راس
ماله والفضل حرام يجب اخراجه ليتصدق به فلا يحل للغاصب ولا للمغصوب منه بل حكمه حكم كل حرام يقع
في يده **مسئلة** من ورث مالا ولم يدر ان مورثه من اين اكتسبه امن حلال او حرام ولم يكن
ثم علامة فهو حلال باتفاق العلماء وان علم ان فيه حراما وشك في قدره اخرج مقدار الحرام
بالتحري وان لم يعلمه ولكن علم ان مورثه كان يتولى اعمالا للسلاطين واحتمل انه لم يكن ياخذ
في عمله شيئا او كان قد اخذ ولم يبق في يده منه شيء لطول المدة فهذه شبهة يحسن التورع
عنها ولا يجب وان علم ان بعض ماله كان من الظلم فيلزمه اخراج ذلك القدر بالاجتهاد وقال بعض
العلماء لا يلزمه والاثم على المورث واستدل بما روي ان رجلا ممن ولي عمل السلطان مات فقال
صحابي الان طاب ماله اي لوارثه لانه لم يذكر اسم الصحابي ولعله صدر من متساهل فقد كان فيهم
كان في الصحابة من يتساهل ولكن لا نذكره لحرمة الصحبة وكيف يكون موت الرجل مبيحا للحرام
المتيقن المختلط ومن اين يؤخذ هذا نعم اذا لم يتيقن يجوز ان يقال هو غير مؤاخذ بما لا يدري
فيطيب لوارث لا يدري ان فيه حراما يقينا النظر الثاني في المصرف فاذا اخرج فله ثلثة احوال
اما ان يكون له مالك معين فيجب الصرف اليه او الى وارثه وان كان غائبا فينتظر حضوره او
الايصال اليه وان كانت له زيادة ومنفعة فليجمع فوائده الى وقت حضوره واما ان يكون
لمالك معين وقع الياس عن الوقوف على عينه ولا يدري هل مات عن وارث ام لا وربما
لا يمكن الرد لكثرة الملاك كغلول الغنيمة فانها بعد تفرق الغزاة كيف يقدر على جمعهم وان
قدر فكيف يفرق دينارا واحدا مثلا على الف والفين فهذا ينبغي ان يتصدق به واما ان يكون
من مال الفيء والاموال المرصدة لمصالح المسلمين ليكون عاما للمسلمين وحكم القسم الاول لا
شبهة فيه اما التصدق وبناء القناطر فينبغي ان يتولاه القاضي فليسلم اليه المال ان وجد قاضيا
متدينا وان كان القاضي مستحلا فهو بالتسليم اليه ضامن لو ابتدا به فيما لا يضمنه فكيف يسقط
عنه به ضمان قد استقر عليه بل يحكم من اهل البلد عالما متدينا فان التحكيم اولى من الانفراد
فان عجز عن ذلك فليتول ذلك بنفسه فان المقصود الصرف واما عين الصارف فانما نطلبه
لمصارف دقيقة في المصالح فلا يترك اصل الصرف بسبب العجز عن صارف هو اولى عند القدرة
عليه فان قيل ما جواز التصدق بما هو حرام وكيف يتصدق بما لا يملك وقد ذهب جماعة الى ان
ذلك غير جائز لانه حرام **وحكي** عن الفضيل رحمه الله انه وقع في يده درهمان فلما علم
انهما من غير وجههما رماهما بين الحجارة وقال لا اتصدق الا بالطيب ولا ارضى لغيري ما لا ارضاه
لنفسي فنقول نعم ذلك له وجه واحتمال وانما اخترنا خلافه للخبر والاثر والقياس اما الخبر
فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتصدق بالشاة المصلية التي قدمت اليه فكلمته
بانها حرام اذ قال اطعموها الاسارى ولما نزل قوله تعالى الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم
من بعد غلبهم سيغلبون كذبه المشركون وقالوا للصحابة الا ترون ما يقول صاحبكم
يزعم ان الروم ستغلب فخاطرهم ابو بكر باذن رسول الله فلما حقق الله صدقه جاء
ابو بكر بما قامرهم به فقال عليه السلام هذا سحت فتصدق به وفرح المؤمنون بنصر الله وكان
قد نزل تحريم القمار بعد اذن رسول الله له في المخاطرة مع الكفار واما الاثر فان ابن مسعود
اشترى جارية ولم يظفر بمالكها لينقده الثمن فطلبه كثيرا فلم يجده فتصدق بالثمن وقال
اللهم هذا عنه ان رضي والا فالاجر لي وسئل الحسن عن توبة الغال بعد تفرق الجيش
قال يتصدق به وروي ان رجلا سولت له نفسه فغل مائة دينار من الغنيمة ثم

اتى اميره ليردها عليه فابى ان يقبضها وقال تفرق الناس فاتى معوية فابى ان يقبضها
فاتى بعض النساك فقال ادفع خمسها الى معوية وتصدق بما بقي فبلغ معوية قوله
فتلهف اذ لم يخطر له ذلك وقد ذهب احمد بن حنبل والحارث المحاسبي وجماعة من
الورعين الى ذلك واما القياس فهو ان هذا المال مردد بين ان يضيع وبين ان يصرف
الى خير اذ قد وقع الياس من مالكه وبالضرورة يعلم ان صرفه الى خير اولى من القائه في البحر فانا
ان رميناه في البحر فقد فوتناه على نفسنا وعلى المالك ولم يحصل منه فائدة واذا رميناه
في يد فقير يدعو لمالكه حصل للمالك بركة دعائه وحصل للفقير سد حاجته وحصول الاجر
للمالك بغير اختياره في التصدق لا ينبغي ان ينكر فان في الخبر الصحيح ان للزارع والغارس
اجرا في كل ما يصيبه الناس والطيور من ثماره واما قول القائل لا نتصدق الا بالطيب فذلك
اذا طلبنا الاجر لانفسنا ونحن الان نطلب الخلاص من المظلمة لا الاجر وترددنا بين
التضييع وبين التصدق وقول القائل لا نرضى لغيرنا ما لا نرضاه لانفسنا فهو كذلك ولكنه
علينا حرام فنقول ذلك حرام علينا لاستغنائنا عنه وللفقير حلال اذ احله دليل الشرع
واذا اقتضت المصلحة التحليل وجب التحليل واذا حل فقد رضينا له الحلال ونقول له ان
يتصدق على نفسه وعياله اذا كان فقيرا اما عياله واهله فهم اولى من ان يتصدق عليهم
واما هو فله ان ياخذ منه قدر حاجته لانه ايضا فقير ولو تصدق به على فقير لجاز وكذا اذا
كان هو الفقير ولنرسم في بيان هذا الاصل مسائل **مسئلة** اذا وقع في يده مال من يد
سلطان قال قوم يرده الى السلطان فهو اعلم بما تولاه فيقلده ما تقلده وهو خير من ان
يتصدق به واختار المحاسبي ذلك وقال كيف يتصدق به ولعل له مالكا معينا ولو جاز
ذلك لجاز له ان يسرق من السلطان ويتصدق به وقال قوم يتصدق به اذا علم ان السلطان
لا يرده الى المالك لان ذلك اعانة للظالم وتكثير لاسباب ظلمه فالرد اليه تضييع لحق
المالك والمختار انه اذا علم من عادة السلطان انه لا يرده الى مالكه فيتصدق به عن المالك فهو
خير للمالك ان كان له مالك معين وان لم يكن حق المسلمين فرده على السلطان تضييع واعانة
للسلطان الظالم على الظلم وتفويت لبركة دعاء الفقير على المالك وهذا ظاهر فاذا وقع في يده من
ميراث ولم يتعهد بالاخذ من السلطان فهو شبيه باللقطة التي ييس من معرفة صاحبها
اذ له ان يتصرف فيها بالتصدق عن المالك ولكن له ان يملكها وان كان غنيا من حيث
انه اكتسب من وجه مباح وهو الالتقاط وههنا لم يحصل المال من وجه مباح فهو في يده
منعه من التملك ولا يورثه منعه من التصدق **مسئلة** اذا حصل في يده
مال لا مالك له وجوزنا له ان ياخذ قدر حاجته لفقره فقدر حاجته نظر ذكرناه في
كتاب اسرار الزكوة فقد قال قوم ياخذ كفاية سنة لنفسه ولعياله وان قدر على
شراء ضيعة وتجارة يكتسب بها لعياله فعل وهذا ما اختاره المحاسبي ولكنه قال الاولى
ان يتصدق بالكل ان وجد من نفسه قوة التوكل وينتظر لطف الله سبحانه وتعالى في الحلال
فان لم يقدر فله ان يشتري ضيعة او يتخذ راس مال يتعيش بالمعروف منه وكل يوم
وجد فيه حلالا لا امسك اكله ليوم عنه فاذا افتقر عاد اليه فاذا وجد حلالا لا معينا
تصدق بمثل ما انفق منه من قبل ويكون ذلك قرضا عليه ثم ياكل الخبز ويترك اللحم
ان قوي عليه والا اكل اللحم من غير تنعم وتوسع وما ذكره لا مزيد عليه ولكن جعل ما
انفقه قرضا عليه فيه نظر ولا يشك في ان الورع ان يجعله قرضا فاذا وجد حلالا
تصدق بمثله ولكن مهما لم يجب ذلك على الفقير الذي يتصدق به عليه فلا يبعد ان

لا يجب عليه القضاء اذا الحلال لغيره لا سيما اذا وقع في يده من ميراث ولم يكن متعديا بغصبه وكسبه
حتى يغلظ الامر عليه فيه **مسألة** اذا كان في يده حرام وحلال او شبهة وليس يفضل الكل
عن حاجته فاذا كان له عيال فليخص نفسه بالحلال لان الحجة عليه اوكد في نفسه منه في عبده وعياله
واولاده الصغار والكبار من اولاده يحرسهم من الحرام ان كان لا يفضي بهم الى ما هو اشد منه
فان افضى فيطعمهم بقدر الحاجة وبالجملة كل ما يحذره في غيره فهو محذور في نفسه وزيادة وهو انه
يتناول مع العلم والعيال في نفسه ربما يعذرون اذا لم يعلموا او يتولى الامر بنفسه فليبدأ في الحلال
بنفسه ثم بمن يعول واذا تردد في حق نفسه ما يخص قوته وكسوته وبين غيره من المؤن
كاجرة الحجام والصباغ والقصاب والحمال والاطلاء بالدهن والنورة وعمارة المنزل وتعهد الدابة
وتسجير التنور وثمن الحطب ودهن السراج فليخص بالحلال قوته ولباسه فان ما يتعلق
ببدنه ولا غنى به عنه هو اولى بان يكون طيبا واذا دار بين القوت واللباس فيحتمل ان
يقال يخص القوت بالحلال لانه الممتزج بلحمه ودمه وكل لحم نبت من حرام فالنار اولى به
واما الكسوة ففائدتها ستر عورته ودفع الحر والبرد والابصار عن بشرته وهذا هو الاظهر
عندي **قال** الحارث المحاسبي يقدم اللباس لانه يبقى عليه مدة والطعام لا يبقى عليه لما روي
انه لا تقبل صلاة من عليه ثوب اشتراه بعشرة دراهم فيها درهم حرام وهذا محتمل ولكن
امثال هذا قد ورد فيمن في بطنه حرام ونبت لحمه من حرام فمراعاة اللحم والعظم ان ينبت
من الحلال ولذلك تقايأ الصديق ما شربه مع الجهل حتى لا ينبت منه لحم لانه يثبت ويبقى
فان قيل فاذا كان الكل مصروفا الى اغراضه فاي فرق بين نفسه وبين غيره وبين جهة وجهة
وما مدرك هذا الفرق **قلنا** عرف ذلك بما روي ان رافع بن خديج مات وخلف ناضحا وعبدا
حجاما فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنهى عن كسب الحجام فروجع مرات فنهى فقيل
ان له ايتاما فقال اعلفوه الناضح فهذا يدل على الفرق بين ما ياكله هو ودابته واذا انفتح
سبيل الفرق فقس عليه التفصيل الذي ذكرناه **مسألة** الحرام الذي في يده لو تصدق
به على الفقراء فله ان يوسع عليهم واذا انفق على نفسه فليضيق ما قدر وما انفق على عياله
فليكن وسطا بين التوسع والضيق فيكون الامر على ثلاث مراتب وان انفق على ضيف قدم
عليه وهو فقير فليوسع عليه وان كان غنيا فلا يطعمه الا اذا كان في برية او قدم ليلا ولم يجد شيئا
فانه في ذلك الوقت فقير وان كان الفقير الذي حضر ضيفا تقيا لو علم ذلك لتورع عنه
فليحضر الطعام وليخبره جمعا بين حق الضيافة وترك الخداع فلا ينبغي ان يكرم اخاه بما يكره
ولا ينبغي ان يعول على انه لا يدري فلا يضره لان الحرام اذا حصل في المعدة اثر في قساوة القلب
وان لم يعرفه صاحبه ولذلك تقايأ ابو بكر وعمر وكانا قد شربا على جهل وهذا وان افتينا بانه
حلال للفقير احللناه بحكم الحاجة فهو كالخنزير والخمر اذا احللناه بالضرورة فلا يلتحق بالطيبات
مسألة اذا كان الحرام او الشبهة في يد ابويه فليمتنع من مواكلتهما فان كانا يسخطان
عليه فلا يوافقهما على الحرام المحض بل ينهاهما فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وان كان
شبهة وكان امتناعه للورع فهذا قد عارضه ان الورع طلب رضاهما بل هو واجب فليتلطف
في الامتناع فان لم يقدر على الامتناع فليوافق وليقلل الاكل بان يصغر اللقمة ويطيل
المضغ ولا يتوسع فان ذلك عدوان والاخ والاخت قريب من ذلك لان حقهما ايضا مؤكد
وكذلك اذا البسته امه ثوبا من شبهة وكانت تسخط برده فليقبل وليلبس بين يديها
ولينزع في غيبتها وليجتهد ان لا يصلي فيه الا عند حضورها فيصلي فيه صلاة المضطر وعند
تعارض اسباب الورع ينبغي ان تتفقد هذه الدقائق **وقد حكي** عن بشر انه سلمت اليه

امه رطبة وكانت حراما وقالت بحقي عليك ان تاكلها وكان يكره ذلك فاكل ثم صعد غرفة
فصعدت امه وراءه فرأته يتقيأ فانه اراد ان يجمع بين رضاها وبين صيانة المعدة وقد قيل
لاحمد بن حنبل سئل بشر هل للوالدين طاعة في الشبهة فقال لا فقال احمد هذا شديد
فقيل له سئل محمد بن مقاتل العباداني عنها فقال بر والديك فما تقول فقال احب
ان تعفيني فقد سمعت ما قالا ثم قال ما احسن ان تداريهما **مسألة** من في يده مال حرام
محض فلا حج عليه ولا يلزمه كفارة مالية لانه مفلس ولا يجب عليه الزكاة اذ معنى الزكاة
ربع العشر مثلا وهذا يجب عليه اخراج الكل اما ردا على المالك ان عرفه او صرفا الى الفقراء
ان لم يعرف المالك واما اذا كان مال شبهة يحتمل انه حلال فاذا لم يخرجه من يده لزمه الحج لان
كونه حلالا ممكن ولا يسقط الحج الا بالفقر ولم يتحقق فقره وقد قال تعالى ولله على الناس حج
البيت من استطاع اليه سبيلا واذا وجب عليه التصدق بما زاد على حاجته حيث يغلب تحريمه
فالزكاة اولى بالوجوب وان لزمته كفارة فليجمع بين الصوم والاعتاق ليتخلص بيقين وقد
قال قوم عليه الجمع وقال قوم يلزمه الصوم دون الاطعام اذ ليس له يسار معلوم وقال
المحاسبي يكفيه الاطعام والذي نختاره ان كل شبهة حكمنا بوجوب اجتنابها والزمناه اخراجها
من يده لكون احتمال الحرام اغلب على ما ذكرنا فعليه الجمع بين الصوم والاطعام اما الصوم فلانه
مفلس حكما واما الاطعام فلانه قد وجب عليه التصدق بالجميع ويحتمل ان يكون له فيكون الوجوب
من جهة الكفارة **مسألة** من في يده مال حرام امسكه للحاجة فاراد ان يتطوع بالحج ان كان
ماشيا فلا باس لانه سياكل هذا المال في غير عبادة فاكله في عبادة اولى وان كان لا يقدر على المشي
ويحتاج الى زيادة للمركوب فلا يجوز اخذه في مثل هذه الحاجة في الطريق كما لا يجوز شراء المركوب
في البلد وان كان يتوقع القدرة على حلال لو اقام بحيث يستغني به عن بقية الحرام فالاقامة
في انتظاره اولى من الحج ماشيا بالمال الحرام **مسألة** من خرج للحج بمال فيه
شبهة فليجتهد ان يكون قوته من الطيب فان لم يقدر فمن وقت الاحرام الى التحلل فان لم
يقدر فليجتهد يوم عرفة ان لا يكون قيامه بين يدي الله تعالى ودعاؤه في وقت مطعمه
حرام وملبسه حرام فليجتهد ان لا يكون في بطنه في ذلك الوقت حرام ولا على ظهره فانا وان جوزنا
هذا بالحاجة فهو نوع ضرورة وما الحقناه بالطيبات فان لم يقدر فليلازم قلبه الخوف والغم لما
هو مضطر اليه من تناول ما ليس بطيب فعساه ينظر اليه بعين الرحمة ويتجاوز عنه بسبب
حزنه وخوفه وكراهته **مسألة** سئل احمد بن حنبل فقال له قائل مات ابي وترك
مالا وكان يكره معاملته فقال تدع من ماله بقدر ما ربح فقال له دين وعليه دين فقال
تقضي وتقتضي فقال افترى ذلك فقال فتدعه محتبسا بدينه وما ذكره صحيح وهو يدل على انه
راى التحري باخراج مقدار الحرام اذ قال يخرج قدر الربح وانه راى ان اعيان اموال الملك لم يزل
عما بذل في المعاوضات الفاسدة بطريق التقاص والتقابل سيما اكثر التصرف وعدم الرد وحول
في قضاء دينه على انه يقين فلا يترك بسبب الشبهة

الباب الخامس في ادرارات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم

اعلم ان من اخذ مالا من سلطان فلا بد له من النظر في ثلاثة امور في مدخل المال الذي
للسلطان من اين هو وفي صفته التي بها يستحق الاخذ وفي المقدار الذي ياخذه هل يستحقه
اذا اضيف الى حاله وحال شركائه في الاستحقاق النظر الاول في جهات الدخل للسلطان
وكل ما يحل للسلطان سوى الاحياء وما يشترك فيه الرعية قسمان القسم الاول المأخوذ من

الكفار وهو الغنيمة المأخوذة بالقهر والفيء وهو الذي حصل من مالهم في ايدينا من غير قتال والجزية
واموال المصالحة وهي التي تؤخذ بالشرط والمعاقدة والقسم الثاني المأخوذ من المسلمين فلا يحل
منه الا قسمان المواريث وساير الاموال الضائعة التي لا يتعين لها مالك والاوقاف التي لا متولي لها
اما الصدقات فليس يؤخذ في هذا الزمان وما عدا ذلك من الخراج المضروب على المسلمين
والمصادرات وانواع الرشوة كلها حرام فاذا كتب لفقيه وغيره ادرارا وصلة او خلعة
على جهة فلا يخلو من احوال ثمانية فانه اما يكتب على الجزية او على المواريث او على الاوقاف
او على ملك احياه السلطان او على ملك اشتراه او على عامل خراج المسلمين او على بياع من جملة
التجار او على الخزانة فالاول هو الجزية واربعة اخماسها للمصالح وخمسها لجهات معينة فما كتب
على الخمس من تلك الجهات او على الاخماس الاربعة لما فيه المصلحة وروعي فيه الاحتياط القدر فهو حلال
بشرط ان لا تكون الجزية الا مصروفة على وجه شرعي ليس فيها زيادة على دينار او على اربعة دنانير
فانه ايضا في محل الاجتهاد وللسلطان ان يفعل ما هو في محل الاجتهاد ويشترط ان يكون الذمي
الذي يؤخذ منه مكتسبا من وجه لا يعلم تحريمه فلا يكون عامل سلطان ظالم ولا بياع خمر ولا
صبيا ولا امراة اذ الجزية عليهما فهذه امور تراعى في كيفية ضرب الجزية ومقدارها وصفة من تصرف
اليه ومقدار ما يصرف فيجب النظر في جميع ذلك الثاني المواريث والاموال الضائعة فهي للمصالح
والنظر فيه ان الذي خلفه وان الذي خلفه هل كان كله حراما او اكثره او اقله وقد سبق حكمه
فان لم يكن حراما بقي النظر في صفة من يصرف اليه بان يكون في الصرف اليه مصلحة ثم في المقدار
المصروف والثالث الاوقاف وكذا يجري النظر فيها كما يجري في الميراث مع زيادة امر وهو شرط
الواقف حتى يكون المأخوذ موافقا له في جميع شرائطه الرابع ما احياه السلطان وهذا لا يعتبر فيه
شرط اذ له ان يعطي من ملكه ما شاء لمن شاء اي قدر شاء وانما النظر في ان الغالب هل احياه باكراه
الاجراء او باداء اجرتهم من حرام فان الاحياء يحصل بحفر القناة والانهار وبناء الجدران وتسوية الارض
ولا يتولاه السلطان بنفسه فان كانوا مكرهين على الفعل لم يتملكه السلطان وهو حرام وان كانوا
مستاجرين ثم قضيت اجرتهم من الحرام فهذا يورث شبهة قد نبهنا عليها في تعلق الكراهة بالاعواض
الخامس ما اشتراه السلطان في الذمة من ارض وثياب وخلعة او فرس وغيره فهو ملكه وله ان
يتصرف فيه ولكنه سيقضي ثمنه من حرام وذلك يوجب التحريم تارة والشبهة اخرى وقد سبق تفصيله
السادس ان يكتب على عامل خراج المسلمين او من يجمع اموال الغنيمة والمصادرة وهو الحرام المحض
الذي لا شبهة فيه وهو اكثر الادرارات في هذا الزمان الا ما على اراضي العراق فانها وقف عند
الشافعي على مصالح المسلمين السابع ما يكتب على بياع يعامل السلطان فان كان لا يعامل غيره
فماله كمال الخزانة السلطان وان كان يعامل مع غير السلطان اكثر فما يعطيه قرض على السلطان
وسيأخذ بدله من الحرام فالحلال يتطرق اليه العوض وقد سبق حكم الثمن الحرام الثامن ما يكتب على
الخزانة او على عامل يجتمع عنده من الحلال والحرام فان لم يعرف السلطان دخل الا من الحرام او على
عامل هو سحت محض وان عرف يقينا ان الخزانة تشتمل على مال الحلال ومال الحرام فاحتمل ان
يكون ما يسلم اليه بعينه من الحلال احتمالا قريبا له وقع في النفس واحتمل ان يكون من الحرام وهو
الاغلب لان اغلب اموال السلاطين حرام في هذه الاعصار والحلال في ايديهم معدوم
او عزيز وقد اختلف الناس في هذه الاعصار في هذا فقال قوم كل ما لا اتيقن انه حرام فلي ان
اخذه وقال اخرون لا يحل ان يؤخذ ما لم يتحقق انه حلال ولا يحل شبهة اصلا وكلاهما اسراف
والاعتدال ما قدمنا ذكره وهو الحكم بالاغلب وهو الحكم بان الاغلب اذا كان حراما حرم وان كان
الاغلب حلالا وفيه شبهة او فيه يقين حرام فهو موضع توقف فيه كما سبق وقد احتج من جوز

اخذ مال

اخذ مال السلاطين اذا كان فيها حرام وحلال اذا لم يتحقق ان عين المأخوذ حرام
بما روي عن جماعة من الصحابة انهم ادركوا ايام الائمة الظلمة واخذوا الاموال منهم
فمنهم ابو هريرة وابو سعيد الخدري وزيد بن ثابت وابو ايوب وجرير بن عبد الله
وجابر وانس والمسور بن مخرمة فاخذ ابو سعيد وابو هريرة من مروان ويزيد ومن عبد
الملك واخذ ابن عمر وابن عباس من الحجاج واخذ كثير من التابعين منهم كالشعبي وابراهيم
والحسن وابن ابي ليلى واخذ الشافعي من هرون الرشيد الف دينار في دفعة واحدة واخذ
مالك من الخلفاء اموالا جمة وقال علي خذ ما اعطاك السلطان فانما يعطيك من الحلال
وما ياخذ من الحلال اكثر وانما ترك العطاء منهم من ترك تورعا مخافة على دينه وان يحمل ما لا يحل
الا ترى الى قول ابي ذر للاحنف بن قيس خذ العطا ما كان حلالة فاذا كان اثمان دينكم
فدعوه وقال ابو هريرة اذا اعطينا قبلنا واذا منعنا لم نسال وعن سعيد بن المسيب
عن ابي هريرة كان اذا اعطاه معوية سكت وان منعه وقع فيه وعن الشعبي عن مسروق
لا يزال العطا باهل العطا حتى يدخلهم النار اي يحملهم ذلك على الحرام لا انه في نفسه حرام
وروى نافع عن ابن عمر ان المختار كان يبعث اليه المال فيقبله ثم يقول لا اسال احدا ولا
ارد ما رزقني الله واهدى اليه ناقة فقبلها وكان يقال لها ناقة المختار ولكن هذا يعارضه
ما روي ان ابن عمر لم يرد هدية احد الا هدية المختار والاسناد في رده اثبت وعن نافع انه
بعث ابن معمر الى ابن عمر ستين الفا فقسمها على الناس ثم جاءه سايل فاستقرض من
بعض من اعطاه واعطى السايل ولما قدم الحسن بن علي رضي الله عنهما على معوية
فقال لاجيزنك بجائزة لم اجزها احدا قبلك من العرب ولا اجيزها احدا بعدك من
العرب قال فاعطاه اربع مائة الف فاخذها وعن حبيب بن ابي ثابت لقد رايت جوائز
المختار لابن عمر وابن عباس فيقبلانها فقيل ما هي قال مال وكسوة وعن الزبير بن عدي انه
قال قال سلمان اذا كان لك صديق عامل او تاجر يقارف الربا فدعاك الى طعام او نحوه او اعطاك
شيا فاقبل فان المهنا لك وعليه الوزر واذا ثبت في المرابي فالظالم في معناه وعن جعفر
عن ابيه ان الحسن والحسين كانا يقبلان جوائز معوية وقال اخرون وهو حكيم بن جبير مررنا
على سعيد بن جبير وقد جعل عاشرا سغال القراة فارسل اليه العشارون اطعمونا مما عندكم
فارسلوا بطعام فاكل واكلنا معه وقال العلا بن زهير الازدي اتى ابرهيم ابي
وهو عامل على حلوان فاجازه فقبل وقال ابرهيم لا باس بجائزة العمال ان للعمال مونة ورزقا
ويدخل بيت ماله الخبيث والطيب فما اعطاك فهو من طيب ماله فقد اخذ هولاء كلهم جوائز
السلاطين الظلمة وكلهم طعنوا على من اطاعهم في معصية الله وزعمت هذه الفرقة ان
ما ينقل من امتناع جماعة ما يدل على التحريم بل على الورع كالخلفاء الراشدين وابو ذر وغيره
من الزهاد فانهم امتنعوا من الحلال المطلق زهدا ومن الحلال الذي يخاف افضاؤه
الى محذور ورعا وتقوى فاقدام هولاء يدل على الجواز وامتناع اولئك لا يدل على التحريم
وما نقل عن سعيد بن المسيب انه ترك عطاءه في بيت المال حتى اجتمع بضعة وثلاثين الفا
وما نقل عن الحسن من قوله لا اتوضا من ماء صيرفي وان ضاق وقت الصلاة لاني
لا ادري اصل ماله كل ذلك ورع لا ينكر واتباعهم عليه احسن من اتباعهم على الاتساع
ايضا فهذه شبهة من جوز اخذ مال السلطان الظالم الجواب انا نقول من

اخذ هؤلاء محصور قليل بالاضافة الا ما نقل من ردهم وانكارهم فان كان يتطرق الى
امتناعهم احتمال الورع فيتطرق الى الاخذ من اخذ ثلثه احتمالات متفاوتة في الدرجه
بتفاوتهم في الورع فان للورع في حق السلاطين اربع درجات **الاولى** ان لا ياخذ من
مالهم شيا كما فعله الورعون منهم وكما كان يفعله الخلفا الراشدون حتى ان ابا بكر رض
حسب جميع ما كان اخذه من بيت المال فبلغ ستة الاف درهم فغرمها لبيت المال وحتى ان
عمر رض كان يقسم مال بيت المال فدخلت ابنة له فاخذت درهما فنهض عمر في طلبها حتى
سقطت الملحفة عن احدى منكبيه ودخلت الصبيه الى بيت اهلها تبكي وجعلت الدرهم في
فيها فادخل عمر رض اصبعه في فيها فاخرجه منه فطرحه على الخراج وقال ايها الناس ليس لعمر
ولا لال عمر الا ما للمسلمين قريبهم وبعيدهم وكسح ابو موسى الاشعرى بيت مال المسلمين
فوجد درهما فمر ابن لعمر فاعطاه اياه فراه عمر في يد الغلام فساله فقال اعطانيه ابو موسى
فقال يا ابا موسى ما كان في اهل المدينه بيت اهون عليك من ال عمر اردت ان لا يبقى من
امة محمد احد الا طلبنا بمظلمة ورد الدرهم الى بيت المال هذا مع ان المال كان حلالا ولكن
خاف ان لا يستحق هو الدرهم فكان يستبرى لدينه ويقتصر على الاقل امتثالا لقوله صلى الله
عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك ولقوله عليه السلام ومن تركها فقد استبرى لدينه
وعرضه ولما سمعه من رسول الله من التشديدات في الاموال السلطانيه حتى قال عليه السلام
حين بعث عبادة بن الصامت عاملا على الصدقه اتق الله يا ابا الوليد لا تجى يوم القيمة ببعير
تحمله على رقبتك له رغا او بقرة لها خوار او شاة لها ثواج قال يا رسول الله اهكذا يكون قال
نعم والذى نفسى بيده الا من رحم الله قال فوالذى بعثك بالحق نبيا لا اعمل على شى ابدا وقال
صلى الله عليه وسلم انى لا اخاف عليكم ان تشركوا بعدى انما اخاف عليكم ان تنافسوا وانما اخاف
التنافس في المال ولكن لما كان عمر رض في شخص طويل يذكر فيه مال بيت المال انى لم اجد نفسى فيه
الا كالوالى مال اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف وروى ان ابن
الطاووس فعل كتابا من لسانه الى عمر بن عبد العزيز فاعطاه ثلثمائة دينار فباع طاووس
ضيعة له وبعث فيه الى عمر مع ان السلطان مثل عمر بن عبد العزيز فهذه هى الدرجة العليا في الورع
الدرجة الثانيه هو ان ياخذ مال السلطان ولكن انما ياخذ اذا علم ان ما ياخذه من جهة حلال
فاشتمال يد السلطان على حرام اخر لا يضره وعلى هذا ينزل جميع ما نقل من الاثار او اكثرها وما
اختص منها باكابر الصحابه والورعين منهم مثل ابن عمر فانه كان من المبالغين في الورع فكيف
يتوسع في مال السلطان وقد كان من اشدهم انكارا عليهم واشدهم ذما لاموالهم وذلك انهم
اجتمعوا عند ابن عامر وهو في مرضه واشفق على نفسه من ولايته وكونه ماخوذا عند الله بها فقالوا
له انا لنرجو لك الخير حفرت الابار وسقيت الحجيج وصنعت وابن عمر ساكت فقال ما ذا تقول يا ابن عمر
فقال اقول ذلك اذا طاب المكسب وزكت النفقه وستَرِد فترى وفي حديث اخر انه قال
ان الخبيث لا يكفر الخبيث وانك قد وليت البصره ولا احسبك الا وقد اصبت منها شرا فقال له
ابن عامر الا تدعو لى فقال ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يقبل الله صلاة بغير
طهور ولا صدقة من غلول وقد وليت البصره فهذا قوله فيما صرف الى الخيرات وعن ابن عمر
انه قال في ايام الحجاج ما شبعت من الطعام منذ انتهبت الدار الى يومنا هذا وروى عن على
انه كان له سويق في اناء مختوم يشرب منه فقيل له اتفعل هذا بالعراق مع كثرة طعامه

فقال

فقال اما انا لا اختمه بخلا به ولكن اكره ان يجعل فيه ما ليس منه واكره ان يدخل
بطنى غير طيب فهذا هو المالوف منهم وكان ابن عمر لا يعجبه شى الا خرج منه
فطلب منه نافع بثلثين الفا فقال انى اخاف ان تفتننى دراهم ابن عامر وكان هو
الطالب له اذهب فانت حر وقال ابو سعيد الخدرى ما منا احد الا وقد مالت به
الدنيا الا ابن عمر فبهذا يتضح انه لا يظن به وبمن كان في منصبه انه ياخذ مالا لا يدرى
انه حلال الدرجة الثالثه ان ياخذ ليتصدق به على الفقرا ويفرقه على المستحق
فانه لا يتعين مالكه هذا حكم الشرع فيه اى يتصدق به فاذا كان السلطان ان لم ياخذ
منه لم يفرقه واستعان به على ظلم فقد نقول اخذه منه وتفرقته اولى من تركه في يده و
هذا قد راه بعض العلما وسياتى وجهه وعلى هذا ينزل ما اخذه اكثرهم ولذلك قال
ابن المبارك ان الذين ياخذون الجوائز اليوم ويحتجون بابن عمر وعائشه وغيرهما وما
يقتدون بهم لان ابن عمر فرق ما اخذ حتى استقرض في مجلسه بعد تفرقته ستين الفا
وعائشه فعلت مثل ذلك وجابر بن زيد قال فتصدق به وقال رايت ان اخذ منهم
واتصدق احب الى من ان ادعها في ايديهم وهكذا فعل الشافعى بما قبله من
هارون الرشيد فانه فرقه على قرب حتى لم يمسك لنفسه حبة الدرجة الرابعه ان لا
يتحقق انه حلال ولا يفرق بل يستنفق ولكن ياخذ من سلطان اكثر ماله حلال وهكذا
كان الخلفا في زمان الصحابه والتابعين بعد الخلفاء الراشدين ولم يكن اكثر مالهم حراما
ويدل عليه تعليل على حيث قال فان ما ياخذه من الحلال اكثر وهذا مما قد جوزه جماعة من
العلما تعويلا على الاكثر ونحن توقفنا فيه في حق احاد الناس ومال السلطان اشبه بالخروج
عن الحصر فلا يبعد ان يودى اجتهاد مجتهد الى جواز اخذ ما لم يعلم انه حرام اعتمادا على
الاغلب وانما منعنا اذا كان الاكثر حراما فاذا فهمت هذه الدرجات تحققت ان ادرارات
الظلمة في زماننا هذا لا تجرى مجراه فانها تفارقه من وجهين قاطعين احدهما ان اموال
السلاطين في عصرنا حرام كلها او اكثرها وكيف لا والحلال هو الصدقات والفى والغنيمه ولا
وجود لها وليس يدخل منها شى بيد السلاطين ولم يبق الا الجزيه وانها تؤخذ بانواع
من الظلم لا يحل اخذها به فانهم يجاوزون حدود الشرع في الماخوذ والوفاء له بالشروط
ثم اذا نسبت ذلك الى ما ينصب اليهم من الخراج المضروب على المسلمين ومن المصادرات
والرشا وصنوف الظلم لم يبلغ عشر معشار عشره **الوجه الثانى** ان الظلمة في العصر الاول
لقرب عهدهم بزمان الخلفا الراشدين كانوا مستشعرين من ظلمهم ومتشوفين الى
استمالة قلوب الصحابة والتابعين وحريصين على قبولهم عطاياهم وجوائزهم وكانوا يبعثون
اليهم من غير سوال واذلال بل كانوا يتقلدون المنه بقبولهم ويفرحون به فكانوا ياخذون
منهم ذلك ويفرقون ولا يطيعون السلاطين في اغراضهم ولا يغشون مجالسهم ولا يكثرون
جمعهم ولا يحبون بقاهم بل يدعون عليهم ويطلقون اللسان فيهم وينكرون المنكرات منهم
فما كان يحذر ان يصيبوا من دينهم بقدر ما اصابوا من دنياهم فلم يكن باخذهم باس
فاما الان فلا تسمح نفوس السلاطين بعطيه الا لمن طمعوا في استخدامه والتكثر بهم
والاستعانة بهم على اغراضهم والتجمل بغشيان مجالسهم وتكليفهم المواظبه على الدعا
والثنا والتزكيه والاطرا في حضورهم ومغيبهم فلو لم يذل الاخذ نفسه بالسوال اولا
وبالتردد في الخدمه ثانيا وبالثنا والدعا ثالثا وبالمساعده له على اغراضه وعند
الاستعانه رابعا وبتكثير جمعه في مجلسه خامسا وباظهار الحب والموالاه والمناصرة

له على أعدائه سادساً وبالستر على ظلمه ومقابحه ومساوي أعماله سابعاً لم ينعم عليه بدرهم واحد
ولو كان في فضل الشافعي مثلاً فإذاً لا يجوز أن يؤخذ منهم في هذا الزمان ما يعلم أنه حلال لإفضائه
إلى هذه المعاني فكيف ما يعلم أنه حرام أو يشك فيه فمن استجرأ على أموالهم وشبه نفسه
بالصحابة والتابعين فقد قاس الملائكة بالحدادين ففي أخذ الأموال منهم حاجة إلى مخالطتهم
ومراعاتهم وخدمة عمالهم واحتمال الذل منهم والثناء عليهم والتردد إلى أبوابهم وكل ذلك
معصية على ما سنبين في الباب الذي يلي هذا فإذاً قد تبين مما تقدم مداخل أموالهم وما
يحل منها وما لا يحل فلو تصور أن يأخذ الإنسان منها ما يحل بقدر استحقاقه وهو جالس في
بيته يساق إليه ذلك لا يحتاج فيه إلى تفقد عامل وخدمته ولا إلى الثناء عليهم وتزكيتهم
ولا إلى مساعدتهم فلا يحرم الأخذ ولكن يكره لمعان سننبه عليها في الباب الذي يلي
هذا **النظر الثاني** من هذا الباب في قدر المأخوذ وصفة الآخذ ولنفرض المال من أموال
المصالح كأربعة أخماس الفيء والمواريث فإن ما عداه مما قد تعين مستحقه إن كان من وقف
أو صدقة أو خمس فيء أو خمس غنيمة وما كان من ملك السلطان مما أحياه أو اشتراه
فله أن يعطي ما شاء من شاء وإنما النظر في الأموال الضائعة ومال المصالح فلا يجوز
صرفها إلا إلى من فيه مصلحة عامة أو هو محتاج إليه عاجز عن الكسب فأما الغني الذي ليس له
مصلحة فيه فلا يجوز صرف مال بيت المال إليه هو الصحيح وإن كان العلماء قد اختلفوا فيه
وفي كلام عمر ما يدل على أن لكل مسلم حقاً في مال بيت المال لكونه مسلماً مكثراً جمع
الإسلام ولكنه مع هذا ما كان يقسم المال على المسلمين كافة بل على مخصوصين بصفات فإذا
ثبت هذا فكل من يتولى أمراً يقوم به تتعدى مصلحته إلى المسلمين ولو اشتغل بالكسب لتعطل
عليه ما هو فيه فله من بيت المال حق الكفاية ويدخل فيه العلماء كلهم أعني العلوم التي تتعلق
بمصالح الدين من علم الفقه والحديث والتفسير والقراءة حتى يدخل فيه المعلمون والمؤذنون
وطلبة هذه العلوم أيضاً يدخلون فيه فإنهم إن لم يكفوا لم يتمكنوا من الطلب ويدخل
فيه العمال وهم الذين ترتبط مصالح الدنيا بأعمالهم وهم الأجناد المرتزقة الذين يحرسون
المملكة بالسيوف عن أهل العرامة وأهل البغي وعن أعداء الإسلام ويدخل فيه الكتاب والحساب
والوكلاء وكل من يحتاج إليه في ترتيب ديوان الخراج أعني العمال على الأموال الحلال لا على
الحرام فإن هذا المال للمصالح والمصلحة إما أن تتعلق بالدين أو بالدنيا فبالعلماء حراسة الدين
وبالأجناد حراسة الدنيا والدين والملك توأمان لا يستغني أحدهما عن الآخر والطبيب وإن
كان لا يرتبط بعلمه أمر ديني ولكن يرتبط به صحة الجسد والدين يتبعه فيجوز أن يكون له ولمن
يجري مجراه في العلوم المحتاج إليها في مصلحة الأبدان أو مصلحة البلاد إدرار من هذه الأموال
ليتفرغوا لمعالجة المسلمين أعني من يعالج منهم بغير أجرة وليس يشترط في هؤلاء الحاجة
بل يجوز أن يعطوا مع الغنى فإن الخلفاء الراشدين كانوا يعطون المهاجرين والأنصار وإن لم
يعرفوا بالحاجة وليس يتقدر أيضاً بمقدار بل هو إلى اجتهاد الإمام وله أن يوسع ويغني وله أن
يقتصر على الكفاية على ما يقتضيه الحال وسعة المال فقد أخذ الحسن من معاوية في دفعة أربعمائة ألف
درهم وقد كان عمر يعطي لجماعة اثني عشر ألف درهم نقرة في السنة وأثبت عائشة في
هذه الجريدة ولجماعة ستة آلاف وهكذا فهذا مال لهؤلاء يوزع عليهم حتى لا يبقى منه شيء
فإن خص كل واحد منهم بالكثير فلا بأس وكذلك للسلطان أن يخص من هذا المال ذوي الخصائص
بالخلع والجوائز فقد كان يفعل ذلك السلف ولكن ينبغي أن يلتفت فيه إلى المصلحة ومهما
خص عالم أو شجاع بصلة كان فيه بعث للناس وتحريض على الاشتغال والتشبه به فهذه

فائدة الخلع والصلات وضروب التخصيصات وكل ذلك منوط باجتهاد السلطان وإنما النظر في
السلاطين الظلمة في شيئين أحدهما أن السلطان الظالم عليه أن يكف عن ولايته وهو إما معزول
أو واجب العزل فكيف يجوز أن يأخذ من يده وهو على التحقيق ليس بسلطان والثاني أنه
ليس يعم بماله جميع المستحقين فكيف يجوز للآحاد أن يأخذوا أفيجوز لهم الأخذ بقدر حصصهم
أم لا يجوز أصلاً أو يجوز أن يأخذ كل ما أعطي أما الأول فالذي نراه أنه لا يمنع أخذ الحق لأن
السلطان الظالم الجاهل مهما ساعدته الشوكة وعسر خلعه وكان في الاستبدال به فتنة ثائرة
لا تطاق وجب تركه ووجبت الطاعة له كما تجب طاعة الأمراء وقد ورد في الأمر بطاعة
الأمراء والمنع من سل اليد عن مساعدتهم أوامر وزواجر فالذي نراه أن الخلافة منعقدة للمتكفل
بها من بني العباس وأن الولاية نافذة للسلاطين في أقطار البلاد والمبايعين للخليفة وقد
ذكرنا في الكتاب المستظهري ما يشير إلى وجه المصلحة فيه والقول الوجيز أنا نراعي الصفات
والشروط في السلاطين تشوفاً إلى مزايا المصالح ولو قضينا ببطلان الولايات لبطلت المصالح
رأساً فكيف يفوت رأس المال في طلب الربح بل الولاية الآن لا تتبع إلا الشوكة فمن بايعه
صاحب الشوكة فهو الخليفة ومن استبد بالشوكة وهو مطيع للخليفة في أصل الخطبة والسكة
فهو سلطان نافذ الحكم والقضاء في أقطار الأرض ولاية نافذة الأحكام وتحقيق هذا قد
ذكرناه في أحكام الإمامة من كتاب الاقتصاد في الاعتقاد فلا نطول الآن به وأما الإشكال
الآخر وهو أن السلطان إذا لم يعمم بالعطاء كل مستحق فهل يجوز للواحد أن يأخذ منه فهذا
مما اختلف العلماء فيه على أربع مراتب فغلا بعضهم وقال كل ما يأخذه فالمسلمون كلهم فيه
شركاء ولا يدري أن حصته منه دانق أو حبة فليترك الكل وقال قوم له أن يأخذ قوت
يومه فقط فإن هذا القدر يستحقه لحاجته على المسلمين وقال قوم له أن يأخذ
قوت سنة فإن أخذ الكفاية كل يوم عسير وهو ذو حق في هذا المال فكيف يتركه وقال
قوم إنه يأخذ ما يعطى والمظلوم هم الباقون وهذا هو القياس لأن المال ليس مشتركاً بين
المسلمين كالغنيمة بين الغانمين ولا كالميراث بين الورثة لأن ذلك صار ملكاً لهم وهذا
لو لم يتفق قسمته حتى مات هؤلاء لم يجب التوزيع على ورثتهم بحكم الميراث بل هذا الحق غير
متعين وإنما يتعين بالقبض بل هو كالصدقات ومهما أعطي الفقراء حصتهم من الصدقات
وقع ذلك ملكاً لهم ولم يمتنع بظلم المالك بقية الأصناف هذا إذا لم يصرف إليه كل المال
بل صرف إليه من المال ما لو صرف إليه بطريق الإيثار والتفضيل مع تعميم الآخرين لجاز
له أن يأخذه والتفضيل جائز في العطاء سوى أبو بكر فراجعه عمر رضي الله عنهما فقال
إنما فضلهم عند الله وإنما الدنيا بلاغ وفضل عمر فأعطى عائشة اثني عشر ألفاً وزينب
عشرة آلاف وجويرية ستة آلاف وكذا صفية وأقطع عمر علياً خاصة وأقطع عثمان أيضاً
من السواد خمس جنات وآثر عثمان علياً فقبل منه ولم ينكر عليه وكل ذلك جائز فإنه
في محل الاجتهاد وهو من المجتهدات التي أقول فيها إن كل مجتهد مصيب وهي كل
مسألة لا نص فيها على عينها ولا على مسألة تقرب منها فتكون في معناها بقياس جلي
كهذه المسألة ومسألة حد الشرب فإنهم جلدوا أربعين وثمانين والكل سنة وحق وإن
كل واحد من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما مصيب باتفاق فإن المفضول ما رد في زمان عمر
شيئاً إلى الفاضل مما كان قد أخذه في زمان أبي بكر ولا الفاضل امتنع من قبول الفضل
في زمان عمر واشترك في ذلك كل الصحابة واعتقدوا أن كل واحد من الرأيين حق فليؤخذ
هذا الجنس دستوراً للاختلافات التي يصوب فيها كل مجتهد فأما كل مسألة

شذ عن مجتهد فيها نص وقياس جلي لغفلة او لسوء راي وكان في القوة بحيث ينقض به حكم المجتهد فلا نقول فيها ان كل واحد مصيب بل المصيب من اصاب النص او ما في معنى النص وقد تحصل من مجموع هذا ان من وجد من اهل الخصوص الموصوفين بصفة يتعلق بها مصالح الدين او الدنيا واخذ من السلطان خلعة او ادرارا على التركات او الجزية لم يصر فاسقا بمجرد اخذه وانما يفسق بخدمته لهم ومعاونته اياهم ودخوله عليهم وثنائه واطرائه لهم الى غير ذلك من لوازم لا يسلم المال غالبا الا به كما سنبينه

الباب السادس

فيما يحل من مخالطة السلاطين الظلمة ويحرم وحكم غشيان مجالسهم

والدخول عليهم والاكرام لهم اعلم ان لك مع الامرا والعمال الظلمة ثلاثة احوال الحالة الاولى وهي شرها ان تدخل عليهم والثانية وهي دونها ان يدخلوا عليك والثالثة وهي الاسلم ان تعتزل عنهم ولا تراهم ولا يرونك اما الحالة الاولى وهي الدخول عليهم فهو مذموم جدا في الشرع وفيه تغليظات وتشديدات تواردت بها الاخبار والاثار فننقلها لتعرف ذم الشرع له ثم نتعرض لما يحرم منه وما يباح وما يكره على ما تقتضيه الفتوى في ظاهر العلم فاما الاخبار فانه لما وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الامرا الظلمة قال فمن نابذهم نجا ومن اعتزلهم سلم من اثامهم ولكن لم يسلم من عذاب يعمه ان نزل بهم لتركه المنابذة والمنابذة وقال صلى الله عليه وسلم سيكون بعدي امرا يكذبون ويظلمون فمن صدقهم بكذبهم واعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولم يرد علي الحوض وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابغض القرا الى الله الذين يزورون الامرا وفي الخبر خير الامرا الذين ياتون العلما وشر العلما الذين ياتون الامرا وفي الخبر العلما امنا الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم رواه انس واما الاثار فقال حذيفة اياكم ومواقف الفتن قيل وما هي قال ابواب الامرا يدخل احدكم على الامير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه وقال ابو ذر لسلمة يا سلمة لا تغش ابواب السلاطين فانك لا تصيب من دنياهم شيا الا اصابوا من دينك افضل منه وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القرا الزوارون للملوك وقال الاوزاعي ما من شي ابغض الى الله من عالم يزور عاملا وقال سمنون ما اسمج بالعالم يوتى الى مجلسه فلا يوجد فيسال عنه فيقال انه عند الامير قال وكنت اسمع انه كان يقال اذا رايتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت اذ ما دخلت قط على هذا السلطان الا وحاسبت نفسي بعد الخروج فارى عليها الدرك مع ما اواجههم به من الغلظة والمخالفة لهواهم وقال عبادة بن الصامت حب القاري الناسك الامرا نفاق وحبه الاغنيا ريا وقال ابو ذر من كثر سواد قوم فهو منهم اي من كثر سواد الظلمة وقال ابن مسعود ان الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج ولا دين له قيل له ولم قال لانه يرضيه بسخط الله واستعمل عمر بن عبد العزيز رجلا فقيل له كان عاملا للحجاج فعزله فقال الرجل انما عملت له على شي يسير فقال له عمر حسبك بصحبته يوما او بعض يوم شوما وشرا وقال الفضيل ما ازداد رجل من ذي سلطان قربا الا ازداد من الله بعدا وكان سعيد بن المسيب يتجر في الزيت ويقول ان في هذا لغنى عن هولا السلاطين وقال وهب بن الورد هولا الذين يدخلون على الملوك لهم اضر على الامة من المقامرين وقال محمد بن سلمة الذباب على العذرة احسن من قاري على باب هولا الظلمة ولما خالط الزهري السلطان كتب اخ له في الدين عافانا الله واياك ابا بكر من الفتن فقد اصبحت بحال ينبغي لمن عرفك ان يدعو لك ويرحمك اصبحت

شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله لما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه وليس كذلك اخذ الله الميثاق على العلما قال الله عز وجل لتبيننه للناس ولا تكتمونه واعلم ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت انك انست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يود حقا ولم يترك باطلا حين ادناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى ظلمهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيه الى ضلالتهم يدخلون بك الشك على العلما ويقتادون بك قلوب الجهلا فما ايسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا عليك من دينك فما يومنك ان تكون ممن قال الله تعالى فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات وانك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر سفر بعيد وما يخفى على الله من شي في الارض ولا في السما فهذه الاخبار والاثار تدل على ما في مخالطة السلاطين من الفتن وانواع الفساد ولكنا نفصل ذلك تفصيلا فقهيا نميز فيه المحظور عن المكروه والمباح فنقول الداخل على السلطان متعرض لان يعصي الله اما بفعله واما بسكوته واما بقوله واما باعتقاده ولا ينفك عن احد هذه الامور اما الفعل فالدخول عليهم في غالب الاحوال يكون الى دور مغصوبة وتخطيها والدخول فيها بغير اذن الملاك حرام ولا يغرنك قول القائل ان ذلك مما يتسامح به الناس كتمرة او فتات خبز فان ذلك صحيح في غير المغصوب اما المغصوب فلا لانه ان قيل ان كل جلسة خفيفة لا تنقص الملك فهي في محل التسامح وكذلك الاجتياز فيجري هذا في كل واحد فيجري في الجميع والغصب انما تم بفعل الجميع وانما يتسامح به اذا انفرد اذ لو علم المالك به ربما لم يكرهه فاما اذا كان ذلك طريقا الى الاستغراق بالاشتراك فحكم التحريم ينسحب على الكل فلا يجوز ان يوخذ ملك الرجل طريقا اعتمادا على ان كل واحد انما يخطو خطوة لا تنقص الملك لان المجموع مفوت الملك وهو كضرب خفيف في التعليم يباح ولكن بشرط الانفراد فلو اجتمع جماعة بضربات توجب القتل وجب القصاص على الجميع مع ان كل واحد من الضربات لو انفردت لم توجب قصاصا فان فرض الظالم في موضع غير مغصوب كالموات مثلا فان كان تحت خيمة او مظلة من ماله فهو حرام والدخول اليه غير جائز لانه انتفاع بالحرام واستظلال به فان فرض كل ذلك حلالا فلا يعصي بالدخول من حيث انه دخول ولا بقوله السلام عليك ولكن ان سجد او ركع او مثل قائما في سلامه وخدمته كان مكرما للظالم بسبب ولايته التي هي الة ظلمه والتواضع للظالم معصية بل من تواضع لغني ليس بظالم لاجل غناه لا لمعنى اخر يقتضي التواضع نقص ثلثا دينه فكيف اذا تواضع للظالم فلا يباح الا مجرد السلام فاما تقبيل اليد والانحناء في الخدمة فهو معصية الا عند خوف او لامام عادل او لعالم او لمن يستحق ذلك بامر ديني فقبل ابو عبيدة بن الجراح يد عمر لما لقيه بالشام فلم ينكر عليه وقد بالغ بعض السلف حتى امتنع من رد جوابهم في السلام والاعراض عنهم استحقارا لهم من محاسن القربات فاما السكوت عن رد الجواب ففيه نظر لان ذلك واجب فلا ينبغي ان يسقط بالظلم فان ترك الداخل جميع ذلك واقتصر على السلام فلا يخلو من الجلوس على بساطهم واذا كان غالب اموالهم حراما فلا يجوز الجلوس على فرشهم هذا من حيث الفعل فاما السكوت فهو انه سيرى في مجلسهم من الفرش الحرير واواني الفضة والحرير الملبوس عليهم وعلى غلمانهم ما هو حرام وكل من راى سيئة وسكت عليها فهو شريك في تلك السيئة بل يسمع من كلامهم ما هو فحش وكذب وشتم وايذا والسكوت على جميع ذلك حرام بل يراهم لابسين الثياب واكلين الطعام وجميع ما في ايديهم حرام والسكوت على ذلك غير جائز فيجب عليه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بلسانه ان لم يقدر بفعله فان قلت انه يخاف على نفسه فهو معذور في السكوت فهذا حق ولكنه مستغن عن ان يعرض نفسه لارتكاب ما لا يباح الا بعذر فانه لو لم يدخل ولم يشاهد لم يتوجه عليه الخطاب بالحسبة حتى يسقط عنه بالعذر وعند

هذا قول من علم فسادا في موضع وعلم انه لا يقدر على ازالته فلا يجوز له ان يحضر ذلك الموضع ليجري
ذلك بين يديه وهو يشاهده ويسكت بل ينبغي ان يحترز عن مشاهدته واما القول فهو ان يدعو
للظالم او يثني عليه او يصدقه فيما يقول من باطل بصريح قوله او بتحريك راسه او باستبشار في وجهه
او يظهر له الحب والموالاة والاشتياق الى لقائه والحرص على طول عمره وبقائه فانه في الغالب لا يقتصر
على السلام بل يتكلم ولا يعدو كلامه هذه الاقسام اما دعاؤه فلا يحل له الا ان يقول اصلحك الله او وفقك
الله للخيرات او طول الله عمرك في طاعته وما يجري هذا المجرى فان الدعا بالحراسة وطول البقا واسباغ
النعمة مع الخطاب بالمولى وما في معناه فغير جائز قال صلى الله عليه وسلم من دعا لظالم بالبقا
فقد احب ان يعصى الله في ارضه فان جاوز الدعا الى الثنا فذكر ما ليس فيه فيكون به كاذبا ومنافقا
ومكرما لظالم وهذه ثلاث معاصي وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق وفي
خبر اخر من اكرم فاسقا فقد اعان على هدم الاسلام فان جاوز ذلك الى التصديق له فيما يقوله والتزكية
على ما يعمل كان عاصيا بالتصديق وبالاعانة فان التزكية والثنا اعانة على المعصية وتحريك للرغبة
فيها كما ان التكذيب والمذمة والتقبيح زجر عنه وتضعيف لدواعيه والاعانة على المعصية معصية
ولو بشطر كلمة ولقد سئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء
قال لا دعه يموت فان ذلك اعانة له وقال غيره يسقى الى ان تثوب اليه نفسه ثم يعرض عنه فان
جاوز ذلك الى اظهار الحب والشوق الى لقائه وطول بقائه فان كان كاذبا عصى معصية الكذب
والنفاق وان كان صادقا عصى بحبه بقا الظالم وحقه ان يبغضه في الله ويمقته فالبغض في الله واجب
ومحب المعصية والراضي بها عاص ومن احب ظالما فان احبه لظلمه فهو عاص بمحبته وان احبه لسبب
اخر فهو عاص من حيث لم يبغضه وكان الواجب عليه ان يبغضه في الله وان اجتمع في شخص خير وشر
وجب ان يحب لاجل ذلك الخير ويبغض لاجل ذلك الشر وسياتي في كتاب الاخوة والمتحابين في الله
وجه الجمع بين الحب والبغض فان سلم من ذلك كله وهيهات لم يسلم من فساد يتطرق الى قلبه فانه
ينظر الى توسعه في النعمة ويزدري نعم الله عليه ويكون مقتحما نهي رسول الله حيث قال يا معشر المهاجرين
لا تدخلوا على اهل الدنيا فانها مسخطة الرزق هذا مع ما فيه من اقتدا غيره به في الدخول ومن تكثيره
سواد الظلمة بنفسه وتجميله اياهم ان كان ممن يتجمل به وكل ذلك اما مكروهات او محظورات
دعي سعيد بن المسيب الى البيعة للوليد وسليمان ابني عبد الملك بن مروان فقال لا ابايع اثنين ما
اختلف الليل والنهار فان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن بيعتين فقال ادخل من الباب واخرج من الباب
الاخر قال لا والله لا يقتدي بي احد من الناس فجلد مائة والبس المسوح فلا يجوز الدخول عليهم الا
بعذرين احدهما ان يكون من جهتهم امر الزام لا امر اكرام وعلم انه لو امتنع اوذي او فسد عليهم
طاعة الرعية واضطرب عليهم امر السياسة فيجب عليه الاجابة طاعة لهم ومراعاة لمصلحة الخلق حتى لا تضطرب
الولاية والثاني ان يدخل عليهم في دفع ظلم عن مسلم او عن نفسه اما بطريق الحسبة او بطريق التظلم
فذلك رخصة بشرط ان لا يكذب ولا يثني عليهم ولا يدع نصيحة يتوقع لها قبولا فهذا حكم الدخول الحالة
الثانية ان يدخل عليك السلطان الظالم زائرا فجواب السلام لا بد منه واما القيام والاكرام له فلا يحرم
مقابلة له على اكرامه فانه باكرام العلم والدين مستحق للاكرام كما انه بالظلم مستحق للابعاد فالاكرام بالاكرام
والجواب بالسلام ولكن الاولى ان لا يقوم ان كان معه في خلوة ليظهر له به عز الدين وحقارة الظلم ويظهر
به ايضا غضبه للدين واعراضه عمن اعرض عن الله فاعرض الله تعالى عنه وان كان الداخل في جمع فمراعاة
حشمة ارباب الولايات فيما بين الرعايا مهم فلا باس بالقيام على هذه النية وان علم ان ذلك لا يورث فسادا
في الرعية ولا يناله اذى من غضبه فترك القيام والاكرام اولى ثم يجب عليه بعد ان وقع اللقا ان ينصح
فان كان يقارف ما لا يعرف تحريمه وهو يتوقع ان يتركه اذا عرف فليعرفه فذلك واجب واما ذكر

تحريم

تحريم ما يعلم تحريمه من الشرب والظلم فلا فائدة فيه بل عليه ان يخوفه فيما يرتكبه من المعاصي مهما ظن
ان التخويف يؤثر فيه وعليه ان يرشده الى طريق المصلحة ان كان يعرف طريقا على وفق الشرع بحيث
يحصل فيه غرض الظالم من غير معصية ليصده بذلك عن الوصول الى غرضه بالظلم فاذا يجب عليه
التعريف في محل جهله والتخويف فيما هو مستجرئ عليه والارشاد الى ما هو غافل عنه مما يغنيه عن
الظلم فهذه ثلاثة امور تلزمه اذا توقع للكلام فيه اثرا وهو ايضا لازم لكل من اتفق له دخول على السلطان
بعذر او بغير عذر وروي عن محمد بن صالح قال كنت عند حماد بن سلمة واذا ليس في البيت الا حصير
جالس عليه ومصحف يقرا فيه وجراب فيه علمه ومطهرة يتوضا منها فبينا انا عنده اذ دق داق الباب
واذا هو محمد بن سليمان فاذن له فدخل فجلس بين يديه ثم قال ما لي اذا رايتك امتلات منك
رعبا قال حماد لانه عليه الصلاة والسلام قال ان العالم اذا اراد بعلمه وجه الله هابه كل شيء وان اراد
ان يكنز به الكنوز هاب من كل شيء ثم عرض عليه اربعين الف درهم وقال تاخذها وتستعين بها
قال ارددها على من ظلمته بها قال والله ما اعطيتك الا ما ورثته قال لا حاجة لي فيها قال فتاخذها
فتقسمها قال لعلي ان عدلت في قسمتها ان يقول بعض من لم يرزق منها انه لم يعدل في قسمتها
فياثم فازوها عني الحالة الثالثة ان يعتزل عنهم فلا يراهم ولا يرونه وهو الواجب اذ لا سلامة
الا فيه فعليه ان يعتقد بغضهم على ظلمهم ولا يحب بقاهم ولا يثني عليهم ولا يستخبر عن احوالهم
ولا يتقرب الى المتصلين بهم ولا يتاسف على ما يفوت بسبب مفارقتهم وذلك اذا خطر بباله
امرهم وان غفل عنهم فهو الاحسن واذا خطر بباله تنعمهم فليذكر ما قال حاتم الاصم انما بيني وبين
الملوك يوم واحد اما امس فلا يجدون لذته واني واياهم من غد على وجل وانما هو اليوم وما عسى
ان يكون في اليوم وما قال ابو الدردا اذ قال اهل الاموال ياكلون وناكل ويشربون ونشرب
ويلبسون ونلبس ولهم فضول اموال ينظرون اليها وننظر معهم اليها وعليهم حسابها ونحن منها
برآء وكل من احاط علمه بظلم ظالم ومعصية عاص فينبغي ان يحط ذلك من درجته في قلبه فهذا
واجب عليه لان من صدر منه ما يكره نقص من رتبته في القلب لا محالة والمعصية ينبغي ان تكره فانها
اما ان تغفل عنها او ترضى بها او تكره ولا غفلة مع العلم ولا وجه للرضا فلا بد من الكراهة فليكن جناية
كل احد على حق الله كجنايته على حقك فان قلت الكراهة لا تدخل تحت الاختيار فليكن جناية
كل احد على حق الله فكيف تجب قلنا ليس كذلك فان المحب يكره بضرورة الطبع ما هو مكروه عند محبوبه
ومخالف له فان من لا يكره معصية الله من لا يحب الله وانما لا يحب الله من لا يعرفه والمعرفة واجبة والمحبة لله
واجبة واذا احبه كره ما كرهه واحب ما احبه وسياتي تحقيق ذلك في كتاب المحبة والرضا فان قلت
فلقد كان علماء السلف يدخلون على السلاطين فاقول نعم تعلم الدخول منهم ثم ادخل فقد حكي ان
هشام بن عبد الملك قدم حاجا الى مكة فلما دخلها قال ائتوني برجل من الصحابة فقيل يا امير المؤمنين
قد تفانوا قال من التابعين فاتي بطاوس اليماني فلما دخل خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم
بامرة المؤمنين ولكن قال السلام عليك ولم يكنه ولكن جلس بازائه بغير اذنه وقال كيف انت
يا هشام فغضب هشام غضبا شديدا حتى هم بقتله فقيل له انت في حرم الله وحرم رسوله فلا يمكن ذلك
فقال له يا طاوس ما الذي حملك على ما صنعت قال وما الذي صنعت فازداد غضبا وغيظا فقال
خلعت نعليك بحاشية بساطي ولم تقبل يدي ولم تسلم علي بامرة المؤمنين ولم تكنني وجلست بازائي
بغير اذني وقلت كيف انت يا هشام فقال اما خلع نعلي بحاشية بساطك فاني اخلعهما بين يدي
رب العزة كل يوم خمس مرات فلا يعاقبني ولا يغضب علي واما قولك لم تقبل يدي فاني سمعت امير
المؤمنين علي بن ابي طالب يقول لا يحل لاحد ان يقبل يد احد الا امراته من شهوة او ولده من رحمة
واما قولك لم تسلم بامرة امير المؤمنين فليس كل الناس راضين بامارتك فكرهت ان اكذب

واما قولك لم تكنني فان الله تعالى سمى انبياءه وقال يا داود يا زكريا يا يحيى يا عيسى وكنى لعدوه فقال
تبت يدا ابي لهب واما قولك جلست بازائي فاني سمعت امير المؤمنين علي بن ابي طالب يقول اذا اردت
ان تنظر الى رجل من اهل النار فانظر الى رجل جالس وحوله قوم قيام فقال هشام عظني فقال سمعت
امير المؤمنين ان في جهنم حيات كالقلال وعقارب كالبغال تلدغ كل امير لا يعدل في رعيته ثم قام وهرب
عن سفيان الثوري قال دخلت على ابي جعفر منا فقال لي ارفع الينا حاجتك قلت انما انزلت
هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والانصار وابناؤهم يموتون جوعا فاتق الله واوصل اليهم حقوقهم
قال فطأطأ راسه ثم رفع وقال ارفع الينا حاجتك قلت حج عمر بن الخطاب فقال لخازنه
كم انفقت قال بضعة عشر درهما فارى ها هنا امورا لا تطيقها الجبال فهكذا كانوا يدخلون على السلاطين
اذا اكرهوا فكانوا يخزون بارواحهم في الانتقام من ظلمهم ودخل ابن ابي شهاب على عبد الملك
ابن مروان فقال له تكلم فقال ان الناس لا يخرجون في القيمة من غصصها ومرارتها ومعاينة
الردى فيها الا من ارضى الله بسخط نفسه فبكى عبد الملك وقال لاجعلن هذه الكلمة مثالا نصب
عيني ما عشت ولما استعمل عثمان بن عفان عبد الله بن عامر اتاه اصحاب رسول الله وابطا
عنه ابو ذر وكان له صديقا فعاتبه فقال ابو ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل
اذا ولي ولاية تباعد الله عنه ودخل مالك بن دينار على امير البصرة فقال ايها الامير قرات في
بعض الكتب من احمق من السلطان ومن اجهل ممن عصاني ومن اعز ممن اعتز بي ايها الراعي
السوء دفعت اليك غنما سمانا صحاحا فاكلت اللحم ولبست الصوف وتركتها عظاما تتقعقع فقال
له والي البصرة اتدري ما الذي يجرئك علينا ويجنبنا عنك قال لا قال قلة الطمع فينا وترك الامساك
لما في ايدينا وكان عمر بن عبد العزيز واقفا مع سليمان بن عبد الملك فسمع سليمان صوت الرعد
فجزع ووضع صدره على مقدم الرحل فقال عمر هذا صوت رحمته فكيف اذا سمعت صوت عذابه
ثم نظر سليمان الى الناس فقال ما اكثر الناس فقال عمر خصماؤك يا امير المؤمنين فقال سليمان ابتلاك
الله بهم وحكي ان سليمان بن عبد الملك قدم المدينة وهو يريد مكة فارسل الى ابي حازم فدعاه
فلما دخل عليه قال له سليمان يا ابا حازم ما لنا نكره الموت قال لانكم خربتم اخرتكم وعمرتم
دنياكم فكرهتم ان تنتقلوا من العمران الى الخراب فقال يا ابا حازم كيف القدوم على الله قال يا امير
المؤمنين اما المحسن فكالغائب يقدم على اهله واما المسيء فكالآبق يقدم به على مولاه فبكى
سليمان وقال ليت شعري ما لي عند الله قال ابو حازم اعرض نفسك على كتاب الله قال تعالى ان الابرار
لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم قال سليمان فاين رحمة الله قال قريب من المحسنين ثم قال سليمان
يا ابا حازم اي عباد الله اكرم قال اهل المروءة والتقى قال فاي الاعمال افضل قال اداء الفرائض مع اجتناب
المحارم قال فاي الدعاء اسمع قال قول الحق عند من يخاف ويرجى قال فاي المؤمنين اكيس قال رجل عمل بطاعة
الله ودعا الناس اليها قال فاي المؤمنين اخسر قال رجل خطا في هوى اخيه وهو ظالم فباع اخرته بدنيا
قال سليمان فما تقول فيما نحن فيه قال او تعفيني قال لا ولكن نصيحة تلقيها الي قال يا امير
المؤمنين ان اباك قهروا الناس بالسيف واخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضا
منهم حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة وقد ارتحلوا فلو شعرت بما قالوا وما قيل لهم فقال له رجل من جلسائه
بئس ما قلت فقال ابو حازم ان الله سبحانه قد اخذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه قال
فكيف لنا ان نصلح هذا الفساد قال ان تاخذ من حله فتضعه في حقه فقال سليمان ومن يقدر عليه فقال
من يطلب الجنة ويخاف من النار فقال سليمان ادع لي فقال ابو حازم اللهم ان كان سليمان وليك
فيسره لخير الدنيا والاخرة وان كان عدوك فخذ بناصيته الى ما تحب وترضى فقال سليمان اوصني
فقال اوصيك واوجز عظم ربك ونزهه ان يراك حيث نهاك او يفقدك حيث امرك وقال عمر

بن عبد العزيز لابي حازم عظني فقال اضطجع ثم اجعل الموت عند راسك ثم انظر ما تحب ان
يكون فيك تلك الساعة فخذ به الان وما تكره ان يكون فيك فدعه الان فلعل تلك الساعة قريبة
ودخل اعرابي على سليمان بن عبد الملك فقال تكلم يا اعرابي فقال يا امير المؤمنين اني مكلمك
بكلام فاحتمله وان كرهته فان وراءه ما تحب ان قبلته قال يا اعرابي انا لنجود بسعة الاحتمال
على من لا نرجو نصحه ولا نامن غشه قال الاعرابي يا امير المؤمنين انه قد تكنفك رجال اساؤوا
الاختيار لانفسهم وابتاعوا دنياهم بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم
يخافوا الله فيك حرب الاخرة سلم الدنيا فلا تامنهم على ما ائتمنك الله عليه فانهم لم يبالوا
في الامانة تضييعا وفي الامة خسفا وعسفا وانت مسؤول عما اجترحوا وليسوا مسؤولين عما
اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد اخرتك فان اعظم الناس غبنا من باع اخرته بدنيا غيره فقال
سليمان اما انك يا اعرابي قد سللت لسانك وهو اقطع من سيفك قال اجل يا امير المؤمنين
ولكن لك لا عليك وحكي ان ابا بكرة دخل على معوية فقال اتق الله يا معوية واعلم انك في كل
يوم يخرج عنك وفي كل ليلة تاتي عليك لا تزداد من الدنيا الا بعدا ومن الاخرة الا قربا وعلى
اثرك طالب لا تفوته وقد نصب لك علم لا تجوزه فما اسرع ما تبلغ العلم وما اوشك ما يلحق بك
الطالب وانا وما نحن فيه زائل والذي صرنا اليه باق ان خيرا فخير وان شرا فشر فهكذا
كان دخول اهل العلم على السلاطين اعني علماء الاخرة فاما علماء الدنيا فيدخلون ليتقربوا الى قلوبهم
فيدلونهم على الرخص ويستنبطون بدقائق الحيل طرق السعة فيما يوافق اغراضهم وان تكلموا بمثل
ما ذكرناه في معرض الوعظ لم يكن قصدهم الاصلاح بل اكتساب الجاه والقبول عندهم وفي هذا
غروران يغتر بهما الحمقى احدهما ان يظهر ان قصدي في الدخول عليهم اصلاحهم بالوعظ وربما
يلبسون على انفسهم بذلك وانما الباعث لهم شهوة خفية خفيفة للشهرة وتحصيل المعرفة عندهم وعلامة
الصدق في طلب الاصلاح انه لو تولى ذلك الوعظ غيره ممن هو من اقرانه في العلم ووقع موقع القبول
وظهر به اثر الصلاح فينبغي ان يفرح به ويشكر الله تعالى على كفايته هذا المهم كمن وجب عليه ان
يعالج مريضا ضائعا فقام بمعالجته غيره فانه يعظم فرحه فان كان يصادف في قلبه ترجيحا لكلامه
على كلام غيره فهو مغرور والثاني ان يزعم ان قصدي الشفاعة لمسلم في دفع ظلامة وهذا ايضا مظنة
الغرور ومعياره ما تقدم ذكره وان ظهر طريق الدخول عليهم فلنذكر طرق الاحوال العارضة في
مخالطة السلاطين وما يخرج من اموالهم مسالة اذا بعث اليك السلطان مالا لتفرقه
على الفقراء فان كان له مالك معين فلا يحل اخذه وان لم يكن بل كان حكمه ان يجب التصدق به على المساكين
كما سبق فلك ان تاخذه وتتولى النظر والتفرقة على الفقراء والمساكين كما سبق ولا تعصي باخذه ولكن من
العلماء من امتنع منه فعند هذا ينبغي النظر في الاولى فنقول الاولى لك ان تاخذه ان امنت ثلاث غوائل
الغائلة الاولى ان يظن السلطان بسبب اخذك ان ماله طيب ولولاه لكنت لا تمد اليه اليد ولا تدخله في
ضمانك فان كان كذلك فلا تاخذه فان ذلك محذور ولا تفي الخير في مباشرتك التفرقة بما يحصل له من الجراة
على كسب الحرام الغائلة الثانية ان ينظر اليك غيرك من العلماء الجهال فيعتقدون انك في الاخذ ويستدلون
به على جوازه ثم لا يفرقون فهذا اعظم من الاول فان جماعة يستدلون باخذ الشافعي على جواز
الاكل ويغفلون عن تفرقته واخذه على نية التفرقة فالمقتدى والمتشبه به ينبغي ان يحترز عن
هذا غاية الاحتراز فانه يكون فعله سببا لضلال خلق كثير وقد حكى وهب بن منبه ان رجلا
اتي به الى ملك بمشهد من الناس ليكرهه على اكل لحم الخنزير فلم ياكل فقدم اليه لحم غنم واكره بالسيف
فلم ياكل فقيل له في ذلك فقال ان الناس قد اعتقدوا اني طولبت باكل لحم الخنزير فاذا خرجت سالما وقد اكلت
فلا يعلمون ماذا اكلت ودخل وهب بن منبه وطاوس على محمد بن يوسف اخي الحجاج وكان غداة

في غداة باردة فقال لغلامه هلم ذلك الطيلسان والقه على ابي عبد الرحمن ابن طاوس
وكان قد قعد على الكرسي فالقي عليه فلم يزل يحرك كتفيه حتى القى الطيلسان عنه وغضب محمد
ابن يوسف فقال وهب كنت غنيا عن ان تغضبه لو اخذت الطيلسان وتصدقت به قال
نعم لولا ان يقول من بعدي اخذه طاوس ثم لا يصنع به ما اصنع به اذا لفعلت [illegible] المسالة الثالثة
ان يحركه ليكثر الحب لتخصيصه اياك وايثاره لك بما انفذ اليك فان كان كذلك فان تقبل فان في ذلك
هو السم القاتل والداء الدفين اعني ما يحبب الظلمة اليك فان من احببته لا بد وان تحرص عليه وتكثر
فيه قالت عائشة جبلت القلوب على حب من احسن اليها **وقال** عليه الصلاة والسلام اللهم لا تجعل
لفاجر عندي يدا فيحبه قلبي بين ان القلب لا يكاد يمتنع من ذلك **وروي** ان بعض الامرا ارسل
الى مالك بن دينار بعشرة الاف فاخرجها كلها فاتاه محمد بن واسع وقال ما صنعت بما اعطاك
هذا المخلوق فقال سل اصحابي فسالهم فقالوا اخرجه كله قال انشدك الله اقلبك اشد له حبا
الان ام قبل ان ارسل اليك فقال لا بل الان فقال انما كنت اخاف هذا وقد صدق فانه اذا
احبه احب بقاه وكره عزله ونكبته وموته واحب اتساع ولايته وكثرة ماله وكل ذلك حب
لاسباب الظلم وهو مذموم **قال** سلمان وابن مسعود من رضي بامر وان غاب عنه كان كمن
شهده وقال الله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار قيل لا ترضوا باعمالهم وان كنت
في القوة بحيث لا تزداد حبا بذلك فلا باس بالاخذ **وقد حكي** عن بعض عباد البصرة انه كان
ياخذ الاموال ويفرقها فقيل له الا تخاف ان تحبهم فقال لو اخذ رجل بيدي فادخلني الجنة ثم
عصى ربه ما احبه قلبي لان الذي سخره لاخذه بيدي هو الذي ابغضه لاجله شكرا له على تسخيره
اياه وهنا تبين ان الاخذ الان منهم وان كان ذلك المال بعينه من وجه حلال فعلى محذور ومن حق
لا ينفك عن هذه الغوائل **مسالة** ان قال قايل اذا جاز اخذ ماله وتفرقته فهل يجوز ان
يسرق ماله او يخفي وديعته وينكر وتفرق في الناس **فنقول** ذلك غير جائز لانه ربما كان
له مالك معين وهو على عزم ان يرده عليه وليس هذا كما اذا بعثه اليك فان العاقل لا يظن به ان
يتصدق بمال يعلم مالكه فيدل تسليمه على انه لا يعرف مالكه فان كان ممن يشكل عليه مثله فلا يجوز
ان يقبل منه المال ما لم يعرف ذلك ثم كيف يسرق ويحتمل ان يكون ملكه قد حصل له بشرا
في ذمته فان اليد دلالة على الملك فهذا لا سبيل اليه بل لو وجد لقطة وظهر ان صاحبها
جندي واحتمل ان تكون له بشراء في الذمة او غيره وجب الرد عليه فاذا لا يجوز سرقة مال الجند
لا منهم ولا ممن اودع عنده ولا يجوز انكار ودايعهم ويجب الحد على سارق مالهم الا اذا ادعى
السارق انه ليس لهم فعند ذلك يسقط الحد بالدعوى **مسالة** المعاملة معهم حرام لان
اكثر مالهم حرام فما ياخذ عوضا فهو حرام فان ادى الثمن من موضع يعلم حله فيبقى النظر فيما
سلم اليهم فان علم انهم يعصون الله به كبيع الديباج منهم وهو يعلم انهم يلبسونه فذلك حرام
كبيع العنب من الخمار واما الخلاف في الصحة وان امكن ذلك وامكن ان يلبسها انسان فهي
شبهة مكروهة هذا فيما يعصى في عينه من الاموال وفي معناه بيع الفرس منهم لا سيما في
وقت ركوبهم الى قتال المسلمين او جباية اموالهم فان ذلك اعانة بفرسه وهي محظورة فاما بيع
الدراهم والدنانير منهم وما يجري مجراه مما لا يعصى في عينه بل يتوصل به فهو مكروه لما
فيه من اعانتهم على الظلم لانهم يستعينون على ظلمهم بالاموال والدواب وساير الاسباب
وهذه الكراهة جارية في الاهدا اليهم وفي العمل لهم من غير اجرة حتى في تعليمهم وتعليم
اولادهم الكتابة والترسل والحساب واما تعليم القران فلا يكره الا من حيث اخذ الاجرة فان ذلك
حرام الا من وجه يعلم حله ولو انتصب وكيلا لهم يشتري لهم في السوق من غير جعل واجرة

فهو مكروه من حيث الاعانة وان اشترى لهم ما يعلم انهم يقصدون به المعصية كالغلام في
الديباج للبس والفرس للركوب الى الظلم والقتال فذلك حرام فمهما ظهر قصد المعصية بالمتاع
حصل التحريم ومهما لم يظهر واحتمل الحكم الحال ودلت عليه حصلت الكراهة **مسالة**
الاسواق التي بنوها بالاموال الحرام تحرم التجارة فيها ولا يجوز سكناها فان سكنها بالاجرة واكتسب
بطريق شرعي لم يحرم كسبه وكان عاصيا بسكناها وللناس ان يشتروا منهم ولكن لو وجدوا
سوقا اخرى فالاولى الشرا منها فان ذلك اعانة لسكانهم وتكثير لكرا حوانيتهم وكذلك
السوق التي لا خراج لهم عليها احب من معاملة سوق لهم عليها خراج وقد بالغ قوم حتى لم
يجوزوا معاملة الفلاحين واصحاب الاراضي التي لهم عليها خراج لانهم ربما يصرفون ما ياخذون
الى الخراج فيحصل به الاعانة وهذا غلو في الدين وحرج على المسلمين فان الخراج قد عم الاراضي ولا غنى
بالناس عن ارتفاع الارض فلا معنى للمنع منه ولو جاز هذا لحرم على المالك زراعة الارض حتى لا يطالب
خراجها وذلك مما يطول ويتداعى الى حسم باب المعاش **مسالة** معاملة قضاتهم وعمالهم وخدمهم
حرام كمعاملتهم بل اشد اما القضاة فلانهم ياخذون من مالهم الصريح الحرام ويكثرون جمعهم ويغرون
الخلق بزيهم فانهم على زي العلما ويختلطون بهم وياخذون من اموالهم والطباع مجبولة على التشبه
والاقتدا بذوي الجاه والحشمة فهم سبب انقياد الخلق اليهم واما الخدم والحشم فاكثر اموالهم
من الغصب الصريح ولا يقع في ايديهم مال مصلحة وجزية وميراث ووجه حلال حتى تضعف
الشبهة باختلاط الحلال باموالهم **قال** طاوس لا اشهد عندهم وان تحققت لاني اخاف تعديهم
على من شهدت عليه وبالجملة انما فسدت الرعية بفساد الملوك وفسد الملوك بفساد العلما فلولا القضاة
السوء والعلما السوء لقل فساد الملوك خوفا من انكارهم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا تزال هذه
الامة تحت يد الله تعالى وكنفه ما لم يمار قراوها امراها وانما ذكر القراء لانهم كانوا هم العلما وانما كان
علمهم بالقران ومعانيه المفهومة بالسنة وما وراء ذلك من العلوم محدثة وقد قال سفيان لا تخالط
السلطان ولا من يخالطهم وقال صاحب القلم وصاحب الدواة وصاحب القرطاس وصاحب
الليطة بعضهم شركاء بعض وقد صدق فان النبي صلى الله عليه وسلم لعن في الخمر عشرة حتى العاصر
والمعتصر **وقال** ابن مسعود اكل الربا وموكله وشاهداه وكاتبه ملعونون على لسان محمد
وكذا رواه جابر وعمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن سيرين لا تحمل للسلطان كتابا
حتى تعلم ما فيه وامتنع سفيان من مناولة الخليفة دواة بين يديه وقال حتى اعلم ما تكتب فيه فكل
من حواليهم من خدمهم وظلمتهم فكلهم ظلمة يجب بغضهم في الله جميعا وروي عن عثمان بن زائدة انه ساله رجل
من الجند اين الطريق فسكت واظهر انه اصم وخاف ان يكون متوجها الى ظلم فيكون هو ارشده
الى الطريق معينا وهذه المبالغة لم تنقل عن السلف مع الفساق من التجار والحاكة والحجامين واهل
الحمامات والصاغة والصباغين وارباب الحرف مع غلبة الكذب والفسق عليهم بل مع الكفار من اهل
الذمة وانما هذا في الظلمة خاصة الاكلين اموال اليتامى والمساكين المواظبين على ايذا المسلمين
الذين يتعاونون على طمس رسوم الشريعة وشعائرها وهذا لان المعصية تنقسم الى لازمة ومتعدية
والفسق لازم لا يتعدى وكذا الكفر وهو جناية على حق الله تعالى وحسابه على الله واما معصية الولاة
بالظلم وهو متعد فانما يغلظ امرهم لذلك وبقدر عموم الظلم وعموم التعدي يزدادون عند الله
مقتا فيجب ان يزداد منهم اجتنابا ومن معاملتهم احترازا فقد قال صلى الله عليه وسلم يقال
للشرطي دع سوطك وادخل النار وقال عليه السلام من اشراط الساعة رجال معهم سياط
كاذناب البقر فهذا حكمهم ومن عرف بذلك فقد عرف ومن لم يعرف فعلامته القبا وطول الشارب
وساير الهيات المشهورة فمن راى على تلك الهيئة يجب اجتنابه ولا يكون ذلك من سوء

الظن لانه الذي جنى على نفسه اذ تزيا بزيهم ومساواة الزي تدل على مساواة القلب بتجانف
الا متجانسون ولا يتشبه بالفساق الا فاسق نعم الفاسق قد يلبس فيتشبه باهل الصلاح فاما الصالح فليس له
ان يتشبه باهل الفساد فان ذلك تكثير لسوادهم وانما نزل قوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة
ظالمي انفسهم في قوم من المسلمين كانوا يكثرون جماعة المشركين بالمخالطة وقد روي ان الله
تعالى اوحى الى يوشع بن نون اني مهلك من قومك اربعين الفا من خيارهم وستين الفا من شرارهم
فقال ما بال الاخيار فقال انهم لم يغضبوا لغضبي فكانوا يواكلونهم ويشاربونهم وبهذا يتبين ان
بغض الظلمة والغضب عليهم واجب وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لعن علما
بني اسرائيل اذ خالطوا الظالمين في معايشهم **مسألة** المواضع التي بناها الظلمة كالقناطر
والرباطات والمساجد والسقايات ينبغي ان يحتاط فيها وينظر اما القنطرة فيجوز العبور عليها
للحاجة والورع الاحتراز ما امكن وان وجد عنها معدلا تاكد الورع وانما جوزنا العبور وان وجدنا معدلا
لانه اذا لم يعرف لتلك الاعيان مالك كان حكمها ان ترصد للخيرات وهذا خير فاما اذا عرف ان الاجر
والحجر قد نقل من دار معلومة او مقبرة او مسجد معين فهذا لا يحل العبور عليه اصلا الا لضرورة
يحل بها مثل ذلك من مال الغير ثم يجب عليه الاستحلال من المالك الذي يعرفه واما المسجد فان بني في
ارض مغصوبة او بخشب مغصوب من مسجد اخر او ملك معين فلا يجوز دخوله اصلا ولا للجمعة بل
لو وقف الامام فيه فليصل هو خلف الامام وليقف هو خارج المسجد فان الصلاة في الارض المغصوبة
تسقط الفرض وتنعقد في حق الاقتداء وان عصى صاحبها بالوقوف في الغصب وان كان من مال
لا يعرف مالكه فالورع العدول الى مسجد اخر ان وجد فان لم يجد غيره فلا يترك الجمعة والجماعة لانه يحتمل
ان يكون من ملك الذي بناه ولو على بعد وان لم يكن له مالك معين فهو لمصالح المسلمين ومهما
كان في المسجد الكبير بناء لسلطان ظالم فلا عذر لمن يصلي فيه مع اتساع المسجد عنه في الورع **قيل**
لاحمد بن حنبل ما حجتك في ترك الخروج الى الصلاة ونحن بالعسكر فقال حجتي الحسن وابراهيم التيمي
وغيرهما خافا ان يفتنهما الحجاج وانا اخاف ان افتتن ايضا واما التخليق والتجصيص فلا يمنع من الدخول
فانه غير منتفع به انما هو زينة والاولى ان لا ينظر اليه واما البواري التي فرشها فان كان لها
مالك معين فيحرم الجلوس عليها والا فبعد ان ارصدت لمصلحة عامة جاز افتراشها ولكن الورع العدول
عنها فانه محل شبهة واما السقاية فحكمها ما ذكرناه وليس من الورع الوضوء والشرب منها والدخول
فيها الا اذا كان يخشى فوات الصلاة فيتوضأ وكذا مصانع طريق مكة واما الرباطات والمدارس فان كانت
الرقبة مغصوبة والاجر منقولا من موضع معين يمكن الرد الى مستحقه فلا رخصة في الدخول فيها وان
التبس المالك فقد ارصدت لجهة من الخير فالورع اجتنابها ولكن لا يلزم الفسق بدخولها وهذه الابنية
ان ارصدت من خدم السلاطين فالامر فيها اشد اذ ليس لهم صرف الاموال الضائعة الى المصالح وانما
يجوز ذلك للولاة وارباب الامر **مسألة** الارض المغصوبة اذا جعلت شارعا لم يجز ان يتخطى
عليها البتة فان لم يكن لها مالك معين جاز والورع العدول ان امكن فان كان الشارع مباحا وفوقه
ساباط جاز العبور ويجوز الجلوس تحت الساباط على وجه لا يحتاج فيه الى السقف كما يقعد في الشارع
لشغل فان انتفع بالسقف في دفع حر الشمس والمطر وغيره فهو حرام لان السقف لا يراد الا
لذلك وهكذا حكم من يدخل ارضا او مسجدا مغصوبة سقفه وحيطه بغصب فانه بمجرد التخطي
لا يكون منتفعا بالحيطان والسقف الا اذا كان له فايدة في الحيطان والسقف بحر او برد او تستر
عن بصر او غيره فذلك حرام لانه انتفاع بالحرام اذ لم يحرم الجلوس على الغصب لما فيه من المماسة
بل للانتفاع والارض تراد للاستقرار والسقف للاستظلال فلا فرق بينهما ٥ ٥ ٥ ٥ ٥

الباب السابع في مسايل متفرقة يكثر مسيس الحاجة اليها

وقد سئل

عنها في الفتاوى **مسألة** سئل عن خادم الصوفية يخرج الى السوق ويجمع طعاما او نقدا
ويشتري به طعاما فمن الذي يحل له ان ياكل منه وهل يختص بالصوفية ام لا **فقلت** اما
الصوفية فلا شبهة في حقهم اذا اكلوه واما غيرهم فيحل لهم اذا اكلوه برضى الخادم ولكن لا يخلو
عن شبهة اما الحل فلان ما يعطى خادم الصوفية انما يعطى بسبب الصوفية ولكن هو
للمعطي لا للصوفية فهو كالرجل المعيل يعطى بسبب عياله لانه متكفل بهم وما ياخذه يقع ملكا له
لا لعياله وله ان يطعم غير العيال اذ يبعد ان يقال لم يخرج عن ملك المعطي ولا يتسلط الخادم على
الشرا به والتصرف فيه لان ذلك مصير الى ان المعاطاة لا تكفي وهو ضعيف ثم لا صاير اليه في الصدقات
والهدايا ويبعد ان يقال زال الملك الى الصوفية الحاضرين الذين هم في وقت سواله في الخانقاه اذ لا
خلاف انه له ان يطعم منه من يقدم بعدهم ولو ماتوا كلهم او واحد منهم لم يجب صرف نصيبه
الى وارثه ولا يمكن ان يقال انه وقع لجهة التصوف ولا يتعين له مستحق لان ازالة الملك الى الجهة لا
يوجب تسليطا للاحاد على التصرف فان الداخلين فيه لا ينحصرون بل يدخل فيه من يولد الى يوم
القيامة فانما يتصرف فيه الولاة والخادم لا يجوز ان ينتصب نايبا عن الجهة فلا وجه الا ان يقال هو ملكه
وانما يطعم الصوفية بوفا شرط التصوف والمروة فان منعهم منه منعوه ان يظهر نفسه في معرض التكفل
بهم حتى ينقطع رفقه كما ينقطع عمن مات عياله **مسألة** سئل عن مال اوصى به للصوفية
فمن الذي يجوز ان يصرف اليه **فقلت** التصوف امر باطن لا يطلع عليه فلا يمكن ربط الحكم
بحقيقته بل بامور ظاهرة يعول عليها اهل العرف في اطلاق اسم الصوفي والضابط الكلي ان كل
من هو بصفة اذا نزل بخانقاه الصوفية لم يكن نزوله فيها واختلاطه بهم منكرا عندهم فهو داخل
في غمارهم والتفصيل ان يلاحظ فيه خمس صفات الصلاح والفقر وزي الصوفية وان لا يكون
مشتغلا بحرفة وان يكون مخالطا لهم بطريق المساكنة في الخانقاه ثم بعض هذه الصفات مما يوجب
زوال الاسم وبعضها ينجبر بالبعض فالفسق يمنع هذا الاستحقاق لان الصوفي عبارة عن رجل
من اهل الصلاح بصفة مخصوصة فالذي يظهر فسقه وان كان على زيهم لا يستحق ما اوصي للصوفية فيه
ولسنا نعتبر فيه الصغاير واما الحرفة والاشتغال بالكسب يمنع هذا الاستحقاق فالدهقان
والعامل والتاجر والصانع في حانوت او داره والاجير الذي يخدم باجرة كل هولاء لا يستحقون
ولا ينجبر هذا بالزي والمخالطة فاما الوراقة والخياطة وما يقرب منهما مما يليق بالصوفية تعاطيها
فاذا تعاطاها لا في حانوت ولا على جهة اكتساب وحرفة فذلك لا يمنع الاستحقاق وكان ذلك
ينجبر بمساكنته اياهم مع بقية الصفات واما القدرة على الحرفة من غير مباشرة لا تمنع **واما** الوعظ
والتدريس فلا ينافي اسم التصوف اذا وجدت بقية الخصال من الزي والمساكنة والفقر اذ لا يتنافى
ان يقال صوفي مقري وصوفي واعظ وصوفي عالم ومدرس ويتناقض ان يقال صوفي
دهقان وصوفي تاجر وصوفي عامل واما الفقر فان زال بغنى مفرط ينسب الرجل به الى الثروة
الظاهرة فلا يجوز معه اخذ وصية الصوفية وان كان له مال لا يفي دخله بخرجه لم يبطل حقه
وكذلك اذا كان له مال قاصر عن وجوب الزكاة فان لم يكن له خرج وهذه امور لا دليل لها الا
العادات واما المخالطة لهم ومساكنتهم فلها اثر ولكن من لا يخالطهم وهو في داره او في مسجد
على زيهم وهو متخلق باخلاقهم فهو شريك في سهمهم وكان ترك المخالطة يجبرها ملازمة
الزي فان لم يكن على زيهم ووجد فيه بقية الصفات فلا يستحق الا اذا كان مساكنا لهم في الرباط
فينسحب عليه حكمهم بالتبعية فالمخالطة والزي ينوب كل واحد منهما عن الاخر والفقيه الذي ليس
على زيهم هذا حكمه فان كان خارجا لم يعد صوفيا وان كان ساكنا معهم ووجدت بقية الصفات
لم يبعد ان ينسحب بالتبعية عليه حكمهم واما لبس المرقعة من يد شيخ من مشايخهم فلا يشترط

ذكرنا في الاستحقاق وعدمه لا يضره مع وجود الشرائط المذكورة واما المتأهل المتردد بين الرباط والمسكن
لا يخرج من جملتهم **مسئلة** ما وقف على رباط الصوفية وسكانه فالامر فيه اوسع مما اوصي به للصوفية
لان معنى الوقف الصرف الى مصالحهم فلغير الصوفي ان ياكل معهم برضاهم مرة او مرتين فان امر الاطعمة
مبناه على التسامح حتى جاز الانفراد به في الغنائم المشتركة وللقوال ان ياكل معهم في دعواتهم
من ذلك الوقف وكان ذلك من مصالح معايشهم وما اوصي به للصوفية لا يجوز ان يصرف الى الحمال
الصوفية بخلاف الوقف وكذلك من احضروه من العمال والتجار والقضاة والفقهاء ممن لهم غرض في
استمالة قلوبهم يحل لهم الاكل برضاهم فان الواقف لا يقف الا معتمدا فيه على ما جرت به عادات
الصوفية فينزل على العرف ولكن ليس هذا على الدوام فياكل ولا يجوز لمن لم يكن صوفيا ان يسكن
معهم على الدوام وياكل وان رضوا به اذ ليس لهم تغيير شرط الواقف بمشاركة غير جنسهم واما
الفقيه اذا كان على زيهم واخلاقهم فكونه فقيها لا ينافي كونه صوفيا والجهل ليس بشرط في التصوف
عند من يعرف التصوف ولا يلتفت الى خرافات بعض الحمقى بان العلم حجاب فان الجهل هو الحجاب
وقد ذكرنا تاويل هذه الكلمة في كتاب العلم وان الحجاب هو العلم المذموم دون المحمود وذكرنا المذموم
والمحمود وشرحهما واما الفقيه اذا لم يكن على زيهم واخلاقهم فلهم منعه من النزول عليهم
وان رضوا بنزوله فيحل له الاكل معهم بطريق التبعية فكان عدم الزي يجبره المساكنة ولكن برضى
اهل الزي وهذه امور تشهد لها العادات وفيها امور مشتبهة لا تخفى اطرافها في النفي والاثبات
وتشابه اوساطها فمن احترز في موضع الاشتباه فقد استبرأ لدينه كما نبهنا عليه في باب
الشبهات **مسئلة** سئل عن الفرق بين الرشوة والهدية مع ان كل واحد منهما يصدر
عن الرضا ولا يخلو عن غرض وقد حرم احدهما دون الاخرى **فقلت** باذل المال لا يبذله
قط الا لغرض ولكن الغرض اما آجل كالثواب واما عاجل والعاجل اما مال واما فعل واعانة
على مقصود معين واما تقرب الى قلب المهدى اليه بطلب محبته اما للمحبة في عينها واما
للتوصل بالمحبة الى غرض وراءها فالاقسام الحاصلة من هذه خمسة الاول ما غرضه الثواب في
الآخرة وذلك اما ان يكون لكون المصروف اليه محتاجا او عالما او نسيبا بسبب نسبي او صالحا
في نفسه متدينا فما علم الآخذ انه يعطاه لحاجته لا يحل له اخذه ان لم يكن محتاجا وما علم انه يعطى
لشرف نسبه لا يحل له ان علم انه كاذب في دعوى النسب وما يعطى لعلمه فلا يحل له ان ياخذ
الا ان يكون في العلم كما يعتقده المعطي فان كان خيل اليه كمالا في العلم حتى بعثه ذلك على
التقرب ولم يكن كاملا وما يعطى لدينه وصلاحه لا يحل له ان ياخذه ان كان فاسقا في الباطن
فسقا لو علمه المعطي لما اعطاه وقلما يكون الصالح بحيث لو انكشف باطنه لبقيت القلوب مائلة
اليه وانما ستر الله الجميل هو الذي يحبب الخلق الى الخلق والمتورعون وكلوا في الشراء من لا يعرف
انه وكيلهم حتى لا يسامحوا في البيع خيفة من ان يكون ذلك اكلا بالدين فان ذلك مخطر والتقوى
خفي لا كالعلم والنسب والفقر فينبغي ان يجتنب الاخذ بالدين ما امكن **القسم الثاني**
ما يقصد في العاجل غرض معين كالفقير يهدي الى الغني طمعا في خلعته فهذه هبة بشرط
ثواب ولا يخفى حكمها وانما تحل عند الوفاء بالثواب المطموع فيه وعند وجود شروط العقود
الثالث ان يكون المراد اعانة بفعل معين كالمحتاج الى السلطان يهدي الى وكيل
السلطان وخاصته ومن له مكانة عنده فهذه هبة بشرط ثواب يعرف بقرينة الحال فينظر
في ذلك العمل الذي هو الثواب فان كان حراما كالسعي في تنجيز ادرار حرام او ظلم انسان او
ظلم انسان او غيره حرم الاخذ وان كان واجبا كدفع ظلم متعين على كل من يقدر عليه
او شهادة متعينة فيحرم ما ياخذه وهي الرشوة التي لا يشك في تحريمها وان كان مباحا

لا واجبا ولا حراما وكان فيه تعب بحيث لو عرف لجاز الاستئجار عليه فما ياخذه حلال مهما
وفى بالغرض وهو جار مجرى الجعالة كقوله اوصل هذه القصة الى يد السلطان ولك دينار
وكان بحيث يحتاج الى تعب وعمل متقوم او قال اقترح على فلان ان يعينني او ينعم علي
بكذا او افتقر في تعيين غرضه الى كلام طويل فذلك جعل كما ياخذه الوكيل بالخصومة بين يدي
القاضي فليس بحرام اذا كان لا يسعى في حرام وان كان مقصوده يحصل بكلمة لا تعب فيها ولكن
تلك الكلمة من ذي الجاه او تلك الفعلة من ذي الجاه تفيد كقوله للبواب لا تغلق دونه باب السلطان
او كوضعه قصة بين يدي السلطان فقط فهذا حرام لانه عوض من الجاه ولم يثبت في الشرع جواز
ذلك بل ثبت ما يدل على النهي عنه كما سياتي في هدايا الملوك واذا كان لا يجوز العوض عن اسقاط
الشفعة والرد بالعيب وادخال الاغصان في هواء الملك وجملة من الاغراض مع كونها مقصودة
فكيف يوخذ عن الجاه ويقرب من هذا اخذ الطبيب العوض على كلمة واحدة ينبه بها على دواء
ينفرد بمعرفته كواحد ينفرد بالعلم بنبت يقلع البواسير او غيره فلا يذكره الا بعوض فان عمله
في التلفظ به غير متقوم كحبة من سمسم فلا يجوز اخذ العوض عليه ولا على علمه اذ ليس ينتقل
علمه الى غيره وانما يحصل لغيره مثل علمه ويبقى هو عالما به ودون هذا الحاذق في الصناعة
كالصيقل مثلا الذي يزيل اعوجاج السيف او المرآة بدقة واحدة لحسن معرفته بموقع الخلل
فقد يزيد بدقة واحدة مالا كثيرا في قيمة السيف والمرآة فهذا لا ارى باسا باخذ الاجرة عليه
لان مثل هذه الصناعات يتعب الرجل في تعلمها ليكتسب بها ويخفف عن نفسه كثرة العمل
الرابع ما يقصد به المحبة وجلبها من قلب المهدى اليه لا لغرض معين ولكن طلبا للاستئناس
وتاكيد الصحبة وتوددا الى القلوب فذلك مقصود للعقلاء ومندوب اليه في الشرع **قال**
صلى الله عليه وسلم تهادوا تحابوا وعلى الجملة فلا يقصد الانسان في الغالب محبة غيره
لعين المحبة بل لفائدة في محبته ولكن اذا لم يتعين تلك الفائدة ولم يتمثل في نفسه غرض معين
يبعثه في الحال او المال سمي ذلك هدية وحل اخذها الخامس ان يطلب التقرب الى قلبه وتحصيل
محبته لا لمحبته ولا للانس به من حيث انه انس فقط بل ليتوصل بجاهه الى اغراض له
ينحصر جنسها وان لم ينحصر عينها وكان لولا جاهه وحشمته لكان لا يهدي اليه فان كان
جاهه لاجل علم او نسب فالامر فيه اخف واخذه مكروه فان فيه مشابهة الرشوة ولكنها
هدية في ظاهرها فان كان جاهه بولاية تولاها من قضاء او عمل او ولاية صدقة او جباية
مال او غيره من الاعمال السلطانية حتى ولاية الاوقاف مثلا وكان لولا تلك الولاية لكان لا يهدى
اليه فهذه رشوة عرضت في معرض الهدية اذ القصد بها في الحال طلب التقرب واكتساب المحبة
ولكن لامر ينحصر جنسه اذ ما يمكن التوصل اليه بالولايات لا يخفى وانه لا يبغي المحبة ولكن الامر ينحصر
جنسه اذ ما يمكن التوصل اليه بالولايات لا يخفى وانه لا يبغي المحبة ولو ولي في الحال غيره لسلم المال
الى غيره فهذا مما اتفقوا على ان الكراهة فيه شديدة واختلفوا في كونه حراما والمعنى فيه
متعارض فانه دائر بين الهدية المحضة وبين الرشوة المبذولة في مقابلة جاه محض في غرض معين
واذا تعارضت المشابهة القياسية وعضدت الاخبار والآثار احدهما تعين الميل اليه وقد
دلت الاخبار على تشديد الامر فيها **قال** صلى الله عليه وسلم ياتي على الناس زمان يستحل
فيه السحت بالهدية والقتل بالموعظة يقتل البريء ليوعظ به العامة **وسئل** ابن مسعود
عن السحت فقال يقضي الرجل الحاجة فتهدى اليه الهدية ولعل المراد قضاء الحاجة بكلمة لا تعب فيها
او تبرع بها لا على قصد اجرة فلا يجوز ان ياخذ بعده شيئا في معرض العوض وشفع مسروق شفاعة
فاهدى له جارية فغضب وردها وقال لو علمت ما في قلبك ما تكلمت في حاجتك ولا اتكلم فيما

بكذا

نفى منها **وسئل** طاوس رحمه الله تعالى عن هدايا السلطان فقال سحت **واخذ** عمر ربح مال
القراض الذي اخذاه ولداه من مال بيت المال وقال انما اعطيتما لمكانكما مني وعلم انهما اعطيا
لاجل جاه الولاية **واهدت** امراة ابي عبيدة بن الجراح الى خاتون ملكة الروم خلوقا فكافاتها
بجوهر فاخذه عمر فباعه واعطاها ثمن خلوقها ورد باقيه الى بيت مال المسلمين **وقال جابر**
وابو هريرة هدايا الملوك غلول **ولما** رد عمر بن عبد العزيز الهدية قيل له كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل
الهدية فقال كانت له هدية ولنا رشوة اي كان يتقرب اليه لنبوته لا لولايته ونحن انما نعطى للولاية
واعظم من ذلك كله ما روى ابو حميد الساعدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث واليا الى صدقات
الازد فلما جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم امسك بعض ما معه وقال هذا ما لكم وهذا لي هدية فقال
عليه السلام الا جلست في بيت ابيك وبيت امك حتى تاتيك هديتك ان كنت صادقا ثم قال
ما لي استعمل الرجل منكم فيقول هذا لكم وهذا هدية لي الا جلس في بيت امه ليهدى له
والذي نفسي بيده لا ياخذ منكم احد شيئا بغير حقه الا اتى الله بحمله فلا ياتين احدكم يوم
القيمة ببعير له رغاء او بقرة لها خوار او شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رايت بياض ابطيه
ثم قال اللهم هل بلغت واذا ثبتت هذه التشديدات فالقاضي والوالي ينبغي ان يقدر نفسه
في بيت امه وابيه فما كان يعطى بعد العزل وهو في بيت امه يجوز له ان ياخذه في ولايته وما
علم انه يعطى لولايته حرم اخذه وما اشكل عليه في هدايا اصدقائه انهم هل كانوا يعطونه لو كان معزولا فهو شبهة فليجتنبه

كتاب آداب الصحبة والاخوة والالفة الباب الثاني في حقوق الصحبة

وآدابها ولوازمها الباب الثالث في حق المسلم والرحم والجار والملك والمعاشرة الخ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خص صفوة عباده بلطائف التخصيص طولا وامتنانا والف بين قلوبهم
فاصبحوا بنعمته اخوانا ونزع الغل من صدورهم فظلوا في الدنيا اصدقاء واخدانا وفي الاخرة رفقاء
وخلانا والصلاة على محمد المصطفى وعلى آله واصحابه الذين اتبعوه واقتدوا به قولا وفعلا وعدلا واحسانا
اما بعد فان التحاب في الله والاخوة في دينه من افضل القربات والطف ما يستفاد من الطاعات
في مجاري العادات ولها شروط بها يلتحق المتصاحبون بالمتحابين في الله وفيها حقوق بمراعاتها
تصفو الاخوة عن شوائب الكدورات ونزغات الشيطان فبالقيام بحقوقها يتقرب الى الله زلفى وبالمحافظة
عليها تنال الدرجات العلى ونحن نبين مقاصد هذا الكتاب في ثلاثة ابواب **الباب الاول** في فضيلة
الالفة والاخوة في الله وفي شروطها ودرجاتها وفوائدها **الباب الثاني** في حقوق الصحبة وآدابها ولوازمها
الباب الثالث في حق المسلم والرحم والجوار والملك وعند المعاشرة

الباب الاول

في فضيلة الالفة والاخوة وفي شروطها ودرجاتها وفوائدها **فضيلة** الالفة والاخوة اعلم ان الالفة
ثمرة حسن الخلق والتفرق ثمرة سوء الخلق فحسن الخلق يوجب التحاب والتالف والتوافق وسوء الخلق
يثمر التباغض والتحاسد والتدابر ومهما كان المثمر محمودا كانت الثمرة محمودة وحسن الخلق لا تخفى في الدين
فضيلته وهو الذي مدح الله به نبيه اذ قال وانك لعلى خلق عظيم وقال النبي صلى الله عليه وسلم اكثر
ما يدخل الجنة تقوى الله وحسن الخلق **وقال** اسامة بن شريك قلنا يا رسول الله ما خير ما اعطي
الانسان قال حسن الخلق **وقال** رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم محاسن الاخلاق
وقال صلى الله عليه وسلم اثقل ما يوضع في الميزان حسن الخلق **وقال** صلى الله عليه وسلم ما حسن الله خلق
امرئ وخلقه فيطعمه النار **وقال** عليه الصلاة والسلام يا ابا هريرة عليك بحسن الخلق قال ابو
هريرة فما حسن الخلق قال تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك ولا يخفى ان ثمرة

الخلق الحسن الالفة وانقطاع الوحشة ومهما طاب المثمر طابت الثمرة كيف وقد ورد في الثناء على
نفس الالفة وانقطاع الوحشة لا سيما اذا كانت الرابطة هي الدين والتقوى وحب الله من الآيات و
الاخبار والآثار ما فيه كفاية ومقنع **قال** الله تعالى مظهرا عظيم منته على الخلق بنعمة الالفة
لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم وقال تعالى فاصبحتم بنعمته اخوانا
اي بالالفة ثم ذم التفرقة وزجر عنها وقال واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا الى قوله لعلكم تهتدون
وقال عليه الصلاة والسلام ان اقربكم مني مجلسا احاسنكم اخلاقا الموطؤون اكنافا الذين يالفون
ويؤلفون **وقال** عليه الصلاة والسلام المؤمن الف مالوف ولا خير فيمن لا يالف ولا يؤلف **وقال**
عليه السلام في الثناء على الاخوة في الدين من اراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا ان نسي ذكره وان ذكر
اعانه **وقال** عليه السلام مثل الاخوين اذا التقيا مثل اليدين تغسل احداهما الاخرى وما التقى
مؤمنان قط الا افاد الله احدهما من صاحبه خيرا **وقال** عليه السلام في الترغيب في الاخوة في الله من
آخى اخا في الله رفعه الله درجة في الجنة لا ينالها بشيء من عمله **وقال** ابو ادريس الخولاني
لمعاذ اني احبك في الله فقال له ابشر ثم ابشر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس وهم
لا يفزعون ويخاف الناس وهم لا يخافون وهم اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقيل من
هؤلاء يا رسول الله فقال هم المتحابون في الله ورواه ابو هريرة فقال فيه ان حول العرش منابر من نور
عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء فقالوا
يا رسول الله صفهم لنا فقال هم المتحابون في الله والمتجالسون في الله والمتزاورون في الله **وقال**
عليه السلام ما تحاب اثنان في الله الا كان احبهما الى الله اشدهما حبا لصاحبه **ويقال** ان الاخوين في
الله اذا كان احدهما اعلى مقاما من الآخر رفع الآخر معه الى مقامه وانه يلتحق به كما تلتحق الذرية بالابوين
والاهل بعضهم ببعض لان الاخوة اذا اكتسبت في الله لم تكن دون اخوة الولادة وقد قال الله
الحقنا بهم ذرياتهم وما التناهم من عملهم من شيء **وقال** عليه السلام ان الله عز وجل يقول حقت
محبتي للذين يتزاورون من اجلي وحقت محبتي للذين يتحابون من اجلي وحقت محبتي للذين
يتباذلون من اجلي وحقت محبتي للذين يتناصرون من اجلي **وقال** عليه السلام ان الله يقول يوم
القيامة اين المتحابون بجلالي اليوم اظلهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي **وقال** عليه السلام سبعة يظلهم
الله في ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشا في عبادة الله ورجل قلبه
متعلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل
ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امراة ذات حسب وجمال فقال اني اخاف الله ورجل
تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه **وقال** عليه السلام ما زار رجل رجلا
في الله شوقا اليه ورغبة في لقائه الا ناداه ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة **وقال** عليه
السلام ان رجلا زار اخا له في الله فارصد الله له ملكا فقال اين تريد فقال اريد ان ازور اخي
فلانا قال لحاجة لك عنده قال لا قال لقرابة بينك وبينه قال لا قال فبنعمة له عندك قال لا قال
فبم قال احبه في الله قال فان الله تعالى ارسلني اليك يخبرك بانه يحبك لحبك اياه وقد اوجب
لك الجنة **وقال** عليه السلام اوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله فلهذا يجب ان يكون
للرجل اعداء يبغضهم في الله كما يكون له اصدقاء واخوان يحبهم في الله **ويروى** ان الله تعالى اوحى الى
نبي من الانبياء اما زهدك في الدنيا فقد تعجلت الراحة واما انقطاعك الي فقد تعززت بي
ولكن هل عاديت في عدوا وهل واليت في وليا **وقال** عليه السلام اللهم لا تجعل لفاجر علي

منه فترفرقه منى محبه ويروى ان الله اوحى الى عيسى لو انك عبدتنى بعبادة اهل السموات والارض
وحب فى الله ليس وبغض فى الله ليس ما اغنى عنك ذلك شيئا وقال عيسى تحببوا الى الله ببغض
اهل المعاصى وتقربوا الى الله بالتباعد منهم والتمسوا رضى الله بسخطهم قالوا يا روح الله
من نجالس قال جالسوا من يذكركم الله رؤيته ومن يزيد فى عملكم كلامه ومن يرغبكم فى الآخرة عمله
وروى فى الاخبار السالفة ان الله تعالى اوحى الى موسى يا ابن عمران كن يقظان وارتد
لنفسك اخدانا وكل خدن وصاحب لا يوازرك على مسرتى فهو لك عدو واوحى الله تعالى
الى داود عليه السلام يا داود ما لى اراك منتبذا وحدانا قال الهى قليت الناس من اجلك فقال
كن يقظان وارتد لنفسك اخدانا وكل خدن لا يوافقك على مسرتى فلا تصحبه فانه لك عدو
يقسى قلبك ويباعدك منى وفى اخبار داود عليه السلام انه قال يا رب كيف لى ان يحبنى
الناس كلهم واسلم فيما بينى وبينك قال خالق الناس باخلاقهم واحسن فيما بينى وبينك
وفى بعضها خالق اهل الدنيا باخلاق الدنيا وخالق اهل الآخرة باخلاق الآخرة وقال عليه
السلام ان احبكم الى الله الذين يألفون ويؤلفون وان اقربكم الى الله اهل التقى وان ابغضكم
الى الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاخوان وقال عليه السلام ان لله ملكا نصفه من
النار ونصفه من الثلج يقول اللهم كما الفت بين الثلج والنار كذلك الف بين قلوب عبادك الصالحين
وقال ايضا ما احدث عبد اخا فى الله الا احدث الله له درجة فى الجنة وقال عليه السلام
المتحابون فى الله على عمود من ياقوتة حمراء فى راس العمود سبعون الف غرفة يشرفون على اهل
الجنة يضئ حسنهم لاهل الجنة كما تضئ الشمس لاهل الدنيا فيقول اهل الجنة انطلقوا بنا ننظر
الى المتحابين فى الله فيضئ حسنهم لاهل الجنة كما تضئ الشمس عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على
جباههم المتحابون فى الله اما الآثار قال على رضى الله عنه عليكم بالاخوان فانهم عدة فى الدنيا والآخرة
الا تسمع الى قول اهل النار فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقال عبد الله بن عمر والله لو صمت النهار
وقمت الليل وانفقت مالى علقا علقا فى سبيل الله اموت يوم اموت وليس فى قلبى حب لاهل
طاعة الله وبغض لاهل معصية الله ما نفعنى ذلك شيئا وقال ابن السماك عند موته اللهم انك
تعلم انى كنت اذا عصيتك كنت احب من يطيعك فاجعل ذلك قربة لى اليك وقال الحسن على الضد
يا ابن آدم لا يغرنك قول من يقول المرء مع من احب فانك لن تلحق الابرار الا باعمالهم فان اليهود والنصارى
يحبون انبياءهم وليسوا معهم وهذه اشارة الى ان مجرد ذلك من غير موافقة فى بعض الاعمال
او كلها لا ينفع وقال الفضيل فى بعض كلامه هاه تريد ان تسكن الفردوس وتجاور الرحمن
فى داره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين باى عمل عملته باى شهوة تركتها باى
غيظ كظمته باى رحم قاطع وصلتها باى زلة لاخيك غفرتها باى قريب باعدته فى الله باى بعيد
قاربته فى الله ويروى ان الله تعالى اوحى الى موسى عم هل عملت لى عملا قط قال الهى لك
صليت ولك صمت وتصدقت وزكيت قال ان الصلاة لك برهان والصوم جنة والصدقة ظل والزكاة
نور فاى عمل عملت لى قال موسى الهى دلنى على عمل هو لك قال يا موسى هل واليت لى وليا
قط وهل عاديت لى عدوا قط فعلم موسى ان افضل الاعمال الحب فى الله والبغض فى الله وقال
ابن مسعود رضى الله عنه لو ان رجلا قام بين الركن والمقام يعبد الله سبعين سنة لبعثه
الله يوم القيامة مع من يحب وقال الحسن مقاطعة الفاسق قربان الى الله وقال رجل لمحمد
بن واسع انى لاحبك فى الله فقال احبك الذى احببتنى له ثم حول وجهه وقال اللهم انى
اعوذ بك ان احب فيك وانت لى مبغض ودخل رجل على داود الطائى فقال له ما حاجتك

قال زيارتك فقال اما انت فقد عملت خيرا حين زرت ولكن انظر ماذا ينزل بى اذا قيل لى من
انت فتزار امن الزهاد انت لا والله امن العباد انت لا والله امن الصالحين انت لا والله ثم اقبل
يوبخ نفسه ويقول كنت فى الشبيبة فاسقا فلما شخت صرت مرائيا والله للمرائى شر من الفاسق
وقال عمر اذا اصاب احدكم ودا من اخيه فليتمسك به فقلما يصيب ذلك وقال مجاهد
المتحابون فى الله اذا التقوا فكشر بعضهم الى بعض تتحات عنهم الخطايا كما يتحات ورق الشجر
فى يوم عاصف وقيل كما يتحات ورق الشجرة اليابسة اذا يبس وقال الفضيل نظر الرجل الى
وجه اخيه على المودة والرحمة عبادة **بيان** معنى الاخوة فى الله وتمييزها من الاخوة فى الدنيا
اعلم ان الحب فى الله والبغض فى الله غامض وينكشف الغطاء عنه بما نذكره وهو ان الصحبة تنقسم الى
ما يقع بالاتفاق كالصحبة بسبب الجوار وبسبب الاجتماع فى المكتب او فى المدرسة او فى السوق
او على باب السلطان او فى الاسفار والى ما ينشأ اختيارا ويقصد وهو الذى نريد بيانه
اذ الاخوة فى الدين واقعة فى هذا القسم لا محالة اذ لا ثواب الا على الافعال الاختيارية ولا ترغيب
الا فيها والصحبة عبارة عن المجالسة والمخالطة والمجاورة وهذه الامور لا يقصد الانسان بها غيره
الا اذا احبه فان غير المحبوب يجتنب ويباعد ولا يقصد مخالطته والذى يحب فاما ان يحب لذاته
لا ليتوصل به الى محبوب ومقصود وراءه واما ان يحب للتوصل به الى مقصود وذلك المقصود
اما ان يكون مقصورا على الدنيا وحظوظها واما ان يكون متعلقا بالآخرة واما ان يكون متعلقا
بالله تعالى فهذه اربعة اقسام القسم الاول وهو حبك الانسان لذاته فذلك ممكن وهو ان يكون فى
ذاته محبوبا عندك على معنى انك تلتذ برؤيته ومعرفته ومشاهدة اخلاقه لاستحسانك له
فان كل جميل لذيذ فى حق من ادرك جماله وكل لذيذ محبوب واللذة تتبع الاستحسان و
الاستحسان يتبع المناسبة والملاءمة والموافقة بين الطباع ثم ذلك المستحسن اما ان تكون
هى الصورة الظاهرة اعنى حسن الخلقة واما ان تكون هى الصورة الباطنة اعنى كمال العقل و
حسن الخلق ويتبع حسن الاخلاق حسن الافعال لا محالة ويتبع كمال العقل غزارة العلم وكل ذلك
مستحسن عند الطبع السليم والعقل المستقيم وكل مستحسن فمستلذ به ومحبوب بل فى ائتلاف
القلوب امر اغمض من هذا فانه قد تستحكم المودة بين شخصين من غير ملاحة فى صورة
وحسن خلق ولكن لمناسبة باطنة توجب الالفة والموافقة فان شبه الشئ ينجذب اليه بالطبع
والاشباه الباطنة خفية ولها اسباب دقيقة ليس فى قوة البشر الاطلاع عليها وعنه عليه السلام
حيث قال الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فالتناكر نتيجة
التباين والائتلاف نتيجة التناسب الذى عبر عنه بالتعارف وفى بعض الالفاظ الارواح
تلتقى فتتشام فى الهوى عبر بعض العلماء عن هذا بان قال ان الله تعالى خلق الارواح ففلق بعضها
فلقا واطافها حول العرش فاى روحين من فلقتين تعارفا هناك فالتقيا تواصلا فى الدنيا
وقال عليه السلام ان ارواح المؤمنين ليلتقيان على مسيرة يوم وما راى احدهما صاحبه قط
وروى ان امرأة بمكة كانت تضحك النساء وكانت بالمدينة اخرى فنزلت المكية على المدنية
فدخلت على عائشة فاضحكتها فقالت اين نزلت فذكرت فقالت صدق الله وصدق رسوله انى
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الارواح جنود مجندة الحديث والحق فى هذا ان المشاهدة و
التجربة تشهد للائتلاف عند التناسب والتناسب فى الطباع والاخلاق ظاهرا وباطنا امر
مفهوم واما الاسباب التى اوجبت تلك المناسبة فليس فى قوة البشر الاطلاع عليها وغاية هذيان المنجم
ان يقول اذا كان طالعه على تسديس طالع غيره او تثليثه فهذا نظر الموافقة والمودة فيقتضى التناسب
والتوادد واذا كان على مقابلته او تربيعه اقتضى التباغض والعداوة فهذا لو صدق بكونه كذلك

محاذی سنة الله فی خلق السموات والارض لکان الاشکال فیه اکثر من الاشکال فی اصال المناسبة فلا معنی
المخصوص فیها لم یکشف سره البشر فانا وتبیانا من العلم الا قلیلا لا ویکفینا فی التصدیق بذلک التجربة فی
المشاهدة فقد ورد فی الخبر به قال علیه الصلاة والسلام لو ان مومنا دخل الى مجلس فیه مایة منافق
وفیه مومن واحد لجآء حتی یجلس الیه ولو ان منافقا دخل الى مجلس فیه مایة مومن ومنافق واحد
لجآء حتی یجلس الیه وهذا یدل علی ان شبه الشی ینجذب الیه بالطبع وان کان هو لا یشعر به وکان
مالک بن دینار یقول لا یتفق اثنان فی عشرة الا وفی احدهما وصف من الاخر وان اشکال الناس کاشکال
الطیر ولا یتفق نوعان من الطیور فی الطیران الا وبینهما مناسبة قال فرای یوما غرابا وحمامة فتعجب
من ذلک فقال اتفقا ولیسا من شکل واحد ثم طارا فاذا هما اعرجان فقال من ههنا اتفقا ولذلک
قال بعض الحکما کل انسان یانس الی شکله کما ان کل طیر یطیر مع جنسه واذا اصطحب اثنان برهة
من زمان ولم یتشاکلا فی الحال فلا بد ان یفترقا وهذا معنی خفی تفطن له الشعرا حتی قال قایلهم

وقایل کیف تفرقتما * فقلت قولا فیه انصاف
لم یک من شکلی ففارقته * والناس اشکال والاف

فقد ظهر من هذا ان الانسان قد یحب لذاته لا لفایدة تنال منه فی حال او مال بل لمجرد المجانسة والمناسبة فی الطباع الباطنة
والاخلاق الخفیة ویدخل فی هذا القسم الحب للجمال اذا لم یکن المقصود منه قضاء الشهوة حتی یستلذ
النظر الى الفواکه والانوار والازهار والتفاح المشرب بالحمرة والى الماء والخضرة من غیر غرض سوی عینها
وهذا الحب لا یدخل فیه الحب لله بل هو حب بالطبع وشهوة النفس ویتصور ذلک ممن لا یومن بالله الا انه اذا
اتصل به غرض مذموم صار مذموما کمن یحب لصور الجمیلة لقضاء الشهوة حیث لا یحل قضاؤها وان لم
یتصل به غرض مذموم فهو مباح لا یوصف بحمد ولا ذم اذ الحب اما محمود واما مذموم واما مباح لا یحمد ولا
یذم القسم الثانی ان یحبه لینال من ذاته غیر ذاته فیکون وسیلة الى محبوب غیره والوسیلة الى
المحبوب محبوب وما یحب لغیره کان ذلک الغیر هو المحبوب بالحقیقة ولکن الطریق الى المحبوب محبوب ولذلک
احب الناس الذهب والفضة ولا غرض فیهما اذ لا یطعم ولا یلبس ولکنهما وسیلة الى المحبوبات فمن
الناس من یحب کما یحب الذهب والفضة من حیث انه وسیلة الى المقصود اذ یتوسل به الى نیل جاه او مال
او علم کما یحب الرجل سلطانا لانتفاعه بماله او جاهه ویحب خواصه لتحسینهم حاله عنده وتمهیدهم
امره فی قلبه فالمتوسل الیه ان کان مقصور الفایدة علی الدنیا لم یکن من جملة الحب فی الله وان لم یکن
مقصور الفایدة علی الدنیا ولکنه لیس یقصد بها الا الدنیا کحب التلمیذ لاستاذه فهو ایضا خارج عن
الحب فی الله فانه انما یحبه لیحصل منه العلم لنفسه فمحبوبه العلم فاذا کان لا یقصد العلم للتقرب الى
الله سبحانه بل لینال به الجاه والمال والقبول عند الخلق فمحبوبه المال والجاه والقبول والعلم وسیلة
الیه والاستاذ وسیلة الى العلم فلیس فی ذلک حب لله تعالى اذ یتصور کل ذلک ممن لا یومن بالله
اصلا ثم ینقسم هذا الى مذموم ومباح فان کان یقصد به التوصل الى مقاصد مذمومة من قهر
الاقران وحیازة اموال الیتامی وظلم الرعیة بولایة القضا وغیره کان الحب مذموما وان کان یقصد به
التوصل الى مباح فهو مباح وانما تکتسب الوسیلة الحکم والصفة من المقصد المتوسل الیه فانها تابعة له غیر قایمة
بنفسها القسم الثالث ان یحبه لا لذاته بل لغیره وذلک الغیر لیس راجعا الى حظوظه فی الدنیا
بل یرجع الى حظوظه فی الاخرة فهذا ایضا ظاهر لا غموض فیه وذلک کمن یحب استاذه وشیخه لانه
یتوسل به الى تحصیل العلم وتحسین العمل ومقصوده من العلم والعمل الفوز فی الاخرة فهذا من جملة
المحبین فی الله وکذلک من یحب تلمیذه لانه یتلقف منه العلم وینال بواسطته رتبة التعلیم ویرقی
به الى درجة التعظیم فی ملکوت السماء اذ قال عیسی علیه السلام من علم وعمل وعلم فذلک یدعی عظیما
ولا یتم التعلیم الا بمتعلم فهو اذن آلة فی تحصیل هذا الکمال فان احبه لانه آلة له اذ جعل صدره

مزرعة لحرثه الذی هو سبب ترقیه الى رتبة العظمة فی ملکوت السما فهو محب فی الله تعالى بل الذی
یتصدق باموال الله ویجمع الضیفان ویهیی لهم الاطعمة اللذیذة الغریبة تقربا الى الله تعالى فاحب طباخا لحسن
صنعته فی الطبخ فهو فی جملة المحبین فی الله وکذا من احب من یتولى له ایصال الصدقة الى المستحقین فقد احبه
فی الله تعالى بل نزید على هذا ونقول اذا احب من یخدمه بنفسه فی غسل ثیابه وکنس بیته وطبخ طعامه
ویفرغه بذلک للعلم والعمل ومقصوده فی استخدامه فی هذه الاعمال الفراغ للعبادة فهو محب فی الله بل
نزید على هذا ونقول اذا احب من ینفق علیه ماله ویواسیه بطعامه ومسکنه وجمیع اغراضه التی یقصدها فی
دنیاه ومقصوده من جملة ذلک الفراغ للعلم والعمل المقرب الى الله تعالى فهو محب فی الله سبحانه
فقد کان جماعة من السلف تکفل بکفایتهم جماعة من اولی الثروة وکان المواسی والمواسی جمیعا من
المتحابین فی الله تعالى بل نزید علیه ونقول من نکح امراة صالحة لیتحصن بها عن وسواس الشیطان
ویصون بها دینه او لیولد له ولد صالح یدعو له واحب زوجته لانها آلة الى هذه المقاصد الدینیة
فهو محب فی الله ولذلک وردت الاخبار بالاجر والثواب على الانفاق على العیال حتى اللقمة یضعها
الرجل فی فی امراته بل نقول کل من استهتر بحب الله وحب رضاه وحب لقایه فی الدار الاخرة فاذا
احب غیره کان محبا فی الله لانه لا یتصور ان یحب شیا الا لمناسبته لما هو محبوب عنده وهو رضا
الله سبحانه بل ازید على هذا واقول اذا اجتمع فی قلبه محبتان محبة الله ومحبة الدنیا واجتمع فی شخص
واحد المعنیان جمیعا حتى صلح لان یتوسل به الى الله والى الدنیا فاذا احبه لصلاحه للامرین فهو من
المحبین فی الله تعالى کمن یحب استاذه الذی یعلمه الدین ویکفیه مهمات الدنیا بالمواساة فی المال
فاحبه من حیث ان فی طبعه طلب الراحة فی الدنیا والسعادة فی الاخرة وهو وسیلة الیهما فهو محب
فی الله تعالى ولیس من شرط حب الله ان لا یحب فی العاجل حظا البتة اذ الدعا الذی امر به الانبیا
فیه جمع بین الدنیا والاخرة فمن ذلک قولهم ربنا آتنا فی الدنیا حسنة وفی الاخرة حسنة وقال
عیسى علیه السلام فی دعایه اللهم لا تشمت بی عدوی ولا تسو بی صدیقی ولا تجعل مصیبتی فی دینی
ولا تجعل الدنیا اکبر همی فدفع شماتة الاعدا من حظوظ الدنیا ولم یقل لا تجعل الدنیا اصلا من همی بل
قال لا تجعل الدنیا اکبر همی وقال نبینا صلى الله علیه وسلم فی دعایه اللهم انی اسالک رحمة انال بها شرف
کرامتک فی الدنیا والاخرة وقال اللهم عافنی من بلا الدنیا وعذاب الاخرة وعلى الجملة فاذا لم
یکن حب السعادة فی الاخرة مناقضا لحب الله فحب السلامة والصحة والکفایة والکرامة فی الدنیا
کیف یکون مناقضا لحب الله والدنیا والاخرة عبارة عن حالتین احداهما اقرب من الاخرى فکیف یتصور
ان یحب الانسان حظوظ نفسه غدا ولا یحبها الیوم وانما یحبها غدا لان الغد سیصیر حالة
راهنة فالحالة الراهنة لا بد وان تکون مطلوبة ایضا الا ان الحظوظ العاجلة منقسمة الى ما یضاد حظوظ
الاخرة ویمنع منها وهو الذی احترز عنه الانبیا علیهم السلام والاولیا وامروا بالاحتراز عنه والى ما لا یضاد
وهو الذی لم یمتنعوا منه کالنکاح الصحیح واکل الحلال وغیر ذلک مما یضاد حظوظ الاخرة فحق العاقل
ان یکرهه ولا یحبه اعنی انه یکرهه بعقله لا بطبعه کما یکره التناول لطعام لذیذ لملک من الملوک یعلم
انه لو اقدم علیه لقطعت یده وحزت رقبته لا بمعنى ان الطعام اللذیذ یصیر بحیث لا یشتهیه بطبعه
ولا یستلذه لو اکله فان ذلک محال ولکن على معنى انه یزجره عقله عن الاقدام علیه ویحصل فیه کراهة
الضرر المتعلق به والمقصود من هذا انه لو احب استاذه لانه یواسیه ویعلمه او تلمیذه لانه
یتعلم منه ویخدمه واحدهما حظ عاجل والاخر آجل فیکون فی زمرة المتحابین فی الله ولکن بشرط واحد
وهو ان یکون بحیث لو منعه العلم مثلا او تعذر علیه تحصیله منه لنقص حبه بسببه فالقدر الذی
ینقص بسبب فقده هو لله تعالى وله على ذلک القدر ثواب الحب فی الله ولیس بمستنکر ان تشتد
حبک لانسان لجملة اغراض ترتبط لک به فان امتنع بعضها نقص حبک وان زاد زاد الحب فلیس

حبك الذهب لحبك الفضة اذا تساوى مقدارهما لان الذهب يوصل الى الاغراض هي اكثر مما توصل
اليه الفضة فاذن يزيد الحب بزيادة الغرض ولا يستحيل اجتماع الاغراض الدنيوية والاخروية فهو
داخل في جملة الحب لله وحده هو ان كل حب لولا الايمان بالله واليوم الاخر لم يتصور وجوده فهو حب
في الله وكذلك كل زيادة في الحب لولا الايمان بالله تعالى لم تكن تلك الزيادة فتلك الزيادة من الحب
في الله فذلك وان دق فهو عزيز قال الحريري تعامل الناس في القرن الاول بالدين حتى رق الدين
فتعاملوا في القرن الثاني بالوفا حتى ذهب الوفا ثم تعاملوا في القرن الثالث بالمروة حتى ذهبت
المروة ولم يبق الا الرغبة والرهبة القسم الرابع ان يحب في الله ولله لا لينال منه علما او عملا او
يتوصل به الى امر وراء ذاته وهذا اعلا الدرجات وهو ادقها واغمضها وهذا القسم ايضا ممكن
فان من اثار غلبة الحب ان يتعدى من المحبوب الى كل ما يتعلق بالمحبوب ويناسبه ولو من
بعد فمن احب انسانا حبا شديدا احب محب ذلك الانسان واحب محبوبه واحب من يثني عليه
محبوبه واحب من يثني عليه محبوبه ويتسارع الى رضاء محبوبه حتى قال بقية بن الوليد ان المومن اذا
احب المومن احب كلبه وهو كما قال ويشهد له التجربة في احوال العشاق ويدل عليه اشعار الشعرا
ولذلك يحفظ الغريب ثوب المحبوب ويخفيه تذكرة من جهته ويحب منزله ومحلته وجيرانه
حتى قال مجنون بني عامر

امر على الديار ديار ليلى * اقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي * ولكن حب من سكن الديارا

فالتجربة تدل على ان الحب يتعدى من ذات المحبوب الى ما يحيط به ويتعلق باسبابه ويناسبه ولو
من بعد ولكن ذلك من خاصية فرط المحبة فاصل الحب لا يكفي فيه ويكون اتساع الحب في تعديه من
المحبوب الى ما يكتنفه ويحيط به ويتعلق باسبابه بحسب فرط المحبة وقوتها وكذلك حب الله تعالى اذا قوي
وغلب على القلب واستولى عليه حتى انتهى الى حد الاستهتار فيتعدى الى كل موجود سواه فان كل
موجود سواه اثر من اثار قدرته ومن احب انسانا احب خطه وصنعته وجميع افعاله ولذلك كان عليه
السلام اذا حمل اليه باكورة مسح بها عينيه واكرمها وقال انه قريب العهد بربنا وحب الله تعالى تارة
يكون لصدق الرجاء في مواعيده وما يتوقع في الاخرة من نعيمه وتارة لما سلف من اياديه وصنوف
نعمته وتارة لذاته لا لامر اخر وهو ادق ضروب المحبة واعلاها وسياتي تحقيق ذلك في كتاب
المحبة من ربع المنجيات وكيف ما اتفقت محبة الله فاذا قويت تعدت الى كل متعلق به ضربا من
التعلق حتى يتعدى الى ما هو في نفسه مولم مكروه ولكن فرط الحب يضعف الاحساس بالالم
والفرح بفعل المحبوب وقصده اياه بالايلام يغمر ادراك الالم وذلك كالفرح بضربة من المحبوب او
قرصة فيها نوع معاتبة فان قوة المحبة يثير فرحا يغمر الالم فيها وقد انتهت محبة الله بقوم الى ان قالوا
لا نفرق بين البلا والنعمة فان الكل من الله ولا نفرح الا بما فيه رضاه حتى قال بعضهم لا اريد ان
انال مغفرة الله بمعصية الله تعالى
وقال سمنون

وليس لي في سواك حظ * فكيف ما شئت فاختبرني

وسياتي تحقيق ذلك في كتاب المحبة والمقصود ان حب الله تعالى اذا قوي اثمر حب كل من يقوم بحق عبادة الله في علم او عمل
واثمر حب كل من فيه صفة مرضية عند الله من خلق حسن وتادب باداب الشرع وما من مومن
يحب الاخرة ويحب الله الا اذا اخبر عن حال رجلين احدهما عالم عابد والاخر جاهل فاسق الا وجد
في نفسه ميلا الى ذلك العالم العابد ثم يضعف ذلك الميل ويقوى بحسب ضعف ايمانه وقوته و
بحسب ضعف حبه لله تعالى وقوته وبحسب ضعف حب الله تعالى وقوته وهذا الميل حاصل وان
كان غائبا عنه بحيث يعلم انه لا يصيبه منه خير ولا شر في الدنيا ولا في الاخرة فذلك الميل هو
حب في الله من غير حظ فانه انما يحبه لان الله يحبه ولانه مرضي عند الله ولانه يحب الله تعالى

ولانه مشغول بعبادة الله الا انه اذا ضعف لم يظهر اثره فلا يظهر له ثواب واجر فاذا قوي حمل
على الموالاة والنصرة والذب بالنفس والمال واللسان ويتفاوت الناس فيه بحسب تفاوتهم في حب
الله تعالى ولو كان الحب مقصورا على حظ ينال من المحبوب في الحال والمال لما تصور حب الموتى
من العلما والعباد ومن الصحابة والتابعين بل من الانبيا المتقدمين وحب جميعهم مكنون
في قلب كل مسلم متدين ويتبين ذلك بغضبه عند طعن اعدائهم في احد منهم وبفرحه عند
الثنا عليهم وذكر محاسنهم وكل ذلك حب الله لانهم خواص عباد الله ومن احب ملكا او شخصا
جميلا احب خواصه وخدمه واحب من احبه الا انه يمتحن الحب بالمقابلة بحظوظ النفس وقد
يغلب بحيث لا يبقى للنفس حظ الا فيما هو حظ المحبوب وعنه عبر قول من قال

اريد وصاله ويريد هجري * واترك ما اريد لما يريد

وقول من قال

وما بجرح اذا ارضاكم الم وحلها

وقد يكون الحب بحيث يترك به بعض الحظوظ دون بعض كمن تسمح نفسه بان يشاطر محبوبه
في نصف ماله او ثلثه او عشره فمقادير الاموال موازين المحبة اذ لا تعرف درجة المحبوب الا
بمحبوب يترك في مقابلته فمن استغرق الحب جميع قلبه لم يبق له محبوب سواه فلا يمسك
لنفسه شيا مثل ابي بكر الصديق رضي الله عنه فانه لم يترك لنفسه اهلا ولا مالا الا سلم ابنته
التي هي قرة عينه وبذل جميع ماله وقال ابن عمر بينما النبي جالس وعنده ابو بكر الصديق
رضي الله عنه عليه عباة قد خللها على صدره بخلال اذ نزل عليه جبريل فاقراه السلام وقال
يا رسول الله ما لي ارى ابا بكر عليه عباة قد خللها على صدره بخلال فقال انفق ماله قبل الفتح
قال فاقريه من الله السلام وقل له يقول لك ربك اراض انت عني في فقرك هذا ام ساخط
فالتفت النبي الى ابي بكر وقال يا ابا بكر هذا جبريل يقريك السلام من الله تعالى ويقول
اراض انت في فقرك هذا ام ساخط قال فبكى ابو بكر رضي الله عنه وقال اعلى ربي اسخط انا
عن ربي راض فتحصل من هذا ان كل من احب عالما او عابدا او احب شخصا راغبا في علم
او عبادة او في خير فانما احبه لله وفي الله وله فيه من الاجر والثواب بقدر قوة حبه فهذا
شرح الحب في الله ودرجاته وبهذا يتبين البغض في الله ايضا ولكن نزيده بيانا

بيان البغض في الله

اعلم ان من يحب لله لا بد ان يبغض في الله فانك ان احببت انسانا
لانه مطيع لله ومحبوب عند الله فان عصاه فلا بد ان تبغضه لانه عاص لله وممقوت عند الله
ومن احب لسبب فبالضرورة يبغض لضده وهذان متلازمان لا ينفصل احدهما عن صاحبه
وهو مطرد في الحب والبغض في العادات ولكن كل واحد من الحب والبغض داء دفين في القلب وانما
يترشح عند الغلبة ويترشح بظهور افعال المحبين والمبغضين في المقاربة والمباعدة وفي المخالفة
والموافقة فاذا ظهر في الفعل سمي موالاة ومعاداة ولذلك قال تعالى هل واليت في وليا او
عاديت في عدوا كما نقلناه وهذا واضح في حق من لم يظهر لك الا طاعته اذ تقدر على ان تحبه
او لم يظهر لك الا فسقه وفجوره واخلاقه السيئة فتقدر على ان تبغضه وانما المشكل اذا اختلطت
الطاعات بالمعاصي فانك تقول كيف اجمع بين البغض والمحبة وهما متناقضان وكذلك تتناقض ثمرتهما
من الموافقة والمخالفة والموالاة والمعاداة فاقول ذلك غير متناقض في حق الله تعالى كما لا يتناقض
في الحظوظ البشرية فانه مهما اجتمع في شخص واحد خصال يحب بعضها ويكره بعضها فانك
تبغضه من وجه وتحبه من وجه فمن له زوجة حسنا فاجرة او ولد ذكي خدوم ولكنه

فاسق فانه يحبه من وجه ويبغضه من وجه ويكون معه على حالة بين حالتين اذ لو فرض
له ثلاثة اولاد احدهم ذكى بار والاخر بليد عاق والاخر بليد بار او ذكى عاق فانه يصادف
نفسه معهم على ثلاثة احوال متفاوتة بحسب تفاوت خصالهم فكذلك ينبغي ان يكون حالك
بالاضافة الى من غلب عليه الفجور ومن غلب عليه الطاعة ومن اجتمع فيه كلاهما متفاوتة على ثلث
مراتب وذلك بان يعطى كل صفة حظها من البغض والحب والاعراض والاقبال والصحبة و
القطيعة وساير الافعال الصادرة منه فان قلت فكل مسلم فاسلامه طاعة منه فكيف ابغضه
مع الاسلام فاقول تحبه لاسلامه وتبغضه لمعصيته وتكون معه على حالة لو قستها بحال كافر
او فاجر ادركت تفرقة بينهما وتلك التفرقة حب الاسلام وقضا لحقه وقدر الجناية على حق الله
تعالى والطاعة له كالجناية على حقك والطاعة لك فمن وافقك على غرض وخالفك في اخر فكن
معه على حالة متوسطة بين الانقباض والاسترسال وبين الاقبال والاعراض وبين التودد اليه
والتوحش منه فلا تبالغ في اكرامه مبالغتك في اكرام من يوافقك على جميع اغراضك ولا تبالغ
في اهانته مبالغتك في اهانة من خالفك في جميع اغراضك ثم ذلك التوسط تارة يكون
ميله الى طرف الاهانة عند غلبة الجناية وتارة الى طرف المجاملة والاكرام فهكذا ينبغي ان يكون فيمن
يطيع الله ويعصيه ويتعرض لرضاه مرة ولسخطه اخرى **فان قلت** فبماذا يمكن اظهار البغض
فاقول اما في القول فبكف اللسان عن مكالمته مرة واخرى بالاستخفاف والقول في التغليظ
واما في الفعل فبقطع السعي في اعانته مرة وبالسعي في اساءته وافساد مآربه اخرى وبعض هذا اشد
من بعض وهو بحسب درجات الفسق والمعصية الصادرة منه اما ما يجري مجرى الهفوة التي يعلم
انه متندم عليها ولا يصر عليها فالاولى فيه الاغماض والستر اما ما اصر عليه من صغيرة او كبيرة
فان كان ممن تاكدت بينك وبينه مودة وصحبة فله حكم اخر وسياتي وفيه خلاف بين العلما
واما اذا لم تتاكد اخوة وصحبة فلا بد من اظهار اثر البغض اما في التباعد والاعراض عنه وقلة الالتفات
اليه واما في الاستخفاف وتغليظ القول عليه وهذا اشد من الاعراض وهو بحسب غلظ المعصية وخفتها
وكذلك في الفعل ايضا رتبتان احداهما قطع المعونة والرفق والنصرة عنه وهو اقل الدرجات والاخرى
السعي في افساد اغراضه عليه كفعل الاعدا المبغضين وهذا لا بد منه ولكن فيما يفسد عليه طريق المعصية
اما ما لا يوثر فيه فلا مثاله رجل عصى الله بشرب الخمر وقد خطب امراة لو تيسر له نكاحها لكان مغبوطا
بها بالمال والجاه والجمال الا ان ذلك لا يوثر في منعه من شرب الخمر ولا في بعث وتحريض عليه فاذا
قدرت على اعانته ليتم له مقصوده وقدرت على تشويشه ليفوته غرضه فليس لك السعي في
تشويشه اما الاعانة فلو تركتها اظهارا للغضب عليه في فسقه فلا باس وليس يجب تركه اذ
ربما يكون لك فيه ان تتلطف باعانته واظهار الشفقة عليه ليعتقد مودتك ويقبل نصحك
فهذا حسن وان لم يظهر لك ذلك ولكن رايت ان تعينه على غرضه قضا لحق اسلامه فذلك ليس بممنوع
بل هو الاحسن ان كانت الجناية على حقك او حق من يتعلق بك وفيه نزل قوله تعالى ولا ياتل اولوا
الفضل منكم والسعة الى قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم اذ تكلم مسطح بن اثاثة في واقعة
الافك فحلف ابو بكر ان يقطع عنه رفقه وقد كان يواسيه بالمال فنزلت هذه الاية واي معصية
يزيد على التعرض لحرم رسول الله واطالة اللسان في مثل عايشة الا ان الصديق كان كالمجني
عليه في نفسه بتلك الواقعة والعفو عمن ظلم والاحسان الى من اسا من اخلاق الصديقين
وانما يحسن الاحسان الى من ظلمك فاما من ظلم غيرك وعصى الله به فلا يحسن الاحسان اليه
لان في الاحسان الى الظالم اساة الى المظلوم وحق المظلوم اولى بالمراعاة وتقوية قلبه

بالاعراض

بالاعراض عن الظالم احب الى الله تعالى من تقوية قلب الظالم فاما اذا كنت انت المظلوم فالا
حسن في حقك العفو والصفح وطرق السلف قد اختلفت في اظهار البغض مع اهل المعاصي
وكلهم اتفقوا على اظهار البغض للظلمة والمبتدعة وكل من عصى الله بمعصية متعدية منه الى غيره
فاما من عصى الله في نفسه فمنهم من نظر بعين الرحمة الى العصاة كلهم ومنهم من شدد الانكار
واختار المهاجرة فقد كان احمد بن حنبل يهجر الاكابر في ادنى كلمة حتى هجر يحيى بن معين في قوله
اني لا اسال احدا شيا ولو حمل الي السلطان شيا لاخذته وهجر الحارث المحاسبي في تصنيفه في
الرد على المعتزلة وقال انك تورد اولا شبههم وتحمل الناس على التفكر فيها ثم ترد عليهم وهجر ابا
ثور في تاويله قوله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق ادم على صورته وهذا امر يختلف باختلاف
النية وتختلف النية باختلاف الحال فان كان الغالب على القلب النظر الى اضطرار الخلق و
عجزهم وانهم مسخرون لما قدروا له اورث هذا تساهلا في المعاداة والبغض وله وجه ولكن
تلتبس به المداهنة فاكثر البواعث على الاغضا على المعاصي المداهنة ومراعاة القلوب والخوف
من وحشتها ونفارها وقد يلبس الشيطان ذلك على الغبي الاحمق بانه نظر بعين الرحمة ومحك
ذلك ان ينظر بعين الرحمة الى الجاني على خاص حقه ويقول انه قد سخر له والقدر لا ينفع منه الحذر
وكيف لا يفعله وقد كتب عليه فمثل هذا قد تصح له نية في الاغماض عن الجناية على حق الله تعالى
وان كان يغتاظ عند الجناية على حقه ويترحم عند الجناية على حق الله تعالى فهو مداهن مغرور
بمكيدة من مكايد الشيطان فليتنبه له فان **قلت** فاقل الدرجات في اظهار البغض
الهجرة والاعراض وقطع الرفق والاعانة فهل يجب ذلك حتى يعصي العبد بتركه **فاقول** لا يدخل
ذلك في ظاهر العلم تحت الايجاب والتكليف فانا نعلم ان الذين شربوا الخمر وتعاطوا الفواحش في
زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة ما كانوا يهجرون بالكلية بل كانوا منقسمين فيهم الى من
يغلظ القول ويظهر البغض والى من يعرض عنه ولا يتعرض له والى من ينظر اليه بعين الرحمة ولا
يوثر المقاطعة والتباعد فهذه دقايق دينية تختلف فيها طرق السالكين لطريق الاخرة ويكون
عمل كل واحد على ما يقتضيه حاله ووقته ومقتضى الاحوال في هذه الامور اما مكروه او مندوب
فيكون في رتبة الفضايل ولا ينتهي الى التحريم والايجاب فان الداخل تحت التكليف اصل المعرفة
لله واصل الحب [illegible] وذلك قد لا يتعدى من المحبوب الى غيره واما المتعدي افراط الحب
واستيلاؤه وذلك لا يدخل في الفتوى تحت ظاهر التكاليف في حق عوام الخلق اصلا **بيان**

مراتب الذين يبغضون في الله وكيفية معاملتهم

فان قلت اظهار البغض والعداوة بالفعل ان لم يكن واجبا فلا شك انه مندوب اليه والعصاة
والفساق على مراتب مختلفة فكيف ينال الفضل بمعاملتهم وهل يسلك بجميعهم مسلكا
واحدا ام لا **فاعلم** ان المخالف لامر الله لا يخلو ان يكون مخالفا في عقده او عمله والمخالف في العقد
اما مبتدع او كافر والمبتدع اما داع الى بدعته او ساكت اما لعجزه او باختياره فاقسام الفساد
في الاعتقاد ثلثة الاولى الكفر والكافر ان كان محاربا فهو يستحق القتل والارقاق وليس بعد هذين
اهانة واما الذمي فانه لا يجوز ايذاؤه الا بالاعراض عنه والتحقير له بالاضطرار الى اضيق الطرق
وبترك المفاتحة بالسلام فاذا قال السلام عليك قلت وعليك والاولى الكف عن مخالطته ومعاملته
ومواكلته فاما الانبساط معه والاسترسال اليه كما يسترسل الى الاصدقا فهو مكروه
كراهة شديدة يكاد ينتهي ما يقوى منها الى حد التحريم قال الله تعالى لا تجد قوما يومنون بالله
واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباءهم او ابناءهم وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا
لا تتخذوا عدوي وعدوكم اوليا وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اوليا

اولياءه الا انه وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن والمشرك لا تتراءى ناراهما الثاني المبتدع الذي يدعو الى
بدعته فان كانت البدعة بحيث يكفر بها فامره اشد من الذمي فانه لا يقر بجزية ولا يسامح بعقد
ذمة وان كان مما لا يكفر به فامره بينه وبين الله اخف من امر الكافر لا محالة ولكن الامر في الانكار
عليه اشد منه على الكافر لان شر الكافر غير متعد فان المسلمين اعتقدوا كفره فلا يلتفتون الى قوله
اذ لا يدعي لنفسه الاسلام واعتقاد الحق اما المبتدع الذي يدعو الى البدعة ويزعم ان ما يدعو اليه
حق فهو سبب لغواية الخلق فشره متعد فالاستحباب في اظهار بغضه ومعاداته والانقطاع
عنه وتحقيره والتشنيع عليه ببدعته وتنفير الناس عنه اشد وان سلم في خلوة فلا باس برد
جوابه وان علم ان الاعراض عنه والسكوت عن جوابه يقبح في نفسه بدعته ويؤثر في زجره
فترك الجواب اولى لان جواب السلام وان كان واجبا فيسقط بادنى غرض حتى يسقط بكون
الانسان في الحمام او في قضاء حاجته وغرض الزجر اهم من هذه الاغراض وان كان في ملأ فترك
الجواب اولى لتنفير الناس عنه وتقبيحا لبدعته في اعينهم وكذلك الاولى كف الاحسان اليه والاعانة
له لا سيما فيما يظهر للخلق قال عليه السلام من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه امنا
وايمانا ومن اهان صاحب بدعة امنه الله يوم الفزع الاكبر ومن الان له واكرمه ولقيه ببشر فقد
استخف بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم الثالث المبتدع العامي الذي لا يقدر على الدعوة ولا يخاف
الاقتداء به فامره اهون فالاولى ان لا يفاتح بالتغليظ والاهانة بل يتلطف به في النصح فان قلوب العوام
سريعة التقلب فان لم ينفع النصح وكان في الاعراض عنه تقبيح لبدعته في عينه تاكد الاستحباب في
الاعراض وان علم ان ذلك لا يؤثر فيه لجمود طبعه ورسوخ عقده في قلبه فالاعراض اولى لان البدعة
اذا لم يبالغ في تقبيحها شاعت في الناس وعم فسادها واما العاصي بفعله وعمله لا باعتقاده فلا يخلو اما
ان يكون بحيث يتاذى به غيره كالظلم والغصب وشهادة الزور والغيبة والتضريب بين الناس والمشي
بالنميمة وامثالها او كان مما لا يقتصر عليه ويؤذي غيره وذلك ينقسم الى ما يدعو غيره الى الفساد كصاحب
الماخور الذي يجمع بين الرجال والنساء ويهيئ اسباب الشرب لاهل الفساد والى ما لا يدعو غيره الى فعله كالذي يشرب
ويزني وهذا الذي لا يدعو غيره اما ان يكون عصيانه بكبيرة او بصغيرة وكل واحد فاما ان يكون مصرا
عليه او غير مصر فتحصل من هذه التقسيمات ثلاثة اقسام ولكل قسم منها رتبة وبعضها اشد من بعض
ولا نسلك بالكل مسلكا واحدا القسم الاول وهو اشدها ما يتضرر به الناس كالظلم والغصب
وشهادة الزور والغيبة والنميمة فهؤلاء الاولى الاعراض عنهم وترك مخالطتهم لان المعصية شديدة
فيما يرجع الى ايذاء الخلق ثم هؤلاء ينقسمون الى من يظلم في الدماء والى من يظلم في الاموال والى من يظلم في
الاعراض وبعضها اشد من بعض فالاستحباب في اهانتهم والاعراض عنهم متاكد جدا ومهما كان
يتوقع من الاهانة زجر لهم او لغيرهم كان الامر فيه اكد واشد الثاني صاحب الماخور الذي يهيئ اسباب
الفساد ويسهل الطرق على الخلق فهذا لا يؤذي الخلق في دنياهم ولكن يختلس بفعله دينهم وان كان
على وفق رضاهم فهو قريب من الاول ولكنه اخف منه فان المعصية بين العبد وبين الله تعالى الى
العفو اقرب ولكنه من حيث انه متعد على الجملة الى غيره فهو شديد وهذا ايضا يقتضي الاهانة
والاعراض والمقاطعة وترك جواب السلام اذا ظن ان فيه نوعا من الزجر له او لغيره الثالث الذي يفسق
في نفسه بشرب خمر او ترك واجب او مقارفة محظور يخصه فالامر فيه اخف ولكنه في وقت مباشرته
ان صودف يجب منعه بما يمتنع منه ولو بالضرب والاستخفاف فان النهي عن المنكر واجب فاذا
فرغ منه وعلم ان ذلك من عادته وهو مصر عليه فان تحقق ان نصحه يمنعه من العود وجب النصح
وان لم يتحقق ولكنه كان يرجوه فالافضل النصح والزجر بالتلطف او بالتغليظ ان كان هو الانفع
فاما الاعراض عن جواب السلام والكف عن مخالطته حيث يعلم انه مصر وان النصح ليس ينفعه

فهذا فيه نظر وسير العلماء فيه مختلفة ويختلف باختلاف نية الرجل فعند هذا يقال الاعمال بالنيات
اذ في الرفق والنظر بعين الرحمة الى الخلق نوع من التواضع وفي العنف والاعراض نوع من الزجر
والمستفتى فيه القلب فما يراه اميل الى هواه ومقتضى طبعه فالاولى ضده اذ قد يكون
استخفافه وعنفه عن كبر وعجب والتذاذ باظهار العلو والادلال بالصلاح وقد يكون رفقه عن
مداهنة واستمالة قلب للوصول به الى غرض او لخوف من تاثير وحشته ونفرته في جاه او مال بظن
قريب او بعيد وكل ذلك تردد على اشارات الشيطان وبعيد عن اعمال اهل الاخرة فكل راغب في
اعمال الدين مجتهد مع نفسه في التفتيش عن هذه الدقائق ومراقبة هذه الاحوال والقلب هو المفتي فيه
وقد يصيب الحق في اجتهاده وقد يخطئ وقد يقدم على اتباع هواه وهو عالم به وقد يقدم وهو
بحكم الغرور يظن انه عامل لله تعالى وسالك طريق الاخرة وسياتي بيان هذه الدقائق في كتاب الغرور
من ربع المهلكات ويدل على تخفيف الامر في الفسق القاصر الذي هو بين العبد وبين الله تعالى
ما روي ان شارب خمر ضرب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم مرات وهو يعود فقال واحد
من الصحابة لعنه الله ما اكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم لا تكن عونا للشيطان على اخيك او لفظ
هذا معناه وكان هذا اشارة الى ان الرفق اولى من العنف والتغليظ

بيان الصفات المشروطة فيمن تختار صحبته

اعلم انه لا يصلح للصحبة كل انسان قال صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله
فلينظر احدكم من يخالل فلا بد ان يتميز بصفات وخصال يرغب بسببها في صحبته ويشترط تلك
الخصال بحسب الفوائد المطلوبة من الصحبة اذ معنى الشرط ما لا بد منه للوصول الى المقصود فبالاضافة
الى المقصود يظهر الشروط ويطلب من الصحبة فوائد دينية ودنيوية اما الدنيوية فكالانتفاع
بالمال او الجاه او مجرد الاستئناس بالمشاهدة والمجاورة وليس ذلك من غرضنا واما الدينية فتجتمع
فيها ايضا اغراض مختلفة اذ منها الاستفادة من العلم والعمل ومنها الاستفادة من الجاه تحصنا
به عن ايذاء من يشوش القلب ويصد عن العبادة ومنها استفادة المال للاكتفاء به عن تضييع الاوقات
في طلب الرزق ومنها الاستعانة في المهمات فيكون عدة في المصائب وقوة في الاحوال ومنها
التبرك بمجرد الدعاء ومنها انتظار الشفاعة في الاخرة فقد قال بعض السلف استكثروا من الاخوان
فان لكل مؤمن شفاعة فلعلك تدخل في شفاعة اخيك ويروى في غريب التفسير في قوله تعالى
ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله قال يشفعهم في اخوانهم فيدخلهم الجنة
معهم ويقال اذا غفر للعبد شفع في اخوانه ولذلك حث جماعة من السلف على الصحبة والالفة والنكاح
وكرهوا العزلة والانفراد فهذه فوائد وتستدعي كل فائدة شروطا لا تحصل الا بها ولا يخفى تفصيلها
اما على الجملة فينبغي ان يكون فيمن تؤثر صحبته خمس خصال ان يكون عاقلا حسن الخلق غير فاسق ولا
مبتدع ولا حريص على الدنيا اما العقل فهو راس المال وهو الاصل فلا خير في صحبة الاحمق فالى الوحشة
والقطيعة يرجع عاقبتها وان طالت قال علي كرم الله وجهه

لا تصحب اخا الجهل ... واياك واياه
فكم من جاهل اردى ... حليما حين اخاه
يقاس المرء بالمرء ... اذا ما هو ماشاه
وللشيء من الشيء ... مقاييس واشباه
وللقلب على القلب ... دليل حين يلقاه

كيف والاحمق قد يضرك وهو يريد نفعك واعانتك من حيث لا تدري ولذلك قال بعضهم

اني لآمن من عدو عاقل ... واخاف خلا يعتريه جنون
فالعقل فن واحد وطريقه ... ادرى واكن الجنون فنون

ولذلك قيل مقاطعة الاحمق قربان الى الله وقال الثوري النظر الى وجه الاحمق خطيئة مكتوبة

ويعني بالعاقل الذي يفهم الامور على ما هي عليه اما بنفسه واما اذا فهم وعلم واما حسن الخلق فلا بد منه
اذ رب عاقل يدرك الاشياء على ما هي عليه اما بنفسه واذا اذا فهم وعلم ولكن اذا غلبه شهوة او غضب او
بخل او جبن اطاع هواه وخالف ما هو المعلوم عنده لعجزه عن قهر صفاته وتقويم اخلاقه فلا خير في
صحبته واما الفاسق المصر على الفسق فلا فائدة في صحبته لان من يخاف الله تعالى لا يصر على كبيرة
ومن لا يخاف الله تعالى لا يؤمن غائلته ولا يوثق بصداقته بل يتغير بتغير الاغراض وقد قال الله
تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وقال تعالى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها
وقال تعالى فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا وقال تعالى واتبع
سبيل من اناب الي وفي مفهوم هذا زجر عن الفاسق واما المبتدع ففي صحبته خطر سراية
البدعة وتعدي شؤمها اليه فالمبتدع مستحق الهجر والمقاطعة فكيف يؤثر صحبته وقد قال
عمر رضه الحث على طلب التدين في الصديق في ما رواه سعيد بن المسيب قال عليك باخوان الصدق
تعش في اكنافهم فانهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء وضع امر اخيك على احسنه حتى يجيئك ما يغلبك
منه واعتزل عدوك واحذر صديقك الا الامين من القوم ولا امين الا من خشي الله ولا تصحب
الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر في امرك الذين يخشون الله واما حسن
الخلق فقد جمعه علقمة العطاردي في وصيته لابنه لما حضرته الوفاة قال يا بني ان عرضت
لك الى صحبة الرجال حاجة فاصحب من اذا صحبته زانك واذا خدمته صانك وان قعدت بك مؤنة
مانك اصحب من اذا مددت يدك بخير مدها وان راى منك حسنة عدها وان راى منك سيئة
سدها اصحب من اذا سالته اعطاك واذا سكت ابتداك وان نزلت بك نازلة واساك اصحب
من اذا قلت صدق قولك وان صلت شد صولتك من لا تاتيك منه البوائق لا تختلف عليك
الطرائق ولا يخذلك عند الحقائق وان حاولتما امرا اتبع امرك وان تنازعتما آثرك فكانه جمع بهذا
جميع حقوق الصحبة وشرط ان يكون قائما بجميعها قال ابن اكثم قال المامون فاين هذا فقيل له
اتدري لم اوصى بذلك قال لا قال لانه اراد ان لا يصحب احدا وقال بعض الادباء لا تصحب من الناس
الا من يكتم سرك ويستر عيبك ويكون معك في النوائب ويؤثرك بالرغائب وينشر حسنتك ويطوي
سيئتك فان لم تجده فلا تصحب الا نفسك وقال علي رضي الله عنه

ان اخاك الحق من كان معك * ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب زمان صدعك * شتت شمل نفسه ليجمعك

وقال بعض الادباء لا تصحب الا احد رجلين رجل تتعلم منه شيئا في امر دينك فينفعك او رجل تعلمه
شيئا في امر دينه فيقبل منك والثالث فاهرب منه وقال بعضهم الناس اربعة فواحد حلو كله
فلا يشبع منه واخر مر كله فلا يؤكل منه واخر فيه حموضة فخذ من هذا قبل ان ياخذ منك واخر
فيه ملوحة فخذ منه وقت الحاجة فقط وقال جعفر الصادق لا تصحب خمسة الكذاب فانك منه على
غرور وهو مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب والاحمق فانك لست منه على شيء
يريد ان ينفعك فيضرك والبخيل فانه يقطع عنك احوج ما تكون اليه والجبان فانه يسلمك ويفر
بنفسه عند الشدة والفاسق فانه يبيعك باكلة او اقل منها فقيل وما اقل منها فقال الطمع
فيها ثم لا ينالها وقال الجنيد رحمه الله لان يصحبني فاسق حسن الخلق احب الي من ان يصحبني
قارئ سيء الخلق وقال ابن الحواري قال لي استاذي ابو سليمان يا احمد لا تصحب الا احد رجلين
رجل ترتفق به في دنياك ورجل تزيد معه وتنتفع به في اخرتك والاشتغال بغيرهما حمق
كبير وقال سهل بن عبد الله اجتنب صحبة ثلاثة اصناف من الناس الجبابرة الغافلين والقراء

المداهنين والمتصوفة الجاهلين واعلم ان هذه الكلمات اكثرها غير محيطة بجميع اغراض
الصحبة اليها فليس ما يشترط للصحبة في مقاصد مشروطا في الصحبة للاخرة والاخوة كما قال
بشر الاخوة ثلاثة اخ لاخرتك واخ لدنياك واخ لتانس به وقل ما تجتمع هذه المقاصد في واحد
بل تتفرق على جمع فتتفرق الشروط فيهم لا محالة وقد قال المامون الاخوان ثلاثة احدهم
مثله مثل الغذاء لا يستغنى عنه والاخر مثله مثل الدواء يحتاج اليه في وقت دون وقت والثالث
مثله مثل الداء لا يحتاج اليه قط وهو الذي لا انس فيه ولا نفع وقد قيل مثل جملة الناس
مثل الشجر والنبات فمنها ما له ظل وليس له ثمر وهو مثل الذي ينتفع به في الدنيا دون الاخرة فان نفع
الدنيا كالظل السريع الزوال ومنها ما له ثمر وليس له ظل وهو مثل الذي يصلح للاخرة دون الدنيا
ومنها ما له ثمرة وظل جميعا يصلح للدنيا والاخرة ومنه ما ليس له واحد منهما كام غيلان يمزق الثياب
ولا طعام فيها ولا شراب ومثاله من الحيوانات الفارة والعقرب كما قال الله تعالى يدعو لمن ضره
اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير

قال الشاعر

الناس شتى اذا ما انت ذقتهم * لا يستوون كما لا يستوي الشجر
هذا له ثمر حلو مذاقته * وذاك ليس له طعم ولا ثمر

فاذن من عجز رفيقا يؤاخيه ويستفيد به احد هذه المقاصد فالوحدة اولى به قال ابو
ذر الوحدة خير من جليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة واما الديانة وعدم الفسق فقد قال الله
تعالى واتبع سبيل من اناب الي ولان مشاهدة الفسق والفساق تهون امر المعصية على القلب
وتبطل نفرة القلب عنها قال سعيد بن المسيب لا تنظروا الى الظلمة الا بالانكار من قلوبكم
فتحبط اعمالكم الصالحة بل هؤلاء لا سلامة في مخالطتهم وانما السلامة في الانقطاع عنهم قال
الله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما اي سلامة والالف بدل من الهاء ومعناه انا سلمنا
من اثمكم وانتم سلمتم من شرنا وهذا ما اردنا ان نذكره من معاني الاخوة وشروطها وفوائدها
فلنذكر في ذكر حقوقها ولوازمها وطرق القيام بحقها واما الحريص على الدنيا فصحبته
سم قاتل لان الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري
فمجالسة الحريص تحرك الحرص ومجالسة الزاهد تزهد في الدنيا فلذلك تكره صحبة طلاب الدنيا و
يستحب صحبة الراغبين في الاخرة قال علي كرم الله وجهه احيوا الطاعات بمجالسة من يستحيا
منه وقال احمد بن حنبل ما اوقعني في بلية الا صحبة من لا احتشمه وقال لقمان لابنه
احمد بن حنبل يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان القلوب يحيا بالحكمة كما تحيا الارض الميتة
بوابل القطر

الباب الثاني في حقوق الاخوة والصحبة

اعلم ان عقد الاخوة رابطة بين الشخصين كعقد النكاح بين الزوجين وكما يقتضي النكاح حقوقا
يجب الوفاء بها قياما بحق النكاح كما سبق ذكره في كتاب اداب النكاح فكذا عقد الاخوة فلاخيك عليك
حق في المال والنفس وفي اللسان وفي القلب بالعفو والدعاء وبالاخلاص والوفاء وبالتخفيف وترك التكلف
والتكلف فذلك يجمعه ثمانية حقوق الاول في المال قال عم مثل الاخوين مثل اليدين
تغسل احداهما الاخرى وانما شبههما باليدين لا باليد والرجل لانهما يتعاونان على غرض واحد
فكذلك الاخوان انما تتم اخوتهما اذا ترافقا في مقصد واحد فهما من وجه كالشخص الواحد وهذا
يقتضي المساهمة في السراء والضراء والمشاركة في المال والحال وارتفاع الاختصاص والاستئثار
والمواساة بالمال مع الاخوة على ثلاث مراتب ادناها ان تنزله منزلة عبدك وخادمك فتقوم
بحاجته من فضلة مالك فاذا سنحت له حاجة وكانت عندك فضلة على حاجتك اعطيته ابتداء
ولم تحوجه الى السؤال فان احوجته الى السؤال فهو غاية التقصير في حق الاخوة الثانية ان تنزله

منزلة نفسك وترضى بمشاركته اياك في مالك ونزوله منزلتك حتى تسمح بمشاطرته في المال قال
الحسن كان احدهم يشق ازاره بينه وبين اخيه الثالثة وهي العليا ان تؤثره على نفسك
وتقدم حاجته على حاجتك وهذه رتبة الصديقين ومنتهى درجات المتحابين ومن ثمار هذه الرتبة
الايثار بالنفس ايضا كما روي انه سعي بجماعة من الصوفية الى بعض الخلفا فامر بضرب رقابهم
وفيهم ابو الحسين النوري فبادر الى السياف ليكون هو اول مقتول فقيل له في ذلك فقال احببت
ان اوثر اخواني بالحياة في هذه اللحظة فكان ذلك سبب نجاة جميعهم في حكاية طويلة فان لم
تصادف نفسك في رتبة من هذه الرتب مع اخيك فاعلم ان عقد الاخوة لم ينعقد بعد في الباطن
وانما الجاري بينكما مخالطة رسمية لا وقع لها في العقل والدين فقد قال ميمون بن مهران
من رضي من الاخوان بترك الافضال فليواخ اهل القبور واما الدرجة الدنيا فليست ايضا مرضية
عند ذوي الدين روي ان عتبة الغلام جاء الى منزل رجل كان قد اخاه فقال احتاج من
مالك الى اربعة الاف درهم فقال خذ الفين فاعرض عنه وقال آثرت الدنيا على الله اما استحييت
ان تدعي الاخوة في الله وتقول هذا ومن كان في الدرجة الدنيا من الاخوة ينبغي ان لا يعامله في
الدنيا قال ابو حازم اذا كان لك اخ في الله فلا تعامله في امور دنياك وانما اراد به من هو في
هذه الرتبة واما الرتبة العليا فهي التي وصف الله بها المؤمنين في قوله تعالى وامرهم شورى بينهم
ومما رزقناهم ينفقون اي كانوا خلطاء في الاموال لا يميز بعضهم رحله عن بعض وكان فيهم من لا
يصحب من قال نعلي لانه اضافه الى نفسه وجاء فتح الموصلي الى منزل اخ له وكان غائبا فامر اهله فاخرجت
صندوقه ففتحه واخرج حاجته فاخبرت الجارية مولاها فقال ان صدقت فانت حرة لوجه الله سرورا
بما فعل وجاء رجل الى ابي هريرة رض وقال اني اريد ان اواخيك في الله فقال اتدري ما حق
الاخاء قال عرفني قال ان لا تكون احق بدينارك ودرهمك مني فقال لم ابلغ هذه المنزلة بعد قال
اذهب عني وقال علي بن الحسين لرجل هل يدخل احدكم يده في كم اخيه او كيسه فياخذ
منه ما يريد من غير اذنه قال لا قال فلستم باخوان ودخل قوم على الحسن رض فقالوا يا ابا
سعيد اصليت قال نعم قالوا فان اهل السوق لم يصلوا بعد قال ومن ياخذ دينه من اهل السوق
بلغني ان احدهم يمنع اخاه الدرهم قاله كالمتعجب منه وجاء رجل الى ابرهيم بن ادهم وهو يريد بيت
المقدس فقال اني اريد ان ارافقك فقال له ابرهيم على ان اكون املك لشيئك منك قال لا قال اعجبني
صدقك وكان ابرهيم بن ادهم اذا رافقه رجل لم يخالفه وكان لا يصحب الا من يوافقه وصحبه رجل
شراك فاهدى رجل الى ابرهيم في بعض المنازل قصعة من ثريد ففتح جراب رفيقه واخذ حزمة من
شراكه فجعلها في القصعة وردها الى صاحب الهدية فلما جاء رفيقه قال اين الشراكه قال ذلك الثريد
الذي اكلته ايش كان قال كنت تعطيه شراكين او ثلثة قال اسمح يسمح لك واعطى مرة حمار رفيقه
بغير اذنه رجلا راه راجلا فلما جاء رفيقه سكت ولم يكره ذلك وقال ابن عمر اهدي لرجل من اصحاب
رسول الله راس شاة فقال اخي فلان احوج اليه مني فبعث به اليه فبعثه ذلك الانسان الى اخر
فلم يزل يبعث به واحد الى اخر حتى رجع الى الاول بعد ان تداوله سبعة وروي ان مسروقا ادان
دينا ثقيلا وكان على اخيه خيثمة دين قال فذهب مسروق وقضى دين خيثمة وهو لا يعلم ولما
اخى رسول الله بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع اثره بالمال والنفس فقال سعد بارك الله لك
فيهما فاثره بما اثره به وكانه قبله ثم اثره به وذلك مساواة والبداية ايثار والايثار افضل
من المساواة قال ابو سليمان الداراني لو ان الدنيا كلها لي فجعلتها في فم اخ من اخواني
لاستقللتها له وقال ايضا اني لالقم اللقمة اخا من اخواني فاجد طعمها في حلقي ولما كان الانفاق
على الاخوان افضل من الصدقات على الفقرا قال علي رض لعشرين درهما اعطيها اخي في الله

احب

احب الي من ان اتصدق بمائة درهم على المساكين وقال بعضهم لان اصنع صاعا من طعام
واجمع عليه اخواني في الله احب الي من ان اعتق رقبة واقتدا الكل في الايثار برسول الله فانه دخل
غيضة مع بعض اصحابه فاجتنى منها سواكين احدهما معوج والاخر مستقيم فدفع المستقيم
الى صاحبه فقال له يا رسول الله كنت احق بالمستقيم مني فقال ما من صاحب يصحب صاحبا
ولو ساعة من نهار الا سئل عن صحبته هل اقام فيها حق الله ام اضاعه فاشار بهذا ان الايثار
هو القيام بحق الله في الصحبة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بير يغتسل عندها فامسك
حذيفة بن اليمان الثوب على رسول الله وستره حتى اغتسل ثم جلس حذيفة ليغتسل فتناول
صلى الله عليه وسلم الثوب وقام يستر حذيفة من الناس فابى حذيفة وقال بابي وامي يا رسول الله
لا تفعل فابى عليه الا ان يستره بالثوب حتى اغتسل وقال صلى الله عليه وسلم ما اصطحب اثنان
قط الا كان احبهما الى الله ارفقهما بصاحبه وروي ان مالك بن دينار ومحمد بن واسع دخلا
منزل الحسن وكان غائبا فاخرج محمد سلة فيها طعام من تحت سرير الحسن فجعل ياكل فقال له
مالك كف يدك حتى يجي صاحب البيت فلم يلتفت محمد الى قوله وجعل ياكل وكان ابسط منه
واحسن خلقا فدخل الحسن فقال يا مويلك هكذا كنا لا يحتشم بعضنا بعضا حتى ظهرت
انت واصحابك واشار بهذا الى ان الانبساط في بيت الاخوان من الصفا في الاخوة كيف وقد قال
او صديقكم وقال تعالى او ما ملكتم مفاتحه اذ كان الاخ يدفع مفاتيح بيته الى اخيه ويفوض اليه التصرف كما يريد
وكان يتحرج عن الاكل بحكم التقوى حتى انزل الله هذه الاية واذن لهم في الانبساط في طعام الاخوان
والاصدقا الحق الثاني في الاعانة بالنفس في قضاء الحاجات الخاصة وهذا ايضا لها درجات كما
المواساة بالمال فادناها القيام بالحاجة عند السوال والقدرة ولكن مع البشاشة والاستبشار
واظهار الفرح وقبول المنة قال بعضهم اذا استقضيت اخاك الحاجة فلم يقضها فذكره ثانية
فلعله ان يكون قد نسي فان لم يقضها فكبر عليه واقرا عليه هذه الاية والموتى يبعثهم الله وقضى ابن
شبرمة حاجة لبعض اصحابه كبيرة فجاء بهدية فقال ما هذا قال لما اسديته الي فقال خذ مالك عافاك الله اذا
سالت اخاك حاجة فلم يجهد نفسه في قضائها فتوضا للصلاة وكبر عليه اربع تكبيرات وعده
في الموتى وقال جعفر بن محمد اني لاتسارع الى قضاء حوايج اعدائي مخافة ان اردهم فيستغنوا
عني هذا في الاعداء فكيف في الاصدقاء وكان في السلف من يتفقد عيال اخيه واولاده بعد
موته اربعين سنة يقوم بحاجتهم ويتردد كل يوم اليهم فكانوا لا يفقدون من ابيهم الا عينه
بل كانوا يرون منه ما لم يروه من ابيهم في حياته وكان الواحد يتردد الى باب دار اخيه ويسال
ويقول هل لكم زيت هل لكم ملح هل لكم حاجة وكان يقوم بها من حيث لا يعرفه اخوه وبهذا
تظهر الشفقة والاخوة واذا لم تثمر الشفقة حتى يشفق على اخيه كما يشفق على نفسه فلا خير فيها
قال ميمون بن مهران من لم تنتفع بصداقته لم تضرك عداوته قال النبي صلى الله عليه وسلم
الا وان لله تعالى اواني في ارضه وهي القلوب فاحب القلوب الى الله اصفاها واصلبها وارقها اصفاها من الذنوب واصلبها
في الدين وارقها على الاخوان وبالجملة فينبغي ان تكون حاجة اخيك مثل حاجتك او اهم منها
وان تكون متفقدا لاوقات الحاجة غير غافل عنها كما لا تغفل عن احوال نفسك وتغنيه عن
السوال واظهار الحاجة الى الاستعانة بل تقوم بحاجته كانك لا تدري انك قمت بها ولا ترى
لنفسك حقا بسبب قيامك بها بل تتقلد منة بقبوله سعيك في حقه وقيامك بامره ولا
ينبغي ان تقتصر على قضاء الحاجة بل تجتهد في البداية بالاكرام في الزيادة والايثار والتقديم
على الاقارب والولد كان الحسن يقول اخواننا احب الينا من اهلينا واولادنا لان اهالينا
يذكرونا بالدنيا واخواننا يذكرونا بالاخرة وقال الحسن رحمه الله من شيع اخاه في الله

بعث الله سبحانه ملائكة من تحت عرشه يوم القيمة يشيعونه الى الجنة وفي الاثر ما زار رجل اخا
في الله شوقا الى لقائه الا ناداه ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة وقال عطا تفقدوا
اخوانكم بعد ثلاث فان كانوا مرضى فعودوهم او مشاغيل فاعينوهم او كانوا نسوا فذكروهم
وروى ان ابن عمر كان يلتفت يمينا وشمالا بين يدي رسول الله فسأله فقال احببت رجلا
في الله فانا اطلبه ولا اراه فقال عليه الصلاة والسلام اذا احببت احدا فسله عن اسمه
واسم ابيه وعن منزله فان كان مريضا عدته وان كان مشغولا اعنته وفي رواية عن اسم
جده وعشيرته وقال الشعبي في الرجل يجالس الرجل فيقول اعرف وجهه ولا اعرف اسمه واسم
ابيه تلك معرفة النوكى وقيل لابن عباس من احب الناس اليك قال جليسي وقال ما
اختلف رجل في مجلسي ثلاثا من غير حاجة له الي فعلمت ما مكافاته من الدنيا وقال سعيد
بن العاص لجليسي علي ثلث اذا دنا رحبت به واذا حدث اقبلت عليه واذا جلس اوسعت له وقد
قال تعالى رحماء بينهم اشارة الى الشفقة والاكرام ومن تمام الشفقة ان لا ينفرد بطعام لذيذ
او بحضور في مسرة دونه بل يتنغص لفراقه ويستوحش بانفراده عن اخيه الحق الثالث في
اللسان بالسكوت مرة وبالنطق اخرى اما السكوت فان يسكت عن ذكر عيوبه في حضرته وغيبته
بل يتجاهل عنه ويسكت عن الرد عليه فيما يتكلم به فلا يماريه ولا يناقشه وان يسكت عن التجسس
والسؤال عن احواله واذا راه في طريق او حاجة ولم يفاتحه بذكر غرضه ومورده ومصدره فلا
يسأله عنه فربما يثقل عليه ذكره او يحتاج الى ان يكذب فيه وان يسكت عن اسراره التي بثها
اليه فلا يبثها الى غيره البتة ولا الى اخص اصدقائه ولا يكشف منها شيئا ولو بعد القطيعة
والوحشة فان ذلك من لوم الطبع وخبث الباطن وان يسكت عن القدح في احبابه واهله وولده
وان يسكت عن حكاية قدح غيره فيه فان الذي سبك من بلغك قال انس كان النبي
صلى الله عليه وسلم لا يواجه احدا بشيء يكرهه والتاذي اولا يحصل من المبلغ ثم من القائل نعم
لا ينبغي ان يخفي ما يسمع من الثناء عليه فان السرور به اولا يحصل من المبلغ المدح ثم من القائل
واخفاء ذلك من الحسد وبالجملة فليسكت عن كل كلام يكرهه جملة وتفصيلا الا اذا وجب عليه النطق
في امر بمعروف او نهي عن منكر ولم يجد رخصة في السكوت فاذ ذاك لا يبالي بكراهته فان ذلك احسان
اليه في التحقيق وان كان يظن انه اساءة في الظاهر اما ذكر مساويه وعيوبه ومساوي اهله فهو من
الغيبة وذلك حرام في حق كل مسلم ويزجرك عنه امران احدهما ان تطالع احوال نفسك فما تراه من اخيك
وقدر انه عاجز عن قهر نفسه في تلك الخصلة الواحدة كما انك عاجز فيما انت مبتلى به فلا تستثقله
بخصلة واحدة مذمومة فاي الرجال المهذب وكلما لا تصادفه من نفسك في حق الله فلا تنتظره
من اخيك في حق نفسك فليس حقك عليه باكثر من حق الله عليك والامر الثاني ان تعلم انك لو
طلبت منزها عن كل عيب اعتزلت عن الخلق كافة ولم تجد من تصاحبه اصلا فما من الناس احد
الا وله محاسن ومساوي فاذا غلبت المحاسن المساوي فهو الغاية والمنتهى والمؤمن الكريم ابدا
يحضر في نفسه محاسن اخيه لينبعث من قلبه التوقير والود والاحترام واما المنافق اللئيم فانه
ابدا يلاحظ المساوي والعيوب قال ابن المبارك المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العثرات
وقال الفضيل الفتوة الصفح عن عثرات الاخوان ولذلك قال صلى الله عليه وسلم استعيذوا بالله
من جار السوء الذي ان راى خيرا ستره وان راى شرا اظهره وما من شخص الا ويمكن تحسين حاله
بخصال فيه ويمكن تقبيحه ايضا روى ان رجلا اثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
كان من الغد ذمه فقال له النبي انت بالامس تثني عليه واليوم تذمه فقال والله لقد
صدقت عليه بالامس وما كذبت عليه اليوم انه ارضاني بالامس فقلت احسن ما علمت فيه

واغضبني

واغضبني اليوم فقلت اقبح ما علمت فيه فقال صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا وكانه
كره ذلك فشبهه بالسحر ولذلك قال في خبر اخر البذاء والبيان شعبتان من النفاق وفي
حديث اخر ان الله تعالى يكره لكم البيان قال الشافعي ما احد من المسلمين يطيع الله
فلا يعصيه ولا احد يعصي الله فلا يطيعه فمن كانت طاعته اغلب من معاصيه فهو عدل
واذا جعل مثل هذا عدلا في حق الله فبان تراه عدلا في حق نفسك ومقتضى اخوتك اولى
وكما يجب عليك السكوت بلسانك عن مساويه يجب عليك السكوت بقلبك وذلك بترك
اساءة الظن فسوء الظن غيبة بالقلب وهو منهي عنه ايضا وحده ان لا تحمل فعله على وجه
فاسد ما امكن ان تحمله على وجه حسن فاما ما انكشف بيقين ومشاهدة فلا يمكنك ان لا
تعلمه وعليك ان تحمل ما تشاهده على سهو ونسيان ان امكن وهذا الظن ينقسم الى ما
يسمى تفرسا وهو الذي يستند الى علامة فان ذلك يحرك الظن تحريكا ضروريا لا تقدر
على دفعه والى ما منشاه سوء اعتقادك فيه حتى يصدر منه فعل له وجهان فيحملك سوء
الاعتقاد على ان تنزله على الوجه الاردى من غير علامة وتخصصه به وذلك
جناية عليه بالباطن وذلك حرام في حق كل مؤمن اذ قال صلى الله عليه وسلم ان الله قد
حرم من المؤمن دمه وماله وعرضه وان تظن به ظن السوء وقال اياكم والظن فان الظن
اكذب الحديث وسوء الظن يدعو الى التجسس وقد قال عليه السلام لا تجسسوا ولا
تحسسوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا والتجسس في تطلع الاخبار و
التحسس بالمراقبة بالعين فستر العيوب والتجاهل والتغافل عنها شيمة اهل الدين و
يكفيك تنبيها على كمال الرتبة في ستر القبيح والمرضي عند الله من تخلق باخلاقه وانه
ستار العيوب وغفار الذنوب ومتجاوز عن العبيد فكيف لا تتجاوز انت عمن هو مثلك او فوقك
وما هو بكل حال عبدك ولا مخلوقك وقد قال عيسى عليه السلام كيف تصنعون اذا رايتم
اخاكم نائما وقد كشف الريح عنه ثوبه فقالوا نستره ونغطيه فقال بل تكشفون عورته قالوا
سبحان الله من يفعل هذا فقال احدكم يسمع في اخيه الكلمة فيزيد ويزيد باعظم منها واعلم
انه لا يتم ايمان المرء ما لم يحب لاخيه ما يحب لنفسه واقل درجات الاخوة ان يعامل اخاه بما يحب ان
يعامله به ولا شك في انه ينتظر منه ستر العورة والسكوت عن المساوي والعيوب ولو ظهر له
منه نقيض ما ينتظره اشتد عليه غيظه وغضبه فما ابعده عن الحق اذا كان ينتظر منه ما لا يضمره
له ولا يعزم عليه لاجله وويل له في نص كتاب الله حيث قال ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على
الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون فكل من التمس من الانصاف اكثر مما تسمح به نفسه
فهو داخل تحت مقتضى هذه الاية ومنشا التقصير في ستر العورة او السعي في كشفها الداء الدفين في
الباطن وهو الحقد والحسد فان الحقود والحسود يملأ باطنه بالخبث ولكن يحبسه في باطنه
ويخفيه ولا يبديه مهما لم يجد له مجالا فاذا وجد فرصة انحلت الرابطة وارتفع الحيا ويترشح الباطن
بخبثه الدفين ومهما انطوى الباطن على حقد وحسد كان الانقطاع اولى قال بعض الحكماء ظاهر
العتاب خير من مكنون الحقد ولا يزيد لطف الحقود الا وحشة منه ومن في قلبه سخيمة على مسلم فايمانه
ضعيف وامره مخطر وقلبه خبيث لا يصلح للقاء الله وقد روى عبد الرحمن بن جبير عن ابيه انه قال كنت
باليمن ولي جار يهودي يخبرني عن التورية فقدم علي اليهودي من سفر فقلت ان الله قد بعث
فينا نبيا فدعانا الى الاسلام فاسلمنا وقد نزل علينا كتابا مصدقا للتورية فقال اليهودي

صدقت ولكنكم لا تستطيعون ان تقوموا بما احلكم به انا نجد نعته ونعت امته في التوراة انه لا
يحل لامرئ ان يخرج من عتبة بابه وفي قلبه سخيمة على اخيه المسلم ومن ذلك ان يسكت عن افشاء
سره الذي استودعه وله ان ينكره وان كان كاذبا فليس الصدق واجبا في كل مقام فانه كما يجوز للرجل
ان يخفي عيوب نفسه واسراره وان احتاج الى الكذب فله ان يفعل ذلك في حق اخيه فان اخاه نازل
منزلته وهما كشخص واحد لا يختلفان الا بالبدن هذه حقيقة الاخوة وكذلك لا يكون بالعمل بين يديه
مرائيا وخارجا عن اعمال السر الى اعمال العلانية فان معرفة اخيه بعمله كمعرفته بنفسه من غير فرق
وقد قال صلى الله عليه وسلم من ستر عورة اخيه ستره الله في الدنيا والاخرة وقال عليه السلام
انما يتجالس المتجالسان بالامانة ولا يحل لاحدهما ان يفشي على صاحبه ما يكره وقيل لبعض الادباء
كيف حفظك للسر قال انا قبره وقد قيل صدور الاحرار قبور الاسرار وقيل ان قلب الاحمق في
فيه ولسان العاقل في قلبه اي لا يستطيع الاحمق اخفاء ما في نفسه فيبديه من حيث لا يدري فمن
هذا يجب مقاطعة الحمقى والتوقي من صحبتهم بل عن مشاهدتهم وقيل لاخر كيف تحفظ السر قال
اجحد المخبر واحلف للمستخبر وقال اخر استره واستر اني استره وعبر عنه ابن المعتز فقال

ومستودعي سرا تبوأت كتمه * فاودعته صدري فصار له قبرا *

وقال اخر
وما السر في صدري كثاو بقبره * لاني ارى المقبور ينتظر النشرا *
ولكنني انساه حتى كانني * بما كان منه لم احط ساعة خبرا

وزاد عليه اخر فقال
ولو جاز كتم السر بيني وبينه * عن السر والاحشا لم يعلم السرا *

وافشى بعضهم سرا الى اخيه ثم قال حفظت قال بل نسيت وكان ابو سعيد الثوري يقول اذا
اردت ان تواخي رجلا فاغضبه ثم دس عليه من يسأله عنك وعن اسرارك فان قال خيرا وكتم
سرك فاصحبه وقيل لابي يزيد من تصحب من الناس قال من يعلم منك ما يعلم الله ثم يستر
عليك كما يستر الله وقال ذو النون لا خير في صحبة من لا يحب ان يراك الا معصوما ومن افشا
السر عند الغضب فهو اللئيم لان اخفاءه عند الرضا تقتضيه الطباع السليمة كلها وقد قال بعض
الحكماء لا تصحب من يتغير عليك عند اربع عند غضبه ورضاه وعند طمعه وهواه بل ينبغي ان يكون
صدق الاخوة ثابتا على اختلاف هذه الاحوال ولذلك قيل * شعر

* وترى الكريم اذا تصرم وده * يخفي القبيح ويظهر الاحسانا *
* وترى اللئيم اذا تقضى وصله * يخفي الجميل ويظهر البهتانا *

وقال العباس لابنه عبد الله رضي الله عنهما اني ارى هذا الرجل يعني عمر رض يقدمك على
الاشياخ فاحفظ عني خمسا لا تفشين له سرا ولا تغتابن عنده احدا ولا تجربن عليك كذبا ولا
تعصين له امرا ولا يطلعن منك على خيانة فقال الشعبي كل كلمة من هذه الخمس خير من الف ومن
ذلك السكوت عن المماراة والمدافعة في كل ما يتكلم به اخوك قال ابن عباس لا تمار سفيها ولا
حليما فيقليك وقد قال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة
ومن تركه وهو محق بني له بيت في اعلا الجنة هذا مع ان تركه مبطلا واجب وقد جعل ثواب النفل
اعظم واشد على النفس من السكوت عن الباطل وانما الاجر على قدر النصب واشد الاسباب
لاثارة نار الحقد بين الاخوان المماراة والمناقشة فانها عين التدابر والتقاطع فان التقاطع
اولا يقع بالاراء ثم بالاقوال ثم بالابدان وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تدابروا ولا تباغضوا ولا
تحاسدوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله اخوانا المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يحرمه ولا يخذله

بحسب المرء من الشر ان يحقر اخاه المسلم واشد الاحتقار المماراة فان من رد على غيره كلامه
فقد نسبه الى الجهل والحمق او الى الغفلة والسهو عن فهم الشيء على ما هو عليه وكل ذلك استحقار ويخاذل
الصدور وايحاش وفي حديث ابي امامة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن
نتمارى فغضب فقال ذروا المراء لقلة خيره وذروا المراء فان نفعه قليل وانه يهيج العداوة بين الاخوة
وقال بعض السلف من لاحى الاخوان وماراهم قلت مروته وذهبت كرامته وقال بعض السلف
ايضا وقال عبد الله بن الحسن اياك ومماراة الرجال فانك لن تعدم مكر حليم او مفاجاة لئيم
وقال بعض السلف اعجز الناس من قصر في طلب الاخوان واعجز منه من ضيع من ظفر به منهم
وكثرة المماراة توجب التضييع والقطيعة وتورث العداوة وقد قال الحسن لا تشتر عداوة
رجل بمودة الف رجل وعلى الجملة فلا باعث على المماراة الا اظهار التميز بزيادة العقل والفضل
واحتقار المردود عليه باظهار جهله وهذا يشتمل على التكبر والاحتقار والايذاء والشتم بالحمق
والجهل ولا معنى للمعاداة الا هذا فكيف يضامه الاخوة والمصافاة وقد روى ابن عباس عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال لا تمار اخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه وقال عليه السلام انكم
لا تسعون الناس باموالكم ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق والمماراة مضادة
لحسن الخلق وقد انتهى السلف في الحذر عن المماراة الى حد لم يروا السؤال ايضا وقالوا اذا قلت
لاخيك قم فقال الى اين فلا تصحبه بل قالوا ان يقوم ولا يسال وقال ابو سليمان الداراني
كان لي اخ بالعراق فكنت اجيئه في النوائب فاقول اعطني من مالك شيئا فكان يلقي الي كيسه
فاخذ منه ما اريد فجئته ذات يوم فقلت احتاج الى شيء فقال كم تريد فخرجت حلاوة اخائه من
قلبي وقال اخر اذا طلبت من اخيك مالا فقال ما تصنع به فقد ترك حق الاخاء ثم اعلم ان قوام
الاخوة بالموافقة في الكلام والفعال والشفقة وقال ابو عثمان الحيري موافقة الاخوان
خير من الشفقة عليهم وكما قلنا هو الحق الرابع على اللسان بالنطق فان الاخوة كما تقتضي
السكوت عن المكاره فتقتضي النطق ايضا بالمحاب بل هو اخص بالاخوة لان من قنع بالسكوت صحب
اهل القبور وانما يراد الاخوان ليستفاد منهم لا ليتخلص عن اذاهم والسكوت معناه كف
الاذى فعليه ان يتودد اليه بلسانه ويتفقده في احواله التي يحب ان يتفقد فيها كالسؤال
عن عارض ان عرض له واظهار شغل القلب بسببه واستبطاء العافية عنه وكذا جملة احواله
التي يكرهها فينبغي ان يظهر بلسانه وافعاله كراهتها وجملة احواله التي يسر بها فينبغي ان
يظهر بلسانه مشاركته له في السرور بها فمعنى الاخوة المساهمة في السراء والضراء وقد قال عليه السلام
اذا احب احدكم اخاه فليخبره وانما امر بالاخبار لان ذلك يوجب زيادة حب فانه ان عرف انك تحبه
احبك بالطبع لا محالة فاذا عرفت انه ايضا يحبك زاد حبك لا محالة فلا يزال الحب يتزايد من الجانبين
ويتضاعف والتحاب بين المؤمنين مطلوب في الشرع ومحبوب في الدين ولذلك علم فيه الطريق
فقال عليه السلام تهادوا تحابوا ومن ذلك ان يدعوه باحب اسمائه اليه في غيبته وحضوره
قال عمر رض ثلاث يصفين لك ود اخيك ان تسلم عليه اذا لقيته وان توسع له في
المجلس وتدعوه باحب اسمائه اليه ومن ذلك ان تثني عليه بما تعرف من محاسن احواله
عند من يؤثر هو الثناء عنده فان ذلك من اعظم الاسباب في جلب المحبة وكذلك الثناء
على اولاده واهله وصنعته وفعله حتى على عقله وخلقه وهيئته وخطه وشعره وتصنيفه
وجميع ما يفرح به وذلك من غير كذب وافراط ولكن تحسين ما يقبل التحسين لا بد منه
واكد من ذلك ان تبلغه ثناء من اثنى عليه مع اظهار الفرح به فان اخفاء ذلك محض الحسد

ومن ذلك ان تشكره على صنيعه في حقك بل على نيته وان لم يتم قال علي رضي الله عنه
من لم يحمد اخاه على حسن النية لم يحمده على حسن الصنيعة واعظم من ذلك تاثيرا في جلب المحبة
الذب عنه في غيبته مهما قصد بسوء وتعرض لعرضه بكلام صريح او تعريض فحق الاخوة التشمر في
الحماية والنصرة وتبكيت المتعنت وتغليظ القول عليه فالسكوت عن ذلك موغر للصدور ومنفر
للقلب وتقصير في حق الاخوة وانما شبه رسول الله اليدين بالاخوين تغسل احدهما الاخرى
لينصر احدهما الاخر وينوب عنه وقد قال صلى الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله
ولا يشتمه وهذا من الاسلام والخذلان فان اهماله لتمزيق عرضه كاهماله لتمزيق لحمه فاخس
باخ يراك والكلاب تفترسك وتمزق لحومك وهو ساكت لا تحركه الشفقة والحمية للدفع عنك و
تمزيق الاعراض اشد على النفوس من تمزيق اللحوم ولذلك شبهه الله تعالى باكل لحم الميتة فقال
تعالى ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا والملك الذي يمثل في المنام ما تطالعه الروح من اللوح
المحفوظ بالامثلة المحسوسة يمثل الغيبة باكل لحم الميت حتى ان من يرى انه ياكل لحم ميتة فانه
يغتاب الناس لان ذلك الملك في تمثيله يراعي المشاركة والمناسبة بين الشيء وبين مثاله في
المعنى الذي يجري من المثال مجرى الروح لا في ظاهر الصورة فاذن حماية الاخوة بدفع ذم الاعداء
وتعنت المتعنتين واجب في حق الاخوة قال مجاهد لا تذكر اخاك في غيبته الا كما تحب ان
يذكرك فاذن لك فيه معياران احدهما ان تقدر ان الذي قيل فيه لو قيل فيك وكان اخوك حاضرا
ما الذي كنت تحب ان يقوله اخوك فيك فينبغي ان تعامل المتعرض لعرضه بذلك الثاني ان تقدر
انه حاضر من وراء جدار يسمع عليك ويظن انك لا تعرف حضوره فما كان يتحرك في قلبك من
النصر له بسمع منه ومراه فينبغي ان يكون في مغيبه كذلك قال بعضهم ما ذكر اخ لي بغيب الا
تصورته جالسا فقلت فيه ما يحب ان يسمعه لو حضر وقال اخر ما ذكر اخ لي الا تصورت
نفسي في صورته فقلت فيه مثل ما احب ان يقال في وهو من صدق الاسلام وهو ان لا يرى لاخيه
الا ما يراه لنفسه وقد نظر ابو الدرداء الى ثورين يحرثان في فدان فوقف احدهما يحك جسمه فوقف
الاخر فبكى وقال هكذا الاخوان في الله يعملان لله فاذا وقف احدهما وافقه الاخر وبالموافقة يتم الاخلاص
ومن لم يكن مخلصا في اخائه فهو منافق والاخلاص استواء الغيب والشهادة واللسان والقلب
والسر والعلانية والجماعة والخلوة والاختلاف والتفاوت في شيء من ذلك مماذقة في المودة وهو دخل
في الدين ووليجة في طريق المؤمنين ومن لا يقدر من نفسه على هذا فالانقطاع والعزلة اولى به
من المواخاة والمصاحبة فان حق الصحبة ثقيل لا يطيقه الا محقق لا جرم اجره جزيل لا يناله الا
كل موفق ولذلك قال عليه الصلاة والسلام احسن مجاورة من جاورك تكن مسلما واحسن مصاحبة
من صاحبك تكن مؤمنا فانظر كيف جعل الايمان جزاء الصحبة والاسلام جزاء الجوار والفرق بين
فضل الايمان والاسلام على حد الفرق بين المشقة في القيام بحق الجوار والقيام بحق الصحبة فان
الصحبة تقتضي حقوقا كثيرة في احوال متقاربة مترادفة بل على الدوام والجوار لا يقتضي الا حقوقا
قريبة في اوقات متباعدة لا تدوم ومن ذلك التعليم والنصيحة فليس حاجة اخيك الى العلم باقل
من حاجته الى المال فان كنت غنيا بالعلم فعليك مواساته من فضلك وارشاده الى كل ما ينفعه
في الدين والدنيا فان علمته وارشدته فلم يعمل بمقتضى العلم فعليك نصحه وذلك بان تذكر آفات
ذلك الفعل وفوائد تركه وتخوفه بما يكرهه في الدنيا والاخرة لينزجر عنه وتنبهه على عيوبه وتقبح
القبيح في عينه وتحسن الحسن ولكن ينبغي ان يكون ذلك في سر لا يطلع عليه احد فما كان على الملا فهو
توبيخ وفضيحة وما كان في السر فهو شفقة ونصيحة اذ قال صلى الله عليه وسلم النصح بين الملا تقريع

وقال

وقال عليه الصلاة والسلام المؤمن مرآة اخيه اي يرى منه ما لا يرى من نفسه فيستفيد
المرء باخيه معرفة عيوب نفسه ولو انفرد لم يستفد كما يستفيد بالمرآة الوقوف على عيوب
صورته الظاهرة وقيل لمسعر اتحب من يخبرك بعيوبك قال ان نصحني فيما بيني وبينه
فنعم وان قرعني في الملا فلا وقد صدق فان النصح على الملا افضاح والله تعالى يعاتب المؤمن
يوم القيامة تحت كنفه وفي ظل ستره فيوقفه على ذنوبه سرا وقد يرفع كتاب عمله مختوما
الى الملائكة الذين يحفون به الى الجنة فاذا قاربوا باب الجنة اعطوه الكتاب مختوما ليقراه
واما اهل المقت فينادون على رؤس الاشهاد ويستنطق جوارحهم بفضائحهم فيزدادون
بذلك خزيا وافتضاحا ونعوذ بالله من الخزي يوم العرض الاكبر فالفرق بين التوبيخ و
الفضيحة بالاسرار والاعلان كما ان الفرق بين المداراة والمداهنة بالغرض الباعث على
الاغضاء فان اغضيت لسلامة دينك ولما ترى فيه من اصلاح اخيك بالاغضاء فانت مدار
وان اغضيت لحظ نفسك واجتلاب شهواتك وسلامة جاهك فانت مداهن وقال
ذو النون لا تصحب مع الله الا بالموافقة ولا مع الخلق الا بالمناصحة ولا مع النفس الا بالمخالفة ولا مع
الشيطان الا بالعداوة فان قلت فاذا كان في النصح ذكر العيوب ففيه ايحاش القلب فكيف
يكون ذلك من حق الاخوة فاعلم ان الايحاش انما يحصل بذكر عيب يعلمه اخوك من نفسه فاما
تنبيهه على ما لا يعلمه فهو عين الشفقة وهو استمالة القلوب اعني قلوب العقلاء واما الحمقا
فلا تلتفت اليهم فان من ينبهك على فعل مذموم تعاطيته او صفة مذمومة اتصفت بها لتزكي
نفسك عنها كان كمن ينبهك على حية او عقرب تحت ذيلك وقد همت باهلاكك فان كنت تكره
ذلك فما اشد حمقك والصفات المذمومة حيات وعقارب وهي في الاخرة مهلكات فانها
تلدغ القلوب والارواح والمها اشد مما يلدغ الظواهر والاجساد وهي مخلوقة من نار الله الموقدة
التي تطلع على الافئدة ولذلك كان عمر رضي الله عنه يستهدي ذلك من اخوانه ويقول رحم الله امرا اهدى
الى اخيه عيوبه ولذلك قال عمر لسلمان وقد قدم عليه ما الذي بلغك عني مما تكرهه فاستعفى فالح
عليه فالح عليه فقال بلغني ان لك حلتين تلبس احداهما بالنهار والاخرى بالليل وانك جمعت
بين ادامين على مائدة واحدة فقال عمر اما هذا فقد كفيتهما فهل بلغك غيرهما قال لا وكتب
حذيفة المرعشي الى يوسف بن اسباط بلغني انك بعت دينك بحبتين وقفت على صاحب لبن
فقلت بكم هذا فقال بسدس فقلت لا بثمن فقال هو لك وكان يعرفك اكشف عن راسك
قناع الغافلين وانتبه من رقدة الموتى واعلم ان من قرا القران ولم يستغن واثر الدنيا لم
آمن ان يكون بآيات الله من المستهزئين وقد وصف الله تعالى الكاذبين ببغضهم للناصحين
اذ قال تعالى ولكن لا تحبون الناصحين وهذا في عيب هو غافل عنه فاما ما علمت انه يعلمه من
نفسه فانما هو مقهور عليه من طبعه فلا ينبغي ان تكشف فيه ستره ان كان يخفيه وان كان يظهره
فلا بد من التلطف في النصح بالتعريض مرة والتصريح اخرى الى حد لا يؤدي الى الايحاش فان
علمت ان النصح غير مؤثر فيه وانه مضطر من طبعه الى الاصرار عليه فالسكوت عنه اولى وهذا كله فيما
يتعلق بمصالح اخيك في دينه او دنياه اما ما يتعلق بتقصيره في حقك فالواجب فيه الاحتمال
والعفو والصفح والتعامي عنه فالتعرض لذلك ليس من النصح في شيء نعم ان كان بحيث يؤدي
استمراره عليه الى القطيعة فالعتاب في السر خير من القطيعة والتعريض به خير من التصريح
والمكاتبة خير من المشافهة والاحتمال خير من الكل اذ ينبغي ان يكون قصدك من اخيك
صلاح نفسك بمراعاتك اياه وقيامك بحقه واحتمالك تقصيره لا الاستعانة به والاسترفاق
منه قال ابو بكر الكتاني صحبني رجل فكان على قلبي ثقيلا فوهبت له يوما شيئا على

ان يزول عني ما في قلبي فلم يزل فأخذت بيده يوماً الى البيت وقلت ضع رجلك على خدي
فأبى فقلت له لا بد ففعل فزال عني ذلك وقال ابو علي الرباطي صحبت عبد الله الرازي
وكان يدخل البادية فقال على ان تكون انت الامير او انا فقلت بل انت فقال وعليك الطاعة
قلت نعم فأخذ مخلاة ووضع فيها الزاد وحملها على ظهره فاذا قلت له اعطني قال الست قلت
انت الامير فعليك الطاعة فأخذنا المطر ليلة فوقف على رأسي الى الصباح وعليه كساء وانا
جالس يمنع عني المطر فكنت اقول مع نفسي ليتني مت ولم اقل انت الامير الحق الخامس
العفو عن الزلات والهفوات وهفوة الصديق لا تخلو اما ان يكون في دينه بارتكاب معصية
او في حقك بتقصيره في الاخوة اما ما يكون في الدين من ارتكاب معصية والاصرار عليها فعليك
التلطف في نصحه بما يقوم اوده ويجمع شمله ويعيد الى الصلاح والورع حاله فان لم تقدر
وبقي مصراً فقد اختلفت طرق الصحابة والتابعين في ادامة حق مودته او مقاطعته فذهب
ابو ذر الى الانقطاع وقال اذا انقلب اخوك عما كان عليه فابغضه من حيث احببته ورأى ذلك
من مقتضى الحب في الله والبغض في الله واما ابو الدرداء وجماعة من الصحابة فذهبوا الى خلافه
فقال ابو الدرداء اذا تغير اخوك عما كان عليه فلا تدعه لاجل ذلك فان اخاك يعوج مرة ويستقيم
اخرى وقال ابراهيم النخعي لا تقطع اخاك ولا تهجره عند الذنب يذنبه فانه يركبه اليوم ويتركه
غداً وقال لا تحدثوا الناس بزلة العالم فان العالم يزل الزلة ثم يتركها وفي الخبر اتقوا
زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئته وفي حديث عمر وقد سأل عن اخ كان آخاه فخرج
الى الشام فسأل عنه بعض من قدم عليه وقال ما فعل اخي فقال ذلك اخو الشيطان قال مه قال
انه قارف الكبائر حتى وقع في الخمر قال اذا اردت الخروج فآذني فكتب اليه يقول
بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد
العقاب ثم عاتبه تحت ذلك وعذله فلما قرأ الكتاب بكى فقال صدق الله ونصح لي عمر فتاب
ورجع وحكي ان اخوين ابتلي احدهما بهوى فاظهر عليه اخاه وقال اني اعتللت فان
شئت ان لا تعقد على صحبتي لله فافعل فقال ما كنت لاحل عقد اخوتك لاجل خطيئتك ابداً ثم عقد
عقد اخوه بينه وبين الله تعالى ان لا يأكل ولا يشرب حتى يعافي الله اخاه من هواه فطوى
اربعين يوماً في كلها يسأله عن هواه فكان يقول القلب مقيم على حاله وما زال هو ينحل
من الغم والجوع حتى زال الهوى عن قلب اخيه بعد الاربعين فاخبره بذلك فاكل وشرب بعد
ان كاد يتلف هزلاً وضراً وكذلك حكي عن اخوين من السلف انقلب احدهما عن الاستقامة
فقيل لاخيه الا تقطعه وتهجره فقال احوج ما كان الي في هذا الوقت لما وقع في عثرته ان آخذ بيده
واتلطف له في المعاتبة وادعو له بالعود الى ما كان عليه وروي في الاسرائيليات ان اخوين عابدين
في جبل نزل احدهما ليشتري من المصر لحماً بدرهم فرأى بغية عند اللحام فرمقها فعشقها
فواقعها ثم اقام عندها ثلاثاً واستحيا ان يرجع الى اخيه حياء من جنايته قال فافتقده اخوه واهتم
بشأنه فنزل الى المدينة فلم يزل يسأل عنه حتى دل عليه فدخل عليه وهو جالس معها فاعتنقه
وجعل يقبله ويلتزمه وانكر الآخر انه يعرفه قط لفرط استحيائه منه فقال قم يا اخي فقد
علمت شأنك وقصتك وما كنت قط احب الي ولا اعز عندي من ساعتك هذه فلما رأى
ان ذلك لم يسقطه من عينه قام وانصرف معه فهذه طريقة قوم وهي الطف وافقه من طريقة ابي ذر
وطريقته احسن واسلم فان قلت ولم قلت هذا الطف وافقه ومقارف هذه المعصية
لا تجوز مؤاخاته ابتداء فتجب مقاطعته انتهاء لان الحكم اذا ثبت بعلة فالقياس ان يزول
بزوالها وعلة عقد الاخوة التعاون في الدين ولا يستمر ذلك مع مقارفة المعصية فاقول اما

كونه الطف فلما فيه من الرفق والاستمالة والتعطف المفضي الى الرجوع والتوبة لاستمرار الحياء
عند دوام الصحبة ومهما قوطع وانقطع طمعه عن الصحبة اصر واستمر واما كونه افقه فمن حيث ان الاخوة
عقد ينزل منزلة القرابة فاذا انعقدت تأكد الحق ووجب الوفاء بموجب العقد ومن الوفاء به ان لا يهمل
ايام حاجته وفقره وفقر الدين اشد من فقر المال وقد اصابته جائحة والمت به آفة افتقر بسببها
في دينه فينبغي ان يراقب ويراعى ولا يهمل بل لا يزال يتلطف به ليعان على الخلاص من تلك الوقعة
التي المت به فالاخوة عدة للنائبات وحوادث الزمان وهذا من اشد النوائب والفاجر اذا صحب
تقياً وهو ينظر الى خوفه ومداومته فسيرجع عن قرب ويستحيي من الاصرار بل الكسلان
يصحب الحريص في العمل فيحرص حياء منه قال جعفر بن سليمان مهما فترت في العمل نظرت الى
محمد بن واسع واقباله على الطاعة فيرجع الي نشاطي في العبادة وفارقني الكسل وعملت عليه اسبوعاً
وهذا التحقيق وهو ان الصداقة لحمة كلحمة النسب والقريب لا يجوز ان يهجر بالمعصية ولذلك
قال الله تعالى لنبيه في عشيرته فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون ولم يقل اني بريء
منكم مراعاة لحق القرابة ولحمة النسب والى هذا اشار ابو الدرداء لما قيل له الا تبغض اخاك وقد فعل
كذا فقال انما ابغض عمله والا فهو اخي واخوة الدين اوكد من اخوة القرابة ولذلك قيل لحكيم ايما
احب اليك اخوك او صديقك فقال انما احب اخي اذا كان صديقاً وكان الحسن يقول
كم من اخ لم تلده امك ولذلك قيل القرابة تحتاج الى مودة والمودة لا تحتاج الى قرابة وقال
جعفر الصادق مودة يوم صلة ومودة شهر قرابة ومودة سنة رحم ماسة من قطعها قطعه الله
فاذن الوفاء بعقد الاخوة اذا سبق انعقادها واجب وهذا جوابنا عن ابتداء المؤاخاة مع الفاسق
فانه لم يتقدم له حق فان تقدمت له قرابة فلا جرم لا ينبغي ان يقاطع بل يجامل والدليل عليه
ان ترك المؤاخاة والصحبة ابتداء ليس بمذموم ولا مكروه بل قال قائلون الانفراد اولى واما قطع الاخوة
عن دوامها فمنهي عنه ومذموم في نفسه ونسبته الى تركها ابتداء كنسبة الطلاق الى ترك النكاح
والطلاق ابغض الى الله تعالى من ترك النكاح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار عباد الله
المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاحبة وقال بعض السلف في زلات الاخوان ود الشيطان
ان يلقي على اخيكم مثل هذا حتى تهجروه وتقطعوه فماذا اتقيتم من محبة عدوكم وهذا لان التفريق
بين الاحباب من محاب الشيطان كما ان مقارفة العصيان من محابه فاذا حصل للشيطان احد غرضيه
فلا ينبغي ان يضاف اليه الثاني والى هذا اشار عليه السلام في الذي شتم الرجل الذي اتى فاحشة
اذ قال مه وزبره لا تكونوا عونا للشيطان على اخيكم فبهذا كله تبين الفرق بين الدوام والابتداء
لان مخالطة الفساق محذورة ومفارقة الاحباب والاخوان ايضا محذورة وليس من سلم عن معارضة
غيره كالذي لم يسلم وفي الابتداء قد سلم فرأينا ان المهاجرة والتباعد هو الاولى وفي الدوام
تعارضا فكان الوفاء بحق الاخوة اولى هذا كله في زلته في دينه اما زلته في حقه بما يوجب ايحاشه
فلا خلاف في ان الاولى العفو والاحتمال بل كل ما يحتمل تنزيله على وجه حسن ويتصور تمهيد
عذر فيه قريب او بعيد فهو واجب بحق الاخوة فقد قيل ينبغي ان تستنبط لزلة اخيك سبعين
عذراً فان لم يقبله قلبك فقل لقلبك ما اقساك يعتذر اليك اخوك سبعين عذراً فلا تقبله
فانت المعيب لا اخوك فان ظهر بحيث لم يقبل التحسين فينبغي ان لا تغضب ان قدرت ولكن
ذلك لا يمكن وقد قال الشافعي من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو
شيطان فلا تكن حماراً ولا شيطاناً واسترض قلبك بنفسك نيابة عن اخيك واحترز ان تكون
شيطاناً ان لم تقبل قال الاحنف حق الصديق ان تحتمل منه ثلاثاً ظلم الغضب وظلم
الدالة وظلم الهفوة وقال آخر ما شتمت احداً قط لانه ان شتمني كريم فانا احق من غفرها له
او لئيم فلا اجعل عرضي له غرضاً ثم تمثل وقال شعر

واغفر عوراء الكريم ادخاره • واعرض عن شتم الكريم تكرما • وقد قيل
خذ من خليلك ما صفا ودع الذي فيه الكدر • فالعمر اقصر من معاتبة الخليل على الغير •
قال ومهما اعتذر اليك اخوك صادقا كان او كاذبا فاقبل عذره وقال عليه الصلاة والسلام
من اعتذر اليه اخوه فلم يقبل عذره فعليه مثل اثم صاحب مكس وقد قال عليه السلام المؤمن سريع
الغضب سريع الرضا فلم يصفه بانه لا يغضب وكذلك قال الله تعالى والكاظمين الغيظ ولم يقل
والفاقدين الغيظ وهذا لان العادة لا تنتهي الى ان يجرح الانسان فلا يتألم بل تنتهي الى ان يصبر
عليه ويحتمل فكما ان التألم بالجرح مقتضى طبع البدن فالتألم باسباب الغضب طبع القلب لا
يمكن قلعه ولكن يمكن ضبطه وكظمه والعمل بخلافه فانه يقتضي التشفي والانتقام و
المكافاة وترك العمل بمقتضاه ممكن وقد قال الشاعر

• ولست بمستبق اخا لا تلمه • على شعث اي الرجال المهذب

وقال ابو سليمان الداراني لاحمد بن ابي الحواري اذا اصحبت اخا في هذا الزمان فلا
تعاتبه على ما تكرهه فانك لا تامن ان ترى في جوابك ما هو شر من الاول قال فجربته فوجدته
كذلك قال بعضهم الصبر على مضض الاخ خير من معاتبته والمعاتبة خير من القطيعة
والقطيعة خير من الوقيعة قال الله تعالى عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم
مودة وقال عليه السلام احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك
هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما وقال عمر رضي الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا
وهو ان تحب تلف صاحبك مع هلاكك الحق السادس الدعاء للاخ في حياته وبعد مماته
بكل ما يحبه لنفسه ولاهله وكل متعلق به فتدعو له كما تدعو لنفسك على التحقيق فقد قال
صلى الله عليه وسلم اذا دعا الرجل لاخيه بظهر الغيب قال الملك ولك بمثل ذلك وفي لفظ آخر يقول الله تعالى
بك ابدأ يا عبدي وفي الحديث دعوة الاخ لاخيه في الغيب لا ترد وكان ابو الدرداء يقول اني لادعو
لسبعين من اخواني في سجودي اسميهم باسمائهم وكان محمد بن يوسف الاصفهاني يقول واين
مثل الاخ الصالح اهلك يقتسمون ميراثك ويتنعمون بما خلفت وهو منفرد بحزنك مهتم بما
قدمت وما صرت اليه يدعو لك في ظلمة الليل وانت تحت اطباق الثرى وكان الاخ الصالح يقتدي بالملائكة
اذ جاء في الخبر اذا مات العبد قال الناس ما خلف وقالت الملائكة ما قدم يفرحون له بما قدم ويسألون
عنه ويشفقون عليه وقيل من بلغه موت اخيه فترحم عليه واستغفر له كتب له كانه شهد جنازته
وصلى عليه وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مثل الميت في قبره مثل الغريق يتعلق بكل شيء
ينتظر دعوة من والد او ولد او اخ او قريب وانه ليدخل على قبور الاموات من دعاء الاحياء من الانوار
مثل الجبال وقال بعض السلف الدعاء للاموات بمنزلة الهدايا للاحياء فيدخل الملك على الميت
معه طبق من نور عليه منديل من نور فيقول هذه هدية لك من عند اخيك فلان من عند قريبك
فلان قال فيفرح بذلك كما يفرح الحي بالهدية الحق السابع الوفاء والاخلاص ومعنى الوفاء الثبات
على الحب وادامته الى الموت معه وبعد الموت مع اولاده واصدقائه فان الحب انما يراد للآخرة فان انقطع
قبل الموت حبط العمل وضاع السعي ولذلك قال عليه السلام في السبعة الذين يظلهم الله في ظل
عرشه اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه قال بعضهم قليل الوفاء بعد الوفاة خير من كثيره في حال الحياة
ولذلك روى انه صلى الله عليه وسلم اكرم عجوزا دخلت عليه فقيل له في ذلك فقال انها كانت تأتينا
ايام خديجة وان كرم العهد من الايمان فمن الوفاء مراعاة جميع اصدقائه واقاربه والمتعلقين به ومراعاتهم
اوقع في قلب الصديق من مراعاة الاخ في نفسه فان فرحه بتفقد من يتعلق به اكثر اذ لا يدل على
قوة الشفقة والحب الا تعديهما من المحبوب الى كل من يتعلق به حتى الكلب الذي على بابه ينبغي ان يميز
في القلب عن سائر الكلاب ومهما انقطع الوفاء بدوام المحبة شمت به الشيطان فانه لا يحسد متعاونين
على بر كما يحسد متواخيين في الله تعالى متحابين فيه فانه يجهد نفسه لافساد ما بينهما قال الله
تعالى وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن ان الشيطان ينزغ بينهم وقال تعالى مخبرا عن يوسف
عليه السلام من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ويقال ما تواخى اثنان في الله
فيفرق بينهما الا بذنب يرتكبه احدهما وكان بشر رحمه الله يقول اذا قصر العبد في طاعة
الله سلبه الله تعالى من كان يؤنسه وذلك لان مجالسة الاخوان مسلاة للهموم وعون على
الدين ولذلك قال ابن المبارك لذ الاشياء مجالسة الاخوان والانقلاب الى الكفاية والمودة
الدائمة هي التي تكون في الله وما يكون لغرض يزول بزوال ذلك الغرض ومن ثمرات المودة في
الله ان لا يكون مع حسد في دين ودنيا وكيف يحسده وكل ما لاخيه اليه فاليه يرجع فائدته
وبه وصف الله تعالى المحبين في الله فقال ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون
على انفسهم ووجود الحاجة هو الحسد ومن الوفاء ان لا يتغير حاله في التواضع مع اخيه وان
ارتفع شانه واتسعت ولايته وعظم جاهه فالترفع على الاخوان بما يتجدد من الاحوال
لؤم قال الشاعر ان الكرام اذا ما اسهلوا ذكروا من كان يألفهم في المنزل الخشن
واوصى بعض السلف ابنه فقال يا بني لا تصحب من الناس الا من ان افتقرت اليه قرب
منك وان استغنيت عنه لم يطمع فيك وان علت مرتبته لم يرتفع عليك وقال بعض
الحكماء اذا ولي اخوك ولاية فثبت على نصف مودته فهو كثير وروى الربيع ان الشافعي آخى
رجلا ببغداد ثم ان اخاه ولي السيبين فتغير له عما كان عليه فكتب الشافعي اليه بهذه
الابيات شعر

• اذهب فودك من فؤادي طالق • ابدا وليس طلاق ذات البين •
• فان ارعويت فانها تطليقة • ويدوم ودك لي على ثنتين •
• وان امتنعت شفعتها بمثالها • فيكون تطليقين في حيضين •
• فاذا الثلاث اتتك مني بتة • لم تغن عنك ولاية السيبين •

واعلم انه ليس من الوفاء موافقة الاخ فيما يخالف الحق في امر يتعلق بالدين بل من الوفاء له المخالفة
فقد كان الشافعي آخى محمد بن عبد الحكم وكان يقربه ويقبل عليه ويقول ما يقيمني بمصر غيره
فاعتل محمد فعاده الشافعي فقال

• مرض الحبيب فعدته • فمرضت من حذري عليه •
• واتى الحبيب يعودني • فبرئت من نظري اليه •

وظن الناس لصدق مودتهما انه يفوض امر حلقته اليه بعد وفاته فقيل للشافعي في علته التي
مات فيها الى من نجلس بعدك يا ابا عبد الله فاستشرف له محمد بن عبد الحكم وهو عند رأسه ليومي
اليه فقال الشافعي سبحان الله ايشك في هذا ابو يعقوب البويطي فانكسر لها محمد ومال اصحابه
الى البويطي مع ان محمدا قد حمل عنه مذهبه كله لكن كان البويطي افضل واقرب الى
الزهد والورع فنصح الشافعي لله وللمسلمين وترك المداهنة ولم يؤثر رضاء الخلق على رضا
الله تعالى فلما توفي انقلب محمد بن عبد الحكم عن مذهبه ورجع الى مذهب ابيه ودرس كتب مالك
وهو من كبار اصحاب مالك وآثر البويطي الزهد والخمول ولم يعجبه الجمع والجلوس في الحلقة
واشتغل بالعبادة وصنف كتاب الام الذي ينسب الآن الى الربيع بن سليمان ويعرف به وانما
صنفه البويطي ولكن لم يذكر نفسه فيه ولم ينسبه اليه فزاد الربيع فيه وتصرف واظهره
والمقصود ان الوفاء بالمحبة من تمامها قال الاحنف الاخاء جوهرة رقيقة ان لم تحرسها
كانت معرضة للآفات فاحرسها بالكظم حتى تعتذر الى من ظلمك وبالرضا حتى لا تستكثر

من يتسلك الفضل في الدين احتمال التقصير ومن آثار الصدق والإخلاص وتمام الوفاء أن يكون شديد الجزع
من المفارقة نفور الطبع عن أسبابها كما قال الشاعر

وجدت مصيبات الزمان جميعها * سوى فرقة الأحباب هينة الخطب *

وأنشد ابن عيينة هذا البيت وقال لقد عهدت أقواما فارقتهم منذ ثلاثين سنة ما يخيل إلي
أن حسرتهم ذهبت من قلبي ومن الوفاء أن لا يسمع بلاغات الناس على صديقه لا سيما من يظهر أولا أنه محب
لصديقه كي لا يتهم ثم يلقي الكلام عرضا وينقل عن الصديق ما يوغر القلب فذلك من دقائق الحيل في التضريب
ومن لا يحترز منه لم تدم مودته أصلا قال واحد لحكيم قد جئتك خاطبا لمودتك قال إن جعلت
مهرها ثلاثا فعلت لا تسمع علي بلاغة ولا تخالفني في أمر ولا توطئني عشوة ومن الوفاء أن لا
يصادق عدو صديقه قال الشافعي إذا أطاع صديقك عدوك فقد اشتركا في عداوتك

الحق الثامن التخفيف وترك التكلف والتكليف وذلك بأن لا يكلف أخاه ما يشق عليه بل يروح
سره عن مهماته وحاجاته ويرفهه عن أن يحمله شيئا من أعبائه ولا يستمد منه من جاه ولا مال ولا
يكلفه التواضع له والتفقد لأحواله والقيام بحقوقه بل لا يقصد بمحبته إلا الله تعالى تبركا بدعائه
واستيناسا بلقائه واستعانة على دينه وتقربا إلى الله بالقيام بحقوقه وتحمل مؤنته قال بعضهم من
اقتضى من إخوانه ما لا يقتضونه فقد ظلمهم ومن اقتضى منهم مثل ما يقتضونه فقد أتعبهم ومن لم
يقتض فهو المتفضل عليهم وقال بعض الحكماء من جعل نفسه عند الإخوان فوق قدره أثم وأثموا
ومن جعل نفسه في قدره تعب وأتعبهم ومن جعلها دون قدره سلم وسلموا وتمام التخفيف
بطي بساط التكلف حتى لا يستحي منه فيما لا يستحي من نفسه قال الجنيد رحمه الله تعالى ما تواخى اثنان في الله
فاستوحش أحدهما من صاحبه أو احتشم إلا لعلة في أحدهما وقال علي رضي الله عنه شر الأصدقاء
من تكلف لك ومن أحوجك إلى مداراة وقال علي رضي الله عنه إنما تقاطع الناس بالتكلف يزور
أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه ذلك عنه وقالت عائشة المؤمن أخو المؤمن لا يغتنمه ولا يحتشمه
وقال الجنيد رحمه الله صحبت أربع طبقات من هذه الطائفة كل طبقة ثلاثون رجلا حارث
المحاسبي وطبقته وحسن المسوحي وطبقته وسري السقطي وطبقته وابن الكريني وطبقته
وقيل لبعضهم من نصحب قال من يرفع عنك ثقل التكلف ويسقط بينك وبينه مؤنة التحفظ
وكان جعفر بن محمد يقول أثقل إخواني علي من يتكلف لي وأتحفظ منه وأخفهم على قلبي من أكون معه
كما أكون وحدي وقال بعض الصوفية لا تعاشر من الناس إلا من لا تزيد عنده ببر ولا تنقص عنده بإثم
يكون ذلك لك وعليك وأنت عنده سواء وإنما قال هذا لأن به يتخلص من التكلف والتحفظ
وإلا فالطبع يحمله على أن يتحفظ منه إذا علم أن ذلك ينقصه عنده وقال بعضهم كن مع أبناء
الدنيا بالأدب ومع أبناء الآخرة بالعلم ومع العارفين كيف شئت وقال آخر لا تصحب إلا من
يتوب عنك إذا أذنبت ويعتذر إليك إذا أسأت ويحمل عنك مؤنة نفسك ويكفيك مؤنة نفسه
وقائل هذا قد ضيق طريق الأخوة على الناس وليس الأمر كذلك بل ينبغي أن يواخي كل متدين عاقل
ويعزم على أن يقوم بهذه الشروط ولا يكلف هذه الشروط حتى يكثر إخوانه إذ به يكون مواخيا
في الله وإلا كانت مواخاته لحظوظ نفسه فقط ولذلك قال رجل للجنيد قد عز الإخوان في هذا
الزمان أين أخ لي في الله فأعرض الجنيد حتى أعاده ثلاثا فلما أكثر قال له الجنيد إن أردت أخا يكفيك
مؤنتك ويتحمل أذاك فهذا لعمري قليل وإن أردت أخا في الله تحمل أنت مؤنته وتصبر على أذاه فعندي
جماعة أعرفهم لك فسكت الرجل واعلم أن الناس ثلاثة رجل تنتفع بصحبته ورجل تقدر أن
تنفعه ولا تتضرر به ولكن لا تنتفع به ورجل لا تقدر أيضا أن تنفعه وهو الأحمق أو السيء الخلق
فهذا الثالث ينبغي أن تجتنبه وأما الثاني فلا تجتنبه فإنك تنتفع في الآخرة بشفاعته وبدعائه

وبثوابك على القيام به وقد أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام إن أطعتني فما أكثر
إخوانك أي إن واسيتهم واحتملت منهم ولم تحسدهم وقد قال بعضهم صحبت الناس
خمسين سنة فما وقع بيني وبينهم خلاف لأني كنت معهم على نفسي ومن هذه شيمته كثرت
إخوانه ومن التخفيف وترك التكلف أن لا يعترض في نوافل العبادات كان طائفة من الصوفية
يصطحبون على شرط المساواة بين أربعة معان إن أكل أحدهم النهار كله لم يقل له صاحبه صم
فإن صام الدهر كله لم يقل له أفطر وإن نام الليل كله لم يقل له قم وإن صلى الليل كله لم
يقل له نم ويستوي حالاته عنده بلا مزيد ولا نقصان لأن ذلك إن تفاوت حرك الطبع إلى
الرياء والتحفظ لا محالة وقد قيل من سقطت كلفته دامت ألفته ومن خفت مؤنته دامت
مودته وقال بعض الصحابة إن الله تعالى لعن المتكلفين وقال النبي صلى الله عليه وسلم
أنا والأتقياء من أمتي برآء من التكلف وقال بعضهم إذا عمل الرجل في بيت أخيه أربع خصال فقد
تم أنسه به إذا أكل عنده ودخل الخلاء ونام وصلى فذكر ذلك لبعض المشايخ فقال بقيت خامسة
وهو أن يحضر مع أهله في بيت أخيه ويجامعها لأن البيت يتخذ للاستخفاء في هذه الأمور الخمس
وإلا فالمساجد أروح لقلوب المتعبدين فإذا فعل هذه الخمس فقد تم الإخاء وارتفعت الحشمة
وتأكد الانبساط وقول العرب في تسليمهم يشير إلى ذلك إذ يقول أحدهم لصاحبه مرحبا وأهلا
وسهلا أي لك عندنا مرحب وهو السعة في القلب والمكان ولك عندنا أهل تأنس بهم بلا وحشة
منا ولك عندنا سهولة في ذلك كله أي لا يشتد علينا شيء مما تريد ولا يتم التخفيف وترك التكلف إلا
بأن يرى نفسه دون إخوانه ويحسن الظن بهم ويسيء الظن بنفسه فإذا رآهم خيرا من نفسه
فعند ذلك يكون هو خيرا منهم قال أبو معاوية الأسود إخواني كلهم خير مني وقد قال
النبي صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله ولا خير في صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له فهذه
من أقل الدرجات وهو النظر بعين المساواة والكمال في رؤية الفضل للأخ ولذلك قال
سفيان إذا قيل لك يا شر الناس فغضبت فأنت شر الناس أي ينبغي أن تكون معتقدا ذلك
في نفسك أبدا وسيأتي وجه ذلك في كتاب العجب والكبر وقد قيل في معنى التواضع ورؤية الفضل
للإخوان

تذلل لمن إن تذللت له * يرى ذاك للفضل لا للبله *
وجانب صداقة من لا يزال * على الأصدقاء يرى الفضل له *

وقال آخر

كم صديق عرفته بصديق * صار أحظى من الصديق العتيق *
ورفيق رأيته في طريق * صار عندي هو الصديق الحقيقي *

ومهما رأى الفضل لنفسه فقد احتقر أخاه وهذا في عموم المسلمين مذموم قال عليه الصلاة والسلام
بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ومن تتمة الانبساط وترك التكلف أن يشاور إخوانه في
كل ما يقصده ويقبل إشاراتهم فقد قال الله تعالى وشاورهم في الأمر ولا ينبغي أن يخفي عنهم شيئا
من أسراره كما روي عن يعقوب ابن أخي معروف قال جاء الأسود بن سالم إلى عمي معروف وكان
مواخيا له فقال إن بشر بن الحرث يحب مواخاتك وهو يستحي أن يشافهك بذلك وقد أرسلني
إليك يسألك أن تعقد له فيما بينك وبينه أخوة تحتسبها وتعتد بها إلا أنه يشترط فيها شروطا لا يحب أن
يشتهر بذلك ولا يكون بينك وبينه مزاورة ولا ملاقاة فإنه يكره كثرة الالتقاء فقال معروف
أما أنا لو آخيت أحدا لم أحب مفارقته ليلا ولا نهارا ولزرته في كل وقت ولآثرته على نفسي في
كل حال ثم ذكر من فضل الأخوة والحب في الله أحاديث كثيرة ثم قال فيها وقد آخى رسول الله
عليا فشاركه في العلم وقاسمه البدن وأنكحه أفضل بناته وأحبهن إليه وخصه بذلك لمواخاته

وان اشهدك انى عقدت له الاخوة بينى وبينه وعقدت اخاءه فى الله تعالى لرسالتك ولمسألته
على ان لا يزورنى ان اكره ذلك ولكنى ازوره متى احببت وامره ان يلقانى فى مواضع نلتقى فيها وامره
ان لا يخفى عنى شيئا من شانه وان يطلعنى على جميع احواله فاخبر سالم بشرا بذلك فرضى وسر به
فهذا جامع حقوق الصحبة وقد اجملناه مرة وفصلناه اخرى ولا يتم ذلك الا بان تكون على
نفسك للاخوان ولا تكون لنفسك عليهم وان تنزل نفسك منزلة الخادم لهم فتقيد بحقوقهم
جميع جوارحك اما البصر فبان تنظر اليهم نظر مودة يعرفونها وتنظر الى محاسنهم وتتعامى
عن عيوبهم ولا تصرف بصرك عنهم فى وقت اقبالهم عليك وكلامهم معك روى ان النبى صلى الله عليه وسلم
كان يعطى كل من جلس اليه نصيبه من وجهه وما استصغاه احد الا ظن انه اكرم الناس عليه
حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف مسألته وتوجهه للجالس اليه وكان مجلسه مجلس
حياء وتواضع وامانة وكان عليه الصلاة والسلام اكثر الناس تبسما وضحكا فى وجوه الناس وتعجبا
مما تحدثوا به وكان ضحك اصحابه التبسم اقتداء بفعله وتوقيرا له صلى الله عليه وسلم واما السمع
فان تسمع كلامهم متلذذا بسماعه ومصدقا به ومظهرا فيه الاستبشار ولا يقطع حديثهم
عليهم بمرادة ومنازعة ومداخلة واعتراض فان ارهقك عارض اعتذرت اليهم وتحرس سمعك
عن سماع ما يكرهون واما اللسان فقد ذكرنا حقوقه فان القول فيه يطول ومن ذلك ان لا
يرفع صوته عليهم ولا يخاطبهم الا بما يفهمون واما اليدان فانه لا يقبضهما عن معونتهم
فى كل ما يتعاطى باليد واما الرجلان فان يمشى وراءهم مشى الاتباع لا مشى المتبوعين ولا
يتقدمهم الا بقدر ما يقدمونه ويقوم لهم اذا اقبلوا ولا يقعد الا بقعودهم ويقعد حيث
يقعدونه ومهما تم الاتحاد خف حمله من هذه الحقوق مثل القيام والاعتذار والثناء فانها
من حقوق الصحبة وفى ضمنها نوع من الاجنبية والتكلف فاذا تم الاتحاد انطوى بساط
التكلف بالكلية فلا يسلك به الا مسلك نفسه لان هذه الاداب الظاهرة عنوان اداب
الباطن وصفاء القلب ومهما صفت القلوب استغنى عن تكلف اظهار ما فيها ومن كان نظره
الى صحبة الخلق فتارة يعوج وتارة يستقيم ومن كان نظره الى الخالق لزم الاستقامة
ظاهرا وباطنا وزين باطنه بالحب لله ولخلقه وزين ظاهره بالعبادة لله والخدمة لعباده
فانها اعلى انواع الخدمة لله اذ لا وصول اليها الا بحسن الخلق ويدرك العبد بحسن خلقه درجة
الصائم القائم وزيادة **خاتمة** لهذا الباب نذكر فيها جملة من اداب العشرة والمجالسة
مع اصناف الخلق ملتقطة من كلام الحكماء ان اردت حسن العشرة فالق صديقك وعدوك بوجه
الرضا من غير ذلة لهم ولا هيبة منهم وتوقر من غير كبر وتواضع من غير مذلة وكن فى جميع
امورك فى اوساطها فكلا طرفى قصد الامور ذميم ولا تنظر فى عطفيك ولا تكثر الالتفات
ولا تقف على الجماعات واذا جلست فلا تستوفز وتحفظ من تشبيك اصابعك والعبث بلحيتك
وخاتمك وتخليل اسنانك وادخال اصبعك فى انفك وكثرة بزاقك وتنخمك وطرد الذباب
عن وجهك وكثرة التمطى والتثاؤب فى وجوه الناس وفى الصلاة وغيرها وليكن مجلسك هاديا
وحديثك منظوما ومرتبا واصغ الى الكلام الحسن ممن حدثك بغير اظهار العجب مفرط ولا
تسأله اعادته واسكت عن المضاحك والحكايات ولا تحدث عن اعجابك بولدك وجاريتك
ولا شعرك وتصنيفك وسائر ما يخصك ولا تتصنع تصنع المراة فى التزين ولا تتبذل تبذل
العبد وتوق كثرة الكحل والاسراف فى الدهن ولا تلح فى الحاجات ولا تشجع احدا على الظلم

ولا تعلم اهلك وولدك فضلا عن غيرهم مقدار مالك فانهم ان راوه قليلا هنت عليهم وان
كان كثيرا لم تبلغ قط رضاهم واخفهم من غير عنف ولن لهم من غير ضعف ولا تهازل امتك
ولا عبدك فيسقط وقارك واذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك وتجنب عجلتك وتفكر
فى حجتك ولا تكثر الاشارة بيدك ولا تكثر الالتفات الى من وراءك ولا تجث على ركبتيك
واذا هدأ غضبك فتكلم واذا قربك سلطان فكن منه على حد السنان ان استرسل اليك
فلا تامن انقلابه عليك وارفق به رفقك بالصبى وكلمه بما يشتهيه ولا يحملنك لطفه بك
ان تدخل بينه وبين اهله وولده وحشمه وان كنت لذلك مستحقا عنده فان سقطة الداخل
بين الملك واهله سقطة لا تنعش وزلة لا تقال واياك وصديق العافية فانه اعدى الاعداء ولا تجعل
مالك اكرم من عرضك واذا دخلت مجلسا فالادب البداية بالتسليم وترك التخطى لمن سبق والجلوس
حيث اتسع وحيث يكون اقرب الى التواضع وان تحيى بالسلام من قرب منك عند الجلوس ولا تجلس على
الطريق فان جلست فادبه غض البصر ونصرة المظلوم واغاثة الملهوف وعون الضعيف وارشاد الضال
ورد السلام واعطاء السائل والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والارتياد لموضع البصاق فلا تبصق فى
جهة القبلة ولا عن يمينك ولكن عن يسارك وتحت قدمك اليسرى ولا تجالس الملوك فان فعلت
فادبه ترك الغيبة ومجانبة الكذب وصيانة السر وقلة الحوائج وتهذيب الالفاظ والاعراب فى
الخطاب والمذاكرة باخلاق الملوك وقلة المداعبة وكثرة الحذر منهم وان ظهرت المودة ولا تتجشى
بحضرته ولا تتخلل بعد الاكل عنده وعلى الملك ان يحتمل كل شئ الا افشاء السر والقدح فى الملك
والتعرض للحرم ولا تجالس العامة فان فعلت فادبه ترك الخوض فى حديثهم وقلة الاصغاء الى اراجيفهم
والتغافل عما يجرى من سوء الفاظهم وقلة اللقاء لهم مع الحاجة اليهم واياك ان تمازح لبيبا او
غير لبيب فان اللبيب يحقد عليك والسفيه يجترئ عليك لان المزاح يخرق الهيبة ويذهب بماء
الوجه ويعقب الحقد ويذهب بحلاوة الود ويشين فقه الفقيه ويجرئ السفيه ويسقط المنزلة
عند الحكيم ويمقته المتقون وهو يميت القلب ويباعد عن الرب ويكسب الغفلة ويورث الذلة
وبه تظلم السرائر وتموت الخواطر وبه تكثر العيوب وتبين الذنوب وقد قيل لا يكون المزاح
الا من سخف او بطر ومن بلى فى مجلس بمزاح او لغط فليذكر الله تعالى عند قيامه قال صلى الله عليه وسلم
من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك اشهد
ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك الا غفر له ما كان فى مجلسه ذلك

الباب الثالث فى حقوق المسلم والرحم والجوار والملك وكيفية المعاشرة

مع من يدلى بهذه الاسباب اعلم ان الانسان اما ان يكون وحده او مع غيره واذا تعذر
عيش الانسان الا بمخالطة من هو من جنسه لم يكن له بد من تعلم اداب المخالطة وكل مخالط
ففى مخالطته ادب والادب على قدر حقه وحقه على قدر رابطته التى بها وقعت المخالطة والرابطة
اما القرابة وهى اخصها او اخوة الاسلام وهى اعمها واما الجوار واما صحبة السفر والمكتب
او الدرس واما الصداقة والاخوة ولكل واحد من هذه الروابط درجات فالقرابة لها حق
ولكن حق الرحم المحرم اكد والمحرم حق ولكن حق الوالدين اكد وكذلك حق الجار يختلف بحسب
قربه من الدار وبعده ويظهر التفاوت عند النسبة حتى ان البلدى فى بلاد الغربة يجرى
مجرى القريب فى الوطن لاختصاصه بحق الجوار فى البلد وكذلك حق المسلم يتاكد بتاكد المعارف
وللمعارف درجات فليس حق الذى عرف بالمشاهدة كحق الذى عرف بالسماع بل اكد منه
والمعرفة بعد وقوعها تتاكد بالاختلاط وكذلك الصحبة تتفاوت درجاتها فحق الصحبة فى الدرس

والمكتب كذا من حق صحبة السفر ولكن الصداقة تتفاوت درجاتها فانها اذا قويت صارت اخوة
فان ازدادت صارت محبة فان ازدادت صارت خلة والخليل اقرب من الحبيب فالمحبة ما تتمكن من
حبة القلب والخلة ما تتخلل سر القلب فكل خليل حبيب وليس كل حبيب خليلا وتفاوت
درجات الصداقة لا يخفى بحكم المشاهدة والتجربة فان كون الخلة فوق الاخوة فمعناه ان لفظ الخلة
عبارة عن حالة هي اتم من الاخوة وتعرفه من قوله عليه السلام لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر
خليلا ولكن صاحبكم خليل الله اذ الخليل هو الذي يتخلل الحب جميع اجزاء قلبه ظاهرا وباطنا
ويستوعبه ولم يكن يستوعب قلبه عليه السلام سوى حب الله تعالى وقد منعته الخلة عن
الاشتراك فيه مع انه اتخذ عليا اخا فقال علي مني بمنزلة هرون من موسى الا النبوة فعدل
بعلي عن النبوة كما عدل بابي بكر عن الخلة فشارك ابو بكر عليا في الاخوة وزاد عليه بمقاربة الخلة
واهليته لها لو كان للشركة في الخلة مجال فانه نبه على ذلك بقوله لاتخذت ابا بكر خليلا وكان عليه
الصلاة والسلام حبيب الله وخليله وقد روي انه صعد المنبر يوما فرحا مستبشرا فقال ان
الله تعالى اتخذني خليلا كما اتخذ ابرهيم خليلا فانا حبيب الله وانا خليل الله فاذن ليس قبل
المعرفة رابطة ولا بعد الخلة درجة وما سواهما من الدرجات بينهما وقد ذكرنا حق الصحبة والاخوة
ويدخل فيه ما وراءهما من المحبة والخلة وانما تتفاوت الرتب في تلك الحقوق كما سبق بحسب تفاوت
رتب المحبة والاخوة حتى ينتهي اقصاها الى ان يوجب الايثار بالنفس والمال كما اثر ابو بكر نبينا محمدا
صلى الله عليه وسلم وكما اثر طلحة ببدنه اذ جعل نفسه وقاية لشخصه العزيز صلى الله عليه وسلم فهذا لا بد ان
نريد نذكر حق اخوة الاسلام وحق الرحم وحق الوالدين وحق الجوار وحق الملك اعني ملك اليمين
فان ملك النكاح قد ذكرنا حقوقه في كتاب اداب النكاح وحقوق المسلم هو ان يسلم عليه اذا لقيه
ويجيبه اذا دعاه ويشمته اذا عطس ويعوده اذا مرض ويشهد جنازته اذا مات ويبر قسمه
اذا اقسم عليه وينصح له اذا استنصحه ويحفظه بظهر الغيب اذا غاب عنه ويحب له ما يحب لنفسه
ويكره له ما يكره لنفسه ورد جميع ذلك في اخبار واثار وقد روى انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اربع من حق المسلمين عليك ان تعين محسنهم وان تستغفر لمذنبهم وان تدعو لمدبرهم
وان تحب تائبهم وقال ابن عباس في معنى قوله تعالى رحماء بينهم قال يدعو صالحهم لطالحهم
وطالحهم لصالحهم اذا نظر الطالح الى الصالح من امة محمد قال اللهم بارك له فيما قسمت له من الخير
وثبته عليه وانفعنا به واذا نظر الصالح الى الطالح قال اللهم اهده وتب عليه واغفر له ومنها
ان يحب لكافة الناس ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه قال النعمان بن بشير سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى سائره
بالحمى والسهر وروى ابو موسى عنه انه قال عليه السلام المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ومنها
ان لا يؤذي احدا من المسلمين بفعل ولا قول قال صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه
ويده وقال عليه السلام في حديث طويل يامر فيه بالفضائل فان لم تقدر فدع الناس من الشر فانها
صدقة تصدقت بها على نفسك وقال صلى الله عليه وسلم افضل المسلمين من سلم المسلمون من
لسانه ويده وقال اتدرون من المسلم قالوا الله ورسوله اعلم قال المسلم من سلم المسلمون من
لسانه ويده قالوا فمن المؤمن قال من امنه المؤمنون على انفسهم واموالهم قالوا فمن المهاجر قال من
هجر السوء واجتنبه وقال رجل يا رسول الله ما الاسلام قال ان يسلم قلبك لله ويسلم المسلمون
من لسانك ويدك وقال مجاهد يسلط على اهل النار الجرب فيحكون حتى تبدو عظم احدهم
من جلده فينادي يا فلان هل يؤذيك هذا فيقول نعم فيقال هذا بما كنت تؤذي المؤمنين وقال
صلى الله عليه وسلم رايت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذي

الناس

الناس وقال ابو برزة يا رسول الله علمني شيئا انتفع به قال اعزل الاذى عن طريق المسلمين
وقال عليه الصلاة والسلام من زحزح عن طريق المسلمين شيئا يؤذيهم كتب الله له به حسنة ومن
كتب الله له حسنة وجبت له بها الجنة وقال عليه السلام لا يحل لمسلم ان يشير الى اخيه بنظرة
تؤذيه ولا يحل لمسلم ان يروع مسلما وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يكره اذى المؤمن
وقال الربيع بن خثيم الناس رجلان مؤمن فلا تؤذه وجاهل فلا تجاهله ومنها ان يتواضع
لكل مسلم ولا يتكبر عليه فان الله لا يحب كل مختال فخور وقال صلى الله عليه وسلم ان الله اوحى الي
ان تواضعوا حتى لا يفخر احد على احد ثم ان تفاخر عليه غيره فليحتمل قال الله تعالى لنبيه خذ العفو وامر
بالعرف واعرض عن الجاهلين وعن ابن الارملة والمسكين فيقضي حاجته ومنها ان لا يسمع بلاغات
الناس بعضهم على بعض ولا يبلغ بعضهم ما يسمع عن بعض قال عليه السلام لا يدخل الجنة قتات
وقال الخليل بن احمد من نم اليك نم عليك ومن اخبرك بخبر غيرك اخبر غيرك بخبرك ومنها
ان لا يزيد في الهجر لمن يعرفه على ثلاثة ايام مهما غضب عليه قال ابو ايوب الانصاري قال
النبي صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا
وخيرهما الذي يبدأ بالسلام وقد قال صلى الله عليه وسلم من اقال مسلما عثرته اقاله الله يوم القيمة
وقال عكرمة قال الله تعالى ليوسف بعفوك عن اخوتك رفعت ذكرك في الذاكرين قالت
عائشة ما انتقم رسول الله لنفسه قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله وقال ابن عباس
ما عفا رجل عن مظلمة الا زاده الله بها عزا وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما نقص مال من صدقة
وما زاد الله رجلا بعفو الا عزا وما من احد تواضع لله الا رفعه الله ومنها ان يحسن الى كل من قدر
منهم ما استطاع لا يميز بين الاهل وغير الاهل روى علي بن الحسين عن ابيه عن جده قال
قال النبي صلى الله عليه وسلم اصنع المعروف الى اهله والى غير اهله فان لم تصب اهله فانت اهله وباسناده قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم راس العقل بعد الايمان التودد الى الناس واصطناع المعروف الى
كل بر وفاجر قال ابو هريرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصافحه احد فينزع يده حتى
يكون الرجل هو الذي ينزعها ولم تكن ترى ركبته خارجة عن ركبة جليسه ولم يكن احد يكلمه
الا اقبل عليه بوجهه ثم لم يصرفه عنه حتى يفرغ من كلامه ومنها ان لا يدخل على احد الا باذنه
بل يستاذن ثلاثا فان لم يؤذن له انصرف قال ابو هريرة قال رسول الله الاستيذان ثلاث
فالاولى يستنصتون وفي الثانية يستصلحون والثالثة ياذنون او يردون ومنها ان يخالق
الجميع بخلق حسن ويعاملهم بحسب طريقته فانه ان اراد لقاء الجاهل بالعلم والامي بالفقه
والعيي بالبيان اذى وتاذى ومنها ان يوقر المشايخ ويرحم الصبيان قال جابر رضي الله عنه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا والتلطف
بالصبيان من عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم ان من اجلال الله تعالى اكرام
ذي الشيبة المسلم ومن تمام توقير المشايخ ان لا يتكلم بين ايديهم الا باذن قال جابر قدم وفد
من جهينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام غلام ليتكلم فقال عليه الصلاة والسلام مه فاين
الكبير وفي الخبر ما وقر شاب شيخا لسنه الا قيض الله له في سنه من يوقره وهذه بشارة
بدوام الحياة فليتنبه لها فلا يوفق لتوقير الشيوخ الا من قضى له بطول العمر وقال عليه
الصلاة والسلام لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا والمطر قيظا وتفيض اللئام على الكرام
فيضا ويجترئ الصغير على الكبير واللئيم على الكريم والتلطف بالصبيان من عادة رسول الله قدم
من السفر فيتلقاه الصبيان فيقف عليهم ثم يامرهم فيرفعون اليه فيرفع منهم بين يديه ومن خلفه

ويامر اصحابه ان يحملوا بعضهم فربما تفاخر الصبيان بعد ذلك فيقول بعضهم لبعض حملني رسول
الله بين يديه وحملك خلفه ويقول بعضهم امر اصحابه ان يحملوك وراءهم وكان عليه الصلاة والسلام
يؤتى بالصبي الصغير ليدعو له بالبركة ويسميه فيأخذه ويضعه في حجره فربما بال الصبي فيصيح به
بعض من يراه فيقول عليه السلام لا تزرموا الصبي فيدعه حتى يقضي بوله ثم يفرغ من دعائه له
ويسميه ويبلغ سرور اهله فيه ولا يروا انه تأذى ببوله فاذا انصرفوا غسل ثوبه بعد ذلك
ومنها ان يكون مع كافة الخلق مستبشرا طلق الوجه رفيقا قال صلى الله عليه وسلم الا
اتدرون على من حرمت النار قالوا الله ورسوله اعلم قال على اللين الهين السهل القريب وقال
ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب السهل القريب وقال
ابو هريرة ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب السهل الطلق وقال بعضهم
يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال ان من موجبات الجنة بذل السلام وحسن الكلام
وقال عبد الله بن عمر البر شيء هين وجه طليق وكلام لين وقال النبي صلى الله عليه وسلم
اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجد فبكلمة طيبة وقال صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لغرفا
يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها فقال اعرابي لمن هي يا رسول الله قال لمن اطاب
الكلام واطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام وقال معاذ بن جبل قال صلى الله عليه وسلم
اوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد واداء الامانة وترك الخيانة وحفظ الجار
ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وخفض الجناح وقال انس عرضت للنبي صلى الله عليه وسلم
امراة وكان في عقلها شيء وقالت لي معك حاجة وكان معه اناس من اصحابه فقال اجلسي في اي
السكك شئت اجلس اليك ففعلت فجلس اليها حتى قضى حاجتها وقال وهب بن منبه
ان رجلا من بني اسرائيل صام سبعين سبتا يفطر في كل سبعة ايام يوما يسأل الله تعالى ان يريه
كيف يغوي الشياطين الناس فلما طال عليه ذلك ولم يجب قال لو اطلعت على خطيئتي وذنبي بيني
وبين ربي لكان لي خيرا من هذا الذي طلبته فارسل الله تعالى اليه ملكا فقال له ان الله سبحانه وتعالى
ارسلني اليك وهو يقول لك ان كلامك الذي تكلمت به اعجب الي مما مضى من عبادتك وقد فتح الله
بصرك فانظر فنظر فاذا جنود ابليس قد احاطت بالارض واذا ليس احد من الناس الا وحوله
الشياطين كالذباب فقال اي رب من ينجو من هذا فقال الورع اللين ومنها لا يعد مسلما
بوعد الا ويفي به قال عليه السلام العدة عطية وقال العدة دين وقال ثلاث في المنافق اذا
حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان وقال ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام
وصلى وذكر ذلك ومنها ان ينصف الناس من نفسه ولا يأتي اليهم الا بما يحب ان يؤتى اليه
وقال عليه السلام لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون فيه ثلاث خصال الانفاق من الاقتار والانصاف
من نفسه وبذل السلام وقال عليه السلام من سره ان تأتيه منيته وهو يشهد ان لا اله
الا الله وان محمدا رسول الله ولياتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وقال عليه الصلاة والسلام لابي
الدرداء يا ابا الدرداء احسن مجاورة من جاورك تكن مؤمنا واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما
وقال الحسن اوحى الله تعالى الى آدم عليه السلام باربع وقال فيهن جماع الامر لك ولولدك واحدة لي
وواحدة لك وواحدة بيني وبينك وواحدة بينك وبين الخلق فاما التي لي فتعبدني ولا تشرك
بي شيئا واما التي لك فعملك اجزيك به افقر ما تكون اليه واما التي بيني وبينك فعليك الدعاء و
علي الاجابة واما التي بينك وبين الناس فتصحبهم بالذي تحب ان يصحبوك به وسأل موسى ربه
فقال اي عبادك اعدل قال من انصف من نفسه ومنها ان يزيد في توقير من يدل حاله [illegible]

وبيانه على علو منزلته فينزل الناس منازلهم روي ان عائشة كانت في سفر فنزلت منزلا
فوضعت طعامها فجاء سائل فقالت ناولوا هذا المسكين قرصا ثم مر رجل على دابة فقالت ادعوه
الى الطعام فقيل لها تعطين المسكين وتدعين الغني فقالت ان الله امرنا ان ننزل الناس منازلهم
لا بد ان ننزلهم تلك المنازل هذا المسكين يرضى بقرص وقبيح بنا ان نعطي هذا الغني على هذه
الهيئة قرصا وروي انه عليه الصلاة والسلام دخل بعض بيوته فدخل عليه اصحابه حتى دحس
البيت وامتلأ فجاء جرير بن عبد الله البجلي فلم يجد مكانا فقعد على الباب فلف رسول الله صلى الله عليه وسلم
رداءه والقاه اليه فقال له اجلس على هذا فاخذه جرير ووضعه على وجهه وجعل يقبله ويبكي ثم لفه
ورمى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما كنت لاجلس على ثوبك اكرمك الله كما اكرمتني
ثم نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم يمينا وشمالا ثم قال اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه وكذلك كل من له
عليه حق قديم فليكرمه وروي ان ظئر رسول الله التي ارضعته جاءت اليه فبسط لها رداءه ثم
قال لها مرحبا بامي ثم اجلسها على الرداء ثم قال لها اشفعي تشفعي وسلي تعطي فقالت
قومي فقال اما حقي وحق بني هاشم فهو لك فقام الناس من كل ناحية وقالوا وحقنا يا رسول الله
ثم وصلها بعد ذلك واخدمها ووهب منها سهمانه بحنين فبيع ذلك من عثمان بمائة الف درهم
ولربما اتاه صلى الله عليه وسلم من ياتيه وهو على وسادة جالس فلا يكون فيها سعة يجلس معه
فيدعها وان لم يكن فيها سعة فينزعها ويضعها تحت الذي يجلس اليه فان ابى عزم عليه حتى
يفعل ومنها ان يصلح ذات البين بين المسلمين مهما وجد اليه سبيلا قال عليه الصلاة
والسلام الا اخبركم بافضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى قال اصلاح ذات البين
وفساد ذات البين هي الحالقة وقال صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة اصلاح ذات البين وعن
النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه انس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اذ ضحك حتى بدت ثناياه
فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله بابي انت وامي ما الذي اضحكك قال رجلان من امتي جثيا
بين يدي رب العزة فقال احدهما يا رب خذ لي مظلمتي من هذا فقال الله تعالى رد على اخيك
مظلمته فقال يا رب لم يبق لي من حسناتي شيء فقال يا رب فليحمل عني من اوزاري ثم فاضت عينا
رسول الله بالبكاء ثم قال ان ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس فيه الى ان يحمل عنهم من اوزارهم
قال فيقول الله تعالى للمتظلم ارفع بصرك فانظر الى الجنان فقال يا رب ارى مدائن من فضة
وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لاي نبي هذا او لاي صديق هذا او لاي شهيد هذا فيقول الله تعالى هذا لمن اعطى
الثمن فيقول يا رب ومن يملك ثمنه قال انت تملكه قال بماذا يا رب فيقول بعفوك عن اخيك
فيقول يا رب قد عفوت عنه فيقول الله تعالى خذ بيد اخيك فادخله الجنة ثم قال صلى الله عليه وسلم
اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم
ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا وهذا يدل على وجوب الاصلاح لان ترك الكذب واجب
ولا يسقط الواجب الا بواجب اوكد منه وقال عليه الصلاة والسلام كل الكذب مكتوب الا ان يكذب
الرجل في الحرب فان الحرب خدعة او يكون بين اثنين فيصلح بينهما او يكذب لامراته ليرضيها
ومنها ان يستر عورات المسلمين كلهم قال صلى الله عليه وسلم من ستر على مسلم ستره الله في الدنيا
والآخرة وقال لا يستر عبد عبدا الا ستره الله يوم القيامة وقال ابو سعيد الخدري قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يرى امرؤ من اخيه عورة فيسترها عليه الا دخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم
لماعز لما اخبره لو سترته بثوبك كان خيرا لك فاذا على المسلم ان يستر عورة نفسه فحق
اسلامه واجب عليه كحق اسلام غيره وقال ابو بكر لو اخذت سارقا لاحببت ان يستره الله

ولو اخذت سارقا لاحببت ان يستره الله وروى ان عمر كان يعس المدينة ذات ليلة فرأى رجلا و
امرأة على فاحشة فلما اصبح قال للناس ارأيتم لو ان اماما رأى رجلا وامرأة على فاحشة فاقام
عليهما الحد ما كنتم فاعلين قالوا انما انت امام فقال علي ليس ذلك لك اذن يقام عليك الحد ان الله
لم يأمن على هذا الامر اقل من اربعة شهداء ثم تركهم ما شاء الله ان يتركهم ثم سألهم فقال القوم مثل
مقالتهم الاولى فقال علي مثل مقالته وهذا يشير الى ان عمر كان مترددا في ان الوالي هل له ان
يقضي بعلمه في حدود الله تعالى فلذلك راجعهم في معرض التقدير لا في معرض الاخبار خيفة من
ان لا يكون له ذلك فيكون قاذفا باخباره ومال رأي علي الى انه ليس له ذلك وهذا من اعظم الادلة
على طلب الشرع لستر الفواحش فان افحشها الزنا وقد نيط باربعة من العدول يشاهدون
ذلك منه في ذلك منها كالمرود في المكحلة وهذا قط لا يتفق وان علمه القاضي تحقيقا لم يكن له ان
يكشف عنه فانظر الى الحكمة في حسم باب الفاحشة بايجاب الرجم الذي هو اعظم العقوبات ثم
انظر الى كثيف ستر الله كيف اسبله على العصاة من خلقه بتضييق الطريق في كشفه فنرجو ان
لا نحرم هذا الكرم يوم تبلى السرائر ففي الحديث ان الله اذا ستر على عبد عورة في الدنيا
فهو اكرم من ان يكشفها في الآخرة وان كشفها في الدنيا فهو اكرم من ان يكشفها مرة اخرى وعن
عبد الرحمن بن عوف قال حرست مع عمر ليلة بالمدينة فبينا نحن نمشي اذ ظهر لنا سراج
فانطلقنا نؤمه فلما دنونا الى باب مغلق على قوم لهم اصوات ولغط فاخذ عمر بيدي وقال
اتدري بيت من هذا قلت لا فقال هذا بيت ربيعة بن امية بن خلف وهم الآن شرب فما ترى قلت
ارى انا قد اتينا ما نهانا الله عنه قال الله تعالى ولا تجسسوا فرجع عمر وتركهم وهذا يدل على
وجوب الستر وترك التتبع وقد قال عليه السلام لمعوية انك ان تتبعت عورات الناس افسدتهم
او كدت تفسدهم وقال عليه السلام يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان في قلبه لا تغتابوا
المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة اخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته
يفضحه ولو كان في جوف بيته وقال ابو بكر رضي الله عنه لو رأيت احدا على حد من حدود
الله ما اخذته ولا دعوت له احدا حتى يكون معي غيري وقال بعضهم كنت قاعدا مع عبد الله
بن مسعود اذ جاءه رجل بآخر وقال هذا نشوان فقال عبد الله بن مسعود استنكهوه فوجدوه
نشوانا فحبسه حتى ذهب سكره ثم دعا بسوط فكسر ثمرته ثم قال للجلاد اجلد وارفع يدك واعط
كل عضو حقه فجلده وعليه قباء او مرط فلما فرغ قال للذي جاء به ما انت منه قال عمه فقال عبد الله
ما ادبت فاحسنت الادب ولا سترت الحرمة انه ينبغي للامام اذا انتهى اليه حد ان يقيمه وان الله
عفو يحب العفو وقرأ وليعفوا وليصفحوا ثم قال اني لاذكر اول رجل قطعه رسول الله اتي
بسارق فقطعه فكانما اسف وجهه فقالوا يا رسول الله كانك كرهت قطعه قال وما يمنعني لا
تكونوا عونا للشيطان على اخيكم انه ينبغي للسلطان اذا انتهى اليه حد ان يقيمه ان الله عفو
يحب العفو وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم وفي رواية فكانه
سفي في وجهه رماد لشدة تغيره وروى ان عمر رضي الله عنه كان يعس بالمدينة من الليل
فسمع صوت رجل في بيت يتغنى فتسور عليه فوجد عنده امرأة وعنده خمر فقال يا عدو الله
اظننت ان الله يسترك وانت على معصيته فقال وانت يا امير المؤمنين لا تعجل ان كنت
عصيت الله في واحدة فقد عصيت ثلاثا قال الله تعالى ولا تجسسوا وقد تجسست وقال
تعالى ليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها وقد تسورت علي وقال لا تدخلوا بيوتا
غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا وقد دخلت بيتي بغير اذن ولا سلام فقال عمر هل

عندك من خير ان عفوت عنك قال نعم يا امير المؤمنين لئن عفوت عني لا اعود لمثلها ابدا
فعفا عنه وخرج وتركه وقال رجل لعبد الله بن عمر يا ابا عبد الرحمن كيف سمعت النبي يقول
في النجوى يوم القيمة قال سمعته يقول ان الله ليدني منه المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من
الناس فيقول اتعرف ذنب كذا فيقول نعم يا رب فاذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه انه قد هلك
قال له يا عبدي اني لم استرها عليك في الدنيا الا واني اريد ان اغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته
واما الكافر والمنافق فيقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين وقال
صلى الله عليه وسلم كل امتي معافى الا المجاهرين وان من المجاهرة ان يعمل الرجل السوء ثم يخبر به وقال
صلى الله عليه وسلم من استمع خبر قوم وهم له كارهون صب في اذنيه الآنك يوم القيمة ومنها
ان يتقي مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن ولالسنتهم عن الغيبة فانهم اذا عصوا الله
بذكره وكان هو السبب فيه كان شريكا قال الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا
الله عدوا بغير علم وقال صلى الله عليه وسلم كيف ترون من يسب ابويه فقالوا وهل من احد يسب ابويه
فقال نعم يسب ابوي غيره فيسبون ابويه وقد روي انه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم احدى
نسائه فمر به رجل فدعاه رسول الله فقال يا فلان هذه زوجتي صفية فقال يا رسول الله من كنت
اظن فيه فاني لم اكن اظن فيك فقال ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وفي رواية فاني
خشيت ان يقذف في قلوبكما شيئا وكانا رجلين فقال على رسلكما انها صفية الحديث وكانت قد
زارته في العشر الاواخر من رمضان وكان معتكفا وقال عمر رض من اقام نفسه مقام التهمة
فلا يلومن من اساء به الظن ومر برجل يكلم امرأة على ظهر الطريق فعلاه بالدرة فقال يا امير
المؤمنين انها امرأتي فقال هلا حيث لا يراك الناس ومنها ان يشفع لكل من له حاجة من
المسلمين الى من له عنده منزلة ويسعى في قضاء حاجته بما يقدر عليه قال صلى الله عليه وسلم اني
اوتى واسأل وتطلب الي الحاجة وانتم عندي فاشفعوا لتؤجروا ويقضي الله على يدي نبيه ما احب
وقال معوية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشفعوا الي تؤجروا اني اريد الامر فاؤخره
كي تشفعوا الي فتؤجروا وقال عليه السلام ما من صدقة افضل من صدقة اللسان قيل
وكيف ذلك قال الشفاعة يحقن بها الدم وتجر بها المنفعة الى آخر ويدفع بها المكروه عن آخر
وروى عكرمة عن ابن عباس ان زوج بريرة كان عبدا يقال له مغيث كاني انظر اليه
خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته فقال رسول الله للعباس الا تعجب من شدة حب
مغيث لبريرة وشدة بغض بريرة مغيثا فقال عليه السلام لو راجعتيه فانه ابو ولدك قالت يا رسول
الله اتأمرني فافعل فقال لا انما انا شفيع ومنها ان يبدأ كل مسلم بالسلام قبل الكلام ويصافحه عند
السلام وقال بعضهم دخلت على رسول الله ولم اسلم ولم استأذن فقال عليه السلام ارجع فقل
السلام عليكم وادخل وروى جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخلتم بيوتكم فسلموا
على اهلها فان الشيطان اذا سلم احدكم لم يدخل بيته وقال انس خدمت النبي صلى الله عليه وسلم ثمان حجج
فقال لي يا انس اسبغ الوضوء يزد في عمرك وسلم على من لقيته من امتي تكثر حسناتك واذا دخلت منزلك
فسلم على اهل بيتك يكثر خير بيتك وقال الله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها
وقال عليه السلام والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا افلا ادلكم
على عمل اذا عملتموه تحاببتم قالوا بلى يا رسول الله قال افشوا السلام بينكم وقال صلى الله عليه وسلم اذا
سلم المسلم على المسلم فرد عليه صلت عليه الملائكة سبعين مرة وقال عليه السلام الملائكة تعجب من المسلم
يمر على المسلم فلا يسلم عليه وقال عليه السلام يسلم الراكب على الماشي واذا سلم على القوم فرد منهم واحد
اجزأ عنهم وقال قتادة كانت تحية من قبلكم السجود فاعطى الله تعالى هذه الامة السلام وهو تحية اهل الجنة

وكان ابو مسلم الخولاني يمر على قوم فلا يسلم ويقول ما يمنعني الا اني اخشى ان لا يردوا فتلعنهم
الملائكة والمصافحة ايضا سنة مع السلام وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم فقال
عليه السلام عشر حسنات فجاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فقال عليه السلام عشرون ثم جاء آخر
فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال ثلاثون وكان انس يمر على الصبيان فيسلم عليهم ويروي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه فعل ذلك وروى عبد الحميد بن بهرام انه مر في المسجد يوما وعصبة
من النساء قعود فالوى بيده بالتسليم واشار عبد الحميد بيده الى الحكاية وقال عليه الصلاة والسلام
لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام واذا لقيتم احدهم في الطريق فاضطروهم الى اضيقه وعن
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصافحوا اهل الذمة ولا تبدؤوهم بالسلام
واذا لقيتموهم في الطريق فاضطروهم الى اضيقه وقالت عائشة ان رهطا من اليهود دخلوا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك فقال النبي صلى الله عليه وسلم عليكم فقالت عائشة
فقلت بل عليكم السام واللعنة فقال عليه السلام ان الله يحب الرفق يا عائشة في كل شيء فقالت
الم تسمع ما قالوا قال فقد قلت عليكم وقال عليه السلام يسلم الراكب على الماشي والماشي على
القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير وقال عليه الصلاة والسلام لا تشبهوا باليهود ولا
النصارى فان تسليم اليهود الاشارة بالاصابع وتسليم النصارى الاشارة بالاكف وقال ابو عيسى
اسناده ضعيف وقال عليه الصلاة والسلام اذا انتهى احدكم الى مجلس فليسلم فليست الاولى باحق
من الآخرة وقال انس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا التقى المؤمنان فتصافحا
قسمت بينهم سبعون رحمة تسعة وستون لاحسنهما بشرا وقال عمر رضي الله عنه سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا التقى المسلمان فسلم كل واحد على صاحبه وتصافحا نزلت
بينهما مائة رحمة للبادي تسعون وللمصافح عشرة وقال الحسن المصافحة تزيد في الود وقال
ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمام تحياتكم بينكم المصافحة وقال عليه السلام
قبلة المسلم اخاه المصافحة ولا بأس بقبلة يد المعظم في الدين تبركا به وتوقيرا له وروي عن ابن عمر
قال قبلنا يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن كعب بن مالك قال لما نزلت توبتي اتيت النبي عليه
الصلاة والسلام فقبلت يده وروي ان اعرابيا قال يا رسول الله ائذن لي ان اقبل راسك ويدك قال
فاذن له ففعل ولقي ابو عبيدة عمر بن الخطاب فصافحه وقبل يده وتنحيا يبكيان وعن البراء بن
عازب انه سلم على رسول الله وهو يتوضأ فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوئه ومد يده اليه فصافحه
فقال يا رسول الله ما كنت ارى هذا الا من اخلاق الاعاجم فقال رسول الله ان المسلمين اذا التقيا
فتصافحا تحاتت ذنوبهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا مر رجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه
كان له عليهم فضل درجة لانه ذكرهم السلام وان لم يردوا عليه رد عليه ملأ خير منهم واطيب وقال
وافضل والاخا عند السلام سنة قال انس قلنا يا رسول الله اينحني بعضنا لبعض قال لا قال
فيقبل بعضنا بعضا قال لا قال فيصافح قال نعم والالتزام والتقبيل قد ورد به الخبر عند القدوم
من السفر قال ابو ذر ما لقيت رسول الله الا وصافحني وطلبني يوما فلم اكن في البيت فلما اخبرت
جئت وهو على سرير فالتزمني وكانت تلك اجود واجود والاخذ بالركاب في توقير العلماء ورد به الاثر
فعل ابن عباس ذلك بركاب زيد بن ثابت واخذه بغرز زيد حتى رفعه وقال هكذا فاصنعوا
بزيد واصحاب زيد والقيام مكروه على سبيل الاكرام وقال انس ما كان شخص احب الينا من
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا راوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهته لذلك وروي انه عليه
الصلاة والسلام قال مرة اذا رأيتموني فلا تقوموا كما تصنع الاعاجم وقال عليه الصلاة والسلام
من سره ان يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار وقال عليه الصلاة والسلام لا يقيم الرجل الرجل

من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا وكانوا يحترزون من ذلك لهذا النهي
وقال عليه الصلاة والسلام اذا اخذ القوم مجالسهم فان دعا رجل اخاه فاوسع له فليأته فانما
هي كرامة اكرمه بها اخاه فان لم يوسع له فلينظر الى اوسع مكان يجده فيجلس فيه وروي انه سلم
رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبول فلم يجب ويكره السلام على من يقضي حاجته ويكره
ان يقول ابتداء عليك السلام قاله رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام ان عليك السلام
تحية الميت قالها ثلاثا ثم قال اذا لقي احدكم اخاه فليقل السلام عليكم ورحمة الله ويستحب له اذا
سلم ولم يجد مجلسا ان لا ينصرف بل يقعد وراء الصف كان عليه الصلاة والسلام جالسا في المسجد
اذ اقبل ثلثة نفر فاقبل اثنان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما احدهما فوجد فرجة فجلس فيها
واما الثاني فجلس خلفهم واما الثالث فادبر ذاهبا فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم
عن النفر الثلاثة اما احدهم فاوى الى الله فآواه الله واما الثاني فاستحيا فاستحيا الله منه واما الثالث
فاعرض فاعرض الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان الا غفر
الله لهما قبل ان يفترقا وسلمت ام هانئ على رسول الله فقال من هذه فقيل ام هانئ فقال
مرحبا بام هانئ ومنها ان يصون عرض اخيه المسلم ونفسه وماله عن ظلم غيره مهما قدر ويرد
عنه ويناضل دونه وينصره روى ابو الدرداء ان رجلا نال من رجل عند رسول الله فرد عنه رجل
فقال النبي من رد عن عرض اخيه كان له حجابا من النار وقال عليه الصلاة والسلام ما من امرئ
مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيامة وعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه النار وعن انس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكر عنده اخوه المسلم وهو يستطيع نصره فلم ينصره الا اذله
الله بها في الدنيا والآخرة وقال صلى الله عليه وسلم من حمى عرض اخيه المسلم في الدنيا بعث الله تعالى
له ملكا يوم القيامة يحميه من النار وقال جابر وابو طلحة سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ما من امرئ ينصر مسلما في موضع ينتهك فيه من عرضه ويستحل حرمته الا نصره الله في موطن
يحب فيه نصره وما من امرئ يخذل مسلما في موطن تنتهك فيه حرمته الا خذله الله في موضع
يحب فيه نصرته ومنها تشميت العاطس قال صلى الله عليه وسلم في العاطس يقول الحمد لله على
كل حال ويقول الذي يشمته يرحمكم الله ويرد عليه العاطس يقول يهديكم الله
ويصلح بالكم وعن ابن مسعود قال كان رسول الله يعلمنا يقول اذا عطس احدكم فليقل الحمد لله
رب العالمين فاذا قال ذلك فليقل من عنده يرحمك الله فاذا قالوا ذلك فليقل يغفر الله
لي ولكم وشمت رسول الله رجلا ولم يشمت آخر فسأله عن ذلك فقال انه حمد الله وانت سكت
قال عليه السلام يشمت المسلم اذا عطس ثلاثا فان زاد فهو زكام وروي انه صلى
الله عليه وسلم شمت عاطسا فعطس اخرى فقال انك مزكوم وقال ابو هريرة رضي الله عنه
كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا عطس غض صوته واستتر بثوبه او يده وقال ابو موسى الاشعري
كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله رجاء ان يقول يرحمكم الله فكان يقول يهديكم الله
وروي عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن ابيه ان رجلا عطس خلف النبي في الصلاة فقال الحمد لله حمدا
كثيرا طيبا مباركا فيه كما يرضى ربنا وبعد ما يرضى والحمد لله على كل حال فلما سلم النبي من الصلاة
قال من صاحب الكلمات فقال انا يا رسول الله ما اردت بهن الا خيرا فقال لقد رأيت اثني عشر
ملكا كلهم يبتدرونها ايهم يكتبها وقال صلى الله عليه وسلم من عطس عنده فسبق الى الحمد لم
يشتك خاصرته وقال عليه الصلاة والسلام ان العطاس من الله والتثاؤب من الشيطان

فاذا تثاوب احدكم فليضع يده على فيه فاذا قال آه آه فان الشيطان يضحك من جوفه وقال ابرهيم
النخعي اذا عطس على قضاء الحاجة فلا باس ان يذكر الله وقال الحسن يحمد الله في نفسه وقال كعب قال موسى
يا رب اقريب انت فاناجيك ام بعيد فاناديك فقال تعالى انا جليس من ذكرني فقال فانا نكون على حال
نجلك ان نذكرك عليها كالجنابة والغائط فقال اذكرني على كل حال ومنها انه اذا بلي بذي شر
ينبغي ان يجامله ويتقيه قال بعضهم خالص المؤمن مخالصة وخالق الفاجر مخالقة فان الفاجر يرضى
بالخلق الحسن في الظاهر وقال ابو الدرداء انا لنكشر في وجوه اقوام وان قلوبنا لتلعنهم وهذا
معنى المداراة وهو مع من يخاف شره قال الله تعالى ادفع بالتي هي احسن وقال ابن عباس في
معنى قوله تعالى ويدرءون بالحسنة السيئة اي الفحش والاذى بالسلام والمداراة وقال في قوله تعالى
ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض قال بالرغبة والرهبة والحياء والمداراة وقالت عائشة استاذن
رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام ائذنوا له فبئس رجل العشيرة فلما دخل الان له
القول حتى ظننت ان له عنده منزلة فلما خرج قلت له لما دخل قلت الذي قلت ثم النت له القول
فقال يا عائشة ان شر الناس منزلة عند الله يوم القيمة من تركه الناس اتقاء فحشه وفي الخبر
ما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة وفي الاثر خالطوا الناس باعمالهم وزايلوهم بالقلوب وقال
محمد بن الحنفية ليس بحكيم من لا يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله
له فرجا ومنها ان يجتنب مخالطة الاغنيا ويختلط بالمساكين ويحسن الى الايتام كان النبي
صلى الله عليه وسلم يقول اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين وكان
سليمان عليه السلام اذا دخل المسجد فراى مسكينا جلس اليه وقال مسكين جالس مسكينا وقيل
ما كان من الكلمة يقال لعيسى بن مريم احب اليه من ان يقال يا مسكين وقال كعب الاحبار ما في
القران من يا ايها الذين امنوا فهو في التوراة يا ايها المساكين وقال عبادة بن الصامت ان للجنة
سبعة ابواب ثلاثة للاغنيا وثلاثة للنسا وواحد للفقرا والمساكين وقال الفضيل بلغني ان نبيا من
الانبيا قال يا رب كيف لي ان اعلم رضاك عني قال انظر كيف رضا المساكين عنك وقال عليه
الصلاة والسلام اياكم ومجالسة الموتى قيل ومن الموتى يا رسول الله قال الاغنيا وقال موسى يا رب اين
ابغيك قال عند المنكسرة قلوبهم وقال صلى الله عليه وسلم لا تغبطن فاجرا بنعمة فانك لا تدري
الى ما يصير بعد الموت فان من ورائه طالبا حثيثا واما اليتيم فقد قال صلى الله عليه وسلم
من ضم يتيما من ابوين مسلمين حتى يستغني فقد وجبت له الجنة البتة وقال عليه السلام
انا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين واشار باصبعيه وقال صلى الله عليه وسلم من وضع يده على
راس يتيم ترحما كان له بكل شعرة تمر يده عليها حسنة وقال عليه الصلاة والسلام خير بيت
من المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه ومنها
النصح لكل مسلم والجهد في ادخال السرور على قلبه وقال عليه الصلاة والسلام لا يؤمن احدكم
حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقال عليه السلام ان احدكم مراة اخيه فاذا راى به شيئا فليمطه
عنه وقال من قضى حاجة لاخيه فكانما خدم الله عمره وقال عليه السلام من مشى لاخيه في
حاجة ساعة من ليل او نهار قضاها او لم يقضها كان خيرا له من اعتكاف شهرين وقال
صلى الله عليه وسلم من فرج عن مغموم او اعان مظلوما غفر الله له ثلثا وسبعين مغفرة وقال
عليه السلام انصر اخاك ظالما او مظلوما فقيل كيف ننصره ظالما قال تمنعه من الظلم
وقال عليه السلام ان من احب الاعمال الى الله ادخال السرور على المؤمن وان تفرج عنه غما او تقضي
عنه دينا او تطعمه من جوع وقال عليه السلام من حمى مؤمنا من منافق يغتابه بعث الله تعالى اليه

ملكا يحمي لحمه يوم القيمة من نار جهنم وقال صلى الله عليه وسلم خصلتان ليس فوقهما شيء من
الشر الشرك بالله والضر لعباد الله وخصلتان ليس فوقهما شيء من البر الايمان بالله والنفع
لعباد الله وقال عليه الصلاة والسلام من لم يهتم للمسلمين فليس منهم وقال معروف
الكرخي رحمه الله من قال كل يوم اللهم اصلح امة محمد اللهم ارحم امة محمد اللهم فرج عن امة محمد كل
يوم ثلاث مرات كتبه الله من الابدال وبكى علي بن الفضيل يوما فقيل له ما يبكيك فقال ابكي على
من ظلمني اذا وقف غدا بين يدي الله تعالى وسئل عن ظلمه ولم تكن له حجة والمعرفة والاسلام
كاف في اثبات هذا الحق ونيل فضله وادناها العيادة خفيفة الجلسة وقلة السوال واظهار الرقة
والدعا بالعافية وغض البصر عن عورات الموضع وادبها ان لا يقابل الباب ويدق برفق ولا يقول
انا اذا قيل من ولا يقول يا غلام لكن يحمد ويسبح وقال عليه الصلاة والسلام تمام عيادة
المريض ان يضع احدكم يده على جبهته او على يده ويساله كيف هو وتمام تحياتكم المصافحة
وقال عليه الصلاة والسلام من عاد مريضا قعد في مخارف الجنة حتى اذا قام وكل به
سبعون الف ملك يصلون عليه حتى الليل وقال عليه الصلاة والسلام اذا عاد الرجل
المريض خاض في الرحمة فاذا قعد عنده قرت فيه وقال عليه السلام اذا عاد المسلم اخاه
او زاره قال الله تعالى طبت وطاب ممشاك وتبوات منزلا في الجنة وقال عليه الصلاة و
السلام اذا مرض العبد بعث الله اليه ملكين فقال انظرا ماذا يقول لعواده فان هو اذا
جاؤه حمد الله واثنى عليه رفعا ذلك الى الله تعالى وهو اعلم فيقول لعبدي علي ان توفيته
ان ادخله الجنة وان انا شفيته ان ابدل له لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان اكفر
عنه سيئاته وقال عليه الصلاة والسلام من يرد الله به خيرا يصب منه وقال عثمان
مرضت فعادني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بسم الله الرحمن الرحيم اعيذك بالله الاحد الصمد
الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد من شر ما تجد قالها مرارا ودخل عليه الصلاة والسلام
على علي بن ابي طالب وهو مريض فقال له قل اللهم اني اسالك تعجيل عافيتك وصبرا على بليتك
وخروجا من الدنيا الى رحمتك فانك ستعطى احداهن وتستحب للعليل ان يقول اعوذ بعزة
الله وقدرته من شر ما اجد واحاذر وقال علي رضي الله عنه اذا اشتكى احدكم بطنه فليسال امراته
شيئا من صداقها فيشتري به عسلا ويشربه بماء السما فيجتمع له الهنى والمرى والشفا المبارك وقال
عليه الصلاة والسلام الا اخبركم بامر هو حق من تكلم به في اول مضجعه من مرضه
نجاه الله تعالى من النار قالت بلى يا رسول الله قال تقول لا اله الا الله يحيي ويميت وهو حي لا يموت
سبحان الله رب العباد والبلاد والحمد لله كثيرا طيبا مباركا فيه على كل حال الله اكبر كبيرا كبرياء ربنا
وجلاله وقدرته بكل مكان اللهم ان انت امرضتني لتقبض روحي في مرضي هذا فاجعل روحي
في ارواح من سبقت لهم منك الحسنى وروي انه عليه الصلاة والسلام قال عيادة المريض فواق
ناقة وقال طاوس افضل العيادة اخفها وقال ابن عباس عيادة المريض مرة سنة
فما زاد فنافلة وقال بعضهم عيادة المريض بعد ثلاث وقال عليه الصلاة والسلام
اغبوا في العيادة واربعوا وجملة ادب المريض حسن الصبر وقلة الشكوى والضجر والفزع
الى الدعا والتوكل بعد الدعا على خالق الدوا ومنها ان يشيع جنائزهم وقال
عليه السلام من شيع جنازة فله قيراط من الاجر فان وقف حتى تدفن فله قيراطان وفي الخبر
القيراط مثل احد ولما روى ابو هريرة هذا الحديث وسمعه ابن عمر قال فرطنا في
قراريط كثيرة والقصد من التشييع قضا حق المسلمين والاعتبار وكان مكحول الدمشقي

راى جنازة قال غدوا فانا رائحون موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الاول والاخر لا عقل له
وخرج مالك بن دينار خلف جنازة اخيه وهو يبكي ويقول والله لا تقر عيني حتى اعلم الى
ما صرت ولا والله لا اعلمه ما دمت حيا وقال الاعمش كنا نشهد الجنازة فلا ندري من نعزي
لحزن القوم كلهم ونظر ابراهيم الزيات الى اناس يترحمون على ميت فقال لو ترحمون انفسكم
لكان اولى انه نجا من اهوال ثلاثة وجه ملك الموت قد راى ومرارة الموت قد ذاق وخوف
الخاتمة قد امن وقال عليه الصلاة والسلام يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد
يتبعه اهله وماله وعمله فيرجع اهله وماله ويبقى عمله ومنها ان يزور القبور والمقصود
من ذلك الدعاء والاعتبار وترقيق القلب وقال عليه الصلاة والسلام ما رايت منظرا الا و
القبر افظع منه وقال عمر رضي الله عنه خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى المقابر فجلس
الى قبر وكنت ادنى القوم منه فبكى وبكينا فقال ما يبكيكم قلنا بكينا لبكائك قال هذا
قبر امنة بنت وهب استاذنت ربي في زيارتها فاذن لي فاستاذنته في ان استغفر لها
فابى علي فادركني ما يدرك الولد من الرقة على الوالدة وكان عثمان رضي الله عنه اذا وقف على
قبر بكى حتى يبل لحيته ويقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان القبر اول منازل الاخرة
فان نجا منه صاحبه فما بعده ايسر وان لم ينج منه فما بعده اشد وقال مجاهد اول ما يكلم ابن ادم
حفرته فيقول انا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة هذا ما اعددت لك فما
اعددت لي وقال ابو ذر الا اخبركم بيوم فقري يوم اوضع في قبري وكان ابو
الدرداء رضي الله عنه يقعد الى القبور فقيل له في ذلك فقال اجلس الى قوم يذكرونني معادي
وان قمت عنهم لم يغتابوني وقال حاتم الاصم من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم
فقد خان نفسه وخانهم وقال صلى الله عليه وسلم ما من ليلة الا ينادي مناد يا اهل القبور
من تغبطون فيقولون نغبط اهل المساجد لانهم يصومون ولا نصوم ويصلون ولا نصلي ويذكرون
الله ولا نذكره وقال سفيان رحمه الله من اكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل
عن ذكره وجده حفرة من حفر النار وكان الربيع بن خثيم قد حفر في داره قبرا وكان اذا وجد في
قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع ومكث ساعة ثم قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا ثم يقول يا ربيع
قد رجعت فاعمل قبل ان لا ترجع وقال ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز الى
المقبرة فلما نظر الى القبور بكى وقال يا ميمون هذه قبور ابائي بني امية كانهم لم يشاركوا
اهل الدنيا في لذاتهم اما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات واصاب الهوام من ابدانهم ثم بكى
وقال والله ما اعلم احدا انعم ممن وصل الى هذه القبور وقد امن من عذاب الله وادب المعزي
خفض الجناح واظهار الحزن وترك التبسم وادب تشييع الجنازة لزوم الخشوع وترك
الحديث وملاحظة الميت والتفكر في الموت والاستعداد له وان يمشي امام الجنازة بقربها
والاسراع بالجنازة سنة فهذه جمل تنبه على اداب المعاشرة مع عموم الخلق والجملة الجامعة فيه
ان لا تستصغر منهم احدا حيا كان او ميتا فتهلك لانك لا تدري لعله خير منك فانه وان
كان فاسقا فلعله يختم له بالصلاح ويختم لك بمثل حاله الان ولا تنظر اليهم بعين التعظيم
لهم في حال دنياهم فان الدنيا صغيرة عند الله صغير ما فيها ومهما عظم اهل الدنيا في نفسك فقد
عظمت الدنيا فتسقط من عين الله تعالى ولا تبذل لهم دينك لتنال من دنياهم فتصغر في
اعينهم ثم تحرم دنياهم وان لم تحرم كنت قد استبدلت الذي هو ادنى بالذي هو خير
ولا تعادهم بحيث تظهر العداوة فيطول الامر عليك في المعاداة ويذهب دينك ودنياك

فيهم ويذهب دينهم فيك الا اذا رايت منكرا في الدين فتعادي افعالهم القبيحة
وتنظر اليهم بعين الرحمة لهم لتعرضهم لمقت الله وعقوبته بعصيانهم فحسبهم جهنم
يصلونها فما لك تحقد عليهم ولا تسكن اليهم في مودتهم لك وثنائهم عليك في وجهك
وحسن بشرهم لك فانك ان طلبت حقيقة ذلك لم تجد في المائة الا واحدا وربما لم تجده ولا
تشك اليهم احوالك فيكلك الله اليهم ولا تطمع ان يكونوا لك في الغيب والسر كما في
العلانية فذلك طمع كاذب وانى تظفر به ولا تطمع فيما في ايديهم فتستعجل الذل ولا
تنال الغرض ولا تعل عنهم تكبرا لاستغنائك عنهم فان الله يلجئك اليهم عقوبة على التكبر
باظهار الاستغناء واذا سالت اخا منهم حاجة فقضاها فهو اخ مستفاد وان لم يقض فلا
تعاتبه فيصير عدوا يطول عليك مقاساته ولا تشتغل بوعظ من لا ترى فيه مخايل القبول
فلا يسمع منك ويعاديك وليكن وعظك عرضا وارسالا من غير تنصيص على الشخص
رايت منهم كرامة وخيرا فاشكر الله الذي سخرهم لك واستعذ بالله ان يكلك اليهم واذا
بلغك عنهم غيبة او رايت منهم شرا او اصابك منهم ما يسوءك فكل امرهم الى الله واستعذ
بالله من شرهم ولا تشغل نفسك بالمكافاة فيزيد الضرر ويضيع العمر في شغله ولا تقل لهم
لم لا تعرفوا موضعي واعتقد انك لو استحققت منهم ذلك لجعل الله لك موضعا في قلوبهم فالله
المحبب والمبغض الى القلوب وكن فيهم سميعا لحقهم اصم عن باطلهم نطوقا بحقهم
صموتا عن باطلهم واحذر صحبة اكثر الناس فانهم لا يقيلون عثرة ولا يغفرون زلة ولا
يسترون عورة ويحاسبون على النقير والقطمير ويحسدون على القليل والكثير ينتصفون
ولا ينصفون ويؤاخذون على الخطا والنسيان ولا يعفون يغرون الاخوان بالاخوان
بالنميمة والبهتان فصحبة اكثرهم خسران وقطيعتهم رجحان ان رضوا فظاهرهم الملق
وان سخطوا فباطنهم الحنق لا يؤمنون في حنقهم ولا يرجون في ملقهم ظاهرهم ثياب
وباطنهم ذئاب يقطعون بالظنون ويتغامزون وراءك بالعيون ويتربصون بصديقهم
من الحسد ريب المنون يحصون عليك العثرات في صحبتهم ليجبهوك بها في غضبهم
ووحشتهم فلا تعول على مودة من لم تخبره حق الخبرة بان تصحبه في دار او موضع واحد
فتجربه في عزله وولايته وغناه وفقره او تسافر معه او تعامله بالدينار والدرهم او تقع
في شدة فتحتاج اليه فان رضيته في هذه الاحوال فاتخذه ابا لك ان كان كبيرا او ابنا
ان كان صغيرا او اخا ان كان مثلك وهذه جملة اداب العشرة مع اصناف الخلق
حقوق الجوار فاعلم ان الجوار يقتضي حقوقا وراء ما تقتضيه اخوة الاسلام فاعلم ان الجوار يقتضي
حقوقا وراء ما يقتضيه اخوة الاسلام فيستحق الجار المسلم ما يستحقه كل مسلم وزيادة اذ قال
عليه السلام الجيران ثلاثة جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق فالجار
الذي له ثلاثة حقوق الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم واما
الجار الذي له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الاسلام واما الجار الذي له حق واحد
فالجار المشرك فانظر كيف اثبت للمشرك حقا بمجرد الجوار وقد قال عليه الصلاة والسلام
احسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وقال عليه السلام ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت
انه سيورثه وقال عليه الصلاة والسلام من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره وقال
صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يامن جاره بوائقه وقال عليه السلام اذا انت رميت كلب
جارك فقد اذيته ويروى ان رجلا جاء الى ابن مسعود فقال له ان لي جارا يؤذيني ويشتمني

ويضيق علي فقال له اذهب فانت من عصى الله فيك فاطع الله فيه وقيل لرسول الله ان فلانة
تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها فقال هي في النار وجاء رجل الى رسول الله يشكو
جاره فقال صلى الله عليه وسلم اصبر ثم قال له في الثالثة او الرابعة اطرح متاعك في الطريق
قال فجعل الناس يمرون به فيقولون ما لك فيقال اذاه جاره قال فجعلوا يقولون لعنه الله
فجاء جاره فقال له رد متاعك فوالله لا اعود وروى الزهري ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه
وسلم يشكو جاره فامر النبي ان ينادي على باب المسجد الا ان اربعين دارا جار قال الزهري اربعون
هكذا واربعون هكذا واربعون هكذا واربعون هكذا واومى الى اربع جهات وقال صلى الله عليه وسلم
اليمن والشوم في المراه والمسكن والفرس فيمن المراه خفة مهرها ويسر نكاحها وحسن خلقها وشومها
غلا مهرها وعسر نكاحها وسوء خلقها ويمن المسكن سعته وحسن جوار اهله وشومه ضيقه
وسوء جوار اهله ويمن الفرس ذله وحسن خلقه وشومه صعوبته واعلم انه ليس حق الجار كف
الاذى فقط بل احتمال الاذى فان الجار ايضا قد كف اذاه وليس في ذلك قضاء حق ولا يكفي
ايضا احتمال الاذى بل لابد من الرفق واسداء الخير والمعروف اذ يقال ان الجار الفقير
يتعلق بجاره الغني يوم القيمة ويقول يا رب سل هذا لم منعني معروفه وسد بابه دوني
وبلغ ابن المقفع ان جارا له يبيع دارا في دين ركبه وكان يجلس في ظل داره فقال ما قمت
اذا بحرمة ظل داره ان باعها معدما فدفع اليه ثمن الدار وقال لا تبعها وشكى بعضهم كثرة
الفار في داره فقيل له لو اقتنيت هرا فقال اخشى ان يسمع الفار صوت الهر فيهرب الى دور الجيران
فاكون قد احببت لهم ما لا احب لنفسي وجملة حق الجار ان يبداه بالسلام ولا يطيل معه الكلام
وان لا يكثر عن حاله السوال ويعوده في حال المرض ويعزيه في المصيبة ويقوم معه في العزا
ويهنيه في الفرح ويظهر له الشركة في السرور معه ويصفح عن زلاته ولا يتطلع من السطح
الى عوراته ولا يضايقه في وضع الجذع على جداره ولا في مصب الماء من ميزابه ولا في مطرح
التراب في فنائه ولا يضيق طريقه الى الدار ولا يتبعه النظر فيما يحمله الى داره ويستر ما ينكشف
له من عوراته وينعشه من صرعته اذا نابته نائبة ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ولا
يسمع عليه كلامه ويغض بصره عن حرمه ولا يديم النظر الى خادمته ويتلطف لولده في كلمته
ويرشده الى ما يجهله من امر دينه ودنياه هذه جملة الحقوق التي ذكرناها للمسلمين عامة
وقد قال عليه الصلاة والسلام اتدرون ما حق الجار ان استعان بك اعنته وان استقرضك
اقرضته وان افتقر عدت عليه وان مرض عدته وان مات اتبعت جنازته وان اصابه خير
هنيته وان اصابته مصيبة عزيته ولا تستطيل عليه بالبنا فتحجب عنه الريح الا باذنه وان
اشتريت فاكهة فاهد له فان لم تفعل فادخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده
اتدرون ما حق الجار والذي نفسي بيده لا يبلغ حق الجار الا من رحمه الله هكذا رواه عمرو بن
شعيب عن ابيه عن جده عن النبي قال مجاهد كنت عند عبد الله بن عمرو وغلام له يسلخ شاة
فقال يا غلام اذا سلخت فابدا بجارنا اليهودي حتى قال ذلك مرارا فقال له كم تقول هذا
فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا انه سيورثه وقال
هشام كان الحسن لا يرى باسا ان تطعم الجار اليهودي والنصراني من اضحيتك وقال ابو ذر
اوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم وقال اذا طبخت قدرا فاكثر ماءها ثم انظر بعض اهل بيت من
جيرانك فاغرف لهم منها وقالت عائشة قالت يا رسول الله ان لي جارين احدهما مقبل
بابه والاخر ناء ببابه عني وربما كان الذي عندي لا يسعهما فايهما اعظم حقا فقال المقبل

بابه عليك وراى ابو بكر الصديق ولده عبد الرحمن وهو يناصي جاره فقال لا تناص جارك
فان هذا يبقى والناس يذهبون وقال الحسن بن عيسى النيسابوري سالت عبد الله بن
المبارك فقلت الرجل المجاور ياتيني فيشكو غلامي انه اتى اليه امرا والغلام ينكره فاكره ان اضربه
ولعله بري واكره ان ادعه فيجد علي جاري فكيف اصنع قال ان غلامك لعله يحدث حدثا
يستوجب فيه الادب فاحفظه عليه فاذا شكاه جارك فادبه على ذلك الحدث فتكون
قد ارضيت جارك وادبته على ذلك الحدث وهذا تلطف في الجمع بين الحقين وقالت
عايشة خلال المكارم عشر تكون في الرجل ولا تكون في ابيه وتكون في العبد ولا تكون في
سيده يقسمها الله لمن احب فقالوا ما هي يا ام المومنين فقالت صدق الحديث وصدق الباس
واعطاء السايل والمكافاة بالصنايع وصلة الرحم وحفظ الامانة والتذمم للجار والتذمم
للصاحب وقرى الضيف ورأسهن الحيا وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة وقال صلى الله عليه وسلم
ان من سعادة المرء المسلم المسكن الواسع والجار الصالح والمراة الصالحة والمركب الهني
وقال عبد الله قال رجل يا رسول الله كيف لي ان اعلم اذا احسنت او اسات قال اذا
سمعت جيرانك يقولون قد احسنت فقد احسنت واذا سمعتهم يقولون قد اسات فقد
اسات وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له جار في حايط او شريك
فلا يبيعه حتى يعرضه عليه وقال ابو هريرة قضى رسول الله ان الجار يضع جذعه في
حايط جاره شاء ام ابى وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنع احدكم
جاره ان يضع خشبة في حايطه وكان ابو هريرة يقول ما لي اراكم عنها معرضين والله لارمين
بها بين اكتافكم وقد ذهب بعض العلما الى وجوبه ذلك وقال عليه السلام من اراد الله به
خيرا عسله قيل وما عسله قال حببه الى جيرانه

حقوق الاقارب والرحم

قال صلى الله عليه وسلم
يقول الله سبحانه انا الرحمن وهذه الرحم شققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته
ومن قطعها بتته وقال صلى الله عليه وسلم من سره ان ينسا له في اثره ويوسع عليه في رزقه
فليصل رحمه وفي رواية من سره ان يمد له في عمره ويوسع له في رزقه فليتق الله وليصل رحمه
وقيل لرسول الله اي الناس افضل قال اتقاهم لله واوصلهم للرحم وامرهم بالمعروف وانهاهم
عن المنكر وقال ابو ذر اوصاني خليلي بصلة الرحم وان ادبرت وامرني ان اقول الحق ولو
كان مرا وقال عليه السلام الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل المكافي ولكن الواصل الذي
اذا قطعت رحمه وصلها وقال عليه السلام اعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم حتى ان اهل
البيت ليكونون فجارا فتنمى اموالهم ويكثر عددهم اذا وصلوا ارحامهم وقال زيد بن اسلم
لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة عرض له رجل فقال ان كنت تريد النساء البيض والنوق
الادم فعليك ببني مدلج فقال عليه الصلاة والسلام ان الله منعني من بني مدلج بصلتهم الرحم
وقالت اسماء بنت ابي بكر الصديق قدمت علي امي فقلت يا رسول الله ان امي قدمت علي
وهي مشركة افاصلها قال نعم وفي رواية افاعطيها قال نعم صليها وقال صلى الله عليه وسلم
الصدقة على المساكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان ولما اراد ابو طلحة ان يتصدق بحايط له
كان يعجبه عملا بقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال يا رسول الله هو في سبيل الله
والفقراء والمساكين فقال عليه الصلاة والسلام وجب اجرك فاقسمه في اقاربك وقال
عليه الصلاة والسلام افضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح وهو في معنى قوله افضل الفضائل

ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصفح عمن ظلمك وروي ان عمر رضي الله عنه كتب الى عماله
مروا الاقارب ان يتزاوروا ولا يتجاوروا وانما قال ذلك لان التجاور يوجب التزاحم في
الحقوق وربما يورث ذلك وحشة وقطيعة رحم **حقوق الوالدين والولد** لا يخفى
انه اذا تأكد حق القرابة والرحم فاخص الارحام وامسها الولادة فيتضاعف تأكد الحق فيها
وقد قال عليه الصلاة والسلام لن يجزي ولد والده حتى يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه وقال
عليه الصلاة والسلام بر الوالدين افضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله تعالى وقد
قال صلى الله عليه وسلم من اصبح مرضيا لابويه اصبح له بابان مفتوحان الى الجنة ومن امسى فمثل ذلك
وان كان واحدا فواحدا ومن اصبح مسخطا لابويه اصبح له بابان مفتوحان الى النار وان امسى فمثل
ذلك وان كان واحدا فواحدا وان ظلما وان ظلما وان ظلما وقال صلى الله عليه وسلم ان الجنة ليوجد
ريحها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم وقال عليه الصلاة والسلام
بر امك واباك واختك واخاك ثم ادناك فادناك وروي ان الله تعالى قال لموسى انه من بر والديه وعقني
كتبته بارا ومن برني وعق والديه كتبته عاقا وقيل لما دخل يعقوب على يوسف عليهما السلام لم
يقم له فاوحى الله اليه اتتعاظم ان تقوم لابيك وعزتي وجلالي لا اخرجت من صلبك نبيا وقال
عليه السلام ما على احدكم اذا اراد ان يتصدق بصدقة ان يجعلها لوالديه اذا كانا مسلمين فيكون لوالديه
اجرها ويكون له مثل اجورهما من غير ان ينقص من اجورهما شيء وقال مالك بن ربيعة بينا نحن عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله هل بقي علي شيء من بر ابوي ابرهما
بعد وفاتهما قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما واكرام صديقهما وصلة الرحم
التي لا توصل الا بهما وقال صلى الله عليه وسلم ان من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه وقال
عليه السلام بر الوالدة على الولد ضعفان وقال دعوة الوالدة اسرع اجابة قيل يا رسول الله ولم ذلك قال هي ارحم من
الاب ودعوة الرحم لا تسقط وسأله رجل فقال من ابر فقال عليه السلام بر والديك فقال ليس لي والدان
فقال بر ولدك كما ان لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله والدا
اعان ولده على بره اي لم يحمله على العقوق بسوء عمله وقد قيل ولدك ريحانتك سبعا وخادمك سبعا
ثم عدوك او شريكك وقال صلى الله عليه وسلم ساووا بين اولادكم في العطية وقال انس قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلام يعق عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الاذى فاذا بلغ ست
سنين ادب فاذا بلغ سبع سنين عزل فراشه فاذا بلغ ثلاثة عشر سنة ضرب على الصلاة
فاذا بلغ ست عشرة سنة زوجه ابوه ثم اخذ بيده وقال قد ادبتك وعلمتك وانكحتك اعوذ بالله
من فتنتك في الدنيا وعذابك في الآخرة وقال صلى الله عليه وسلم من حق الولد على الوالد ان يحسن
ادبه ويحسن اسمه وقال عليه الصلاة والسلام كل غلام رهين او رهينة بعقيقته يذبح يوم
السابع ويحلق راسه وقال قتادة اذا ذبحت العقيقة اخذت صوفة منها فاستقبلت بها
اوداجها ثم توضع على يافوخ الصبي حتى يسيل منه مثل الخيط ثم يغسل راسه ويحلق بعد وجاء
رجل الى عبد الله بن المبارك فشكا اليه بعض ولده فقال هل دعوت عليه قال نعم قال انت افسدته ويستحب
الرفق بالولد رأى الاقرع بن حابس النبي يقبل الحسن فقال ان لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا
منهم فقال عليه السلام من لا يرحم لا يرحم وقالت عائشة رضي الله عنها قال لي رسول الله اغسلي
وجه اسامة فجعلت اغسله وانا انفه فضرب يدي ثم اخذه فغسل وجهه ثم قبله ثم قال قد
احسن بنا اذ لم يكن جارية وتعثر الحسين والنبي على منبره فنزل فحمله وقرأ قوله تعالى انما اموالكم و
اولادكم فتنة وقال عبد الله بن شداد بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس اذ جاء الحسين
فركب عنقه وهو ساجد فاطال السجود بالناس حتى ظنوا انه قد حدث امر فلما قضى صلاته قالوا

قد اطلت السجود حتى ظننا انه قد حدث امر فقال ان ابني كان قد ارتحلني فكرهت ان اعجله
حتى يقضي حاجته وقال عليه الصلاة والسلام ريح الولد من ريح الجنة وقال يزيد بن معوية
ارسل معوية الى الاحنف بن قيس فلما وصل اليه قال له يا ابا بحر ما تقول في الولد فقال يا امير
المؤمنين ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم ارض ذليلة وسماء ظليلة وبهم نصول على كل جليلة
فان طلبوا فاعطهم وان غضبوا فارضهم يمنحوك ودهم ويحبوك جهدهم ولا تكن عليهم ثقيلا
فيملوا حياتك ويودوا وفاتك ويكرهوا قربك فقال له معوية لله انت يا احنف لقد دخلت علي
واني لمملوء غضبا وغيظا على يزيد فلما خرج الاحنف من عنده رضي عن يزيد وبعث اليه بمائتي الف
درهم ومائتي ثوب فارسل يزيد الى الاحنف بمائة الف درهم ومائة ثوب فقاسمه على الشطر
فهذه هي الاخبار الدالة على تأكد حق الوالدين وكيفية القيام بحقهما تعرف مما ذكرنا في حق الاخوة فان
هذه الرابطة اكد من الاخوة بل نزيد هاهنا امرين احدهما ان اكثر العلماء على ان طاعة الوالدين
واجبة في الشبهات وان لم تجب في الحرام المحض حتى اذا كانا يتنغصان بانفرادك عنهما
بالطعام فعليك ان تأكل معهما لان ترك الشبهة ورع ورضا الوالدين حتم وكذلك ليس لك
ان تسافر في مباح او نافلة الا باذنهما والمبادرة الى الحج الذي هو فرض الاسلام نفل لانه على
التراخي والخروج لطلب العلم نفل الا اذا كان تطلب علم الفرض من الصلاة والصوم ولم يكن
في بلدك من يعلمك وذلك كمن يسلم ابتداء في بلد ليس فيه من يعلمه شرع الاسلام فله الهجرة ولا يتقيد
بحق الوالدين قال ابو سعيد الخدري هاجر رجل الى رسول الله من اليمن واراد الجهاد فقال عليه
الصلاة والسلام هل باليمن ابواك قال نعم قال هل اذنا لك قال لا قال فارجع الى ابويك فاستأذنهما
فان فعلا فجاهد والا فبرهما ما استطعت فان ذلك خير ما تلقى الله به بعد التوحيد وجاء آخر
اليه صلى الله عليه وسلم يستشيره في الغزو فقال الك والدة قال نعم قال فالزمها فان الجنة تحت قدميها
وجاء آخر وطلب البيعة على الهجرة وقال ما جئتك حتى ابكيت والدي فقال ارجع اليهما فاضحكهما
كما ابكيتهما وقال صلى الله عليه وسلم حق كبير الاخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده وقال عليه
الصلاة والسلام اذا استصعبت على احدكم دابته او ساء خلق زوجته او احد من اهل بيته فليؤذن
في اذنه **حقوق المملوك** اعلم ان ملك النكاح قد سبق حقوقه في اداب النكاح فاما ملك
اليمين فهو ايضا يقتضي حقوقا في المعاشرة لا بد من مراعاتها فقد كان من آخر ما اوصى به رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان قال اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم اطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما
تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون فان الله ملككم اياهم ولو شاء لملكهم اياكم وقال
عليه الصلاة والسلام للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف ولا يكلف من العمل ما لا يطيق وقال
صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة خب ولا متكبر ولا خائن ولا سيء الملكة وقال عبد الله بن عمر جاء
رجل الى رسول الله فقال يا رسول الله كم نعفو عن الخادم فصمت عنه صلى الله عليه وسلم ثم قال
اعفوا عنه في كل يوم سبعين مرة وكان عمر رضي الله عنه يذهب الى العوالي في كل يوم سبت فاذا
وجد عبدا في عمل لا يطيقه وضع عنه منه ويروى عن ابي ذر رضي الله عنه انه رحل على دابته
وغلامه يسوق خلفه فقال له يا عبد الله احمله فانما هو اخوك روحه مثل روحك فحمله ثم قال لا يزال
العبد يزداد من الله بعدا ما مشي خلفه وقالت جارية لابي الدرداء اني سممتك منذ سنة
وما عمل فيك شيئا فقال لم فعلت ذلك قالت اردت الراحة منك قال اذهبي فانت حرة لوجه الله
وقال الزهري متى قلت للمملوك اخزاك الله فهو حر وقيل للاحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم قال من
قيس بن عاصم قيل فما بلغ من حلمه قال بينما هو جالس في داره اذ اتته خادم له بسفود عليه شواء

فسقط السفود من يدها على ابن له فعقره فمات فدهشت الجارية فقال ليس يسكن روع هذه
الجارية الا العتق انت حرة لا بأس عليك وكان عون بن عبد الله اذا عصاه غلامه قال ما
اشبهك بمولاك مولاك يعصي مولاه وانت تعصي مولاك فاغضبه يوما فقال انما تريد ان اضربك
اذهب فانت حر وكان عند ميمون بن مهران ضيف فاستعجل على جاريته بالعشاء فجاءت مسرعة
ومعها قصعة مملوءة طعاما فعثرت فاراقتها على رأس سيدها ميمون فقال يا جارية احرقتني
قالت يا معلم الخير ومؤدب الناس ارجع الى ما قال الله تعالى قال وما قال الله تعالى قالت قال الله تعالى
والكاظمين الغيظ قال قد كظمت غيظي قالت والعافين عن الناس قال قد عفوت عنك قالت زد فان الله تعالى
يحب المحسنين قال انت حرة لوجه الله تعالى وقال ابن المنكدر ان رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
ضرب عبدا له فجعل العبد يقول اسألك بالله اسألك بوجه الله فلم يعفه فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
صياح العبد فانطلق اليه فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم امسك يده فقال رسول الله
سألك بوجه الله فلم تعفه فلما رأيتني امسكت يدك قال فانه حر لوجه الله يا رسول الله
قال لو لم تفعل لسفعت وجهك النار وقال عليه الصلاة والسلام العبد اذا نصح لسيده
واحسن عبادة الله فله اجره مرتين ولما اعتق ابو رافع بكى وقال كان لي اجران فذهب احدهما
وقال صلى الله عليه وسلم عرض علي اول ثلاثة يدخلون الجنة واول ثلاثة يدخلون النار فاما
اول ثلاثة يدخلون الجنة فالشهيد وعبد مملوك احسن عبادة ربه ونصح لسيده وعفيف متعفف
ذو عيال واول ثلاثة يدخلون النار امير مسلط وذو ثروة لا يعطي حق الله وفقير فخور وعن
ابي مسعود رضي الله عنه قال بينا انا اضرب غلاما لي اذ سمعت صوتا فالتفت الصوت فقال والله لله اقدر عليك
منك عليه وقال اذا ابتاع احدكم الخادم فليكن اول شيء يطعمه الحلو فانه اطيب لنفسه وقال
ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتى احدكم خادمه بطعامه فليجلسه وليأكل
معه وان لم يفعل فليناوله وفي رواية اذا كفى احدكم مملوكه صنعة طعامه فكفاه حره وعلاجه وقربه
اليه فليجلسه فليأكل معه او ليأخذ اكلة فيروغها واشار بيده فليضعها في يده وليقل كل ودخل
رجل على سلمان وهو يعجن فقال يا ابا عبد الله ما هذا فقال بعثنا الخادم في شغل فكرهنا
ان نجمع عليه عملين وقال صلى الله عليه وسلم من كانت عنده جارية فعالها واحسن اليها ثم اعتقها
وتزوجها فذلك له اجران وقال صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فجميع حق
المملوك ان يشركه في طعمته وكسوته ولا يكلفه فوق طاقته ولا ينظر اليه بعين الكبر والازدراء وان يعفو
عن زلته ويتفكر عند غضبه عليه بهفوته او جنايته في معاصيه وجنايته على حق الله تعالى وتقصيره
في طاعته مع ان قدرة الله عليه فوق قدرته وروى فضالة بن عبيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
ثلاثة لا تسأل عنهم رجل فارق الجماعة وعصى امامه فمات عاصيا فلا تسأل عنه وامرأة غاب عنها
زوجها وقد كفاها مؤنة الدنيا فتبرجت بعده فلا تسأل عنها وثلاثة لا يسأل الله تعالى عنهم رجل
ينازع الله رداءه ورداؤه الكبرياء وازاره العز ورجل في شك من الله والقنوط من رحمة الله آخر
كتاب آداب الصحبة بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب العزلة

الحمد لله الذي اعظم النعمة على خيرة خلقه وصفوته بان صرف همهم الى مؤانسته واجزل حظهم من
التلذذ بمشاهدة آلائه وعظمته وروح اسرارهم بمناجاته وملاطفته وحقر في قلوبهم النظر الى
متاع الدنيا وزهرتها حتى اغتبط بعزلته كل من طويت الحجب عن مجاري فكرته فاستأنس بمطالعة
سبحات وجهه تعالى في خلوته واستوحش بسبب ذلك من الانس بالانس وان كان من اخص خاصته
والصلاة على محمد سيد انبياء الله وخيرته وعلى آله واصحابه سادات الحق وائمته اما بعد فان

الناس

الناس اختلافا كثيرا في العزلة والمخالطة وتفضيل احداهما على الاخرى مع ان كل واحدة منهما قد
لا تنفك عن غوائل تنفر عنها وفوائد تدعو اليها وميل اكثر العباد والزهاد الى اختيار العزلة
وتفضيلها على المخالطة وما ذكرناه في كتاب الصحبة من فضيلة المخالطة والمؤاخاة والمؤالفة يكاد يناقض
ما مال اليه الاكثرون من اختيار الاستيحاش والخلوة فكشف الغطاء عن ذلك مهم ويحصل ذلك برسم
بابين الباب الاول في نقل المذاهب والحجج فيها الباب الثاني في كشف الغطاء عن الحق
بحصر الفوائد والغوائل

الباب الاول

في نقل المذاهب والاقاويل وذكر حجج الفريقين فيه اما المذاهب فقد
اختلف الناس فيها وظهر هذا الاختلاف بين التابعين فذهب الى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة سفيان
الثوري وابراهيم بن ادهم وداود الطائي والفضيل بن عياض وسليمان الخواص ويوسف بن اسباط وحذيفة
المرعشي وبشر الحافي رحمة الله عليهم اجمعين وقال اكثر التابعين باستحباب المخالطة واستكثار المعارف
والاخوان للتآلف والتحبب الى المؤمنين والاستعانة بهم في الدين تعاونا على البر والتقوى ومال الى هذا
سعيد بن المسيب والشعبي وابن ابي ليلى وهشام بن عروة وابن شبرمة وشريح وشريك بن عبد الله
وابن عيينة وابن المبارك والشافعي ومالك واحمد بن حنبل وجماعة والمأثور عن العلماء من الكلمات
ينقسم الى كلمات مطلقة تدل على الميل الى احد الرأيين والى كلمات مقرونة بما يشير الى علة الميل
فلننقل الآن مطلقات تلك الكلمات لتتبين المذاهب فيها وما هو مقرون بذكر العلة نورده عند
التعرض للغوائل والفوائد فنقول قد روي عن عمر رضي الله عنه انه قال خذوا بحظكم
من العزلة وقال ابن سيرين العزلة عبادة وقال الفضيل رحمه الله كفى بالله محبا وبالقرآن
مؤنسا وبالموت واعظا اتخذ الله صاحبا ودع الناس جانبا وقال ابو الربيع الزاهد لداود الطائي
عظني قال صم عن الدنيا واجعل فطرك الآخرة وفر من الناس فرارك من الاسد وقال الحسن كلمات
احفظهن من التوراة قنع ابن آدم فاستغنى اعتزل الناس فسلم ترك الشهوات فصار حرا ترك الحسد
فظهرت مروءته صبر قليلا فتمتع طويلا وقال وهيب بن الورد بلغنا ان الحكمة عشرة اجزاء تسعة منها في
الصمت والعاشر في عزلة الناس وقال يوسف بن مسلم لعلي بن بكار ما اصبرك على الوحدة
وقد كان لزم البيت فقال كنت وانا شاب اصبر على اشد من هذا كنت اجالس الناس ولا
اكلمهم وقال سفيان الثوري هذا وقت السكوت وملازمة البيوت وقال بعضهم كنت في سفينة
ومعنا شاب من العلوية فمكث معنا سبعا لا نسمع له كلاما فقلنا له يا هذا قد جمعنا الله واياك منذ سبع
ولا نراك تخالطنا ولا تكلمنا فقال

قليل الهم لا ولد يموت * ولا امر يحاذره يفوت
قضى وطر الصبا وافاد علما * فغايته التفرد والسكوت

وقال ابراهيم النخعي لرجل تفقه ثم اعتزل وكذا قال الربيع بن خثيم وقيل كان مالك بن انس يشهد
الجنائز ويعود المرضى ويعطي الاخوان حقوقهم فترك ذلك واحدا واحدا حتى تركها كلها وكان يقول
لا يتهيأ للمرء ان يخبر بكل عذر له وقيل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى لو تفرغت لنا فقال ذهب الفراغ
فلا فراغ الا عند الله تعالى وقال الفضيل اني لاجد للرجل عندي يدا اذا لقيني ان لا يسلم علي واذا
مرضت ان لا يعودني وقال ابو سليمان الداراني بينما الربيع بن خثيم جالس على باب
داره اذ جاءه حجر فصك جبهته فشجه فجعل يمسح الدم ويقول لقد وعظت يا ربيع فقام ودخل داره فما
جلس بعد ذلك على باب داره حتى خرجت جنازته وكان سعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد لزما
بيوتهما بالعقيق وقال يوسف بن اسباط سمعت سفيان الثوري يقول والله الذي لا اله الا هو لقد
حلت العزلة وقال بشر بن عبد الله اقل من معرفة الناس فانك لا تدري ما يكون يوم القيامة فان تكن
فضيحة كان من يعرفك قليلا ودخل بعض الامراء على حاتم الاصم فقال له ألك حاجة قال نعم قال ما هي قال ان لا

لا اراك ولا تراني وقال رجل لسهل بن عبد الله التستري اريد ان اصحبك فقال اذا مات احدنا فمن
يصحبه الآخر فليصحبه الآن وقيل للفضيل ان عليا ابنك يقول وددت اني في مكان ارى الناس ولا
يروني فقال الفضيل ان من سخافة عقل الرجل كثرة معارفه وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول
افضل المجالس مجلس في قعر بيتك لا ترى ولا ترى فهذه اقاويل المائلين الى العزلة **ذكر
حجج المائلين الى المخالطة ووجه ضعفها** احتج هؤلاء بقوله تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا
واختلفوا وبقوله الف بين قلوبهم فامتن على الناس بسبب المؤلف وهذا ضعيف لان المراد به تفرق
الآراء واختلاف المذاهب في معاني كتاب الله تعالى واصول الشريعة والمراد بالالفة نزع الغل من
الصدور وهي الاسباب المثيرة للفتن المحركة للخصومات والعزلة لا تنافي ذلك واحتجوا بقوله صلى
الله عليه وسلم المؤمن الف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وهذا ايضا ضعيف فانه اشارة الى مذمة
سوء الخلق الذي يمتنع بسببه المؤالفة ولا يدخل تحته الحسن الخلق الذي ان خالط الف والف ولكنه
ترك المخالطة اشتغالا بنفسه وطلبا للسلامة من غيره واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة
فمات ميتة الجاهلية وبقوله صلى الله عليه وسلم من شق عصا المسلمين والمسلمون في اسلام دامج
فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وهذا ضعيف لان المراد به الجماعة التي اتفقت اراؤهم على
امام بعقد البيعة فالخروج عليهم بغي وذلك مخالفة بالرأي وخروج عليهم وذلك محظور لاضطرار
الخلق الى امام مطاع يجمع رأيهم فلا يكون ذلك الا بالبيعة من الاكثر فالمخالفة فيه تشويش مثير للفتنة
فليس في هذا تعرض للعزلة واحتجوا بنهيه صلى الله عليه وسلم عن الهجر فوق ثلاث اذ قال من هجر اخاه
فوق ثلاث فمات دخل النار وقال لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث والسابق بالصلح يدخل
الجنة وقال من هجر اخاه سنة فهو كسفك دمه قالوا والعزلة هجر بالكلية وهذا ضعيف لان المراد
الغضب على الناس واللجاج فيه بقطع الكلام والسلام والمخالطة المعتادة فلا يدخل فيه ترك المخالطة من غير
غضب مع ان الهجر فوق الثلاث جائز في موضعين احدهما ان يرى فيه استصلاحا للمهجور في الزيادة
والثاني ان يرى لنفسه سلامة فيه والنهي عنه وان كان عاما فهو محمول على ما وراء الموضعين المخصوصين
بدليل ما روي عن عائشة ان النبي هجرها ذا الحجة والمحرم وبعض صفر وروي عن عمر رضي الله عنه
انه صلى الله عليه وسلم اعتزل نساءه والى عليهم شهرا وصعد الى غرفة له فلبث تسعا وعشرين فلما
نزل قيل له انك كنت فيها تسعا وعشرين فقال الشهر يكون تسعا وعشرين وروت عائشة رضي الله
عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاثة ايام الا ان يكون ممن لا تؤمن
بوائقه فهذا صريح في التخصيص وعلى هذا ينزل قول الحسن رحمة الله عليه حيث قال هجران الاحمق قربة
الى الله فان ذلك يدوم الى الموت اذ الحماقة لا ينتظر علاجها وذكر عند محمد بن عمر الواقدي رجل هجر
رجلا حتى مات فقال هذا شيء قد تقدم فيه قوم سعد بن ابي وقاص كان مهاجرا لعمار بن ياسر
حتى مات وعثمان كان مهاجرا لعبد الرحمن بن عوف وعائشة كانت مهاجرة لحفصة وكان
طاوس مهاجرا لوهب بن منبه حتى مات وكل ذلك يحمل على رؤيتهم سلامتهم في المهاجرة احتجوا بما
روي ان رجلا اتى الجبل ليتعبد فيه فجيء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل انت ولا احد
منكم في بعض مواطن الاسلام خير من عبادة احدكم اربعين عاما والظاهر انما كان هذا لما فيه من
ترك الجهاد مع شدة وجوبه في ابتداء الاسلام بدليل ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال غزونا على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فمررنا بشعب فيه عيينة طيبة الماء فقال واحد من القوم
لو اعتزلت الناس في هذا الشعب ولن افعل ذلك حتى اذكر لرسول الله فقال عليه السلام لا تفعل
ذلك فان مقام احدكم في سبيل الله خير من صلاته في اهله ستين عاما الا تحبون ان يغفر الله لكم

وتدخلوا

وتدخلوا الجنة اغزوا في سبيل الله فانه من قاتل في سبيل الله فواق ناقة ادخله الله الجنة واحتجوا
بما روى معاذ انه عليه الصلاة والسلام قال ان الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم يأخذ
القاصية والناحية والشاذة اياكم والشعاب وعليكم بالعامة والجماعة والمساجد وهذا انما اراد به
من اعتزل قبل تمام العلم وسيأتي ان ذلك منهي عنه الا لضرورة **ذكر حجج المائلين الى تفضيل
العزلة** احتجوا بقوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعوا
ربي الآية ثم قال فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا
نبيا اشارة الى ان ذلك ببركة العزلة وهذا ضعيف لان مخالطة الكفار لا فائدة فيها الا دعوتهم
الى الدين وعند اليأس من اجابتهم فلا وجه الا هجرتهم وانما الكلام في مخالطة المسلمين وما فيها
من البركة اذ روي انه عليه الصلاة والسلام قيل له الوضوء من جرة مخمرة احب اليك ام من هذه
المطاهر التي يتطهر منها الناس فقال لا بل من هذه المطاهر التماسا لبركة ايدي المسلمين وروي
انه صلى الله عليه وسلم لما طاف بالبيت عدل الى زمزم ليشرب منها فاذا التمر المنقع في حياض الادم
قد مغثه الناس بايديهم وهم يتناولون منه ويشربون فاستسقى منه فقال اسقوني فقال
العباس ان هذا النبيذ شراب قد مغث وخيض بالايدي افلا آتيك بشراب انظف من هذا
في جرة مخمرة في البيت فقال اسقوني من هذا الذي يشرب منه الناس التمس بركة ايدي المسلمين
فشرب منه فاذن كيف يستدل باعتزال الكفار والاصنام على اعتزال المسلمين مع كثرة البركة فيهم
واحتجوا ايضا بقوله تعالى عن موسى وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون فانه فزع الى العزلة عند اليأس
منهم وقال في اصحاب الكهف واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف امرهم بالعزلة
وقد اعتزل نبينا قريشا لما آذوه وجفوه ودخل الشعب وامر اصحابه باعتزالهم والهجرة الى ارض الحبشة
ثم تلاحقوا به في المدينة بعد ان اعلى الله كلمته وهذا ايضا اعتزال عن الكفار بعد اليأس منهم فانه
صلى الله عليه وسلم لم يعتزل المسلمين ولا من توقع اسلامه من الكفار واهل الكهف لم يعتزل بعضهم بعضا
وهم مؤمنون وانما اعتزلوا الكفار وانما النظر في العزلة من المؤمنين واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم لعقبة
بن عامر الجهني لما قال يا رسول الله ما النجاة قال ليسعك بيتك وامسك عليك لسانك وابك على خطيئتك
وروي انه قيل له صلى الله عليه وسلم اي الناس افضل قال مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قيل
ثم من قال رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره وقال عليه السلام
ان الله يحب العبد التقي النقي الخفي وفي الاحتجاج بهذه الاحاديث نظر فاما قوله صلى الله عليه وسلم لعقبة
بن عامر فلا يمكن تنزيله الا على انه عرفه بنور النبوة من حاله ان لزوم البيت كان اليق به واسلم
من المخالطة فانه لم يأمر جميع الصحابة بذلك ورب شخص تكون سلامته في العزلة لا في المخالطة
كما قد تكون سلامته في القعود في البيت وان لا يخرج الى الجهاد وذلك لا يدل على ان ترك الجهاد افضل
وفي مخالطة الناس مجاهدة ومقاساة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الذي يخالط الناس ويصبر
على اذاهم خير من الذي لم يخالط الناس ولا يصبر على اذاهم وعلى هذا ينزل قوله صلى الله عليه وسلم
رجل معتزل يعبد ربه ويدع الناس من شره فهذا اشارة الى شرير بطبعه تتأذى الناس
بمخالطته وقوله ان الله يحب التقي الخفي اشارة الى ايثار الخمول وتوقي الشهرة وذلك لا يتعلق
بالعزلة فكم من راهب معتزل يعرفه كافة الناس وكم من مخالط خامل لا ذكر له ولا شهرة فهذا
تعرض لامر لا يتعلق بالعزلة احتجوا بما روي انه عليه الصلاة والسلام قال لاصحابه الا انبئكم
بخير الناس قالوا بلى قال فاشار بيده نحو المغرب فقال رجل آخذ بعنان فرسه في سبيل
الله ينتظر ان يغير او يغار عليه الا انبئكم بخير الناس بعده واشار بيده نحو الحجاز وقال

رجاله غنيمه بتقديم الصلاه ويوفي الزكوه ويعلم حتى ابرى ماله اعتزل شرور الناس فان ظهر له حد الاولى لا شفاء منها من الحكايات فلا بد من كشف الغطا بالتصريح بفوايد العزله وغوايلها ومقايسة بعضها بالبعض ليتبين الحق فيها ان شاء الله تعالى

الباب الثاني في فوايد العزله وغوايلها وكشف الحق في فضلها

اعلم ان اختلاف الناس في هذا يضاهي اختلافهم في فضيلة النكاح والعزوبه وقد ذكرنا ان ذلك يختلف باختلاف الاحوال والاشخاص بحسب ما فصلناه من آفات النكاح وفوايده فكذلك القول فيما نحن فيه فلنذكر اولا فوايد العزله وهي تنقسم الى فوايد دينيه ودنيويه والدينيه تنقسم الى ما يمكن من تحصيل الطاعات في الخلوه بالمواظبه على العباده والفكر وتربية العلم والى تخلص من ارتكاب المناهي التي يتعرض الانسان لها بالمخالطه كالريا والغيبه والسكوت عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من الاعمال الخبيثه والاخلاق الرديه من جلساء السو واما الدنيويه فتنقسم الى ما يمكن من التحصيل بالخلوه كتمكن المحترف في خلوته والى التخلص من محذورات تعرض لها بالمخالطه كالنظر الى زهرة الدنيا واقبال الخلق عليها وطمعه في الناس وطمع الناس فيه وانكشاف ستر مروته كالنظر الى زهرة الدنيا والتاذي بسو خلق الجليس في مرائه او سو ظنه او نميمته او محاسدته او التاذي بثقله وتشويه خلقته فالى هذا ترجع مجامع فوايد العزله فلنحصرها في ست فوايد

الفايده الاولى التفرغ للعباده والفكر والاستيناس بمناجاة الله سبحانه وتعالى عن مناجاة الخلق والاشتغال باستكشاف اسرار الله في امر الدنيا والاخره وملكوت السموات والارض فان ذلك يستدعي فراغا ولا فراغ مع المخالطه فالعزله وسيله اليه ولهذا قال بعض الحكما لا يتمكن احد من الخلوه الا بالتمسك بكتاب الله عز وجل والمتمسكون بكتاب الله هم الذين استراحوا من الدنيا بذكر الله تعالى الذاكرون الله بالله عاشوا بذكر الله وماتوا بذكر الله ولا شك في ان هولا تمنعهم المخالطه عن الفكر والذكر فالعزله اولى بهم ولذلك كان صلى الله عليه وسلم في ابتدا امره يتبتل في جبل حرا وينعزل اليه حتى قوي فيه نور النبوه وكان الخلق لا يحجبه عن الله فكان ببدنه مع الخلق وبقلبه مقبلا على الله تعالى حتى كان الناس يظنون ان ابا بكر خليله فاخبر عن استغراق همه بالله فقال لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله ولن يسع الخلق الجمع بين مخالطة الخلق ظاهرا والاقبال على الله سرا الا قوة النبوه فلا ينبغي ان يغتر كل ضعيف بنفسه فيطمع في ذلك ولا يبعد ان تنتهي درجة بعض الاوليا اليه فقد نقل عن الجنيد انه قال انا اكلم الله تعالى منذ ثلثين سنه والناس يظنون اني اكلمهم وهذا انما تيسر للمستغرق بحب الله استغراقا لم يبق لغيره فيه متسع وذلك غير منكر ففي المشتهرين بحب الخلق من يخالط الناس ببدنه وهو لا يدري ما يقول ولا ما يقال له لفرط عشقه لمحبوبه بل الذي دهاه ملم تشوش عليه امرا من امور دينه قد يستغرقه الهم بحيث يخالط الناس ولا يحس بهم ولا يسمع اصواتهم لشدة استغراقه وامر الاخره اعظم عند العقلا فلا يستحيل ذلك فيه ولكن الاولى بالاكثرين الاستعانه بالعزله ولذلك قيل لبعض الحكما ما الذي ارادوا بالخلوه واختيار العزله فقال يستدعون بذلك دوام الفكره وتثبيت العلوم في قلوبهم ليحيوا حياة طيبه ويذوقوا حلاوة المعرفه وقيل لبعض الرهبان ما اصبرك على الوحده فقال ما انا وحدي انا جليس الله تعالى واذا شيت ان يناجيني قرات كتابه واذا شيت ان اناجيه صليت وقيل لبعضهم الى اي شي افضى بهم الزهد والخلوه فقال الى الانس بالله وقال سفيان بن عيينه لقيت ابرهيم بن ادهم في بلاد الشام فقلت له يا ابرهيم تركت خراسان قال ما تهنات بالعيش الا هاهنا افر بديني من شاهق الى شاهق فمن يراني يقول موسوس او حمال او ملاح وقيل

لغزوان الرقاشي هبك لا تضحك فما يمنعك من مجالسة اخوانك فقال اني اصيب راحة قلبي في مجالسة من عنده حاجتي وقيل للحسن يا ابا سعيد هاهنا رجل لم نره قط الا جالسا وحده خلف ساريه فقال اذا رايتموه فاخبروني به فنظروا اليه ذات يوم فقالوا للحسن هذا الرجل الذي اخبرناك به واشاروا اليه فمضى اليه الحسن وقال له يا عبد الله اراك قد حببت اليك العزله فما يمنعك من مجالسة الناس فقال امر شغلني عن الناس فقال فما يمنعك ان تاتي هذا الرجل الذي يقال له الحسن فتجلس اليه فقال امر شغلني عن الناس وعن الحسن فقال له الحسن وما ذاك الشغل رحمك الله فقال اني اصبح وامسي بين نعمة وذنب فرايت ان اشغل نفسي بشكر الله على النعمه والاستغفار من الذنب فقال له الحسن انت يا عبد الله افقه عندي من الحسن فالزم ما انت عليه وقيل بينما اويس القرني جالس اذ اتاه هرم بن حيان فقال له اويس ما جاء بك فقال جيت لآنس بك فقال اويس ما كنت ارى احدا يعرف ربه فيانس بغيره وقال الفضيل اذا رايت الليل مقبلا فرحت به وقلت اخلو بربي واذا رايت الصبح ادركني استرجعت كراهية لقا الناس وان يجي من يشغلني عن ربي وقال عبد الواحد بن زيد طوبى لمن عاش في الدنيا وعاش في الاخره قيل له وكيف ذلك قال يناجي الله تعالى في الدنيا ويجاوره في الاخره وقال ذو النون المصري سرور المومن ولذته في الخلوه بمناجاة ربه وقال مالك بن دينار من لم يانس بمحادثة الله عن محادثة المخلوقين فقد قل علمه وعمي قلبه وضيع عمره وقال ابن المبارك ما احسن حال من انقطع الى الله وروي عن بعض الصالحين انه قال بينما انا اسير في بعض بلاد الشام اذا انا بعابد خارج من بعض تلك الجبال فلما نظر الي تنحى الى اصل شجره وتستر بها فقلت سبحان الله تبخل علي بالنظر اليك فقال يا هذا اني اقمت في هذا الجبل دهرا طويلا اعالج قلبي في الصبر عن الدنيا واهلها فطال في ذلك تعبي وفني فيه عمري فسالت الله تعالى ان لا يجعل حظي من ايامي في مجاهدة قلبي فسكنه الله من الاضطراب والفه الوحده والانفراد فلما نظرت اليك خفت ان اقع في الامر الاول فاليك عني فاني اعوذ من شرك برب العارفين وحبيب القانتين ثم صاح واغماه من طول المكث في الدنيا ثم حول وجهه عني ثم نفض يديه وقال اليك عني يا دنيا لغيري فتزيني واهلك فغري ثم قال سبحان من اذاق قلوب العارفين من لذة الخدمه وحلاوة الانقطاع اليه ما الهى قلوبهم عن ذكر الجنان وعن الحور الحسان فاذن في الخلوه انس بذكر الله واستكثار من معرفة الله وفي ذلك قيل

وانى لاستغشي وما بي غشية ... لعل خيالا منك يلقى خياليا
واخرج من بين الجلوس لعلني ... احدث عنك النفس بالسر خاليا

ولذلك قال بعض الحكما انما يستوحش الانسان من نفسه لخلو ذاته عن الفضيله فيكثر حينيذ ملاقاة الناس ويطرد الوحشه عن نفسه فاذا كانت ذاته فاضله طلب الوحده ليستعين بها على الفكره ويستخرج العلم والحكمه وقد قيل الاستيناس بالناس من علامات الافلاس فاذن هذه فايده جزيله ولكن في حق بعض الخواص ومن تيسر له بدوام الذكر الانس بالله او بدوام الفكر التحقق في معرفة الله فالتجرد له افضل من كل ما يتعلق بالمخالطه فان غاية العبادات وثمرة المعاملات ان يموت الانسان محبا لله عارفا بالله سبحانه ولا محبه الا بالانس الحاصل بدوام الذكر ولا معرفه الا بدوام الفكر وفراغ القلب شرط في كل واحد منهما ولا فراغ مع المخالطه

الفايده الثانيه التخلص بالعزله عن المعاصي التي يتعرض لها الانسان غالبا بالمخالطه ويسلم منها في الخلوه وهي اربعه الغيبه والريا والسكوت عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من الاخلاق الرديه والاعمال الخبيثه التي يوجبها الحرص على الدنيا اما الغيبه فاذا عرفت في كتاب آفات اللسان

من ربع المهلكات وحرمها عرفت ان التحرز عنها مع المخالطة عظيم لا ينجو منها الا الصديقون فان عادة
الناس كافة التمضمض باعراض الناس والتفكه بها والتنقل بحلاوتها فهى طعمتهم ولذتهم واليها
يستروحون من وحشتهم فى الخلوة فان خالطتهم ووافقتهم اثمت وتعرضت لسخط الله وان
سكت كنت شريكا والمستمع احد المغتابين وان انكرت ابغضوك وتركوا ذلك المغتاب واغتابوك
فازدادوا غيبة الى غيبة وربما زادوا على الغيبة وانتهوا الى الاستخفاف والشتم **واما الامر
بالمعروف والنهى عن المنكر** فهو من اصول الدين وهو واجب كما سياتى بيانه فى اخر هذا الربع ان
شاء الله تعالى ومن يخالط الناس فلا يخلو عن مشاهدة المنكرات فان سكت عصى الله به وان انكر
تعرض لانواع من الضرر وربما يجره طلب الخلاص منها الى معاص هى اكبر مما نهى عنه وفى العزلة
خلاص من هذا فان الامر فى اهماله شديد والقيام به شاق **وقد قام** ابو بكر رضى الله عنه خطيبا
وقال ايها الناس انكم تقرءون هذه الاية يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم
وانكم تضعونها فى غير مواضعها وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا راى الناس المنكر
فلم يغيروه اوشك ان يعمهم الله بعقاب **وقد** قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يسال العبد حتى يقول
ما منعك اذ رايت المنكر فى الدنيا ان تنكره فاذا لقن الله عبدا حجته قال يا رب رجوتك وخفت الناس
وهذا اذا خاف من ضرب او امر لا يطاق ومعرفة حدود ذلك مشكل وفيه خطر وفى العزلة خلاص وفى
الامر بالمعروف اثارة للخصومات وتحريك لغوائل الصدور كما قيل

وكم سقت فى اثاركم من نصيحة * وقد يستفيد البغضة المتنصح *

ومن جرب الامر بالمعروف ندم عليه غالبا فانه كجدار مائل يريد الانسان ان يقيمه وحده فيوشك ان يسقط
عليه فاذا سقط عليه يقول ليتنى تركته مائلا نعم لو وجد اعوانا امسكوا الحائط حتى يحكمه بدعامة
استقام وانت اليوم لا تجد الاعوان فدعهم وانج براسك واما الرياء فهو الداء العضال الذى يعسر على
الاوتاد والابدال التحرز عنه وكل من خالط الناس داراهم ومن داراهم راياهم ومن راياهم وقع فيما
وقعوا فيه وهلك كما هلكوا واقل ما يلزم فيه النفاق فانك ان خالطت متعاديين ولم تلق كل واحد منهما
بوجه يوافقه صرت بغيضا اليهما جميعا وان جاملتهما كنت من شرار الناس قال صلى الله عليه وسلم
تجدون من شرار الناس ذا الوجهين الذى ياتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه واقل ما يجب فى مخالطة الناس
اظهار الشوق والمبالغة فيه ولا يخلو ذلك عن كذب اما فى الاصل واما فى الزيادة واظهار الشفقة بالسؤال
عن الاحوال فقولك كيف انت وكيف اهلك وانت فى الباطن فارغ القلب من همومه نفاق محض قال ابن
مسعود ان الرجل ليخرج من بيته فيلقى الرجل له اليه الحاجة فيقول انت كيت وكيت فيمدحه
ولا يحظى من حاجته بشىء فيرجع وقد حبط الله ما معه من دينه من شىء **وقال** السرى لو دخل
على اخ لى فسويت لحيتى بيدى لدخوله لخشيت ان اكتب فى جريدة المنافقين **وكان** الفضيل
جالسا وحده فى المسجد الحرام فجاء اليه اخ له فقال له ما جاء بك فقال المؤانسة يا ابا على فقال هى والله
بالمواحشة اشبه هل تريد الا ان تتزين لى واتزين لك وتكذب لى واكذب لك اما ان تقوم عنى واما
ان اقوم عنك **وقال** بعض العلماء ما احب الله عبدا الا احب ان لا يشعر به **ودخل** طاوس على الخليفة
هشام فقال كيف انت يا هشام فغضب عليه وقال لم لا تخاطبنى بامرة المؤمنين فقال لان جميع
المسلمين ما اتفقوا على خلافتك فخشيت ان اكون كاذبا فمن امكنه ان يحترز هذا الاحتراز فليخالط
الناس والا فليرض باثبات اسمه فى جريدة المنافقين فقد كان السلف يتلاقون ويحترزون فى
قولهم كيف اصبحت وكيف حالك وفى الجواب عنه وكان سؤالهم عن احوال الدين لا عن احوال الدنيا
قال حاتم الاصم لحامد اللفاف كيف انت فى نفسك قال سالم معافا فكره حاتم جوابه فقال يا حامد

السلامة

السلامة من وراء الصراط والعافية فى الجنة **وكان** اذا قيل لعيسى عليه السلام كيف اصبحت قال
اصبحت لا املك تقديم ما ارجو ولا استطيع دفع ما احاذر واصبحت مرتهنا بعملى والخير كله فى
يد غيرى فلا فقير افقر منى **وكان** الربيع بن خثيم اذا قيل له كيف اصبحت قال اصبحنا ضعفاء
مذنبين نستوفى ارزاقنا وننتظر اجالنا **وكان** ابو الدرداء رضى الله عنه اذا قيل له كيف اصبحت
قال اصبحت بخير ان نجوت من النار **وكان** سفيان الثورى اذا قيل له كيف اصبحت يقول اشكر
ذا الى ذا وافر من ذا الى ذا وقيل لاويس القرنى كيف اصبحت قال كيف يصبح رجل اذا قيل
له امسى لا يدرى انه يصبح واذا اصبح لا يدرى انه يمسى وقيل لمالك بن دينار كيف اصبحت
قال اصبحت فى عمر ينقص وذنوب تزيد وقيل لبعض الحكماء كيف اصبحت قال اصبحت لا ارضى
حياتى لمماتى ولا نفسى لربى وقيل لحكيم كيف اصبحت قال اكل رزق ربى واطيع عدوه ابليس
وقيل لمحمد بن واسع كيف اصبحت قال ما ظنك برجل يرتحل كل يوم الى الاخرة مرحلة وقيل
لحامد اللفاف كيف اصبحت قال اصبحت اشتهى عافية يوم الى الليل فقيل له الست فى عافية فى كل
الايام قال العافية يوم لا اعصى الله فيه وقيل لرجل وهو يجود بنفسه ما حالك فقال ما حال من
يريد سفرا بعيدا بلا زاد ويدخل قبرا موحشا بلا مونس وينطلق الى ملك عدل بلا حجة وقيل لحسان
بن سنان ما حالك قال ما حال من يموت ثم يبعث ثم يحاسب وقال ابن سيرين لرجل كيف
حالك فقال كيف حال من عليه خمسمائة درهم دينا وهو معيل فدخل ابن سيرين منزله فاخرج له الف
درهم فدفعها اليه وقال خمسمائة اقض بها دينك وخمسمائة عد بها على عيالك ولم يكن عنده غير
ها ثم قال والله لا اسال احدا عن حاله ابدا وانما قال ذلك لانه خشى ان يكون سؤاله عن غير اهتمام
بامره فيكون بذلك مرائيا منافقا فقد كان سؤالهم عن امور الدين واحوال القلب فى معاملة الله تعالى
وان سالوا عن امور الدنيا فعن اهتمام وعزم على القيام بما يظهر لهم من الحاجة قال بعضهم انى
لاعرف اقواما كانوا لا يتلاقون ولو حكم احدهم على صاحبه بجميع ما يملكه لم يمنعه وارى الان اقواما
يتلاقون ويتساءلون عن الدجاجة فى البيت ولو انبسط احدهم لحبة من مال صاحبه لمنعه فهل هذا الا
لمجرد الرياء والنفاق واية ذلك انك ترى هذا يقول كيف انت والاخر يقول كيف انت فالسائل لا ينتظر
الجواب والمسؤول يشتغل بالسؤال ولا يجيب وذلك لمعرفتهم بان ذلك عن رياء وتكلف ولعل القلوب
لا تخلو عن ضغائن واحقاد والالسنة تنطق بالسؤال وقال الحسن انما كانوا يقولون السلام عليكم اذ
سلمت والله القلوب فاما الان فكيف اصبحت عافاك الله كيف انت اصلحك الله فان اخذنا بقولهم
كان بدعة لا ولا كرامة وان شاؤا غضبوا علينا وان شاؤا لا وانما قال ذلك لان البداية بقولك كيف
اصبحت بدعة وقال رجل لابى بكر بن عياش كيف اصبحت فما اجابه وقال دعونا من هذه
البدعة وقال انما حدث هذا فى زمان الطاعون الذى كان يدعى عمواس بالشام من الموت الذريع
كان يلقى الرجل اخاه غدوة فيقول كيف اصبحت من الطاعون ويلقاه عشية فيقول كيف
امسيت والمقصود ان الالتقاء فى غالب العادات ليس يخلو عن انواع من التصنع والرياء والنفاق
وكل ذلك مذموم وبعضه محظور وبعضه مكروه وفى العزلة الخلاص من ذلك فان من لقى الخلق ولم
يخالقهم باخلاقهم مقتوه واستثقلوه واغتابوه وتشمروا لايذائه فيذهب دينهم فيه ويذهب
دينه ودنياه فى الانتقام منهم واما مسارقة الطبع لما يشاهده من اخلاق الناس واعمالهم
فهو داء دفين قلما يتنبه له العقلاء فضلا عن الغافلين فلا يجالس الانسان فاسقا مدة مع
كونه منكرا عليه فى باطنه الا ولو قاس نفسه الى ما قبل مجالسته لادرك بينهما تفرقة فى النفرة عن
الفساد واستثقاله اذ يصير الفساد بكثرة المشاهدة هينا على الطبع ويسقط وقعه واستعظامه
عنه وانما الوازع عنه شدة وقعه فى القلب فاذا صار مستصغرا بطول المشاهدة اوشك ان تنحل

القوة الوازعة ويهون على الطبع الميل إليه أو ما دونه ومهما طالت مشاهدة الكبائر من غيره استحقر
الصغائر من نفسه ولذلك يزدري الناظر إلى الأغنياء نعمة الله عليه فتؤثر مجالستهم في أن يستصغر
ما عنده وتؤثر مجالسة الفقراء في استعظام ما أتيح له من النعم الجليلة وكذلك النظر إلى المطيعين
والعصاة هذا تأثيره في الطبع فمن يقصر نظره على ملاحظة أحوال الصحابة والتابعين في العبادة
والتنزه عن الدنيا فلا يزال ينظر إلى نفسه بعين الاستصغار وإلى عبادته بعين الاستحقار وما
دام يرى نفسه مقصرا فلا يخلو عن داعية الاجتهاد رغبة في الاستكمال واستتماما للاقتداء
ومن نظر إلى الأحوال الغالبة على أهل الزمان وإعراضهم عن الله وإقبالهم على الدنيا واعتيادهم
المعاصي استعظم أمر نفسه بأدنى رغبة في الخير يصادفها في قلبه وذلك هو الهلاك ويكفي في
تغيير الطبع مجرد سماع الخير والشر فضلا عن مشاهدته وبهذه الدقيقة يعرف سر قوله صلى الله عليه وسلم
عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة فإنما الرحمة دخول الجنة ولقاء الله تعالى وليس ينزل عند الذكر عين
ذلك ولكن سببه وهو انبعاث الرغبة من القلب وحركة الحرص على الاقتداء بهم والاستنكاف مما
هو ملابس له من القصور والتقصير ومبدأ الرحمة هو فعل الخير ومبدأ فعل الخير الرغبة ومبدأ
الرغبة ذكر أحوال الصالحين فهذا معنى نزول الرحمة والمفهوم من فحوى هذا الكلام عند الفطن
كالمفهوم من نظمه وهو أن عند ذكر الفاسقين تنزل اللعنة لأن كثرة ذكرهم تهون على الطبع
أمر المعاصي واللعنة هو البعد ومبدأ البعد من الله هو المعاصي والإعراض عن الله بالإقبال على
الحظوظ العاجلة والشهوات الحاضرة لا على الوجه المشروع ومبدأ المعاصي سقوط ثقلها
وتفاحشها عن القلب ومبدأ سقوط ذلك وقوع الأنس بها بكثرة السماع وإذا كان هذا ذكر
حال الصالحين والفاسقين فما ظنك بمشاهدتهم بل قد صرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال
مثل الجليس السوء كمثل القين إن لم يحرقك بشرره علق بك من ريحه فكما أن الريح تعلق بالثوب
ولا يشعر به فكذلك يسهل الفساد على القلب ولا يشعر به وقال صلى الله عليه وسلم مثل الجليس
الصالح مثل صاحب المسك إن لم يهب لك منه تجد ريحه ولهذا أقول من عرف من عالم زلة حرم
عليه حكايتها لعلتين إحداهما أنه غيبة والثانية وهي أعظمها أن حكايتها تهون على المستمعين
أمر تلك الزلة ويسقط من قلوبهم استعظامها والإقدام عليها فيكون ذلك سببا لتهوين تلك
المعصية فإنه مهما وقع ذلك فاستنكر ذلك دفع الاستنكار وقال كيف يستبعد هذا منا
وكلنا مضطرون إليه حتى العلماء والعباد ولو اعتقد أن مثل ذلك لا يقدم عليه عالم ولا يتعاطاه
موفق معتبر لشق عليه الإقدام فكم من شخص يتكالب على الدنيا ويحرص على جمعها ويتهالك على
حب الرياسة وتزيينها ويهون على نفسه قبحها بأن الصحابة لم ينزهوا عن حب الرياسة وتزيينها
وربما يستشهد عليه بقتال علي ومعوية ويخمن في نفسه أن ذلك لم يكن لطلب الحق بل لطلب
الرياسة فهذا الاعتقاد الخطأ يهون عليه أمر الرياسة ولوازمها من المعاصي والطبع اللئيم يميل إلى
اتباع الهفوات والإعراض عن الحسنات إلى تقدير الهفوة فيما لا هفوة فيه بالتنزيل على مقتضى
الشهوة ليتعلل به وهذا من دقائق مكايد الشيطان ولذلك وصف الله تعالى المخصوصين
بالمخالفة للشيطان منها بقوله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وضرب رسول الله لذلك
مثلا وقال مثل الذي يجلس يستمع الحكمة ثم لا يحمل إلا شر ما يسمع كمثل رجل أتى راعيا فقال له
يا راعي أجزرني شاة من غنمك فقال اذهب فخذ خير شاة منها فذهب فأخذ بأذن كلب
الغنم وكل من ينقل هفوات الأئمة فهذا مثاله أيضا ومما يدل على سقوط وقع الشيء عن القلب بسبب
تكرره ومشاهدته أن أكثر الناس إذا رأى مسلما أفطر في نهار رمضان استبعده استبعادا
يكاد يفضي إلى اعتقادهم كفره وقد يشاهدون من يخرج الصلوات عن أوقاتها فلا تنفر عنه

طباعهم كنفرتهم عن تأخير الصوم مع أن صلاة واحدة يقتضي تركها الكفر عند قوم وحز
الرقبة عند قوم وترك صوم رمضان كله لا يقتضيه ولا سبب له إلا أن الصلاة تتكرر والتساهل
فيها مما يكثر فيسقط وقعها بالمشاهدة وكذلك لو لبس الفقيه ثوبا من حرير أو خاتما من
ذهب أو شرب من إناء فضة استبعدته النفوس واشتد إنكارها وقد يشاهد في مجلس
طويل لا يتكلم إلا بما هو اغتياب للناس ولا يستبعد ذلك منه والغيبة أشد من الزنا فكيف
لا يكون أشد من لبس الحرير ولكن كثرة سماع الغيبة ومشاهدة المغتابين أسقط عن
القلوب وقعها وهونها على النفوس أمرها فتفطن لهذه الدقائق وفر من الناس فرارك من الأسد
فإنك لا تشاهد منهم إلا ما يزيد حرصك على الدنيا وغفلتك عن الآخرة ويهون عليك
المعصية ويضعف رغبتك في الطاعة فإن وجدت جليسا يذكرك الله صورته وسيرته
فالزمه ولا تفارقه واغتنمه ولا تستحقره فإنها غنيمة العاقل وضالة المؤمن وتحقق أن
الجليس الصالح خير من الوحدة والوحدة خير من جليس السوء ومهما فهمت هذه المعاني ولاحظت
طبعك والتفت إلى حال من أردت مخالطته لم يخف عليك أن الأولى التباعد عنه بالعزلة
أو التقرب إليه بالخلطة وإياك أن تحكم مطلقا على العزلة والخلطة بأن إحداهما أولى إذ كل منفصل
من القول فإطلاق القول فيه بلا أو نعم ولا حق في المفصل إلا التفصيل الفائدة الثالثة
الخلاص من الفتن والخصومات وصيانة الدين والنفس عن الخوض فيها والتعرض لأخطارها وقلما
تخلو البلاد عن تعصبات وفتن وخصومات فالمعتزل عنهم في سلامة من ذلك قال ابن عمرو بن
العاص لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتن ووصفها وقال إذا رأيت الناس مرجت عهودهم
وخفت أماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين أصابعه فقلت ما تأمرني فقال الزم بيتك واملك
عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بأمر الخاصة ودع عنك أمر العامة وروى
أبو سعيد الخدري أنه قال عليه الصلاة والسلام يوشك أن يكون مال المسلم غنما يتبع بها شعاف
الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن وروى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال صلى الله
عليه وسلم سيأتي على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه إلا من فر بدينه من قرية إلى قرية ومن
شاهق إلى شاهق ومن جحر إلى جحر كالثعلب الذي يروغ قيل ومتى ذلك يا رسول الله قال إذا لم تنل
المعيشة إلا بمعاصي الله فإذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وقد أمرتنا
بالتزويج قال إذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يدي أبويه فإن لم يكن له أبوان فعلى
يدي زوجته وولده فإن لم يكن فعلى يدي قرابته قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال يعيرونه بضيق
اليد فيتكلف ما لا يطيق حتى يورده ذلك موارد الهلكة وهذا الحديث وإن كان في العزوبة
فالعزلة مفهومة منه إذ لا يستغني المتأهل عن المعيشة والمخالطة ثم لا ينال المعيشة إلا
بمعصية الله ولست أقول هذا أوان ذلك الزمان فلقد كان هذا بأعصار قبل هذا العصر
ولأجله قال سفيان الثوري رحمه الله والله لقد حلت العزلة وقال ابن مسعود ذكر رسول
الله صلى الله عليه وسلم الفتنة وأيام الهرج قلت وما الهرج قال حين لا يأمن الرجل جليسه قلت
فما تأمرني إن أدركت ذلك الزمان قال كف نفسك ويدك وادخل دارك قلت أرأيت
يا رسول الله إن دخل علي داري قال فادخل بيتك قلت فإن دخل علي بيتي قال فادخل
مسجدك واصنع هكذا وقبض على الكوع وقل ربي الله حتى تموت وقال سعد لما دعي إلى الخروج
أيام معوية فقال لا إلا أن تعطوني سيفا له عينان بصيرتان ولسان ينطق بالكافر فأقتله
وبالمؤمن فأكف عنه وقال مثلنا ومثلكم كمثل قوم كانوا على محجة بيضاء فبيناهم كذلك يسيرون

اذ ثارت ريح عجاجة فضلوا الطريق فما المتبع عليهم فقال بعضهم الطريق ذات اليمين فأخذ فريق بهم فتاهوا وضلوا وقال بعضهم الشمال فأخذ به قوم فتاهوا فيها وضلوا وقال آخرون وتوقفوا حتى ذهبت الريح وتبين الطريق فنجوا وجماعة فارقوا الفتن ولزموا العزلة عارفين بها وعن ابن عمر وقيل ابن عباس لما بلغه ان الحسين توجه الى العراق فلحقه على مسيرة ثلاثة ايام فقال له اين تريد قال العراق ومعه طوامير وكتب فقال هذه كتبهم وبيعتهم فقال لا تنظر الى كتبهم ولا تأتهم فأبى فقال اني محدثك حديثا عن رسول الله ان جبريل اتى النبي صلى الله عليه وسلم فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة على الدنيا وانك بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا يليها احد منكم ابدا وما صرفها عنكم الا الذي هو خير لكم فأبى ان يرجع فاعتنقه ابن عمر وبكى وقال استودعك الله من قتيل وكان في الصحابة عشرة الاف فلم يخف منهم ايام الفتنة اكثر من اربعين رجلا وجلس طاوس في بيته فقيل له في ذلك فقال فساد الزمان وحيف الائمة ولما بنى عروة قصره بالعقيق لزمه ولم يخرج فقيل له لزمت القصر وتركت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رأيت مساجدكم لاهية واسواقكم لاغية والفاحشة في فجاجكم عالية وفيما هناك عما انتم فيه عافية فاذن الخلاص من الخصومات ومثار الفتن احدى فوائد العزلة

الفائدة الرابعة الخلاص من شر الناس فانهم يؤذونك مرة بالغيبة ومرة بسوء الظن والتهمة ومرة بالاقتراحات والاطماع الكاذبة التي يعسر الوفاء بها وتارة بالنميمة والكذب وربما يرون منك من الاعمال والاقوال ما لا يبلغ عقولهم كنهه فيتخذون ذلك ذخيرة عندهم ليخرجوه في وقت يظهر فيه فرصة للشر فاذا اعتزلتهم استغنيت عن التحفظ عن جميع ذلك ولذلك قال بعض الحكماء لغيره اعلمك بيتين خير من عشرة الاف درهم قال ما هما قال

اخفض الصوت ان نطقت بليل • والتفت بالنهار قبل المقال •
ليس للقول رجعة حين يبدو • بقبيح يكون او بجمال •

ولا شك ان من خالط الناس وشاركهم في اعمالهم لم ينفك عن حاسد وعدو يسيء الظن به ويتوهم انه يستعد لمعاداته ونصب المكيدة عليه وتدسيس غائلة وراءه فالناس مهما اشتد حرصهم على امر يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم وقد اشتد حرصهم على الدنيا فلا يظنون بغيرهم الا الحرص عليها والميل اليها قال المتنبي في ذلك

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه • وصدق ما يعتاده من توهم •
وعادى محبيه بقول عداته • واصبح في ليل من الشك مظلم •

وقد قيل معاشرة الاشرار تورث سوء الظن بالاخيار وانواع الشر التي يلقاها الانسان من جاره ومن يختلط به كثيرة لسنا نطول بتفصيلها وفيما ذكرناه اشارة الى مجامعها وفي العزلة خلاص من جميعها والى هذا اشار اكثر من اختار العزلة فقال ابو الدرداء رضي الله عنه

من حمد الناس ولم يبلهم • ثم بلاهم ذم من يحمد •
وصار بالوحدة مستأنسا • يوحشه الاقرب والابعد •

وقال عمر في العزلة راحة من الخليط السوء وقيل لعبد الله بن الزبير الا تأتي المدينة قال ما بقي فيها الا حاسد نعمة او فرح بنقمة وقال ابن السماك كتب صاحب لنا اما بعد فان الناس كانوا دواء يتداوى بهم فصاروا داء لا دواء لهم ففر منهم فرارك من الاسد وكان بعض الاعراب يلازم شجرة ويقول هو نديم فيه ثلاث خصال ان سمع مني لم ينم علي وان تفلت في وجهه احتمل وان عربدت عليه لم يغضب فسمع كلامه الرشيد فقال زهدني في الندماء وكان بعضهم قد لزم الدفاتر والمقابر فقيل له

في ذلك فقال لم ار اسلم من الوحدة ولا اوعظ من قبر ولا جليس امتع من دفتر قال الحسن اردت الحج فسمع ثابت البناني وكان ايضا من اولياء الله تعالى فقال بلغني انك تريد الحج فاحببت ان اصحبك قال له الحسن ويحك دعنا نتعاشر بستر الله علينا اني اخاف ان نصطحب فيرى بعضنا من بعض ما نتماقت عليه وهذه اشارة الى فائدة اخرى في العزلة وهو بقاء الستر على الدين والمروءة والاخلاق والفقر وسائر العورات وقد مدح الله المتسترين فقال يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف • وقال الشاعر

ولا عار ان زالت عن الحر نعمة • ولكن عارا ان يزول التجمل •

ولا يخلو الانسان في دينه ودنياه واخلاقه وافعاله عن عورات الاولى في الدين والدنيا سترها ولا تبقى السلامة مع انكشافها وقال ابو الدرداء كان الناس ورقا لا شوك فيه فالناس اليوم شوك لا ورق فيه واذا كان هذا حكم زمانه وهو في اواخر القرن الاول فلا ينبغي ان يشك في ان الاخير شر وقال سفيان بن عيينة قال لي سفيان الثوري في اليقظة في حياته وفي المنام بعد مماته اقلل من معرفة الناس فان التخلص منهم شديد ولا احسب اني رأيت ما اكره الا ممن اعرف وقال بعضهم جئت الى مالك بن دينار وهو جالس وحده واذا كلب قد وضع حنكه على ركبته فذهبت اطرده فقال دعه يا هذا هذا لا يضر ولا يؤذي وهو خير من الجليس السوء وقيل لبعضهم ما حملك على ان تعتزل الناس قال خشيت ان اسلب ديني ولا اشعر وهذا اشارة الى مسارقة الطبع من اخلاق القرين السوء وقال ابو الدرداء اتقوا الله واحذروا الناس فانهم ما ركبوا ظهر بعير الا دبروه ولا ظهر جواد الا عقروه ولا قلب مؤمن الا خربوه وقال بعضهم اقلل المعارف فانه اسلم لدينك وقلبك واخف لسقوط الحقوق عنك لانه كلما كثرت المعارف كثرت الحقوق وعسر القيام بالجميع وقال بعضهم انكر من تعرف ولا تتعرف الى من لا تعرف

الفائدة الخامسة ان ينقطع طمع الناس عنك وينقطع طمعك عن الناس فاما انقطاع طمع الناس عنك ففيه فوائد فان رضا الناس غاية لا تدرك فاشتغال المرء باصلاح نفسه اولى ومن اهون الحقوق وايسرها حضور الجنائز وعيادة المرضى وحضور الولائم والاملاكات وفيها تضييع الاوقات والتعرض للآفات ثم قد يعوق عن بعضها عائق وتستقبل فيها معاذير ولا يمكن اظهار كل الاعذار فيقولون قصر في حقنا ويصير ذلك سبب عداوة فقد قيل من لم يعد مريضا في وقت العيادة اشتهى موته خيفة من تخجيله اذا صح على تقصيره ومن عمم الناس كلهم بالحرمان رضوا عنه كلهم ولو خصص استوحشوا وتعميمهم بجميع الحقوق لا يقدر عليه المتجرد له طول الليل والنهار فكيف من له مهم يشغله في دين او دنيا قال عمرو ابن العاص كثرة الاصدقاء كثرة الغرماء وقال ابن الرومي

عدوك من صديقك مستفاد • فلا تستكثرن من الصحاب •
فان الداء اكثر ما تراه • يكون من الطعام او الشراب •

وقال الشافعي رحمه الله اصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللئام واما انقطاع طمعك عنهم فهو ايضا فائدة جزيلة فان من نظر الى زهرة الدنيا وزينتها تحرك حرصه وانبعث بقوة الحرص طمعه ولا يرى الا الخيبة في اكثر الاطماع فيتأذى به ومهما اعتزل لم يشاهد واذا لم يشاهد لم يطمع ولذلك قال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم وقال صلى الله عليه وسلم انظروا الى من هو دونكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فانه اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم • وقال عون بن عبد الله كنت اجالس الاغنياء فلم ازل مغموما كنت ارى ثوبا

ودابة اوره من دابتي فقالت الفقراء استرحت وحكي ان المزني خرج من باب جامع
الفسطاط وقد اقبل ابن عبد الحكم في موكبه فبهره ما راى من حاله وحسن هيئته فتلا قوله تعالى
وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون ثم قال بلى اصبر وارضى وكان رحمه الله فقيرا مقلا فالذي
في بيته لا يبتلي بمثل هذه الفتن فان من شاهد زينة الدنيا فاما ان يقوى دينه ويقينه
فيصبر فيحتاج الى ان يتجرع مرارة الصبر وهو امر من الصبر او تنبعث رغبته فيحتال في طلب
الدنيا فيهلك هلاكا مؤبدا اما في الدنيا فبالطمع الذي يخيب في اكثر الاوقات فليس كل من
يطلب الدنيا تتيسر له واما في الاخرة فبايثاره متاع الدنيا على ذكر الله تعالى والتقرب اليه
ولذلك قال ابن الاعرابي * هذا البيت
اذا كان باب الذل من جانب الغنى * سموت الى العليا من جانب الفقر
اشارة الى ان الطمع في الخلق يوجب ذلا **الفائدة السادسة** الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمقى
ومقاساة حمقهم واخلاقهم فان رؤية الثقيل هو العمى الاصغر قيل للاعمش مم عمشت عيناك
قال من نظري الى الثقلاء وقيل انه دخل عليه ابو حنيفة فقال له في الخبر ان من سلب الله كريمتيه عوضه
عنهما ما هو خير منهما فما الذي عوضك فقال في معرض المطايبة انه عوضني منهما ما هو خير منهما
انه كفاني رؤية الثقلاء وانت منهم وقال ابن سيرين سمعت رجلا يقول نظرت الى ثقيل
مرة فغشي علي وقال جالينوس لكل شيء حمى وحمى الروح النظر الى الثقلاء وقال الشافعي
ما جالست ثقيلا الا وجدت الجانب الذي يليه من بدني انقل علي من الجانب الاخر وهذه الفوائد
ما سوى الاوليين متعلقة بالمقاصد الدنيوية الحاضرة ولكنها ايضا تتعلق بالدين فان الانسان مهما
تاذى برؤية ثقيل لم يلبث ان يغتابه وان يستنكر ما هو صنع الله تعالى واذا تاذى من غيره بغيبة
او سوء ظن او محاسدة او نميمة او غير ذلك لم يصبر عن مكافاته وكل ذلك يجر الى فساد الدين وفي
العزلة سلامة من جميع ذلك فليفهم **آفات العزلة** اعلم ان من المقاصد الدينية والدنيوية
ما يستفاد من الاستعانة بالغير ولا يحصل ذلك الا بالمخالطة والدواعي اليها ما هي التعليم
والتعلم والنفع والانتفاع والتاديب والتادب والاستئناس والايناس ونيل الثواب وانالته في القيام
بالحقوق واعتياد التواضع واستفادة التجارب من مشاهدة الاحوال والاعتبار بها
فلنفصل ذلك فانها من فوائد المخالطة وهي سبعة **الفائدة الاولى** التعليم والتعلم وقد
ذكرنا فضلهما في كتاب العلم وهما اعظم العبادات في الدنيا ولا يتصور ذلك الا بالمخالطة الا
ان العلوم كثيرة وبعضها مندوب وبعضها ضروري في الدنيا فالمحتاج الى التعلم لما هو فرض عليه
عاص بالعزلة وان تعلم الفرض وكان لا يتاتى منه الخوض في العلوم ورأى الاشتغال بالعبادة
فليعتزل وان كان يقدر على التبرز في علوم الشرع والعقل فالعزلة في حقه قبل التعلم هي في
حقه قبل التعلم غاية الخسران ولهذا قال النخعي وغيره تفقه ثم اعتزل ومن اعتزل قبل التعلم
فهو في الاكثر مضيع اوقاته بنوم او فكرة في هوس وغايته ان يستغرق بالاوراد الاوقات يستوعبها
فلا ينفك في اعماله بالبدن والقلب عن انواع من الغرور يخيب سعيه ويبطل عمله من حيث لا يدري
ولا ينفك في اعتقاده في الله وصفاته عن اوهام يتوهمها ويانس بها وعن خواطر فاسدة
تعتريه فيها فيكون في اكثر احواله ضحكة للشيطان وهو يرى نفسه من العباد فالعلم هو اصل
الدين فلا خير في عزلة العوام والجهال اعني من لا يحسن العبادة في الخلوة ولا يعرف جميع ما يلزمه فيها
فمثال النفس مثال مريض يفتقر الى طبيب متلطف يعالجه فالمريض الجاهل اذا خلا بنفسه عن
الطبيب قبل ان يتعلم الطب تضاعف لا محالة مرضه فلا تليق العزلة الا بالعالم واما المتعلم

ففيه ثواب عظيم مهما صحت نية المتعلم والمعلم ومهما كان القصد اقامة الجاه والاستكثار
بالاصحاب والاتباع فهو هلاك الدين وقد ذكرنا وجه ذلك في كتاب العلم وحكم العالم في هذا
الزمان ان يعتزل ان اراد سلامة دينه فانه لا يرى مستفيدا يطلب فائدة لدينه بل لا طالب
الا الكلام المزخرف يستميل به العوام في معرض الوعظ او الجدل المعقد يتوصل به الى افحام
الاقران فيتقرب به الى السلطان ويستعمل في معرض المنافسة والمباهاة واقرب علم
مرغوب فيه المذهب ولا يطلب غالبا الا للتوصل الى التقدم على الامثال وتولي الولايات
واجتلاب الاموال وهؤلاء كلهم يقتضي الدين والحزم الاعتزال عنهم فان صودف طالب لله
ومتقرب بالعلم الى الله فاكبر الكبائر الاعتزال عنه وكتمان العلم منه وهذا لا يصادف في بلد
كبير اكثر من واحد او اثنين ان صودف ولا ينبغي ان يغتر بقول سفيان تعلمنا العلم
لغير الله فابى ان يكون الا لله فان الفقهاء يتعلمون لغير الله ثم يرجعون الى الله تعالى وانظر
الى اواخر اعمار الاكثر منهم واعتبرهم انهم ماتوا هلكى على طلب الدنيا ومتكالبين عليها او راغبين فيها
او راغبين عنها او زاهدين فيها وليس الخبر كالمعاينة واعلم ان العلم الذي اشار اليه سفيان
هو علم الحديث وتفسير القرآن ومعرفة سير الانبياء والصحابة رضي الله عنهم فان فيها التخويف
والتحذير وهو سبب لاثارة الخوف من الله تعالى فان لم يؤثر في الحال اثر في المآل فاما الكلام
والفقه المجرد الذي يتعلق بفتاوى المعاملات وفصل الخصومات المذهب منه والخلاف لا يرد
الراغب فيه للدنيا الى الله بل لا يزال متماديا في حرصه الى آخر عمره ولعل ما اودعناه هذا
الكتاب ان تعلمه المتعلم رغبة في الدنيا فيجوز ان يرخص فيه اذ يرجى ان ينزجر به في آخر عمره
فانه مشحون بالتخويف بالله والترغيب في الآخرة والتحذير من الدنيا وذلك مما يصادف في الاحاديث
وتفسير القرآن ولا يصادف في كلام ولا خلاف ولا في مذهب فلا ينبغي ان يخادع الانسان نفسه
فان المقتصر العالم بتقصيره اسعد من الجاهل المغرور او المتجاهل المغبون وكل عالم اشتغل
على التعليم اوشك ان يكون غرضه القبول طلبا وحظه لذة القبول للحال باستشعار الادلال
على الجهال والتكبر عليهم فآفة العلم الخيلاء كما قال صلى الله عليه وسلم وكذلك حكي عن بشر
انه دفن سبعة عشر قمطرا من كتب الاحاديث التي سمعها وكان لا يحدث ويقول اني
اشتهي ان احدث فلذلك لا احدث ولو اشتهيت ان لا احدث لحدثت ولذلك قال حدثنا
باب من ابواب الدنيا واذا قال الرجل حدثنا فانما يقول اوسعوا لي وقالت رابعة العدوية لسفيان
الثوري نعم الرجل انت لولا رغبتك في الدنيا قال وفيما ذا رغبت قال في الحديث وكذلك قال
ابو سليمان الداراني من تزوج او كتب الحديث او اشتغل بالسفر فقد ركن الى الدنيا وهذه
آفات قد نبهنا عليها في كتاب العلم والاحتراز بالعزلة هو الحزم وترك الاستكثار من الاصحاب ما امكن
بل الذي يطلب الدنيا بتدريسه وتعليمه فالصواب له ان كان عاقلا في مثل هذا الزمان ان يتركه
فلقد صدق ابو سليمان الخطابي حيث قال دع الراغبين في صحبتك والتعلم منك فليس لك
منهم مال ولا جمال اخوان العلانية اعداء السر اذا لقوك تملقوك واذا غبت عنهم سلقوك من
اتاك منهم كان عليك رقيبا واذا خرج كان عليك خطيبا اهل نفاق ونميمة وغل وخديعة
فلا تغتر باجتماعهم عليك فما غرضهم العلم بل الجاه والمال وان يتخذوك سلما الى اوطارهم
وحمارا في حاجاتهم ان قصرت في غرض من اغراضهم كانوا اشد اعدائك ثم يعدون ترددهم
اليك دالة عليك ويرونه حقا واجبا لديك ويفرضون عليك ان تبذل عرضك وجاهك ودينك
لهم فتعادي عدوهم وتنصر قريبهم وخادمهم ووليهم وتنتهض لهم سفيها وقد كنت فقيها

ويكون المعلم تابعا خسيسا بعد أن كان متبوعا رئيسا ولذلك قيل اعتزال العامة مروءة تامة فهذا
محق كلامه وان خالف بعض الفاظه وهو حق وصدق فانك ترى المدرسين في رق دائم وتحت
حق لازم ومنة ثقيلة ممن يتردد اليهم فكأنه يهدي تحفة اليه فيرى حقه واجبا عليه
وربما لا يختلف اليه ما لم يتكفل برزق له على الادرار ثم ان المدرس المسكين قد يعجز عن القيام
بذلك من ماله فلا يزال يتردد الى ابواب السلاطين ويقاسي الذل والشدائد مقاساة الذليل
المهين حتى يكتب له على بعض وجوه السحت مال حرام ثم لا يزال العامل يسترقه ويستخدمه
ويمتهنه ويستذله الى ان يسلم اليه ما يقدر عليه بمنة سابقة من عين عليه ثم يبقى في مقاساة
القسمة على اصحابه ان ساوى بينهم مقته المبرزون ونسبوه الى الحمق والى قلة التمييز والقصور
عن درك مقادير الفضل والقيام في مقادير الحقوق بالعدل وان فاوت بينهم سلقه السفهاء
بالسنة حداد وثاروا عليه ثوران الاساود لا الاساد فلا يزال في مقاساتهم في الدنيا وفي مطالبة
ما يأخذه ويفرقه في العقبى والعجب انه مع هذا البلاء كله يمني نفسه بالاباطيل ويدليه بحبل الغرور
ويقول له لا تنتهي عن صنيعك فانما انت بما تفعله مريد وجه الله ومذيع شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وناشر علم دين الله وقائم بكفاية طلاب العلم من عباد الله واموال السلاطين لا مالك لها وهي مرصدة
للمصالح واي مصلحة اكبر من تكثير اهل العلم فيهم يظهر الدين ويتقوى اهله ولو لم يكن ضحكة
للشيطان لعلم بادنى تأمل ان فساد الزمان لا سبب له الا كثرة امثال اولئك الفقهاء الذين ياكلون
ما يجدون ولا يميزون بين الحلال والحرام فتلحظهم اعين الجهال ويستجرؤون على المعاصي اقتداء
بهم واقتفاء لآثارهم ولذلك قيل ما فسدت الرعية الا بفساد الملوك وما فسدت الملوك الا بفساد العلماء
فنعوذ بالله من الغرور والعمى فانه الداء الذي ليس له دواء **الفائدة الثانية** النفع والانتفاع اما
الانتفاع بالناس فبالكسب والمعاملة وذلك لا يتأتى الا بالمخالطة والمحتاج اليه مضطر الى
ترك العزلة فيقع في جهاد من المخالطة ان طلب موافقة الشرع فيه كما ذكرنا في كتاب الكسب فان كان
معه مال لو اكتفى به قانعا لاقنعه فالعزلة افضل له اذ انسدت طرق المكاسب في الاكثر الا من
المعاصي الا ان يكون غرضه الصدقة بكسبه فاذا اكتسب من وجهه وتصدق فهو افضل من العزلة
للاشتغال بالنافلة وليس بافضل من العزلة للاشتغال بالتحقق في معرفة الله ومعرفة علوم الشرع
ولا من الاقبال بكنه الهمة على الله والتجرد به لذكر الله تعالى اعني من حصل له انس بمناجاة الله
عن كشف وبصيرة لا عن اوهام وخيالات فاسدة واما النفع فهو ان ينفع الناس اما بماله او ببدنه فيقوم
بحاجاتهم على سبيل الحسبة ففي النهوض بقضاء حوائج المسلمين ثواب
وذلك لا ينال الا بالمخالطة ومن قدر عليها مع القيام بحدود الشرع فهو افضل له من العزلة ان كان
لا يشتغل في عزلته الا بنوافل الصلوات والاعمال البدنية وان كان ممن انفتح له طريق العمل
بالقلب بدوام ذكر او فكر فذلك لا يعدل به غيره البتة **الفائدة الثالثة** التأديب والتأدب
ونعني به الارتياض بمقاساة الناس والمجاهدة في تحمل اذاهم كسرا للنفس وقهرا للشهوات
وهي من الفوائد التي تستفاد بالمخالطة وهي افضل من العزلة في حق من لم تتهذب بعد
اخلاقه ولم تذعن لحدود الشرع شهواته ولهذا انتدب خدام الصوفية في الرباطات فيخالطون
الناس بخدمتهم واهل السوق للسؤال منهم كسرا لرعونة النفس واستمدادا من بركة دعاء الصوفية
المنصرفين بهممهم الى الله وكان هذا هو المبدأ في الاعصار الخالية والآن قد خالطته الاغراض
الفاسدة ومال ذلك عن القانون كما مال سائر شعائر الدين فصار يطلب من التواضع بالخدمة التكثير
بالاستتباع والتذرع الى جمع المال والاستظهار بكثرة الاتباع فان كانت النية هذا فالعزلة

خير منه ولو الى القبر وان كانت النية رياضة النفس فهو خير من العزلة في حق المحتاج الى
الرياضة وذلك مما يحتاج اليه في بداية الارادة فبعد حصول الارتياض ينبغي ان يفهم ان الدابة
لا يطلب من رياضتها عين رياضتها بل المراد منها ان تتخذ مركبا يقطع به المراحل ويطوى
على ظهره الطريق والبدن مطية للقلب يركبها ليسلك بها طريق الآخرة وفيها شهوات
ان لم يكسرها جمحت به في الطريق فمن اشتغل طول عمره بالرياضة كان كمن اشتغل طول عمر
الدابة برياضتها ولم يركبها فلا يستفيد منه الا الخلاص في الحال من عضها ورفسها ورمحها
وهي لعمري فائدة مقصودة ولكن مثلها حاصل من البهيمة الميتة وانما تراد الدابة لفائدة تحصل
من حياتها فكذلك الخلاص من الم الشهوات في الحال يحصل بالنوم والموت فلا ينبغي ان يقنع
بها كالراهب الذي قيل له يا راهب فقال ما انا براهب انما انا كلب حبست نفسي حتى لا
اعقر الناس وهذا حسن بالاضافة الى من يعقر ولكن لا ينبغي ان يقتصر عليه فان من قتل نفسه
ايضا لم يعقر الناس بل ينبغي ان يتشوف الى الغاية المقصودة بها ومن فهم ذلك واهتدى
الى الطريق وقدر على السلوك استبان له ان العزلة اعون عليه من المخالطة فالافضل لمثل هذا
المخالطة اولا والعزلة آخرا واما التأديب فانما نعني به ان يروض غيره وهو حال شيخ
الصوفية معهم فانه لا يقدر على تهذيبهم الا بمخالطتهم وحاله حال المعلم وحكمه حكمه ويتطرق
اليه من دقائق الآفات والرياء ما يتطرق الى نشر العلم الا ان مخايل طلب الدنيا من المريدين
الطالبين للارتياض ابعد منها من طلبة العلم ولذلك ترى فيهم قلة وفي طلبة العلم كثرة
فينبغي ان يقيس ما تيسر له من الخلوة بما تيسر له من المخالطة وتهذيب القوم وليقابل احدهما
بالآخر وليؤثر الافضل وذلك يدرك بدقيق الاجتهاد ويختلف بالاحوال والاشخاص فلا يمكن
الحكم عليه مطلقا بنفي ولا اثبات **الفائدة الرابعة** الاستيناس والايناس وهو غرض من يحضر الولائم
والدعوات ومواضع المعاشرة والانس وهذا يرجع الى حظ النفس في الحال وقد يكون ذلك على
وجه حرام بمؤانسة من لا تجوز مؤانسته او على وجه مباح وقد يستحب ذلك لامر الدين وذلك
فيمن يستأنس بمشاهدة احواله واقواله في الدين كالانس بالمشايخ الملازمين لسمت
التقوى وقد يتعلق بحظ النفس ويستحب اذا كان الغرض منه ترويح القلب لتهييج دواعي النشاط
في العبادة فان القلوب اذا اكرهت عميت ومهما كان في الوحدة وحشة وفي المجالسة انس يروح
القلب فهو اولى اذ الرفق في العبادة من حزم العبادة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يمل
حتى تملوا وهذا امر لا يستغنى عنه فان النفس لا تألف الحق على الدوام ما لم تروح وفي تكليفها
الملازمة تنفير ومن يشاد هذا الدين يغلبه فان الدين متين والايغال فيه برفق دأب المستبصرين
ولذلك قال ابن عباس لولا مخافة الوسواس لم اجالس الناس وقال مرة لدخلت بلادا لا انيس بها
وهل يفسد الناس الا الناس فلا يستغني المعتزل اذن عن رفيق يستأنس به بمشاهدته وفي
محادثته في اليوم والليلة ساعة فليجتهد في طلب من لا يفسد عليه في ساعته تلك سائر
ساعاته فقد قال صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل وليحرص ان يكون
حديثه عند اللقاء في امور الدين وحكاية احوال القلب وشكواه وقصوره عن الثبات على الحق
والاهتداء الى الرشد ففي ذلك متنفس ومستروح للنفس وفيه مجال رحب لكل مشغول الهمة
بصنعته فانه لا تنقطع شكواه ولو عمر اعمارا طويلة والراضي عن نفسه مغرور قطعا فهذا النوع من
الاستيناس في بعض اوقات النهار ربما يكون افضل من العزلة في حق بعض الاشخاص فليتفقد
فيه احوال القلب واحوال الجليس اولا ثم يجالس **الفائدة الخامسة** في نيل الثواب وانالته

اما المباح فحضور الجنائز وعيادة المرضى وحضور العيدين اما حضور الجمعة فلا بد منه وحضور الجماعات في سائر الصلوات ايضا لا رخصة في تركها الا لخوف ضرر ظاهر يقاوم ما يفوت من فضائل الجماعة ويزيد عليه وذلك لا يتفق الا نادرا وكذلك في حضور الاملاكات والدعوات ثواب من حيث انه ادخال سرور على قلب مسلم واما ما لاجله فهو ان يتبع ابناء الناس ويعوده في المصائب او يهنئ على النعم فانهم سالون به تواليا وكذلك ان كان من العلماء واذن لهم في الزيارة كالاولياء الزيارة وكان همه المتمكين سيأتيه فينبغي ان يزن ثواب هذه المخالطات بآفاتها التي ذكرناها وعند ذلك قد يترجح العزلة وقد يترجح المخالطة فقد يحكى عن جماعة من السلف مثل مالك وغيره ترك اجابة الدعوات وعيادة المرضى وحضور الجنائز كانوا احلاس بيوتهم ولا يخرجون الا للجمعة او زيارة القبور وبعضهم فارق الامصار وانحاز الى قلل الجبال تفرغا للعبادة وفرارا من الشواغل الفائدة السادسة من المخالطة التواضع فانه من افضل المقامات ولا يقدر عليه في الوحدة وقد يكون الكبر سببا في اختيار العزلة فقد روي في الاسرائيليات ان حكيما من الحكماء صنف ثلثمائة وستين مصحفا في الحكمة حتى ظن انه قد نال عند الله منزلة فاوحى الله تعالى الى نبيه قل لفلان انك قد ملأت الارض نفاقا وانى لا اقبل من نفاقك شيئا قال فتخلى وانفرد في سرب تحت الارض وقال الآن قد بلغت رضا ربي فاوحى الله تعالى الى نبيه قل له انك لن تبلغ رضاي قال فدخل السوق وخالط العامة وجالسهم وواكلهم واكل الطعام بينهم ومشى في الاسواق معهم فاوحى الله تعالى اليه الآن قد بلغت رضاي فكم من معتزل في بيته وباعثه التكبر ومانعه عن المحافل ان لا يوقر ولا يقدم او يرى الترفع عن مخالطتهم ارفع لمحله وابقى لطراوة ذكره بين الناس وقد يعتزل خيفة من ان تظهر مقابحه لو خالط فلا يعتقد فيه الزهد والاشتغال بالعبادة فيتخذ من البيت سترا على مقابحه ابقاء على اعتقاد الناس في زهده وتعبده من غير استغراق وقت في العبادة بذكر او فكر وعلامة هؤلاء انهم يحبون ان يزاروا ولا يحبون ان يزوروا ويفرحون بتقرب العوام والسلاطين اليهم واجتماعهم على بابهم وطرقهم وتقبيل ايديهم على سبيل التبرك ولو كان الاشتغال بنفسه هو الذي يبغض اليه المخالطة وزيارة الناس لبغض اليه زيارتهم له كما حكيناه عن الفضيل حيث قال وهل جئتني الا لاتزين لك وتتزين لي وعن حاتم الاصم انه قال للامير الذي زاره حاجتي ان لا اراك ولا تراني فمن ليس مشغولا مع نفسه بذكر الله تعالى فاعتزاله عن الناس سببه شدة اشتغاله بالناس لان قلبه متجرد لالتفات الى نظرهم اليه بعين الوقار والاحترام والعزلة بهذا السبب جهل من وجوه احدها ان التواضع والمخالطة لا ينقص مرتبة من هو كبير بعلمه او دينه ما دام على رضي الله عنه يحمل التمر والملح في ثوبه ويده ويقول لا ينقص الكامل من كماله • ما جر من نفع الى عياله • وكان ابو هريرة وحذيفة وابي وابن مسعود يحملون حزمة الحطب وجراب الدقيق وغيره على ظهورهم وكان ابو هريرة يقول وهو وال والحطب على راسه طرقوا لاميركم وكان سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم يشتري الشيء فيحمله الى بيته فيقول له صاحبه اعطني احمله فيقول صاحب المتاع احق بحمله وكان الحسين بن علي يمر بالسؤال وبين ايديهم الكسر فيقولون هلم الغداء يا ابن رسول الله فكان يجلس على الطريق وياكل معهم ثم يركب ويقول ان الله لا يحب المستكبرين الوجه الثاني ان الذي شغل بنفسه بطلب رضاء الناس عنه وتحسين اعتقادهم فيه مغرور لانه لو عرف حق المعرفة علم ان الخلق لا يغنون عنه من الله شيئا وان ضره ونفعه بيد الله تعالى فلا نافع ولا ضار سواه وان من طلب رضاء الناس ومحبتهم بسخط الله سخط الله عليه واسخط عليه الناس بل رضاء الناس غاية لا تدرك فرضى الله اولى بالطلب ولذلك قال الشافعي ليونس بن عبد الاعلى والله ما اقول لك

الا نصحا انه ليس الى السلامة من الناس سبيل فانظر ما يصلحك فافعله وكذلك قيل من راقب الناس مات غما وقال بالامر الجسور ونظر سهل الى واحد من اصحابه فقال اعمل كذا وكذا فقال يا استاد لا اقدر عليه لاجل الناس فالتفت الى اصحابه وقال لا ينال عبد حقيقة من هذا الامر حتى يكون باحد وصفين عبد يسقط الناس من عينه فلا يرى في الدنيا الا خالقه وان احدا لا يقدر ان يضره ولا ينفعه وعبد سقطت نفسه عن قلبه فلا يبالي باي حال يرونه وقال الشافعي ليس من احد الا له محب ومبغض فاذا كان كذلك فكن مع اهل طاعة الله وقيل للحسن يا ابا سعيد ان قوما يحضرون مجلسك ليس بغيتهم الا تتبع سقطات كلامك وتعنتك في السؤال فتبسم وقال هون على نفسك فاني حدثت نفسي بسكنى الجنان ومجاورة الرحمن فطمعت وما حدثت نفسي بالسلامة من الناس لاني قد علمت ان خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم لم يسلم منهم وقال موسى يا رب احبس عني السنة الناس فقال هذا شيء لم اصطفه لنفسي فكيف افعله بك واوحى الله تعالى الى العزير ان لم تطب نفسا بان اجعلك علكا في افواه الناس لم اكتبك عندي من المتواضعين فاذن من حبس نفسه في البيت ليحسن اعتقادات الناس فيه واقوالهم فهو في عناء حاضر في الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون فاذن لا تستحب العزلة الا لمستغرق الاوقات بربه ذكرا وفكرا وعبادة وعلما بحيث لو خالط الناس لضاعت اوقاته وكثرت آفاته وتشوشت عليه عبادة الله فهذه هي غوائل خفية في اختيار العزلة ينبغي ان تتقى فانها مهلكات في صورة منجيات

الفائدة السابعة التجارب فانها تستفاد من مخالطة الخلق ومجاري احوالهم والعقل الغريزي ليس كافيا في تفهيم مصالح الدين والدنيا وانما تفيدها التجربة والممارسة ولا خير في عزلة من لم تحكمه التجارب فالصبي اذا اعتزل بقي غمرا جاهلا فينبغي ان يشتغل بالتعلم ويحصل له في مدة التعلم ما يحتاج اليه من التجارب ويكفيه ذلك ويحصل بقية التجارب بسماع الاحوال فلا يحتاج الى المخالطة ومن اهم التجارب ان يجرب نفسه واخلاقه وصفات باطنه وذلك لا يقدر عليه في الخلوة فان كل مجرب في الخلاء يسر وكل غضوب او حقود او حسود اذا خلا في نفسه لم يترشح منه خبثه وهذه الصفات مهلكات في انفسها يجب اماطتها او قهرها ولا يكفي تسكينها بالتباعد عما يحركها فمثال القلب المشحون بهذه الخبائث مثال دمل ممتلئ بالقيح والمدة وقد لا يحس صاحبه بالمه ما لم يتحرك او يمسه غيره فان لم يكن له يد تمسه او عين تبصر صورته ولم يكن معه من يحركه ربما ظن بنفسه السلامة ولم يشعر بالدمل في نفسه واعتقد فقده ولكن لو حركه محرك او اصابه مشرط حجام لانفجر منه القيح لان الشيء المحتقن اذا حبس عن الاسترسال فكذلك القلب المشحون بالبخل والحقد والغضب والحسد وسائر الاخلاق الذميمة انما تتفجر منه خبائثه اذا حرك وعن هذا كان السالكون لطريق الآخرة الطالبون لتزكية القلوب يجربون انفسهم فمن كان يستشعر في نفسه كبرا كان يحمل على ظهره قربة ماء بين الناس او حزمة حطب على راسه ويتردد في الاسواق ليجرب نفسه فان غوائل النفس ومكايد الشيطان خفية قل من يتفطن لها ولذلك حكي عن واحد انه قال اعدت صلاة ثلثين سنة مع اني كنت اصليها في الصف الاول ولكن تخلفت يوما لعذر فما وجدت موضعا في الصف الاول فوقفت في الصف الثاني فوجدت نفسي تستشعر خجلة من نظر الناس الي وقد سبقت بالصف الاول فعلمت ان جميع صلواتي كانت مشوبة بالرياء ممزوجة بلذة نظر الناس الي ورؤيتهم اياي في زمرة السابقين الى الخير فالمخالطة لها فائدة ظاهرة في استخراج الخبائث واظهارها ولذلك قيل السفر يسفر عن الاخلاق فانه نوع من المخالطة دائمة وسيأتي غوائل هذه المعاني ودقائقها في ربع المهلكات فان بالجهل بها يحبط العمل الكثير وبالعلم بها يزكو العمل القليل ولولا ذلك لما فضل العلم على العمل اذ يستحيل ان يكون العلم بالصلاة ولا يراد الا للصلاة افضل من الصلاة فانا نعلم ان ما يراد

لغيره فذلك العلم اشرف منه وقد قضى الشرع بتفضيل العالم على العابد حتى قال صلى الله عليه وسلم
فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي فمعنى تفضيل العلم يرجع الى ثلاثة اوجه
احدها ما ذكرناه والثاني عموم نفعه اذ يتعدى فايدته والعمل لا يتعدى والثالث ان يراد به
العلم بصفات الله وافعاله فذلك افضل من كل عمل بل مقصود الاعمال صرف القلوب عن الخلق
الى الخالق لتنبعث بعد الانصراف اليه لمعرفته ومحبته فالعمل وعلم العمل يراد لهذا العلم وهذا العلم
غاية المريدين كالشرط له واليه الاشارة بقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه
فالكلم الطيب هو هذا العلم والعمل كالحمال الرافع له الى مقصده فيكون المرفوع افضل من الرافع
وهذا الكلام معترض لا يليق بهذا الكلام فلنرجع الى المقصود فنقول اذا عرفت فوايد العزلة
وغوايلها تحققت ان الحكم عليها مطلقا بالتفضيل نفيا واثباتا خطأ بل ينبغي ان ينظر الى
الشخص وحاله والى الخليط وحاله والى الباعث على مخالطته والى الفايت بسبب مخالطته من هذه
الفوايد المذكورة ويقاس الفايت بالحاصل فعند ذلك يتبين الحق ويتضح الافضل وكلام الشافعي
هو فصل الخطاب اذ قال يا يونس الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط اليهم مجلبة
لقرناء السوء فكن بين المنقبض والمنبسط فلذلك يجب الاعتدال في المخالطة والعزلة ويختلف
ذلك بالاحوال وبملاحظة الفوايد والافات يتبين الافضل هذا هو الحق الصريح وكل ما ذكر سوى هذا
فهو قاصر وانما هو اخبار كل واحد عن حالة خاصة هو فيها فلا يجوز ان يحكم بها على غيره المخالف له
في الحال والفرق بين العالم والصوفي في ظاهر العلم يرجع الى هذا وهو ان الصوفي لا يتكلم الا عن
حاله فلا جرم ان تختلف اجوبتهم في المسايل والعالم هو الذي يدرك الحق على ما هو عليه فلا
ينظر الى حال نفسه وكشف الحق فيه وذلك مما لا يختلف فان الحق واحد ابدا والقاصر عن
الحق كثير لا ينحصر ولذلك سيل الصوفية عن الفقر فما من واحد الا اجاب بجواب اخر وكل ذلك حق
بالاضافة الى حاله وليس بحق في نفسه اذ الحق لا يكون الا واحدا ولذلك قال ابو عبد الله الجلاء وقد
سيل عن الفقر فقال اضرب بكميك الحايط وقل ربي الله فهو الفقر **وقال** الجنيد الفقير هو الذي
لا يسال ولا يعارض فان عورض سكت **وقال** سهل بن عبد الله الفقير الذي لا يسال ولا يدخر
وقال اخر هو ان لا يكون لك فاذا كان لك لم يكن لك ومن حيث لم يكن لك لم يكن لك **وقال**
ابراهيم الخواص هو ترك الشكوى واظهار اثر البلوى والمقصود انه لو سيل منهم مائة لسمع
منهم مائة جواب مختلفة قلما يتفق منها اثنان وذلك كله حق من وجه فانه خبر كل واحد
عن حاله وما غلب على قلبه ولذلك لا ترى اثنين منهم يثبت احدهما لصاحبه قدما في التصوف
او يثني عليه بل كل واحد يدعي انه الواصل الى الحق والواقف عليه لان اكثر ترددهم على مقتضى
الاحوال التي تعرض لقلوبهم فلا يشتغلون الا بانفسهم ولا يلتفتون الى غيرهم ونور العلم اذا
اشرق احاط بالكل وكشف الغطاء ورفع الاختلاف ومثال نظر هولاء ما رايته من نظر قوم
في ادلة الزوال بالنظر في الظل فقال بعضهم هو في الصيف قدمان وحكي عن اخر انه قال
نصف قدم واخر يرد عليه ويقول هو في الشتاء سبعة اقدام وحكي عن اخر انه خمسة اقدام واخر يرد عليه
فهذا يشبه اجوبة الصوفية واختلافهم فان كل واحد من هولاء اخبر عن الظل الذي رآه ببلد
نفسه فصدق في قوله واخطأ في تخطئة صاحبه اذ ظن ان العالم كله بلده او مثل بلده كما ان الصوفي
لا يحكم على العالم الا بما هو حال نفسه والعالم بالزوال هو الذي يعرف علة طول الظل وقصره وعلة
اختلافه بالبلاد فيخبر باحكام مختلفة في بلاد مختلفة ويقول في بعضها لا ظل وفي بعضها لا يبقى ظل
وفي بعضها يطول وفي بعضها يقصر فهذا ما اردنا ان نذكره من فضيلة العزلة والمخالطة
فان قلت فمن آثر العزلة ورآها افضل له واسلم فما آدابه في العزلة **فنقول** انما يطول النظر

والعمل

في اداب المخالطة وقد ذكرناها في كتاب اداب الصحبة واما اداب العزلة فلا تطول فينبغي للمعتزل
ان ينوي بعزلته كف شره عن الناس اولا ثم طلب السلامة من شر الاشرار ثانيا ثم الخلاص من آفة
القصور عن القيام بحقوق المسلمين ثالثا ثم التجرد بكنه الهمة لعبادة الله رابعا فهذه آداب
نيته ثم ليكن في خلوته مواظبا على العلم والعمل والذكر والفكر ليجتني ثمرة العزلة وليمنع الناس
ان يكثروا غشيانه وزيارته فيتشوش وقته وليكف عن السوال عن اخبارهم وعن الاصغاء الى
اراجيف البلد وما الناس مشغولون به فان كل ذلك ينغرس في القلب حتى ينبعث في اثناء
الصلوة او الفكر من حيث لا يحتسب فوقوع الاخبار في السمع كوقوع البذر في الارض فلا بد ان تنبت
وتتفرع عروقها واغصانها ويتداعى بعضها الى البعض واحد مهمات المعتزل قطع الوساوس
الصارفة عن ذكر الله تعالى والاخبار ينابيع الوساوس واصولها وليقنع باليسير من المعيشة
والا اضطره التوسع الى الناس واحتاج الى مخالطتهم وليكن صبورا على ما يلقاه من اذى الجيران
وليسد سمعه عن الاصغاء الى ما يقال فيه من ثناء عليه بالعزلة او قدح فيه بترك الخلطة فان كل
ذلك يوثر في القلب ولو مدة يسيرة وحال اشتغال القلب به لا بد ان يكون واقفا عن سيره
في طريق الاخرة فان السير اما بالمواظبة على ورد وذكر مع حضور قلب واما بالفكر في جلال الله
وصفاته وافعاله وملكوت سمواته وارضه واما بالتامل في دقايق الاعمال ومفسدات القلوب
وطلب طرق التخلص منها وكل ذلك يستدعي الفراغ والاصغاء الى جميع ذلك مما يشوش القلب في
الحال وقد يتجدد ذكره في دوام الذكر من حيث لا ينتظر وليكن له اهل صالحة او جليس صالح لتستريح نفسه
اليه في اليوم ساعة عن كد المواظبة ففيه عون على بقية الساعات ولا يتم له الصبر في العزلة
الا بقطع الطمع عن الدنيا وما الناس منهمكون فيه ولا ينقطع طمعه الا بقصر الامل بان لا يقدر
لنفسه عمرا طويلا بل يصبح على انه لا يمسي ويمسي على انه لا يصبح فيسهل عليه صبر يوم ولا يسهل
عليه الصبر عشرين سنة لو قدر تراخي الاجل وليكن كثير الذكر للموت ووحدة القبر مهما
ضاق قلبه من الوحشة وليتحقق ان من لم يحصل في قلبه من ذكر الله تعالى ومعرفته ما يانس به
فلا يطيق وحشة الوحدة بعد الموت وان من انس بذكر الله ومعرفته فلا يزيل الموت انسه
اذ لا يهدم الموت محل الانس والمعرفة بل يبقى حيا بمعرفته وانسه فرحا بفضل الله تعالى
ورحمته كما قال الله تعالى في الشهداء ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء
عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله وكل متجرد لله في جهاد نفسه فهو شهيد
مهما ادركه الموت فالمجاهد من جاهد نفسه وهواه كما صرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم
والجهاد الاكبر جهاد النفس كما قال الصحابة رضي الله عنهم رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر

كتاب اداب السفر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي فتح بصاير اوليايه بالحكم والعبر واستخلص هممهم لمشاهدة عجايب صنعه في
الحضر والسفر فاصبحوا راضين بمجاري القدر منزهين قلوبهم عن التلفت الى منتزهات البصر
الا على سبيل الاعتبار بما يسنح في مسارح النظر ومجاري الفكر فاستوى عندهم البر والبحر
والسهل والوعر والبدو والحضر والصلاة على محمد سيد البشر وعلى اله واصحابه المقتفين
لاثاره في الاخلاق والسير وسلم تسليما كثيرا **اما بعد** فان السفر وسيلة الى الخلاص
عن مهروب عنه او الوصول الى مطلوب مرغوب فيه والسفر سفران سفر بظاهر البدن عن المستقر
والوطن الى الصحارى والفلوات وسفر بسير القلب عن اسفل السافلين الى ملكوت السموات
واشرف السفرين السفر الباطن فان الواقف على الحالة التي نشا عليها عقيب الولادة الجامد
على ما تلقفه بالتقليد من الاباء والاجداد لازم درجة القصور وقانع برتبة النقص ومستبدل

متسع فضاء عرضه السموات والارض ظلمة السجن وضيق الحبس • قال •
• ولم ار في عيوب الناس عيبا • كنقص القادرين على التمام •
الا ان هذا السفر لما كان مقتحمه في خطر عظيم لم يستغن فيه عن دليل وخفير فاقتضى غموض
السبيل وفقد الخفير والدليل وقناعة السالكين عن الحظ الجزيل بالنصيب النازل القليل اندراس
مسالكه فانقطع فيه الرفاق وخلا عن الطائفين متنزهات الانفس والملكوت والافاق واليه
دعا الله سبحانه وتعالى بقوله سنريهم اياتنا في الافاق وبقوله وفي الارض ايات للموقنين وفي
انفسكم افلا تبصرون وعلى القعود عن هذا السفر وقع الانكار بقوله تعالى وانكم لتمرون عليهم
مصبحين وبالليل افلا تعقلون وبقوله تعالى وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها
وهم عنها معرضون فمن يسر له هذا السفر لم يزل في سيره متنزها في جنة عرضها السموات
والارض وهو ساكن بالبدن مستقر في الوطن وهو السفر الذي لا تضيق فيه المناهل والموارد
ولا يضر فيه التزاحم والتوارد بل تزيد بكثرة المسافرين غنائمه ويتضاعف ثمراته وفوائده
فغنائمه دائمة غير ممنوعة وثمراته متزايدة غير مقطوعة الا اذا بدا للمسافر فترة في سفره
ووقفة في حركته فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا زاغوا ازاغ الله قلوبهم
وما الله بظلام للعبيد ولكنهم يظلمون انفسهم ومن لم يؤهل للجولان في هذا الميدان
والتطواف في متنزهات هذا البستان ربما سافر بظاهر بدنه في مدة مديدة فراسخ معدودة
مغتنما بها تجارة الدنيا او ذخيرة الاخرة فان كان مطلبه العلم والدين او الكفاية للاستعانة
به على الدين كان من سالكي سبيل الاخرة وكان له في سفره شروط واداب ان اهملها
كان من عمال الدنيا واتباع الشيطان وان واظب عليها لم يخل سفره عن فوائد تلحقه بعمال
الاخرة ونحن نذكر ادابه وشروطه في بابين ان شاء الله تعالى

الباب الاول

في الاداب من اول النهوض الى اخر الرجوع وفي نية السفر وفائدته وفيه فصلان

الفصل الاول

في فوائد السفر وفضله ونيته اعلم ان السفر نوع حركة ومخالطة
وفيه فوائد وله افات كما ذكرناه في كتاب اداب الصحبة والعزلة والفوائد الباعثة على السفر لا تخلو
عن هرب او طلب فان المسافر اما ان يكون له مزعج عن مقامه ولولاه لما كان له مقصد يسافر
اليه واما ان يكون له مقصد ومطلب والمهروب عنه اما امر له نكاية في الامور الدنيوية كالطاعون
والوبا اذا ظهر ببلد او خوف سببه فتنة وخصومة او غلاء سعر وهو اما عام كما ذكرناه او
خاص كمن يقصد باذية في بلدة فيهرب منها واما امر له نكاية في الدين كمن ابتلي في بلده بجاه
ومال واتساع اسباب تصده عن التجرد لله فيؤثر الغربة والخمول ويجتنب السعة والجاه
كمن يدعى الى بدعة قهرا او الى ولاية عمل لا تحل مباشرته فيطلب الفرار منه واما المطلوب فهو
اما دنيوي كالمال والجاه او ديني والديني اما علم واما عمل والعلم اما علم من العلوم الدينية واما
علم باخلاقه وصفاته على سبيل التجربة واما علم بايات الارض وعجائبها كسفر ذي القرنين
وطوافه في نواحي الارض والعمل اما عبادة واما زيارة والعبادة هو الحج والعمرة والجهاد والزيارة
ايضا من القربات وقد يقصد بها مكان كمكة والمدينة وبيت المقدس والثغور فان
الرباط بها قربة وقد يقصد بها الاولياء والعلماء وهم اما موتى فتزار قبورهم واما احياء
فيتبرك بمشاهدتهم ويستفاد من النظر الى احوالهم قوة الرغبة في الاقتداء بهم فهذه هي اقسام
الاسفار ويخرج من هذه القسمة اقسام **القسم الاول** السفر في طلب العلم وهو اما واجب
واما نفل وذلك بحسب كون العلم واجبا او نفلا وذلك العلم اما علم بامور دينه او باخلاقه
في نفسه او بايات الله في ارضه وقد قال صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته في طلب العلم

فهو في سبيل الله حتى يرجع وفي خبر اخر من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة
وكان سعيد بن المسيب يسافر الايام في طلب الحديث الواحد وقال الشعبي لو سافر
رجل من الشام الى اقصى اليمن في كلمة تدله على هدى ما كان سفره ضايعا ورحل جابر بن
عبد الله من المدينة الى مصر مع عشرة من الصحابة فساروا شهرا في حديث عن عبد الله بن انيس
الانصاري يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعوه وقل ما مذكور في العلم محصل في زمان
الصحابة الى زماننا الا وحصل العلم بالسفر وسافر لاجله واما علمه بنفسه واخلاقه فذلك ايضا
مهم فان طريق الاخرة لا يمكن سلوكه الا بتحسين الخلق وتهذيبه ومن لا يطلع على اسرار باطنه و
خبائث صفاته لا يقدر على تطهير القلب منها وانما سمي السفر سفرا لانه يسفر عن الاخلاق وبه يخرج
الله الخبء من السموات والارض ولذلك قال ابن عمر كان يعرف عنده بعض الشهود هل صحبته
في السفر الذي يستدل به على مكارم الاخلاق فقال لا فقال ما اراك تعرفه وكان بشر يقول
يا معشر القراء سيحوا تطيبوا فان الماء اذا كثر مقامه في موضع تغير وبالجملة فالنفس في الوطن مع مواتاة
الاسباب لا تظهر خبائث اخلاقها لاستئناسها بما يوافق طبعها من المالوفات المعهودة فاذا حملت
وعثاء السفر وصرفت عن مالوفاتها المعتادة وامتحنت بمشاق الغربة انكشفت غوائلها ووقع
الوقوف على عيوبها فيمكن الاشتغال بعلاجها وقد ذكرنا في كتاب العزلة فوائد المخالطة والسفر
مخالطة مع زيادة اشتغال واحتمال مشاق واما ايات الله في ارضه ففي مشاهدتها فوائد للمستبصر
ففيها قطع متجاورات وفيها الجبال والبراري والبحار وانواع الحيوان والنبات وما من شيء منها
الا وهو شاهد لله بالوحدانية ومسبح له بلسان ذلق لا يدركه الا من القى السمع وهو شهيد واما
الجاحدون والغافلون والمغترون بلامع السراب من زهرة الدنيا فانهم لا يبصرون ولا يسمعون
لانهم عن السمع لمعزولون وعن ايات ربهم لمحجوبون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن
الاخرة هم غافلون وعن ايات ربهم محجوبون لا يعقلون وما اريد بالسمع السمع الظاهر فان الذين
اريدوا به ما كانوا معزولين عنه وانما اريد به السمع الباطن ولا يدرك بالسمع الظاهر الا الاصوات
وسائر الحيوان يشارك الانسان فيه فاما السمع الباطن فيدرك به لسان الحال وهو نطق وراء
نطق المقال يشبه قول القائل حكاية لكلام الوتد والحائط قال الجدار للوتد لم تشقني قال سل
من يدقني وما من ذرة في السموات والارض الا ولها انواع شهادات لله تعالى بالوحدانية هي
وانواع شهادات تشاهدها والتقديس هي في تسبيحها ولكن لا يفقهون تسبيحها لانهم لم يسافروا
من مضيق سمع الظاهر الى فضاء سمع الباطن ومن ركاكة لسان المقال الى فصاحة لسان الحال
ولو قدر كل عاجز على مثل هذا السير لما كان سليمان عليه السلام مختصا بفهم منطق الطير ولما
كان موسى عليه السلام مختصا بسماع كلام الله الذي يجب تقديسه عن مشابهة الحروف والاصوات
ومن يسافر ليستقري هذه الشهادات من الاسطر المكتوبة بالخطوط الالهية على صفحات
الجمادات لم يطل سفره بالبدن بل يستقر في موضع ويفرغ قلبه للتمتع بسماع نغمات التسبيحات
من احاد الذرات فماله والتردد في الفلوات وله غنية في ملكوت السموات فالشمس والقمر
والنجوم مسخرات وهي الى ابصار ذوي البصائر مسافرات في الشهر والسنة مرات بل هي دائبة
في الحركة على توالي الاوقات فمن الغرائب ان يدأب في الطواف باحاد المساجد من امرت الكعبة
ان تطوف به ومن الغرائب ان يطوف في اكناف الارض من تطوف به اقطار السماء ثم ما دام
المسافر مفتقرا الى ان يبصر عالم الملك والشهادة بالبصر الظاهر فهو بعد في المنزل الاول من منازل
السائرين الى الله تعالى والمسافر الى حضرته وكانه معتكف على باب الوطن لم يفض به المسير الى

متسع الفضاء ولا سيما طول المقام وهذا المنزل الا للجبين والفضول ولذلك قال بعض ارباب القلوب ان الناس يقولون افتحوا اعينكم حتى تبصروا وكل واحد من القولين حق الا ان الاول خبر عن المنزل الاول القريب من الوطن والثاني خبر عما بعده من المنازل البعيدة عن الوطن التي لا يطأها الا كل مخاطر بنفسه والمجاوز اليها ربما يتيه فيها سنين وربما يأخذ التوفيق بيده فيرشده الى سواء السبيل والهالكون في التيه هم الاكثرون من ركاب هذا الطريق ولكن السالكين بنور التوفيق فازوا بالنعيم والملك المقيم وهم الذين سبقت لهم من الله الحسنى واعتبر هذا الملك بملك الدنيا فانه يقل بالاضافة الى كثرة الخلق طلابه ومهما اعظم المطلوب قل المساعد ثم الذي يهلك اكثر من الذي يملك ولا يتصدى لطلب الملك العاجز الجبان لعظم الخطر وطول التعب

شعر

وإذا كانت النفوس كبارا • تعبت في مرادها الاجسام •

وما اودع الله العز والملك في الدين والدنيا الا في متن الخطر وقد يسمي الجبان الجبن والقصور باسم الحزم والحذر

ترى الجبناء ان الجبن حزم • وتلك خديعة الطبع اللئيم •

فهذا حكم السفر الظاهر اذا اريد به السفر الباطن بمطالعة آيات الارض فلنرجع الى الغرض الذي كنا نقصده ولنبين القسم الثاني وهو ان يسافر لاجل العبادة اما لجهاد او حج وقد ذكرنا فضل ذلك وآدابه واعماله الظاهرة والباطنة في كتاب اسرار الحج ويدخل في جملته زيارة قبور الانبياء وقبور الصحابة والتابعين وسائر العلماء والاولياء وكل من يتبرك بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته ويجوز شد الرحال لهذا الغرض ولا يمنع من هذا قوله عليه الصلاة والسلام لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى لان ذلك في المساجد فانها متماثلة بعد هذه المساجد والا فلا فرق بين زيارة قبور الانبياء وبين الاولياء والعلماء في اصل الفضل وان كان يتفاوت في الدرجات تفاوتا عظيما بحسب اختلاف درجاتهم عند الله تعالى وبالجملة زيارة الاحياء اولى من زيارة الاموات والغاية من زيارة الاحياء اولى من زيارة الاموات لطلب الدعاء وبركة النظر اليهم فان النظر الى وجوه العلماء والصلحاء عبادة وفيه ايضا تحريك للرغبة في الاقتداء بهم والتخلق باخلاقهم وآدابهم هذا سوى ما ينتظر من الفوائد العلمية المستفادة من انفاسهم وافعالهم كيف ومجرد زيارة الاخوان في الله فيه فضل كما ذكرناه في كتاب الصحبة وفي التوراة سر اربعة اميال زر اخا في الله واما البقاع فلا معنى لزيارتها سوى المساجد الثلاثة وسوى الثغور للرباط بها فالحديث ظاهر في انه لا تشد الرحال لطلب بركة البقاع الا الى المساجد الثلاثة وقد ذكرنا فضائل الحرمين في كتاب الحج وبيت المقدس ايضا له فضل كبير خرج عمر بن الخطاب من المدينة قاصدا بيت المقدس حتى صلى فيه الصلوات الخمس ثم كر راجعا من الغد الى المدينة وقد سأل سليمان عليه السلام ربه ان من قصد هذا المسجد لا يعنيه الا الصلاة فيه ان لا تصرف نظرك عنه ما دام مقيما فيه حتى يخرج منه وان تخرجه من ذنوبه كيوم ولدته امه فاعطاه الله تعالى ذلك

القسم الثالث ان يكون السفر للهرب من سبب مشوش للدين وذلك ايضا حسن فالفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين ومما يجب الهرب منه الولاية والجاه وكثرة العلائق والاسباب فان كل ذلك يشوش فراغ القلب والدين لا يتم الا بقلب فارغ عن غير الله فان لم يتم فراغه فبقدر فراغه يتصور ان يشتغل بالدين ولا يتصور فراغ القلب في الدنيا عن مهمات الدنيا والحاجات الضرورية ولكن يتصور تخفيفها وتثقيلها وقد نجا المخفون وهلك المثقلون والحمد لله الذي لم يعلق النجاة بالفراغ المطلق عن جميع الاوزار والاعباء بل قبل المخف بفضله

وشمله بسعة رحمته والمخف هو الذي ليست الدنيا اكبر همه وذلك لا يتيسر في الوطن لمن اتسع جاهه وكثرت علائقه فلا يتم مقصوده الا بالغربة والخمول وقطع العلائق التي لا بد عنها حتى يروض نفسه مدة ثم ربما يمده الله بمعونته فينعم عليه بما يقوى به نفسه ويطمئن به قلبه فيستوي عنده الحضر والسفر ويتقارب عنده وجود الاسباب وعدمها فلا يصده شيء منها عما هو بصدده من ذكر الله تعالى وذلك مما يعز وجوده جدا بل الغالب على القلوب الضعف والقصور عن الاتساع للخلق والخالق وانما يسعد بهذه القوة الانبياء والاولياء والوصول اليها بالكسب شديد وان كان للاجتهاد والكسب فيه مدخل ايضا ومثاله تفاوت القوة الباطنة فيه تفاوت القوة الظاهرة في الاعضاء فرب رجل قوي ذي مرة سوي شديد الاعصاب محكم البنية يستقل بحمل ما وزنه الف رطل مثلا فلو اراد الضعيف المريض ان ينال رتبته بممارسة الحمل والتدريج فيه قليلا قليلا لم يقدر عليه ولكن الممارسة والجهد يزيد في قوته زيادة ما وان كان ذلك لا يبلغه درجته فلا ينبغي ان يترك الجهد عند الياس عن الرتبة العليا فان ذلك غاية الجهل ونهاية الضلال وقد كان من عادة السلف مفارقة الوطن خيفة من الفتن قال سفيان الثوري هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخامل فكيف على المشهورين هذا زمان رجل ينتقل من بلد الى بلد كلما عرف في موضع تحول الى غيره قال ابو نعيم رايت سفيان الثوري وقد علق قلته بيده ووضع جرابه على ظهره فقلت الى اين يا ابا عبد الله قال بلغني عن قرية فيها رخص اريد ان اقيم بها فقلت وتفعل هذا قال نعم اذا بلغك ان قرية فيها رخص فاقم بها فانه اسلم لدينك واقل لهمك وهذا هرب من غلاء السعر وكان سري السقطي يقول للصوفية اذا خرج الشتاء ودخل آذار واورقت الاشجار طاب الانتشار فانتشروا وقد كان الخواص لا يقيم ببلد اكثر من اربعين يوما وكان من المتوكلين ويرى الاقامة اعتمادا على الاسباب قادحا في التوكل وسيأتي اسرار الاعتماد على الاسباب في كتاب التوكل ان شاء الله تعالى

القسم الرابع السفر هربا مما يقدح في البدن كالطاعون او في المال كغلاء السعر او ما يجري مجراه ولا حرج في ذلك بل ربما يجب الفرار في بعض المواضع بحسب وجوب ما يترتب عليه من الفوائد واستحبابه ولكن يستثنى منه الطاعون فلا ينبغي ان يفر منه لورود النهي فيه قال اسامة بن زيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا الوجع والسقم رجز عذب به بعض الامم قبلكم ثم بقي بعد في الارض فيذهب المرة ويأتي الاخرى فمن سمع به في ارض فلا يقدمن عليه ومن وقع بارض وهو فيها فلا يخرجنه الفرار منه وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فناء امتي بالطعن والطاعون فقلت هذا الطعن قد عرفناه فما الطاعون قال غدة كغدة البعير تأخذهم في مراقهم المسلم الميت منه شهيد والمقيم عليه المحتسب كالمرابط في سبيل الله والفار منه كالفار من الزحف وعن مكحول عن ام ايمن قالت اوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض اهله لا تشرك بالله شيئا وان عذبت او حرقت بالنار واطع والديك وان امراك ان تخرج من كل شيء هو لك فاخرج ولا تترك الصلاة عمدا فانه من ترك الصلاة عمدا فقد برئت منه ذمة الله واياك والخمر فانها مفتاح كل شر واياك والمعصية فانها تسخط الله تعالى لا تفر من الزحف وان اصاب الناس موتان وانت فيهم فاثبت فيهم انفق من طولك على اهل بيتك ولا ترفع عصاك عنهم اخفهم بالله فهذه الاحاديث تدل على ان الفرار من الطاعون منهي عنه وكذا القدوم عليه وسيأتي سر ذلك في كتاب التوكل فهذه اقسام الاسفار وقد خرج منه ان السفر ينقسم الى محمود والى مذموم والى مباح والمذموم ينقسم الى حرام كاباق العبد وسفر العاق والى مكروه كالخروج من بلد الطاعون والمحمود ينقسم الى واجب كالحج وطلب العلم الذي هو فريضة على كل مسلم والى مندوب اليه كزيارة العلماء وزيارة مشاهدهم ومن هذه الاسباب تتبين النية في السفر فان معنى النية الانبعاث للسبب الباعث والانتهاض لاجابة الداعية ولتكن نية الخروج

في جميع اقسامه وذلك ظاهر في الواجب والمندوب ومحال في المكروه والمحظور واما المباح فمهما
كان قصده بطلب المال مثلا التعفف عن السؤال ورعاية ستر المروءة على الاهل والعيال والتصدق بما
فضل من مبلغ الحاجة صار هذا المباح بهذه النية من اعمال الآخرة ولو خرج الى الحج وباعثه الرياء و
السمعة خرج عن كونه من اعمال الآخرة فقوله صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنيات عام في الواجبات و
المندوبات والمباحات دون المحظورات فان النية لا تؤثر في اخراجها عن كونها محظورة وقد قال
بعض السلف ان الله قد وكل بالمسافرين ملائكة ينظرون الى مقاصدهم فيعطي كل واحد على نحو نيته
فمن كانت نيته الدنيا اعطي منها ونقص من آخرته اضعافه وفرق عليه همه وكثر بالحرص والرغبة شغله
ومن كانت نيته الآخرة اعطي من البصيرة والفطنة وفتح له من التذكرة والعظة بقدر نيته وجمع له
همه ودعت له الملائكة واستغفرت له واما النظر في ان السفر هو الافضل والاقامة فهو يضاهي النظر
في ان الافضل هو العزلة او المخالطة وقد ذكرنا منهاجه في كتاب العزلة فليفهم هذا منه فان السفر
نوع مخالطة مع زيادة ومشقة تفرق الهم وتشتت القلب في حق الاكثرين والافضل ما هو الاعون
على الدين في الدنيا تحصيل معرفة الله وتحصيل الانس بذكر الله والانس يحصل بدوام الذكر والمعرفة
تحصل بدوام الفكر ومن لم يتعلم طريق الفكر والذكر لم يتمكن منهما والسفر هو المعين على التعلم
في الابتداء والاقامة هي المعينة على العمل بالعلم في الانتهاء فاما السياحة في الارض على الدوام فمن
المشوشات للقلب الا في حق الاقوياء فان المسافر وماله على قلت الا ما وقى الله فلا يزال المسافر
مشغول القلب تارة بالخوف على نفسه وماله وتارة بمفارقة ما الفه واعتاده في اقامته وان لم يكن معه
مال يخاف عليه فلا يخلو عن الطمع والاستشراف الى الخلق فتارة يضعف قلبه بسبب الفقر وتارة
يقوى باستحكام اسباب الطمع ثم شغل الحط والترحال مشوش لجميع الاحوال فلا ينبغي ان يسافر
المريد الا في طلب علم او مشاهدة شيخ يقتدى به في سيرته ويستفاد الرغبة في الخير من مشاهدته
فان اشتغل بنفسه واستبصر وانفتح له طريق الفكر والعمل فالسكون اولى به الا ان اكثر متصوفة
هذه الاعصار لما خلت بواطنهم عن لطائف الافكار ودقائق الاعمال ولم يحصل لهم انس بالله وبذكره في
الخلوة كانوا بطالين غير محترفين ولا مشغولين قد الفوا البطالة واستثقلوا العمل واستوعروا طريق
الكسب واستلانوا جانب السؤال والكدية واستطابوا الرباطات المبنية لهم في البلاد وسخروا
من الخدم المنتصبين للقيام بخدمة القوم واستخفوا عقولهم واديانهم حيث لم يكن قصدهم من
الخدمة الا الرياء والسمعة وانتشار الصيت واقتناص الاموال بطريق السؤال تعللا بكثرة الاتباع فلم
يكن لهم في الخانقاه حكم نافذ ولا تاديب للمريدين نافع ولا حجر عليهم قاهر فلبسوا المرقعات
واتخذوا من الخانقاه متنزهات وربما تلقفوا الفاظا مزخرفة من الطامات فينظرون الى انفسهم وقد
تشبهوا بالقوم في خرقتهم وفي سياحتهم وفي لفظهم وعبارتهم وفي آداب ظاهرة من سيرتهم
فيظنون بانفسهم خيرا ويحسبون ان كل سوداء تمرة ويتوهمون ان المشاركة في الظاهر توجب المساهمة
في الحقائق وهيهات فما اغزر حماقة من لا يميز بين الشحم والورم فهؤلاء بغضاء الله فان الله
يبغض الشاب الفارغ ولم يحملهم على السياحة الا الشباب والفراغ الا من سافر لحج او عمرة
من غير رياء ولا سمعة او سافر لمشاهدة شيخ يقتدى به في علمه وسيرته وقد خلت البلاد
عنه الآن والامور الدينية كلها قد فسدت وضعفت الا التصوف فانه قد امحق بالكلية
وبطل لان العلوم لم تندرس بعد والعالم وان كان عالم سوء فانما فساده في سيرته لا في علمه
فيبقى عالما غير عامل بعلمه والعمل غير العلم واما التصوف فانه عبارة عن تجرد القلب لله واستحقار
ما سوى الله وحاصله يرجع الى عمل القلب والجوارح ومهما فسد العمل فات الاصل وفي اسفار
هؤلاء نظر للفقهاء من حيث انه اتعاب نفس بلا فائدة وقد يقال ان ذلك ممنوع ولكن الصواب

عندنا ان نحكم بالاباحة فان حظوظهم التفرج عن كرب البطالة بمشاهدة البلاد المختلفة وهذه
الحظوظ وان كانت خسيسة فنفوس المتحركين بهذه الحظوظ ايضا خسيسة ولا باس باتعاب حيوان
خسيس لحظ خسيس يليق به ويعود اليه فهو المتأذي وهو المتلذذ والفتوى تقتضي
تسييب العوام في المباحات التي لا نفع فيها ولا ضرر فالسائحون من غير مهم في الدين والدنيا بل
لمحض التفرج في البلاد كالبهائم المترددة في الصحارى فلا باس بسياحتهم ما كفوا عن الناس شرهم
ولم يلبسوا على الخلق حالهم وانما عصيانهم في التلبيس والسؤال على اسم التصوف والاكل من
الاوقاف التي وقفت على الصوفية لان الصوفي عبارة عن رجل صالح عدل في دينه مع صفات
اخرى وزعا الصلاح ومن اقل احوال هؤلاء اكلهم اموال السلاطين واكل الحرام من الكبائر فلا
تبقى معه العدالة والصلاح فلو تصور صوفي فاسق لتصور صوفي كافر وفقيه يهودي وكما ان
الفقيه عبارة عن مسلم مخصوص فالصوفي عبارة عن عدل مخصوص لا يقتصر في دينه على القدر
الذي يحصل به العدالة وكذلك من نظر الى ظاهرهم ولم يعرف بواطنهم واعطاهم من ماله على
سبيل التقرب الى الله يحرم عليهم الاخذ وكان ما اكلوه سحتا واعني به اذا كان المعطي بحيث لو عرف
بواطن احوالهم ما اعطاهم فاخذ المال باظهار التصوف من غير اتصاف بحقيقته كاخذه باظهار
نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الدعوى ومن زعم انه علوي وهو كاذب فاعطاه مسلم
مالا لحب اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو علم انه كاذب لم يعطه شيئا فاخذه عليه حرام
فكذلك الصوفي ولهذا احترز المحتاطون عن الاكل بالدين فان المبالغ في الاحتياط لدينه لا ينفك
في باطنه عن عورات لو انكشفت للراغب في مواساته لفترت رغبته عن المواساة فلا جرم
كانوا لا يشترون شيئا بانفسهم مخافة ان يسامحوا لاجل دينهم فيكونوا آكلين بالدين وكانوا يوكلون
ويشترطون على الوكيل ان لا يظهر انه لمن يشتري ثم انما يحل اخذ ما يعطى لاجل الدين اذا كان
الآخذ بحيث لو علم المعطي من باطنه ما يعلمه الله لم يقتض ذلك فتورا في رغبته فيه والعاقل المنصف
يعلم من نفسه ان ذلك ممتنع او عزيز والمغرور والجاهل بنفسه احرى بان يكون جاهلا باحوال دينه فان
اقرب الاشياء اليه قلبه فاذا التبس عليه امر قلبه فكيف ينكشف له غيره ومن عرف هذه
الحقيقة لزمه لا محالة ان لا ياكل الا من كسبه ليامن من هذه الغائلة او لا ياكل الا من مال من يعلم قطعا
انه لو انكشف له عورات باطنه لم يمنعه ذلك عن مواساته فان اضطر طالب الحلال الى الخروج
الى اخذ مال غيره فليصرح له وليقل له ان كنت تعطيني لما تعتقده فيّ من الدين فلست مستحقا لذلك
ولو كشف الله ستري لم ترني بعين التوقير بل اعتقدت اني شر الخلق او من اشرارهم فان اعطاه
مع ذلك فليأخذ فانه ربما يرضى منه بهذه الخصلة وهو اعترافه على نفسه بركاكة الدين وعدم
استحقاقه لما ياخذه ولكن ههنا مكيدة للنفس ومخادعة فليتفطن لها وهو انه قد يقول ذلك مظهرا
انه متشبه بالصالحين في ذمهم نفوسهم واستحقارهم لها ونظرهم اليها بعين المقت والازدراء
فيكون صورة الكلام صورة القدح والازدراء وباطنه هو المدح والاطراء فكم من ذام نفسه وهو لها
مادح بعين ذمه فذم النفس في الخلوة مع النفس هو المحمود فاما الذم في الملأ فهو عين الرياء
الا اذا اورده ايرادا يحصل للمستمع يقينا بانه مقترف للذنوب ومعترف بها وذلك مما
يمكن تفهيمه بقرائن الاحوال ويمكن تلبيسه بقرائن الاحوال والصادق بينه وبين الله يعلم
مخادعته او مخادعته لنفسه فلا يشتغل عليه الاحتراز عن امثال ذلك فهذا هو القول في
اقسام السفر ونية المسافر وفضيلته

الفصل الثاني في آداب المسافر من اول
نهوضه الى آخر رجوعه وهي احدى عشر ادبا الاول ان يبدا برد المظالم وقضاء الدين
واعداد النفقة لمن يلزمه نفقته ويرد الودائع ان كانت عنده ولا ياخذ لزاده الا الطيب

الحلال وليأخذ قدراً يوسع به على رفقائه وقال ابن عمر من كرم الرجل طيب زاده في سفره ولا بد
في السفر من طيب الكلام واطعام الطعام واظهار مكارم الاخلاق فان السفر مخرج خبايا الباطن
ومن صلح لصحبة السفر صلح لصحبة الحضر وقد يصلح في الحضر من لا يصلح في السفر ولذلك قيل
اذا اثنى على الرجل معاملوه في الحضر ورفقاؤه في السفر فلا تشكوا في صلاحه والسفر من اسباب
الضجر ومن احسن خلقه في الضجر فهو الحسن الخلق والا فعند مساعدة الامور على وفق الغرض قل
ما يظهر سوء الخلق وقد قيل ثلاثة لا يلامون على الضجر الصائم والمريض والمسافر وتمام
حسن خلق المسافر بالاحسان الى المكاري ومعاونة الرفقة بكل ممكن وبالرفق بكل منقطع بان لا
يجاوزه الا باعانة بمركوب او زاد او توقف لاجله وتمام ذلك مع الرفقاء بمزاح ومطايبة في بعض
الاوقات من غير فحش ومعصية ليكون ذلك شفاء لضجر السفر ومشاقه الثاني ان يختار
رفيقاً فلا يخرج وحده فالرفيق ثم الطريق وليكن رفيقه ممن يعينه على الدين فيذكره اذا نسي
ويعينه ويساعده اذا ذكر فان المرء على دين خليله ولا يعرف الرجل الا برفيقه وقد نهى النبي
صلى الله عليه وسلم عن ان يسافر الرجل وحده وقال الثلاثة سفر وقال اذا كنتم في سفر ثلاثة
فامروا احدكم وكانوا يفعلون ذلك ويقولون هو امير امره رسول الله صلى الله عليه وسلم وليؤمروا احسنهم
اخلاقاً وارفقهم بالاصحاب واسرعهم الى الايثار وطلباً للموافقة وانما يحتاج الى الامير لان الآراء
مختلفة في تعيين المنازل والطرق ومصالح السفر ولا نظام الا في الوحدة ولا فساد الا من الكثرة
وانما انتظم امر العالم لان مدبر الكل واحد ولو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ومهما كان المدبر
واحداً انتظم التدبير واذا كثر المدبرون فسدت الامور في الحضر والسفر الا ان مواطن الاقامة لا تخلو
عن امير عام كامير البلد وامير خاص كرب الدار واما السفر فلا يتعين له امير الا بالتامير فلهذا
وجب التامير ليجمع شتات الآراء ثم على الامير ان لا ينظر الا لمصلحة القوم وان يجعل نفسه
وقاية لهم كما نقل عن عبد الله المروزي انه صحبه ابو علي الرباطي فقال على ان تكون انت الامير
او انا فقال بل انت فلم يزل يحمل الزاد لنفسه ولابي علي على ظهره فامطرت السماء ذات ليلة فقام عبد
الله طول الليل على راس رفيقه وفي يده كساء يمنع عنه المطر فكلما قال له لا تفعل يقول الم
تقل ان الامارة مسلمة لي فلا تتحكم علي ولا ترجع عن قولك حتى قال ابو علي وددت اني مت ولم اقل
له انت الامير فهكذا ينبغي ان يكون الامير وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الاصحاب
اربعة وتخصيص الاربعة من بين سائر الاعداد لا بد ان يكون له فائدة والذي ينقدح فيه ان المسافر
لا يخلو عن رحل يحتاج الى حفظه وعن حاجة يحتاج الى التردد فيها ولو كانوا ثلاثة لكان المتردد
في الحاجة واحداً فيتردد في السفر بلا رفيق فلا يخلو عن خطر وعن ضيق قلب لفقد انس الرفيق ولو
تردد في الحاجة اثنان لكان الحافظ للرحل وحده فلا يخلو عن الخطر وعن ضيق الصدر فاذا ما دون الاربعة
لا يفي بالمقصود وما فوق الاربعة يزيد فلا تجمعهم رابطة واحدة فلا ينعقد بينهم الترافق لان الخامس
زيادة بعد الحاجة ومن يستغنى عنه لا تنصرف الهمة اليه فلا يتم المرافقة معه نعم في كثرة
الرفاق فائدة الامن من المخاوف ولكن الاربعة خير للرفاقة الخاصة لا للرفاقة العامة وكم من رفيق
في الطريق عند كثرة الرفاق لا يكلم ولا يخالط الى آخر الطريق للاستغناء عنه **الثالث** ان يودع
رفقاء الحضر والاهل والاصدقاء وليدع عند الوداع بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم
صحبت عبد الله بن عمر من مكة الى المدينة فلما اردت ان افارقه شيعني وقال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول قال لقمان لابنه ان الله تعالى اذا استودع شيئاً حفظه واني
استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك وروى زيد بن ارقم عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال اذا اراد احدكم سفراً فليودع اخوانه فان الله جاعل في دعائهم البركة

وعن عمرو بن شعيب قال زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيث ما توجهت
فهذا دعاء المودع المقيم وقال موسى بن وردان اتيت ابا هريرة اودعه لسفر اردته
قال الا اعلمك يا ابن اخي شيئاً علمنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الوداع فقلت بلى
قال استودعك الله الذي لا تضيع ودائعه وعن انس بن مالك ان رجلاً اتى النبي صلى الله عليه وسلم
وقال اني اريد سفراً فاوصني فقال له في حفظ الله وفي كنفه زودك الله التقوى وغفر ذنبك
ووجهك للخير حيث كنت واين ما كنت تشد فيه الاولى وينبغي اذا استودع الله ما يخلفه
ان يستودع الجميع ولا يخصص **فقد** روي ان عمر رضي الله عنه كان يعطي الناس عطاياهم
اذ جاء رجل معه ابن له فقال له عمر ما رايت احداً اشبه باحد من هذا بك فقال الرجل
احدثك عنه يا امير المؤمنين بامر اني اردت ان اخرج الى سفر وامه حامل به فقالت تخرج
وتدعني على هذه الحالة فقلت استودع الله ما في بطنك فخرجت ثم قدمت فاذا هي
قد ماتت فجلسنا نتحدث فاذا نار على قبرها فقلت للقوم ما هذه النار فقالوا هذا قبر
فلانة نراها كل ليلة فقلت والله ان كانت لصوامة قوامة فاخذت المعول حتى انتهينا الى القبر
فحفرنا فاذا سراج واذا هذا الغلام يدب فقيل لي هذه وديعتك ولو كنت استودعت امه
لوجدتها فقال عمر لهو اشبه بك من الغراب بالغراب **الرابع** ان يصلي قبل السفر صلاة الاستخارة
كما وصفناها في كتاب الصلاة ووقت الخروج يصلي لاجل السفر فقد روى انس بن مالك ان رجلاً
اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني نذرت سفراً وقد كتبت وصيتي فالى اي الثلاثة ادفعها
الى ابني ام اخي ام ابي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما استخلف عبد في اهله من خليفة احب الى
الله من اربع ركعات يصليهن في بيته اذا شد عليه ثياب سفره يقرأ فيهن بفاتحة الكتاب
وقل هو الله احد ثم يقول اللهم اني اتقرب بهن اليك فاخلفني بهن في اهلي ومالي فهي خليفته
في اهله وماله وحرز حول داره حتى يرجع الى اهله **الخامس** اذا حصل على باب الدار فيقول بسم الله
توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله رب اعوذ بك ان اضل او اضل او ازل او ازل او اظلم او
اظلم او اجهل او يجهل علي فاذا مشى قال **اللهم** بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت
واليك توجهت اللهم انت ثقتي وانت رجائي فاكفني ما اهمني وما لا اهتم به وما انت اعلم
به مني عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهني
للخير اينما توجهت وليدع بهذا الدعاء في كل منزل يرحل عنه فاذا ركب الدابة فليقل بسم الله
وبالله والله اكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم
يشأ لم يكن سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون فاذا استوت
الدابة تحته فليقل الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله اللهم انت الحامل
على الظهر وانت المستعان على الامور **السادس** ان يرحل من المنزل بكرة روى جابر ان النبي
صلى الله عليه وسلم رحل يوم الخميس وهو يريد تبوك وبكر وقال اللهم بارك لامتي في بكورها
ويستحب ان يبتدئ بالخروج يوم الخميس روى كعب بن مالك عن ابيه قال قلما كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يخرج الى سفر الا يوم الخميس وروى انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال اللهم بارك لامتي في بكورها يوم الخميس ويوم السبت وكان عليه الصلاة والسلام
اذا بعث سرية بعثها اول النهار **وروى** ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك لامتي
في بكورها يوم خميسها وقال عبد الله بن عباس اذا كانت لك الى رجل حاجة فاطلبها منه نهاراً
ولا تطلبها ليلاً واطلبها بكرة فاني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم بارك لامتي في
بكورها ولا ينبغي ان يسافر بعد طلوع الفجر من يوم الجمعة فيكون عاصياً بترك الجمعة واليوم

معنوية اليها فكان له من اسباب وجوبها والتشييع للوداع مستحب وهو سنة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لان اشيع مجاهدا في سبيل الله فاكتنفه على رحله غدوة او روحة
احب الي من الدنيا وما فيها السابع ان لا ينزل حتى يحمى النهار فهو السنة ويكون اكثر
سيره في الليل قال صلى الله عليه وسلم عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل ما لا تطوى
بالنهار واذا اشرف على المنزل فليقل اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين
وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين
اسألك خير هذا المنزل وخير اهله واعوذ بك من شر هذا المنزل وشر ما فيه اصرف
عني شر شرارهم فاذا نزل المنزل فليصل فيه ركعتين ثم ليقل اعوذ بكلمات الله التامات
التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق فاذا جن عليه الليل فيقول يا ارض ربي
وربك الله اعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما يدب عليك اعوذ بالله من شر كل
اسد واسود وحية وعقرب ومن ساكن البلد ووالد وما ولد وله ما سكن في الليل والنهار وهو
السميع العليم ومهما علا شرفا من الارض في وقت السير ينبغي ان يقول اللهم لك الشرف على كل
شرف ولك الحمد على كل حال ومهما هبط سبح ومهما خاف الوحشة في سفره قال سبحان الملك القدوس
رب الملائكة والروح جللت السموات بالعزة والجبروت الثامن ان يحتاط بالنهار فلا يمشي
منفردا خارج القافلة لانه ربما يغتال او ينقطع ويكون بالليل متحفظا عند النوم كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا نام في ابتداء الليل في السفر افترش ذراعه واذا نام في اخر الليل نصب
ذراعه نصبا وجعل راسه في كفه والغرض من ذلك ان لا يستثقل في النوم فتطلع الشمس وهو
نائم لا يدري فيكون ما يفوته من الصلاة افضل مما يطلبه بسفره والمستحب بالليل ان
يتناوب الرفقاء في الحراسة فاذا نام واحد حرس الاخر فهو السنة ومهما قصده عدو او
سبع في ليل او نهار فليقرأ اية الكرسي وشهد الله انه لا اله الا هو وسورة الاخلاص و
المعوذتين وليقل بسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله حسبي الله توكلت على الله ما شاء الله لا ياتي
بالخير الا الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله حسبي الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله
منتهى ولا دون الله ملجا كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز تحصنت بالله العظيم
واستعنت بالحي الذي لا يموت اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واكنفنا بكنفك الذي
لا يرام اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وانت رجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب
عبادك وامائك برافة ورحمة انك ارحم الراحمين التاسع ان يرفق بالدابة ان كان
راكبا فلا يحملها ما لا تطيق ولا يضرب في وجهها فانه منهي عنه ولا ينام عليها فانه يثقل
بالنوم وتتاذى به الدابة كان اهل الورع لا ينامون على الدابة الا غفوة وقال صلى الله
عليه وسلم لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي ويستحب ان ينزل عن الدابة غدوة وعشية يروحها
بذلك فهو سنة وفيه اثار عن السلف وكان بعض السلف يكتري بشرط ان لا ينزل
ويوفي الاجرة ثم كان ينزل ليكون بذلك محسنا الى الدابة فيوضع في ميزان حسناته
لا في ميزان المكاري ومن اذى الدابة بضرب او حمل ما لا تطيق طولب به يوم القيامة اذ في كل
كبد حرى اجر وقال ابو الدرداء لبعيره عند الموت ايها البعير لا تخاصمني الى ربك فاني
لم اكن احملك فوق طاقتك وفي النزول ساعة صدقتان احداهما ترويح الدابة والاخرى
ادخال السرور على قلب المكاري وفيه فائدة اخرى وهي رياضة البدن وتحريك الرجلين والحذر
من خدر الاعضاء بطول الركوب فينبغي ان يقرر مع المكاري شيئا ويحتج عليه ويستاجر
الدابة بعقد صحيح لئلا يثير بينهما نزاع يؤذي القلب ويحمل على الزيادة في الكلام فما يلفظ

العبد من قول الا لديه رقيب عتيد فليحترز عن كثرة الكلام واللجاج مع المكاري ولا ينبغي ان
يحمل فوق المشروط شيئا وان خف فان القليل يجر الى الكثير ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه
وقال رجل لابن المبارك وهو على دابته احمل لي هذه الورقة الى فلان فقال حتى استاذن المكاري فاني
لم اشارطه على هذه الورقة فانظر كيف لم يلتفت الى قول الفقهاء ان هذا مما يتسامح به ولكن
سلك طريق الورع العاشر ينبغي له ان يستصحب ستة اشياء قالت عائشة كان رسول الله اذا
سافر حمل معه خمسة اشياء المراة والمكحلة والمدرى والسواك والمشط وقالت ام سعد كان لا يفارقه
في السفر المراة والمكحلة وقال صهيب قال رسول الله عليه الصلاة والسلام عليكم بالاثمد عند
مضجعكم فانه مما يزيد في البصر وينبت الشعر روي انه كان يكتحل ثلاثا ثلاثا وفي رواية انه يكتحل
اليمنى ثلاثا واليسرى ثنتين وقد زاد الصوفية الركوة والحبل وقال بعض الصوفية اذا لم يكن مع
الفقير ركوة ولا حبل دل على نقصان دينه وانما زادوا هذا لما راوه من الاحتياط في طهارة الماء وغسل
الثياب فالركوة لحفظ الماء الطاهر والحبل لتجفيف الثوب المغسول او لنزح الماء وكان الاولون يكتفون
بالتيمم ويغنون انفسهم عن نقل الماء ولا يبالون بالوضوء من الغدران ومن المياه كلها ما لم يتيقنوا
نجاستها حتى توضأ عمر من ماء في جرة نصرانية وبالارض والجبال عن الحبل فيفرشون الثياب المغسولة
عليها فهذه بدعة حسنة وانما البدعة المذمومة ما يصادم سنة ثابتة اما ما يعين على الاحتياط في
الدين فمستحسن وقد ذكرنا احكام المبالغة في الطهارات في كتاب الطهارة وان المتجرد لامر الدين لا
ينبغي ان يؤثر طريق الرخصة بل يحتاط في الطهارة ما لم يمنعه ذلك عن عمل هو افضل منه وقيل
كان الخواص رحمه الله تعالى من المتوكلين وكان لا يفارقه اربعة اشياء في السفر والحضر الركوة والحبل
والابرة بخيوطها والمقراض وكان يقول هذه ليست من الدنيا الحادي عشر في اداب الرجوع
من السفر كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قدم من غزو او حج او غيره يكبر على كل شرف من الارض ثلاث
تكبيرات ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون
عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده واذا اشرف
على مدينته فليقل اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا ثم ليرسل الى اهله من يخبرهم بقدومه
كي لا يقدم عليهم بغتة فيرى ما يكره ولا ينبغي ان يطرقهم ليلا فقد ورد النهي عنه وكان صلى الله
عليه وسلم اذا قدم دخل المسجد اولا وصلى ركعتين ثم دخل البيت واذا دخل قال توبا توبا لربنا
اوبا لا يغادر علينا حوبا وينبغي ان يحمل لاهل بيته واقاربه تحفة من مطعوم او غيره على قدر امكانه
فهو سنة وقد روي انه ان لم يجد شيئا فليضع في مخلاته حجرا وكان هذا مبالغة في الاستحثاث على
هذه المكرمة لان الاعين تمتد الى القادم من السفر والقلوب تفرح به فيتأكد الاستحباب في
تاكيد فرحهم واظهار التفات القلب في السفر الى ذكرهم بما يستصحب في الطريق لهم فهذه
جملة من الاداب الظاهرة واما الاداب الباطنة ففي الفصل الاول بيان جملة منها وجملته ان لا
يسافر الا اذا كان زيادة دينه في السفر ومهما وجد قلبه متغيرا الى نقصان فليقف ولينصرف
ولا ينبغي ان يجاوز همه منزله بل ينزل حيث ينزل قلبه وينوي في دخول كل بلدة ان يرى
شيوخها ويجتهد ان يستفيد من كل واحد ادبا او كلمة او حكمة لينتفع بها لا ليحكي
ذلك ويظهر انه لقي المشايخ ولا يقيم ببلدة اكثر من اسبوع او عشرة ايام الا ان يامره الشيخ
المقصود بذلك ولا يجالس في مدة الاقامة الا الفقراء الصادقين فان كان قصده زيارة اخ
فلا يزيد على ثلاثة ايام فهو حد الضيافة الا اذا شق على اخيه مفارقته واذا قصد زيارة
شيخ فلا يقيم عنده اكثر من يوم وليلة ولا يشتغل بالعشرة فان ذلك يقطع بركة سفره وكلما دخل
البلد فلا يشتغل بشيء سوى زيارة الشيخ بزيارة منزله فان كان في بيته فلا يدق عليه بابه

ولا يستأذن الى ان يخرج فاذا خرج تقدمه بأدب ولا يتكلم بين يديه الا ان يسأله فان سأله
اجاب بقدر السؤال ولا يسأله عن مسئلة ما لم يستأذن اولا واذا كان في السفر فلا يكثر ذكر
اطعمة البلدان واسخيائها ولا ذكر اصدقائه فيها وليذكر مشايخها وفقراءها ولا يهمل في زيارة
قبور الصالحين بل يتفقدها في كل قرية وبلدة ولا يظهر حاجته الا بقدر الضرورة ومع من يقدر
على ازالتها ويلازم في الطريق الذكر وقراءة القرآن بحيث لا يسمع ذكره غيره واذا كلمه انسان
فليترك الذكر وليجبه ما دام يحدثه ثم ليرجع فاذا تبرمت نفسه بالسفر او بالاقامة فليخالفها
فالبركة في مخالفة النفس واذا تيسرت له خدمة قوم صالحين فلا ينبغي ان يسافر تبرما بالخدمة
فذلك كفران نعمة ومهما وجد نفسه في نقصان عما كان في الحضر فليعلم ان سفره معلول وليرجع
اذ لو كان بحق لظهر اثره وقال رجل لابي عثمان المغربي خرج فلان مسافرا فقال السفر غربة
والغربة ذل وليس للمؤمن ان يذل نفسه واشار به الى من ليس له في السفر زيادة دين والا فمن
الدين لا ينال الا بذل الغربة فليكن سفر المريد من قطع هواه ومراده وطبعه حتى يعز في هذه الغربة
ولا يذل فان من اتبع هواه في سفره ذل لا محالة اما عاجلا واما آجلا

الباب الثاني

فيما لا بد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وادلة القبلة والاوقات اعلم ان المسافر يحتاج في اول سفره
الى ان يتزود لدنياه ولآخرته اما زاد الدنيا فالطعام والشراب وما يحتاج اليه من نفقة فان خرج
متوكلا من غير زاد فلا بأس به اذا كان سفره في قافلة او بين قرى متصلة وان ركب البادية
وحده او مع قوم لا طعام معهم ولا شراب فان كان ممن يصبر على الجوع اسبوعا او عشرة ايام
مثلا ويقدر على ان يجتزي بالحشيش فله ذلك وان لم يكن له قوة الصبر على الجوع ولا القدرة
على الاجتزاء بالحشيش فخروجه من غير زاد معصية فانه القى نفسه الى التهلكة ولهذا سر سياتي
في كتاب التوكل وليس معنى التوكل التباعد عن الاسباب بالكلية ولو كان كذلك لبطل التوكل بطلب
الدلو والحبل ونزح الماء من البئر ولوجب ان يصبر حتى يسخر الله له ملكا او شخصا آخر حتى
يصب الماء في فيه فان كان حفظ الدلو والحبل لا يقدح في التوكل وهو آلة الوصول الى المشروب
فحمل عين المشروب والمطعوم حيث لا يتنظر له وجود اولى بان لا يقدح فيه وسياتي حقيقة التوكل في
موضعه فانه ملتبس الا على المحققين من علماء الدين واما زاد الآخرة فهو العلم الذي يحتاج اليه في
طهارته وصومه وصلاته وعباداته فلا بد ان يتزود منه اذ السفر تارة يخفف عليه امورا فيحتاج
الى معرفة القدر الذي يخففه السفر كالقصر والجمع والفطر وتارة يشدد عليه امورا كان مستغنيا
عنها في الحضر كالعلم بالقبلة واوقات الصلاة فانه في البلد يكتفي بغيره من محاريب المساجد
واذان المؤذنين وفي السفر قد يحتاج الى ان يتعرف بنفسه فاذا ما يفتقر الى تعلمه ينقسم
الى قسمين القسم الاول العلم برخص السفر والسفر يفيد في الطهارة رخصتين مسح الخفين والتيمم
وفي صلاة الفرض رخصتين القصر والجمع وفي النفل رخصتين اداؤه على الراحلة واداؤه ماشيا
وفي الصوم رخصة واحدة وهو الفطر فهذه سبع رخص **الرخصة الاولى** المسح على الخفين قال
صفوان بن عسال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كنا مسافرين ان لا ننزع خفافنا
ثلاثة ايام ولياليهن فكل من لبس الخف على طهارة مبيحة للصلاة ثم احدث فله ان يمسح على
خفيه من وقت حدثه ثلاثة ايام ولياليهن ان كان مسافرا او يوما وليلة ان كان مقيما ولكن
بخمسة شروط الاول ان يكون اللبس بعد كمال الطهارة فلو غسل الرجل اليمنى وادخلها الخف
ثم غسل اليسرى وادخلها الخف لم يجز المسح عند الامام الشافعي حتى ينزع الخف اليمنى ويعيد
لبسه الثاني ان يكون الخف قويا يمكن المشي عليه ويجوز المسح على الجورب وان لم يكن منعلا
اذا العادة بالتردد فيه في المنازل لان فيه على الجملة بخلاف جورب الصوفية فانه لا يجوز المسح عليه

وكذا الجورب المنعل **الثالث** ان لا يكون في موضع فرض الغسل خرق فان تخرق بحيث
انكشف محل الفرض لم يجز المسح وللشافعي قول قديم انه يجوز ما دام مستمسكا على الرجل
وهو مذهب مالك ولا بأس به لمسيس الحاجة اليه وتعذر الخرز في السفر في كل وقت
والمداس المنسوج يجوز المسح عليه مهما كان ساترا لا تبدو بشرة القدم من خلاله وكذا
المشقوق الذي يرد على محل الشق بشراج لان الحاجة تمس لمثل جميع ذلك فلا يعتبر الا ان
يكون ساترا الى فوق الكعبين كيف ما كان فاما اذا ستر بعض ظهر القدم وستر الباقي
باللفافة لم يجز المسح عليه **الرابع** ان لا ينزع الخف بعد المسح عليه فان نزع فالاولى استئناف
الوضوء وان اقتصر على غسل القدمين جاز **الخامس** ان يمسح على الموضع المحاذي لمحل فرض
الغسل لا على الساق واقله ما يسمى مسحا على ظهر القدم من الخف واذا مسح بثلاثة اصابع خرج
من شبهة الخلاف واكمله ان يمسح اعلاه واسفله دفعة واحدة من غير تكرار كذلك فعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم ووجهه ان يبل اليدين ويضع رؤوس اصابع اليد اليمنى على رؤوس اصابع
رجله اليمنى ويمسحه بان يجر اصابعه الى جهة نفسه ويضع رؤوس اصابع يده اليسرى على
عقبه من اسفل الخف ويمدها الى رأس القدم ومهما مسح مقيما ثم سافر او مسافرا ثم اقام غلب حكم
الاقامة فليقتصر على يوم وليلة وعدد الايام الثلاثة يحسب من وقت حدثه بعد المسح على الخف
فلو لبس الخف في الحضر ثم خرج واحدث في السفر وقت الزوال مثلا مسح ثلاثة ايام ولياليهن
من وقت الزوال الى الزوال من اليوم الرابع فاذا زالت الشمس من اليوم الرابع لم يكن له ان يصلي
الا بعد غسل الرجلين فيغسل رجليه ويعيد لبس الخف ويراعي وقت الحدث ويستأنف الحساب
من وقت الحدث ولو احدث بعد لبس الخف في الحضر ثم خرج بعد الحدث فله ان يمسح ثلاثة ايام
لان العادة قد تقتضي اللبس قبل الخروج ثم لا يمكن الاحتراز من الحدث فاذا مسح في الحضر ثم
سافر اقتصر على مدة المقيمين ويستحب لكل من يريد لبس الخف في حضر او سفر ان ينكس
الخف وينفض ما فيه حذرا من حية او عقرب او شوكة فقد روي عن ابي امامة انه قال دعا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بخفيه فلبس احدهما فجاء غراب فاحتمل الآخر ثم رمى به فخرجت منه حية فقال
النبي صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما **الثانية**
التيمم بالتراب بدلا عن الماء عند العذر وانما يتعذر الماء بان يكون بعيدا عن المنزل بعدا لو
مشى اليه لم يلحقه غوث لو استغاث وهو البعد الذي لا يعتاده اهل المنزل
في ترددهم لقضاء الحاجة التردد اليه وكذا ان نزل على الماء عدو او سبع فيجوز التيمم
وان كان الماء قريبا وكذا ان احتاج اليه لعطشه في يومه او بعد يومه لفقد الماء بين
يديه فله التيمم وكذا ان احتاج اليه لعطش بعض رفقائه فلا يجوز له الوضوء ويلزمه بذله
اما بثمن او بغير ثمن ولو كان يحتاج اليه لطبخ مرقة او لحم او لبل فتيت يجمعه به لم يجز له التيمم
بل عليه ان يجتزئ بالفتيت ويترك تناول المرقة ومهما وهب منه الماء وجب قبوله وان وهب ثمنه
لم يجب قبوله لما فيه من المنة وان بيع بثمن المثل لزمه الشراء وان بيع بغبن لم يلزمه فان لم يكن
معه ماء واراد ان يتيمم فاول ما يلزمه طلب الماء مهما جوز الوصول اليه بالطلب وذلك بالتردد
حوالي المنزل وتفتيش الرحل وطلب البقايا من الاداوات والمطاهر فان نسي الماء في رحله او نسي بئرا
بالقرب منه لزمه اعادة الصلاة لتقصيره في الطلب وان علم انه سيجد الماء في آخر الوقت
فالاولى ان يصلي بالتيمم في اول الوقت فان العمر لا يوثق به واول الوقت تيمم ابن عمر
ابن عمر فقيل له اتتيمم وجدران المدينة تنظر اليها فقال او ابقى الى ان ادخلها ومهما وجد
الماء بعد الشروع في الصلاة لم تبطل الصلاة ولم يلزمه الوضوء واذا وجد قبل الشروع

لزمه الوضوء ومهما طلب فلم يجد فليقصد صعيدا طيبا عليه تراب يثور منه غبار وليضرب كفيه عليه
بعد ضم أصابعهما ضربة فيمسح بهما وجهه ويضرب ضربة أخرى بعد نزع الخاتم وتفريج الأصابع
ويمسح بهما يديه إلى مرفقيه فإن لم يستوعب بضربة واحدة جميع ساعديه ضرب ضربة أخرى
وكيفية التلطف فيه ذكرناه في كتاب الطهارة فلا نعيده ثم إذا صلى به فريضة واحدة فله أن
يتنفل ما شاء بذلك التيمم وإن أراد الجمع بين فريضتين فعليه أن يعيد التيمم للصلاة الثانية
ولا ينبغي أن يتيمم لصلاة قبل دخول وقتها فإن فعل وجب عليه إعادة التيمم ولينو عند مسح الوجه
استباحة الصلاة ولو وجد من الماء ما يكفيه لبعض طهارته فليستعمله ثم ليتيمم بعده تيمما
تاما. الرخصة الثالثة في الصلاة المفروضة القصر وله أن يقتصر في كل واحدة من الظهر والعصر
والعشاء على ركعتين ولكن بشروط ثلاثة الأول أن يؤديها في أوقاتها فلو صارت قضاء فالأظهر
لزوم الإتمام الثاني أن ينوي القصر فلو نوى الإتمام لزمه الإتمام ولو شك في أنه نوى القصر
أو الإتمام لزمه الإتمام الثالث أن لا يقتدي بمقيم ولا بمسافر متم فإن فعل لزمه الإتمام بل
إن شك في أن إمامه مقيم أو مسافر لزمه الإتمام وإن تيقن بعده أنه مسافر لأن شعار
المسافر لا يخفى فليكن متحققا عند عقد النية وإن شك في أن إمامه هل نوى القصر أم لا بعد
أن عرف أنه مسافر لم يضره ذلك لأن النيات لا يطلع عليها وهذا كله إذا كان في سفر طويل
مباح وحد السفر من جهة البداية والنهاية فيه إشكال فلا بد من معرفته والسفر هو الانتقال
من موضع الإقامة مع ربط القصد بمقصد معلوم فالهائم وراكب التعاسيف ليس له الترخص
وهو الذي لا يقصد موضعا معينا ولا يصير مسافرا ما لم يفارق عمران البلد ولا يشترط أن يفارق
خراب البلد وبساتينها التي يخرج أهل البلد إليها للتنزه وأما القرية فالمسافر منها ينبغي أن
يجاوز البساتين المحوطة دون التي ليست بمحوطة ولو رجع المسافر إلى البلد لأخذ شيء نسيه لم
يترخص إن كان ذلك وطنه ما لم يجاوز العمران وإن لم يكن ذلك وطنه فله الترخص إذ صار مسافرا
بالانزعاج عنها والخروج مرة وأما نهاية السفر فبأحد أمور ثلاثة الأول الوصول إلى العمران من البلد
الذي عزم على الإقامة به الثاني العزم على الإقامة ثلاثة أيام فصاعدا إما في بلد أو صحراء
الثالث صورة الإقامة وإن لم يعزم كما إذا أقام على موضع واحد ثلاثة أيام سوى يوم الدخول لم
يكن له الترخص بعده وإن لم يعزم على الإقامة وكان له شغل وهو يتوقع كل يوم إنجازه ولكن يتعوق
عليه ويتأخر فله أن يترخص وإن طالت المدة على أقيس القولين لأنه منزعج بقلبه ومسافر عن الوطن
بصورته ولا مبالاة بصورة الثبوت على موضع واحد مع انزعاج القلب ولا فرق بين أن يكون هذا
الشغل قتالا أو غيره ولا بين أن تطول المدة أو تقصر ولا بين أن يتأخر الخروج لمطر لا يعلم بقاؤه
ثلاثة أيام أو لغيره إذ ترخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الغزوات ثمانية عشر يوما
على موضع واحد وظاهر القول أنه لو تمادى القتال لتمادى ترخصه إذ لا معنى للتقدير بثمانية عشر
يوما والظاهر أن قصره كان لكونه مسافرا لا لكونه غازيا مقاتلا هذا معنى السفر وأما معنى الطويل
فهو أن يكون مرحلتين كل مرحلة ثمانية فراسخ وكل فرسخ ثلاثة أميال وكل ميل أربعة آلاف خطوة
ومعنى المباح أن لا يكون عاقا لوالديه هاربا منهما ولا هاربا من مالكه ولا تكون المرأة هاربة
من زوجها ولا أن يكون من عليه الدين هاربا من المستحق مع اليسار ولا يكون متوجها
في قطع طريق أو قتل إنسان أو طلب إدرار حرام من سلطان أو سعي بالفساد بين المسلمين
وبالجملة فلا يسافر الإنسان إلا لغرض والغرض هو المحرك فإن كان تحصيل ذلك الغرض حراما
ولولا ذلك الغرض لكان لا ينبعث لسفره فسفره معصية ولا يجوز فيه الترخص وأما الفسق
في السفر بشرب الخمر وغيره لا يمنع الرخصة بل كل سفر ينهى الشرع عنه فلا يعين عليه

بالرخصة ولو كان له باعثان أحدهما مباح والآخر محظور وكان بحيث لو لم يكن الباعث المحظور لكان
المباح مستقلا بالتحريك ولكان لا محالة يسافر لأجله فله الترخص والمتصوفة الطوافون في البلاد من غير
غرض صحيح سوى التفرج بمشاهدة البقاع المختلفة في ترخصهم خلاف والمختار أن لهم الترخص
الرخصة الرابعة الجمع بين الظهر والعصر في وقتيهما وبين المغرب والعشاء في وقتيهما فذلك
أيضا جائز في كل سفر طويل مباح وفي جوازه في السفر القصير قول ثم إن قدم العصر إلى الظهر
فلينو الجمع قبل الفراغ من الظهر وليؤذن للظهر وليقم وعند الفراغ يقيم للعصر ويجدد التيمم
أولا إن كان فرضه التيمم ولا يفرق بينهما بأكثر من تيمم وإقامة فإن قدم العصر لم يجز وإن نوى
الجمع عند التحرم بصلاة العصر جاز عند المزني وله وجه في القياس إذ لا مستند لإيجاب تقديم
النية بل الشرع جوز الجمع وهذا جمع وإنما الرخصة في العصر فيكفي النية فيها وأما الظهر فجار على
القانون ثم إذا فرغ من الصلاتين فينبغي أن يجمع بين سنن الصلاتين أما العصر فلا سنة بعدها
ولكن السنة التي بعد الظهر يصليها بعد الفراغ من العصر إما راكبا أو مقيما لأنه لو صلى راتبة
الظهر قبل العصر انقطعت الموالاة وهي واجبة وإن أراد أن يقيم الأربع المسنونة قبل الظهر
والأربع المسنونة قبل العصر فليجمع بينهما قبل الفريضتين فليصل سنة الظهر أولا ثم
سنة العصر ثم فريضة الظهر ثم فريضة العصر ثم سنة الظهر الركعتان اللتان هما بعد
الفرض ولا ينبغي أن يهمل النوافل في السفر فلا يفوته من ثوابها أكثر مما يناله من الربح لا سيما
وقد خفف الشرع عليه وجوز له أداءها على الراحلة كي لا يتعوق عن الرفقة بسببها وإن أخر الظهر
إلى العصر أداها على الراحلة كي لا يتعوق عن الرفقة بسببها ولا يبالي بوقوع راتبة الظهر بعد العصر
في الوقت المكروه لأن ما له سبب لا يكره في هذا الوقت وكذلك يفعل في المغرب والعشاء ولو
إذا قدم أو أخر بعد الفراغ من الفرض يشتغل بجميع الرواتب ويختم الجميع بالوتر وإذا خطر له
ذكر الظهر قبل خروج وقته فليعزم على أدائه مع العصر جمعا فهو نية الجمع لأنه إنما يخلو عن هذه
النية إما بنية الترك أو بنية التأخير عن وقت العصر وذلك حرام والعزم عليه حرام وإن لم يتذكر الظهر
حتى خرج وقتها إما لنوم وإما لشغل فله أن يؤدي الظهر مع العصر ولا يكون عاصيا لأن السفر كما
يشغل عن فعل الصلاة فقد يشغل عن ذكرها ويحتمل أن يقال إن الظهر إنما تقع أداء إذا عزم على فعلها
قبل خروج وقتها لكن الأظهر أن وقت الظهر والعصر صار مشتركا في السفر بين الصلاتين ولذلك
يجب على الحائض قضاء الظهر إذا طهرت قبل المغرب ولذلك ينقدح أن لا يشترط الموالاة ولا الترتيب
بين الظهر والعصر عند تأخير الظهر أما إذا قدم العصر على الظهر لأن ما بعد الفراغ من الظهر هو
الذي جعل وقتا للعصر إذ يبعد أن يشتغل بالعصر من هو عازم على ترك الظهر أو على تأخيره وهذه
الطريق يجوز الجمع لعذر السفر وترك الجمعة أيضا من رخص السفر وهي متعلقة بفرائض الصلوات
ولو نوى الإقامة بعد أن صلى العصر فأدرك وقت العصر في الحضر فعليه أداء العصر وما مضى إنما
كان مجزيا بشرط أن يبقى العذر إلى خروج وقت العصر **الرخصة الخامسة** التنفل راكبا
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي على راحلته أينما توجهت به دابته وأوتر صلى الله عليه وسلم على
الراحلة وليس على المتنفل الراكب في الركوع والسجود إلا الإيماء وينبغي أن يجعل سجوده أخفض من ركوعه
ولا يلزمه الانحناء إلى حد يتعرض للخطر بسبب الدابة فإن كان في مرقد فليتم الركوع والسجود فإنه
قادر عليه وأما استقبال القبلة فإنه لا يجب في ابتداء الصلاة ولا في دوامها ولكن صوب الطريق
بدل عن القبلة فليكن في جميع صلاته إما مستقبلا للقبلة أو متوجها صوب الطريق ليكون له جهة
يثبت فيها فلو حرف دابته عن الطريق قصدا بطلت صلاته إلا إذا حرفها إلى القبلة ولو حرفها ناسيا

وقصر الزمان ولم يبطل لم تبطل وان طال ففيه خلاف وان جمحت به الدابة فانحرفت فلا تبطل صلاته
لان ذلك مما يكثر وقوعه وليس عليه سجود سهو اذ الجماح غير منسوب اليه بخلاف ما لو حرف ناسيا فانه يسجد
للسهو بالايماء الرخصة السادسة التنفل للماشي جائز في السفر ويومي بالركوع والسجود ولا يقعد للتشهد
لان ذلك يبطل فائدة الرخصة وحكمه حكم الراكب لكن ينبغي ان يتحرم بالصلاة مستقبلا لان الانحراف
في لحظة لا عسر فيه بخلاف الدابة فان في تحريفها وان كان العنان بيده نوع عسر وربما يكثر
الصلاة فيطول عليه ذلك ولا ينبغي ان يمشي في نجاسة رطبة تحت رجليه عمدا فان فعل بطلت صلاته
بخلاف ما لو وطئت دابة الراكب نجاسة وليس عليه ان يشوش المشي على نفسه بالاحتراز من النجاسات
التي لا تخلو عنها الطرق غالبا وكل هارب من عدو او سيل او سبع فله ان يصلي الفريضة راكبا
وماشيا كما ذكرناه في التنفل **الرخصة السابعة** الفطر وهو في الصوم فللمسافر ان يفطر الا اذا
اصبح مقيما ثم سافر فعليه اتمام ذلك اليوم وان اصبح مسافرا صائما ثم اقام فعليه الاتمام وان اقام
مفطرا فليس عليه الامساك بقية النهار وان اصبح مسافرا على عزم الصوم لم يلزمه بل له ان يفطر
والصوم افضل من الفطر والقصر افضل من الاتمام للخروج عن شبهة الخلاف ولانه ليس يبقى عهدة القضا
وربما يتعذر عليه ذلك بعائق فيبقى في ذمته الا اذا كان الصوم يضر به فالافطار افضل فهذه سبع
رخص يتعلق ثلثة منها بالسفر الطويل وهو القصر والفطر والمسح ثلثة ايام ويتعلق اثنان بالسفر
طويلا كان او قصيرا وهو سقوط الجمعة وسقوط القضا عند ادا الصلاة بالتيمم واما صلاة النافلة
ماشيا وراكبا ففيه خلاف والاصح جوازه في القصير والجمع بين الصلاتين فيه خلاف والاظهر اختصاصه
بالطويل واما صلاة الفرض راكبا وماشيا للخوف فلا يتعلق بالسفر وكذا اكل الميتة وكذا ادا الصلاة
في الحال بالتيمم عند فقد الماء بل يشترك فيها السفر والحضر مهما وجدت اسبابها فان قلت
فالعلم بهذه الرخص هل يجب على المسافر تعلمه قبل السفر ام يستحب له ذلك فاعلم انه ان كان عازما على ترك
المسح والقصر والجمع والفطر وترك التنفل راكبا وماشيا لم يلزمه علم شروط الترخص في ذلك لان الترخص
ليس بواجب واما علم رخصة التيمم فيلزمه لان فقد الماء ليس اليه الا ان يسافر على شط نهر يوثق
ببقاء مائه او يكون معه في الطريق عالم يقدر على استفتائه عند الحاجة فله ان يؤخر الى وقت الحاجة
اما اذا كان يظن عدم الماء ولم يكن معه عالم فيلزمه التعلم لا محالة فان قلت التيمم يحتاج اليه
لصلاة لم يدخل بعد وقتها فكيف يجب علم الطهارة بصلاة لم تجب وربما لم تجب فاقول من بينه وبين
الكعبة مسافة لا تقطع الا في سنة فيلزمه قبل اشهر الحج ابتدا السفر ويلزمه تعلم المناسك لا محالة
اذا كان يظن انه لا يجد في الطريق من يتعلم منه لان الاصل الحياة واستمرارها وما لا يتوصل الى الواجب
الا به فهو واجب وكل ما يتوقع وجوبه توقعا ظاهرا غالبا على الظن وله شرط لا يتوصل اليه الا بتقديم
ذلك الشرط على وقت الوجوب فيجب تقديم الشرط لا محالة كعلم المناسك قبل وقت الحج وقبل مباشرته
فلا يحل اذا للمسافر ان ينشي السفر ما لم يتعلم هذا القدر من علم التيمم وان كان عازما على سائر
الرخص فعليه ان يتعلم ايضا القدر الذي ذكرناه من علم التيمم وسائر الرخص فانه اذا لم يتعلم
القدر الجائز برخصة السفر لم يمكنه الاقتصار عليه فان قلت انه لم يتعلم كيفية التنفل
راكبا وماشيا ماذا يضره وغايته اذا صلى ان تكون صلاته فاسدة وهي غير واجبة فكيف يكون
علمها واجبا فاقول من الواجب ان لا يصلي النفل على نعت الفساد فالتنفل مع الحدث والنجاسة
والى غير القبلة من غير اتمام شروط الصلاة واركانها حرام فعليه ان يتعلم ما يحترز به عن النافلة
الفاسدة حذرا عن الوقوع في المحظور فهذا بيان علم ما يختص عن المسافر في سفره القسم الثاني
ما يتجدد من الوظيفة بسبب السفر وهو علم القبلة والاوقات وذلك ايضا واجب في الحضر

ولكن في الحضر من يكفيه في محراب متفق عليه يغنيه عن طلب القبلة ومؤذن يراعي الوقت فيغنيه
عن طلب علم الوقت والمسافر قد تشتبه عليه القبلة وقد يلتبس عليه الوقت فلا بد له من العلم
بادلة القبلة والمواقيت اما ادلة القبلة فهي ثلاثة اقسام ارضية كالاستدلال بالجبال والقرى
والانهار وهوائية كالاستدلال بالرياح شمالها وجنوبها وصباها ودبورها وسماوية وهي النجوم
فاما الارضية والهوائية فتختلف بالبلاد فرب طريق فيه جبل مرتفع يعلم انه على يمين المستقبل
او شماله او ورائه او امامه فليعلم ذلك وليفهمه وكذلك الرياح قد تدل في بعض البلاد فليفهم
ذلك ولسنا نقدر على استقصاء ذلك اذ لكل بلد واقليم حكم آخر واما السماوية فادلتها
تنقسم الى نهارية والى ليلية اما النهارية فالشمس فلا بد ان يراعي قبل الخروج من
البلد ان الشمس عند الزوال اين تقع منه اهي بين الحاجبين او على العين اليمنى واليسرى او
تميل الى الجبين ميلا اكثر من ذلك فان الشمس لا تعدو في البلاد الشمالية هذه المواضع فاذا
حفظ ذلك فمهما عرف الزوال بدليله الذي سنذكره عرف القبلة به وكذلك يراعي مواقع
الشمس منه وقت العصر فانه في هذين الوقتين يحتاج الى القبلة بالضرورة وهذا ايضا لما
كان يختلف بالبلاد فليس يمكن استقصاؤه واما القبلة وقت المغرب فانها تدرك بموضع
الغروب وهو بان يحفظ ان الشمس تغرب عن يمين المستقبل او هي مائلة الى وجهه او قفاه
وبالشفق يعرف القبلة للعشاء الآخرة وبمشرق الشمس تعرف القبلة لصلاة الصبح فكان
الشمس تدل على القبلة في الصلوات الخمس ولكن يختلف ذلك بالشتاء والصيف فان المشارق
والمغارب كثيرة وان كانت محصورة في جهتين فلا بد من تعلم ذلك ايضا ولكن قد يصلي
المغرب والعشاء بعد غيبوبة الشفق فلا يمكنه ان يستدل على القبلة فعليه ان يراعي القطب
وهو الكوكب الذي يقال له الجدي فانه كوكب كالثابت لا يظهر حركته عن موضعه وذلك اما ان
يكون على قفا المستقبل او على منكبه الايمن من ظهره او منكبه الايسر في البلاد الشمالية من مكة
شرفها الله تعالى وعظمها وفي البلاد الجنوبية كاليمن وما والاها فيقع في مقابلة المستقبل فليتعلم
ذلك وما عرفه في بلده فيعول عليه في الطريق كله الا اذا طال السفر فان المسافة اذا بعدت اختلف
موقع الشمس وموقع القطب وموقع المشارق والمغارب الا انه ينتهي في اثناء سفره الى بلاد
فينبغي ان يسال اهل البصيرة او يراقب هذه الكواكب وهو مستقبل محراب جامع البلد حتى يتضح
له ذلك فمهما تعلم هذه الادلة فله ان يعول عليها فان بان له انه اخطا من جهة القبلة الى جهة
اخرى من الجهات الاربع فينبغي ان يقضي فان انحرف عن حقيقة محاذاة القبلة ولكن لم يخرج
عن جهتها لم يلزمه القضا وقد اورد الفقهاء خلافا في ان المطلوب جهة الكعبة او عينها و
اشكل معناه على قوم اذ قالوا ان قلنا ان المطلوب العين فمتى يتصور هذا مع بعد
الديار وان قلنا المطلوب الجهة فالواقف في المسجد ان استقبل جهة الكعبة وهو خارج
ببدنه عن موازاة الكعبة لا خلاف في انه لا تصح صلاته وقد طولوا في تاويل معنى الخلاف في
الجهة والعين ولا بد اولا من فهم معنى مقابلة العين ان تقف موقفا لو اخرج خطا
مستقيما من بين عينيه الى جدار الكعبة لاتصل به وحصل من جانبي الخط زاويتان
متساويتان وهذه صورته



والخط الخارج في موقف المصلي قدامه خارج من بين عينيه فهذه صورة مقابلة العين فاما
مقابلة الجهه فيجوز فيها ان يتصل طرف الخط الخارج من بين العينين الى الكعبه من غير ان
يتساوى الزاويتان الا اذا انتهى الخط الى نقطه معينه هي واحده فلو مد هذا الخط
على الاستقامة الى سائر النقط من يمينها وشمالها كانت احدى الزاويتين اضيق فيخرج
عن مقابلة الجهه كالخط الذي كتبنا عليه مقابلة الجهه فانه لو قدر الكعبه على طرف ذلك الخط
لكان الواقف مستقبلا لجهة الكعبه لا لعينها وحد الجهة ما يقع بين خطين يتوهمها
خارجين من العينين يلتقي طرفاهما في داخل الراس بين العينين على زاويه قائمه فما
يقع بين الخطين الخارجين فهو داخل في الجهه وسعة ما بين الخطين يتزايد بطول الخطين
والبعد عن الكعبه وهذه صورته



فاذا فهم معنى الجهه والعين فاقول
الذي يصح عندنا في الفتوى ان المطلوب
العين وان كانت يحتاج الى الاستدلال
عليها لتعذر رويتها فيكفي استقبال
الجهه فاما طلب العين عند المشاهدة
فمجمع عليه واما الاكتفا بالجهه عند تعذر المعاينه فيدل عليه الكتاب والسنه وفعل الصحابه
والقياس اما الكتاب فقوله تعالى وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره اي نحوه ومن قابل جهة الكعبه
يقال قد ولى وجهه شطرها واما السنه فما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لاهل المدينة
ما بين المشرق والمغرب قبلة والمغرب يقع على يمين اهل المدينه والمشرق على يسارهم فجعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع ما يقع بينهما قبلة وساحة الكعبه لا تفي بما بين المشرق والمغرب
وانما يفي جهتها وروى هذا اللفظ ايضا عن عمر وعثمان رضي الله عنهما واما فعل الصحابه فما روي
ان اهل مسجد قبا كانوا في صلاة الصبح بالمدينه مستقبلين بيت المقدس مستدبرين الكعبه
فاستداروا في اثناء الصلاة من غير طلب دلاله ولم ينكر عليهم وسمي مسجدهم ذا القبلتين ومقابلة
العين من المدينه الى مكة لا تعرف الا بادلة هندسيه يطول النظر فيها فكيف ادركوا على البديهة
في اثنا الصلاة وفي ظلمة الليل ويدل ايضا من فعلهم انهم بنوا المساجد حوالي مكة وفي سائر
بلاد الاسلام ولم يحضروا قط مهندسا عند تسوية المحراب ومقابلة العين لا تدرك الا بدقيق
النظر في الهندسة واما القياس فهو ان الحاجات تمس الى الاستقبال وبنا المساجد في جميع
اقطار الارض ولا يمكن مقابلة العين الا بعلوم هندسيه لم يرد الشرع بالنظر فيها بل ربما يحرم

التعمق في علمها فكيف ينبني امر الشرع عليها فيجب الاكتفاء بالجهة للضرورة واما دليل صحة الصورة
التي صورناها وهو حصر جهات العالم في اربع فقوله عليه الصلاة والسلام في ادب قضاء الحاجه
لا تستقبلوا بها القبلة ولا تستدبروها ولكن شرقوا وغربوا وقال هذا بالمدينه والمشرق
على يسار المستقبل بها والمغرب على يمينه فنهى عن جهتين ورخص في جهتين ومجموع
ذلك اربع جهات ولم يخطر بالاحد ان جهات العالم يمكن ان تفرض ستة او سبعة او
عشرة وكيف ما كان فما حكم الباقي فالجهات تثبت في الاعتقادات بناء على خلقة
الانسان وليس له الا اربع جهات قدام وخلف ويمين وشمال فكانت الجهات بالاضافه
الى الانسان في ظاهر النظر اربعا والشرع لا ينبني الا على مثل هذه الاعتقادات فظهر
ان المطلوب الجهه وذلك يسهل امر الاجتهاد فيها ويعلم ادلة القبلة فاما مقابلة العين
فانها تعرف بمعرفة مقدار عرض مكة عن خط الاستوا ومقدار درجات طولها وهو بعدها
عن اول عمارة المشرق ثم يعرف ذلك ايضا في موقف المصلي ثم يقابل احدهما بالاخر
ويحتاج فيه الى الات واسباب يطول والشرع غير مبني عليها قطعا فاذا القدر الذي لا بد
من تعلمه من ادلة القبلة موقع المشرق والمغرب والزوال وموقع الشمس وقت العصر فيهذا
يسقط الوجوب فان قلت فلو خرج المسافر من غير تعلم ذلك هل يعصي فاقول ان
كان طريقه على قرى متصلة فيها محاريب او كان معه في الطريق بصير بادلة القبلة
موثوق بعدالته وبصيرته يقدر على تقليده فلا يعصي وان لم يكن شي من ذلك عصى لانه
يتعرض لوجوب الاستقبال ولم يكن قد حصل علمه فصار ذلك كعلم التيمم وغيره
فان تعلم هذه الادلة فاستبهم عليه الامر بغيم مظلم وترك التعلم ولم يجد في الطريق من
يقلده فعليه ان يصلي في الوقت على حسب حاله ثم عليه القضا سوا اصابه او اخطأ وان
الاعمى ليس له الا التقليد فليقلد من يوثق بدينه وبصيرته ان كان مقلده مجتهدا في القبلة
وان كانت القبلة ظاهرة فله اعتماد قول كل عدل يخبر به في الحضر والسفر وليس للاعمى ولا
للجاهل ان يسافر في قافله ليس فيها من يعرف ادلة القبلة حيث يحتاج الى الاستدلال كما ليس
للعامي ان يقيم في بلدة ليس فيها فقيه عالم بتفصيل الشرع بل يلزمه الهجرة الى حيث يجد
من يعلمه دينه وكذا ان لم يكن في البلد الا فقيه فاسق فعليه الهجرة اذ لا يجوز له اعتماد فتوى الفاسق
بل العدالة شرط لجواز قبول الفتوى كما في الرواية وان كان معروفا بالفقه مستور الحال في
العدالة والفسق فله القبول مهما لم يجد من هو عدل ظاهر لان المسافر في البلاد لا يقدر ان يبحث
عن عدالة المفتين فان رآه لابسا للحرير او ما يغلب عليه الابريسم او راكبا الفرس عليه مركب ذهب
فقد ظهر فسقه وامتنع عليه قبول قوله فيطلب غيره وكذلك اذا رآه ياكل على مائدة سلطان
غالب ماله حرام او ياخذ منه ادرارا او صلة من غير ان يعلم ان الذي ياخذه من وجه حلال
فكل ذلك فسق يقدح في العدالة ويمنع من قبول الفتوى والرواية والشهاده واما معرفة اوقات
الصلوات الخمس فلا بد منها ووقت الظهر يدخل بالزوال فكل شخص لا بد ان يقع له في ابتدا النهار
ظل مستطيل في جانب المغرب ثم لا يزال ينقص الى وقت الزوال ثم ياخذ في الزياده في جهة المشرق
ولا يزال يزيد الى الغروب فليقم المسافر في موضع او لينصب عودا مستقيما وليعلم على راس
الظل ثم لينظر بعد ساعة ان راه في النقصان فلم يدخل بعد وقت الصلاة وطريقه ان ينظر في البلد
وقت اذان المؤذن المعتمد او اقامته فان كانت مثلا ثلاثة اقدام بقدمه فهما صار كذلك في
السفر واخذ في الزياده صلى فان زاد عليه ستة اقدام ونصف دخل وقت العصر اذ ظل كل شخص
بقدمه ستة اقدام ونصف بالتقريب ثم ظل الزوال يزيد كل يوم ان كان سفره من اول الصيف فانه

من اول الشتاء فينتقص كل يوم واحسن ما يعرف به ظل الزوال الميزان فليستصحبه المسافر وليتعلم
اختلاف الظل به في كل وقت فان عرف موقع الشمس من مستقبل القبلة وقت الزوال وكان في السفر
في موضع ظهرت القبلة فيه بدليل آخر يمكنه ان يعرف الوقت بالشمس بان تصير بين عينيه
مثلا ان كان كذلك في البلد واما وقت المغرب فيدخل بالغروب ولكن قد تحجب الجبال الغروب عنه
فينبغي ان ينظر الى جانب المشرق فمهما ظهر سواد في الافق مرتفع من الارض قدر رمح فقد
دخل وقت المغرب واما العشاء فيعرف بغيبوبة الشفق وهو الحمرة فان كان محجوبا عنه بجبال
فيعرف بظهور الكواكب الصغار وكثرتها فان ذلك يكون بعد غيبوبة الحمرة واما الصبح فيبدو في
الاول مستطيلا كذنب السرحان فلا حكم له الى ان ينقضي زمان ثم يظهر بياض معترض لا يعسر
ادراكه بالعين لظهوره فهو اول الوقت قال صلى الله عليه وسلم ليس الصبح هكذا وجمع كفيه انما الصبح
هكذا ووضع احدى سبابتيه على الاخرى وفتحهما واشار به الى انه معترض وقد يستدل عليه
بالمنازل وهو تقريب لا تحقيق فيه بل الاعتماد على مشاهدة انتشار البياض عرضا لان قوما ظنوا
ان الصبح يطلع قبل الشمس باربع منازل وهذا خطا فان ذلك هو الصبح الكاذب والذي ذكره
المحققون انه يتقدم على الشمس بمنزلتين وهذا تقريب ولكن لا اعتماد عليه فان بعض المنازل
يطلع معترضا منحرفا فيقصر زمان طلوعها وبعضها منتصبا فيطول زمان طلوعها ويختلف
ذلك في البلاد اختلافا يطول ذكره نعم تصلح المنازل لان يعلم بها قرب وقت الصبح وبعده فاما
حقيقة اول الصبح فلا يمكن ضبطه بمنزلتين اصلا وعلى الجملة فاذا بقيت اربع منازل الى طلوع
قرص الشمس بمقدار منزلة يتحقق انه الصبح الكاذب واذا بقي قريب من منزلتين يتحقق طلوع
الصبح الصادق ويبقى بين الصبحين قدر ثلثي منزلة بالتقريب يشك فيه انه من وقت الصبح
الصادق او الكاذب وهو مبدا ظهور البياض وانتشاره قبل اتساع عرضه فمن وقت الشك
ينبغي ان يترك الصائم السحور ويقدم القائم الوتر عليه ولا يصلي صلاة الصبح حتى تنقضي مدة
الشك فاذا تحقق صلى ولو اراد مريد ان يقدر على التحقيق وقتا معينا يشرب فيه متسحرا ويقوم
عقيبه ويصلي الصبح متصلا به فليس معرفة ذلك في قوة البشر اصلا بل لا بد من مهلة للتوقف
والشك ولا اعتماد الا على العيان ان يصير الضوء منتشرا في العرض حتى تبدو مبادي الصفرة
وقد غلط في هذا جمع من الناس كثير يصلون قبل الوقت ويدل عليه ما روى ابو عيسى الترمذي في
جامعه باسناده عن طلق بن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كلوا واشربوا ولا يهيدنكم الساطع
المصعد وكلوا واشربوا حتى يعترض لكم الاحمر وهذا صريح في رعاية الحمرة قال ابو عيسى وفي الباب
عن عدي بن حاتم وابي ذر وسمرة وهو حديث حسن غريب والعمل على هذا عند اهل العلم وقال
ابن عباس كلوا واشربوا ما دام الضوء ساطعا قال صاحب الغريبين اي مستطيلا فاذا لا ينبغي ان
لا يعول الا على ظهور الصفرة وكانها مبادي الحمرة وانما يحتاج المسافر الى معرفة الاوقات لانه قد يبادر
بالصلاة قبل الرحيل حتى لا يشق عليه النزول او قبل النوم حتى يستريح فان وطن نفسه على تاخير
الصلاة الى ان يتيقن فيسمح بفوات فضيلة اول الوقت ويتجشم كلفة النزول وكلفة تاخير النوم
الى اليقين استغنى عن تعلم علم الاوقات فان المشكل اوايل الاوقات لا اوساطها آخر كتاب آداب
السفر

كتاب السماع والوجد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي احرق قلوب اوليائه بنار محبته واسترق هممهم وارواحهم بالشوق الى
لقائه ومشاهدته ووقف ابصارهم وبصائرهم على ملاحظة جمال حضرته حتى اصبحوا من تنسم روح
الوصال سكرى واصبحت قلوبهم من ملاحظة سبحات الجلال والهة حيرى فلم يروا في الكونين شيئا
سواه ولم يذكروا في الدارين الا اياه ان سنحت لابصارهم صورة عبرت الى المصور بصائرهم وان
قرع اسماعهم نغمة سبقت الى المحبوب سرائرهم وان ورد عليهم صوت مزعج او مقلق او مطرب
او محزن او مهيج او مشوق لم يكن انزعاجهم الا اليه ولا طربهم الا به ولا قلقهم الا عليه ولا حزنهم
الا فيه ولا شوقهم الا الى ما لديه ولا انبعاثهم الا له ولا ترددهم الا حواليه فمنه سماعهم واليه
استماعهم فقد اقفل عن غيره ابصارهم واسماعهم اولئك الذين اصطفاهم الله لولايته و
استخلصهم من بين اصفيائه وخاصته والصلاة على محمد المبعوث برسالته وعلى آله واصحابه
ائمة الحق وقادته وسلم تسليما كثيرا اما بعد فان القلوب والسرائر خزائن الاسرار ومعادن الجواهر
وقد طويت فيها جواهرها كما طويت النار في الحديد والحجر واخفيت كما اخفي الماء تحت التراب والمدر ولا
سبيل الى استثارة خفاياها الا بقداح السماع فلا منفذ الى القلوب الا من دهليز الاسماع والنغمات
الموزونة المستلذة تخرج ما فيها وتظهر محاسنها ومساويها فلا يظهر من القلب عند التحريك
الا ما يحويه كما لا يترشح الاناء الا بما فيه فالسماع للقلب محك صادق ومعيار ناطق فلا يصل نفس السماع
اليه الا وقد تحرك فيه ما هو الغالب عليه واذا كانت القلوب بالطباع مطيعة للاسماع حتى ابدت بوارداتها
مكامنها وكشفت بها عن مساويها واظهرت محاسنها وجب شرح القول في السماع والوجد وما
فيهما من الفوائد والآفات وما يستحب فيهما من الآداب والهيئات وما يتطرق اليهما من خلاف العلماء
في انهما من المحظورات او المباحات ونحن نوضح ذلك في بابين ان شاء الله تعالى **الباب الاول**
في بيان اباحة السماع **الباب الثاني** في آداب السماع وآثاره في القلب بالوجد وفي الجوارح بالرقص
والزعق وتمزيق الثياب

الباب الاول في ذكر اختلاف العلماء في اباحة السماع وكشف الحق فيه

بيان اقاويل العلماء والمتصوفة في تحليله وتحريمه اعلم ان السماع هو اول الامر ويثمر السماع حالة في
القلب تسمى الوجد ويثمر الوجد تحريك الاطراف اما بحركة غير موزونة فيسمى الاضطراب واما موزونة
فتسمى التصفيق والرقص فلنبدا بحكم السماع وهو الاول وننقل فيه الاقاويل المعربة عن المذاهب فيه ثم نذكر
الدليل على اباحته ثم نردفه بالجواب عما تمسك به القائلون بتحريمه فاما نقل المذاهب فقد حكى القاضي
ابو الطيب الطبري عن الشافعي ومالك وابي حنيفة وسفيان وجماعة من العلماء الفاظا استدل بها على
انهم راوا تحريمه وقد قال الشافعي في كتاب آداب القضاء ان الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر
منه فهو سفيه ترد شهادته وقال القاضي ابو الطيب استماعه من المراة التي ليست بمحرم له لا يجوز عند
اصحاب الشافعي بحال سواء كانت مكشوفة او من وراء حجاب وسواء كانت حرة او مملوكة وقال الشافعي
صاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته وقال وحكي عن الشافعي انه كان يكره
الطقطقة بالقضيب ويقول وضعته الزنادقة ليشتغلوا به عن القرآن وقال الشافعي ويكره من جهة
الخبر اللعب بالنرد اكثر مما يكره من اللعب بشيء من الملاهي ولا احب اللعب بالشطرنج واكره كل ما لعب به
الناس لان اللعب ليس من صنعة اهل الدين ولا المروءة واما مالك فقد نهى عن الغناء وقال اذا اشترى
جارية فوجدها مغنية كان له ردها وهو مذهب سائر اهل المدينة الا ابراهيم بن سعد وحده فاما
ابو حنيفة فانه كان يكره ذلك ويجعل سماع الغناء من الذنوب وكذلك سائر اهل الكوفة سفيان الثوري
وحماد وابراهيم والشعبي وغيرهم فهذا كله نقله القاضي ابو الطيب الطبري ونقل ابو طالب المكي اباحة
السماع عن جماعة وقال سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر وعبد الله بن الزبير والمغيرة بن شعبة ومعاوية
وغيرهم وقال قد فعل ذلك كثير من السلف الصالح صحابي وتابعي باحسان وقال لم يزل الحجازيون عندنا
بمكة يسمعون السماع في افضل ايام السنة وهي الايام المعدودات التي امر الله تعالى عباده فيها بذكره
كايام التشريق ولم يزل اهل المدينة مواظبين كاهل مكة على السماع الى زماننا هذا فادركنا ابا
مروان القاضي وله جوار يسمعن التلحين قد اعدهن للصوفية قال وكان لعطاء جاريتان تلحنان

وكان اخوانه يستمعون اليهما قال وقيل لابي الحسن بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد
وسري السقطي وذا النون يستمعون قال كيف انكر السماع واجازه وسمعه من هو خير مني وقد
كان عبد الله بن جعفر الطيار يسمع وانما انكر اللهو واللعب في السماع وروي عن يحيى بن معاذ انه قال
فقدنا ثلثة اشيا فما نراها ولا اراها تزداد الا قلة حسن الوجه مع الصيانة وحسن القول مع الديانة وحسن
الاخا مع الوفا ورايت في بعض الكتب هذا بعينه محكيا عن الحارث المحاسبي وفيه ما يدل على تجويزه السماع
مع زهده وتصاونه وجده في الدين وتشمره قال وكان ابن مجاهد لا يجيب دعوة الا ان يكون فيها
سماع وحكى غير واحد انه قال اجتمعنا في دعوة ومعنا ابو القسم ابن بنت منيع وابو بكر ابن داود
وابن مجاهد في نظرايهم فحضر سماع فجعل ابن مجاهد يحرض ابن بنت منيع على ابن ابي داود في ان يسمع
فقال ابن ابي داود حدثني ابي عن احمد بن حنبل انه كان يكره السماع وكان ابي يكرهه وانا على مذهب
ابي فقال ابو القسم ابن بنت منيع اما جدي احمد بن منيع فحدثني عن صالح بن احمد ان اباه كان يسمع قول
ابن الخبازة فقال ابن مجاهد لابن ابي داود دعني انت من ابيك وقال لابن بنت منيع دعني انت من
جدك ايش تقول يا ابا بكر فيمن انشد بيت شعر احرام هو فقال ابن ابي داود لا قال فان كان
حسن الصوت حرم عليه انشاده قال لا قال فان انشده وطول وقصر منه الممدود ومد المقصور
يحرم عليه فقال انا لم اقو لشيطان واحد فكيف اقوى لشيطانين قال وكان ابو الحسن العسقلاني
الاسود من الاوليا يسمع ويوله عند السماع وصنف كتابا في الرد على منكريه وكذلك جماعة منهم صنفوا
في الرد على منكريه وحكى عن بعض الشيوخ انه قال رايت ابا العباس الخضر عليه السلام
فقلت ما تقول في هذا السماع الذي اختلف فيه اصحابنا فقال هو الصفا الزلال الذي لا يثبت عليه الا اقدام
العلما وحكى عن ممشاد الدينوري انه قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا نبي الله
هل تنكر من هذا السماع شيا فقال ما انكر منه شيا ولكن قل لهم يفتتحون قبله بالقران ويختمون بعده بالقران
وحكى عن طاهر بن بلال الهمداني الوراق وكان من اهل العلم انه قال كنت معتكفا في جامع جدة على البحر
فرايت يوما طايفة يقولون في جانب منه قولا ويستمعون فانكرت ذلك بقلبي وقلت في بيت من بيوت
الله يقولون الشعر قال فرايت النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة وهو جالس في تلك الناحية والى
جنبه ابو بكر الصديق واذا ابو بكر يقول شيا من القول والنبي يستمع ويضع يده على صدره كالواجد
بذلك فقلت في نفسي ما كان ينبغي لي ان انكر على اوليك الذين كانوا يستمعون وهذا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابو بكر فالتفت الي النبي صلى الله عليه وسلم وقال هذا حق بحق او قال حق من حق
انا اشك فيه وقال حق من حق انا اشك فيه وقال الجنيد تنزل الرحمة على هذه الطايفة في
ثلثة مواضع عند الاكل لانهم لا ياكلون الا عن فاقة وعند المذاكرة لانهم يتحاورون في مقامات
الصديقين وعند السماع لانهم يستمعون بوجد ويشهدون حقا وعن ابن جريج انه كان يرخص في
السماع فقيل له ايوتى به يوم القيمة في جملة حسناتك او سيئاتك فقال لا في الحسنات ولا في السيات
لانه شبيه باللغو قال الله تعالى لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم هذا ما نقل من الاقاويل ومن طلب الحق
من التقليد فمهما استقصى تعارضت عنده الاقاويل ومن طلب الحق من التقليد بقي متحيرا
او مايلا الى بعض الاقوال بالتشهي وكل ذلك قصور بل ينبغي ان يطلب الحق بطريقه وذلك انما يكون
بالبحث عن مدارك الحظر والاباحة كما سنذكره بيان الدليل على اباحة السماع اعلم ان قول
القايل السماع حرام معناه ان الله يعاقب عليه وهذا امر لا يعرف بمجرد العقل بل بالسمع ومعرفة
الشرعيات محصورة في النص او القياس على المنصوص واعني بالنص ما اظهره رسول الله صلى الله عليه وسلم
بقوله او فعله وبالقياس المعنى المفهوم من الفاظه وافعاله فان لم يكن فيه نص ولم يستقم فيه

قياس

قياس على منصوص بطل القول بتحريمه وبقي فعلا لا حرج فيه كساير المباحات ولا يدل على تحريم
السماع نص ولا قياس ويتضح ذلك في جوابنا عن ادلة المايلين الى التحريم ومهما تم الجواب عن ادلتهم كان ذلك
مسلكا كافيا في اثبات هذا الغرض لكن نستفتح ونقول قد دل النص والقياس جميعا على اباحة
السماع اما القياس فهو ان الغنا اجتمع فيه معان ينبغي ان يبحث عن افرادها ثم عن مجموعها فان
فيه سماع صوت طيب موزون مفهوم المعنى محرك للقلب فالوصف الاعم انه صوت طيب ثم
الطيب ينقسم الى الموزون وغيره والموزون ينقسم الى المفهوم كالاشعار والى غير المفهوم
كاصوات الجمادات وساير الحيوانات اما سماع الصوت الطيب من حيث انه طيب فلا ينبغي ان
يحرم بل هو حلال بالنص والقياس اما القياس فانه يرجع الى تلذذ حاسة السمع بادراك ما هو مخصوص
به وللانسان عقل وخمس حواس ولكل حاسة ادراك وفي مدركات تلك الحاسة ما يستلذ فلذة النظر
في المبصرات الجميلة كالخضرة والما الجاري والوجه الحسن وبالجملة ساير الالوان الجميلة وهي في مقابلة
ما يكره من الالوان الكدرة القبيحة وللشم الروايح الطيبة وهي في مقابلة الانتان المستكرهة وللذوق
الطعوم اللذيذة كالدسومة والحلاوة والحموضة وهي في مقابلة المرارة والمزازة المستبشعة وللمس
لذة اللين والنعومة والملاسة وهي في مقابلة الخشونة والضراسة وللعقل لذة العلم والمعرفة وهي
في مقابلة الجهل والبلادة فكذلك الاصوات المدركة بالسمع تنقسم الى مستلذة كصوت العنادل
والمزامير ومستكرهة كنهيق الحمير وغيرها فما اظهر قياس هذه الحاسة ولذتها على ساير الحواس ولذاتها
واما النص فيدل على اباحة سماع الصوت الحسن امتنان الله تعالى على عباده به اذ قال يزيد في الخلق
ما يشا فقيل هو الصوت الحسن وفي الحديث ما بعث الله تعالى نبيا الا حسن الصوت وقال صلى الله
عليه وسلم لله اشد اذنا للرجل الحسن الصوت بالقران من صاحب القينة الى قينته وفي الحديث
في معرض المدح لداود عليه الصلاة والسلام انه كان حسن الصوت في النياحة على نفسه وفي تلاوة
الزبور حتى كان يجتمع عليه الانس والجن والوحش والطير لسماع صوته وكان يحمل من مجلسه اربعماية
جنازة وما يقرب منها في الاوقات وقال صلى الله عليه وسلم في مدح ابي موسى الاشعري لقد
اعطي مزمارا من مزامير ال داود وقوله تعالى ان انكر الاصوات لصوت الحمير يدل بمفهومه على مدح
الصوت الحسن ولو جاز ان يقال انما ابيح ذلك بشرط ان يكون في القران للزمه ان يحرم سماع صوت
العندليب لانه ليس من القران واذا جاز سماع صوت غفل لا معنى له فلم لا يجوز سماع صوت يفهم
منه الحكمة والمعاني الصحيحة وان من الشعر لحكمة فهذا نظر في الصوت من حيث انه طيب حسن
الدرجة الثانية النظر في الصوت الطيب الموزون فان الوزن وراء الحسن فكم من صوت حسن
خارج عن الوزن وكم من صوت موزون غير مستطاب والاصوات الموزونة باعتبار مخارجها
ثلثة فانها اما ان تخرج من جماد كصوت المزامير والاوتار وضرب القضيب والطبل وغيره وصوت
العنادل والقماري وذوات السجع من الطيور مع طيبه موزونة متناسبة المطالع والمقاطع فلذلك
يستلذ سماعها والاصل في الاصوات حناجر الحيوانات وانما وضعت المزامير على صور الحناجر
وهو تشبيه للصنعة بالخلقة وما من شي توصل اهل الصناعات بصناعتهم الى تصويره الا وله
مثال في الخلقة التي استاثر الله باختراعها فمنه تعلم الصناع وبه قصدوا الاقتدا وشرح ذلك
يطول فسماع هذه الاصوات يستحيل ان يحرم لكونها طيبة او موزونة فلا ذاهب الى تحريم سماع
العندليب وساير الطيور ولا فرق بين حنجرة وحنجرة ولا بين جماد وحيوان فينبغي ان يقاس على صوت
العندليب الاصوات الخارجة من ساير الاجسام باختيار الادمي كالذي يخرج من حلقه او من القضيب

والطبل والرق وغيره ولا يستثنى في هذا الا الملاهي والاوتار والمزامير اذ ورد الشرع بالمنع منها
لا للذتها اذ لو كان للذة لقيس عليها كل ما يلتذ به الانسان ولكن حرمت الخمور واقتضت ضراوة الناس
بها المبالغة في الفطام عنها حتى انتهى الامر في الابتداء الى كسر الدنان فحرم معها ما هو شعار اهل
الشرب وهي الاوتار والمزامير فقط وكان تحريمه من قبيل الاتباع كما حرمت الخلوة لانها مقدمة الجماع
وحرم النظر الى الفخذ لاتصاله بالسوءتين وحرم قليل الخمر وان كان لا يسكر لانه يدعو الى المسكر
وما من حرام الا وله حريم يطيف به وحكم الحرمة ينسحب على حريمه ليكون حمى للحرام ووقاية له وحظارا
مانعا حوله كما قال صلى الله عليه وسلم ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه فهي محرمة تبعا لتحريم الخمر لثلاث علل
احداها انها تدعو الى شرب الخمر فان اللذة الحاصلة بها انما تتم بالخمر ولمثل هذه العلة حرم قليل الخمر
الثانية انها في حق قريب العهد بشرب الخمر تذكر مجالس الانس بالشرب فهي سبب الذكر والذكر
سبب انبعاث الشوق وانبعاث الشوق اذا قوي فهو سبب الاقدام ولهذه العلة نهي عن الانتباذ
في المزفت والحنتم والنقير وهي الاواني التي كانت مخصوصة بها فمعنى هذا ان مشاهدة صورتها
تذكرها وهذه العلة تفارق الاولى اذ ليس فيها اعتبار لذة في الذكر اذ لا لذة في رؤية القنينة
واواني الشرب لكن من حيث التذكر بها فان كان السماع يذكر الشرب تذكيرا يشوق الى الخمر
عند من الف ذلك مع الشرب فهو منهي عن السماع لخصوص هذه العلة فيه الثالثة الاجتماع
عليها لما ان صار من عادة اهل الفسق فيمنع من التشبه بهم لان من تشبه بقوم فهو منهم وبهذه
العلة نقول بترك السنة مهما صارت شعارا لاهل البدعة خوفا من التشبه بهم وبهذه العلة يحرم
ضرب الكوبة وهو طبل مستطيل دقيق الوسط واسع الطرفين وضربها عادة المخنثين ولولا ما فيه من
التشبه لكان مثل طبل الحج والغزو وبهذه العلة نقول لو اجتمع جماعة وزينوا مجلسا واحضروا
آلات الشراب واقداحه وصبوا فيها السكنجبين ونصبوا ساقيا يدور عليهم ويسقيهم
فياخذون من الساقي ويشربون ويحيي بعضهم بعضا بكلماتهم المعتادة
بينهم حرم ذلك وان كان المشروب مباحا في نفسه لان في ذلك تشبها باهل الفساد بل لهذا ينهى
عن لبس القباء وعن ترك الشعر على الراس قزعا في بلاد صار القباء فيها من لباس اهل الفساد ولا
ينهى عن ذلك فيما وراء النهر لاعتياد اهل الصلاح ذلك فيهم فبهذه المعاني حرم المزمار العراقي
والاوتار كلها كالعود والرباب والبربط وغيرها وما عداها فليس في معناها كشاهين الرعاة
والحجيج وشاهين الطبالين وكالطبل والقضيب وكل آلة يستخرج منها صوت مستطاب موزون
سوى ما يعتاده اهل الشرب لان كل ذلك لا يتعلق بالخمر ولا يذكر بها ولا يشوق اليها ولا يوجب
التشبه باربابها فلم يكن في معناها فبقي على اصل الاباحة قياسا على اصوات الطيور وغيرها
بل اقول سماع الاوتار ممن يضربها على غير وزن متناسب مستلذ حرام ايضا وبهذا يتبين انه ليس
العلة في تحريمها مجرد اللذة الطيبة بل القياس تحليل الطيبات كلها الا ما في تحليله فساد قال الله
تعالى قل من حرم زينة الله الاية فهذه الاصوات لا تحرم من حيث انها اصوات موزونة وانما تحرم
بعارض آخر كما سياتي بيان العوارض المحرمة الدرجة الثالثة الموزون المفهوم وهو الشعر وذلك
لا يخرج الا من حنجرة الانسان فيقطع باباحة ذلك لانه ما زاد الا كونه مفهوما والكلام المفهوم غير حرام
والصوت الطيب الموزون غير حرام فاذا لم يحرم الاحاد فمن اين يحرم المجموع نعم ينظر فيما يفهم منه
فان كان فيه امر محظور حرم نثره ونظمه وحرم التصويت به سواء كان بالحان او لم يكن والحق فيه
ما قاله الشافعي اذ قال الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح ومهما جاز انشاد الشعر بغير صوت

حسن

حسن والحان جاز مع الالحان فان افراد المباحات اذا اجتمعت كان ذلك المجموع مباحا ومهما
انضم مباح الى مباح لم يحرم الا اذا تضمن المجموع محذورا لا يتضمنه الاحاد ولا محذور ههنا و
كيف ينكر انشاد الشعر وقد انشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عليه الصلاة
والسلام ان من الشعر لحكمة وانشدت عائشة   شعر

ذهب الذين يعاش في اكنافهم   وبقيت في خلف كجلد الاجرب

وروى في الصحيحين عن عائشة انها قالت لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك ابو بكر
وبلال وكان بها وباء فقلت يا ابت كيف تجدك ويا بلال كيف تجدك وكان ابو بكر اذا اخذته
الحمى يقول   كل امرئ مصبح في اهله   والموت ادنى من شراك نعله
وكان بلال اذا اقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول

الا ليت شعري هل ابيتن ليلة   بواد وحولي اذخر وجليل
وهل اردن يوما مياه مجنة   وهل يبدون لي شامة وطفيل

قالت عائشة فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال اللهم حبب الينا المدينة
كحبنا مكة وقد كان صلى الله عليه وسلم ينقل اللبن مع القوم في بناء المسجد ويقول
هذا الحمال لا حمال خيبر   هذا ابر ربنا واطهر   وقال مرة اخرى اللهم ان
العيش عيش الاخره   فارحم الانصار والمهاجره   وهذا في الصحيحين وكان النبي صلى الله عليه وسلم
يضع لحسان منبرا في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم او ينافح ويقول
رسول الله ان الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح او فاخر عن رسول الله ولما انشده النابغة
شعره قال له رسول الله لا يفضض الله فاك وقالت عائشة كان اصحاب رسول الله يتناشدون
عنده الاشعار وهو يتبسم وعن عمرو بن الشريد عن ابيه قال انشدت النبي مائة قافية
من قول امية ابن ابي الصلت كل ذلك يقول هيه هيه ثم قال ان كاد في شعره ليسلم
وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحدى له في السفر وان انجشة كان يحدو بالنساء
والبراء بن مالك كان يحدو بالرجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا انجشة رويدك
سوقك بالقوارير ولم يزل الحداء وراء الجمال من عادة العرب في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وزمان الصحابة وما هو الا اشعار تؤدى باصوات طيبة والحان موزونة ولم ينقل عن احد من الصحابة
انكاره بل ربما كانوا يلتمسون ذلك تارة لتحريك الجمال وتارة للاستلذاذ فلا يجوز ان يحرم من
حيث انه كلام مفهوم مستلذ مؤدى باصوات طيبة والحان موزونة الدرجة الرابعة
النظر فيه من حيث انه محرك للقلب ومهيج لما هو الغالب عليه فاقول لله عز وجل سر في مناسبة
النغمات الموزونة للارواح حتى انها لتؤثر فيها تاثيرا عجيبا فمن الاصوات ما يفرح ومنها
ما يحزن ومنها ما ينوم ومنها ما يضحك ويطرب ومنها ما يستخرج من الاعضاء حركات على
وزنها باليد والرجل والراس ولا ينبغي ان يظن ان ذلك لفهم معاني الشعر بل هذا جار في
الاوتار حتى قيل من لم يحركه الربيع وازهاره والعود واوتاره فهو فاسد المزاج ليس له علاج
وكيف يكون ذلك لفهم المعنى وتاثيره مشاهد في الصبي في مهده فانه يسكته الصوت
الطيب عن بكائه وتنصرف نفسه عما يبكيه الى الاصغاء اليه والجمل مع بلادة طبعه يتاثر بالحداء
تاثيرا يستخف معه الاحمال الثقيلة ويستقصر لقوة نشاطه في سماعه المسافات الطويلة
وينبعث فيه من النشاط ما يسكره ويولهه فترى الابل اذا طالت عليها البوادي واعتراها

الاعيا والكلال تحت المحامل والاحمال اذا سمعت منادى الحدو تمد اعناقها وتصغى الى الحادى ناصبة
اذانها وتسرع فى سيرها حتى تتزعزع عليها احمالها ومحاملها وربما تتلف انفسها فى شدة
السير وثقل الحمل وهى لا تشعر به لنشاطها فقد حكى ابو بكر محمد بن داود الدينورى المعروف
بالرقى قال كنت بالبادية فوافيت قبيلة من قبايل العرب فاضافنى رجل منهم وادخلنى خباءه
فرايت فى الخباء عبدا اسود مقيدا بقيد ورايت جمالا قد ماتت بين يدى البيت وقد
بقى منها جمل وهو ناحل ذابل كانه ينزع روحه فقال لى الغلام انت ضيف ولك حق
فتشفع فى الى مولاى فانه مكرم لضيفه فلا يرد شفاعتك فعساه يحل القيد عنى
قال فلما احضر الطعام امتنعت وقلت لا اكل ما لم اشفع فى هذا العبد فقال ان هذا
العبد قد افقرنى واهلك جميع مالى فقلت ماذا فعل فقال ان له صوتا طيبا وانى كنت اعيش
من ظهور هذه الجمال فحملها احمالا ثقالا وكان يحدو بها حتى قطعت مسيرة ثلاثة ايام
فى ليلة من طيب نغمته فلما حطت احمالها ماتت كلها الا هذا الجمل الواحد ولكن انت ضيفى
فلكرامتك قد وهبته لك قال فاحببت ان اسمع صوته فلما اصبحنا امره ان يحدو على
جمل يستقى الماء من بير هناك فلما رفع صوته هام ذلك الجمل وقطع حباله ووقعت انا على
وجهى فما اظن انى قط سمعت صوتا اطيب منه فاذن تاثير السماع فى القلب محسوس
ومن لم يحركه السماع فهو ناقص مايل عن الاعتدال بعيد عن الروحانية زايد فى غلظ الطبع
وكثافته على الجمال والطيور بل على ساير البهايم فان جميعها تتاثر بالنغمات الموزونة ولذلك
كانت الطيور تقف على راس داود لاستماع صوته ومهما كان النظر فى السماع باعتبار
تاثيره فى القلوب لم يجز ان يحكم فيه مطلقا باباحة ولا تحريم بل يختلف ذلك بالاحوال والاشخاص
واختلاف طرق النغمات فحكمه حكم ما فى القلب قال ابو سليمان السماع لا يجعل فى القلب ما ليس
فيه ولكن يحرك ما هو فيه والترنم بالكلمات المسجعة الموزونة معتاد فى مواضع لاغراض مخصوصة
ترتبط بها اثار فى القلب وهى سبعة مواضع الاول غناء الحجيج فانهم يدورون اولا فى
البلاد بالطبل والشاهين والغناء وذلك مباح لانها اشعار نظمت فى وصف الكعبة والمقام والحطيم
وزمزم وساير المشاعر ووصف البادية وغيرها وتاثير ذلك يهيج الشوق الى الحج واشتعال نيرانه
ان كان ثم شوق حاصل او استثارة الشوق واجتلابه ان لم يكن حاصلا واذا كان الحج قربة
والشوق اليه محمود كان التشويق اليه بكل ما يشوق محمودا وكما يجوز للواعظ ان ينظم كلامه
فى الوعظ ويزينه بالسجع ويشوق الناس الى الحج بوصف البيت والمشاعر ووصف الثواب عليه
جاز لغيره ذلك على نظم الشعر فان الوزن اذا انضاف الى السجع صار الكلام اوقع فى القلب
فاذا اضيف اليه صوت طيب ونغمات موزونة زاد وقعه فان اضيف اليه الطبل والشاهين ونغمات
موزونة زاد وقعه الطبل والشاهين وحركات الايقاع زاد التاثير وكل ذلك جايز ما لم
تدخل فيه المزامير والاوتار التى هى من شعار الاشرار نعم ان قصد به تشويق من لا يجوز
له الخروج الى الحج بالسماع وبكل كلام يشوق فان التشويق الى الحرام حرام وكذا
اذا كانت الطريق غير امنة وكان الهلاك غالبا لم يجز تحريك القلوب ومعالجتها بالتشويق
الثانى ما يعتاده الغزاة لتحريض الناس على الغزو وذلك ايضا مباح كما للحاج ولكن ينبغى
ان تخالف اشعارهم وطرق الحانهم اشعار الحاج وطرق الحانهم لان استثارة داعية الغزو
بالتشجيع وتحريك الغيظ والغضب فيه على الكفار وتحسين الشجاعة واستحقار النفس والمال

بالاضافة

بالاضافة اليه والاشعار المشجعة مثل قول المتنبى
فان لا تمت تحت السيوف مكرما … تمت وتقاسى الذل غير مكرم
وقوله يرى الجبناء ان الجبن حزم … وتلك خديعة النفس اللئيم واماثل ذلك وطرق
الاوزان المشجعة تخالف الطرق المشوقة فهذا ايضا مباح فى وقت يباح فيه الغزو ومندوب
اليه فى وقت يستحب فيه الغزو ولكن فى حق من يجوز له الخروج الى الغزو الثالث
الرجزيات التى يستعملها الشجعان فى وقت اللقاء والغرض منها التشجيع للنفس والانصار
وتحريك النشاط فيهم للقتال وفيه التمدح بالشجاعة والنجدة وذلك اذا كان بلفظ رشيق
وصوت طيب كان اوقع فى النفس وذلك مباح فى كل قتال مباح ومندوب فى كل قتال مندوب
ومحظور فى قتال المسلمين واهل الذمة وكل قتال محظور واما المذموم فكالحزن على ما فات قال
الله تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم والحزن على الاموات من هذا القبيل فانه
تسخط لقضاء الله وتاسف على ما لا تدارك له فهذا الحزن لما كان مذموما كان تحريكه بالنياحة
مذموما فلذلك ورد النهى الصريح فى النياحة واما الحزن المحمود فهو حزن الانسان على تقصيره
فى امر دينه وبكاوه على خطاياه والبكاء والتباكى والحزن والتحازن على ذلك محمود وعليه
بكاء ادم وتحريك هذا الحزن وتقويته محمود لانه يبعث على التشمر للتدارك ولذلك كانت نياحة
داود محمودة اذ كان ذلك مع دوام الحزن وطول البكاء بسبب الخطايا والذنوب فقد كان عليه السلم
يحزن ويبكى ويبكى حتى كانت الجنايز ترفع من مجالس نياحته وكان يفعل ذلك بالفاظه
والحانه وذلك محمود لان المفضى الى المحمود محمود وعلى هذا لا يحرم على الواعظ الطيب الصوت
ان ينشد على المنبر بالحانه الاشعار المحزنة المرققة للقلب ولا ان يبكى ويتباكى ليتوصل به الى بكاء
غيره واثارة حزنه الخامس السماع فى اوقات السرور تاكيدا للسرور وتهييجا له وهو مباح ان
كان ذلك السرور مباحا كالغناء فى ايام العيد وفى العرس وفى وقت قدوم الغايب وفى وقت
الوليمة والعقيقة وذلك عند ولادة المولود وعند ختانه وعند حفظ القران فكل ذلك
معتاد لاجل اظهار السرور ووجه جوازه ان من الالحان ما يثير الفرح والسرور والطرب
فكل ما جاز السرور به جاز اثارة السرور فيه ويدل على هذا من النقل انشادهم بالدف
والالحان عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم
طلع البدر علينا من ثنيات الوداع … وجب الشكر علينا ما دعى لله داع
فهذا فيه اظهار السرور بقدومه وهو سرور محمود فاظهاره بالشعر والنغمات والرقص
والحركات ايضا محمود فقد نقل عن جماعة من الصحابة انهم حجلوا فى سرور اصابهم كما
سياتى فى احكام الرقص وهو جار فى قدوم كل قادم يجوز الفرح به وفى كل سبب مباح من اسباب
السرور ويدل على هذا ما روى فى الصحيحين عن عايشة انها قالت رايت النبى صلى الله
عليه وسلم يسترنى بردايه وانا انظر الى الحبشة يلعبون فى المسجد حتى اكون انا الذى
اسامه فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو اشارة الى طول مدة وقوفها
وروى البخارى ومسلم من حديث عقيل عن الزهرى عن عروة عن عايشة ان ابا بكر
دخل عليها وعندها جاريتان فى ايام منى يدففان ويضربان والنبى متغش بثوبه فانتهرهما
ابو بكر فكشف النبى عن وجهه وقال دعهما يا ابا بكر فانها ايام عيد وقالت عايشة

رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترني بردائه وانا انظر الى الحبشة وهم يلعبون في المسجد فزجرهم عمر
فقال النبي صلى الله عليه وسلم امنا يا بني ارفدة يعني من الامن وفي حديث عمرو بن الحرث عن ابن
شهاب نحوه وفيه يغنيان ويضربان وفي حديث ابي الطاهر عن ابن وهب والله لقد رايت
رسول الله يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بحرابهم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يسترني بردائه لكي انظر الى لعبهم ثم يقوم من اجلي حتى اكون انا الذي انصرف
وروي عن عائشة قالت كنت العب بالبنات عند رسول الله وكان ياتيني صواحب لي
فكن ينقمعن من رسول الله فكان النبي صلى الله عليه وسلم يسربهن الي فيلعبن معي وفي
رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها ما هذا قالت بناتي قال فما هذا الذي ارى في
وسطهن قالت فرس قال وما هذا الذي عليه قالت جناحان فقال فرس له جناحان قالت او ما
سمعت انه كان لسليمان بن داود خيل لها اجنحة قالت فضحك النبي حتى بدت نواجذه و
الحديث محمول عندنا على عادة الصبيان في اتخاذ اللعب من الخرق والرقاع من غير تكميل
صورة بدليل ما روي في بعض الروايات ان الفرس كان له جناحان من رقاع وقالت عائشه
رضي الله عنها دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان تغنيان بغنا بعاث
فاضطجع على الفراش وحول وجهه ودخل ابو بكر فانتهرني وقال مزمار الشيطان عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاقبل عليه رسول الله وقال دعهما فلما غفل غمزتهما فخرجتا وكان يوم
عيد يلعب فيه السودان بالدرق والحراب فاما سالت رسول الله واما قال تشتهين
تنظرين فقلت نعم فاقامني وراه وخدي على خده ويقول دونكم يا بني ارفدة حتى اذا مللت
قال حسبك قلت نعم قال فاذهبي وفي صحيح مسلم فوضعت راسي على منكبه فجعلت انظر
الى لعبهم حتى كنت انا التي انصرفت فهذه الاحاديث كلها في الصحيحين وهو نص صريح
في ان الغنا واللعب ليس بحرام وفيها دلالة بينة على انواع من الرخص الاول اللعب ولا
يخفى عادة الحبشة في الرقص واللعب والثاني فعل ذلك في المسجد والثالث قوله صلى الله عليه وسلم
دونكم يا بني ارفدة وهذا امر باللعب والتماس له فكيف يقدر كونه حراما والرابع منعه لابي بكر
وعمر عن الانكار والتغيير وتعليله بانه يوم عيد اي هو وقت سرور وهذا من اسباب السرور
والخامس وقوفه طويلا في مشاهدة ذلك وسماعه لموافقة عائشه وفيه دليل على ان حسن الخلق
في تطييب قلوب النسا والصبيان بمشاهدة اللعب احسن من خشونة الزهد والتقشف في
الامتناع والمنع منه والسادس قوله عليه الصلاة والسلام ابتداء لعائشة اتشتهين ان تنظري
فلم يكن ذلك عن اضطرار الى المساعدة للاهل خوفا من غضب او وحشة فان الالتماس اذا
سبق ربما كان الرد سبب وحشة وهو محذور فيقدم محذور على محذور فاما ابتداوه صلى الله عليه وسلم
السوال فلا حاجة فيه السابع الرخصة في الغنا والضرب بالدف من الجاريتين مع انه شبه ذلك
بمزمار الشيطان وفيه بيان ان المزمور المحرم غير ذلك والثامن ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يقرع سمعه صوت الجاريتين وهو مضطجع ولو كان يضرب بالاوتار في موضع لما جوز
الجلوس ثم لقرع صوت الاوتار سمعه فيدل هذا على ان صوت النسا غير محرم تحريم صوت
المزامير بل انما يحرم عند خوف الفتنة فهذه المقاييس والنصوص تدل على اباحة
الغنا والرقص والضرب بالدف واللعب بالدراق والحراب والنظر الى رقص الحبشه

والصنوج في اوقات السرور كلها قياسا على يوم العيد فانه وقت سرور وفي معناه يوم
العرس والوليمه والعقيقه والختان ويوم القدوم من السفر وسائر اسباب الفرح وهو
كل ما يجوز الفرح به شرعا ويجوز الفرح بزيارة الاخوان ولقائهم واجتماعهم في موضع واحد
على طعام او كلام فهو ايضا مظنة السماع السادس سماع العشاق تحريكا للشوق وتهييجا للعشق
وتسلية للنفس فان كان في مشاهدة المعشوق فالغرض تاكيد اللذة وان كان مع المفارقة فالغرض
تهييج الشوق والشوق وان كان الما ففيه نوع لذة اذا انضاف اليه رجاء الوصال فان الرجا
لذيذ واليأس مولم وقوة لذة الرجا بحسب قوة الشوق والحب للشي المرجو ففي هذا السماع
تهييج العشق وتحريك الشوق وتحصيل لذة الرجا المقدر في الوصال مع الاطناب في وصف
حسن المحبوب وهذا حلال ان كان المشتاق اليه ممن يباح وصاله كمن يعشق زوجته او
سريته فيصغي الى غنائها لتتضاعف لذته في لقائها فيحظى بالمشاهدة البصر وبالسماع الاذن
ويفهم لطايف معاني الوصال والفراق القلب فتترادف اسباب اللذة فهذا نوع تمتع من
جملة مباحات الدنيا ومتاعها وما الحياة الدنيا الا لهو ولعب وهذا منه وكذلك ان
غضبت منه جاريته او غابت او حيل بينه وبينها بسبب من الاسباب فله ان يحرك
بالسماع شوقه وان يستثير به لذة رجا الوصال فان باعها او طلقها حرم عليه ذلك بعده
اذ لا يجوز تحريك الشوق حيث لا يجوز تحقيقه بالوصال واللقا واما من يتمثل في نفسه صورة
صبي او امراة لا يحل له النظر اليها وكان ينزل ما يسمع على ما يتمثل في نفسه فهذا حرام لانه
محرك للفكر في الافعال المحظورة ومهيج للداعية الى ما لا يباح الوصول اليه واكثر العشاق والسفها
من الشبان في وقت هيجان الشهوة لا ينفكون عن اضمار شي من ذلك فذلك ممنوع في حقهم
لما فيهم من الداء الدفين لا لامر يرجع الى نفس السماع ولذلك سيل حكيم عن العشق فقال
دخان يصعد الى دماغ الانسان يزيله الجماع ويهيجه السماع السابع سماع من احب الله
وعشقه واشتاق الى لقايه فلا ينظر الى شي الا راه فيه ومنه ولا يقرع سمعه قارع الا سمعه
منه او فيه فالسماع في حقه مهيج لشوقه ومؤكد لعشقه وحبه ومورد زنادة قلبه ومستخرج
منه احوالا من المكاشفات والملاطفات لا يحيط الوصف بها يعرفها من ذاقها وينكرها من
كل حسه عن ذوقها وتسمى تلك الاحوال بلسان الصوفية وجدا ماخوذا من الوجود
والمصادفة اي صادف من نفسه احوالا لم يكن يصادفها قبل السماع ثم تكون تلك الاحوال اسبابا
لروادف وتوابع لها تحرق القلب بنيرانها وتنقيه عن الكدورات كما تنقي النار الجواهر المعروضة
عليها من الخبث ثم يتبع الصفا الحاصل به مشاهدات ومكاشفات وهي غاية مطالب المحبين لله ونهاية ثمرة
القربات كلها فالمفضي اليها من جملة القربات لا من جملة المعاصي والمباحات وحصول هذه
الاحوال للقلب بالسماع سببه سر الله في مناسبة النغمات الموزونة للارواح وتسخير الارواح
لها وتاثرها بها شوقا وفرحا وحزنا وانبساطا وانقباضا ومعرفة السبب في تاثر الارواح بالاصوات
من دقايق علوم المكاشفات والبليد الجامد القاسي القلب المحروم عن لذة السماع يتعجب من
التذاذ المستمع ووجده واضطراب حاله وتغير لونه تعجب البهيمة من لذة اللوزينج وتعجب العنين من
لذة المباشرة وتعجب الصبي من لذة الرياسة واتساع اسباب الجاه وتعجب الجاهل من لذة معرفة
الله ومعرفة جلاله وعظمته وعجايب صنعه ولكل ذلك سبب واحد وهو ان اللذة نوع ادراك و
الادراك يستدعي مدركا ويستدعي قوة مدركة فمن لم تكمل قوة ادراكه لم يتصور منه التلذذ فكيف

يدرك لذة المطعوم من فقد الذوق وكيف يدرك لذة الالحان من فقد السمع او لذة المعقولات
من فقد العقل وكذلك ذوق السماع بالقلب بعد وصول الصوت الى السمع يدرك بحاسة باطنة في
القلب فمن فقدها عدم لا محالة لذتها ولعلك تقول كيف يتصور العشق في حق الله حتى يكون السماع
محركا له فاعلم ان من عرف الله احبه لا محالة ومن تأكدت معرفته تأكدت محبته بقدر تأكد معرفته والمحبة اذا
تأكدت سميت عشقا فلا معنى للعشق الا محبة موكدة مفرطة ولذلك قالت العرب ان محمدا قد عشق ربه
لما راوه يتخلى للعبادة في جبل حرا واعلم ان كل جمال محبوب عند مدرك ذلك الجمال والله تعالى جميل
يحب الجمال ولكن الجمال ان كان بتناسب الخلقة وصفاء اللون ادرك بحاسة البصر وان كان بالجلال
والعظمة وعلو الرتبة وحسن الصفات والاخلاق وارادة الخيرات لكافة الخلق وافاضتها عليهم على
الدوام الى غير ذلك من الصفات الباطنة ادرك بحاسة القلب ولفظ الجمال قد يستعار ايضا لها
ان فلانا جميل وحسن ولا يراد صورته وانما يعني به انه جميل الاخلاق محمود الصفات حسن السيرة
حتى قد يحب الرجل بهذه الصفات الباطنة استحسانا لها كما تحب الصورة الظاهرة وقد تتأكد هذه
المحبة فتسمى عشقا وكم من الغلاة في حب ارباب المذاهب كالشافعي ومالك وابي حنيفة حتى يبذلون
اموالهم وارواحهم في نصرتهم وموالاتهم ويزيدون على كل عاشق في الغلو والمبالغة ومن
العجب ان يعقل عشق شخص لم يشاهد قط صورته اجميل هو ام قبيح وهو الان ميت ولكن لجمال
صورته الباطنة وسيرته المرضية والخيرات الحاصلة من علمه لاهل الدين وغير ذلك من الخصال ثم لا
يعقل عشق من الخيرة لاجله ولا محبوب في العالم الا وهو حسنة من حسناته واثر من اثار كرمه
وغرفة من بحر جوده بل كل حسن وجمال في العالم ادرك بالعقول والابصار والاسماع وسائر
الحواس من مبتدأ العالم الى منقرضه ومن ذروة الثريا الى منتهى الثرى فهو ذرة من خزائن
قدرته ولمعة من انوار حضرته فليت شعري كيف لا يعقل حب من هذه صفته وكيف لا يتأكد
عند العارفين باوصافه حبه حتى يجاوز حدا يكون اطلاق اسم العشق عليه ظلما في حقه
لقصوره عن الانباء عن فرط محبته فسبحان من احتجب عن الظهور بشدة ظهوره واستتر عن
الابصار باشراق نوره ولولا احتجابه بسبعين حجابا من نوره لاحرقت سبحات وجهه ابصار
الملاحظين لجمال حضرته ولولا ان ظهوره سبب خفائه لبهتت العقول ودهشت القلوب وتخاذلت القوى
وتنافرت الاعضاء ولو ركبت القلوب من الحجارة والحديد لاصبحت تحت مبادي انوار تجليه دكا
دكا فانى يطيق كنه نور الشمس ابصار الخفافيش وسياتي تحقيق هذه الاشارة في كتاب
المحبة ويتضح ان محبة غير الله قصور وجهل بل المتحقق بالمعرفة لا يعرف غير الله اذ ليس في
الوجود تحقيقا الا الله وافعاله ومن عرف الافعال من حيث انها افعال لم يجاوز معرفة الفاعل
الى غيره فمن عرف الشافعي مثلا وعلمه وتصنيفه من حيث انه تصنيفه لا من حيث انه بياض وجلد
وحبر وورق وكلام منظوم ولغة عربية فقد عرفه ولم يجاوز معرفة الشافعي الى غيره ولا جاوزت محبته
الى غيره وكل موجود سوى الله فهو تصنيف الله وفعله وبديع افعاله فمن عرفها من حيث هي
صنع الله فراى من الصنع صفات الصانع كما يرى من حسن التصنيف وجلالة قدره كانت
معرفته ومحبته مقصورة على الله غير مجاوزة الى سواه ومن حد هذا العشق انه لا يقبل
الشركة وكل ما سوى هذا العشق فهو قابل للشركة اذ كل محبوب سواه فيتصور له نظير في الوجود
او في الامكان فاما هذا الجمال فلا يتصور له ثان لا في الامكان ولا في الوجود فكان اسم العشق

على حب غير الله مجاز محض لا حقيقة نعم لنا قصور العرب في فضائه من البهيمة قد لا يدرك
من لفظ العشق الا طلب الوصال الذي هو عبارة عن تماس ظواهر الاجسام وقضاء شهوة الوقاع
فمثل هذا الحمار ينبغي ان لا يستعمل معه لفظ العشق والشوق والوصال والانس بل يجنب عن
هذه الالفاظ والمعاني كما تجنب البهيمة النرجس والريحان وتخصص بالقت والحشيش واوراق
القضبان فان الالفاظ انما يجوز اطلاقها في حق الله تعالى اذا لم تكن موهمة معنى يجب تقديس الله
عنه والاوهام تختلف باختلاف الافهام فليتنبه لمثل هذه الدقيقة في امثال هذه الالفاظ بل لا يبعد
ان ينشا من مجرد السماع لصفات الله تعالى وجد غالب ينقطع بسببه نياط القلب فقد روى
ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ذكر غلاما كان في بني اسرائيل على جبل فقال لامه
من خلق السماء قالت الله عز وجل فقال من خلق الارض قالت الله قال من خلق الجبال قالت الله
قال فمن خلق الغيم قالت الله قال اني لاسمع لله شانا ثم رمى بنفسه من الجبل فتقطع
وهذا كانه سمع ما دل على جلال الله وتمام قدرته وطرب له ووجد فرمى بنفسه من الوجد وما
انزلت الكتب الا ليطربوا بذكره رايت مكتوبا في الانجيل غنينا لكم فلم تطربوا وزمرنا لكم
فلم ترقصوا شوقناكم بذكر الله فلم تشتاقوا فهذا ما اردنا ان نذكره من اقسام السماع وبواعثه
ومقتضياته وقد ظهر على القطع اباحته في بعض المواضع والندب اليه في بعض المواضع فان
قلت فهل له حالة يحرم فيها فاقول انه يحرم بخمس عوارض عارض في المسمع وعارض في آلة
الاسماع وعارض في نظم الصوت وعارض في نفس المستمع او في مواظبته لان اركان السماع
هي المسمع والمستمع وآلة الاسماع العارض الاول ان يكون المسمع امراة لا يحل النظر اليها وتخشى
الفتنة في سماعها وفي معناها الصبي الذي تخشى فتنته وهذا حرام لما فيه من خوف الفتنة في
ليس ذلك لاجل الغناء بل لو كانت المراة بحيث تفتتن بصوتها في المحاورة من غير الحان فلا يجوز
محادثتها ولا سماع صوتها في القرآن ايضا وكذلك الصبي الذي تخاف فتنته فان قلت فان ذلك
حرام بكل حال حسما للباب او لا يحرم الا حيث تخاف الفتنة فاقول هذه مسالة محتملة من حيث
الفقه يتجاذبها اصلان احدهما ان الخلوة بالاجنبية والنظر الى وجهها حرام سواء خيفت الفتنة
او لم تخف لانها مظنة الفتنة على الجملة فقضى الشرع بحسم الباب من غير التفات الى الصور والثاني
النظر الى الصبيان مباح الا عند خوف الفتنة فلا يلحق الصبيان بالنساء في عموم الحسم بل يتبع فيه الحال
وصوت المراة دائر بين هذين الاصلين فان قسناه على النظر اليها وجب حسم الباب وهو قياس قريب
ولكن بينهما فرق اذ الشهوة تدعو الى النظر في اول هيجانها ولا تدعو الى سماع الصوت وليس تحريك
النظر لشهوة المماسة كتحريك السماع بل هو اشد وصوت المراة في غير الغناء ليس بعورة فلم تزل النساء
في زمن الصحابة يكلمن الرجال في السلام والاستفتاء والسؤال والمشاورة وغيره ولكن للغناء
مزيد اثر في تحريك الشهوة فقياس هذا على النظر الى الصبيان اولى لانهم لم يؤمروا بالاحتجاب
كما لم تؤمر النساء بستر الاصوات فينبغي ان يتبع مثار الفتن ويقصر التحريم عليه هذا هو
الاقيس عندي ويتايد بحديث الجاريتين المغنيتين في بيت عائشة اذ يعلم انه صلى الله عليه وسلم
كان يسمع صوتهما ولم يحترز عنه ولكن لم تكن الفتنة مخوفة عليه فلذلك لم يحترز فاذا يختلف هذا
باحوال المراة واحوال الرجل في كونه شابا او شيخا ولا يبعد ان يختلف الامر في مثل هذا بالاحوال
فانا نقول للشيخ ان يقبل زوجته وهو صائم وليس للشاب ذلك لان القبلة تدعو الى الوقاع في
الصوم وهو محظور والسماع يدعو الى النظر والمقاربة وهو حرام فيختلف ذلك ايضا بالاشخاص

العارض الثاني في الآلة بأن تكون من شعار أهل الشرب أو المخنثين وهي المزامير والأوتار وطبل الكوبة فهذه ثلاثة أنواع ممنوعة وما عدا ذلك يبقى على أصل الإباحة كالدف وإن كان فيه الجلاجل وكالطبل والشاهين والضرب بالقضيب وسائر الآلات. العارض الثالث في نظم الصوت وهو الشعر فإن كان فيه شيء من الخنا والفحش والهجو أو ما هو كذب على الله أو على رسوله أو على الصحابة كما رتبه الروافض في هجاء الصحابة وغيرهم فسماع ذلك حرام بألحان وغير ألحان والمستمع شريك للقائل وكذلك ما فيه وصف امرأة بعينها فإنه لا يجوز وصف المرأة بين يدي الرجال. فأما هجاء الكفار وأهل البدعة فذلك جائز فقد كان حسان بن ثابت ينافح عن رسول الله ويهاجي الكفار وأمر رسول الله بذلك. فأما النسيب وهو التشبيب بوصف الخدود والأصداغ وحسن القد والقامة وسائر أوصاف النساء فهذا فيه نظر والصحيح أنه لا يحرم نظمه وإنشاده بصوت وغير صوت وعلى المستمع أن لا ينزله على امرأة معينة فإن نزله فلينزله على من يحل له من زوجته وجاريته فإن نزل على أجنبية فهو العاصي بالتنزيل وإجالة الفكر فيه ومن هذا وصفه فينبغي أن يجتنب السماع رأساً فإن من غلب عليه عشق نزل كل ما يسمعه عليه سواء كان اللفظ مناسباً أو لم يكن إذ ما من لفظ إلا ويمكن تنزيله على معان بطريق الاستعارة فالذي يغلب على قلبه حب الله تعالى يتذكر بسواد الصدغ مثلاً ظلمة الكفر وبنضارة الخد نور الإيمان وبذكر الوصال لقاء الله تعالى وبذكر الفراق الحجاب عن الله في زمرة المردودين وبذكر الرقيب المشوش لروح الوصال عوائق الدنيا وآفاتها المشوشة لدوام الأنس بالله ولا يحتاج في تنزيل ذلك عليه إلى استنباط وتفكر ومهلة بل تسبق المعاني الغالبة على القلب إلى فهمه مع اللفظ كما روي عن بعض الشيوخ أنه مر في السوق فسمع واحداً يقول الخيار عشرة بحبة فغلبه الوجد فسئل عن ذلك فقال إذا كان الخيار عشرة بحبة فما قيمة الأشرار. واجتاز بعضهم فسمع قائلاً يقول يا سعتر بري فغلبه الوجد فقيل له على ماذا كان وجدك فقال سمعته كأنه يقول اسع ترى بري حتى أن العجمي قد يغلب عليه الوجد على الأبيات المنظومة بلغة العرب فإن في ذلك حروفاً توازن الحروف العجمية فيفهم منها معاني أخر أنشد بعضهم

وما زارني في الليل إلا خياله

فتواجد عليه عجمي فسئل فقال إنه يقول مازاريم وهو كما يقول فإن لفظ زار يدل في العجمية على المشرف على الهلاك فتوهم أنه يقول كلنا مشرفون على الهلاك واستشعر عنده خطر هلاك الآخرة والمحترق في حب الله وجده بحسب فهمه وفهمه بحسب تخيله وليس من شرط تخيله أن يوافق مراد الشاعر ولغته فهذا الوجد حق وصدق ومن استشعر خطر هلاك الآخرة فجدير بأن يتشوش عليه عقله ويضطرب عليه أعضاؤه فإذن ليس في تغيير أعيان الألفاظ كبير فائدة بل الذي غلب عليه عشق مخلوق ينبغي أن يحترز من السماع بأي لفظ كان والذي غلب عليه حب الله فلا تضره الألفاظ ولا تمنعه عن فهم المعاني اللطيفة المتعلقة بمجاري همته الشريفة. العارض الرابع في المستمع وهو أن تكون الشهوة غالبة عليه وكان في غرة الشباب وكانت هذه الصفة أغلب عليه من غيرها فالسماع حرام عليه سواء غلب على قلبه حب شخص معين أو لم يغلب فإنه كيفما كان فلا يسمع وصف الصدغ والخد والوصال والفراق إلا ويحرك ذلك شهوته وينزله على صورة معينة ينفخ الشيطان بها في قلبه فتشتعل فيه نار الشهوة وتحتد بواعث الشر وذلك هو النصرة لحزب الشيطان والتخذيل للعقل المانع منه الذي هو حزب الله والقتال في القلب دائم بين جنود الشيطان وهي الشهوات وبين حزب الله وهو نور العقل إلا في قلب قد فتحه أحد الجندين واستولى عليه بالكلية وغالب القلوب الآن قد

فتحها جند الشيطان وغلب عليها فتحتاج إلى أن تستأنف أسباب القتال لإزعاجها فكيف يجوز تكثير أسلحتهم وتشحيذ سيوفهم وأسنتهم والسماع مشحذ لأسلحة جند الشيطان في حق مثل هذا الشخص فليخرج مثل هذا عن مجمع السماع فإنه يستضر به. العارض الخامس أن يكون الشخص من عوام الخلق ولم يغلب عليه حب الله فيكون السماع له محبوباً ولا غلبت عليه الشهوة فيكون في حقه محظوراً ولكنه أبيح في حقه كسائر أنواع اللذات المباحة إلا أنه إذا اتخذه ديدنه وقصر عليه أكثر أوقاته فهذا هو السفيه الذي ترد شهادته فإن المواظبة على اللهو جناية وكما أن الصغيرة بالإصرار والمداومة تصير كبيرة فبعض المباحات بالمداومة تصير صغيرة وهو كالمواظبة على متابعة الزنوج والحبشة والنظر إلى لعبهم على الدوام فإنه ممنوع وإن لم يكن أصله ممنوعاً إذ فعله رسول الله ومن هذا القبيل اللعب بالشطرنج فإنه مباح ولكن الملازمة عليه مكروهة كراهة شديدة ومهما كان الغرض اللعب والتلذذ باللهو فذلك إنما يباح لما فيه من ترويح القلب إذ راحة القلب معالجة له في بعض الأوقات لتنبعث دواعيه فتشتغل في سائر الأوقات بالجد في الدنيا كالكسب والتجارة وفي الدين كالصلاة والقراءة واستحسان ذلك فيما بين تضاعيف الجد كاستحسان الخال على الخد ولو استوعب الخيلان الوجه فما أقبح ذلك فيعود الحسن قبحاً بسبب الكثرة فما كل حسن يحسن كثيره ولا كل مباح يباح كثيره بل الخبز مباح والاستكثار منه حرام فهذا المباح كسائر المباحات. فإن قلت فقد أدى مساق هذا الكلام إلى أنه مباح في بعض الأحوال دون بعض فلم أطلقت القول أولاً بالإباحة إذ إطلاق القول في المفصل بلا أو نعم خلف وخطأ فاعلم أن هذا غلط لأن الإطلاق إنما يمتنع بتفصيل ينشأ من عين ما فيه النظر فأما ما ينشأ من الأحوال العارضة المتصلة به من خارج فلا يمنع الإطلاق ألا ترى أنا إذا سئلنا عن العسل أهو حلال أم لا قلنا إنه حلال مع أنه حرام على المحرور الذي يستضر به وإذا سئلنا عن الخمر قلنا حرام مع أنه يحل لمن غص بلقمة أن يشربها مهما لم يجد غيرها ولكن هو من حيث إنه خمر حرام وإنما أبيح بعارض الحاجة والعسل من حيث إنه عسل حلال وإنما حرم بعارض الضرر وما يكون بعارض فلا يلتفت إليه فإن البيع حلال ويحرم بعارض الوقوع في وقت النداء يوم الجمعة وجملة من العوارض فالسماع من جملة المباحات من حيث إنه سماع صوت موزون طيب مفهوم وإنما تحريمه بعارض خارج عن حقيقة ذاته فإذا انكشف الغطاء عن دليل الإباحة فلا نبالي بمن يخالف بعد ظهور الدليل وأما الشافعي فليس تحريم الغناء من مذهبه أصلاً وقد نص الشافعي وقال في الرجل يتخذه صناعة لم تجز شهادته وذلك لأنه من اللهو المكروه الذي يشبه الباطل ومن اتخذه صنعة كان منسوباً إلى السفاهة وسقوط المروءة وإن لم يكن محرماً بين التحريم وإن كان لا ينسب نفسه إلى الغناء ولا يؤتى لذلك ولا يأتي لأجله وإنما يعرف بأنه قد يطرب في الحال فيترنم فيها لم يسقط هذا مروءته ولم تبطل شهادته واستدل بحديث الجاريتين اللتين كانتا تغنيان في بيت عائشة. وقال يونس بن عبد الأعلى سألت الشافعي عن إباحة أهل المدينة للسماع فقال لا أعلم أحداً من علماء الحجاز كره السماع إلا ما كان منه في الأوصاف فأما الحداء وذكر الأطلال والمرابع وتحسين الصوت بألحان الأشعار فمباح وحيث قال إنه لهو مكروه يشبه الباطل فقوله لهو صحيح ولكن اللهو من حيث إنه لهو ليس بحرام فلعب الحبشة ورقصهم لهو وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليه ولا يكرهه بل اللهو واللغو لا يؤاخذ الله به إن عنى به أنه فعل ما لا فائدة فيه فإن الإنسان لو وظف على نفسه أن يضع يده على رأسه في اليوم مائة مرة فهذا عبث لا فائدة له ولا يحرم قال الله

تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم فإذا كان ذكر اسم الله على الشيء والمخالفة فيه مع أنه لا فائدة فيه
لا يؤاخذ به فكيف يؤاخذ بالشعر والرقص وأما قوله يشبه الباطل فهذا لا يدل على اعتقاد تحريمه
بل لو قال هو باطل صريحا لما دل على التحريم وإنما يدل على خلوه عن الفائدة فالباطل ما لا فائدة له فقول
الرجل لزوجته مثلا بعت نفسي منك وقولها اشتريت عقد باطل مهما كان القصد اللعب والمطايبة
وليس بحرام إلا إذا قصد التمليك المحقق الذي منع الشرع منه وأما قوله مكروه فينزل على بعض
المواضع التي ذكرناها أو ينزل على التنزيه فإنه نص على إباحة لعب الشطرنج وذكر أني أكره كل لعب
وتعليله يدل عليه فإنه قال ليس ذلك من عادة ذوي الدين والمروءة فهذا يدل على التنزيه ورده
الشهادة بالمواظبة لا تدل على تحريمه أيضا بل قد يرد الشهادة بالأكل في السوق وما يخرم المروءة
بل الحياكة مباحة وليست من صنائع ذوي المروءة وقد ترد شهادة المحترف بالحرفة الخسيسة فتعليله
يدل على أنه أراد بالكراهة التنزيه وهذا هو الظن أيضا بغيره من كبار الأئمة وإن أرادوا التحريم
فما ذكرناه حجة عليهم

بيان حجة القائلين بتحريم السماع والجواب عنها

احتجوا بقوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث قال ابن مسعود والحسن البصري والنخعي
إن لهو الحديث هو الغناء وروت عائشة أنه صلى الله عليه وسلم قال إن الله تعالى حرم القينة
وبيعها وثمنها وتعليمها فنقول أما القينة فالمراد بها الجارية التي تغني للرجال في مجلس الشرب وقد
ذكرنا أن غناء الأجنبية للفساق ومن يخاف منه الفتنة حرام وهم لا يقصدون بالقينة إلا ما هو محظور
فأما غناء الجارية لمالكها فلا يفهم تحريمه من هذا الحديث بل لغير مالكها عند عدم الفتنة بدليل ما
روي في الصحيح من غناء الجاريتين في بيت عائشة رضي الله عنها وأما شراء لهو الحديث بالدين استبدالا
به ليضل عن سبيل الله فهو حرام مذموم وليس النزاع فيه وليس كل غناء بدلا عن الدين يشترى به
ومضلا عن سبيل الله كان حراما حكي عن بعض المنافقين كان يؤم الناس ولا يقرأ إلا بسورة
عبس لما فيها من العتاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم عمر بقتله فالإضلال بالشعر والغناء أولى
بالتحريم احتجوا بقوله تعالى أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون قال ابن عباس
هو الغناء بلغة حمير يعني السمد فنقول فينبغي أن يحرم الضحك وعدم البكاء أيضا لأن الآية تشتمل عليه
فإن قيل إن ذلك مخصوص بالضحك على المسلمين لإسلامهم فهذا أيضا مخصوص بأشعارهم وغنائهم في معرض
الاستهزاء بالمسلمين كما قال عز وجل والشعراء يتبعهم الغاوون وأراد به شعراء الكفار ولم يدل ذلك على تحريم
نظم الشعر في نفسه واحتجوا بما روى جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان إبليس أول من ناح
وأول من تغنى فقد جمع بين النياحة والغناء قلنا لا جرم كما يستثنى منه نياحة داود ونياحة
المذنبين على خطاياهم فكذلك يستثنى الغناء الذي يراد به تحريك السرور والحزن والشوق حيث
يباح تحريكه بل كما استثني غناء الجاريتين يوم العيد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وغناؤهم عند
قدومه صلى الله عليه وسلم بقولهم طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
احتجوا بما روى أبو أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ما رفع أحد صوته بغناء إلا بعث الله إليه
شيطانين على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتى يمسك قلنا هو منزل على بعض أنواع
الغناء الذي قدمناه وهو الذي يحرك من القلب ما هو مراد الشيطان من الشهوة وعشق المخلوق
فأما ما يحرك الشوق إلى الله والسرور بالعيد وحدوث ولد أو قدوم غائب فهذا كله يضاد مراد
الشيطان بدليل قصة الجاريتين والحبشة والأخبار التي نقلناها من الصحاح فالتجويز في موضع
واحد منقول والإباحة والمنع في ألف موضع محتمل للتأويل ومحتمل للتنزيه أما الفعل فلا تأويل له
إذ ما حرم فعله إنما يحل بعارض الإكراه فقط وما أبيح فعله يحرم بعوارض كثيرة حتى النيات والقصود

واحتجوا بما روى عقبة بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل شيء يلهو به الرجل فهو باطل إلا تأديبه
فرسه ورميه بقوسه وملاعبته امرأته قلنا فقوله باطل لا يدل على التحريم بل يدل على عدم الفائدة وقد
يسلم ذلك على أن التلهي بالنظر إلى الحبشة خارج عن هذه الثلاثة وليس بحرام بل يلحق بالمحصور غير
المحصور قياسا كقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث فإنه يلحق به رابع و
خامس فكذلك ملاعبته امرأته لا فائدة له إلا التلذذ وفي هذا دليل على أن التفرج في البساتين
وسماع أصوات الطيور وأنواع المداعبات مما يلهو به الرجل لا يحرم عليه شيء منها وإن جاز وصفه
بأنه باطل احتجوا بقول عثمان ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعت رسول الله
قلنا فليكن التمني ومس الذكر باليمين حراما إن كان هذا دليل تحريم الغناء فمن أين يثبت أن عثمان كان
لا يترك إلا الحرام احتجوا بقول ابن مسعود الغناء ينبت النفاق في القلب وزاد بعضهم كما ينبت الماء
البقل ورفعه بعضهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غير صحيح قالوا ومر على ابن عمر قوم محرمون
وفيهم رجل يتغنى فقال ألا لا سمع الله لكم ألا لا سمع الله لكم وعن نافع أنه قال كنت مع ابن عمر
في طريق فسمع زمارة راع فوضع أصبعيه في أذنيه ثم عدل عن الطريق فلم يزل يقول يا نافع
أتسمع ذلك حتى قلت لا فأخرج أصبعيه وقال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع وقال
الفضيل بن عياض الغناء رقية الزنا وقال بعضهم الغناء رائد من رواد الفجور وقال
يزيد بن الوليد إياكم والغناء فإنه يزيد في الشهوة ويهدم المروءة وإنه لينوب عن الخمر ويفعل ما
يفعل المسكر فإن كنتم لا بد فاعلين فجنبوه النساء فإن الغناء داعية الزنا فنقول قول ابن مسعود إنه
ينبت النفاق أراد به في حق المغني فإنه في حقه ينبت النفاق إذ غرضه كله أن يعرض نفسه على
غيره ويروج صوته عليه ولا يزال ينافق ويتودد إلى الناس ليرغبوا في غنائه وذلك أيضا لا يوجب
تحريما فإن لبس الثياب الجميلة وركوب الخيل المحلاة وسائر أنواع الزينة والتفاخر بالحرث والأنعام
والزرع ينبت الرياء والنفاق في القلب ولا يطلق القول بتحريم ذلك كله فليس السبب في ظهور النفاق
في القلب المعاصي فقط بل المباحات التي هي مواقع نظر الخلق أكثر تأثيرا فلذلك نزل عمر عن فرس هملج
تحته وقطع ذنبه لأنه استشعر في نفسه الخيلاء لحسن مشيته فهذا النفاق من المباحات وأما
قول ابن عمر ألا لا أسمع الله لكم فلا يدل على التحريم من حيث إنه غناء بل كانوا محرمين ولا
يليق بهم الرفث وظهر له من مخايلهم أن سماعهم لم يكن لوجد وشوق إلى زيارة بيت الله تعالى
بل لمجرد اللهو فأنكر ذلك عليهم لكونه منكرا بالإضافة إلى حالهم وحال الإحرام وحكايات
الأحوال يكثر فيها وجوه الاحتمال وأما وضع أصبعيه في أذنيه فيعارضه أنه لم يأمر نافعا
بذلك ولا أنكر عليه سماعه وإنما فعل هو ذلك لأنه رأى أن ينزه سمعه وقلبه عن صوت يجري
اللهو ويمنعه عن فكر كان فيه أو ذكر هو أولى منه وكذلك فعل رسول الله مع أنه لم يمنع ابن عمر
لا يدل أيضا على التحريم بل يدل على أن الأولى تركه ونحن نرى أن الأولى تركه في أكثر
الأحوال بل أكثر مباحات الدنيا الأولى تركها إذا علم أن ذلك يؤثر في القلب فقد خلع
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من الصلاة ثوب أبي جهم إذ كانت عليه أعلام شغلت
أفترى أن ذلك يدل على تحريم الأعلام على الثوب فلعله صلى الله عليه وسلم كان في حالة كان
صوت زمارة الراعي يشغله عن تلك الحالة كما شغله العلم عن الصلاة بل الحاجة إلى استثارة
الأحوال الشريفة من القلب بحيلة السماع قصور بالإضافة إلى من هو دائم الشهود للحق
وإن كان كمالا بالإضافة إلى غيره ولذلك قال الحصري ماذا أعمل بسماع ينقطع إذا مات من

يسمع منه اشارة الى ان السماع من الله هو الدائم فالانبيا عليهم السلام على الدوام في لذة السمع
والشهود فلا يحتاجون الى التحريك بالحيلة واما قول الفضيل هو رقية الزنا وكذلك ما عداه من
الاقاويل القريبة منه فهو منزل على سماع الفساق والمغتلمين من الشبان ولو كان ذلك عاما لما
اسمع من الجاريتين في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واما القياس فغايته ما يذكر فيه ان يقاس على
الاوتار وقد سبق الفرق او يقال هو لهو ولعب قال عمر رضي الله عنه لزوجته انما انت
لعبة في زاوية البيت وجميع الملاعبة مع النسا لهو الا الحراثة التي هي سبب لوجود الولد كذلك
المزح الذي لا فحش فيه حلال نقل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة كما سياتي تفصيله
في كتاب آفات اللسان واي لهو يزيد على لهو الحبشة والزنوج في لعبهم وقد ثبت بالنص اباحته
على اني اقول اللهو مروح للقلب ومخفف عنه اعباء الفكر والقلوب اذا اكرهت عميت وترويحها
اعانة لها على الجد فالمواظب على التفقه مثلا ينبغي ان يتعطل يوم الجمعة لان عطلة يوم يبعث
النشاط في سائر الايام والمواظب على الصلوات في سائر الاوقات ينبغي ان يتعطل في بعض الاوقات
ولاجله كرهت الصلاة في بعض الاوقات فالعطلة معونة على العمل واللهو معين على الجد ولا يصبر
على الجد المحض والحق المر الا نفوس الانبيا فاللهو دوا القلوب من داء الاعيا والملال فينبغي
ان يكون مباحا ولكن لا ينبغي ان يستكثر منه كما لا يستكثر من الدوا فاذا اللهو على هذه النية
يصير قربة هذا في حق من لا يحرك السماع في قلبه صفة محمودة يطلب تحريكها بل ليس له الا اللذة
والاستراحة المحضة فينبغي ان يستحب له ذلك ليتوصل به الى المقصود الذي ذكرناه نعم هذا
يدل على نقصان عن ذروة الكمال بل الكامل هو الذي لا يحتاج ان يروح نفسه بغير الحق ولكن
حسنات الابرار سيئات المقربين ومن احاط بعلم علاج القلوب ووجوه التلطف بها
لسياقتها الى الحق علم قطعا ان ترويحها بامثال هذه الامور دوا نافع لا غنا عنه

الباب الثاني في آثار السماع وآدابه

اعلم ان اول درجة السماع فهم المسموع وتنزيله على معنى يقع للمستمع ثم يثمر الفهم الوجد
ويثمر الوجد الحركة بالجوارح فلينظر في هذه المقامات الثلاث المقام الاول في الفهم وهو يختلف
باختلاف احوال المستمع وللمستمع اربعة احوال احداها ان يكون سماعه بمجرد الطبع اي لا حظ له في السماع
الا استلذاذ الالحان والنغمات وهذا مباح وهو اخس رتب السماع اذ الابل شريكة له فيه وكذا سائر
البهائم بل لا يستدعي هذا الذوق الا الحياة فلكل حيوان نوع تلذذ بالاصوات الطيبة الحالة الثانية
ان يسمع بفهم ولكن ينزله على صورة مخلوق اما معين او غير معين وهو سماع الشبان وارباب
الشهوات ويكون تنزيلهم المسموع على حسب شهواتهم ومقتضى احوالهم وهذه الحالة اخس من ان
يتكلم فيها الا ببيان خستها والنهي عنها والثالثة ان ينزل ما يسمعه على احوال نفسه في معاملته
لله تعالى وتقلب احواله في التمكن مرة والتعذر اخرى وهذا سماع المريدين لا سيما المبتدئين
فان المريد لا محالة له مراد وهو مقصده ومقصده معرفة الله ولقاؤه والوصول اليه بطريق
المشاهدة بالسر وكشف الغطا وله في مقصده طريق هو سالكه ومعاملات هو مثابر عليها
وحالات تستقبله في معاملاته فاذا سمع ذكر عتاب او خطاب او قبول او رد او وصل او هجر
او قرب او بعد او تلهف على فائت او تعطش لمنتظر او شوق الى وارد او طمع او ياس او
وحشة او استيناس او وفاء بالوعد او نقض للعهد او خوف فراق او فرح بوصال او ذكر
ملاحظة الحبيب ومدافعة الرقيب او همول العبرات او ترادف الحسرات او طول الفراق او عدة
الوصال او غير ذلك مما يشتمل على وصفه الاشعار فلا بد ان يوافق بعضها حال المريد في طلبه

فيجري ذلك مجرى القداح الذي يوري زناد قلبه فتشتعل به نيرانه ويقوى به انبعاث الشوق
وهيجانه ويهجم بسببه عليه احوال مخالفة لعادته ويكون له مجال رحب في تنزيل الالفاظ على
احواله وليس على المستمع مراعاة مراد الشاعر من كلامه بل لكل كلام وجوه ولكل ذي فهم في اقتباس
المعنى منه حظ ولنضرب لهذه التنزيلات والفهوم امثلة كي لا يظن الجاهل ان المستمع لابيات
فيها ذكر كلامه فهم الخد والصدغ انما يفهم منها ظواهرها ولا حاجة بنا الى كيفية فهم المعاني
من الابيات ففي حكايات اهل السماع ما يكشف عن ذلك فقد حكي ان بعضهم سمع قائلا يقول
قال الرسول غدا تزور فقلت تعقل ما تقول فاستفزه اللحن والقول فتواجد وجعل
يكرر ذلك وجعل مكان التاء نونا فيقول قال الرسول غدا نزور حتى غشي عليه من شدة الفرح
واللذة والسرور فلما افاق سئل عن وجده مم كان فقال ذكرت قول الرسول ان اهل الجنة يزورون
ربهم في كل يوم جمعة مرة وحكى الرقي عن ابن الدراج انه قال كنت انا وابن القوطي مارين
على دجلة بين البصرة والابلة اذا بقصر حسن له منظر وعليه رجل بين يديه جارية تغني وتقول
كل يوم تتلون غير هذا بك اجمل واذا شاب تحت المنظر بيده ركوة وعليه مرقعة يستمع
فقال يا جارية بالله وبحياة مولاك الا اعدت علي هذا البيت فاعادت فكان الشاب يقول
هذا والله تلوني مع الحق في حالي فشهق شهقة ومات قال فقلنا قد استقبلنا فرض فوقفنا
فقال صاحب القصر للجارية انت حرة لوجه الله ثم خرج اهل البصرة وصلوا عليه فلما فرغوا
من دفنه قال صاحب القصر اشهدكم ان كل شي لي في سبيل الله وكل جواري احرار وهذا
القصر للسبيل قال ثم رمى بثيابه واتزر بازار وارتدى باخر ومر على وجهه والناس ينظرون
اليه حتى غاب عن اعينهم وهم يبكون فلم يسمع له بعد ذلك خبر والمقصود ان هذا الشخص كان
مستغرق الوقت بحاله مع الله ومعرفته بعجزه عن الثبوت على حسن الادب في المعاملة وتاسفه
على تقلب قلبه وميله عن سنن الحق فلما قرع سمعه ما يوافق حاله سمعه من الله كانه يخاطبه ويقول
له كل يوم تتلون غير هذا بك اجمل ومن كان سماعه من الله وعلى الله وفيه فينبغي ان يكون قد
احكم قانون العلم في معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته والا خطر له في السماع في حق الله ما يستحيل عليه
ويكفر به ففي سماع المريد المبتدئ خطر الا اذا نزل ما يسمع على حاله من حيث يتعلق بمعاملة الله
تعالى ومثال الخطا فيه هذا البيت بعينه ولو سمعه في نفسه وهو يخاطب به ربه فيضيف التلون الى
الله فيكفر وهذا قد يقع عن جهل محض مطلق غير ممزوج بتحقيق وقد يكون عن جهل ساقه اليه نوع
من التحقيق وهو انه يرى تقلب احوال قلبه بل تقلب احوال سائر العالم من الله تعالى وهو حق فانه
تارة يبسط قلبه وتارة يقبضه وتارة ينوره وتارة يقسيه وتارة يثبته على طاعته ويقويه
عليها وتارة يسلط الشيطان عليه ليصرفه عن سنن الحق وهذا كله من الله تعالى ومن يصدر
منه احوال مختلفة في اوقات متقاربة فقد يقال له في العادة انه ذو بدوات وانه متلون ولعل
الشاعر لم يرد الا نسبة محبوبه الى التلون في قبوله ورده وتقريبه وابعاده وهذا هو المعنى وسماع هذا
كذلك في حق الله كفر محض بل ينبغي ان يعلم انه سبحانه يلون ولا يتلون ويغير ولا يتغير بخلاف
عباده وذلك العلم يحصل للمريد باعتقاد تقليدي ايماني ويحصل للعارف البصير بيقين كشفي
حقيقي وذلك من اعاجيب اوصاف الربوبية وهو التغيير من غير تغير ولا يتصور ذلك الا في
حق الله تعالى بل كل مغير سواه فما لم يتغير ومن ارباب الوجد من يغلب عليه حال مثل السكر
المدهش فيطلق لسانه بالعتاب مع الله ويستنكر انتهاره القلوب وقسمته الاحوال الشريفة
على تفاوت فانه المصطفي لقلوب الصديقين والمبعد لقلوب الجاحدين والمغرورين فلا

مانع لما أعطى ولا معطي لما منع ولم يقطع الموفق عن الكفار لجناية متقدمة ولا أمد الأنبياء بتوفيقه ونور هدايته لوسيلة سابقة ولكن قال سبحانه ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين وقال تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون فإذا خطر ببالك أنه لم اختلفت السابقة وفي ربقة العبودية مشتركون نوديت من سرادقات الجلال لا تجاوز حد الأدب فإنه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ولعمري تأدب اللسان والظاهر مما يقدر عليه الأكثرون فأما تأدب السر عن إضمار الاستبعاد لهذا الاختلاف الظاهر في التقريب والإبعاد والإشقاء والإسعاد مع بقاء السعادة والشقاوة أبد الآباد فلا يقوى عليه إلا العلماء الراسخون في العلم ولهذا قال الخضر لما سئل عن السماع في المنام إنه الصفا الزلال الذي لا يثبت عليه إلا أقدام العلماء لأنه محرك لأسرار القلوب في مكامنها ومشوش لها تشويش السكر المدهش الذي يكاد يحل عقدة الأدب عن السر إلا ممن عصمه الله بنور هدايته ولطف عصمته ولذلك قال بعضهم ليتنا نجونا من هذا السماع رأسا برأس ففي هذا الفن من السماع خطر يزيد على خطر السماع المحرك للشهوة فإن غاية ذلك معصية وغاية الخطأ هاهنا كفر واعلم أن الفهم قد يختلف بأحوال المستمع فيغلب الوجد على مستمعين لبيت واحد وأحدهما مصيب في الفهم والآخر مخطئ أو كلاهما مصيبان وقد فهما معنيين مختلفين متضادين ولكنه بالإضافة إلى اختلاف أحوالهما لا يتناقض كما حكي عن عتبة الغلام أنه سمع رجلا يقول سبحان جبار السما إن المحب لفي عنا فقال صدقت وسمعه آخر فقال كذبت فقال بعض ذوي البصائر أصابا جميعا وهو الحق فالتصديق كلام محب غير ممكن من المراد بل مصدود ومتعب بالصد والهجر والتكذيب كلام مستأنس بالحب مستلذ لما يقاسيه غير متأثر به أو كلام محب غير مصدود عن مراده في الحال ولا مستشعر خطر الصد في المآل وذلك لاستيلاء الرجا وحسن الظن على قلبه فباختلاف هذه الأحوال يختلف الفهم وحكي عن أبي القاسم بن مروان وكان قد صحب أبا سعيد الخراز وترك حضور السماع سنين كثيرة فحضر دعوة إنسان وهناك قوال ينشد

واقف في الماء عطشان ولكن ليس يسقى

فقام القوم وتواجدوا فلما سكنوا سألهم عن معنى ما وقع لهم من معنى البيت فأشاروا إلى التعطش إلى الأحوال الشريفة والحرمان عنها مع حضور أسبابها فلم يقنعه ذلك فقيل له فما عندك فيه فقال أن يكون في وسط الأحوال ويكرم بالكرامات ولا يعطى منها ذرة وهذه إشارة إلى الأحوال والكرامات سوابقها والكرامات تسنح في مباديها والحقيقة بعد لم يقع الوصول إليها ولا فرق بين المعنى الذي فهمه وبين ما ذكروه إلا في تفاوت رتبة المتعطش إليه فإن المحروم من الأحوال الشريفة أولا يتعطش إليها فإن مكن منها تعطش لما وراءها فليس بين المعنيين اختلاف في الفهم بل الاختلاف بين الرتبتين وكان الشبلي كثيرا ما يتواجد على هذا البيت

ودادكم هجر وحبكم قلى ووصلكم صرم وسلمكم حرب

وهذا البيت يمكن سماعه على وجوه مختلفة بعضها حق وبعضها باطل وأظهرها أن يفهم هذا في الخلق بل في كل ما سوى الله فإن الدنيا مكارة خداعة قتالة لأربابها معادية لهم في الباطن ومظهرة صورة الود فما امتلأت منها دار حبرة إلا امتلأت عبرة كما ورد في الخبر وكما قال الثعالبي في وصف الدنيا

تنح عن الدنيا ولا تخطبنها ولا تخطبن قتالة من تناكح
فليس يفي مرجوها بمخوفها ومكروهها إما تأملت راجح
لقد قال فيها الواصفون فأكثروا وعندي لها وصف لعمري صالح
سلاف قصاراها ذعاف ومركب شهي إذا استلذذته فهو جامح

وشخص جميل يونق الناس حسنه ولكن له أسرار سوء قبائح

والمعنى الثاني أن ينزله على نفسه في حق الله تعالى فإنه إذا تفكر فمعرفته جهل إذ ما قدروا الله حق قدره فإنه إذا تفكر فمعرفته جهل وطاعته رياء إذ لا يتقي الله حق تقاته وحبه معلول إذ لا يدع شهوة من شهواته في حبه ومن أراد الله به خيرا بصره بعيوب نفسه فيرى مصداق هذا البيت في نفسه وإن كان على الرتبة بالإضافة إلى الغافلين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وقال إني لأستغفر الله في اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة وإنما كان استغفاره من أحوال هي درجات بعد بالإضافة إلى ما بعدها وإن كان ذلك قربا بالإضافة إلى ما قبلها فلا قرب إلا ويبقى وراءه قرب لا نهاية له إذ سبيل السلوك إلى الله غير متناه والوصول إلى أقصى درجات القرب محال المعنى الثالث أن ينظر في مبادئ أحواله فيرتضيها وينظر في عواقبها فيزدريها لاطلاعه على خفايا الغرور فيها فيرى ذلك من الله تعالى فيسمع البيت في حق الله شكاية من القضاء والقدر وهذا كفر كما سبق بيانه وما من بيت إلا ويمكن تنزيله على معان وذلك بقدر غزارة علم المستمع وصفاء قلبه الحالة الرابعة سماع من جاوز الأحوال والمقامات فعزب عن فهم ما سوى الله حتى عزب عن نفسه وأحوالها ومعاملاتها وكان كالمدهوش الغائص في عين الشهود الذي يضاهي حاله حال النسوة اللاتي قطعن أيديهن في مشاهدة جمال يوسف حتى بهتن وسقط إحساسهن وعن مثل هذه الحالة يعبر الصوفية بأنه فني عن نفسه ومهما فني عن نفسه فهو عن غيره أفنى فكأنه فني عن كل شيء إلا عن الواحد المشهود وفني أيضا عن الشهود فإن القلب إن التفت إلى الشهود وإلى نفسه بأنه مشاهد فقد غفل عن المشهود والمستهتر بالمرئي لا التفات له في حالة استغراقه إلى رؤيته ولا إلى عينه التي بها رؤيته ولا إلى قلبه الذي به لذته فالسكران لا خبر له من سكره والمتلذذ لا خبر له من التذاذه إنما خبره من المتلذذ به فقط ومثاله العلم بالشيء فإنه مغاير للعلم بالعلم بذلك الشيء فالعالم بالشيء مهما ورد عليه العلم بالعلم بالشيء كان معرضا عن الشيء ومثل هذه الحالة قد تطرأ في حق المخلوقين وتطرأ أيضا في حق الخالق ولكنها في الغالب تكون كالبرق الخاطف الذي لا يثبت ولا يدوم فإن دام لم تطقه القوى البشرية فربما اضطرب تحت أعبائه اضطرابا تهلك فيه نفسه كما روي عن أبي الحسين النوري أنه حضر مجلسا فسمع هذا البيت

لا زلت أنزل من ودادك منزلا تتحير الألباب عند نزوله

فقام وتواجد وهام على وجهه فوقع في أجمة قصب قد قطع وبقيت أصوله مثل السيوف فكان يعدو فيها ويعيد هذا البيت إلى الغداة والدم يخرج من رجليه حتى ورمت قدماه وساقاه وعاش بعد ذلك أياما ومات رحمه الله تعالى فهذه درجة الصديقين في الفهم والوجد وهي أعلى الدرجات لأن السماع على الأحوال وهي ممتزجة بصفات البشرية نوع قصور وإنما الكمال أن يفنى بالكلية عن نفسه وأحواله أعني أنه ينساها فلا يبقى له التفات إليها كما لم يكن للنسوة التفات إلى الأيدي والسكاكين فيسمع بالله ولله وفي الله ومن الله وهذه رتبة من خاض لجة الحقائق وعبر ساحل الأحوال والأعمال واتحد بصفاء التوحيد وتحقق بمحض الإخلاص فلم يبق فيه منه شيء أصلا بل خمدت بالكلية بشريته وفني التفاته إلى الصفات البشرية رأسا ولست أعني بفنائه فناء جسده بل فناء قلبه ولست أعني بالقلب اللحم والدم بل سر لطيف له إلى القلب الظاهر نسبة خفية وراءها سر الروح الذي هو من أمر الله

عرفها من عرفها وجهلها من جهلها ولذلك السر وجود وصورة وذلك الوجود ما يحضر فيه
لا ذا الحضر فيه غيره فكأنه لا وجود فيه الا للحاضر ومثاله مثال المرآة المجلوة اذ ليس لها لون في
نفسها بل لونها لون الحاضر فيها وكذلك الزجاجة فانها تحكي لون قرارها ولونها لون الحاضر فيها
وليس لها في نفسها صورة بل صورتها قبول الصور ولونها هو هيئة الاستعداد لقبول الالوان
يضرب من سر الحقيقة في سر القلب بالاضافة الى ما يحضر فيه الشاعر وقوله

رق الزجاج ورقت الخمر ... وتشابها فتشاكل الامر
فكأنما خمر ولا قدح ... وكأنما قدح ولا خمر

وهذه مخاضة من مخاضات علوم المكاشفة منها نشأ خيال من ادعى الحلول والاتحاد
وقال انا الحق وحوله يدندن كلام النصارى في دعوى اتحاد اللاهوت بالناسوت
او تدرعها بها او حلولها فيها على ما اختلفت فيه عباراتهم وهو غلط محض يضاهي غلط من
يحكم على المرآة بصورة الحمرة اذ ظهر لون الحمرة من مقابلها واذ كان هذا غير لائق بعلم المعاملة
فلنرجع الى الغرض فقد ذكرنا تفاوت الدرجات في فهم المسموعات المقام الثاني بعد الفهم
والتنزيل الوجد وللناس كلام طويل في حقيقة الوجد اعني الصوفية والحكماء الناظرين في وجه
مناسبة السماع للارواح فلننقل من اقوالهم الفاظا ثم لنكشف عن الحقيقة فيه اما الصوفية فقد
قال ذو النون المصري في السماع انه وارد حق جاء يزعج القلوب الى الحق فمن اصغى اليه بحق
تحقق ومن اصغى اليه بنفس تزندق فكأنه عبر عن الوجد بانزعاج القلوب الى الحق وهو
الذي يجده عند ورود وارد السماع اذ سمى السماع وارد حق وقال ابو الحسين الدراج مخبرا عما
وجده في السماع الوجد عبارة عما يوجد عند السماع وقال جال بي السماع في ميادين البهاء فاوجدني
وجود الحق عند العطاء فسقاني بكاس الصفا فادركت به منازل الرضا واخرجني الى رياض
التنزه والفضا وقال الشبلي السماع ظاهره فتنة وباطنه عبرة فمن عرف الاشارة حل له
استماع العبارة والا فقد استدعى الفتنة وتعرض للبلية وقال بعضهم السماع غذاء الارواح لاهل
المعرفة لانه وصف يدق عن سائر الاعمال ويدرك برقة الطبع لرقته وبصفاء السر لصفائه ولطفه عند
اهله وقال عمرو بن عثمان المكي لا يقع على كيفية الوجد عبارة لانه سر الله تعالى عند المؤمنين
الموقنين وقال بعضهم الوجد مكاشفات من الحق وقال ابو سعيد بن الاعرابي الوجد
رفع الحجاب ومشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ومحادثة السر وايناس المفقود وهو
فناؤك انت من حيث انت وقال ايضا الوجد اول درجات الخصوص وهو ميراث التصديق بالغيب
فلما ذاقوه وسطع في قلوبهم نوره زال عنهم كل شك وريب وقال ايضا الذي يحجب عن الوجد
رؤية آثار النفس والتعلق بالعلائق والاسباب لان النفس محجوبة باسبابها فاذا انقطعت الاسباب
وخلص الذكر وصحا القلب ورق وصفا ونجعت الموعظة فيه وحل من المناجاة في محل قريب وخوطب
وسمع الخطاب باذن واعية وقلب شاهد وسر ظاهر فشاهد ما كان منه خاليا فذلك هو الوجد
لانه قد وجد ما كان معدوما عنده وقال ايضا الوجد ما يكون عند ذكر مزعج او خوف مقلق
او توبيخ على زلة او محادثة بلطيفة او اشارة الى فائدة او شوق الى غائب او اسف على فائت او
ندم على ماض او استجلاب الى حال او داع الى واجب او مناجاة بسر وهو مقابلة الظاهر بالظاهر والباطن
بالباطن والغيب بالغيب والسر بالسر واستخراج ما لك بما عليك مما سبق لك السعي فيه فيكتب ذلك لك
بعد كونه منك فيثبت لك قدم بلا قدم وذكر بلا ذكر اذ كان هو المبتدي بالنعم والمتولي واليه يرجع
الامر كله فهذا ظاهر علم الوجد واقوال الصوفية من هذا الجنس في الوجد كثيرة واما الحكماء

فقال بعضهم

فقال بعضهم في القلب فضيلة شريفة لم تقدر قوة النطق على اخراجها باللفظ فاخرجتها النفس بالالحان
فلما ظهرت سرت وطربت اليها فاستمعوا من النفس وناجوها ودعوا مناجاة الظواهر وقال بعضهم
نتائج السماع استنهاض العاجز من الرأي واستجلاب العازب من الافكار وحدة الكال من الافهام
والآراء حتى يثوب ما عزب وينهض ما عجز ويصفو ما كدر ويمرح في كل رأي ونية فيصيب ولا يخطئ
ويأتي فلا يبطئ وقال آخر كما ان الفكر يطرق العلم الى المعلوم فالسماع يطرق القلب الى العالم
الروحاني وقال بعضهم وقد سئل عن سبب حركة الاطراف بالطبع على وزن الالحان والايقاعات
فقال ذلك عشق عقلي والعاشق العقلي لا يحتاج الى ان يناغي معشوقه بالنطق الجرمي بل يناغيه و
يناجيه بالتبسم واللحظ والحركة اللطيفة بالحاجب والجفن والاشارة وهذه نواطق اجمع الا انها روحانية
واما العاشق البهيمي فانه يستعمل النطق الجرمي ليعبر به عن ظاهر شوقه الضعيف وعشقه الزائل
وقال آخر من حزن فليسمع الالحان فان النفس اذا دخلها الحزن خمد نورها واذا فرحت اشتعل نورها
وظهر فرحها فيظهر الحنين بقدر قبول القابل وذلك بقدر صفائه ونقائه من الغش والدنس والاقاويل
المعروفة في السماع والوجد كثيرة ولا معنى للاستكثار من ايرادها فلنشتغل بتفهيم المعنى الذي الوجد
عبارة عنه فنقول انه عبارة عن حالة يثمرها السماع وهو وارد حق جديد عقيب السماع يجده
المستمع من نفسه وتلك الحالة لا تخلو عن قسمين فانها اما ان ترجع الى مكاشفات ومشاهدات
هي من قبيل العلوم والتنبيهات واما ان ترجع الى تغيرات واحوال ليست من العلوم بل هي كا
لشوق والخوف والحزن والقلق والسرور والاسف والندم والبسط والقبض وهذه الاحوال
يهيجها السماع او يقويها فان ضعف بحيث لم يؤثر في تحريك الظاهر او تسكينه او تغيير حاله
حتى يتحرك على خلاف عادته او يطرق او يسكن عن النظر والنطق والحركة على خلاف عادته لم
يسم وجدا وان ظهر على الظاهر سمي وجدا اما ضعيفا واما قويا بحسب ظهوره وتغييره الظاهر وتحريكه
بحسب قوة وروده وحفظ الظاهر عن التغيير بحسب قوة الواجد وقدرته على ضبط جوارحه فقد
يقوى الوجد في الباطن ولا يتغير الظاهر لقوة صاحبه وقد لا يظهر لضعف الوارد وقصوره عن
التحريك وحل عقد التماسك والى المعنى الاول اشار ابو سعيد بن الاعرابي حيث قال في الوجد
انه مشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ولا يبعد ان يكون السماع سببا لكشف
ما لم يكن مكشوفا قبله فان الكشف يحصل باسباب منها التنبيه والسماع منبه ومنها تغير
الاحوال ومشاهدتها وادراكها فان ادراكها نوع علم يفيد ايضاح امور لم تكن معلومة قبل الورود
ومنها صفاء القلب والسماع يؤثر في تصفية القلب والصفاء سبب الكشف ومنها انبعاث نشاط
القلب بقوة السماع فيقوى به على مشاهدة ما كان تقصر عنه قبل ذلك قوته كما يقوى البعير
على حمل ما كان لا يقوى عليه قبله وعمل القلب الاستكشاف وملاحظة اسرار الملكوت كما ان
عمل البعير حمل الاثقال فبواسطة هذه الاسباب يكون سببا للكشف بل القلب اذا صفا
ربما يمثل له الحق في صورة مشاهدة او في لفظ منظوم يقرع سمعه يعبر عنه بصوت الهاتف
اذا كان في اليقظة وبالرؤيا اذا كان في المنام وذلك جزء من النبوة وعلم تحقيق ذلك خارج
عن علم المعاملة وذلك كما روي عن محمد بن مسروق البغدادي انه قال خرجت ليلة في ايام
جاهليتي وانا نشوان وكنت اغني هذا البيت

بطيزناباذ كرم ما مررت به ... الا تعجبت ممن يشرب الماء

فسمعت قائلا يقول

وفي جهنم ماء ما تجرعه ... خلق فابقى له في الجوف امعاء

قال فكان ذلك سبب توبتي واشتغالي بالعلم والعبادة فانظر كيف اثر الغناء في تصفية قلبه
حتى تمثل له حقيقة الحق في صفة جهنم في لفظ موزون منظوم وقرع ذلك سمعه الظاهر

مسلم العباداني قال قدم علينا صالح المري وعتبة الغلام وعبد الواحد بن زيد ومسلم الاسواري
فنزلوا على الساحل قال فهيأت لهم ذات ليلة طعاما فدعوتهم اليه فجاوا فلما وضعت الطعام
بين ايديهم اذا قايل يقول رافعا صوته

وتلهيك عن دار الخلود مطاعم * ولذة نفس غيها غير نافع *

قال فصاح عتبة الغلام صيحة وخر مغشيا عليه وبكى القوم فرفعنا الطعام وما ذاقوا منه لقمة وكما يسمع صوت الهاتف
عند صفاء القلب فيشاهد ايضا بالبصر صورة الخضر عليه السلام فانه يتمثل لارباب القلوب بصور
مختلفة وفي مثل هذه الحالة تتمثل الملايكة للانبيا عليهم السلام اما على حقيقة صورتها واما على
مثال يحاكي صورتها بعض المحاكاة وقد راى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام مرتين
في صورته واخبر عنه بانه كان قد سد الافق وهو المراد بقوله تعالى علمه شديد القوى ذو مرة
فاستوى وهو بالافق الاعلى ثم دنى فتدلى الى اخر هذه الايات وفي مثل هذه الاحوال من
الصفا يقع الاطلاع على ضماير القلوب وقد يعبر عن ذلك الاطلاع بالتفرس ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المومن فانه ينظر بنور الله وقد حكي ان واحدا من المجوس
كان يدور على المسلمين وكان يقول ما معنى قول النبي اتقوا فراسة المومن وكان يذكر له
تفسيره فلا يقنعه حتى انتهى الى بعض المشايخ من الصوفية فساله فقال معناه ان تقطع الزنار
الذي على وسطك تحت ثوبك فقال صدقت هذا معناه الحديث واسلم وقال الان عرفت
انك مومن وان ايمانك حق وكما حكي عن ابرهيم الخواص قال كنت ببغداد في جماعة
من الفقرا في الجامع فاقبل شاب طيب الريح حسن الوجه فقلت لاصحابي يقع لي انه يهودي
فكلهم كرهوا ذلك فخرجت وخرج الشاب ثم رجع اليهم وقال ايش قال الشيخ فاحتشموه فالح
عليهم فقالوا قال انك يهودي قال فجاءني واكب على يدي واسلم وقال نجد في كتبنا ان الصديق
لا تخطئ فراسته فقلت امتحن المسلمين فتاملتهم فقلت ان كان فيهم صديق ففي هذه الطايفة
لانهم يقولون حديثه سبحانه فلبست عليكم فلما اطلع الشيخ علي وتفرس في علمت انه
صديق قال وصار الشاب من كبار الصوفية والى مثل هذا الكشف الاشارة بقوله عليه
السلام لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم لنظروا الى ملكوت السما وانما تحوم الشياطين
على القلوب اذا كانت مشحونة بالصفات المذمومة فانها مرعى الشياطين ومن خلص قلبه
من تلك الصفات وصفاه لم يطف الشيطان حول قلبه واليه الاشارة بقوله تعالى الا عبادك
منهم المخلصين وبقوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان والسماع سبب لصفا القلب وهو
شبكة للحق بواسطة الصفا وعلى هذا يدل ما روي ان ذا النون المصري دخل بغداد فاجتمع
اليه قوم من الصوفية ومعهم قوال فاستاذنوه ان يقول شيا فاذن له فانشا يقول

صغير هواك عذبني * فكيف به اذا احتنكا *
وانت جمعت في قلبي * هوى قد كان مشتركا *
اما ترثي لمكتيب * اذا ضحك الخلي بكى *

فقام ذا النون وسقط على وجهه ثم قام رجل اخر فقال ذا النون الذي يراك حين تقوم
فجلس ذلك الرجل وكان ذلك اطلاعا من ذا النون على قلبه انه متكلف متواجد فعرفه ان الذي
يراه حين يقوم هو الخصم في قيامه لغير الله تعالى ولو كان الرجل صادقا لما جلس فاذا قد
رجع حاصل الوجد الى مكاشفات والى حالات واعلم انه ينقسم كل واحد منهما الى ما
يمكن التعبير عنه عند الافاقة منه والى ما لا يمكن العبارة عنه اصلا ولعلك تستبعد حالا
او علما لا تعلم حقيقته ولا يمكن التعبير عن حقيقته فلا تستبعد ذلك فانك تجد من احوالك القريبة

لها شواهد اما العلم فكم من فقيه تعرض عليه مسالتان متشابهتان في الصورة ويدرك الفقيه
بذوقه ان بينهما فرقا في الحكم واذا كلف ذكر وجه الفرق لم يساعده اللسان على التعبير وان كان من افصح
الناس فيدرك بذوقه الفرق ولا يمكنه التعبير عنه وادراكه الفرق علم يصادفه في قلبه بالذوق
ولا يشك في ان لوقوعه في قلبه سببا وله عند الله حقيقة ولا يمكنه الاخبار عنه لا لقصور في لسانه
بل لدقة المعنى في نفسه عن ان تناله العبارة وهذا مما يتفطن له المواظبون على النظر في المشكلات
واما الحال فكم من انسان يدرك في قلبه في الوقت الذي يصبح فيه قبضا او بسطا ولا يعلم سببه
وقد يتفكر الانسان في شي فيؤثر في نفسه اثرا فينسى ذلك السبب ويبقى الاثر في نفسه وهو يحس
وقد تكون الحالة التي يحسها سرورا ثبت في نفسه بتفكره في سبب موجب للسرور او حزنا فينسى
المتفكر فيه ويحس بالاثر عقيبه وقد تكون تلك الحالة حالة غريبة لا يعرب عنها لفظ السرور والحزن
ولا يصادف لها عبارة مطابقة مفصحة عن المقصود بل ذوق الشعر الموزون والفرق بينه وبين
غير الموزون يختص به بعض الناس دون بعض وهي حالة يدركها صاحب الذوق بحيث لا يشك
فيها اعني التفرقة بين الموزون وبين المنزحف ولا يمكنه التعبير عنها بما يتضح به مقصوده
لمن لا ذوق له وفي النفس احوال غريبة هذا وصفها بل المعاني المشهورة من الخوف والحزن
والسرور انما تحصل في السماع عن غنا مفهوم فاما الاوتار وساير النغمات التي ليست بمفهومة
فانها تؤثر في النفس تاثيرا عجيبا ولا يمكن التعبير عن عجايب تلك الاثار وقد يعبر عنها بالشوق ولكن
شوق لا يعرف صاحبه المشتاق اليه فهو عجيب والذي اضطرب قلبه بسماع الاوتار والشاهين
وما اشبهها ليس يدري الى ماذا يشتاق ويجد في نفسه حالة كانها تتقاضى امرا ليس يدري
ما هو حتى يقع ذلك للعوام ومن لا يغلب على قلبه لا حب ادمي ولا حب الله وهذا له سر
وهو ان كل شوق فله ركنان احدهما صفة المشتاق وهو نوع مناسبة مع المشتاق اليه كان الامر
ظاهرا وان لم يوجد العلم بالمشتاق ووجدت الصفة المشوقة وحركت تلك الصفة واشتعلت
نارها اورث ذلك دهشة وحيرة لا محالة ولو نشا ادمي وحده بحيث لم ير صورة النسا ولا عرف
صورة الوقاع ثم راهق الحلم وغلبت عليه الشهوة لكان يحس من نفسه بنار الشهوة ولا يدري انه
يشتاق الى الوقاع لانه ليس يدري صورة الوقاع ولا يعرف صورة النسا فكذلك في نفس الادمي
مناسبة مع العالم الاعلى واللذات التي وعد بها في سدرة المنتهى والفراديس العلى الا انه لم
يتخيل من هذه الامور الا الصفات والاسما كالذي سمع لفظ الوقاع واسم النسا ولم يشاهد صورة
امراة قط ولا صورة رجل ولا صورة نفسه في المراة ليعرف بالمقايسة فالسماع يحرك منه الشوق والجهل
المفرط والاشتغال بالدنيا قد انساه نفسه وانساه ربه وانساه مستقره الذي هو حنينه واشتياقه
بالطبع فيتقاضاه قلبه امرا ليس يدري ما هو فيدهش ويتحير ويضطرب ويكون كالمختنق الذي
لا يعرف طريق الخلاص فهذا وامثاله من الاحوال التي لا يدرك تمام حقايقها ولا يمكن المتصف بها
ان يعبر عنها فقد ظهر انقسام الوجد الى ما يمكن اظهاره واعلم ايضا ان الوجد ينقسم الى هاجم
والى متكلف ويسمى التواجد وهذا التواجد المتكلف فمنه مذموم وهو الذي يقصد به الريا في
اظهار الاحوال الشريفة مع الافلاس منها ومنه ما هو محمود وهو التوصل الى استدعا الاحوال
الشريفة واكتسابها واجتلابها بالحيلة فان للكسب مدخلا في جلب الاحوال الشريفة ولذلك امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يحضره البكا في قراة القران فليتباكى ويتحازن فان هذه الاحوال
قد يتكلف مباديها ثم يتحقق اواخرها وكيف لا يكون التكلف سببا في ان يصير التكلف في
الاخر طبعا وكل من يتعلم القران اولا يحفظه تكلفا ويقروه تكلفا مع تمام التامل واحضار الذهن
ثم يصير ذلك ديدنا للسان مطردا حتى يجري به لسانه في الصلاة وغيرها وهو غافل فيقرا

تمام السورة ويثوب نفسه اليه بعد انتهائه الى آخرها ويعلم انه قرأها في حال غفلته وكذلك الكاتب
يكتب في الابتداء بجهد شديد ثم تتمرن عليه يده فتصير الكتابة له طبعا فيكتب اوراقا وهو مستغرق
القلب بفكر آخر فجميع ما تحتمله النفس والجوارح من الصفات لا سبيل الى اكتسابها الا بالتكلف
والتصنع اولا ثم يصير بالعادة طبعا وهو المراد بقول بعضهم العادة طبيعة خامسة وكذلك الاحوال
الشريفة لا ينبغي ان يقع اليأس منها عند فقدها بل ينبغي ان يتكلف اجتلابها بالسماع وغيره
فلقد شوهد في العادات من اشتهى ان يعشق شخصا فلم يزل يردد ذكره على نفسه ويديم
النظر اليه ويقرر على نفسه الاوصاف المحمودة المحبوبة والاخلاق المحمودة فيه حتى عشقه ورسخ
ذلك في قلبه رسوخا خرج عن حد اختياره واشتهى بعد ذلك الخلاص منه فلم يتخلص فكذلك حب
الله عز وجل والشوق الى لقائه والخوف من سخطه وغير ذلك من الاحوال الشريفة اذا فقدها الانسان
ينبغي ان يتكلف اجتلابها بمجالسة الموصوفين بها ومشاهدة احوالهم وتحسين صفاتهم في
النفس وبالجلوس معهم في السماع وبالتضرع الى الله في ان يرزقه تلك الحالة بان ييسر له اسبابها
ومن اسبابها السماع ومجالسة الصالحين والخائفين والمحبين والمشتاقين والخاشعين فمن
جالس شخصا سرت اليه صفاته من حيث لا يدري ويدل على امكان تحصيل الحب وغيره من الاحوال
بالاسباب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم ارزقني حبك وحب من احبك وحب
ما يقربني الى حبك فقد فزع الى الدعاء في طلب الحب فهذا بيان انقسام الوجد الى مكاشفات
والى احوال وانقسامه الى ما يمكن الافصاح عنه والى ما لا يمكن وانقسامه الى المتكلف والى المطبوع
فان قلت فما بال هؤلاء لا يظهر وجدهم عند سماع القرآن وهو كلام الله تعالى ويظهر على الغناء وهو
كلام الشعراء فلو كان ذلك حقا من لطف الله ولم يكن باطلا من غرور الشيطان لكان القرآن اولى
به من الغناء فنقول الوجد الحق هو ما ينشأ من فرط حب الله وصدق ارادته والشوق الى
لقائه وذلك يهيج بسماع القرآن ايضا وانما الذي لا يهيج بالقرآن حب الخلق والعشق للمخلوق
ويدل على ذلك قوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب وقوله مثاني تقشعر منه جلود الذين
يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وكل ما يوجد عقيب السماع بسبب السماع في
النفس فهو وجد فالطمأنينة والاقشعرار والخشية ولين القلب كل ذلك وجد وقد قال الله
عز وجل انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وقال تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته
خاشعا متصدعا من خشية الله فالوجل والخشوع من قبيل الاحوال وان لم يكن من قبيل المكاشفات
ولكن قد يصير سببا للمكاشفات والتنبيهات ولهذا قال صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن باصواتكم
وقال لابي موسى الاشعري لقد اوتيت مزمارا من مزامير آل داود واما الحكايات الدالة على
ان ارباب القلوب ظهر عليهم الوجد عند سماع القرآن فكثيرة فقوله صلى الله عليه وسلم شيبتني هود
خبر عن الوجد فان الشيب يحصل من الحزن والخوف وذلك وجد وروي ان ابن مسعود قرأ على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الى قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على
هؤلاء شهيدا قال حسبك وكانت عيناه تذرفان بالدمع وفي رواية انه عليه الصلاة والسلام قرئ
عنده ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما فصعق وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم
قرأ ان تعذبهم فانهم عبادك فبكى وكان عليه الصلاة والسلام اذا مر باية رحمة دعا واستبشر والاستبشار
وجد وقد اثنى الله على اهل الوجد بالقرآن فقال تعالى واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض
من الدمع مما عرفوا من الحق وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي ولصدره ازيز كازيز المرجل
واما ما نقل من الوجد بالقرآن عن الصحابة والتابعين فكثير فمنهم من صعق ومنهم من بكى ومنهم
من غشي عليه ومنهم من مات في غشيته وسمع عمر بن الخطاب قاريا يقرأ ان عذاب ربك لواقع ما له

من دافع فصاح صيحة وخر مغشيا عليه فحمل الى بيته فلم يزل في بيته مريضا شهرا وروي ان
زرارة بن اوفى وكان من التابعين وكان يؤم الناس فقرأ فاذا نقر في الناقور فصعق ومات في محرابه
وكان بن جهير من التابعين قرئ عليه صالح المري فشهق ومات وسمع الشافعي قاريا يقرأ
هذا يوم لا ينطقون فغشي عليه وسمع علي بن الفضيل قاريا يقرأ يوم يقوم الناس لرب العالمين
فسقط مغشيا عليه فقال الفضيل شكر الله لك ما قد علمه منك وكذلك نقل عن جماعة من الصوفية
قال كان الشبلي في مسجده ليلة من شهر رمضان وهو يصلي خلف امام له فقرأ الامام ولئن
شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك فزعق الشبلي زعقة ظن الناس انه طارت روحه واحمر
وجهه وارتعدت فرائصه وكان يقول بمثل هذا يخاطب الاحباب يردد ذلك مرارا وقال الجنيد دخلت
على سري السقطي فرأيت بين يديه رجلا قد غشي عليه فقال لي هذا قد سمع اية من القرآن
فغشي عليه فقلت اقرؤا عليه تلك الاية فقرئ فافاق فقال من اين قلت هذا فقلت رأيت
يعقوب كان عماه من اجل مخلوق فبمخلوق ابصر ولو كان عماه من اجل الحق ما ابصر بمخلوق
فاستحسن ذلك ويشير الى ما قاله قول الشاعر

وكأس شربت على لذة ... واخرى تداويت منها بها

وقال بعض الصوفية كنت اقرأ ليلة هذه الاية كل نفس ذائقة الموت فجعلت ارددها
فاذا هاتف يهتف بي كم تردد هذه الاية فقد قتلت اربعة من الجن لم يرفعوا رؤسهم الى
السماء منذ خلقوا وقال ابو علي المغازلي للشبلي ربما يطرق سمعي اية من كتاب الله تعالى
فتحدوني على الاعراض عن الدنيا ثم ارجع الى احوالي والى الناس فلا ابقى على ذلك فقال ما طرق
سمعك من القرآن فاجتذبك اليه فذلك عطف منه عليك ولطف منه بك واذا ردك الى
نفسك فهي شفقة منه عليك فانه لا يصلح لك الا التبري من الحول والقوة في التوجه الى الله تعالى
وسمع رجل من اهل التصوف قاريا يقرأ يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية
فاستعادها من القارئ وقال كم اقول لها ارجعي وليست ترجع ثم تواجد وزعق زعقة فخرجت
روحه وسمع بكر بن معاذ قاريا يقرأ وانذرهم يوم الازفة فاضطرب ثم صاح وقال ارحم
من انذرته ولم يقبل اليك بعد الانذار بطاعتك ثم غشي عليه وكان محمد بن صبيح يقول كان
رجل يغتسل في الفرات فمر به رجل يقرأ وامتازوا اليوم ايها المجرمون فلم يزل الرجل يضطرب
حتى غرق ومات وكان ابراهيم بن ادهم اذا سمع رجلا يقرأ اذا السماء انشقت اضطربت اوصاله
حتى كان يرتعد وذكر ان سليمان الداراني ابصر شابا يقول فاق على اية فاقشعر جلده فاحب
سليمان وقصده ففقده فسأل عنه فقيل له انه مريض فاتاه يعوده فاذا هو في الموت فقال
يا ابا عبد الله ارايت تلك القشعريرة التي كانت مني فانها اتتني في احسن صورة فاخبرتني
ان الله قد غفر لي بها كل ذنب وبالجملة لا يخلو صاحب القلب عن وجد عند سماع القرآن
فان كان القرآن لا يؤثر فيه اصلا فمثاله كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي
فهم لا يعقلون بل صاحب القلب تؤثر فيه الكلمة من الحكمة يسمعها وقال جعفر الخالدي دخل
رجل من اهل خراسان على الجنيد وعنده جماعة فقال متى يستوي عند العبد حامده وذامه
فقال بعض الشيوخ اذا دخل المارستان وقيد بقيدين فقال الجنيد ليس هذا من شانك
ثم اقبل على الرجل فقال اذا تحقق انه مخلوق فشهق الرجل شهقة ومات فان قلت فان كان
سماع القرآن مفيدا للوجد فما بالهم يجتمعون على سماع الغناء من القوالين دون المقرئين
فكان ينبغي ان يكون اجتماعهم وتواجدهم في حلق القراء لا في حلق المغنين وكان ينبغي ان
يطلب عند كل اجتماع في كل دعوة قارئ لا قوال فان كلام الله افضل من الغناء لا محالة

فاعلم ان الغنا اشد تهييجا للوجد من القران من سبعة اوجه الاول ان جميع ايات القران
لا تناسب حال المستمع ولا تصلح لفهمه وتنزيله على ما هو ملابس له فمن استولى عليه حزن او شوق او ندم
فمن اين يناسب حاله قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين وقوله تعالى والذين
يرمون المحصنات وكذلك جميع الايات التي فيها بيان احكام الميراث والطلاق والحدود وغيرها وانما
المحرك لما في القلب ما يناسبه والابيات انما نظمها الشعرا اعرابا بها عن احوال القلب فلا يحتاج في فهم
الحال منها الى تكلف نعم من يستولي عليه حال غالبة قاهرة لم يبق متسعا لغيره ومعه تيقظ وذكا
ثاقب يتفطن معه للمعاني البعيدة من الالفاظ فقد يخرج وجده على كل مسموع كمن يخطر له عند
ذكر قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم حالة الموت المحوج الى الوصية وان كل انسان لابد ان يخلف
ماله وولده وهما محبوباه من الدنيا فيترك احد المحبوبين للثاني ويهجرهما جميعا فيغلب عليه الخوف
والجزع او يسمع ذكر الله في قوله تعالى يوصيكم فيدهش بمجرد الاسم عما قبله وبعده او يخطر له
رحمة الله على عباده وشفقته بان تولى قسم مواريثهم بنفسه نظرا لهم في حياتهم وموتهم فيقول
اذا نظر لاولادنا بعد موتنا فلا نشك في انه ينظر لنا فيهيج منه حال الرجا فيورث ذلك الاستبشار
والسرور او يخطر له من قوله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين تفضيل الذكر لكونه رجلا على الانثى
وان الفضل في الاخرة لرجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وان من الهاه غير الله تعالى فهو من
الاناث لا من الرجال تحقيقا فيخشى ان يحجب او يؤخر في نعيم الاخرة كما اخر في اموال الدنيا فامثال هذا
قد يحرك الوجد ولكن لمن فيه وصفان احدهما حالة غالبة مستغرقة قاهرة والاخرى تفطن بليغ وتيقظ
كامل للتنبيه بالامور القريبة على المعاني البعيدة وذلك مما يعز فلاجل ذلك يفزع الى الغنا الذي هو
الفاظ مناسبة للاحوال حتى يتسارع هيجانها وروي انه كان ابو الحسين النوري مع جماعة في
دعوة فجرى بينهم مسالة في العلم وابو الحسين ساكت ثم رفع راسه وانشدهم

رب ورقاء هتوف بالضحى * ذات شجو صدحت في فنن
ذكرت الفا ودهرا صالحا * فبكت حزنا فهاجت حزني
فبكائي ربما ارقها * وبكاها ربما ارقني
ولقد تشكو فما افهمها * ولقد اشكو فما تفهمني
غير اني بالجوى اعرفها * وهي ايضا بالجوى تعرفني

قال فما بقي احد في القوم الا قام وتواجد ولم يحصل لهم هذا الوجد من العلم الذي خاضوا فيه
الوجه الثاني ان القران محفوظ للاكثرين ومتكرر على الاسماع والقلوب وكلما سمع اولا عظم
في القلب اثره وفي الثانية يضعف اثره وفي الثالثة يكاد يسقط اثره ولو كلف صاحب الوجد الغالب ان
يحضر وجده على بيت واحد على الدوام في مرات متقاربة في الزمان في يوم او اسبوع لم يمكنه ذلك
ولو ابدل ببيت اخر تجدد له اثر وان كان معربا عن عين ذلك المعنى ولكن كون النظم واللفظ غريبا
بالاضافة الى الاول يحرك النفس وان كان المعنى واحدا وليس يقدر القاري ان يقرا قرانا غريبا
في كل وقت ودعوة لان القران محصور لا يمكن الزيادة عليه وكله محفوظ ومتكرر واليه اشار
الصديق حيث راى الاعراب يقدمون ويسلمون ويسمعون القران ويبكون فقال كنا كما
كنتم ثم قست قلوبنا ولا تظنن ان قلب الصديق رضي الله عنه كان اقسى من قلب الاجلاف
من الاعراب وانه كان اخلى عن حب الله وحب كلامه من قلوبهم ولكن التكرر على قلبه اقتضى المرون
عليه وقلة التاثر به لما حصل له من الانس به وكلامه بكثرة سماعه عشرين سنة يرددها
اذ محال في العادة ان يسمع السامع اية لم يسمعها قبل فيبكي ثم يدوم بكاؤه عليها ويرددها
ويبكي ولا يفارق الاول الاخر الا في كونه غريبا جديدا ولكل جديد لذة ولكل طارئ صدمة

ومع كل مالوف انس يناقض الصدمة ولهذا هم عمر رضي الله عنه ان يمنع الناس من كثرة الطواف
وقال قد خشيت ان يتهاون الناس بهذا البيت اي يانسوا به ومن قدم حاجا فراى البيت اولا
بكى وزعق وربما غشي عليه اذا وقع عليه بصره وقد يقيم بمكة شهرا ولا يحس من ذلك في نفسه
باثر فاذا المغني يقدر على الابيات الغريبة في كل وقت ولا يقدر على ذلك في كل وقت في الايات
الوجه الثالث ان لوزن الكلام بذوق الشعر تاثيرا في النفس فليس الصوت الموزون الطيب
كالصوت الطيب الذي ليس بموزون وانما يوجد الوزن في الشعر دون الايات ولو زحف المغني
البيت الذي ينشده او لحن فيه او مال عن حد تلك الطريقة في اللحن اضطرب قلب المستمع وبطل
وجده وسماعه ونفر طبعه لعدم المناسبة واذا نفر الطبع اضطرب القلب وتشوش فالوزن اذا
مؤثر فلذلك طاب الشعر الوجه الرابع ان الشعر الموزون يختلف تاثيره في النفس بالالحان
التي تسمى الطرق والدستانات وانما اختلاف تلك الطرق بمد المقصور وقصر الممدود والوقف
في اثناء الكلمات والقطع والوصل في بعضها وهذا التصرف جائز في الشعر ولا يجوز في القران
الا التلاوة كما انزل فقصره ومده والوقف والوصل والقطع فيه على خلاف ما تقتضيه التلاوة حرام
او مكروه واذا رتل القران كما انزل سقط عنه الاثر الذي سببه وزن الالحان وهو سبب مستقل
بالتاثير وان لم يكن مفهوما كما في الاوتار والمزمار وساير الاصوات التي لا تفهم الوجه الخامس
ان الالحان الموزونة تعضد وتؤكد بايقاعات واصوات اخر موزونة خارج الحلق كالضرب بالقضيب
والدف وغيره لان الوجد الضعيف لا يستثار الا بسبب قوي وانما يقوى بمجموع هذه الاسباب
ولكل واحد منها حظ في التاثير وواجب ان يصان القران عن مثل هذه القراين لان صورتها عند
عامة الخلق صورة اللهو واللعب والقران جد كله عند كافة الخلق فلا يجوز ان يمزج بالحق
المحض ما هو لهو عند العامة وصورته صورة اللهو عند الخاصة وان كانوا لا ينظرون اليها من
حيث انها لهو بل ينبغي ان يوقر القران فلا يقرا على شوارع الطرق بل في مجلس ساكن ولا في
حال الجنابة ولا على غير طهارة ولا يقدر على الوفا بحق حرمة القران في كل حال فيعدل الى الغنا الذي
لا يستحق هذه المراقبة والمراعاة ولذلك لا يجوز ضرب الدف مع قراة القران ليلة العرس وقد امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب الدف في العرس وقال اظهروا النكاح ولو بضرب الغربال او بلفظ
هذا معناه وذلك جايز مع الشعر دون القران ولذلك لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت
الربيع بنت معوذ وعندها جوار يغنين فسمع احداهن تقول وفينا نبي يعلم ما في غد على وجه الغنا
فقال صلى الله عليه وسلم دعي هذا وقولي ما كنت تقولين وهذه شهادة بالنبوة فزجرها عنها وردها
الى الغنا الذي هو لهو لان هذا جد محض فلا يقرن بصورة اللهو فاذا يتعذر بسببه تقوية
الاسباب التي بها يصير السماع محركا للقلب فواجب في الاحترام العدول الى الغنا عن القران كما
وجب على تلك الجارية العدول عن شهادة النبوة الى الغنا الوجه السادس ان المغني قد يغني
ببيت لا يوافق حال المستمع فيكرهه وينهاه عنه ويستدعي غيره فليس كل كلام موافقا لكل
حال فلو اجتمعوا في الدعوات على القاري فربما يقرا اية لا توافق حالهم اذ القران شفا للناس
كلهم على اختلاف الاحوال فايات الرحمة شفا الخايف وايات العذاب شفا المغرور الامن
وتفصيل ذلك مما يطول فاذن لا يومن ان لا يوافق المقرو الحال وتكرهه النفس فيتعرض به لخطر
كراهة كلام الله تعالى من حيث لا يجد سبيلا الى دفعه فالاحتراز عن خطر ذلك حزم بالغ
وحتم واجب اذ لا يجد الخلاص منه الا بتنزيله على وفق حاله ولا يجوز تنزيل كلام الله الا على ما اراده
الله تعالى واما قول الشاعر فيجوز تنزيله على غير مراده ففيه خطر الكراهة او خطر التاويل الخطا
لموافقة الحال فيجب توقير كلام الله وصيانته عن ذلك هذا ما ينقدح لي في علة انصراف الشيوخ

الى سماع الغناء من سماع القرآن فى حالة الجمع والاوقات وها هنا وجه سابع ذكره ابو نصر السراج الطوسى
فى الاعتذار عن ذلك فقال القرآن كلام الله وصفة من صفاته وهو حق لا يطيقه البشر لانه غير
مخلوق فلا تطيقه الصفات المخلوقة ولو كشف للقلوب ذرة من معناه وهيبته لتصدعت ودهشت
وتحيرت والالحان الطيبة مناسبة للطباع ونسبتها نسبة الحظوظ لا نسبة الحقوق والشعر نسبته
نسبة الحظوظ فاذا علقت الالحان والاصوات بما فى الابيات من الاشارات واللطائف شاكل
بعضها بعضا فكان اقرب الى الحظوظ واخف على القلوب لمشاكلة المخلوق فما دامت البشرية باقية
ونحن بصفاتنا وحظوظنا نتنعم بالنغمات الشجية والاصوات الطيبة فانبساطنا لمشاهدة
بقاء هذه الحظوظ الى القصائد اولى من انبساطنا الى كلام الله الذى هو صفته وكلامه منه بدا واليه
يعود هذا حاصل المقصود من كلامه واعتذاره وقد حكى عن ابى الحسين الدراج انه قال
قصدت يوسف بن الحسين الرازى من بغداد للزيارة والسلام عليه فلما دخلت الرى كنت اسأل عنه
فكل من سألته قال ايش تعمل بذاك الزنديق فضيقوا صدرى حتى عزمت على الانصراف ثم قلت
قد جئت هذا الطريق كله فلا اقل من ان اراه فلم ازل اسأل عنه حتى دخلت عليه فى مسجد وهو قاعد
فى المحراب وبين يديه رجل بيده مصحف وهو يقرأ واذا هو شيخ بهى حسن الوجه واللحية فسلمت
عليه فاقبل علىّ وقال من اين فقلت من بغداد فقال وما الذى جاء بك فقلت قصدتك للسلام
عليك فقال لو ان فى بعض هذه البلدان قال لك انسان اقم عندنا حتى نشترى لك دارا وجارية
كان يقعدك ذلك عن المجئ فقلت ما امتحننى الله بشئ من ذلك ولو امتحننى ما كنت ادرى كيف اكون
ثم قال تحسن ان تقول شيئا فقلت نعم فقال هات فابتدأت اقول ●

رأيتك تبنى دائما فى قطيعتى ● ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبنى ●
كأنى بكم والليت افضل قولكم ● الا ليتنا كنا اذا الليت لا يغنى ●

قال فاطبق المصحف ولم يزل يبكى حتى ابتلت لحيته وابتل ثوبه حتى رحمته من كثرة بكائه
ثم قال يا بنى تلوم اهل الرى يقولون يوسف زنديق من صلاة الغداة اقرأ فى المصحف لم يقطر
من عينى قطرة وقد قامت علىّ القيامة بهذين البيتين فان القلوب وان كانت محترقة فى حب الله
تعالى فان البيت الغريب يهيج منها ما لا يهيج تلاوة القرآن وذلك لوزن الشعر ومشاكلته للطباع
ولكونه مشاكلا للطبع اقتدر البشر على نظم الشعر واما القرآن فنظمه خارج عن اساليب الكلام ومناهجه
ولذلك معجز لا يدخل فى قوة البشر لعدم مشاكلته لطبعهم وروى ان اسرافيل استاذ ذى النون المصرى
دخل عليه رجل فرآه وهو ينكت الارض باصبعه ويترنم ببيت فقال هل تحسن ان تترنم بشئ فقال لا
قال فانت بلا قلب اشارة الى ان من له قلب وعرف طباعه علم انه تحركه الابيات والنغمات تحريكا
لا يصادفه فى غيره فيتكلف طريق التحريك اما بصوت نفسه او بغيره فقد ذكرنا حكم المقام الاول فى
فهم المسموع وتنزيله وحكم المقام الثانى فى الوجد الذى يصادف فى القلب فلنذكر الآن اثر الوجد
اعنى ما يترشح منه الى الظاهر من صعقة وبكاء وحركة وتمزيق ثوب وغيره المقام الثالث من
السماع نذكر فيه آداب السماع ظاهرا وباطنا وما يحمد من آثار الوجد وما يذم فاما الآداب فهى خمس
جمل الاولى مراعاة الزمان والمكان والاخوان قال الجنيد رحمه الله تعالى السماع يحتاج الى ثلثة
اشياء والا فلا يسمع الزمان والمكان والاخوان ومعناه ان الاشتغال به فى وقت حضور طعام
او خصام او صلاة او صارف من الصوارف مع اضطراب القلب لا فائدة فيه فهذا معنى مراعاة
الزمان فيراعى حالة فراغ القلب والمكان فقد يكون شارعا مطروقا او موضع كريه الصورة او فيه
سبب يشغل القلب فيجتنب ذلك واما الاخوان فسببه انه اذا حضر غير الجنس من منكر السماع
متزهد بالظاهر مفلس من لطائف القلوب كان مستثقلا فى المجلس واشتغل القلب به وكذا

اذا حضر متكبر من اهل الدنيا يحتاج الى مراقبته ومراعاته او متكلف متواجد من اهل التصوف
يرائى بالوجد والرقص وتمزيق الثوب فكل ذلك مشوشات فترك السماع عند فقد هذه الشروط
اولى ففى هذه الشروط نظر للمستمع الثانى وهو نظر للحاضرين ان الشيخ اذا كان حوله
مريدون يضرهم السماع فلا ينبغى ان يسمع فى حضورهم فان سمع فليشغلهم بشغل آخر والمريد
الذى يستضر بالسماع احد ثلاثة اقلهم درجة هو الذى لم يدرك من الطريق الا الاعمال الظاهرة
ولم يكن له ذوق السماع فاشتغاله بالسماع اشتغال بما لا يعنيه فانه ليس من اهل اللهو فيلهو
ولا من اهل الذوق فيتنعم بذوق السماع فليشتغل بذكر او خدمة والا فهو تضييع لزمانه الثانى
هو الذى له ذوق السماع ولكن بقى فيه بقية من الحظوظ والالتفات الى الشهوات والصفات
البشرية ولم ينكسر بعد انكسارا تؤمن غوائله فربما يهيج السماع منه داعية اللهو والشهوة
فينقطع عليه طريقه ويصده عن الاستكمال الثالث ان يكون قد انكسرت شهوته وامنت غائلته
وانفتحت بصيرته واستولى على قلبه حب الله تعالى ولكنه لم يحكم ظاهر العلم ولم يعرف اسماء الله
وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز وما يستحيل فاذا فتح له باب السماع نزل المسموع فى حق الله
على ما يجوز وعلى ما لا يجوز فيكون ضرره من تلك الخواطر التى هى كفر اعظم من نفع السماع قال
سهل كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل فلا يصلح السماع لمثل هذا ولا لمن قلبه بعد
ملوث بحب الدنيا وحب المحمدة والثناء ولا لمن يسمع لاجل التلذذ والاستطابة بالطبع فيصير
ذلك عادة له ويشغله ذلك عن عباداته ومراعاة قلبه وينقطع عليه طريقه فالسماع مزلة قدم
يجب حفظ الضعفاء عنه قال الجنيد رأيت ابليس فى المنام فقلت له هل تظفر من اصحابنا
بشئ قال نعم فى وقتين وقت السماع ووقت النظر فانى ادخل عليهم به وقال بعض الشيوخ
لو رأيته انا لقلت ما احمقك من سمع منه اذا سمع ونظر اليه اذا نظر كيف تظفر به قال الجنيد
صدقت الادب الثالث ان يكون مصغيا الى ما يقوله القائل حاضر القلب قليل الالتفات الى
الجوانب محترزا عن النظر الى وجوه المستمعين وما يظهر عليهم من احوال الوجد مشتغلا بنفسه
ومراعاة قلبه ومراقبة ما يفتح الله له من رحمته فى سره متحفظا عن حركة تشوش على اصحابه قلوبهم
بل يكون ساكن الظاهر هادئ الاطراف محترزا عن التنحنح والتثاؤب ويجلس مطرقا رأسه
كجلوسه فى فكر مستغرق لقلبه متماسكا عن التصفيق والرقص وسائر الحركات على وجه
التصنع والتكلف والمراءاة ساكتا عن النطق فى اثناء القول بكل ما عنه بد فان غلبه الوجد وحركه
بغير اختيار فهو فيه معذور غير ملوم ومهما رجع اليه الاختيار فليعد الى هدوئه وسكونه ولا
ينبغى ان يستديمه حياء من ان يقال هو قاسى القلب عديم الصفاء والرقة حكى ان شابا
كان يصحب الجنيد فكان اذا سمع شيئا من الذكر يزعق فقال له الجنيد يوما ان فعلت ذلك مرة
اخرى لم تصحبنى فكان بعد ذلك يضبط نفسه حتى يقطر من كل شعرة منه قطرة ماء ولا يزعق
فحكى انه اختنق يوما لشدة ضبطه نفسه فشهق شهقة فانشق قلبه ومات وروى ان موسى
قص فى بنى اسرائيل فمزق واحد منهم ثوبه او قميصه فاوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام
قل له مزق لى قلبك ولا تمزق ثيابك وقال ابو القاسم النصراباذى لابى عمرو بن نجيد انا
اقول اذا اجتمع القوم فيكون معهم قوال يقول خير من ان يغتابوا فقال ابو عمرو الرياء فى السماع
وهو ان ترى من نفسك حالا ليست فيك شر من ان تغتاب ثلاثين سنة او نحو ذلك فان قلت
الافضل هو الذى لا يحركه السماع ولا يؤثر فى ظاهره او الذى يظهر عليه فاعلم ان عدم الظهور
تارة يكون لضعف الوارد من الوجد فهو نقصان وتارة
يكون مع قوة الوجد فى الباطن ولكن لكمال القوة على ضبط الجوارح وهو كمال وتارة يكون

لكون حالة الوجد ملازما ومصاحبا في الاحوال كلها فلا يتبين للسماع مزيد تاثير وهو غاية
الكمال فان صاحب الوجد في غالب الاحوال لا يدوم وجده فمن هو في وجد دايم فهو المرابط للحق
والملازم لعين الشهود فهذا لا تغيره طوارق الاحوال ولا يبعد ان يكون الاشارة بقول الصديق
هكذا كنا كما كنتم ثم قست قلوبنا معناه قويت قلوبنا واشتدت فصارت تطيق ملازمة الوجد
في كل الاحوال فنحن في سماع معاني القران على الدوام فلا يكون القران جديدا في حقنا طاريا
علينا حتى نتاثر بها فاذا قوي الوجد حرك وقوة العقل والتماسك يضبط الظاهر وقد يغلب
احدهما الاخر اما لشدة قوته واما لضعف ما يقابله ويكون النقصان والكمال بحسب ذلك فلا
تظنن ان الذي يضرب نفسه على الارض اتم وجدا من الساكن باضطرابه بل رب ساكن اتم
وجدا من المضطرب فقد كان الجنيد يتحرك في السماع في بدايته ثم صار لا يتحرك فقيل له
في ذلك فقال وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شي
اشارة الى ان القلب مضطرب جايل في الملكوت والجوارح متادبة في الظاهر ساكنة **وقال**
ابو الحسن محمد بن احمد وكان بالبصرة صحبت سهل بن عبد الله ستين سنة فما رايته تغير عند
شي كان يسمعه من الذكر والقران فلما كان في اخر عمره قرا رجل بين يديه فاليوم لا يوخذ منكم
فدية الاية فرايته قد ارتعد وكاد يسقط فلما عاد الى حاله سالته عن ذلك فقال نعم
يا حبيبي قد ضعفنا وكذلك سمع مرة قوله تعالى الملك يوميذ الحق للرحمن فاضطرب فساله ابن سالم
وكان من اصحابه فقال قد ضعفت فقيل له فان كان هذا من الضعف فما قوة الحال فقال ان لا يرد عليه
وارد الا وهو يبتلعه بقوة حاله فلا تغيره الواردات وان كانت قوية وسبب القدرة على ضبط
الظاهر مع وجود الوجد استواء الاحوال بملازمة الشهود كما حكي عن سهل انه قال حالي قبل
الصلاة وبعدها واحد لانه كان مراعيا للقلب حاضر الذكر مع الله في كل حال فكذلك يكون قبل
السماع وبعده اذ يكون وجده دايما وعطشه متصلا وشربه مستمرا بحيث لا يوثر السماع في
زيادته كما روي عن ممشاد الدينوري انه اشرف على جماعة فيهم قوال فسكتوا فقال ارجعوا الى ما كنتم
فيه فلو جمعت ملاهي الدنيا في اذني ما شغل همي ولا شفى بعض ما بي **وقال** الجنيد لا يضر
نقصان الوجد مع فضل العلم وفضل العلم اتم من فضل الوجد فان قلت فمثل هذا لم يحضر السماع
فاعلم ان من هولاء من ترك السماع في كبره وكان لا يحضر الا نادرا لمساعدة اخ من الاخوان
وادخالا للسرور على قلبه وربما حضر ليعرف القوم كمال قوته فيعلمون انه ليس الكمال بالوجد
الظاهر فيتعلمون منه ضبط الظاهر عن التكلف وان لم يقدروا على الاقتدا به في صيرورته
طبعا لهم وان اتفق حضورهم مع غير ابنا جنسهم فيكونون معهم بابدانهم نايين عنهم
بقلوبهم وبواطنهم كما يجلسون في غير سماع مع غير جنسهم باسباب عارضة تقتضي
الجلوس كما قيل في المعنى

شعر

ولقد جعلتك في الفواد محدثي ۞ وابحت جسمي من اراد جلوسي
فالجسم مني للجليس موانس ۞ وحبيب قلبي في الفواد انيسي

وبعض من نقل عنه ترك السماع يظن انه كرهه كان سبب تركه استغناوه عن السماع
بما ذكرناه وبعضهم كان من الزهاد ولم يكن له حظ روحاني في السماع ولا كان من اهل
اللهو فتركه ليلا يكون مشغولا بما لا يعنيه وبعضهم تركه لفقد الاخوان قيل لبعضهم لم لا تسمع فقال
ممن ومع من **الادب الرابع** ان لا يقوم ولا يرفع صوته بالبكا وهو يقدر على ضبط
نفسه ولكن ان رقص او تباكى فهو مباح اذا لم يقصد به المرايات لان التباكي استجلاب
للحزن والرقص سبب في تحريك السرور والنشاط فكل سرور مباح فيجوز تحريكه ولو كان

ذلك حراما لما نظرت عايشة الى الحبشة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يزفنون هذا لفظ عايشة
في بعض الروايات **وقد روي** عن جماعة من الصحابة انهم حجلوا لما ورد عليهم سرور اوجب ذلك
وذلك في قصة ابنة حمزة لما اختصم فيها علي بن ابي طالب واخوه جعفر وزيد بن حارثة فتشاحوا
في تربيتها فقال لعلي انت مني وانا منك فحجل علي وقال لجعفر اشبهت خلقي وخلقي فحجل وراء
حجل علي وقال لزيد انت اخونا ومولانا فحجل زيد وراء حجل جعفر ثم قال عليه السلام هي لجعفر لان خالتها
تحته والخالة والدة وفي بعض الروايات انه قال لعايشة اتحبين ان تنظري الى زفن الحبشة والزفن
والحجل هو الرقص وذلك يكون بفرح او شوق فحكمه حكم مهيجه ان كان فرحه محمودا والرقص
يزيده ويوكده فهو محمود وان كان مباحا فهو مباح وان كان مذموما فهو مذموم نعم لا يليق اعتياد ذلك
بمناصب الاكابر واهل القدوة لانه في الاكثر يكون عن لهو ولعب وما له صورة اللعب في اعين
الناس فينبغي ان يجتنبه المقتدى به ليلا يصغر في اعين الخلق فيترك الاقتدا به واما
تخريق الثياب فلا رخصة فيه الا عند خروج الامر عن الاختيار ولا يبعد ان يغلب الوجد بحيث
يمزق ثوبه وهو لا يدري لغلبة سكر الوجد عليه او يدري ولكن يكون كالمضطر الذي لا يقدر على
ضبط نفسه ويكون صورته صورة المكره اذ يكون له في الحركة والتمزيق متنفس فيضطر اليه
اضطرار المريض الى الانين ولو كلف الصبر عنه لم يقدر عليه مع انه فعل اختياري فليس كل
فعال حصوله بالارادة ولو كلف الانسان نفسه ان يمسك التنفس ساعة اضطر من باطنه الى ان يختار
التنفس فكذلك الزعقة وتمزيق الثياب قد يكون كذلك فهذا لا يوصف بالتحريم فقد ذكر
عند السري حديث الوجد الغالب فقال نعم يضرب وجهه بالسيف وهو لا يدري فروجع
فيه واستبعد ان ينتهي الى هذا الحد فاصر عليه ولم يرجع ومعناه انه في بعض الاحوال قد ينتهي الى هذا
الحد في بعض الاشخاص **فان قلت** فما تقول في تمزيق الصوفية الثياب الجديدة بعد سكون
الوجد والفراغ من السماع فانهم يمزقونها قطعا صغارا ويفرقونها على القوم ويسمونها الخرقة
فاقول اعلم ان ذلك مباح اذا خرق قطعا مربعة تصلح لترقيع الثياب والسجادات
فان الكرباس يمزق حتى يخاط منه القميص ولا يكون ذلك تضييعا لانه تمزيق لغرض وكذلك
ترقيع الثياب لا يمكن الا بالقطع الصغار وذلك مقصود والتفرقة على الجميع ليعم ذلك الخير مقصود
فهو مباح ولكل مالك ان يقطع كرباسه ماية قطعة ويعطيها لماية مسكين ولكن ينبغي ان تكون
القطع بحيث ينتفع بها في الرقاع وانما منعنا في السماع التمزيق المفسد للثوب الذي يهلك
بعضه بحيث لا يبقى منتفعا به فهو تضييع محض لا يجوز بالاختيار **الادب الخامس** موافقة
القوم في القيام اذا قام واحد منهم في وجد صادق من غير رياء وتكلف او قام باختيار من
غير اظهار وجد وقام له الجماعة فلا بد من الموافقة فذلك من اداب الصحبة وكذلك ان جرت
عادة طايفة بتنحية العمامة على موافقة صاحب الوجد اذا سقطت عمامته او خلع الثياب اذا
سقط عنه ثوبه بالتخريق فالموافقة في هذه الامور من حسن الصحبة والعشرة اذ المخالفة
موحشة ولكل قوم رسم ولا بد من مخالقة الناس باخلاقهم كما ورد في الخبر لا سيما
اذا كانت اخلاقا فيها حسن العشرة والمجاملة وتطييب القلب بالمساعدة وقول القايل ان ذلك
بدعة لم يكن في الصحابة فليس كل ما يحكم باباحته منقولا عن الصحابة وانما المحذور ارتكاب بدعة تراغم سنة
ماثورة ولم ينقل النهي عن شي من هذا والقيام عند الدخول للداخل لم يكن من عادة العرب
بل كان الصحابة لا يقومون لرسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاحوال كما رواه انس ولكن اذا
لم يثبت فيه نهي عام فلا نرى به باسا في البلاد التي جرت العادة فيها باكرام الداخل بالقيام
فان المقصود منه الاحترام والاكرام وتطييب القلب فكذلك سائر انواع المساعدة اذا قصد

طيبة القلب واصطلح عليها جماعة فلا بأس بمساعدتهم عليها بل الأحسن المساعدة إلا فيما ورد فيه
نهي لا يقبل التأويل ومن الآداب أن لا يقوم للرقص مع القوم إن كان يستثقل رقصه ولا يشوش
عليهم أحوالهم إذ الرقص من غير إظهار التواجد هو الذي يلوح للجمع منه أثر التكلف ومن يقوم
عن صدق فلا تستثقله الطباع فقلوب الحاضرين إذا كانوا من أرباب القلوب محك للصدق
والتكلف **سئل** بعضهم عن الوجد الصحيح فقال صحته قبول قلوب الحاضرين له إذا كانوا أشكالا
غير أضداد فإن قلت فما بال الطباع تنفر عن الرقص ويسبق إلى الأفهام أنه باطل ولهو
ومخالف للدين فلا يراه ذو جد في الدين إلا وينكره **فاعلم** أن الجد لا يزيد على جد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد رأى الحبشة يزفنون في المسجد وما أنكره لما أن كان في وقت لائق به
وهو العيد ومن شخص لائق به وهم الحبشة نعم نفرة الطباع عنه لأنه يرى غالبا مقرونا باللهو
واللعب واللهو واللعب مباح ولكن للعوام من الزنوج والحبشة ومن أشبههم وهو مكروه
لذوي المناصب لأنه لا يليق بهم وما كره لكونه غير لائق بمنصب ذوي المنصب فلا يجوز أن يوصف
بالتحريم فمن سأل فقيرا شيئا فأعطاه رغيفا كان ذلك طاعة مستحسنة ولو سأل ملكا فأعطاه
رغيفا أو رغيفين كان ذلك منكرا عند الناس كافة ومكتوبا في تواريخ الأخبار من جملة مساويه
تعير به أشياعه وأعقابه ومع هذا فلا يجوز أن يقال ما فعله حرام لأنه من حيث إنه أعطى خبزا للفقير
حسن ومن حيث إنه بالإضافة إلى منصبه كالمنع بالإضافة إلى الفقير مستقبح فكذلك الرقص وما
يجري مجراه من المباحات ومباحات العوام سيئات الأبرار وحسنات الأبرار سيئات المقربين
ولكن هذا من حيث الالتفات إلى المناصب أما إذا نظر إليه في نفسه وجب الحكم بأنه في نفسه لا تحريم
فيه فقد خرج من جملة التفصيل السابق أن السماع قد يكون حراما محضا وقد يكون مباحا وقد يكون
مستحبا وقد يكون مكروها أما الحرام فهو لأكثر الناس من الشبان ومن غلبت عليهم شهوة الدنيا
فلا يحرك السماع منهم إلا ما هو الغالب على قلوبهم من الصفات المذمومة وأما المكروه فهو لمن
لا ينزله على صورة المخلوقين ولكنه يتخذه عادة له في أكثر الأوقات على سبيل اللهو وأما المباح فهو
لمن لا حظ له منه إلا التلذذ بالصوت الحسن وأما المندوب فهو لمن غلب عليه حب الله ولم يحرك السماع
منه إلا الصفات المحمودة والله أعلم

كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
الحمد لله الذي لا تستفتح الكتب إلا بحمده ولا تستمنح النعم إلا بواسطة كرمه ورفده والصلاة والسلام على
سيدنا نبينا محمد رسوله وعبده وعلى آله الطيبين وأصحابه الطاهرين من بعده وسلم تسليما
كثيرا أما بعد فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين وهو المهم
الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين ولو طوي بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضمحلت
الديانة وعمت الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى الفساد واتسع الخرق و
خربت البلاد وهلك العباد وإن لم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد وقد كان الذي خفنا
أن يكون فإنا لله وإنا إليه راجعون إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه وانمحى بالكلية
حقيقته ورسمه واستولت على القلوب مداهنة الخلق وانمحت عنها مراقبة الخالق واسترسل
الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم وعز على بسيط الأرض مؤمن صادق
لا تأخذه في الله لومة لائم فمن سعى في تلافي هذه الفترة وسد هذه الثلمة إما متكفلا بعملها
أو متقلدا لتنفيذها مجددا لهذه السنة الداثرة ناهضا بأعبائها ومتشمرا في إحيائها كان
مستأثرا من بين الخلق بإحياء سنة أفضى الزمان إلى إماتتها ومستبدا بقربة تتضاءل

درجات القرب دونها وها نحن نشرح علمه في أربعة أبواب **الباب الأول** في وجوب
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفضيلته **الباب الثاني** في أركانه وشروطه **الباب الثالث**
في مجاريه وبيان المنكرات المألوفة في العادات **الباب الرابع** في أمر الأمراء والسلاطين
بالمعروف ونهيهم عن المنكر **الباب الأول** في وجوب الأمر بالمعروف وفضيلته والنهي عن
المنكر والمذمة في إهماله ويدل على ذلك بعد إجماع الأمة عليه وإشارات العقول السليمة إليه الآيات
والأخبار والآثار أما الآيات فقوله تعالى ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف و
ينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ففي الآية بيان الإيجاب فإن قوله ولتكن أمر وظاهر الأمر
الإيجاب وفيها بيان أن الفلاح منوط به إذ حصر وقال وأولئك هم المفلحون وفيها بيان أنه
فرض كفاية لا فرض عين وأنه إذا قام به البعض سقط الفرض عن الباقين إذ لم يقل كونوا
كلكم آمرين بالمعروف بل قال ولتكن منكم أمة فإذا مهما قام به واحد أو جماعة سقط
الحرج عن الآخرين واختص الفلاح بالقائمين به المباشرين وإن تقاعد عنه الخلق أجمعون عم
الحرج كافة القادرين عليه لا محالة وقال تعالى ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون
آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين فلم يشهد لهم بالصلاح بمجرد الإيمان بالله واليوم الآخر حتى
أضاف إليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض
يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة فقد نعت المؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون
عن المنكر فالذي هجر الأمر بالمعروف خارج عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين في هذه الآية وقال تعالى لعن الذين
كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن
منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون وهذا غاية التشديد إذ علق استحقاقهم اللعنة بتركهم النهي عن المنكر وقال تعالى
كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وهذا يدل على فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
وقال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا
يفسقون فبين أنهم استفادوا النجاة بالنهي عن السوء ويدل ذلك على الوجوب أيضا وقال تعالى الذين إن مكناهم في
الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فقرن ذلك بالصلاة والزكاة في نعت الصالحين
والمؤمنين وقال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان وهذا أمر جزم ومعنى التعاون
الحث عليه وتسهيل طرق الخير وسد سبل الشر والعدوان بحسب الإمكان وقال تعالى لولا ينهاهم الربانيون
والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون فبين أنهم أثموا بترك النهي وقال تعالى فلولا
كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين
بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين وذلك هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للوالدين و
الأقربين وقال تعالى لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل
ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما وقال تعالى وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا الآية
والإصلاح نهي عن البغي وإعادة إلى الطاعة فإن لم يفعل فقد أمر الله بقتاله فقال تعالى فقاتلوا التي تبغي وذلك هو النهي
عن المنكر وأما الأخبار فمنها ما روي عن أبي بكر الصديق أنه قال في خطبة خطبها أيها
الناس إنكم تقرؤون هذه الآية وتؤولونها على خلاف تأويلها يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل
إذا اهتديتم وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر أن ينكر
عليهم فلم يفعل إلا يوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده وروي عن أبي ثعلبة الخشني أنه سأل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى لا يضركم من ضل إذا اهتديتم فقال يا أبا ثعلبة مر بالمعروف وانه
عن المنكر فإذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك

ودع عنك امر العوام فان من ورائكم فتنا كقطع الليل المظلم للمتمسك فيها بمثل ما انتم عليه اجر خمسين منكم
قيل بل منهم يا رسول الله قال لا بل منكم لانكم تجدون على الخير اعوانا ولا يجدون عليه اعوانا وسئل
ابن مسعود عن تفسير هذه الاية فقال ان هذا ليس بزمانها انها اليوم مقبولة ولكن
قد اوشك ان ياتي زمانها فقال ان هذا ليس بزمانها انها اليوم مقبولة ولكن قد اوشك ان ياتي
زمانها تامرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا وتقولون فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم انفسكم لا يضركم
من ضل اذا اهتديتم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر
او ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم معناه تسقط مهابتهم عن اعين الاشرار
فلا يخافونهم وقال صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس ان الله تعالى يقول لتامرن بالمعروف ولتنهون
عن المنكر قبل ان تدعوا فلا يستجاب لكم وقال صلى الله عليه وسلم ما اعمال البر عند الجهاد في
سبيل الله الا كنفثة في بحر لجي وما جميع اعمال البر والجهاد في سبيل الله عند الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر الا كنفثة في بحر وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ليسال العبد ما منعك اذ رايت
المنكر ان تنكره فاذا لقن الله العبد حجته قال يا رب وثقت بك وفرقت من الناس وقال
صلى الله عليه وسلم اياكم والجلوس على الطرقات قالوا ما لنا بد انما هي مجالسنا نتحدث فيها قال فاذا
ابيتم الا ذلك فاعطوا الطريق حقه قالوا وما حق الطريق قال غض البصر وكف الاذى ورد السلام
والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال صلى الله عليه وسلم كلام ابن ادم كله عليه لا له الا امر بمعروف
او نهي عن منكر او ذكر الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لا يعذب الخاصة بذنوب العامة
حتى يرى المنكر بين اظهرهم وهم قادرون على ان ينكروه فلا ينكروه وروى ابو امامة الباهلي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال كيف انتم اذا طغى نساؤكم وفسق شبابكم وتركتم جهادكم قالوا وان
ذلك لكائن يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده واشد منه سيكون قالوا وما اشد منه
يا رسول الله قال كيف انتم اذا لم تامروا بالمعروف ولم تنهوا عن منكر قالوا وكائن ذلك يا رسول
الله قال نعم ... يقول الله عز وجل بي حلفت لابعثن عليهم فتنة يصير الحليم فيها حيران وعن عكرمة
عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقفن عند رجل يقتل مظلوما فان اللعنة
تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه وقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لامرئ شهد مقاما فيه حق الا
تكلم به فانه لن يقدم اجله ولن يحرمه رزقا هو له وهذا الحديث يدل على انه لا يجوز دخول دور
الظلمة والفسقة وحضور المواضع التي يشاهد المنكر فيها ولا يقدر على تغييره فانه قال اللعنة تنزل على
من حضره ولا يجوز له مشاهدة المنكر من غير حاجة اعتذارا بانه عاجز ولهذا اختار جماعة
من السلف العزلة لمشاهدتهم المنكرات في الاسواق والاعياد والمجامع وعجزهم عن التغيير وهذا
يقتضي لزوم الهجر للخلق ولهذا قال عمر بن عبد العزيز ما ساح السواح وخلوا دورهم و
اولادهم الا بمثل ما نزل بنا حين راوا الشر قد ظهر والخير قد اندرس وراوا انه لا يقبل ممن
تكلم وراوا الفتن ولم يامنوا ان تعتريهم وان ينزل العذاب باولئك القوم فلا يسلمون منه فراوا
ان مجاورة السباع واكل البقول خير من مجاورة هؤلاء في نعيمهم ثم قرا ففروا الى الله اني لكم منه
نذير مبين قال ففر قوم فلولا ما جعل الله جل ثناؤه في النبوة من السر لقلنا ما هم بافضل من هؤلاء فيما بلغنا
ان الملائكة لتلقاهم وتصافحهم والسحاب والسباع تمر باحدهم فيناديها فتجيبه ويسالها اين
امرت فتخبره وليس بنبي وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حضر معصية
فكرهها فكانه غاب عنها ومن غاب عنها فاحبها فكانه حضرها ومعنى الحديث ان يحضر لحاجة
او يتفق جريان ذلك بين يديه فاما الحضور قصدا فممنوع بدليل الحديث الاول وقال
ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بعث الله نبيا قط الا وله حواري فيمكث النبي

بين اظهرهم ما شاء الله يعمل فيهم بكتاب الله وبامره حتى اذا قبض الله تعالى نبيه مكث
الحواريون يعملون بكتاب الله وبامره وبسنة نبيهم فاذا انقرضوا كان من بعدهم قوم
يركبون رؤس المنابر يقولون ما يعرفون ويعملون ما ينكرون فاذا رايتم ذلك فحق على كل مؤمن
جهادهم بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وليس وراء ذلك
اسلام وقال ابن مسعود كان اهل قرية يعملون بالمعاصي فكان فيهم اربعة نفر
ينكرون ما يعملون فقام احدهم فقال انكم تعملون كذا وكذا فجعل ينهاهم ويخبرهم بقبيح ما
يصنعون فجعلوا يردون عليه ولا يرعوون عن اعمالهم فسبهم فسبوه وقاتلهم فغلبوه
فاعتزل ثم قال اللهم اني قد نهيتهم فلم يطيعوني وسببتهم فسبوني وقاتلتهم
فغلبوني ثم ذهب فقام الاخر فنهاهم فلم يطيعوه فسبهم فسبوه فاعتزل ثم قال
اللهم اني قد نهيتهم فلم يطيعوني وسببتهم فسبوني ولو قاتلتهم لغلبوني ثم قام
الثالث فنهاهم فلم يطيعوه فاعتزلهم ثم قال اللهم اني قد نهيتهم فلم يطيعوني ولو
سببتهم لسبوني ولو قاتلتهم لغلبوني ثم قام الرابع فقال اللهم اني لو نهيتهم
عصوني ولو سببتهم لسبوني ولو قاتلتهم غلبوني ثم ذهب قال ابن مسعود كان
الرابع ادناهم منزلة وقليل فيهم مثله وقال ابن عباس قيل يا رسول الله اتهلك القرية
وفيها الصالحون قال نعم قيل بم يا رسول الله قال بتهاونهم وسكوتهم عن معاصي الله
وقال جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوحى الله تعالى الى ملك
من الملائكة ان اقلب مدينة كذا وكذا على اهلها فقال ان فيها عبدك فلانا لم يعصك
طرفة عين فقال اقلبها عليه وعليهم فان وجهه لم يتمعر في ساعة قط وقالت عائشة
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عذب اهل قرية فيها ثمانية عشر الفا عملهم عمل الانبياء
قالوا كيف يا رسول الله قال كانوا لا يغضبون لله ولا يامرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر
وعن عروة عن ابيه قال قال موسى عليه السلام يا رب اي عبادك احب اليك قال الذي يسرع
الى هواي كما يسرع النسر الى هواه والذي يكلف بعبادي الصالحين كما يكلف الصبي بالثدي والذي
يغضب اذا اتيت محارمي كما يغضب النمر لنفسه فانه لم يبال قل الناس او كثروا وهذا يدل على فضيلة
الحسبة مع شدة الخوف وقال ابو ذر الغفاري قال ابو بكر الصديق يا رسول
الله هل من جهاد غير قتال المشركين فقال نعم يا ابا بكر ان لله مجاهدين في الارض افضل من
الشهداء احياء مرزوقين يمشون على الارض يباهي الله بهم ملائكة السماء وتزين لهم الجنة
كما تزينت ام سلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر ومن هم يا رسول الله قال هم الامرون
بالمعروف والناهون عن المنكر والمحبون في الله والمبغضون في الله والذي نفسي بيده ان العبد
منهم ليكون في الغرفة فوق الغرفات فوق غرف الشهداء للغرفة منها ثلاثمائة الف باب
منها الياقوت والزمرد الاخضر على كل باب نور وان الرجل منهم ليزوج بثلاثمائة الف
حوراء قاصرات الطرف عين كلما التفت الى واحدة منهن فنظر اليها تقول له اتذكر يوم
كذا وكذا امرت بالمعروف ونهيت عن المنكر وقال ابو عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله
اي الشهداء اكرم على الله قال رجل قام الى وال جائر فامره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله
فان لم يقتله فان القلم لا يجري عليه بعد ذلك وان عاش ما عاش وقال الحسن البصري
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الشهداء من امتي رجل قام الى امام جائر
فامره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك فذلك الشهيد منزلته في الجنة بين حمزة

وجعفر وقال عمر بن الخطاب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بئس القوم قوم لا يامرون
بالقسط وبئس القوم قوم لا يامرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر واما الآثار فقد قال ابو
الدرداء لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما لا يجل كبيركم
ولا يرحم صغيركم ويدعوا عليه خياركم فلا يستجاب لهم وتستنصرون فلا تنصرون وتستغفرون فلا
يغفر لكم وسئل حذيفة عن ميت الاحياء فقال الذي لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه
ولا بقلبه وقال مالك بن دينار كان حبر من احبار بني اسرائيل يغشى منزله الرجال والنسا
يعظهم ويذكرهم بايام الله فراى بعض بنيه يوما يغمز امراة فقال مهلا يا بني مهلا قال فـ
سقط من سريره فانقطع نخاعه واسقطت امراته وقتل بنوه في الجيش فاوحى الله تعالى الى نبي
زمانه ان اخبر فلان الحبر اني لا اخرج من صلبك صديقا ابدا اما كان من غضبك لي الا ان
قلت مهلا يا بني مهلا وقال حذيفة ياتي على الناس زمان لان يكون فيهم جيفة حمار احب
اليهم من مومن يامرهم وينهاهم واوحى الله تعالى الى يوشع بن نون اني مهلك من قومك
اربعين الفا من خيارهم وستين الفا من شرارهم فقال يا رب هولاء الاشرار فما بال الاخيار فقال
انهم لم يغضبوا لغضبي وواكلوهم وشاربوهم وقال بلال بن سعد ان المعصية اذا اخفيت
لم تضر الا صاحبها فاذا اعلنت فلم تغير اضرت بالعامة وقال كعب الاحبار لابي مسلم الخولاني
كيف منزلتك من قومك قال حسنة قال كعب ان التورية لتقول غير ذلك قال وما تقول قال تقول
ان الرجل اذا امر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه فقال صدقت التورية وكذب
ابو مسلم وكان عبد الله بن عمر ياتي العمال ثم قعد عنهم فقيل له لو اتيتهم فلعلهم يجدوا في
انفسهم قال ارهب ان تكلمت ان يروا ان الذي بي غير الذي بهم وان سكت رهبت ان اثم
وهذا يدل على ان من عجز عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فعليه ان يبعد عن ذلك الموضع و
يستتر عنه حتى لا يجري بمشهد منه وقال علي بن ابي طالب اول ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد
بايديكم ثم الجهاد بالسنتكم ثم الجهاد بقلوبكم فاذا لم يعرف القلب المعروف ولم ينكر المنكر نكس
فجعل اعلاه اسفله وقال سهل بن عبد الله ايما عبد عمل في شيء من دينه بما امر به او نهي عنه
عند فساد الامور وتشويش الزمان فهو ممن قد قام لله في زمانه بالامر بالمعروف والنهي
عن المنكر معناه انه اذا لم يقدر الا على نفسه فقام بحق الله وانكر حال الغير بقلبه فقد جاء بما هو الغاية
في حقه وقيل للفضيل الا تامر وتنهى فقال ان قوما امروا ونهوا فكفروا وذلك انهم لم
يصبروا على ما اصيبوا وقيل للثوري الا تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر فقال اذا انبثق البحر
فمن يقدر ان يسكره فقد ظهر بهذه الادلة ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب وان فرضه
لا يسقط مع القدرة الا بقيام قائم به فلنذكر الان شروطه وشروط وجوبه

الباب الثاني في اركان الامر بالمعروف وشروطه

اعلم ان الاركان في الحسبة التي هي عبارة شاملة للامر
بالمعروف والنهي عن المنكر اربعة المحتسب والمحتسب عليه والمحتسب فيه ونفس الاحتساب
فهذه اربعة اركان ولكل واحد منها شروط الركن الاول المحتسب وله شروط
وهو ان يكون مكلفا مسلما قادرا فيخرج المجنون والصبي والكافر ويدخل فيه احاد الرعايا وان لم
يكونوا ماذونين ويدخل فيه الفاسق والرقيق والمراة فلنذكر وجه اشتراط ما اشترطناه ووجه
اطراح ما اطرحناه اما الشرط الاول وهو التكليف فلا يخفى وجه اشتراطه فان غير المكلف لا يلزمه
امر وما ذكرناه اردنا به انه شرط الوجوب فاما امكان الفعل وجوازه فلا يستدعي الا العقل
حتى ان الصبي المراهق للبلوغ المميز وان لم يكن مكلفا فله انكار المنكر وله ان يريق الخمر ويكسر

الملاهي واذا فعل ذلك نال به ثوابا ولم يكن لاحد منعه من حيث انه ليس بمكلف فان هذه قربة
وهو من اهلها كالصلاة والامامة فيها وسائر القربات وليس حكمه حكم الولايات حتى يشترط
فيه التكليف ولذلك اثبتناه للعبد واحاد الرعية نعم في المنع بالفعل وابطال المنكر نوع ولاية
وسلطنة ولكنها تستفاد بمجرد الايمان كقتل المشرك وابطال اسبابه وسلب سلاحه فان
للصبي ان يفعل ذلك حيث لا يستضر به فالمنع عن الفسق كالمنع عن الكفر واما الشرط الثاني
وهو الايمان فلا يخفى وجه اشتراطه لان هذه نصرة الدين فكيف يكون من اهله من هو جاحد
لاصل الدين وعدو له واما الشرط الثالث وهو العدالة فقد اعتبرها قوم وقالوا ليس للفاسق
ان يحتسب وربما استدلوا فيه بالنكير الوارد على من يامر بما لا يفعله مثل قوله اتامرون
الناس بالبر وتنسون انفسكم وقوله كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وما روي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال مررت ليلة اسري بي بقوم تقرض شفاههم
بمقاريض من نار فقلت من انتم فقالوا كنا نامر بالخير ولا ناتيه وننهى عن الشر
وناتيه وبما روي ان الله تعالى اوحى الى عيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان
اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وربما استدلوا من طريق القياس بان هداية الغير
فرع للاهتدا وكذلك تقويم الغير فرع للاستقامة والاصلاح زكاة عن نصاب الصلاح
فمن ليس بصالح في نفسه كيف يصلح غيره ومتى يستقيم الظل والعود اعوج وكل ما ذكروه
خيالات وانما الحق ان للفاسق ان يحتسب وبرهانه هو ان نقول هل يشترط في الاحتساب
ان يكون متعاطيه معصوما عن المعاصي كلها فان شرط ذلك فهو خرق للاجماع ثم حسم لباب
الاحتساب اذ لا عصمة للصحابة فضلا عمن دونهم والانبيا قد اختلف في عصمتهم عن
الخطايا والقران دال على نسبة ادم الى المعصية وكذا جماعة من الانبيا ولهذا
قال سعيد بن جبير لو لم يامر بالمعروف ولم ينه عن المنكر الا من لا يكون فيه شيء لم يامر احد
بشيء فاعجب مالكا ذلك من سعيد بن جبير وان زعم ان ذلك لا يشترط عن الصغائر حتى يجوز
للابس الحرير ان يمنع من الزنا وشرب الخمر فنقول وهل لشارب الخمر ان يغزو الكفار ويحتسب
عليهم بالمنع من الكفر فان قالوا لا خرقوا الاجماع اذ جنود المسلمين لم تزل مشتملة على البر
والفاجر وشارب الخمر وظالم الايتام ولم يمنعوا من الغزو لا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا بعده فان قالوا نعم فنقول شارب الخمر هل له المنع من القتل ام لا فان قالوا لا قلنا فما الفرق
بينه وبين لابس الحرير اذ جاز له المنع من القتل ام لا فان قالوا لا قلنا فما الفرق بينه وبين لابس
الحرير اذ جاز له المنع من الخمر والقتل كبيرة بالنسبة الى الشرب كالشرب بالنسبة الى لبس الحرير فلا فرق
وان قالوا نعم وفصلوا الامر فيه وقالوا كل من تعاطى منكرا لا يمنع من مثله ولا عما دونه وانما
يمنع عما فوقه فهذا تحكم فانه كما لا يبعد ان يمنع الشارب من الزنا والقتل فمن اين يبعد ان
يمنع الزاني من الشرب بل من اين يبعد ان يشرب ويمنع غلمانه من الشرب ويقول يجب علي
الانتهاء والنهي فمن اين يلزم من العصيان باحدهما ان اعصي الله تعالى بالثاني واذا كان
النهي واجبا علي فمن اين يسقط وجوبه باقدامي اذ يستحيل ان يقال يجب النهي عن شرب الخمر على
من لم يشرب فاذا شرب سقط عنه النهي فان قيل فيلزم على هذا ان يقول القائل الواجب علي
الوضوء والصلاة فانا اتوضا وان لم اصل واتسحر وان لم اصم لان المستحب لي السحور والصوم جميعا
ولكن تعلق احدهما مرتب على الآخر وكذلك تقويم الغير مرتب على تقويمه نفسه فليبدا بنفسه
ثم بمن يعول فالجواب ان التسحر يراد للصوم ولولا الصوم لما كان التسحر مستحبا وما يراد لغيره
لا ينفك عن ذلك الغير واصلاح الغير لا يراد لاصلاح النفس ولا اصلاح النفس لاصلاح الغير

فالقول يترتب أحدهما عن الآخر فكذلك الوضوء والصلاة فهو لازم فلا جرم من توضأ ولم يصل كان مأمورا بأمر الوضوء وكان عقابه أقل ممن تركه ترك الوضوء والصلاة جميعا فليكن من ترك النهي والانتهاء أكثر عقابا ممن نهى عنه ولم ينته كيف والوضوء شرط لا يراد لنفسه بل للصلاة فلا حكم له دون الصلاة فأما الحسبة فليس شرطها في الانتهاء والائتمار فلا مشابهة بينهما فإن قيل فيلزم على هذا أن يقال إذا زنا الرجل بامرأة وهي مكرهة مستورة الوجه فكشفت وجهها باختيارها فأخذ الرجل يحتسب في أثناء الزنا ويقول أنت مكرهة في الزنا ومختارة في كشف الوجه لغير محرم وها أنا غير محرم لك فاستري وجهك فهذا احتساب شنيع يستنكره قلب كل عاقل ويستشنعه كل طبع سليم والجواب أن الحق قد يكون شنيعا والباطل قد يكون مستحسنا بالطباع والمتبع الدليل دون نفرة الأوهام والخيالات فإنا نقول قوله لها في تلك الحالة لا تكشفي وجهك واجب أو مباح أو حرام فإن قلتم إنه واجب فهو الغرض لأن الكشف معصية والنهي عن المعصية حق وإن قلتم مباح فإذا له أن يقول ما هو مباح فما معنى قولكم ليس للفاسق الحسبة وإن قلتم حرام فنقول إنه كان هذا واجبا فمن أين حرم بإقدامه على الزنا ومن الغريب أن يصير الواجب حراما بسبب ارتكاب الحرام وأما نفرة الطباع عنه واستنكارها له فهو لسببين أحدهما أنه ترك الأهم واشتغل بما هو مهم وكما أن الطباع تنفر عن ذلك المهم إلى ما لا يعني فتنفر أيضا عن ترك الأهم والاشتغال بالمهم كما تنفر عمن يتحرج عن تناول الطعام المغصوب وهو مواظب على الربا وكما تنفر عمن يتصاون عن الغيبة ويشهد بالزور لأن الشهادة بالزور أفحش وأشد من الغيبة التي هي إخبار عن كائن يصدق فيه المخبر وهذا الاستبعاد في النفوس لا يدل على أن ترك الغيبة ليس بواجب وأنه لو اغتاب وأكل لقمة من حرام لم تزد بذلك عقوبته وكذلك ضرره في الآخرة في معصيته أكثر من ضرره بمعصية غيره فاشتغاله بالأقل عن الأكثر مستنكر في الطبع من حيث إنه ترك الأكثر لا من حيث إنه أتى بالأقل فمن غصب فرسا ولجام فرسه فاشتغل بطلب اللجام وترك الفرس نفرت منه الطباع ويرى مسيئا وقد صدر منه طلب اللجام وهو غير منكر وترك طلب الفرس وهو منكر وانصرافه عن الفرس إلى اللجام وهو منكر وشدة الإنكار في هذا الثالث فكذلك حسبة الفاسق يستبعد من هذا الوجه وهذا لا يدل على أن حسبته من حيث إنها حسبة مستنكرة الثاني أن الحسبة تارة تكون بالنهي بالوعظ وتارة بالقهر ولا ينجع وعظ من لا يتعظ أولا ونحن نقول من علم أن قوله لا يقبل في الحسبة لعلم الناس بفسقه فليس عليه الحسبة بالوعظ إذ لا فائدة في وعظه فالفسق يؤثر في إسقاط فائدة الوعظ ثم إذا سقطت فائدة كلامه سقط وجوب الكلام فأما إذا كانت الحسبة بالمنع فالمراد منه القهر وتمام القهر أن يكون بالفعل والحجة جميعا وإن كان فاسقا فإن قهر بالفعل فقد قهر بالحجة إذ يتوجه عليه أن يقال فأنت لم تقدم عليه فتنفر الطباع من قهره بالفعل مع كونه مقهورا بالحجة وذلك لا يخرج الفعل عن كونه حقا كما أن من يذب الظالم عن آحاد المسلمين ويهمل أباه وهو مظلوم معهم تنفر الطباع عنه ولا يخرج دفعه عن المسلم عن كونه حقا فخرج من هذا أن الفاسق ليس عليه الحسبة بالوعظ على من يعرف فسقه لأنه لا يتعظ وإذا لم يكن عليه ذلك وعلم أنه يفضي إلى تطويل اللسان في عرضه بالإنكار فنقول ليس له ذلك أيضا فرجع الكلام إلى أحد نوعي الاحتساب وهو الوعظ فقد بطل بالفسق وصارت العدالة مشروطة فيه وأما الحسبة القهرية فلا يشترط فيها ذلك فلا

تنفر

حجر على الفاسق في إراقة الخمور وكسر الملاهي وغيرها إذا قدر عليه وهذا غاية الإنصاف والكشف في المسألة وأما الآيات التي استدلوا بها فهي إنكار عليهم من حيث تركهم المعروف لا من حيث أمرهم به ولكن أمرهم دل على قوة علمهم وعقاب العالم أشد لأنه لا عذر له مع قوة علمه وقوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون المراد به الوعد الكاذب وقوله وتنسون أنفسكم إنكار من حيث إنهم نسوا أنفسهم لا من حيث إنهم أمروا غيرهم ولكن ذكر أمر الغير استدلالا به على علمهم وتأكد الحجة عليهم وقوله يا ابن مريم عظ نفسك الحديث هو في الحسبة بالوعظ وقد سلمنا أن وعظ الفاسق ساقط الجدوى عند من يعرف فسقه ثم قوله فاستحي مني لا يدل على تحريم وعظ الغير بل معناه استحي مني فلا تترك الأهم وتشتغل بالمهم كما يقال احفظ أباك ثم جارك وإلا فاستحي فإن قيل فليجز للكافر الذمي أن يحتسب على المسلم إذا رآه يزني لأن قوله لا تزن حق في نفسه فمحال أن يكون حراما عليه بل ينبغي أن يكون مباحا أو واجبا قلنا الكافر إن منع المسلم بفعله فهو تسلط عليه فيمنع من حيث إنه تسلط وما جعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا وأما مجرد قوله لا تزن فليس بمحرم عليه من حيث إنه نهي عن الزنا ولكن من حيث إنه إظهار دالة الاحتكام على المسلم وفيه إذلال للمحتكم عليه والفاسق يستحق الإذلال ولكن لا من الكافر الذي هو أولى بالذل منه فهذا وجه منعنا إياه من الحسبة وإلا فلسنا نقول إن الكافر يعاقب بسبب قوله لا تزن من حيث إنه نهي بل نقول إذا لم يقل لا تزن يعاقب عليه إذا رأينا خطاب الكفار بفروع الدين وفيه نظر استوفيناه في الفقهيات وليس يليق بغرضنا الآن **الشرط الرابع** كونه مأذونا من جهة الإمام والوالي فقد شرط قوم هذا الشرط ولم يثبتوا للآحاد من الرعية الحسبة وهذا الاشتراط فاسد فإن الآيات والأخبار التي رويناها تدل على أن كل من رأى منكرا فسكت عليه عصى إذ يجب نهيه أينما رآه وكيفما رآه على العموم فالتخصيص بشرط التفويض من الإمام تحكم لا أصل له والعجب أن الروافض زادوا على هذا فقالوا لا يجوز الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما لم يخرج الإمام المعصوم وهو الإمام الحق عندهم وهؤلاء أخس رتبة من أن يكلموا بل جوابهم أن يقال لهم إذا جاءوا إلى القضاء طالبين لحقوقهم في دمائهم وأموالهم إن نصرتكم أمر بالمعروف واستخراج حقوقكم من أيدي من ظلمكم نهي عن المنكر وطلبكم لحقكم من جملة المعروف وما هذا زمان النهي عن الظلم وطلب الحقوق لأن الإمام الحق بعد لم يخرج فإن قيل في الأمر بالمعروف إثبات سلطنة وولاية واحتكام على المحكوم عليه ولذلك لم يثبت للكافر على المسلم مع كونه حقا فينبغي أن لا يثبت لآحاد الرعية إلا بتفويض من الوالي وصاحب الأمر فنقول أما الكافر فممنوع لما فيه من السلطنة وعز الاحتكام والكافر ذليل لا يستحق أن ينال عز التحكم على المسلم وأما آحاد المسلمين فيستحقون هذا العز بالدين والمعرفة وما فيه من عز السلطنة والاحتكام لا يحوج إلى تفويض كعز التعليم والتعريف إذ لا خلاف في أن تعريف التحريم والإيجاب لمن هو جاهل ومقدم على المنكر بجهله لا يحتاج إلى إذن الوالي وفيه عز الإرشاد وعلى المعرف ذل التجهيل وذلك يكفي مجرد الدين فيه وكذلك النهي وشرح القول في هذا أن للحسبة خمس مراتب كما سيأتي بيانه أولها التعريف والثاني الوعظ بالكلام اللطيف والثالث السب والتعنيف ولست أعني بالسب الفحش بل أن يقول يا جاهل يا أحمق ألا تخاف من الله والرابع المنع بالقهر بطريق المباشرة ككسر الملاهي وإراقة الخمر واختطاف الثوب الحرير من لابسه واستلاب المنهي بل

المغصوب منه ورده على صاحبه الخامس التخويف والتهديد بالضرب او مباشرة الضرب له
حتى يمتنع عنه كالمواظب على الغيبة والقذف فان سلب لسانه غير ممكن ولكن يحمل على اختيار
السكوت بالضرب وهذا قد يحوج الى استعانة وجمع اعوان من الجانبين ويجر الى قتال وسائر
المراتب لا يخفى وجه استغنائها عن اذن الامام الا المرتبة الخامسة فان فيها نظر سيأتي في
بيانه اما التعريف والوعظ فكيف يحتاج الى اذن الامام واما التجهيل والتحمق والنسبة
الى الفسق وقلة الخوف من الله تعالى وما يجري مجراه فهو كلام صدق والصدق مستحق
بل افضل الدرجات كلمة حق عند امام جائر كما ورد في الحديث فاذا جاز الحكم على
الامام على مراغمته فكيف يحتاج الى اذنه فكذلك كسر الملاهي وشرب الخمر وتعاطاه مما
يعرف كونه حقا من غير اجتهاد فلم يفتقر الى الامام واما جمع الاعوان وشهر الاسلحة فذلك قد
يجر الى فتنة عامة ففيه نظر سياتي واستمرار عادات السلف على الحسبة على الولاة قاطع باجماعهم
عن الاستغناء عن التفويض بل كل من امر بالمعروف فان امر او نهي عن المنكر فان فيه فان لم
يستطع فيقتل فان كان الوالي راضيا فذاك وان كان ساخطا لم تحفظ له منكر يجب الانكار عليه
فكيف يحتاج الى اذنه في الانكار عليه ويدل على ذلك عادة السلف في الانكار على الائمة كما روي
ان مروان ابن الحكم خطب قبل الصلاة في العيد فقال له رجل انما الخطبة بعد الصلاة فقال مروان
ترك ذلك يا ابا فلان فقال اما سعيد اما هذا فقد قضى ما عليه قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
من راى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك
اضعف الايمان فلقد كانوا فهموا من هذه العمومات دخول السلاطين تحته فكيف يحتاج الى
اذنهم **وروي** ان المهدي لما قدم مكة لبث ما شاء الله تعالى فلما اخذ في الطواف
نحى الناس عن البيت فوثب عبد الله ابن مرزوق فلببه بردائه ثم هزه وقال له انظر ما
تصنع من جعلك بهذا البيت احق ممن اتاه من البعد او القرب حتى اذا صار عنده حلت بينه
وبينه وقال الله تعالى سواء العاكف فيه والباد ومن جعل لك هذا فنظر في وجهه وكان يعرفه
لانه من مواليهم فقال اعبد الله بن مرزوق قال نعم فاخذ فجيء به الى بغداد فكره ان يعاقبه عقوبة
تشنع عليه بها العامة فجعله في اصطبل الدواب ليسوس الدواب وضموا اليه فرسا عضوضا
سيء الخلق ليعقره فلين الله له الفرس قال ثم صيروه الى بيت واخذ المهدي عنده المفتاح
فاذا هو قد خرج بعد ثلاث الى البستان ياكل البقل فاذن به الى المهدي فقال من اخرجك
فقال الذي حبسني قال فضج المهدي وصاح وقال ما اطلق شيا ان اقتلك فرفع عبد الله
اليه راسه يضحك وهو يقول لو كنت تملك حياة او موتا فما زال محبوسا حتى مات المهدي
ثم خلوا عنه فرجع الى مكة وكان قد جعل على نفسه نذرا ان خلصه الله من ايديهم ان ينحر
مائة بدنة فكان يعمل في ذلك حتى نحرها **وروي** عن جابر ابن عبد الله قال تنزه هرون
الرشيد بالدوس ومعه رجل من بني هاشم وهو سليمان ابن ابي جعفر فقال هرون
قد كانت لك جارية مغنية فتحسن بها قال نعم قال فغنت فلم يحمد غناءها قال ما شانك قالت
ليس هذا بعودي فقال للخادم جئنا بعودها قال فجاء بالعود فوافق شيخا يلقط
النوى فقال الطريق يا شيخ فرفع الشيخ راسه فراى العود فاخذه فضرب به الارض
فاخذه الخادم وذهب به الى صاحب الربع وقال احتفظ بهذا فانه طلبه امير المؤمنين
فقال له صاحب الربع ليس ببغداد اعبد من هذا فكيف يكون طلبه امير المؤمنين فقال

له اسمع ما اقول لك ثم دخل الى هرون فقال اني مررت على شيخ يلقط النوى فقلت
الطريق فرفع راسه فراى العود فاخذه فضرب به الارض فاستشاط وغضب واحمرت عيناه
وعيناه فقال سليمان ابن ابي جعفر ما هذا الغضب يا امير المؤمنين ابعث الى صاحب
الربع يضرب عنقه ويرمي به في الدجلة قال لا ولكن نبعث اليه نناظره اولا فجاء الرسول
فقال اجب امير المؤمنين قال نعم قال اركب قال لا فجاء يمشي حتى وقف على باب القصر
فقيل لهرون قد جاء الشيخ فقال للندماء اي شيء ترون نرفع ما قدامنا من المنكر حتى
يدفع هذا الشيخ او نقوم الى مجلس ليس فيه منكر فقالوا نقوم الى مجلس ليس فيه منكر
فنقلوا الى مجلس ليس فيه منكر ثم دخل الشيخ وفي كمه الكيس الذي فيه النوى فقال
له الخادم اطرح هذا وادخل على امير المؤمنين فقال من هذا عشائي الليلة قال نحن
نعشيك قال لا حاجة لي في عشائك فقال له هرون اي شيء تريد منه فقال في كمه نوى
قالت له اطرحه وادخل على امير المؤمنين فقال دعه لا يطرحه فدخل فسلم وجلس فقال له
هرون يا شيخ ما حملك على ما صنعت قال واي شيء صنعت فجعل يستحي هرون ان يقول
كسرت عودي فلما اكثر عليه قال اني سمعت اباك واجدادك يقرؤن هذه الاية على المنبر
ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر ورايت منكرا
فغيرته قال هرون فغيره فوالله ما قال الا هذا فلما خرج اعطى رجلا بدرة وقال اتبع الشيخ
فان رايته يقول قلت لامير المؤمنين وقال لي فلا تعطه شيا وان رايته لا يكلم احدا فاعطه
البدرة فلما خرج من القصر اذا هو بنواة في الارض قد غاصت فجعل يعالجها ولم يكلم احدا
فقال له يقول لك امير المؤمنين خذ هذه البدرة قال قل لامير المؤمنين يردها من حيث اخذ
ويروى انه اقبل بعد فراغه من كلامه على نواة يعالج قلعها من الارض وهو يقول

شعر

ارى الدنيا لمن هي في يديه •	هموما كلما كثرت عليه لديه •
تهين المكرمين لها بصغر •	وتكرم كل من هانت عليه •
اذا استغنيت عن شيء فدعه •	وخذ ما انت محتاج اليه •

وعن سفيان الثوري قال حج المهدي في سنة ست وستين ومائة فرايته يرمي جمرة
العقبة والناس يخبطون يمينا وشمالا بالسياط فوقفت فقلت يا حسن الوجه حدثنا ايمن ابن
نابل عن قدامة ابن عبد الله الكلابي قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمي جمرة العقبة
يوم النحر على جمل لا ضرب ولا طرد ولا جلد ولا اليك اليك وها انت يخبط الناس بين يديك
يمينا وشمالا فقال لرجل من هذا قال سفيان الثوري فقال يا سفيان لو كان المنصور
ما احتملك على هذا فقلت لو اخبرك المنصور بما لقي لاقصرت عما انت فيه قال فقيل له
انه قال لك يا حسن الوجه ولم يقل لك يا امير المؤمنين فقال اطلبوه فطلب سفيان فاختفى
وقد روي عن المامون انه بلغه ان رجلا محتسبا يمشي في الناس يامرهم بالمعروف و
ينهاهم عن المنكر ولم يكن مامورا من عنده بذلك فامر بان يدخل عليه فلما صار بين يديه
قال له انه بلغني انك رايت نفسك اهلا للامر بالمعروف من غير ان نامرك وكان المامون
جالسا على كرسي قد نظر في كتاب وقد وضعه فغفل فوقع منه فصار تحت قدمه من حيث لم
يشعر فقال المحتسب ارفع قدمك عن اسماء الله تعالى ثم قل ما شئت فلم يفهم المامون
مراده فقال ماذا تقول فاعاده ثلاثا فلم يفهم فقال اما رفعت واما ان تاذن لي حتى ارفع
فقال فنظر المامون تحت قدمه فراى الكتاب فاخذه وقبله وخجل ثم عاد

وقال لم تامر بالمعروف وقد جعل الله ذلك الينا اهل البيت ونحن الذين قال الله فيهم
الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فقال
صدقت يا امير المومنين انت كما وصفت نفسك من السلطان والتمكين غير انا اعوانك
واولياؤك في ذلك لا ينكر ذلك الا من جهل كتاب الله وسنة رسوله قال الله تعالى والمومنون
والمومنات بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف الاية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
المومن للمومن كالبنيان يشد بعضه بعضا وقد مكنت في الارض فهذا كتاب الله وسنة رسوله
فان انقدت لهما شكرت لمن اعانك بحرمتهما وان استكبرت عنهما ولم تنقد لما لزمك
منهما فان الذي اليه امرك وبيده عزك وذلك قد شرط انه لا يضيع اجر من احسن عملا
فقال الان ما شئت فقال فاعجب المامون بكلامه وسر به وقال مثلك يجوز له ان يامر
بالمعروف فامض على ما كنت عليه بامرنا وعن راينا فاستمر الرجل عليه ففي سياق هذه
الحكايات بيان الدليل على الاستغناء عن الاذن فان قيل اتثبت ولاية الحسبة للولد
على الوالد والعبد على السيد والزوجة على الزوج والتلميذ على الاستاد والرعية على الوالي
مطلقا كما يثبت للوالد على الولد والسيد على العبد والزوج على الزوجة والاستاد على التلميذ
والسلطان على الرعية او بينهما فرق فاعلم ان الذي نراه انه يثبت اصل الولاية
ولكن بينهما فرق في التفصيل ولنفرض ذلك في الولد مع الوالد فنقول قد رتبنا للحسبة خمس
مراتب وللولد الحسبة بالرتبتين الاوليين وهما التعريف ثم الوعظ والنصح باللطف وليس له
الحسبة بالرتبة الثالثة حيث تودي الى اذى الوالد وسخطه وهذه فيها نظر وهو بان يكسر مثلا
عوده ويريق خمره ويحل الخيوط عن ثيابه المنسوجة من الحرير ويرد الى الملاك ما يجده في
بيته من المال الحرام الذي غصبه او سرقه او اخذه عن ادرار رزق من ضريبة المسلمين
المعينين اذا كان صاحبه متعينا ويبطل الصور المنقوشة على حيطانه والمنقورة في خشب
بيته ويكسر اواني الذهب والفضة فان فعله في هذه الامور ليس يتعلق بذات الاب بخلاف
الضرب والسب ولكن الوالد يتاذى به ويسخط بسببه الا ان فعل الولد حق وسخط الاب
منشاه حبه للباطل والحرام والاظهر في القياس انه يثبت للولد ذلك بل يلزمه ان يفعل ذلك
ولا يبعد ان ينظر فيه الى قبح المنكر والى مقدار الاذى والسخط فان كان المنكر فاحشا وسخطه
عليه قريبا كاراقة خمر من لا يشتد غضبه فذلك ظاهر وان كان المنكر قريبا والسخط شديدا
كما لو كانت له انية من بلور او زجاج على صورة حيوان وفي كسرها خسران مال كثير فهذا
كله محل النظر فان قيل ومن اين قلتم ليس له الحسبة بالتعنيف والضرب والارهاق
الى ترك الباطل والامر بالمعروف في الكتاب والسنة ورد عاما من غير تخصيص واما النهي عن
التافيف والايذاء فقد ورد وهو خاص فيما لا يتعلق بارتكاب المنكرات فنقول قد ورد في حق
الاب على الخصوص ما يوجب الاستثناء من العموم اذ لا خلاف في ان الجلاد ليس له ان يقتل
اباه في الزنا ولا ان يباشر اقامة الحد عليه بل لا يباشر قتل ابيه الكافر بل لو قطع يده لم
يلزمه قصاص ولم يكن له ان يوذيه في مقابلته فقد ورد في ذلك اخبار وثبت بعضها
بالاجماع واذا لم يجز له ايذاؤه بعقوبة وهو حق على جناية سابقة ولا يجوز له ايذاؤه
بعقوبة وهو حق على جناية سابقة فلا يجوز له ايذاؤه بعقوبته هي منع عن جناية
مستقبلة متوقعة بل اولى وهذا الترتيب ايضا ينبغي ان يجري في العبد والزوجة

مع السيد والزوج فهما قريبان من الولد في لزوم الحق وان كان ملك اليمين
اكد من ملك النكاح ولكن في الخبر انه لو جاز السجود لمخلوق لامرت المراة ان
تسجد لبعلها وهذا ايضا يدل على تاكد الحق ايضا واما الرعية مع السلطان فالامر فيه
اشد من الولد فليس لها معه الا التعريف والنصح فاما المرتبة الثالثة ففيها نظر من حيث
ان الهجوم على اخذ الاموال من خزانته وردها الى الملاك وعلى تحليل الخيوط من ثيابه الحرير
وكسر الخمور في بيته يكاد يفضي الى خرق هيبته واسقاط حشمته وذلك محذور ورد الشرع
بالنهي عنه كما ورد بالنهي عن السكوت على المنكر فقد تعارض فيه ايضا محذوران والامر فيه
موكول الى اجتهاد منشاه النظر في تفاحش المنكر ومقدار ما يسقط من حشمته بسبب
الهجوم عليه وذلك مما لا يمكن ضبطه واما التلميذ والاستاد فالامر فيما بينهما اخف
لان المحترم هو الاستاد المفيد للعلم من حيث الدين ولا حرمة لعالم لا يعمل بعلمه فله
ان يعامله بموجب علمه الذي تعلمه منه وروي انه سيل الحسن عن الولد كيف يحتسب على
والده فقال يعظه ما لم يغضب فاذا غضب سكت عنه **الشرط الخامس** كونه قادرا
ولا يخفى ان العاجز ليس عليه حسبة الا بقلبه اذ كل من احب الله تعالى فكره معاصيه و
ينكرها قال ابن مسعود جاهدوا الكفار بايديكم فان لم تستطيعوا الا ان تكفهروا
في وجوههم فافعلوا واعلم انه لا يقف سقوط الوجوب على العجز الحسي بل يلتحق به ما
يخاف عليه مكروها يناله فذلك في معنى العجز وكذلك اذا لم يخف مكروها ولكن علم ان انكاره
لا ينفع فليلتفت الى معنيين احدهما عدم افادة الانكار امتناعا والاخر خوف مكروه ويحصل
من اعتبار المعنيين اربعة احوال احدها ان يعلم انه لا ينفع كلامه ويضرب ان تكلم فلا تجب
عليه الحسبة بل ربما تحرم في بعض المواضع نعم يلزمه ان لا يحضر مواضع المنكر ويعتزل في
بيته حتى لا يشاهد ولا يخرج الا لحاجة مهمة او واجب ولا يلزمه مفارقة تلك البلدة والهجرة
الا اذا كان يرهق الى الفساد او يحمل على مساعدة السلاطين في الظلم والمنكرات فيلزمه
الهجرة ان قدر عليها فان الاكراه لا يكون عذرا في حق من يقدر على الهرب من الاكراه الحالة
الثانية ان ينتفي المعنيان بان يعلم ان المنكر يزول بقوله وفعله ولا يقدر له على مكروه
فيجب وهو القدرة المطلقة الثالثة ان يعلم انه لا يفيد انكاره ولكنه لا يخاف مكروها فلا تجب
الحسبة لعدم فائدتها ولكن تستحب لاظهار شعائر الاسلام وتذكير الناس بامر الدين **الحالة**
الرابعة عكس هذه وهي ان يعلم انه يصاب بمكروه ولكن يبطل المنكر بفعله كما يقدر على ان يرمي
زجاجة الفاسق بحجر فيكسرها ويريق الخمر او يضرب العود الذي في يده ضربة مختطفة
فيكسره في الحال ويعطل عليه هذا المنكر ولكن يعلم انه يرجع اليه فيضرب راسه فهذا
ليس بواجب وليس بحرام بل هو مستحب ويدل عليه الخبر الذي اوردناه في فضل كلمة حق عند
امام جائر ولا شك في ان ذلك مظنة الخوف ويدل عليه ما روي عن ابي سليمان الداراني
انه قال سمعت من بعض الخلفاء كلاما فاردت ان انكر وعلمت اني اقتل ولم يمنعني القتل
من غير اخلاص في الفعل فان قيل فما معنى قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قلنا
لا خلاف في ان المسلم الواحد له ان يهجم على صف الكفار ويقاتل وان علم انه يقتل
وهذا ربما يظن انه مخالف لموجب الاية وليس كذلك وقد قال ابن عباس ليس التهلكة
ذلك بل ترك النفقة في طاعة الله تعالى اي من لم ينفق في ذلك فقد اهلك نفسه وقال البراء بن عازب
التهلكة هو ان يذنب الذنب ثم يقول لا يتاب علي **وقال** ابو عبيدة هو ان يذنب الذنب
ثم لا يعمل بعده خيرا حتى يهلك ولو جاز ان يقاتل الكفار حتى يقتل جاز ايضا ذلك في

الحسبة ولكن لو علم انه لا نكاية لهجومه على الكفار كالاعمى يطرح نفسه على الصف او العاجز فذلك
حرام وداخل تحت عموم اية التهلكة وانما جاز له الاقدام اذا علم انه يقاتل الى ان يقتل
او علم انه يكسر قلوب الكفار بمشاهدتهم جراته واعتقادهم في سائر المسلمين قلة المبالاة
وحبهم للشهادة في سبيل الله فتنكسر به شوكتهم فكذلك يجوز للمحتسب بل يستحب
ان يعرض نفسه للضرب والقتل اذا كان لحسبته تاثير في دفع المنكر او في كسر جاه الفاسق
او في تقوية قلوب اهل الدين فاما ان راى فاسقا متغلبا وحده وعنده سيف بيده قدح
وعلم انه لو انكر عليه لشرب القدح وضرب رقبته فهذا مما لا ارى في الحسبة وجها وهو عين
الهلاك فان المقصود من الحسبة ان يوثر في الدين اثرا ويفديه بنفسه فاما تعريض النفس
للهلاك من غير اثر فلا وجه له في الدين بل ينبغي ان يكون هذا حراما وانما يستحب له الانكار
اذا قدر على ابطال المنكر او ظهر لفعله فايدة وذلك بشرط ان تقتصر المكروه عليه
فان علم انه يضرب معه غيره من اصحابه او اقاربه او رفقايه فلا يجوز له الحسبة بل تحرم
لانه عجز عن دفع المنكر الا بان يفضي ذلك الى منكر اخر وليس ذلك من القدرة في شي بل لو
علم انه لو احتسب لبطل ذلك المنكر ولكن كان يكون سببا لمنكر اخر يتعاطاه غير المحتسب
عليه فلا يحل له الانكار على الاظهر لان المقصود عدم مناكير الشرع مطلقا لا من زيد او عمرو
وذلك بان يكون مثلا مع الانسان شراب حلال نجس بوقوع نجاسة فيه وعلم انه لو
اراقه لشرب صاحب الخمر او شرب اولاده الخمر لاعوازهم الشراب الحلال فلا معنى لاراقة ذلك
ويحتمل ان يقال انه يريق ذلك فيكون هو مبطلا للمنكر واما شرب الاخر فهو الملوم فيه
والمحتسب غير قادر على منع ذلك المنكر وقد ذهب الى هذا ذاهبون ولا يبعد ان يفرق بين
درجات المنكر المغير والمنكر الذي يفضي اليه الحسبة والتغيير فانه اذا كان يذبح شاة
الغير حتى ياكلها وعلم انه لو منع لذبح انسانا واكله فلا معنى لهذه الحسبة نعم لو كان منعه
عن ذبح انسان او قطع طرفه يحمله على اخذ ماله فذلك له وجه فهذه دقايق واقعة في محل
الاجتهاد وعلى المجتهد اتباع اجتهاده في ذلك كله ولهذه الدقايق نقول العامي ينبغي
ان لا يحتسب الا في الجليات المعلومة كشرب الخمر والزنا وترك الصلاة واما ما يعلم كونه معصية
بالاضافة الى ما يطيف به من الافعال ويفتقر فيه الى الاجتهاد فالعامي ان خاض فيه
كان ما يفسده اكثر مما يصلح وعن هذا يتاكد ظن من لا يثبت ولاية الحسبة الا بتعيين
الوالي اذ ربما ينتدب لها من ليس اهلا لها لقصور معرفته او قصور ديانته فيودي ذلك الى
وجوه من الخلل وسياتي كشف الغطاء عن ذلك فان قيل وحيث اطلقتم القول العلم
بانه يصيبه مكروه او انه لا تفيد حسبته فلو كان بدل العلم ظنا فما حكمه قلنا الظن
الغالب في هذه الابواب في معنى العلم وانما يظهر الفرق عند تعارض الظن والعلم اذ يرجح
العلم اليقيني على الظن ويفرق بين العلم والظن في موضع اخر وهو انه يسقط وجوب
الحسبة عنه حيث علم قطعا انه لا يفيد فان كان غالب ظنه انه لا يفيد ولكنه يحتمل ان يفيد
وهو مع ذلك لا يتوقع مكروها فقد اختلفوا في وجوبه والاظهر وجوبه اذ لا ضرر فيه
وجدواه متوقع وعمومات الامر بالمعروف يقتضي الوجوب بكل حال وعلى انا نستثني
منه بطريق التخصيص ما اذا علم انه لا فايدة فيه اما بالاجماع او بقياس ظاهر وهو ان
الامر ليس يراد لعينه بل للمامور فان علم الياس عن المامور فلا فايدة فيه فاما
اذا لم يكن ياس فينبغي ان لا يسقط الوجوب فان قيل فالمكروه الذي يتوقع
اصابته ان لم يكن متيقنا ولا معلوما بغالب الظن ولكن كان مشكوكا فيه او كان

غالب ظنه

غالب ظنه انه لا يصاب بمكروه ولكن احتمل ان يصاب بمكروه فهذا الاحتمال
هل يسقط الوجوب حتى لا يجب الا عند اليقين بانه لا يصيبه مكروه ام يجب في كل حال
الا اذا غلب على ظنه انه يصاب بمكروه قلنا ان غلب على ظنه انه يصاب لم يجب وان غلب
انه لا يصاب وجب واما مجرد التجويز لا يسقط الوجوب فان ذلك ممكن في كل حسبة وان
شك فيه من غير رجحان فهذا محل النظر فيحتمل ان يقال الاصل الوجوب بحكم العمومات
وانما يسقط بمكروه والمكروه هو الذي يظن او يعلم حتى يكون متوقعا وهذا هو الاظهر
ويحتمل ان يقال انه انما يجب عليه اذا علم انه لا ضرر عليه او ظن انه لا ضرر عليه والاول
اصح نظرا الى قضية العمومات الموجبة للامر بالمعروف فان قيل فالتوقع المكروه يختلف بالجبن
والجراة فالجبان الضعيف القلب يرى البعيد قريبا حتى كانه يشاهده ويرتاع منه والمتهور
والشجاع يبعد وقوع المكروه به بحكم ما جبل عليه من حسن الامل حتى لا يصدق به الا
بعد وقوعه فعلى ماذا التعويل قلنا التعويل على اعتدال الطبع وسلامة العقل
والمزاج فان الجبن مرض وهو ضعف في القلب سببه قصور في القوة وتفريط والتهور
افراط في القوة وخروج عن الاعتدال بالزيادة وكلاهما نقصان وانما الكمال في الاعتدال
الذي يعبر عنه بالشجاعة وكل واحد من الجبن والتهور يصدر تارة عن نقصان العقل
وتارة عن خلل في المزاج بتفريط او افراط فان من اعتدل مزاجه في صفة الجبن والجراة
فقد لا يتفطن لمدارك الشر فيكون سبب جراته جهله وقد لا يتفطن لمدارك دفع الشر فيكون
سبب جبنه جهله وقد يكون عالما بحكم التجربة والممارسة بمداخل الشرور ودوافعها
ولكن يعمل الشر البعيد في تخديره وتحليل قوته في الاقدام بسبب ضعف قلبه ما لا يعمل
الشر القريب في حق الشجاع المعتدل الطبع فلا التفات الى الطرفين وعلى الجبان ان يتكلف
ازالة الجبن بازالة علته وعلته جهل او ضعف ويزول الجهل بالتجربة ويزول الضعف
بممارسة الفعل المخوف منه تكلفا حتى يصير معتادا اذ المبتدي في المناظرة والوعظ
مثلا قد يجبن عنه طبعه لضعفه فاذا مارس واعتاد فارقه الضعف فان صار ذلك
ضروريا غير قابل للزوال بحكم استيلاء الضعف على القلب فحكم ذلك الضعيف يتبع حاله
فيعذر كما يعذر المريض في التقاعد عن بعض الواجبات ولذلك قد نقول على راي لا يجب
ركوب البحر لاجل حجة الاسلام على من يغلب عليه الجبن في ركوب البحر ويجب على من لا يعظم
خوفه منه فكذلك لا امر في وجوب الحسبة فان قيل فالمكروه المتوقع ما حده فان الانسان قد
يكره كلمة وقد يكره ضربة وقد يكره طول لسان المحتسب عليه في حقه بالغيبة وما من
شخص يومر بالمعروف الا ويتوقع منه نوع من الاذى وقد يكون منه ان يسعى به الى سلطان
او يقدح فيه في مجلس من يتضرر بقدحه فما حد المكروه الذي يسقط الوجوب به قلنا
هذا ايضا نظر غامض وصورته منتشرة ومجاريه كثيرة ولكنا نجتهد في ضم نشره وحصر
اقسامه فنقول المكروه نقيض المطلوب ومطالب الخلق في الدنيا ترجع الى
اربعة امور اما في النفس فالعلم واما في البدن فالصحة والسلامة واما في المال فالثروة
واما في قلوب الناس فقيام الجاه فاذا المطلوب العلم والصحة والثروة والجاه ومعنى
الجاه ملك قلوب الناس كما ان معنى الثروة ملك الدراهم لان قلوب الناس وسيلة الى
الاغراض كما ان ملك الدراهم وسيلة الى الاغراض وسياتي تحقيق معنى الجاه وسبب

ميل الطبع اليه في ربع المهلكات وكل واحد من هذه الاربعة يطلبها الانسان لنفسه
ولاقاربه والمختصين به ويكره في هذه الاربعة امران احدهما زوال ما هو حاصل موجود والاخر
امتناع ما هو منتظر مفقود اعني اندفاع ما يتوقع وجوده فلا ضرر الا في فوات حاصل او زوال ما له
او توقع منتظر فان المنتظر عبارة عن الممكن حصوله والممكن حصوله كانه حاصل وفوات
امكانه كانه فوات حصوله فرجع المكروه الى قسمين احدهما خوف امتناع المنتظر وهذا لا ينبغي
ان يكون مرخصا في ترك الامر بالمعروف اصلا ولنذكر مثاله في المطالب الاربعة اما العلم
فمثاله تركه الحسبة على من يختص باستاده خوفا من ان يقبح حاله عنده فيمتنع من تعليمه واما
الصحة فتركه الانكار على الطبيب الذي يدخل عليه مثلا وهو لابس حريرا خوفا من ان يتاخر
عنه فيمتنع بسببه صحته المنتظرة واما المال فتركه الحسبة على السلطان واصحابه وعلى من
يواسيه من ماله خيفة من ان يقطع ادراره في المستقبل ويترك مواساته واما الجاه فتركه
الحسبة على من يتوقع منه نصرة وجاها في المستقبل خيفة من ان لا يحصل الجاه فتركه
الحسبة اولى وهذا كله لا يسقط وجوب الحسبة فان هذه زيادات امتنعت وتسمية امتناع
حصول الزيادات ضررا مجاز وانما الضرر الحقيقي فوات حاصل ولا يستثنى عن هذا شيء
الا ما تتحقق اليه الحاجة ويكون في فواتها محذور يزيد على محذور السكوت على المنكر كما اذا
كان محتاجا الى الطبيب لمرض ناجز والصحة منتظرة من معالجة الطبيب ويعلم ان في
تاخره شدة الضنا وطول المرض وقد يفضي الى الموت واعني بالعلم الظن الذي يجوز لمثله
ترك استعمال الماء والعدول الى التيمم فاذا انتهى الى هذا الحد لم يبعد ان يرخص في ترك
الحسبة واما في العلم فمثل ان يكون جاهلا بمهمات دينه ولا يجد الا معلما واحدا وعلم
ان المحتسب عليه قادر على ان يسد عليه طريق الوصول اليه لكون العالم مطيعا له او مستمعا
لقوله فاذا الصبر على الجهل بمهمات الدين محذور والسكوت على المنكر محذور فلا يبعد ان يترجح
احدهما ويختلف ذلك بتفاحش المنكر وبشدة الحاجة الى العلم لتعلقه بمهمات الدين واما
في المال فكمن يعجز عن الكسب والسؤال وليس هو قوي النفس في التوكل ولا منفق عليه سوى شخص
واحد ولو احتسب عليه قطع رزقه وافتقر في تحصيله الى طلب ادرار حرام او مات جوعا
فهذا ايضا اذا اشتد الامر فيه لم يبعد ان يرخص في السكوت واما الجاه فهو ان يؤذيه
شرير ولا يجد سبيلا الى دفع شره الا بجاه يكتسبه من سلطان ولا يقدر على التوصل اليه
الا بواسطة شخص يلبس الحرير او يشرب الخمر ولو احتسب عليه لم يكن واسطة ووسيلة له
فيمتنع حصول الجاه ويدوم بسببه اذى الشرير فهذه كلها اذا ظهرت وقويت لم يبعد
استثناؤها ولكن الامر فيها منوط باجتهاد المحتسب حتى يستفتي فيها قلبه ويزن احد
المحذورين بالاخر ويرجح بنظر الدين لا بموجب الهوى والطبع فان رجح بموجب الدين سمي
سكوته مداراة وان رجح بموجب الهوى سمي سكوته مداهنة وهذا امر باطن لا يطلع عليه
الا بنظر دقيق ولكن الناقد بصير فحق على كل متدين فيه ان يراقب قلبه ويعلم ان الله تعالى
مطلع على باعثه وصارفه انه الدين او الهوى وستجد كل نفس ما عملت من سوء او خير محضرا
عند الله ولو في فلتة خاطر او لفتة ناظر من غير ظلم ولا جور فما الله بظلام للعبيد واما
القسم الثاني وهو فوات الحاصل فهو مكروه معتبر في جواز السكوت في الامور الاربعة
الا العلم فان فواته غير مخوف الا بتقصير منه والا فلا يقدر احد على سلب العلم من غيره وان

قدر على سلب الصحة والسلامة والمروءة والمال والجاه وهذا احد اسباب شرف العلم
فانه يدوم في الدنيا ويدوم ثوابه في الاخرة فلا انقطاع له ابد الاباد واما الصحة والسلامة
ففواتها بالضرب فكل من علم انه يضرب ضربا مؤلما يتاذى به في الحسبة لم تلزمه الحسبة
وان كان يستحب له ذلك كما سبق فاذا فهم هذا في الايلام بالضرب فهو في الجرح
والقطع والقتل اظهر واما المروءة فهو بان يعلم بانه ينهب داره ويخرب بيته
ويسلب ثيابه فهذا ايضا يسقط عنه الوجوب ويبقى الاستحباب اذ لا باس
بان يفدي دينه بدنياه ولكل واحد من الضرب والنهب حد في القلة لا يكترث به
كالحبة في المال واللطمة الخفيفة المؤلمة في الضرب وحد في الكثرة يتيقن اعتبارهما
ووسط يقع في محل الاشتباه والاجتهاد وعلى المتدين ان يجتهد فيه ويرجح جانب
الدين ما امكن واما الجاه ففواته بان يضرب ضربا غير مؤلم او يسب على ملا من الناس او
يطرح منديله في رقبته ويدار به في البلد او يسود وجهه ويطاف به وكل ذلك من
غير ضرب مؤلم للبدن وهو قادح في الجاه ومؤلم للقلب وهذا له درجات فالصواب
ان يقسم الى ما يعبر عنه بسقوط المروءة كالطواف به في البلد حاسرا حافيا فهذا يرخص في
السكوت لان المروءة مامور بحفظها في الشرع وهذا مؤلم للقلب الما يزيد على الم ضربات
معدودة وعلى فوات درهمات قليلة الثانية ما يعبر عنه بالجاه المحض وعلو الرتبة من الثياب
الفاخرة فان الخروج في ثياب فاخرة تجمل وكذا الركوب للخيل فلو علم انه لو احتسب كلف المشي
في السوق في ثياب لا يعتاد هو مثلها وكلف المشي راجلا وعادته الركوب فهذا من جملة
المزايا وليس المواظبة على حفظها محمودا وحفظ المروءة محمود فلا ينبغي ان يسقط وجوب
الحسبة بمثل هذا القدر وفي معنى هذا ما لو خاف ان يتعرض له باللسان اما في حضرته
بالتجهيل والتحميق والنسبة الى الرياء والنفاق واما في غيبته بانواع الغيبة فهذا لا يسقط
الوجوب اذ ليس فيه الا زوال فضلات الجاه التي ليس اليها كبير حاجة ولو ترك الحسبة
بلوم لائم او باغتياب فاسق او شتمه او تعنيفه او سقوط المنزلة عن قلبه وقلب امثاله
لم يكن للحسبة وجوب اصلا اذ لا تنفك الحسبة عن ذلك الا اذا كان المنكر هو الغيبة وعلم انه
لو انكر لم يسكت عن المغتاب ولكن اضافه اليه وادخله معه في الغيبة فتحرم هذه الحسبة
لانها سبب لزيادة المعصية وان علم انه يترك الغيبة ويقتصر على غيبته فلا تجب عليه لان غيبته
ايضا معصية في حق المغتاب ولكن يستحب له ذلك ليفدي عرض المذكور بعرض نفسه على سبيل
الايثار وقد دلت العمومات على تاكد وجوب الحسبة وعظم الخطر في السكوت عنها فلا يقابلها الا
ما عظم في الدين خطره والمال والنفس والمروءة قد ظهر في الشرع خطرها فاما مزايا الجاه
والحشمة ودرجات التجمل وطلب ثناء الخلق فكل ذلك لا خطر له واما امتناعه لخوف شيء من
هذه المكاره في حق اولاده واقاربه فهو في حقه دونه لان تاذيه بامر نفسه اشد من تاذيه
بامر غيره ومن وجه الدين هو فوقه لان له ان يسامح في حقوق نفسه وليس له المسامحة في
حق غيره فاذا ينبغي ان يمتنع فانه ان كان ما يفوت من حقوقهم يفوت على طريق المعصية
كالضرب والنهب فليس له هذه الحسبة لانه دفع منكر يفضي الى منكر اخر وان كان
يفوت لا بطريق المعصية فهو ايذاء للمسلم ايضا وليس له ذلك الا برضاهم فاذا كان
يؤدي ذلك الى اذى قومه فليتركه وذلك كالزاهد الذي له اقارب اغنياء فانه لا يخاف على
ماله ان احتسب على السلطان ولكنه يقصد اقاربه انتقاما منه بواسطتهم فاذا كان
يتعدى الاذى من حسبته الى اقاربه وجيرانه فليتركها فان ايذاء المسلمين محذور

نعم ان كان لا ينالهم اذًا في مال ونفس ولكن ينالهم الاذى بالشتم والسب فهذا فيه نظر ويختلف
الامر فيه بدرجات المنكرات في تفاحشها ودرجات الكلام المحذور في نكايته في القلب
وقدحه في العرض فان **قيل** فلو قصد الانسان قطع طرف من نفسه وكان لا يمتنع عنه
الا بقتال ربما يودي الى قتله فهل يقاتل عليه فان قلتم يقاتل فهو محال لانه اهلاك نفس
خوفا من اهلاك طرف وفي اهلاك النفس اهلاك الطرف ايضا قلنا نمنعه عنه ونقاتله
اذ ليس غرضنا حفظ نفسه وطرفه بل الغرض حسم سبيل المنكرات والمعاصي وقتاله
في الحسبة ليس بمعصية وقطع طرف نفسه معصية وذلك كدفع الصايل على مال مسلم
بما ياتي على قتله فانه جايز لا على معنى انا نفدي درهما من مال مسلم بروح مسلم
فان ذلك محال ولكن قصده لاخذ مال المسلمين معصية وقتله في الدفع عن المعصية
ليس بمعصية وانما المقصود دفع المعاصي فان **قيل** فلو علمنا انه لو كان خاليا بنفسه
لقطع طرف نفسه فينبغي ان يقتله في الحال حسما لباب المعصية **قلنا** ذلك لا يعلم
يقينا ولا يجوز سفك دمه بتوهم معصية ولكنا اذا رايناه في حال مباشرته القطع
دفعناه فان قاتلنا قاتلناه ولم نبال بما ياتي على روحه فاذا المعصية لها ثلاثة احوال
احداها ان تكون متصرمة فالعقوبة على ما تصرم منها حد او تعزير وهو الى الولاة لا الى
الاحاد **الثانية** ان تكون المعصية راهنة وصاحبها مباشر لها كلبسه الحرير وامساكه
العود والخمر فابطال هذه المعصية واجب بكل ما يمكن ما لم تود الى معصية افحش منها
او مثلها وذلك يثبت للاحاد والرعية **الثالثة** ان يكون المنكر متوقعا كالذي يشتغل
بكنس المجلس وتزيينه وجمع الرياحين لشرب الخمر وبعد لم يحضر الخمر فهذا مشكوك فيه اذ
ربما يعوق عنه عايق فلا يثبت للاحاد سلطنة على العازم على الشرب الا بطريق الوعظ والنصح فاما
بالتعنيف والضرب فلا يجوز للاحاد ولا للسلطان الا اذا كانت تلك المعصية معلومة منه بالعادة
المستمرة وقد اقدم على السبب المودي اليه ولم يبق لحصول المعصية الا ما ليس له فيه الا الانتظار
وذلك كوقوف الاحداث على ابواب حمام النسا للنظر اليهن عند الدخول والخروج فانهم وان لم
يضيقوا الطريق لسعته فيجوز للحسبة عليهم باقامتهم من الموضع ومنعهم من الوقوف
بالتعنيف والضرب وكان تحقيق هذا اذا كشف عنه يرجع الى ان هذا الوقوف في نفسه معصية
وان كان مقصد العاصي وراه كما ان الخلوة في نفسها معصية لانها مظنة وقوع المعصية وتحصيل
مظنة المعصية معصية ونعني بالمظنة ما يتعرض الانسان لوقوع المعصية غالبا بحيث لا يقدر
على الانكفاف عنها فاذا هو على التحقيق حسبة على معصية راهنة لا على معصية منتظرة **الركن
الثاني** للحسبة ما فيه الحسبة وهو كل منكر موجود في الحال ظاهر للمحتسب بغير تجسس
معلوم كونه منكرا بغير اجتهاد فهذه اربعة شروط فلنبحث عنها **الاول** كونه منكرا
ونعني به ان يكون محذور الوقوع في الشرع وعدلنا عن لفظ المعصية الى هذا لان المنكر
اعم من المعصية اذ من راى صبيا او مجنونا يشرب الخمر فعليه ان يريق خمره ويمنعه
وكذا ان راى مجنونا يزني بمجنونة او بهيمة فعليه ان يمنعه منه وليس ذلك لتفاحش صورة
الفعل وظهوره بين الناس بل لو صادف هذا المنكر في خلوة وجب المنع منه وهذا لا
يسمى معصية في حق المجنون اذ معصية لا عاصي بها محال فلفظ المنكر ادل عليه
واعم من لفظ المعصية وقد ادرجنا في عموم هذا الصغيرة والكبيرة فلا تختص الحسبة
بالكباير بل كشف العورة في الحمام والخلوة بالاجنبية واتباع النظر الى النسوة الحسان كل
ذلك من الصغاير ويجب النهي عنها وفي الفرق بين الصغيرة والكبيرة نظر سياتي في كتاب

التوبة والشرط الثاني ان يكون موجودا في الحال وهو احتراز عن الحسبة على من فرغ من
شرب الخمر فان ذلك ليس الى الاحاد بل ان بعد انقراض المنكر واحتراز عما سيوجد
في ثاني الحال كمن يعلم بقرينة حاله انه عازم على الشرب في ليلته فلا حسبة عليه
الا بالوعظ فان انكر عزمه عليه لم يجز وعظه ايضا فان فيه اساة ظن بالمسلم وربما
صدق في قوله وربما لا يقدم على ما عزم عليه لعايق وليتنبه للدقيقة التي ذكرناها
وهو ان الخلوة بالاجنبية معصية ناجزة وكذا الوقوف على باب حمام النسا وما يجري
مجراه **الشرط الثالث** ان يكون المنكر ظاهرا للمحتسب بغير تجسس فكل من ستر معصية
في داره واغلق بابه لا يجوز ان يتجسس عليه وقد نهى الله عنه وقصة عمر وعبد الرحمن
فيه مشهورة وقد اوردناها في كتاب اداب الصحبة وكذلك ما روي ان عمر تسلق دار
رجل فراه على حالة منكرة مكروهة فانكر عليه فقال يا امير المومنين ان كنت قد
عصيت الله من وجه فقد عصيته من ثلثة اوجه فقال وما هي فقال قد قال الله تعالى
ولا تجسسوا وقد تجسست وقال تعالى واتوا البيوت من ابوابها وقد تسورت من
السطح وقال تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها وما سلمت
فتركه عمر وشرط عليه التوبة **ولذلك** شاور عمر الصحابة وهو على المنبر وسالهم عن الامام
اذا شاهد بنفسه منكرا فهل له اقامة الحد واشار علي ان ذلك منوط بعدلين فلا يكفي فيه
واحد فقد اوردنا هذه الاخبار في بيان حق المسلم من كتاب اداب الصحبة فلا نعيدها
فان قلت فما حد الظهور والاستتار **فاعلم** ان من اغلق باب داره وتستر بحيطانه
فلا يجوز الدخول عليه بغير اذنه لتعرف المعصية الا ان يظهر في الدار ظهورا يعرفه من
هو خارج الدار كاصوات المزامير والاوتار اذا ارتفعت بحيث جاوز ذلك حيطان الدار
فمن سمع ذلك فله دخول الدار وكسر الملاهي وكذلك اذا ارتفعت اصوات السكارى
بالكلمات المالوفة بينهم بحيث يسمعها اهل الشوارع فهذا اظهار موجب للحسبة فاذا
انما يدرك مع تخلل الحيطان صوت او رايحة فاذا فاحت رايحة الخمر فان احتمل ان يكون ذلك
من الخمور المحترمة فلا يجوز قصدها بالاراقة وان علم بقرينة الحال انها فاحت لتعاطيهم
الشرب فهذا محتمل والظاهر جواز الحسبة وقد تستر قارورة الخمر في الكم وتحت
الذيل وكذلك الملاهي فاذا راى فاسقا وتحت ذيله شي لم يجز ان يكشف عنه ما لم
يظهر بعلامة خاصة فان فسقه لا يدل على ان الذي معه خمر اذ الفاسق محتاج الى
الخل ايضا وغيره فلا يجوز ان يستدل باخفايه وانه لو كان حلالا لما اخفاه لان
الاغراض في الاخفا مما يكثر وان كانت الرايحة فايحة فهذا محل النظر والظاهر ان له
الاحتساب لان هذه علامة تفيد الظن والظن كالعلم في امثال هذه الامور وكذلك
العود ربما يعرف بشكله اذا كان الثوب الساتر له رقيقا فدلالة الشكل كدلالة الرايحة
والصوت وما ظهرت دلالته فهو غير مستور بل هو مكشوف وقد امرنا ان نستر
ما ستره الله تعالى وننكر على من ابدى لنا صفحته والابداء له درجات فتارة يبدو لنا بحاسة
السمع وتارة بحاسة الشم وتارة بحاسة البصر وتارة بحاسة اللمس ولا يمكن ان نخص ذلك

بحاسة البصر بل المراد العلم وهذه الحواس ايضا تفيد العلم وهذا الان انما يجوز ان يكسر ما تحت الثوب اذا علم انه خمر وليس له ان يقول ارني لاعلم ما فيه فان هذا تجسس وتكشف ومعنى التجسس طلب الامارات المعرفة فالامارة المعرفة ان حصلت واورثت معرفة جاز العمل بمقتضاها فاما طلب الامارة المعرفة فلا رخصة فيه اصلا

الشرط الرابع ان يكون كونه منكرا معلوما بغير اجتهاد فكل ما هو في محل الاجتهاد فلا حسبة فيه فليس للحنفي ان ينكر على الشافعي اكله الضب والضبع ومتروك التسمية ولا للشافعي ان ينكر على الحنفي شربه النبيذ الذي ليس بمسكر وتناوله ميراث ذوي الارحام وجلوسه في دار اخذها بشفعة الجوار الى غير ذلك من مجاري الاجتهاد نعم لو راى الشافعي شافعيا يشرب النبيذ وينكح بلا ولي ويطا زوجته فهذا في محل النظر والاظهر ان له الحسبة والانكار اذ لم يذهب احد من المحصلين الى ان المجتهد يجوز له ان يعمل بموجب اجتهاد غيره ولا ان الذي ادى اجتهاده في التقليد الى شخص راه افضل العلماء ان له ان ياخذ بمذهب غيره فينتقد من المذاهب اطيبها عنده بل على كل مقلد اتباع مقلده في كل تفصيل فاذن مخالفته المقلد متفق على كونه منكرا بين المحصلين وهو عاص بالمخالفة الا انه يلزم من هذا امر اغمض منه وهو ان يجوز للحنفي ان يعترض على الشافعي اذا نكح بغير ولي بان يقول له الفعل في نفسه حق ولكن لا في حقك فانت مبطل بالاقدام عليه مع اعتقادك ان الصواب مذهب الشافعي ومخالفة ما هو صواب عندك معصية في حقك وان كان صوابا عند الله تعالى وكذلك الشافعي يحتسب على الحنفي اذا شاركه في اكل الضب ومتروك التسمية وغيره ويقول له اما ان تعتقد ان الشافعي اولى بالاتباع ثم تقدم عليه او لا على خلاف معتقدك ثم ينجر هذا الى امر اخر في المحسوسات وهو ان يجامع الاصم امراة على قصد الزنا وعلم المحتسب ان هذه امراته زوجه اياها ابوه في صغره ولكنه ليس يدري وعجز عن تعريفه ذلك لصممه او لكونه غير عالم بلغته فهو في الاقدام مع اعتقاده انها اجنبية عاص ومعاقب عليه في الدار الاخرة فينبغي ان يمنعه منه مع انها زوجته وهو بعيد من حيث انه حلال في علم الله قريب من حيث انه حرام عليه بحكم غلطه وجهله ولا شك في انه لو علق طلاق زوجته على صفة في قلب المحتسب مثلا من مشيئة او غضب او غيره وقد وجدت الصفة في قلبه وعجز عن تعريف الزوجين ذلك ولكن علم وقوع الطلاق في الباطن فاذا راه يجامعها فعليه المنع اعني باللسان لان ذلك زنا الا ان الزاني غير عالم به والمحتسب عالم بانها طلقت منه ثلاثا وكونهما غير عاصيين بجهلهما بوجود الصفة لا يخرج الفعل عن كونه منكرا ولا يتقاعد ذلك عن زنا المجنون وقد بينا انه يمنع منه فاذا كان يمنع عما هو منكر عند الله تعالى وان لم يكن منكرا عند الفاعل ولا هو عاص به لعذر الجهل فيلزم منه عكس هذا ان يقال ما ليس بمنكر عند الله وانما هو منكر عند الفاعل بجهله لا يمنع منه وهذا هو الاظهر والعلم عند الله تعالى فتحصل من هذا ان الحنفي لا يعترض على الشافعي في النكاح بلا ولي وان الشافعي يعترض على الشافعي فيه لكون المعترض عليه منكرا باتفاق المحتسب والمحتسب عليه وهذه مسائل فقهية دقيقة

والاحتمالات فيها متعارضة وانما افتينا فيه بحسب ما ترجح عندنا في الحال ولسنا نقطع بخطا المخالف فيها اذ ذاك فان قيل انه لا يجري الاحتساب الا في معلوم على القطع وقد ذهب اليه ذاهبون وقالوا لا حسبة الا في مثل الخمر والخنزير وما يقطع بكونه حراما ولكن الاشبه عندنا ان الاجتهاد يؤثر في حق المجتهد اذ يبعد غاية البعد ان يجتهد في القبلة ويعترف بظهور القبلة عنده في جهة بالدلالات الظنية ثم يستدبرها ولا يمنع عنه لاجل ظن غيره اذ ربما يظن غيره ان الاستدبار هو الصواب وراي من راى انه يجوز لكل مقلد ان يختار من المذاهب ما اراد غير معتد به ولعله لا يصح ذهاب ذاهب اليه اصلا فهذا مذهب لا يثبت وان ثبت لا يعتد به **فان قلت** اذا كان لا يعترض على الحنفي في النكاح بلا ولي لانه يرى انه حق فينبغي ان لا يعترض على المعتزلي في قوله ان الله لا يرى وقوله ان الخير من الله والشر ليس من الله وقوله كلام الله مخلوق ولا على الحشوي في قوله ان الله جسم وله صورة وانه مستقر على العرش ولا على الفلسفي في قوله الاجساد لا تبعث وانما تبعث النفوس لان هؤلاء ايضا ادى اجتهادهم الى ما قالوه وهم يظنون ان ذلك هو الحق **فان قلت** بطلان مذهب هؤلاء ظاهر فبطلان مذهب من يخالف نص الحديث ايضا ظاهر وكما ثبت بظواهر النصوص ان الله تعالى يرى والمعتزلي ينكر بالتاويل فكذلك ثبت بظواهر النصوص مسائل خالف فيها الحنفي كمسالة النكاح بلا ولي ومسالة شفعة الجوار ونظائرها **فاعلم** ان المسائل تنقسم الى ما يتصور ان يقال فيها كل مجتهد مصيب وهي احكام الافعال في الحل والحرمة وذلك هو الذي لا يعترض على المجتهدين فيه اذ لا يعلم خطاؤهم قطعا بل ظنا والى ما لا يتصور ان يكون المصيب فيه الا واحدا كمسالة الرؤية والقدر وقدم الكلام ونفي الصورة والجسمية والاستقرار عن الله تعالى فهذا مما يعلم خطا المخطئ فيه قطعا فلا يبقى لخطائه الذي هو جهل محض وجه فاذن البدع كلها ينبغي ان تحسم ابوابها وينكر على المبتدعين بدعهم وان اعتقدوا انها الحق كما يرد على اليهود والنصارى كفرهم وان كانوا يعتقدون ان ذلك حق لان خطاهم معلوم على القطع بخلاف الخطا في مظان الاجتهاد **فان قلت** مهما اعترضت على القدري في قوله الشر ليس من الله اعترض عليك القدري في قولك الشر من الله فكذلك في قولك ان الله يرى وفي سائر المسائل اذ المبتدع محق عند نفسه والمحق مبتدع عند المبتدع وكل يدعي انه محق وينكر كونه مبتدعا فكيف يتم الاحتساب **فاعلم** انا لاجل هذا التعارض نقول ننظر الى البلدة التي اظهرت فيها تلك البدعة فان كانت البدعة غريبة والناس كلهم على السنة فلهم الحسبة عليه بغير اذن السلطان وان انقسم اهل البلد الى اهل البدعة واهل السنة وكان في الاعتراض تحريك فتنة بالمقاتلة فليس للاحاد الحسبة في المذاهب الا بنصب السلطان فاذا راى السلطان الراي الحق ونصره واذن لاحاد ان يزجر المبتدعة عن اظهار البدعة كان له ذلك وليس لغيره فان ما يكون باذن السلطان لا يتقابل وما يكون من جهة الاحاد فيتقابل الامر فيه وعلى الجملة فالحسبة في البدع اهم من الحسبة في كل المنكرات ولكن ينبغي ان يراعى فيها هذا التفصيل الذي ذكرناه كي لا يتقابل الامر فيه ولا ينجر الى تحريك الفتنة بل لو اذن السلطان مطلقا في منع كل من يصرح بان القرآن مخلوق او ان الله تعالى لا يرى او انه مستقر على العرش مماس له او غيره من البدع تسلط الاحاد على المنع

منه ولم يتقابل الامر فيه وانما يتقابل عند عدم الاذن السلطان فقط **الركن الثالث**
المحتسب عليه وشرطه ان يكون بصفة يصير الفعل الممنوع منه في حقه منكرا واقل ما يكفي في ذلك
ان يكون انسانا ولا يشترط كونه مكلفا اذ بينا ان الصبي لو شرب الخمر منع منه واحتسب عليه
وان كان قبل البلوغ ولا يشترط كونه مميزا اذ بينا ان المجنون لو كان يزني ويأتي بهيمة
وجب منعه منه نعم من الافعال ما لا يكون منكرا في حق المجنون كترك الصلاة والصوم
وغيره ولكنا لسنا نلتفت الى اختلاف التفاصيل فان ذلك ايضا مما يختلف فيه المقيم و
المسافر والمريض والصحيح وغرضنا الاشارة الى الصفة التي بها يتهيأ توجه اصل الانكار
عليه لا ما بها يتهيأ التفاصيل **فان قلت** فاكتف بكونه حيوانا ولا يشترط كونه انسانا
فان البهيمة لو كانت تفسد زرعا لانسان كنا نمنعها منه كما نمنع المجنون من الزنا واتيان البهيمة
فاعلم ان تسمية ذلك حسبة لا وجه لها اذ الحسبة عبارة عن المنع عن منكر لحق الله تعالى في
صيانة الممنوع عن مقارفة المنكر وكذا منع الصبي من شرب الخمر فالانسان اذا اتلف زرع
غيره منع منه لحقين احدهما حق الله فان فعله معصية **الثاني** حق المتلف عليه فهما
علتان تنفصل احداهما عن الاخرى فلو قطع طرف غيره باذنه فتثبت الحسبة والمنع باحدى العلتين
ولكن فيه دقيقة وهو انا لسنا نقصد باخراج البهيمة منع البهيمة بل حفظ مال الانسان المسلم
اذ البهيمة لو اكلت ميتة او شربت من اناء فيه خمر او ماء مشوبا بخمر لم نمنعها منه بل يجوز اطعام
كلاب الصيد الجيف والميتات ولكن مال المسلم اذا تعرض للضياع وقدرنا على حفظه بغير
تعب وجب علينا حفظه بل لو وقعت جرة لانسان من علو وتحتها قارورة لغيره فندفع الجرة
لحفظ القارورة لا لمنع الجرة من السقوط لانا لا نقصد منع الجرة وحراستها من ان تصير كاسرة
للقارورة ونمنع المجنون من الزنا واتيان البهيمة وشرب الخمر وتنزيها له من حيث انه
انسان محترم فهذه لطائف دقيقة لا يتفطن لها الا المحققون فلا ينبغي ان يغفل عنها ثم فيما
يجب تنزيه الصبي والمجنون عنه نظر اذ قد يتردد في منعهما من لبس الحرير وفي غير ذلك
وسنتعرض له ونشير اليه في الباب الثالث فان قلت فكل من رأى بهائم قد استرسلت في زرع
انسان فهل يجب عليه اخراجها وكل من رأى مالا لمسلم اشرف على الضياع هل يجب عليه حفظه
فان قلتم ان ذلك واجب فهذا تكليف شطط يؤدي الى ان يصير الانسان مسخرا لغيره
طول عمره وان قلتم لا يجب فلم يجب الاحتساب على من يغصب مال غيره وليس له سبب
سوى مراعاة مال الغير فنقول هذا بحث دقيق غامض والقول الوجيز فيه ان نقول
مهما قدر على حفظه عن الضياع من غير ان يناله تعب في بدنه او خسران في ماله او
نقص في جاهه وجب عليه ذلك فذلك القدر واجب في حقوق المسلمين بل هو اقل درجات
الحقوق والادلة الموجبة لحقوق المسلمين كثيرة وهذا اقل درجاتها وهو اولى بالايجاب من
رد السلام فان الاذى في هذا اكثر من الاذى في رد السلام بل لا خلاف في ان مال الانسان
اذا كان يضيع بظلم ظالم وكان عنده شهادة لو تكلم بها لرجع الحق اليه وجب عليه ذلك
وعصى بكتمان الشهادة ففي معنى ترك الشهادة ترك كل دفع لا ضرر على الدافع فيه
فاما ان كان عليه تعب وضرر في مال او جاه لم يلزمه ذلك لان نفسه نعم الايثار
مستحب وتجشم المصاعب لاجل المسلمين قربة فاما ايجابها فلا فاذن ان كان يتعب
باخراج البهائم عن الزرع لم يلزمه السعي في ذلك ولكن اذا كان لا يتعب بمثل تنبيه صاحب
الزرع وهو نائم يلزمه ذلك واهمال تعريفه بالتنبيه كاهمال تعريف القاضي بالشهادة
وذلك لا رخصة فيه ولا يمكن ان يراعى البهائم الا بقدر درهم وصاحب الزرع يفوته مال

كثير فيرجح جانبه لان الدرهم الذي له هو يستحق حفظه كما يستحق صاحب الالف
حفظ الالف فلا سبيل المصير الى ذلك فاما اذا كان فوات المال بطريق هو معصية
كالغصب او قتل عبد مملوك للغير فهذا يجب المنع منه وان كان فيه تعب ما لان
المقصود حق الشرع والغرض دفع المعصية وعلى الانسان ان يتعب نفسه في دفع المعاصي
كما عليه ان يتعب نفسه في ترك المعاصي والمعاصي كلها في تركها تعب وانما الطاعة كلها
ترجع الى مخالفة النفس وهي غاية التعب ثم لا يلزمه احتمال كل ضرر بل التفصيل فيه
ما ذكرناه من تفصيل درجات المحذورات التي يخاف منها المحتسب وقد اختلف الفقهاء
في مسألتين تقربان من غرضنا احداهما ان الالتقاط هل هو واجب واللقطة ضائعة
والملتقط مانع من الضياع وساع في الحفظ والحق فيه عندنا ان يفصل ويقال ان
كانت اللقطة في موضع لو تركها فيه لم تضع بل يلتقطها من يعرفها او تترك كما لو كان
في مسجد او رباط يتعين من يدخله وكلهم امناء فلا يلزمه الالتقاط وان كان في
مضيعة نظر فان كان عليه تعب في حفظها كما لو كانت بهيمة وتحتاج الى علف
واصطبل فلا يلزمه ذلك لانه انما يجب الالتقاط لحق المالك وحقه بسبب كونه انسانا
محترما والملتقط ايضا انسان له حق في ان لا يتعب لاجل غيره كما لا يتعب غيره لاجله
او ثوبا او شيئا لا ضرر عليه فيه الا بمجرد تعب التعريف فهذا ينبغي ان يكون في محل
الوجهين فقائل يقول التعريف والقيام بشرطه فيه تعب فلا سبيل الى الزامه ذلك
الا ان يتبرع فيلتزم طلبا للثواب وقائل يقول ان هذا القدر من التعب مستصغر بالا
الى مراعاة حقوق المسلمين وينزل هذا منزلة تعب الشاهد في حضور مجلس الحكم فانه لا
يلزمه السفر الى بلدة اخرى الا ان يتبرع به فاذا كان مجلس القاضي في جواره لزمه الحضور
وكان التعب بهذه الخطوات لا يعد تعبا في غرض اقامة الشهادة واداء الامانة وان كان
في الطرف الآخر من البلد واحوج الى الحضور في الهاجرة وشدة الحر فهذا قد يقع في محل
الاجتهاد والنظر فان الضرر الذي ينال الساعي في حفظ حق الغير له طرف في القلة لا
يشك انه لا يبالى به وطرف في الكثرة لا يشك انه لا يبالى به ولا يلزم احتماله ووسط
يتجاذبه الطرفان ويكون ابدا في محل الشبهة والنظر وهي من الشبهات
المزمنة التي ليس في مقدور البشر ازالتها اذ لا علة تفرق بين اجزائها المتقاربة
لكن المتقي ينظر فيه لنفسه ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه فهذا نهاية الكشف عن هذا
الاصل **الركن الرابع** نفس الاحتساب وله درجات وآداب اما الدرجات فاولها
التعرف ثم التعريف ثم النهي ثم الوعظ والنصح ثم السب والتعنيف ثم التغيير باليد
ثم التهديد بالضرب ثم ايقاع الضرب وتحقيقه ثم شهر السلاح ثم الاستظهار فيه
بالاعوان وجمع الجنود **اما الدرجة الاولى** وهو التعرف ونعني به طلب المعرفة بجريان
المنكر وذلك منهي عنه وهو التجسس الذي ذكرناه فلا ينبغي ان يسترق السمع
على دار غيره ليسمع صوت الاوتار ولا ان يستنشق ليدرك رائحة الخمر ولا ان يمس
ما في ثوبه ليعرف شكل المزمار ولا ان يستخبر من جيرانه ليخبروه بما جرى في
داره نعم لو اخبره عدلان ابتداء من غير استخبار بان فلانا يشرب الخمر في داره او في
داره خمر اعده للشرب فله اذ ذاك ان يدخل داره ولا يلزمه الاستئذان ويكون تخطي
ملكه بالاذن بالدخول للتوصل الى دفع المنكر ككسر رأسه بالضرب للمنع مهما احتاج اليه

وان اخبره عدل واحد او عدلان وبالجملة كل من تقبل روايته دون شهادته ففي جواز
الهجوم على داره بقولهم فيه نظر واحتمال والاولى ان يمتنع لان له حقا في ان لا يتخطى داره
بغير اذنه ولا يسقط حق المسلم عما ثبت عليه حقه الا بشاهدين فهذا اولى ما يجعل مردا
فيه وقد قيل كان نقش خاتم لقمان الستر لما عاينت احسن من اذاعة ما ظننت
الدرجة الثانية التعريف فان المنكر قد يقدم عليه الجاهل بجهله واذا عرف انه منكر تركه
كالسوادي يصلي ولا يحسن الركوع والسجود فيعلم ان ذلك لجهله بان هذا ليست بصلاة
ولو رضي بان لا يكون مصليا لترك اصل الصلاة فيجب تعريفه باللطف من غير عنف وذلك لان
في ضمن التعريف نسبة الى الجهل والحمق والتجهيل ايذاء وقل ما يرضى الانسان بان ينسب الى
الجهل بالامور لا سيما بالشرع ولذلك ترى الذي يغلب عليه الغضب كيف يغضب اذا نبه على
الخطأ والجهل وكيف يجتهد في مجاحدة الحق بعد معرفته خيفة من ان تنكشف عورة جهله
والطباع احرص على ستر عورة الجهل والطباع احرص على عورة الجهل منها على ستر العورة الحقيقية
لان الجهل قبح في صورة النفس وسواد في وجهه وصاحبه ملوم عليه وقبح السوءتين
يرجع الى صورة البدن والنفس اشرف من البدن وقبحها اشد من قبح البدن ثم هو غير
ملوم عليه لانه خلقة لم يدخل تحت اختياره حصوله ولا في اختياره ازالته وتحسينه و
الجهل قبح يمكن ازالته وتبديله بحسن العلم فلذلك يعظم تألم الانسان بظهور جهله ويعظم
ابتهاجه في نفسه بعلمه ثم لذته عند ظهور جمال علمه لغيره واذا كان التعريف كشفا للعورة مؤذيا
للقلب فلا بد ان يعالج دفع اذاه بلطف الرفق فيقول له ان الانسان لا يولد عالما ولقد كنا
ايضا جاهلين بامور الصلاة فعلمنا العلماء ولعل قريتك خالية عن اهل العلم او علماؤها مقصرون في
شرح الصلاة الطمأنينة في الركوع والسجود فهكذا يتلطف به ليحصل التعريف من غير ايذاء
فان ايذاء المسلم حرام محذور كما ان تقريره على المنكر محذور وليس من العقلاء من يغسل
الدم بالبول ومن اجتنب محذور السكوت على المنكر واستبدل عنه محذور الايذاء للمسلم مع
الاستغناء عنه فقد غسل الدم بالبول على التحقيق واما اذا وقفت على خطائه في غير امر الدين فلا
ينبغي ان ترده عليه فانه يستفيد منك علما ويصير لك عدوا الا اذا علمت انه يغتنم العلم وذلك
عزيز جدا الدرجة الثالثة النهي بالوعظ والنصح والتخويف بالله تعالى وذلك فيمن يقدم على
الامر وهو عالم بكونه منكرا او فيمن اصر عليه بعد ان عرف كونه منكرا كالذي يواظب على الشرب
او على الظلم او على اغتياب المسلمين او ما يجري مجراه فينبغي ان يوعظ ويخوف بالله ويورد عليه
الاخبار الواردة بالوعيد فيها ويحكى له سيرة السلف وعادة المتقين وكل ذلك بشفقة ولطف من
غير عنف وغضب بل ينظر اليه نظر المترحم عليه ويرى اقدامه على المعصية مصيبة على نفسه اذ
المسلمون كنفس واحدة وها هنا آفة عظيمة ينبغي ان يتوقاها فانها مهلكة وهو ان العالم يرى
عند التعريف عز نفسه بالعلم وذل غيره بالجهل فربما يقصد بالتعريف الاذلال واظهار التمييز بشرف
العلم واذلال صاحبه بالنسبة الى خسة الجهل فان كان الباعث هذا فهذا المنكر اقبح في نفسه
من المنكر الذي يعترض عليه ومثال هذا المحتسب مثال من يخلص غيره من النار باحراق
نفسه وهو غاية الجهل وهذه مزلة عظيمة وغائلة هائلة وغرور للشيطان يتدلى بحبله كل
انسان الا من عرفه الله عيوب نفسه وفتح بصيرته بنور هدايته فان في الاحتكام على الغير
لذة للنفس عظيمة من وجهين احدهما من جهة دالة العلم والآخر من جهة دالة الاحتكام
والسلطنة وكل ذلك يرجع الى الرياء وطلب الجاه وهو الشهوة الخفية الداعية الى الشرك

الخفي وله محك ومعيار ينبغي ان يمتحن به المحتسب نفسه وهو ان يكون امتناع ذلك الانسان
عن المنكر بنفسه او باحتساب غيره احب اليه من امتناعه باحتسابه فان كانت الحسبة شاقة
عليه ثقيلة على نفسه وهو يود ان يكفى بغيره فليحتسب فان باعثه هو الدين وان كان اتعاظ
ذلك العاصي بوعظه وانزجاره بزجره احب اليه من اتعاظه بوعظ غيره فما هو الا متبع هوى
نفسه ومتوسل الى اظهار جاه نفسه بواسطة حسبته فليتق الله فيه وليحتسب اولا على نفسه
وعند هذا يقال ما قيل لعيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس
والا فاستحي مني وقيل لداود الطائي ارأيت رجلا دخل على هؤلاء الامراء فامرهم بالمعروف
ونهاهم عن المنكر قال اخاف عليه السوط قال انه يقوى عليه قال اخاف عليه السيف قيل
انه يقوى عليه قال اخاف عليه الداء الدفين وهو العجب الدرجة الرابعة السب والتعنيف
بالقول الغليظ الخشن وذلك يعدل اليه عند العجز عن المنع باللطف وظهور مبادي
الاصرار والاستهزاء بالوعظ والنصح وذلك مثل قول ابراهيم عليه السلام اف لكم ولما
تعبدون من دون الله افلا تعقلون ولسنا نعني بالسب الفحش بما فيه نسبة الى
الزنا ومقدماته ولا الكذب بل ان يخاطبه بما فيه مما لا يعد من جملة الفحش كقوله يا فاسق
يا احمق يا جاهل الا تخاف الله تعالى وقوله يا سوادي يا غبي وما يجري مجراه
فان كل فاسق فهو احمق والكيس من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكياسة حيث
قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على
الله الاماني ولهذه الرتبة ادبان احدهما ان لا يقدم عليها الا عند الضرورة والعجز عن اللطف
والثاني ان لا ينطق الا بالصدق ولا يسترسل فيه فيطلق لسانه الطويل بما لا يحتاج اليه
بل يقتصر على قدر الحاجة فان علم ان خطابه بهذه الكلمات الزاجرة ليست تزجره فلا
ينبغي ان يطلقه بل يقتصر على اظهار الغضب والاستحقار له والازدراء لاجل معصيته وان
علم انه ان تكلم ضرب ولو اكفهر فاظهر الكراهة بوجهه لم يضرب لزمه ولم يكفه الانكار
بالقلب بل لزمه ان يقطب وجهه ويظهر الانكار به الدرجة الخامسة التغيير باليد
وذلك ككسر الملاهي واراقة الخمر وخلع الحرير من راسه وبدنه ودفعه عن الجلوس على مال الغير
واخراجه من الدار المغصوبة بالجر برجله واخراجه من المسجد اذا كان جالسا وهو جنب وما يجري
مجراه ويتصور ذلك في بعض المعاصي دون بعض فاما معاصي اللسان والقلب فلا يقدر على
مباشرة تغييرها وكذلك كل معصية تقتصر على نفس العاصي وجوارحه الباطنة وفي هذه الدرجة
ادبان احدهما ان لا يباشر بيده التغيير ما لم يعجز عن تكليف المحتسب عليه ذلك فاذا امكنه
ان يكلفه المشي في الخروج عن الارض المغصوبة والمسجد فلا ينبغي ان ياخذه ويجره واذا قدر
على ان يكلفه اراقة الخمر وكسر الملاهي فلا ينبغي ان يباشر ذلك بنفسه فان في الوقوف على
حد الكسر نوع عسر فاذا لم يتعاط بنفسه ذلك كفى الاجتهاد فيه وتولاه من لا حجر عليه
في فعله الثاني ان يقتصر في طريق التغيير على القدر المحتاج اليه وهو ان لا ياخذ بلحيته
في الاخراج ولا برجله اذا قدر على جره بيده فان زيادة الاذى فيه مستغنى عنه وان
لا يمزق الثوب الحرير بل يحل دروزه فقط ولا يحرق الملاهي والصليب الذي اظهره النصارى
بل يبطل صلاحيتها للفساد بالكسر وحد الكسر ان يصير الى حد يحتاج في استئنافه واصلاحه
الى تعب يساوي تعب الاستئناف من الخشب ابتداء وفي اراقة الخمر يتوقى كسر الاواني
ان وجد اليه سبيلا فان لم يقدر عليها الا بان يرمي ظروفها بحجر فله ذلك وسقطت قيمة
الظرف وتقومه بسبب الخمر اذ صار حائلا بينه وبين الوصول الى الخمر ولو ستر الخمر ببدنه

كما نقصد بديه بالضرب والجرح لنتوصل الى اراقة الخمر فلا يبعد حرمة ما لكه في الظروف على حرمة نفسه ولو كان الخمر في قوارير ضيقة الرؤس ولو اشتغل باراقتها طال الزمان وادركه الفساق ومنعوه فله كسرها فهذا عذر وان كان لا يحذر ظفر الفساق ومنعهم ولكن كان يضيع فيه زمانه وتتعطل عليه اشغاله فله ان يكسرها وليس عليه ان يضيع مصلحة نفسه وغرضه من اشغاله لاجل ظروف الخمر وحيث كان الاراقة متيسرة كالكسر فكسرها لزمه الضمان فان قلت فهل جاز الكسر لاجل الزجر وهل جاز الجر بالرجل في الاخراج عن الارض المغصوبة ليكون ابلغ في الزجر **فاعلم** ان الزجر انما يكون عن المستقبل والعقوبة تكون عن الماضي والدفع عن الحاضر الراهن وليس لاحاد الرعية الا الدفع وهو اعدام المنكر فما زاد على قدر الاعدام المنكر فهو اما عقوبة على جريمة سابقة او زجر عن لاحق وذلك الى الولاة لا الى الرعية نعم الوالي له ان يفعل ذلك اذا راى المصلحة فيه واقول له ان يامر بكسر الظروف التي فيها الخمور زجرا وقد فعل ذلك في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم تاكيدا للزجر ولم يثبت نسخه ولكن كانت الحاجة الى الزجر والفطام شديدة فاذا راى الوالي باجتهاده مثل الحاجة جاز له مثل ذلك واذا كان هذا منوطا بنوع اجتهاد دقيق لم يكن ذلك لاحاد الرعية **فان قلت** فليجز للسلطان زجر الناس عن المعاصي باتلاف اموالهم وتخريب دورهم التي فيها يشربون ويعصون واحراق اموالهم التي بها يتوصلون الى المعاصي **فاعلم** ان ذلك لو ورد الشرع به لم يكن خارجا عن سنن المصالح ولكنا لا نبتدع المصالح بل نتبع فيها وكسر ظروف الخمر قد ثبت عند شدة الحاجة وتركه بعد ذلك لعدم شدة الحاجة لا يكون نسخا بل الحكم يزول بزوال العلة ويعود بعودها وانما جوزنا ذلك للامام بحكم الاتباع ومنعنا احاد الرعية لخفاء وجه الاجتهاد فيه بل نقول لو اريقت الخمور اولا فلا يجوز كسر الاواني بعدها بل جاز كسرها تبعا للخمر فاذا خلت عنها فهو اتلاف مال الا ان تكون ضاربة بالخمر لا تصلح الا لها فكان الفعل المنقول عن العصر الاول كان مقرونا بالمعنيين احدهما شدة الحاجة الى الزجر والاخر تبعية الظروف التي هي مشغولة بالخمر وهما معنيان مؤثران لا سبيل الى حذفهما ومعنى ثالث وهو صدوره عن راي صاحب الامر لعلمه بشدة الحاجة الى الزجر وهو ايضا مؤثر فلا سبيل الى الغائه فهذه تصرفات دقيقة فقهية يحتاج المحتسب الى معرفتها **الدرجة السادسة** التهديد والتخويف كقوله دع عنك هذا او لاكسرن راسك او لاضربن رقبتك او لامرن بك وما اشبهه وذلك ينبغي ان يقدم على تحقيق الضرب اذا امكن تقديمه والادب في هذه الرتبة ان لا يهدده بوعيد لا يجوز له تحقيقه كقوله لانهبن دارك او لاضربن ولدك او لاسبين زوجتك وما يجري مجراه بل ذلك ان قاله عن عزم فهو حرام وان قاله من غير عزم فهو كذب نعم اذا تعرض لوعيده والاستحقاق فله العزم عليه الى حد معلوم يقتضيه الحال وله ان يزيد في الوعيد على ما هو عزمه الباطن اذا علم ان ذلك يقمعه ويردعه وليس ذلك من الكذب المحظور بل المبالغة في مثل ذلك معتاد وهو في معنى مبالغة الرجل في اصلاحه بين شخصين وتاليفه بين الضرتين وذلك مما رخص فيه للحاجة وهذا في معناه فان القصد به اصلاح ذلك الشخص ولهذا المعنى اشار بعض الناس الى انه يقبح ان يتوعد بما لا يفعل لان الخلف في الوعيد كرم وانما يقبح ان يتحدى بما لا يفعل وهذا غير مرضي عندنا فان الكلام القديم لا يتطرق اليه الخلف وعدا كان او وعيدا وانما يتوهم هذا في حق العباد وهو كذلك اذ الخلف في الوعيد ليس بحرام **الدرجة السابعة** مباشرة الضرب باليد والرجل وغير ذلك مما ليس فيه شهر سلاح وذلك جائز للاحاد بشرط الضرورة

والاقتصار على قدر الحاجة في الدفع فاذا اندفع المنكر فينبغي ان يكف والقاضي يرهق من ثبت عليه الحق الى الاداء بالحبس فان اصر المحبوس وعلم القاضي قدرته على اداء الحق وكونه معاندا فله ان يلزمه الاداء بالضرب على التدريج كما يحتاج اليه وكذلك المحتسب يراعي التدريج فان احتاج الى شهر سلاح وكان يقدر على دفع المنكر بشهر السلاح وبالجرح فله ان يتعاطى ذلك ما لم تثر فتنة كما لو قبض فاسق مثلا على امراة او كان يضرب بمزمار معه وبينه وبين المحتسب نهر حائل او جدار مانع فياخذ قوسه ويقول له خل عنها او لارمينك فان لم يخل عنها فله ان يرمي وينبغي ان لا يقصد المقتل بل الساق او الفخذ ويراعي فيه التدريج وكذلك يسل السيف ويقول اترك هذا المنكر او لاضربنك فكل ذلك دفع للمنكر ودفعه واجب بكل ممكن ولا فرق في ذلك بين ما يتعلق بخاص حق الله وما يتعلق بالادميين و قالت المعتزلة ما لا يتعلق بالادميين فلا حسبة فيه الا بالكلام او بالضرب لكن للامام لا للاحاد **الدرجة الثامنة** ان لا يقدر عليه بنفسه ويحتاج فيه الى اعوان يشهرون السلاح وربما يستمد الفاسق ايضا باعوانه ويؤدي الى ان يتقابل الصفان ويتقاتلا فهذا قد ظهر الاختلاف في احتياجه الى اذن الامام فقال قائلون لا يستقل احاد الرعية بذلك لانه يؤدي الى تحريك الفتن وهيجان الفساد وخراب البلاد وقال اخرون لا يحتاج الى الاذن وهو الاقيس لانه اذا جاز للاحاد الامر بالمعروف واوائل درجاته تجر الى ثوانيه وقد ينتهي لا محالة الى التضارب والتضارب يدعو الى التعاون فلا ينبغي ان يبالي بلوازم الامر بالمعروف ومنتهاه تجنيد الجنود في رضا الله ودفع معاصيه ونحن نجوز للاحاد من الغزاة ان يجتمعوا ويقاتلوا من ارادوا من فرق الكفار قمعا لاهل الكفر فكذلك قمع اهل الفساد جائز لان الكافر لا باس بقتله والمسلم ان قتل فهو شهيد فكذلك الفاسق المناضل عن فسقه لا باس بقتله والمحتسب المحق ان قتل فهو شهيد وعلى الجملة فانتهاء الامر الى هذا من النوادر في الحسبة فلا يغير به قانون القياس بل يقال كل من قدر على دفع منكر فله ان يدفع ذلك بيده وبسلاحه وبنفسه وباعوانه فالمسالة اذا محتملة كما ذكرناه فهذه درجات الاحتساب فلنذكر ادابها

باب اداب المحتسب

قد ذكرنا تفاصيل الاداب في احاد الدرجات ونذكر الان جملها ومصادرها فنقول جميع اداب المحتسب مصدرها ثلاث صفات في المحتسب العلم والورع وحسن الخلق اما العلم فليعلم مواقع الحسبة وحدودها ومجاريها وموانعها ليقتصر على حد الشرع فيه والورع ليردعه عن مخالفة معلومه فما كل من علم عمل به بل ربما يعلم انه مسرف في الحسبة وزائد على الحد الماذون فيه شرعا ولكن يحمله عليه غرض من الاغراض وليكن كلامه ووعظه مقبولا فان الفاسق يهزا به اذا احتسب ويورث ذلك جراة عليه واما حسن الخلق فليتمكن به من اللطف والرفق وهو اصل الباب واساسه والعلم والورع لا يكفيان فيه فان الغضب اذا هاج لم يكف مجرد العلم والورع في قمعه ما لم يكن في الطبع قبول له بحسن الخلق وعلى التحقيق فلا يتم الورع الا بحسن الخلق والقدرة على ضبط الشهوة والغضب وبه يصبر المحتسب على ما اصابه في دين الله والا فاذا اصيب عرضه او نفسه بضرب او شتم فنسي الحسبة وغفل عن دين الله واشتغل بنفسه بل ربما يقدم عليه ابتداء لطلب الجاه والاسم فهذه الصفات الثلاثة بها تصير الحسبة من القربات وبها تندفع المنكرات وان فقدت لم يندفع المنكر وربما كانت الحسبة ايضا منكرة لمجاوزة حد الشرع فيها ودل على هذه

الايمان قوله صلى الله عليه وسلم لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر الا رفيق فيما
يأمر به رفيق فيما ينهى عنه حليم فيما يأمر به فقيه فيما ينهى عنه وهذا يدل على انه
لا يشترط ان يكون فقيها مطلقا بل فيما يأمر به وقال الحسن البصري اذا كنت ممن
يأمر بالمعروف فكن من آخذ الناس به والا هلكت وقد قيل لا تلم المرء على فعاله وانت
منسوب الى مثله * من ذم شيئا واتى مثله * فانما يزري على عقله * وليس نعني
ان الامر بالمعروف يصير ممنوعا بالفسق ولكن يسقط اثره عن القلوب بظهور فسقه للناس
وقد روي عن انس قال قلنا يا رسول الله لا نأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهى
عن المنكر حتى نجتنبه كله فقال صلى الله عليه وسلم بل مروا بالمعروف وان لم تعملوا
به كله وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوه كله واوصى بعض السلف بنيه فقال اذا
اراد احدكم ان يأمر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر وليثق بالثواب من الله فمن وثق
بالثواب لم يجد مس الاذى فاذا من اداب الحسبة توطين النفس على الصبر ولذلك قرن
الله تعالى الصبر بالامر بالمعروف فقال تعالى حاكيا عن لقمان يا بني اقم الصلاة وامر
بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ومن الاداب تقليل العلائق حتى لا
يكثر خوفه وقطع الطمع عن الخلائق حتى تزول عنه المداهنة فقد روي عن بعض المشايخ
انه كان له سنور وكان يأخذ من قصاب في جواره كل يوم شيئا من الغدد لسنوره
فرأى على القصاب منكرا فدخل الدار اولا واخرج السنور ثم جاء واحتسب على القصاب
فقال له القصاب لا اعطيك بعدها شيئا لسنورك فقال ما احتسبت عليك الا بعد
اخراج السنور وقطع الطمع منك وهو كما قال فمن لم يقطع طمعه عن الخلق لا يقدر على الحسبة
ومن طمع في ان يكون قلوب الناس عليه طيبة والسنتهم عليه بالثناء مطلقة لم تتيسر له
الحسبة قال كعب لابي مسلم الخولاني كيف منزلتك بين قومك قال حسنة
قال ان التوراة تقول ان الرجل اذا امر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته
عند قومه فقال ابو مسلم صدقت التوراة وكذب ابو مسلم ويدل على وجوب الرفق
ما استدل به المأمون اذ وعظه واعظ وعنف له في القول فقال يا رجل ارفق فقد بعث
الله من هو خير منك الى من هو شر مني وامره بالرفق فقال فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او
يخشى فليكن اقتداء المحتسب في الرفق بالانبياء عليهم السلام وقد روي عن ابي امامة ان
غلاما شابا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اتأذن لي في الزنا فصاح الناس
به فقال النبي صلى الله عليه وسلم ادنوه ثم قال ادن مني فدنا حتى جلس بين يديه
فقال عليه السلام اتحبه لامك فقال لا جعلني الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه
لامهاتهم اتحبه لابنتك فقال لا جعلني الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم
اتحبه لاختك وزاد ابن عوف انه ذكر العمة والخالة وهو يقول في كل ذلك لا جعلني
الله فداك وهو صلى الله عليه وسلم يقول كذلك الناس لا يحبونه وقالا جميعا في حديثهما
اعني ابن عوف والراوي الاخر فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره وقال اللهم
طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه فلم يكن شيء ابغض اليه منه يعني الزنا وقيل
للفضيل بن عياض ان سفيان بن عيينة قبل جوائز السلطان فقال الفضيل ما اخذ
منهم الا دون حقه ثم خلا به وعذله ووبخه فقال سفيان يا ابا علي ان لم نكن من الصالحين
فانا لنحب الصالحين وقال حماد بن سلمة ان صلة بن اشيم مر عليه رجل قد اسبل ازاره

فهم اصحابه ان يأخذوه بشدة فقال دعوني اكفكموه فقال يا ابن اخي ان لي اليك حاجة
قال وما حاجتك يا عم قال احب ان ترفع من ازارك فقال نعم وكرامة فرفع من ازاره
فقال لاصحابه لو اخذتموه بشدة لقال لا ولا كرامة وشتمكم وقال محمد بن زكريا
الغلابي شهدت محمد بن عبد الله بن عائشة وقد خرج من المسجد بعد المغرب يريد منزله واذا
في طريقه غلام من قريش سكران وقد قبض على امرأة فجذبها فاستغاثت فاجتمع الناس
عليه يضربونه فنظر اليه ابن عائشة فعرفه فقال للناس تنحوا عن ابن اخي ثم قال الي يا ابن اخي
فاستحيا الغلام فجاء اليه فضمه الى نفسه ثم قال له امض معي فمضى معه حتى صار الى منزله
فادخله الدار وقال لبعض غلمانه بيته عندك فاذا افاق من سكره فاعلمه بما كان منه
ولا تدعه ينصرف حتى تأتي به فلما افاق ذكر له ما جرى فاستحيى منه وبكى وهم بالانصراف
فقال الغلام قد امر ان تأتيه فادخله عليه فقال له اما استحييت لنفسك اما استحييت
لشرفك اما ترى من ولدك فاتق الله وانزع عما انت فيه فبكى الغلام منكسا راسه ثم
رفع راسه وقال عاهدت الله تعالى عهدا يسألني عنه يوم القيامة اني لا اعود لشرب
النبيذ ولا لشيء مما كنت فيه وانا تائب فقال ادن مني فقبل راسه وقال احسنت
يا بني فكان الغلام بعد ذلك يلزمه ويكتب الحديث وكان ذلك ببركة رفقه ثم قال
ان الناس يأمرون بالمعروف ويكون معروفهم منكرا فعليكم بالرفق في جميع اموركم تنالوا
به ما تطلبون وعن الفتح بن شخرف قال تعلق رجل بامرأة وتعرض لها وبيده سكين
لا يدنو منه احد الا عقره وكان الرجل شديد البدن فبينا الناس كذلك والمرأة تصيح في
يده اذ مر بشر بن الحارث فدنا منه وحك كتفه بكتف الرجل فوقع الرجل الى الارض ومشى
بشر فدنوا من الرجل وهو يترشح عرقا كثيرا ومضت المرأة لحالها فسألوه ما حالك فقال
ما ادري ولكن حاكني شيخ وقال ان الله عز وجل ناظر اليك والى ما تعمل فضعفت
لقوله قدماي وهبته هيبة شديدة ولا ادري من ذلك الرجل فقالوا له ذاك بشر بن الحارث
فقال واسوأتاه كيف ينظر الي بعد اليوم وحم الرجل من يومه ومات يوم السابع
فهكذا كانت عادة اهل الدين في الحسبة وقد نقلنا فيه اثارا واخبارا في باب البغض
في الله والحب في الله من كتاب اداب الصحبة فلا نطول بالاعادة فهذا تمام النظر في درجات
الاحتساب واداب

الباب الثالث في المنكرات المألوفة في العادات

نشير الى جمل منها ليستدل بها على امثالها اذ لا مطمع في حصرها واستقصائها

منكرات المساجد اعلم ان المنكرات تنقسم الى مكروهة والى محظورة
فاذا قلنا هذا منكر مكروه فاعلم ان المنع منه مستحب والسكوت عليه مكروه و
ليس بحرام الا اذا لم يعلم الفاعل انه مكروه فيجب ذكره له لان الكراهة حكم في الشرع
يجب تبليغه الى من لا يعرفه فاذا قلنا منكر محظور او قلنا منكر مطلقا فنريد به
المحظور ويكون السكوت عليه مع القدرة محظورا فمما يشاهد كثيرا في المساجد
اساءة الصلاة بترك الطمأنينة في ركوعها وسجودها وهو منكر مبطل للصلاة بنص
الحديث فيجب النهي عنه الا عند الحنفي الذي يعتقد ان ذلك لا يمنع صحة الصلاة اذ
لا ينفع النهي عنه ومن رأى مسيئا في صلاته فسكت عليه فهو شريكه هكذا

ورد في الاثر وفي الخبر ما يدل عليه اذ ورد في المغتاب ان المستمع شريك القايل
وكذلك كل ما يقدح في صحة الصلاة من نجاسة على ثوبه لا يراها او انحراف عن القبلة بسبب
ظلام او عمى فكل ذلك تجب الحسبة فيه ومنها قراءة القران باللحن يجب النهي عنه ويجب
تلقين الصحيح فاذا كان المعتكف في المسجد يضيع اكثر اوقاته في امثال ذلك ويشتغل
به عن التطوع والذكر فليشتغل بالحسبة فان هذا افضل من ذكره وتطوعه لان هذا فرض
وهي قربة تتعدى فايدتها فهي افضل من نافلة تقتصر عليه فايدتها وان كان يمنعه عن
الوراقة والكسب الذي هو طعمته فان كان معه مقدار كفايته لزمه الاشتغال بذلك
ولم يجز له ترك الحسبة لطلب زيادة الدنيا وان احتاج الى الكسب لقوت يومه فهو عذر له
فيسقط الوجوب عنه لعجزه والذي يكثر اللحن في القران ان كان قادرا على التعلم فهو عاص
به وان كان لا يطاوعه اللسان فان كان اكثر ما يقرا ملحونا فليتركه وليجتهد في تعلم
الفاتحة وتصحيحها وان كان الاكثر صحيحا وليس يقدر على التسوية فلا باس ان يقرا ولكن
ينبغي ان يخفض به الصوت حتى لا يسمع غيره ولمنعه سرا منه ايضا وجه ولكن اذا كان ذلك
منتهى قدرته وكان له انس بالقراءة وحرص عليها فلست ارى به باسا والله اعلم ومنها
تراسل المؤذنين في الاذان وتطويلهم مد كلماته وانحرافهم عن صوب القبلة بجميع الصدر
في الحيعلتين وانفراد كل واحد باذان ولكن من غير توقف الى انقطاع اذان الاخر بحيث
يضطرب على الحاضرين جواب الاذان لتداخل الاصوات فكل ذلك منكرات مكروهة يجب تعريفها
وان صدرت عن معرفة فيستحب المنع منها والحسبة فيها وكذلك اذا كان للمسجد مؤذن
واحد وهو يؤذن قبل الصبح فينبغي ان يمنع منه فذلك مشوش للصوم والصلاة على الناس الا
اذا عرف انه يؤذن قبل الصبح حتى لا يعول على اذانه في صلاة وترك سحور وكان معه مؤذن اخر
معروف الصوت يؤذن مع الصبح ومن المكروهات ايضا تكثير الاذان مرة بعد اخرى
بعد طلوع الصبح في مسجد واحد في اوقات متعاقبة متقاربة اما من واحد او من جماعة
فانه لا فايدة فيها اذ لم يبق في المسجد نايم ولم يكن الصوت مما يخرج من المسجد حتى ينبه
غيره فكل ذلك من المكروهات المخالفة لسنة الصحابة والسلف ومنها ان يكون
الخطيب لابسا ثوبا اسود يغلب عليه الابريسم او ممسكا بسيف مذهب فهو فاسق
والانكار عليه واجب فاما مجرد السواد فليس بمكروه ولكنه ليس بمحبوب اذ احب الثياب
الى الله البيض ومن قال انه مكروه وبدعة اراد به انه لم يكن معهودا في العصر الاول ولكنه اذا
لم يرد نهي عنه فلا ينبغي ان يسمى بدعة ومكروها ولكنه ترك الاحب ومنها كلام القصاص
والوعاظ الذين يمزجون بكلامهم البدعة فالقاص ان كان يكذب في كلامه فهو فاسق
والانكار عليه واجب وكذا الواعظ المبتدع يجب منعه ولا يجوز حضور مجلسه الا على قصد
اظهار الرد عليه اما للكافة ان قدروا عليه او لبعض الحاضرين حواليه فان لم يقدروا فلا
يجوز سماع البدعة قال الله تعالى لنبيه فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره
ومهما كان كلامه مايلا الى الرجاء وتجرية الناس على المعاصي وكان الناس يزدادون بكلامه
جراة وبعفو الله وبرحمته وثوقا يزيد بسببه رجاؤهم على خوفهم فيه فهو منكر ويجب

منعه منه لان فساد ذلك عظيم بل لو رجح خوفهم على رجائهم فذلك اقرب واليق
بطباع الخلق فانهم الى الخوف احوج وانما العدل تعديل الخوف والرجاء كما قال عمر رض
لو نادى مناد يوم القيامة ليدخل النار كل الناس الا رجلا لرجوت ان اكون انا ذلك
الرجل ولو نادى مناد ليدخل الجنة كل الناس الا رجلا واحدا لخشيت ان اكون انا ذلك
الرجل ومهما كان الواعظ شابا متزينا للنساء في ثيابه وهيئته كثير الاشعار والاشارات
والحركات وقد حضر مجلسه النساء فهذا منكر يجب المنع منه فان الفساد فيه اكثر من
الصلاح ويتبين ذلك منه بقراين حاله بل ينبغي ان لا يسلم الوعظ الا لمن ظاهره الورع
وهيئته السكينة والوقار وزيه زي الصالحين والا فلا يزداد الناس به الا تماديا
في الضلال ويجب ان يضرب بين الرجال والنساء حايل يمنع من النظر فان ذلك ايضا
مظنة الفساد والعادات تشهد لهذه المنكرات ويجب منع النساء من حضور المساجد
للصلاة ولمجالس الذكر اذا خيفت الفتنة بهن فقد منعتهن عايشة رضي الله عنها فقيل لها ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منعهن من الجماعات فقالت لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما احدثن بعده لمنعهن فاما اجتياز المراة بالمسجد مستترة فلا تمنع منه الا ان الاولى
ان لا تتخذ المسجد مجازا اصلا وقراءة القران بين يدي الوعاظ مع التمديد والالحان على وجه
يغير نظم القران ويجاوز حد التنزيل منكر مكروه شديد الكراهة انكره جماعة من السلف
ومنها الحلق يوم الجمعة لبيع الادوية والاطعمة والتعويذات وقيام السؤال وقراءتهم
الاشعار وما يجري مجراه فهذه منها ما هو محرم لكونه تلبيسا وكذبا كالكذابين من طرقية الاطبا
وكاهل الشعبذة والتلبيسات وكذا ارباب التعويذات في الاغلب يتوصلون الى بيعها
بتلبيسات على الصبيان والسوادية فهو حرام في المسجد وخارج المسجد ويجب المنع منه بل كل
بيع فيه كذب وتلبيس واخفاء عيب على المشتري فهو حرام ومنها ما هو مباح خارج المسجد
كالخياطة وبيع الادوية والكتب والاطعمة في المسجد ايضا لا يحرم الا بعارض وهو ان يضيق
المكان على المصلين ويشوش عليهم صلاتهم فان لم يكن شيء من ذلك فليس بحرام والاولى تركه
ولكن شرط اباحته ان يجري في اوقات نادرة وايام معدودة فان اتخذ المسجد دكانا على الدوام
حرم ذلك ومنع منه فمن المباحات ما يباح بشرط القلة فان كثر صار صغيرة كما ان من
الذنوب ما يكون صغيرة بشرط عدم الاصرار فان كان القليل من هذا لو فتح بابه لخيف ان
يجر الى الكثير فليمنع منه وليكن هذا المنع الى الوالي او الى القيم بمصالح المسجد من قبل الوالي
لانه لا يدرك ذلك بالاجتهاد وليس للاحاد المنع مما هو مباح في نفسه لخوفه ان ذلك يكثر
ومنها دخول المجانين والصبيان والسكارى فلا باس بدخول الصبي المسجد اذا لم يلعب
ولا يحرم عليه اللعب في المسجد ولا السكوت على لعبه الا اذا اتخذ المسجد ملعبا وصار
ذلك معتادا فيجب المنع منه فهذا مما يحل قليله دون كثيره ودليل حل قليله ما روينا
في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف لاجل عايشة حتى نظرت الى
الحبشة يزفنون ويلعبون بالدرق والحراب يوم العيد في المسجد ولا شك في ان الحبشة
لو اتخذوا المسجد ملعبا لمنعوا ولم ير ذلك على الندرة والقلة منكرا حتى نظر اليه بل

امرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم لينصرهم عائشة تطييبا لقلبيهما اذ قال دونكم
يا بنى ارفده كما نقلناه فى كتاب السماع واما الحكايات فاذا كان من يحضرهم الا ان يحكى الحوشيهم او
او شتمهم و نطقهم بما هو فحش او تعاطيهم لامر منكر فى صورته لكشف العورة وغيرها
فاما المجنون الهادى الساكت الذى قد علم بعادته سكونه وسكوته فلا يجب اخراجه
من المسجد والسكران فى معنى المجنون فان خيف منه القذف اعنى القى او الايذا باللسان
وجب اخراجه وكذا ان كان مضطرب العقل فانه يخاف ذلك منه وان كان قد شرب ولم
يسكر والرائحة تفوح منه فهو منكر شديد الكراهة وكيف لا ومن اكل الثوم فقد نهاه
رسول الله عن حضور المساجد ولكن يحمل ذلك على الكراهة والامر فى الخمر اشد فان قال قائل
ينبغى ان يضرب السكران ويخرج من المسجد زجرا قلنا لا بل ينبغى ان يلزم القعود فى المسجد
ويدعا اليه ويومر بترك الشرب مهما كان فى الحال عاقلا فاما ضربه للزجر فليس ذلك الى الآحاد
بل هو الى الولاة وذلك عند اقراره او شهادة شاهدين فاما لمجرد الرائحة فلا نعم اذا كان
يمشى بين الناس متمايلا بحيث يعرف سكره فيجوز ضربه فى المسجد وغير المسجد منعا
له عن اظهار اثر السكر فان اظهار الفاحشة فاحشة والمعاصى يجب تركها وبعد الفعل
يجب سترها وستر آثارها وان كان مستترا مخفيا لاثره فلا يجوز ان يتجسس عليه ودلالة
الرائحة قد تفوح من غير شرب بالجلوس فى موضع الخمر وبوصوله الى الفم دون الابتلاع فلا
ينبغى ان يعول عليه **منكرات الاسواق** والمعتاد فى الاسواق الكذب فى
المرابحة واخفاء العيب فمن قال اشتريت هذه السلعة بعشرة وقد ربحت فيها درهما وهو كاذب
فهو فاسق وعلى من عرف ذلك ان يخبر المشترى بكذبه فان سكت مراعاة لقلب البائع
كان شريكا فى الخيانة وعصى بسكوته وكذا اذا علم به شيئا من عيب فيلزمه ان ينبه المشترى عليه
والا كان راضيا بضياع مال اخيه وهو حرام وكذلك التفاوت فى الذراع والمكيال والميزان
يجب على كل من عرفه تغييره بنفسه او رفعه الى الوالى حتى يغيره **ومنها** ترك الايجاب
والقبول والاكتفاء بالمعاطاة ولكن ذلك فى محل الاجتهاد فلا ينكر الا على من اعتقد وجوبه
وكذا فى الشروط الفاسدة المعتادة بين الناس يجب الانكار فيها فانها مفسدة للعقود
وكذا فى الربويات كلها وهى غالبة وكذلك سائر التصرفات الفاسدة **ومنها بيع الملاهى**
وبيع اشكال الحيوانات المصورة فى ايام العيد لاجل الصبيان فتلك يجب كسرها والمنع من
بيعها كالملاهى وكذا بيع الاوانى المتخذة من الذهب والفضة وكذا بيع ثياب الحرير وقلانس
الذهب والفضة اعنى الحرير مما لا يصلح الا للرجال ويعلم بعادة البلد انه لا يشتريه الا
الرجال وكل ذلك منكر محظور وكذلك من يعتاد بيع الثياب المبتذلة المقصورة التى يلبس على
الناس بقصارتها ابتذالها واستعمالها ويزعم انها جديدة فهذا الفعل حرام والمنع منه واجب
وكذلك اغراق الثياب بالرفو وما يودى الى الالتباس وكذلك جميع انواع العقود المودية
الى التلبيسات وذلك يطول احصاؤه فليقس بما ذكرناه ما لم نذكره **منكرات الشوارع**
فمن المنكرات المعتادة فى الشوارع وضع الاسطوانات وبناء الدكات متصلة بالابنية
المملوكة وغرس الاشجار واخراج الرواشن والاجنحة ووضع الخشب واحمال الحبوب

والاطعمة على الطرق فكل ذلك منكر ان كان يودى الى تضييق الطرق واستضرار المارة وان لم
يود الى ضرر اصلا لسعة الطريق فلا يمنع منه نعم يجوز وضع الحطب واحمال الاطعمة فى القدر
الذى ينقل الى البيوت فان ذلك يشترك فى الحاجة اليه الكافة ولا يمكن المنع وكذلك ربط الدواب
على الطريق بحيث يضيق الطريق وينجس المجتازين منكر يجب المنع منه الا بقدر حاجة النزول
والركوب وهذا لان الشارع مشترك وليس لاحد ان يختص به الا بقدر الحاجة والمرعى الحاجة التى يراد
الشوارع لاجلها دون سائر الحاجات **ومنها** سوق الدواب وعليها الشوك بحيث
يمزق ثياب الناس فذلك منكر ان امكن شدها وضمها بحيث لا تمزق الثياب او امكن
العدول بها الى موضع واسع والا فلا منع اذ حاجة اهل البلد تمس اليه نعم لا تترك ملقاة
على الشوارع الا بقدر مدة النقل وكذلك تحميل الدواب من الاحمال ما لا تطيقه منكر يجب
منع الملاك منه وكذلك القصاب اذا كان يذبح فى الطريق حذاء باب الحانوت ويلوث
الطريق بالدم فيمنع منه بل حقه ان يتخذ فى دكانه مذبحا فان فى ذلك تضييقا واضرارا بالناس
بسبب ترشيش النجاسة واضرارا بسبب استقذار الطباع للقاذورات وكذلك
طرح القمامة على جواد الطرق وتبديد قشور البطيخ ورش الماء بحيث يخشى منه التزلق
والتعثر كل ذلك من المنكرات وكذلك ارسال الماء من الميازيب المخرجة من الحائط
الى الطريق الضيقة فان ذلك ينجس الثياب ويضيق الطريق ولا يمنع منه فى الطرق
الواسعة اذ العدول عنه ممكن فاما ترك مياه المطر والاوحال والثلوج فى الطرق من غير
كسح فذلك منكر ولكن ليس يختص به شخص معين الا الثلج الذى يختص بطرحه على الطريق
واحد والماء الذى يجتمع على الطريق من ميزاب معين فعلى صاحبه على الخصوص كسح الطريق
وان كان من المطر فذلك حسبة عامة فعلى الولاة تكليف الناس القيام بها وليس للآحاد
فيه الا الوعظ فقط وكذلك اذا كان له كلب عقور على باب داره يوذى الناس فيجب منعه
منه وان كان لا يوذى الا بتنجيس الطريق وكان يمكن الاحتراز عن نجاسته لم يمنع
منه وان كان يضيق الطريق ببسط ذراعيه فيمنع منه بل يمنع صاحبه من ان ينام على الطريق
او يقعد قعودا يضيق الطريق فكلبه اولى بالمنع **منكرات الحمامات** منها
الصور التى على باب الحمام او داخل الحمام يجب ازالتها على كل من يدخلها ان قدر فان
كان الموضع مرتفعا لا تصل اليه يده فلا يجوز له الدخول الا لضرورة فليعدل الى حمام آخر
فان مشاهدة المنكر غير جائزة ويكفيه ان يشوه وجهها ويبطل به صورتها ولا يمنع
من صور الاشجار وسائر النقوش سوى صور الحيوانات **ومنها** كشف العورات
والنظر اليها ومن جملتها كشف الدلاك عن الفخذ وما تحت السرة لتنحية الوسخ بل
من جملتها ادخال اليد تحت الازار فان مس عورة الغير حرام كالنظر اليها **ومنها**
الانبطاح على الوجه بين يدى الدلاك لتغميز الاعجاز والافخاذ فهذا مكروه من
الحرم الى الركبة فهذا كله مكروه وان كان مع حائل ولكن لا يكون محظورا اذا لم
يخش من حركة الشهوة وكذلك كشف العورة للحجام الذمى من الفواحش
فان المراة لا يجوز لها ان تكشف بدنها للذميات فى الحمام فكيف يجوز لها كشف العورة
للرجال **ومنها** غمس اليد والاوانى النجسة فى المياه القليلة وغسل الازار والطاس

التغير في الحوض وماؤه قليل فانه منجس للماء الا على مذهب مالك فلا يجوز الانكار فيه على
المالكية ويجوز على الحنفية والشافعية وان اجتمع مالكي وشافعي في الحمام فليس للشافعي منع
المالكي من ذلك الا بطريق الالتماس واللطف وهو ان يقول له انا نحتاج الى ان نغسل اليد اولا
ثم نغمسها في الماء واما انت فمستغن عن ايذائي وتفويت الطهارة علي وما يجري مجراه
فان مظان الاجتهاد لا يمكن الحسبة فيها بالقهر ومنها ان يكون في مداخل بيوت الحمام و
مجاري مياهها حجارة ملساء مزلقة يزلق عليها الغافلون فهذا منكر ويجب قلعه وازالته
وينكر على الحمامي اهماله فانه يفضي الى السقطة وقد يؤدي السقطة الى انكسار عضو او
انخلاعه وكذلك ترك السدر والصابون المزلق على ارض الحمام منكر ومن فعل ذلك وخرج
فتركه فتعثر به انسان وانكسر عضو من اعضائه وكان ذلك في موضع لا يظهر بحيث
يتعذر الاحتراز عنه فالضمان متردد بين الذي تركه وبين الحمامي اذ حقه تنظيف الحمام والوجه
ايجاب الضمان على تاركه في اليوم الاول وعلى الحمامي في اليوم الثاني اذ عادة التنظيف كل يوم
معتادة والرجوع في مواقيت اعادة التنظيف الى العادات فليعتبر بها وفي الحمام امور
اخر مكروهة وقد ذكرناها في كتاب الطهارة فلا نطول باعادتها **منكرات**
الضيافة فمنها فرش الحرير للرجال فهو حرام وكذلك تبخير البخور في مجمرة فضة او ذهب
وكذلك الشرب منهما واستعمال ماء الورد فيهما **ومنها** اسدال الستور وعليها
الصور ومنها سماع الاوتار او سماع القينات ومنها اجتماع النساء على السطوح
للنظر الى الرجال مهما كان في الرجال شباب يخاف الفتنة بينهم فكل ذلك محظور منكر
يجب تغييره ومن عجز عن تغييره لزمه الخروج ولم يجز له الجلوس فلا رخصة في الجلوس في
مشاهدة المنكرات واما الصور على النمارق والزلالي المفروشة فليس منكرا وكذا
على الاطباق والقصاع الا الاواني المتخذة على شكل الصور فانه قد يكون رؤس المجامر
على شكل طير فذلك حرام يجب كسر مقدار الصورة منه وفي المكحلة الصغيرة من الفضة
خلاف وقد خرج احمد بن حنبل عن الضيافة بسببها ومهما كان الطعام
حراما او كان الموضع مغصوبا او كانت الثياب المفروشة حراما فهو من اشد المنكرات
فان كان فيها من يتعاطى شرب الخمر وحده فلا يجوز الحضور اذ لا يجوز حضور مجالس
الشرب وان كان مع ترك الشرب ولا يجوز مجالسة الفاسق في حالة مباشرته للفسق
وانما النظر في مجالسته بعده وانه هل يجب بغضه في الله ومقاطعته كما ذكرناه في
باب الحب والبغض في الله تعالى وكذلك ان كان فيهم من يلبس الحرير وخاتم الذهب فهو
فاسق لا يجوز الجلوس معه من غير ضرورة فان كان الثوب على صبي غير بالغ فهذا
في محل النظر والصحيح ان ذلك منكر ويجب نزعه عنه ان كان مميزا لعموم قوله عليه
الصلاة والسلام هذان حرامان على ذكور امتي وكما يجب منع الصبي من شرب الخمر
لا لكونه مكلفا ولكن لكونه يانس به فاذا بلغ عسر عليه الصبر عنه فكذلك شهوة
التزين بالحرير تغلب عليه اذا اعتاده فيكون ذلك بذر الفساد يبذر في صدره
فتنبت منه شجرة من الشهوة راسخة يعسر قلعها بعد البلوغ اما الصبي الذي لا يميز
فيضعف معنى التحريم في حقه ولا يخلو عن احتمال والعلم عند الله تعالى والمجنون في

2

معنى الصبي الذي لا يميز نعم يحل التزين بالذهب والحرير للنساء من غير اسراف
ولا ارى رخصة في تثقيب اذن الصبية لاجل تعليق حلق الذهب فيها فان هذا جرح
مؤلم ومثله موجب للقصاص فلا يجوز الا لحاجة مهمة كالفصد والحجامة والختان و
التزين بالحلق غير مهم بل في التقريط بتعليقه من الاذن وفي المخانق والاسورة
كفاية عنه فهذا وان كان معتادا فهو حرام والمنع منه واجب والاستئجار عليه غير صحيح
والاجرة الماخوذة عليه حرام الا ان يثبت من جهة النقل فيه رخصة ولم يبلغنا الى
الان فيه رخصة **ومنها** ان يكون في الضيافة مبتدع يتكلم ببدعته فيجوز الحضور
لمن يقدر على الرد عليه على عزم الرد فان كان لا يقدر عليه لم يجز وان كان المبتدع لا
يتكلم ببدعته فيجوز الحضور مع اظهار الكراهة عليه والاعراض عنه كما ذكرناه
في باب البغض في الله وان كان فيها مضحك بالحكايات وانواع النوادر فان كان
يضحك بالفحش والكذب لم يجز الحضور وعند الحضور يجب الانكار وان كان ذلك بمزح
لا كذب فيه ولا فحش فهو مباح اعني ما يقل منه فاما اتخاذه صنعة وعادة فليس
بمباح فليس بمباح وكل كذب لا يخفى انه كذب ولا يقصد منه التلبيس فليس من جملة المنكرات
كقول الانسان قد طلبتك اليوم مائة مرة واعدت الكلام عليك الف مرة وما يجري مجراه
مما يعلم انه لا يقصد به التحقيق فذلك لا يقدح في العدالة ولا ترد الشهادة به وسياتي
حد المزاح المباح والكذب المباح في كتاب افات اللسان من ربع المهلكات **ومنها**
الاسراف في الطعام والبناء وهو منكر بل في المال منكران احدهما الاضاعة والاخر الاسراف
والاضاعة تفويت مال بلا فائدة يعتد بها كاحراق الثوب وتمزيقه وهدم البناء
من غير غرض والقاء المال في البحر وفي معناه صرف المال الى النائحة والمطرب وفي
انواع الفساد لانها فوائد محرمة شرعا فصارت كالمعدومة واما الاسراف فقد يطلق
لارادة صرف المال الى النائحة والمطرب والمنكرات وقد يطلق على الصرف الى المباحات
في جنسها ولكن مع المبالغة والمبالغة تختلف بالاضافة الى الاحوال فنقول من لم
يملك الا مائة دينار ومعه عياله واولاده ولا معيشة لهم سواه فانفق الجميع في وليمة
فهو مسرف يجب منعه منه قال تعالى ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا نزل
هذا في رجل بالمدينة قسم جميع ماله ولم يبق شيئا لعياله فطولب بالنفقة فلم يقدر على شيء
فقال تعالى ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكذلك قال تعالى والذين اذا
انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا فمن يسرف هذا الاسراف ينكر عليه ويجب على القاضي ان يحجر عليه
الا اذا كان الرجل وحده وكان له قوة في التوكل صادقة فله ان ينفق جميع ماله في ابواب البر
ومن له عيال او كان عاجزا عن التوكل فليس له ان يتصدق بجميع ماله ولو انه صرف جميع
ماله الى نقوش حيطانه وتزيين بنيانه فهو ايضا اسراف محرم وفعل ذلك ممن له مال كثير ليس
بحرام لان التزيين من الاغراض الصحيحة ولم تزل المساجد تزين وتنقش ابوابها وسقوفها مع
ان نقش الباب والسقف لا فائدة فيه الا مجرد الزينة وكذا الدور وكذلك القول في التجمل
بالثياب والاطعمة فذلك مباح في جنسه ويصير اسرافا باعتبار حال الرجل وثروته وامثال هذه
المنكرات كثيرة لا يمكن حصرها فقس بهذه منكرات المجامع ومجالس القضاة ودواوين السلاطين
ومدارس الفقهاء ورباطات الصوفية وخانات الاسواق فلا تخلو بقعة عن منكر مكروه او

طى

محظورا فاستقصاء جميع المنكرات يستدعي جميع تفاصيل الشرع اصولها وفروعها فلنقتصر على
هذا القدر منها **منكرات العامة** اعلم ان كل قاعد في بيته اين ما كان فليس خاليا
في هذا الزمان عن منكر من حيث التقاعد عن ارشاد الناس وتعليمهم وحملهم على المعروف
فاكثر الناس جاهلون بالشرع في شروط الصلاة في البلاد فكيف في القرى والبوادي ومنهم
الاعراب والاكراد والتركمانية وسائر اصناف الخلق وواجب ان يكون في كل مسجد ومحلة
من البلد فقيه يعلم الناس دينهم وكذا في كل قرية وواجب على كل فقيه فرغ من فرض
عينه وتفرغ لفرض الكفاية ان يخرج الى من يجاور بلده من اهل السواد من العرب والاكراد
وغيرهم ويعلمهم دينهم وفرائض شرعهم ويستصحب مع نفسه زادا يأكله ولا يأكل من
اطعمتهم فان اكثرها تكون شبهة فان قام به واحد سقط الحرج عن الآخرين والا
عم الحرج الكافة اجمعين اما العالم فلتقصيره في الخروج واما الجاهل فلتقصيره في
ترك التعلم وكل عامي عرف شروط الصلاة فعليه ان يعرف غيره والا فهو شريك في الاثم
ومعلوم ان الانسان لا يولد عالما بالشرع وانما يجب التبليغ على اهل العلم وكل من تعلم
مسألة واحدة فهو من اهل العلم بها ولعمري الاثم على الفقهاء اشد لان قدرتهم فيه اظهر
وهو بصناعتهم اليق لان المحترفين لو تركوا حرفتهم لبطلت المعايش فهم تقلدوا امرا
لا بد منه في صلاح الخلق وشأن الفقيه وحرفته تبليغ ما بلغه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فان العلماء هم ورثة الانبياء وليس للانسان ان يقعد في بيته ولا يخرج الى المسجد لانه يرى
الناس لا يحسنون الصلاة بل اذا علم ذلك وجب عليه الخروج للتعليم والنهي وكذا كل من
يتيقن ان في السوق منكرا يجري على الدوام او في وقت بعينه وهو قادر على تغييره
فلا يجوز ان يسقط ذلك عن نفسه بالقعود في بيته بل يلزمه الخروج فان كان لا
يقدر على تغيير الجميع وهو محترز عن مشاهدته ويقدر على البعض لزمه الخروج لان
خروجه ان كان لاجل تغيير ما يقدر عليه فلا يضره مشاهدة ما لا يقدر عليه وانما يمنع
الحضور لمشاهدة المنكر من غير غرض صحيح وحق على كل مسلم ان يبدأ بنفسه فيصلحها
بالمواظبة على الفرائض وترك المحرمات ثم يعلم ذلك اهل بيته ثم يتعدى بعد الفراغ منهم
الى جيرانه ثم الى اهل محلته ثم الى اهل بلدته ثم الى السواد المكتنف لبلده ثم الى
اهل البوادي من الاكراد والعرب وغيرهم وهكذا الى اقصى العالم فان قام به الادنى سقط
عن الابعد والا حرج به كل قادر عليه قريبا كان او بعيدا ولا يسقط الحرج ما دام
يبقى على وجه الارض جاهل بفرض من فروض دينه وهو قادر على ان يسعى اليه بنفسه
او بغيره فيعلمه فرضه وهذا شغل شاغل لمن يهمه امر دينه يشغله عن تجزئة
الاوقات في التفريعات النادرة والتعمق في دقائق العلوم التي هي من فروض
الكفايات ولا يتقدم على هذا الا فرض عين او فرض كفاية هو اهم منه ٥ ٥

الباب الرابع في امر الامراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر

وقد ذكرنا درجات الامر بالمعروف وان اوله التعريف وثانيه الوعظ وثالثه التخشين في القول
ورابعه المنع بالقهر والحمل على الحق بالضرب والعقوبة والجائز من جملة ذلك مع السلاطين
الرتبتان الاوليان وهما التعريف والوعظ واما المنع بالقهر فليس ذلك لآحاد
الرعية مع السلطان فان ذلك يحرك الفتنة ويهيج الشر ويكون ما يتولد منه من المحذور
اكثر واما التخشين في القول كقوله يا ظالم يا من لا يخاف الله وما يجري مجراه فان ذلك
ان كان يحرك فتنة يتعدى شرها الى غيره لم يجز وان كان لا يخاف الا على نفسه فهو جائز
بل مندوب اليه فلقد كان من عادة السلف التعرض للاخطار والتصريح بالانكار
من غير مبالاة بهلاك المهجة والتعرض لانواع العذاب لعلمهم بان ذلك شهادة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام الى امام
فامره ونهاه في ذات الله فقتله على ذلك **وقال** رسول الله صلى الله عليه وسلم
افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر ووصف النبي عمر بن الخطاب فقال قرن
من حديد لا تأخذه في الله لومة لائم وتركه قوله الحق ما له من صديق ولما علم المتصلبون
في الدين ان افضل الكلام كلمة حق عند سلطان جائر وان صاحب ذلك اذا قتل فهو
شهيد كما وردت به الاخبار قدموا على ذلك موطنين انفسهم على الهلاك ومحتملين
انواع العذاب وصابرين عليه في ذات الله ومحتسبين لما يبذلونه من مهجهم عند الله
وطريق وعظ السلاطين وامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ما نقل عن علماء السلف
وقد اوردنا من ذلك في باب الدخول على السلاطين في كتاب الحلال والحرام ونقتصر الآن
على حكايات تعرف وجه الوعظ وكيفية الانكار عليهم **فمنها ما روي** عن ابي
بكر الصديق رضي الله عنه من انكاره على اكابر قريش حين قصدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالسوء وذلك ما روي عن عروة قال قلت لعبد الله بن عمرو ما اكثر ما رأيت قريشا نالت
من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تظهر من عداوته فقال حضرتهم وقد اجتمع اشرافهم
يوما في الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل
سفه احلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا ولقد صبرنا منه
على امر عظيم او كما قالوا فبينما هم كذلك اذ طلع رسول الله فاقبل يمشي حتى استلم
الركن ثم مر بهم طائفا بالبيت فلما مر بهم غمزوه ببعض القول قال فعرفت ذلك في
وجه رسول الله ثم مضى فمر بهم الثانية فغمزوه بمثلها فعرفت ذلك في وجه رسول الله
ثم مضى فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها حتى وقف ثم قال اتسمعون يا معشر قريش اما
والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح قال فاطرق القوم حتى ما منهم رجل الا
كانما على رأسه طائر واقع حتى ان اشدهم فيه وطأة قبل ذلك ليرفؤه باحسن ما يجد
من القول حتى انه ليقول انصرف يا ابا القاسم راشدا ما كنت جهولا قط قال فانصرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان من الغد اجتمعوا في الحجر وانا معهم فقال بعضهم
لبعض ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى اذا باداكم بما تكرهون تركتموه فبينا هم
في ذلك طلع رسول الله فوثبوا اليه فاحاطوا به يقولون انت الذي تقول كذا
لما كان يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم قال فيقول نعم انا الذي اقول ذلك قال
فلقد قال رأيت منهم رجلا اخذ بمجامع ردائه قال وقام ابو بكر دونه وهو يبكي ويقول

اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله قال ثم انصرفوا عنه فان ذلك لاشد ما رايت قريشا
بلغت منه وفي رواية اخرى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بفناء الكعبة اذ اقبل عقبة بن ابي معيط فاخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولف
ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فجا ابو بكر فاخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله وقال
اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاكم بالبينات من ربكم وروى ان معوية
حبس العطا فقام اليه ابو مسلم الخولاني فقال يا معوية انه ليس من كدك ولا كد ابيك
ولا كد امك قال فغضب معوية ونزل عن المنبر وقال لهم مكانكم ثم خرج عليهم وقد
اغتسل فقال ان ابا مسلم كلمني بكلام اغضبني واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار وانما تطفى النار بالماء فاذا غضب
احدكم فليغتسل واني دخلت فاغتسلت وصدق ابو مسلم انه ليس من كدي ولا كد
ابي فهلموا الى عطاياكم وروى عن ضبة بن محصن العنزي قال كان علينا ابو موسى
الاشعري اميرا بالبصرة فكان اذا خطبنا حمد الله واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم
ثم انشا يدعو لعمر قال فغاظني ذلك منه فقمت اليه فقلت اين انت عن صاحبه
تفضله عليه فصنع ذلك جمعا ثم كتب الى عمر يشكوني اليه فقال ان ضبة بن محصن العنزي
يتعرض لي في خطبتي فكتب اليه عمر ان اشخصه الي قال فاشخصني اليه فقدمت فضربت عليه
الباب فخرج الي فقال من انت فقلت انا ضبة بن محصن العنزي فقال لا مرحبا ولا اهلا
قلت اما المرحب فمن الله واما الاهل فلا اهل ولا مال فبماذا استحللت يا عمر اشخاصي
من مصري بلا ذنب اذنبته ولا شي اتيته قال فما الذي شجر بينك وبين عاملي قال قلت
الان اخبرك انه كان اذا خطبنا حمد الله واثنى عليه وصلى على النبي ثم انشا يدعو لك
فغاظني ذلك فقمت اليه فقلت له اين انت عن صاحبه تفضله عليه فصنع ذلك
جمعا ثم كتب اليك يشكوني قال فاندفع عمر باكيا وهو يقول انت والله اوفق منه وارشد
فهل انت غافر لي ذنبي يغفر الله لك ذنبك قلت يغفر الله لك يا امير المؤمنين ثم اندفع
باكيا وهو يقول والله لليلة من ابي بكر ويوم خير من عمر ال عمر فهل لك ان اخبرك بليلته
ويومه قلت نعم قال اما الليلة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اراد الخروج من مكة هاربا
من المشركين خرج ليلا فتبعه ابو بكر فجعل يمشي مرة امامه ومرة يمشي خلفه ومرة
عن يمينه ومرة عن يساره فقال له النبي ما هذا يا ابا بكر ما اعرف هذا من افعالك فقال
يا رسول الله اذكر الرصد فاكون امامك واذكر الطلب فاكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة
عن يسارك لا امن عليك فمشى صلى الله عليه وسلم ليلته على اطراف اصابعه حتى حفيت
فلما راى ابو بكر انها قد حفيت حمله على عاتقه وجعل يشتد به حتى اتى فم الغار
فانزله ثم قال والذي بعثك بالحق نبيا لا تدخله حتى ادخله فان كان فيه شي نزل بي
قبلك قال فدخل فلم ير فيه شيا فحمله فادخله وكان في الغار شق فيه حيات وافاعي
فالقمه ابو بكر قدمه مخافة ان يخرج منهن شي الى رسول الله فيؤذيه فنهشته حية

وجعلت تحدر دموع ابي بكر على خده من الم ما ... ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له يا ابا بكر
لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته الطمانينة لابي بكر فهذه ليلته واما يومه فلما
توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب فقال بعضهم نصلي ولا نزكي فاتيته لا الو[?]
نصحا فقلت يا خليفة رسول الله تالف الناس وارفق بهم فقال لي اجبار في الجاهلية
خوار في الاسلام فبماذا اتالفهم قبض رسول الله وارتفع الوحي فوالله لو منعوني عقالا كانوا
يعطونه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه قال فقاتلنا عليه فكان والله رشيد
الامر فهذا يومه ثم كتب الى ابي موسى يلومه وعن الاصمعي قال دخل عطا ابن ابي
رباح على عبد الملك بن مروان وهو جالس على سريره وحواليه الاشراف من كل بطن
وذلك بمكة في وقت حجه في خلافته فلما بصر به قام اليه واجلسه معه على السرير وقعد
بين يديه فقال له يا ابا محمد ما حاجتك فقال يا امير المؤمنين اتق الله في حرم الله
وحرم رسوله فتعاهده بالعمارة واتق الله في اولاد المهاجرين والانصار فانك بهم جلست
هذا المجلس واتق الله في اهل الثغور فانهم حصن المسلمين وتفقد امور المسلمين
فانك وحدك المسؤل عنهم واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق بابك
دونهم فقال له افعل ثم نهض وقام فقبض عليه عبد الملك فقال يا ابا محمد انما سالتنا
حاجة لغيرك وقد قضيناها فما حاجتك فقال ما لي الى مخلوق حاجة ثم خرج فقال عبد
الملك هذا وابيك الشرف هذا وابيك الشرف وروى ان الوليد بن عبد الملك قال لحاجبه
يوما قف بالباب فاذا مر بك رجل عليه سمت حسن فادخله علي ليحدثني فخرج الحاجب
فوقف على الباب مدة فمر به عطا ابن ابي رباح وهو لا يعرفه فقال له يا شيخ ادخل الى
امير المؤمنين فانه امرك بذلك فدخل عطا على الوليد وعنده عمر بن عبد العزيز فلما
دخل عطا على الوليد قال السلام عليك يا وليد قال فغضب الوليد على حاجبه فقال له ويلك
امرتك ان تدخل علي رجلا يسامرني ويحدثني فادخلت علي رجلا لم يرض ان يسميني
بالاسم الذي اختاره الله فقال له حاجبه ما مر بي غيره ثم قال لعطا اجلس ثم اقبل عليه
يحدثه فكان فيما حدثه عطا ان قال له بلغنا ان في جهنم واديا يقال له هبهب اعده
الله لكل امام جائر في حكمه فصعق الوليد من قوله وكان جالسا بين يدي عتبة باب
المجلس فوقع على قفاه الى جوف المجلس مغشيا عليه فقال عمر لعطا قتلت امير المؤمنين
فقبض عطا على ذراع عمر بن عبد العزيز فغمزه غمزة شديدة وقال له يا عمر ان الامر جد
فجد ثم قام عطا وانصرف فبلغنا ان عمر بن عبد العزيز قال مكثت سنة اجد الم غمزته
في ذراعي وكان ابن ابي شميلة يوصف بالعقل والادب فدخل على عبد الملك بن
مروان فقال له عبد الملك تكلم قال بما اتكلم وقد علمت ان كل كلام يتكلم به المتكلم عليه
وبال الا ما كان لله قال فبكى عبد الملك ثم قال رحمك الله لم يزل الناس يتواعظون ويتواصون
فقال الرجل يا امير المؤمنين ان الناس في القيامة لا ينجون من غصص مرارتها ومعاينة
الردى فيها الا من ارضى الله بسخط نفسه فبكى عبد الملك ثم قال لا جرم لاجعلن هذه
الكلمات مثالا نصب عيني ما دمت حيا وروى عن ابن عايشة ان الحجاج دعا

دعا بفقهاء البصرة وفقهاء الكوفة قال فدخلنا عليه ودخل الحسن البصري فقال الحجاج
مرحبا بابي سعيد الي الي ثم دعا بكرسي فوضع الى جنب سريره فقعد عليه فجعل
الحجاج يذاكرنا ويسائلنا اذ ذكر علي بن ابي طالب فنال منه ونلنا مقاربة وفرقا من
شره والحسن ساكت عاض على ابهامه فقال يا ابا سعيد ما لي اراك ساكتا قال ما
عسيت ان اقول قال اخبرني برايك في ابي تراب قال سمعت الله جل ذكره يقول وما جعلنا
القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت
لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرءوف رحيم
فعلي ممن هدى الله من اهل الايمان فاقول ابن عم النبي وختنه على ابنته واحب الناس
اليه وصاحب سوابق مباركات سبقت له من الله لن تستطيع انت ولا احد من الناس
ان يحظرها عليه ولا يحول بينه وبينها واقول انه كان لعلي هنات فالله حسيبه والله ما اجد
فيه قولا اعدل من هذا فتبسر وجه الحجاج وتغير وقام عن السرير مغضبا فدخل بيتا
خلفه وخرجنا قال عامر الشعبي فاخذت بيد الحسن فقلت يا ابا سعيد اغضبت الامير
واوغرت صدره قال اليك عني يا عامر يقول الناس عامر الشعبي عالم اهل الكوفة
اتيت شيطانا من شياطين الانس تكلمه بهواه وتقاربه في رايه ويحك يا عامر
هلا اتقيت ان سئلت فصدقت او سكت فسلمت قال عامر يا ابا سعيد قد قلتها
وانا اعلم ما فيها قال الحسن فذلك اعظم في الحجة عليك واشد في التبعة قال
وبعث الحجاج الى الحسن فلما دخل عليه قال انت تقول قاتلهم الله قتلوا عباد الله على الدينار
والدرهم قال نعم قال ما حملك على هذا قال ما اخذ الله على العلماء من المواثيق ليبيننه للناس
ولا يكتمونه قال يا حسن امسك عليك لسانك واياك ان يبلغني عنك ما اكره فافرق بين
راسك وجسدك وحكي ان حطيط الزيات جيء به الى الحجاج فلما دخل عليه قال انت
حطيط قال نعم سل عما بدا لك فاني عاهدت الله تعالى عند المقام على ثلاث خصال ان
سئلت لاصدقن وان ابتليت لاصبرن وان عوفيت لاشكرن قال فما تقول في قال اقول
انك من اعداء الله تعالى في الارض تنتهك المحارم وتقتل بالظنة قال فما تقول في عبد
الملك بن مروان قال اقول انه اعظم جرما منك وانما انت خطيئة من خطاياه قال فقال الحجاج
ضعوا عليه العذاب قال فانتهى به العذاب الى ان شقق له القصب ثم جعلوه على لحمه
ثم شدوه بالحبال ثم جعلوا يمدون قصبة قصبة حتى انتحلوا لحمه فما سمعوه يقول شيئا قال
فقيل للحجاج انه في اخر رمق فقال اخرجوه فارموا به في السوق قال جعفر فاتيته انا
وصاحب له فقلنا له حطيط الك حاجة قال شربة ماء فاتوه بشربة ثم مات وكان ابن
ثماني عشرة سنة وروي ان عمر بن هبيرة دعا بفقهاء البصرة واهل الكوفة واهل
المدينة واهل الشام وقرائها فجعل يسالهم وكلم عامر الشعبي فجعل لا يساله عن شيء
الا وجد عنده فيه علما ثم اقبل على الحسن البصري فساله ثم قال هما هذان هذا رجل
اهل الكوفة يعني الشعبي وهذا رجل اهل البصرة يعني الحسن وامر الحاجب فاخرج الناس
وخلا بالشعبي والحسن فاقبل على الشعبي فقال يا ابا عمرو اني امين امير

المومنين على العراق وعامله عليها ورجل مامور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمني حقهم
فانا احب حفظهم وتعهد ما يصلحهم مع النصيحة لهم وقد يبلغني عن العصابة من
اهل الديار الامر اجد عليهم فيه فاقبض طائفة من عطائهم فاضعه في بيت المال ومن
نيتي ان ارده عليهم فيبلغ امير المومنين اني قد قبضته على ذلك النحو فيكتب الي
ان لا ترده فلا استطيع رد امره ولا انفاذ كتابه وانما انا رجل مامور على الطاعة
فهل علي في هذا تبعة وفي اشباهه من الامور والنية فيها على ما ذكرت قال الشعبي
فقلت اصلح الله الامير انما السلطان والد يخطي ويصيب قال فسر بقولي واعجب به
ورايت البشرة في وجهه وقال فلله دره ثم اقبل على الحسن فقال ما تقول يا ابا سعيد قال
قد سمعت قول الامير يقول انه امين امير المومنين على العراق وعامله عليه ورجل مامور على الطاعة
ابتليت بالرعية ولزمني حقهم والنصيحة لهم والتعهد لما يصلحهم وحق الرعية لازم
لك وحق عليك ان تحوطهم بالنصيحة فاني سمعت عبد الرحمن بن سمرة القرشي صاحب
رسول الله يقول قال رسول الله من استرعي رعية فلم يحطها بالنصيحة حرم الله عليه
الجنة وتقول اني ربما قبضت من عطائهم ارادة صلاحهم واستصلاحهم وان يرجعوا
الى طاعتهم فيبلغ امير المومنين اني قبضتها على ذلك النحو فيكتب الي ان لا ترده فلا استطيع
رد امره ولا استطيع انفاذ كتابه وحق الله الزم من حق امير المومنين والله احق ان
يطاع ولا طاعة لمخلوق في معصية الله فاعرض كتاب امير المومنين على كتاب الله عز وجل
فان وجدته موافقا لكتاب الله فخذ به وان وجدته مخالفا لكتاب الله فاتق الله يا ابن هبيرة
اتق الله فانه يوشك ان ياتيك رسول من رب العالمين يزيلك عن سريرك
ويخرجك من سعة قصرك الى ضيق قبرك فتدع سلطانك ودنياك خلف ظهرك وتقدم
على ربك وتنزل على عملك يا ابن هبيرة وان الله ليمنعك من يزيد وان يزيد
لا يمنعك من الله وان امر الله تعالى فوق كل امر وانه لا طاعة في معصية الله واني احذرك باس
الله الذي لا يرد عن القوم المجرمين فقال ابن هبيرة اربع على ظلعك ايها الشيخ
واعرض عن ذكر امير المومنين فان امير المومنين صاحب العلم وصاحب الحكم وصاحب
الفضل وانما ولاه الله تعالى ولاية من امر هذه الامة لعلمه به وما يعلم من فضله ونيته فقال
الحسن يا ابن هبيرة الحساب من ورائك سوط بسوط وغضب بغضب والله بالمرصاد يا ابن
هبيرة انك ان تلق من ينصح لك في دينك ويحملك على امر اخرتك خير من ان تلقى رجلا يغرك
ويمنيك فقام ابن هبيرة وقد بسر وجهه وتغير لونه قال الشعبي فقلت يا ابا سعيد
اغضبت الامير واوغرت صدره وحرمتنا معروفه وصلته فقال اليك عني يا عامر قال
فخرجت الى الحسن التحف والطرف وكانت له المنزلة واستخف بنا وجفينا فكان اهلا لما ادي
اليه وكنا اهلا ان يفعل ذلك بنا فما رايت مثل الحسن فيمن رايت من العلماء الا مثل الفرس
العربي بين المقارف وما شهدنا مشهدا الا برز علينا وقال لله وقلنا مقاربة لهم وقال
عامر الشعبي وانا اعاهد الله ان لا اشهد سلطانا بعد هذا المجلس ودخل محمد بن واسع
على بلال بن ابي بردة فقال له ما تقول في القدر فقال جيرانك اهل القبور فتفكر فيهم

فإنه فيهم شغلا عن الغزو وعن الشافعي قال حدثنا عمي محمد بن علي قال اني لحاضر مجلس امير
المؤمنين ابي جعفر وفيه ابن ابي ذئب قال وكان والي المدينة الحسن بن زيد فقال الحسن يا امير
المؤمنين سل عنهم ابن ابي ذئب فقال فسأله فقال ما تقول فيهم يا ابن ابي ذئب فقال أشهد
انهم اهل تحطم في اعراض الناس كثير الاذى لهم فقال ابو جعفر قد سمعتم فقال الغفاريون
يا امير المؤمنين سله عن الحسن بن زيد فقال يا ابن ابي ذئب ما تقول في الحسن بن
زيد فقال اشهد عليه انه يحكم بغير الحق ويتبع هواه فقال قد سمعت يا حسن ما قال فيك
ابن ابي ذئب وهو الشيخ الصالح فقال يا امير المؤمنين سله عن نفسك فقال ما تقول
في قال تعفيني يا امير المؤمنين قال اسألك بالله الا اخبرتني قال تسألني بالله
كأنك لا تعرف نفسك قال والله لتخبرني قال اشهد انك اخذت هذا المال من غير
حقه فجعلته في غير اهله واشهد ان الظلم ببابك فاش قال فجاء ابو جعفر
من موضعه حتى وضع يده في قفا ابن ابي ذئب فقبض عليه ثم قال له اما والله لولا
اني جالس هاهنا لاخذت فارس والروم والديلم والترك بهذا المكان منك قال
فقال ابن ابي ذئب يا امير المؤمنين قد ولي ابو بكر وعمر فاخذا الحق وقسما بالسوية
واخذا باقفاء فارس والروم واصغرا آنافهم قال فخلى ابو جعفر قفاه وخلى سبيله
وقال والله لولا اني اعلم انك صادق لقتلتك فقال ابن ابي ذئب والله يا امير
المؤمنين اني لانصح لك من ابنك المهدي قال فبلغنا ان ابن ابي ذئب لما خرج
من مجلس المنصور لقيه سفيان الثوري فقال له يا ابا الحارث لقد سرني ما خاطبت به
هذا الجبار ولقد ساءني قولك له ابنك المهدي فقال يغفر الله لك يا ابا عبد الله كلنا مهدي
كلنا كان في المهد وعن الاوزاعي عن عبد الرحمن بن عمرو قال بعث الي ابو جعفر
المنصور امير المؤمنين وانا بالساحل فاتيت فلما وصلت اليه وسلمت عليه بالخلافة رد
علي واستجلسني ثم قال لي ما الذي بطأ بك عنا يا اوزاعي قال قلت وما الذي تريد
يا امير المؤمنين قال اريد الاخذ عنكم والاقتباس منكم قال قلت فانظر يا امير المؤمنين
ان لا تجهل شيئا مما اقول لك قال وكيف اجهله وانا اسألك عنه وفيه وجهت اليك
واقدمتك له قال قلت اخاف ان تسمعه ثم لا تعمل به قال فصاح بي الربيع واهوى بيده
الى السيف فانتهره المنصور وقال هذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة فطابت نفسي
وانبسطت في الكلام فقلت يا امير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن بسر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما عبد جاءته موعظة من الله في دينه فانها نعمة من الله
سيقت اليه فان قبلها بشكر والا كانت حجة من الله عليه ليزداد بها اثما ويزداد
الله عليه بها سخطا يا امير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن بسر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما وال مات غاشا لرعيته حرم الله عليه الجنة يا امير
المؤمنين من كره الحق فقد كره الله ان الله هو الحق المبين ان الذي لين قلوب امتكم
لكم حين ولاكم امورهم لقرابتكم من نبيهم صلى الله عليه وسلم وقد كان بهم رؤوفا
رحيما مواسيا لهم بنفسه في ذات يده محمودا عند الله وعند الناس فحقيق ان تقوم
له فيهم بالحق وان تكون بالقسط فيهم قائما ولعوراتهم ساترا لا تغلق عليك دونهم
الابواب ولا تقيم دونهم الحجاب تبتهج بالنعمة عندهم وتبتئس بما اصابهم من سوء

يا امير المؤمنين قد كنت في شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين
اصبحت تملكهم احمرهم واسودهم مسلمهم وكافرهم وكل له عليك نصيب من العدل
فكيف بك اذا انبعث منهم فئام وراء فئام يا امير المؤمنين حدثني مكحول
عن عروة بن رويم قال كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك
بها ويروع بها المنافقين فأتاه جبريل عليه السلام فقال له يا محمد ما هذه الجريدة
التي كسرت بها قلوب امتك وملأت قلوبهم رعبا فكيف بمن شقق ابشارهم وسفك
دماءهم وخرب ديارهم واجلاهم عن بلادهم وغيبهم الخوف منه يا امير المؤمنين
حدثني مكحول عن زياد بن حارثة عن حبيب بن مسلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
دعا الى القصاص من نفسه في خدش خدشه اعرابيا لم يتعمده فأتاه جبريل فقال
يا محمد ان الله تعالى لم يبعثك جبارا ولا متكبرا فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الاعرابي
فقال اقتص مني فقال الاعرابي قد احللتك بابي انت وامي وما كنت لافعل ذلك
ابدا ولو اتيت على نفسي فدعا له بخير يا امير المؤمنين رض نفسك لنفسك وخذ لها الامان
من ربك وارغب في جنة عرضها السموات والارض التي يقول فيها رسول الله لقيد قوس
احدكم من الجنة خير من الدنيا وما فيها يا امير المؤمنين ان الملك لو بقي لاحد من قبلك
لم يصل اليك فكذا لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك يا امير المؤمنين تدري ما جاء في تأويل
هذه الآية عن جدك ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها قال
الصغيرة التبسم والكبيرة الضحك فكيف بما عملته الايدي وحصدته الالسن يا امير
المؤمنين بلغني ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لو ماتت سخلة على شاطئ الفرات
ضيعة لخشيت ان اسأل عنها فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك يا امير المؤمنين تدري
ما جاء في تأويل هذه الآية عن جدك يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم
بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله قال يا داود اذا قعد
الخصمان بين يديك فكان لك في احدهما هوى فلا تتمنين في نفسك ان يكون
الحق له فيفلج على صاحبه فامحوك من نبوتي ثم لا تكون خليفتي ولا كرامة يا داود انما
جعلت رسلي الى عبادي رعاء كرعاء الابل لعلمهم بالرعاية ورفقهم بالسياسة ليجبروا
الكسير ويدلوا الهزيل على الكلأ والماء يا امير المؤمنين انك قد بليت بامر لو عرض على
السموات والارض والجبال لابين ان يحملنه واشفقن منه يا امير المؤمنين حدثني يزيد
بن جابر عن عبد الرحمن بن عمرة الانصاري ان عمر بن الخطاب استعمل رجلا من الانصار
على الصدقة فرآه بعد ايام مقيما فقال له ما منعك من الخروج الى عملك اما علمت ان
لك مثل اجر المجاهد في سبيل الله قال لا قال وكيف ذلك قال لانه بلغني ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ما من وال يلي شيئا من امور الناس الا اتي به يوم القيامة
مغلولة يده الى عنقه فيوقف على جسر من النار ينتفض به ذلك الجسر انتفاضة
يزيل كل عضو منه عن موضعه ثم يعاد فيحاسب فان كان محسنا نجا باحسانه
وان كان مسيئا انخرق به ذلك الجسر فيهوي به في النار سبعين خريفا فقال له عمر

ممن سمعت على قال من ابي ذر وسلمان فارسل اليهما عمر فسالهما فقالا نعم سمعناه
من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رض واعزاه من يتولاها بما فيها فقال ابو ذر
من سلت الله انفه والصق خده بالارض قال فاخذ المنديل فوضعه على وجهه ثم
بكى وانتحب حتى ابكاني ثم قلت يا امير المومنين قد سال العباس النبي امارة
على مكة والطايف او اليمن فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عباس يا عم النبي نفس تحييها
خير من امارة لا تحصيها نصيحة منه لعمه وشفقة عليه واخبره انه لا يغني عنه من الله شيا
اذا وحى الله اليه وانذر عشيرتك الاقربين فقال يا عباس ويا حمزة عمى النبي ويا فاطمة
بنت محمد اني لست اغني عنكم من الله شيا لي عملي ولكم اعمالكم وقد قال عمر بن الخطاب
لا يقيم امر الناس الا حصيف العقل اريب العقل لا يطلع منه على عورة ولا يحنق منه شيا
حراه ولا تاخذه في الله لومة لائم وقال الامرا اربعة فامير قوى ظلف نفسه وعماله
فذلك كالمجاهد في سبيل الله يد الله باسطة عليه بالرحمة وامير فيه ضعف ضعف نفسه
وارتع عماله لضعفه فهو على شفا هلاك الا ان يرحمه الله تعالى وامير ضعف عماله وارتع
نفسه فذلك الحطمة الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شر الرعا الحطمة فهو الهالك
وحده وامير ارتع نفسه وعماله فهلكوا جميعا وقد بلغني يا امير المومنين ان جبريل
عليه السلام اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اتيتك حين امر الله بمنافخ النار فو
ضعت على النار تسعر ليوم القيامة فقال له يا جبريل صف لي النار فقال ان الله تعالى
امر بها فاوقد عليها الف عام حتى احمرت ثم اوقد عليها الف عام حتى اصفرت ثم اوقد
عليها الف عام حتى اسودت فهي سودا مظلمة لا يضيء لهبها ولا جمرها والذي بعثك
بالحق نبيا لو ان ثوبا من ثياب اهل النار اظهر لاهل الارض لماتوا جميعا ولو ان ذنوبا
من شرابها صب في مياه الارض جميعا لقتل من ذاقه ولو ان ذراعا من السلسلة
التي ذكرها الله وضع على جبال الارض جميعا لذابت وما استقلت ولو ان رجلا دخل
النار ثم اخرج منها لمات اهل الارض من نتن ريحه وتشويه خلقه وعظمه فبكى النبي
صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل لبكائه فقال اتبكي يا محمد وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك
وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا قال ولم بكيت يا جبريل وانت الروح الامين امين
الله على وحيه قال اخاف ان ابتلى بمثل ما ابتلي به هروت وماروت فهو الذي منعني
من اتكالي على منزلتي عند ربي فاكون قد امنت مكره فلم يزالا يبكيان حتى نوديا من السما
يا جبريل ويا محمد ان الله تعالى قد امنكما ان تعصياه فيعذبكما وفضل محمد على سائر
الانبيا كفضل جبريل على سائر الملائكة وقد بلغني يا امير المومنين ان عمر بن الخطاب
قال اللهم ان كنت تعلم اني ابالي اذا قعد الخصمان بين يدي على من مال الحق من
قريب او بعيد فلا تمهلني طرفة عين يا امير المومنين ان اشد الشدة القيام لله
بحقه وان اكرم الكرم عند الله التقوى وانه من طلب العز بطاعة الله رفعه الله واعزه
ومن طلبه بمعصية الله اذله الله ووضعه فهذه نصيحتي والسلام عليك ثم نهضت
فقال الى اين فقلت الى الولد والوطن باذن امير المومنين ان شاء الله تعالى قال

فقد اذنت لك وشكرت لك نصيحتك وقبلتها بقبولها والله الموفق للخير والمعين
عليه وبه استعين وعليه اتوكل وهو حسبي ونعم الوكيل فلا تخلني من مطالعتك
اياي بمثل هذا فانك المقبول القول غير متهم في النصيحة قلت افعل ان شا الله
قال محمد بن مصعب فامر له بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله وقال انا في غنا
عنه وما كنت لابيع نصيحتي بعرض من الدنيا وعرف المنصور مذهبه فلم يجد عليه في
ذلك وعن ابن المهاجر قال قدم امير المومنين المنصور مكة فكان يخرج من
دار الندوة الى الطواف في اخر الليل يطوف ويصلي ولا يعلم به احد فاذا طلع الفجر رجع الى
دار الندوة وجاء المؤذنون فسلموا عليه واقيمت الصلاة فيخرج فيصلي بالناس فخرج
ذات ليلة حين اسحر فبينا هو يطوف اذ سمع رجلا عند الملتزم وهو يقول اللهم اني اشكو
اليك ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق واهله من الظلم والطمع فاسرع
المنصور في مشيه حتى ملا مسامعه من قوله ثم خرج فجلس ناحية من المسجد و
ارسل اليه فدعاه فاتاه الرسول فقال له اجب امير المومنين فصلى ركعتين واستلم الركن
واقبل مع الرسول فسلم عليه فقال له المنصور ما هذا الذي سمعتك تقوله
من ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق واهله من الظلم والطمع فوالله
لقد حشوت مسامعي ما امرضني واقلقني فقال يا امير المومنين ان امنتني على نفسي انبأتك
بالامور من اصولها والا اقتصرت على نفسي ففيها لي شغل شاغل فقال له انت امن على
نفسك فقال ان الذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق واصلاح ما ظهر من البغي والفساد
في الارض انت قال ويحك وكيف يدخلني الطمع والصفرا والبيضا في يدي والحلو والحامض
في قبضتي قال وهل دخل احد من الطمع ما دخلك يا امير المومنين ان الله تعالى
استرعاك امور المسلمين واموالهم فاغفلت امورهم واهتممت بجمع اموالهم وجعلت بينك
وبينهم حجابا من الجص والاجر وابوابا من الحديد وحجبة معهم السلاح ثم سجنت نفسك
فيها منهم وبعثت عمالك في جمع الاموال وجبايتها واتخذت وزرا واعوانا ظلمة ان
نسيت لم يذكروك وان احسنت لم يعينوك وقويتهم على ظلم الناس بالاموال والكراع
والسلاح وامرت ان لا يدخل عليك من الناس الا فلان وفلان نفر سميتهم ولم تامر
بايصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجايع ولا العاري ولا الضعيف ولا الفقير ولا احد الا
وله في هذا المال حق فلما راك هولا النفر الذين استخلصتهم لنفسك واثرتهم على رعيتك
وامرتهم ان لا يحجبوا عنك تجبي الاموال ولا تقسمها قالوا هذا قد خان الله فما لنا لا نخونه
وقد سخرنا فائتمروا على ان لا يصل اليك من علم اخبار الناس الا ما ارادوا ولا يخرج لك
عامل فيخالف امرهم الا اقصوه حتى يصغر قدره وتسقط منزلته فلما انتشر ذلك عنك
وعنهم اعظمهم الناس وهابوهم وكان اول من صانعهم عمالك بالهدايا والاموال ليتقووا
به على ظلم رعيتك ثم فعل ذلك ذو القدرة والثروة من رعيتك لينالوا ظلم من دونهم
من الرعية فامتلات بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا وصار هولا القوم شركاك في
سلطانك وانت غافل فان جاء متظلم حيل بينه وبين الدخول وان اراد رفع قصته
اليك عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك ووقفت للناس رجلا ينظر في مظالمهم
فان جاء ذلك الرجل فبلغ بطانتك سالوا صاحب المظالم ان لا يرفع مظلمته وان كانت

المتظلم به حومه واخابه لم يمكنه مما يريد حجوا منهم فلا يزال المظلوم يختلف اليه ويلوذ به
ويشكوا ويستغيث وهو يدفعه ويعتل عليه فاذا اجهد واحرج وظهرت صرخ بين
يديك فيضرب ضربا مبرحا ليكون نكالا لغيره وانت تنظر ولا تنكر ولا تغير فما بقا الاسلام
واهله على ذلك وقد كانت بنوا امية وكانت العرب لا ينتهي اليهم ظلامة المظلوم الا رفعت
ظلامته اليهم فينصف ولقد كان الرجل يأتي من اقصى البلاد حتى يبلغ باب سلطانهم
فينادي يا اهل الاسلام فيبتدرونه ما لك ما لك فيرفعون مظلمته الى سلطانهم
فينتصف له ولقد كنت يا امير المؤمنين اسافر الى ارض الصين وبها ملك فقدمتها
مرة وقد ذهب سمع ملكهم فجعل يبكي فقال له وزراءه ما لك تبكي لا بكت عيناك فقال
اما اني لست ابكي على المصيبة لما نزلت بي ولكن لمظلوم بالباب يصرخ فلا اسمع
صوته ثم قال اما اذ كان ذهب سمعي فان بصري لم يذهب نادوا في الناس لا يلبس
ثوبا احمر الا مظلوما فكان يركب الفيل في طرفي النهار حتى يرى مظلوما فينصفه
هذا يا امير المؤمنين مشرك بالله قد غلبت رافته بالمشركين ورقته على شح نفسه في
ملكه وانت مؤمن بالله تعالى وابن عم نبيه لا تغلبك رافتك بالمسلمين على شح نفسك
فانك لا تجمع الاموال الا لواحد من ثلاثة ان قلت اجمعها لولدي فقد اراك الله عبرا في الطفل الصغير
يسقط من بطن امه وما له على الارض من مال وما من مال الا ودونه يد شحيحة تحويه فما يزال الله
يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس فيه ولست الذي تعطي بل الله الذي يعطي من يشاء
وان قلت اجمع المال لاشيد سلطاني فقد اراك الله عبرا فيمن كان قبلك ما اغنى عنهم
ما جمعوا من الذهب والفضة وما اعدوا من الرجال والكراع والسلاح وما ضرك وولد ابيك وما
كنتم فيه من قلة الجدة والضعف حين اراد الله بكم ما اراد وان قلت اجمع المال لطلب غاية
هي اجسم من الغاية التي انت فيها فوالله ما فوق ما انت فيها الا منزلة لا تدرك الا بالعمل
الصالح يا امير المؤمنين هل تعاقب من عصاك باشد من القتل قال لا قال فكيف تصنع
بالملك الذي خولك الله وما انت فيه من امر الدنيا وهو تعالى لا يعاقب من عصاه بالقتل
ولكن يعاقب من عصاه بالخلود في العذاب الاليم وهو الذي يرى منك ما عقد عليه قلبك
واضمرته جوارحك فما تقول اذا انتزع الملك الحق المبين ملك الدنيا من يدك ودعاك الى الحساب
هل يغني عنك عنده شيئا مما كنت فيه مما شححت عليه من ملك الدنيا فبكى المنصور بكاء
شديدا حتى نحب وارتفع صوته ثم قال يا ليتني لم اخلق ولم اك شيئا ثم قال كيف احتيالي
فيما خولت ولم ار من الناس الا خائنا قال يا امير المؤمنين عليك بالائمة الاعلام المرشدين
قال ومن هم قال العلماء قال قد فروا مني قال هربوا منك مخافة ان تحملهم على ما ظهر من
طريقتك من قبل عمالك ولكن افتح الابواب وسهل الحجاب وانتصر للمظلوم من الظالم وامنع
الظالم وخذ الشيء مما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل وانا ضامن عن من هرب منك ان يأتيك
فيعاونك على صلاح امرك ورعيتك فقال المنصور اللهم وفقني ان اعمل بما قال هذا الرجل
وجاء المؤذنون فسلموا عليه واقيمت الصلاة فخرج فصلى بهم ثم قال للحرسي عليك بالرجل
ان لم تاتني به لاضربن عنقك واغتاظ عليه غيظا شديدا ان لم يوجد فخرج الحرسي يطلب
الرجل فبينا هو يطوف فاذا هو بالرجل يصلي في بعض الشعاب فقعد حتى صلى ثم قال يا ذا
الرجل اما تتقي الله قال بلى قال اما تعرفه قال بلى قال فانطلق معي فقد الى ان يقتلني ان لم

اتك بك قال ليس لي الى ذلك من سبيل قال يقتلني قال لا قال وكيف قال
تحسن تقرا قلت لا فاخرج من مزود كان معه رقا فيه مكتوب شيئا قال خذه فاجعله في جيبك
فان فيه دعاء الفرج قلت وما دعاء الفرج قال لا يرزقه الا الشهداء قلت رحمك الله قد احسنت
الي فان رايت ان تخبرني ما هذا الدعاء وما فضله قال من دعا به مساء وصباحا هدمت
ذنوبه ودام سروره ومحيت خطاياه واستجيب دعاؤه وبسط له في رزقه واعطي امله واعين
على عدوه وكتب عند الله صديقا ولا يموت الا شهيدا يقول اللهم كما لطفت في
عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ما تحت ارضك كعلمك
بما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر في علمك
وانقاد كل شيء لعظمتك وخضع كل ذي سلطان لسلطانك وصار امر الدنيا والاخرة كله
بيدك اجعل لي من كل هم امسيت فيه فرجا ومخرجا اللهم ان عفوك عن ذنوبي
وتجاوزك عن خطيئتي وسترك على قبيح عملي اطمعني ان اسالك ما لا استوجبه مما
قصرت فيه ادعوك امنا واسالك مستانسا لا خائفا ولا وجلا انك المحسن الي واني
المسيء الى نفسي فيما بيني وبينك تتودد الي فاتبغض اليك ولكن الثقة بك حملتني
على الجراة عليك فعد بفضلك واحسانك علي انك انت التواب الرحيم قال فاخذته
فصيرته في جيبي ثم لم يكن لي هم الا امير المؤمنين فدخلت فسلمت عليه فرفع راسه
فنظر الي وتبسم ثم قال ويلك وتحسن السحر فقلت لا والله يا امير المؤمنين وقصصت عليه
امري مع الشيخ فقال هات الرق الذي اعطاك فنظر فيه ثم جعل يبكي ثم قال قد نجوت ثم
امر بنسخه واعطاني عشرة الاف درهم ثم قال اتعرفه قلت لا قال ذاك الخضر عليه السلام
وعن ابن عمران الجوني قال لما ولي هرون الرشيد الخلافة زاره العلماء فهنوه بما
صار اليه وفتح بيوت الاموال واقبل يجيزهم الجوائز السنية وكان مواخيا لسفيان الثوري
وكان قبل ذلك يجالس العلماء والزهاد وكان يظهر النسك والتقشف فهجره سفيان ولم
يزره فاشتاق هرون الى زيارته ليخلوا به ويحدثه فلم يزره فاشتد ذلك على هرون ف
كتب اليه كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هرون الرشيد امير المؤمنين
الى اخيه سفيان اما بعد يا اخي قد علمت ان الله تعالى واخا بين المؤمنين وجعل ذلك فيه
وله واعلم اني واخيتك في الله مواخاة لم اصرم بها حبلك ولم اقطع منها ودك واني منطو
لك على افضل المحبة والارادة ولولا هذه القلادة التي قلدنيها الله تعالى لاتيتك ولو حبوا
لما اجد لك في قلبي من المحبة واعلم يا ابا عبد الله انه ما بقي من اخواني واخوانك احد الا وقد
زارني وهناني بما صرت اليه وقد فتحت بيوت الاموال واعطيتهم من الجوائز السنية ما
فرحت بها نفسي وقرت بها عيني واني استبطيتك فلم تاتني وقد كتبت اليك كتابا شوقا
مني اليك وقد علمت يا ابا عبد الله ما جاء في فضل المؤمن وزيارته ومواصلته فاذا ورد
عليك كتابي هذا فالعجل العجل قال فلما كتب الكتاب التفت الى من عنده فاذا كلهم يعرفون
سفيان فقال علي برجل من الباب فادخل عليه رجل يقال له عباد الطالقاني فقال
يا عباد خذ كتابي هذا فانطلق به الى الكوفة فاذا دخلتها فسل عن قبيلة بني ثور
ثم سل عن سفيان الثوري فاذا رايته فالق كتابي هذا اليه وعِ بسمعك وقلبك
جميع ما يكون فاحص عليه دقيق امره لتخبرني به فاخذ عباد الكتاب وانطلق به حتى
ورد الكوفة فسال عن القبيلة فارشد اليها ثم سال عن سفيان فقيل له هو في المسجد قال
عباد فاقبلت الى المسجد فلما راني قام قائما ثم قال اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم

واعوذ بك اللهم من طارق يطرقنا الا بخير قال عباد فوقعت الكلمة في قلبي فلما رايت
نزلت بباب المسجد قام يصلي ولم يكن وقت صلاة فربطت فرسي بباب المسجد ودخلت
فاذا جلساؤه قعود قد نكسوا رؤوسهم كانهم لصوص قد ورد عليهم السلطان فهم خائفون
من العقوبة فسلمت عليهم فما رفع احد الي راسه وردوا علي السلام برؤوس الاصابع فبقيت
واقفا ما منهم احد يعرض علي الجلوس وقد علاني من هيبتهم الرعدة ومددت عيني اليهم
فقلت ان المصلي هو سفيان فرميت بالكتاب اليه فلما راى الكتاب ارتعد وتباعد
عنه كانه حية عرضت له في محرابه ثم ركع وسجد وسلم وادخل يده في كمه ولفها
بعباءته فقلبه بيده ثم رماه الى من كان خلفه وقال ياخذه بعضكم فيقراه فاني استغفر
الله ان امس شيئا مسه ظالم قال عباد فمد بعضهم يده اليه فحله كانه خائف من
فم حية تنهشه ثم فضه وقراه واقبل سفيان يتبسم تبسم المتعجب فلما فرغ من قراءته قال
اقلبوه واكتبوا الى الظالم في ظهره فقيل له يا ابا عبد الله انه خليفة فلو كتبت اليه في قرطاس
نقي فقال اكتبوا الى الظالم في ظهر كتابه فان كان اكتسبه من حلال فسوف يجزى به وان
اكتسبه من حرام فسوف يصلى به ولا يبقى شيء مسه ظالم عندنا فيفسد علينا ديننا فقيل
له ما نكتب فقال اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم من العبد الميت سفيان بن سعيد بن
منذر الثوري الى العبد المغرور بالامال هرون الذي سلب حلاوة الايمان اما بعد
فاني قد كتبت اليك اعلمك اني قد صرمت حبلك وقطعت ودك وقليت موضعك وانك قد
جعلتني شاهدا عليك باقرارك على نفسك في كتابك بما هجمت على بيت مال المسلمين
فانفقته في غير حقه وانفذته بغير حكمه ثم لم ترض بما فعلته وانت ناء عني حتى
كتبت الي تشهدني على نفسك اما اني قد شهدت عليك انا واخواني الذين شهدوا قراءة
كتابك وسنؤدي الشهادة عليك غدا بين يدي الله عز وجل يا هرون هجمت على بيت مال
المسلمين بغير رضاهم هل رضي بفعلك المؤلفة قلوبهم والعاملون عليها في ارض الله والمجاهدون
في سبيل الله ام ابن السبيل ام رضي بذلك حملة القران واهل العلم والارامل والايتام ام هل رضي
بذلك خلق من رعيتك فشد يا هرون مئزرك واعدد للمسالة جوابا وللبلاء جلبابا واعلم
انك ستقف بين يدي الحكم العدل وتفكر في نفسك اذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولذة
القران ومجالسة الاخيار ورضيت لنفسك ان تكون ظالما وللظالمين اماما يا هرون قعدت
على السرير ولبست الحرير واسبلت سترا دون بابك وتشبهت بالحجبة برب العالمين ثم اقعدت
اجنادك الظلمة دون بابك وسترك يظلمون الناس ولا ينصفون يشربون الخمر ويضربون من
شربها ويزنون ويحدون الزاني ويسرقون ويقطعون السارق فلا كانت هذه الاحكام
عليك وعليهم قبل ان تحكم بها على الناس فكيف بك يا هرون غدا اذا نادى المنادي من قبل الله
احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون اين الظلمة واعوان الظلمة فقدمت بين
يدي الله عز وجل ويداك مغلولتان الى عنقك ولا يفكهما الا عدلك وانصافك والظالمون
حولك وانت لهم سابق وامام الى النار كاني بك يا هرون وقد اخذت بضيق الخناق ووردت
المساق وانت ترى حسناتك في ميزان غيرك وسيئات غيرك في ميزانك على سيئاتك بلاء على
بلاء وظلمة فوق ظلمة فاحتفظ بوصيتي واتعظ بموعظتي التي وعظتك بها واعلم اني قد نصحتك
وما ابقيت لك في النصح غاية فاتق الله يا هرون في رعيتك واحفظ محمدا صلى الله عليه وسلم في امته و
احسن الخلافة عليهم واعلم ان هذا الامر لو بقي لغيرك لم يصل اليك وهو صائر الى غيرك
وكذا الدنيا تنتقل باهلها فمنهم من تزود زادا نفعه ومنهم من خسر دنياه

واخرته واني احسبك يا هرون ممن خسر دنياه واخرته فاياك واياك ان تكتب لي كتابا
بعد هذا فلا اجيبك عنه والسلام قال عباد فالقى الي الكتاب منشورا غير مطوي ولا مختوم
فاخذته واقبلت الى سوق الكوفة وقد وقعت الموعظة في قلبي فناديت يا اهل الكوفة فاجابوني
فقلت لهم يا قوم من يشتري رجلا هرب من الله الى الله فاقبلوا الي بالدنانير والدراهم فقلت لا
حاجة لي في المال ولكن جبة صوف وعباءة قطوانية قال فاتيت بذلك ونزعت ما كان علي
من اللباس الذي كنت البسه مع امير المؤمنين حافيا راجلا فقصدت من كان في باب
الخليفة ثم استؤذن لي فلما دخلت مجلسه ونظر هرون على تلك الحال قام وقعد ثم قام
قائما وجعل يلطم راسه ووجهه ويدعو بالويل والحرب ويقول انتفع الرسول وخاب المرسل مالي
وللدنيا مالي وللملك يزول عني سريعا ثم القيت الكتاب اليه منشورا كما دفع الي فاقبل هرون
يقراه ودموعه تنحدر من عينيه ويقرا ويشهق فقال بعض جلسائه لقد اجترا عليك سفيان
يا امير المؤمنين فلو وجهت اليه فاثقلته بالحديد وضيقت عليه السجن وجعلته عبرة لغيره فقال
هرون اتركونا يا عبيد الدنيا المغرور من غررتموه والشقي من اهلكتموه ان سفيان امة
وحده فاتركوا سفيان وشانه ثم لم يزل كتاب سفيان الى جنب هرون يقراه عند كل صلاة
حتى توفي رحمه الله فرحم الله عبدا نظر لنفسه واتقى امرا فيما يقدم عليه غدا من عمله فانه عليه
يحاسب وبه يجازى والله ولي التوفيق وعن عبد الله بن مهران قال حج الرشيد
فوافى الكوفة فاقام بها اياما ثم ضرب بالرحيل فخرج الناس وخرج بهلول المجنون فيمن خرج
فجلس بالكناسة والصبيان يؤذونه ويولعون به اذ اقبلت هوادج هرون فكف الصبيان عن
الولوع به فلما جاء هرون نادى باعلى صوته يا امير المؤمنين فكشف هرون السجاف بيده
عن وجهه فقال لبيك يا بهلول فقال يا امير المؤمنين حدثنا ايمن بن نابل عن قدامة
بن عبد الله العامري قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم منصرفا من عرفة على ناقة له صهباء
لا ضرب ولا طرد ولا اليك اليك وتواضعك في سفرك هذا يا امير المؤمنين خير لك من تكبرك
وتجبرك قال فبكى هرون حتى سقطت دموعه على الارض ثم قال يا بهلول زدنا
رحمك الله قال نعم يا امير المؤمنين رجل اتاه الله مالا وجمالا فانفق من ماله وعف في جماله
كتب في خالص ديوان الله عز وجل من الابرار قال احسنت يا بهلول ودفع له جائزة فقال اردد
الجائزة الى من اخذتها منه فلا حاجة لي فيها قال يا بهلول فان يكن عليك دين قضيناه
قال يا امير المؤمنين هؤلاء اهل العلم بالكوفة متوافرون قد اجمعت اراؤهم ان قضاء الدين
بالدين لا يجوز قال يا بهلول فنجري عليك ما يقوتك ويقيمك قال فرفع بهلول راسه
الى السماء ثم قال يا امير المؤمنين انا وانت من عيال الله فمحال ان يذكرك وينساني قال
هرون السجاف ومضى وعن ابي العباس الهاشمي عن ابي صالح بن المامون قال
دخلت على الحارث المحاسبي فقلت له يا ابا عبد الله حاسبت نفسك فقال هذا كان
قلت له فاليوم قال كاتمها اني لا اقرا اية من كتاب الله فاضن بها ان تسمعها نفسي
ولولا ان يغلبني فيها فرح ما اعلنت بها ولقد كنت ليلة قاعدا في محرابي اذا انا
بفتى حسن الوجه طيب الرائحة فسلم علي ثم قعد بين يدي فقلت له من انت فقال انا
واحد من السائحين اقصد المتعبدين في محاريبهم ولا ارى لك اجتهادا فاي شيء
عملك قال قلت له كتمان المصائب واستجلاب الفوائد قال فصاح وقال ما علمت ان احدا بين
جنبي المشرق والمغرب هذه صفته قال الحارث فاردت ان ازيد عليه فقال لي

اما علمت ان اهل القلوب يكتمون احوالهم ويكتمون اسرارهم ويسالون الله عز وجل كتمان ذلك
عليهم فمن اين تعرفهم قال فصاح صيحة غشي عليه فتركته عندي يومين لا يعقل ثم افاق وقد
احدث في ثيابه فعلمت انه لم يعقل فاخرجت له ثيابا جديدة وقلت له هذا كفني فقد اثرتك به
فاغتسل واعد صلاتك فقال هات الماء فاغتسل وصلى والتف بالثوب وخرج فقلت له
اين تريد فقال لي قم فلم يزل يمشي حتى دخل على المامون امير المومنين فسلم عليه ثم قال له
يا ظالم وانا ظالم ان لم اقل لك يا ظالم استغفر الله تعالى من تقصيري فيك اما تتقي الله فيما
قد ملكك وتكلم بكلام كثير ثم اقبل يريد الخروج وانا جالس بالباب فاقبل عليه المامون
فقال من انت فقال انا رجل من السايحين فكرت فيما عمل الصديقون قبلي فلم اجد
لنفسي فيه حظا فتعلقت بموعظتك لعلي الحقهم قال فامر بضرب عنقه فاخرج وانا قاعد
على الباب ملفوفا في ذلك الثوب ومناد ينادي من ولي هذا فلياخذه قال الحارث
فاختبيت عنه فاخذه اقوام غربا فدفنوه وكنت معهم لا اعلمهم بحاله فاقمت في مسجد
في المقابر مهموما حزينا فغلبتني عيناي فاذا هو بين وصايف لم ار احسن منهن وهو
يقول يا حارث انت والله من الكاتمين الذين يخفون احوالهم ويطيعون ربهم قلت وما
فعلوا قال الساعة يلقونك فنظرت الى جماعة ركبان فقلت من انتم قالوا نحن الكاتمون هذا
كان منكم لم فلم يكن في قلبه مما وصفت شي لخرج الاثم والنهي وان الله عز وجل انزلهم معنا
وغضب لغضبه وعن احمد بن ابرهيم المقري قال كان ابو الحسين النوري رجلا
قليل الفضول لا يسال عما لا يعنيه ولا يفتش عما لا يحتاج اليه وكان اذا راى منكرا غيره
ولو كان فيه تلافه فنزل ذات يوم الى مشرعة تعرف بمشرعة الفحامين يتطهر للصلاة اذ راى
زورقا فيه ثلثون دنا مكتوب عليها بالقار لطف فقراه وانكره لانه لم يعرف في التجارات
ولا في البيوع شيا يعبر عنه بلطف فقال للملاح ايش في هذه الدنان قال وايش عليك
امض لشغلك فلما سمع النوري من الملاح هذا القول ازداد تعطشا الى معرفته فقال له
احب ان تخبرني ايش في هذه الدنان فقال الملاح انت والله صوفي فضولي هذا خمر
للمعتضد يريد ان يتمم به مجلسه فقال النوري وهذا خمر قال نعم فقال احب ان تعطيني
ذلك المردي فاغتاظ الملاح عليه وقال لغلامه اعطه المردي حتى انظر ما يصنع فلما صار
المردي في يده صعد الى الزورق فلم يزل يكسرها دنا دنا حتى اتى على اخرها الا دنا
واحدا والملاح يستغيث الى ان ركب صاحب الجسر وهو يومئذ مونس فلج فقبض على النوري
واشخصه الى حضرة المعتضد وكان المعتضد سيفه قبل كلامه ولم يشك الناس انه
سيقتله قال ابو الحسين فادخلت عليه وهو جالس على كرسي حديد وبيده عمود
يقلبه فلما راني قال من انت قلت محتسب قال ومن ولاك الحسبة قلت الذي ولاك الامامة
ولاني الحسبة يا امير المومنين قال فاطرق الى الارض ساعة ثم رفع راسه الي وقال ما الذي
حملك على ما صنعت فقلت شفقة مني عليك اذ بسطت يدي الى صرف مكروه عنك
فقصرت عنه قال فاطرق مفكرا في كلامي ثم رفع راسه وقال كيف تخلص هذا الدن
من جملة الدنان فقلت في تخلصه علة اخبر بها امير المومنين ان اذن فقال هات
خبرني فقلت يا امير المومنين اني اقدمت على الدنان بمطالبة الحق سبحانه لي بذلك
وغمر قلبي شاهد الاجلال للحق وخوف المطالبة فغابت هيبة الخلق عني فاقدمت
عليها بهذه الحال الى ان صرت الى هذا الدن فخرت نفسي كبرا على اني اقدمت

على مثلك فمنعت ولو اقدمت عليه بالحال الاول وكانت ملء الدنيا دنانا لكسرتها ولم ابالي
فقال المعتضد اذهب فقد اطلقنا يدك غير ما احببت ان تغيره من المنكر قال ابو
الحسين فقلت يا امير المومنين تبغض الي التغيير لاني كنت اغير عن الله وانا الان اغير عن شرطي
فقال المعتضد ما حاجتك قلت يا امير المومنين تامر باخراجي سالما فامر له بذلك
وخرج الى البصرة فكان اكثر ايامه بها خوفا من ان يسال حاجة فيسال المعتضد فاقام
بالبصرة فكان اكثر ايامه بها خوفا من ان يسال حاجة فيسال المعتضد فاقام بالبصرة
الى ان توفي المعتضد ثم رجع الى بغداد فهذه كانت سيرة العلماء وعادتهم في الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر وقلة مبالاتهم بسطوة السلاطين لكنهم اتكلوا على فضل الله تعالى ان يحرسهم
ورضوا بحكم الله ان يرزقهم الشهادة فلما اخلصوا لله النية اثر كلامهم في القلوب القاسية
فلينها وازال قساوتها واما الان فقد قيدت الاطماع السن العلماء فسكتوا وان
تكلموا لم تساعد اقوالهم احوالهم فلم ينجحوا ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لافلحوا ففساد
الرعايا بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء وفساد العلماء باستيلاء حب الدنيا
والمال والجاه ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الاراذل فكيف على
الملوك والاكابر والله المستعان على كل حال اخر كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

كتاب آداب المعيشة واخلاق النبوة وترتيبه

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق كل شي فاحسن خلقه
وترتيبه وادب نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فاحسن تاديبه وزكى اوصافه واخلاقه ثم اتخذه
صفيه وحبيبه ووفق للاقتدا به من اراد تهذيبه وحرم عن التخلق باخلاقه من اراد
تخييبه وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى اله الطيبين الطاهرين وسلم
تسليما كثيرا اما بعد فان اداب الظواهر عنوان اداب البواطن وحركات الجوارح ثمرات
الخواطر والاعمال نتيجة الاخلاق والاداب رشح المعارف وسراير القلوب هي مغارس الافعال
ومنابعها وانوار السراير هي التي تشرق على الظواهر فتزينها وتجليها وتبدل بالمحاسن مكارهها
ومساويها ومن لم يخشع قلبه لم تخشع جوارحه ومن لم يكن صدره مشكاة الانوار الالهية لم يفض
على ظاهره جمال الاداب النبوية ولقد كنت عزمت على ان اختم ربع العادات من هذا الكتاب
بكتاب جامع لاداب المعيشة لئلا يشق على طالبها استخراجها من جميع هذه الكتب ثم رايت كل كتاب
من ربع العبادات وربع العادات قد اتى على جملة من الاداب فاستثقلت تكريرها واعادتها
فان طلب الاعادة ثقيل والنفوس مجبولة على معاداة المعادات فرايت ان اقتصر في هذا
الكتاب على ذكر اداب رسول الله صلى الله عليه وسلم واخلاقه الماثورة عنه بالاسناد فاسردها
مجموعة فصلا فصلا محذوفة الاسناد ليجتمع فيه مع جميع الاداب تجديد الايمان وتاكيده
بمشاهدة اخلاقه الكريمة التي يشهد احادها على القطع بانه اكرم خلق الله تعالى واعلاهم
رتبة واجلهم قدرا فكيف مجموعها ثم اضيف الى ذكر اخلاقه ذكر خلقته ثم ذكر معجزاته التي
صحت بها الاخبار ليكون ذلك معربا عن مكارم الاخلاق والشيم ومنتزعا عن اذان الجاحدين
لنبوته صمام الصمم والله ولي التوفيق للاقتداء بسيد المرسلين في الاخلاق والاحوال وسائر
معالم الدين فانه دليل المتحيرين ومجيب دعوة المضطرين ولنذكر فيه اولا بيان
تاديب الله تعالى اياه بالقران ثم بيان جوامع من محاسن اخلاقه ثم بيان جملة من ادابه
واخلاقه ثم بيان كلامه وضحكه ثم بيان اخلاقه وادابه في الطعام ثم بيان اداب

وادابه في اللباس ثم بيان عفوه مع القدرة ثم بيان اغضائه عما كان يكرهه ثم بيان سخا
وجوده ثم بيان جامع معجزاته واياته صلى الله عليه وسلم

بيان تاديب الله عز وجل حبيبه وصفيه محمدا صلى الله عليه وسلم و تعليمه بالقران العظيم

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير الضراعة
والابتهال دائم السؤال من الله ان يزينه بمحاسن الاداب ومكارم الاخلاق فكان يقول في
دعائه اللهم حسن خلقي وخلقي ويقول اللهم جنبني منكرات الاخلاق فاستجاب الله تعالى له
دعاءه وفاء بقوله تعالى ادعوني استجب لكم فانزل عليه القران وادبه فكان خلقه القران **قال سعد**
ابن هشام دخلت على عائشة رضي الله عنها فسالتها عن اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
اما تقرا القران قلت بلى قالت كان خلق رسول الله القران وانما ادبه القران بمثل قوله تعالى
خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين **وقوله تعالى** ان الله يامر بالعدل والاحسان
وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي **وقوله تعالى** واصبر على ما اصابك ان ذلك
من عزم الامور **وقوله تعالى** ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور **وقوله تعالى** فاعف عنهم
واصفح ان الله يحب المحسنين **وقوله تعالى** وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم **وقوله
تعالى** ادفع بالتي هي احسن الاية **وقوله تعالى** والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس
وقوله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا
ولما كسرت رباعيته يوم احد فجعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسحه ويقول كيف يفلح
قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل الله عز وجل ليس لك من الامر شيء
تاديبا له على ذلك وامثال هذه التاديبات في القران لا تحصر وهو المقصود الاول بالتاديب
والتهذيب ثم منه يشرق النور على كافة الخلق فانه ادب بالقران وادب الخلق به ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ثم رغب الخلق في محاسن الاخلاق بما اوردناه
في كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق فلا نعيده ثم لما اكمل الله خلقه اثنى عليه فقال وانك
لعلى خلق عظيم فسبحانه ما اعظم شانه واتم امتنانه انظر الى عظيم فضله كيف اعطى ثم اثنى
فهو الذي زينه بالخلق الكريم ثم اضاف اليه ذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم ثم ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم بين للخلق ان الله تعالى يحب مكارم الاخلاق ويبغض سفسافها قال علي
رضي الله عنه يا عجبا لرجل مسلم يجيئه اخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير اهلا
فلو كان لا يرجو ثوابا ولا يخشى عقابا لقد كان ينبغي له ان يسارع في مكارم الاخلاق فانها
مما تدل على سبيل النجاح فقال له رجل اسمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم وما هو
خير منه لما اتي بسبايا طيء وقعت جارية في السبي فقالت يا محمد ان رايت ان تخلي عني
ولا تشمت بي احياء العرب فاني بنت سيد قومي وان ابي كان يحمي الذمار ويفك العاني
ويشبع الجائع ويطعم الطعام ويفشي السلام ولم يرد طالب حاجة قط انا ابنة حاتم طيء
فقال صلى الله عليه وسلم يا جارية هذه صفة المؤمنين حقا لو كان ابوك مسلما لترحمنا
عليه خلوا عنها فان اباها كان يحب مكارم الاخلاق وان الله يحب مكارم الاخلاق
فقام ابو بردة بن نيار فقال يا رسول الله الله يحب مكارم الاخلاق فقال والذي نفسي
بيده لا يدخل الجنة الا بحسن الاخلاق وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى حف الاسلام بمكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ومن ذلك حسن المعاشرة
وكرم الصنيعة ولين الجانب وبذل المعروف واطعام الطعام وافشاء السلام وعيادة المريض
المسلم برا كان او فاجرا وتشييع جنازة المسلم وحسن الجوار لمن جاورت مسلما
كان او كافرا وتوقير ذي الشيبة المسلم واجابة الداعي لدعوة الطعام والدعاء عليه

والعفو عن الناس والجود والكرم والسماحة والابتداء بالسلام وكظم الغيظ والعفو عن
الناس واجتناب ما حرمه الاسلام من اللهو والباطل والغناء والمعازف كلها وكل ذي وتر وكل ذحل
والكذب والغيبة والبخل والشح والمكر والخديعة والنميمة وسوء ذات البين وقطيعة
الارحام وسوء الخلق والتكبر والفخر والاختيال والاستطالة والمدح والتمدح
والفحش والتفحش والحقد والحسد والطيرة والبغي والعدوان والظلم قال انس فلم
يدع نصيحة جميلة الا دعانا اليها وامرنا بها ولم يدع غشا او قال عيبا او قال شينا الا حذرناه
ونهانا عنه ويكفي من هذا كله هذه الاية ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى
الاية وقال معاذ اوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معاذ اوصيك باتقاء
الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد واداء الامانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم
ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الامل ولزوم الايمان والتفقه في القران وحب
الاخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح وانهاك ان تسب حكيما او تكذب صادقا او تطيع
اثما او تعصي اماما عادلا او تفسد ارضا واوصيك باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر وان
تحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية فهكذا ادب عباد الله ودعاهم
الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاداب والله الموفق للصواب

بيان جملة من محاسن اخلاقه التي جمعها بعض العلماء والتقطها من الاخبار فقال

كان صلى الله عليه وسلم احلم الناس واشجع الناس واعدل الناس واعف الناس لم يمس قط
يده امراة لا يملك رقها او عصمة نكاحها او تكون ذات رحم محرم منه وكان اسخى الناس لا يبيت
عنده دينار ولا درهم وان فضل ولم يجد من يعطيه وفجاه الليل لم ياو الى منزله
حتى يتبرا منه الى من يحتاج اليه لا ياخذ مما اتاه الله الا قوت عامه فقط من ايسر ما يجد من
التمر والشعير ويضع سائر ذلك في سبيل الله عز وجل لا يسال شيئا الا اعطاه ثم يعود
على قوت عامه فيؤثر منه حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام ان لم ياته شيء وكان
يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة اهله ويقطع اللحم معهن وكان اشد الناس
حياء لا يثبت بصره في وجه احد يجيب دعوة الحر والعبد ويقبل الهدية ولو انها جرعة
لا يثبت بصره في وجه احد يجيب دعوة الحر والعبد ويقبل الهدية او فخذ ارنب ويكافئ عليها
ويأكلها ولا ياكل الصدقة ولا يستكبر عن اجابة الامة والمسكين يغضب لربه عز وجل
ولا يغضب لنفسه وينفذ الحق وان عاد ذلك بالضرر عليه وعلى اصحابه عرض عليه
الانتصار بالمشركين وهو في قلة وحاجة الى انسان واحد يزيده في عدد من معه فابى وقال
انا لا انتصر بمشرك ووجد من فضلاء اصحابه وخيارهم قتيلا بين اليهود فلم يحف عليهم
ولا زاد على مر الحق بل وداه بمائة ناقة وان باصحابه لحاجة الى بعير واحد يتقوون به
وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع ياكل ما حضر ولا يرد ما وجد ولا يتورع من مطعم
حلال ان وجد تمرا دون خبز اكله وان وجد شواء اكله وان وجد خبز بر او شعير
اكله وان وجد حلوا او عسلا اكله وان وجد لبنا دون خبز اكتفى به وان وجد
بطيخا او رطبا اكله لا ياكل متكئا ولا على خوان منديله باطن قدميه لم يشبع من خبز
بر ثلاثة ايام متوالية حتى لقي الله ايثارا على نفسه لا فقرا ولا بخلا يجيب الوليمة ويعود
المرضى ويشهد الجنائز ويمشي وحده بين اعدائه بلا حارس اشد الناس تواضعا
واسكنهم من غير كبر وابلغهم من غير تطويل واحسنهم بشرا لا يهوله شيء من امور

الدنيا و يلبس ما وجد فمرة شملة ومرة برد حبرة يمانيا ومرة جبة صوف وما وجد من المباح
لبسه وخاتمه فضة يلبسه في خنصره الايمن والايسر يردف خلفه عبده او غيره ويركب ما
امكنه مرة فرسا ومرة بعيرا ومرة بغلة شهباء ومرة حمارا ومرة يمشي راجلا حافيا بلا
رداء ولا عمامة ولا قلنسوة يعود المرضى في اقصى المدينة يحب الطيب ويكره الرائحة الردية
ويجالس الفقراء ويواكل المساكين ويكرم اهل الفضل في اخلاقهم ويتألف اهل الشرف
بالبر لهم يصل ذوي رحمه من غير ان يؤثرهم على من هو افضل منهم لا يجفو على احد
يقبل معذرة المعتذر اليه يمزح ولا يقول الا حقا يضحك من غير قهقهة يرى اللعب المباح
فلا ينكره يسابق اهله وترفع الاصوات عليه فيصبر وكان له لقاح وغنم يتقوت هو
واهله من البانها وكان له عبيد واماء لا يرتفع عليهم في ماكل ولا في ملبس لا يمضي له وقت
في غير عمل لله او فيما لا بد له من صلاح نفسه يخرج الى بساتين اصحابه لا يحتقر مسكينا
لفقره وزمانته ولا يهاب ملكا لملكه يدعو هذا وهذا الى الله دعاء واحدا قد جمع الله
تعالى له السيرة الفاضلة والسياسة التامة وهو امي لا يكتب ولا يقرأ نشأ في بلاد الجهل
والصحارى في فقره وفي رعاية الغنم يتيما لا اب له ولا ام فعلمه الله محاسن الاخلاق
والطرق الحميدة واخبار الاولين والاخرين وما فيه النجاة والفوز في الاخرة والغبطة
والصلاح في الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول وفقنا الله لطاعته في امره والتاسي
به في فعله امين

بيان جملة اخرى من اخلاقه وادابه صلى الله عليه وسلم

مما رواه البختري قالوا ما شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا من المؤمنين بشتيمة
الا جعل لها كفارة ورحمة وما لعن امرأة قط ولا خادما بلعنة وقيل له وهو في القتال
لو لعنتهم يا رسول الله فقال انما بعثت رحمة ولم ابعث لعانا **وكان** اذا سئل ان
يدعو على احد مسلم او كافر عام او خاص عدل عن الدعاء عليه ودعا له وما ضرب بيده
احدا قط الا ان يضرب بها في سبيل الله وما انتقم من شيء صنع اليه قط الا
ان تنتهك حرمة الله وما خير بين امرين قط الا اختار ايسرهما الا ان يكون فيه اثم
او قطيعة رحم فيكون ابعد الناس من ذلك وما كان يأتيه احد حر او عبد او امة
الا قام معه في حاجته **وقال** انس والذي بعثه بالحق ما قال لي في شيء قط كرهه
لم فعلته ولا لامني احد من اهله الا قال دعوه انما كان هذا بكتاب وقدر **قالوا** وما
عاب رسول الله مضجعا ان فرشوا له اضطجع وان لم يفرشوا له اضطجع على الارض وفي رواية
انه في التوراة قبل ان يبعث في السطر الاول **فقال** محمد رسول الله عبدي المختار لا فظ
ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح مولده بمكة
ومهاجره طابا وملكه بالشام يأتزر على وسطه هو ومن معه دعاة القرآن والعلم
يتوضأ على اطرافه وكذلك نعته في الانجيل وكان من خلقه ان يبدأ من لقيه بالسلام
ومن قاومه او فاوضه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف وما اخذ احد بيده فيرسلها
حتى يرسلها الاخذ وكان اذا لقي احدا من اصحابه بدأه بالمصافحة ثم اخذ بيده فشابكه
ثم شد قبضته وكان لا يقوم ولا يجلس الا على ذكر الله وكان لا يجلس اليه احد وهو
يصلي الا خفف صلاته واقبل عليه وقال الك حاجة فاذا فرغ من حاجته عاد الى صلاته
وكان اكثر جلوسه ان ينصب ساقيه جميعا ويمسك بيديه عليهما مثل الحبوة ولم
يكن يعرف مجلسه من مجالس اصحابه لانه صلى الله عليه وسلم كان يجلس حيث انتهى به

المجلس

المجلس وما رؤي قط مادا رجليه بين اصحابه حتى لا يضيق بهما على احد الا ان يكون
المكان واسعا لا ضيق فيه وكان اكثر ما يجلس مستقبل القبلة **وكان** يكرم كل من يدخل
عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلسه عليه **وكان**
يؤثر الداخل عليه بالوسادة التي تكون تحته فان ابى ان يقبلها عزم عليه حتى يفعلها
وما استصفاه احد الا ظن انه اكرم الناس عليه حتى يعطي كل من جلس اليه نصيبه من وجهه
حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف محاسنه وتوجهه للجالس اليه ومجلسه مع
ذلك مجلس حياء وتواضع وامانة **قال** تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا
غليظ القلب لانفضوا من حولك ولقد كان يدعو اصحابه بكناهم اكراما واستمالة لقلوبهم
ويكني من لم يكن له كنية فكان يدعى بما كناه به وكان يكني ايضا النساء اللاتي لهن
اولاد واللاتي لم يلدن يبتدئ لهن الكنى ويكني الصبيان فيستلين به قلوبهم **وكان**
ابعد الناس غضبا واسرعهم رضا **وكان** ارأف الناس بالناس وخير الناس للناس
وانفع الناس للناس ولم يكن ترفع في مجلسه الاصوات **وكان** اذا قام من مجلسه
قال سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك ثم يقول
علمنيهن جبريل عليه السلام

بيان كلامه وضحكه صلى الله عليه وسلم

كان عليه السلام افصح الناس منطقا واحلاهم كلاما ويقول انا افصح العرب وان اهل
الجنة يتكلمون فيها بلغة محمد صلى الله عليه وسلم **وكان** نزر الكلام سمح المقالة اذا نطق
ليس بمهذار وكان كلامه كخرزات النظم **قالت** عائشة رضي الله عنها كان لا يسرد
الكلام سردكم هذا كان كلامه نزرا وانتم تنثرون الكلام نثرا **وكان** اوجز الناس كلاما
وبذلك جاءه جبريل وكان مع الايجاز يجمع كلما اراد وكان يتكلم بجوامع الكلم لا فضول ولا
تقصير يتبع بعضه بعضا بين كلامه توقف يحفظه سامعه ويعيه وكان جهير الصوت
احسن الناس نغمة وكان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة ولا يقول المنكر ولا يقول
في الرضا والغضب الا الحق ويعرض عمن تكلم بغير جميل ويكني عما اضطره الكلام اليه
مما يكره وكان اذا سكت تكلم جلساؤه ولا يتنازع عنده الحديث ويعظ بالجد والنصيحة
ويقول لا تضربوا القرآن بعضه ببعض فانه انزل على وجوه **وكان اكثر الناس تبسما**
وضحكا في وجوه اصحابه وتعجبا مما تحدثوا به وخلطا لنفسه بهم ولربما ضحك حتى تبدو
نواجذه وكان ضحك اصحابه عنده التبسم اقتداء به وتوقيرا له قالوا ولقد جاء اعرابي
يوما وهو متغير ينكره اصحابه فاراد ان يسأله فقالوا لا تفعل يا اعرابي فانا ننكر لونه
فقال دعوني فوالذي بعثه بالحق نبيا لا ادعه حتى يتبسم فقال يا رسول الله بلغنا
ان المسيح يعني الدجال يأتي الناس بالثريد وقد هلكوا جوعا افترى بابي انت وامي ان اكف عن
ثريده تعففا وتنزها حتى اهلك هزلا ام اضرب في ثريده حتى اذا تضلعت شبعا
امنت بالله وكفرت به قالوا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم
قال لا بل يغنيك الله تعالى بما يغني به المؤمنين **قالوا** وكان من اكثر الناس تبسما
واطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن او يذكر الساعة او يخطب خطبة وكان اذا رضي

وسر فهو من احسن الناس رضى وان وعظ وعظ بجد ولم يكن يغضب الا لله تعالى لم تقم
لغضبه شيء وكذلك كان في اموره كلها وكان اذا نزل به امر فوض الامر وتبرأ من الحول والقوة
واستنزل الهدى فيقول اللهم ارني الحق حقا فاتبعه وارني المنكر منكرا وارزقني اجتنابه
واعذني من ان يشتبه علي فاتبع هواي بغير هدى منك واجعل هواي تبعا لطاعتك
وخذ رضا نفسك من نفسي في عافية واهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي
من تشاء الى صراط مستقيم

بيان آدابه واخلاقه في الطعام

كان صلى الله عليه وسلم ياكل ما وجد وكان احب الطعام اليه ما كان على ضفف والضفف ما كثرت
عليه الايدي وكان اذا وضعت المائدة قال بسم الله اللهم اجعلها نعمة مشكورة
تصل بها نعمة الجنة وكان كثيرا اذا جلس ياكل يجمع بين ركبتيه وبين قدميه كما يجلس
المصلي الا ان الركبة تكون فوق الركبة والقدم فوق القدم ويقول انما انا عبد آكل
كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد فكان لا ياكل الا كما ياكل العبد ولا يجلس الا كما يجلس
العبد وكان لا ياكل الحار ويقول انه غير ذي بركة وان الله لم يطعمنا نارا فابردوه وكان ياكل
مما يليه وياكل باصابعه الثلاث وربما استعان بالرابعة ولم يكن ياكل باصبعين ويقول ان ذلك
اكلة الشيطان وجاء عثمان بن عفان بفالوذج فاكل منه وقال ما هذا يا ابا عبد الله
قال بابي انت وامي يا رسول الله نجعل السمن والعسل في البرمة ونضعها على النار ثم نغليه
ثم ناخذ مخ الحنطة اذا طحنت ونلقيه على السمن والعسل ثم نسوطه حتى ينضج فياتي كما ترى
فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا طعام طيب وكان ياكل خبز الشعير غير منخول وكان
ياكل القثاء بالرطب وبالملح وكان احب الفواكه الرطبة اليه البطيخ والعنب وكان ياكل البطيخ
بالخبز وبالسكر وربما اكله بالرطب ويستعين باليدين جميعا واكل يوما رطبا كان في يمينه
وكان يحفظ النوى في يساره فمرت شاة فاشار اليها بالنوى فجعلت تاكل من كفه
اليسرى وهو ياكل بيمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة وكان صلى الله عليه وسلم ربما اكل العنب
خرطا يرى رواله على لحيته كخرز اللؤلؤ وهو الماء الذي يتقاطر منه وكان اكثر طعامه الماء والتمر
وكان يجمع اللبن بالتمر ويسميهما الاطيبين وكان احب الطعام اليه اللحم ويقول يزيد في السمع
وهو سيد الطعام في الدنيا والاخرة ولو سالت ربي ان يطعمنيه كل يوم لفعل وكان
ياكل الثريد باللحم والقرع وكان يحب القرع ويقول انها شجرة اخي يونس قالت عائشة
كان يقول يا عائشة اذا طبختم قدرا فاكثروا فيها من الدباء فانه يشد قلب الحزين وكان
ياكل لحم الطير الذي يصاد وكان لا يتبعه ولا يصيده ويحب ان يصاد له وكان اذا اكل
اللحم لم يطاطئ راسه اليه ويرفعه الى فيه رفعا ثم ينتهشه انتهاشا وكان ياكل الخبز والسمن
وكان يحب من الشاة الذراع والكتف ومن القدر الدباء ومن الصباغ الخل ومن التمر العجوة
ودعا في العجوة بالبركة وقال هي من الجنة وشفاء من السم والسحر وكان يحب من البقول
الهندباء والباذروج والحمقاء البقلة التي يقال لها الرجلة وكان يكره الكليتين لمكانهما من
البول وكان لا ياكل من الشاة سبعا الذكر والانثيين والمثانة والمرارة والغدد والحياء والدم
ويكره ذلك وكان لا ياكل ثوما ولا بصلا ولا الكراث وما ذم طعاما قط لكن ان اعجبه
اكله وان كرهه تركه وان عافه لم يبغضه الى غيره وكان يعاف الضب والطحال

ولا يحرمهما وكان يلعق الصحفة باصابعه ويقول آخر الطعام اكثر بركة وكان يلعق اصابعه
من الطعام حتى تحمر وكان لا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه واحدة
واحدة ويقول انه لا يدري في اي الاصابع البركة واذا فرغ قال اللهم لك الحمد
اطعمت واشبعت وسقيت وارويت لك الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى
عنه وكان اذا اكل الخبز واللحم خاصة غسل يديه غسلا جيدا ثم يمسح بفضل الماء
وجهه وكان يشرب في ثلاث دفعات له فيها ثلاث تسميات وفي اواخرها ثلاث
تحميدات وكان يمص الماء مصا ولا يعب عبا وربما كان يشرب بنفس واحد حتى يفرغ
وكان لا يتنفس في الاناء بل ينحرف عنه وكان يدفع سؤره الى من على يمينه فاذا
كان من على يساره اجل رتبة قال للذي على يمينه السنة ان تعطي فان احببت
آثرتهم واتي باناء فيه لبن وعسل فابى ان يشربه وقال شربتان في شربة
وادامان في اناء واحد ثم قال صلى الله عليه وسلم لا احرمه ولكني اكره الفخر والحساب
بفضول الدنيا غدا واحب التواضع فان من تواضع لله رفعه الله وكان في بيته اشد
حياء من العاتق لا يسالهم طعاما ولا يتشهاه عليهم ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل
وما سقوه شرب وكان ربما قام فاخذ ما ياكل او يشرب بنفسه صلى الله عليه وسلم

بيان آدابه واخلاقه في اللباس

كان صلى الله عليه وسلم يلبس من الثياب ما وجد من ازار او رداء او قميص او جبة
او غير ذلك وكان يعجبه الثياب الخضر وكان اكثر لباسه البياض ويقول البسوها
احياءكم وكفنوا فيها موتاكم وكان يلبس القباء المحشو وغير المحشو وكان له قباء
سندس فيلبسه فتحسن خضرته على بياض لونه وكانت ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين
ويكون الازار فوق ذلك الى نصف الساق وكان قميصه مشدود الازرار وربما حل
الازرار في الصلاة وغيرها وكانت له ملحفة مصبوغة بالزعفران وربما صلى
بالناس فيها وحدها وربما لبس الكساء وحده ما عليه غيره وكان له كساء ملبد
يلبسه ويقول انما انا عبد البس كما يلبس العبد وكان له ثوبان لجمعته خاصة سوى
ثيابه في غير الجمعة وربما لبس الازار الواحد ليس عليه غيره يعقد طرفيه بين كتفيه
وربما ام به الناس على الجنائز وربما صلى في بيته في الازار الواحد ملتحفا به
مخالفا بين طرفيه ويكون ذلك الازار الذي جامع فيه يومئذ وكان ربما صلى بالليل
في الازار ويرتدي ببعض الثوب مما يلي هدبه ويلقي البقية على بعض نسائه فيصلي
كذلك ولقد كان له كساء اسود فوهبه فقالت له ام سلمة بابي انت وامي ما فعل ذلك
الكساء الاسود فقال كسوته فقالت ما رايت شيئا قط احسن من بياضك على سواده
وقال انس وربما رايته يصلي بنا الظهر في شملة عاقدا بين طرفيها وكان يتختم
وربما خرج وفي خاتمه خيط مربوط يستذكر به الشيء وكان يختم به على الكتب ويقول
الخاتم على الكتاب خير من التهمة وكان يلبس القلانس تحت العمائم وبغير عمامة
وربما نزع قلنسوته من راسه فجعلها سترة بين يديه ثم يصلي اليها وربما لم
تكن العمامة فيشد العصابة على راسه وعلى جبهته وكانت له عمامة تسمى السحاب
فوهبها من علي فربما طلع علي فيها فيقول صلى الله عليه وسلم اتاكم علي في السحاب وكان
اذا لبس ثوبا لبسه من قبل ميامنه ويقول الحمد لله الذي كساني ما اواري به عورتي
واتجمل به في الناس واذا نزع ثوبه اخرج من مياسره وكان له ثوب لجمعته خاصة

سوى ثيابه لغير الجمعة وكان اذا لبس جديدا اعطى خلق ثيابه مسكينا ثم يقول ما من
مسلم يكسو مسلما من سمل ثيابه لا يكسوه الا لله الا كان في ضمان الله وحرزه
وخيره ما واراه حيا وميتا وكان له فراش من ادم حشوه ليف طوله ذراعان وعرضه
ذراع وعرضه ذراع وشبر او نحوه وكانت له عباءة تفرش له حيث ما تنقل تثنى طاقين
تحته وكان ينام على الحصير ليس تحته شيء غيره وكان من خلقه صلى الله عليه وسلم
تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه وكان اسم رايته العقاب واسم سيفه الذي يشهد
به الحروب ذو الفقار وكان له سيف يقال له المخذم وآخر يقال له الرسوب وآخر يقال له
القضيب وكان قبيعة سيفه من الفضة وكان يلبس المنطقة من الادم فيها ثلاث حلق
من فضة وكان اسم قوسه الكتوم وجعبته الكافور وكان اسم ناقته القصوى وهي التي يقال
لها العضباء واسم بغلته الدلدل وكان اسم حماره يعفور واسم شاته التي يشرب لبنها
عينه وكان له مطهرة من فخار يتوضأ بها ويشرب منها فيرسل الناس اولادهم
الصغار فيدخلون على رسول الله فاذا وجدوا في المطهرة ماء شربوا منه ومسحوا على
وجوههم واجسادهم يبتغون بذلك البركة

بيان عفوه مع القدرة

كان صلى الله عليه وسلم احلم الناس وارغبهم في العفو مع القدرة حتى اتي بقلائد من
ذهب وفضة فقسمها بين اصحابه فقام رجل من اهل البادية فقال يا محمد والله لئن امرك
الله ان تعدل فما اراك تعدل فقال ويحك من يعدل عليك بعدي فلما ولى قال ردوه علي رويدا
وروى جابر انه صلى الله عليه وسلم كان يقبض للناس يوم حنين من فضة في ثوب بلال فقال له
رجل يا نبي الله اعدل فقال له صلى الله عليه وسلم ويحك فمن يعدل اذا لم اعدل فقد خبت اذا وخسرت
ان كنت لا اعدل فقام عمر رضي الله عنه فقال الا اضرب عنقه فانه منافق فقال معاذ الله ان
يتحدث الناس اني اقتل اصحابي وكان عليه السلام في حرب فرأوا من المسلمين غرة فجاء
رجل حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف وقال من يمنعك مني فقال الله
قال فسقط السيف من يده فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف وقال من يمنعك
فقال كن خير آخذ قال قل اشهد ان لا اله الا الله فقال لا غير اني لا اقاتلك ولا اكون
مع قوم يقاتلونك فخلى سبيله فجاء الى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس **وروى**
ان يهودية جاءت الى النبي بشاة مسمومة ليأكل منها فجيء بها اليه فسألها عن ذلك
فقالت اردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك قالوا الا نقتلها قال لا وسحر
رجل من اليهود فاخبره جبريل حتى استخرجه وحل عقده فوجد لذلك خفة وما ذكر
ذلك اليهودي ولا اظهره عليه قط **وقال** علي رضي الله عنه بعثني رسول الله انا و
الزبير والمقداد فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان فيها ظعينة معها كتاب
فخذوه منها فانطلقنا حتى اتينا روضة خاخ فاذا الظعينة فقلنا اخرجي الكتاب فقالت
ما معي كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب او لتنزعن الثياب فاخرجته من عقاصها فاتينا به
النبي صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن ابي بلتعة الى ناس من المشركين بمكة
يخبرهم ببعض امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا حاطب ما هذا فقال يا رسول الله لا تعجل
علي اني كنت امرأ ملصقا في قريش وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون
اهاليهم فاحببت اذ فاتني ذلك من النسب فيهم ان اتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي
ولم افعل ذلك كفرا ولا رضى بالكفر بعد الاسلام ولا ارتدادا عن ديني فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم صدقكم فقال عمر دعني اضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله
انه شهد بدرا وما يدريك لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد
غفرت لكم وقسم عليه السلام قسمة فقال رجل من الانصار هذه قسمة ما اريد
بها وجه الله فذكر ذلك للنبي فاحمر وجهه وقال رحم الله اخي موسى قد اوذي
باكثر من هذا فصبر وكان صلى الله عليه وسلم يقول لا يبلغني احد منكم عن احد
من اصحابي شيئا فاني احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر

بيان اغضائه عما كان يكرهه

كان صلى الله عليه وسلم رقيق
البشرة لطيف الظاهر والباطن يعرف في وجهه غضبه ورضاه وكان اذا اشتد
وجده اكثر من مس لحيته وكان لا يشافه احدا بما يكرهه ودخل عليه رجل وعليه
صفرة فكرهها فلم يقل شيئا حتى خرج فقال لبعض القوم لو قلتم لهذا ان يدع هذه
يعني الصفرة وبال اعرابي في المسجد بحضرته فهم به الاصحاب فقال لا تزرموه
اي لا تقطعوا عليه البول ثم قال له ان هذه المساجد لا تصلح لشيء من البول والقذر
والخلاء وفي رواية قربوا ولا تنفروا وجاءه اعرابي يوما يطلب منه شيئا فاعطاه
ثم قال احسنت اليك فقال الاعرابي لا ولا اجملت قال فغضب المسلمون
وقاموا اليه فاشار اليهم ان كفوا ثم قام ودخل منزله وارسل الى الاعرابي وزاده
شيئا ثم قال احسنت اليك فقال الاعرابي نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا
فقال له النبي انك قلت ما قلت وفي نفس اصحابي شيء من ذلك فان احببت فقل
بين ايديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك قال نعم
فلما كان الغد او العشي جاء فقال النبي ان هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه
فزعم انه رضي أكذلك فقال الاعرابي نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال
النبي ان مثلي ومثل هذا الاعرابي كمثل رجل كانت له ناقة شردت فاتبعها الناس
فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحب الناقة فقال لهم خلوا بيني وبين ناقتي فاني ارفق
بها فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها فاخذ لها من قمام الارض فردها هونا هونا
حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها وقال لو تركتكم حيث
قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار

بيان سخاوة وجوده وكرمه

كان عليه السلام اجود الناس بالطعام وكان في شهر رمضان كالريح المرسلة لا يمسك
شيئا وكان علي رضي الله عنه اذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال كان اجود الناس كفا
واجرأ الناس صدرا واصدق الناس لهجة واوفاهم ذمة والينهم عريكة واكرمهم عشيرة
من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله
صلى الله عليه وسلم وما سئل شيئا قط على الاسلام الا اعطاه وان رجلا اتاه فسأله فاعطاه
غنما بين جبلين فرجع الى قومه وقال اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة
وما سئل شيئا قط فقال لا وحمل اليه تسعون الف درهم فوضعها على حصير ثم قام
اليها يقسمها فما رد سائلا قط حتى فرغ منها وجاءه رجل فسأله فقال ما عندي شيء
ولكن ابتع علي فاذا جاءنا شيء قضيناه فقال عمر يا رسول الله ما كلفك الله ما لا تقدر عليه

فكرها النبي ذلك فقال الرجل انفق ولا تخش من ذي العرش اقلالا فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم
وعرف السرور في وجهه ولما قفل من حنين جاءت الاعراب يسألونه حتى اضطروه
الى شجرة فخطفت رداءه فوقف رسول الله فقال اعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه
العضاه نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا **بيان شجاعته**
صلى الله عليه وسلم كان صلى الله عليه وسلم انجد الناس واشجعهم قال علي رض لقد
رايتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي وهو اقربنا من العدو وكان من اشد الناس
يومئذ باسا وقال ايضا كنا اذا احمر الباس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله
فما يكون احد اقرب الى العدو منه وقيل كان عليه الصلاة والسلام قليل الكلام
قليل الحديث فاذا امر الناس بالقتال تشمر وكان من اشد الناس باسا وكان الشجاع
هو الذي يقرب منه في الحرب لقربه من العدو وقال عمران بن حصين ما لقي رسول الله
صلى الله عليه وسلم كتيبة الا كان اول من يضرب قالوا وكان شديد البطش ولما غشيه
المشركون نزل فجعل يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب فما روي يومئذ احد
كان اشد منه **بيان تواضعه** كان صلى الله عليه وسلم اشد الناس
تواضعا في علو منصبه قال ابن عامر رايت النبي صلى الله عليه وسلم يرمي جمرة العقبة
على ناقة شهباء لا ضرب ولا طرد ولا اليك اليك وكان يركب الحمار موكفا عليه قطيفة
وكان مع ذلك يستردف وكان يعود المريض ويتبع الجنازة ويجيب دعوة المملوك
ويخصف النعل ويرقع الثوب وكان يصنع في بيته مع اهله في حاجتهم وكان اصحابه
لا يقومون له لما عرفوا من كراهته لذلك وكان يمر على الصبيان فيسلم عليهم وأتي
النبي صلى الله عليه وسلم برجل فارعد من هيبته فقال هون عليك فلست بملك
انما انا ابن امراة من قريش كانت تاكل القديد وكان يجلس بين اصحابه مختلطا بهم
كانه احدهم فياتي الغريب فلا يدري ايهم هو حتى يسال عنه حتى طلبوا منه ان يجلس
مجلسا حتى يعرفه الغريب فبنوا له دكانا من طين فكان يجلس عليه وقالت له عائشة كل
متكئا فانه اهون عليك قال فاصغى براسه حتى كاد ان تصيب جبهته الارض ثم
قال بل اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان لا ياكل على خوان ولا في سكرجة
حتى لحق بالله وكان لا يدعوه احد من الصحابة وغيرهم الا قال لبيك وكان اذا جلس
مع الناس ان تكلموا في معنى الآخرة اخذ معهم وان تحدثوا في طعام وشراب تحدث معهم
وان تكلموا في الدنيا تحدث معهم رفقا بهم وتواضعا لهم ثم يغض عنهم وكانوا
يتناشدون الشعر بين يديه احيانا ويذكرون اشياء من امر الجاهلية ويضحكون فيتبسم
هو اذا ضحكوا ولا يزجرهم الا عن حرام **بيان صورته وخلقته**
كان من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قامته انه لم يكن بالطويل ولا بالقصير المتردد
بل كان ينسب الى الربعة اذا مشى وحده ومع ذلك فلم يكن يماشيه احد من الناس
ينسب الى الطول الا طاله رسول الله ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما واذا
فارقاه نسبا الى الطول ونسب هو الى الربعة ويقول جعل الخير كله في الربعة
واما لونه فقد كان ازهر اللون ولم يكن بالآدم ولا الشديد البياض والازهر هو

الابيض الناصع الذي لا يشوبه صفرة ولا حمرة ولا شيء من الالوان ونعته عمه ابو
طالب فقال وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل
ونعته بعضهم بانه مشرب بحمرة فقال انما كان المشرب منه بالحمرة ما ظهر للشمس
والرياح كالوجه والرقبة والازهر الصافي عن الحمرة ما تحت الثياب منه وكان
عرقه في وجهه كاللؤلؤ اطيب من المسك الاذفر واما شعره فقد كان رجل الشعر
ليس بالسبط ولا الجعد القطط كان اذا امتشط بالمشط ياتي كانه حبك الرمال وقد
قيل كان شعره يضرب منكبيه واكثر الرواية انه كان الى شحمة اذنيه وربما جعله
غدائر اربعا تخرج كل اذن من بين غديرتين وربما جعل شعره على اذنيه
فتبدو سوالفه تتلالا وكان شيبه في الراس واللحية سبع عشرة شعرة
ما زاد على ذلك وكان احسن الناس وجها وانورهم لم يصفه واصف الا شبهه
بالقمر ليلة البدر وكان يرى رضاه وغضبه في وجهه لصفاء بشرته وكانوا يقولون
هو كما وصفه صاحبه ابو بكر حيث يقول **شعر**

امين مصطفى للخير يدعو ❊ كضوء البدر زايله الظلام

وكان صلى الله عليه وسلم واسع الجبهة ازج الحاجبين سابغهما وكان ابلج
ما بين الحاجبين كان ما بينهما الفضة المخلصة وكانت عيناه نجلاوين ادعجهما
وكان في عينيه تمزج من حمرة وكان اهدب الاشفار حتى تكاد تلتبس من كثرتها
وكان اقنى العرنين مستوى الانف وكان مفلج الاسنان اي متفرقها وكان من احسن
عباد الله شفتين والطفهم ختم فم وكان سهل الخدين صلتهما ليس بالطويل الوجه
ولا المكلثم كث اللحية وكان يعفي لحيته وياخذ شاربيه وكان من احسن الناس
عنقا لا ينسب الى الطول ولا الى القصر ما ظهر من عنقه للشمس والرياح فكانه ابريق
فضة مشرب ذهبا يتلالا في بياض الفضة وفي حمرة الذهب وكان عريض الصدر
لا يعدو لحم بعض بدنه بعضا كالمرايا وكالقمر في بياضه موصول ما بين لبته وسرته
بشعر منقاد كالقضيب لم يكن في صدره ولا بطنه شعر غيره وكانت له عكن ثلاث
يغطي الازار منها واحدة وتظهر اثنتان وكان عظيم المنكبين اشعرهما ضخم الكراديس
اي رؤوس العظام من المنكبين والمرفقين والوركين وكان واسع الظهر ما بين كتفيه
خاتم النبوة وهو مما يلي منكبه الايمن فيه شامة سوداء تضرب الى الصفرة حولها شعرات
متواليات كانها من عرف فرس وكان عبل العضدين والذراعين طويل الزندين رحب
الراحتين سائل الاطراف كان اصابعه قضبان الفضة كفه الين من الخز كان كفه
كف عطار طيبا مسها بطيب او لم يمسها يصافحه المصافح فيظل يومه يجد ريحها
ويضع يده على راس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها على راسه وكان عبل
ما تحت الازار من الفخذ والساق وكان معتدل الخلق في السمن بدن في آخر زمانه
وكان لحمه متماسكا يكاد يكون على الخلق الاول لم يضره السمن واما مشيته
فكان يمشي هونا كانما يتقلع من صخر وينحدر من صبب يخطو تكفيا ويمشي هونا

بغير تبختر والهوينا تقارب الخطا وكان عم يقول انا اشبه الناس بادم وكان
ابي ابرهيم اشبه الناس بي خلقا وخلقا وكان يقول ان لي عند ربي عشرة اسما
انا محمد وانا احمد وانا الماحي يمحو الله بي الكفر وانا العاقب الذي ليس بعده احد •
وانا الحاشر الذي يحشر العباد على قدمي • وانا رسول الرحمة • ورسول التوبة
ورسول الملاحم • والمقفي قفيت الناس جميعا وانا قثم قال ابو البختري والقثم
الكامل الجامع •

بيان معجزاته واياته الدالة على صدقه

اعلم ان من شاهد احواله واصغى الى سماع اخباره المشتملة على اخلاقه وافعاله
واحواله وعاداته وسجاياه وسياسته لاصناف الخلق وهدايته الى ضبطهم وتالفه
اصناف الخلق وقوده اياهم الى طاعته مع ما يحكى به من عجايب اجوبته في مضايق
الاسولة وبدايع تدبيراته في مصالح الخلق ومحاسن اشاراته في تفصيل ظاهر
الشرع الذي يعجز الفقها والعقلاء عن ادراك اوايل دقايقها في طول اعمارهم لم يبق
له ريب ولا شك في ان ذلك لم يكن مكتسبا بحيلة تقوم بها القوى البشرية بل لا يتصور
ذلك الا بالاستمداد من تايد سماوي وقوة الهية وان ذلك كله لا يتصور لكذاب ولا
ملبس بل كانت شمايله واحواله شواهد قاطعة على ان العربي القح كان يراه فيقول
والله ما هذا وجه كذاب فكان يشهد له بالصدق بمجرد شمايله فكيف من شاهد
اخلاقه ومارس احواله في جميع مصادره وموارده وانما اوردنا بعض اخلاقه لتعرف
محاسن الاخلاق وليتنبه لصدقه وعلو منصبه ومكانته العظيمة عند الله اذ اتاه
الله جميع ذلك وهو رجل امي لم يمارس العلم ولم يطالع الكتب ولم يسافر قط في
طلب علم ولم يزل بين اظهر الجهال من الاعراب يتيما ضعيفا مستضعفا فمن اين
حصل له محاسن الاخلاق والاداب ومعرفة مصالح الفقه مثلا فقط دون غيره من العلوم
فضلا عن معرفة الله وملايكته وكتبه وغير ذلك من خواص النبوة لولا صريح الوحي ومن اين
للبشر الاستقلال بذلك فلو لم يكن له الا هذه الامور الظاهرة لكان فيه كفاية وقد ظهر
من اياته ومعجزاته ما لا يستريب فيه محصل فلنذكر من جملتها ما استفاضت به
الاخبار واشتملت عليه الكتب الصحاح اشارة الى مجامعها من غير تطويل بحكاية التفصيل
فقد خرق الله العادة على يده اذ شق له القمر لما سالته قريش اية واطعم النفر الكثير
في منزل جابر وفي منزل ابي طلحة ويوم الخندق ومرة اطعم ثمانين رجلا من اربعة امداد
شعير ومرة اكثر من ثمانين رجلا من اقراص شعير حملها انس في يده ومرة اهل الجيش
من تمر يسير ونبع الماء من بين اصابعه فشرب العسكر كلهم وهم عطاش وتوضوا من قدح
صغير ضاق عن ان يبسط يده فيه واهراق وضوءه في عين تبوك ولا ماء فيها ومرة اخرى
في بير الحديبية فجاشتا بالماء فشرب من عين تبوك اهل الجيش وهم الوف حتى رووا
وشرب من بير الحديبية الف وخمسماية ولم يكن فيها قبل ذلك ماء وامر عمر بن الخطاب
ان يزود اربعماية راكب من تمر كان في اجتماعه كربضة البعير وهو موضع بروكه فزودهم
كلهم منه وبقي بحسبه ورمى الجيش بقبضة من تراب فعميت عيونهم ونزل بذلك القران في
قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وابطل الله الكهانة بمبعثه فعدمت وكانت

ظاهرة موجودة وحن الجذع الذي كان يخطب اليه لما عمل له المنبر عليه السلام
حتى سمع منه جميع اصحابه مثل صوت الابل فضمه اليه فسكن ودعا اليهود الى تمني
الموت واخبرهم بانهم لا يتمنونه فحيل بينهم وبين النطق بذلك وعجزوا عنه وهذه
الاية مذكورة في سورة الجمعة ويعظم ذلك بقراة رسول الله سورة الجمعة كل يوم جمعة
يقرا بها في جميع جوامع اهل الاسلام من شرق الارض الى غربها يوم الجمعة جهرا تعظيما
للاية التي فيها واخبر عليه السلام بالغيوب وانذر ان عثمان تصيبه بلوى
بعدها الجنة وبان عمارا تقتله الفية الباغية وان الحسن يصلح الله به بين فيتين
من المسلمين عظيمتين واخبر عن رجل قاتل في سبيل الله انه من اهل
النار فظهر ذلك بان قتل ذلك الرجل نفسه وهذه اشيا لا تعرف البتة بشي من وجوه
تقدمة المعرفة لا بنجوم ولا تكهن ولا بخط ولا زجر لكن باعلام الله ووحيه له
واتبعه سراقة بن جعشم فساخت قدما فرسه في الارض واتبعه دخان حتى استغاثه
فدعا له حتى انطلقت له الفرس وانذره بان سيوضع في ذراعيه سواري كسرى
فكان كذلك واخبر بقتل الاسود العنسي الكذاب ليلة وهو بصنعا اليمن واخبر من قتله
وخرج على مايه من قريش ينتظرونه فوضع التراب على روسهم ولم يروه وشكا
اليه البعير بحضرة اصحابه وتذلل له وقال لنفر من اصحابه مجتمعين احدكم في النار
ضرسه مثل احد فماتوا كلهم على استقامة وارتد واحد منهم فقتل مرتدا
وقال لاخرين منهم اخركم موتا في النار فسقط اخرهم موتا في نار فاحترق فيها
فمات ودعا بشجرتين فاتتاه واجتمعتا ثم امرهما فافترقتا ودعا النصارى عليه
المباهلة فامتنعوا واخبرهم انهم ان فعلوا ذلك هلكوا فعلموا صحة قوله فامتنعوا واتاه
عامر بن الطفيل بن مالك واربد بن قيس وهما فارسا العرب عازمين على قتله عليه
السلام فحيل بينهما وبين ذلك ثم دعا عليهما فهلك عامر بغدة وهلك اربد بصاعقة
احرقته واخبر انه يقتل ابي بن خلف الجمحي فخدشه يوم احد خدشا لطيفا فكان فيه
منيته واطعم السم فمات الذي اكل معه وعاش هو عليه السلام بعده اربع سنين وكلمه
الذراع المسموم واخبر يوم بدر بمصارع صناديد قريش ووقفهم على مصارعهم رجلا رجلا
فلم يتعد واحد منهم ذلك الموضع وانذر عليه السلام بان طوايف من امته يغزون في البحر
فكان كذلك وزويت له الارض فاري مشارقها ومغاربها واخبر بان ملك
امته سيبلغ ما زوي له منها فكان كما اخبر فقد بلغ ملكهم من اول المشرق من بلاد
الترك الى اخر المغرب من بحر الاندلس وبلاد البربر ولم يتسعوا في الجنوب ولا في
الشمال كما اخبر سوا بسوا واخبر ابنته فاطمة بانها اول اهله لحاقا به فكان كذلك
واخبر نساه بان اطولهن يدا اسرعهن لحاقا به فكانت زينب بنت جحش الاسدية
اطولهن يدا بالصدقة واولهن لحوقا به ومسح ضرع شاة حايل لا لبن فيها فدرت فيها
فكان ذلك سبب اسلام ابن مسعود وفعل ذلك مرة اخرى في خيمة ام معبد الخزاعية
وندرت عين بعض اصحابه حتى سقطت فردها بيده فكانت اصح عينيه واحسنهما وتفل

في عيني علي رضي الله عنه وهو ارمد يوم خيبر فصح من وقته وبعثه بالراية وكانوا
يسمعون تسبيح الطعام بين يديه صلى الله عليه وسلم واصيبت رجل بعض اصحابه فمسحها
بيده فبرئت من حينها وقل زاد جيش كان معه فدعا بجميع ما بقي فاجتمع شي يسير
جدا فدعا فيه بالبركة ثم امرهم فاخذوا فلم يبق وعاء في العسكر الا ملي من ذلك
وحكى الحكم ابن ابي العاص مشيته مستهزيا فقال عليه السلام كذلك
فكن فلم يزل يرتعش حتى مات وخطب صلى الله عليه وسلم امراة فقال ابوها ان بها
برصا امتناعا من خطبته واعتذارا ولم يكن بها برص فقال فلتكن كذلك فبرصت
وهي ام شبيب الذي يعرف بابن البرصا الشاعر الى غير ذلك من اياته ومعجزاته
وانما اقتصرنا على المستفيض ومن يستريب في انخراق العادة على يديه ويزعم ان
ان احاد هذه الوقايع لم تنقل تواترا بل المتواتر هو القران فقط كمن يستريب في
شجاعة علي وسخاوة حاتم ومعلوم ان احاد وقايعهم غير متواترة ولكن مجموع
الوقايع يورث علما ضروريا ثم لا يتمارى في تواتر القران وهو المعجزة الكبرى الباقية
بين الخلق وليس لنبي معجزة باقية سواه اذ تحدى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
بلغا الخلق وفصحا العرب وجزيرة العرب حينئذ مملوة بالالاف منهم والفصاحة
صنعتهم وبها منافستهم ومباهاتهم فكان ينادي بين اظهرهم ان ياتوا بمثله
او بعشر سور من مثله او بسورة من مثله ان شكوا وقال لهم قل لين اجتمعت الانس
والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا
وقال ذلك تعجيزا لهم فعجزوا عن ذلك وصرفوا عنه حتى عرضوا انفسهم للقتل ونساءهم
وذراريهم للسبي وما استطاعوا ان يعارضوا ولا ان يقدحوا في جزالته وحسنه
ثم انتشر ذلك بعده في اقطار العالم شرقا وغربا قرنا بعد قرن وعصرا بعد عصر
وقد انقرض اليوم قريب من خمسمايه سنة ولم يقدر احد على معارضته فاعظم بغباوة
من ينظر في احواله ثم في اقواله ثم في افعاله ثم في اخلاقه ثم في معجزاته ثم في استمرار شرعه
الى الان ثم في انتشاره في اقطار العالم ثم في اذعان ملوك الارض له في عصره وبعد
عصره مع ضعفه ويتمه ثم يتمارى بعد ذلك في صدقه وما اعظم توفيق من امن به
وصدقه واتبعه في كل ورود وصدر فنسال الله عز وجل ان يوفقنا للاقتدا به
في الاخلاق والافعال والاحوال والاقوال بمنه وسعة جوده
انه سميع مجيب اخر كتاب النبوه وهو
اخر ربع العادات من كتاب احيا
علوم الدين والحمد لله رب
العالمين وصلى الله
على سيدنا محمد
وعلى اله وصحبه
اجمعين

ربع الثالث من المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي تتحير دون ادراك جلاله القلوب والخواطر ● وتدهش في مبادي اشراق انواره الاحداق والنواظر ● المطلع على خفيات السرائر ● العالم بمكنونات الضمائر ● المستغني في تدبير مملكته عن المشاور والموازر ● مقلب القلوب ● وغفار الذنوب ● وستار العيوب ● ومفرج الكروب ● والصلاة على سيدنا محمد سيد المرسلين وجامع شمل الدين ● وقاطع دابر الملحدين ● وعلى آله واصحابه الطيبين الطاهرين

اما بعد فان شرف الانسان وفضيلته التي بها فاق جملة من اصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله سبحانه التي هي في الدنيا جماله وكماله وفخره وفي الآخرة عدته وذخره فانما استعد للمعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه ● فالقلب هو العالم بالله ● وهو العامل لله ● وهو الساعي الى الله ● وهو المتقرب اليه وهو المكاشف بما عند الله ولديه ● وانما الجوارح اتباع وخدم وآلات ● يستخدمها القلب ويستعملها استعمال المالك للعبيد واستخدام الراعي للرعية ● والصانع للآلة ● فالقلب هو المقبول عند الله اذا سلم من غير الله ● وهو المحجوب عن الله اذا صار مستغرقا بغير الله ● وهو المطالب ● وهو المخاطب ● وهو المعاتب والمعاقب ● وهو الذي يسعد بالقرب من الله تعالى فيفلح اذا زكاه ● وهو الذي يخيب ويشقى اذا دنسه ودساه ● وهو المطيع بالحقيقة لله ● وانما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات انواره وهو العاصي المتمرد على الله ● وانما الساري الى الاعضاء من الفواحش آثاره ● وباظلامه واستنارته يظهر محاسن الظاهر ومساويه ● اذ كل اناء يترشح بما فيه ● وهو الذي اذا عرفه الانسان فقد عرف نفسه ● واذا عرف نفسه عرف ربه ● وهو الذي اذا جهله الانسان فقد جهل نفسه ● واذا جهل نفسه فقد جهل ربه ● ومن جهل قلبه فهو بغيره اجهل ● واكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وانفسهم ● وقد حيل بينهم وبين انفسهم ● فان الله يحول بين المرء وقلبه ● وحيلولته بان يمنعه عن مشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية تقلبه بين اصبعين من اصابع الرحمن ● وانه كيف يهوي مرة الى اسفل السافلين ● وينخفض الى افق الشياطين ● وكيف يرتفع اخرى الى اعلى عليين ● ويرتقي الى عالم الملائكة المقربين ● ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصد ما يلوح من خزائن الملكوت عليه وفيه ● فهو ممن قال الله تعالى فيه ● نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون ● فمعرفة القلب وحقيقة اوصافه اصل الدين ● واساس طريق السالكين ● واذ قد فرغنا من الشطر الاول من هذا الكتاب عن النظر فيما يجري على الجوارح من العبادات وهو العلم الظاهر ● ووعدنا ان نشرح في الشطر الثاني ما يجري على القلوب من الصفات المهلكات والمنجيات ● فنذكر الان من ذكر عجائب القلب بطريق ضرب الامثال ما يقرب من الافهام فان التصريح بعجائبه واسراره الداخلة في جملة عالم الملكوت مما يكل عن دركه اكثر الاوهام ● وبالله التوفيق ●

بيان معنى النفس والروح والقلب والعقل وما هو المراد بهذه الاسامي

اعلم ان هذه اربعة اسامي تستعمل في هذه الابواب ويقل في فحول العلماء من يحيط بمعرفة هذه الاسامي واختلاف معانيها وحدودها ومسمياتها ● واكثر الاغاليط منشأها الجهل بمعنى هذه الاسامي وباشتراكها بين مسميات مختلفة ونحن نشرح من معاني هذه الاسامي ما يتعلق بغرضنا ● اللفظ الاول القلب ● وهو يطلق لمعنيين احدهما اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الايسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم اسود وهو منبع الروح ومعدنه ● ولسنا نقصد الان شرح شكله وكيفيته فلا يتعلق به الغرض الديني وانما يتعلق به غرض الاطباء وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود للميت ● ونحن اذا اطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب لم نعن به ذلك فانه قطعة لحم لا قدر لها وهو من عالم الملك والشهادة اذ تدركه البهائم بحاسة البصر فضلا عن الآدميين والمعنى الثاني هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان وهي المدرك العالم العارف من الانسان وهو المخاطب والمطالب والمعاقب والمعاتب وهذه اللطيفة علاقة مع القلب الجسماني وقد تحيرت عقول اكثر الخلق في ادراك وجه علاقته وان تعلقها به يضاهي تعلق الاعراض بالاجسام والاوصاف بالموصوفات او تعلق المستعمل للآلة

بالآلة او تعلق المتمكن بالمكان وشرح ذلك مما نتوقاه لمعنيين احدهما انه متعلق بعلوم المكاشفة وليس غرضنا في هذا الكتاب الا علوم المعاملة والثاني ان تحقيقه يستدعي افشاء سر الروح ولم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس لغيره ان يتكلم فيه والمقصود انا اذا اطلقنا القلب في هذا الكتاب اردنا به هذه اللطيفة وغرضنا ذكر اوصافها واحوالها لا ذكر حقيقتها في ذاتها وعلم المعاملة يفتقر الى معرفة صفاتها واحوالها ولا يفتقر الى ذكر حقيقتها

اللفظ الثاني الروح وهو ايضا يطلق فيما يتعلق بجنس غرضنا لمعنيين احدهما جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني وينتشر بواسطة العروق الضوارب الى سائر اجزاء البدن وجريانه في البدن وفيضان انوار الحياة والحس والسمع والبصر والشم منه على اعضائها يضاهي فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت فانه لا ينتهي الى جزء من البيت الا ويستنير به فالحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان والروح مثاله السراج وسريان الروح وحركته في الباطن مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركه والاطباء اذا اطلقوا لفظ الروح ارادوا به هذا المعنى وهو بخار لطيف انضجته حرارة القلب وليس من غرضنا شرحه اذ المتعلق به غرض الاطباء الذين يعالجون الابدان واما غرض اطباء الدين المعالجين للقلوب حتى تنساق الى جوار رب العالمين فليس يتعلق بشرح هذه الروح اصلا ● المعنى الثاني هو اللطيفة العالمة المدركة من الانسان وهو الذي شرحناه في احد معنيي القلب وهو الذي اراده الله تعالى بقوله ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وهو امر عجيب رباني تعجز اكثر العقول والافهام عن درك كنه حقيقته

اللفظ الثالث النفس وهو ايضا مشترك بين معاني ويتعلق بغرضنا منه معنيان احدهما انه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الانسان على ما سيأتي بيانه وهذا الاستعمال هو الغالب على اهل التصوف لانهم يريدون بالنفس الاصل الجامع للصفات المذمومة من الانسان فيقولون لا بد من مجاهدة النفس وكسرها واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك المعنى الثاني هي اللطيفة التي ذكرناها التي هي الانسان بالحقيقة وهي نفس الانسان وذاته ولكنها توصف باوصاف مختلفة بحسب اختلاف احوالها فاذا سكنت تحت الامر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة قال الله تعالى في مثلها يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية والنفس بالمعنى الاول لا يتصور رجوعها الى الله تعالى فانها مبعدة عن الله وهي من حزب الشيطان واذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعترضة عليها سميت النفس اللوامة لانها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاه قال الله تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة وان تركت الاعتراض واذعنت واطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس الامارة بالسوء قال الله تعالى وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء وقد يجوز ان يقال المراد بالامارة بالسوء هي النفس بالمعنى الاول فاذا النفس بالمعنى الاول مذمومة غاية الذم وبالمعنى الثاني محمودة لانها نفس الانسان اي ذاته وحقيقته العالمة بالله تعالى

اللفظ الرابع العقل وهو ايضا مشترك لمعان مختلفة ذكرناها في كتاب العلم والمتعلق بغرضنا معنيان احدهما انه قد يطلق ويراد به العلم بحقائق الامور فيكون عبارة عن صفة العلم الذي محله القلب والثاني انه قد يطلق ويراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب اعني تلك اللطيفة ونحن نعلم ان كل عالم فله في نفسه وجود هو اصل قائم بنفسه والعلم صفة حالة فيه والصفة غير الموصوف والعقل قد يطلق ويراد به صفة العالم وقد يطلق ويراد به محل الادراك اعني المدرك وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله العقل فان العلم عرض لا يتصور ان يكون اول مخلوق بل لا بد وان يكون المحل مخلوقا قبله او معه ولانه لا يمكن الخطاب معه وفي الخبر انه قال له اقبل فاقبل وقال له ادبر فادبر الحديث فاذا قد انكشف لك ان معاني هذه الاسامي موجودة وهو القلب الجسماني والروح الجسماني والنفس الشهوانية والعلوم وهذه اربعة معان قد يطلق عليها الالفاظ الاربعة بجملتها تتوارد عليها فالمعاني خمسة والالفاظ اربعة وكل لفظ اطلق لمعنيين واكثر العلماء قد التبس عليهم اختلاف هذه الالفاظ وتواردها فتراهم يتكلمون في الخواطر ويقولون هذا خاطر العقل وهذا خاطر الروح وهذا خاطر النفس وهذا خاطر القلب وليس يدري الناظر اختلاف معاني هذه الاسماء ولاجل كشف الغطاء عن ذلك قدمنا شرح هذه الاسامي وحيث ورد في القرآن والسنة لفظ القلب فالمراد به المعنى الذي يفقه

من الانسان ويعرف حقيقة الاشيا وقد يطلق عنه بالقلب الذي في الصدر لان بين تلك اللطيفة وبين جسم
القلب علاقة خاصة فانها وان كانت متعلقة بساير البدن ومستعملة له ولكنها تتعلق به بواسطة القلب
فتعلقها الاول بالقلب وكانه محلها ومملكتها وعالمها ومطيتها ولذلك شبه سهل التستري القلب بالعرش
والصدر بالكرسي فقال القلب هو العرش والصدر هو الكرسي ولا يظن به انه يرى انه عرش الله وكرسيه فان
ذلك محال بل اراد به انه مملكته والمجرى الاول لتدبيره وتصرفه فهما بالنسبة اليه كالعرش والكرسي بالنسبة
الى الله تعالى ولا يستقيم هذا التشبيه ايضا الا من بعض الوجوه وشرح ذلك ايضا لا يليق بغرضنا فلنتجاوزه

تعريف جنود القلب الظاهرة والباطنة

بيان جنود القلب

قال الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو فلله تعالى في القلوب والارواح وغيرها من
العوالم جنود مجندة لا يعرف حقيقتها وتفصيل عددها الا هو ونحن الآن نشير الى بعض جنود القلب وهو الذي يتعلق
وله جندان جند يرى بالابصار وجند لا يرى الا بالبصائر وهو في حكم الملك والجنود في حكم الخدم والاعوان
وهذا معنى الجند فاما جنده المشاهد بالعين فهو اليد والعين والرجل والاذن واللسان وساير الاعضا
الظاهرة والباطنة فان جميعها خادمة للقلب ومسخرة له وهو المتصرف فيها والمردد لها وقد خلقت مجبولة على طاعة
القلب لا تستطيع له خلافا ولا عليه تمردا فاذا امر العين بالانفتاح انفتحت واذا امر الرجل بالحركة تحركت
واذا امر اللسان بالكلام وجزم الحكم به تكلم وكذا ساير الاعضاء وتسخير الاعضاء والحواس للقلب يشبه من وجه
تسخير الملائكة لله تعالى فانهم مجبولون على الطاعة لا يستطيعون له خلافا بل لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وانما
يفترقان في شيء وهو ان الملائكة عالمة بطاعتها وامتثالها والاجفان تطيع القلب في الانفتاح والانطباق على سبيل التسخير
ولا خبر لها من نفسها ومن طاعتها للقلب وانما افتقر القلب الى هذه الجنود من حيث افتقاره الى المركب والزاد لسفره الذي
لاجله خلق وهو السفر الى الله سبحانه وقطع المنازل الى لقائه فلاجله خلقت القلوب قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
وانما مركبه البدن وزاده العلم وانما الاسباب التي توصله الى الزاد وتمكنه من التزود منه هو العمل الصالح وليس
يمكن ان يصل العبد الى الله سبحانه ما لم يسكن البدن وما لم يجاوز الدنيا فان المنزل الادنى لا بد من قطعه للوصول
الى المنزل الاقصى والدنيا مزرعة الآخرة وهي منزل من منازل الهدى وانما سميت دنيا لانها ادنى المنزلتين

انظر سبب تسمية الدنيا

فاضطر الى ان يتزود من هذا العالم والبدن مركبه الذي يصل به الى هذا العالم فافتقر الى تعهد البدن وحفظه
وانما يحفظ البدن بان يجلب اليه ما يوافقه من الغذاء وغيره وبان يدفع عنه ما ينافيه ويهلكه من اسباب الهلاك
فافتقر من اجل جلب الغذاء الى جندين باطن وهو الشهوة وظاهر وهو اليد والاعضاء الجالبة للغذاء
فخلق في القلب من الشهوات ما احتاج اليه وخلقت الاعضاء التي هي آلات الشهوة وافتقر لاجل دفع المهلكات
الى جندين باطن وهو الغضب الذي به يدفع المهلكات وينتقم من الاعداء وظاهر وهو اليد والرجل الذي يعمل بمقتضى الغضب
وكل ذلك بامور خارجة عن البدن كالاسلحة وغيرها ثم المحتاج الى الغذاء ما لم يعرف الغذاء لم تنفعه شهوة الغذاء
والفه فافتقر للمعرفة الى جندين باطن وهو ادراك البصر والذوق والشم والسمع واللمس وظاهر وهو العين والاذن
والانف وغيرها وتفصيل الحاجة اليها ووجه الحكمة فيها يطول ذكره ولا تحويه مجلدات كثيرة وقد اشرنا
الى طرف يسير منه في كتاب الشكر فلنقتنع به فجملة جنود القلب تحصرها ثلاثة اصناف صنف باعث ومستحث

تعريف جملة جنود القلب

اما الى جلب الموافق النافع كالشهوة واما الى دفع الضار المنافي كالغضب وقد يعبر عن هذا الباعث بالارادة والثاني
هو المحرك للاعضاء الى تحصيل هذه المقاصد ويعبر عن هذا الثاني بالقدرة وهي جنود مبثوثة في ساير الاعضاء
لا سيما العضلات منها والاوتار والثالث وهو المدرك المتعرف للاشياء كالجواسيس وهي قوة البصر والسمع
والشم والذوق وغيرها وهي مبثوثة في اعضاء معينة ويعبر عن هذا بالعلم والادراك ومع كل واحد من هذه الجنود
الباطنة جنود ظاهرة وهي الاعضاء المركبة من اللحم والشحم والعصب والدم والعظم التي اعدت آلات لهذه
هذه الجنود فان قوة البطش انما تبطش بالاصابع وقوة البصر انما تدرك الشيء بالعين وكذا ساير القوى ولسنا
نتكلم في الجنود الظاهرة اعني الاعضاء فانها من عالم الملك والشهادة وانما نتكلم الآن فيما ايد به من

جنود الارادة وهو الصنف الثالث وهو المدرك من هذه الجملة ينقسم الى ما اسكن المنازل الظاهرة وهي الحواس الخمس اعني السمع
والبصر والشم والذوق واللمس والى ما اسكن منازل باطنة وهي تجاويف الدماغ وهي ايضا خمسة فان الانسان بعد رؤية
الشيء يغمض عينيه فيدرك صورته في نفسه وهو الخيال ثم تبقى تلك الصورة معه بسبب شيء يحفظه وهو الجند الحافظ ثم
يتفكر فيما حفظه فيركب بعض ذلك الى بعض ثم يتذكر ما قد نسيه ويعود اليه ثم يجمع جملة معاني المحسوسات في خياله بالحس
المشترك بين المحسوسات ففي الباطن حس مشترك وتخيل وتفكر وتذكر وحفظ ولولا خلق الله قوة الحفظ والفكر
والذكر والتخيل لكان يخلو الدماغ عنه كما تخلو عنه اليد والرجل فتلك القوى ايضا جنود باطنة واماكنها ايضا باطنة
فهذه هي ايضا اقسام جنود القلب وشرح ذلك بحيث يدركه فهم الضعفاء بضرب الامثلة ليقرب ذلك من افهامهم

بيان امثلة القلب مع جنوده الباطنة

بيان امثلة القلب مع جنوده الباطنة

اعلم ان جندي الغضب والشهوة قد
ينقادان للقلب انقيادا تاما فيعينه ذلك على طريقه الذي يسلكه وتحسن مرافقتهما في السفر الذي هو بصدده وقد
يستعصيان عليه استعصاء بغي وتمرد حتى يملكاه ويستعبداه وفيه هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله
الى سعادة الابد وللقلب جند آخر وهو العلم والحكمة والتفكر كما سيأتي شرحه وحقه ان يستعين بهذا الجند فانه حزب
الله تعالى على الجندين الآخرين فانهما قد يلتحقان بحزب الشيطان فان ترك الاستعانة وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة
هلك يقينا وخسر خسرانا مبينا وذلك حال اكثر الخلق فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء الشهوة
وكان ينبغي ان تكون الشهوة مسخرة لعقولهم فيما يفتقر العقل اليه ونحن نقرب هذا الى فهمك بثلاثة امثلة

المثال الاول ان نقول نفس الانسان في بدنه واعني بالنفس اللطيفة المذكورة كملك في مدينته ومملكته
فان البدن مملكة النفس وعالمها ومستقرها ومدينتها وقواه وجوارحه بمنزلة الصناع والعملة والقوة العقلية المفكرة
له كالمشير الناصح والوزير العاقل والشهوة له كالعبد السوء يجلب الطعام والميرة الى المدينة والغضب له كصاحب
الشرطة والعبد الجالب للميرة كذاب مكار مخادع خبيث يتمثل بصورة الناصح وفي كل تدبير يدبره حتى لا يخلو
عن منازعته ومعارضته في آرائه ساعة فكما ان الوالي في مملكته متى كان مستشيرا في تدبيراته بوزيره معرضا عن اشارة هذا
العبد الخبيث مستدلا باشارته على ان الصواب في نقيض رأيه وادب صاحب شرطته وساسه لوزيره وجعله مؤتمرا له ومسلطا
من جهته على هذا العبد الخبيث واتباعه وانصاره حتى يكون مسوسا لا سايسا ومأمورا لا اميرا استقام امر
بلده وانتظم العدل بسببه فكذا النفس متى استعانت بالعقل وادبت بحمية الغضب وسلطتها على الشهوة واستعانت
باحداهما على الاخرى تارة بان تقلل مرتبة الغضب وغلوائه بمخالفة الشهوة واستدراجها وتارة بقمع الشهوة وقهرها بتسليط
الغضب والحمية عليها وتقبيح مقتضياتها اعتدلت قواها وحسنت اخلاقها ومن عدل عن هذه الطريقة كان كمن قال الله تعالى فيه افرأيت
من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وقال تعالى واتبع هواه فمثله كمثل الكلب وقال تعالى فيمن نهى النفس عن الهوى
ونهى النفس فان الجنة هي المأوى وسيأتي كيفية مجاهدة هذه الجنود وتسليط بعضها على بعض في كتاب رياضة النفس

المثال الثاني اعلم ان البدن كالمدينة والعقل اعني المدرك من الانسان كملك مدبر لها وقواه المدركة
من الحواس الظاهرة والباطنة كجنوده واعوانه واعضاؤه كرعيته والنفس الامارة بالسوء التي هي الشهوة والغضب
كعدو ينازعه في مملكته ويسعى في اهلاك رعيته فصار بدنه كرباط وثغر ونفسه كمقيم فيه مرابط فان جاهد عدوه
فهزمه وقهره على ما يحب حمد اثره اذا عاد الى الحضرة كما قال تعالى فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين
درجة وان ضيع ثغره واهمل رعيته ذم اثره وانتقم منه عند لقاء الله تعالى فيقال له يوم القيامة يا راعي السوء اكلت
اللحم وشربت اللبن ولم ترد الضالة ولم تجبر الكسير اليوم انتقم منك كما ورد في الخبر والى هذه المجاهدة الاشارة بقوله عليه السلام
رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر

المثال الثالث مثل العقل مثل فارس متصيد وشهوته
كفرسه وغضبه ككلبه فمتى كان الفارس حاذقا والفرس مروضا وكلبه مؤدبا معلما كان جديرا بالنجح ومتى
كان هو في نفسه اخرق وكان الفرس جموحا والكلب عقورا فلا فرسه ينبعث تحته منقادا ولا كلبه يسترسل
باشارته مطيعا فهو خليق بان يعطب فضلا من ان ينال ما طلب وانما خرق الفارس مثل جهل الانسان وقلة

وقلة حكمة وكلال بصيرة وجماح الفرس مثال لغلبة الشهوة خصوصا غلبة شهوة البطن والفرج وعقر الكلب مثال لغلبة
الغضب واستيلائه

بيان خاصية قلب الانسان

اعلم ان جملة ما ذكرناه قد انعم الله به على سائر
الحيوانات سوى الادمي اذ للحيوانات الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة ايضا حتى ان الشاة ترى الذئب
بعينها فتعلم عداوته بقلبها فتهرب منه فذلك ادراك باطن فلنذكر ما يختص به قلب الانسان
ولاجله عظم شرفه واستاهل القرب من الله تعالى وهو راجع الى علم وارادة اما العلم فهو العلم بالامور الدنيوية والاخروية والحقائق
العقلية فان هذه امور وراء المحسوسات ولا تشاركه فيها الحيوانات بل العلوم الكلية الضرورية من خواص العقل اذ يحكم الانسان
بان الفرس الواحد لا يتصور ان يكون في مكانين في حالة واحدة وهذا حكم منه على كل فرس ومعلوم انه لم يدرك بالحس الا
بعض الافراس فحكمه على جميع الافراس زائد على ما ادركه الحس واذا فهمت هذا في العلم الظاهر الضروري فهو في سائر النظريات
اظهر واما الارادة فانه اذا ادرك بالعقل عاقبة الامر وطريق الصلاح فيه انبعث من ذاته شوق الى جهة المصلحة
والى تعاطي اسبابها والارادة لها وذلك غير ارادة الشهوة وارادة الحيوانات بل يكون على ضد الشهوة فتنفر عن الفصد والحجامة
والعاقل يريدها ويطلبها ويبذل المال فيها والشهوة تميل الى لذائذ الاطعمة في وقت المرض والعاقل يجد في نفسه زاجرا عنها
فليس ذلك زاجر الشهوة ولو خلق الله العقل المعرف بعواقب الامور ولم يخلق هذا الباعث المحرك للاعضاء على مقتضى حكم
العقل لكان حكم العقل ضايعا على التحقيق فاذا اختص قلب الانسان بعلوم وارادات ينفك عنها سائر الحيوانات
بل ينفك عنها الصبي في اول الفطرة وانما تحدث فيه بعد البلوغ واما الشهوة والغضب والحواس الظاهرة
والباطنة فانها موجودة في حال الصبي ثم للصبي في حصول هذه العلوم فيه درجتان احداهما ان يشتمل قلبه
على جملة العلوم الضرورية الاولية كالعلم باستحالة المستحيلات وجواز الجائزات الظاهرة فتكون العلوم
النظرية فيه غير حاصلة الا انها صارت ممكنة قريبة الامكان والحصول ويكون حاله بالاضافة الى العلوم كحال الكاتب
الذي لا يعرف من الكتابة الا الدواة والقلم والحروف المفردة دون المركبة فانه قد قارب الكتابة ولم يبلغها بعد
الثانية ان تحصل له العلوم المكتسبة بالتجارب والفكر فتكون كالمخزونة عنده فاذا شاء رجع اليها وحاله حال
الحاذق بالكتابة اذ يقال له كاتب وان لم يكن مباشرا للكتابة بقدرته عليها وهذه هي غاية درجة الانسانية ولكن
في هذه الدرجة مراتب لا تحصى يتفاوت الخلق فيها بكثرة المعلومات وقلتها وبشرف المعلومات وخستها وبطريق
تحصيلها اذ تحصل لبعض القلوب بالهام الهي على سبيل المبادأة والمكاشفة ولبعضها بتعلم واكتساب ثم قد يكون
سريع الحصول وقد يكون بطيء الحصول وفي هذا المقام تتباين منازل العلماء والاولياء والحكماء والانبياء
ودرجات الترقي فيه غير محصورة اذ معلومات الله تعالى لا نهاية لها واقصى الرتبة رتبة النبي صلى الله عليه وسلم التي تنكشف له
الحقائق اذ اكثرها من غير اكتساب وتكلف بل بكشف الهي في اسرع وقت وبهذه السعادة يقرب العبد من الله تعالى
قربا بالمعنى والحقيقة والصفة لا بالمكان والمسافة ومراقي هذه الدرجات هي منازل السائرين الى الله تعالى ولا حصر لتلك
المنازل وانما يعرف كل سالك المنزل الذي بلغه في سلوكه فيعرفه ويعرف ما خلفه من المنازل فاما ما بين يديه فلا يحيط
بحقيقته علما لكن قد يصدق به ايمانا بالغيب كما انا نؤمن بالنبوة والنبي ونصدق بوجوده ولكن لا يعرف حقيقة النبوة
الا النبي كما لا يعرف الجنين حال الطفل ولا الطفل حال المميز وما يفتح له من العلوم الضرورية ولا المميز حال العاقل
وما اكتسبه من العلوم النظرية فلا يعرف عاقل ما انفتح على اولياء الله تعالى وانبيائه من لطفه ورحمته ما يفتح
الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود والكرم من الله سبحانه وتعالى غير مضنون
بها على احد ولكن انما تظهر في القلوب المتعرضة لنفحات رحمة الله تعالى كما قال صلى الله عليه وسلم ان لربكم في ايام دهركم
نفحات الا فتعرضوا لها والتعرض لها بتطهير القلب وتزكيته عن الخبث والكدورة الحاصلة من الاخلاق المذمومة
كما سياتي بيانه والى هذا الجود الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ينزل الله كل ليلة الى السماء الدنيا فيقول
هل من داع فاستجيب له وبقوله عليه السلام حكاية عن ربه لقد طال شوق الابرار الى لقائي واني الى لقائهم
اشد شوقا وبقوله من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا كل ذلك اشارة الى ان انوار العلوم لم

ياهذا الطالب انظر الى هذه

يحتجب لبخل ومنع من جهة المنعم تعالى عن البخل والمنع علوا كبيرا ولكن حجبت لخبث وكدورة وشغل من جهة القلوب
فان القلوب كالاواني فما دامت ممتلئة بالماء لا يدخلها الهواء فالقلوب المشغولة بغير الله تعالى لا تدخلها
المعرفة بجلال الله واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم لنظروا
الى ملكوت السماء ومن هذه الجملة يتبين ان خاصية الانسان العلم والحكمة واشرف انواع العلم هو
العلم بالله تعالى وبصفاته وافعاله فيه كمال الانسان وفي كماله سعادته وصلاحه لجوار حضرة الجلال والكمال
فالبدن مركب للنفس والنفس محل العلم والعلم هو مقصود الانسان وخاصيته التي لاجلها خلق وكما
ان الفرس يشارك الحمار في قوة الحمل ويختص عنه بخاصية الكر والفر وحسن الهيئة فيكون الفرس مخلوقا
لاجل تلك الخاصية فان تعطلت منه نزل الى حضيض رتبة الحمار فكذلك الانسان يشارك الحمار
والفرس في امور ويفارقهما في امور هي خاصيته وتلك الخاصية من صفات الملائكة المقربين من الله تعالى والانسان
على رتبة بين البهائم والملائكة فان الانسان من حيث يتغذى وينسل فنبات ومن حيث يحس ويتحرك
بالاختيار فحيوان ومن حيث صورته وقامته فكالصورة المنقوشة على الحائط وانما خاصيته معرفة حقائق
الاشياء فمن استعمل جميع اعضائه وقواه على وجه الاستعانة بها على العلم والعمل فقد تشبه بالملائكة فحقيق
بان يلحق بهم وجدير بان يسمى ملكا وربانيا كما قال تعالى ان هذا الا ملك كريم ومن صرف همته الى اتباع
اللذات البدنية ياكل كما تاكل الانعام فقد انحط الى حضيض افق البهائم فيصير اما غمرا كثور واما شرها
كخنزير واما ضريا ككلب او حقودا كجمل او متكبرا كنمر او ذا روغان كثعلب او يجمع ذلك كله
كشيطان مريد وما من عضو من الاعضاء ولا حاسة من الحواس الا ويمكن الاستعانة به على طريق الوصول
الى الله تعالى كما سياتي بيان طرف منه في كتاب الشكر فمن استعمله فيه فقد فاز ومن عدل عنه فقد خسر وخاب وجملة
السعادة في ذلك ان يجعل لقاء الله تعالى مقصده والدار الاخرة مستقره والدنيا منزله والبدن مركبه
والاعضاء خدمه فيستقر هو اعني المدرك من الانسان في القلب الذي هو وسط مملكته كالملك ويجري القوة
الخيالية في مقدم الدماغ مجرى صاحب بريده اذ تجتمع اخبار المحسوسات عنده ويجري القوة الحافظة التي مسكنها
مؤخر الدماغ مجرى خازنه ويجري اللسان مجرى ترجمانه ويجري الاعضاء المتحركة مجرى كتابه ويجري
الحواس الخمس مجرى جواسيسه فيوكل كل واحد باخبار صقع من الاصقاع فيوكل العين بعالم الالوان والعين
والسمع بعالم الاصوات والشم بعالم الروائح وكذلك سائرها فانها اصحاب اخبار يلتقطونها من هذه
العوالم ويردونها الى القوة الخيالية التي هي كصاحب البريد الى الخازن وهي الحافظة ويعرضها الخازن
على الملك فيقتبس منها ما يحتاج اليه في تدبير مملكته واتمام سفره الذي هو بصدده وقمع عدوه الذي هو
مبتلى به ودفع قواطع الطريق عليه فاذا فعل ذلك كان موفقا سعيدا شاكرا نعمة الله تعالى واذا عطل هذه الجملة
او استعملها لكن في مراعاة اعدائه وهي الشهوة والغضب وسائر الحظوظ العاجلة او في عمارة طريقه دون
منزله اذ الدنيا طريقه التي عليها عبوره ووطنه ومستقره الاخرة كان مخذولا شقيا كافرا لنعمة الله تعالى
مضيعا لجنود الله ناصرا لاعداء الله مخذلا لحزب الله تعالى مستحقا للمقت من الله والابعاد في المنقلب والمعاد
نعوذ بالله من ذلك والى المثال الذي ضربناه اشار كعب الاحبار قال دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت الانسان
عيناه هاد واذناه سمع ولسانه ترجمانه ويداه جناحان ورجلاه بريدان والقلب ملك فاذا طاب
الملك طابت جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علي رضي الله عنه في تمثيل القلوب
ان لله تعالى في ارضه انية وهي القلوب فاحبها اليه ارقها واصفاها واصلبها ثم فسره فقال اصلبها
في الدين واصفاها في اليقين وارقها على الاخوان وهو اشارة الى قوله تعالى اشداء على الكفار رحماء
بينهم وقوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح قال ابي معناه مثل نور المؤمن وقلبه او كظلمات
في بحر لجي مثل قلب المنافق وقال زيد بن اسلم في لوح محفوظ قلب المؤمن وقال سهل مثل القلب

والصور مثل الكرسي مثل العرش والكرسي فهذه امثلة القلب اعلم ان الانسان
قد اصطحب في تركيبه وخلقته اربع شوائب فلذلك اجتمعت عليه اربعة انواع من الاوصاف وهي الصفات السبعية والبهيمية
والشيطانية والربانية فهو من حيث سلط عليه الغضب يتعاطى افعال السباع من العداوة والبغضاء والتهجم على
الناس بالضرب والشتم ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى افعال البهائم من الشره والحرص والشبق
وغيره ومن حيث انه في نفسه امر رباني كما قال تعالى قل الروح من امر ربي فانه يدعي لنفسه الربوبية ويحب الاستيلاء والاستعلاء
والتخصيص والاستبداد بالامور كلها والتفرد بالرياسة والانسلال عن ربقة العبودية والتواضع ويشتهي
الاطلاع على العلوم كلها بل يدعي لنفسه العلم والمعرفة والاحاطة بحقائق الامور ويفرح اذا نسب الى العلم ويحزن اذا
نسب الى الجهل والاحاطة بجميع الحقائق والاستيلاء بالقهر على جميع الخلائق من اوصاف الربوبية وفي الانسان حرص
على ذلك ومن حيث يختص من البهائم بالتمييز مع مشاركته لها في الغضب حصلت فيه شيطانية فصار شريرا
فصار شريرا يستعمل التمييز في استنباط الحيل ووجوه الشر ويتوصل الى الاغراض بالمكر والحيلة والخداع ويظهر
الشر في معرض الخير وهذه اخلاق الشياطين وكل انسان ففيه شوب من هذه الاربعة اعني الربانية والشيطانية والسبعية
والبهيمية وكل ذلك مجموع في القلب فكان المجموع في اهاب الانسان خنزير وكلب وشيطان وحكيم فالخنزير هو الشهوة فانه لم
يكن الخنزير مذموما للونه وشكله وصورته بل لجشعه وكلبه وحرصه والكلب هو الغضب فان السبع الضاري والكلب
العقور ليس كلبا وسبعا باعتبار الصورة واللون والشكل بل روح معنى السبعية الضراوة والعدوان والعقر وفي باطن
الانسان ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير وشبقه فالخنزير يدعو بالشره الى الفحشاء والمنكر والسبع يدعو
بالغضب الى الظلم والايذاء والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع ويغري احدهما بالاخر ويحسن لهما ما
هما مجبولان عليه والحكيم الذي هو مثال العقل مامور بان يدفع كيد الشيطان ومكره بان يكشف عن تلبيسه
ببصيرته النافذة ونوره المشرق الواضح وان يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه اذ بالغضب يكسر سورة الشهوة
ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكل مقهورا تحت سياسته فان فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الامر وظهر
العدل في مملكة البدن وجرى الكل على الصراط المستقيم وان عجز عن قهرهم قهروه واستخدموه فلا يزال في استنباط الحيل
وتدقيق الفكر ليشبع الخنزير ويرضي الكلب فيكون دائما في عبادة كلب او خنزير وهذا حال اكثر الناس مهما كان اكثر همهم
البطن والفرج ومنافسة الاعداء والعجب منه انه ينكر على عبدة الاصنام عبادتهم للحجارة ولو كشف الغطاء
وكشف له حقيقة حاله كما تمثل للمكاشفين اما في النوم او في اليقظة لرأى نفسه ماثلا بين يدي خنزير ساجدا
له مرة وراكعا اخرى ومنتظرا لاشارته وامره فمهما هاج الخنزير لطلب شيء من شهواته انبعث في الفور
في خدمته واحضار شهوته او رأى نفسه ماثلا بين يدي كلب عقور عابدا له مطيعا لما يقتضيه ويلتمسه مدققا
للفكر في حيل الوصول الى طاعته وهو بذلك ساع في مسرة شيطانه فانه الذي يهيج الخنزير ويثير الكلب ويبعثهما
على استخدامه فهو من هذا الوجه يعبد الشيطان بعبادتهما فليراقب كل عبد حركاته وسكناته وسكوته ونطقه
وقيامه وقعوده ولينظر بعين البصيرة فلا يرى ان انصف نفسه الا ساعيا طول النهار في عبادة هؤلاء وهذا
غاية الظلم اذ جعل المالك مملوكا والرب مربوبا والسيد عبدا والقاهر مقهورا اذ العقل هو المستحق
للسيادة والقهر والاستيلاء وقد سخره لخدمة هؤلاء فلا جرم ينتشر الى قلبه من طاعة هؤلاء الثلاثة صفات
تتراكم عليه حتى يصير طابعا ورينا مهلكا للقلب ومثاله اما طاعة خنزير الشهوة فيصدر منه صفة الوقاحة
والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والحرص والجشع والملق والحسد
والشماتة وغيرها واما طاعة الغضب فينتشر منها الى القلب صفة التهور والبذاءة والبذخ والصلف
والاستشاطة والتكبر والعجب والاستهزاء والاستخفاف وتحقير الخلق وارادة الشر وشهوة الظلم وغيرها
واما طاعة الشيطان وطاعة الشهوة والغضب فيحصل منها صفة المكر والخداع والحيلة والدهاء
والجربزة والتلبيس والتضريب والغش والخب وامثالها ولو عكس الامر وقهر الجميع تحت سياسة
الصفة الربانية لاستقر في القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة والاحاطة بحقائق الاشياء

ومعرفة الامور على ما هي عليه والاستيلاء على الكل بقوة العلم والبصيرة واستحقاق التقدم على الخلق بكمال العلم وجلاله
والاستغناء عن عبادة الشهوة والغضب ولانتشر اليه من ضبط خنزير الشهوة ورده الى حد الاعتدال
صفات شريفة مثل العفة والقناعة والهدوء والزهد والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف
والمساعدة وامثالها ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب وقهرها وردها الى الحد الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط
النفس والصبر والحلم والاحتمال والعفو والثبات والنبل والشهامة والوقار وغيرها فالقلب في حكم مرآة قد
اكتنفته هذه الامور المؤثرة فيه وهذه الآثار على التوالي واصلة الى القلب اما الآثار المحمودة التي ذكرناها فانها
تزيد مرآة القلب جلاء واشراقا ونورا وضياء حتى يتلألأ فيه جلية الحق وينكشف فيه حقيقة الامر المطلوب في الدين
والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من قلبه وبقوله عليه السلام
من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ وهذا القلب هو الذي يستقر فيه الذكر قال الله تعالى الا بذكر الله
تطمئن القلوب واما الآثار المذمومة فانها مثل دخان مظلم يتصاعد الى مرآة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرة
بعد اخرى الى ان يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوبا عن الله تعالى وهو الطبع والرين قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا
يكسبون وقال تعالى ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون فربط عدم السماع بالطبع
بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى فقال تعالى واتقوا الله واسمعوا واتقوا الله ويعلمكم الله ومهما تراكمت الذنوب
طبع على القلب وعند ذلك يعمى القلب عن ادراك الحق وصلاح الدين ويستهين بامر الآخرة ويستعظم امر الدنيا ويصير
مقصور الهم عليها فاذا قرع سمعه امر الآخرة وما فيها من الاخطار دخل من اذن وخرج من الاخرى ولم يستقر في
القلب ولم يحركه الى التوبة والتدارك اولئك الذين يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور وهذا
هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القرآن والسنة قال ميمون بن مهران اذا اذنب العبد
ذنبا نكت في قلبه نكتة سوداء فان هو نزع وتاب صقل وان عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه فهو الران وقال
النبي صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن اجرد فيه سراج يزهر وقلب الكافر اسود منكوس فطاعة الله تعالى بمخالفة الشهوات
مصقلات للقلب ومعاصيه مسودات له فمن اقبل على المعاصي اسود قلبه ومن اتبع السيئة الحسنة ومحى اثرها
لم يظلم قلبه ولكن ينتقص نوره كالمرآة التي يتنفس فيها ثم تمسح ويتنفس ثم تمسح فانها لا تخلو عن كدورة قال صلى الله عليه وسلم
القلوب اربعة قلب اجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب منكوس فذلك قلب الكافر وقلب اغلف
مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدها
الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فاي المادتين غلبت عليه حكم له بها وفي رواية
ذهبت به وقال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون
فاخبر ان جلاء القلب وابصاره يحصل بالذكر وانه لا يتمكن منه الا الذين اتقوا فالتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف
والكشف باب الفوز الاكبر وهو الفوز بلقاء الله تعالى

بيان مثال القلب بالاضافة الى العلوم خاصة

(في الهامش: بيان مثال القلب بالاضافة الى العلوم خاصة)

اعلم ان محل العلم هو القلب اعني اللطيفة المدبرة لجميع الجوارح المطاعة المخدومة من جميع الاعضاء وهي بالاضافة الى حقائق
المعلومات كالمرآة بالاضافة الى صور المتلونات فكما ان للمتلون صورة ومثال تلك الصورة ينطبع في المرآة
ويحصل فيها فكذلك لكل معلوم حقيقة ولتلك الحقيقة صورة تنطبع في مرآة القلب وتتضح فيها فكما ان المرآة غير
وصور الاشخاص غير وحصول مثالها في المرآة غير فهي ثلاثة امور فكذلك ههنا ثلاثة امور القلب وحقائق
الاشياء وحصول نفس الحقائق في القلب وحضورها فيه فالعالم عبارة عن القلب الذي فيه يحل مثال حقائق الاشياء
والمعلوم عبارة عن حقائق الاشياء والعلم عبارة عن حصول المثال في المرآة وكما ان القبض مثلا يستدعي قابضا كاليد
ومقبوضا كالسيف ووصولا بين السيف واليد بحصول السيف في اليد ويسمى قبضا فكذلك وصول مثال
المعلوم الى القلب يسمى علما وقد كانت الحقيقة موجودة والقلب موجودا ولم يكن العلم حاصلا لان العلم عبارة
عن وصول الحقيقة الى القلب كما ان السيف موجودا واليد موجودة ولم يكن اسم القبض والاخذ حاصلا لعدم وقوع السيف

فاليد لم تنتفع بمعاملة السيف كما ينفعها حصول السيف بعينه في اليد والمعلوم بعينه لا يحصل في القلب فمن علم النار لم يحصل عين النار
في قلبه ولكن الحاصل حدها وحقيقتها المطابق لصورتها فتمثيله بالمراة اولى لان عين الانسان لا تحصل في المراة وانما
يحصل مثال مطابق له فكذلك حصول مثال مطابق لحقيقة المعلوم يسمى في القلب علما وكما ان المراة
لا تنكشف فيها الصور لخمسة امور احدها نقصان صورتها كجوهر الحديد قبل ان يدور ويشكل ويصقل والثاني
لخبثه وصداه وكدورته وان كان تام الشكل والثالث لكونه معدولا به عن جهة الصورة الى غيرها كما اذا كانت
الصورة وراء المراة والرابع لحجاب مرسل بين المراة والصورة والخامس للجهل بالجهة التي فيها الصورة المطلوبة
حتى يتعذر بسببه ان يحاذي بها شطر الصورة وجهتها فكذلك القلب مراة مستعدة لان
ينجلي فيها حقيقة الحق في الامور كلها وانما خلت القلوب عن العلوم التي خلت عنها لهذه الاسباب الخمسة اولها نقصان
في ذاته كقلب الصبي فانه لا تنجلي له المعلومات لنقصانه والثاني لكدورة المعاصي والخبث الذي تراكم على وجه
القلب من كثرة الشهوات فان ذلك يمنع صفاء القلب وجلاءه فيمنع ظهور الحق فيه بقدر ظلمته وتراكمه واليه
الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه ابدا اي حصل في قلبه كدورة لا يزول اثرها ابدا اذ
غايته ان يتبعه بحسنة يمحوه بها فلو جاء بالحسنة ولم تتقدم السيئة لازداد لا محالة اشراق القلب فلما تقدمت السيئة
سقطت فائدة الحسنة لكن عاد القلب بها الى ما كان قبل السيئة ولم يزدد بها نورا فهذا خسران مبين ونقصان لا حيلة
فليس المراة التي تدنس ثم تمسح بالمصقلة كالتي تمسح بالمصقلة لزيادة جلائها من غير دنس سابق فالاقبال على طاعة
الله والاعراض عن مقتضى الشهوات هو الذي يجلو القلب ويصفيه ولذلك قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا وقال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم الثالث ان يكون معدولا به عن جهة الحقيقة المطلوبة
فان قلب المطيع الصالح وان كان صافيا فانه ليس يتضح فيه جلية الحق لانه ليس يطلب الحق وليس يحاذي بمراته شطر
المطلوب بل ربما يكون مستوعب الهم بتفصيل الطاعات البدنية او بتهيئة اسباب المعيشة ولا يصرف فكره الى
التامل في حضرة الربوبية والحقائق الخفية الالهية فلا ينكشف له الا ما هو متفكر فيه من دقائق آفات الاعمال
وخفايا عيوب النفس ان كان متفكرا فيها او مصالح المعيشة ان كان متفكرا فيها واذا كان تقييد الهم بالاعمال وتفصيل الطاعات
مانعا عن انكشاف جلية الحق فما ظنك بمن صرف الهم الى الشهوات الدنيوية ولذاتها وعلائقها فكيف لا يمنع عن الكشف الحقيقي الرابع
الحجاب فان المطيع القاهر لشهواته المتجرد الفكر في حقيقة من الحقائق قد لا ينكشف له ذلك لكونه محجوبا عنه باعتقاد سبق اليه منذ
الصبا على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن فان ذلك يحول بينه وبين حقيقة الحق ويمنع من ان ينكشف في قلبه خلاف ما تلقفه
من ظاهر التقليد وهذا ايضا حجاب عظيم به حجب اكثر المتكلمين والمتعصبين للمذاهب بل اكثر الصالحين المتفكرين
في ملكوت السموات والارض لانهم محجوبون باعتقادات تقليدية جمدت في نفوسهم ورسخت في قلوبهم وصارت حجابا بينهم وبين
درك الحقائق الخامس الجهل بالجهة التي منها يقع العثور على المطلوب فان طالب العلم ليس يمكنه ان يحصل العلم بالمجهول
الا بالتذكر للعلوم التي تناسب مطلوبه حتى اذا تذكرها ورتبها في نفسه ترتيبا مخصوصا يعرفه العلماء بطرق الاعتبار
فعند ذلك يكون قد عثر على جهة المطلوب فتتجلى حقيقة المطلوب لقلبه فان العلوم المطلوبة التي ليست فطرية لا تقتنص
الا بشبكة العلوم الحاصلة بل كل علم لا يحصل الا عن علمين سابقين يأتلفان ويزدوجان على وجه مخصوص فيحصل من ازدواجهما علم
ثالث على مثال ما يحصل النتاج من ازدواج الفحل والانثى ثم كما ان من اراد ان يستنتج رمكة لم يمكنه ذلك من
حمار وبعير وانسان بل من اصل مخصوص من الخيل الذكر والانثى وذلك اذا وقع بينهما ازدواج مخصوص فكذلك
كل علم فله اصلان مخصوصان وبينهما طريق في الازدواج يحصل من ازدواجهما العلم المستفاد المطلوب فالجهل بتلك
الاصول وبكيفية الازدواج هو المانع من العلم ومثاله ما ذكرناه من الجهل بالجهة التي الصورة فيها بل مثاله ان يريد الانسان
مثلا ان يرى قفاه في المراة فانه اذا رفع المراة بازاء وجهه لم يكن قد حاذى بها شطر القفا فلا يظهر فيها القفا وان
رفعها وراء القفا وحاذاه كان قد عدل بالمراة عن عينه فلا يرى المراة ولا صورة القفا فيحتاج الى مراة اخرى ينصبها
وراء القفا وهذه في مقابلتها بحيث يبصرها ويراعي مناسبة بين وضع المراتين حتى تنطبع صورة القفا في المراة المحاذية

للقفا ثم تنطبع صورة هذه المراة في المراة الاخرى التي في مقابلة العين ثم تدرك العين صورة القفا فكذلك في اقتناص العلوم طرق عجيبة فيها ازورارات
وتحريفات اعجب مما ذكرناه في المراة ويعز على بسيط الارض من يهتدي الى كيفية الحيلة في تلك الازورارات فهذه هي الاسباب
المانعة للقلوب من معرفة حقائق الامور والا فكل قلب فهو بالفطرة صالح لمعرفة الحقائق لانه امر رباني شريف فارق
به جواهر العالم بهذه الخاصية والشرف واليه الاشارة بقوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض
والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان اشارة الى ان له خاصية تميز بها عن السموات
والارض والجبال بها صار مطيقا لحمل امانة الله تعالى وتلك الامانة هي المعرفة والتوحيد وقلب كل آدمي مستعد
لحمل الامانة ومطيق لها في الاصل ولكن يثبطه عن النهوض باعبائها والوصول الى تحقيقها الاسباب التي ذكرناها
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وانما ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السموات اشار الى بعض هذه الاسباب التي هي الحجاب
بين القلب وبين الملكوت واليه الاشارة بما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قيل يا رسول الله اين الله في الارض قال في قلوب
عباده المؤمنين وفي الخبر قال الله تعالى لم يسعني ارضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن اللين الوادع
وفي الخبر انه قيل من خير الناس فقال كل مؤمن مخموم القلب فقيل وما مخموم القلب فقال هو التقي النقي الذي لا غش
فيه ولا بغي ولا غدر ولا غل ولا حسد ولذلك قال عمر رضي الله عنه رأى قلبي ربي اذ كان قد رفع الحجاب بالتقوى ومن
ارتفع الحجاب بينه وبين قلبه تجلى صورة الملك والملكوت في قلبه فيرى جنة عرض بعضها السموات والارض اما جملتها
فاكثر سعة من السموات والارض لان السموات والارض عبارة عن عالم الملك والشهادة وهو وان كان واسع الاطراف
متباعد الاكناف فهو متناه على الجملة فاما عالم الملكوت وهو الاسرار الغائبة عن مشاهدة الابصار المخصوصة بادراك البصائر فلا
نهاية له نعم الذي يلوح للقلب منه مقدار متناه ولكنه في نفسه وبالاضافة الى علم الله تعالى لا نهاية له وجملة عالم
الملك والملكوت اذا اخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية لان الحضرة الربوبية محيطة بكل الموجودات
اذ ليس في الوجود سوى الله تعالى وافعاله ومملكته وعبيده من افعاله فما يتجلى من ذلك للقلب هي الجنة بعينها عند قوم وهو سبب
استحقاق الجنة عند اهل الحق ويكون سعة ملكه في الجنة بحسب سعة معرفته وبمقدار ما تجلى له من الله تعالى وصفاته وافعاله وانما
مراد الطاعات واعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيته وجلاؤه قد افلح من زكاها ومراد تزكيته حصول انوار
الايمان فيه اعني اشراق نور المعرفة وهو المراد بقوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وبقوله تعالى افمن
شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه نعم هذا التجلي وهذا الايمان له ثلاث مراتب الاولى ايمان
العوام وهو ايمان التقليد المحض والثانية ايمان المتكلمين وهو ممزوج بنوع استدلال والثالثة
ايمان العارفين وهو المشاهدة بنور اليقين ونبين هذه المراتب بمثال وهو ان تصديقك بكون زيد مثلا
في الدار له ثلاث درجات الاولى ان يخبرك من جربته بالصدق ولم تعرفه بالكذب ولا اتهمته في
القول فان قلبك يسكن اليه ويطمئن به بمجرد السماع وهذا هو الايمان بمجرد التقليد وهو مثل ايمان العوام فانهم لما
بلغوا سن التمييز سمعوا من آبائهم وامهاتهم وجود الله تعالى وعلمه وارادته وقدرته وسائر صفاته وبعثة الرسل وصدقهم
وما جاؤوا به وكما سمعوا قبلوه وثبتوا عليه واطمأنوا اليه ولم يخطر ببالهم خلاف ما قالوه لهم لحسن ظنهم بآبائهم وامهاتهم
ومعلميهم وهذا الايمان سبب النجاة في الآخرة واهله من اوائل رتب اصحاب اليمين وليسوا من المقربين لانه ليس فيه
كشف وبصيرة وانشراح صدر بنور اليقين اذ الخطأ ممكن فيما يسمع من الآحاد بل من الاعداد فيما يتعلق بالاعتقادات
وقلوب اليهود والنصارى ايضا مطمئنة بما يسمعونه من آبائهم وامهاتهم الا انهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطأ لانه
القي اليهم الخطأ والمسلمون اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم عليه ولكن القي اليهم كلمة الحق الرتبة الثانية
ان تسمع كلام زيد وصوته من داخل الدار ولكن من وراء جدار فتستدل به على كونه في الدار فيكون ايمانك وتصديقك ويقينك
بكونه في الدار اقوى من تصديقك بمجرد السماع فانك اذا قيل لك انه في الدار ثم سمعت صوته ازددت به يقينا
لان الاصوات تدل على الشكل والصورة عند من يسمع الصوت في حال مشاهدة الصورة فيحكم قلبه بان هذا صوت ذلك

بيان حال القلب بالإضافة إلى أقسام العلوم العقلية والدينية والدنيوية والأخروية

اعلم كما سبق ولكن العلوم التي تحل فيه تنقسم إلى عقلية وشرعية والعقلية تنقسم إلى ضرورية ومكتسبة والمكتسبة تنقسم إلى دنيوية وأخروية أما العقلية فنعني بها ما تقضي به غريزة العقل ولا يؤخذ بالتقليد والسماع وهي تنقسم إلى ضرورية لا يدري من أين حصلت وكيف حصلت كعلم الإنسان بأن الشخص الواحد لا يكون في مكانين والشيء الواحد لا يكون حادثاً قديماً موجوداً معدوماً معاً فإن هذه علوم يجد الإنسان في نفسه منذ الصبى مفطوراً عليها ولا يدري متى حصل له العلم ولا من أين حصل أعني أنه لا يدري فيه سبباً قريباً وإلا فليس يخفى أن الله تعالى هو الذي خلقه وإلى مكتسبة وهي المستفادة بالتعلم والاستدلال وكلا القسمين قد يسمى عقلاً قال الإمام علي كرم الله وجهه

رأيت العقل عقلين فمطبوع ومسموع * ولا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع *

فالأول هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل والثاني هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه إذا تقرب الناس إلى الله تعالى بأنواع البر فتقرب أنت بعقلك إذ لا يمكن التقرب بالغريزة الفطرية ولا بالعلوم الضرورية بل بالمكتسبة ولكن مثل علي هو الذي يقدر على التقرب باستعمال العقل في اقتناص العلوم التي بها ينال القرب من رب العالمين فالقلب جار مجرى العين وغريزة العقل جارية فيه مجرى قوة البصر في العين وقوة الإبصار لطيفة تفقد في العمى وتوجد في البصير وإن كان قد غمض عينيه أو جن عليه الليل والعلم الحاصل منه في القلب جار مجرى إدراك البصر ورؤيته لأعيان الأشياء وتأخر العلوم عن عين العقل في مدة الصبى إلى أوان التمييز أو البلوغ يضاهي تأخر الرؤية عن البصر إلى أوان إشراق الشمس وفيضان نورها على المبصرات والقلم الذي يسطر الله به العلوم على صفحات القلوب يجري مجرى قرص الشمس وإنما لم يحصل العلم في قلب الصبي قبل التمييز لأن لوح قلبه لم يتهيأ بعد لقبول نقش العلم والقلم عبارة عن خلق من خلق الله تعالى جعله الله تعالى سبباً لحصول نقش العلوم في قلوب البشر قال الله تعالى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم وقلم الله تعالى لا يشبه قلم خلقه كما أن وصفه لا يشبه وصف خلقه فليس قلمه من قصب ولا من خشب كما أنه ليس تعالى من جوهر ولا عرض فالموازنة بين البصيرة الباطنة والبصر الظاهر صحيحة من هذه الوجوه إلا أنه لا مناسبة بينهما في الشرف فإن البصيرة الباطنة هي عين النفس التي هي اللطيفة المدركة وهي كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس أضر على الفارس من عمى الفرس بل لا نسبة لأحد الضررين إلى الآخر ولموازنة البصيرة الباطنة للبصر الظاهر سماه الله تعالى باسمه فقال ما كذب الفؤاد ما رأى سمى إدراك الفؤاد رؤية وكذلك قوله تعالى وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وما أراد به الرؤية الظاهرة فإن ذلك غير مخصوص بإبراهيم عليه الصلاة والسلام حتى يذكر في معرض الامتنان ولذلك سمي ضد إدراكه عمى فقال تعالى فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً فهذا بيان العلم العقلي أما العلوم الدينية فهي المأخوذة بطريق التقليد من الأنبياء عليهم السلام وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه السلام وفهم معانيها بعد السماع وبه كمال صفة القلب وبه سلامته عن الأدواء والأمراض فالعلوم العقلية غير كافية في سلامة القلب وإن كان محتاجاً إليها كما أن العقل غير كاف في استدامة أسباب صحة البدن بل يحتاج إلى أن يعرف خواص الأدوية والعقاقير بطريق التعلم من الأطباء إذ مجرد العقل لا يهتدي إليه ولكن لا يمكن فهمه بعد سماعه إلا بالعقل فلا غنى بالعقل عن السماع ولا بالسماع عن العقل فالداعي إلى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل والمكتفي بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنة مغرور فإياك أن تكون من أحد الفريقين وكن جامعاً بين الأصلين فإن العلوم العقلية كالأغذية والعلوم الشرعية كالأدوية والمريض يتضرر بالغذاء مهما فاته الدواء فكذلك أمراض القلب لا يمكن علاجها إلا بالأدوية المستفادة من الشريعة وهي وظائف العبادات والأعمال التي ركبها الأنبياء عليهم السلام لإصلاح القلوب فمن لا يداوي قلبه المريض بمعالجات العبادات الشرعية واكتفى بالعلوم العقلية مناقضة للعلوم

الشرعية واكتفى بالعلوم العقلية استضر بها كما يستضر المريض بالغذاء وظن من يظن أن العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وأن الجمع بينهما غير ممكن هو ظن صادر عن عمى في عين البصيرة نعوذ بالله منه بل هذا القائل ربما يناقض عنده بعض العلوم الشرعية لبعض فيعجز عن الجمع بينهما فيظن أنه تناقض في الدين فيتحير به وينسل من الدين انسلال الشعرة من العجين وإنما ذلك لأن عجزه في نفسه خيل إليه نقصاً في الدين وهيهات وإنما مثاله مثال الأعمى الذي دخل داراً فتعثر فيها بالأواني فقال ما بال هذه الأواني تركت على الطريق لم لا ترد إلى مواضعها فقيل له تلك الأواني في مواضعها وإنما أنت لست تهتدي إلى الطريق لعماك فالعجب منك أنك لا تحيل عثرتك على عماك وتحيلها على تقصير غيرك فهذه نسبة العلوم الدينية إلى العقلية والعلوم العقلية تنقسم إلى دنيوية وأخروية فالدنيوية كعلم الطب والحساب والهندسة والنجوم وسائر الحرف والصناعات والأخروية كعلم أحوال القلب وآفات الأعمال والعلم بالله وبصفاته وأفعاله كما فصلناه في كتاب العلم وهما علمان متنافيان أعني أن من صرف عنايته إلى أحدهما حتى تعمق فيه قصرت بصيرته عن الآخر على الأكثر ولذلك ضرب علي كرم الله وجهه للدنيا والآخرة ثلاثة أمثلة فقال هما ككفتي الميزان وكالمشرق والمغرب وكالضرتين إذا أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى ولذلك ترى الأكياس في أمور الدنيا وفي علم الطب والحساب والهندسة والفلسفة جهالاً في أمور الآخرة والأكياس في دقائق علوم الآخرة جهالاً في أكثر علوم الدنيا لأن قوة العقل لا تفي بالأمرين جميعاً في الغالب فيكون أحدهما مانعاً من الكمال في الثاني ولذلك قال صلى الله عليه وسلم إن أكثر أهل الجنة البله أي البله في أمور الدنيا وقال الحسن لقد أدركنا أقواماً لو رأيتموهم لقلتم مجانين ولو أدركوكم لقالوا شياطين فمهما سمعت أمراً غريباً من أمور الدين جحده أهل الكياسة في سائر العلوم فلا يغرنك جحودهم عن قبوله إذ من المحال أن يظفر سالك طريق المشرق بما يوجد في المغرب وكذلك يجري أمر الدنيا والآخرة ولذلك قال تعالى إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها الآية وقال تعالى يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وقال تعالى فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فالجمع بين كمال الاستبصار في مصالح الدنيا والدين لا يكاد يتيسر إلا لمن مكنه الله سبحانه وتعالى لتدبير عباده في معاشهم ومعادهم وهم الأنبياء المؤيدون بروح القدس المستمدون من القوة الإلهية التي تتسع لجميع الأمور ولا تضيق عنها فأما قلوب سائر الخلق فإنها إذا استقلت بأمر الدنيا انصرفت عن الآخرة وقصرت عن الاستكمال فيها

بيان الفرق بين الإلهام والتعلم والفرق بين طريق الصوفية

اعلم أن العلوم التي ليست ضرورية وإنما تحصل في القلب في بعض الأحوال تختلف الحال في حصولها فتارة تهجم على القلب كأنه ألقي فيه من حيث لا يدري وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم فالذي يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى إلهاماً ونفثاً في الروع والذي يحصل بالاستدلال يسمى اعتباراً واستبصاراً ثم الواقع في القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد من العبد ينقسم إلى ما لا يدري العبد أنه كيف حصل ومن أين حصل وإلى ما يطلع العبد معه على السبب الذي منه استفاد ذلك العلم وهو مشاهدة الملك الملقي في القلب والأول يسمى إلهاماً ونفثاً في الروع والثاني يسمى وحياً ويختص به الأنبياء عليهم السلام والأول يختص به الأولياء والأصفياء والذي قبله وهو المكتسب بطريق الاستدلال يختص به العلماء وحقيقة القول فيه أن القلب مستعد لأن تنجلي فيه حقيقة الحق في الأشياء كلها وإنما حيل بينه وبينها بالأسباب الخمسة التي سبق ذكرها فهي كالحجاب المسدل الحائل بين مرآة القلب وبين اللوح المحفوظ الذي هو منقوش بجميع ما قضى الله به إلى يوم القيامة وتجلي حقائق العلوم من مرآة اللوح في مرآة القلب يضاهي انطباع صورة من مرآة في مرآة تقابلها والحجاب بين المرآتين تارة يزال باليد وأخرى يزول بهبوب الرياح تحركه فكذلك قد تهب رياح الألطاف فتكشف الحجب عن أعين القلوب فينجلي فيها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ ويكون ذلك تارة عند المنام فيظهر به ما سيكون في المستقبل وتمام ارتفاع الحجاب بالموت وبه ينكشف الغطاء وفي اليقظة أيضاً قد يرتفع الحجاب بلطف خفي من الله تعالى فيلمع في القلب من وراء ستر الغيب شيء من غرائب

واخرى على التوالي الى حد ما ودوامه في غاية الندور وقلما يفارق الالهام الاكتساب في نفس العلم ولا في محله ولا
في سببه ولكن يفارقه من جهة زوال الحجاب وان ذلك ليس باختيار العبد ولم يفارق الوحي الالهام في شيء من ذلك بل في
مشاهدة الملك المفيد للعلم فان العلوم انما تحصل في قلوبنا بواسطة الملائكة واليه الاشارة بقوله تعالى وما كان لبشر ان
يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فاذا عرفت هذا فاعلم ان ميل اهل التصوف الى العلوم الالهامية
دون التعليمية فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون والبحث عن الاقاويل والادلة المذكورة
بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى ومهما
حصل ذلك كان الله هو المتولي لقلب عبده والمتكفل له بتنويره بانوار العلم واذا تولى الله امر القلب فاضت عليه الرحمة واشرق النور
في القلب وانشرح الصدر وانكشف له سر الملكوت وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة وتلألأت
فيه حقائق الامور الالهية فليس على العبد الا الاستعداد بالتصفية المجردة واحضار الهمة مع الارادة الصادقة
والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله من الرحمة اذ الانبياء والاولياء انكشف لهم الامر
وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب بل بالزهد في الدنيا والتبري من علائقها وتفريغ القلب من شواغلها
والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى فمن كان لله كان الله له وزعموا ان الطريق في ذلك اولا ان يقطع علائق الدنيا بالكلية ويفرغ قلبه
عنها ويقطع همه عن الاهل والمال والولد والوطن وعن العلم والولاية والجاه بل يصير قلبه الى حالة يستوي فيه وجود
كل شيء وعدمه ثم يخلو بنفسه في زاوية مع الاقتصار على الفرائض والرواتب ويجلس فارغ القلب مجموع الهم ولا يفرق
فكره بقراءة قرآن ولا بالتأمل في تفسير ولا بكتب حديث ولا غيره بل يجتهد ان لا يخطر بباله شيء سوى ذكر الله تعالى
فلا يزال بعد جلوسه في الخلوة قائلا بلسانه الله الله الله على الدوام مع حضور القلب الى ان ينتهي الى حالة
يترك تحريك اللسان ويرى كأن الكلمة جارية على اللسان ثم يصبر عليه الى ان يمحي اثره عن اللسان فيصادف
قلبه مواظبا على الذكر ثم يواظب عليه الى ان يمحي عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة ويبقى معنى
الكلمة مجردا في قلبه حاضرا فيه كأنه لازم له لا يفارقه وله اختيار الى ان ينتهي الى هذا الحد وله اختيار في الاستدامة
هذه الحالة بدفع الوسواس وليس له اختيار في استجلاب رحمة الله تعالى بل هو بما فعله قد تعرض لنفحات الرحمة
فلا يبقى الا الانتظار لما يفتح الله من رحمته كما فتحها على الانبياء بهذا الطريق وعند ذلك اذا صدقت ارادته وصفت
همته وحسنت مواظبته ولم تجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا تلمع لوامع الحق في قلبه ويكون
في ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت ثم يعود وقد يتأخر وان عاد فقد يثبت وقد يكون مختطفا وان ثبت فقد
يطول ثباته وقد لا يطول وقد يتظاهر امثاله على التلاحق وقد يقتصر على فن واحد ومنازل اولياء الله تعالى فيه
لا تحصى كما لا يحصى تفاوت خلقهم واخلاقهم وقد رجع هذا الطريق الى تطهير محض من جانبك وتصفية وجلاء
ثم استعداد وانتظار فقط فاما النظار وذوو الاعتبار فلم ينكروا وجود هذا الطريق وامكانه
وافضاءه الى المقصد على الندور فانه اكثر احوال الانبياء والاولياء ولكن استوعروا هذا الطريق واستبطأوا
ثمرته واستبعدوا اجتماع شروطه وزعموا ان محو العلائق الى ذلك الحد كالمتعذر وان حصل في حالة فثباته ابعد
منه اذ ادنى وسواس وخاطر يشوش القلب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن اشد تقلبا من القدر
في غليانها وقال عليه السلام قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وفي اثناء هذه المجاهدة قد يفسد
المزاج ويختلط العقل ويمرض البدن واذا لم يتقدم رياضة النفس وتهذيبها بحقائق العلوم نشبت في
القلب خيالات فاسدة تطمئن النفس اليها مدة طويلة الى ان يزول وينقضي العمر دون النجاح فيها
فكم من سلك هذا الطريق ثم بقي في خيال واحد عشرين سنة ولو كان قد اتقن العلم من قبل لانفتح له وجه
التباس ذلك الخيال في الحال فالاشتغال بطريق التعلم اوثق واقرب الى الغرض وزعموا ان ذلك يضاهي
ما لو ترك الانسان تعلم الفقه وزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يتعلم ذلك وصار فقيها بالوحي والالهام من غير تكرار
وتعليق فانا ايضا انتهي بالرياضة اليه ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه وضيع عمره بل هو كمن ترك طريق الكسب والحراثة

رجاء العثور على كنز من الكنوز فان ذلك ممكن ولكنه بعيد جدا فكذلك هذا فقالوا لابد اولا من تحصيل ما حصله
العلماء وفهم ما قالوه ثم لا باس بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف لسائر العلماء فعساه ينكشف بالمجاهدة بعد ذلك

بيان الفرق بين المقامين بمثال محسوس

اعلم ان عجائب القلب خارجة
عن مدركات الحواس لان القلب ايضا خارج عن ادراك الحس وما ليس مدركا بالحواس تضعف الافهام عن دركه الا
بمثال محسوس ونحن نقرب ذلك الى الافهام الضعيفة بمثالين احدهما انه لو فرضنا حوضا محفورا في الارض احتمل
ان يساق الماء اليه من فوقه بانهار تفتح اليه ويحتمل ان يحفر اسفل الحوض ويرفع منه التراب الى ان يقرب من مستقر الماء
الصافي فينفجر الماء من اسفل الحوض ويكون ذلك الماء اصفى وادوم وقد يكون اغزر واكثر فكذلك القلب مثل
الحوض والعلم مثل الماء والحواس الخمس مثل الانهار وقد يمكن ان تساق العلوم الى القلب بواسطة انهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات
حتى يمتلئ علما ويمكن ان تسد هذه الانهار بالخلوة والعزلة وغض البصر ويعمد الى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات
الحجب عنه حتى ينفجر ينبوع العلم من داخله فان قلت وكيف يتفجر العلم من ذات القلب وهو خال عنه
فاعلم ان هذا من اسرار عجائب القلب ولا يسمح بذكره في علم المعاملة والقدر الذي يمكن ذكره ان حقائق الاشياء
مسطورة في اللوح المحفوظ بل في قلوب الملائكة المقربين وكما ان المهندس يصور صورة ابنية الدار
في بياض ثم يخرجها الى الوجود على وفق تلك النسخة فكذلك فاطر السموات والارض كتب نسخة العالم من اوله الى آخره
في اللوح المحفوظ ثم اخرجه الى الوجود على وفق تلك النسخة والعالم الذي خرج الى الوجود بصورته يتأدى منه صورة اخرى
الى الحواس والخيال فان من ينظر الى السماء والارض ثم يغض بصره يرى صورة السماء والارض في خياله حتى كأنه ينظر
اليها ولو انعدمت السماء والارض وبقي هو في نفسه لوجد صورة السماء والارض في نفسه كأنه يشاهدها
وينظر اليها ثم يتأدى من خياله اثر الى القلب فيحصل فيه حقائق الاشياء التي دخلت في الحس والخيال فالحاصل
في القلب موافق للعالم الحاصل في الخيال والحاصل في الخيال موافق للعالم الموجود في نفسه خارجا من خيال الانسان
وقلبه والعالم الموجود موافق للنسخة الموجودة في اللوح المحفوظ فكأن للعالم اربع درجات في الوجود وجود في
اللوح وهو سابق على وجوده الجسماني ويتبعه وجوده الحقيقي ويتبع وجوده الحقيقي وجوده الخيالي اعني وجود
صورته في الخيال ويتبع وجوده الخيالي وجوده العقلي اعني وجود صورته في القلب وبعض هذه
الموجودات روحانية وبعضها جسمانية والروحانيات بعضها اشد روحانية من بعض وهذا لطف
من الحكمة الالهية اذ جعل حدقتك على صغر حجمها بحيث ينطبع فيها صورة العالم والسموات والارض على
اتساع اكنافها ثم يسري من وجودها في الحس وجود في الخيال ثم منه وجود في القلب فانك ابدا لا تدرك
الا ما هو واصل اليك فلو لم يجعل للعالم كله مثالا في ذاتك لما كان لك خبر مما يباين ذاتك فسبحان
من دبر هذه العجائب في القلوب والابصار ثم اعمى عن دركها القلوب والابصار حتى صارت قلوب
اكثر الخلق جاهلة بانفسها وبعجائبها فلنرجع الى المقصود فنقول القلب قد يتصور ان يحصل فيه
حقيقة العالم وصورته تارة من الحواس وتارة من اللوح المحفوظ كما ان العين يتصور ان يحصل
فيها صورة الشمس تارة من النظر اليها وتارة من النظر الى الماء الذي يقابل الشمس ويحكي صورتها
فمهما ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ رأى الاشياء فيه وتفجر اليه العلم منه فاستغنى
عن الاقتباس من داخل الحواس فيكون ذلك كتفجر الماء من عمق الارض ومهما اقبل على الخيالات الحاصلة
من المحسوسات كان ذلك حجابا عن مطالعة اللوح المحفوظ كما ان الماء اذا اجتمع من الانهار في الحوض منع ذلك
عن التفجر من الارض وكما ان من نظر الى الماء الذي يحكي صورة الشمس لا يكون ناظرا الى نفس الشمس
فاذا للقلب بابان باب مفتوح الى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملائكة وباب
مفتوح الى الحواس الخمس المتمسكة بعالم الشهادة والملك وعالم الشهادة والملك ايضا يحاكي عالم الملك
والملكوت نوعا من المحاكاة فاما انفتاح باب القلب الى الاقتباس من الحواس فلا يخفى عليك واما

انفتاح بابه الداخل الى عالم الملكوت ومطالعة اللوح المحفوظ فتعلم علما يقينا بان ذلك من تيقن عجائب الرؤيا واطلاع
القلب في النوم على ما سيكون في المستقبل او كان في الماضي من غير اقتباس من جهة الحواس وانما ينفتح ذلك الباب لمن انفرد بذكر
الله قال النبي صلى الله عليه وسلم سبق المفردون قيل ومن هم قال المستهترون بذكر الله تعالى وضع الذكر اوزارهم فوردوا
القيامة خفافا ثم قال في وصفهم اقبل عليهم بوجهي اترى من واجهته بوجهي يعلم احد اي شيء اريد ان اعطيه ثم قال
اول ما اعطيهم ان اقذف النور في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم ومدخل هذه الاخبار هو الباب الباطن فاذا
الفرق بين علوم الانبياء والاولياء وبين علوم الحكماء والعلماء هو ان علومهم تاتي من داخل القلب من الباب المنفتح الى
عالم الملكوت وعلم الحكمة ياتي من ابواب الحواس المفتوحة الى عالم الملك وعجائب عالم القلب وتردده بين عالمي الشهادة
والغيب لا يمكن ان يستقصى في علم المعاملة فهذا مثال يعرفك الفرق بين مدخل العلمين **المثال الثاني** يعرفك
الفرق بين العملين اعني عمل العلماء وعمل الاولياء فان العلماء يعملون في اكتساب نفس العلوم واجتلابها الى
القلب واولياء الصوفية يعملون في جلاء القلب وتطهيره وتصفيته وتصقيله فقط وقد حكي ان اهل الصين
واهل الروم تباهوا بين يدي بعض الملوك بحسن صناعة النقش والصور فاستقر راي الملك على ان يسلم اليهم صفة
لينقش اهل الصين منها جانبا واهل الروم منها جانبا ويرخى بينهم حجاب يمنع اطلاع كل فريق على الاخر ففعل ذلك فجمع
اهل الروم من الاصباغ الغريبة ما لا ينحصر ودخل اهل الصين من غير صبغ واقبلوا يجلون جانبهم ويصقلونه
فلما فرغ اهل الروم ادعى اهل الصين انهم قد فرغوا ايضا فعجب الملك من قولهم وانهم كيف فرغوا من النقش من غير صبغ فقيل لهم
وكيف فرغتم من غير صبغ فقالوا ما عليكم ارفعوا الحجاب فرفعوه فاذا جانبهم يتلالا فيه عجائب الصنائع
الرومية مع زيادة اشراق وبريق اذ كان قد صار كالمرآة المجلوة لكثرة التصقيل فازداد حسن جانبهم بمزيد الصفا
فكذلك عناية الاولياء بتطهير القلب وجلائه وتزكيته وصفائه حتى يتلالا فيه جلية الحق بنهاية
الاشراق كفعل اهل الصين وعناية العلماء والحكماء بالاكتساب ونقش العلوم وتحصيل نقشها في القلب وكيفما كان الامر
فقلب المؤمن لا يموت وعلمه عند الموت لا يمحى وصفاؤه لا يتكدر واليه اشار الحسن بقوله التراب لا ياكل محل الايمان
وقد تكون وسيلة المقرب الى الله تعالى اما ما حصله من نقش العلم او ما حصله من الصفا والاستعداد لقبول نقش العلم
ولا سعادة لاحد الا بالعلم والمعرفة وبعض السعادات اشرف من بعض كما انه لا غنى الا بالمال وصاحب الدرهم
غني وصاحب الخزائن غني وتتفاوت درجات السعداء بحسب درجات الاغنياء بحسب قلة المال وكثرته والمعرفة
والمعارف انوار ولا يسعى المؤمنون الى لقاء الله تعالى الا بانوارهم قال تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم
وقد ورد في الخبر ان بعضهم يعطى نورا مثل الجبل وبعضهم يعطى اصغر حتى يكون اخرهم رجلا يعطى
نوره على ابهام قدميه فيضيء مرة ويطفى مرة فاذا اضاء قدم قدمه فمشى واذا طفئ قام ومرورهم
على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر
كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكواكب ومنهم من يمر كشد الفرس والذي اعطي نوره على ابهام
قدميه يحبو على وجهه ويديه ورجليه تجر يد وتعلق اخرى وتجر رجل وتعلق اخرى ويصيب جوانبه
النار قال فلا يزال كذلك حتى يخلص الحديث فبهذا يظهر تفاوت الناس في الايمان ولو وزن
ايمان ابي بكر رض بايمان العالمين سوى النبيين والمرسلين لرجح وهذا ايضا يضاهي قول القائل لو وزن نور الشمس
بنور السرج كلها لرجح فايمان آحاد العوام نوره مثل نور السراج وبعضهم نوره كنور الشمعة وايمان
الصديقين نوره كنور النجوم والقمر ونور الانبياء كنور الشمس وكما ينكشف في نور الشمس صورة الافاق
مع اتساع اقطارها ولا ينكشف في نور السراج الا زاوية ضيقة من البيت فكذلك تتفاوت انشراح
الصدور والمعارف وانكشاف سعة الملكوت لقلوب العارفين ولذلك جاء في الخبر انه يقال يوم القيامة
اخرجوا من النار من في قلبه مثقال من ايمان ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة وذرة كل ذلك
تنبيه على تفاوت درجات الايمان وان هذه المقادير من الايمان لا تمنع دخول النار وفي مفهومه ان

من ايمانه يزيد على مثقال فانه لا يدخل النار اذ لو دخل لامر باخراجه اولا وان من في قلبه مثقال ذرة لا
يستحق الخلود في النار وان دخلها وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم ليس شيء خيرا من الف مثله الا الانسان او المؤمن اشارة
الى تفضيل قلب العارف الموقن وانه خير من الف قلب من عوام الناس وقد قال تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين
تفضيلا للمؤمن على المسلم والمراد به المؤمن العارف دون المقلد وقال تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين
اوتوا العلم درجات فاراد ههنا بالذين امنوا الذين صدقوا من غير علم وميزهم عن الذين اوتوا العلم ويدل ذلك
على ان اسم المؤمن يقع على المقلد وان لم يكن تصديقه عن بصيرة وكشف وفسر ابن عباس رض قوله تعالى والذين
اوتوا العلم درجات فقال يرفع العالم فوق المؤمنين بسبعمائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والارض
وقال صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله وعليون لذوي الالباب وقال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد
كفضلي على ادنى رجل من اصحابي وفي رواية كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب فبهذه الشواهد تتضح تفاوت
درجات اهل الجنان بحسب تفاوت قلوبهم ومعارفهم ولهذا كان يوم القيامة يوم التغابن اذ المحروم من
رحمة الله عظيم الغبن والخسران والمرحوم يرى فوق درجته درجات عظيمة فيكون نظره اليها كنظر الغني الذي يملك
عشرة دراهم الى الغني الذي يملك الارض من المشرق الى المغرب وكل واحد منهما غني ولكن ما اعظم الفرق بينهما وما
اعظم الغبن على من يخسر حظه من ذلك وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا **بيان شواهد الشرع على صحة طريق**
اعلم ان من انكشف له ولو الشيء اليسير بطريق الالهام والوقوع في القلب من حيث لا يدري فقد صار عارفا بصحة
الطريق ومن لم يدرك ذلك من نفسه قط فينبغي ان يؤمن به فان درجة المعرفة فيه عزيزة جدا ويشهد
لذلك شواهد الشرع والتجارب والحكايات اما الشواهد فقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فكل حكمة
تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والالهام وقال النبي صلى الله عليه وسلم من عمل
بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق
فيما يعمل حتى يستوجب النار وقال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا قيل يجعل له مخرجا من الاشكالات
والشبه ويرزقه من حيث لا يحتسب يعلمه علما من غير تعلم ويفطنه من غير تجربة وقال تعالى يا ايها الذين امنوا ان تتقوا
الله يجعل لكم فرقانا قيل نورا يفرق به بين الحق والباطل ويخرج به من الشبهات ولذلك اكثر رسول الله صلى الله عليه وسلم
في دعائه سؤال النور فقال عليه السلام اللهم اعطني نورا واجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا حتى قال في شعري وبشري
ولحمي ودمي وسئل عليه السلام عن قوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ما هذا الشرح فقال
هو التوسعة ان النور اذا قذف في القلب اتسع له الصدر وانشرح وقال صلى الله عليه وسلم لابن عباس رض اللهم فقهه
في الدين وعلمه التاويل وقال علي رض ما عندنا شيء اسره النبي صلى الله عليه وسلم الينا الا ان يؤتي الله عبدا فهما في كتابه
وليس هذا بالتعلم وقيل في تفسير قوله تعالى يؤتي الحكمة من يشاء انه الفهم في كتاب الله تعالى وقال الله تعالى
ففهمناها سليمان خص ما انكشف له باسم الفهم وكان ابو الدرداء يقول ان المؤمن من ينظر بنور الله من وراء ستر رقيق
والله انه للحق يقذفه الله في قلوبهم ويجريه على السنتهم وقال بعض السلف ظن المؤمن كهانة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله عز وجل واليه يشير قوله تعالى ان في ذلك لآيات للمتوسمين وقوله قد بينا
الايات لقوم يوقنون وروى الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال العلم علمان فعلم باطن في القلب فذلك هو
العلم النافع وسئل بعض العلماء عن العلم الباطن ما هو فقال هو سر من اسرار الله تعالى يقذفه في قلوب احبابه لم يطلع
عليه ملكا ولا بشرا وقال صلى الله عليه وسلم ان من امتي محدثين ومكلمين وان عمر منهم وقرا ابن عباس رض وما ارسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث يعني الصديقين والمحدث هو الملهم والملهم هو الذي انكشف له في باطن
قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات الخارجة والقرآن مصرح بان التقوى مفتاح الهداية والكشف
وذلك علم من غير تعلم وقال تعالى وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون خصصها بهم وقال تعالى هذا بيان
للناس وهدى وموعظة للمتقين وكان ابو يزيد وغيره يقول ليس العالم الذي يحفظ من كتاب فاذا نسي ما حفظ

وكنت لقيت امراة في الطريق فنظرت اليها نظرة وتاملت محاسنها فلما دخلت عليه قال يدخل على احدكم واثر الزنا ظاهر على
عينيه اما علمت ان زنا العينين النظر لتتوبن او لاعزرنك فقلت له اوحي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا ولكن
بصيرة وبرهانا وفراسة صادقة وعن ابي سعيد الخراز قال دخلت المسجد الحرام فرايت فقيرا عليه خرقتان
فقلت هذا واشباهه كل على الناس فناداني وقال واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه فاستغفرت الله تعالى
في سري فناداني وقال وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ثم غاب عني ولم اره وقال زكريا بن دلويه دخل العباس بن مسروق
على ابي الفضل الهاشمي وهو عليل وكان ذا عيال ولم يعرف له سبب قال فلما قمت قلت في نفسي من اين ياكل هذا الرجل فصاح بي
وقال يا ابا العباس رد هذه الهمة الدنية فان لله تعالى الطافا خفية وعن احمد النقيب قال دخلت على الشبلي فقال
مفتونا يا احمد فقلت ما الخبر فقال كنت جالسا فجرى في خاطري انك بخيل فقلت ما انا بخيل فعاد مني خاطري وقال بل انت
بخيل فقلت ما فتح اليوم علي بشيء الا دفعته الى اول فقير يلقاني قال فما استتم الخاطر حتى دخل علي صاحب لمونس الخادم
ومعه خمسون دينارا فقال اجعلها في مصالحك قال فاخذتها وقمت وخرجت فاذا انا بفقير مكفوف بين يدي مزين
يحلق راسه فتقدمت اليه وناولته الصرة فقال اعطها المزين فقلت انها دنانير فقال اوليس قلنا لك انك بخيل قال فناولتها
المزين فقال المزين قد عقدنا لما جلس هذا الفقير بين ايدينا ان لا ناخذ عليه اجرا قال فرميت بها في دجلة وقلت ما اعزك
احد الا اذله الله وقال حمزة بن عبد الله العلوي دخلت على ابي الخير التيناتي واعتقدت في نفسي ان اسلم عليه ولا اكل في داره طعاما
فلما خرجت من عنده فاذا به قد لحقني وقد حمل طبقا عليه طعام فقال يا فتى كل فقد خرجت الساعة من اعتقادك وكان
الخير مشهورا بالكرامات وقال ابراهيم الرقي قصدته مسلما فصلى صلاة المغرب ولم يقرا الفاتحة مستويا فقلت في
نفسي ضاعت سفرتي فلما سلمت خرجت للطهارة فقصدني السبع فعدت اليه وقلت له ان الاسد قصدني فخرج وصاح
على الاسد وقال الم اقل لك لا تتعرض لضيفاني فتنحى وتطهرت فلما رجعت قال لي اشتغلتم بتقويم الظواهر فخفتم الاسد
واشتغلنا بتقويم القلوب فخافنا الاسد وما حكي من تفرس المشايخ واخبارهم عن اعتقادات الناس وضمائرهم مما يخرج
عن الحصر بل ما حكي عنهم من مشاهدة الخضر عليه السلام والسلام منه وسماع صوت الهاتف ومن فنون الكرامات خارج
عن الحصر والحكاية لا تنفع الجاحد ما لم يشاهد ذلك من نفسه ومن انكر الاصل انكر التفصيل والدليل القاطع الذي لا يقدر
احد على جحده امران احدهما عجائب الرؤيا الصادقة فانه ينكشف بها الغيب واذا جاز ذلك في النوم فلا
يستحيل ايضا في اليقظة فلم يفارق النوم اليقظة الا في ركود الحواس وعدم اشتغالها بالمحسوسات وكم من مستيقظ
غائص لا يسمع ولا يبصر لاشتغاله بنفسه والثاني اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيب وامور في المستقبل كما اشتمل
عليه القران واذا جاز ذلك للنبي جاز لغيره اذ النبي عبارة عن شخص كوشف بحقائق الامور وشغل باصلاح الخلق فلا يستحيل
ان يكون في الوجود شخص يكاشف بالحقائق ولا يشتغل باصلاح الخلق وهذا لا يسمى نبيا بل يسمى وليا فمن امن بالانبياء
وصدق بالرؤيا الصحيحة لزمه لا محالة ان يقر بان للقلب بابين باب الى خارج وهو باب الحواس وباب الى الملكوت من داخل
القلب وهو باب الالهام والنفث في الروع والوحي واذا اقر بهما جميعا لم يمكنه ان يحصر العلوم في التعلم ومباشرة الاسباب
المالوفة بل يجوز ان تكون المجاهدة سبيلا اليه فهذا ما ينبه على حقيقة ما ذكرناه من عجيب تردد القلب بين عالم الشهادة
وعالم الملكوت واما السبب في انكشاف الامر في المنام بالمثال المحوج الى التعبير وكذلك تمثل الملائكة للانبياء بصور مختلفة
للانبياء والاولياء فذلك ايضا من اسرار عجائب القلب ولا يليق ذلك الا بعلم المكاشفة فلنقتصر على ما ذكرناه فانه
كاف للاستحثاث على المجاهدة وطلب الكشف منها وقد قال بعض المكاشفين ظهر لي الملك فسالني ان املي عليه
شيئا من ذكري الخفي عن مشاهدتي من التوحيد وقال ما نكتب لك عملا ونحن نحب ان نصعد لك بعمل تتقرب به الى الله تعالى
فقلت الستما تكتبان الفرائض قالا بلى قلت فيكفيكما ذلك وهذا اشارة الى ان الكرام الكاتبين لا يطلعون على
اسرار القلب انما يطلعون على الاعمال الظاهرة وقال بعض العارفين سالت بعض الابدال عن مسالة من مشاهدة
اليقين فالتفت الى شماله فقال ما تقول رحمك الله ثم التفت الى يمينه فقال ما تقول رحمك الله ثم اطرق الى صدره
فقال ما تقول رحمك الله ثم اجاب باغرب جواب سمعته فسالته عن التفاته فقال لم يكن عندي في المسالة جواب عتيد فسالت صاحب

الشمال فقال لا ادري فسالت صاحب اليمين وهو اعلم منه فقال لا ادري فنظرت الى قلبي فسالته فحدثني بما اجبتك
واذا هو اعلم منهما وكان هذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان في امتي محدثين وان عمر منهم وفي الاثر ان الله تعالى يقول ايما عبد اطلعت على قلبه فرايت
الغالب عليه التمسك بذكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وانيسه وقال ابو سليمان الداراني القلب بمنزلة
القبة المضروبة حولها ابواب مغلقة فاي باب فتح له عمل فيه فقد ظهر انفتاح باب من ابواب القلب الى جهة
الملكوت والملا الاعلى وينفتح ذلك الباب بالمجاهدة والورع والاعراض عن شهوات الدنيا ولذلك كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الى امراء الاجناد احفظوا ما تسمعون من المطيعين فانه يتجلى لهم امور صادقة وقال بعض العلماء يد الله على افواه
الحكماء لا ينطقون الا بما هياه الله لهم من الحق وقال اخر لو شئت لقلت ان الله تعالى يطلع الخاشعين على بعض سره

بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها

اعلم ان القلب كما ذكرناه في مثال
قبة لها ابواب تنصب اليه الاحوال من كل باب ومثاله ايضا مثال هدف تنصب اليه السهام من الجوانب وهو مثال مراة
منصوبة يجتاز عليها اصناف الصور المختلفة فتتراءى فيها صورة بعد صورة ولا تخلو عنها او مثال حوض تنصب اليه مياه مختلفة
من انهار مفتوحة اليه وانما مداخل هذه الاثار المتجددة في القلب في كل حال اما من الظاهر فالحواس الخمس واما من الباطن فالخيال
والشهوة والغضب والاخلاق المركبة في مزاج الانسان فانه اذا ادرك بالحواس شيئا حصل منه اثر في القلب وكذلك اذا
هاجت الشهوة مثلا بسبب كثرة الاكل او بقوة في المزاج حصل منها في القلب اثر وان كف عن الاحساس فالخيالات الحاصلة تبقى
وينتقل الخيال من شيء الى شيء وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال الى حال والمقصود ان القلب في التغير والتاثر
دائما من هذه الاسباب واخص الاثار الحاصلة في القلب هي الخواطر واعني بالخواطر ما يعرض فيه من الافكار والاذكار واعني
به الادراكات علوما اما على سبيل التجدد واما على سبيل التذكر فانها تسمى خواطر من حيث انها تخطر بعد ان كان القلب
غافلا عنها والخواطر هي المحركات للارادات فان النية والعزم والارادة انما تكون بعد حضور المنوي بالبال لا محالة فمبدا الافعال
الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والنية والنية تحرك الاعضاء والخواطر المحركة للرغبة تنقسم الى ما يدعو
الى الشر اعني الى ما يضر في العاقبة والى ما يدعو الى الخير اعني الى ما ينفع في الدار الاخرة فهما خاطران مختلفان فافتقر الى اسمين مختلفين
فالخاطر المحمود يسمى الهاما والخاطر المذموم اعني الداعي الى الشر يسمى وسواسا ثم انكم تعلمون ان هذه الخواطر حادثة وكل حادث لا بد
له من سبب ومهما اختلفت الحوادث دل على اختلاف الاسباب هذا ما عرف من سنة الله تعالى في ترتب المسببات على الاسباب فمهما
استنارت حيطان البيت بنور النار واظلم سقفه واسود بالدخان علمت ان سبب السواد غير سبب الاستنارة وكذلك
لانوار القلب وظلماته سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعي الى الخير يسمى ملكا وسبب الخاطر الداعي الى الشر يسمى شيطانا واللطف
الذي يتهيا به القلب لقبول الهام الملك يسمى توفيقا والذي به يتهيا لقبول وسواس الشيطان يسمى اغواء وخذلانا
فان المعاني المختلفة تفتقر الى اسامي مختلفة والملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شانه افاضة الخير وافادة العلم وكشف الحق
والوعد بالمعروف وقد خلقه الله تعالى وسخره لذلك والشيطان عبارة عن خلق شانه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والامر
بالفحشاء والتخويف عند الهم بالخير بالفقر فالوسوسة في مقابلة الالهام والشيطان في مقابلة الملك والتوفيق في مقابلة
الخذلان واليه الاشارة بقوله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين فان الموجودات كلها متقابلة مزدوجة الا الله تعالى فانه لا مقابل له
بل هو الواحد الحق الخالق للازواج كلها والقلب متجاذب بين الشيطان والملك فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في القلب
لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق ولمة من العدو ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير وقال الحسن انما
هما همان يجولان في القلب هم من الله تعالى وهم من العدو فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان من الله امضاه وما
كان من عدوه جاهده ولتجاذب القلب بين هذين المسلطين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين اصبعين
من اصابع الرحمن والله تعالى يتعالى عن ان يكون له اصبع مركبة من لحم ودم وعظم منقسمة بالانامل ولكن روح الاصبع
سرعة التقليب والقدرة على التحريك والتغيير فانك لا تريد اصبعك لشخصها بل لفعلها في التقليب والترديد وكما انك
تتعاطى الافعال باصابعك فالله تعالى انما يفعل ما يفعله باستسخار الملك والشيطان وهما مسخران لقدرته في تقليب
القلوب كما ان اصابعك مسخرة لك في تقليب الاجسام مثلا والقلب باصل الفطرة صالح لقبول اثار الملكية ولقبول اثار

الملك وللقبول لآثار الشيطان صلاحا متساويا ليس يترجح احدهما على الآخر وانما يترجح احد الجانبين باتباع الهوى والاكباب على
الشهوات والاعراض عنها ومخالفتها فان اتبع الانسان مقتضى الشهوة والغضب ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار
القلب عش الشيطان ومعدنه لان الهوى هو مرعى الشيطان ومرتعه وان جاهد الشهوة ولم يسلطها على نفسه وتشبه
باخلاق الملائكة صار قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم ولما كان لا يخلو قلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول امل الى
غير ذلك من صفات البشرية المتشعبة عن الهوى لاجرم لم يخل قلب عن ان يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذلك
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وله شيطان قالوا وانت يا رسول الله قال وانا الا ان الله اعانني عليه فاسلم
فلا يأمر الا بخير وانما كان هذا لان الشيطان لا يتصرف الا بواسطة الشهوة فمن اعانه الله على شهوته حتى صار لا تنبسط الا حيث
ينبغي والى الحد الذي ينبغي فشهوته لا تدعو الى الشر فالشيطان المتدرع بها لا يأمر الا بالخير ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا ومقتضيات
الهوى وجد الشيطان مجالا فوسوس ومهما انصرف القلب الى ذكر الله تعالى ارتحل الشيطان وضاق مجاله واقبل الملك والهم
والتطارد بين جندي الملائكة والشياطين في معركة القلب دائم الى ان ينفتح القلب لاحدهما فيستوطن ويستمكن ويكون
اجتياز الثاني اختلاسا واكثر القلوب قد فتحتها جنود الشياطين وملكتها فامتلأت بالوسواس الداعية الى ايثار العاجلة
واطراح الآخرة ومبدأ استيلائها اتباع الهوى والشهوات ولا يمكن فتحها بعد ذلك الا بتخلية القلب عن قوت الشيطان وهو الهوى والشهوات
وعمارته بذكر الله تعالى الذي هو مطرح اثر الملائكة قال جابر بن عبيدة العدوي شكوت الى العلاء بن زياد ما اجد في صدري
من الوسوسة فقال انما مثل ذلك مثل البيت الذي يمر به اللصوص فان كان فيه شيء عالجوه والا مضوا وتركوه يعني ان
القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك قال الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكل من اتبع الهوى
فهو عبد الهوى لا عبد الله فلذلك سلط الله عليه الشيطان وقد قال تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه اشارة الى ان الهوى
الهه ومعبوده فهو عبد الهوى لا عبد الله وقال عمرو بن العاص يا رسول الله ان الشيطان حال بيني وبين صلاتي فقال ذلك
شيطان يقال له خنزب فاذا احسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا ففعلت ذلك فاذهبه الله عني
وفي الخبر ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه ولا يمحو وسوسة الشيطان من القلب الا ذكر شيء ما
سوى ما يوسوس به لانه اذا خطر في القلب ذكر شيء انعدم منه ما كان فيه من قبل ولكن ذكر كل شيء سوى الله تعالى وسوى ما يتعلق به
فيجوز ان يكون ايضا مجالا للشيطان فذكر الله هو الذي يؤمن جانبه ويعلم انه ليس للشيطان فيه مجال ولا يعالج الشيء الا بضده
وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله تعالى بالاستعاذة والتبري من الحول والقوة وهو معنى قولك اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم وذلك لا يقدر عليه الا المتقون الذين الغالب عليهم ذكر الله تعالى وانما الشيطان يطوف عليهم في
اوقات الفلتات على سبيل الخلسة قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقال
مجاهد في معنى قوله تعالى من شر الوسواس الخناس قال هو منبسط على قلب الانسان فاذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض واذا غفل
انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله تعالى ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار ولتطاردهما
قال الله تعالى استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان واضع خرطومه على
قلب ابن آدم فان ذكر الله خنس وان نسي الله التقم قلبه وقال ابن وضاح في حديث ذكره اذا بلغ الرجل اربعين سنة ولم يتب
مسح الشيطان بيده وجهه وقال بابي وجه لا يفلح وكما ان الشهوات ممتزجة بلحم الآدمي ودمه فسلطنة الشيطان
ايضا سارية في لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى
الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك لان الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان الشهوات ولاجل اكتناف الشهوات للقلب
من جوانبه قال الله تعالى اخبارا عن ابليس لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم
وعن شمائلهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قعد لابن آدم بطرق فقعد له في طريق الاسلام فقال اتسلم وتترك
دينك ودين آبائك فعصاه واسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال اتهاجر وتدع ارضك وسماءك فعصاه وهاجر ثم قعد
له بطريق الجهاد فقال اتجاهد وهو تلف النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك فعصاه فجاهد
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل ذلك فمات كان حقا على الله ان يدخله الجنة فقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم

[illegible]

انظر الشيطان يمسح بيده على وجه العبد اذا بلغ الاربعين

معنى الوسوسة وهو هذه الخواطر التي تخطر له انه يتزوج وينكح نساءه وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد وهذه الخواطر معلومة فاذا الوسواس معلوم بالمشاهدة
وكل خاطر فله سبب ويفتقر الى اسم يعرفه فاسم سببه الشيطان ولا يتصور ان ينفك عنه آدمي وانما يختلفون بعصيانه ومتابعته ولذلك قال
ما من احد الا وله شيطان فقد اتضح بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والالهام والملك والشيطان والتوفيق والخذلان فبعد
هذا نظر من ينظر في ذات الشيطان انه جسم لطيف او ليس بجسم وان كان جسما فكيف يدخل بدن الانسان ما هو جسم فهذا
الآن غير محتاج اليه في علم المعاملة بل مثال الباحث عن هذا كمثال من دخلت في ثوبه حية وهو محتاج الى دفع ضررها فاشتغل بالبحث عن لونها
وطولها وعرضها وذلك عين الجهل فمصادمة الخواطر الباعثة على الشرور قد علمت ودل ذلك على انه عن سبب لا محالة وعلم ان الداعي الى الشر محذور
مستقبحة فقد عرف العدو وينبغي ان يشتغل بمجاهدته وقد عرف الله سبحانه عداوته في مواضع كثيرة في كتابه العزيز ليؤمن به ويحترز منه
فقال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير وقال تعالى الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا
الشيطان انه لكم عدو مبين فينبغي للعبد ان يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالسؤال عن اصله ونسبه ومسكنه نعم ينبغي ان يسأل عن سلاحه
ليدفعه عن نفسه وسلاح الشيطان الهوى والشهوات وذلك كاف للعاملين فاما معرفة صفة ذاته وحقيقة الملائكة فذلك ميدان العارفين
المتغلغلين في علوم المكاشفات فلا يحتاج في المعاملة الى معرفته نعم ينبغي ان يعلم ان الخواطر تنقسم الى ما يعلم قطعا انه داع الى الشر فلا يخفى
كونه وسوسة والى ما يعلم انه داع الى الخير فلا يشك في كونه الهاما والى ما يتردد فيه فلا يدرى انه من لمة الملك او لمة الشيطان فان من مكايد
الشيطان ان يعرض الشر في معرض الخير والتمييز في ذلك غامض واكثر العباد به يهلكون فان الشيطان لا يقدر على دعائهم الى الشر الصريح
فيصور الشر بصورة الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ اما تنظر الى الخلق وهم موتى من الجهل هلكى من الغفلة قد اشرفوا على النار اما لك رحمة
على عباد الله فتنقذهم من المعاطب بنصحك ووعظك وقد انعم الله عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف تكفر نعمة الله وتتعرض
لسخطه وتسكت عن اشاعة العلم ودعوة الخلق الى الصراط المستقيم فلا يزال يستجره بلطيف الحيل الى ان يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوه
الى ان يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ واظهار الخير ويقول له ان لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك من قلوبهم ولم يهتدوا الى الحق فلا يزال يقرر ذلك
وهو في اثناء ذلك يؤكد فيه شوائب الرياء وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة العلم والنظر الى الخلق بعين الاحتقار فيستدرج المسكين بالنصح
الى الهلاك فيتكلم وهو يظن ان قصده الخير وانما قصده الجاه والقبول فيهلك بسببه وهو يظن انه عند الله بمكان وهو من الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله ليؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ولذلك روي ان ابليس تمثل لعيسى عليه السلام فقال له قل لا اله الا الله
فقال كلمة حق ولا اقولها بقولك لان له ايضا تحت الخير تلبيسات وتلبيسات الشيطان من هذا الجنس لا تتناهى وبها هلك العلماء والعباد
والزهاد والفقراء والاغنياء واصناف الخلق ممن يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لانفسهم الخوض في المعاصي المكشوفة وسنذكر جملة
من مكايد الشيطان في كتاب الغرور في آخر هذا الربع ولعلنا ان امهل الزمان صنفنا فيه كتابا على الخصوص نسميه تلبيس ابليس فانه قد انتشر الآن
تلبيسه في البلاد والعباد في المذاهب والاعمال حتى لم يبق في الخيرات الا رسمها كل ذلك اذعانا لتلبيسات الشيطان ومكايده فحق على العبد ان يقف عند
كل هم يخطر له ليعلم انه لمة الملك او لمة الشيطان وان يمعن النظر فيه بعين البصيرة لا بهوى من الطبع ولا يطلع عليه الا بنور التقوى والبصيرة
والعلم كما قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا اي رجعوا الى نور العلم فاذا هم مبصرون اي ينكشف لهم الاشكال فاما من لم
يروض نفسه بالتقوى فيميل طبعه الى الاذعان لتلبيسه بمتابعة الهوى فيكثر فيه غلطه ويتعجل فيه هلاكه وهو لا يشعر وفي مثلهم قال الله تعالى وبدا
لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل هي اعمال ظنوها حسنات فاذا هي سيئات واغمض انواع علوم المعاملة الوقوف على خدع
النفس ومكايد الشيطان ويتبعهم عداوته وطرق الاحتراز منه ولا ينجو من كثرة الوسواس الا بسد ابواب الخواطر وابوابها الحواس الخمس وابوابها
من داخل الشهوات وعلائق الدنيا والخلوة في بيت مظلم يسد باب الحواس والتجرد عن المال والاهل يقلل مداخل الوسواس من الباطن ويبقى مع ذلك مداخل
باطنة في التخيلات الجارية في القلب وذلك لا يدفع الا بشغل القلب بذكر الله تعالى ثم انه لا يزال يجاذب القلب وينازعه ويلهيه عن ذكر الله تعالى
فلا بد من مجاهدته وهذه مجاهدة لا آخر لها الا الموت اذ لا يتخلص احد من الشيطان ما دام حيا نعم قد يقوى بحيث لا ينقاد له ويدفع عن نفسه شره بالجهاد
ولكن لا يستغني قط عن الجهاد والمدافعة ما دام الدم يجري في بدنه فانه ما دام حيا فابواب الشيطان مفتوحة الى قلبه لا تنغلق وهي الشهوة والغضب والحسد
والطمع والشره والثروة وغيرها كما سيأتي شرحها ومهما كان الباب مفتوحا والعدو غير غافل لم يدفع الا بالحراسة والمجاهدة قال رجل للحسن يا ابا سعيد
اينام ابليس فتبسم وقال لو نام لوجدنا راحة فاذا لا خلاص للمؤمن منه نعم له سبيل الى دفعه وتضعيف قوته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان المؤمن ينضي شيطانه كما ينضي احدكم بعيره في سفره وقال ابن مسعود شيطان المؤمن مهزول وقال قيس بن الحجاج قال لي شيطاني دخلت

ذلك وانا مثل الجزور وانا الآن مثل العصفور فقلت ولم ذاك قال تذيبني بذكر الله عز وجل واهل التقوى لا يتعذر عليهم سد ابواب الشيطان وحفظها بالحراسة اعني الابواب الظاهرة والطرق الجلية التي تفضي الى المعاصي الظاهرة وانما يتعثرون في طرقه الغامضة فانهم لا يهتدون اليها فيحرسونها كما اشرنا اليه في غرور العلماء والوعاظ والمشكل ان الابواب المفتوحة الى القلب للشيطان كثيرة وباب الملائكة باب واحد وقد التبس ذلك الباب الواحد بهذه الابواب الكثيرة فالعبد فيها مثل المسافر الذي يبقى في بادية كثيرة الطرق غامضة المسالك في ليلة مظلمة فلا يكاد يعلم الطريق الا بعين بصيرة وطلوع شمس مشرقة والعين البصيرة هنا هو القلب المصفى بالتقوى والشمس المشرقة هو العلم الغزير المستفاد من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فيما يهدي الى غوامض طرقه والا فطرقه كثيرة وغامضة قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا فقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله فقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل لتلك الخطوط فبين صلى الله عليه وسلم كثرة طرقه وقد ذكرنا مثالا للطريق الغامض من طرقه وهو الذي يخدع به العلماء والعباد المالكين لشهواتهم الكافين عن المعاصي الظاهرة فلنذكر مثالا لطريقه الواضح الذي لا يخفى الا ان يضطر الآدمي الى سلوكه وذلك كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان راهب في بني اسرائيل فاخذ الشيطان جارية فخنقها والقى في قلوب اهلها ان دواءها عند الراهب فاتي الراهب فابى ان يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فكانت عنده ليعالجها فاتاه الشيطان فوسوس اليه وزين له مقاربتها فلم يزل به حتى وقع عليها فحملت منه فوسوس اليه وقال الآن تفتضح يأتيك اهلها فاقتلها فان اتوك فقل ماتت فقتلها ودفنها فاتى اهلها فسالوه فقال ماتت فاخذوه فاتاه الشيطان وقال انا الذي اخذتها وانا الذي القيت في قلوب اهلها فاطعني تنج اسجد لي سجدتين فسجد له سجدتين فهو الذي قال الله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك فانظر الآن الى حيله واضطراره الراهب الى هذه الكبائر وكل ذلك لطاعته في قبول الجارية للمعالجة وهو امر هين وربما يظن صاحبه انه خير وحسنة فيحسن في قلبه بخفي الهوى فيقدم عليه كالراغب في الخير فيخرج الامر بعد ذلك عن اختياره ويجره البعض الى البعض بحيث لا يجد محيصا فنعوذ بالله من تضييع اوائل الامور واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه

بيان تفصيل مداخل الشيطان الى القلب

اعلم ان القلب مثال الحصن والشيطان عدو يريد ان يدخل الحصن ويملكه ويستولي عليه ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو الا بحراسة ابواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه ولا يقدر على حراسة ابوابه من لا يعرف ابوابه وحماية القلب عن فساد الشيطان واجب وهو فرض عين على كل عبد مكلف وما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو ايضا واجب ولا يتوصل الى دفع الشيطان الا بمعرفة مداخله فصار معرفة مداخل الشيطان واجبا ومداخل الشيطان وابوابه صفات العبد وهي كثيرة ولكنا نشير الى الابواب العظيمة الجارية مجرى الدروب التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان **فمن ابوابه العظيمة الحسد والحرص** فمهما كان العبد حريصا على شيء اعماه حرصه اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبك الشيء يعمي ويصم ونور البصيرة هو الذي يعرف مداخل الشيطان فاذا غطاه الحرص والحسد لم يبصر فوجد الشيطان فرصته فيحسن عند الحريص كل ما يوصله الى شهوته وان كان منكرا وفاحشا فقد روي ان نوحا عليه السلام لما ركب السفينة حمل فيها من كل زوجين اثنين كما امره الله فراى في السفينة شيخا لم يعرفه فقال له نوح ما ادخلك فقال دخلت لاصيب قلوب اصحابك فتكون قلوبهم معي وابدانهم معك قال نوح اخرج منها يا عدو الله فانك رجيم فقال ابليس خمس اهلك بهن الناس وساحدثك منهن بثلاث ولا احدثك باثنتين فاوحى الله الى نوح انه لا حاجة لك الى الثلاث مره فليحدثك بالاثنتين فقال اما الثنتان فانهما لا يكذباني هما الحرص والحسد بهما اهلك الناس وبهما لعنت وجعلت شيطانا رجيما فانه ابيح لآدم الجنة كلها فاصبت حاجتي منه بالحرص

ومن ابوابه العظيمة الغضب والشهوة فان الغضب غول العقل واذا ضعف جند العقل هجم جند الشيطان ومهما غضب الانسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبي بالكرة فقد روي ان ابليس لقي موسى عليه السلام فقال يا موسى انت الذي اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليما وانا من خلق الله اذنبت وانا اريد ان اتوب فاشفع لي الى ربي ان يتوب علي قال موسى نعم فدعا موسى ربه عز وجل فقال يا موسى قد قضيت حاجتك فلقي موسى ابليس وقال قد امرت ان تسجد لقبر آدم عليه السلام ليتاب عليك فاستكبر وغضب وقال لم اسجد له حيا اسجد له ميتا ثم قال ابليس يا موسى ان لك علي حقا بما شفعت لي الى ربك فاذكرني عند ثلاث لا اهلكك فيهن اذكرني حين تغضب فان روحي في قلبك وعيني في عينك واجري منك مجرى الدم واذكرني حين تلقى الزحف فاني آتي ابن آدم حين يلقى الزحف فاذكره ولده وزوجته واهله حتى يولي واياك ان تجالس امراة ليست بذات محرم فاني رسولها اليك ورسولك اليها فقد اشار بهذا الى الشهوة والغضب والحرص فان الفرار من الزحف حرص على الدنيا وامتناعه من سجوده لآدم ميتا هو الحسد وهو من اعظم مداخله وقال بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام لابليس باي شيء تغلب ابن آدم قال آخذه عند الغضب وعند الهوى وظهر ابليس لراهب فقال له اي اخلاق بني آدم اعون لك قال الحدة ان العبد اذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة وقيل ان الشيطان يقول كيف يغلبني ابن آدم واذا رضي جئت حتى اكون في قلبه واذا غضب طرت حتى اكون في راسه

ومن ابوابه حب التزين في الثياب والاثاث والدار فان الشيطان اذا راى ذلك غالبا على قلب الانسان باض فيه الشيطان وفرخ فلا يزال يدعوه الى عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع ابنيتها ويدعوه الى التزين بالثياب والدواب ويستسخره فيها طول عمره فاذا اوقعه في ذلك فقد استغنى عن معاودته فان بعضه يجره الى البعض فلا يزال يؤديه من شيء الى شيء الى ان يساق اليه اجله وهو في سبيل الشيطان واتباع الهوى ومن ذلك يخشى سوء الخاتمة بالكفر نعوذ بالله منه

ومن ابوابه العظيمة الشبع من الطعام وان كان حلالا صافيا فان الشبع يقوي الشهوات والشهوات اسلحة الشيطان روي ان ابليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السلام فراى عليه معاليق فقال له يحيى يا ابليس ما هذه المعاليق قال هذه الشهوات التي اصيب بها بني آدم قال فهل لي فيها من شيء قال ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة والذكر قال فهل غير ذلك قال لا قال لله علي ان لا املأ بطني من طعام ابدا فقال ابليس ولله علي ان لا انصح مسلما ابدا

ومن ابوابه الطمع في الناس فانه اذا غلب الطمع على القلب لم يزل الشيطان يحبب اليه التصنع والتزين لمن طمع فيه بانواع الرياء والتلبيس حتى يصير المطموع فيه كانه معبوده فلا يزال يتفكر في حيلة التودد والتحبب اليه ويدخل كل مدخل للوصول الى ذلك واقل احواله الثناء عليه بما ليس فيه والمداهنة له بترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر **وقد روي** عن صفوان بن سليم ان ابليس تمثل لعبد الله بن حنظلة وقال يا ابن حنظلة احفظ عني شيئا اعلمك به قال لا حاجة لي به قال انظر فان كان خيرا اخذت وان كان شرا رددت يا ابن حنظلة لا تسال احدا غير الله سؤال رغبة وانظر كيف تكون اذا غضبت

ومن ابوابه العجلة وترك التثبت في الامور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العجلة من الشيطان والتاني من الله تعالى قال تعالى خلق الانسان من عجل وقال تعالى وكان الانسان عجولا وقال ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وهذا لان الاعمال ينبغي ان تكون بعد التبصرة والمعرفة والبصيرة تحتاج الى تامل وتمهل والعجلة تمنع من ذلك فعند العجلة يروج الشيطان شره من حيث لا يدري روي انه لما ولد عيسى عليه السلام اتت الشياطين ابليس فقالت اصبحت الاصنام قد نكست رؤوسها فقال هذا حادث قد حدث مكانكم فطار حتى جاء خافقي الارض فلم يجد شيئا ثم وجد عيسى قد ولد واذا الملائكة قد حفت حوله فرجع اليهم فقال ان نبيا قد ولد البارحة ما حملت انثى قط ولا وضعت الا وانا بحضرتها الا هذا فايسوا ان تعبد الاصنام بعد هذه الليلة ولكن ائتوا بني آدم من قبل العجلة والخفة

ومن ابوابه الدراهم والدنانير وسائر اصناف الاموال من العروض والدواب والعقار وكل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان فان من كان معه قوته فهو فارغ القلب فلو وجد مائة دينار مثلا على طريق انبعث من قلبه عشر شهوات تحتاج كل شهوة منها الى مائة دينار اخرى فلا يكفيه ما وجده بل يحتاج الى تسعمائة اخرى وقد كان قبل وجود المائة مستغنيا والآن قد وجد مائة وظن انه صار غنيا وقد صار محتاجا الى تسعمائة اخرى ليشتري دارا يعمرها ويشتري جارية ويشتري اثاث البيت ويشتري الثياب الفاخرة وكل شيء من ذلك يستدعي شيئا آخر يليق به وذلك لا آخر له فيقع في هاوية آخرها عمق جهنم فلا آخر لها سواه **قال** ثابت لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم قال ابليس لشياطينه لقد حدث امر فانظروا ما هو فانطلقوا ثم جاؤوه وقالوا ما ندري قال ابليس انا آتيكم بالخبر فذهب وجاء وقال قد بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال فجعل يرسل شياطينه الى اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فينصرفون خائبين ويقولون ما صحبنا قوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون الى صلاتهم فيمحى ذلك فقال ابليس رويدا بهم عسى الله ان يفتح لهم الدنيا فهنالك تصيبون حاجتكم منهم **وروي** ان عيسى عليه السلام توسد حجرا فمر به ابليس فقال يا عيسى رغبت في الدنيا فاخذه من تحت راسه ورماه به وقال هذا لك مع الدنيا وعلى التحقيق من ملك حجرا يتوسده عند النوم فقد ملك من الدنيا ما يمكن ان يكون عدة للشيطان عليه فان القائم بالليل مثلا للصلاة مهما كان بالقرب منه حجر يمكن ان يتوسده فلا يزال يدعوه الى النوم والى ان يتوسده ولو لم يكن ذلك لكان لا يخطر له ذلك ولا تتحرك رغبته الى النوم هذا في حجر فكيف بمن يملك المخاد الوثيرة والفرش الوطيئة والمتنزهات الطيبة فمتى ينشط لعبادة الله تعالى

ومن ابوابه البخل وخوف الفقر فان ذلك هو الذي يمنعه من الانفاق والتصدق ويدعوه الى الادخار والكنز والعذاب الاليم هو الموعد للمكاثرين كما نطق به القرآن قال خيثمة بن عبد الرحمن ان الشيطان يقول ما غلبني عليه ابن آدم فلن يغلبني على ثلاث ان آمره باخذ المال من غير حقه وانفاقه من غير حقه ومنعه من حقه وقال سفيان ليس للشيطان سلاح مثل خوف الفقر فاذا قبل ذلك منه اخذ في الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن بربه ظن السوء ومن آفات

الحرص على ملازمة الاسواق لجمع المال والاسواق هي معشش الشياطين وروي عن ابي امامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ابليس لما نزل الى الارض قال يا رب انزلتني الى الارض وجعلتني رجيما فاجعل لي بيتا قال الحمام قال اجعل لي مجلسا قال الاسواق ومجامع الطرق قال اجعل لي طعاما قال طعامك ما لم يذكر اسم الله عليه قال اجعل لي شرابا قال كل مسكر قال اجعل لي مؤذنا قال المزامير قال اجعل لي قرانا قال الشعر قال اجعل لي كتابا قال الوشم قال اجعل لي حديثا قال الكذب قال اجعل لي مصايد قال النساء

ومن ابوابه العظيمة التعصب للمذاهب والاهواء والحقد على الخصوم والنظر اليهم بعين الازدراء والاستحقار وذلك مما يهلك العباد والفساق جميعا فان الطعن في الناس والاشتغال بذكر نقصهم صفة مجبولة في الطبع من الصفات السبعية فاذا خيل اليه الشيطان ان ذلك هو الحق وكان موافقا لطبعه غلبت حلاوته على قلبه فاشتغل به بكل همته وهو بذلك فرحان مسرور يظن انه يسعى في الدين وهو ساع في اتباع الشيطان فترى الواحد منهم يتعصب لابي بكر رضي الله عنه وهو اكل الحرام ومطلق اللسان بالفضول والكذب ومتعاط لانواع الفساد ولو راه ابو بكر لكان اول عدو له اذ موالي ابي بكر من اخذ سبيله رضي الله عنه وسار بسيرته وحفظ ما بين لحييه وكان من سيرته انه يضع حصاة في فيه ليكف لسانه عن الكلام فيما لا يعنيه فاين لهذا الفضولي ان يدعي ولاءه وحبه وترى فضوليا اخر يدعي حب علي رضي الله عنه وكان من زهد علي وسيرته انه لبس في خلافته ثوبا اشتراه بثلثة دراهم وقطع راس الكمين الى الرسغ فترى الفاسق لابسا لثياب الحرير ومتجملا باموال اكتسبها من الحرام وهو يتعاطى حب علي ويدعيه وهو اول خصمائه يوم القيامة وليت شعري من اخذ ولدا عزيزا لانسان وهو قرة عينه وحياة قلبه فاخذ يضربه ويمزقه وينتف شعره ويقطعه بالمقراض وهو مع ذلك يدعي حب ابيه وولاءه كيف يكون حاله عنده ومعلوم ان الدين والشرع كان احب الى ابي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة رضوان الله عليهم من الاهل والولد بل من نفوسهم والمتعاطون للمعاصي هم الذين يمزقون الشرع ويقطعونه بمقاريض الشهوات ويتوددون به الى ابليس عدو الله واوليائه فترى كيف يكون حالهم يوم القيامة عند الصحابة وعند اولياء الله لا بل لو كشف الغطاء وعرفوا ما تحبه الصحابة في امة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاستحيوا ان يجروا على اللسان ذكرهم مع قبيح افعالهم ثم الشيطان يخيل اليهم ان من مات محبا لابي بكر وعمر فالنار لا تحوم حوله ويخيل الى الاخر انه اذا مات محبا لعلي لم يكن عليه خوف وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لفاطمة رضي الله عنها وهي بضعة منه اعملي فاني لا اغني عنك من الله شيئا وهذا مثال اوردناه من جملة الاهواء وهكذا حكم المتعصبين للشافعي وابي حنيفة واحمد ومالك وغيرهم من الائمة رضي الله عنهم فكل من ادعى مذهب امام وهو ليس يسير بسيرته فذلك الامام هو خصمه اذ يقول كان مذهبي العمل دون الحديث باللسان وكان الحديث باللسان لاجل العمل لا لاجل الهذيان فما بالك خالفتني في العمل والسيرة التي هي مسلكي ومذهبي الذي سلكته وذهبت فيه الى الله تعالى ثم ادعيت مذهبي كاذبا وهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان قد اهلك به اكثر العالم

وقد سلمت المدارس لاقوام قل من الله خوفهم وضعفت في الدين بصيرتهم وقويت في الدنيا رغبتهم واشتد على الاستتباع حرصهم ولم يتمكنوا من الاستتباع واقامة الجاه الا بالتعصب فحبسوا ذلك في صدورهم ولم ينبهوهم على مكايد الشيطان فيه بل نابوا عن الشيطان في تنفيذ مكيدته فاستمر الناس عليه ونسوا امهات دينهم فقد هلكوا واهلكوا والله يتوب علينا وعليهم **قال** الحسن بلغنا ان ابليس قال سولت لامة محمد صلى الله عليه وسلم المعاصي فقصموا ظهري بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لا يستغفرون الله منها وهي الاهواء وقد صدق الملعون فانهم لا يعلمون ان ذلك من الاسباب التي تجر الى المعاصي فكيف يستغفرون منها ومن عظيم حيل الشيطان ان يشغل الانسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس في المذاهب والخصومات **قال** عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قعد قوم يذكرون الله عز وجل فاتاهم الشيطان ليقيمهم عن مجلسهم ويفرق بينهم فلم يستطع فاتى رفقة اخرى يتحدثون بحديث الدنيا فافسد بينهم فقاموا يقتتلون فقام الذين يذكرون الله واشتغلوا بهم يفصلوا بينهم فتفرقوا عن مجلسهم وذلك مراد الشيطان منهم

ومن ابوابه حمل العوام الذين لم يمارسوا العلم ولم يتبحروا فيه على التفكر في ذات الله وصفاته عز وجل وفي امور لا يبلغها حد عقولهم حتى يشككهم في اصل الدين او يخيل اليهم في الله خيالا يتعالى الله عنه فيصير به كافرا ومبتدعا وهو به مسرور فرح مبتهج بما وقع في صدره يظن ان ذلك هو المعرفة والبصيرة وانه انكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله واشد الناس حماقة اقواهم اعتقادا في عقل نفسه واثبت الناس عقلا اشدهم اتهاما لنفسه وظنه واحرصهم على السؤال من العلماء **قالت** عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ياتي احدكم فيقول من خلقك فيقول الله تبارك وتعالى فيقول فمن خلق الله فاذا وجد احدكم ذلك فليقل امنت بالله ورسوله فان ذلك يذهب عنه والنبي صلى الله عليه وسلم لم يامر في علاج هذا الوسواس بالبحث فان هذا وسواس يجده عوام الناس دون العلماء

وانما حق العوام ان يؤمنوا ويسلموا ويشتغلوا بعباداتهم ومعايشهم ويتركوا العلم للعلماء فالعامي لو يزني ويسرق كان خيرا له من ان يتكلم في العلم فانه من تكلم في الله وفي دينه من غير اتقان العلم وقع في الكفر من حيث لا يدري كمن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة ومكايد الشيطان فيما يتعلق بالعقائد والمذاهب لا تحصر وانما قصدنا بما اوردناه المثال

ومن ابوابه سوء الظن بالمسلمين وذلك قال الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ومن يحكم بشر على غيره بالظن بعثه الشيطان على ان يطول فيه لسانه بالغيبة فيهلك او يقصر في القيام بحقوقه او يتوانى في اكرامه او ينظر اليه بعين الاحتقار ويرى نفسه خيرا منه وكل ذلك من المهلكات ولاجل ذلك منع الشرع من التعرض للتهم فقال صلى الله عليه وسلم اتقوا مواضع التهم حتى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم احترز من ذلك وروي عن علي بن الحسين رضي الله عنهما ان صفية بنت حيي اخبرته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معتكفا قالت فاتيته فتحدثت عنده فلما امسيت انصرفت فقام يمشي معي فمر به رجلان من الانصار فسلما ثم مضيا فقال لهما انها صفية بنت حيي فقالا يا رسول الله ما نظن بك الا خيرا فقال ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم واني خشيت ان يقذف في قلوبكما فانظر كيف اشفق على دينهما فحرسهما وكيف اشفق على امته فعلمهم طريق الاحتراز من التهمة حتى لا يتساهل العالم الورع المعروف بالدين في احواله فيقول مثلي لا يظن به الا الخير اعجابا منه بنفسه فان اورع الناس واتقاهم واعلمهم لا ينظر الناس كلهم اليه بعين واحدة بل بعين الرضا بعضهم وبعين السخط بعضهم كما قيل

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ... ولكن عين السخط تبدي المساويا

فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الاشرار فان الاشرار لا يظنون بالناس كلهم الا الشر فمهما رايت انسانا يسيء الظن بالناس طالبا للعيوب فاعلم انه خبيث في الباطن وان ذلك خبثه يترشح منه وانما يرى غيره من حيث هو فان المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العيوب والمؤمن سليم الصدر في حق كافة الخلق فهذه بعض مداخل الشيطان الى القلب ولو اردت استقصاء جميعها لم اقدر عليه وفي هذا القدر ما ينبه على غيره فليس في الادمي صفة مذمومة الا وهي سلاح الشيطان ومدخل من مداخله

فان قلت فما العلاج في دفع الشيطان وهل يكفي ذكر الله تعالى وقول الانسان لا حول ولا قوة الا بالله فاعلم ان علاج القلب في ذلك سد هذه المداخل وتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة وذلك مما يطول ذكره وغرضنا في هذا الربع من الكتاب بيان علاج الصفات المهلكات وتحتاج كل صفة الى كتاب مفرد على ما سياتي شرحه ان شاء الله تعالى نعم اذا قلعت من القلب اصول هذه الصفات كان للشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار ويمنعه من الاجتياز ذكر الله تعالى لان حقيقة الذكر لا تتمكن من القلب الا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة والا فيكون الذكر حديث نفس لا سلطان له على القلب فلا يدفع سلطان الشيطان ولذلك **قال** تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا خصص بذلك المتقين ومثل الشيطان كمثل كلب جائع يقرب منك فان لم يكن بين يديك لحم او خبز فانه ينزجر بان تقول له اخسأ فمجرد الصوت يدفعه وان كان بين يديك شيء وهو جائع فانه يهجم عليه ولا يندفع بمجرد الكلام فالقلب الخالي عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر فاما الشهوة اذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر الى حواشي القلب فلم يتمكن من سويدائه فيستقر الشيطان في سويداء القلب واما قلوب المتقين الخالية من الهوى والصفات المذمومة فانه يطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة عن الذكر فاذا عاد الى الذكر خنس الشيطان ودليل ذلك قوله تعالى فاستعذ بالله وسائر الاخبار والايات الواردة في الذكر وقال ابو هريرة التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر فشيطان الكافر سمين دهين كاس وشيطان المؤمن مهزول اشعث اغبر عار فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن ما لك مهزول قال انا مع رجل اذا اكل سمى الله فاظل جائعا واذا شرب سمى الله فاظل عطشانا واذا لبس سمى الله فاظل عريانا واذا ادهن سمى الله فاظل شعثا فقال شيطان الكافر لكني مع رجل لا يفعل شيئا مما ذكرت فانا اشاركه في طعامه وشرابه ولباسه **وكان** محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلاة الصبح اللهم انك سلطت علينا عدوا بصيرا بعيوبنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم اللهم فايسه منا كما ايسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين جنتك انك على كل شيء قدير قال فتمثل له ابليس يوما في طريق المسجد فقال له يا ابن واسع هل تعرفني قال ومن انت قال انا ابليس قال وما تريد قال اريد ان لا تعلم احدا هذه الاستعاذة ولا اتعرض لك قال والله لا امنعها ممن ارادها فاصنع ما شئت **وعن** عبد الرحمن بن ابي ليلى قال كان شيطان ياتي النبي صلى الله عليه وسلم بيده شعلة من نار فيقوم بين يديه وهو يصلي فيقرا ويتعوذ فلا يذهب فاتاه جبريل عليه السلام فقال له قل اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير يا رحمن فقال ذلك فطفئت شعلته وخر على وجهه **قال** الحسن نبئت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل عليه السلام فقال ان عفريتا من الجن يكيدك فاذا اويت الى فراشك فاقرا اية الكرسي وقال صلى الله عليه وسلم لقد اتاني شيطان فنازعني ثم نازعني فاخذت بحلقه فوالذي بعثني بالحق ما ارسلته حتى وجدت برد لسانه على يدي ولولا دعوة سليمان عليه الصلاة والسلام لاصبح طريحا **وقال** صلى الله عليه وسلم ما سلك عمر فجا الا سلك الشيطان فجا غير فجه وهذا لان هذه القلوب كانت مطهرة عن مرعى الشيطان وقوته وهي الشهوات فمهما طمعت ان يندفع الشيطان

جملة نجوم الذكر كان محلا وكسر طمع في المشرب دواء وقبل الاحتماء وتخلية المعدة فالذكر دواء والتقوى كالاحتماء وهي تخلي القلب عن الشهوات فاذا
نزل الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر اندفع عنه الشيطان كما تندفع العلة بنزول الدواء في معدة خالية عن الاطعمة قال تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان
له قلب وقال تعالى كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير ومن ساعد الشيطان بعمله فهو مولاه وان ذكر الله
بلسانه وان كنت تقول الحديث قد ورد مطلقا بان الذكر يطرد الشيطان ولم تفهم ان عمومات الشرع مخصوصة بشروط يعرفها
علماء الدين فانظر الى نفسك فليس الخبر كالمعاينة وتامل ان منتهى ذكرك وعبادتك وصلاتك فراقب قلبك اذا كنت في
صلاتك كيف يجاذبه الشيطان الى الاسواق وحساب العاملين وجواب المعاندين وكيف يمر بك في اودية الدنيا
ومهالكها حتى انك لا تذكر ما قد نسيته من فضول الدنيا الا في صلاتك فلا يزدحم الشيطان على قلبك الا اذا صليت والصلاة محك القلوب
وفيها تظهر مساويها ومحاسنها فالصلاة لا تقبل من القلوب المشحونة بشهوات الدنيا فلا جرم لا تطرد عنك الشيطان
بل ربما يزيد عليك الوسواس كما ان الدواء قبل الاحتماء ربما يزيد عليك الضرر فان شئت الخلاص من الشيطان فقدم
الاحتماء بالتقوى ثم اردفه بدواء الذكر يفر الشيطان منك كما كان يفر من عمر رضه ولذلك قال وهب بن منبه رضه
اتق الله ولا تسب الشيطان في العلانية وانت صديقه في السر اي انت مطيع له وقال بعضهم واعجبا لمن يعصي المحسن
بعد معرفته باحسانه ويطيع اللعين بعد معرفته بطغيانه وكما ان الله تعالى قال ادعوني استجب لكم وانت تدعو ولا يستجاب لك فكذلك
تذكره تعالى ولا يهرب الشيطان منك لفقد شروط الذكر والدعاء قيل لابراهيم بن ادهم ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا وقد قال
تعالى ادعوني استجب لكم قال لان قلوبكم ميتة قيل وما الذي اماتها قال ثمان خصال عرفتم حق الله تعالى فلم تقوموا بحقه وقراتم القرآن فلم
تعملوا بحدوده وقلتم نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركتم سنته وقلتم نخشى الموت ولم تستعدوا له وقال تعالى ان الشيطان لكم عدو فواطأتموه
على المعاصي وقلتم نخاف النار وارهقتم ابدانكم فيها وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها واذا قمتم من فرشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم
وافترشتم عيوب الناس امامكم فاسخطتم ربكم فكيف يستجيب لكم فان قلت فالداعي الى المعاصي المختلفة شيطان
واحد او شياطين مختلفون فاعلم انه لا حاجة لك الى معرفة ذلك في المعاملة فاشتغل بدفع العدو ولا تسال عن صفته كل البقل ولا
تسال عن المبقلة ولكن الذي يتضح بنور الاستبصار وشواهد الاخبار انهم جنود مجندة وان لكل نوع من المعاصي شيطانا يخصه
ويدعو اليه فاما طريق الاستبصار فذكره يطول ويكفيك القدر الذي ذكرناه وهو ان اختلاف المسببات يدل على اختلاف الاسباب
كما ذكرناه في نور النار وسواد الدخان واما الاخبار فقد قال مجاهد لابليس خمسة من الاولاد قد جعل كل واحد منهم على شيء
من امره فذكر ثبر والاعور وداسم ومسوط وزلنبور فاما ثبر فصاحب المصائب الذي يامر بالثبور وشق
الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية واما الاعور فهو صاحب الزنا يامر به ويزينه واما مسوط فهو صاحب الكذب واما
داسم فيدخل مع الرجل الى اهله يريه العيب فيهم ويغضبه عليهم واما زلنبور فهو صاحب السوق وبسببه لا يزالون متظالمين
وشيطان الصلاة يسمى خنزب وشيطان الوضوء الولهان وقد ورد في ذلك اخبار كثيرة وكما ان الشياطين فيهم كثرة
فكذلك في الملائكة وقد ذكرنا في كتاب الشكر السر في كثرة الملائكة واختصاص كل واحد منهم بعمل ينفرد به وقال ابو امامة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه ما لم يقدر عليه من ذلك البصر سبعة املاك يذبون عنه
كما يذب عن قصعة العسل الذباب في اليوم الصائف وما لو بدا لكم لرايتموه على كل سهل وجبل كلهم باسط يده فاغر فاه وما لو وكل
العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين وقال يونس بن يزيد بلغنا انه يولد مع ابناء الانس من ابناء الجن ثم ينشؤون معهم وقال
جابر بن عبد الله ان ادم عليه السلام لما اهبط قال يا رب ان هذا العبد الذي جعلت بيني وبينه عداوة ان لم تعني عليه لا اقوى عليه قال لا يولد
لك ولد الا وكل به ملك قال رب زدني قال اجزي بالسيئة سيئة وبالحسنة عشرا الى ما اريد قال رب زدني قال باب التوبة مفتوح
ما دام في الجسد الروح قال ابليس يا رب هذا العبد الذي كرمته علي ان لم تعني عليه لا اقوى عليه قال لا يولد له ولد الا ولد لك ولد
قال رب زدني قال تجري منهم مجرى الدم وتتخذون صدورهم بيوتا قال رب زدني قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك الى قوله غرورا وعن ابي
الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله تعالى الجن ثلاثة اصناف صنف حيات وعقارب وخشاش الارض وصنف كالريح في الهواء وصنف
عليهم الحساب والعقاب وخلق الله الانس ثلاثة اصناف صنف كالبهائم كما قال تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها الآية
وصنف اجسادهم اجساد بني ادم وارواحهم ارواح الشياطين وصنف في ظل الله يوم لا ظل الا ظله وقال وهيب بن الورد بلغنا

هذه ادوية نافعة للقلوب والابدان

عدد اولاد ابليس

بيان اصناف الجن والانس

ان ابليس تمثل ليحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام فقال اني انصحك قال لا اريد ولكن اخبرني عن بني ادم قال هم عندنا ثلاثة اصناف
اما صنف منهم فهم اشد الاصناف علينا نقبل عليه حتى نفتنه ونتمكن منه ثم يفزع الى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل
شيء ادركناه منه ثم نعود اليه فيعود فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن منه في عناء واما الصنف الاخر فهم في ايدينا
بمنزلة الكرة في ايدي صبيانكم نتلقفهم كيف شئنا قد كفونا انفسهم واما الصنف الاخر فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم
على شيء فان قلت فكيف يتمثل الشيطان لبعض الناس دون البعض واذا راى صورته فهل هي صورته الحقيقية او
مثال له يتمثل به وان كان على صورته الحقيقية فكيف يرى بصور مختلفة وكيف يرى في وقت واحد في مكانين وعلى صورتين حتى يراه شخصان
بصورتين مختلفتين فاعلم ان الملك والشيطان لهما صورتان لا يدرك حقيقة صورتهما بالمشاهدة الا بانوار النبوة فما راى النبي صلى الله عليه وسلم
جبريل في صورته الا مرتين وذلك انه صلى الله عليه وسلم ساله ان يريه نفسه على صورته فواعده ذلك بالبقيع فطلع له جبريل فسد الافق الى المغرب
وراه مرة اخرى على صورته ليلة المعراج عند سدرة المنتهى وانما كان يراه في صورة الادمي غالبا وكان يراه في صورة دحية
الكلبي وكان رجلا حسن الوجه والاكثر انه يكاشف اهل المكاشفة من ارباب القلوب بمثال صورته كما يكشف في المنام لاكثر الصالحين
واما المكاشف في اليقظة هو الذي انتهى الى رتبة لا يمنعه اشتغال الحواس بالدنيا عن المكاشفة التي تكون في النوم فيراه في اليقظة ما
يراه غيره في المنام كما روي عن عمر بن عبد العزيز ان رجلا سال ربه عز وجل ان يريه موضع الشيطان من قلب ابن ادم فراى في النوم جسد رجل
شبه البلور يرى داخله من خارجه وراى الشيطان في صورة ضفدع قاعد على منكبه الايسر بين منكبه واذنه له خرطوم طويل دقيق قد
ادخله من منكبه الايسر الى قلبه يوسوس اليه فاذا ذكر الله تعالى خنس ومثل هذا قد يشاهد بعينه في اليقظة وقد راه بعض المكاشفين في
صورة كلب جاثم على جيفة يدعو الناس اليها وكانت الجيفة مثال الدنيا وهذا يجري مجرى مشاهدة صورته الحقيقية فان القلب لا
بد وان تظهر فيه حقيقة من الوجه الذي يقابل الملكوت وعند ذلك يشرق اثره على وجهه الذي يقابل عالم الملك والشهادة لان احدهما متصل
بالاخر وقد بينا ان القلب له وجهان وجه الى عالم الغيب وهو مدخل الالهام والوحي ووجه الى عالم الشهادة والذي يظهر منه في الوجه
الذي يلي جانب عالم الشهادة لا يكون الا صورة متخيلة لان عالم الشهادة كله متخيلات الا ان الخيال تارة يحصل من النظر الى ظاهر عالم الشهادة بالحس
فيجوز ان لا تكون الصورة على وفق المعنى حتى يرى شخص جميل الصورة وهو خبيث الباطن قبيح السر لان عالم الشهادة عالم كثير التلبيس اما الصورة
التي تحصل في الخيال من اشراق عالم الملكوت على باطن سر القلب فلا تكون الا محاكية للصفة وموافقة لها لان الصورة في عالم الملكوت تابعة
للصفة فلا جرم لا يرى المعنى القبيح الا بصورة قبيحة فيرى الشيطان في صورة كلب وضفدع وخنزير وغيره ويرى الملك في
صورة جميلة فتكون تلك الصورة عنوان المعاني ومحاكية لها بالصدق ولذلك يدل القرد والخنزير في النوم على انسان خبيث وتدل
الشاة على انسان سليم الجانب وهكذا جميع ابواب التعبير وهذه اسرار عجيبة وهي من عجائب القلب ولا يليق ذكرها بعلم المعاملة وانما
المقصود ان تصدق بان الشيطان ينكشف لارباب القلوب وكذا الملك تارة بطريق التمثيل والمحاكاة كما في النوم وتارة بطريق الحقيقة والاكثر
هو التمثيل بصورة محاكية للمعنى هو مثال المعنى لا عين المعنى الا انه يشاهد بالعين مشاهدة محققة وينفرد بمشاهدته المكاشف دون من حوله

بيان ما يؤاخذ العبد به من وساوس القلوب وهمها وخواطرها وقصودها وما يعفى عنه ولا يؤاخذ به

اعلم ان هذا امر غامض وقد وردت فيه اخبار وايات متعارضة يلتبس طريق الجمع بينها الا على سماسرة العلماء فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال عفي عن امتي ما حدثت به نفوسها وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها
عليه فان عملها فاكتبوها سيئة واحدة واذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة فان عملها فاكتبوها عشرا وقد اخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما
وهو دليل على العفو عن عمل القلب وهمه بالسيئة وفي لفظ اخر من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بسيئة
فلم يعملها لم تكتب وان عملها كتبت وفي لفظ اخر واذا تحدث بان يعمل سيئة فانا اغفرها له ما لم يعملها وكل ذلك يدل على العفو
فاما ما يدل على المؤاخذة فقوله تعالى ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وقوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم
ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا فدل على ان عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر فلا يعفى عنه وقال تعالى ولا تكتموا الشهادة
ومن يكتمها فانه اثم قلبه وقال تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والحق في هذه المسالة عندنا
لا يوقف عليه ما لم تقع الاحاطة بتفصيل اعمال القلوب من مبدا ظهورها الى ان يظهر العمل على الجوارح فنقول اول ما يرد على القلب الخاطر كما لو خطر
له مثلا صورة امراة وانها وراء ظهره في الطريق لو التفت اليها لراها والثاني هيجان الرغبة الى النظر وهو حركة الشهوة

التي في الطبع وهذا يتولد من الخاطر الاول ونسميه ميل الطبع ويسمى الاول حديث النفس **الثالث** حكم القلب بان هذا ينبغي ان يفعل اي ينظر اليها فان الطبع اذا مال لم تنبعث الهمة والنية ما لم تندفع الصوارف فانه قد يمنعه حياء او خوف من الله تعالى وتلك هذه الصوارف ربما تكون بتامل وهو على كل حال حكم من جهة العقل ويسمى هذا اعتقادا وهو يتبع الخاطر والميل **الرابع** تصميم العزم على الالتفات وجزم النية فيه وهذا نسميه هما بالفعل ونية وقصدا وهذا الهم قد يكون له مبدا ضعيف ولكن اذا اصغى القلب الى الخاطر الاول حتى طالت مجاذبته للنفس تاكد هذا الهم وصارت ارادة مجزومة فاذا انجزمت الارادة فربما يندم بعد الجزم فيترك العمل وربما يغفل بعارض فلا يعمل به ولا يلتفت اليه وربما يعوقه عائق فيتعذر عليه العمل فههنا اربعة احوال للقلب قبل العمل بالجارحة. الخاطر وهو حديث النفس ثم الميل ثم الاعتقاد ثم الهم

فنقول اما الخاطر فلا يؤاخذ به لانه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك الميل وهيجان الشهوة لانهما لا يدخلان ايضا تحت الاختيار وهما المرادان بقوله صلى الله عليه وسلم عفي عن امتي ما حدثت به انفسها فحديث النفس عبارة عن الخواطر التي تهجس في النفس ولا يتبعها عزم على الفعل فاما العزم والهم فلا يسمى حديث النفس بل حديث النفس كما روي عن عثمان بن مظعون حيث قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان نفسي تحدثني ان اطلق خولة قال مهلا ان من سنتي النكاح قال نفسي تحدثني ان اجب نفسي قال مهلا خصاء امتي دؤوب الصيام قال نفسي تحدثني ان اترهب قال مهلا ان رهبانية امتي الجهاد والحج قال نفسي تحدثني ان اترك اللحم قال مهلا فاني احبه ولو اصبته لاكلته ولو سالت الله تعالى لاطعمنيه فهذه الخواطر التي ليس معها عزم على الفعل هي حديث النفس ولذلك شاور رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لم يكن معه عزم وهم بالفعل واما الثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب بانه ينبغي ان يفعل فهذا مردد بين ان يكون اضطرارا او اختيارا والاحوال تختلف فيه فالاختياري منه يؤاخذ به والاضطراري لا يؤاخذ به واما الرابع وهو الهم بالفعل فانه يؤاخذ به الا انه ان لم يفعل نظر فان تركه خوفا من الله تعالى وندما على همه كتبت له حسنة لان همه سيئة وامتناعه ومجاهدته نفسه حسنة والهم على وفق الطبع لا يدل على تمام الغفلة عن الله عز وجل والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج الى قوة عظيمة فجده في مخالفة الطبع هو العمل لله تعالى والعمل لله تعالى اشد من جده في موافقة الشيطان بموافقة الطبع فكتب له حسنة لانه رجح جده في الامتناع وهمه به على همه بالفعل وان تعوق الفعل بعائق او تركه بعذر لا خوفا من الله تعالى كتبت له سيئة فان همه فعل من القلب اختياري والدليل على هذا التفصيل ما ورد في الصحيح مفصلا في لفظ الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد ان يعمل سيئة وهو ابصر به فقال ارقبوه فان عملها فاكتبوها بمثلها وان تركها فاكتبوها له حسنة انما تركها من جرائي وحيث قال فان لم يعملها اراد به تركها لله تعالى فاما اذا عزم على فاحشة فتعذرت عليه بسبب او بغفلة فكيف تكتب له حسنة وقد **قال** صلى الله عليه وسلم انما يحشر الناس على نياتهم ونحن نعلم ان من عزم ليلا على ان يصبح ليقتل مسلما او يزني بامراة فمات تلك الليلة مات مصرا ويحشر على نيته وقد هم بسيئة ولم يعملها والدليل القاطع فيه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار فقيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه اراد قتل صاحبه وهذا نص في انه صار من اهل النار بمجرد الارادة مع انه قتل مظلوما فكيف يظن ان الله تعالى لا يؤاخذ بالنية والهم بل كل هم دخل تحت اختيار العبد فهو مؤاخذ به الا ان يكفره بحسنة ونقض العزم بالندم حسنة ولذلك كتبت حسنة فاما فوات المراد بعائق فليس بحسنة واما الخواطر وحديث النفس وهيجان الرغبة فكل ذلك لا يدخل تحت الاختيار فالمؤاخذة به تكليف ما لا يطاق ولذلك لما نزل قوله تعالى ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله جاء ناس من الصحابة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا كلفنا ما لا نطيق ان احدنا ليحدث نفسه بما لا يحب ان يثبت في قلبه ثم يحاسب بذلك فقال صلى الله عليه وسلم لعلكم تقولون كما قالت بنو اسرائيل سمعنا وعصينا قولوا سمعنا واطعنا فانزل الله تعالى الفرج بقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها فظهر به ان كل ما لا يدخل تحت الوسع من اعمال القلب هو الذي لا يؤاخذ به فهذا هو كشف الغطاء عن هذا الالتباس وكل من يظن ان كل ما يجري على القلب يسمى حديث النفس ولم يفرق بين هذه الاقسام الثلاثة فلا بد وان يغلط وكيف لا يؤاخذ باعمال القلوب من الكبر والعجب والرياء والنفاق والحسد وجملة الخبائث من اعمال القلوب بل السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا اي ما يدخل تحت الاختيار فلو وقع البصر بغير اختيار على غير محرم لم يؤاخذ به فان اتبعها نظرة ثانية كان مؤاخذا به لانه مختار فكذا خواطر القلب تجري هذا المجرى بل القلب اولى بمؤاخذته لانه الاصل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التقوى ههنا واشار الى القلب وقال الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وقال صلى الله عليه وسلم الاثم حواز القلوب وقال صلى الله عليه وسلم البر ما اطمان اليه القلب

وان افتوك وافتوك حتى انا نقول اذا حكم قلب المفتي بايجاب شيء وكان مخطئا فيه صار مثابا على فعله بل من ظن انه متطهر فليس له ان يصلي فان صلى ثم تذكر انه لم يتوضا كان له ثواب بفعله وان تركه ثم تذكر كان معاقبا ومن وجد على فراشه امراة فظن انها زوجته لم يعص بوطئها وان كانت اجنبية وان ظن انها اجنبية ثم وطئها عصى وان كانت زوجته كل ذلك نظرا الى القلب دون الجوارح

بيان ان الوسواس هل ينقطع بالكلية عند الذكر ام لا

اعلم ان العلماء المراقبين للقلوب الناظرين في صفاتها وعجائبها اختلفوا في هذه المسالة على خمس فرق فقالت فرقة ان الوسوسة تنقطع بذكر الله تعالى لانه صلى الله عليه وسلم قال فاذا ذكر الله خنس والخنوس هو السكوت فكانه يسكت وقالت فرقة لا ينعدم اصله ولكن يجري في القلب ولا يكون له اثر لان القلب اذا صار مستوعبا بالذكر كان محجوبا عن التاثر بالوسوسة كالمشغول بهمته فانه قد يتكلم ولا يفهم وان كان الصوت يمر على سمعه وقالت فرقة لا تسقط الوسوسة ولا اثرها ايضا ولكن تسقط غلبتها للقلب فكانه يوسوس من بعد وعلى ضعف وقالت فرقة ينعدم عند الذكر في لحظة وينعدم الذكر في لحظة ويتعاقبان في ازمنة متقاربة يظن لتقاربها انها متساوقة وهي كالكرة التي عليها نقط متفرقة فانك اذا ادرتها بسرعة رايت النقط دوائر لسرعة تواصلها بالحركة واستدل هؤلاء بان الخنوس قد ورد ونحن نشاهد الوسوسة والذكر متساويان في القلب على الدوام لا تنقطع وكما ان الانسان قد يرى في حالة واحدة بعينه شيئين فكذلك القلب قد يكون مجرى لشيئين وقد **قال** رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد الا وله اربعة اعين عينان في راسه يبصر بهما امر دنياه وعينان في قلبه يبصر بهما امر دينه والى هذا ذهب المحاسبي والصحيح عندنا ان كل هذه المذاهب صحيحة ولكن كلها قاصرة عن الاحاطة باصناف الوساوس وانما نظر كل واحد الى صنف من الوسواس واخبر عنه والوسواس اصناف **الاول** ان يكون من جهة التلبيس بالحق فان الشيطان قد يلبس بالحق فيقول للانسان لا تترك التنعم باللذات فان العمر طويل والصبر عن الشهوات طول العمر الم عظيم فعند هذا اذا ذكر العبد عظيم حق الله تعالى وعظيم ثوابه وعقابه وقال لنفسه الصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار اشد منه ولا بد من احدهما فاذا ذكر العبد وعد الله ووعيده وجدد ايمانه ويقينه خنس الشيطان وهرب اذ لا يستطيع ان يقول ليس النار اشد من الصبر عن المعاصي ولا يمكنه ان يقول المعصية لا تفضي الى النار فان ايمانه بكتاب الله يدفعه عن ذلك فينقطع وسواسه وكذلك يوسوس اليه بالعجب بعمله ويقول اي عبد يعرف الله تعالى كما تعرفه ويعبده كما تعبده فما اعظم مكانك عند الله تعالى فيتذكر العبد حينئذ ان معرفته وقدرته وقلبه واعضاءه التي بها عمله وعلمه كل ذلك من خلق الله تعالى فمن اين يعجب به فيخنس الشيطان اذ لا يمكنه ان يقول ليس هذا من الله تعالى لان المعرفة والايمان يدفعه فهذا نوع من الوسواس ينقطع بالكلية عن العارفين المستبصرين بنور الايمان والمعرفة **الصنف الثاني** ان يكون وسوسته بتحريك الشهوة وتهييجها وهذا ينقسم الى ما يعلم العبد يقينا انه معصية والى ما يظنه بغالب الظن فان علم يقينا خنس الشيطان عن تهييج يؤثر في التحريك ولم يخنس عن التهييج وان كان مظنونا فربما يبقى مؤثرا بحيث يحتاج الى مجاهدة في دفعه فتكون الوسوسة موجودة ولكنها مدفوعة غير غالبة

الثالث

الصنف الثالث ان تكون وسوسته بمجرد الخواطر وتذكر الاحوال الغائبة والتفكر في غير الصلاة مثلا فاذا اقبل على الذكر تصور ان يندفع ساعة ويعود ويندفع ويعود فيتعاقب الذكر والوسوسة ويتصور ان يتساوقا جميعا حتى يكون الفهم مشتملا على فهم معنى القراءة وعلى تلك الخواطر كانهما في موضعين من القلب وبعيد جدا ان يندفع هذا الجنس بالكلية بحيث لا يخطر ولكنه ليس محالا اذ قال صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من امر الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه فلولا انه متصور لما ذكره الا انه لا يتصور ذلك الا في قلب استولى عليه الحب حتى صار كالمستهتر فانا قد نرى المستوعب القلب بعدو قد يتفكر مقدار ركعتين وركعات في مجادلة عدوه بحيث لا يخطر بباله غيره وكذا المستغرق بالحب قد يتفكر في محادثة محبوبه بقلبه ويغوص في فكره بحيث لا يخطر بباله غير حديث محبوبه ولو كلمه غيره لم يسمع ولو اجتاز احد بين يديه لكان كانه لا يراه واذا تصور هذا من خوف عدو وعند الحرص على جاه ومال فكيف لا يتصور من خوف النار والحرص على الجنة ولكن ذلك عزيز لضعف الايمان بالله واليوم الاخر فاذا تاملت جملة هذه الاقسام واصناف الوسواس علمت ان لكل مذهب من المذاهب وجها ولكن في محل مخصوص وبالجملة فالخلاص من الشيطان في لحظة او ساعة غير بعيد ولكن الخلاص منه عمرا طويلا بعيد جدا ومحال في الوجود ولو تخلص احد من وساوس الشيطان بالخواطر وتهييج الرغبة لتخلص رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روي انه صلى الله عليه وسلم نظر الى علم ثوبه في الصلاة فلما سلم رمى بذلك الثوب وقال شغلني عن الصلاة وكان في يده خاتم من ذهب فنظر اليه وهو على المنبر ثم رماه وقال نظرة اليه ونظرة اليكم وكان ذلك لوسوسة الشيطان بتحريك لذة النظر الى خاتم الذهب وعلم الثوب وكان ذلك قبل تحريم الذهب فلذلك لبسه ثم رماه فلا تنقطع وسوسة عروض الدنيا ونقودها الا بالرمي والمفارقة فما دام يملك شيئا وراء حاجته ولو دينار واحد فلا يدعه الشيطان في صلاته عن الفكر في ديناره انه كيف يحفظه وفيما ينفقه وكيف يخفيه حتى لا يعلم به احد وكيف

بظهوره حتى يباهي به الغمر الذي من الوسواس فمن انس بمحالبه في الدنيا وطمع في ان يتخلص من الشيطان كان كمن انغمس في العسل وظن
ان الذباب لا يقع عليه وهو محال فالدنيا باب عظيم لوساوس الشيطان وليس له باب واحد بل ابواب قال حكيم من الحكماء الشيطان
ياتي ابن ادم من قبل المعاصي فان امتنع اتاه من وجه النصيحة حتى يلقيه في بدعة فان ابى امره بالتحرج والشدة حتى يحرم ما ليس بحرام
فان ابى شككه في وضوئه وصلاته حتى يخرجه عن العلم فان ابى خفف عليه اعمال البر حتى يراه الناس صابرا عفيفا فتميل قلوبهم اليه فيعجب
به نفسه وبه يهلكه وعند ذلك تشتد الحاجة فانها اخر درجة ويعلم انه لو جاوزها افلت منه الى الجنة

بيان سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب

اعلم ان القلب كما ذكرناه تكتنفه الصفات التي ذكرناها وتنصب اليه الاثار والاحوال من الابواب التي وصفناها فكانه هدف
يصاب على الدوام من كل جانب فاذا اصابه شيء يتاثر به اصابه من جانب اخر ما يضاده فتتغير صفته فان نزل الشيطان فدعاه الى
الهوى نزل الملك به ودعاه وصرفه عنه وان جذبه شيطان الى شر جذبه شيطان اخر الى غيره وان جذبه ملك الى خير جذبه اخر
الى غيره فتارة يكون متنازعا بين ملكين وتارة بين ملك وشيطان وتارة بين شيطانين ولا يكون قط مهملا واليه الاشارة بقوله تعالى ونقلب
افئدتهم وابصارهم ولاطلاع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عظيم صنع الله تعالى في عجائب القلب وتقلبه كان يحلف به فيقول لا ومقلب القلوب
وكان كثيرا ما يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا او تخاف يا رسول الله فقال وما يؤمنني والقلب بين اصبعين من اصابع الرحمن
يقلبه كيف يشاء وفي لفظ اخر ان شاء ان يقيمه اقامه وان شاء ان يزيغه ازاغه وضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة امثلة
فقال مثل القلب مثل العصفور يتقلب كل ساعة وقال مثل القلب في تقلبه مثل القدر اذا استجمعت غليانا وقال مثل القلب كمثل
ريشة بارض فلاة تقلبها الرياح ظهرا لبطن وهذه التقلبات وعجائب صنع الله تعالى في تقلبها من حيث لا يهتدي اليه المعرفة لا يعرفها الا المراقبون
لقلوبهم والمراعون لاحوالهم مع الله تعالى والقلوب في الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلثة قلب عمر بالتقوى وزكي بالرياضة وطهر عن خبائث
الاخلاق تنقدح فيه خواطر الخير من خزائن الغيب ومداخل الملكوت فينصرف العقل الى التفكر فيما خطر ليعرف دقائق الخير فيه ويطلع على اسرار
فوائده فينكشف له بنور البصيرة وجهه فيحكم بانه لا بد من فعله فيستحثه عليه ويدعوه الى العمل به وينظر الملك الى القلب فيجده طيبا في جوهره
طاهرا بتقواه مستنيرا بضياء العقل معمورا بانوار المعرفة فيراه صالحا لان يكون مستقرا له ومهبطا فعند ذلك يمده بجنود لا ترى
ويهديه الى خيرات اخرى حتى ينجر الخير الى الخير وكذلك على الدوام ولا يتناهى امداده بالترغيب في الخير وتيسير الامر عليه واليه الاشارة
بقوله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وفي مثل هذا القلب يشرق نور المصباح من مشكاة الربوبية حتى لا يخفى
فيه الشرك الخفي الذي هو اخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء ولا يخفى على هذا النور خافية ولا يروج عليه شيء من مكايد الشيطان بل يقف
الشيطان ويوحي زخرف القول غرورا فلا يلتفت اليه وهذا القلب بعد طهارته من المهلكات يصير على القرب معمورا بالمنجيات التي سنذكرها
من الصبر والشكر والخوف والرجاء والفقر والزهد والمحبة والرضا والشوق والتوكل والتفكر والمحاسبة وغير ذلك وهو القلب الذي اقبل الله
عليه بوجهه وهو القلب المطمئن المراد بقوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب وبقوله عز وجل يا ايتها النفس المطمئنة

القلب الثاني القلب المخذول المشحون بالهوى المدنس
بالخبائث الملوث بالاخلاق الذميمة المنفتحة فيه ابواب الشياطين المنسدة عنه ابواب الملائكة ومبدأ الشر فيه ان ينقدح فيه خاطر من
الهوى ويهجس فيه فينظر القلب الى حاكم العقل ليستفتي منه ويستكشف منه وجه الصواب فيه فيكون العقل قد الف خدمة الهوى وانس به
واستمر على استنباط الحيل له وعلى مساعدة الهوى ومساعدته فتستولي النفس وتساعد عليه فينشرح الصدر بالهوى وتنبسط فيه
ظلماته لانحباس جند العقل عن مدافعته فيقوى سلطان الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى فيقبل عليه بالتزيين والغرور
والاماني ويوحي بذلك زخرفا من القول غرورا فيضعف سلطان الايمان بالوعد والوعيد ويخبو نور اليقين لخوف الاخرة اذ
يتصاعد من الهوى دخان مظلم الى القلب يملا جوانبه حتى تنطفئ انواره فيصير العقل كالعين التي ملا الدخان اجفانها فلا يقدر على ان
ينظر وهكذا تفعل غلبة الشهوة بالقلب حتى لا يبقى للقلب امكان التوقف والاستبصار ولو بصره واعظ واسمعه ما هو الحق فيه
عمي عن الفهم وصم عن السمع وهاجت الشهوة وسطا الشيطان وتحركت الجوارح على وفق الهوى فظهرت المعصية الى عالم الشهادة
من خزائن الغيب بقضاء من الله تعالى وقدره والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله تعالى ارايت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا ام تحسب ان
اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا وبقوله تعالى لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون وبقوله سواء
عليهم اانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ورب قلب هذا حاله بالاضافة الى جميع الشهوات ورب قلب هذا حاله بالاضافة الى بعض الشهوات
كالذي يتورع عن بعض الاشياء ولكنه اذا راى وجها حسنا لم يملك عينه وقلبه وطاش عقله وسقط مساك قلبه او كالذي لا يملك

نفسه فيما فيه الجاه والرياسة والكبر ولا يبقى معه مسكة للتثبت عند ظهور اسبابه او كالذي لا يملك نفسه عند الغضب مهما استحقر
او ذكر عيب من عيوبه او كالذي لا يملك نفسه عند القدرة على اخذ درهم او دينار بل يتهالك عليه تهالك الواله المستهتر فينسى فيه المروءة
والتقوى وكل ذلك لتصاعد دخان الهوى الى القلب حتى يظلم وتنطفئ منه انواره فينطفئ نور الحياء والمروءة والايمان ويسعى في تحصيل
مراد الشيطان

القلب الثالث قلب تبدو فيه خواطر الهوى فتدعوه الى الشر فيلحقه خاطر الايمان فيدعوه الى الخير
فتنبعث النفس بشهوتها الى نصرة خاطر الشر فتقوى الشهوة وتحسن التمتع والتنعم فينبعث العقل الى خاطر الخير ويدفع في وجه الشهوة ويقبح
فعلها وينسبها الى الجهل ويشبهها بالبهيمة والسبع في تهجمها على الشر وقلة اكتراثها بالعواقب فتميل النفس الى نصح العقل فيحمل الشيطان حملة
على العقل ويقوي داعي الهوى ويقول ما هذا التحرج البارد ولم تمتنع عن هواك فتؤذي نفسك وهل ترى احدا من اهل عصرك يخالف هواه او
يترك غرضه افتترك لهم ملاذ الدنيا يتمتعون بها وتحجر على نفسك حتى تبقى محروما شقيا متعوبا يضحك عليك اهل الزمان اتريد ان يزيد
منصبك على فلان وفلان وقد فعلوا مثل ما اشتهيت ولم يمتنعوا اما ترى العالم الفلاني ليس يحترز عن مثل ذلك ولو
كان ذلك شرا لامتنع منه فتميل النفس الى الشيطان وتنقلب اليه فيحمل الملك حملة على الشيطان ويقول هل هلك الا من اتبع لذة الحال ونسي العاقبة
افتقنع بلذة يسيرة وتترك لذة الجنة ونعيمها ابد الاباد ام تستثقل الصبر عن شهوة ولا تستثقل الم النار اتغتر بغفلة الناس عن
انفسهم واتباعهم هواهم ومساعدتهم الشيطان مع ان عذاب النار لا يخففه عنك معصية غيرك ارايت لو كنت في يوم صائف شديد الحر ووقف
الناس كلهم في الشمس وكان لك بيت بارد اكنت تساعد الناس ام تطلب لنفسك الخلاص فكيف تخالف الناس خوفا من حر الشمس ولا تخالفهم
خوفا من حر النار فعند ذلك تميل النفس الى قول الملك ولا يزال يتردد بين الجندين متجاذبا بين الحزبين الى ان يغلب على القلب ما هو
اولى به فان كانت الصفات التي في القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية التي ذكرناها غلب الشيطان ومال القلب الى جنسه من احزاب الشياطين
معرضا عن حزب الله تعالى واوليائه ومساعدا لحزب الشيطان واعدائه وجرى على جوارحه بسابق القدر ما هو سبب بعده عن الله تعالى وان كان الاغلب
على القلب الصفات الملكية لم يصغ القلب الى اغواء الشيطان وتحريضه اياه على العاجلة وتهوينه امر الاخرة بل مال الى حزب الله تعالى وظهرت الطاعة
بموجب ما سبق من القضاء على جوارحه فقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن اي بين تجاذب هذين الجندين وهو الغالب اعني التقلب والانتقال من حزب
الى حزب اما الثبات على الدوام مع حزب الملائكة او حزب الشياطين فنادر من الجانبين وهذه الطاعات والمعاصي تظهر من خزائن الغيب الى عالم الشهادة بواسطة خزانة القلب
فانه من خزائن الملكوت وهي ايضا اذا ظهرت كانت علامات تعرف ارباب القلوب سابق القضاء فمن خلق للجنة يسرت له اسباب الطاعات ومن خلق للنار
يسرت له اسباب المعاصي وسلط عليه اقران السوء والقي في قلبه حكم الشيطان فانه بانواع الحكم يغر الحمقى بقوله ان الله رحيم فلا تبال وان الناس كلهم ما
يخافون الله تعالى فلا تخالفهم وان العمر طويل فاصبر حتى تتوب غدا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا يعدهم بالتوبة ويمنيهم بالمغفرة
فيهلكهم باذن الله تعالى بهذه الحيل وما يجري مجراها فيوسع قلبه لقبول الغرور ويضيقه عن قبول الحق وكل ذلك بقضاء من الله وقدره فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره
للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده فهو الهادي
والمضل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه خلق الجنة وخلق لها اهلا فاستعملهم بالطاعة وخلق النار وخلق لها اهلا
فاستعملهم بالمعاصي وعرف الخلق علامة اهل الجنة واهل النار فقال ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم ثم قال فيما روي عن نبينا صلى الله عليه وسلم
هؤلاء في الجنة ولا ابالي وهؤلاء في النار ولا ابالي فتعالى الله الملك الحق لا يسال عما يفعل وهم يسالون ولنقتصر على هذا القدر اليسير من ذكر عجائب القلب
فان استقصاءه لا يليق بعلم المعاملة وانما ذكرنا منه ما يحتاج اليه لمعرفة اغوار علوم المعاملة واسرارها لينتفع بها من لا يقنع بالظواهر ولا يجتزي
بالقشر عن اللباب بل يتشوق الى معرفة دقائق حقائق الاسباب وفيما ذكرناه كفاية له ومقنع ان شاء الله تعالى اخر كتاب عجائب القلب ويتلوه كتاب رياضة النفس

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي صرف امور عباده بتدبيره وعدل تركيب خلقه فاحسن في تصويره وزين صورة الانسان بحسن تقويمه وتقديره وحرسه
من الزيادة والنقصان في شكله ومقاديره وفوض تحسين الاخلاق الى اجتهاد العبد وتشميره واستحثه على تهذيبها بتخويفه وتحذيره
وسهل على خواص عباده تهذيب الاخلاق بتوفيقه وتيسيره وامتن عليهم بتسهيل عسيره والصلاة على محمد عبد الله ونبيه وحبيبه وصفيه
وبشيره ونذيره الذي كان يلوح انوار النبوة من بين اساريره ويستشرف حقيقة الحق من مخايله وتباشيره وعلى اله واصحابه الذين
طهروا وجه الاسلام من ظلمة الكفر ودياجيره وحسموا مادة الباطل فلم يتدنسوا بقليله ولا بكثيره **اما بعد**

فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين وافضل اعمال الصديقين وهو على التحقيق شطر الدين وهو ثمرة مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين والاخلاق السيئة هي السموم القاتلة والمهلكات الدامغة والمخازي الفاضحة والرذائل الواضحة والخبائث المبعدة عن جوار رب العالمين المنخرطة بصاحبها في سلك الشيطان اللعين وهي الابواب المفتوحة من القلب الى نعيم الجنان وجوار الرحمن فالاخلاق الخبيثة امراض القلوب واسقام النفوس الا انه مرض يفوت حياة الابد واين منه المرض الذي لا يفوت الا حياة الجسد ومهما اشتدت عناية الاطباء بضبط قوانين العلاج للابدان لامراض القلوب وفيها فوت حياة باقية اولى وهذا النوع من الطب واجب تعلمه على كل ذي لب اذ لا يخلو قلب من القلوب عن اسقام لو اهملت تراكمت وترادفت العلل وتظاهرت فيحتاج العبد الى تأنق في معرفة عللها واسبابها ثم الى التشمير في علاجها واصلاحها فمعالجتها هو المراد بقوله تعالى قد افلح من زكاها واهمالها هو المراد بقوله وقد خاب من دساها ونحن نشير في هذا الكتاب الى جمل من امراض القلوب وكيفية القول في معالجتها على الجملة من غير تفصيل لعلاج خصوص الامراض فان ذلك يأتي في بقية الكتب من هذا الربع وغرضنا الآن النظر الكلي في تهذيب الاخلاق وتمهيد منهاجها ونحن نذكر ذلك ونجعل علاج البدن مثالا له ليقرب من الافهام دركه ويتضح ذلك ببيان فضيلة حسن الخلق ثم بيان قبول الاخلاق للتغير بالرياضة ثم بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق ثم بيان تفصيل الطرق الى تهذيب الاخلاق ورياضة النفوس ثم بيان العلامات التي بها يعرف مرض القلوب ثم بيان الطريق الذي به يعرف الانسان عيوب نفسه ثم بيان شواهد النقل على ان الطريق المعالجة للقلوب بترك الشهوات لا غير ثم بيان علامات حسن الخلق ثم بيان الطريق في رياضة الصبيان في اول النشوء ثم بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة وهي احد عشر فصلا تجمع مقاصد الكتاب ان شاء الله تعالى

بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق

قال الله تعالى لنبيه وحبيبه مثنيا عليه ومظهرا نعمته لديه وانك لعلى خلق عظيم وقالت عائشة رضي الله عنها كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن قوله عز وجل خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين ثم قال صلى الله عليه وسلم هو ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم محاسن الاخلاق وقال صلى الله عليه وسلم اثقل ما يوضع في الميزان خلق حسن وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال يا رسول الله ما الدين فقال حسن الخلق ثم اتاه من قبل يمينه فقال ما الدين فقال حسن الخلق ثم اتاه من ورائه فقال ما الدين فالتفت اليه وقال اما تفقه هو ان لا تغضب وقيل يا رسول الله ما الشؤم قال سوء الخلق وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني فقال اتق الله حيث كنت قال زدني قال اتبع السيئة الحسنة تمحها قال زدني قال خالق الناس بخلق حسن وسئل صلى الله عليه وسلم اي الاعمال افضل فقال حسن الخلق وقال صلى الله عليه وسلم ما حسن الله خلق امرئ وخلقه فيطعمه النار وقال الفضيل قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها قال لا خير فيها هي من اهل النار وقال ابو الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اول ما يوضع في الميزان حسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الايمان قال اللهم قوني فقواه بحسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الكفر قال اللهم قوني فقواه بالبخل وسوء الخلق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم الا السخاء وحسن الخلق الا فزينوا دينكم بهما وقال صلى الله عليه وسلم حسن الخلق خلق الله الاعظم وقيل يا رسول الله اي المؤمنين افضل ايمانا قال احسنهم خلقا وقال صلى الله عليه وسلم انكم لن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق وقال ايضا سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وعن جرير بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك امرؤ قد حسن الله خلقك فاحسن خلقك وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها واحسنهم خلقا وعن ابي مسعود البدري قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي وعن عبد الله بن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الدعاء يقول اللهم اني اسألك الصحة والعافية وحسن الخلق وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كرم المرء دينه ومروءته عقله وحسبه خلقه وعن اسامة بن شريك قال شهدت الاعاريب يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون ما خير ما اعطي العبد قال خلق حسن وقال صلى الله عليه وسلم ان احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيامة احاسنكم اخلاقا وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من لم تكن فيه او واحدة منهن فلا تعتدوا بشيء من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله عز وجل او حلم يكف به السفيه او خلق يعيش به في الناس وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم في افتتاح الصلاة اللهم اهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا انت وقال انس بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال ان حسن الخلق ليذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد وقال صلى الله عليه وسلم من سعادة المرء حسن الخلق وقال صلى الله عليه وسلم اليمن حسن الخلق وقال صلى الله عليه وسلم لابي ذر يا ابا ذر لا عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق وعن انس قالت ام حبيبة يا رسول الله ارايت المرأة يكون لها زوجان في الدنيا فتموت ويموتان ويدخلون الجنة لايهما تكون قال لاحسنهما خلقا كان عندها في الدنيا يا ام حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة وقال صلى الله عليه وسلم

ان المسلم المسدد ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه وكرم ضريبته وفي رواية درجة الظمآن في الهواجر وقال عبد الرحمن بن سمرة كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا من امتي جاثيا على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب فجاء حسن خلقه فادخله على الله تعالى وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وانه لضعيف العبادة وروي ان عمر رضي الله عنه استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من نساء قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية اصواتهن على صوته فلما استأذن عمر تبادرن الحجاب فدخل عمر ورسول الله عليه الصلاة والسلام يضحك فقال عمر مم تضحك بابي انت وامي يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم عجبت لهؤلاء اللاتي كن عندي لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب فقال عمر انت كنت احق ان يهبنك يا رسول الله ثم اقبل عليهن عمر فقال اي عدوات انفسهن اتهبنني ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن نعم انت اغلظ وافظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله ايها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك وقال صلى الله عليه وسلم سوء الخلق ذنب لا يغفر وسوء الظن خطيئة تفوح وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليبلغ من سوء خلقه اسفل درك جهنم

الآثار

قال ابن لقمان الحكيم لابيه يا ابت اي الخصال من الانسان خير قال الدين قال فاذا كانت اثنتين قال الدين والمال قال فاذا كانت ثلاثا قال الدين والمال والحياء قال فاذا كانت اربعا قال الدين والمال والحياء وحسن الخلق قال فاذا كانت خمسا قال الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء قال فاذا كانت ستا قال يا بني اذا اجتمعت فيه الخمس فهو نقي تقي ولله ولي ومن الشيطان بري وقال الحسن من ساء خلقه عذب نفسه وقال انس بن مالك ان العبد ليبلغ بحسن خلقه اعلى درجة في الجنة وهو غير عابد ويبلغ بسوء خلقه اسفل درك في النار وهو عابد وقال يحيى بن معاذ في سعة الاخلاق كنوز الارزاق وقال وهب بن منبه مثل السيء الخلق كمثل الفخارة المكسورة لا ترقع ولا تعاد طينا وقال الفضيل لان يصحبني فاجر حسن الخلق احب الي من ان يصحبني عابد سيء الخلق وصحب ابن المبارك رجلا سيء الخلق في سفره فكان يحتمل منه ويداريه فلما فارقه بكى فقيل له في ذلك فقال بكيته رحمة له فارقته وخلقه معه لم يفارقه وقال الجنيد اربع ترفع العبد الى اعلى الدرجات وان قل عمله وعلمه الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق وهو كمال الايمان وقال الكتاني التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف وقال عمر رضي الله عنه خالطوا الناس بالاخلاق وزايلوهم بالاعمال وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة لا تضر معها كثرة السيئات وسئل ابن عباس ما الكرم فقال هو ما بين الله في كتابه العزيز ان اكرمكم عند الله اتقاكم قيل فما الحسب قال احسنكم خلقا افضلكم حسبا وقيل لكل بنيان اساس واساس الايمان حسن الخلق وقال عطاء ما ارتفع من ارتفع الا بالخلق الحسن ولم ينل احد كماله الا المصطفى صلى الله عليه وسلم فاقرب الخلق الى الله عز وجل السالكون آثاره بحسن الخلق

بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق

اعلم ان الناس قد تكلموا في حقيقة حسن الخلق وانه ما هو وما تعرضوا لحقيقته وانما تعرضوا لثمرته ثم لم يستوعبوا جميع ثمراته بل ذكر كل واحد من ثمراته ما خطر له وما كان حاضرا في ذهنه ولم يصرفوا العناية الى ذكر حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب وذلك كقول الحسن حسن الخلق بسط الوجه وبذل الندى وكف الاذى وقال الواسطي هو ان لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله تعالى وقال شاه الكرماني هو كف الاذى واحتمال المؤن وقال بعضهم هو ان تكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا وقال الواسطي هو ارضاء الخلق في السراء والضراء وقال ابو عثمان هو الرضا عن الله تعالى وسئل سهل عن الخلق الحسن فقال ادناه الاحتمال وترك المكافأة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه وقال مرة ان لا يتهم الحق في الرزق ويثق به ويسكن الى الوفاء بما ضمن فيطيعه ولا يعصيه في جميع الامور فيما بينه وبينه وفيما بينه وبين الخلق وقال علي كرم الله وجهه حسن الخلق في ثلاث خصال اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسيع على العيال وقال الحسين بن منصور هو ان لا يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك الحق وقال ابو سعيد الخراز هو ان لا يكون لك هم غير الله تعالى فهذا وامثاله كثير وهو تعرض لثمرات حسن الخلق لا لنفسه ثم ليس هو محيطا بجميع الثمرات ايضا وكشف الغطاء عن الحقيقة اولى من نقل الاقاويل المختلفة فنقول الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معا يقال فلان حسن الخلق والخلق اي حسن الظاهر والباطن فيراد بالخلق الصورة الظاهرة ويراد بالخلق الصورة الباطنة وذلك لان الانسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة ولكل واحد منهما هيئة وصورة اما قبيحة واما جميلة والنفس المدركة بالبصيرة اعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر ولذلك عظم الله امره باضافته الى نفسه فقال تعالى اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين

والمراد بالروح والنفس في هذا المقام واحد فالخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية فان كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت الهيئة خلقا حسنا وان كان الصادر عنها الافعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا وانما قلنا انها هيئة راسخة لان من يصدر منه بذل المال على الندور بحالة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ وانما شرطنا ان تصدر منه الافعال بسهولة من غير روية لان من تكلف بذل المال او السكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم فههنا اربعة امور احدها فعل الجميل والقبيح والثاني القدرة عليهما والثالث المعرفة بهما والرابع هيئة للنفس بها تميل الى احد الجانبين ويتيسر عليها احد الامرين اما الحسن واما القبيح وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل اما لفقد المال او لمانع وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل اما لباعث او لرياء وليس هو عبارة عن القوة لان نسبة القوة الى الامساك والاعطاء بل الى الضدين واحد وكل انسان خلق بالفطرة قادر على الاعطاء والامساك وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء وليس هو عبارة عن المعرفة فان المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعا على وجه واحد بل هو عبارة عن المعنى الرابع وهي الهيئة التي بها تستعد النفس لان يصدر منها الامساك او البذل فالخلق اذا عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة وكما ان الصورة الظاهرة مطلقا لا تتم بحسن العينين دون الانف والفم والخد بل لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر فكذلك في الباطن اربعة اركان لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق فاذا استوت الاركان الاربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق وهي قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلث اما قوة العلم فحسنها وصلاحها في ان تصير بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب في الاقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجميل والقبيح في الاحوال فاذا صلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة رأس الاخلاق الحسنة وهي التي قال الله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا واما قوة الغضب فحسنها في ان يصير انقباضها وانبساطها على حد ما تقتضيه الحكمة وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها في ان تكون تحت اشارة الحكمة اعني اشارة الدين والعقل واما قوة العدل فهو ضبط قوة منزلتها منزلة المنفذ الممضي لاشارة العقل والغضب هو الذي تنفذ فيه الاشارة ومثال الغضب مثال كلب الصيد فانه يحتاج الى ان يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب الاشارة لا بحسب هيجان النفس والشهوة مثالها مثال الفرس الذي يركب في طلب الصيد فانه تارة يكون مروضا مؤدبا وتارة يكون جموحا فمن استوت فيه هذه الصفات واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا ومن اعتدل فيه بعضها دون بعض فهو حسن الخلق بالاضافة الى ذلك المعنى خاصة كالذي يحسن بعض اجزاء وجهه دون بعض وحسن القوة الغضبية واعتدالها يعبر عنه بالشجاعة وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنه بالعفة وان مالت قوة الغضب عن الاعتدال الى طرف الزيادة سمي ذلك تهورا وان مالت الى الضعف والنقصان سمي ذلك جبنا وخورا وان مالت قوة الشهوة الى طرف الزيادة سمي شرها فان مالت الى النقصان سمي جمودا والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة والطرفان رذيلتان مذمومتان والعدل اذا فات فليس له طرفان زيادة ونقصان بل له ضد واحد وهو الجور واما الحكمة فيسمى افراطها عند الاستعمال في الاغراض الفاسدة خبثا وجربزة ويسمى تفريطها بلها والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة فاذن امهات الاخلاق واصولها اربعة الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ونعني بالحكمة حالة للنفس بها يدرك الصواب من الخطأ في جميع الافعال الاختيارية ونعني بالعدل حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة وتحملهما على مقتضى الحكمة وتضبطهما في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها ونعني بالشجاعة كون قوة الغضب منقادة للعقل في اقدامها واحجامها ونعني بالعفة تأدب قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع فمن اعتدال هذه الاصول الاربعة تصدر الاخلاق الجميلة كلها اذ من اعتدال قوة العقل يصدر حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الرأي واصابة الظن والتفطن لدقائق الاعمال وخفايا آفات النفوس ومن افراطها يصدر الجربزة والمكر والخداع والدهاء ومن تفريطها يصدر البله والغمارة والحمق والجنون واعني بالغمارة قلة التجربة في الامور مع سلامة التخيل فقد يكون الانسان غمرا في شيء دون شيء والفرق بين الحمق والجنون ان الاحمق مقصوده صحيح ولكن سلوكه الطريق فاسد فلا يكون له روية صحيحة في طريق الوصول الى الغرض واما المجنون فانه يختار ما لا ينبغي ان يختار فيكون اصل ايثاره واختياره فاسدا واما خلق الشجاعة فيصدر منه الكرم والنجدة والشهامة وكسر النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتودد وامثالها وهي اخلاق محمودة واما افراطها وهو التهور فيصدر منه الصلف والبذخ والاستشاطة والتكبر والعجب واما تفريطها فيصدر منه المهانة والذلة والجزع والخساسة وصغر النفس والانقباض عن تناول الحق الواجب

واما خلق العفة فيصدر منه السخاء والحياء والصبر والمسامحة والقناعة والورع واللطافة والمساعدة والظرف وقلة الطمع واما ميلها الى الافراط والتفريط فيصدر منه الحرص والشره والوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والملق والحسد والشماتة والتذلل للاغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك فامهات محاسن الاخلاق هذه الفضائل الاربع وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل والباقي فروعها ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الاربع الا رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه فكل من قرب منه في هذه الاخلاق استحق ان يكون بين الخلق ملكا مطاعا يرجع الخلق كلهم اليه ويقتدون به في جميع الافعال ومن انفك عن جملة هذه الافعال كلها واتصف باضدادها استحق ان يخرج من بين البلاد والعباد فانه قد قرب من الشيطان اللعين المبعد فينبغي ان يبعد كما ان الاول قد قرب من الملك المقرب فينبغي ان يقتدى به ويتقرب اليه ولم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ليتمم مكارم الاخلاق كما قال صلى الله عليه وسلم وقد اشار القرآن الى هذه الاخلاق في اوصاف المؤمنين فقال تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم اولئك هم الصادقون فالايمان بالله ورسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي يرجع الى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع الى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال وقد وصف الله تعالى الصحابة فقال اشداء على الكفار رحماء بينهم اشارة الى ان للشدة موضعا وللرحمة موضعا وليس الكمال في الشدة بكل حال ولا في الرحمة بكل حال فهذا بيان معنى الخلق وحسنه وقبحه وبيان اركانه

بيان قبول الاخلاق للتغيير بطريق الرياضة

اعلم ان بعض من غلبت البطالة عليه استثقل الرياضة والمجاهدة والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق ولم تسمح نفسه بان يكون ذلك لقصوره ونقصه وخبث دخلته فزعم ان الاخلاق لا يتصور تغييرها وان الطباع لا تتغير واستدل فيه بامرين احدهما ان الخلق هو صورة الباطن كما ان الخلق صورة الظاهر والصورة الظاهرة لا يقدر على تغييرها والطويل لا يمكن ان يجعل نفسه قصيرا ولا القصير يقدر ان يجعل نفسه طويلا ولا القبيح يقدر على تحسين صورته فكذلك القبح الباطن يجري هذا المجرى والثاني انهم قالوا حسن الخلق بقمع الغضب والشهوة وقد جربناه الا بطول المجاهدة وعرفنا ان ذلك من مقتضى المزاج والطبع فانه قط لا ينقطع عن الآدمي فاشتغاله به تضييع زمان بغير فائدة فان المطلوب هو قطع التفات القلب الى الحظوظ العاجلة وذلك محال وجوده

فنقول لو كانت الاخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسنوا اخلاقكم وكيف ينكر هذا في حق الآدمي وتغيير خلق البهيمة ممكن اذ ينقل الصيد من التوحش الى الانس والكلب من شره الاكل الى التأدب والامساك والفرس من الجماح الى السلاسة والانقياد وكل ذلك تغيير للاخلاق والقول الكاشف للغطاء عن ذلك ان نقول الموجودات منقسمة الى ما لا مدخل للانسان واختياره في اصله وتفصيله كالسماء والكواكب بل اعضاء البدن داخلا وخارجا وسائر اجزاء الحيوانات وبالجملة كل ما هو حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكماله والى ما وجد وجودا ناقصا وجعل فيه قوة لقبول الكمال بعد ان وجد شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار العبد فان النواة ليست بتفاح ولا نخل الا انها خلقت خلقة يمكن ان تصير نخلا اذا انضاف اليها التربية ولا تصير تفاحا اصلا الا بالتربية فاذا صارت النواة متأثرة بالاختيار حتى تقبل بعض الاحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة لو اردنا قمعهما وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما اثر لم نقدر عليه اصلا ولو اردنا اسلاسهما وقودهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه وقد امرنا بذلك وصار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا الى الله تعالى نعم الجبلات مختلفة بعضها سريعة القبول ولاختلافها سببان احدهما قوة الغريزة في اصل الجبلة وامتداد مدة الوجود فان قوة الشهوة والغضب والتكبر موجودة في الانسان ولكن اصعبها امرا واعصاها على التغيير قوة الشهوة فانها اقدم وجودا اذ الصبي في مبدأ الفطرة يخلق له الشهوة ثم بعد سبع سنين ربما يخلق له الغضب وبعد ذلك يخلق له قوة التمييز والسبب الثاني ان الخلق قد يتأكد بكثرة العمل بمقتضاه والطاعة له وباعتقاد كونه حسنا ومرضيا والناس فيه على اربع مراتب الاولى الانسان الغفل الذي لا يميز بين الحق والباطل والجميل والقبيح بل بقي كما فطر عليه خاليا عن جميع الاعتقادات ولم تستتم شهوته باتباع اللذات فهذا سريع القبول للعلاج جدا فلا يحتاج الا الى معلم ومرشد والى باعث من نفسه يحمله على المجاهدة فيحسن خلقه في اقرب زمان الثانية ان يكون قد عرف قبح القبيح ولكنه لم يتعود العمل الصالح بل زين له سوء عمله فتعاطاه انقيادا لشهواته واعراضا عن صواب رأيه لاستيلاء الشهوة عليه لكن علم تقصيره في عمله فامره اصعب من الاول اذ تضاعفت الوظيفة عليه اذ عليه قلع ما رسخ في نفسه من كثرة التعود للفساد والآخر ان يغرس في نفسه صفة التعود للصلاح ولكنه بالجملة محل قابل للرياضة ان انتهض لها بجد وتشمير وعزم الثالثة ان يعتقد في الاخلاق القبيحة انها الواجبة المستحسنة وانها حق وجميل وتربى عليها فهذا يكاد

معلمة بل نرجو صلاحها الا على الندور وذلك لتضاعف اسباب الضلال **الرابعة** ان يكون مع وقوع نشوه على الرأي الفاسد
وتربيته على العمل به يرى الفضيلة في كثرة الشر واستهلاك النفوس ويباهي به ويظن ان ذلك يرفع من قدره وهذا هو اصعب المراتب
وفي مثله قيل من التعذيب تهذيب الذيب والاول من هؤلاء جاهل فقط والثاني جاهل وضال فقط والثالث جاهل
وضال وفاسق والرابع جاهل وضال وفاسق وشرير واما الخيال الاخر وهو ان الآدمي ما دام حيا فلا ينقطع عنه الغضب
والشهوة وحب الدنيا وسائر هذه الاخلاق فهذا غلط وقع لطائفة ظنوا ان المقصود من المجاهدة قمع هذه الصفات بالكلية ومحوها
وهيهات فان الشهوة خلقت لفائدة وهي ضرورية في الجبلة ولو انقطعت شهوة الطعام لهلك الانسان ولو انقطعت شهوة الوقاع لانقطع
النسل ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الانسان عن نفسه ما يهلكه ولهلك ومهما بقي اصل الشهوة فيبقى لا محالة حب المال الذي يوصله الى
الشهوة حتى يحمله ذلك على امساك المال وليس المطلوب اماطة ذلك بالكلية بل المطلوب رده الى الاعتدال الذي هو وسط بين الافراط والتفريط
والمطلوب في صفة الغضب حسن الحمية وذلك بان يخلو عن التهور وعن الجبن جميعا وبالجملة ان يكون في نفسه قويا ومع قوته منقادا للعقل
ولذلك قال الله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم وصفهم بالشدة وانما تصدر الشدة عن الغضب ولو بطل الغضب لامتنع الجهاد
وكيف يقصد قلع الغضب والشهوة بالكلية والانبياء عليهم الصلاة والسلام لم ينفكوا عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا بشر اغضب كما يغضب
البشر وكان اذا تكلم بين يديه بما يكرهه يغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول الا حقا فكان الغضب لا يخرجه عن الحق وقال تعالى والكاظمين الغيظ ولم يقل
والفاقدين الغيظ فرد الشهوة والغضب الى حد الاعتدال بحيث لا يقهر واحد منهما العقل ولا يغلبه بل يكون العقل هو الضابط لهما والغالب عليهما ممكن وهو المراد بتغيير
الخلق فانه ربما تستولي الشهوة على الانسان بحيث لا يقوى عقله على دفعها عن الانبساط الى الفواحش وبالرياضة تعود الى حد الاعتدال فدل ان ذلك ممكن والتجربة
والمشاهدة تدل على ذلك دلالة لا شك فيها والذي يدل على ان الوسط هو المطلوب في الاخلاق دون الطرفين ان السخاء خلق محمود شرعا وهو وسط بين
التبذير والتقتير وقد اثنى الله تعالى عليه فقال تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة
الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وكذلك المطلوب في شهوة الطعام الاعتدال دون الشره والجمود قال الله تعالى وكلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال في
الغضب اشداء على الكفار رحماء بينهم وقال صلى الله عليه وسلم خير الامور اوساطها وهذا له سر وتحقيق وهو ان السعادة منوطة بسلامة
القلب عن عوارض هذا العالم قال الله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم والبخل من عوارض الدنيا والتبذير ايضا من عوارض الدنيا وشرط القلب ان يكون سليما
منهما اي لا يكون ملتفتا الى المال ولا يكون حريصا على انفاقه ولا على امساكه فان الحريص على الانفاق مصروف القلب الى الانفاق كما ان الحريص على
الامساك مصروف القلب الى الامساك فكان كمال القلب ان يصفو عن الوصفين جميعا واذا لم يكن ذلك في الدنيا طلبنا ما
هو اشبه بعدم الوصفين وابعد عن الطرفين وهو الوسط فان الفاتر لا حار ولا بارد وهو وسط بينهما فكأنه خال عن الوصفين فكذلك
السخاء بين التبذير والتقتير والشجاعة بين الجبن والتهور والعفة بين الشره والجمود وكذلك سائر الاخلاق فكلا طرفي الامور
ذميم فهذا هو المطلوب وهو ممكن جدا نعم يجب على الشيخ المرشد ان يقبح عنده الغضب راسا ويذم امساك المال راسا ولا يرخص له في شيء من
ذلك لانه لو رخص له في ادنى شيء منه اتخذ ذلك عذرا في استبقاء بخله وغضبه وظن انه القدر المرخص فيه فاذا قصد قلع الاصل وبالغ فيه ولم يتيسر له الا
كسر سورته بحيث يعود الى الاعتدال فالصواب له ان يقصد قلع الاصل حتى يتيسر له القدر المقصود فلا يكشف هذا السر للمريد فانه موضع غرور الحمقى اذ يظن
بنفسه ان غضبه بحق وان امساكه بحق

بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق على الجملة

قد عرفت ان حسن الخلق يرجع الى اعتدال قوة العقل وكمال الحكمة والى اعتدال قوة الغضب والشهوة وكونها مطيعة للعقل والشرع وهذا الاعتدال يحصل على وجهين احدهما
بجود الهي وكمال فطري بحيث يخلق الانسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفي سلطان الشهوة والغضب بل خلقتا معتدلتين منقادتين
للعقل والشرع فيصير عالما بغير تعليم ومؤدبا بغير تأديب كعيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا وكذا سائر الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ولا يبعد
ان يكون في الطبع والفطرة ما قد ينال بالاكتساب فرب صبي خلق صادق اللهجة سخيا جريا وربما يخلق بخلافه فيحصل ذلك فيه بالاعتياد ومخالطة
المتخلقين بهذه الاخلاق وربما يحصل بالتعلم والوجه الثاني اكتساب هذه الاخلاق بالمجاهدة والرياضة واعني به حمل النفس على الاعمال التي يقتضيها
الخلق المطلوب فمن اراد مثلا ان يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه ان يتكلف تعاطي فعل الجواد وهو بذل المال فلا يزال يواظب عليه تكلفا مجاهدا نفسه فيه حتى
يصير ذلك له طبعا ويتيسر عليه فيصير به جوادا وكذا من اراد ان يحصل لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه الكبر فطريقه ان يواظب على
افعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد نفسه ومتكلف الى ان يصير ذلك خلقا له وطبعا فيتيسر عليه وجميع الاخلاق المحمودة شرعا تحصل بهذا الطريق
وغايتها ان يصير الفعل الصادر منه لذيذا فالسخي هو الذي يستلذ بذل المال دون الذي يبذله عن كراهة والمتواضع هو الذي يستلذ بالتواضع ولن ترسخ

الاخلاق الدينية في النفس ما لم تتعود جميع العادات الحسنة وما لم تترك جميع الافعال السيئة وما لم تواظب عليها مواظبة من يشتاق الى الافعال الجميلة
ويتنعم بها ويكره الافعال القبيحة ويتألم بها كما قال صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلاة ومهما كانت العبادات وترك المحظورات مع كراهة
واستثقال فهو النقصان ولا ينال كمال السعادة به نعم المواظبة عليها بالمجاهدة خير ولكن بالاضافة الى تركها لا بالاضافة الى فعلها عن طوع ولذلك
قال تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقال صلى الله عليه وسلم اعبد الله في الرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير ثم لا يكفي في نيل السعادة
الموعودة على حسن الخلق استلذاذ الطاعة وكراهة المعصية في زمان دون زمان بل ينبغي ان يكون ذلك على الدوام وفي جملة العمر وكلما كان العمر اطول
كانت الفضيلة ارسخ واكمل ولذلك لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السعادة فقال طول العمر في طاعة الله تعالى ولذلك كره الانبياء والاولياء
الموت فان الدنيا مزرعة الاخرة وكلما كانت العبادات اكثر بطول العمر كان الثواب اجزل والنفس ازكى واطهر والاخلاق اقوى
وارسخ وانما مقصود العبادات تأثيرها في القلب وانما يتأكد تأثيرها بكثرة المواظبة على العبادات وغاية هذه الاخلاق ان ينقطع عن النفس حب الدنيا
ويترسخ فيها حب الله تعالى فلا يكون شيء احب اليه من لقاء الله عز وجل فلا يستعمل جميع ماله الا على الوجه الذي يوصله اليه وغضبه وشهوته من المسخرات
له فلا يستعملها الا على الوجه الذي يوصله الى الله تعالى وذلك بان يكون موزونا بميزان الشرع والعقل ثم يكون بعد ذلك فرحا به ومستلذا له ولا يستبعد
مصير الصلاة قرة عين ومصير العبادات لذيذة فان العادة تقتضي في النفس عجائب اغرب من ذلك فانا قد نرى الملوك والمنعمين في احزان دائمة
ونرى المقامر المفلس قد يغلب عليه من الفرح واللذة بقماره وما هو فيه ما يستثقل معه فرح الناس بغير قمار مع ان القمار ربما سلبه ماله وخرب بيته
وتركه مفلسا ومع هذا فهو يحبه ويلتذ به وذلك لطول الفه له وصرف نفسه اليه مدة وكذلك اللاعب بالحمام قد يقف طول النهار في حر الشمس قائما
على رجليه وهو لا يحس بالمها لفرحه بالطيور وحركاتها وطيرانها وتحليقها في جو السماء بل نرى الفاجر العيار يفتخر بما يلقاه من الضرب والقطع
والصبر على السياط وعلى تقديمه للصلب وهو مع ذلك متبجح بنفسه وبقوته على ذلك وصبره يرى ذلك فخرا لنفسه ويقطع الواحد
منهم اربا اربا على ان يقر بما تعاطاه او تعاطاه غيره فيصر على الانكار ولا يبالي بالعقوبات فرحا بما يعتقده كمالا وشجاعة ورجولية فقد صارت احواله مع
ما فيها من النكال قرة عينه وسبب افتخاره بل لا حالة اخس واقبح من حال المخنث في تشبهه بالاناث في نتف الشعر ووشم الوجه ومخالطة النساء
فترى المخنث في فرح بحاله وافتخار بكماله في تخنثه يتباهى به مع المخنثين حتى يجري بين الحجامين والكناسين التفاخر والمباهاة كما
يجري بين الملوك والعلماء فكل ذلك نتيجة العادة والمواظبة على نمط واحد على الدوام مدة مديدة ومشاهدة ذلك في المخالطين والمعارف فاذا
كانت النفس بالعادة تستلذ الباطل وتميل اليه والى القبائح فكيف لا تستلذ الحق لو ردت اليه مدة والتزمت المواظبة عليه بل ميل النفس الى هذه
الامور الشنيعة خارج عن الطبع يضاهي الميل الى اكل الطين وقد يغلب على بعض الناس ذلك بالعادة فاما ميله الى الحكمة وحب الله تعالى ومعرفته
وعبادته فهو كالميل الى الطعام والشراب فهو مقتضى طبع القلب فانه امر رباني وميله الى مقتضيات الشهوات غريب من ذاته وعارض
على طبعه وانما غذاء القلب الحكمة والمعرفة وحب الله عز وجل ولكن انصرف عن مقتضى طبعه لمرض قد حل به كما قد يحل المرض بالمعدة فلا تشتهي الطعام والشراب
وهما سببان لحياتها **فكل قلب** مال الى حب شيء سوى الله تعالى فلا ينفك عن مرض بقدر ميله الا اذا كان احب ذلك الشيء لكونه
معينا له على حب الله تعالى وعلى دينه فعند ذلك لا يدل ذلك على المرض فاذا قد عرفت بهذا قطعا ان هذه الاخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة
وهي تكلف الافعال الصادرة عنها ابتداء لتصير طبعا انتهاء وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح اعني النفس والبدن فان كل صفة
تظهر في القلب يفيض اثرها على الجوارح حتى لا تتحرك الا على وفقها لا محالة وكل فعل يجري على الجوارح فانه قد يرتفع منه اثر الى القلب والامر فيه
دور ويعرف ذلك بمثال وهو ان من اراد ان يصير الحذق في الكتابة له صفة نفسية حتى يصير كاتبا بالطبع فلا طريق له الا ان
يتعاطى بجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدة طويلة يحاكي الخط الحسن فان فعل الكاتب هو الخط الحسن فيتشبه بالكاتب
تكلفا ثم لا يزال يواظب عليه حتى يصير صفة راسخة في نفسه فيصدر منه في الآخر الخط الحسن طبعا كما كان يصدر منه في الابتداء تكلفا فكان
الخط الحسن هو الذي جعل خطه حسنا ولكن الاول بتكلف الا انه ارتفع منه اثر الى النفس ثم انحدر من النفس الى الجارحة فصار يكتب
الخط الحسن طبعا وكذلك من اراد ان يصير فقيه النفس فلا طريق له الا ان يتعاطى افعال الفقهاء وهو التكرار للفقه حتى تنعطف
منه على قلبه صفة الفقه فيصير فقيه النفس وكذلك من اراد ان يصير سخيا عفيف النفس حليما متواضعا فيلزمه ان يتعاطى افعال
هؤلاء تكلفا حتى يصير ذلك له طبعا فلا علاج له الا ذلك وكما ان طالب فقه النفس لا ييأس من نيل هذه الرتبة بتعطيل
ليلة ولا ينالها بتكرار ليلة فكذلك طالب تزكية النفس وتحليتها وتحليتها بالاخلاق الحسنة لا ينالها بعبادة يوم ولا يحرم عنها بعصيان
يوم وهو معنى قولنا ان الكبيرة الواحدة لا توجب الشقاوة المؤبدة ولكن العطلة في يوم واحد تدعو الى مثلها ثم تتداعى قليلا قليلا يعني

تأنس النفس بالكسل وتهجر التحصيل رأساً فتفوتها فضيلة الفقه وكذلك صغائر المعاصي يجر بعضها إلى بعض حتى يفوت أصل السعادة بهدم
أصل الإيمان عند الخاتمة وكما أن تكرار ليلة لا يحس تأثيره في تفقيه النفس بل يظهر فقه النفس شيئاً فشيئاً على التدريج مثل نمو البدن
وارتفاع القامة فكذلك الطاعة الواحدة لا يحس تأثيرها في تزكية النفس وتطهيرها في الحال ولكن لا ينبغي أن يستهان بقليل الطاعة فإن الجملة الكثيرة منها
مؤثرة وإنما اجتمعت الجملة من الآحاد فلكل واحد منها تأثير فما من طاعة إلا ولها أثر وإن خفي فله لا محالة ثواب لأن الثواب بإزاء الأثر وكذا المعصية
وكم من فقيه يستهين بتعطيل يوم وليلة وهكذا على التوالي يسوف نفسه يوماً فيوماً إلى أن يخرج طبعه عن قبول الفقه فكذا من يستهين بصغائر
المعاصي ويسوف نفسه بالتوبة على التوالي إلى أن يختطفه الموت بغتة أو تتراكم ظلمة الذنوب على قلبه وتتعذر عليه التوبة إذ القليل يدعو
إلى الكثير فيصير القلب مقيداً بسلاسل شهوات لا يمكن تخليصه من مخالبها وهو المعني بانسداد باب التوبة وهو المراد بقوله تعالى
وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً الآية ولذلك قال علي كرم الله وجهه إن الإيمان ليبدو في القلب نكتة بيضاء فكلما ازداد الإيمان
ازداد ذلك البياض فإذا استكمل العبد الإيمان ابيض القلب كله وإن النفاق ليبدو في القلب نكتة سوداء فكلما ازداد النفاق ازداد
السواد فإذا استكمل النفاق اسود القلب كله فإذاً قد عرفت أن الأخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة وتارة باعتياد الأفعال الجميلة
وتارة بمشاهدة أرباب الأفعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرناء الخير وإخوان الصلاح إذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جميعاً فمن تظاهرت
في حقه الجهات الثلث حتى صار ذا فضيلة طبعاً واعتياداً وتعلماً فهو في غاية الفضيلة ومن كان رذلاً بالطبع واتفق له قرناء السوء فتعلم
منهم وتيسرت له أسباب الشر حتى تعوده فهو في غاية البعد من الله وبين الرتبتين من اختلفت به هذه الجهات ولكل درجة في القرب
والبعد بحسب ما تقتضيه صفته وحالته ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون

بيان تفصيل الطريق إلى تهذيب الأخلاق

قد عرفت من قبل أن الاعتدال في الأخلاق هو صحة النفس والميل عن
الاعتدال سقم ومرض فيها كما أن الاعتدال في مزاج البدن هو صحة له والميل عن الاعتدال مرض فيه فلنتخذ البدن مثالاً فنقول
مثال النفس في علاجها بمحو الرذائل والأخلاق الردية عنها وكسب الفضائل والأخلاق الجميلة لها مثال البدن في علاجه بمحو العلل عنه وكسب
الصحة له وجلبها إليه فكما أن الغالب على أصل المزاج الاعتدال وإنما تعتري المعدة المضرة بعوارض الأغذية والأهوية والأحوال فكذلك
كل مولود يولد معتدلاً صحيح الفطرة وإنما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه أي بالتعود والتعليم تكتسب الرذائل وكما أن البدن في الابتداء لا
يخلق كاملاً وإنما يكمل ويقوى بالنشو والتربية بالغذاء فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وإنما تكمل بالتزكية وتهذيب الأخلاق والتغذية بالعلم
وكما أن البدن إن كان صحيحاً فشأن الطبيب تمهيد القانون الحافظ للصحة وإن كان مريضاً فشأنه جلب الصحة إليه فكذلك النفس منك إن كانت زكية طاهرة مهذبة
الأخلاق فينبغي أن تسعى لحفظها وجلب مزيد قوة إليها واكتساب زيادة صفائها وإن كانت عديمة الكمال والصفاء فينبغي
أن تسعى لجلب ذلك إليها وكما أن العلة المغيرة لاعتدال البدن الموجبة للمرض لا تعالج إلا بضدها إن كانت من حرارة فبالبرودة وإن كانت
من برودة فبالحرارة فكذلك الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بضدها فيعالج مرض الجهل بالتعلم ومرض البخل بالتسخي ومرض الكبر بالتواضع ومرض
الشره بالكف عن المشتهى تكلفاً وكما أنه لا بد من احتمال مرارة الدواء وشدة الصبر عن المشتهيات لعلاج الأبدان المريضة فكذلك
لا بد من احتمال مرارة المجاهدة والصبر لمداواة مرض القلب بل أولى فإن مرض البدن يخلص منه بالموت ومرض القلب والعياذ
بالله تعالى مرض يدوم بعد الموت أبد الآباد وكما أن كل مبرد لا يصلح لعلة سببها الحرارة إلا إذا كان على حد مخصوص ويختلف
ذلك بالشدة والضعف والدوام وعدمه وبالكثرة والقلة ولا بد له من معيار يعرف به مقدار النافع منه فإنه إن لم يحفظ معياره زاد الفساد
فكذلك النقائض التي يعالج بها الأخلاق لا بد لها من معيار وكما أن معيار الدواء مأخوذ من عيار العلة حتى إن الطبيب لا يعالج ما لم يعرف أن
العلة من حرارة أو برودة فإن كانت من حرارة فيعرف درجتها أهي ضعيفة أو قوية فإذا عرف ذلك التفت إلى أحوال البدن
وأحوال الزمان وصناعة المريض وسنه وسائر أحواله ثم يعالج بحسبها فكذلك الشيخ المتبوع الذي يطبب نفوس المريدين
ويعالج قلوب المسترشدين ينبغي أن لا يهجم عليهم بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص وفي طريق مخصوص ما لم يعرف أخلاقهم وأمراضهم
وكما أن الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل أكثرهم فكذلك الشيخ لو أشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة أهلكهم وأمات قلوبهم
بل ينبغي أن ينظر في مرض المريد وفي حاله وسنه ومزاجه وما تحتمله بنيته من الرياضة ويبني على ذلك رياضته فإن كان المريد مبتدئاً جاهلاً
بحدود الشرع فيعلمه أولاً الطهارة والصلاة وظواهر العبادات فإن كان مشغولاً بالحرام أو مقارفاً لمعصية فيأمره أولاً بترك
ذلك فإذا تزين بالعبادات ظاهره وطهرت عن المعاصي الظاهرة جوارحه نظر بقرائن الأحوال إلى باطنه ليتفطن لأخلاقه

وأمراض قلبه فإن رأى معه مالاً فاضلاً عن قدر ضرورته أخذه منه وصرفه إلى الخيرات وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت إليه وإن رأى الرعونة
والكبر وعزة النفس غالبة عليه فيأمره بأن يخرج إلى الأسواق للكدية والسؤال فإن عزة النفس والرياسة لا تنكسر إلا بالذل ولا ذل أعظم من ذل السؤال
فيكلفه المواظبة على ذلك مدة حتى ينكسر كبره وعز نفسه فإن الكبر من الأمراض المهلكة وكذا الرعونة وإن رأى الغالب عليه التنظف في البدن والثياب
ورأى قلبه مائلاً إلى ذلك فرحاً به ملتفتاً إليه فيستخدمه في تعهد بيت الماء وتنظيفه وكنس المواضع القذرة وملازمة المطبخ ومواضع
الدخان حتى تتشوش عليه رعونته في النظافة فإن الذين ينظفون ثيابهم ويزينونها ويطلبون المرقعات النظيفة والسجادات
الملونة لا فرق بينهم وبين العروس التي تزين نفسها طول النهار فلا فرق بين أن يعبد الإنسان نفسه أو يعبد صنماً فمهما
عبد غير الله فقد حجب عن الله ومن راعى في ثوبه شيئاً غير كونه حلالاً وطاهراً مراعاة يلتفت إليها قلبه فهو مشغول بنفسه
ومن لطائف الرياضة إذا كان المريد لا يسخو بترك الرعونة رأساً أو بترك صفة أخرى ولم يسمح بضدها دفعة
فينبغي أن ينقله من الخلق المذموم إلى خلق مذموم آخر أخف منه كالذي يغسل الدم بالبول ثم يغسل البول بالماء إذا كان الماء لا يزيل الدم
وكما يرغب الصبي في المكتب باللعب بالكرة والصولجان وما أشبهه ثم ينقل من اللعب إلى الزينة وفاخر الثياب ثم ينقل من
ذلك إلى الترغيب في الآخرة وكذلك من لم تسمح نفسه بترك الجاه دفعة فلينقل إلى جاه أخف منه وكذلك سائر الصفات
وكذلك إن رأى شره الطعام غالباً عليه ألزمه الصوم وتقليل الطعام ثم يكلفه أن يهيئ الأطعمة اللذيذة ويقدمها إلى غيره
ولا يأكل منها حتى يقوي بذلك نفسه فيتعود الصبر وينكسر شرهه وكذلك إذا رأى شاباً متشوقاً إلى النكاح وهو عاجز عن النكاح
فيأمره بالصوم وربما لا تسكن بذلك شهوته فيأمره أن يفطر ليلة على الماء دون الخبز وليلة على الخبز دون الماء ويمنعه اللحم والأدم رأساً
حتى تذل نفسه وتنكسر شهوته فلا علاج في مبادي الإرادة أنفع من الجوع وإن رأى الغضب غالباً عليه ألزمه الحلم والسكوت وسلط عليه من
يصحبه ممن فيه سوء خلق ويلزمه خدمة من ساء خلقه حتى يمرن نفسه على الاحتمال معه فقد كان بعضهم يعود نفسه الحلم ويزيل
عن نفسه شدة الغضب وكان يستأجر من يشتمه على ملأ من الناس ويكلف نفسه الصبر ويكظم غيظه حتى صار الحلم عادة له بحيث
كان يضرب به المثل وكان بعضهم يستشعر في نفسه الجبن وضعف القلب فأراد أن يحصل لنفسه خلق الشجاعة فكان يركب البحر في الشتاء
عند اضطراب الأمواج وعباد الهند يعالجون الكسل عن العبادة بالقيام طول الليلة على نصبة واحدة وبعض الشيوخ
في ابتداء إرادته كان يتكاسل عن القيام فألزم نفسه القيام على رأسه طول الليل ليسمح بالقيام على الرجل عن طوع وعالج بعضهم نفسه
من حب المال حتى باع جميع ماله ورماه في البحر إذ خاف من تفرقته على الناس رعونة الجود والرياء بالبذل فهذه الأمثلة تعرفك طريق معالجة
القلوب وليس غرضنا ذكر دواء كل مرض فإن ذلك سيأتي في بقية الكتب وإنما غرضنا الآن التنبيه على أن الطريق الكلي فيه سلوك
طريق المضادة لكل ما تهواه النفس وتميل إليه وقد جمع الله ذلك كله في كلمة واحدة فقال ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى والأصل
المهم في المجاهدة الوفاء بالعزم فإذا عزم على ترك شهوة فقد تيسرت أسبابها ويكون ذلك من الله ابتلاء واختباراً فينبغي أن يصبر ويستمر
فإنه إن عود نفسه نقض العزم ألفت ذلك ففسدت وإذا اتفق منه نقض عزم فينبغي أن يلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرناه في
معاقبة النفس من كتاب المحاسبة والمراقبة وإذا لم يخوف نفسه بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة فتفسد بها الرياضة بالكلية

بيان علامات مرض القلوب وعلامات عوده إلى الصحة

اعلم أن كل عضو من أعضاء البدن خلق لفعل خاص
به وإنما مرضه أن يتعذر عليه فعله الذي خلق له حتى لا يصدر منه أصلاً أو يصدر مع نوع من الاضطراب فمرض اليد أن يتعذر عليها البطش
ومرض العين أن يتعذر عليها الإبصار فكذلك مرض القلب هو أن يتعذر عليه فعله الخاص به الذي خلق لأجله وهو العلم والحكمة والمعرفة
وحب الله تعالى وعبادته والتلذذ بذكره وإيثار ذلك على كل شهوة سواه والاستعانة بجميع الشهوات والأعضاء عليه قال الله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون
ففي كل عضو فائدة وفائدة القلب الحكمة والمعرفة وخاصية النفس التي للآدمي ما يتميز به عن البهائم فإنه لم يتميز عنها بالقوة على الأكل والوقاع
والإبصار وغيرها بل بمعرفة الأشياء على ما هي عليه وأصل الأشياء وموجدها ومخترعها هو الله الذي جعلها أشياء فلو عرف كل شيء ولم يعرف الله
فكأنه لم يعرف شيئاً وعلامة المعرفة المحبة فمن عرف الله أحبه وعلامة المحبة أن لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات كما قال تعالى قل إن كان آباؤكم
وأبناؤكم إلى قوله أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره فمن عنده شيء أحب إليه من الله فقلبه مريض كما أن كل معدة
صار الطين أحب إليها من الخبز والماء أو سقطت شهوتها عن الخبز والماء فهي مريضة فهذه علامة المرض وبهذا يعرف أن القلوب كلها مريضة إلا ما شاء الله
إلا أن من الأمراض ما لا يعرفه صاحبه فلذلك يغفل عنه وإن عرفه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه فإن دواءه مخالفة الشهوات وهو نزع الروح وإن

فان الاطباء هم العلماء وقد استولى المرض عليهم والطبيب المريض قلما يلتفت الى علاجه فلهذا صار الداء عضالا والمرض مزمنا واندرس هذا العلم وانكر بالكلية طب القلوب وانكر مرضها واقبل الخلق على حب الدنيا وعلى اعمال ظاهرها عبادات وباطنها عادات ومراءاة فهذه علامات اصل المرض واما علامة عوده الى الصحة بعد المعالجة فهو ان ينظر في العلة التي يعالجها فان كان يعالج داء البخل فهو المهلك المبعد عن الله عز وجل فانما علاجه ببذل المال وانفاقه ولكنه قد يبذل المال الى حد يصير به مبذرا فيكون التبذير ايضا داء فكان كمن يعالج البرودة بالحرارة حتى تغلب الحرارة وهو ايضا داء بل المطلوب الاعتدال بين التبذير والتقتير حتى يكون على الوسط وفي غاية البعد عن الطرفين فان اردت ان تعرف الوسط فانظر الى الفعل الذي يوجبه الخلق المحذور فان كان اسهل عليك والذ من الذي يضاده فالغالب عليك ذلك الخلق الموجب له مثل ان يكون امساك المال وجمعه الذ عندك وايسر عليك من بذله لمستحقه فاعلم ان الغالب عليك خلق البخل فزد في المواظبة على البذل فان صار البذل لغير المستحق الذ عندك واخف عليك من الامساك بالحق فقد غلب عليك التبذير فارجع الى المواظبة على الامساك بالحق فلا تزال تراقب نفسك وتستدل على خلقك بتيسير الافعال وتعسيرها حتى تنقطع علاقة قلبك عن المال فلا تميل الى بذله ولا الى امساكه بل يصير عندك كالماء فلا تطلب فيه الا امساكه لحاجة محتاج او بذله لحاجة محتاج ولا يترجح عندك البذل على الامساك فكل قلب صار كذلك فقد اتى الله سليما عن هذا المقام خاصة ويجب ان يكون سليما عن سائر الاخلاق حتى لا يكون له علاقة بشيء مما يتعلق بالدنيا حتى ترتحل النفس عن الدنيا منقطعة العلائق عنها غير ملتفتة اليها ولا متشوفة الى اسبابها فعند ذلك ترجع الى ربها رجوع النفس المطمئنة راضية مرضية داخلة في زمرة عباد الله من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا ولما كان الوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية الغموض بل هو ادق من الشعر واحد من السيف فلا جرم من استوى على الصراط المستقيم في الدنيا جاز على مثل هذا الصراط في الآخرة وقلما ينفك العبد عن ميل عن الصراط المستقيم اعني الوسط حتى لا يميل الى احد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب الذي مال اليه ولذلك لا ينفك عن عذاب ما واجتياز على النار وان كان مثل البرق الخاطف قال الله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا اي الذين كان قربهم الى الصراط المستقيم اكثر من بعدهم عنه ولاجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد ان يدعو الله تعالى في كل يوم سبع عشرة مرة في قوله اهدنا الصراط المستقيم اذ وجب قراءة الفاتحة في كل ركعة ورأى بعضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال قد قلت يا رسول الله شيبتني هود فلم قلت ذلك فقال لقوله تعالى فاستقم كما امرت فالاستقامة على سواء السبيل في غاية الغموض ولكن ينبغي ان يجتهد الانسان في القرب من الاستقامة ان لم يقدر على حقيقة الاستقامة فكل من اراد النجاة فلا نجاة الا بالعمل الصالح ولا تصدر الاعمال الصالحة الا عن الاخلاق الحسنة فليتفقد كل عبد صفاته واخلاقه وليعددها وليشتغل بعلاج واحد واحد على الترتيب

بيان الطريق الذي يعرف الانسان عيوب نفسه

اعلم ان الله تعالى اذا اراد بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فمن كانت بصيرته نافذة لم تخف عليه عيوبه واذا عرف العيوب امكنه العلاج ولكن اكثر الخلق جاهلون بعيوب انفسهم يرى احدهم القذى في عين اخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه فمن اراد ان يقف على عيوب نفسه فله اربع طرق الاولى ان يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه في نفسه ويتبع اشارته في مجاهدته وهذا شان المريد مع شيخه والتلميذ مع استاذه فيعرفه شيخه واستاذه عيوب نفسه ويعرفه طريق علاجه وهذا قد عز في هذا الزمان وجوده الثانية ان يطلب صديقا صدوقا بصيرا متدينا وينصبه رقيبا على نفسه ليلاحظ احواله وافعاله فما كرهه من اخلاقه وافعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه فهكذا كان يفعل الاكابر من ائمة الدين كان عمر رضي الله عنه يقول رحم الله امرأ اهدى الي عيوبي وكان يسأل سلمان عن عيوبه فلما قدم عليه قال له ما الذي بلغك عني مما تكرهه فاستعفى فالح عليه فقال بلغني انك جمعت بين ادامين على مائدة وان لك حلتين حلة بالنهار وحلة بالليل فقال وهل بلغك غير هذا قال لا فقال اما هذان فقد كفيتهما وكان يسأل حذيفة ويقول له انت صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين فهل ترى علي شيئا من آثار النفاق فهو على جلالة قدره وعلو منصبه هكذا كانت تهمته لنفسه وكل من كان اوفر عقلا واعلى منصبا كان اقل اعجابا واعظم اتهاما لنفسه الا ان هذا ايضا قد عز فقل في الاصدقاء من يترك المداهنة فيخبر بالعيب او يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا تخلو في اصدقائك عن حسود او صاحب غرض يرى ما ليس بعيب عيبا او عن مداهن يخفي عنك بعض عيوبك ولهذا كان داود الطائي قد اعتزل الناس فقيل له لم لا تخالط الناس فقال وماذا اصنع باقوام يخفون عني عيوبي فكانت شهوة ذوي الدين ان يتنبهوا لعيوبهم بتنبيه غيرهم وقد آل الامر في امثالنا الى ان ابغض الخلق الينا من ينصحنا ويعرفنا عيوبنا ويكاد يكون هذا مفصحا عن ضعف الايمان فان الاخلاق السيئة حيات وعقارب لداغة ولو نبهنا منبه على ان تحت ثوبنا عقربا لتقلدنا منه منة وفرحنا بذلك واشتغلنا بابعاد العقرب وقتلها وانما نكايتها على البدن ولا يدوم المها يوما فما دونه ونكاية الاخلاق الرديئة على صميم القلب ويخشى ان تدوم بعد الموت ابدا او آلافا من السنين ثم انا لا نفرح بمن ينبهنا عليها ولا نشتغل بازالتها بل نشتغل بمقابلة الناصح بمثل مقالته فنقول له وانت ايضا تصنع كيت وكيت وتشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه ويشبه ان يكون هذا من قساوة القلب التي اثمرتها كثرة الذنوب واصل كل ذلك ضعف الايمان فنسأل الله تعالى ان يلهمنا رشدنا ويبصرنا بعيوبنا ويشغلنا بمداواتها ويوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا بمنه وكرمه وفضله

الطريق الثالث ان يستفيد معرفة عيوب نفسه من السنة اعدائه فان عين السخط تبدي المساويا ولعل انتفاع العبد بعدو مشاحن يذكره عيوبه اكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه الا ان الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول اعدائه فان مساويه لا بد وان تنتشر على السنتهم

الطريق الرابع ان يخالط الناس فكل ما رآه مذموما فيما بين الخلق فليطالب نفسه به وينسبها اليه فان المؤمن مرآة المؤمن فيرى في عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم ان الطباع متقاربة في اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الاقران لا ينفك القرن الآخر عن اصله او عن اعظم منه او عن شيء منه فليتفقد نفسه ويطهرها عن كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تأديبا فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب قيل لعيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام من ادبك قال ما ادبني احد رأيت جهل الجاهل فجانبته وهذا كله حيل من فقد شيخا عارفا ذكيا بصيرا بعيوب النفس مشفقا ناصحا في الدين فارغا من تهذيب نفسه مشغولا بتهذيب عباد الله تعالى نصحا لهم فمن وجده فقد وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذي هو بصدده

بيان شواهد النقل من ارباب البصائر وشواهد الشرع على ان الطريق في معالجة امراض القلوب ترك الشهوات

اعلم ان ما ذكرناه ان تأملته بعين الاعتبار انفتحت بصيرتك وانكشفت لك علل القلوب وامراضها وادويتها بنور العلم واليقين فان عجزت عن ذلك فلا ينبغي ان يفوتك التصديق والايمان على سبيل التلقي والتقليد لمن يستحق التقليد فان للايمان درجة كما ان للعلم درجة والعلم يحصل بعد الايمان وهو وراءه قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فمن صدق بان مخالفة الشهوات هي الطريق الى الله عز وجل ولم يطلع على سببه وسره فهو من الذين آمنوا واذا اطلع على ما ذكرناه من اعوان الشهوات فهو من الذين اوتوا العلم وكلا وعد الله الحسنى والذي يقتضي الايمان بهذا الامر في القرآن والسنة واقاويل العلماء اكثر من ان يحصى قال الله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وقال تعالى اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى قيل نزع منها محبة الشهوات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن بين خمس شدائد مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه فبين ان النفس عدو منازع يجب مجاهدتها ويروى ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام يا داود حذر وانذر اصحابك اكل الشهوات فان القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة وقال عيسى بن مريم عليه السلام لقوم قد رجعوا من الجهاد مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر فقالوا وما الجهاد الاكبر قال جهاد النفس وقال صلى الله عليه وسلم المجاهد من جاهد نفسه في الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم كف اذاك عن نفسك ولا تتابع هواها في معصية الله تعالى اذا تخاصمك يوم القيامة فيلعن بعضك بعضا الا ان يغفر الله تعالى ويستر وقال سفيان الثوري ما عالجت شيئا اشد علي من نفسي مرة لي ومرة علي وكان ابو العباس الموصلي يقول لنفسه يا نفس لا في الدنيا مع ابناء الملوك تتنعمين ولا في طلب الآخرة مع العباد تجتهدين كاني بك بين الجنة والنار تحبسين يا نفس الا تستحين وقال الحسن ما الدابة الجموح باحوج الى اللجام الشديد من نفسك وقال يحيى بن معاذ الرازي جاهد نفسك باسياف الرياضة والرياضة على اربعة اوجه القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام وحمل الاذى من جميع الانام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ومن قلة المنام صفو الارادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الاذى البلوغ الى الغايات وليس على العبد شيء اشد من الحلم عند الجفاء والصبر على الاذى واذا تحركت من النفس ارادة الشهوات والآثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيوف قلة الطعام من غمد التهجد وقلة المنام وضربتها بايدي الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع عن الظلم والانتقام فتأمن من بوائقها من بين سائر الانام وتصفيها من ظلمة شهواتها فتنجو من غوائل آفاتها فتصير عند ذلك نظيفة ونورية خفيفة روحانية فتجول في ميدان الخيرات وتسير في مسالك الطاعات كالفرس الفاره في الميدان وكالملك المتنزه في البستان وقال ايضا اعداء الانسان ثلاثة دنياه وشيطانه ونفسه فاحترس من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك الشهوات وقال بعض الحكماء من استولت عليه النفس صار اسيرا في حب شهواتها محصورا في سجن هواها ومنعت قلبه الفوائد وقال جعفر بن حميد اجمعت العلماء والحكماء على ان النعيم لا يدرك الا بترك النعيم

وقال ابو بكر الوراق من ارضى الجوارح بالشهوات فقد غرس في قلبه شجر الندامات وقال وهيب ما زيد على الخبز فهو شهوة وقال
وهيب بن الورد من احب شهوات الدنيا فليتهيأ للذل ويروى ان امرأة العزيز قالت ليوسف عليه السلام بعد ما ملك خزائن الارض
يا يوسف ان الحرص والشهوة صيرا الملوك عبيدا وان الصبر والتقوى صيرا العبيد ملوكا فقال يوسف قال الله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع
اجر المحسنين وقال الجنيد سهرت ليلة فقمت الى وردي فلم اجد الحلاوة التي كنت اجدها من قبل فاردت ان انام فلم اقدر فقعدت فلم
اطق القعود فخرجت فاذا رجل ملتف في عباءة مطروح على الطريق فلما احس بي قال يا ابا القاسم الى الساعة فقلت يا سيدي من غير موعد فقال
بلى سألت محرك القلوب ان يحرك لي قلبك فقلت قد فعل فما حاجتك فقال متى يصير داء النفس دواءها فقلت اذا خالفت النفس هواها
صار داؤها دواءها فاقبل على نفسه وقال اسمعي قد اجبتك بهذا سبع مرات فابيت الا ان تسمعيه من الجنيد قد اسمعتك وانصرف وما عرفته وقال
يزيد الرقاشي السلام على الماء البارد في الدنيا لعلي لا احرمه في الآخرة وقال رجل لعمر بن عبد العزيز متى اتكلم قال اذا اشتهيت الصمت قال
متى اصمت قال اذا اشتهيت الكلام وقال علي رضي الله عنه من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات في الدنيا وكان مالك بن دينار يطوف في السوق
فاذا رأى الشيء يشتهيه قال لنفسه اصبري فوالله ما امنعك الا من كرامتك علي فاذا قد اتفق العلماء والحكماء ان لا طريق الى سعادة الآخرة الا
بنهي النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات فالايمان بهذا واجب واما تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك فلا يدرك الا بما قدمناه
وحاصل الرياضة وسرها ان لا تتمتع النفس بشيء مما لا يوجد في القبر الا بقدر الضرورة فيكون مقتصرا من الاكل والنكاح واللباس والمسكن
وكل ما هو مضطر اليه على قدر الحاجة والضرورة فانه لو تمتع بشيء منه انس به والفه واذا مات تمنى الرجوع الى الدنيا بسببه ولا حظ له في الآخرة بحال ولا
خلاص عن ذلك الا بان يكون القلب مشغولا بمعرفة الله تعالى وحبه والتفكر فيه ومنقطعا عن الدنيا الا ما يدفع عوائق الفكر والذكر فقط ومن لم يقدر على
ذلك فليقرب منه فالناس فيه اربعة رجل مستغرق ذكر الله قلبه فلا يلتفت الى الدنيا الا في ضرورات المعيشة فهو من الصديقين ولا ينتهي الى
هذه الرتبة الا بالرياضة الطويلة والصبر عن الشهوات مدة مديدة والثاني من استغرقت الدنيا قلبه ولم يبق لله ذكر في قلبه الا من حيث
حديث النفس حيث يذكره باللسان وهذا من الهالكين والثالث رجل مشتغل بالدنيا والدين ولكن الغالب على قلبه هو الدين فهذا لا بد له
من ورود النار الا انه ينجو منها سريعا بقدر غلبة ذكر الله تعالى على قلبه والرابع رجل مشتغل بهما جميعا لكن الدنيا اغلب على قلبه فهذا يطول مقامه
في النار لكن يخرج منها لا محالة لقوة ذكر الله في قلبه وتمكنه من صميم فؤاده وان كان ذكر الدنيا اغلب عليه ومهما يقول القائل ان التنعم بالمباح مباح
فكيف يكون سبب البعد من الله تعالى فهذا خيال ضعيف بل حب الدنيا رأس كل خطيئة والمباح الخارج عن قدر الحاجة من الدنيا ايضا وسبب البعد كما سيأتي
وقال ابراهيم الخواص كنت في جبل اللكام فرأيت رمانا فاشتهيته فاخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركت
الرمان فرأيت رجلا مطروحا قد اجتمع عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا ابراهيم قلت كيف عرفتني قال من عرف الله
لا يخفى عليه شيء فقلت ارى لك حالا مع الله تعالى فلو سألته ان يحميك من هذه الزنابير فقال ان لدغ الرمان يجد الانسان المه في الآخرة ولدغ
الزنابير يجد المه في الدنيا فتركته ومضيت وقال السري منذ اربعين سنة تطالبني نفسي ان اغمس جزرة في دبس فما اطعمتها
فاذا لا يمكن اصلاح القلب لسلوك طريق الله تعالى ما لم تمنع النفس عن التنعم بالمباح فان النفس اذا لم تمنع بعض المباحات طمعت في المحظورات
فمن اراد حفظ لسانه عن الغيبة والفضول فحقه ان يلزمه السكوت الا عن المهمات حتى تموت عنه شهوة الكلام فلا يتكلم الا بحق فيكون سكوته عبادة
ومهما اعتادت العين رمي البصر الى كل جميل لم يتحفظ عند النظر الى ما لا يحل وكذلك سائر الشهوات لان الذي يشتهي به الحلال هو الذي
بعينه يشتهي به الحرام فالشهوة واحدة وقد وجب على العبد منعها عن الحرام فان لم تعوده الاقتصار على قدر الضرورة في الشهوات غلبته شهوته
احدى آفات المباح ووراء هذا آفة اعظم من هذه وهو ان النفس تفرح بالتنعم بالدنيا وتركن اليها وتطمئن بها اشرا وبطرا حتى تصير
ممتلئة بها كالسكران الذي لا يفيق من سكره وكذلك الفرح بالدنيا سم قاتل يسري في العروق فيخرج من القلب الخوف والحزن وذكر
الموت واهوال القيامة وهذا هو موت القلب قال تعالى ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها وقال تعالى وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور وقال تعالى
اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو فاولوا الحزم من ارباب القلوب جربوا قلوبهم في حالة الفرح بمؤاتاة الدنيا
فوجدوها قاسية بطرة بعيدة من التأثر بذكر الله تعالى واليوم الآخر وجربوها في حالة الحزن فوجدوها لينة رقيقة صافية قابلة لاثر الذكر
فعلموا ان النجاة في الحزن الدائم والتباعد من اسباب البطر والفرح ففطموها عن ملاذها وعودوها الصبر عن شهواتها حلالها
وحرامها وعلموا ان حلالها حساب وهو نوع عذاب فمن نوقش الحساب في عرصات القيامة فقد عذب فخلصوا انفسهم من عذابها وتوصلوا
الى الحرية والملك في الدنيا والآخرة بالخلاص عن اسر الشهوات ورقها والانس بذكر الله عز وجل والاشتغال بطاعته وفعلوا بها ما يفعل البازي

اذا قصد تاديبه ونقله من توثبه وتوحشه الى الانقياد والتأديب فانه يحبس اولا في بيت مظلم وتخاط عيناه حتى يحصل به الفطام عن الطيران في جو
الهواء وينسى ما كان قد الفه من طبع الاسترسال ثم يرفق به باللحم حتى يانس بصاحبه ويالفه الفا اذا دعاه اجابه ومهما سمع صوته رجع
اليه فكذلك النفس لا تألف ربها ولا تأنس بذكره الا اذا فطمت عن عادتها بالخلوة والعزلة اولا ليحفظ السمع والبصر عن المألوفات
ثم عودت الثناء والذكر والدعاء ثانيا في الخلوة حتى يغلب عليها الانس بذكر الله تعالى عوضا عن الانس بالدنيا وسائر الشهوات وذلك يثقل على
المريد في البداية ثم يتنعم به في النهاية كالصبي يفطم عن الثدي وهو شديد عليه اذ كان لا يصبر عنه ساعة فلذلك يشتد بكاؤه وجزعه عند الفطام
ويشتد نفوره عن الطعام الذي يقدم اليه بدلا عن اللبن ولكنه اذا منع اللبن رأسا يوما بعد يوم وعظم تعبه في الصبر وغلبه الجوع تناول
الطعام تكلفا ثم يصير له طبعا فلو رد الى الثدي لم يرجع اليه فيهجر الثدي ويعاف اللبن ويألف الطعام وكذلك الدابة في الابتداء
تنفر عن السرج واللجام والركوب فتحمل على ذلك قهرا وتمنع عن السراح الذي الفته بالسلاسل والقيود اولا ثم تأنس به بحيث تترك
في موضعها فتقف فيه من غير قيد فكذلك تؤدب النفس كما تؤدب الطيور والدواب وتأديبها بان تمنع من الاشر والبطر والفرح
بنعيم الدنيا بل بكل ما يزايله بالموت فيقال له احبب من احببت فانك مفارقه فاذا علم انه من احب شيئا يلزمه فراقه ويشقى لا محالة
بفراقه شغل قلبه بحب ما لا يفارقه وهو ذكر الله تعالى فان ذلك يصحبه في القبر ولا يفارقه وكل ذلك يتم بالصبر اياما قلائل فالعمر
قليل بالاضافة الى مدة حياة الآخرة وما من عاقل الا وهو راض باحتمال المشقة في سفر وتعلم صناعة وغيرها لكي يتنعم به سنة وكل
العمر بالاضافة الى الابد اقل من شهر بالاضافة الى عمر الدنيا فلا بد من الصبر والمجاهدة فعند الصباح يحمد القوم السرى وطريق المجاهدة
والرياضة لكل انسان تختلف بحسب اختلاف احواله والاصل فيه ان يترك كل واحد ما به فرحه من اسباب الدنيا والذي يفرح بالمال او بالجاه او
بالقبول في الوعظ او بالعزة في القضاء والولاية او بكثرة الاتباع في التدريس والافادة فينبغي ان يترك اولا ما به فرحه فان منع من شيء
من ذلك وقيل له ثوابك في الآخرة لم ينقص بالمنع فكره ذلك وتألم به فهو ممن فرح بالحياة الدنيا واطمأن اليها وذلك مهلك في حقه ثم اذا ترك
اسباب الفرح فليعتزل الناس ولينفرد بنفسه وليترصد لما يظهر في نفسه من شهوة ووسواس حتى يقمع مادته مهما ظهر فان لكل وسوسة
سببا ولا تزول الا بقطع السبب والعلاقة وليلازم ذلك بقية العمر فليس للجهاد آخر الا الموت والسلام

بيان علامات حسن الخلق

اعلم ان كل انسان جاهل بعيوب نفسه فاذا جاهد نفسه ادنى مجاهدة حتى ترك فواحش المعاصي ربما ظن بنفسه انه قد هذب نفسه
وحسن خلقه واستغنى عن المجاهدة فلا بد من ايضاح علامة حسن الخلق فان حسن الخلق هو الايمان وسوء الخلق هو النفاق وقد ذكر الله تعالى صفات
المؤمنين والمنافقين وهي بجملتها ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق فنورد جملة من ذلك ليعلم حسن الخلق فقد قال الله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم
في صلاتهم خاشعون الى قوله اولئك هم الوارثون وقال تعالى التائبون العابدون الى قوله وبشر المؤمنين وقال تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله
وجلت قلوبهم الى قوله اولئك هم المؤمنون حقا وكذلك قال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا الى آخر السورة فمن اشكل عليه حاله
فليعرض نفسه على هذه الآيات فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق وفقد جميعها علامة سوء الخلق ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض
دون البعض فليشتغل بتحصيل ما فقده وحفظ ما وجده ووصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن بصفات كثيرة واشار بجميعها الى محاسن الاخلاق
فقال المؤمن يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا
او ليصمت وذكر ان صفات المؤمنين حسن الخلق فقال اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم اخلاقا وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم المؤمن صموتا
وقورا فادنوا منه فانه يلقن الحكمة وقال من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن وقال صلى الله عليه وسلم لا يحل لمؤمن ان يشير الى اخيه بنظرة تؤذيه
وقال لا يحل لمسلم ان يروع مسلما وقال انما يتجالس المتجالسان بامانة الله تعالى فلا يحل لاحدهما ان يفشي على اخيه ما يكرهه
وجمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال هو ان يكون كثير الحياء قليل الاذى كثير الصلاح صدوق اللسان قليل الكلام
كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول برا وصولا وقورا صبورا رضيا شكورا حليما رفيقا عفيفا شفيقا لا لعانا ولا سبابا ولا نماما ولا
مغتابا ولا عجولا ولا حقودا ولا بخيلا ولا حسودا هشاشا بشاشا يحب في الله ويبغض في الله ويرضى في الله ويغضب في الله فهذا هو
حسن الخلق وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علامة المؤمن والمنافق فقال ان المؤمن همته في الصلاة والصيام والعبادة والمنافق همته
في الطعام والشراب كالبهيمة وقال حاتم الاصم المؤمن مشغول بالفكر والعبر والمنافق مشغول بالحرص والامل والمؤمن آيس من كل احد الا من الله
والمنافق خائف من كل احد الا من الله والمؤمن يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله والمؤمن يحسن ويبكي والمنافق يسيء ويضحك

من بين يديه ويمنع من لغو الكلام وفحشه ومن اللعن والسب ومن مخالطة من يجري على لسانه شيء من ذلك فإن ذلك يسري لا محالة من القرناء السوء وينبغي إذا ضربه المؤدب أن لا يكثر الصراخ والشغب ولا يستشفع بأحد بل يصبر ويذكر أن ذلك دأب الشجعان والرجال وأن كثرة الصراخ دأب المماليك والنسوان وينبغي أن يؤذن له بعد الفراغ من المكتب أن يلعب لعباً جميلاً يستريح إليه من تعب المكتب بحيث لا يتعب في اللعب فإن منع الصبي من اللعب وإرهاقه إلى التعلم دائماً يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأساً وينبغي أن يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه وكل من هو أكبر سناً منه من قريب وأجنبي وأن ينظر إليهم بعين الجلالة والتعظيم وأن يترك اللعب بين أيديهم ومهما بلغ سن التمييز فينبغي أن لا يسامح في ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم في بعض أيام شهر رمضان ويجنب لبس الحرير والذهب ويعلم كل ما يحتاج إليه من حدود الشرع ويخوف من السرقة وأكل الحرام ومن الكذب والخيانة والفحش وكل ما يغلب على الصبيان فإذا وقع نشوؤه كذلك في الصبا فمهما قارب البلوغ أمكن أن يعرف أسرار هذه الأمور فيذكر له أن الأطعمة أدوية وإنما المقصود منها أن يقوى الإنسان بها على عبادة الله تعالى وأن الدنيا كلها لا أصل لها إذ لا بقاء لها وأن الموت يقطع نعيمها وأنها دار ممر لا دار مقر وأن الموت منتظر في كل ساعة وأن الكيس العاقل من تزود من الدنيا للآخرة حتى تعظم عند الله درجته ويتسع في الجنان نعيمه فإذا كان النشوء صالحاً كان هذا الكلام عند البلوغ واقعاً مؤثراً ناجعاً يثبت في قلبه كما يثبت النقش في الحجر وإن وقع النشوء بخلاف ذلك حتى ألف الصبي اللعب والفحش والوقاحة وشره الطعام واللباس والتزين والتفاخر نبا قلبه عن قبول الحق نبوة الحائط عن التراب اليابس فأوائل الأمور هي التي ينبغي أن تراعى فإن الصبي بجوهره خلق قابلاً للخير والشر جميعاً وإنما أبواه يميلان به إلى أحد الجانبين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وقال سهل بن عبد الله التستري كنت ابن ثلاث سنين وكنت أقوم بالليل أنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار فقال لي يوماً ألا تذكر الله الذي خلقك فقلت كيف أذكره فقال قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك الله معي الله ناظر إلي الله شاهدي فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته فقال قل في كل ليلة سبع مرات فقلت ذلك ثم أعلمته فقال قل ذلك كل ليلة إحدى عشرة مرة فقلته فوقع في قلبي حلاوته فلما كان بعد سنة قال لي خالي احفظ ما علمتك ودم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة فلم أزل على ذلك سنين فوجدت له حلاوة في سري ثم قال لي خالي يوماً يا سهل من كان الله معه وناظراً إليه وشاهده أيعصيه إياك والمعصية فكنت أخلو فبعثوا بي إلى المكتب فقلت إني لأخشى أن يتفرق علي همي ولكن شارطوا المعلم أني أذهب إليه ساعة فأتعلم ثم أرجع فمضيت إلى الكتاب وحفظت القرآن وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين وكنت أصوم الدهر وقوتي من خبز الشعير اثنتي عشرة سنة فوقعت لي مسألة وأنا ابن ثلاث عشرة سنة فسألت أهلي أن يبعثوا بي إلى البصرة لأسأل عنها فجئت البصرة وسألت علماءها فلم يشف أحد عني شيئاً فخرجت إلى عبادان إلى رجل يعرف بأبي حبيب حمزة بن عبد الله العباداني فسألته عنها فأجابني فأقمت عنده مدة أنتفع بكلامه وأتأدب بأدبه ثم رجعت إلى تستر فجعلت قوتي اقتصاداً على أن يشترى لي بدرهم من الشعير الفرق فيطحن ويخبز لي فأفطر عند كل سحر على أوقية واحدة بحتاً بغير ملح ولا أدام فكان يكفيني ذلك الدرهم سنة ثم عزمت على أن أطوي ثلاث ليال ثم أفطر ليلة ثم خمساً ثم سبعاً ثم خمساً وعشرين ليلة وكنت على ذلك عشرين سنة ثم خرجت أسيح في الأرض سنين ثم رجعت إلى تستر وكنت أقوم الليل كله

بيان شروط الإرادة ومقدمات المجاهدة وتدريج المريد

اعلم أن من شاهد الآخرة بقلبه مشاهدة يقين أصبح بالضرورة مريداً حرث الآخرة مشتاقاً إليها سالكاً سبيلها مستهيناً بنعيم الدنيا ولذاتها فإن من كان معه خرزة فرأى جوهرة نفيسة لم يبق له رغبة في الخرزة وقويت إرادته في بيعها بالجوهرة فمن ليس مريداً حرث الآخرة والطالب للقاء الله تعالى فهو لعدم إيمانه بالله تعالى واليوم الآخر ولست أعني بالإيمان حديث القلب وحركة اللسان بكلمتي الشهادة من غير صدق وإخلاص فإن ذلك يضاهي قول من صدق بأن الجوهرة خير من الخرزة إلا أنه لا يدري من الجوهرة إلا لفظه وأما حقيقته فلا ومثل هذا المصدق إذا ألف الخرزة قد لا يتركها ولا يعظم اشتياقه إلى الجوهرة فإذاً المانع من الوصول عدم السلوك والمانع من السلوك عدم الإرادة والمانع من الإرادة عدم الإيمان وسبب عدم الإيمان عدم الهداة والمذكرين والعلماء بالله تعالى الهادين إلى طريقه والمنبهين على حقارة الدنيا وانقراضها وعظم أمر الآخرة ودوامها والخلق غافلون قد انهمكوا في شهواتهم وغاصوا في رقدتهم وليس في علماء الدين من ينبههم فإن تنبه منهم متنبه عجز عن سلوك الطريق لجهله فإن طلب الطريق من العلماء وجدهم مائلين إلى الهوى عادلين عن نهج الطريق فصار ضعف الإرادة والجهل بالطريق ونطق العلماء بالهوى سبب خلو طريق الله تعالى عن السالكين ومهما كان المطلوب محجوباً والدليل مفقوداً والهوى غالباً والطالب غافلاً امتنع الوصول وتعطلت الطرق لا محالة فإن تنبه متنبه من نفسه أو تنبيه غيره وانبعث له إرادة في حرث الآخرة وتجارتها فينبغي أن يعلم أن له شروطاً لا بد من تقديمها في بداية الإرادة وله معتصم لا بد من التمسك به وله حصن لا بد من التحصن به ليأمن من الأعداء القطاع لطريقه وله وظائف لا بد من ملازمتها في وقت سلوك الطريق أما الشروط التي لا بد من تقديمها في الإرادة فهو رفع السد والحجاب الذي بينه وبين الحق فإن حرمان الخلق عن الحق سببه تراكم الحجب ووقوع السد على الطريق قال الله تعالى وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون والسد بين المريد وبين الحق أربعة أمور المال والجاه والتقليد والمعصية وإنما يرتفع حجاب المال بأن يفرقه ويخرجه عن ملكه حتى لا يبقى له إلا قدر ضرورته فما دام يبقى له درهم يلتفت إليه قلبه فهو مقيد به محجوب عن الله تعالى وإنما يرتفع حجاب الجاه بالبعد عن موضع الجاه والتواضع وإيثار الخمول والهرب من أسباب الذكر وتعاطي أعمال تنفر قلوب الخلق وإنما يرتفع حجاب التقليد بأن يترك التعصب للمذاهب وأن يصدق بمعنى قوله لا إله إلا الله محمد رسول الله تصديق إيمان ويحرص في تحقيق صدقه بأن يرفع كل معبود له سوى الله تعالى وأعظم معبود له الهوى حتى إذا فعل ذلك انكشف له حقيقة الأمر في معنى اعتقاده الذي تلقفه تقليداً فينبغي أن يطلب كشف ذلك من المجاهدة لا من المجادلة فإن غلب عليه التعصب لمعتقده ولم يبق في قلبه متسع لغيره صار ذلك قيداً له وحجاباً إذ ليس من شرط المريد الانتماء إلى مذهب معين أصلاً وأما المعصية فهي حجاب لا يرفعها إلا التوبة والخروج من المظالم وتصميم العزم على ترك العود وتحقيق الندم على ما مضى ورد المظالم وإرضاء الخصوم فإن من لم يصحح التوبة ولم يهجر المعاصي الظاهرة وأراد أن يقف على أسرار الدين بالمكاشفة كان كمن يريد أن يقف على أسرار القرآن وتفسيره وهو لم يتعلم لغة العرب بعد فإن ترجمة عربية القرآن لا بد من تقديمها أولاً ثم الترقي منها إلى أسرار معانيه وكذلك لا بد من تصحيح ظاهر الشريعة أولاً وآخراً ثم الترقي إلى أسرارها وأغوارها فإذا قدم هذه الشروط الأربعة وتجرد عن المال والجاه كان كمن تطهر وتوضأ ورفع الحدث وصار صالحاً للصلاة فيحتاج إلى إمام يقتدي به فكذلك المريد يحتاج إلى شيخ وأستاذ يقتدي به لا محالة ليهديه إلى سواء السبيل فإن سبيل الدين غامض وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة ومن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان لا محالة إلى طرقه فمن سلك البوادي المهلكة من غير خفير فقد خاطر بنفسه وأهلكها ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التي تنبت بنفسها فإنها تجف على القرب وإن بقيت مدة وأورقت لم تثمر فمعتصم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك الأعمى على شاطئ النهر بالقائد بحيث يفوض إليه أمره بالكلية ولا يخالفه في ورده ولا صدره ولا يبقي في متابعته شيئاً ولا يذر وليعلم أن نفعه في خطأ شيخه لو أخطأ أكثر من نفعه في صواب نفسه لو أصاب فإذا وجد مثل هذا المعتصم وجب على معتصمه أن يحميه ويعصمه بحصن حصين يدفع عنه قواطع الطريق وهي أربعة أمور الخلوة والصمت والجوع والسهر وهذا تحصن من القواطع فإن مقصود المريد إصلاح قلبه ليشاهد به ربه ويصلح لقربه أما الجوع فإنه ينقص دم القلب فيبيضه وفي بياضه نوره ويذيب شحم الفؤاد وفي ذوبانه رقته ورقته مفتاح المكاشفة كما أن قسوته سبب الحجاب ومهما نقص دم القلب ضاق مسلك العدو فإن مجاريه العروق الممتلئة بالشهوات وقال عيسى عليه الصلاة والسلام جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم وقال سهل ما صار الأبدال أبدالاً إلا بأربع خصال إخماص البطون والسهر والصمت والاعتزال عن الناس ففائدة الجوع في تنوير القلب أمر ظاهر تشهد له التجربة وسيأتي بيان وجه التدريج في كتاب كسر الشهوتين وأما السهر فإنه يجلو القلب ويصفيه وينوره فينضاف ذلك إلى الصفاء الذي حصل من الجوع ويصير القلب كالكوكب الدري والمرآة المجلوة فيلوح فيه جمال الحق ويشاهد فيه الدرجات في الآخرة وحقارة الدنيا وآفاتها فتتم بذلك رغبته عن الدنيا وإقباله على الآخرة والسهر أيضاً نتيجة الجوع فإن السهر مع الشبع غير ممكن والنوم يقسي القلب ويميته إلا إذا كان بقدر الضرورة فيكون سبب المكاشفة لأسرار الغيب فقد قيل في صفة الأبدال إن أكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة وقال إبراهيم الخواص رحمه الله تعالى اجتمع رأي سبعين صديقاً على أن كثرة النوم من كثرة شرب الماء وأما الصمت فإنه تسهله العزلة ولكن المعتزل لا يخلو عن مشاهدة من يقوم له بطعامه وشرابه وتدبير أمره فينبغي أن لا يتكلم إلا بقدر الضرورة فإن الكلام يشغل القلب وشره القلب إلى الكلام عظيم فإنه يستروح إليه ويستثقل التجرد للذكر والفكر فيستريح إليه فالصمت يلقح العقل ويجلب الورع ويعلم التقوى وأما الخلوة ففائدتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر فإنهما دهليز القلب والقلب في حكم حوض تنصب إليه مياه كريهة كدرة قذرة من أنهار الحواس ومقصود الرياضة تفريغ الحوض من تلك المياه ومن الطين الحاصل منها ليتفجر أصل الحوض فيخرج منه الماء النظيف الطاهر فكيف يصح أن ينزح الماء من الحوض والأنهار مفتوحة إليه فيتجدد في كل حال أكثر مما ينقص فلا بد من ضبط الحواس إلا عن قدر الضرورة وليس يتم ذلك إلا بالخلوة في مكان مظلم فإن لم يكن له مكان مظلم فليلف رأسه في جيبه أو يتدثر بك

اوادار فترى في مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال الحضرة الربوبية اما ترى ان بدء رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغ ووعظ
هذه الصفة فقيل له يا ايها المزمل يا ايها المدثر فرسخه الرياضة حتى وحصل برفع عنه القواطع وبمنع العوائق القاطعة للطريق فاذا
عرف ذلك اشتغل بعده بسلوك الطريق وانما سلوكه بقطع العقبات ولا عقبة على طريق الله تعالى الا صفات القلب التي سببها الالتفات
الى الدنيا وبعض تلك العقبات اعظم من بعض **فالترتيب في** قطعها ان يشتغل بالاسهل فالاسهل وهي بعينها تلك الصفات اسرار
العلائق التي قطعها في اول الارادة واثارها يعني المال والجاه وحب الدنيا والالتفات الى الخلق والتشوق الى المعاصي فلا بد وان
يخلي الباطن عن اثارها كما اخلى الظاهر عن اسبابها الظاهرة وفيه تطول المجاهدة ومخالفة الهوى في كل صفة غالبة على نفس المريد
كما سبق ذكره فاذا كفي ذلك وضعفت المجاهدة ولم يبق في قلبه علقة تشغله بعد ذلك بذكر يلزم قلبه على الدوام ويمنعه من تكثير الاوراد
الظاهرة بل يقتصر على الفرائض والرواتب ويكون ورده وردا واحدا وهو لباب الاوراد وثمرتها اعني ملازمة القلب لذكر الله تعالى
بعد الخلو عن ذكر غيره ولا يشغله به ما دام ملتفتا الى علائقه قال الشبلي للحصري رحمهما الله ان كان يخطر على قلبك من الجمعة الى الجمعة التي تاتيني
شيء غير الله عز وجل فحرام عليك ان تاتيني وهذا التجرد لا يمكن الا مع صدق الارادة واستيلاء حب الله تعالى على القلب حتى يكون في صورة العاشق المستهتر
الذي ليس له الا هم واحد فاذا صار كذلك الزمه الشيخ زاوية ينفرد بها ويوكل به من يقوم له بقدر يسير من القوت الحلال فان اصل
طريق الدين القوت الحلال وعند ذلك يلقنه ذكرا من الاذكار حتى يشغل به لسانه وقلبه فيجلس ويقول مثلا الله الله الله او
سبحان الله او ما يراه الشيخ من الكلمات فلا يزال يواظب عليه حتى يسقط الاثر عن اللسان وتبقى صورة اللفظ في القلب ثم لا يزال كذلك
حتى يمحى عن القلب حروف اللفظ وصورته وتبقى حقيقته ومعناه لازما للقلب حاضرا معه غالبا عليه وقد فرغ القلب عن كل ما سواه
لان القلب اذا اشتغل بشيء خلا عن غيره اي شيء كان فاذا اشتغل بذكر الله تعالى وهو المقصود خلا لا محالة عن غيره وعند ذلك يلزمه ان
يراقب وساوس القلب والخواطر التي تتعلق بالدنيا وما يتذكر فيه مما مضى من احواله واحوال غيره فانه مهما اشتغل بشيء منه ولو في لحظة
خلا قلبه عن الذكر في تلك اللحظة وكان ايضا نقصانا فليجتهد في دفع ذلك ومهما دفع الوساوس كلها ورد النفس الى هذه الكلمة جاءته الوساوس
من هذه الكلمة وانها ما هي وما معنى قولنا الله ولاي معنى كان الها وكان معبودا ويعتريه عند ذلك خواطر تفتح عليه باب الفكر وربما يرد عليه
من وساوس الشيطان ما هو كفر او بدعة ومهما كان كارها لذلك ومتشمرا لاماطته عن القلب لم يضره ذلك وهي منقسمة الى ما يعلم
قطعا ان الله تعالى منزه عنه ولكن الشيطان يلقي ذلك في قلبه ويجريه على خاطره فشرطه ان لا يبالي به ويفزع الى ذكر الله تعالى ويبتهل
اليه ليدفعه عنه كما قال تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان
تذكروا فاذا هم مبصرون والى ما يشك فيه فينبغي ان يعرض ذلك على شيخه بل كل ما يجد في قلبه من الاحوال من فترة او نشاط او التفات
الى علقة او صدق في ارادة فينبغي ان يظهر ذلك لشيخه وان يستره عن غيره فلا يطلع عليه احدا ثم ان شيخه ينظر في حاله ويتامل في ذكائه وكياسته
فان علم انه لو تركه وامره بالفكر تنبه من نفسه لحقيقة الحق فينبغي ان يحيله على الفكر ويامره بملازمته حتى يقذف في قلبه من النور ما يكشف
له به حقيقته وان علم ان ذلك مما لا يقوى عليه مثله رده الى الاعتقاد الصحيح بما يحتمله قلبه من وعظ وذكر ودليل قريب من فهمه وينبغي
ان يتانق الشيخ ان يتلطف به فان هذه مهالك الطريق ومواقع اخطارها وكم من مريد اشتغل بالرياضة فغلب عليه
خيال فاسد لم يقو على كشفه فانقطع عليه طريقه فاشتغل بالبطالة وسلك طريق الاباحة وذلك هو الهلاك العظيم **ومن تجرد للفكر**
ودفع العلائق الشاغلة عن قلبه لم يخل عن امثال هذه الافكار فانه قد ركب سفينة الخطر فان سلم كان من ملوك الدين وان اخطا
كان من الهالكين ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بدين العجائز وهو تلقي اصل الايمان وظاهر الاعتقاد بطريق التقليد
والاشتغال باعمال الخير فان الخطر في العدول عن ذلك كثير ولهذا يجب على الشيخ ان يتفرس في المريد فان لم يكن ذكيا فطنا متمكنا من اعتقاد
الظاهر لم يشغله بالفكر والذكر بل يرده الى الاعمال الظاهرة والاوراد المتواترة او يشغله بخدمة المتجردين للفكر لتشمله بركتهم فان
العاجز عن الجهاد في صف القتال ينبغي ان يسقي القوم ويتعهد دوابهم ليحشر يوم القيامة في زمرتهم وتعمه بركتهم وان
كان لا يبلغ درجتهم ثم المريد المتجرد للذكر والفكر قد تقطعه قواطع كثيرة من العجب والرياء والفرح بما ينكشف له من الاحوال وما
يبدو من اوائل الكرامات ومهما التفت الى شيء من ذلك وشغل نفسه به كان ذلك فتورا في طريقه ووقوفا بل ينبغي ان
يلازم حاله جملة عمره ملازمة العطشان الذي لا ترويه البحار ولو افيضت عليه ويدوم على ذلك وراس ماله الانقطاع
عن الخلق قال بعض السائحين قلت لبعض الابدال المنقطعين عن الخلق كيف الطريق الى التحقيق وقال مرة قلت له دلني على

على عمله اجديه فلم يرح استغرق وقتك على الدوام تعالى لا تشتغل بالخلق فان النظر اليهم ظلمة قلت لا بد لي منهم قال فلا تعاملهم فان
معاملتهم وحشة قلت انا بين اظهرهم لا بد لي من معاملتهم قال فلا تسكن اليهم فان السكون اليهم هلكة قلت هذه علة قال يا هذا اتنظر
الى الغافلين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتريد ان تجد قلبك مع الله تعالى على الدوام هذا ما لا يكون ابدا فاذا منتهى الرياضة ان يجد
قلبه مع الله تعالى ابدا ولا يمكن ذلك الا بان يخلو عن غيره ولا يخلو عن غيره الا بطول المجاهدة فاذا حصل قلبه مع الله تعالى انكشف له جلال الحضرة
الربوبية وتجلى له الحق وظهر له من لطائف رحمة الله تعالى ما لا يجوز ان يوصف بل لا يحيط الوصف به اصلا فاذا انكشف للمريد شيء من ذلك
فاعظم القواطع عليه ان يتكلم به وعظا ونصحا ويتصدى للتذكير فتجد النفس فيه لذة ليس وراءها لذة فتدعوه تلك اللذة الى ان يتفكر في كيفية ايراد
تلك المعاني وتحسين الالفاظ المعبرة عنها وترتيب ذكرها وتزيينها بالحكايات وشواهد القرآن والاخبار وتحسين صورة الكلام لتميل اليه القلوب
والاسماع والشيطان ربما يخيل اليه ان هذا منك احياء لقلوب الغافلين عن الله تعالى وانما انت واسطة بين الله تعالى وبين الخلق تدعو عباده
وما لك فيه نصيب ولا لنفسك فيه لذة ويتضح كيد الشيطان بان يظهر في اقرانه من يكون احسن كلاما واجزل لفظا واقدر على جلب قلوب العوام
فانه يتحرك في قلبه لا محالة عقرب الحسد ان كان محركه لذة القبول وان كان محركه هو الحق حرصا على دعوة عباد الله الى صراطه المستقيم فيعظم فرحه
به ويقول الحمد لله الذي عضدني وايدني بمن وازرني على اصلاح عباده كالذي وجب عليه مثلا ان يحمل ميتا ليدفنه اذ وجده ضائعا وتعين عليه
ذلك شرعا فجاءه من اعانه عليه فانه يفرح به ولا يحسد من يعينه والغافلون موتى والوعاظ هم المنبهون والمحيون لهم ففي كثرتهم استرواح وتناصر
فينبغي ان يعظم الفرح بذلك وهذا عزيز الوجود جدا فينبغي ان يكون المريد على حذر منه فانه اعظم حبائل الشيطان في قطع الطريق على من انفتح له اوائل الطريق
فان ايثار الحياة الدنيا طبع غالب على الانسان ولذلك قال تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا ثم بين ان الشر قديم في الطباع وان ذلك مذكور في
الكتب السالفة فقال ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى فهذا منهاج رياضة المريد وتربيته في التدريج الى لقاء الله تعالى فاما تفصيل
الرياضة في كل صفة فسياتي فان اغلب الصفات على الانسان بطنه وفرجه ولسانه اعني به الشهوات المتعلقة بها ثم الغضب الذي هو كالجند
لحماية الشهوات ثم مهما احب الانسان شهوة البطن والفرج وانس بهما احب الدنيا ولا يمكنه الا بالمال والجاه واذا طلب المال والجاه
حدث فيه الكبر والعجب والرياسة واذا ظهرت ذلك لم تسمح نفسه بترك الدين راسا تمسك من الدين بما فيه الرياسة وغلب عليه الغرور فلهذا
وجب علينا بعد تقديم هذين الكتابين ان نستوفي هذه المهلكات في ثمانية كتب كتاب في كسر شهوة البطن والفرج وكتاب في آفات
اللسان وكتاب في كسر الغضب والحقد والحسد وكتاب في ذم الدنيا وتفصيل خدعها وكتاب في كسر حب المال وذم البخل وكتاب
في ذم الرياء وحب الجاه وكتاب في ذم الكبر والعجب وكتاب في مواقع الغرور وبذكر هذه المهلكات وتعليم طرق المعالجة فيها يتم غرضنا
من ربع المهلكات ان شاء الله تعالى فان ما ذكرناه في الكتاب الاول هو شرح لصفات القلب الذي هو معدن المهلكات والمنجيات وما ذكرناه
في الكتاب الثاني هو اشارة كلية الى تهذيب الاخلاق ومعالجة امراض القلوب اما تفصيلها فانما ياتي في هذه الكتب ان شاء الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المتفرد بالجلال في كبريائه وتعاليه المستحق للتحميد والتقديس والتسبيح والتنزيه القائم
بالعدل فيما يبرمه ويقضيه المتطول بالفضل فيما ينعم به ويسديه المتكفل بحفظ عبده في جميع موارده ومجاريه المنعم عليه بما يزيد على
مهمات مقاصده بل بما يفي بامانيه فهو الذي يرشده ويهديه وهو الذي يميته ويحييه واذا مرض فهو يشفيه واذا ضعف
فهو يقويه وهو الذي يوفقه للطاعة ويرتضيه وهو الذي يطعمه ويسقيه ويحفظه من الهلاك ويحميه ويحرسه بالطعام
والشراب عما يهلكه ويرديه ويمكنه من القناعة بقليل القوت ويقويه حتى تضيق به مجاري الشيطان الذي يناويه ويكسر سطوة
النفس التي تعاديه فيدفع شرها ثم يعبد ربه ويتقيه هذا بعد ان يوسع عليه ما يلتذ به ويشتهيه ويكثر عليه ما يهيج بواعثه
ويؤتيه كل ذلك ليمتحنه به ويبتليه فينظر كيف يؤثره على ما يهواه وينتحيه وكيف يحفظ اوامره وينتهي عن نواهيه
ويواظب على طاعته وينزجر عن معاصيه والصلاة على محمد عبده النبيه ورسوله الوجيه صلاة تزلفه وتحظيه وترفع منزلته
وتعليه وعلى الابرار من عترته والاخيار من اصحابه وتابعيه **اما بعد** فاعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن فبها
اخرج آدم وحواء من دار القرار الى دار الذل والافتقار اذ نهيا عن الشجرة فغلبتهما شهوتهما حتى اكلا منها فبدت لهما سوآتهما
والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الادواء والآفات اذ يتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق الى المنكوحات ثم يتبع

شهوة المطعم والمنكح شدة الرغبة في المال والجاه اللذين هما الوسيلة الى التوسع في المطعومات والمنكوحات ثم يتبع استكثار المال والجاه انواع الرعونات وضروب المنافسات والمحاسدات ثم يتولد منهما آفة الريا وغائلة التفاخر والتكاثر والكبريا ثم يتداعى ذلك الى الحقد والحسد والعداوة والبغضا ثم يفضي بصاحبه الى اقتحام البغي والمنكر والفحشا وكل ذلك ثمرة اهمال المعدة وما يتولد منها من بطر الشبع والامتلا ولو ذلل العبد نفسه بالجوع وضيق به مجاري الشيطان لاذعنت لطاعة الله ولم تسلك سبيل البطر والطغيان ولم ينجر به ذلك الى الانهماك في الدنيا وايثار العاجلة على العقبى ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا واذا عظمت آفة شهوة البطن الى هذا الحد وجب شرح غوائلها وآفاتها تحذيرا منها ووجب ايضاح طريق المجاهدة لها والتنبيه على فضلها ترغيبا فيه وكذلك شرح شهوة الفرج فانها تابعة لها ونحن نوضح ذلك بعون الله تعالى في فصول يجمعها بيان فضيلة الجوع ثم بيان فوائده ثم طريق الرياضة في كسر شهوة البطن بالتقليل من الطعام والتاخير ثم بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف احوال الناس ثم بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين

بيان فضيلة الجوع وذم الشبع

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدوا انفسكم بالجوع والعطش فان الاجر في ذلك كاجر المجاهد في سبيل الله وانه ليس من عمل احب الى الله من جوع وعطش وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل ملكوت السما من ملا بطنه وقيل يا رسول الله اي الناس افضل قال من قل مطعمه وضحكه ورضي بما يستر به عورته وقال صلى الله عليه وسلم سيد الاعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البسوا الصوف وكلوا واشربوا في انصاف البطون فانه جزء من النبوة وقال الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضلكم عند الله اطولكم جوعا وتفكرا وابغضكم الى الله كل نؤوم اكول شروب وفي الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يجوع من غير عوز اي مختارا لذلك وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يباهي الملائكة بمن قل مطعمه في الدنيا يقول انظروا الى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فتركهما اشهدوا يا ملائكتي ما من اكلة يدعها الا ابدلته بها درجات في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء وقال صلى الله عليه وسلم ما ملا آدمي وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه وان كان لا بد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه وفي حديث اسامة بن زيد وحديث ابي هريرة الطويل ذكر فضل الجوع اذ قال فيه ان اقرب الناس من الله يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا الاحفيا الاتقيا الذين ان شهدوا لم يعرفوا وان غابوا لم يفتقدوا تعرفهم بقاع الارض وتحف بهم ملائكة السما نعم الناس بالدنيا ونعموا بطاعة الله افترش الناس الفرش وافترشوا الجباه والركب ضيع الناس فعل النبيين واخلاقهم وحفظوها هم تبكي الارض اذا فقدتهم ويسخط الله على كل بلدة ليس فيها منهم احد لم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف اكلوا العلق ولبسوا الخرق شعثا غبرا يراهم الناس فيظنون ان بهم داء وما بهم داء ويقال قد خولطوا وذهبت عقولهم وما ذهبت عقولهم ولكن نظر القوم بقلوبهم الى امر الله الذي اذهب عنهم الدنيا فهم عند اهل الدنيا يمشون بلا عقول حين ذهبت عقول الناس لهم الشرف في الآخرة يا اسامة اذا رايتهم في بلدة فاعلم انهم امان لتلك البلدة لا يعذب الله قوما هم فيهم الارض بهم فرحة والجبار عنهم راض اتخذهم لنفسك اخوانا عسى ان تنجو بهم وان استطعت ان ياتيك الموت وبطنك جائع وكبدك ظمآن فافعل فانك تدرك بذلك شرف المنازل وتحل مع النبيين وتفرح بقدوم روحك الملائكة ويصلي عليك الجبار وروى الحسن عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال البسوا الصوف وشمروا وكلوا في انصاف البطون تدخلوا في ملكوت السما وقال عيسى عليه الصلاة والسلام اجيعوا اكبادكم واعروا اجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل وفي التورية مكتوب ان الله يبغض الحبر السمين لان السمن يدل على الغفلة وكثرة الاكل وذلك قبيح خصوصا بالحبر ولاجله قال ابن مسعود رض ان الله يبغض القارئ السمين وفي خبر مرسل ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش وفي الخبر ان الاكل على الشبع يورث البرص وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن ياكل في معى واحد والمنافق ياكل في سبعة امعا اي ياكل سبعة اضعاف ما ياكل المؤمن وروى الحسن عن عائشة رض قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول داوموا قرع باب الجنة يفتح لكم فقلت كيف نديم قرع باب الجنة قال بالجوع والظما وروي ان ابا جحيفة تجشا في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله اقصر من جشائك فان اكثر الناس جوعا يوم القيامة اكثرهم شبعا في الدنيا وكانت عائشة رض تقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ قط شبعا وربما بكيت رحمة له مما ارى به من الجوع فامسح بطنه بيدي واقول نفسي لك الفدا لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة اخواني من اولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم واني استحي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي دونهم فاصبر وما من شي احب الي من اللحوق باخواني واخلائي قالت عائشة رض فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله وعن انس رض قال جاءت فاطمة بكسرة خبز الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الكسرة

قالت قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى اتيتك منه بهذه الكسرة فقال اما انه اول طعام دخل فم ابيك منذ ثلاثة ايام وقال ابو هريرة ما اشبع النبي صلى الله عليه وسلم اهله ثلاثة ايام تباعا من خبز حنطة حتى فارق الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ان اهل الجوع في الدنيا هم اهل الشبع في الآخرة وان ابغض الناس الى الله المتخمون الملأى وما ترك عبد اكلة يشتهيها الا كانت له درجة في الجنة

واما الآثار فقد قال عمر بن الخطاب رض اياكم والبطنة فانها ثقل في الحياة نتن في الممات وقال شقيق العبادة حرفة وحانوتها الخلوة وآلتها المجاعة وقال لقمان لابنه يا بني اذا امتلات المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضا عن العبادة وقال الفضيل بن عياض لنفسه اي شي تخاف اتخاف ان تجوع لا تخافي ذلك انت اهون على الله من ذلك انما يجوع محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه وكان كهمس يقول الهي اجعتني واعريتني وفي ظلم الليالي اجلستني فباي وسيلة بلغتني ما بلغتني وكان فتح الموصلي اذا اشتد مرضه وجوعه يقول الهي ابتليتني بالمرض والجوع وكذلك تفعل باوليائك فباي عمل اؤدي شكر ما انعمت به علي وقال مالك بن دينار قلت لمحمد بن واسع يا ابا عبد الله طوبى لمن كانت له غليلة تقوته وتغنيه عن الناس فقال لي يا ابا يحيى طوبى لمن اصبح جائعا وامسى جائعا وهو عن الله راض وكان الفضيل يقول الهي اجعتني واجعت عيالي وتركتني في ظلم الليل بلا مصباح وانما تفعل هذا باوليائك فباي منزلة نلت هذا منك وفي التورية اتق الله واذا شبعت فاذكر الجائع وقال ابو سليمان لان اترك لقمة من عشائي احب الي من قيام ليلة الى الصبح وقال ايضا الجوع عند الله في خزائنه لا يعطيه الا من يحب وكان سهل التستري يطوي نيفا وعشرين يوما لا ياكل وكان يكفيه لطعامه في السنة درهم وكان يعظم الجوع ويبالغ فيه حتى قال لا يوافي القيامة عمل بر افضل من ترك فضول الطعام اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في اكله وقال لم ير الاكياس شيئا انفع من الجوع للدين والدنيا وقال لا اعلم شيئا اضر على طلاب الآخرة من الاكل وقال وضع العلم والحكمة في الجوع وجعل الجهل والمعصية في الشبع وقال ما عبد الله بشي افضل من مخالفة الهوى في ترك الحلال وقد قال في الحديث ثلث للطعام فمن زاد فانما ياكل من حسناته وسئل عن الزيادة فقال لا يجد الزيادة حتى يكون الترك احب اليه من الاكل ويكون اذا جاع ليلة سال الله تعالى ان يجعلها ليلتين فاذا كان كذلك وجد الزيادة وقال ايضا ما صار الابدال ابدالا الا باخماص البطون والصمت والسهر وقال راس كل بر بين السما والارض الجوع وراس كل فجور بينهما الشبع وقال من جوع نفسه انقطعت عنه الوساوس وقال اقبال الله تعالى على العبد بالجوع والسقم والبلا الا ما شاء الله وقال ما مر على وجه الارض احد شرب من هذا الماء حتى روي فسلم من المعصية وان شكر الله تعالى فكيف الشبع من الطعام وسئل حكيم باي قيد اقيد نفسي قال قيدها بالجوع والعطش وذللها باخمال الذكر وترك العز وضعها تحت ارجل ابناء الآخرة واكسرها بترك زي القراء عن ظاهرها وانج من آفاتها بدوام سوء الظن بها واصحبها بخلاف هواها وكان عبد الواحد بن زيد يقسم بالله ما صافى الله احدا الا بالجوع ولا مشوا على الماء الا بالجوع ولا طويت لهم الارض الا بالجوع ولا تولاهم الله تعالى الا بالجوع وقال ابو طالب المكي مثل البطن مثل المزهر وهو العود المجوف ذو الاوتار انما حسن صوته لخفته ورقته ولانه اجوف غير ممتلئ فكذلك الجوف اذا خلا كان اعذب للتلاوة وادوم للقيام واقل للمنام وقال ابو بكر بن عبد الله ثلاثة يحبهم الله تعالى قليل الاكل قليل النوم قليل الراحة وروي ان عيسى عليه السلام مكث يناجي ربه ستين صباحا لم ياكل فخطر بباله الخبز فانقطع عن المناجاة فاذا رغيف موضوع بين يديه فجلس يبكي على فقد المناجاة فاذا شيخ قد اظله فقال له عيسى بارك الله فيك يا ولي الله ادع الله لي فاني كنت في حالة فخطر ببالي الخبز فانقطعت عني فقال الشيخ اللهم ان كنت تعلم اني ما خطر ببالي الخبز منذ عرفتك فلا تغفر لي وروي ان موسى عليه الصلاة والسلام لما قربه الله نجيا كان قد ترك الاكل اربعين يوما

بيان فوائد الجوع وآفات الشبع

لعلك تقول ان هذا الفضل العظيم للجوع من اين هو وما سببه وليس فيه الا ايلام المعدة ومقاساة الاذى فان كان كذلك فينبغي ان يعظم الفضل في كل ما يتاذى به الانسان من ضربه نفسه وقطعه لحمه وتناول الاشيا الكريهة وما يجري مجراه فاعلم ان هذا يضاهي قول من شرب دوا فانتفع به فظن ان منفعته لمرارة الدوا وكراهته فاخذ يتناول كل ما هو كريه المذاق وهو غلط بل نفعه في خاصية في الدوا وليس لكونه مرا وانما يقف على تلك الخاصية الاطبا فكذلك لا يقف على علة نفع الجوع الا سماسرة العلما ومن جوع نفسه مصدقا بما جاء في الشرع من مدح الجوع انتفع به وان لم يعرف علة المنفعة كما ان من شرب الدوا انتفع به وان لم يعرف وجه كونه نافعا ولكنا نشرح لك ذلك ان اردت ان ترتقي من درجة الايمان الى درجة العلم يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات **فنقول في الجوع عشر فوائد الفائدة الاولى** صفاء القلب وانقاد القريحة ونفاذ البصيرة فان الشبع يورث البلادة ويعمي القلب ويكثر البخار في الدماغ شبه السكر حتى يحتوي على معادن

الفكر فيشتغل القلب بسببه عن الجريان في الافكار وعن سرعة الادراك بل الصبي اذا اكثر الاكل بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطيء الفهم والادراك قال ابو سليمان عليك بالجوع فانه مذلة للنفس ورقة للقلب وهو يورث العلم السماوي وقال النبي صلى الله عليه وسلم احيوا قلوبكم بقلة الضحك وطهروها بالجوع تصفو وترق ويقال مثل الجوع مثل الرعد والقناعة كالسحاب والحكمة كالمطر وقال النبي صلى الله عليه وسلم من اجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم من شبع ونام قسا قلبه ثم قال لكل شيء زكاة وان زكاة البدن الجوع وقال الشبلي ما جعت لله يوما الا رأيت في قلبي بابا من الحكمة والعبرة ما رأيته قط وليس يخفى ان غاية المقصود من العبادات الفكر الموصل الى المعرفة والاستبصار بحقائق الحق والشبع يمنع منه والجوع يفتح بابه والمعرفة باب من ابواب الجنة فبالحري ان يكون ملازمة الجوع قرعا لباب الجنة ولهذا قال لقمان لابنه يا بني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال الشيخ البسطامي الجوع سحاب فاذا جاع العبد مطر القلب الحكمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم نور الحكمة الجوع والتباعد من الله الشبع والقربة الى الله حب المساكين والدنو منهم لا تشبعوا فتطفئوا نور الحكمة من قلوبكم ومن بات يصلي في خفة من الطعام بات الحور حوله حتى يصبح

الفائدة الثانية رقة القلب وصفاؤه الذي به يتهيأ لادراك لذة المناجاة والتأثر بالذكر فكم من ذكر يجري على اللسان مع حضور القلب ولكن القلب لا يلتذ به ولا يتأثر عنه حتى كان بينه وبينه حجابا من قساوة القلب وقد يرق في بعض الاحوال فيعظم تأثره بالذكر وتلذذه بالمناجاة وخلو المعدة هو السبب الاظهر فيه قال ابو سليمان احلى ما يكون الي العبادة اذا التصق ظهري ببطني وقال الجنيد يجعل احدهم بينه وبين صدره مخلاة من الطعام ويريد ان يجد حلاوة المناجاة وقال ابو سليمان ان القلب اذا جاع وعطش صفا ورق واذا شبع عمي وغلظ فاذا تأثر القلب بلذة المناجاة امر وراء تيسر الفكر واقتناص المعرفة فهي فائدة ثانية

الفائدة الثالثة الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والاشر الذي هو مبدأ الطغيان والغفلة عن الله تعالى ولا تنكسر النفس ولا تذل بشيء كما تذل بالجوع فعنده تسكن لربها وتخشع له وتقف على عجزها وذلها اذ ضعفت منتها وضاقت حيلتها بلقمة طعام فاتتها واظلمت عليها الدنيا لشربة ماء تأخرت عنها وما لم يشاهد ذل نفسه وعجزه لا يرى عز مولاه ولا قهره وانما سعادته في ان يكون دائما مشاهدا نفسه بعين الذل والعجز ومولاه بعين العز والقدرة والقهر فليكن دائما جائعا مضطرا الى مولاه مشاهدا للاضطرار بالذوق ولذلك لما عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا وخزائنها قال لا بل اجوع يوما واشبع يوما فاني اذا جعت صبرت وتضرعت واذا شبعت شكرت او كما قال فالبطن والفرج باب من ابواب النار واصله الشبع والذل والانكسار باب من ابواب الجنة واصله الجوع ومن اغلق بابا من ابواب النار فقد فتح بابا من ابواب الجنة بالضرورة لانهما متقابلان كالمشرق والمغرب والقرب من احدهما بعد من الاخر

الفائدة الرابعة ان لا ينسى بلاء الله وعذابه ولا ينسى اهل البلاء فان الشبعان ينسى الجائع وينسى الجوع والعبد الفطن لا يشاهد بلاء غيره الا ويتذكر بلاء الآخرة ولذلك قيل ليوسف عليه السلام لم تجوع وفي يدك خزائن الارض قال اخاف ان اشبع فانسى الجائعين فذكر الجائعين والمحتاجين احدى فوائد الجوع فان ذلك يدعوه الى الرحمة والاطعام والشفقة على خلق الله والشبعان في غفلة عن الم الجائع

الفائدة الخامسة وهي من اكبر الفوائد كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلاء على النفس الامارة بالسوء فان منشأ المعاصي كلها الشهوات والقوى ومادة القوى والشهوات لا محالة الاطعمة فتقليلها يضعف كل شهوة وقوة وانما السعادة كلها في ان يملك الرجل نفسه والشقاوة في ان تملكه نفسه وكما انك لا تملك الدابة الجموح الا بضعف الجوع فاذا شبعت قويت وشردت وجمحت فكذلك النفس وقيل لبعضهم ما بالك مع كبرك لا تتعهد بدنك وقد انهد فقال لانه سريع المرح فاحش الاشر فاخاف ان يجمح بي فيورطني ولان احمله على الشدائد احب الي من ان يحملني على الفواحش وقال ذو النون المصري ما شبعت قط الا عصيت او هممت بمعصية وقالت عائشة اول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع ان القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم الى الدنيا وهذه ليست فائدة واحدة بل هي خزائن الفوائد ولذلك قيل الجوع خزانة من خزائن الله عز وجل واقل ما يندفع بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام فان الجائع لا يتحرك عليه شهوة ولا فضول الكلام فيتخلص به من آفات اللسان كالغيبة والفحش والكذب والنميمة وغيرها فيمنعه الجوع من كل ذلك واذا شبع افتقر الى فاكهة فيتفكه لا محالة باعراض الناس ولا يكب الناس على مناخرهم في جهنم الا حصائد السنتهم واما شهوة الفرج

فلا يخفى غائلتها والجوع يكفي شرها واذا شبع الرجل لم يملك فرجه وان منعه التقوى فلا يملك عينه فالعين تزني كما ان الفرج يزني فان ملك عينه بغض الطرف فلا يملك فكره فيخطر له من الافكار الردية وحديث النفس باسباب الشهوة ما يتشوش به مناجاته وربما عرض في اثناء الصلاة وانما ذكرنا آفة اللسان والفرج مثالا والا فجميع معاصي الاعضاء السبعة سببها القوة الحاصلة بالشبع قال حكيم كل مريد صبر على السياسة فيصبر على الخبز البحت سنة لا يخلط معه شيئا من الشهوات ويأكل في نصف بطنه رفع الله عنه مؤنة النساء

الفائدة السادسة دفع النوم ودوام السهر فان من شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه ولذلك كان يقول بعض الشيوخ معاشر المريدين لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا واجمع رأي سبعين صديقا على ان كثرة النوم من كثرة الشرب وفي كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب والعمر انفس الجواهر وهو رأس مال العبد فيه يتجر والنوم موت فتكثيره ينقص من العمر ثم فضيلة التهجد لا تخفى وفي النوم فواته ومهما غلب النوم وان تهجد لم يجد حلاوة العبادة ثم المتعزب اذا نام على الشبع احتلم ويمنعه ذلك ايضا من التهجد ويحوجه الى الغسل اما بالماء البارد فيتأذى به او يحتاج الى الحمام وربما لا يقدر عليه بالليل فيفوته الوتر ان كان قد اخره الى التهجد ثم يحتاج الى مؤنة الحمام وربما تقع عينه على عورة في دخول الحمام فان فيه اخطارا ذكرناها في الطهارة وكل ذلك اثر الشبع وقد قال ابو سليمان الاحتلام عقوبة وانما قال ذلك لانه يمنع من عبادات كثيرة لتعذر الغسل في كل حالة فالنوم منبع الآفات والشبع مجلبة له والجوع مقطعة له

الفائدة السابعة تيسير المواظبة على العبادة فان الاكل يمنع من كثرة العبادات لانه يحتاج الى زمان يشتغل فيه بالاكل وربما احتاج الى زمان في شراء الطعام وطبخه ثم يحتاج الى غسل اليد والخلال ثم يكثر تردده الى بيت الماء لكثرة شرب الماء والاوقات المصروفة الى هذا لو صرفها الى الذكر والمناجاة وسائر العبادات لكثر ربحه وقال السري رأيت مع علي الجرجاني سويقا يستف منه فقلت ما دعاك الى هذا فقال اني حسبت ما بين المضغ الى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ اربعين سنة فانظر كيف اشفق على وقته فلم يضيعه في المضغ وكل نفس من العمر جوهرة نفيسة لا قيمة لها فينبغي ان يستوفى منه خزانة باقية في الآخرة لا آخر لها وذلك بصرفه الى ذكر الله وطاعته ومن جملة ما يتعذر بكثرة الاكل الدوام على الطهارة وملازمة المسجد فانه يحتاج الى الخروج لشرب الماء واراقته ومن جملته الصوم فانه يتيسر لمن تعود الجوع الصوم ودوام الاعتكاف فدوام الاعتكاف ودوام الطهارة وصرف اوقات شغل الاكل واسبابه الى العبادة ارباح عظيمة انما يستحقرها الغافلون الذين لم يعرفوا قدر الدين لكن رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وقد اشار ابو سليمان الداراني الى ست آفات فقال من شبع دخل عليه ست آفات فقد حلاوة العبادة وتعذر حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لانه اذا شبع ظن ان الخلق كلهم شباعا وثقل العبادة وزيادة الشهوات وان سائر المؤمنين يدورون حول المساجد والشباع يدورون حول المزابل

الفائدة الثامنة ان يستفيد من قلة الاكل صحة البدن ودفع الامراض فان سببها كثرة الاكل وحصول فضلة الاخلاط في المعدة والعروق ثم المرض يمنع من العبادات ويشوش القلب ويمنع من الذكر والفكر وينغص العيش ويحوج الى الفصد والحجامة والدواء والطبيب وكل ذلك يحتاج الى مؤن ونفقات لا يخلو الانسان منها بعد التعب عن انواع من المعاصي واقتحام الشهوات وفي الجوع ما يمنع ذلك كله وحكي ان الرشيد جمع اربعة اطباء هندي ورومي وعراقي وسوادي وقال ليصف كل واحد منكم الدواء الذي لا داء فيه فقال الهندي الدواء الذي لا داء فيه عندي هو الاهليلج الاسود وقال العراقي هو حب الرشاد الابيض وقال الرومي عندي هو الماء الحار وقال السوادي وكان اعلمهم الاهليلج يعفص المعدة وهذا داء وحب الرشاد يرق المعدة وهذا داء والماء الحار يرخي المعدة وهذا داء قالوا فما عندك قال الدواء الذي لا داء فيه عندي ان لا تأكل الطعام حتى تشتهيه وان ترفع يدك عنه وانت تشتهيه فقالوا صدقت وذكر لبعض الفلاسفة من اهل الكتاب قول النبي صلى الله عليه وسلم ثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس فتعجب منه وقال ما سمعت كلاما في قلة الاكل احكم من هذا وانه لكلام حكيم وقال النبي صلى الله عليه وسلم البطنة اصل الداء والحمية اصل الدواء وعودوا كل جسد بما اعتاد قال الامام والظن ان تعجب الامام الطبيب جرى من هذا الخبر لا من ذاك وقال ابن سالم من اكل خبز الحنطة بحتا بادب لم يعتل الا علة الموت قيل له وما الادب قال ان تأكل بعد الجوع وترفع قبل الشبع وقال بعض افاضل الاطباء في ذم الاستكثار من الاكل ان انفع ما ادخل الانسان معدته الرمان واضر ما ادخل معدته المالح ولأن يقلل من المالح خير له من ان يستكثر من الرمان وفي الخبر المشهور صوموا تصحوا ففي الصوم والجوع وتقليل الاكل صحة الاجسام من الاسقام وصحة القلوب من سقم الطغيان والبطر وغيرهما

الفائدة التاسعة خفة المؤنة فان من تعود قلة الاكل كفاه من المال قدر يسير والذي تعود الشبع صار بطنه غريما ملازما له آخذا بمخنقه كل يوم فيقول ماذا تاكل اليوم فيحتاج الى ان يدخل المداخل فيكتسب من الحرام او من الحلال فيذل وربما يحتاج الى ان يمد عين الطمع الى الخلق وهو غاية الذل والقماءة والمؤمن خفيف المؤنة. **قال** بعض الحكماء اني لاقضي عامة حوائجي بالترك فيكون ذلك اروح لنفسي. **وقال** آخر اذا اردت ان استقرض من غيري لشهوة او زيادة استقرضت من نفسي فتركت الشهوة فهي خير غريم لي. وكان ابراهيم بن ادهم رحمه الله يسال اصحابه عن سعر المأكولات فيقال انها غالية فيقول ارخصوها بالترك. **وقال** سهل الاكول مذموم في ثلاثة احوال ان كان من اهل العبادة يكسل وان كان مكتسبا فلا يسلم من الآفات وان كان ممن يدخل عليه شيء فلا ينصف الله تعالى من نفسه. **وبالجملة** سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا وسبب حرصهم البطن والفرج وسبب شهوة الفرج شهوة البطن وفي تقليل الاكل ما يحسم هذه الاحوال كلها وهي ابواب النار وفي حسمها فتح ابواب الجنة كما **قال** النبي صلى الله عليه وسلم اديموا قرع باب الجنة بالجوع فمن قنع برغيف كل يوم قنع في سائر الشهوات ايضا وصار حرا واستغنى عن الناس واستراح من التعب وتخلى لعبادة الله تعالى وتجارة الآخرة فيكون من رجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فانه انما لا تلهيهم لاستغنائهم عنه بالقناعة واما المحتاج فتلهيه لا محالة.

الفائدة العاشرة ان يتمكن من الايثار والتصدق بما فضل من الاطعمة على اليتامى والمساكين فيكون يوم القيامة في ظل صدقته كما ورد الخبر فما ياكله فخزانته الكنيف وما يتصدق به فخزانته فضل الله تعالى فليس للعبد من ماله الا ما تصدق فابقى او اكل فافنى او لبس فابلى والتصدق بفضلات الطعام من التخمة والشبع اولى. **ونظر** رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل سمين البطن فاومى الى بطنه باصبعه وقال لو كان هذا في غير هذا لكان خيرا لك اي لو قدمته لآخرتك وآثرت به غيرك. **وعن الحسن** قال والله لقد ادركت اقواما ان كان الرجل منهم يمسي وعنده من الطعام ما يكفيه ولو شاء لاكله فيقول والله لا اجعل هذا كله لبطني حتى اجعل بعضه لله. **فهذه** عشر فوائد للجوع ويتشعب من كل واحدة فوائد لا ينحصر عددها ولا تتناهى فوائده فالجوع خزانة عظيمة لفوائد الآخرة. **ولهذا** قال بعض السلف الجوع مفتاح الآخرة وباب الزهد والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة بل ذلك صريح في الاخبار التي رويناها وبالوقوف على تفصيل هذه الفوائد تدرك معاني تلك الاخبار ادراك علم وبصيرة واذا لم تعرف هذا وصدقت بفضل الجوع كانت لك رتبة المقلدين في الايمان.

بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن اعلم ان على المريد في بطنه وماكوله اربع وظايف **الاولى** ان لا ياكل الا حلالا فان العبادة مع اكل الحرام كالبناء على امواج البحر وقد ذكرنا ما يجب مراعاته من درجات الورع في كتاب الحلال والحرام وتبقى ثلث وظايف خاصة بالاكل وهو تقدير الطعام في القلة والكثرة وتقدير وقته في الابطاء والسرعة وتعيين الجنس من الماكول في تناول المشتهيات وتركها.

اما الوظيفة الاولى في تقليل الطعام وسبيل الرياضة فيه التدريج فمن اعتاد الاكل الكثير فانتقل دفعة الى القليل لم يحتمله مزاجه وضعف وعظمت مشقته فينبغي ان يتدرج اليه قليلا قليلا وذلك بان ينقص قليلا قليلا من طعامه المعتاد فان كان ياكل رغيفين مثلا واراد ان يرد الى واحد فينقص كل يوم ربع سبع رغيف وهو ان ينقص جزءا من ثمانية وعشرين جزءا او جزءا من ثلثين جزءا فيرجع الى رغيف في شهر **وسئل** سهل بن عبد الله التستري عن بدايته وما كان يقتات به فقال كان قوتي في كل سنة ثلثة دراهم كنت آخذ بدرهم دبسا وبدرهم دقيق الارز وبدرهم سمنا فاخلط الجميع واسويه ثلثمائة وستين اكرة وآخذ كل ليلة اكرة افطر عليها فقيل له فالساعة كيف تاكل قال بغير حد ولا توقيت. **ويحكى** عن الرهابين انهم قد يردون انفسهم الى مقدار درهم من الطعام.

الدرجة الثانية ان يرده بالرياضة في اليوم والليلة الى نصف مد وهو رغيف وشيء مما يكون الاربعة منه منا ويشبه ان يكون هذا ثلث البطن في حق الاكثر كما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فوق اللقيمات لان هذه الصيغة في الجمع للقلة فهو لما دون العشرة وكان ذلك عادة عمر رضي الله عنه اذ كان ياكل سبع لقم او تسع لقم.

الدرجة الثالثة ان يرده الى مقدار المد وهو رغيفان ونصف وهذا يزيد على ثلث البطن في حق الاكثرين ويكاد ينتهي الى ثلثي البطن ويبقى ثلث للشراب ولا يبقى شيء للذكر وفي بعض الاخبار ثلث للذكر بدل قوله للنفس.

الدرجة الرابعة ان يزيد على المد الى المن ويشبه ان يكون ما وراء المن اسرافا مخالفا لقوله تعالى ولا تسرفوا اعني في حق الاكثرين فان مقدار الحاجة الى الطعام يختلف بالشخص والسن والعمل الذي يشتغل به وههنا طريق خامس لا تقدير فيه ولكنه موضع غلط وهو ان ياكل اذا صدق جوعه ويقبض يده وهو على شهوة صادقة بعد ولكن الغالب ان من لم يقدر مع نفسه رغيفا او رغيفين فلا يتبين له الجوع الصادق ويشتبه ذلك بالشهوة الكاذبة وقد ذكر للجوع الصادق علامات احداها ان لا تطلب النفس الادم بل ياكل الخبز وحده بشهوة اي خبز كان فمهما طلبت خبزا بعينه او طلبت ادما فليس ذلك بالجوع وقيل ان يبصق فلا يقع الذباب عليه اي لم يبق فيه دهنية ودسومة فيدل ذلك على خلو المعدة ومعرفة ذلك غامض فالصواب للمريد ان يقدر مع نفسه القدر الذي لا يضعفه عن العبادة

والرياضة فاذا انتهى اليه وقف وان بقيت شهوة وفي الجملة فتقدير الطعام لا يمكن لانه يختلف بالاحوال والاشخاص نعم كان قوت جماعة من الصحابة صاعا من حنطة في كل جمعة فاذا اكلوا التمر اقتاتوا صاعا ونصفا وصاع الحنطة اربعة امداد فيكون كل يوم قريبا من نصف مد وهو ما ذكرنا انه قدر ثلث البطن وفي التمر احتيج الى زيادة لسقوط النوى منه وقد كان ابو ذر الغفاري يقول طعامي في كل جمعة صاع من شعير على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا ازيد عليه حتى القاه فاني سمعته يقول اقربكم مني مجلسا يوم القيامة احبكم الي من مات على ما هو عليه اليوم وكان يقول في انكاره على بعض الصحابة قد غيرتم ينخل لكم الشعير ولم يكن ينخل وخبزتم المرقق وجمعتم بين ادامين واختلفت عليكم الوان الطعام وغدا احدكم في ثوب وراح في آخر ولم تكونوا هكذا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان قوت اهل الصفة مدا من تمر بين اثنين في كل يوم والمد رطل وثلث ويسقط منه النوى **وقال** سهل لو كانت الدنيا دما عبيطا لكان قوت المؤمن منها حلالا لان اكل المؤمن عند ضرورة وبقدر القوام فقط.

الوظيفة الثانية في وقت الاكل ومقدار تاخيره وفيه ايضا درجات **الدرجة العليا** ان يطوي ثلثة ايام فما فوقها وفي المريدين من رد الرياضة الى الطي لا الى المقدار حتى انتهى بعضهم الى ثلثين يوما واربعين يوما وانتهى اليه جماعة من العلماء يكثر عددهم منهم محمد بن عمرو القرني وعبد الرحمن بن ابراهيم دحيم وابراهيم التيمي وحجاج بن فرافصة وحفص العابد المصيصي والمسلم بن سعيد وزهير وسليمان الخواص وسهل وعبد الله بن الزبير يطوي سبعة ايام كل ذلك كانوا يستعينون بالجوع على طريق الآخرة **وقال** بعض العلماء من طوى اربعين يوما من الطعام ظهرت له قدرة من الملكوت اي كوشف ببعض الاسرار الالهية **وقد وقف** بعض اهل هذه الطائفة على راهب فذاكره بحاله وطمع في اسلامه وترك ما هو عليه من الغرور فكلمه في ذلك كلاما كثيرا الى ان قال له الراهب ان المسيح كان يطوي اربعين يوما وان ذلك معجزة لا تكون الا لنبي او صديق فقال له الصوفي فان طويت خمسين يوما تترك ما انت عليه وتدخل في دين الاسلام وتعلم انه حق وانك على باطل قال نعم فقعد الصوفي لا يبرح الا حيث يراه الراهب حتى طوى خمسين يوما ثم قال وازيدك ايضا فطوى الى تمام الستين فتعجب الراهب منه وقال ما كنت اظن ان احدا يجاوز المسيح فاسلم وكان ذلك درجة عظيمة قلما يبلغها الا مكاشف محمول شغل بمشاهدة ما قطعه عن طبعه وعادته واستوفى نفسه في لذته وانساه جوعه وحاجته.

الدرجة الثانية ان يطوي يومين الى ثلث وليس ذلك خارجا عن العادة بل هو قريب يمكن الوصول اليه بالجد والمجاهدة.

الدرجة الثالثة وهي ادناها ان يقتصر في اليوم والليلة على اكلة واحدة وهذا هو الاقل وما جاوز ذلك اسراف ومداومة للشبع حتى لا يكون له حالة جوع وذلك فعل المترفين وهو بعيد من السنة **روى** ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا تغدى لم يتعش واذا تعشى لم يتغد وكان السلف ياكلون في كل يوم اكلة **وقال** النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها اياك والاسراف فان اكلتين في اليوم من السرف فكان الاستحباب في كل يوم قوام بين ذلك وهو المحمود في كتاب الله تعالى ومن اقتصر في اليوم على اكلة فيستحب ان ياكلها سحرا قبل طلوع الصبح فيكون اكله بعد التهجد وقبل الصبح فيحصل له جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام وخلو القلب لفراغ المعدة ورقة الفكر واجتماع الهم وسكون النفس الى المعلوم فلا تنازعه قبل وقته **وفي حديث** عاصم بن كليب عن ابيه عن ابي هريرة قال ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قيامكم هذا قط وانه كان ليقوم حتى تورمت قدماه وما واصل وصالكم هذا قط غير انه قد اخر الفطر الى السحر **وفي حديث** عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يواصل الى السحر فان كان يلتفت قلب الصائم بعد المغرب الى الطعام وكان يشغله عن حضور القلب في التهجد فالاولى ان يقسم طعامه نصفين ان كان رغيفين مثلا اكل رغيفا عند الفطر ليسكن نفسه ويخف عند التهجد بدنه ولا يشتد بالسحر جوعه لاجل تسحره فيستعين بالرغيف الاول على التهجد وبالثاني على الصوم ومن كان يصوم يوما ويفطر يوما فلا باس ان ياكل يوم فطره وقت الظهر ويوم صومه وقت السحر فهذه هي الطرق في مواقيت الاكل وتقاربه وتباعده.

الوظيفة الثالثة في نوع الطعام وترك الادام واعلى الطعام مخ البر فان نخل فهو غاية الترفه واوسطه شعير منخول وادناه شعير لم ينخل واعلى الادام اللحم والحلاوة وادناه الملح والخل واوسطه المزورات بالادهان من غير لحم وعادة سالكي طريق الآخرة الامتناع عن الادام على الدوام بل الامتناع عن الشهوات فان كل لذيذ يشتهيه الانسان فاكله اقتضى بطرا في نفسه وقسوة في قلبه وانسا له بلذات الدنيا حتى يالفها ويكره الموت ولقاء الله تعالى وتصير الدنيا جنة في حقه ويكون الموت سجنا في حقه واذا منع نفسه شهواتها وضيق عليها وحرمها لذاتها صارت الدنيا سجنا عليه ومضيقا فاشتهت نفسه الافلات منها فيكون الموت اطلاقها واليه الاشارة بقول يحيى بن معاذ الرازي حيث قال معاشر الصديقين جوعوا انفسكم لوليمة الفردوس فان شهوة الطعام على قدر تجويع النفس حتى [illegible] من الحلال [illegible] وهذا ليس بحرام بل هو مباح على معنى ان من زاد على مرة او مرتين لم يعص ومن زاد داوم عليه

عليها فلا بعض شيئا ولم ولكن تفرق نفسه بالنعيم ويانس بالدنيا ويالف اللذائذ فيستوى في طلبها فيجره ذلك الى المعاصي فهم شرار الامة لان تمخ خشيتهم في
الى اقتحام امور تلك الامور معاصي وقال صلى الله عليه وسلم شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه اجسادهم واما همتهم الوان الطعام وانواع
اللباس ويتشدقون في الكلام واوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام اذكر انك ساكن القبر فان ذلك يمنعك من كثير الشهوات وقد اشتد خوف
السلف من تناول لذيذ الاطعمة وتمرين النفس عليها وراوا ان ذلك علامة الشقاوة وراوا منع الله تعالى منه غاية السعادة حتى روى ان وهب
قال التقى ملكان في السماء الرابعة فقال احدهما للآخر من اين قال امرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودي لعنه الله وقال الآخر امرت باهراق
زيت اشتهاه فلان العابد وهذا تنبيه على ان تيسر اسباب الشهوات ليس من علامات الخير ولهذا امتنع عمر رضي الله عنه عن شربة ماء بارد بعسل وقال
اعزلوا عني حسابها ولا عبادة لله تعالى اعظم من مخالفة الشهوات وترك اللذات كما اوردناه في كتاب رياضة النفس وقد روى نافع ان ابن
عمر كان مريضا فاشتهى سمكة طرية فالتمست له بالمدينة فلم توجد ثم وجدت بعد كذا وكذا فاشتريت بدرهم ونصف فشويت وحملت اليه على رغيف
فقام سائل على الباب فقال للغلام لفها برغيفها وادفعها اليه فقال له الغلام اصلحك الله قد اشتهيتها منذ كذا وكذا فلم نجدها فلما وجدتها اشتريتها
بدرهم ونصف فنحن نعطيه ثمنها فقال لفها وادفعها اليه فقال الغلام للسائل هل لك ان تاخذ درهما وتتركها قال نعم فاعطاه درهما واخذها
وقد ابتاعها وقال قد اعطيته درهما واخذتها منه فقال لفها وادفعها اليه ولا تاخذ الدرهم منه فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ايما امرئ اشتهى شهوة فرد
شهوته وآثر على نفسه غفر الله له وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سددت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء القراح فعلى الدنيا واهلها الدمار اشار
الى ان المقصود رد الم الجوع والعطش ودفع ضرره دون التنعم بلذات الدنيا وبلغ عمر رضي الله عنه ان يزيد بن ابي سفيان يأكل انواع الطعام فقال عمر لمولى
له اذا علمت انه قد حضر عشاؤه فاعلمني فاعلمه فدخل عليه فقرب عشاؤه فاتوه بثريد لحم فأكل معه ثم قرب الشواء وبسط يزيد يده وكف عمر
وقال الله الله يا يزيد بن ابي سفيان اطعام بعد طعام والذي نفس عمر بيده لئن خالفتم عن سنتهم ليخالفن بكم عن طريقهم وروى عن يسار انه
قال ادخل على ابن عمر وعنده حتى يغشاه الحياء فكرة ونحو حتى فيقول الله كسرة وملح حتى يعظم في الدار الآخرة الشوا والطعام الطيب وكان يأخذ الكوز فيغرق من
جسده ما في الثمر ولم يقول موالاة له يا عبد الله لو اعطيتني فضلك لجبرتك وبردت الماء فيقول لها يا ام فلان فقد سمعت يحكى عن الجوع
وعن سفيان بن ابراهيم قال لقيت ابراهيم بن ادهم بمكة في سوق الليل عند مولد النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس ناحية من الطريق يبكي فعدلت اليه وجلست عنده
وقلت ايش هذا البكاء يا ابا اسحاق فقال خيرا فعاودته مرة واثنتين وثلاثة فلما اكثرت عليه قال يا سفيان ان انا اخبرتك فلا تخبر احدا قلت قل ما شئت فقال
نفسي منذ ثلاثين سنة سكباجا فمنعتها جهدي فلما كان البارحة كنت جالسا وقد غلبني النعاس اذا انا بفتى شاب بيده قدح اخضر يعلوه بخار
ورائحة سكباج قال فاجتمعت بهمتي عنه فقربه مني وقال يا ابراهيم كل فقلت ما آكل شيئا قد تركته لله عز وجل فقال اطعمك الله تأكل فما كان لي
جواب الا اني بكيت فقال لي كل يرحمك الله فقلت قد امرنا ان لا نطرح في وعائنا الا من حيث نعلم فقال كل عافاك الله فانما اعطيت هذا
وقيل لي يا خضر اذهب بهذا واطعم نفس ابراهيم بن ادهم فقد رحمها الله من طول صبرها على ما يحملها من منعها اعلم يا ابراهيم اني سمعت الملائكة يقولون من
اعطي فلم يأخذ طلب فلم يعط فقلت ان كان كذلك فها انا بين يديك لاحل العقد مع الله تعالى ثم التفت فاذا انا بفتى آخر ناوله شيئا
وقال يا خضر لقمة انت فلم يزل يلقمني حتى نعست فانتبهت وحلاوته في فمي قال سفيان فقلت ارني كفك فاخذت بكفه وقبلتها
وقلت يا من يطعم الجياع الشهوات اذا صححوا المنع يا من يقدح في الضمير اليقين يا من يشفي قلوبهم من محبته اترى لسفيان عندك حالا ثم رفع
يد ابراهيم الى السماء وقلت بقدر هذا الكف وبقدر صاحبه وبالجود الذي وجده منك جد على عبدك الفقير بفضلك واحسانك ورحمتك وان لم
يستحق ذلك قال فقام ابراهيم ومشى حتى دخل المسجد الحرام وروى عن مالك بن دينار انه بقي اربعين سنة يشتهي لبنا فلم ياكله
واهدي اليه رطب فقال لاصحابه كلوا فما ذقته منذ اربعين سنة وقال احمد بن ابي الحواري اشتهى ابو سليمان الداراني رغيفا
حارا بملح فجئت به اليه فعض منه عضة ثم طرح الرغيف واقبل يبكي وقال عجلت الي شهوتي بعد اطالة جهدي واشقوتي قد عزمت على التوبة
فاقلني قال احمد فما رايته اكل الملح حتى لقي الله تعالى وقال مالك بن دينار مررت في سوق بالبصرة فنظرت الى البقل فقالت نفسي لو
اطعمتني الليلة من هذا فاقسمت ان لا اطعمها اياه اربعين ليلة ومكث مالك بن دينار خمسين سنة ما اكل رطبة لاهل البصرة
ولا بسرة قط وقال يا اهل البصرة عشت فيكم خمسين سنة فما اكلت لكم رطبة ولا بسرة فما زاد فيكم ما نقص مني ولا نقص مني ما زاد فيكم
وقال حماد بن ابي حنيفة اتيت داود الطائي والباب عليه مغلق فسمعته يقول اشتهيت جزرا فاطعمتك جزرا ثم اشتهيت تمرا
فاليت ان لا اطعمك ابدا فدخلت وسلمت فاذا هو وحده ومر ابو حازم بالسوق فراى فيه من الفاكهة فاشتهاها فقال لابنه اشتر
لنا من هذه الفاكهة المقطوعة الممنوعة لعلنا نذهب الى الفاكهة التي لا مقطوعة ولا ممنوعة فلما اشتراها واتى بها قال لنفسه قد خدعتني

حتى نظرت واشتهيت وغلبتيني حتى اشتريت والله لا ذقتيه فبعث به الى يتامى من الفقراء وعن ابي موسى الاشج انه قال نفسي تشتهي ملحا جريشا
منذ عشرين سنة وعن احمد بن خليفة نفسي منذ عشرين سنة ما طلبت مني الا الماء حتى تروى وما رويتها وعن عتبة الغلام
اشتهى لحما سبع سنين فلما كان بعد ذلك قال لقد استحييت من نفسي ان ادافعها منذ سبع سنين سنة بعد سنة فاشترى قطعة لحم على خبز
وشواها فلقي صبيا فقال الست انت ابن فلان وقد مات ابوك قال بلى فناوله واقبل يبكي ويقول ويطعم الطعام على حبه مسكينا ويتيما
واسيرا ولم يذقه بعد ذلك ومكث عتبة الغلام يشتهي تمرا سنين فلما كان ذات ليلة اشترى بقيراط تمرا حتى يفطر
عليه قال فهبت ريح واظلمت الدنيا ففزع الناس فقال عتبة هذا لجراءتي وشرائي التمر بالقيراط وقال لنفسه ما اظن اخذوا
الا بذنبك علي ان لا ذقتيه وترك التمر واشترى داود الطائي بنصف فلس بقلا وبفلس خلا فاقبل ليلته يقول ويلك يا داود
ما اطول حسابك يوم القيامة ولم يكن يأكل الا القفار وقال عتبة الغلام لعبد الواحد بن زيد ان فلانا يصف من قلبه منزلة
لا اعرفها من قلبي قال لانك تأكل مع خبزك تمرا وهو لا يزيد على الخبز شيئا فقال ان انا تركت اكل التمر عرفت تلك المنزلة قال نعم وغيرها
فاخذ يبكي فقال له بعض اصحابه لا ابكى الله عينك ابكيت على التمر فقال عبد الواحد دعه فان نفسه قد عرفت صدق عزمه في
الترك واذا ترك شيئا لم يعد اليه ابدا وقال جعفر بن نصير امرني الجنيد ان اشتري له التين الوزيري فاشتريته فلما افطر
اخذ واحدة ووضعها في فيه ثم القاها وبكى وقال احمله فقلت له في ذلك فقال هتف في قلبي اما تستحي تركته من اجلي ثم تعود اليه
وقال صالح المري قلت لعطاء السلمي اني متكلف لك شيئا فلا ترد علي كرامتي قال افعل ما تريد قال فبعثت اليه مع ولدي شربة من سويق
قد لتته بسمن وعسل وقلت له لا تبرح حتى يشربها فلما كان من الغد جعلت له نحوها فردها ولم يشربها فاتيته ولمته وقلت سبحان الله
اترد علي كرامتي فلما رأى وجدي بذلك قال لا يسوءك هذا اني قد شربتها اول مرة وقد راودت نفسي في المرة الثانية على شربها
فلم اقدر على ذلك كلما اردت ذلك ذكرت قوله تعالى يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب
غليظ قال صالح فبكيت وقلت في نفسي انا في واد وانت في آخر وقال السري نفسي تطالبني منذ ثلاثين سنة ان اغمس جزرة في
دبس فما اطعمتها وقال ابو بكر الجلاء اني لاعرف انسانا تقول له نفسه انا اصبر لك على طي عشرة ايام واطعمني بعد ذلك شهوة اشتهيها
فيقول لها ما اريد ان تطوي عشرة ايام ولكن اترك هذه الشهوة ويروى ان عابدا دعا بعض اخوانه فقرب اليه رغيفا فجعل اخوه يقلب
بعض الارغفة ليختار اجودها فقال له العابد مه اي شيء تصنع اما علمت ان في الرغيف الذي رغبت عنه كذا وكذا حكمة وعمل فيه كذا وكذا صانعا حتى
استدار من السحاب الذي يحمل الماء والماء الذي يسقي الارض والرياح والارض والبهائم وبنو آدم حتى صار اليك ثم انت بعد هذا تقلبه ولا ترضى
به وفي الخبر لا يستدير الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلاثمائة وستون صانعا اولهم ميكائيل الذي يكيل الماء من خزائن
الرحمة ثم الملائكة التي تزجر السحاب والشمس والقمر والافلاك وملائكة الهواء ودواب الارض وآخر ذلك الخباز وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها وقال بعضهم اتيت قاسم الجوعي فسألته عن الزهد اي شيء هو واي شيء سمعت فيه فعدد اقوالا فسكت
واستكملت اي شيء تقول فقال اعلم ان البطن دنيا المرء فبقدر ما يملك من البطن يملك من الزهد وبقدر ما يملكك بطنه تملكه الدنيا
وكان بشر بن الحارث قد اعتل فسأل عبد الرحمن المتطبب عن شيء يوافقه من الماكولات فقال تسألني واذا وصفت لك لم تقبل
مني قال بشر فصف لي قال تشرب سكنجبينا وتمص سفرجلا وتأكل بعد ذلك اسفيداج فقال له بشر تعلم شيئا اقل من السكنجبين
يقوم مقامه قال لا قال انا اعرف قال ما هو قال الهندبا بالخل ثم قال تعرف شيئا اقل ثمنا من السفرجل يقوم مقامه قال لا قال انا اعرف قال
ما هو قال الخرنوب الشامي قال فتعرف شيئا اقل ثمنا من الاسفيداج يقوم مقامه قال انا اعرف ماء الحمص بسمن البقر بمعناه
فقال عبد الرحمن فانت اعلم مني بالطب فلم تسألني فقد عرفت ان هؤلاء كيف امتنعوا من الشهوات ومن الشبع من الاقوات وكان
امتناعهم لفوائد التي ذكرناها في بعض الاوقات لانه كان لا يصفو لهم حلال فلم يرخصوا لانفسهم الا في قدر الضرورات والشهوات ليست
من الضرورات حتى قال ابو سليمان الملح شهوة لانه زيادة على الخبز وما وراء الخبز شهوة وهذه هي النهاية فمن لم يقدر على ذلك فينبغي
ان لا يغفل عن نفسه ولا ينهمك في الشهوات فكفى بالمرء اسرافا ان يأكل كل ما يشتهيه ويفعل كل ما يهواه وينبغي ان لا يواظب
على اكل اللحم وقال علي رضي الله عنه من ترك اللحم اربعين يوما ساء خلقه ومن داوم عليه اربعين يوما قسى قلبه وقيل ان المداومة على اللحم
ضراوة كضراوة الخمر ومهما كان جائعا وتاقت نفسه الى الجماع فلا ينبغي ان يأكل ويجامع فيعطي نفسه شهوتين فتقوى عليه وربما

حال النفس الا ان ينشط في الجوع ويستحب ان لا ينام على الشبع فيجمع بين الغفلتين فيعتاد الفتور ويقسو قلبه من الغفلتين فيعتاد
ولكن ليصل او يجلس فيذكر الله تعالى فانه اقرب الى الشكر وفي الخبر اذيبوا طعامكم بالصلاة والذكر ولا تناموا عليه فتقسوا قلوبكم واقل ذلك
ان يصلي اربع ركعات او يسبح مائة تسبيحة او يقرأ جزءا من القرآن عقيب كل اكلة وكان سفيان الثوري اذا شبع ليلة احياها
واذا شبع في يوم واصله بالصلاة والذكر وكان يقول اشبع الحمار وكده ومهما اشتهى شيئا من طيبات الفواكه فينبغي ان
يترك الخبز ويأكلها بدلا عنه ليكون قوتا ولا يكون تفكها لئلا يجمع للنفس بين عادة وشهوة ونظر سهل بن عبد الله الى ابن سالم وفي يده خبز
وتمر فقال له ابدأ بالتمر فان قامت كفايتك والا اخذت من الخبز بعده حاجتك ومهما وجد طعاما لطيفا وغليظا فليقدم
اللطيف فانه لا يشتهي الغليظ بعده ولو قدم الغليظ لأكل اللطيف لطافته وكان بعضهم يقول لاصحابه لا تأكلوا الشهوات فان
اكلتموها فلا تطلبوها فان طلبتموها فلا تحبوها وطلب بعض انواع الخبز شهوة وقال ابن عمر ما يأتينا من العراق فاكهة احب الينا من
الخبز فراه فاكهة وبالجملة لا سبيل الى اهمال الشهوات في المباحات واتباعها بكل حال وبقدر ما يستوفي العبد من شهوته يخشى ان
يقال له اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا وبقدر ما يجاهد نفسه ويترك شهوته يتمتع في الآخرة بشهواته قال بعض اهل البصرة نازعتني
نفسي خبز ارز وسمكا فمنعتها فقويت مطالبتها واشتدت مجاهدتي لها عشرين سنة فلما مات قال بعضهم رأيته في المنام فقلت ما فعل الله
بك قال لا احسن اصف ما تلقاني ربي به من النعم والكرامات وكان اول شيء تلقاني به خبز ارز وسمك فقال كل اليوم شهوتك
اليوم هنيئا بغير حساب وقد قال الله تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية وكانوا اسلفوا ترك الشهوات ولذا قال ابو سليمان
ترك شهوة من شهوات النفس انفع للقلب من صيام سنة وقيامها

بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف احوال الناس

اعلم ان المطلوب الاقصى في جميع الامور والاخلاق الوسط اذ خير الامور اوساطها وكلا طرفي قصد الامور ذميم وما اوردناه في فضائل الجوع ربما يومئ الى ان
الافراط فيه مطلوب وهيهات ولكن من اسرار حكمة الشريعة ان كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الاقصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة في
المنع منه على وجه يومئ عند الجاهل الى ان المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الامكان والعالم يدرك ان المقصود الوسط لان الطبع
اذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغي ان يمدح غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا فيتقاومان ويحصل الاعتدال فان من يقدر
على قمع الطبع بالكلية بعيد فيعلم انه لا ينتهي الى الغاية فان اسرف مسرف في مضادة الطبع كان في الشرع ايضا ما يدل على اساءته فان الشرع
بالغ في الثناء على قيام الليل وصيام النهار ثم لما علم النبي صلى الله عليه وسلم من حال بعضهم انه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهى عنه فاذا عرفت
هذا فاعلم ان الافضل بالاضافة الى الطبع المعتدل ان يأكل بحيث لا يحس بثقل المعدة ولا يحس بالم الجوع بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه اصلا فان مقصود الاكل
بقاء الحياة وقوة العبادة وثقل الطعام يمنع من العبادة والم الجوع ايضا يشغل القلب ويمنع منها والمقصود ان يأكل اكلا لا يبقى للماكول فيه اثر
ليكون متشبها بالملائكة فانهم مقدسون عن ثقل الطعام وعن الم الجوع وغاية الانسان الاقتداء بهم واذا لم يكن للانسان خلاص من الشبع والجوع
فابعد الاحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال ومثال طلب الادمي البعد عن هذه الاطراف المتقابلة الرجوع وعنه عبر قوله عليه السلام
خير الامور اوساطها واليه الاشارة بقوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا ومهما لم يحس الانسان بجوع ولا شبع تيسر له العبادة والفكرة
وخف في نفسه وقوي على العمل مع خفته ولكن هذا بعد اعتدال الطبع والذي يجري في تقدير الطعام بمقدار يسير ووقت مخصوص ونوع مخصوص
ليس مطلوبا في نفسه وانما هو مجاهدة نفس متأبية عن الحق غير بالغة رتبة الكمال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له تقدير وتوقيت لطعامه
قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وكان يدخل على اهله فيقول هل عندكم
شيء فان قالوا نعم اكل وان قالوا لا قال اني اذا لصائم وقد كان يقدم اليه الشيء فيقول اما اني كنت اردت الصوم ثم يأكل وخرج صلى
الله عليه وسلم يوما وقال اني صائم فقالت عائشة قد اهدي الينا حيس فقال كنت اردت الصوم ولكن قربيه ولذلك حكي عن سهل انه
قيل له كيف كنت في بدايتك فاخبر بضروب من الرياضات منها انه كان يقتات ورق النبق مدة ومنها انه اكل دقاق التبن ثلث سنين ثم ذكر انه اقتات بثلثة دراهم في ثلث سنين فقيل له فكيف انت في وقتك هذا فقال آكل بلا حد ولا توقيت وليس المراد
بقوله بلا حد اني آكل كثيرا ولا اقدر بمقدار واحد ما آكله وقد كان معروف الكرخي يهدى اليه طيبات الطعام فيأكل فقيل له ان اخاك
بشرا لا يأكل من هذا فقال ان اخي بشرا قبضه الورع وانا بسطتني المعرفة ثم قال انما انا ضيف في دار مولاي اذا اطعمني اكلت واذا جوعني صبرت مالي
والاعتراض والتمني ودفع ابراهيم بن ادهم الى بعض اخوانه دراهم فقال خذ لنا بهذه الدراهم زبدا وعسلا وخبزا حوارى فقال يا ابا اسحق بهذا

كله فقال ويحك اذا وجدنا اكلنا واذا عدمنا صبرنا صبر الرجال واصلح ذات يوم طعاما فاكثر ودعا نفرا فيهم الاوزاعي
والثوري فقال الثوري اما تخاف ان يكون هذا اسرافا فقال ليس في الطعام اسراف انما الاسراف في اللباس والاثاث فالذي اخذ
العلم من السماع والنقل تقليدا يرى هذا من ابراهيم بن ادهم ويسمع من مالك بن دينار انه قال ما دخل الملح بيتي منذ عشرين سنة
وعن السري السقطي انه منذ اربعين سنة يشتهي ان يغمس جزرة في دبس فلا يفعل فيراه متناقضا فيتحير او يقطع بان احدهما
مخطئ والبصير باسرار العلم يعلم ان كل ذلك حق ولكن بالاضافة الى اختلاف الاحوال ثم هذه الاحوال المختلفة يسمعها الفطن المحتاط او المغرور
فيقول المحتاط ما انا من جملة العارفين حتى اسامح نفسي فليس نفسي اطوع من نفس السري السقطي ومالك بن دينار وهؤلاء من الممتنعين
عن الشهوات فيقتدي بهم والمغرور يقول وما نفسي باعصى علي من نفس معروف الكرخي وابراهيم بن ادهم فاقتدي بهم وارفع التقدير
عن ماكولي فانا ايضا ضيف في دار مولاي فما لي والاعتراض ثم انه لو قصر احد في حقه وفي توقيره او في ماله وجاهه بقدر حبة قامت
عليه القيامة واشتغل بالاعتراض وهذا مجال رحب للشيطان مع الحمقى بل ترك التقدير في الصيام والطعام واكل الشهوات لا يسلم
الا لمن ينظر من مشكاة الولاية والنبوة فيكون بينه وبين الله تعالى علامة في استرساله وانقباضه ولا يكون ذلك الا بعد خروج النفس عن
طاعة الهوى والعادة بالكلية حتى يكون اكله اذا اكل على نية كما يكون امساكه على نية فيكون عاملا لله تعالى في امساكه وافطاره وينبغي ان
يتعلم الحزم من عمر بن الخطاب فانه كان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل ويأكله ثم لم يقس نفسه عليه بل لما عرض عليه ماء مبرد بالعسل
جعل يدير الاناء في كفه ويقول اشربها فتذهب حلاوتها وتبقى تبعتها اعزلوا عني حسابها وتركها وهذه اسرار لا ينبغي ان يكاشف الشيخ بها
مريده بل يقتصر على مدح الجوع حتى يتيسر له الاعتدال ولا يذكر ان العارف الكامل يستغني عن الرياضة فان الشيطان يجد متعلقا من قلبه فيلقي
اليه كل ساعة انك عارف كامل وما الذي فاتك من المعرفة والكمال بل من عادة ابراهيم الخواص ان يخوض مع المريد في كل رياضة كان يأمره بها
لئلا يخطر بباله ان الشيخ يأمره بما لم يفعله فينفره ذلك عن رياضته والقوي اذا اشتغل بالرياضة واصلاح الغير لزمه النزول الى حد
الضعفاء تشبها بهم وتلطفا في سياقتهم الى السعادة وهذا ابتلاء عظيم للانبياء والاولياء واذا كان حد الاعتدال خفيا في حق كل شخص
فالحزم والاحتياط ينبغي ان يترك في كل حال ولذلك ادب عمر بن الخطاب ولده اذ دخل عليه فوجده ياكل لحما مادوما بسمن فعلاه بالدرة
وقال لا ام لك كل يوما خبزا ولحما ويوما خبزا ولبنا ويوما خبزا وزيتا ويوما خبزا وملحا ويوما خبزا قفارا وهذا هو الاعتدال فاما المواظبة على
اللحم والشهوات فافراط واسراف ومهاجرة اللحم بالكلية اقتار وهذا قوام بين ذلك

بيان آفة الرياء المتطرق الى من

ترك الشهوات وقلل الطعام اعلم انه يدخل على تارك الشهوات آفتان عظيمتان هما اعظم من اكل الشهوات احداهما ان لا تقدر النفس على ترك بعض الشهوات فتشتهيها
ولكن يريد ان لا يعرف انه يشتهيها فيخفي الشهوة ويأكل في الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة وهذا هو الشرك الخفي سئل بعض العلماء عن بعض الزهاد
فسكت عنه فقيل له هل تعلم به باسا قال يأكل في الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة وهذه آفة عظيمة بل حق العبد اذا ابتلي بالشهوة وحبها ان يظهرها
فان هذا صدق الحال وهو بدل عن فوت المجاهدة بالاعمال فان اخفاء النقص واظهار ضده من الكمال نقصانان متضاعفان والكذب
مع الاخفاء كذبان فيكون مستحقا لمقتين ولا يرضى منه الا بتوبتين ولذلك شدد امر المنافقين وقيل ان المنافقين في الدرك
الاسفل من النار لان الكافر كفر واظهر وهذا كفر وستر فكان ستره لكفره كفرا آخر لانه استخف بنظر الله تعالى اليه وعظم نظر المخلوقين
فمحا الكفر عن ظاهره فالعارفون يبتلون بالشهوات بل بالمعاصي ولا يبتلون بالرياء والغش والخيانة والاخفاء بل كمال العارف
ان يترك الشهوات لله ويظهر من نفسه الشهوة اسقاطا لمنزلته عن قلوب الخلق وقد كان بعضهم يشتري الشهوات
ويعلقها في بيته وهو فيها من الزاهدين ولكن يبتغي بها تلبيس حاله ليصرف عن نفسه قلوب الغافلين حتى لا يشوشوا عليه حاله فنهاية الزهد
الزهد في الزهد باظهار ضده وهذا عمل الصديقين فانه جمع بين صدقين كما ان الاول جمع بين كذبين فهذا قد حمل على النفس ثقلين وجرعها
كأس الصبر مرتين مرة بشربه ومرة بقذفه فلا جرم اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا الآية وهذا طريق من يعطى جهرا ويأخذ سرا
ليكسر نفسه بالذل جهرا وبالفقر سرا فمن فاته هذا فلا ينبغي ان يفوته اظهار شهوته ونقصانه والصدق فيه
ولا ينبغي ان يغره قول الشيطان انك اذا اظهرت اقتدى بك غيرك فاستره اصلاحا لغيرك لانه لو قصد اصلاح غيره لكان اصلاح
نفسه اهم من غيره فهو انما يقصد الرياء المجرد ويروجه الشيطان في معرض اصلاح غيره فلذلك يثقل عليه ظهور ذلك منه وان علم ان من اطلع عليه
ليس يقتدي به في الفعل ولا ينزجر باعتقاده ان تارك الشهوات

الآفة الثانية ان يقدر على ترك الشهوات ولكن يفرح بان يعرف به
فيشتهر بالتعفف عن الشهوات فقد خالف شهوة ضعيفة وهي شهوة الاكل واطاع شهوة هي شر منها وهي شهوة الجاه وتلك هي الشهوة الخفية

فيها الحشر يذكر من نفسه فكر هذه الشهوات اهم من شهوة الطعام فليقلل منها اولى له قال ابو سليمان اذا قدمت اليك شهوة وقد كنت تاركها فاصب منها شيئا يسيرا ولا تعط نفسك مناها فتكون قد استقطعت عن نفسك الشهوة وتكون قد نغصت على نفسك اذ لم تعطها شهوتها قال جعفر بن محمد الصادق اذا قدمت الي شهوة نظرت الى نفسي فان اظهرت شهوتها اطعمتها اياها وكان ذلك افضل من منعها فان اخفت شهوتها واظهرت العزوف عنها عاقبتها بالترك ولم اطعمها منها شيئا وهذه طريقة في عقوبة النفس على هذه الشهوة الخفية وبالجملة من ترك شهوة الطعام ووقع في شهوة الريا كان كمن هرب من عقرب وفزع الى [illegible] لان شهوة الريا اضر كثيرا من شهوة الطعام ✿

القول في شهوة الفرج

اعلم ان شهوة الوقاع سلطت على الانسان لفائدتين • احداهما ان يدرك لذته فيقيس به لذات الاخرة فان لذة الوقاع لو دامت لكانت اقوى لذات الاجساد كما ان النار والمها اعظم الام الاجساد والترغيب والترهيب يسوق الخلق الى سعادتهم وليس ذلك الا بالم محسوس ولذة محسوسة فان ما لا يدرك بالذوق • لا يعظم اليه الشوق **الفائدة الثانية** بقاء النسل ودوام الوجود فهذه فائدتها ولكن فيها من الافات ما يهلك الدين والدنيا ان لم يضبط ولم يقهر ولم يرد الى حد الاعتدال وقد قيل في قوله ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به معناه الغلمة وعن عبد الله بن عباس في قوله ومن شر غاسق اذا وقب هو قيام الذكر وقد اسنده بعض الرواة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه قال في تفسيره الذكر اذا دخل وقد قيل الذكر اذا قام ذهب ثلثا عقله وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي ومنيي وقال صلى الله عليه وسلم النساء حبائل الشيطان ولولا هذه الشهوة لما كان للنساء سلطنة على الرجال وروى ان موسى بن عمران صلى الله عليه وسلم كان جالسا في بعض مجالسه اذ اقبل اليه ابليس وعليه برنس يتلون فيه الوانا فلما دنا منه خلع البرنس ثم اتاه فقال له موسى من انت قال انا ابليس قال فلا حياك الله ما جاء بك قال جئت لاسلم عليك لمنزلتك من الله ومكانتك منه قال فما الذي [illegible] قال [illegible] استحوذت عليه اذا اعجبته نفسه واستكثر عمله ونسي ذنوبه واحذرك ثلاثا لا تخل بامراة لا تحل لك فانه ما خلا رجل بامراة لا تحل له الا كنت صاحبه دون اصحابي حتى افتنه بها ولا تعاهد الله عهدا الا وفيت به ولا تخرج صدقة الا امضيتها فانه ما اخرج رجل صدقة فلم يمضها الا كنت صاحبه دون اصحابي حتى احول بينه وبين الوفاء بها ثم ولى وهو يقول [illegible] وعن سعيد بن المسيب قال ما بعث الله نبيا فيما خلا الا لم ييئس ابليس ان يهلكه بالنساء ولا شيء اخوف عندي منهن وما بالمدينة بيت ادخله الا بيتي وبيت ابنتي اغتسل فيه يوم الجمعة ثم اروح وقال بعضهم ان الشيطان قال للمراة انت نصف جندي وانت سهمي الذي ارمي به فلا اخطئ وانت موضع سري وانت رسولي في حاجتي فنصف جنده الشهوة ونصف جنده الغضب واعظم الشهوات شهوة النساء وهذه الشهوة ايضا لها افراط وتفريط واعتدال فالافراط ما يقهر العقل حتى تصرف همة الرجل الى التمتع بالنساء والجواري فيخرج عن سلوك طريق الاخرة او يقهر الدين حتى يجر الى اقتحام الفواحش وقد ينتهي افراطها بطائفة الى امرين شنيعين احدهما ان يتناولوا ما يقوون شهوتهم للاستكثار من الوقاع كما قد يتناول بعض الناس الادوية التي تقوي المعدة لتعظم شهوة الطعام وما مثاله الا كمن ابتلي بسباع ضارية [illegible] فتنام عنه في بعض الاوقات فيحتال لاثارتها وتهييجها ثم يشتغل بعلاجها واصلاحها فان شهوة الطعام والوقاع على التحقيق الام يريد الانسان الخلاص منها فيدرك لذة بسبب الخلاص • **فان قلت** فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال شكوت الى جبريل ضعف الوقاع فامرني باكل الهريسة فاعلم انه [illegible] تحته تسع نسوة ووجب عليه تحصينهن بالامتاع وحرم على غيره نكاحهن وان طلقهن فكان طلبه للقوة لهذا لا للتنعم • **الامر الثاني** ان ينتهي هذا الشبق ببعض الضلال الى العشق وهو غاية الجهل بما وضع له الوقاع وهو مجاوزة في البهيمية لحد البهائم لان المتعشق ليس يقنع باراقة شهوة الوقاع وهي اقبح الشهوات واجدرها بان يستحيى منه حتى اعتقد ان الشهوة لا تنقضي الا من محل واحد والبهيمة تقضي الشهوة اين اتفق فتكتفي به وهذا لا يكتفي الا بواحد معين حتى يزداد به ذلا الى ذل وعبودية الى عبودية وحتى يستسخر العقل لخدمة الشهوة وقد خلق ليكون مطاعا لا ليكون خادما للشهوة ومحتالا لاجلها **وما العشق** الا سعة افراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لا همة له وانما يجب الاحتراز من اوائله بترك معاودة النظر والفكر والا فاذا استحكم عسر دفعه وكذلك عشق الجاه والمال والعقار والاولاد حتى حب اللعب بالطيور والنرد والشطرنج فان هذه الامور قد تستولي على طائفة بحيث تنغص عليهم الدين والدنيا فلا يصبرون عنها البتة ومثال من يكسر سورة العشق في اول انبعاثه مثال من يصرف عنان الدابة عند توجهها الى باب ليدخله وما اهون منعها بصرف عنانها ومثال من يعالجها بعد استحكامها مثال من يترك الدابة حتى تدخل وتجاوز الباب ثم ياخذ بذنبها ويجرها الى ورائه وما اعظم التفاوت بين [illegible] في اليسر والعسر فليكن الاحتياط في بدايات الامور فاما في اواخرها فلا يقبل العلاج الا بجهد شديد يكاد يوازي نزع الروح فاذا الافراط

كلام ابليس مع النسا

[illegible] الشهوة ان تغلب العقل الى هذا الحد وهو مذموم جدا وتفريطها [illegible] **بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله** اعلم ان المريد في ابتداء امره لا ينبغي ان يشغل نفسه بالتزويج فان ذلك شغل شاغل يمنعه من السلوك ويستجره الى الانس بالزوجة ومن انس بغير الله شغل عن الله ولا يغرنك كثرة نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان لا يشغل قلبه جميع ما في الدنيا عن الله [illegible] قال ابو سليمان الداراني من تزوج فقد ركن الى الدنيا وقال ما رايت مريدا تزوج فثبت على حاله الاول [illegible] وقال الجنيد [illegible] وكيف [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] وكان استغراقه [illegible] بحيث كان يخاف احتراق قلبه [illegible] ولذلك كان يضرب بيده على فخذ عائشة [illegible] فيشتغل عن عظيم ما هو فيه لقصور طاقة قالبه عنه [illegible] وكان انسه بالخلق عارضا رفقا ببدنه ثم كان لا يطيق الصبر مع الخلق اذا جالسهم فاذا ضاق صدره قال ارحنا يا بلال حتى يعود الى ما هو قرة عينه **فاذا** الضعيف اذا لاحظ احواله في مثل هذه الامور [illegible] لان الاوهام تقصر عن الوقوف على اسرار افعاله فشرط المريد العزوبة في الابتداء الى ان يقوى في المعرفة وهذا اذا لم تغلبه الشهوة فان غلبته الشهوة فليكسرها بالجوع الطويل والصوم الدائم فان لم تنقمع الشهوة بذلك وكان بحيث لا يقدر على حفظ العين مثلا وان قدر على حفظ الفرج فالنكاح اولى لتسكين الشهوة والا فمهما لم يحفظ عينه لم يحفظ فكره ويتفرق عليه همه وربما يقع في بلية لا يطيقها وزنا العين من كبائر الصغائر وهي تؤدي على القرب الى الكبيرة الفاحشة وهي زنا الفرج ومن لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظ دينه **قال** عيسى عليه السلام اياكم والنظرة فانها تزرع في القلب شهوة وكفى بها فتنة **وقال** سعيد بن جبير انما جاءت الفتنة داود عليه السلام من اجل النظرة **ولذلك** قال لابنه يا بني امش خلف الاسد والاسود ولا تمش خلف المراة **وقيل** ليحيى بن زكريا عليهما السلام ما بدء الزنا قال النظر والتمني **وقال** الفضيل [illegible] ابليس [illegible] قوسي القديمة وسهمي الذي لا اخطئ به يعني النظر **وقال** رسول الله صلى الله عليه وسلم النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله تعالى اعطاه الله ايمانا يجد حلاوته في قلبه **وقال** صلى الله عليه وسلم ما تركت بعدي فتنة اضر على الرجال من النساء **وقال** صلى الله عليه وسلم اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان اول فتنة بني اسرائيل كانت من قبل النساء **وقال** الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم [illegible] وقال صلى الله عليه وسلم لكل ابن ادم حظ من الزنا فالعينان تزنيان وزناهما النظر واليدان تزنيان وزناهما البطش والرجلان تزنيان وزناهما المشي والفم يزني وزناه القبلة والقلب يهم ويتمنى ويصدق ذلك الفرج او يكذبه **وقالت** ام سلمة استاذن ابن ام مكتوم الاعمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا وميمونة جالستان فقال صلى الله عليه وسلم احتجبا فقلنا يا رسول الله اليس هو اعمى فقال عليه السلام وانتما لا تبصرانه **وهذا** يدل على انه لا يجوز للنساء مجالسة العميان كما جرت به العادة في المآتم والولائم فيحرم على الاعمى الخلوة بالنساء ويحرم على المراة مجالسة الاعمى وتحديق النظر اليه من غير حاجة وانما جوز للنساء محادثة الرجال والنظر اليهم لاجل عموم الحاجة فان قدر على حفظ عينه عن النساء ولم يقدر على حفظها عن الصبيان فالنكاح اولى به فان الشر في الصبيان اكثر فانه لو مال قلبه الى امراة امكنه الوصول الى استباحتها بالنكاح والنظر الى وجه الصبي بالشهوة حرام بل كل من يتاثر قلبه بجمال صورة الامرد بحيث يدرك التفرقة بينه وبين الملتحي لم يحل له النظر **فان قلت** كل ذي حس يدرك التفرقة بين الجميل والقبيح لا محالة ولم تزل وجوه الصبيان مكشوفة فاقول لست اعني تفرقة العين فقط بل ينبغي ان يكون ادراكه التفرقة كادراكه التفرقة بين شجرة خضراء واخرى يابسة وبين ماء صاف وماء كدر وبين شجرة عليها ازهارها وانوارها وشجرة تساقطت اوراقها فانه يميل الى احداهما بعينه وطبعه ولكن ميلا خاليا عن الشهوة ولاجل ذلك لا يشتهي ملامسة الازهار والانوار وتقبيلها ولا تقبيل الماء الصافي وكذلك الشيبة الحسنة قد تميل العين اليها وتدرك التفرقة بينها وبين الوجه القبيح ولكن تفرقة لا شهوة فيها ويعرف ذلك بميل النفس الى القرب والملامسة فمهما وجد ذلك الميل في قلبه وادرك تفرقة بين الوجه الجميل وبين النبات الحسن والثياب المنقشة والسقوف المزخرفة فنظره نظر شهوة وهو حرام وهذا مما يتهاون به الناس ويجرهم ذلك الى المعاطب وهم لا يشعرون **قال** بعض التابعين ما انا باخوف على الشاب الناسك من سبع ضار من غلام امرد يجلس اليه **وقال** سفيان لو ان رجلا عبث بغلام بين اصبعين من اصبعي رجله يريد الشهوة لكان لوطيا وعن بعض السلف قال سيكون في هذه الامة ثلاثة اصناف لوطيون • صنف ينظرون • وصنف يصافحون • وصنف يعملون **فاذا** آفة النظر الى الاحداث عظيمة فمهما عجز المريد عن غض بصره وضبط فكره فالصواب له ان يكسر شهوته بالنكاح فرب نفس لا يسكن توقانها بالجوع **وقال** بعضهم غلبت علي شهوتي في بدء ارادتي بما لم اطق فاكثرت الضجيج الى الله تعالى فرايت شخصا في المنام فقال ما لك فشكوت اليه فقال تقدم الي فتقدمت اليه فوضع يده على صدري فوجدت بردها في فؤادي وجميع جسدي فاصبحت وقد زال ما بي وبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك فاكثرت الاستغاثة فجاءني شخص في المنام فقال اتحب ان يذهب ما تجده واضرب عنقك قلت نعم قال مد رقبتك فمددتها فجرد سيفا من نور وضرب به عنقي فاصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى

ثم عاودني ذلك اشد منه فرايت شخصا جاء حتى قام بين صدري وجنبي وقال ويحك كم تسال الله عز وجل رفع ما لا يحب قال فتزوجت فانقطع ذلك عني وولد لي ومهما احتاج المريد الى النكاح فلا ينبغي ان يترك شرط الارادة في ابتداء النكاح ودوامه اما في ابتدائه فبالنية الحسنة وفي دوامه بحسن الخلق وسداد السيرة والقيام بالحقوق الواجبة كما فصلنا جميعها في كتاب آداب النكاح فلا نطول باعادته وامارة صدق ارادته ان ينكح فقيرة متدينة ولا يطلب الغنية قال بعضهم من تزوج الغنية كان له منها خمس خصال مغالاة الصداق وتسويف الزفاف وفوت الخدمة وكثرة النفقة واذا اراد طلاقها لم يقدر خوفا من ذهاب مالها والفقيرة بخلاف ذلك وقال بعضهم ينبغي ان تكون المراة دون الرجل باربع والا استحقرته بالسن والطول والمال والحسب وان تكون فوقه باربع بالجمال والادب والخلق والورع وعلامة صدق الارادة في دوام النكاح الخلق تزوج بعض المريدين امراة فلم يزل يخدمها حتى استحيت المراة وشكت الى ابيها وقالت قد تحيرت في هذا الرجل انا في منزله منذ سنين ما ذهبت الى الخلاء قط الا وحمل الماء قبلي اليه وتزوج بعضهم امراة ذات جمال فلما قرب الزفاف اصابت المراة الجدري فاشتد حزن اهلها لذلك خوفا من ان يستقبحها فاراهم الرجل انه قد اصابه رمد ثم اراهم ان بصره قد ذهب حتى زفت المراة اليه فزال عنهم الحزن فبقيت عنده عشرين سنة ثم توفيت ففتح عينيه فقيل له في ذلك فقال تعمدت ذلك لاجل اهلها حتى لا يحزنوا فقيل له قد سبقت اصحابك بهذا الخلق وتزوج بعض الصوفية امراة سيئة الخلق فكان يصبر عليها فقيل له لم لا تطلقها فقال اخشى ان يتزوجها من لا يصبر عليها فيتاذى بها فان نكح المريد فهكذا ينبغي ان يكون وان قدر على الترك فهو اولى له اذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح وسلوك الطريق وعلم ان ذلك يشغله عن حاله كما روي ان محمد بن سليمان الهاشمي كان له غلة ثمانين الف درهم في كل يوم فكتب الى اهل البصرة وعلمائها في امراة يتزوجها فاجمعوا كلهم على رابعة العدوية فكتب اليها بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان الله عز وجل قد ملكني من غلة الدنيا في كل يوم ثمانين الف درهم وليس يمضي الا ايام والليالي حتى اتمها مائة الف وانا اصير لك مثلها ومثلها فاجيبيني فكتبت اليه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان الزهد في الدنيا راحة البدن والرغبة فيها تورث الهم والحزن فاذا اتاك كتابي هذا فهيئ زادك وقدم لمعادك وكن وصي نفسك ولا تجعل الرجال اوصياءك فيقتسمون تركتك وصم الدهر واجعل فطرك الموت وما انا فلو ان الله خولني امثال الذي خولك واضعافه ما سرني ان اشتغل عن الله طرفة عين وهذه اشارة الى ان كل ما يشغل عن الله تعالى فهو نقصان فلينظر المريد الى حاله وقلبه فان وجده في العزوبة فهو الاقرب وان عجز فالنكاح اولى به ودواء هذه العلة ثلاثة الجوع وغض البصر والاشتغال بشغل يستولي على القلب فان لم تنفع هذه الثلاثة فالنكاح هو الذي يستاصل مادتها فقط ولهذا كان السلف يبادرون الى النكاح والى تزويج البنات قال سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من احد الا اتاه من قبل النساء وقال سعيد وهو ابن اربع وثمانين سنة وقد ذهبت احدى عينيه وهو يعشو بالاخرى ما اخوف عندي من النساء وعن ابي وداعة قال كنت اجالس سعيد بن المسيب ففقدني اياما فلما جئته قال اين كنت قلت توفيت اهلي فاشتغلت بها فقال الا اخبرتنا فشهدناها ثم اردت ان اقوم فقال استحدثت امراة فقلت يرحمك الله ومن يزوجني وما املك الا درهمين او ثلثة فقال انا فقلت وتفعل قال نعم ثم تحمد وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وزوجني على درهمين او ثلاث قال فقمت وما ادري ما اصنع من الفرح فصرت الى منزلي واسرجت وكنت صائما وقدمت عشائي لافطر وكان خبزا وزيتا فاذا بالباب يقرع فقلت من هذا قال سعيد فتفكرت في كل انسان اسمه سعيد في المدينة الا سعيد بن المسيب فانه لم ير اربعين سنة الا بين بيته والمسجد فقمت فخرجت فاذا سعيد بن المسيب فظننت انه قد بدا له فقلت يا ابا محمد الا ارسلت الي فآتيك فقال لا انت احق ان تؤتى قلت فما تامر فقال انك كنت عزبا فتزوجت وكرهت ان ابيتك الليلة وحدك وهذه امراتك فاذا هي قائمة خلفه في طوله ثم اخذ بيدها فدفعها في الباب ورد الباب فسقطت المراة من الحياء فاستوثقت من الباب ثم تقدمت الى القصعة التي فيها الزيت والخبز فوضعتها في ظل السراج لكيلا تراه ثم صعدت الى السطح فرميت الجيران فجاؤوني وقالوا ما شانك قلت ويحكم زوجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم وقد جاء بها الليلة على غفلة قالوا سعيد زوجك قلت نعم وهو ذا هي في الدار قلت نعم فنزلوا اليها وبلغ امي فجاءت وقالت وجهي من وجهك حرام ان مسستها قبل ان اصلحها الى ثلثة ايام قال فاقمت ثلاثا ثم دخلت بها فاذا هي من اجمل الناس واذا هي احفظ الناس لكتاب الله تعالى واعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واعرفهم بحق الزوج قال فمكثت شهرا لا ياتيني سعيد ولا آتيه فلما كان قرب الشهر اتيت سعيدا وهو في حلقته فسلمت عليه فرد علي السلام ولم يكلمني حتى تفرق اهل المجلس فقال ما حال ذلك الانسان قلت خيرا يا ابا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو فقال ان رابك شيء فالعصا فانصرفت الى منزلي فوجه الي بعشرين الف درهم قال عبد الله بن سليمان وكانت بنت سعيد بن المسيب خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد بن عبد الملك حين ولاه العهد فابى سعيد ان يزوجه فلم يزل

يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء والبسه جبة صوف فاستعجال سعيد بن المسيب في تلك الليلة يعرفك غائلة الشهوة ووجوب المبادرة في الدين الى تطفئة نارها بالنكاح

بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين والبطن

اعلم ان هذه الشهوة اغلب الشهوات على الانسان واعصاها عند الهيجان على العقل الا ان مقتضاها قبيح يستحيى منه ويخشى من اقتحامه وامتناع اكثر الناس عن مقتضاها اما لعجز او لخوف او لحياء او لمحافظة على جسمه وليس في شيء من ذلك ثواب فانه ايثار حظ من حظوظ النفس على حظ آخر نعم من العصمة ان لا يقدر ففي هذه العوائق فائدة وهي دفع الاثم فان من ترك الزنا اندفع عنه اثمه باي سبب كان تركه وانما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفا من الله تعالى مع القدرة وارتفاع الموانع وتيسير الاسباب لا سيما عند صدق الشهوة وهذه درجة الصديقين ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد وقال النبي صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله وعد منهم رجلا دعته امراة ذات حسب وجمال الى نفسها فقال اني اخاف الله رب العالمين وقصة يوسف عليه السلام وامتناعه من زليخا مع القدرة ومع رغبتها معروفة وقد اثنى الله عليه بذلك وهو امام لكل من وفق لمجاهدة الشيطان في هذه الشهوة العظيمة وروي ان سليمان بن يسار كان من احسن الناس وجها فدخلت عليه امراة فسالته نفسه فامتنع عليها وخرج هاربا من منزله وتركها فيه قال سليمان فرايت في المنام يوسف عليه السلام وكاني اقول له انت يوسف قال نعم انا يوسف الذي هممت وانت سليمان الذي لم تهم اشار به الى قوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه وعن سليمان ايضا ما هو اعجب منه وهو انه خرج حاجا من المدينة ومعه رفيق له حتى نزلوا بالابواء فقام رفيقه واخذ السفرة وانطلق الى السوق يبتاع شيئا وقعد سليمان في الخيمة وكان من اجمل الناس وجها واورع الناس فبصرت به اعرابية من قلة الجبل فلما رات حسنه وجماله انحدرت وعليها البرقع والقفازان فجاءت ووقفت بين يديه فاسفرت عن وجه لها كانه فلقة قمر فقالت اهنئني فظن انها تريد طعاما فقام الى فضل السفرة ليعطيها فقالت لست اريد هذا انما اريد ما يكون من الرجل الى المراة فقال جهزك الي ابليس ثم وضع راسه بين كميه واخذ في النحيب فلم يزل يبكي فلما رات ذلك سدلت البرقع على وجهها ورجعت راجعة حتى بلغت خيمتها فجاء رفيقه وقد ابتاع لهم ما يرفقهم فلما رآه وقد انتفخت عيناه من البكاء وانقطع حلقه قال ما يبكيك قال خير ذكرت صبيتي قال لا والله الا ان لك قصة انما عهدك بصبيتك منذ ثلاث او نحوها فلم يزل به حتى اخبره بشان الاعرابية فوضع السفرة وجعل يبكي بكاء شديدا فقال له سليمان وانت ما يبكيك قال انا احق بالبكاء منك لاني اخشى ان لو كنت مكانك لما صبرت عنها فلما انتهى سليمان الى مكة وطاف وسعى اتى الحجر واحتبى بثوبه فاخذته عينه فنام فاذا رجل وسيم جميل طوال له شارة حسنة ورائحة طيبة فقال له سليمان من انت رحمك الله قال انا يوسف الصديق قال نعم فقال ان في شانك وشان امراة العزيز لعجبا فقال له يوسف عليه السلام شانك وشان صاحبة الابواء اعجب لاني هممت وانت ما هممت وروي ان عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى اواهم المبيت الى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا انه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا ان تدعوا الله بصالح اعمالكم قال رجل منهم اللهم كان لي ابوان شيخان كبيران وكنت لا اغبق قبلهما اهلا ولا مالا فناى بي طلب الشجر يوما فلم ارح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت ان اوقظهما وكرهت ان اغبق قبلهما اهلا ولا مالا فلبثت والقدح في يدي انتظر استيقاظهما حتى طلع الفجر والصبية يتضاغون عند قدمي فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج وقال الآخر اللهم انه كانت لي ابنة عم وكانت احب الناس الي فراودتها عن نفسها فامتنعت مني حتى المت بها سنة من السنين فجاءتني فاعطيتها مائة وعشرين دينارا على ان تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى اذا قدرت عليها قالت لا احل لك ان تفض الخاتم الا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي احب الناس الي وتركت الذهب الذي اعطيتها اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير انهم لا يستطيعون الخروج منها وقال الثالث اللهم انك تعلم اني استاجرت اجراء واعطيتهم اجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت اجره حتى كثرت منه الاموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله اد الي اجري فقلت كل ما ترى من اجرك من الابل والبقر والغنم والرقيق فقال يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلت اني لا استهزئ بك فاخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون فهذا فضل من تمكن من قضاء الشهوة فعف وقريب منه من تمكن من قضاء شهوة العين فان النظر مبدا الزنا فحفظه مهم وهو عسر من حيث انه قد يستهان به ولا يعظم الخوف منه والآفات كلها منه تنشا والنظرة الاولى اذا لم يقصد لا يؤاخذ بها والمعاودة يؤاخذ بها قال النبي صلى الله عليه وسلم لك الاولى والثانية عليك اي النظرة وقال العلاء بن زياد لا تتبع بصرك رداء المراة فان النظر يجعل في القلب شهوة وقلما يخلو الانسان من ترداده عن وقوع البصر على النساء والصبيان ومهما تخايل الحسن تقاضى

الطبع المعاودة وعنده ينبغي ان يقرر مع نفسه ان هذه المعاودة عين الجهل لانه ان حقق النظر واستحسن ثارت الشهوة وعجز عن الوصول فلا يحصل له الا التحسر وان استقبح لم يتلذذ به وتألم لانه قصد التلذذ فقد فعل ما آلمه فلا يخلو في كلتا حالتيه عن معصية وعن تألم وعن تحسر ومهما حفظ العين بهذا الطريق اندفع عن قلبه كثير من الآفات وان اخطأت عينه وحفظ الفرج مع التمكن فذلك يستدعي غاية القوة ونهاية التوفيق وروي عن ابي بكر بن عبد الله المزني ان قصابا اولع بجارية لبعض جيرانه فارسلها اهلها في حاجة لهم الى قرية اخرى فتبعها فراودها عن نفسها فقالت لا تفعل لانا اشد حبا لك منك لي ولكني اخاف الله قال فانت تخافينه وانا لا اخافه فرجع تائبا فاصابه العطش حتى كاد يتقطع عنقه فاذا هو برسول لبعض انبياء بني اسرائيل فسأله فقال ما لك قال العطش قال تعال حتى ندعو الله بان تظلنا سحابة حتى ندخل القرية قال ما لي من عمل فأدعو قال فانا ادعو وأمّن انت فدعا الرسول وامّن هو فاظلتهما سحابة حتى انتهيا الى القرية فاخذ القصاب الى مكانه ومالت السحابة معه فقال له زعمت ان ليس لك عمل وانا الذي دعوت وانت الذي امنت فاظلتنا سحابة ثم تبعتك لتخبرني بامرك فاخبره فقال الرسول ان التائب الى الله تعالى بمكان ليس احد من الناس بمكانه وعن احمد بن سعيد العابد عن ابيه قال كان عندنا بالكوفة شاب متعبد لازم المسجد الجامع لا يكاد يخلو منه وكان حسن الوجه حسن القامة حسن السمت فنظرت اليه امرأة ذات جمال وعقل فشغفت به وطال ذلك عليها فلما كان ذات يوم وقفت له على طريقه وهو يريد المسجد فقالت له يا فتى اسمع مني كلمات اكلمك بها ثم اعمل ما شئت فمضى ولم يكلمها ثم وقفت له بعد ذلك على طريقه وهو يريد منزله فقالت يا فتى اسمع مني كلمات اكلمك بها قال فاطرق مليا وقال لها هذا موقف تهمة وانا اكره ان اكون للتهمة موضعا فقالت والله ما وقفت موقفي هذا جهالة مني بامرك ولكن معاذ الله ان يتشوف العباد لمثل هذا مني والذي حملني على ان لقيتك في هذا الامر بنفسي معرفتي ان القليل من هذا عند الناس كثير وانتم معاشر العباد على مثال القوارير ادنى شيء يعيبه وجملة ما اكلمك به ان جوارحي كلها مشغولة بك فالله الله في امري وامرك قال فمضى الشاب الى منزله واراد ان يصلي فلم يعقل كيف يصلي فاخذ قرطاسا وكتب كتابا ثم خرج من منزله فاذا بالمرأة واقفة في موضعها فالقى الكتاب اليها ورجع الى منزله وكان فيه بسم الله الرحمن الرحيم اعلمي ايتها المرأة ان الله عز وجل اذا عصاه العبد حلم فاذا عاد الى المعصية مرة اخرى ستره فاذا لبس لها ملابسها غضب الله تعالى لنفسه غضبة تضيق منها السموات والارض والجبال والشجر والدواب فمن ذا يطيق غضبه فان كان ما ذكرت باطلا فاني اذكرك يوما تكون السماء فيه كالمهل وتصير الجبال كالعهن وتجثو الامم لصولة الجبار العظيم واني والله قد ضعفت عن اصلاح نفسي فكيف باصلاح غيري وان كان ما ذكرت حقا فاني ادلك على طبيب هدى يداوي الكلوم الممرضة والاوجاع المرمضة ذلك الله رب العالمين فاقصديه على صدق المسألة فاني متشاغل عنك بقوله تعالى وانذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين فاين المهرب من هذه الآية ثم جاءت بعد ذلك بايام فوقفت له على الطريق فلما رآها من بعيد اراد الرجوع الى منزله كيلا يراها فقالت يا فتى لا ترجع فلا كان الملتقى بعد هذا اليوم ابدا الا غدا بين يدي الله تعالى ثم بكت بكاء كثيرا وقالت اسأل الله الذي بيده مفاتيح قلبك ان يسهل ما قد عسر من امرك ثم انها تبعته وقالت امنن علي بموعظة احملها عنك واوصني بوصية اعمل عليها فقال لها الفتى اوصيك بحفظ نفسك من نفسك واذكرك قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار قال فاطرقت وبكت بكاء شديدا اشد من بكائها الاول ثم افاقت ولزمت بيتها واخذت في العبادة فلم تزل على ذلك حتى ماتت كمدا فكان الفتى يذكرها بعد موتها ثم يبكي فيقال له مم بكاؤك وانت قد ايأستها من نفسك فيقول اني قد ذبحت طمعها في اول امرها وجعلت قطيعتها ذخيرة لي عند الله تعالى فانا استحيي منه ان استرد ذخيرة ادخرتها عنده تعالى والله اعلم تم كتاب كسر الشهوتين البطن والفرج يتلوه كتاب آفات اللسان

كتاب آفات اللسان وهو الكتاب الرابع من الربع الثالث من احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي احسن خلق الانسان وعدله والهمه نور الايمان فزينه به وجمله وعلمه البيان فقدمه به وفضله وافاض على قلبه خزائن العلوم فاكمله ثم ارسل عليه سترا من رحمته واسبله ثم امده بلسان يترجم به عما حواه القلب وعقله ويكشف عنه ستره الذي ارسله واطلق بالحق مقوله وافصح بالشكر عما اولاه وخوله من علم حصله ونطق سهله واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده الذي اكرمه وبجله ونبيه الذي ارسله بكتاب انزله وبيان فصله ودين سهله صلى الله عليه وعلى آله واصحابه ومن قبله ما كبر الله عبد وهلله **اما بعد** فان اللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة فانه صغير جرمه عظيم طاعته وجرمه اذ لا يستبين الكفر والايمان الا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والعصيان ثم انه ما من موجود ومعدوم خالق او مخلوق متخيل او معلوم مظنون او موهوم الا واللسان يتناوله ويتعرض له باثبات او نفي فان كل ما يتناوله العلم يعرب عنه اللسان اما بحق او باطل ولا شيء الا والعلم متناول له وهذه خاصية لا توجد في سائر الاعضاء فان العين لا تصل الى غير الالوان والصور والاذن لا تصل الى غير الاصوات واليد لا تصل الى غير الاجسام

وكذا سائر الاعضاء واللسان رحب الميدان ليس له مرد ولا لمجاله منتهى وحد له في الخير مجال رحب وله في الشر ذيل سحب فمن اطلق عذبة اللسان واهمله مرخى العنان سلك به الشيطان في كل ميدان وساقه الى شفا جرف هار الى ان يضطره الى البوار ولا يكب الناس على مناخرهم الا حصائد السنتهم ولا ينجو من شر اللسان الا من قيده بلجام الشرع فلا يطلقه الا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة ويكفه عن كل ما يخشى غائلته في عاجله وآجله وعلم ما يحمد فيه اطلاق اللسان او يذم غامض عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير واعصى الاعضاء على الانسان اللسان فانه لا تعب في اطلاقه ولا مؤنة في تحريكه وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن آفاته وغوائله والحذر من مصائده وحبائله وانه اعظم آلة الشيطان في استغواء الانسان ونحن بتوفيق الله وحسن تدبيره نفصل مجامع آفات اللسان ونذكرها واحدا واحدا بحدودها واسبابها وغوائلها ونعرف طريق الاحتراز منها ونورد ما ورد من الاخبار والآثار في ذمها فنذكر اولا فضل الصمت ونردفه بذكر آفة الكلام فيما لا يعنيك ثم آفة فضول الكلام ثم آفة الخوض في الباطل ثم آفة المراء والجدال ثم آفة الخصومة ثم آفة التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه وغير ذلك مما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة ثم آفة الفحش والسب وبذاءة اللسان ثم آفة اللعن اما لحيوان او جماد او انسان ثم آفة الغناء والشعر وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من الغناء وما يحل فلا نعيده ثم آفة المزاح ثم آفة السخرية والاستهزاء ثم آفة افشاء السر ثم آفة الوعد الكاذب ثم آفة الكذب في القول واليمين ثم آفة الغيبة ثم آفة النميمة ثم آفة ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعاديين ويكلم كل واحد منهما بكلام يوافقه ثم آفة المدح ثم آفة الغفلة عن دقائق الخطأ في فحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط باصول الدين ثم آفة سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف وانها قديمة او محدثة وهي تمام الآفات وهي عشرون آفة

بيان عظم خطر اللسان وفضيلة الصمت

اعلم ان خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطره الا بالصمت فلذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه فقال صلى الله عليه وسلم من صمت نجا وقال صلى الله عليه وسلم الصمت حكم وقليل فاعله اي حكمة وحزم وروى عبد الله بن سفيان عن ابيه قال قلت يا رسول الله اخبرني عن الاسلام بامر لا اسأل عنه احدا بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم قال قلت فما اتقي فاومى بيده الى لسانه وقال عقبة بن عامر قلت يا رسول الله ما النجاة فقال املك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقال سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يتكفل لي بما بين لحييه ورجليه اتكفل له بالجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي والقبقب البطن والذبذب الفرج واللقلق اللسان فهذه الشهوات الثلاث بها يهلك اكثر الخلق ولذلك اشتغلنا بذكر آفات اللسان لما فرغنا من ذكر الشهوتين البطن والفرج وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اكثر ما يدخل الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن اكثر ما يدخل النار فقال الاجوفان الفم والفرج فيحتمل ان يكون المراد بالفم آفات اللسان لانه محله ويحتمل ان يكون البطن لانه منفذه وقال معاذ بن جبل قلت يا رسول الله انؤاخذ بما نقول فقال ثكلتك امك يا ابن جبل وهل يكب الناس في النار على مناخرهم الا حصائد السنتهم وقال عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله حدثني بامر اعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم قال قلت يا رسول الله ما اخوف ما تخاف علي فاخذ بلسانه وقال هذا وروي عن معاذ رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله اي الاعمال افضل فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لسانه ثم وضع عليه اصبعه وقال انس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائقه وقال النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان يسلم فليلزم الصمت وعن سعيد بن جبير مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اصبح ابن آدم اصبحت الاعضاء كلها تذكر اللسان اي تقول اتق الله فينا فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اطلع على ابي بكر الصديق رضي الله عنه وهو يمد لسانه فقال ما تصنع يا خليفة رسول الله فقال ان هذا اوردني الموارد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس شيء من الجسد الا يشكو الى الله اللسان على حدته وعن عبد الله بن مسعود انه كان على الصفا يلبي ويقول يا لسان قل خيرا تغنم واسكت عن شر تسلم من قبل ان تندم قيل له يا ابا عبد الرحمن هذا شيء تقوله او شيء سمعته قال لا بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اكثر خطايا ابن آدم في لسانه وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كف لسانه ستر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ومن اعتذر الى الله قبل الله عذره وروي عن معاذ بن جبل قال يا رسول الله اوصني قال اعبد الله كانك تراه وعد نفسك في الموتى وان شئت انبأتك بما هو املك لك من هذا كله واشار بيده الى لسانه وعن صفوان بن سليم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بايسر العبادة واهونها على البدن الصمت وحسن الخلق وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليسكت • وقال الحسن ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رحم الله عبدا تكلم فغنم او سكت فسلم • وقال سفيان رحمه الله عليه قيل لعيسى صلوات الله عليه دلنا على عمل ندخل به الجنة قال لا تنطقوا ابدا قالوا لا نستطيع ذلك قال فلا تنطقوا الا بخير • وقال سليمن بن داود صلى الله عليهما ان كان الكلام من فضة فالصمت من ذهب وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دلني على عمل يدخلني الجنة قال اطعم الجائع واسق الظمآن وامر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق فكف لسانك الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عند لسان كل قائل فليتق الله امرؤ علم ما يقول • وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا رايتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقن الحكمة وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ثلثة غانم وسالم وشاجب فالغانم الذي يذكر الله والسالم الساكت والشاجب الذي يخوض في الباطل • وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان لسان المؤمن وراء قلبه فاذا اراد ان يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم امضاه بلسانه وان لسان المنافق امام قلبه فاذا هم بشيء امضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه وقال عيسى عليه السلام العبادة عشرة اجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس • وقال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار اولى به

الاثار كان ابو بكر الصديق رضي الله عنه يضع حجرا في فيه يمنع به نفسه من الكلام وكان يشير الى لسانه ويقول هذا اوردني الموارد وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه والله الذي لا اله الا هو ما من شيء احوج الى طول سجن من لسان وقال طاوس رحمه الله عليه لساني سبع ان ارسلته اكلني وقال وهب بن منبه رحمه الله عليه في حكمة آل داود حق على العاقل ان يكون عارفا بزمانه حافظا للسانه مقبلا على شانه وقال الحسن رضي الله عنه ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه وقال الاوزاعي رحمه الله عليه كتب الينا عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه اما بعد فان من اكثر ذكر الموت رضي باليسير من الدنيا ومن عد كلامه من عمله قل كلامه فيما لا يعنيه وقال بعضهم الصمت يجمع للرجل فضيلتين السلامة في دينه والفهم عن صاحبه وقال محمد بن واسع رحمه الله عليه لمالك بن دينار يا ابا يحيى حفظ اللسان على الناس اشد من حفظ الدراهم والدينار وقال يونس بن عبيد رحمه الله عليه ما من الناس احد يكون لسانه منه على بال الا رايت صلاح ذلك في سائر عمله وقال الحسن رحمه الله عليه تكلموا عند معوية والاحنف ساكت فقالوا ما لك لا تتكلم فقال اخشى الله ان كذبت واخشاكم ان صدقت وقال ابو بكر بن عياش اجتمع اربع ملوك على ذم الكلام ملك الهند وملك الصين وكسرى وقيصر فقال احدهم انا اندم على ما قلت ولا اندم على ما لم اقل وقال الاخر اني اذا تكلمت بكلمة ملكتني ولم املكها واذا لم اتكلم بها ملكتها ولم تملكني وقال الثالث عجبت للمتكلم ان رجعت عليه كلمته ضرته وان لم ترجع لم تنفع وقال الرابع انا على رد ما لم اقل اقدر مني على رد ما قلت وقيل ان المنصور بن المعتمر لم يتكلم بعد العشاء الاخرة اربعين سنة وقيل ما تكلم الربيع بن خثيم رحمه الله عليه بكلام الدنيا عشرين سنة وكان اذا اصبح وضع قرطاسا وقلما فكل ما تكلم به كتبه ثم يحاسب نفسه عند المساء فان قلت هذا الفضل الكبير للصمت ما سببه فاعلم ان سببه كثرة آفات اللسان من الخطأ والكذب والغيبة والنميمة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخصومة والفضول والخوض في الباطل والتحريف والزيادة والنقصان وايذاء الخلق وهتك العورات فهذه الآفات كثيرة وهي سباقة الى اللسان لا تثقل عليه ولها حلاوة في القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان فالخائض فيها قلما يقدر على ان يمسك اللسان فيطلقه بما يحب ويكفه عما لا يحب فان ذلك من غوامض العلم كما سياتي تفصيله ففي الخوض خطر وفي الصمت سلامة فلذلك عظم فضله هذا مع ما فيه من جمع الهم ودوام الوقار والفراغ للفكر والعبادة والذكر والسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه في الاخرة وقد قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ويدلك على لزوم الصمت امر وهو ان الكلام اربعة اقسام قسم هو ضرر محض فلا بد من السكوت فيه وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لا تفي بالضرر واما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان وهو عين الخسران فلا يبقى الا القسم الرابع فقد سقط ثلثة ارباع الكلام وبقي ربع وهذا الربع فيه خطر اذ يمتزج به ما فيه اثم من دقائق الرياء والتصنع وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجا يخفى دركه فيكون الانسان به مخاطرا ومن عرف دقائق آفات اللسان على ما سنذكره علم قطعا ان ما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم هو فصل الخطاب قال من صمت نجا فلقد اوتي والله جواهر الحكم وجوامع الكلم

ولا يعرف ما تحت آحاد كلماته من بحار المعاني الا خواص العلماء وفيما سنذكره من الآفات وعسر الاحتراز عنها ما يعرفك حقيقة ذلك ان شاء الله تعالى ونحن الان نعد آفات اللسان ونبتدي باخفها ونترقى الى الاغلظ قليلا قليلا ونؤخر الكلام في الغيبة والنميمة والكذب فان النظر فيها اطول وهي عشرون

الآفة الاولى الكلام فيما لا يعنيك • اعلم ان احسن احوالك ان تحفظ الفاظك من جميع الآفات التي ذكرناها من الغيبة والكذب والمراء والنفاق وغيرها وتتكلم بما هو مباح لا ضرر فيه عليك ولا على مسلم اصلا الا انك تتكلم بما انت مستغن عنه ولا حاجة بك اليه فانك به تضيع زمانك وتحاسب على عمل لسانك اذ تستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير لانك لو صرفت زمان الكلام الى الفكر ربما كان ينفتح لك من نفحات رحمة الله تعالى عند الفكرة ما يعظم جدواه ولو هللت الله تعالى وسبحته وذكرته لكان خيرا لك وكم من كلمة يبنى بها قصر في الجنة ومن قدر على ان ياخذ كنزا من الكنوز فاخذ بدله مدرة لا ينتفع بها كان خاسرا خسرانا مبينا وهذا مثال من ترك ذكر الله واشتغل بمباح لا يعنيه فانه وان لم ياثم فقد خسر حيث فاته الربح العظيم بذكر الله تعالى فان المؤمن لا يكون صمته الا فكرا ونظره الا عبرة ونطقه الا ذكرا هكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم بل راس مال العبد اوقاته ومهما صرفه الى ما لا يعنيه ولم يدخر به ثوابا في الاخرة فقد ضيع راس ماله ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه بل ورد ما هو اشد من هذا قال انس رضي الله عنه استشهد غلام منا يوم احد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت امه التراب عن وجهه وقالت هنيئا لك الجنة يا بني فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره وفي حديث آخر ان النبي صلى الله عليه وسلم فقد كعبا فسال عنه فقالوا مريض فخرج يمشي حتى اتاه فلما دخل عليه قال ابشر يا كعب فقالت امه هنيئا لك الجنة يا كعب فقال النبي صلى الله عليه وسلم من هذه المتألية على الله تعالى قالت هي امي يا رسول الله قال وما يدريك يا ام كعب لعل كعبا قال ما لا يعنيه ومعناه ان الجنة انما تتهيا لمن لا يحاسب وان كان كلامه مباحا فلا تتهيا له الجنة مع المناقشة في الحساب فانه نوع من العذاب وعن محمد بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول من يدخل من هذا الباب رجل من اهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام فقام اليه ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه بذلك وقالوا اخبرنا باوثق عملك في نفسك ترجو به فقال اني لضعيف وان اوثق ما ارجو به الله سلامة الصدر وترك ما لا يعنيني • **وقال** ابو ذر رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الميزان قلت بلى يا رسول الله قال هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا يعنيك • **وقال** مجاهد سمعت ابن عباس يقول خمس لهن احسن من الدهم الموقوفة لا تكلم فيما لا يعنيك فانه فضل ولا آمن عليك الوزر ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعا فانه رب متكلم في امر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت ولا تمار حليما ولا سفيها فان الحليم يقليك والسفيه يؤذيك واذكر اخاك اذا تغيب عنك بما تحب ان يذكرك به واعفه عما تحب ان يعفيك منه واعمل عمل رجل يرى انه مجازى بالاحسان ماخوذ بالاجرام • وقيل للقمان الحكيم ما حكمتك قال لا اسال عما كفيت ولا اتكلف ما لا يعنيني • **وقال** مورق العجلي امر انا في طلبه منذ عشرين سنة لم اقدر عليه ولست بتارك طلبه قالوا وما هو قال الصمت عما لا يعنيني • **وقال** عمر بن الخطاب لا تتعرض لما لا يعنيك واعتزل عدوك واحذر صديقك من القوم الا الامين ولا امين الا من خشي الله ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر في امرك الذين يخشون الله تعالى وحد الكلام فيما لا يعنيك ان تتكلم بكلام لو سكت عنه لم تاثم ولم تستضر به في حال ولا مال مثاله ان تجلس مع قوم فتحكي لهم اسفارك وما رايت فيها من جبال وانهار وما وقع لك من الوقائع وما استحسنته من الاطعمة والثياب وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقائعهم فهذه امور لو سكت عنها لم تاثم ولم تستضر واذا بالغت في الجهد حتى لم يمتزج بحكايتك زيادة ونقصان ولا تزكية نفس من حيث التفاخر بمشاهدة الاحوال العظيمة ولا اغتياب لشخص ولا مذمة لشيء مما خلقه الله تعالى فانت مع ذلك كله مضيع لاوقاتك واني تسلم من الآفات التي ذكرناها ومن جملتها ان تسال غيرك عما لا يعنيك فانت بالسؤال مضيع وقتك وقد الجات صاحبك بالجواب الى التضييع هذا اذا كان الشيء مما لا يتطرق الى السؤال عنه آفة واكثر الاسئلة فيها آفات فانك تسال غيرك عن عبادته مثلا فتقول له هل انت صائم فان قال نعم كان مظهرا لعبادته فيدخل عليه الرياء وان لم يدخل سقطت عبادته من ديوان السر وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات وان قال لا كان كاذبا وان سكت كان مستحقرا اياك وتاذيت به وان احتال لمدافعة الجواب افتقر الى جهد وتعب فيه فقد عرضته بالسؤال اما للرياء او للكذب او للاستحقار او للتعب في حيلة الدفع وكذلك السؤال عن سائر عباداته وكذلك السؤال عن المعاصي وعن كل ما يخفيه ويستحيي منه وسؤالك عما حدث به غيره فتقول ماذا تقول وفيم انت وكذلك ترى انسانا في الطريق فتقول من اين فربما يمنعه مانع من ذكره فان ذكره تاذى به واستحيى وان لم يصدق وقع في الكذب وكنت السبب فيه وكذلك تسال عن مسئلة لا حاجة بك اليها والمسئول ربما لا تسمح نفسه بان يقول لا ادري فيجيب عن غير بصيرة ولست اعني

بسؤاله ثم قال نعم الدرع لحرب فقال لقمان الصمت حكمة وقليل فاعله اي حصل العلم من غير سؤال واستغنى عن السؤال وقيل كان يتردد اليه سنة وهو يريد ان يعلم ذلك ولم يسأل فهذا وامثاله من الاسولة اذا لم يكن فيه ضرر وهتك ستر وتوريط في رياء وكذب فهو مما لا يعني وتركه من حسن الاسلام فهذا حده واما سببه الباعث عليه فالحرص على معرفة ما لا حاجة به اليه او المباسطة بالكلام على سبيل التودد او تزجية الوقت بحكايات احوال لا فائدة فيها وعلاج ذلك كله بان يعلم ان الموت بين يديه وانه مسؤل عن كل كلمة وان انفاسه راس ماله وان لسانه شبكة يقدر على ان يقتنص بها الحور العين فاهماله وتضييعه خسران هذا علاجه من حيث العلم واما من حيث العمل فالعزلة وان يضع حجرا في فيه وان يلزم نفسه السكوت عن بعض ما يعنيه ليعود اللسان ترك ما لا يعنيه وضبط اللسان في هذا على غير المعتزل شديد جدا ٥ ٥ ٥

الآفة الثانية فضول الكلام

وهو ايضا مذموم وهذا يتناول الخوض فيما لا يعني والزيادة فيما يعني على قدر الحاجة فان من يعنيه امر يمكنه ان يذكره بكلام مختصر ويمكنه ان يجسمه ويقرره ويكرره ومهما تأدى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثاني فضول اي فضل عن الحاجة وهو ايضا مذموم كما سبق وان لم يكن فيه اثم ولا ضرر وقال عطاء بن ابي رباح ان من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله تعالى او سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم او امرا بمعروف او نهيا عن منكر او تنطق بحاجتك في معيشتك التي لا بد لك منها اتنكرون ان عليكم لحافظين كراما كاتبين عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد اما يستحي احدكم انه لو نشرت صحيفته التي املى صدر نهاره وكان اكثر ما فيها ليس من امر دينه ولا دنياه وعن بعض الصحابة رضي الله عنه قال ان الرجل ليكلمني بالكلام لجوابه اشهى الي من الماء البارد الى الظمآن فاترك جوابه خيفة ان يكون فضلا وقال مطرف ليعظم جلال الله في قلوبكم فلا تذكروه عند مثل قول احدكم للكلب والحمار اللهم اخزه واعلم ان فضول الكلام لا ينحصر بل المهم محصور في كتاب الله تعالى قال الله تعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس وقد قال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن امسك الفضل من لسانه وانفق الفضل من ماله فانظر كيف قلب الناس الامر فامسكوا فضل المال واطلقوا فضل اللسان وعن مطرف بن عبد الله عن ابيه قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من بني عامر فقالوا انت والدنا وانت سيدنا وانت افضلنا علينا فضلا وانت اطولنا علينا طولا وانت الجفنة الغراء وانت وانت فقال قولوا قولكم ولا يستهوينكم الشيطان اشارة الى ان اللسان اذا اطلق في الثناء ولو بالصدق فيخشى ان يستهويه الشيطان الى الزيادة المستغنى عنها وقال ابن مسعود رضي الله عنه انذركم فضول الكلام بحسب احدكم ما بلغ به حاجته وعن مجاهد رح قال ان الكلام ليكتب حتى ان الرجل ليسكت ابنه فيقول ابتاع لك كذا وكذا فيكتب عليه كذبة وقال الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان كريمان يكتبان اعمالك فاعمل ما شئت واقلل او اكثر وروي ان سليمان بن داود عليهما السلام بعث بعض عفاريته وبعث نفرا ينظرون ما يقول ويخبرونه قال فاخبروه انه مر في السوق فرفع راسه الى السماء ثم نظر الى الناس وهز راسه فسأله سليمان فقال عجبت من الملائكة على رؤس الناس ما اسرع ما يكتبون ومن الذين اسفل منهم ما اسرع ما يملون وقال ابراهيم التيمي المؤمن اذا اراد ان يتكلم نظر فان كان له تكلم والا امسك والفاجر انما لسانه رسلا رسلا وقال الحسن من كثر كلامه كثر كذبه ومن كثر كذبه كثرت ذنوبه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقال عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فاكثر فقال صلى الله عليه وسلم كم دون لسانك من حجاب فقال شفتاي واسناني فقال اما كان في ذلك ما يرد كلامك وفي رواية انه قال ذلك في رجل اثنى عليه فاستهتر في الكلام ثم قال ما اوتي رجل شرا من فضل اللسان وقال عمر بن عبد العزيز انه ليمنعني من كثرة الكلام مخافة المباهاة وقال بعض الحكماء اذا كان الرجل في مجلس فاعجبه الحديث فليسكت وان كان ساكتا فاعجبه السكوت فليتحدث وقال يزيد بن ابي حبيب من فتنة العالم ان يكون الكلام احب اليه من الاستماع وان وجد من يكفيه فلا يتكلم فان في الاستماع سلامة وفي الكلام تزيينا وزيادة ونقصانا وقال ابن عمر ان احق ما طهر الرجل لسانه ورأى ابو الدرداء امرأة سليطة فقال لو كانت هذه خرساء كان خيرا لها وقال ابراهيم يهلك الناس في خلتين فضول المال وفضول الكلام فهذه مذمة كثرة الكلام وفضوله وسببه الباعث عليه وعلاجه ما سبق في الكلام فيما لا يعني

الآفة الثالثة الخوض في الباطل

وهو الكلام في المعاصي كحكاية احوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتنعم الاغنياء وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة واحوالهم المكروهة فان كل ذلك مما لا يحل الخوض فيه وهو حرام واما الكلام فيما لا يعني فاكثر ما يعني فهو ترك الاولى ولا تحريم فيه نعم من يكثر الكلام فيما لا يعني لا يؤمن عليه الخوض في الباطل واكثر الناس يتجالسون للتفرج بالحديث ولا يعدو كلامهم التفكه باعراض الناس والخوض في الباطل وانواع الباطل لا يمكن حصرها لكثرتها وتفننها فلذلك لا مخلص منها الا بالاقتصار على ما يعني من مهمات الدين والدنيا وفي هذا الجنس تقع الكلمات التي يهلك بها صاحبها وهو يستحقرها وقد قال بلال بن الحارث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن ان تبلغ به ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه الى يوم يلقاه وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن ان تبلغ ما بلغت يكتب الله عليه بها سخطه الى يوم القيامة وكان علقمة يقول كم من كلام قد منعنيه حديث بلال وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوي بها ابعد من الثريا وقال ابو هريرة رضي الله عنه ان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم سبعين خريفا وان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالا يرفعه الله بها درجة في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم اعظم الناس خطايا يوم القيامة اكثرهم خوضا في الباطل واليه الاشارة بقوله تعالى وكنا نخوض مع الخائضين وبقوله تعالى فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره وقال سلمان ان اكثر الناس ذنوبا يوم القيامة اكثرهم كلاما في معصية الله تعالى وقال ابن سيرين كان رجل من الانصار يمر بمجلس لهم فيقول لهم توضؤا فان بعض ما تقولون شر من الحدث فهذا هو الخوض في الباطل وهو وراء ما سياتي من الغيبة والنميمة والفحش وغيره بل هو الخوض في ذكر محظورات سبق وجودها او تدبر للتوصل اليها من غير حاجة دينية الى ذكرها ويدخل فيه ايضا الخوض في حكاية البدع والمذاهب الفاسدة وحكايات ما جرى من قتال الصحابة رضي الله عنهم على وجه يوهم الطعن على بعضهم وكل ذلك باطل والخوض فيه خوض في الباطل

الآفة الرابعة

المراء والجدال وذلك منهي عنه وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تمار اخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه وقال صلى الله عليه وسلم ذروا المراء فانه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته وقال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو محق بني له بيت في اعلى الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة وعن ام سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول ما عهد الي ربي ونهاني عنه بعد عبادة الاوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال وقال ايضا ما ضل قوم الا اوتوا الجدل وقال ايضا لا يستكمل عبد حقيقة الايمان حتى يدع المراء وان كان محقا وقال ايضا ست من كن فيه بلغ حقيقة الايمان الصيام في الصيف وضرب اعداء الله بالسيف وتعجيل الصلاة في اليوم الدجن والصبر على المصيبات واسباغ الوضوء على المكاره وترك المراء وهو صادق وقال الزبير رضي الله عنه لابنه لا تجادل الناس بالقرآن فانك لا تستطيعهم ولكن عليك بالسنة وقال عمر بن عبد العزيز من جعل دينه غرضا للخصومات اكثر التنقل وقال مسلم بن يسار اياكم والمراء فانها ساعة جهل العالم وعندها يبتغي الشيطان زلته وقيل ما ضل قوم بعد اذ هداهم الله الا بالجدل وقال مالك بن انس ليس هذا الجدال من الدين في شيء وقال ايضا المراء يقسي القلوب ويورث الضغائن وقال لقمان لابنه يا بني لا تجادل العلماء فيمقتوك وقال بلال بن سعد اذا رايت الرجل مماريا معجبا برايه لجوجا فقد تمت خسارته وقال سفيان لو خالفت اخي في رمانة فقال حلوة وقلت حامضة لسعى بي الى السلطان وقال سفيان ايضا صاف من شئت ثم اغضبه بالمراء فليرمينك بداهية تمنعك من العيش وقال ابن ابي ليلى لا امارى صاحبي فاما ان اكذبه واما ان اغضبه وقال ابو الدرداء رضي الله عنه كفى بك اثما ان لا تزال مماريا وقال صلى الله عليه وسلم تكفير كل لحاء ركعتان وقال عمر رضي الله عنه لا تتعلم العلم لثلاث ولا تتركه لثلاث لا تتعلم لتماري به ولا لتباهي به ولا لترائي به ولا تتركه حياء من طلبه ولا زهادة فيه ولا رضا بالجهل منه وقال عيسى عليه السلام من كثر كذبه ذهب جماله ومن لاحى الرجال سقطت مروته ومن كثر همه سقم جسمه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقيل لميمون بن مهران ما لك لا تترك اخاك على قلى قال لاني لا اشاريه ولا اماريه وما ورد في ذم المراء والجدال كثير وحد المراء هو كل اعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه اما في اللفظ واما في المعنى واما في قصد المتكلم وترك المراء بترك الانكار والاعتراض وكل كلام سمعته فان كان حقا فصدق به وان كان باطلا او كذبا ولم يكن متعلقا بامور الدين فاسكت عنه والطعن في كلام الغير تارة يكون في لفظه باظهار خلل فيه من جهة النحو او من جهة اللغة او من جهة العربية او من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم وتأخير وذلك تارة يكون من قصور المعرفة وتارة يكون بطغيان اللسان وكيف ما كان فلا وجه لاظهار خلله واما في المعنى بان يقول ليس كما تقول وقد اخطأت فيه من كذا وكذا واما في قصده فمثل ان يقول هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق وانما انت فيه صاحب غرض وما يجري مجراه وهذا الجنس ان جرى في مسئلة علمية ربما خص باسم الجدل وهو ايضا مذموم بل الواجب السكوت او السؤال في معرض الاستفادة لا على صيغة العناد والنكارة او التلطف في معرض النصح واما المجادلة فعبارة عن قصد افحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه ونسبته الى القصور والجهل فيه وآية ذلك ان يكون تنبيهه للحق من جهة اخرى مكروها عند المجادل يحب ان يكون هو المظهر له خطأه ليبين به فضل نفسه ونقصان صاحبه ولا نجاة عن هذا الا بالسكوت عن كل ما لا تأثم به لو سكت عنه واما الباعث على هذا فهو الترفع باظهار الفضل والتهجم على الغير باظهار نقصه

وهما شهوتان باطنتان للنفس قويتان واما اظهار الفضل فهو من قبيل تزكية النفس وهي من مقتضى ما في العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء وهي من صفات الربوبية واما تنقيص الآخر فهو من مقتضى الطبع السبعية فانه يقتضي ان يمزق غيره ويقصمه ويصدمه ويؤذيه وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان وانما قوتهما المراء والجدال فالمواظب على المراء والجدال مقو لهذه الصفات المهلكة وهذا مجاوز حد الكراهية بل هو معصية مهما حصل فيه ايذاء الغير ولا تنفك المماراة عن الايذاء وتهييج الغضب وحمل المعترض عليه على ان يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق او باطل ويقدح في قائله بكل ما يتصور فيثور التشاجر بين المتماريين كما يثور التهارش بين الكلبين يقصد كل واحد منهما ان يعض صاحبه بما هو اعظم نكاية واقوى في افحامه والجامه واما علاجه فهو بان يكسر الكبر الباعث له على اظهار فضله والسبعية الباعثة على تنقيص غيره كما سيأتي في كتاب الكبر وكتاب الغضب فان علاج كل علة باماطة سببها وسبب المراء ما ذكرناه ثم المواظبة عليه تجعله عادة وطبعا حتى يتمكن من النفس ويعسر الصبر عنه روي ان ابا حنيفة رحمه الله قال لداود الطائي لم آثرت الانزواء قال لاجاهد نفسي بترك الجدال فقال احضر المجالس واسمع ما يقال ولا تتكلم قال ففعلت ذلك فما رأيت مجاهدة اشد علي منها وهو كما قال لان من سمع من غيره الخطأ وهو قادر على كشفه يعسر عليه الصبر عنه جدا ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا في اعلى الجنة لشدة ذلك على النفس واكثر ما يغلب ذلك في المذاهب والعقائد فان المراء طبع فاذا ظن ان له عليه ثوابا اشتد عليه حرصه وتعاون الطبع والشرع وذلك خطأ محض بل ينبغي للانسان ان يكف لسانه عن اهل القبلة واذا رأى مبتدعا تلطف في نصحه في خلوة لا بطريق المجادلة فان المجادلة تخيل اليه انها حيلة منه في التلبيس وان ذلك صنعة يقدر المجادلون من اهل مذهبه على امثالها لو ارادوا وتستمر البدعة في قلبه بالجدل وتتأكد فاذا عرف ان النصح لا ينفع اشتغل بنفسه وتركه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله من كف لسانه عن اهل القبلة الا باحسن ما يقدر عليه وقال هشام بن عروة كان يردد قوله هذا سبع مرات فكل من تعود المجادلة مدة واثنى الناس عليه ووجد لنفسه عزا وقبولا قويت فيه هذه الصفات المهلكات ولا يستطيع عنها نزوعا اذ اجتمع عليه سلطان الكبر والغضب والرياء وحب الجاه والتعزز بالفضل وآحاد هذه الصفات يشق مجاهدتها فكيف بمجموعها

الآفة الخامسة الخصومة

وهي ايضا مذمومة وهي وراء المراء والجدال فالمراء طعن في كلام الغير لاظهار خلل فيه من غير ان يرتبط به غرض سوى تحقير الغير واظهار مزية الكياسة والجدال عبارة عن امر يتعلق باظهار المذاهب وتقريرها والخصومة لجاج في الكلام ليستوفي به مال او حق مقصود وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضا والمراء لا يكون الا اعتراضا على كلام سبق فقد قالت عائشة رضي الله عنها قال النبي صلى الله عليه وسلم ان ابغض الرجال الى الله الالد الخصم وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع وقال بعضهم اياكم والخصومة فانها تمحق الدين ويقال ما خاصم ورع قط في الدين وقال ابن قتيبة مر بي بشر بن عبد الله بن ابي بكرة فقال ما يجلسك فقلت خصومة بيني وبين ابن عم لي فقال ان لابيك عندي يدا واني اريد ان اجزيك بها واني والله ما رأيت شيئا اذهب للدين ولا انقص للمروءة ولا اضيع للذة ولا اشغل للقلب من الخصومة قال فقمت لارجع فقال لي خصمي ما لك قلت لا اخاصمك قال انك عرفت ان الحق لي قلت لا ولكن اكرم نفسي عن هذا قال فاني لا اطلب منك شيئا هو لك **فان قلت** فاذا كان للانسان حق فلا بد له من الخصومة في طلبه او في حفظه مهما ظلمه ظالم فكيف يكون حكمه وكيف تذم خصومته فاعلم ان هذا الذم يتناول الذي يخاصم بالباطل والذي يخاصم بغير علم مثل وكيل القاضي فانه قبل ان يعرف ان الحق في اي جانب يتوكل في الخصومة من اي جانب كان فيخاصم بغير علم ويتناول الذي يطلب حقه ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد في الخصومة على قصد التسلط او على قصد الايذاء ويتناول الذي يمزج بالخصومة كلمات مؤذية ليس يحتاج اليها في نصرة الحجة واظهار الحق ويتناول الذي يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره مع انه قد يستحقر ذلك القدر من المال وفي الناس من يصرح به ويقول انما قصدي عناده وكسر عرضه واني ان اخذت منه هذا المال ربما رميته في بئر ولا ابالي وهذا مقصوده اللدد واللجاج وهو مذموم جدا اما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد واسراف وزيادة لجاج على الحاجة ومن غير قصد عناد وايذاء ففعله ليس بحرام ولكن الاولى تركه ما وجد اليه سبيلا فان ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متعذر والخصومة توغر الصدور وتهيج الغضب واذا هاج الغضب نسي المتنازع فيه وبقي الحقد بين المتخاصمين حتى يفرح كل واحد بمساءة صاحبه ويحزن بمسرته ويطلق اللسان في عرضه فمن بدأ بالخصومة فقد تعرض لهذه المحذورات واقل ما فيه تشويش خاطره حتى انه في صلاته يشتغل بمحاجة خصمه ولا يبقى الامر على حد الواجب فالخصومة مبدأ كل شر وكذا الجدال والمراء فينبغي ان لا يفتح بابه الا لضرورة وعند الضرورة ينبغي ان يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الخصومة وذلك متعذر جدا فمن اقتصر على الواجب في

خصومته سلم من الاثم ولا يذم خصومته الا انه ان كان مستغنيا عن الخصومة فيه لان معه ما يكفيه فيكون تاركا للاولى ولا يكون آثما نعم اقل ما يفوته في الخصومة والمراء والجدال طيب الكلام وما ورد فيه من الثواب اذ اقل طيب الكلام اظهار الموافقة ولا خشونة في الكلام اعظم من الطعن والاعتراض الذي حاصله اما تجهيل واما تكذيب فان من جادل غيره او ماراه او خاصمه فقد جهله او كذبه فيفوت به طيب الكلام وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم يمكنكم من الجنة طيب الكلام واطعام الطعام وقد قال الله تعالى وقولوا للناس حسنا وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما من سلم عليك من خلق الله فاردده عليه وان كان مجوسيا لان الله تعالى يقول واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها وقال ايضا لو قال لي فرعون خيرا لرددت عليه وقال انس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها اعدها الله تعالى لمن اطعم الطعام واطاب الكلام وروي ان عيسى عليه السلام مر به خنزير فقال امر بسلام فقيل يا روح الله تقول هذا لخنزير فقال اكره ان اعود لساني الشر وقال نبينا صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه البر شيء هين وجه طليق ولسان لين وقال بعض الحكماء كل كلام لا يسخط ربك الا انك ترضي به جليسك فلا تكن به بخيلا فلعله يعوضك به ثواب المحسنين وقال بعض الحكماء الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة في الجوارح وهذا كله في فضل الكلام الطيب ويضاده الخصومة والمراء والجدال واللجاج فانه الكلام المستكره الموحش المؤذي للقلب المنغص للعيش المهيج للغضب الموغر للصدر

الآفة السادسة

التقعر في الكلام وتكلف

بالتشبيبات والمقدمات وما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة وكل ذلك من التصنع المذموم ومن التكلف الممقوت الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم انا والاتقياء من امتي براء من التكلف وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان ابغضكم الي وابعدكم مني مجلسا الثرثارون المتفيهقون المتشدقون وقالت فاطمة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار امتي الذين غذوا بالنعيم يأكلون الوان الطعام ويلبسون الوان الثياب ويتشدقون في الكلام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا هلك المتنطعون ثلاث مرات والتنطع هو التعمق والاستقصاء وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان شقاشق الكلام من شقاشق الشيطان وجاء عمر بن سعد الى ابيه يسأله عن حاجة فتكلم بين يدي حاجته بكلام فقال سعد ما كنت من حاجتك ابعد منك اليوم اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يأتي على الناس زمان يتخللون الكلام بالسنتهم كما تتخلل البقرة الكلأ بالسنتها فكأنه انكر عليه ما قدمه على الكلام من التشبيب والمقدمة المصنوعة المتكلفة فهذا ايضا من آفات اللسان ويدخل فيه كل سجع متكلف وكذلك التفاصح الخارج عن حد العادة وكذلك التكلف بالسجع في المحاورات اذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغرة في الجنين فقال بعض قوم الجاني كيف ندي من لا اكل ولا شرب ولا صاح ولا استهل ومثل هذا يطل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اسجعا كسجع الاعراب وانكر ذلك لان اثر التكلف والتصنع بين عليه بل ينبغي ان يقتصر في كل شيء على مقصوده ومقصود الكلام التفهيم للغرض وما وراء ذلك تصنع مذموم ولا يدخل في هذا تحسين الفاظ الخطابة والتذكير من غير افراط واغراب لان المقصود منها تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها ولرشاقة اللفظ تأثير فيه فهو لائق به فاما المحاورات التي تجري لقضاء الحاجات فلا يليق بها السجع والتشدق فالاشتغال به من التكلف المذموم ولا باعث عليه الا الرياء واظهار الفصاحة والتميز بالبراعة وكل ذلك مذموم يكرهه الشرع ويزجر عنه

الآفة السابعة الفحش والسب وبذاءة اللسان

وهو مذموم ومنهي عنه ومصدره الخبث واللؤم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والفحش فان الله لا يحب الفحش والتفحش ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تسب قتلى بدر من المشركين وقال لا تسبوا هؤلاء فانه لا يخلص اليهم شيء مما تقولون وتؤذون الاحياء الا ان البذاء لؤم وقال النبي صلى الله عليه وسلم ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء وقال النبي صلى الله عليه وسلم الجنة حرام على كل فاحش ان يدخلها وقال عليه السلام اربعة يؤذون اهل النار على ما بهم من الاذى يسعون بين الحميم والجحيم يدعون بالويل والثبور رجل يسيل فوه قيحا ودما فيقال له ما بال الابعد قد آذانا على ما بنا من الاذى فيقول ان الابعد كان ينظر الى كل كلمة قذرة خبيثة فيستلذها كما يستلذ الرفث وقال عليه السلام لعائشة لو كان الفحش رجلا لكان رجل سوء وقال النبي صلى الله عليه وسلم البذاء والبيان شعبتان من شعب النفاق ويحتمل ان يكون المراد بالبيان كشف ما لا يجوز كشفه ويحتمل ايضا المبالغة في الايضاح حتى ينتهي الى حد التكلف ويحتمل ايضا البيان في امور الدين وفي صفات الله تعالى فان القاء ذلك مجملا الى اسماع العوام اولى من المبالغة في بيانه اذ قد يثور من غاية البيان فيه شكوك ووساوس واذا اجملت بادرت القلوب الى القبول ولم تضطرب ولكن ذكره مقرونا بالبذاء يشبه ان يكون المراد به المجاهرة بالشيء الذي يستحيي الانسان من بيانه فان الاولى في مثله الاغماض والتغافل دون الكشف والبيان وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لا يحب الفاحش

التفحش الصياح في الاسواق وقال جابر بن سمرة كنت جالسا عند رسول الله صلعم وابي امامي فقال رسول الله صلعم ان الفحش والتفاحش ليسا من الاسلام في شيء وان احسن الناس اسلاما احاسنهم اخلاقا وقال ابراهيم بن ميسرة يجاء بالفاحش المتفحش يوم القيامة في صورة كلب او في جوف كلب وقال الاحنف بن قيس الا اخبركم بادوأ الداء اللسان البذي والخلق الدني فهذه مذمة الفحش واما حده وحقيقته فهو التعبير عن الامور المستقبحة بالعبارات الصريحة ويجري اكثره في الفاظ الوقاع وما يتعلق به فان لاهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها واهل الصلاح يتحاشون عن التعرض لها بل يكنون عنها ويدلون عليها بالرموز ويذكرون ما يقاربها ويتعلق بها وقال عبد الله بن عباس رض ان الله حيي كريم يعفو ويكني كنى باللمس عن الجماع فالمسيس واللمس والدخول والصحبة كنايات عن الوقاع ليست بفاحشة وهناك عبارات فاحشة يستقبح ذكرها ويستعمل اكثرها في الشتم والتعيير وهذه العبارات متفاوتة في الفحش وبعضها افحش من بعض وربما اختلفت بعادة البلاد واوائلها مكروهة واواخرها محظورة وبينهما درجات يتردد فيها وليس يختص هذا بالوقاع بل الكناية بقضاء الحاجة عن البول والغائط اولى من لفظ التغوط والخراءة فان هذا ايضا مما يخفى وكل ما يخفى يستحيى منه فلا ينبغي ان يذكر الفاظه الصريحة فانه فحش وكذلك يستحسن في العادة الكناية عن النساء فلا يقال قالت زوجتك كذا بل يقال قيل في الحجرة او من وراء الستر وقالت ام الاولاد والتلطف في هذه الالفاظ والتصريح يفضي الى الفحش وكذا من به عيوب يستحيى منها فلا ينبغي ان يعبر عنه بصريح لفظه كالبرص والقرع والبواسير بل يقال العارض الذي يشكوه وما يجري مجراه فالتصريح بذكره داخل في الفحش وجميع ذلك من آفات اللسان وقال العلاء بن هارون كان عمر بن عبد العزيز رض يتحفظ في منطقه فخرج جرح تحت ابطه فاتيناه نسأله ما يقول فقلنا له من اين خرج فقال من باطن اليد والباعث على الفحش اما قصد الايذاء واما الاعتياد الحاصل من مخالطة الفساق واهل الخبث واللؤم ومن عادتهم السب وقال اعرابي لرسول الله صلعم اوصني فقال عليك بتقوى الله وان امرؤ عيرك بشيء يعلمه فيك فلا تعيره بشيء تعلمه فيه يكن وباله عليه واجره لك ولا تسبن شيئا قال فما سببت شيئا بعده وقال عياض بن حمار قلت يا رسول الله الرجل من قومي يسبني وهو دوني هل علي من باس ان انتصر منه فقال المتسابان شيطانان يتعاويان ويتهاتران وقال صلعم المستبان ما قالا فعلى البادي حتى يعتدي المظلوم وقال صلعم سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وقال صلعم ملعون من سب والديه وفي رواية من اكبر الكبائر ان يسب الرجل والديه فقالوا يا رسول الله كيف يسب الرجل والديه قال يسب الرجل ابا الرجل فيسب الآخر اباه ٠

الآفة الثامنة اللعن ٠

اما لحيوان او جماد او انسان وكل ذلك مذموم قال النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بلعان وقال صلعم لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم وقال حذيفة رض ما تلاعن قوم قط الا حق عليهم القول وقال عمران بن حصين رض بينما رسول الله صلعم في بعض اسفاره اذ امرأة من الانصار على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها فقال النبي صلعم خذوا ما عليها واعروها فانها ملعونة قال فكاني انظر الى تلك الناقة تمشي في الناس لا يتعرض لها احد وقال ابو الدرداء رض ما لعن احد الارض الا قالت لعن الله اعصانا لله وعن عائشة رضي الله عنها قالت سمع رسول الله صلعم ابا بكر الصديق وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت اليه فقال يا ابا بكر اللعانين وصديقين كلا ورب الكعبة لعانين وصديقين كلا ورب الكعبة مرتين او ثلثا فاعتق ابو بكر يومئذ بعض رقيقه وجاء الى النبي صلعم وقال لا اعود وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة وقال انس رض كان مع رسول الله صلعم رجل على بعير فلعن بعيره فقال النبي صلعم يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون وقال ذلك انكارا واللعن عبارة عن الطرد والابعاد من الله تعالى وذلك غير جائز الا على من يتصف بصفة تبعده من الله عز وجل وهو الكفر والظلم بان يقول لعنة الله على الكافرين وعلى الظالمين وينبغي ان يتبع فيه لفظ الشرع فان في اللعنة خطرا لانه حكم على الله تعالى بانه ابعد الملعون وذلك غيب لا يطلع عليه الا الله تعالى ويطلع عليه رسوله اذا اطلعه الله عليه والصفات المقتضية للعن ثلثة الكفر والبدعة والفسق واللعن في كل واحد ثلث مراتب المرتبة الاولى اللعن بالوصف الاعم كقولك لعنة الله على الكافرين والمبتدعة والفسقة ٠ الثانية اللعن باوصاف اخص منه كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس وعلى القدرية والخوارج والروافض وعلى الزناة والظلمة وآكلي الربا وكل ذلك جائز ولكن في لعن اوصاف المبتدعة خطر لان معرفة البدعة غامضة وليس فيه لفظ مأثور فينبغي ان يمنع منه العوام لان ذلك يستدعي المعارضة بمثله ويثير نزاعا بين الناس وفسادا والثالثة اللعن على الشخص وهذا فيه خطر كقولك زيد لعنه الله وهو كافر او فاسق او مبتدع والتفصيل فيه ان كل شخص ثبتت لعنته شرعا فيجوز لعنته كقولك فرعون لعنه الله وابو جهل لعنه الله لانه ثبت ان هؤلاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعا واما شخص

بعينه في زماننا كقولك زيد لعنه الله وهو يهودي مثلا فهذا فيه خطر اذ ربما يسلم فيموت مقربا عند الله تعالى فكيف يحكم بكونه ملعونا فان قلت يلعن لكونه كافرا في الحال كما يقال للمسلم رحمه الله لكونه مسلما في الحال وان كان يتصور ان يرتد فاعلم ان معنى قولنا رحمه الله اي ثبته الله على الاسلام الذي هو سبب الرحمة وعلى الطاعة ولا يمكن ان يقال ثبت الله الكافر على ما هو سبب اللعنة فان هذا سؤال الكفر وهو في نفسه كفر بل الجائز ان يقال لعنه الله ان مات على الكفر ولا لعنه الله ان مات على الاسلام وذلك غيب لا يدرى والمطلق متردد بين الجهتين ففيه خطر وليس في ترك اللعن خطر واذا عرفت هذا في الكافر فهو في زيد الفاسق او زيد المبتدع اولى فلعن الاعيان فيه خطر لان الاعيان تتقلب في الاحوال الا من اعلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه يجوز ان يعلم من يموت على الكفر ولذلك كان يقول اللهم عليك بابي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وذكر جماعة قتلوا على الكفر ببدر حتى ان من لم يعلم عاقبته كان يلعنه فنهي عنه اذ روي انه كان يلعن الذين قتلوا اصحاب بئر معونة في قنوته شهرا فنزل قوله تعالى ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون يعني انهم ربما يتوبون فمن اين تعلم انهم ملعونون وكذلك من بان لنا موته على الكفر جازت لعنته وجاز ذمه ان لم يكن فيه اذى على مسلم كما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ابا بكر رضي الله عنه عن قبر مر به وهو يريد الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على الله ورسوله وهو سعيد بن العاص فغضب ابنه عمرو بن سعيد وقال يا رسول الله هذا قبر رجل كان اطعم للطعام واضرب للهام من ابي قحافة فقال ابو بكر يكلمني هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام فقال رسول الله صلعم اكفف عن ابي بكر وقال يا ابا بكر اذا ذكرتم الكفار فعمموا فانكم اذا خصصتم غضب الابناء للآباء فكف الناس عن ذلك وشرب نعيمان الخمر وحد مرات في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما اكثر ما يؤتى به فقال النبي صلعم لا تكن عونا للشيطان على اخيك وفي رواية لا تقل فانه يحب الله ورسوله فنهاه عن ذلك فهذا يدل على ان لعنة فاسق بعينه غير جائز وعلى الجملة في لعن الاشخاص خطر فليجتنب ولا خطر في السكوت عن لعن ابليس فضلا عن غيره فان قيل هل يجوز لعن يزيد لكونه قاتل الحسين او آمرا به قلت هذا لم يثبت اصلا فلا يجوز ان يقال انه قتله او امر به ما لم يثبت فضلا عن اللعنة لانه لا يجوز نسبة مسلم الى كبيرة من غير تحقيق نعم يجوز ان يقال قتل ابن ملجم عليا رض وقتل ابو لؤلؤة عمر رض فان ذلك ثبت متواترا ولا يجوز ان يرمى مسلم بفسق وكفر من غير تحقيق قال النبي صلعم لا يرمي رجل رجلا بالكفر ولا يرميه بالفسق الا ارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك وقال النبي صلعم ما شهد رجل على رجل بالكفر الا باء به احدهما ان كان كافرا فهو كما قال وان لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره اياه وهذا معناه ان يكفره وهو يعلم انه مسلم فان ظن انه كافر ببدعة او غيرها كان مخطئا لا كافرا وقال معاذ بن جبل رض قال لي رسول الله صلعم انهاك ان تشتم مسلما او تعصي اماما عادلا والتعرض للاموات اشد وقال مسروق دخلت على عائشة رض فقالت ما فعل فلان لعنه الله قلت توفي قالت رحمه الله قلت وكيف هذا قالت قال رسول الله صلعم لا تسبوا الاموات فانهم قد افضوا الى ما قدموا وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الاموات فتؤذوا به الاحياء وقال صلعم ايها الناس احفظوني في اصحابي واخواني واصهاري ولا تسبوهم ايها الناس اذا مات الميت فاذكروا منه خيرا فان قيل فهل يجوز ان يقال قاتل الحسين لعنه الله او الآمر بقتله لعنه الله قلنا الصواب ان يقال قاتل الحسين ان مات قبل التوبة لعنه الله لانه يحتمل ان يموت بعد التوبة فان وحشيا قاتل حمزة عم رسول الله صلعم قتله وهو كافر ثم تاب عن الكفر والقتل جميعا فلا يجوز ان يلعن والقتل كبيرة ولا تنتهي الى رتبة الكفر واذا لم يقيد بالتوبة واطلق كان فيه خطر وليس في السكوت خطر فهو اولى وانما اوردنا هذا لتهاون الناس باللعنة واطلاق اللسان به والمؤمن ليس بلعان ولا ينبغي ان يطلق اللسان باللعنة الا على من مات على الكفر وعلى الاجناس المعروفين باوصافهم دون الاشخاص المعينين والاشتغال بذكر الله اولى فان لم يكن ففي السكوت سلامة وقال مكي بن ابراهيم كنا عند ابن عون فذكروا بلال بن ابي بردة فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه وابن عون ساكت فقالوا يا ابن عون انما نذكره لما ارتكب منك فقال انهما كلمتان يخرجان من صحيفتي يوم القيامة لا اله الا الله ولعن الله فلانا فلان يخرج من صحيفتي لا اله الا الله احب الي من ان يخرج منها لعن الله فلانا وقال رجل لرسول الله صلعم اوصني فقال اوصيك ان لا تكون لعانا وقال ابن عمر رض ان ابغض عباد الله الى الله كل طعان لعان وقال بعضهم لعن المؤمن يعدل قتله وقال حماد بن زيد بعد ان روى هذا الحديث لو قلت انه مرفوع لم ابال وعن ابي قتادة رض قال كان يقال من لعن مؤمنا فهو مثل ان يقتله وقد نقل ذلك حديثا مرفوعا الى رسول الله صلعم ويقرب من اللعن الدعاء على الانسان بالشر حتى الدعاء على الظالم كقول الانسان لا صحح الله جسمه ولا سلمه الله وما يجري مجراه فكل ذلك مذموم وفي الخبر ان المظلوم ليدعو على الظالم حتى يكافئه ثم يبقى للظالم عنده فضلة يوم القيامة

الآفة التاسعة الغناء والشعر ٠

وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من الغناء وما يحل فلا نعيده اما الشعر فكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح الا ان التجرد له مذموم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان يمتلئ جوف احدكم قيحا حتى يريه خير له من ان

ثم مقصود الشعر المدح والذم والتشبيب وقد يدخله الكذب وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسانا بهجو الكفار والتوسع في المدح
وان كان كذبا فانه لا يلتحق بالكذب في التحريم • كقول الشاعر • ولو لم يكن في كفه غير روحه • لجاد بها فليتق الله سائله •
فان هذه عبارة عن الوصف بنهاية السخا فان لم يكن صاحبه سخيا كان كاذبا وان كان سخيا فالمبالغة من صنعة الشعر ولا يقصد منه ان يعتقد
وقد انشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم اشعار لو تتبعت لوجد فيها مثل ذلك ولم يمنع منها قالت عائشة رض كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف
نعله وكنت اغزل فنظرت الى رسول الله صلعم فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نورا فبهت فنظر الي رسول الله صلعم فقال ما لك بهت فقلت
يا رسول الله نظرت اليك فجعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نورا ولو رآك ابو كبير الهذلي لعلم انك احق بشعره فقال وما يقول
يا عائشة ابو كبير فقلت يقول • ومبرا من كل غبر حيضة • وفساد مرضعة وداء مغيل • واذا نظرت الى اسرة وجهه •
برقت كبرق العارض المتهلل • قالت فوضع رسول الله صلعم ما كان في يده وقام الي وقبل بين عيني وقال جزاك الله خيرا يا عائشة ما سررت
مني كسروري منك ولما قسم الغنائم امر للعباس بن مرداس باربع قلائص واندفع يشكوه في شعره وفي آخره •
فما كان بدر ولا حابس • يفوقان مرداس في مجمع • وما كنت دون امرئ منهما • ومن يضع اليوم لا يرفع •
قال رسول الله صلعم اقطعوا عني لسانه فذهب به ابو بكر رض حتى اختار مائة من الابل فرجع وهو من ارضى الناس فقال له رسول الله
تقول الشعر فجعل يعتذر ويقول بابي وامي اني لاجد للشعر دبيبا على لساني كدبيب النمل ثم يقرصني كما يقرص النمل فلا
اجد بدا من قوله وتبسم رسول الله صلعم وقال لا تدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين

الآفة العاشرة المزاح

واصله مذموم منهي عنه الا قدرا يسيرا يستثنى منه قال رسول الله صلعم لا تمار اخاك ولا تمازحه فان قلت المماراة ايذاء
لان فيه تكذيبا للاخ والصديق او تجهيلا اما المزاح فمطايبة وفيه انبساط وطيبة قلب فلم نهي عنه فاعلم ان المنهي عنه
الافراط والمداومة عليه اما المداومة فلانه اشتغال باللعب والهزل واللعب مباح ولكن المواظبة عليه مذموم واما الافراط
فيه فانه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك تميت القلب ويورث الضغينة في بعض الاحوال ويسقط المهابة والوقار فلا
يخلو عن هذه الامور فلا يذم كما روي عن رسول الله صلعم انه قال اني لامزح ولا اقول الا حقا ومثله يقدر على ان يمازح ولا
يقول الا حقا واما غيره فاذا فتح باب المزاح كان غرضه ان يضحك الناس كيف كان وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل
يتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه فيهوي بها ابعد من الثريا وقال عمر بن الخطاب رض من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استخف
به ومن اكثر من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه
لان الضحك يدل على الغفلة عن الآخرة وقال رسول الله صلعم لو تعلمون ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا وقال رجل لاخيه هل اتاك
انك وارد النار قال نعم قال فهل اتاك انك خارج منها قال لا قال ففيم الضحك قال فما رئي ضاحكا حتى مات وقال يوسف
ابن اسباط رح اقام الحسن ثلثين سنة لم يضحك وقيل ان عطا السلمي رح لم يضحك اربعين سنة ونظر وهيب بن الورد
الى قوم يضحكون في يوم فطر فقال ان كان هؤلاء غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين وان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين وكان
عبد الله بن ابي يعلى يقول اتضحك ولعل اكفانك قد خرجت من عند القصار وقال عبد الله بن عباس رض من اذنب ذنبا وهو
يضحك دخل النار وهو يبكي وقال محمد بن واسع رحمه الله اذا رايت في الجنة رجلا يبكي الست تتعجب من بكائه قال نعم قال فالذي
يضحك في الدنيا ولا يدري الى ماذا يصير هو اعجب منه فهذه آفة الضحك والمذموم منه ان يستغرق ضحكا والمحمود منه التبسم الذي
ينكشف فيه السن ولا يسمع الصوت كذلك كان ضحك رسول الله صلعم وقال القاسم مولى معاوية اقبل اعرابي الى النبي صلعم على قلوص له صعب
فسلم فجعل كلما دنا الى النبي صلعم ليسأله نفر به فجعل اصحاب النبي صلعم يضحكون به ففعل ذلك ثلث مرات ثم وقصه فقتله فقيل
يا رسول الله ان الاعرابي قد صرعه قلوصه فهلك فقال نعم وافواهكم ملأى من دمه واما اذا ادى المزاح الى سقوط الوقار فقد
قال عمر رض من مزح استخف به وقال محمد بن المنكدر رح قالت لي امي لا تمازح الصبيان فتهون عليهم وقال سعيد بن
العاص لابنه يا بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا تمازح الدني فيجتري عليك وقال عمر بن عبد العزيز اتقوا الله
واياكم والمزاح فانه يورث الضغينة ويجر القبيح تحدثوا بالقرآن وتجالسوا به فان ثقل عليكم فحديث حسن من احاديث الرجال
وقال عمر بن الخطاب رض اتدرون لم سمي المزاح مزاحا قالوا لا قال لانه زاح عن الحق ويقال لكل شيء بذر وبذر العداوة المزاح
ويقال المزاح مسلبة للبهاء • ومقطعة للاصدقاء • فان قلت فقد نقل المزاح عن رسول الله صلعم واصحابه رض فكيف
نهي عنه فنقول ان قدرت على ما قدر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وهو ان تمزح ولا تقول الا حقا ولا تؤذي قلبا ولا تفرط فيه وتقتصر عليه

احيانا على الندور فلا حرج عليك فيه ولكن من الغلط العظيم ان يتخذ الانسان المزاح حرفة ويواظب عليه ويفرط فيه
ثم يتمسك بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كمن يدور مع الزنوج ابدا لينظر الى رقصهم ويتمسك بان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذن لعائشة رض في النظر الى رقص الزنوج في يوم عيد وهو خطا ومن الصغائر ما يصير كبيرة بالاصرار ومن
المباحات ما يصير صغيرة بالاصرار فلا ينبغي ان يغفل عن هذا نعم روى ابو هريرة رض انهم قالوا يا رسول
الله انك تداعبنا فقال اني وان داعبتكم فلا اقول الا حقا قال عطاء ان رجلا سال عبد الله بن عباس رض فقال
اكان رسول الله يمزح فقال ابن عباس نعم فقال الرجل فما كان من مزاحه فقال ابن عباس رض انه صلى الله عليه وسلم كسا ذات يوم
بعض نسائه ثوبا فقال لها البسيه واحمدي وجري منه ذيلا كذيل العروس وروى انس بن مالك رض ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان من افكه الناس وروى انه كان كثير التبسم وعن الحسن قال اتت عجوز الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم
لا تدخل الجنة عجوز فبكت فقال انك لست بعجوز يومئذ قال تعالى انا انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكارا وروى زيد بن
اسلم رض ان امراة يقال لها ام ايمن جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي يدعوك فقال ومن هو زوجك هو الذي بعينه
بياض فقالت والله ما بعينه بياض فقال بلى ان بعينه بياضا فقالت لا والله فقال النبي صلعم ما من احد الا بعينه بياض اراد به
البياض المحيط بالحدقة وجاءته امراة اخرى فقالت يا رسول الله احملني على بعير قال نحملك على ابن البعير فقالت ما اصنع
لا يحملني فقال صلعم وهل من بعير الا وهو ابن بعير • وكان يمزح به • وقال انس بن مالك كان لابي طلحة ابن يقال له ابو عمير
وكان رسول الله صلعم ياتي ابا عمير فيقول يا ابا عمير ما فعل النغير لنغير كان يلعب به وهو ولد العصفور وقالت عائشة
رض خرجنا مع رسول الله صلعم في غزوة بدر فقال النبي صلعم تعالي اسابقك فشددت درعي على بطني ثم خططنا خطا فقمنا
عليه فاستبقنا فسبقني فقال النبي صلعم هذه مكان ذي المجاز وكان جاء يوما ونحن بذي المجاز وانا جارية قد بعثني ابي بشيء فقال
اعطينيه فابيت وسعيت وسعى على اثري فلم يدركني وقالت عائشة رض سابقت رسول الله صلعم فسبقته فلما حملت اللحم
سابقته فسبقني فقال هذه بتلك وقالت عائشة رض كان عندي رسول الله صلعم وسودة فصنعت حريرة وجئت بها
فقلت لسودة كلي فقالت لا احبه فقلت والله لتاكلين او لالطخن به وجهك فقالت ما انا بذائقته فاخذت من الصحفة شيئا
فلطخت وجهها به ورسول الله صلعم جالس بيني وبينها فخفض لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبته لتستقيد مني فتناولت
الصحفة فمسحت به وجهي وجعل رسول الله صلعم يضحك وروى ان الضحاك بن سفيان الكلابي كان رجلا دميما قبيحا فبايعه
رسول الله صلعم ثم قال له عندي امراتان احسن من هذه الحميرا افلا انزل لك عن احداهما فتتزوجها وعائشة جالسة تسمع
قبل ان يضرب الحجاب فقالت اهي احسن ام انت فقال انا احسن منها واكرم فضحك رسول الله صلعم من مسئلة عائشة
اياه لانه كان دميما وروى علقمة عن ابي سلمة رض ان رسول الله صلعم كان يدلع لسانه للحسن والحسين فيرى الصبي لسانه فيهش
له فقال عيينة بن بدر والله ليكونن لي الابن رجلا قد خرج وجهه وما قبلته قط فقال النبي صلعم ان من لا يرحم لا يرحم فاكثر هذه
المطايبات منقولة مع النساء والصبيان وكان ذلك من رسول الله صلعم معالجة لضعف قلوبهم من غير ميل الى هزل وقال النبي صلعم
لصهيب رض وبه رمد وهو ياكل التمر اتاكل التمر وانت رمد فقال انما آكل بالشق الآخر فتبسم رسول الله صلعم وقال
بعض الرواة حتى نظرت الى نواجذه وروى ان خوات بن جبير كان جالسا الى نسوة من بني كعب بطريق مكة فطلع عليه
رسول الله صلعم فقال يا ابا عبد الله ما لك مع النسوة فقال يفتلن ضفيرا لجمل لي شرود قال فمضى رسول الله صلعم لحاجته ثم عاد
فقال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت فكنت بعد ذلك اتفرر منه كلما رايته حياء منه
حتى قدمت المدينة حتى اطلع علي يوما وانا اصلي في المسجد فجلس الي فطولت فقال لا تطول فاني انتظرك فلما فرغت قال
يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت وقام وكنت اتفرر منه حتى لحقني وهو على حمار وقد جعل رجليه
في شق واحد فقال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال قلت والذي بعثك بالحق ما شرد منذ اسلمت قال الله اكبر
الله اكبر اللهم اهد ابا عبد الله قال فحسن اسلامه وهداه الله وكان نعيمان الانصاري رجلا مزاحا وكان يشرب فيؤتى به
ويامر اصحابه فيضربونه بنعالهم فلما كثر ذلك منه قال له رجل من الاصحاب لعنك الله فقال له النبي صلعم لا تفعل فانه يحب الله ورسوله
فكان لا يدخل المدينة طرفة الا اشترى منها ثم جاء به الى النبي صلعم ويقول هذا اهديته لك واذا جاء صاحبه يطالب نعيمان بثمنه جاء
به الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله اعطه ثمن متاعه فيقول اليس اهديته لنا فيقول يا رسول الله انه لم يكن عندي ثمنه واحببت ان تاكل منه فيضحك النبي صلعم

وبامر لصاحبته فهذه مطايبات يباح مثلها على الندور لا على الدوام والمواظبة عليها هزل مذموم وسبب للضحك المميت للقلب

الآفة الحادية عشرة السخرية والاستهزاء

وهذا محرم مهما كان مؤذيا كما قال تعالى لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ومعنى السخرية الاستحقار والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول وقد يكون بالاشارة والايماء واذا كان بحضرة المستهزأ به لم يسم ذلك غيبة وفيه معنى الغيبة قالت عائشة رضي الله عنها حكيت انسانا فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم ما احب اني حكيت انسانا ولي كذا وكذا وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمن والكبيرة القهقهة بذلك وهذا اشارة الى ان الضحك على الناس من الجرائم والذنوب وعن عبد الله بن زمعة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فوعظهم في ضحكهم من الضرطة وقال علام يضحك احدكم مما يفعل وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان المستهزئين بالناس يفتح لاحدهم باب من الجنة فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا اتاه اغلق دونه فما يزال كذلك حتى ان الرجل ليفتح له الباب فيقال هلم هلم فما يأتيه وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عير اخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله وكل هذا يرجع الى استحقار الغير والضحك عليه استهانة به واستصغارا له وعليه نبه بقوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم اي لا تستحقره استصغارا فلعله خير منك وهذا انما يحرم في حق من يتأذى به فاما من جعل نفسه مسخرة وربما فرح من ان يسخر به كانت السخرية في حقه من جملة المزاح وقد سبق ما يذم منه وما يمدح وانما المحرم استصغار يتأذى به المستهزأ به لما فيه من التحقير والتهاون وذلك تارة بان يضحك على كلامه اذا تخبط ولم ينتظم او على افعاله اذا كانت مشوشة كالضحك على خطه وعلى صنعته او على صورته وخلقته اذا كان قصيرا او ناقصا لعيب من العيوب فالضحك من جميع ذلك داخل في السخرية المنهي

الآفة الثانية عشرة افشاء السر

وهو منهي عنه لما فيه من الايذاء والتهاون بحق المعارف والاصدقاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي امانة وقال عليه السلام مطلقا الحديث بينكم امانة وقال الحسن ان من الخيانة ان تحدث بسر اخيك ويروى ان معاوية اسر الى الوليد بن عتبة حديثا وما اراه يطوي عنك ما بسطه الى غيرك فقال فلا تحدثني به فان من كتم سره كان الخيار له ومن افشاه كان الخيار عليه قال فقلت يا ابت ان هذا ليدخل بين الرجل وبين ابيه قال لا والله يا بني ولكن احب ان لا تذلل لسانك باحاديث السر قال فاتيت معاوية فحدثته فقال يا وليد اعتقك اخي من رق الخطأ فافشاء السر خيانة وهو حرام اذا كان فيه اضرار ولؤم وان لم يكن فيه اضرار وقد ذكرنا ما يتعلق بكتمان السر في كتاب آداب الصحبة فلا نعيده

الآفة الثالثة عشرة الوعد الكاذب

فان اللسان سباق الى الوعد ثم النفس ربما لا تسمح بالوفاء فيصير الوعد خلفا وذلك من امارات النفاق وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الوأي مثل الدين او افضل والوأي الوعد وقد اثنى الله تعالى على نبيه اسمعيل صلى الله عليه وسلم فقال انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا فقيل انه واعد انسانا في موضع فلم يرجع اليه فبقي اثنين وعشرين يوما في انتظاره ولما حضرت عبد الله بن عمر الوفاة قال انه كان خطب الي ابنتي رجل من قريش وقد كان مني اليه شبه الوعد فوالله لا القى الله بثلث النفاق اشهدوا اني قد زوجته ابنتي وعن عبد الله بن ابي الحمساء قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل ان يبعث وبقيت له بقية فوعدته ان آتيه بها في مكانه ذلك فنسيت يومي والغد فاتيته اليوم الثالث وهو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي انا ها هنا منذ ثلث انتظرك وقيل لابرهيم بن ادهم الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجيء قال ينتظره ما بينه وبين ان يدخل وقت الصلاة التي تجيء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وعد وعدا قال عسى وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لا يعد وعدا الا ويقول ان شاء الله وهو الاولى ثم اذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد فلا بد من الوفاء الا ان يتعذر فان كان عند الوعد عازما على ان لا يفي فهذا هو النفاق وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه كان منافقا ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وهذا ينزل على من وعد وهو على عزم الخلف او ترك الوفاء من غير عذر فاما من عزم على الوفاء فعن له عذر منعه من الوفاء لم يكن منافقا وان جرى عليه ما هو صورة النفاق ولكن ينبغي ان يحترز من صورة النفاق ايضا كما يحترز من حقيقته ولا ينبغي ان يجعل نفسه معذورا من غير ضرورة حاجزة فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وعد ابا الهيثم بن التيهان خادما فاتي بثلثة من السبي فاعطى اثنين وبقي واحد فجاءت فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تطلب خادما وهي تقول الا ترى اثر الرحا بيدي فذكر موعده لابي الهيثم فجعل يقول كيف بموعدي لابي الهيثم فآثره به على فاطمة لما سبق من موعده له مع انها كانت تدير الرحا بيدها الضعيفة ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا يقسم غنائم هوازن بحنين فوقف عليه رجل من الناس فقال ان لي عندك موعدا يا رسول الله قال صدقت فاحتكم ما شئت فقال احتكم ثمانين ضأنا وراعيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي لك ولقد احتكمت يسيرا ولصاحبة موسى عليه السلام التي دلته على عظام يوسف كانت احزم واجزل حكما منك حين حكمها موسى فقالت حكمي ان تردني شابة وادخل معك الجنة قيل فكان الناس يستضعفون ما احتكم به حتى جعل مثلا فقيل اشح من صاحب الثمانين والراعي وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس الخلف ان يعد الرجل الرجل ومن نيته ان يفي وفي لفظ آخر اذا وعد الرجل اخاه وفي نيته ان يفي فلم يجد فلا اثم عليه

الآفة الرابعة عشرة الكذب في القول واليمين

وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب قال اسمعيل بن اوسط سمعت ابا بكر الصديق رضي الله عنه يخطب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامي هذا عام اول ثم بكى وقال اياكم والكذب فانه مع الفجور وهما في النار وقال ابو امامة الباهلي رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكذب باب من ابواب النفاق وقال الحسن كان يقال من النفاق اختلاف السر والعلانية والقول والعمل والمدخل والمخرج وان الاصل الذي بني عليه النفاق الكذب وقال النبي صلى الله عليه وسلم كبرت خيانة ان تحدث اخاك حديثا هو لك به مصدق وانت له به كاذب وقال عبد الله بن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجلين يتبايعان شاة ويتحالفان يقول احدهما والله لا انقصك من كذا وكذا ويقول الآخر والله لا ازيدك على كذا وكذا فمر بالشاة وقد اشتراها احدهما فقال اوجب احدهما بالاثم والكفارة وقال النبي صلى الله عليه وسلم الكذب ينقص الرزق وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان التجار هم الفجار فقيل يا رسول الله اليس الله قد احل البيع قال نعم ولكنهم يحلفون فيأثمون ويحدثون فيكذبون وقال النبي صلى الله عليه وسلم ثلثة لا ينظر الله اليهم يوم القيمة المنان بعطيته والمنفق سلعته بالحلف الفاجر والمسبل ازاره وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما حلف حالف بالله فادخل فيها مثل جناح بعوضة الا كانت نكتة في قلبه الى يوم القيمة وقال ابو ذر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة يحبهم الله رجل كان في فئة فنصب نحره حتى يقتل او يفتح الله عليه او على اصحابه ورجل له جار سوء يؤذيه فيصبر على اذاه حتى يفرق بينهما موت او ظعن ورجل كان مع قوم في سفر او سرية فاطالوا السرى حتى اعجبهم ان يمسوا الارض فنزلوا فتنحى يصلي حتى يوقظ اصحابه للرحيل وثلثة يشنأهم الله التاجر او البايع الحلاف والفقير المختال والبخيل المنان وقال النبي صلى الله عليه وسلم ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له وقال النبي صلى الله عليه وسلم رأيت كأن رجلا جاءني فقال لي قم فقمت معه فاذا انا برجلين احدهما قائم والآخر جالس بيد القائم كلوب من حديد يلقمه في شدق الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله ثم يجذبه فيلقمه الجانب الآخر فيمده فاذا مده رجع الآخر كما كان فقلت للذي اقامني ما هذا فقال هذا رجل كذاب يعذب في قبره الى يوم القيمة وعن عبد الله بن جراد انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هل يزني المؤمن قال قد يكون ذلك قال يا نبي الله هل يكذب المؤمن قال لا ثم اتبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وقال ابو سعيد رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ويقول اللهم طهر قلبي من النفاق وفرجي من الزنا ولساني من الكذب وقال النبي صلى الله عليه وسلم ثلثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر وقال عبد الله بن عامر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيتنا وانا صبي صغير فذهبت لالعب فقالت امي يا عبد الله تعال اعطيك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما اردت ان تعطيه قالت تمرا فقال اما انك لو لم تفعلي لكتبت عليك كذبة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو افاء الله علي عدد هذه الحصا نعما لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا وقال النبي صلى الله عليه وسلم وكان متكئا الا انبئكم باكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين ثم قعد وقال الا وقول الزور وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك منه مسيرة ميل من نتن ما جاء به وقال انس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقبلوا لي بست اتقبل لكم بالجنة قالوا وما هي قال اذا حدث احدكم فلا يكذب واذا وعد فلا يخلف واذا ائتمن فلا يخن وغضوا ابصاركم وكفوا ايديكم واحفظوا فروجكم وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان للشيطان كحلا ولعوقا ونشوقا فاما لعوقه فالكذب واما نشوقه فالغضب واما كحله فالنوم وخطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالجابية فقال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كمقامي فيكم فقال احسنوا الى اصحابي ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل على اليمين ولم يستحلف ويشهد ولم يستشهد وقال النبي صلى الله عليه وسلم من حدث بحديث وهو يرى انه كذب فهو احد الكذابين وقال النبي صلى الله عليه وسلم من حدث عني حديثا يرى انه كذب فهو احد الكذابين وقال عليه السلام

من حلف على يمين فاجرة ليقتطع بها مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله وهو عليه غضبان وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم رد
شهادة رجل في كذبة كذبها وقال النبي صلى الله عليه وسلم كل خصلة يطبع او يطوى عليها المؤمن الا الخيانة والكذب وقالت عائشة رض
ما كان خلق اشد على اصحاب رسول الله صلعم من الكذب ولقد كان رسول الله صلعم يطلع على الرجل من اصحابه على الكذب فما ينجلي من صدره
حتى يعلم انه قد احدث لله عز وجل توبة وقال صلعم يا رب اي عبادك خير عملا قال من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزني
فرجه وقال لقمان عم لابنه يا بني اياك والكذب فانه شهي كلحم العصفور عما قليل يقلاه صاحبه وقال النبي صلى الله عليه وسلم
في مدح الصدق اربع اذا كن فيك فلا يضرك ما فاتك من الدنيا صدق حديث وحفظ امانة وحسن خليقة وعفة طعمة
وقال ابو بكر الصديق رض في خطبته بعد وفاة رسول الله صلعم قام فينا رسول الله صلعم مقامي هذا عام اول ثم بكى فقال عليكم بالصدق
فانه مع البر وهما في الجنة وقال معاذ بن جبل رض قال رسول الله صلعم اني اوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء بالعهد
وبذل السلام وخفض الجناح **واما الآثار** فقال علي بن ابي طالب رض اعظم الخطايا عند الله اللسان
الكذوب وشر الندامة ندامة يوم القيامة وقال عمر بن عبد العزيز رح ما كذبت كذبة منذ شددت على ازاري وقال عمر
رض احبكم الينا ما لم نركم احسنكم اسما فاذا رأيناكم فاحبكم الينا اصدقكم حديثا واعظمكم امانة وعن ميمون بن ابي
شبيب رح قال جلست اكتب كتابا فاتيت على حرف ان انا كتبته زينت الكتاب وكنت قد كذبت فعزمت على تركه
فنوديت من جانب البيت يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وقال الشعبي رح ما ادري
ايهما ابعد غورا في النار الكذب او البخل وقال ابن السماك ما اراني اوجر على ترك الكذب لاني اتركه انفة وقيل
لخالد بن صبيح ايسمى الرجل كاذبا بكذبة واحدة قال نعم وقال مالك بن دينار قرأت في بعض الكتب ما من خطيب الا
وتعرض خطبته على عمله فان كان صادقا صدق وان كان كاذبا قرضت شفتاه بمقاريض من نار كلما قرضتا نبتتا
وقال مالك بن دينار الصدق والكذب يعتركان في القلب حتى يخرج احدهما صاحبه وكلم عمر بن عبد العزيز رح
الوليد في شيء فقال له كذبت فقال عمر ما كذبت منذ علمت ان الكذب يشين صاحبه

بيان ما رخص فيه من الكذب

اعلم ان الكذب ليس حراما لعينه بل لما فيه من الضرر على المخاطب او على غيره فان اقل درجاته ان يعتقد المخبر الشيء على خلاف ما
هو عليه فيكون جاهلا وقد يتعلق به ضرر غيره ورب جهل فيه منفعة ومصلحة فالكذب محصل لهذا الجهل فيكون مأذونا فيه
وربما كان واجبا قال ميمون بن مهران الكذب في بعض المواطن خير ارأيت لو ان رجلا يسعى واخر وراءه بالسيف
ليقتله فدخل دارا فانتهى اليك فقال ارأيت فلانا ما كنت قائلا الست تقول لم اره وما تصدق فهذا الكذب واجب
فنقول الكلام وسيلة الى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل اليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه حرام وان امكن التوصل اليه بالكذب
دون الصدق فالكذب فيه مباح ان كان تحصيل ذلك القصد مباحا وواجب ان كان تحصيل المقصود واجبا كما ان عصمة دم
المسلم واجبة فمهما كان في الصدق سفك دم مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب ومهما كان لا يتم مقصود حرب او اصلاح ذات
البين او استمالة قلب المجني عليه الا بكذب فالكذب مباح الا انه ينبغي ان يحترز منه ما امكن لانه اذا فتح على نفسه باب الكذب فيخشى
ان يتداعى الى ما يستغنى عنه والى ما لا يقتصر على حد الضرورة فكان الكذب حراما في الاصل الا لضرورة والذي يدل على الاستثناء
ما روي عن ام كلثوم قالت ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرخص في شيء من الكذب الا في ثلاث الرجل يقول القول يريد به الاصلاح
والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها وقالت ايضا قال رسول الله صلعم ليس بكذاب من اصلح
بين اثنين فقال خيرا او نمى خيرا وقالت اسماء بنت يزيد ان رسول الله صلعم قال كل الكذب يكتب على ابن آدم الا رجل كذب
بين رجلين يصلح بينهما وروى عن ابي كاهل قال وقع بين رجلين من اصحاب رسول الله صلعم كلام حتى تصارما فلقيت
احدهما فقلت ما لك ولفلان فقد سمعته يحسن عليك الثناء ولقيت الآخر فقلت له مثل ذلك حتى اصطلحا فقلت اهلكت نفسي
واصلحت بين هذين فاخبرت النبي صلعم فقال يا ابا كاهل اصلح بين الناس ولو بعني الكذب وقال عطاء بن يسار قال
رجل للنبي صلعم اكذب اهلي قال لا خير في الكذب قال اعدها واقول لها قال لا جناح عليك ويروى عن ابن ابي
عذرة الدؤلي وكان في خلافة عمر رض كان يخلع النساء التي يتزوج بهن فطار له في الناس من ذلك احدوثة يكرهها فلما علم بذلك
قام بعبد الله بن الارقم حتى ادخله بيته فقال لامرأته انشدك بالله هل تبغضيني قالت لا تنشدني قال فاني انشدك
الله قالت نعم فقال لابن الارقم اتسمع ثم انطلقا حتى اتيا عمر رض فقال انكم لتحدثون اني اظلم النساء واخلعهن فسل ابن الارقم فسأله

فاخبره فارسل الى امرأة ابن ابي عذرة فجاءت وعمتها فقال انت التي تحدثين زوجك انك تبغضينه فقالت اني اول
من تاب ورجع الى امر الله انه ناشدني فتحرجت ان اكذب افاكذب يا امير المؤمنين قال نعم فاكذبي فان كانت احداكن
لا تحب احدنا فلا تحدثه بذلك فان اقل البيوت الذي يبنى على الحب ولكن الناس يتعاشرون بالاسلام والاحساب
وعن النواس بن سمعان الكلابي قال قال رسول الله صلعم ما لي اراكم تتهافتون في الكذب تهافت الفراش في النار كل الكذب
مكتوب لا محالة الا ان يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة او يكون بين الرجلين شحناء فيصلح بينهما او يحدث امرأته
يرضيها وقال ثوبان الكذب كله اثم الا ما نفع به مسلم او دفع عنه وقال علي رض اذا حدثتكم عن رسول الله صلعم فلأن اخر من السماء
احب الي من ان اكذب عليه واذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فالحرب خدعة فهذه الثلث ورد فيها صريح الاستثناء وفي معناها
ما عداها اذا ارتبط به مقصود صحيح له او لغيره واما ماله فمثل ان يأخذه ظالم ويسأله عن ماله فله ان ينكره او يأخذه
السلطان فيسأله عن فاحشة بينه وبين الله ارتكبها فله ان ينكر ذلك فيقول ما زنيت وما سرقت
وقال رسول الله صلعم من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله وذلك لان اظهار الفاحشة فاحشة اخرى
وللرجل ان يحفظ دمه وماله الذي يؤخذ ظلما وعرضه بلسانه وان كان كاذبا واما عرض غيره فبأن يسأل عن سر اخيه فله ان
ينكره وان يصلح بين الضرات من نسائه بان يظهر لكل واحدة انها احب اليه او كانت امرأته لا تطيعه الا بوعد لا يقدر عليه
فيعدها في الحال تطييبا لقلبها او يعتذر الى انسان وكان لا يطيب قلبه الا بانكار ذنب وزيادة تودد فلا بأس به ولكن الحد فيه
ان الكذب محذور ولو صدق في هذه المواضع تولد منه محذور فينبغي ان يقابل احدهما بالآخر ويزن بالميزان القسط فاذا علم
ان المحذور الذي يحصل بالصدق اشد وقعا في الشرع من الكذب فله الكذب وان كان ذلك المقصود اهون من مقصود الصدق
فيجب الصدق وقد يتقابل الامران بحيث يتردد فيه فعند ذلك الميل الى الصدق اولى لان الكذب يباح لحاجة مهمة
او الضرورة فاذا شك في كون الحاجة مهمة فالاصل التحريم فيرجع اليه ولاجل غموض ادراك مراتب المقاصد ينبغي ان
يحترز الانسان من الكذب ما امكنه وكذلك مهما كانت الحاجة له فيستحب ان يترك اغراضه ويهجر الكذب فاما اذا
تعلق بغرض غيره فلا تجوز المسامحة بحق الغير والاضرار به واكثر كذب الناس انما هو لحظوظ انفسهم ثم هو لزيادات
المال والجاه وللامور التي ليس فواتها محذورا حتى ان المرأة لتحكي عن زوجها ما تفاخر به ويكذب لاجل مراغمة الضرات
وذلك حرام قالت اسماء سمعت امرأة تسأل النبي صلعم قالت ان لي ضرة واني اتكثر من زوجي بما لم يفعل اضارها بذلك فهل علي
شيء فقال المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور وقال النبي صلعم من تطعم بما لم يطعم وقال لي وليس له واعطيت ولم يعط
كان كلابس ثوبي زور يوم القيامة ويدخل في هذا فتوى العالم بما لا يتحققه ورواية الحديث الذي ليس يتثبت فيه روايته اذ غرضه
ان يظهر فضل نفسه فهو لذلك مستنكف ان يقول لا ادري وهذا حرام ومما يلتحق بالنساء الصبيان فان الصبي اذا كان لا
يرغب في المكتب الا بوعد او وعيد كان ذلك مباحا نعم روينا في الاخبار ان ذلك يكتب كذبة ولكن الكذب المباح ايضا
قد يكتب ويحاسب عليه ويطالب بتصحيح قصده فيه ثم يعفى عنه لانه انما ابيح لقصد الاصلاح ويتطرق اليه غرور كبير فانه
قد يكون الباعث له حظه وغرضه الذي هو مستغن عنه وانما يتعلل ظاهرا بالاصلاح فلهذا يكتب وكل من اتى بكذبة فقد وقع في خطر الاجتهاد
ليعلم ان المقصود الذي كذب لاجله هل هو اهم في الشرع من الصدق ام لا وذلك غامض جدا والحزم في تركه الا ان يصير واجبا بحيث لا يجوز
تركه كما يؤدي الى سفك الدم وارتكاب معصية كيف كان وقد يظن ظانون انه يجوز وضع الاخبار في فضائل الاعمال وفي التشديد
في المعاصي وزعموا ان القصد فيه صحيح وهو خطأ محض اذ قال النبي صلى الله عليه وسلم من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من
النار وهذا لا يرتكب الا لضرورة ولا ضرورة اذ في الصدق مندوحة عن الكذب ففيما ورد من الآيات والاخبار كفاية عن غيرها
وقول القائل ان ذلك تكرر على الاسماع وسقط وقعه وما هو جديد فوقعه اعظم فهذا هوس اذ ليس هذا من الاغراض التي تقاوم
محذور الكذب على الله تعالى وعلى رسوله ويؤدي فتح بابه الى امور تشوش الشريعة فلا يقاوم خير هذا شره اصلا والكذب على رسول الله صلعم
من الكبائر التي لا يقاومها شيء

بيان الحذر من الكذب بالمعاريض

وقد نقل عن السلف ان في المعاريض مندوحة عن الكذب
قال عمر رض اما ان في المعاريض ما يكفي الرجل عن الكذب وروي ذلك عن ابن عباس رض وغيره وانما ارادوا بذلك اذا اضطر الانسان الى
الكذب فاما اذا لم يكن حاجة وضرورة فلا يجوز التعريض ولا التصريح جميعا ولكن التعريض اهون ومثال المعاريض ما روي ان
مطرفا دخل على زياد فاستبطأه فتعلل بمرض وقال ما رفعت جنبي منذ فارقت الامير الا ما رفعني الله وقال ابراهيم اذا بلغ الرجل

عنك شيئا فكرهت أن تكذب فقل إن الله يعلم ما قلت من ذلك من شيء فيكون قوله ما عنده حرف النفي عند المستمع وعنده للإبهام وكان
معاذ بن جبل رضه عاملا لعمر رضه فلما رجع قالت له امرأته ما جئت به مما يأتي به العمال من هدية إلى أهليهم وما كان قد جاءها
به فقال كان معي ضاغط قالت كنت أمينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضه فبعث عمر معك ضاغطا فقامت بذلك بين نسائها واشتكت
عمر رضه فلما سمع عمر رضه دعا معاذا وقال بعثت معك ضاغطا قال لم أجد ما أعتذر به إليها إلا ذلك فضحك عمر وأعطاه شيئا
فقال أرضها به وقوله ضاغطا يعني به ربه عز وجل وكان ابراهيم النخعي رح لا يقول لابنته أشتري لك سكرا بل يقول أ
رأيت لو اشتريت لك سكرا فإنه ربما لا يتفق وكان ابراهيم النخعي إذا طلبه في الدار من يكرهه قال للجارية قولي اطلبه في المسجد
وكان لا يقول ليس هاهنا كيلا يكون كاذبا وكان الشعبي رح إذا طلب في البيت رجل وهو يكرهه خط دائرة ويقول للجارية ضعي الإصبع
فيها وقولي ليس هاهنا وهذا كله في موضع الحاجة وأما في غير موضع الحاجة فلا لأن هذا تفهيم للكذب وإن لم يكن اللفظ كذبا فهو مكروه
على الجملة كما روي عن عبد الله بن عتبة قال دخلت مع أبي على عمر بن عبد العزيز فخرجت وعلي ثوب فجعل الناس يقولون هذا كساك
أمير المؤمنين فكنت أقول جزى الله أمير المؤمنين خيرا فقال لي أبي يا بني اتق الكذب إياك والكذب وما أشبهه فنهاه عن ذلك لأن
فيه تقريرا على ظن كاذب لأجل غرض المفاخرة وهو غرض باطل لا فائدة فيه نعم المعاريض تباح لغرض صحيح كتطييب قلب الغير بالمزاح
كقول النبي صلى الله عليه وسلم لا تدخل الجنة عجوز وفي عين زوجك بياض ونحملك على ولد البعير فأما الكذب الصريح كما فعل نعيمان الأنصاري
مع عثمان رضه في قصة الضرير إذ قال له إنه نعيمان وكما يعتاده الناس من ملاعبة الحمقى بتغريرهم بأن امرأة قد رغبت في تزويجك فإن
كان فيه ضرر يؤدي إلى إيذاء قلب فهو حرام وإن لم يكن إلا مطايبة فلا يوصف صاحبه بالفسق ولكن ينقص ذلك من درجة إيمانه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يستكمل المرء الإيمان حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب في مزاحه وأما قوله صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليتكلم
بالكلمة يضحك بها الناس يهوي بها أبعد من الثريا أراد به ما فيه غيبة مسلم أو إيذاء قلب دون محض المزاح ومن الكذب الذي لا يوجب الفسق ما
جرت به العادة في المبالغة كقوله قلت لك كذا وكذا مائة مرة وطلبتك مائة مرة فإنه لا يراد به تفهيم المرات بعددها بل تفهيم المبالغة
فإن لم يكن طلبه إلا مرة واحدة كان كاذبا وإن طلبه مرات لا يعتاد مثلها في الكثرة فلا يأثم وإن لم يبلغ مائة وبينهما درجات يتعرض
مطلق اللسان بالمبالغة فيها لخطر الكذب **ومما يعتاد فيه الكذب ويتساهل** فيه أن يقال كل الطعام فيقول لا أشتهيه
وذلك منهي عنه وهو حرام إن لم يكن فيه غرض صحيح قال مجاهد قالت أسماء بنت عميس كنت صاحبة عائشة في الليلة التي هيأتها وأدخلتها
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعي نسوة قالت فوالله ما وجدنا عنده قرى إلا قدحا من لبن فشرب ثم ناوله عائشة رضها فاستحيت الجارية فأخذته
على حياء فشربت منه ثم قال ناولي صواحبك فقلن لا نشتهيه فقال لا تجمعن جوعا وكذبا قالت فقلت يا رسول الله إن قالت إحدانا لشيء
تشتهيه لا أشتهيه أيعد ذلك كذبا قال إن الكذب ليكتب حتى تكتب الكذيبة كذيبة **وقد كان أهل الورع يحترزون**
من التسامح بمثل هذا الكذب قال الليث بن سعد كانت ترمص عينا سعيد بن المسيب حتى يبلغ الرمص خارج عينيه فيقال له لو مسحت
هذا الرمص فيقول فأين قول الطبيب وهو يقول لا تمس عينك فأقول لا أفعل وهذه مراقبة أهل الورع ومن تركه انسل لسانه عن اختياره
فيكذب ولا يشعر وعن خوات التيمي قال جاءت أخت الربيع بن خثيم عائدة إلى بني لي فانكببت عليه فقالت كيف أنت يا بني فجلس
ربيع فقال أرضعتيه قالت لا قال ما عليك لو قلت يا ابن أخي فصدقت **ومن العادة** أن يقول يعلم الله فيما لا يعلمه
قال عيسى عليه السلام إن من أعظم الذنوب عند الله أن يقول العبد إن الله يعلم لما لا يعلم وربما يكذب في حكاية المنام والإثم فيه عظيم إذ قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من أعظم الفرى أن يدعى الرجل إلى غير أبيه أو يري عينيه في المنام ما لم تر أو يقول علي ما لم أقل وقال النبي صلى الله عليه وسلم
من كذب في حلمه كلف يوم القيامة أن يعقد بين شعيرتين

الآفة الخامسة عشر الغيبة

والنظر فيه طويل فلنذكر
أولا مذمة الغيبة وما ورد فيها من شواهد الشرع وقد نص الله سبحانه على ذمها في كتابه وشبه صاحبها بآكل الميتة فقال تعالى ولا يغتب
بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا الآية وقال النبي صلى الله عليه وسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه والغيبة
تناول العرض وقد جمع الله بينه وبين الدم والمال وقال أبو هريرة رضه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا يغتب
بعضكم بعضا وكونوا عباد الله إخوانا وعن جابر بن عبد الله الأنصاري وأبي سعيد الخدري رضه قالا قال النبي صلى الله عليه وسلم إياكم والغيبة فإن الغيبة
أشد من الزنا إن الرجل قد يزني فيتوب فيتوب الله عليه وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه وقال أنس بن مالك رضه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة أسري بي على قوم يخمشون وجوههم بأظافيرهم فقلت يا جبريل من هؤلاء فقال هؤلاء الذين يغتابون الناس
ويقعون في أعراضهم وقال سليمان بن جابر أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت علمني خيرا ينفعني الله به قال لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تصب من

دلوك في إناء المستقي وأن تلقى أخاك ببشر حسن وإذا أدبر فلا تغتابه وقال البراء بن عازب رضي الله عنه خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى أسمع العواتق في بيوتها فقال يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخيه
يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته وأوحى الله تعالى إلى موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام من مات تائبا
من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو أول من يدخل النار وقال أنس بن مالك رضه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الناس بصوم يوم وقال لا يفطرن أحد حتى آذن له فصام الناس حتى إذا أمسوا جعل الرجل يجيء فيقول
يا رسول الله ظللت صائما فأذن لي لأفطر فيأذن له والرجل والرجل حتى جاء رجل فقال يا رسول الله فتاتان من
أهلك ظلتا صائمتين وإنهما تستحييان أن يأتياك فأذن لهما ليفطرا فأعرض عنه ثم عاوده فأعرض عنه
ثم عاوده فقال إنهما لم تصوما وكيف صام من ظل هذا اليوم يأكل لحوم الناس اذهب فمرهما إن كانتا صائمتين
أن يستقيئا فرجع إليهما فأخبرهما فاستقاءتا فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم
فأخبره فقال والذي نفس محمد بيده لو بقيتا في بطونهما لأكلتهما النار **وفي** رواية أنه لما أعرض عنه جاءه
بعد ذلك وقال يا رسول الله إنهما والله قد ماتتا أو كادتا أن تموتا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ائتوني بهما فجاءتا
فدعا بعس أو قدح فقال لإحداهما قيئي فقاءت من قيح ودم وصديد حتى ملأت القدح وقال للأخرى قيئي فقاءت كذلك
فقال إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما جلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا يأكلان
لحوم الناس وقال أنس بن مالك رضي الله عنه خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربا وعظم شأنه
فقال إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله من ستة وثلاثين زنية يزنيها الرجل وأربى الربا عرض الرجل
المسلم وقال جابر رضي الله عنه كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فأتى على قبرين يعذب صاحباهما
فقال إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان يغتاب الناس وأما الآخر فكان لا يستبرئ من بوله ودعا
بجريدة رطبة أو جريدتين فكسرهما ثم أمر بكل كسرة فغرست على قبر فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما إنهما
سيهون من عذابهما ما كانتا رطبتين أو ما لم تيبسا ولما رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ماعزا في الزنا قال رجل
لصاحبه هذا أقعص كما يقعص الكلب فمر النبي صلى الله عليه وسلم معهما بجيفة فقال انهشا منها وكان الصحابة
رضي الله عنهم يتلاقون بالبشر ولا يغتابون عند الغيبة ويرون ذلك أفضل الأعمال ويرون خلافه عادة المنافقين
وقال أبو هريرة رضي الله عنه من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه لحمه في الآخرة فقيل له كله ميتا كما أكلته حيا فيأكله
ويضج ويكلح وروي مرفوعا كذلك **وروي** أن رجلين كانا قاعدين عند باب من أبواب المسجد فمر بهما رجل
كان مخنثا فترك ذلك فقالا لقد بقي فيه منه شيء وأقيمت الصلاة فدخلا وصليا مع الناس فحاك في أنفسهما ما قالا
فأتيا عطاء فسألاه فأمرهما أن يعيدا الوضوء والصلاة وإن كانا صائمين أمرهما أن يقضيا صيام ذلك اليوم
وعن مجاهد رحمه الله في قوله ويل لكل همزة لمزة الهمزة الطعان في الناس واللمزة الذي يأكل لحوم الناس
وقال قتادة رحمه الله عليه ذكر لنا أن عذاب القبر ثلاثة أثلاث ثلث من الغيبة وثلث من البول وثلث
من النميمة وقال الحسن رحمه الله عليه والله للغيبة أسرع فسادا في دين المؤمن من الأكلة في جسده
وقال بعضهم أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم والصلاة ولكن في الكف عن أعراض الناس
وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنه إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك وقال
أبو هريرة رضي الله عنه يبصر أحدكم القذى في عين أخيه ولا يبصر الجذع في عين نفسه وكان الحسن يقول يا ابن
آدم إنك لن تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب
فتصلحه من نفسك فإذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك وأحب العباد إلى الله تعالى من كان
هكذا وقال مالك بن دينار رحمه الله عليه مر عيسى بن مريم عليهما السلام والحواريون معه على جيفة كلب
فقال الحواريون ما أنتن ريح هذا الكلب فقال عيسى عليه السلام ما أشد بياض أسنانه كأنه نهاهم
عن غيبة الكلب ونبههم على أنه لا يذكر شيئا من خلق الله تعالى إلا بأحسنه وسمع علي بن الحسين رضي الله عنهما

يعاب الناس فقال اياك من الغيبة فانها ادام كلاب الناس وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه
عليكم بذكر الله فانه شفاء واياكم وذكر الناس فانه داء **بيان معنى حقيقة الغيبة وحدها**
اعلم ان حد الغيبة ان تذكر اخاك بما يكرهه لو بلغه سواء ذكرت نقصانا في بدنه او في نسبه او في خلقه
او في فعله او في قوله او في دينه او في دنياه وحتى في ثوبه وفي داره ودابته اما البدن فكذكرك العمى
والعور والحول والقرع والقصر والطول والسواد والصفرة وجميع ما يتصور ان يوصف به مما
يكرهه كيف كان واما النسب فان تقول ابوه نبطي او هندي او فاسق او خسيس او اسكاف او
زبال او شيء مما يكرهه كيف كان واما الخلق فان تقول انه سيء الخلق بخيل متكبر مراء شديد الغضب
جبان عاجز ضعيف القلب متهور وما يجري مجراه واما في افعاله المتعلقة بالدين فكقولك سارق
وكذاب وشارب خمر وخائن وظالم ومتهاون بالصلاة والزكاة ولا يحسن الركوع والسجود ولا يحترز
عن النجاسات وليس بارا بوالديه ولا يضع الزكاة موضعها ولا يحسن قسمتها ولا يحرس صومه عن
الرفث والغيبة والتعرض لاعراض الناس واما فعله المتعلق بالدنيا فكقولك انه قليل الادب
متهاون بالناس ولا يرى لاحد على نفسه حقا ويرى لنفسه حقا وانه كثير الكلام كثير الاكل وانه نؤوم
ينام في غير وقته ويجلس في غير موضعه واما في ثوبه فانه واسع الكم طويل الذيل وسخ الثياب
وقال قوم لا غيبة في الدين لانه ذم لما ذمه الله تعالى فذكره بالمعاصي وذمه يجوز بدليل ما روي انه
ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة وكثرة صلاتها وصومها ولكنها تؤذي جيرانها فقال هي في النار وذكر امرأة
اخرى بانها بخيلة فقال فما خيرها اذا وهذا فاسد لانهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم الى تعرف
الاحوال بالسؤال ولم يكن غرضهم التنقيص ولا يحتاج اليه في غير مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
والدليل عليه اجماع الامة ان من ذكر غيره بما يكرهه فهو مغتاب لانه داخل فيما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم
في حد الغيبة فكل هذا وان كنت صادقا فيه فانت فيه مغتاب عاص لربك وآكل لحم اخيك بدليل
ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكرهه
قال ارأيت ان كان في اخي ما اقول قال ان كان ما تقول فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وقال
معاذ بن جبل رضي الله عنه ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما اعجزه فقال رسول الله صلعم
اغتبتم صاحبكم فقالوا يا رسول الله قلنا ما فيه قال ان قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه وعن حذيفة بن
اليمان رضي الله عنه عن عائشة رضي الله عنها انها ذكرت امرأة فقالت قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اغتبتيها وقال الحسن ذكر الغير ثلاثة الغيبة والبهتان والافك وكل في كتاب الله تعالى فالغيبة ان تقول
ما فيه والبهتان ما ليس فيه والافك ان تقول ما بلغك وذكر ابن سيرين رجلا فقال
ذلك الرجل الاسود ثم قال استغفر الله اني اراني قد اغتبته وذكر محمد بن سيرين ابرهيم النخعي
رحمة الله عليهما ولم يقل الاعور وقالت عائشة رضي الله عنها لا يغتابن احد منكم احدا فاني
قلت لامرأة مرة وانا عند النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه لطويلة الذيل فقال الفظي الفظي فلفظت بضعة
من لحم **بيان ان الغيبة لا تقتصر على اللسان** اعلم ان الذكر باللسان انما حرم لان فيه
تفهيم الغير نقصان اخيك وتعريفه بما يكرهه فالتعريض فيه كالتصريح والفعل فيه كالقول
والاشارة والايماء والرمز والغمز والكتابة والحركة وكل ما يفهم المقصود فهو داخل في الغيبة وهو
حرام ومن ذلك قول عائشة دخلت علينا امرأة فلما ولت اومأت بيدي اي قصيرة فقال
عليه السلام قد اغتبتيها ومن ذلك المحاكاة بان يمشي متعارجا او كما يمشي فهو غيبة بل هو اشد
من الغيبة لانه اعظم في التصوير والتفهيم ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عائشة رضي الله عنها حكت امرأة قال ما يسرني اني حاكيت ولي كذا وكذا وكذلك الغيبة في الكتاب

كان القلم احد اللسانين وذكر المصنف شخصا معينا وتهجين كلامه في الكتاب غيبة الا ان يقترن بشيء من
الاعذار المحوجة الى ذكره كما سياتي واما قوله قال قوم كذا فليس ذلك غيبة انما الغيبة التعرض لشخص معين
اما حي واما ميت ومن الغيبة ان تقول بعض من مر بنا اليوم او بعض من رأيناه اذا كان المخاطب يفهم
منه شخصا معينا لان المحذور تفهيمه دون ما به التفهيم فاما اذا لم يفهم عينه جاز كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا كره من انسان شيئا قال ما بال اقوام يفعلون كذا وكذا وكان لا يعين فقولك بعض من قدم من السفر
وبعض من يدعي العلم اذا كان معه قرينة تفهم عين الشخص فهو غيبة واخبث انواع الغيبة غيبة القراء
المرائين فانهم يفهمون المقصود على صيغة اهل الصلاح ليظهروا من انفسهم التعفف عن الغيبة ويفهمون
المقصود ولا يدرون بجهلهم انهم جمعوا بين فاحشتين الرياء والغيبة وذلك مثل ان يذكر عنده انسان فيقول
الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدخول على السلاطين والتبذل في طلب الحطام او يقول نعوذ بالله من قلة الحياء نسأل الله
ان يعصمنا منه وانما قصده ان يفهم عيب الغير فيذكره بصيغة الدعاء وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته
فيقول ما احسن احوال فلان ما كان يقصر في العبادات ولكن قد اعتراه فتور وابتلي بما يبتلى به كلنا وهو قلة الصبر
فيذكر نفسه ومقصوده ان يذم غيره وان يمدح نفسه بالتشبه بالصالحين في ذم انفسهم فيكون مغتابا ومرائيا
ومزكيا نفسه فيجمع بين ثلاث فواحش وهو يظن بجهله انه من الصالحين المتعففين عن الغيبة وكذلك يلعب الشيطان
باهل الجهل اذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم فانه يتبعهم ويحبط بمكايده عملهم ويضحك عليهم ويسخر بهم ومن
ذلك انه يذكر عيب انسان فلا يتنبه له بعض الحاضرين فيقول سبحان الله ما اعجب هذا حتى يصغي الى المغتاب
ويعلم ما يقوله فيذكر الله تعالى ويستعمل اسمه آلة له في تحقيق خبثه وهو يمتن على الله تعالى بذكره جهلا منه وغرورا
وكذلك يقول ساءني ما جرى على صديقنا من الاستخفاف نسأل الله تعالى ان يروح سره ويلوذه كاذب في دعوى الاغتمام
وفي اظهار الدعاء بل لو قصد الدعاء لاخفاه في خلوة عقيب صلاته ولو كان يغتم به لاغتم ايضا باظهار ما يكرهه
وكذلك يقول ذلك المسكين قد بلي بآفة عظيمة تاب الله علينا وعليه فهو في كل ذلك يظهر الدعاء والله مطلع على خبث
ضميره وخفي قصده وهو لجهله لا يدري انه قد تعرض لمقت اعظم مما تعرض له الجهال اذا جاهروا ومن ذلك الاصغاء
الى الغيبة على سبيل التعجب فانه انما يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب في الغيبة فيندفع فيها فكانه يستخرج
منه الغيبة بهذا الطريق فيقول عجبت مما علمته ما كنت اعرفه الى الان الا بالخير وكنت احسب فيه غير هذا
عافانا الله من بلائه فان كل ذلك تصديق للمغتاب والتصديق بالغيبة غيبة بل الساكت شريك المغتاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم المستمع احد المغتابين وقد روي عن ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ان احدهما قال
ان فلانا النؤوم ثم طلبا ادما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأكلا به الخبز فقال النبي صلى الله عليه وسلم
قد ائتدمتما فقالا لا نعلمه فقال بلى انكما اكلتما من لحم صاحبكما فانظر كيف جمعهما فكان القائل احدهما والاخر مستمعا
وقال للرجلين اللذين قال احدهما افقص الرجل كما يقعص الكلب انهشا من هذه الجيفة فجمع بينهما فالمستمع لا يخرج
من اثم الغيبة الا ان ينكر بلسانه فان خاف فبقلبه وان قدر على القيام او قطع الكلام بكلام غيره فلم يفعله لزمه
وان قال بلسانه اسكت وهو مشته لذلك بقلبه فذلك نفاق ولا يخرجه عن الاثم ما لم يكرهه بقلبه ولا يكفي
ان يشير باليد ان اسكت او يشير بحاجبه او جبينه فان ذلك استحقار للمذكور بل ينبغي ان يعظمه فيذب عنه صريحا
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اذل عنده مؤمن وهو يقدر ان ينصره اذله الله تعالى يوم القيامة
على رؤوس الخلائق وقال ابو الدرداء رضي الله عنه من رد عن عرض اخيه كان حقا على الله ان يرد عن
عرضه يوم القيامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذب عن عرض اخيه بالغيبة كان حقا على الله تعالى
ان يعتقه من النار وقد ورد في نصرة المسلم في الغيبة وفضل ذلك اخبار كثيرة اوردناها في كتاب آداب
الصحبة وحقوق المسلمين فلا نطول باعادة **بيان الاسباب الباعثة على الغيبة**
اعلم ان البواعث على الغيبة كثيرة ولكن يجمعها احد عشر شيئا ثمانية تطرد في حق العامة وثلاثة تختص باهل

الدين والخاصه اما الثمانيه فالاول تشفي الغيظ وذلك اذا جرى سبب غضب عليه فاذا هاج غضبه تشفى بذكر مساويه وسبق اللسان اليه بالطبع ان لم يكن له دين وازع وقد يمتنع من تشفي الغيظ عند الغضب في الباطن ويصير حقدا ثابتا فيكون سببا دائما لذكر المساوي فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة **الثاني** موافقة الاخوان ومجاملة الرفقا ومساعدتهم على الكلام فانهم اذا كانوا يتفكهون بذكر الاعراض فيرى انه لو انكر او قطع المجلس استثقلوه ونفروا عنه فيساعدهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة ويظن انه مجاملة في الصحبة وقد يغضب رفقاؤه فيحتاج الى ان يغضب لغضبهم اظهارا للمساهمة في السرا والضرا فيخوض معهم في ذكر العيوب والمساوي **الثالث** ان يستشعر من انسان انه سيقصده ويطول لسانه فيه او يقبح حاله عند محتشم او يشهد عليه بشهادة فيبادر قبل ان يقبح هو حاله ويطعن فيه ليسقط اثر شهادته او يبتدي بذكر ما فيه صادقا ليكذب عليه بعده فيروج كذبه بالصدق الاول ويستشهد به ويقول ما من عادتي الكذب فاني اخبرتكم بكذا وكذا من احواله فكان كما قلت **الرابع** ان ينسب الى شي فيريد ان يتبرا منه فيذكر الذي فعله وكان من حقه ان يبري نفسه ولا يذكر الذي فعله ولا ينسب غيره اليه او يذكر غيره بانه كان مشاركا له في الفعل ليمهد بذلك عذر نفسه في فعله **الخامس** ارادة التصنع والمباهاة وهو ان يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف وغرضه ان يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه ويريهم انه افضل منه او يحذر ان يعظم مثل تعظيمه فيقدح فيه لذلك **السادس** الحسد وهو انه ربما يحسد من يثني الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلا اليه الا بالقدح فيه فيريد ان يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن اكرامه والثنا عليه لانه يثقل عليه ما الناس عليه وكرامهم له وهذا هو الحسد وهو غير الغضب والحقد فان ذلك يستدعي جناية من المغضوب عليه والحسد قد يكون مع الصديق المحسن والقريب الموافق **السابع** اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت بالضحك فيذكر غيره بما يضحك به الناس على سبيل المحاكاة والتعجب **الثامن** السخرية والاستهزا استحقارا له فان ذلك قد يجري في الحضور فيجري ايضا في الغيبة ومنشاه التكبر واستصغار المستهزا به **واما** الاسباب الثلاثة التي في الخاصة فهي اغمضها وادقها لانها شرور خباها الشيطان في معرض الخيرات وفيها خير ولكن شاب الشيطان بها الشر **الاول** ان ينبعث من الدين داعية التعجب من انكار المنكر والخطا في الدين فيقول ما اعجب ما رايت من فلان فانه قد يكون صادقا ويكون تعجبه من المنكر ولكن كان حقه ان يتعجب ولا يذكر اسمه فيسهل الشيطان عليه ذكر اسمه في اظهار تعجبه فصار به مغتابا من حيث لا يدري واثما من ذلك قول الرجل تعجبت من فلان كيف يحب جاريته وهي قبيحة وكيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل **الثاني** الرحمة وهو ان يغتم بسبب ما يبتلى به فيقول مسكين فلان قد غمني امره وما ابتلي به فيكون صادقا في اغتمامه ويلهيه الغم عن ذكر اسمه فيصير به مغتابا فيكون غمه ورحمته خيرا وكذا تعجبه ولكن ساقه الشيطان الى شر من حيث لا يدري والرحمة والغم ممكن دون ذكر اسمه فيهيجه الشيطان على ذكر اسمه ليبطل به ثواب اغتمامه وترحمه **الثالث** الغضب لله فانه قد يغضب على منكر قارفه انسان اذا راه او سمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب ان يظهر غضبه عليه بالامر بالمعروف ولا يظهره على غيره او يستر اسمه ولا يذكره بالسوء فهذه الثلاثة مما يغمض دركها على العلما فضلا عن العوام فانهم يظنون ان التعجب والرحمة والغضب اذا كان لله كان عذرا في ذكر الاسم وهو خطا بل المرخص في الغيبة حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها عن ذكر الاسم كما سياتي **وروي عن** عامر بن واثلة ان رجلا مر على قوم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهم فردوا السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم اني لابغض هذا في الله فقال اهل المجلس والله لبيس ما قلت لننبئنه قم يا فلان لرجل منهم فادركه فاخبره بما قال فادركه رسولهم فاخبره فاتى الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكى له ما قال وساله ان يدعوه

فدعاه فساله فقال قد قلت ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تبغضه قال انا جاره وانا به خابر والله ما رايته يصلي صلاة الا هذه المكتوبة قال فاسال يا رسول الله هل رآني اخرتها عن وقتها او اسات الوضو لها والركوع والسجود فساله فقال لا قال والله ما رايته يصوم شهرا قط الا هذا الشهر الذي يصومه البر والفاجر قال فسله يا رسول الله هل رآني قط افطرت فيه او نقصت من حقه شيئا فساله فقال لا قال والله ما رايته يعطي سايلا ولا مسكينا ولا رايته ينفق من ماله شيئا في سبيل الخير الا هذه الزكاة التي يوديها البر والفاجر قال فسله هل رآني نقصت شيئا منها او ماكست فيها طالبها الذي يسالها فساله فقال لا فقال للرجل قم فلعله خير منك

بيان العلاج الذي يمنع اللسان عن الغيبة

اعلم ان مساوي الاخلاق كلها انما تعالج بمعجون العلم والعمل وانما علاج كل علة بمضادة سببها فلنفحص عن سببها وعلاج كف اللسان عن الغيبة على وجهين احدهما على الجملة والاخر على التفصيل اما على الجملة فهو ان يعلم تعرضه لسخط الله تعالى بغيبته لهذه الاخبار التي رويناها وان يعلم انها تحبط حسناته فانها تنقل في القيامة حسناته الى من اغتابه بدلا عما استباحه من عرضه فان لم يكن حسنات نقل اليه من سياته وهو مع ذلك متعرض لمقت الله وتشبيه عنده باكل الميتة بل العبد يدخل النار بان تترجح كفة سياته على كفة حسناته وربما ينقل اليه سيئة واحدة ممن اغتابه فيحصل بها الرجحان ويدخل النار وانما اقل الدرجات ان ينقص من ثواب اعماله وذلك بعد المخاصمة والمطالبة والسوال والجواب والحساب **وقال** رسول الله صلى الله عليه وسلم ما النار في اليبس باسرع من الغيبة في حسنات العبد **وروى** ان رجلا قال للحسن بلغني انك تغتابني فقال ما بلغ من قدرك عندي ان احكمك في حسناتي فمهما امن العبد بما وردت به الاخبار لم ينطلق لسانه بالغيبة خوفا من ذلك وينفعه ايضا ان يتدبر في نفسه فان وجد فيها عيبا اشتغل بعيب نفسه وذكر قوله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ومهما وجد عيبا فينبغي ان يستحيي من ان يترك ذم نفسه ويذم غيره بل ينبغي ان يعلم ان عجز غيره عن نفسه في التنزه عن ذلك العيب كعجزه ان كان ذلك عيبا يتعلق بفعله واختياره وان كان امرا خلقيا فالذم له ذم للخالق فان من ذم صنعة فقد ذم الصانع **وقال** رجل لبعض الحكما يا قبيح الوجه فقال ما كان خلق وجهي الي فاحسنه وان لم يجد العبد عيبا في نفسه فليشكر الله تعالى ولا يلوثن نفسه باعظم العيوب فان ثلب الناس واكل لحم الميتة من اعظم العيوب بل لو انصف لعلم ان ظنه بنفسه انه بري من كل عيب جهل بنفسه وهو من اعظم العيوب وينفعه ان يعلم ان تالم غيره بغيبته كتالمه بغيبة غيره له فاذا كان لا يرضى لنفسه ان يغتاب فينبغي ان لا يرضى لغيره ما لا يرضاه لنفسه فهذه معالجات جملية **واما التفصيل** فهو ان ينظر الى السبب الباعث له على الغيبة فان علاج العلة بقطع سببها وقد قدمنا الاسباب اما الغضب فيعالجه بما سياتي في كتاب افات الغضب وهو ان يقول ان امضيت غضبي عليه لعل الله ان يمضي غضبه علي بسبب الغيبة اذ نهاني عنها فاجترات على نهيه واستخففت بزجره وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان لجهنم بابا لا يدخله الا من شفى غيظه بمعصية الله تعالى **وقال** النبي صلى الله عليه وسلم من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه **وقال** النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على ان يمضيه دعاه الله تعالى على رووس الخلائق حتى يخيره في اي الحور شاء وفي بعض كتب الله تعالى يا ابن ادم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق **واما الموافقة** فبان تعلم ان الله يغضب عليك اذا طلبت سخطه في رضا المخلوقين فكيف ترضى لنفسك ان توقر غيرك وتحقر مولاك فتترك رضاه لرضاهم الا ان يكون غضبك لله تعالى وذلك لا يوجب ان تذكر المغضوب عليه بسوء بل ينبغي ان تغضب لله ايضا على رفقائك اذا ذكروه بالسوء فانهم عصوا ربك بافحش الذنوب وهو الغيبة **واما تنزيه** النفس بنسبة الجناية الى الغير حيث يستغنى عن ذكر الغير فتعالجه بان تعرف ان التعرض لمقت الخالق اشد من التعرض لمقت الخلق وانت بالغيبة متعرض لسخط الله يقينا ولا تدري انك تتخلص من سخط الناس ام لا فتخلص نفسك في الدنيا بالتوهم وتهلك في الاخرة وتخسر حسناتك بالحقيقة ويحصل لك ذم الله نقدا وتنتظر دفع ذم الخلق نسيئة وهذا غاية الجهل والخذلان واما عذرك كقولك اني ان اكلت الحرام ففلان ياكل وان قبلت مال السلطان ففلان يقبل فهذا جهل لانك تعتذر بالاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به فان من خالف امر الله تعالى لا يقتدى به كائنا من كان ولو دخل غيرك النار وانت تقدر على ان لا تدخلها لم توافقه ولو وافقته سفه عقلك ففيما ذكرته غيبة وزيادة معصية اضفتها الى ما اعتذرت عنه وسجلت مع الجمع بين المعصيتين على جهلك وغباوتك وكنت كالشاة تنظر الى العنز تردى نفسه من الجبل فهي ايضا تردى ولو كان لها

لسان فصرحت بالعذر قالت الغيرة أكيس مني وقد اهلك نفسه فكذا انت تضحك من جهلها وحالك مثل حالها ثم لا
تتعجب ولا تضحك من نفسك واما قصدك المباهاة وتزكية النفس بزيادة الفضل بالقدح في غيرك فينبغي ان تعلم انك بما ذكرته
ابطلت فضلك عند الله وانت من اعتقاد الناس فتكون قد بعت ما عند الخالق يقينا بما عند المخلوق توهما ولو حصل لك من
المخلوقين اعتقاد الفضل لكانوا لا يغنون عنك من الله شيئا • **واما الغيبة** لحسد فهو جمع بين عذابين لانك حسدته على نعمة
الدنيا وكنت معذبا بالحسد فما قنعت بذلك حتى اضفت اليه عذابا في الآخرة فكنت خاسرا في الدنيا فجعلت نفسك ايضا
خاسرا في الآخرة لتجمع بين النكالين فقد قصدت محسودك فاصبت نفسك فاهديت اليه حسناتك فاذا انت
صديقه وعدو نفسك اذ لا تضره غيبتك وتضرك وتنفعه اذ تنقل اليه حسناتك او تنقل اليك سيئاته ولا تنفعك فقد
جمعت الى خبث الحسد جهل الحماقة وربما يكون حسدك وقدحك سبب انتشار فضل محسودك **فقد قيل** ؛
واذا اراد الله نشر فضيلة ... يوما اتاح لها لسان حسود • **واما الاستهزاء** فمقصودك فيه اخزاء غيرك عند
الناس باخزاء نفسك عند الله تعالى وعند الملائكة والنبيين ولو تفكرت في خزيك وحيائك وخجلتك وخزيك
يوم تحمل سيئات من استهزأت به وتساق الى النار لادهشك ذلك عن اخزاء صاحبك ولو عرفت حالك لكنت اولى
ان تضحك منك فانك سخرت به عند نفر قليل وعرضت نفسك لان ياخذ بيدك في القيامة على ملأ من الناس
ويسوقك تحت سيئاته كما يساق الحمار الى النار مستهزئا بك وفرحا بخزيك ومسرورا بنصرة الله تعالى اياه وتسليطه على الانتقام
منك **واما الرحمة** على اثمه فهو حسن ولكن حسدك ابليس واستنطقك بما تنقل من حسناتك اليه ما
هو اكثر من رحمتك فيكون جبرا لاثم المرحوم فيخرج عن كونه مرحوما وتنقلب انت مستحقا لان تكون مرحوما اذ حبط
اجرك ونقصت من حسناتك **وكذلك الغضب** لله تعالى لا يوجب الغيبة وانما حبب اليك الشيطان الغيبة ليحبط
اجر غضبك وتصير متعرضا لمقت الله تعالى بالغيبة **واما التعجب** اذا اخرجك الى الغيبة فتعجب من نفسك انها
كيف اهلكت دينك بدين غيرك او بدنياه وانت مع ذلك لا تامن عقوبة الدنيا وهو ان يهتك الله سترك كما هتكت
بالتعجب ستر اخيك فاذا علاج جميع ذلك المعرفة فقط والتحقيق بهذه الامور التي هي من ابواب الايمان فمن قوي ايمانه بجميع ذلك
انكف عن الغيبة لا محالة •

بيان تحريم الغيبة بالقلب

اعلم ان سوء الظن حرام مثل سوء القول
وكما يحرم عليك ان تحدث غيرك بلسانك بمساوي الغير فليس لك ان تحدث نفسك وتسيء الظن باخيك ولست اعني به
عقد القلب وحكمه على غيره بالسوء فاما الخواطر وحديث النفس فهو معفو عنه بل الشك معفو عنه ايضا ولكن المنهي عنه ان
تظن والظن عبارة عما تركن اليه النفس ويميل اليه القلب وقد قال الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم وسبب
تحريمه ان اسرار القلوب لا يعلمها الا علام الغيوب فليس لك ان تعتقد في غيرك سوءا الا اذا انكشف لك بعيان لا
يقبل التاويل فعند ذلك لا يمكنك الا ان تعتقد ما علمته وشاهدته وما لم تشاهده بعينك ولم تسمعه باذنك ثم وقع في
قلبك فانما الشيطان يلقيه اليك فينبغي ان تكذبه فانه افسق الفساق وقد قال الله تعالى ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا
قوما بجهالة الآية فلا يجوز تصديق ابليس وان كان ثم مخيلة تدل على فساد واحتمل خلافه لم يجز ان تصدقه حتى ان من
استنكهته فوجدت منه رائحة الخمر فلا يجوز ان يحد اذ يقال يمكن ان يكون قد تمضمض بالخمر ومجها وما شربها او حمل عليه
قهرا فكل ذلك دلالة محتملة فلا يجوز تصديقها بالقلب واساءة الظن بالمسلم فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله حرم من المسلم دمه
وماله وان تظن به ظن السوء فلا يستباح ظن السوء الا بما يستباح به المال وهو بعين مشاهدة او بينة عادلة فاذا لم
يكن ذلك وخطر لك وسواس سوء الظن فينبغي ان تدفعه عن نفسك وتقرر عليها ان حاله عندك مستور كما كان وان ما رايته يحتمل
الخير والشر • **فان قلت** • فبماذا يعرف عقد الظن والشكوك تختلج والنفس تحدث **فاقول**
امارة عقد الظن ان يتغير القلب معه عما كان فينفر عنه نفورا ما ويستثقله ويفتر عن مراعاته وتفقده واكرامه
والاغتمام بسببه فهذه امارات عقد الظن وتحقيقه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث في المؤمن وله منهن مخرج فمخرجه من سوء
الظن ان لا يحققه اي لا يحقق في نفسه بعقد ولا فعل لا في القلب ولا في الجوارح اما في القلب فبتغيره الى النفرة والكراهة وفي الجوارح

بيان تحريم الغيبة بالقلب

فالعمل بموجبه والشيطان قد يقرر على القلب بادنى مخيلة مساءة الناس ويلقي اليه ان هذا من فطنتك وسرعة
تنبهك وذكائك وان المؤمن ينظر بنور الله وهو على التحقيق ناظر بغرور الشيطان وظلمته فاما اذا اخبرك به عدل
فمال ظنك الى تصديقه كنت معذورا لانك لو كذبته كنت جانيا على هذا العدل اذ ظننت به الكذب وذلك ايضا
من سوء الظن فلا ينبغي ان تحسن الظن بواحد وتسيء بالآخر نعم ينبغي ان تبحث هل بينهما عداوة او محاسدة
او تعنت فتتطرق التهمة بسببه وقد رد الشرع شهادة الاب العدل للتهمة ورد شهادة العدو فلك عند ذلك
ان تتوقف وان كان عدلا فلا تصدقه ولا تكذبه ولكن تقول المذكور حاله في ستر الله عني وكان امره محجوبا
وقد بقي كما كان لم ينكشف لي شيء من امره وقد يكون الرجل ظاهره العدالة ولا محاسدة بينه وبين المذكور ولكن يكون
من عادته التعرض للناس وذكر مساويهم فهذا قد يظن انه عدل وليس بعدل فان المغتاب فاسق واذا
كان ذلك من عادته ردت شهادته الا ان الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا في امر الغيبة ولم يكترثوا بتناول اعراض
الخلق ومهما خطر لك خاطر سوء على مسلم فينبغي ان تزيد في مراعاته وتدعو له بالخير فان ذلك يغيظ الشيطان
ويدفعه عنك فلا يلقي اليك الخاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة
فانصحه في السر ولا يخدعنك الشيطان فيدعوك الى اغتيابه واذا وعظته فلا تعظه وانت مسرور باطلاعك
على نقصه لينظر اليك بعين التعظيم وتنظر اليه بعين الاستصغار وترتفع عنه بدالة الوعظ وليكن قصدك
تخليصه من الاثم وانت حزين كما تحزن على نفسك اذا دخل عليك نقصان فينبغي ان يكون تركه ذلك من
غير نصيحتك احب اليك من تركه بالنصيحة فاذا انت فعلت ذلك كنت قد جمعت بين اجر الوعظ واجر
الغم بمصيبته واجر الاعانة على دينه **ومن** ثمرات سوء الظن التجسس فان القلب لا يقنع بالظن
ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو ايضا منهي عنه قال الله تعالى ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم
بعضا فالغيبة وسوء الظن والتجسس منهي عنه في آية واحدة ومعنى التجسس ان لا تترك عباد الله تحت
ستر الله فتتوصل الى الاطلاع وهتك الستر حتى ينكشف لك ما لو كان مستورا عليك كان اسلم لقلبك
ولدينك وقد ذكرنا في كتاب الامر بالمعروف حكم التجسس وحقيقته

بيان الاعذار المرخصة في الغيبة

اعلم ان المرخص في ذكر مساوي الغير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل اليه الا به
فيدفع ذلك اثم الغيبة وهي ستة امور **الاول** التظلم فان من ذكر قاضيا بالظلم والخيانة واخذ الرشوة كان
مغتابا عاصيا **اما** المظلوم من جهة القاضي فله ان يتظلم الى السلطان وينسبه الى الظلم اذ لا يمكنه استيفاء
حقه الا به **وقد** قال النبي صلى الله عليه وسلم ان لصاحب الحق مقالا **وقال** النبي صلى الله عليه وسلم
مطل الغني ظلم وقال لي الواجد يحل عرضه وعقوبته **الثاني** الاستعانة على تغيير المنكر
ورد العاصي الى منهج الصلاح **كما روي** ان عمر مر على عثمان وقيل على طلحة رضي الله عنهم اجمعين
فسلم عليه فلم يرد فذهب الى ابي بكر رضي الله عنه فذكر له ذلك فجاء ابو بكر الله ليصلح ذلك ولم يكن ذلك غيبة
عندهم ولذلك لما بلغ عمر رضي الله عنه ان ابا جندل قد عاقر الخمر بالشام كتب اليه عمر ابن الخطاب بسم الله الرحمن
الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب
فتاب ولم ير ذلك عمر رضي الله عنه ممن قاله غيبة اذ كان قصده ان ينكر عليه ذلك فينفعه نصحه ما لا ينفعه
نصح غيره وانما اباحة هذا بالقصد الصحيح فان لم يكن هذا هو المقصود كان حراما **الثالث**
الاستفتاء كما يقول للمفتي ظلمني ابي او زوجتي او اخي فكيف طريقي في الخلاص والاسلم التعريض بان تقول
ما قولك في رجل ظلمه ابوه او اخوه او زوجته ولكن التعيين مباح بهذا القدر **لما روي عن هند**
انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ان ابا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني انا وولدي افآخذ من غير
علمه فقال خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف فذكرت الشح والظلم لها ولولدها ولم يزجرها رسول الله صلى الله عليه وسلم

اذا كان قصده الاستفتاء. **الرابع** تحذير المسلم من الشر فاذا رأيت فقيها يتردد الى مبتدع او فاسق وخفت ان تتعدى
اليه بدعته وفسقه فلك ان تكشف له بدعته او فسقه مهما كان الباعث لك الخوف على سراية البدعة والفسق لا غيره وذلك موضع الغرور اذ
قد يكون الباعث هو الحسد ويلبس الشيطان ذلك باظهار الشفقة على الخلق وكذلك من اشترى مملوكا وقد عرفت المملوك بالسرقة
او الفسق او بعيب اخر فلك ان تذكر ذلك فان في سكوتك ضررا وفي ذكرك ضرر العبد والمشتري اولى بمراعاة جانبه
وكذلك المزكي اذا سئل عن الشاهد فله الطعن وكذلك المستشار في التزويج وايداع الامانة له ان يذكر ما يعرفه على قصد
النصح قصد النصح للمستشير لا على قصد الوقيعة وان علم انه يترك التزويج بمجرد قوله لا يصلح لك فهو الواجب فان علم انه لا
ينزجر الا بالتصريح فله ان يصرح به وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اترعوون عن ذكر الفاجر حتى يعرفه الناس اذكروه بما
فيه يحذره الناس وكانوا يقولون ثلثة لا غيبة لهم الامام الجائر والمبتدع والمجاهر بفسقه. **الخامس** ان يكون
الانسان معروفا باسم يعرب عن عيبه كالاعرج والاعمش فلا اثم على من يقول روى ابو الزناد عن الاعرج وسليمان عن الاعمش وما
يجري مجراه فقد فعل العلماء ذلك لضرورة التعريف ولانه صار بحيث لا يكرهه صاحبه لو علمه بعد ان صار مشهورا به نعم لو وجد
عنه معدلا وامكنه التعريف بعبارة اخرى فهو اولى ولذلك يقال للاعمى البصير عدولا عن اسم النقص. **السادس**
ان يكون مجاهرا بالفسق كالمخنث وصاحب الماخور والمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس وكان ممن يتظاهر بالفسق بحيث
لا يستنكف من ان يذكر به فاذا ذكرت منه ما يتظاهر به فلا اثم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من القى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليس لفاجر حرمة واراد به المجاهر دون المستتر اذ المستتر لا بد من مراعاة حرمته وقال الصلت بن طريف
قلت للحسن الرجل الفاجر المعلن بفجوره ذكري له بما فيه غيبة له قال لا ولا كرامة وقال الحسن رح ثلثة لا غيبة لهم صاحب الهوى
والفاسق المعلن بفسقه والامام الجائر وهؤلاء الثلثة يجمعهم انهم يتظاهرون به وربما يتفاخرون به فكيف يكرهون ذلك وهم يقصدون اظهاره
نعم لو ذكره بغير ما يتظاهر به اثم وقال عوف دخلت على محمد بن سيرين رح فتناولت الحجاج فقال ابن سيرين ان الله حكم عدل
ينتقم للحجاج ممن ظلمه وانك اذا لقيت الله تعالى غدا كان اصغر ذنب اصبته اشد عليك من اعظم ذنب اصابه الحجاج

بيان ذكر كفارة الغيبة

اعلم ان الواجب على المغتاب ان يندم ويتوب ويتأسف
على ما فعله ليخرج من حق الله تعالى ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج عن مظلمته وينبغي ان يستحله وهو حزين متأسف نادم على
فعله اذ المرائي قد يستحل ليظهر من نفسه الورع وفي الباطن لا يكون نادما فيكون قد قارف معصية اخرى وقال
الحسن رحمة الله عليه يكفيه الاستغفار دون الاستحلال وربما احتج في ذلك بما روى انس بن مالك رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفارة من اغتبته ان تستغفر له وقال مجاهد رحمة الله عليه كفارة من
اكلك لحم اخيك ان تثني عليه وتدعو له بالخير وسئل عطاء بن ابي رباح عن التوبة من الغيبة فقال تمشي الى
صاحبك وتقول له كذبت فيما قلت وظلمت واسأت فان شئت اخذت بحقك وان شئت عفوت وهذا هو
الاصح وقول القائل العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال بخلاف المال كلام ضعيف اذ قد وجب في العرض
حد القذف وثبتت المطالبة به بل في الحديث الصحيح ما روي عن النبي عم قال من كانت لاخيه
عنده مظلمة في عرض او مال فليستحللها منه من قبل ان يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم يؤخذ من حسناته
فان لم يكن حسنات اخذ من سيئات صاحبه وزيد على سيئاته وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها
لامرأة قالت لاخرى انها طويلة الذيل قد اغتبتيها فاستحليها فلا بد من الاستحلال ان قدر عليه وان كان غائبا
او ميتا فينبغي ان يكثر الاستغفار له والدعاء ويكثر من الحسنات فان قلت فالتحليل هل يجب فاقول
لا لانه تبرع والتبرع فضل وليس بواجب ولكنه مستحسن وسبيل المعتذر ان يبالغ في الثناء عليه والتودد
اليه ويلازم ذلك حتى يطيب قلبه فان لم يطب قلبه كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له يقابل بها سيئة الغيبة
في القيمة وكان بعض السلف لا يحلل قال سعيد بن المسيب لا احلل من ظلمني
وقال محمد بن سيرين رحمة الله تعالى عليه اني لم احرمها عليه فاحللها له ان الله تعالى حرم الغيبة وما
كنت لاحلل ما حرم الله ابدا فان قلت فما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ينبغي ان يستحلها وتحليل ما حرم
الله غير ممكن فنقول المراد العفو عن المظلمة لا ان ينقلب الحرام حلالا وما ذكره محمد بن سيرين حسن في التحليل
قبل الغيبة فانه لا يجوز ان يحلل لغيره الغيبة فان قلت فما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أيعجز
احدكم ان يكون كابي ضمضم كان اذا خرج من بيته قال اللهم اني تصدقت بعرضي على عبادك فكيف يتصدق بالعرض
ومن تصدق به فهل يباح تناوله فان كان لا تنفذ صدقته فما معنى الحث عليه فنقول معناه اني لا اطلب مظلمة
في القيمة ولا اخاصمه والا فلا تصير الغيبة حلالا به ولا تسقط المظلمة به لانه عفو قبل الوجوب الا انه
وعد العزم على الوفاء بان لا يخاصم وان رجع وخاصم كان قياس ساير الحقوق ان له ذلك بل صرح الفقهاء ان من
اباح القذف لم يسقط حقه من حد القذف ومظلمة الاخرة مثل مظلمة الدنيا وعلى الجملة فالعفو افضل
قال الحسن رحمة الله عليه اذا جثت الامم بين يدي الله تعالى يوم القيمة نودوا ليقم من كان اجره
على الله فلا يقوم الا من عفا في الدنيا وقال الله تعالى خذ العفو وامر بالعرف الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا جبريل ما هذا العفو قال ان الله يامرك ان تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك وقد
روي عن الحسن رحمة الله عليه ان رجلا قال له ان فلانا قد اغتابك فبعث اليه طبقا من الرطب
وقال بلغني انك اهديت الي حسناتك فاردت ان اكافيك عليها فاعذرني فاني لا اقدر ان اكافيك
على التمام

الافة السادسة عشر النميمة

وقد قال الله تعالى هماز مشاء بنميم مناع للخير
معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم وقال عبد الله ابن المبارك رحمة الله عليه ولد الزنا لا يكتم الحديث واشار
بالنميمة دل على انه ولد زنا استنباطا من قوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم وقال تعالى ويل لكل
همزة قيل الهمزة النمام وقال تعالى حمالة الحطب كانت نمامة حمالة للحديث وقال الله تعالى فخانتاهما فلم يغنيا
عنهما من الله شيئا قيل كانت امرأة لوط تخبر بالضيفان وامرأة نوح تخبر انه مجنون وقد قال
النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة نمام وفي حديث اخر لا يدخل الجنة قتات والقتات النمام وقال ابو هريرة
رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احبكم الى الله احسنكم اخلاقا الموطئون اكنافا الذين
يألفون ويؤلفون وان ابغضكم الى الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاخوان الملتمسون للبراء العثرات
وقال النبي صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بشراركم قالوا بلى قال المشاؤون بالنميمة المفسدون
بين الاحبة الباغون للبراء العيب وقال ابو ذر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ايما رجل اشاع على رجل كلمة وهو بريء منها ليشينه بها في الدنيا كان حقا على الله عز وجل ان يذيبه بها يوم
القيمة في النار وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد على مسلم بشهادة
ليس لها باهل فليتبوأ مقعده من النار ويقال ان ثلث عذاب القبر من النميمة وعن
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى لما خلق الجنة قال لها تكلمي قالت
سعد من دخلني قال الجبار جل جلاله وعزتي وجلالي لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس
لا يسكن فيك مدمن خمر ولا مصر على الزنا ولا قتات وهو النمام ولا ديوث ولا الشرطي ولا المخنث
ولا قاطع رحم ولا الذي يقول علي عهد الله ان افعل كذا وكذا ثم لم يف به وروي عن كعب الاحبار انه اصاب بني
اسرائيل قحط فاستسقى موسى صلوات الله عليه مرة فما اجيب فاوحى الله تعالى اليه اني لا استجيب لك ولمن معك
وفيكم نمام قد اصر على النميمة فقال موسى من هو يا رب حتى نخرجه من بيننا فقال يا موسى انهاكم عن النميمة
واكون نماما فتابوا باجمعهم فسقوا ويقال اتبع رجل حكيما سبعمائة فرسخ في سبع كلمات فلما قدم عليه قال
جئتك للذي اتاك الله من العلم اخبرني عن السماء وما اثقل منها وعن الارض وما اوسع منها وعن الحجر

وما اقسى منه ومن النار وما احر منها ومن الزمهرير وما ابرد منه ومن البحر وما اغنى منه ومن اليتيم وما
اذل منه قال البرهان محلى البري اثقل من السموات والحق اوسع من الارض والقلب القانع اغنى من
البحر والحرص والحسد احرق من النار والحاجة الى القريب اذا لم ينجح ابرد من الزمهرير وقلب الكافر اقسى
من الحجر والنمام اذا بان امره اذل من اليتيم **بيان حد النميمة وما يجب في ردها** اعلم ان اسم
النميمة انما يطلق في الاكثر على من ينم قول الغير الى المقول فيه كما يقول فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا وليست
النميمة مخصوصة به بل حدها كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه او المنقول اليه او كرهه ثالث
وسواء كان الكشف بالقول او بالكتابة او بالرمز والايماء وسواء كان ذلك عيبا ونقصانا على المنقول او لم
يكن بل حقيقة النميمة افشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه بل كل ما رآه الانسان من احوال الانسان
فينبغي ان يسكت عنه الا ما في حكايته فائدة لمسلم او دفع لمعصية كما اذا رأى من يتناول مال غيره فعليه
ان يشهد به مراعاة لحق المشهود عليه فاما اذا رآه يخفي مالا لنفسه فذكره فهو نميمة وافشاء السر فان
كان ما ينم به نقصانا وعيبا في المحكي عنه كان قد جمع بين الغيبة والنميمة والباعث على النميمة اما ارادة
السوء للمحكي عنه او اظهار الحب للمحكي له او التفرج بالحديث او الخوض في الفضول وكل من حملت اليه النميمة
وقيل ان فلانا قال فيك كذا وكذا او فعل فيك كذا وكذا وهو يدبر في افساد امرك او في ممالاة عدوك او تقبيح
حالك او ما يجري مجراه فعليه ستة امور **الاول** ان لا يصدقه لان النمام فاسق وهو مردود الشهادة قال الله تعالى
ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة الاية **والثاني** ان ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح
له فعله قال الله تعالى وأمر بالمعروف وانه عن المنكر **والثالث** ان يبغضه في الله فانه بغيض عند
الله تعالى ويجب بغض من يبغضه الله تعالى **الرابع** ان لا تظن باخيك الغائب السوء لقوله تعالى يا ايها الذين امنوا
اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم الاية **الخامس** ان لا يحملك ما حكي لك على التجسس والبحث
لتحقق لقوله تعالى ولا تجسسوا **السادس** ان لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه فلا تحكي نميمته فتقول فلان قد حكى
كذا وكذا فتكون به نماما ومغتابا وقد اتيت بما نهيت عنه **وقد روي** عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى
انه دخل عليه رجل فذكر عنده عن رجل شيئا فقال عمر ان شئت نظرنا في امرك فان كنت كاذبا فانت من اهل هذه
الاية ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا وان كنت صادقا فانت من اهل هذه الاية هماز مشاء بنميم وان شئت
عفونا عنك فقال العفو يا امير المؤمنين لا اعود اليه ابدا **وروي** ان حكيما من الحكماء زاره بعض اخوانه
واخبره بخبر عن غيره فقال له قد ابطأت في الزيارة واتيتني بثلاث جنايات بغضت الي اخي وشغلت قلبي الفارغ
واتهمت نفسك الامينة **وروي** ان الخليفة سليمان بن عبد الملك كان جالسا وعنده الزهري فجاءه رجل
فقال له سليمان بلغني انك وقعت في وقلت كذا وكذا فقال الرجل ما فعلت ولا قلت فقال سليمان ان الذي اخبرني
صادق فقال الزهري النمام لا يكون صادقا فقال سليمان صدقت اذهب بسلام **وقال** الحسن من نم
اليك نم عليك وهذه اشارة الى ان النمام يجب ان يبغض ولا يصدق ولا يوثق بصداقته وكيف لا يبغض
وهو لا ينفك من الكذب والغيبة [illegible] والنفاق والافساد بين الناس والخديعة
وهو ممن يسعى في قطع ما امر الله به ان يوصل قال الله تعالى ويقطعون ما امر الله به ان يوصل
ويفسدون في الارض الاية **وقال** الله تعالى انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض
بغير الحق والنمام منهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان من شرار الناس من اتقاه الناس لشره والنمام
منهم **وقال** لا يدخل الجنة قاطع قيل وما قاطع قال قاطع بين الناس وهو النمام وقيل قاطع الرحم **وروي**
عن علي رضي الله عنه ان رجلا اتاه يسعى اليه برجل فقال يا هذا نحن نسأل عما قلت فان كنت صادقا مقتناك

وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت ان نقيلك اقلناك قال اقلني يا امير المؤمنين **وقيل** لمحمد بن كعب
القرظي رحمة الله عليه اي خصال المؤمن اوضع له قال كثرة الكلام وافشاء السر وقبول كل احد وقال رجل
لعبد الله بن عامر وكان اميرا بلغني ان فلانا اعلم الامير اني ذكرته بالسوء قال قد كان ذلك قال فاخبرني
بما قال لك حتى اظهر كذبه عندك قال ما احب ان اشتم نفسي بلساني حسبي اني لم اصدقه فيما قال ولا اقطع
عنك الوصال وذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال ما ظنك بقوم يحمد الصدق من كل طائفة من الناس
الا منهم **وقال** مصعب بن الزبير نحن نرى ان قبول السعاية شر من السعاية لان السعاية دلالة
والقبول اجازة وليس من دل على شيء واخبر به كمن قبله واجازه فاتقوا الساعي فلو كان في قوله صادقا لكان في
صدقه اثما حيث لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة والسعاية هي النميمة الا انها اذا كانت الى من يخاف جانبه سميت
سعاية **وقد** قال النبي صلى الله عليه وسلم الساعي بالناس الى الناس لغير رشدة يعني ليس بولد حلال
ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فاستأذن في الكلام وقال اني مكلمك بكلام يا امير المؤمنين فاحتمله وان
كرهته فان وراءه ما تحب ان قبلته قال قل قال يا امير المؤمنين انه قد اكتنفك رجال ابتاعوا دنياك بدينهم
ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه ولا تصخ اليهم فيما
استحفظك الله اياه فانهم لن يألوا الامة الا خسفا والامانة الا تضييعا والاعراض الا قطعا وان اعلى قربهم
البغي والنميمة واجل وسائلهم الغيبة والوقيعة وانت مسؤول عما اجترموا وليسوا مسؤولين عما اجترحت فلا
تصلح دنياهم بفساد آخرتك فان اعظم الناس غبنا بائع آخرته بدنيا غيره وسعى رجل بزياد الاعجم الى سليمان
بن عبد الملك فجمع بينهما للموافقة فاقبل زياد على الرجل يقول **شعر**

فانت امرؤ اما ائتمنتك خاليا ... فخنت واما قلت قولا بلا علم
فانت من الامر الذي كان بيننا ... بمنزلة بين الخيانة والاثم

وقال رجل لعمرو بن عبيد ان الاسواري لا يزال يذكرك في قصصه بشر فقال له عمرو يا هذا ما رعيت حق
مجالسة الرجل حين نقلت الينا حديثه ولا اديت حقي حين اعلمتني عن اخي ما اكره ولكن اعلمه ان الموت يعمنا والقبر يضمنا
والقيامة تجمعنا والله تعالى يحكم بيننا وهو خير الحاكمين ورفع بعض السعاة الى الصاحب بن عباد رقعة نبه فيها على مال يتيم يحمله على
اخذه لكثرته فكتب على ظهرها السعاية قبيحة وان كانت صحيحة والميت رحمه الله واليتيم جبره الله والمال ثمره الله
والساعي لعنه الله **وقال لقمان** عليه السلام لابنه يا بني اوصيك بخلال ان تمسكت بهن لم تزل سيدا
ابسط خلقك للقريب والبعيد وامسك جهلك عن الكريم واللئيم واحفظ اخوانك وصل اقاربك وآمنهم
من قبول ساع او سماع باغ يريد افسادك ويروم خداعك وليكن اخوانك من اذا فارقتهم وفارقوك لم
تعبهم ولم يعيبوك **وقال بعضهم** لو صح ما نقله النمام اليك لكان هو المجترئ بالشتم عليك والمنقول عنه
اولى بحلمك لانه لم يقابلك بشتمك فعل الجاهل ونشر النمام عظيم عيب لو توقاه **وقال حماد** بن سلمة رحمة
الله عليه باع رجل عبدا وقال للمشتري ما فيه عيب الا النميمة قال رضيت فاشتراه فمكث الغلام اياما ثم
قال لزوجة مولاه ان زوجك لا يحبك وهو يريد ان يتسرى عليك فخذي الموسى واحلقي شعرات من قفاه عند
نومه حتى اسحر عليها حتى يحبك وقال للزوج ان امرأتك اتخذت خليلا وتريد ان تقتلك فتناوم لها حتى
تعرف ذلك فتناوم فجاءت المرأة بالموسى فظن انها تقتله فقام فقتلها فجاء اهل المرأة فقتلوا الزوج فوقع القتال بين
القبيلتين وطال الامر بينهم **الآفة السابعة عشر كلام ذي اللسانين**
الذي يتردد بين المتعاديين ويكلم كل واحد بكلام يوافقه وقل ما يخلو عنه من يشاهد متعاديين وذلك عين
النفاق **وقال** عمار بن ياسر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له وجهان
في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة **وقال** ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه

تجدون من شر عباد الله يوم القيمة ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بحديث وهؤلاء بحديث وفي لفظ هؤلاء بوجه
وهؤلاء بوجه وقال ابو هريرة رضي الله عنه لا ينبغي لذي الوجهين ان يكون امينا عند الله تعالى وقال
مالك بن دينار رحمة الله عليه قرأت في التوراة بطلت الامانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين
يهلك الله تعالى يوم القيمة كل شفتين مختلفتين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابغض خليقة الله تعالى
يوم القيمة الكذابون والمستكبرون والذين يكثرون البغضاء لاخوانهم في صدورهم فاذا لقوهم تملقوهم والذين
اذا دعوا الى الله ورسوله كانوا بطاء واذا دعوا الى الشيطان وامره كانوا سراعا وقال عبد الله بن
مسعود رضي الله عنه لا يكون احدكم امعة قالوا وما الامعة قال الذي يجري مع كل ريح واتفقوا على ان ملاقات
الاثنين بوجهين نفاق وللنفاق علامات كثيرة وهذه من جملتها وقد روي ان رجلا من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فلم يصل عليه حذيفة بن اليماني رضي الله عنه فقال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه يموت رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تصلي عليه فقال يا امير المؤمنين انه منهم فقال
انشدتك بالله انا منهم ام لا قال اللهم لا ولا اومن منها احدا بعدك فان قلت فبماذا يصير الرجل ذا
لسانين وما حد ذلك فاقول اذا دخل على متعاديين وجامل كل واحد منهما وكان صادقا فيه لم يكن
منافقا ولا ذا لسانين فان الواحد قد يصادق متعاديين ولكن صداقة ضعيفة لا تنتهي الى حد الاخوة اذ
لو تحققت الصداقة لاقتضت معادات الاعداء كما ذكرنا في كتاب الصحبة والاخوة نعم لو نقل كلام
كل واحد الى الاخر فهو ذو لسانين وذلك شر من النميمة اذ يصير نماما بان ينقل من احد الجانبين وان
لم ينقل كلاما ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعاداة مع صاحبه فهو ذو لسانين وكذلك اذا وعد كل
واحد منهما بانه ينصره وكذلك اذا اثنى على كل واحد منهما في معاداته وكذلك اذا اثنى على احدهما وكان اذا خرج
من عنده يذمه فهو ذو لسانين بل ينبغي ان يسكت او يثني على المحق من المتعاديين ويثني في حضوره وفي
غيبته وبين يدي عدوه قيل لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما انا ندخل على امرائنا فنقول القول فاذا خرجنا
قلنا غيره قال كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا نفاق مهما كان مستغنيا عن الدخول
على الامير وعن الثناء ولو استغنى عن الدخول ولكن اذا دخل يخاف ان لم يثن فهو نفاق لانه الذي احوج
نفسه اليه ولو كان يستغني عن الدخول لو قنع بالقليل وترك المال والجاه فدخل لضرورة المال والجاه والغنى
واثنى فهو منافق وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم حب المال والجاه ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء
البقلة لانه يحوج الى الامراء والى مراعاتهم ومراءاتهم واما اذا ابتلي به لضرورة وخاف ان لم يثن فهو معذور
لان اتقاء الشر جائز قال ابو الدرداء رضي الله عنه انا لنبش في وجوه اقوام وقلوبنا تلعنهم قالت
عائشة رضي الله عنها استاذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فبئس رجل العشيرة فلما
دخل عليه اقبل عليه فراجعه فلما خرج قالت عائشة قد قلت بئس رجل العشيرة ثم النت له القول فقال
يا عائشة ان شر الناس من يكرم اتقاء شره ولكن هذا ورد في الاقبال والتبسم فاما الثناء فهو كذب
صريح فلا يجوز الا لضرورة او اكراه يباح الكذب بمثله كما ذكرنا في افة الكذب بل لا يجوز الثناء ولا التصديق
وتحريك الرأس في معرض التقرير على كل كلام باطل فان فعل ذلك فهو منافق بل ينبغي ان ينكر فان لم
يقدر فيسكت بلسانه وينكر بقلبه **الافة الثامنة عشر المدح** وهو منهي عنه في بعض
المواضع اما الذم فهو الغيبة والوقيعة وقد ذكرنا حكمها والمدح يدخله ست افات اربع في
المادح واثنتان في الممدوح فاما المادح فقد يفرط فينتهي به الى الكذب قال خالد بن معدان
من مدح اماما او واحدا بما ليس فيه على رؤس الاشهاد بعثه الله يوم القيمة يتعثر بلسانه الثانية

انه قد يدخله الرياء فانه بالمدح يظهر الحب وقد لا يكون مضمرا له ولا معتقدا لجميع ما يقوله فيصير به مرائيا
منافقا الثالث انه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له الى الاطلاع عليه وروي ان رجلا مدح رجلا
عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ويحك قطعت عنق صاحبك ثم قال ان كان احدكم لا بد مادحا اخاه
فليقل احسب فلانا ولا ازكي على الله احدا حسيبه الله ان كان يرى انه كذلك وهذه الافة تتطرق الى المدح بالاوصاف
المطلقة التي تعرف بالادلة كقوله انه متق وورع وزاهد وخير وما يجري مجراه اما اذا قال رايته يصلي الليل
ويتصدق ويحج فهذه امور مستيقنة ومن ذلك قوله انه عدل رضي فان ذلك خفي فلا ينبغي ان يجزم
القول به الا بعد خبرة باطنة وسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا يثني على رجل فقال اسافرت معه
قال لا قال اخالطته قال لا قال والله الذي لا اله الا هو لا تعرفه الرابعة انه قد يفرح الممدوح وهو ظالم
فاسق وذلك غير جائز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يغضب من مدح الفاسق وقال الحسن رحمه
الله عليه من دعا لظالم بالبقا فقد احب ان يعصى الله تعالى والظالم الفاسق ينبغي ان يذم ليغتم ولا يمدح فيفرح
واما الممدوح فيضره من وجهين احدهما انه يحدث فيه كبرا واعجابا وهما مهلكتان قال الحسن كان عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه قاعدا ومعه الدرة والناس حوله اذ اقبل الجارود فقال رجل هذا سيد ربيعة
فسمعها عمر ومن حوله وسمعها الجارود فلما دنا منه خفقه بالدرة فقال ما لي ولك يا امير المؤمنين قال ما لي
ولك اما لقد سمعتها قال فمه قال خشيت ان يخالط قلبك منها شيء فاحببت ان اطاطي منك الثاني هو انه
اذا اثني عليه بالخير فرح وفتر ورضي من نفسه ومن اعجب بنفسه قل تشمره وانما يتشمر للعمل من يرى نفسه
مقصرا فاما اذا انطلقت الالسنة بالثناء عليه ظن انه قد ادرك ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم قطعت
عنق صاحبك لو سمعها ما افلح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مدحت اخاك في وجهه فكانما امررت
على حلقه موسى وميضا وقال ايضا عليه السلام لمن مدح رجلا عقرت الرجل عقرك الله وقال مطرف
ما سمعت ثناء ولا مدحة الا تصاغرت الي نفسي وقال زياد بن اسلم ليس احد يسمع ثناء عليه او مدحة الا
تراءى له الشيطان ولكن المؤمن يراجع قال عبد الله بن المبارك رحمه الله لقد صدقا كلاهما اما ما ذكره
زياد بن اسلم فذلك قلب العوام واما ما ذكره مطرف فذلك قلب الخواص وقال النبي صلى الله عليه وسلم لو مشى
رجل الى رجل بسيف مرهف كان خيرا له من ان يثني عليه في وجهه وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه
المدح الذبح وذلك لان المذبوح هو الذي يفتر عن العمل والمدح يوجب الفتور ولان المدح يورث الكبر والعجب
وهما مهلكان كالذبح فلذلك شبهه به فان سلم المدح من هذه الافات في حق المادح والممدوح لم يكن به باس
بل ربما كان مندوبا اليه ولذلك اثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحابة حتى قال لو وزن ايمان ابي بكر
بايمان العالمين لرجح وقال في عمر رضي الله عنه لو لم ابعث لبعثت يا عمر واي ثناء يزيد على هذا ولكنه قال عن
صدق وبصيرة وكانوا اجل رتبة من ان يورثهم ذلك كبرا وعجبا وفتورا بل مدح الرجل نفسه قبيح لما فيه
من الكبر والتفاخر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر اي لست اقول هذا تفاخرا
كما يقصده الناس بالثناء على انفسهم وذلك لان افتخاره كان بالله وبالقرب من الله لا بولد ادم وتقدمه عليهم
كما ان المقبول عند الملك قبولا عظيما انما يفتخر له بقبوله اياه وبه يفرح لا بتقدمه على بعض رعاياه وبتفصيل
هذه الافات تقدر على الجمع المدح والحث عليه اذ قال النبي صلى الله عليه وسلم وجبت لما اثنوا على بعض الموتى
وقال مجاهد رحمة الله عليه ان لبني ادم جلساء من الملائكة فاذا ذكر الرجل اخاه المسلم بخير قالت الملائكة
ولك مثله واذا ذكره بسوء قالت الملائكة يا ابن ادم المستور عورته اربع على نفسك واحمد الله الذي ستر
عورتك فهذه افات المدح **بيان ما على الممدوح** اعلم ان الممدوح ينبغي ان يكون شديد الاحتراز
عن افة الكبر والعجب وافة الفتور ولا ينجو منه الا بان يعرف نفسه ويتأمل في خطر الخاتمة ودقائق الرياء

وافات الاعمال والله يعرف من نفسه ما لا يعرفه المادح ولو انكشف له جميع اسراره وما يجري على خواطره
لكف المادح عن مدحه وعليه ان يظهر كراهة المدح باذلال المادح واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم
احثوا التراب في وجوه المداحين **وقال** سفين بن عيينة رحمه الله لا يضر المدح من عرف نفسه واثنى
رجل على بعض الصالحين فقال اللهم ان هؤلاء لا يعرفوني وانت تعرفني وقال اخر لما اثني عليه اللهم ان عبدك
هذا تقرب الي بمقتك وانا اشهدك على مقته **وقال** ابوبكر لما اثني عليه اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا
تؤاخذني بما يقولون واجعلني خيرا مما يظنون واثنى رجل على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال اتهلكني
وتهلك نفسك واثنى رجل على علي رضي الله عنه وكان قد بلغه انه وقع فيه فقال انا دون ما قلت
وفوق ما في نفسك

الآفة التاسعة عشر في الغفلة عن دقائق الخطا في فحوى الكلام

لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بامور الدين فلا يقدر على تقويم اللفظ في امور الدين الا الفصحاء
فمن قصر في علم او فصاحة لم يخل كلامه عن الزلل لكن الله تعالى يعفو عنه لجهله **مثاله** ما قال حذيفة رضي
الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم ما شاء الله وشئت ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت وذلك
لان في العطف المطلق تشريكا وتسوية وهو على خلاف الاحترام **وقال** عبد الله بن عباس رضي الله عنه
جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه في بعض الامر فقال ما شاء الله وشئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اجعلتني لله عديلا ما شاء الله وحده وخطب رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله
فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وكره قوله ومن يعصهما
لانه تسوية وجمع وكان ابرهيم يكره ان يقول الرجل اعوذ بالله وبك ويجوز ان يقول اعوذ بالله ثم بك
وان يقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله وفلان وكره بعضهم ان يقول اللهم اعتقنا من النار ويقول
العتق بعد الورود وكانوا يستجيرون من النار ويتعوذون من النار **وقال** رجل اللهم
اجعلني ممن تصيبه شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فقال حذيفة ان الله تعالى يغني المؤمنين عن شفاعة
محمد عليه السلام وتكون شفاعته للمذنبين من المسلمين **وقال** ابرهيم اذا قال الرجل للرجل يا حمار يا خنزير
قيل له يوم القيامة حمارا رأيتني خلقته خنزيرا رأيتني خلقته وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه ان احدكم ليشرك
حتى يشرك بكلبه يقول لولاه لسرقنا الليلة **وقال** عمر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم قال عمر والله ما حلفت بها مذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسموا العنب الكرم انما الكرم الرجل المسلم **وقال** ابو هريرة
رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم عبدي وامتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم
اماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي ولا يقول المملوك ربي وربتي ولكن يقول سيدي
وسيدتي وكلكم عبيد والرب الله تعالى **وقال** رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال انا بريء من الاسلام
فان كان صادقا فلن يرجع الى الاسلام وان كان كاذبا فهو كما قال وقال النبي صلى الله عليه وسلم
لا تقولوا للمنافق سيدنا فانه ان يكن سيدكم فقد اسخطتم ربكم فهذا وامثاله مما يدخل في الكلام ولا يمكن
حصره ومن تامل جميع ما اوردناه من آفات اللسان علم انه اذا اطلق لسانه لم يسلم وعند ذلك يعرف
سر قوله صلى الله عليه وسلم من صمت نجا لان هذه الآفات كلها مهالك ومعاطب وهي على طريق المتكلم فان
سكت سلم من الكل وان تكلم خاطر بنفسه الا ان يوفقه لسان فصيح وعلم غزير وورع حافظ ومراقبة
لازمة ويقلل في الكلام فعساه يسلم عند ذلك وهو مع جميع ذلك لا ينفك عن الخطر فان كنت لا تقدر
ان تكون ممن تكلم فغنم فكن ممن سكت فسلم فالسلامة احدى الغنيمتين

الآفة العشرون

سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف وانها قديمة او حادثة وحقهم الاشتغال
بالعمل بما في القرآن الا ان ذلك ثقيل على النفوس والفضول خفيف على القلوب والعامي يفرح بان يخوض في العلم اذ الشيطان
يخيل اليه انك من العلماء واهل الفضل ولا يزال يحبب اليه ذلك حتى يتكلم بما هو كفر وهو لا يدري وكل كبيرة يرتكبها العامي فهو اسلم له
من ان يتكلم في العلم لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته وانما شان العوام الاشتغال بالعبادات والايمان بما ورد به القرآن والتسليم
لما جاء به الرسل من غير بحث وسؤالهم عن غير ما يتعلق بالعبادات سوء ادب منهم يستحقون به المقت من الله عز وجل ويتعرضون
لخطر الكفر وهو كسؤال ساسة الدواب عن اسرار الملوك وهو موجب للعقوبة وكل من يسال عن علم غامض ولم يبلغ
فهمه تلك الدرجة فهو مذموم فانه بالاضافة اليه عامي **قال** رسول الله صلى الله عليه وسلم ذروني ما تركتكم
فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما امرتكم به فأتوا منه ما
استطعتم **وقال** انس بن مالك رضي الله عنه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اكثروا عليه
واغضبوه فصعد المنبر وقال سلوني ولا تسالوني عن شيء الا انبأتكم به فقام اليه رجل وقال يا رسول الله من ابي
فقال حذافة فقام اليه شابان فقالا من ابونا فقال ابوكما الذي تدعيان اليه ثم قام اليه رجل فقال يا رسول الله افي الجنة انا ام في النار
في النار فلما رأى الناس غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم امسكوا فقام اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه
فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا فقال اجلس يرحمك الله انك ما علمت لموفق وفي
الحديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القيل والقال واضاعة المال **وقال** رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقولون هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله فاذا قالوا ذلك فقولوا قل هو
الله احد حتى تختموا السورة ثم ليتفل احدكم عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم **وقال**
جابر رضي الله عنه ما نزلت آية التلاعن الا لكثرة السؤال وفي قصة موسى والخضر تنبيه على المنع
من السؤال قبل اوان استحقاقه اذ قال فان اتبعتني فلا تسالني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا فلما سال
عن السفينة انكر عليه حتى اعتذر وقال لا تؤاخذني بما نسيت فلم يصبر حتى سال ثلاثا قال هذا فراق بيني وبينك
وفارقه فسؤال العوام عن غامض الدين من اعظم الآفات وهي من المثيرات للفتن فيجب زجرهم ومنعهم
في حروف القرآن يضاهي اشتغال من كتب اليه الملك كتابا يرسم فيه امورا فلم يشتغل بشيء منه وضيع زمانه
في ان قرطاس الكتاب عتيق او حديث فاستحق به العقوبة لا محالة فكذا تضييع العامي حدود القرآن واشتغاله
بحروفه سؤاله انها قديمة او حادثة وكذا سائر صفات الله تعالى وقد نجز القول في كتاب آفات اللسان

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي لا يتكل الا على عفوه ورحمته الراجون ولا يحذر سوء غضبه وسطوته
الا الخائفون الذي استدرج عباده من حيث لا يعلمون وسلط عليهم الشهوات وامرهم بترك ما يشتهون
وابتلاهم بالغضب وكلفهم كظم الغيظ فيما يغضبون وحفهم بالمكاره واللذات واملى لهم لينظر كيف يعملون
وامتحن بذلك حبهم ليعلم صدقهم فيما يدعون وعرفهم انه لا يخفى عليه شيء مما يسرون وما يعلنون وحذرهم
ان ياخذهم بغتة وهم لا يشعرون فقال تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون
توصية ولا الى اهلهم يرجعون والصلاة على رسوله الذي يسير تحت لوائه النبيون وعلى اصحابه الذين
هم الائمة المهديون والسادة المرضيون صلاة يوازي عددها عدد ما كان من خلق الله وما سيكون
ويحظى ببركتها الاولون والآخرون **اما بعد** فان الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله
الموقدة الا انها لا تطلع الا على الافئدة وانها لمستكنة في طي الفؤاد استكنان الجمر تحت الرماد ويستخرجها
الكبر الدفين من قلب كل جبار عنيد كما يستخرج الحجر النار من الحديد وقد انكشف للناظرين بنور اليقين
ان الانسان ينزع منه عرق الى الشيطان اللعين فمن استفزته نار الغضب فقد قويت فيه

قرأنه الشيطان حيث قال خلقتني من نار وخلقته من طين فان شان الطين السكون والوقار وشان النار التلظي والاستعار والحرقة والاضطراب ومن نتايج الغضب الحقد والحسد وبهما هلك من هلك وفسد من فسد ومفيضهما مضغة اذا صلحت صلح بها ساير الجسد واذا كانت نار الحقد والحسد والغضب مما يسوق العبد الى مواطن العطب فما احوجه الى معرفة معاطبه ومساويه ليحذرها ويتقيه ويميطه عن القلب ان كان وينفيه ويعالجه ان رسخ في قلبه ويداويه فان من لا يعرف الشر يقع فيه ومن عرفه فالمعرفة لا تكفيه ما لم يعرف الطريق الذي به يدفع الشر ويقصيه ونحن نذكر ذم الغضب وافات الحقد والحسد في هذا الكتاب ويجمعها بيان ذم الغضب ثم بيان حقيقة الغضب ثم بيان ان الغضب هل يمكن ازالة اصله بالرياضة ام لا ثم بيان الاسباب المهيجة للغضب ثم بيان علاج الغضب بعد هيجانه ثم بيان فضيلة كظم الغيظ ثم بيان فضيلة الحلم ثم بيان ا القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام ثم القول في معنى الحقد ونتايجه وفضيلة العفو والرفق ثم القول في ذم الحسد وحقيقته واسبابه ومعالجته وغاية الواجب في ازالته ثم بيان السبب في كثرة الحسد بين الامثال والاقران والاخوة وبني العم والاقارب وتاكيده وقلته في غيرهم وضعفها ثم بيان الدوا الذي به ينفي مرض الحسد عن القلب ثم بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب

بيان ذم الغضب

قال الله تعالى اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المومنين ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل ومدح المومنين بما انزل عليهم من السكينة **وروي** رضي الله عنه ان رجلا قال يا رسول الله مرني بعمل واقلل قال لا تغضب ثم اعاد عليه القول فقال لا تغضب وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه سال رسول الله صم ماذا يبعدني من غضب الله تعالى قال لا تغضب **وعن** عبد الله بن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم ما تعدون الصرعة فيكم قلنا الذي لا تصرعه الرجال قال ليس ذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب **وقال** ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم من كف غضبه ستر الله عورته وقال سليمان بن داود عليهما السلام يا بني اياك وكثرة الغضب فان كثرة الغضب تستخف فواد الرجل الحليم **وعن** عكرمة في قوله تعالى وسيدا وحصورا قال السيد الذي لا يغلبه الغضب وقال يحيى لعيسى عليهما السلام لا تغضب قال لا استطيع ان لا اغضب انما انا بشر قال لا تقتني مالا قال هذا عسى وقال النبي صلى الله عليه وسلم الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل **وقال** النبي صلعم ما غضب احدكم الا اشفى على جهنم وقال رجل اي شي اشد قال غضب الله تعالى قال فما يبعدني من غضب الله قال لا تغضب **الاثار** قال الحسن يا ابن ادم كلما غضبت وثبت يوشك ان تثب وثبة فتقع في النار **وعن** ذي القرنين انه لقي ملكا من الملائكة فقال علمني علما ازداد به ايمانا ويقينا قال لا تغضب فان الشيطان اقدر ما يكون على ابن ادم حين يغضب فرد الغضب بالكظم وسكنه بالتوده واياك والعجلة فانك اذا عجلت اخطات حظك وكن سهلا لينا للقريب والبعيد ولا تكن جبارا عنيدا **وعن وهب** ابن منبه ان راهبا كان في صومعته فاراد الشيطان ان يضله فلم يستطع فجاءه حتى ناداه فقال له افتح فقال افتح فاني ان ذهبت ندمت فلم يلتفت اليه فقال اني انا المسيح فقال الراهب وان كنت المسيح فما اصنع بك اليس قد امرتنا بالعبادة والاجتهاد ووعدتنا القيمة فلو جيتنا اليوم بغيره لم نقبله منك فقال انه هو الشيطان وقد اردت ان اضلك فلم استطع فجيتك لتسالني عما شيت فاخبرك قال ما اريد ان اسالك عن شي قال فولى مدبرا فقال الراهب الا تسمع قال بلى قال اخبرني اي اخلاق بني ادم اعون لك عليهم

قال الحدة ان الرجل اذا الان حديدا قلبناه كما تقلب الصبيان الكرة وقال خيثمة يقول الشيطان كيف يغلبني ابن ادم واذا رضي جيت حتى اكون في قلبه واذا غضب طرت حتى اكون في راسه **وقال** جعفر بن محمد الصادق رض الغضب مفتاح كل شر **وقال** بعض الانصار راس الحمق الحدة وقايده الغضب ومن رضي بالجهل استغنى عن الحلم والحلم زين ومنفعة والجهل شين ومضرة والسكوت عن جواب الاحمق جوابه **وقال** مجاهد قال ابليس ما اعجزني بنو ادم فلن يعجزوني في ثلث اذا سكر احدهم اخذنا بخزامته فقدناه حيث شينا وعمل لنا بما احببنا واذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما يندم ونبخله بما في يديه ونمنيه بما لا يقدر عليه وقيل لحكيم ما املك فلانا لنفسه قال اذا لا تذله الشهوة ولا يصرعه الهوى ولا يغلبه الغضب **وقال** بعضهم اياك والغضب فانه يصيرك الى ذلة الاعتذار وقيل اتقوا الغضب فانه يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل **وقال** عبد الله بن مسعود رض انظروا الى حلم الرجل عند غضبه وامانته عند طمعه وما علمك بحلمه اذا لم يغضب وما علمك بامانته اذا لم يطمع وكتب عمر بن عبد العزيز رض الى عامله لا تعاقب عند غضبك واذا غضبت على رجل فاحبسه فاذا سكن غضبك فاخرجه وعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا **وقال** علي بن زيد اغلظ رجل من قريش لعمر فاطرق عمر طويلا اردت ان يستفزني الشيطان لعز السلطان فانال منك اليوم ما تناله مني غدا **وقال** بعضهم اياك والغضب فانه يصيرك الى ذلة الاعتذار **وقيل** اتقوا الغضب فانه يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل **وقال** عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انظروا الى حلم الرجل عند غضبه وامانته عند طمعه وما علمك اذا لم يغضب وما علمك بامانته اذا لم يطمع **وكتب** عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الى عامله لا تعاقب عند غضبك واذا غضبت على رجل فاحبسه فاذا سكن غضبك فاخرجه وعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا **وقال** علي بن زيد اغلظ رجل من قريش فاطرق عمر طويلا ثم قال اردت ان يستفزني الشيطان لعز السلطان فانال منك اليوم ما تناله مني غدا **وقال** بعضهم لابنه يا بني لا يثبت العقل عند الغضب كما لا تثبت روح الحي في التنانير المسجورة فاقل الناس غضبا اعقلهم فان كان للدنيا كان دهاء ومكرا وان كان للاخرة كان علما وحلما **وقد قيل** الغضب عدو العقل والغضب غول العقل **وكان** عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا خطب في خطبته افلح منكم من حفظ من الهوى والطمع والغضب **وقال** بعضهم من اطاع غضبه وشهوته قاده الى النار **وقال** الحسن من علامات المسلم قوة في دين وحزم في لين وايمان في يقين وعلم في حلم وكيس في رفق واعطا في حق وقصد في غنا وتجمل في فاقة واحسان في قدرة وصبر في شدة لا يغلبه الغضب ولا تجمح به الحمية ولا تغلبه شهوة ولا يفضحه بطنه ولا يستخفه حرصه ولا تقصر به نيته ينصر المظلوم ويرحم الضعيف ولا يبخل ولا يبذر ولا يسرف ولا يقتر يغفر اذا ظلم ويعفو عن الجاهل نفسه منه في عنا والناس منه في رخا **وقيل** لعبد الله بن المبارك رحمة الله عليه اجمل حسن الخلق في كلمة **وقال** ترك الغضب وقال نبي من الانبيا عليهم السلام لمن معه من يتكفل لي ان لا يغضب ويكون معي في درجتي ويكون بعدي خليفتي **فقال** شاب من القوم انا ثم اعاد عليه فقال الشاب انا ووفى به فلما مات كان في منزلته بعده وهو ذو الكفل سمي به لانه تكفل بالغضب ووفى به **وقال** وهب بن منبه رحمة الله عليه للكفر اربعة اركان الغضب والشهوة والخوف والطمع

بيان حقيقة الغضب

اعلم ان الله تعالى لما خلق الحيوان معرضا للفساد والموتان باسباب داخلة في بدنه واسباب خارجة منه انعم عليه بما يحميه من الفساد ويدفع عنه الهلاك الى اجل معلوم سماه في كتابه **اما السبب** الداخل فهو انه ركبه من الرطوبة والحرارة وجعل بين الرطوبة والحرارة عداوة ومضادة فلا تزال الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها وتبخرها حتى تصير اجزاوها بخارا متصاعدا منها فلو لم يتصل بالرطوبة مدد من الغذا يجبر ما انحل وتبخر من اجزايها لفسد الحيوان فخلق الله تعالى الغذا الموافق لبدن الحيوان وخلق في الحيوان شهوة تبعثه على تناول الغذا كالموكل به في جبر ما انكسر وسد ما انثلم ليكون ذلك حافظا له من الهلاك بهذا السبب

واما الاسباب الخارجة التي يتعرض لها الانسان فكالسيف والسنان وسائر المهلكات التي يقصد بها
كالمفتقر الى حصن وجنة تنور من باطنه بدفع المهلكات عنه فخلق الله الغضب من النار وغرزه في الانسان
وعجنه بطينته فمهما قصد في غرض من اغراضه ومقصود من مقاصده اشتعل نار الغضب وثار ثورانا
يغلي به دم القلب وينتشر في العروق ويرتفع الى اعالي البدن كما ترتفع النار وكما يرتفع الما الذي يغلي في القدر
فلذلك ينصب الى الوجه والعين والبشرة لصفائها فتحكي لون ما وراها من حمرة الدم كما تحكي الزجاجة لون ما
فيها وانما ينبسط الدم اذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه فان صدر الغضب على من فوقه وكان
معه ياس من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد الى جوف القلب وصار حزنا ولذلك يصفر
اللون وان كان على نظير يشك في الانتقام وانما يتوجه هذه القوه ومعناها غليان دم القلب لطلب الانتقام
منه تولد منه تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب وبالجمله فقوة الغضب محلها القلب
ومعناها غليان دم القلب لطلب الانتقام وانما تتوجه هذه القوه عند ثورانها الى دفع الموذيات قبل وقوعها
والى التشفي والانتقام بعد وقوعها والانتقام قوت هذه القوه وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن الا به ثم الناس
في هذه القوه على درجات ثلاثة في اول الفطره من التفريط والافراط والاعتدال اما التفريط فبفقد
هذه القوه او ضعفها وذلك مذموم وهو الذي يقال فيه انه لا حمية له ولذلك قال الشافعي رحمة الله تعالى عليه
من استغضب فلم يغضب فهو حمار فمن فقد قوة الحمية اصلا والغضب اصلا فهو ناقص جدا وقد وصف
الله تعالى الصحابه بالشده والحمية فقال عز وجل اشداء على الكفار رحماء بينهم وقال للنبي
يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وانما الغلظة والشدة من اثار قوة الحمية وهو الغضب
واما الافراط فهو ان تغلب هذه الصفه عليه حتى تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعتهما ولا يبقى
للمرء معه بصيرة ونظر وفكرة ولا اختيار بل يصير في صورة المضطر وسبب غلبته امور غريزية وامور
اعتيادية فرب انسان هو بالفطره مستعد لسرعة الغضب حتى كان صورته في الفطره صورة غضبان
ويعين على ذلك حرارة مزاج القلب لان الغضب من النار كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فبرودة المزاج تطفيه وتكسر سورته واما الاسباب الاعتياديه فهو ان يخالط قوما يتبجحون
بتشفي الغيظ ويسمون ذلك شجاعه ورجوليه فيقول الواحد منهم انا الذي لا اصبر على المحال ولا احتمل
من احد امرا ومعناه لا عقل لي ولا حلم ثم يذكره في معرض الفخر بجهله فمن سمعه رسخ في نفسه
حسن الغضب وحب التشبه بالقوم فيقوى به الغضب ومهما اشتدت نار الغضب وقوي اضطرامها
اعمى صاحبه واصمه عن كل موعظة فاذا وعظ لم يسمع بل زاده غضبا وان استضاء بنور عقله وراجع
نفسه لم يقدر على ذلك اذ ينطفي نور العقل وينمحي في الحال بدخان الغضب فان معدن الفكر الدماغ
ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان الى الدماغ مظلم يستولي على معادن الفكر
وربما يتعدى الى معادن الحس فتظلم عينه حتى لا يرى بعينه وتسود عليه الدنيا باسرها ويكون دماغه
على مثال كهف اضرمت فيه نار فاسود جوه وحمي مستقره وامتلا بالدخان جوانبه فكان فيه سراج ضعيف
فانمحى وانطفى نوره فلا يثبت فيه قدم ولا يسمع فيه كلام ولا يرى فيه صورة ولا يقدر على اطفايه من داخل
ولا من خارج بل ينبغي ان يصبر الى ان يحترق جميع ما يقبل الاحتراق فكذلك يفعل الغضب بالقلب
والدماغ وربما تقوى نار الغضب فتفني الرطوبه التي بها حياة القلب فيموت صاحبه غيظا كما تقوى النار
التي في الكهف فيتشقق وينهد اعاليه على اسافله وذلك لابطالها ما في جوانبها من القوة الممسكة الجامعه
لاجزايها فهكذا حال القلب مع الغضب وبالحقيقه فالسفينه في ملتطم الامواج عند اضطراب الرياح في لجة
البحر احسن حالا وارجى سلامة من النفس المضطربة غيظا اذ في السفينة من يحتال لتسكينها
وتدبيرها وينظر لها ويسوسها واما القلب فهو صاحب السفينه وقد سقطت حيلته اذ اعماه الغضب

واصمه ومن اثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة في الاطراف وخروج الافعال عن الترتيب والنظام واضطراب
الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الاشداق وتحمر الاحداق وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة ولو رأى الغضبان في حال
الغضب قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته واستحالة خلقته وقبح باطنه اعظم من قبح ظاهره
فان الظاهر عنوان الباطن وانما قبحت صورة الباطن اولا ثم انتشر قبحها الى الظاهر ثانيا وتغير الظاهر ثمرة
تغير الباطن فقس الثمرة بالمثمرة فهذا اثره في الجسد واما اثره في اللسان فانطلاقه بالشتم
وقبائح الكلام الذي يستحيي منه ذو العقول ويستحيي منه قائله عند فتور الغضب وذلك مع تخبط
النظم واضطراب اللفظ واما اثره على الاعضاء فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن من
غير مبالاة فان هرب منه المغضوب عليه او فاته بسبب وعجز عن التشفي رجع الغضب على صاحبه فيمزق
ثوب نفسه ويلطم وجهه وقد يضرب يده على الارض ويعدو عدو الواله السكران والمدهوش المتحير
وربما يسقط سريعا لا يطيق العدو والنهوض لشدة الغضب ويعتريه مثل الغشية وربما يضرب الجمادات
والحيوانات فيضرب القصعه على الارض وقد يكسر المائدة اذا غضب عليها ويتعاطى افعال المجانين فيشتم
البهيمه والجماد ويخاطبه ويقول الى متى منك يا كيت وكيت كانه يخاطب عاقلا حتى ربما رفسته الدابة فيرفس
الدابه ويقابلها به واما اثره في القلب مع المغضوب عليه فالحقد والحسد واضمار السوء والشماته بالمساءات
والحزن بالسرور والعزم على افشاء السر وهتك الستر والاستهزاء وغير ذلك من القبائح فهذه ثمرة الغضب
المفرط واما ثمرة الحمية الضعيفه فقلة الانفه مما يؤنف منه من التعرض للحرم والزوجه والامة واحتمال الذل
من الاخسا وصغر النفس والقماءة وهو ايضا مذموم اذ من ثمراته عدم الغيرة على الحرم وهو خنوثية وقال
النبي صلى الله عليه وسلم ان سعدا لغيور وانا اغير من سعد والله اغير مني وانما خلقت الغيرة لحفظ
الانساب ولو تسامح الناس بذلك لاختلطت الانساب ولذلك قيل كل امة وضعت الغيرة
في رجالها وضعت الصيانه في نسائها ومن ضعف الغضب الخور والسكوت عند مشاهدة المنكرات
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم خير امتي احداؤها يعني في الدين وقال الله تعالى ولا تاخذكم
بهما رافة في دين الله بل من فقد الغضب عجز عن رياضة نفسه عند الميل الى الشهوات الخبيثه فقد
الغضب المذموم حتى يغضب على نفسه مذموم وانما المحمود غضب ينتظر اشارة العقل والدين فينبعث حيث
تجب الحمية وينطفي حيث يحسن الحلم وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلف الله تعالى بها عباده
وهو الوسط الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال خير الامور اوسطها فمن مال غضبه الى الفتور
حتى احس من نفسه بضعف الغيرة وخسة النفس في احتمال الذل والضيم في غير محله فينبغي ان يعالج نفسه
حتى يقوى غضبه ومن مال غضبه الى الافراط حتى جره الى التهور واقتحام الفواحش فينبغي ان يعالج نفسه
لينقص من سورة الغضب ويقف على الوسط الحق بين الطرفين وهو الصراط المستقيم وهو ادق من الشعر واحد
من السيف فان عجز عنه فليطلب القرب منه قال الله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم
فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة فليس كل من عجز عن الاتيان بالخير كله ينبغي ان ياتي بالشر كله ولكن بعض الشر
اهون من بعض وبعض الخير ارفع من بعض فهذه حقيقة الغضب ودرجاته

بيان ان الغضب هل يمكن ازالة اصله بالرياضة ام لا

اعلم انه ظن ظانون انه يتصور محو الغضب بالكليه وزعموا ان
الرياضه اليه تتوجه واياه تقصد وظن اخرون انه لا يقبل العلاج اصلا وهذا راي من يظن ان
الخلق كالخلق وكلاهما لا يقبل التغيير وكلا الرايين ضعيف بل الحق فيه ما نذكره وهو انه ما بقي الانسان يحب
شيا ويكره شيا فلا يخلو عن الغيظ والغضب وما دام يوافقه شي ويخالفه اخر فلا بد وان يحب
ما يوافقه ويكره ما يخالفه والغضب يتبع ذلك فانه مهما اخذ منه محبوبه غضب لا محالة لان
ما يحبه الانسان ينقسم الى ثلاثة اقسام الاول ما هو ضروره في حق الكافة وهو القوت

والمسكن والملبس وصحة البدن فمن قصد بدنه بالضرب والجرح فلا بد وان يغضب وكذلك اذا اخذ منه ثوبه
الذي يستر عورته وكذلك اذا اخرج من داره التي هو مسكنه او اريق ماؤه الذي لعطشه فهذه ضرورات لا يخلو
الانسان من كراهة زوالها ومن غيظ على من يتعرض لها القسم الثاني ما ليس ضروريا لاحد من الخلق كالجاه
والمال الكثير والغلمان والدواب فان هذه الامور صارت محبوبة بالعادة والجهل بمقاصد الامور حتى صار الذهب
والفضة محبوبين في انفسهما فيكنزان ويغضب على من يسرقهما وان كان مستغنيا عنهما في القوت فهذا الجنس
مما يتصور ان ينفك الانسان عن اصل الغيظ عليه فاذا كانت له دار زائدة على مسكنه فهدمها ظالم فيجوز ان
لا يغضب اذ يجوز ان يكون بصيرا بامر الدنيا فيزهد في الزيادة على الحاجة ولا يغضب باخذها فانه لا يحب
وجودها ولو احب وجودها لغضب على الضرورة باخذها واكثر غضب الناس على ما هو غير ضروري كالجاه والصيت
والتصدر في المجالس والمباهاة بالعلم فمن غلب هذا الحب عليه فلا محالة يغضب اذا زاحمه مزاحم على
التصدر في المحافل ومن لا يحب ذلك ولا يبالي لو جلس في صف النعال فلا يغضب اذا جلس غيره فوقه وهذه
العادات الرديئة هي التي اكثرت محاب الناس ومكارههم واكثرت غضبهم منها وكلما كانت الارادات والشهوات
اكثر كان صاحبها احط درجة وانقص لان الحاجة صفة نقص فمهما كثرت الحاجة كثر النقص والجاهل ابدا
في ان يزيد في حاجاته وشهواته وهو لا يدري انه مستكثر من اسباب الغم والحزن حتى ينتهي بعض الجهال الاغبياء بالعادات
الرديئة ومخالطة قرناء السوء الى ان يغضب لو قيل له انك لا تحسن اللعب بالطيور واللعب بالشطرنج ولا تقدر على شرب
الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير وما يجري مجراه من الرذائل فالغضب على هذا الجنس ليس بضروري **القسم الثالث**
ما يكون ضروريا في حق بعض الناس دون بعض كالكتاب مثلا للعالم لانه مضطر اليه فيحبه فيغضب على من يحرقه ويغرقه وكذلك
ادوات الصناعات في حق المكتسب الذي لا يمكنه التوصل الى القوت الا بها فان ما هو وسيلة الى الضروري والمحبوب يصير ضروريا
ومحبوبا وهذا يختلف بالاشخاص وانما الحب الضروري ما اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله من اصبح
آمنا في سربه معافى في بدنه وله قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها **ومن** كان بصيرا بحقائق الامور وسلم له هذه الثلث
يتصور ان لا يغضب في غيرها فهذه ثلثة اقسام فلنذكر غاية الرياضة في كل واحد منها **اما** القسم الاول فليست الرياضة
فيه لينعدم غيظ القلب ولكن لكي يقدر على ان لا يطيع الغضب ولا يستعمله في الظاهر الا على حد يستحبه الشرع ويستحسنه
العقل وذلك ممكن بالمجاهدة وتكلف الحلم والاحتمال مدة حتى يصير الحلم والاحتمال خلقا راسخا فاما قمع اصل الغيظ من القلب
فذلك ليس مقتضى الطبع وهو غير ممكن نعم يمكن كسر سورته وتضعيفه حتى لا يشتد هيجان الغيظ في الباطن وينتهي ضعفه الى ان
لا يظهر اثره في الوجه ولكن ذلك شديد جدا وهذا حكم القسم الثالث ايضا لان ما صار ضروريا في حق شخص فلا يمنعه
من الغيظ استغناء غيره فالرياضة فيه تمنع العمل به وتضعف هيجانه في الباطن حتى لا يشتد التالم بالصبر عليه
واما القسم الثاني فيمكن التوصل بالرياضة الى الانفكاك عن الغضب عليه اذ يمكن اخراج
حبه من القلب وذلك بان يعلم الانسان ان وطنه القبر ومستقره الاخرة وانما الدنيا معبر يعبر عليها
ويتزود منها قدر الضرورة وما وراء ذلك عليه وبال في وطنه ومستقره فيزهد في الدنيا ويمحو حبها عن القلب
ولو كان للانسان كلب لا يحبه لم يغضب اذا ضربه غيره فالغضب تبع الحب والرياضة في هذا قد
ينتهي الى قطع اصل الغضب وهو نادر جدا وقد ينتهي الى المنع من استعمال الغضب والعمل بموجبه وهو اهون
فان قلت الضروري من القسم الاول والثالث فوات المحتاج اليه دون الغضب فمن له شاة مثلا وهي قوته فماتت
لا يغضب على احد وان كان يحصل فيه كراهة فليس من ضرورة كل كراهية غضب فان الانسان يتالم
بالفصد والحجامة ولا يغضب على الفصاد والحجام فمن غلب التوحيد عليه حتى يرى الاشياء كلها من الله
فلا يغضب على احد من خلقه اذ يراهم مسخرين في قبضة قدرته كالقلم في يد الكاتب ومن وقع ملك بضرب
رقبته لا يغضب على القلم من يذبح شاته التي هي قوته كما لا يغضب على موتها اذ يرى الموت والذبح
من الله تعالى فيندفع الغضب بغلبة التوحيد ويندفع ايضا بحسن الظن بالله تعالى وهو ان يرى

ان يرى ان الكل من الله تعالى وان الله تعالى لا يقدر له الا ما فيه الخيرة وربما تكون الخيرة في جوعه ومرضه وجرحه وقتله فلا يغضب
على الفصاد والحجام لا يرى ان الخيرة فيه **فنقول** على هذا الوجه غير محال ولكن غلبة التوحيد الى هذا الحد انما
يكون كالبرق الخاطف تغلب في احوال مختطفة ولا يدوم ويرجع القلب الى الالتفات الى الوسائط رجوعا طبيعيا لا يندفع
عنه ولو تصور ذلك لبشر لتصور لرسول الله صلى الله عليه فانه كان يغضب حتى تحمر وجنتاه وقال اللهم انا بشر اغضب كما يغضب
البشر فايما مسلم سببته او لعنته او ضربته فاجعلها مني صلاة وزكاة وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة **وقال**
عبد الله بن عمرو بن العاص يا رسول الله اكتب عنك كل ما قلت في الغضب والرضا فقال اكتبه بالحق ما يخرج منه الا حق واشار الى
لسانه ولم يقل اني لا اغضب ولكن قال ان الغضب لا يخرجني عن الحق اي لا اعمل بموجب الغضب وغضبت عائشة رضي الله
عنها مرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم مالك جاءك شيطانك فقالت ومالك شيطان فقال بلى ولكن دعوت الله فاعانني عليه فاسلم فلا
يامرني الا بالخير فلم يقل لا شيطان لي واراد شيطان الغضب لكن قال لا يحملني على الشر وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه كان النبي
صلى الله عليه وسلم لا يغضب للدنيا فاذا اغضبه الحق لم يعرفه احد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر فكان يغضب على الحق وان كان
غضبه لله فهو التفات الى الوسائط على الجملة بل كل من غضب على من ياخذ ضرورة قوته وحاجته التي لا بد له في دينه فانما
غضب لله تعالى فلا يمكن الانفكاك عنه نعم قد يفقد اصل الغيظ فيما هو ضروري اذا كان القلب مشغولا بضروري اهم منه فلا يكون في
القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره فان استغراق القلب ببعض المهمات يمنع الاحساس بما عداه وهذا كما ان سلمان
الفارسي رضي الله عنه لما شتم فقال ان خفت موازيني فانا شر مما تقولوا وان ثقلت موازيني لم يضرني ما تقول فقد كان همه مصروفا
الى الاخرة فلم يتاثر قلبه بالشتم وكذلك شتم الربيع فقال يا هذا قد سمع الله كلامك وان دون الجنة عقبة كؤودا ان قطعتها
لم يضرني ما تقول وان لم اقطعها انا شر مما تقول وسب رجل ابا بكر الصديق رضي الله عنه فقال ما ستر الله عنك اكثر فكانه
كان مشغولا بالنظر في تقصير نفسه عن ان يتقي الله حق تقاته ويعرفه حق معرفته فلم يغضبه نسبة غيره اياه الى نقصان
اذ كان ينظر الى نفسه بعين النقصان وذلك لجلالة قدره **وقالت** امراة لمالك بن دينار يا مرائي فقال ما عرفني
غيرك فكانه كان مشتغلا بان ينفي عن نفسه آفة الرياء ومنكرا على نفسه ما يلقيه الشيطان اليه فلم يغضب لما نسب اليه وشتم
رجل الشعبي رحمه الله فقال ان كنت صادقا فغفر الله لي وان كنت كاذبا فغفر الله لك فهذه الاقاويل ظاهرها يدل على انهم لم يغضبوا
لاشتغال قلوبهم ولكن لم يشتغلوا به واشتغلوا بما كان هو الاغلب على قلوبهم فان اشتغال القلب ببعض المهمات لا يبعد ان يمنع
هيجان الغضب عند فوات المحاب فاذن يتصور فقد الغيظ اما باشتغال القلب بمهم او بغلبة نظر التوحيد او بسبب ثالث وهو
ان يعلم ان الله تعالى يحب منه ان لا يغتاظ فيطفئ شدة حبه لله تعالى غيظه وذلك غير محال في احوال نادرة فقد عرفت ان الخلاص
الطريق للخلاص من نار الغضب محو حب الدنيا عن القلب وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوائلها كما سنذكره في كتاب ذم الدنيا
ومن اخرج حب المزايا عن القلب تخلص من اكثر اسباب الغضب وما لا يمكن محوه يمكن كسره وتضعيفه فيضعف الغضب بسببه ويهون دفعه

بيان الاسباب المهيجة للغضب

قد عرفت ان علاج كل علة حسم مادتها وازالة
اسبابها وقد قال يحيى لعيسى عليهما السلام اي شيء اشد قال غضب الله قال فما يقرب من غضب الله قال ان تغضب قال فما يبدي
الغضب وما ينبته قال عيسى الكبر والفخر والتعزز والحمية والاسباب المهيجة للغضب هي الزهو والعجب والمزاح والهزل والتعيير
والمماراة والمضادة والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه وهي باجمعها اخلاق رديئة مذمومة شرعا ولا خلاص من
الغضب مع بقاء هذه الاسباب فلا بد من ازالة هذه الاسباب باضدادها فينبغي ان تميت الزهو بالتواضع وتميت العجب بالمعرفة
بنفسك كما سياتي في كتاب الكبر والعجب وتزيل الفخر بانك من جنس عبدك اذ الناس يجمعهم في الانتساب اب واحد وانما اختلفوا في الفضل
اشتاتا فبنو آدم جنس واحد وانما الفخر بالفضائل والفخر والعجب والكبر اكبر الرذائل وهي اصلها ورأسها فاذا لم تخل عنها فلا فضل
لك على غيرك فلم تفتخر وانت من جنس عبدك من حيث البنية والنسب والاعضاء الظاهرة والباطنة **واما المزاح** فتزيله
بالتشاغل بالمهمات الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه اذا عرفت ذلك **واما** الهزل فتزيله بالجد في طلب الفضائل و
الاخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تبلغك الى سعادة الاخرة **واما الهزء** فتزيله بالتكرم عن ايذاء الناس
وصيانة النفس عن ان يستهزا بك **واما** التعيير فالحذر عن القول القبيح وصيانة النفس عن مر الجواب **واما**

شرة الحرص على فضول الدنيا فيزال بالقناعة بقدر الضرورة طلبا لعز الاستغناء وترفعا عن ذل الحاجة وكل خلق من هذه الاخلاق فصفة من
هذه الصفات يفتقر في علاجها الى رياضة وتحمل مشقة وحاصل رياضتها يرجع الى معرفة غوائلها لترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها ثم المواظبة
على مباشرة اضدادها مدة مديدة حتى تصير بالعادة مالوفة هينة على النفس فاذا انمحت عن النفس فقد زكت وتطهرت عن هذه
الرذائل وتخلصت عن الغضب الذي يتولد منها ومن اشد البواعث للغضب عند اكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية
وعز نفس وكبر همة وتلقيبه بالالقاب المحمودة غباوة وجهلا حتى تميل النفس اليه وتستحسنه وقد تأكد ذلك بحكاية شدة الغضب عن الاكابر
في معرض المدح بالشجاعة والنفوس مائلة الى التشبه بالاكابر فيهيج الغضب في القلب بسببه وتسمية هذا عزة نفس وشجاعة جهل بل هو مرض
قلب ونقصان عقل وهو لضعف النفس ونقصانها وآية ذلك انه لضعف النفس ان المريض اسرع غضبا من الصحيح والمرأة اسرع غضبا
من الرجل والشيخ الضعيف اسرع غضبا من الكهل وذو الخلق السيئ والرذائل القبيحة اسرع غضبا من صاحب الفضائل فالرذل يغضب لشهوته
اذا فاتته اللقمة ولبخله اذا فاتته الحبة حتى انه يغضب على اهله وولده واصحابه بل القوي من يملك نفسه عند الغضب بل ينبغي ان يعالج هذا
هذا الجاهل بان يتلى عليه حكايات اهل الحلم والعفو وما استحسن منهم من كظم الغيظ فان ذلك منقول عن الانبياء والحكماء والعلماء واكابر
الملوك والفضلاء وضد ذلك منقول عن الاتراك والاكراد والجهلة والاغبياء الذين لا عقول لهم ولا فضل له **بيان علاج الغضب بعد هيجانه**
اعلم ان ما ذكرناه هو حسم لمواد الغضب وقطع لاسبابه حتى لا يهيج فاذا جرى سبب هيجه فعنده يجب التثبت حتى لا يضطر صاحبه الى العمل به
على الوجه المذموم وانما يعالج الغضب عند هيجانه بمعجون العلم والعمل اما العلم فهو ستة امور **الاول** ان يتفكر في الاخبار التي سنوردها في فضل كظم الغيظ
عن التشفي والانتقام وينطفئ غضبه **وقال** مالك بن اوس بن الحدثان غضب عمر بن الخطاب رض على رجل وامر بضربه فقال الرجل يا امير المؤمنين
خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فكان عمر رض يقول خذ العفو وامر بالعرف فكان يتأمل الآية وكان وقافا عند كتاب الله مهما تلي عليه
كثير التدبر فيه فتدبر فيه وخلى الرجل وامر عمر بن عبد العزيز رح بضرب رجل ثم قرأ قوله تعالى والكاظمين الغيظ فقال لغلامه خل عنه **الثاني**
ان يخوف نفسه بعقاب الله تعالى وهو ان يقول قدرة الله علي اعظم من قدرتي على هذا الانسان فلو امضيت غضبي عليه فلم آمن من ان يمضي الله غضبه
علي يوم القيامة احوج ما اكون الى العفو وقد قال الله تعالى في بعض الكتب يا ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق **وبعث**
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصيفا الى حاجة فابطأ عليه فلما جاء قال لولا القصاص لاوجعتك اي القصاص في القيامة **وقيل** ما كان في بني اسرائيل ملك
الا وكان معه حكيم اذا غضب اعطاه صحيفة فيها ارحم المسكين واخش الموت واذكر الآخرة فكان يقرأها حتى يسكن غضبه **الثالث** ان يحذر
نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمر العدو لمقابلته والسعي في هدم اغراضه والشماتة بمصائبه وهو لا يخلو عن المصائب فيخوف نفسه بعواقب الغضب
في الدنيا ان كان لا يخاف من الآخرة وهذا يرجع الى تسليط شهوة على غضب وليس هذا من اعمال الآخرة ولا ثواب عليه لانه متردد على حظوظه العاجلة يقدم
بعضها على بعض الا ان يكون محذوره ان يتشوش عليه في الدنيا فراغته للعلم والعمل وما يعينه على الآخرة فيكون مثابا عليه **الرابع** ان يتفكر في قبح صورته
عند غضبه بان يتذكر صورة غيره في حالة الغضب ويتفكر في قبح الغضب في نفسه ومشابهة صاحبه للكلب الضاري والسبع العادي ومشابهة الحليم
الهادي التارك للغضب للانبياء والعلماء والحكماء ويخير نفسه بين ان يتشبه بالكلاب والسباع واراذل الناس وبين ان يتشبه بالانبياء في عادتهم
لتميل الى حب الاقتداء بهؤلاء ان كان قد بقي معه مسكة من عقل **الخامس** ان يتفكر في السبب الذي يدعوه الى الانتقام ويمنعه من كظم الغيظ ولا بد وان
يكون السبب مثل قول الشيطان له ان هذا يحمل منك على العجز وصغر النفس والذلة والمهانة وتصير حقيرا في اعين الناس فليقل لنفسه ما اعجبك يا نفس
تأنفين من الاحتمال الآن ولا تأنفين من خزي يوم القيامة والافتضاح اذا اخذ هذا بيدك وانتقم منك وتحذرين من ان تصغري في اعين الناس
ولا تحذرين من ان تصغري عند الله تعالى وعند الملائكة والنبيين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ومهما كظم الغيظ فينبغي ان يكظمه لله تعالى
وذلك يعظمه عند الله تعالى فما له وللناس وذل من ظلمه يوم القيامة اشد من ذل الانتقام الآن افلا يحب ان يكون هو القائم اذا نودي يوم القيامة ليقم
من اجره على الله فلا يقوم الا من عفا فهذا وامثاله من معارف الايمان ينبغي ان يكرره على قلبه **السادس** ان يعلم ان غضبه من تعجبه من
جريان الشيء على وفق مراد الله تعالى لا على وفق مراده فكيف يقول مرادي اولى من مراد الله تعالى ويوشك ان يكون غضب الله تعالى اشد
من غضبه **واما العمل** فان تقول بلسانك اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا امر رسول الله صلعم ان يقال عند الغيظ وكان النبي صلعم
اذا غضبت عائشة رض اخذ بانفها وقال يا عويش قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني من مضلات
الفتن فيستحب ان تقول ذلك فان لم يزل بذلك فاجلس ان كنت قائما واضطجع ان كنت جالسا واقرب من الارض التي منها خلقت لتعرف
بذلك ذل نفسك واطلب بالجلوس والاضطجاع السكون فان سبب الغضب الحرارة وسبب الحرارة الحركة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم

ان الغضب جمرة توقد في القلب الم تروا الى انتفاخ اوداجه وحمرة عينيه فاذا وجد احدكم من ذلك شيئا فان كان قائما فليجلس وان كان
جالسا فلينم فان لم يزل بذلك فليتوضأ بالماء البارد او يغتسل فان النار لا يطفئها الا الماء فقد **قال** النبي صلى الله عليه وسلم اذا غضب احدكم
فليتوضأ فانما الغضب من النار وفي رواية ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب احدكم فليتوضأ
وقال عبد الله بن عباس رض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضبت فاسكت **وقال** ابو هريرة رض كان رسول الله صلعم اذا غضب وهو قائم جلس
واذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه **وقال** ابو سعيد الخدري رض قال رسول الله صلعم الا ان الغضب جمرة في قلب ابن آدم الا ترون الى
حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه فمن وجد من ذلك شيئا فليلصق خده بالارض وكان هذا اشارة الى السجود وتمكين اعز الاعضاء من اذل المواضع
وهو التراب لتستشعر النفس الذل وتزايل به العزة والزهو الذي هو سبب الغضب **روي** ان عمر بن الخطاب رض غضب يوما فدعا
بماء فاستنشق وقال ان الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب **وقال** عروة بن محمد لما استعملت على اليمن قال لي ابي اوليت قلت نعم قال
اذا غضبت فانظر الى السماء فوقك والى الارض تحتك ثم عظم خالقهما **وروي** ان ابا ذر رض قال لرجل يا ابن الحمراء في خصومة بينهما فبلغ
ذلك رسول الله صلعم فقال يا ابا ذر بلغني انك اليوم عيرت رجلا بامه فقال نعم فانطلق ابو ذر ليرضي صاحبه فسبقه الرجل فسلم
عليه فذكر ذلك لرسول الله صلعم فقال يا ابا ذر ارفع راسك فانظر ثم اعلم انك لست بافضل من احمر فيها ولا اسود الا ان تفضله بعمل
ثم قال اذا غضبت فان كنت قائما فاقعد وان كنت قاعدا فاتكئ وان كنت متكئا فاضطجع **وقال** المعتمر بن سليمان كان رجل ممن كان قبلكم
يغضب فيشتد غضبه فكتب ثلث صحائف فاعطى كل صحيفة رجلا وقال للاول اذا غضبت فاعطني هذه وقال للثاني اذا سكن بعض غضبي
فاعطني هذه وقال للثالث اذا ذهب غضبي فاعطني هذه فاشتد غضبه يوما فاعطي الصحيفة الاولى فاذا فيها ما انت وهذا الغضب انك لست
بالاله انما انت بشر يوشك ان ياكل بعضك بعضا فسكن بعض غضبه فاعطي الثانية فاذا فيها ارحم من في الارض يرحمك من في السماء فاعطي الثالثة فاذا فيها خذ
الناس بحق الله فانه لا يصلحهم الا ذلك اي لا تعطل الحدود **وغضب** المهدي على رجل فقال شبيب لا تغضب لله باشد من غضبه لنفسه
فضيلة كظم الغيظ قال الله تعالى والكاظمين الغيظ الآية وذكر ذلك في معرض المدح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كف
غضبه كف الله عنه عذابه ومن اعتذر الى ربه قبل الله عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته وقال صلعم اشدكم من ملك نفسه عند الغضب
واحلمكم من عفا بعد القدرة وقال صلعم من كظم غيظا ولو شاء ان يمضيه امضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا وفي رواية اخرى ملأ الله
قلبه امنا وايمانا **وقال** عبد الله بن عمر رض قال رسول الله صلعم ما جرع عبد جرعة اعظم اجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله عز وجل
وقال ابن عباس قال رسول الله صلعم ان لجهنم بابا لا يدخله الا من شفى غيظه بمعصية الله **وقال** النبي صلعم ما من جرعة احب الى الله
من جرعة غيظ يكظمها عبد وما كظمها عبد الا ملأ الله جوفه ايمانا وقال النبي صلعم من كظم غيظا وهو يقدر على ان ينفذه دعاه الله على رؤوس
الخلائق ويخيره في اي الحور شاء **الآثار** قال عمر بن الخطاب رض من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله لم يفعل ما يريد ولولا يوم القيامة
لكان غير ما ترون **وقال** لقمان لابنه يا بني لا تذهب ماء وجهك بالمسألة ولا تشف غيظك بفضيحتك واعرف قدرك تنفعك معيشتك
وقال ايوب حلم ساعة يدفع شرا كثيرا **واجتمع** سفيان الثوري وابو خزيمة اليربوعي والفضيل بن عياض رح فتذاكروا
الزهد فاجمعوا على ان افضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع **وقال** رجل لعمر رض والله ما تقضي بالعدل ولا تعطي الجزل فغضب عمر
حتى عرف في وجهه فقال له رجل يا امير المؤمنين الا تسمع ان الله تعالى يقول خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فهذا من الجاهلين فقال عمر صدقت
فكانما كانت نارا فاطفئت **وقال** محمد بن كعب القرظي ثلث من كن فيه استكمل الايمان بالله تعالى اذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل
واذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق واذا قدر لم يتناول ما ليس له **وجاء** رجل الى سلمان رض فقال يا عبد الله اوصني قال لا تغضب
قال لا اقدر قال فان غضبت فامسك لسانك ويدك **فضيلة الحلم** اعلم ان الحلم افضل من كظم الغيظ لان كظم الغيظ عبارة
عن التحلم اي تكلف الحلم ولا يحتاج الى كظم الغيظ الا من هاج غضبه ويحتاج فيه الى مجاهدة شديدة ولكن اذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتيادا فلا يهيج
وان هاج فلا يكون في كظمه تعب وهو الحلم الطبيعي وهو دلالة كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ولكن ابتداؤه التحلم وكظم
الغيظ تكلفا **قال** رسول الله صلعم انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحر الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه اشار بهذا
الى ان اكتساب العلم طريقه التعلم **وقال** ابو هريرة رض اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم لينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون
منه ولا تكونوا من جبابرة العلماء فيغلب جهلكم حلمكم اشار بهذا الى ان التكبر والتجبر هو الذي يهيج الغضب ويمنع من الحلم واللين
وكان من دعاء رسول الله صلعم اللهم اغنني بالعلم وزيني بالحلم واكرمني بالتقوى وجملني بالعافية **وقال** ابو هريرة رض
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتغوا الرفعة عند الله قالوا وما هي يا رسول الله قال تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتحلم عمن جهل عليك

وما وصل احد كما حسن من خمس خصال من خلق الحيا والحلم والحجامة والسواك والتعطر • وقال علي بن ابي طالب رض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل المسلم
ليدرك بالحلم درجة الصايم القايم وانه ليكتب جبارا وما يملك الا اهل بيته • وقال ابو هريرة رض ان رجلا قال يا رسول الله ان لي قرابة
اصلهم ويقطعوني واحسن اليهم ويسيئون ويجهلون علي واحلم عنهم فقال لئن كان كما تقول فكانما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير
عليهم ما دمت على ذلك والمل يعني الرمل • وقال رجل من المسلمين اللهم ليس عندي صدقة اتصدق بها فايما رجل اصاب من عرضي
شيئا فهو عليه صدقة فاوحى الله تعالى الى النبي صلعم اني قد غفرت له • وقال النبي صلعم ايعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم قالوا ومن ابو ضمضم قال رجل ممن كان قبلكم كان
اذا اصبح قال اللهم اني قد تصدقت اليوم بعرضي على من ظلمني • وقيل في قوله تعالى ربانيين اي حلماء علماء • وعن الحسن في قوله تعالى واذا خاطبهم
الجاهلون قالوا سلاما قال حلماء ان جهل عليهم لم يجهلوا وقال عطاء بن ابي رباح يمشون على الارض هونا اي حلما وقال ابن ابي حبيب في قوله تعالى
وكهلا قال الكهل منتهى الحلم وقال مجاهد واذا مروا باللغو مروا كراما اي اذا اوذوا صفحوا وروى ان عبد الله بن مسعود رض مر بلغو
معرضا فقال النبي صلعم اصبح ابن مسعود وامسى كريما ثم تلا ابرهيم بن ميسرة وهو الراوي قوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما وقال النبي صلعم
اللهم لا يدركني زمان ولا ادركه زمانا لا يتبعون فيه العلم ولا يستحيون فيه من الحليم قلوبهم قلوب العجم والسنتهم السنة العرب
وقال النبي صلعم ليليني منكم ذووا الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم واياكم وهيشات الاسواق
وروي انه وفد الى النبي صلعم الاشج فاناخ راحلته ثم عقلها ثم طرح عنه ثوبين كانا عليه واخرج من العيبة ثوبين حسنين فلبسهما وذلك بعين رسول الله صلعم
ما يصنع ثم اقبل يمشي الى رسول الله صلعم فقال صلعم يا اشج ان فيك لخلقين يحبهما الله ورسوله قال ما هما بابي انت وامي قال الحلم والاناة فقال
خلتان تخلقتهما او خلقان جبلت عليهما قال بل خلقان جبلك الله عليهما فقال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله وقال صلعم
ان الله يحب الحيي الحليم الغني المتعفف ويبغض الفاحش البذي السائل الملحف • وقال ابن عباس رض قال رسول الله صلعم ثلث من لم تكن فيه
واحدة منهن فلا يعتد بشيء من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله وحلم يكف به السفيه وخلق يعيش به في الناس • وقال رسول الله صلعم
اذا جمع الخلائق يوم القيمة نادى مناد اين اهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون سراعا الى الجنة فتلقاهم الملائكة فيقولون انا نراكم
سراعا الى الجنة فيقولون نحن اهل الفضل فيقولون ما كان فضلكم فيقولون كنا اذا ظلمنا صبرنا • واذا اسيء الينا غفرنا • واذا جهل
علينا حلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة فنعم اجر العاملين **الآثار** قال عمر رض تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وقال علي رض
ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن الخير ان يكثر علمك ويعظم حلمك وان لا تباهي الناس بعبادة ربك فان احسنت حمدت الله وان اسات استغفرت
الله وقال الحسن رح اطلبوا العلم وزينوه بالوقار والحلم وقال اكثم دعامة العقل الحلم وجماع الامر الصبر • وقال ابو الدرداء رض
ادركت الناس ورقا لا شوك فيه فاصبحوا شوكا لا ورق فيه ان نقدتهم نقدوك وان تركتهم لم يتركوك قالوا كيف نصنع قال تقرضهم
من عرضك ليوم فقرك وقال علي رض ان اول عوض الحليم من حلمه ان الناس انصاره على الجاهل وقال معاوية لا يبلغ الرجل مبلغ الراي حتى
يغلب حلمه جهله وصبره شهوته ولا يبلغ ذلك الا بقوة العلم وقال معاوية لعمرو بن الاهتم اي الرجال اشجع قال من رد جهله
بحلمه قال فاي الرجال اسخى قال من بذل دنياه لصلاح دينه وقال انس بن مالك رض في قوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي
حميم الى قوله عظيم هو الرجل يشتمه اخوه فيقول ان كنت كاذبا يغفر الله لك وان كنت صادقا فغفر الله لي وعن بعضهم قال شتمت فلانا
من اهل البصرة فحلم علي فاستعبدني بها زمانا وسب رجل عبد الله بن عباس فلما فرغ قال يا عكرمة هل للرجل حاجة فنقضيها فنكس
الرجل راسه واستحيى وقال رجل لعمر بن عبد العزيز اشهد انك من الفاسقين قال ليس تقبل شهادتك • وعن علي بن الحسين
ابن علي بن ابي طالب رض انه سبه رجل فرمى اليه خميصة كانت عليه وامر له بالف درهم فقال بعضهم جمع له خمس
خصال الحلم واسقاط الاذى وتخليص الرجل مما يبعده عن الله وحمله على الندم والتوبة ورجوعه الى المدح بعد الذم
اشترى ذلك بشيء يسير من الدنيا وقال معاوية لعرابة بن اوس بم سدت قومك يا عرابة قال يا امير المؤمنين
كنت احلم عن جاهلهم واعطي سائلهم واسعى في حوائجهم فمن فعل فعلي فهو مثلي ومن جاوزني فهو افضل مني
ومن قصر عني فانا خير منه وقال رجل لجعفر بن محمد الصادق انه قد وقع بيني وبين قوم منازعة في امر واني اريد ان
اتركه فيقال لي ان تركك له ذل فقال جعفر بن محمد الصادق انما الذليل الظالم وقال الخليل بن احمد كان يقال
من اسيء اليه فاحسن فقد جعل له حاجزا من قلبه يردعه عن مثل اساءته وقال الاحنف بن قيس لست بحليم ولكني
اتحلم وقال وهب بن منبه رح من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يجهل يغلب ومن يعجل يخطئ
ومن يحرص على الشر لا يسلم ومن لا يدع المراء يشتم ومن لا يكره الشر ياثم ومن يكره الشر يعصم ومن يتبع

وصية الله يحفظ ومن يحذر الله يامن ومن يتول الله يمنع ومن لا يسال الله يفتقر ومن لا يامن مكر الله يخذل ومن يستعن بالله
يظفر • وقال رجل لمالك بن دينار بلغني انك ذكرتني بسوء قال انت اذا اكرم علي من نفسي اني اذا فعلت ذلك اهديت
اليك حسناتي وقال بعض العلماء الحلم ارفع من العقل لان الله عز وجل تسمى به وقال رجل لبعض الحكماء والله لاسبنك
سبا يدخل معك في قبرك قال معك يدخل لا معي ومر المسيح بن مريم عم بقوم من اليهود فقالوا له شرا فقال لهم خيرا فقيل
له انهم يقولون شرا وانت تقول خيرا فقال كل واحد ينفق مما عنده وقال لقمان ثلثة لا يعرفون الا عند ثلثة
لا يعرف الحليم الا عند الغضب • ولا الشجاع الا عند الحرب • ولا الاخ الا عند الحاجة اليه ودخل على بعض الحكماء صديق له فقدم اليه
الطعام فخرجت امراة الحكيم وكانت سيئة الخلق فرفعت المايدة واقبلت على شتم الحكيم فخرج الصديق مغضبا فتبعه الحكيم وقال
تذكر يوما كنا في منزلك نطعم فسقطت دجاجة على المايدة وافسدت ما عليها فلم يغضب احدنا قال نعم قال فاحسب
ان هذه مثل تلك الدجاجة فسري عن الرجل وانصرف وقال صدق الحكيم الحلم شفاء من كل الم • وضرب رجل قدم حكيم
فاوجعه فلم يغضب فقيل له في ذلك فقال اقمته مقام حجر تعثرت به فذبحت الغضب **وقال محمود الوراق**
سالزم نفسي الصفح عن كل مذنب • وان كثرت منه علي الجرايم • وما الناس الا واحد من ثلثة • شريف ومشروف ومثل
مقاوم فاما الذي فوقي فاعرف قدره • واتبع فيه الحق والحق لازم • واما الذي دوني فان قال صنت عن • اجابته عرضي وان لام لايم
واما الذي مثلي فان زل او هفا • تفضلت ان الفضل بالحلم حاكم • **بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام**
اعلم ان كل ظلم صدر من شخص فلا يجوز مقابلته بمثله فلا يجوز مقابلة الغيبة بالغيبة ولا مقابلة التجسس بالتجسس ولا السب
بالسب وكذا ساير المعاصي وانما القصاص والغرامة على ما ورد الشرع به وقد فصلناه في الفقه واما السب فلا يقابل
بمثله وقال رسول الله صلعم ان امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه وقال النبي صلعم المستبان شيطانان
يتهاتران • وشتم رجل ابا بكر الصديق رض وهو ساكت فلما ابتدا ينتصر منه قام رسول الله صلعم فقال انك كنت ساكتا
لما شتمني فلما تكلمت قمت قال لان الملك كان يجيب عنك فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم اكن لاجلس
في مجلس فيه الشيطان وقال قوم تجوز المقابلة بما لا كذب فيه ونهيه صلعم عن التعيير بمثله نهي تنزيه والافضل تركه ولكنه
لا يعصي والذي يرخص فيه ان تقول من انت وهل انت الا من بني فلان كما قال سعد لابن مسعود وهل انت الا من هذيل
فقال عبد الله بن مسعود وهل انت الا من بني امية ومثل قوله يا احمق وقال مطرف كل الناس احمق فيما بينه وبين ربه
الا ان بعض الناس اقل حمقا من بعض وقال عبد الله بن عمر رض في حديث طويل حتى ترى الناس كلهم حمقى في ذات الله
وكذلك قوله يا جاهل اذ ما من احد الا وفيه جهل فقد اذاه بما ليس بكذب وكذلك يا سيء الخلق • يا صفيق الوجه • يا ثلاب الاعراض
وكان ذلك فيه وكذلك قوله لو كان فيك حياء ما تكلمت وما احقرك في عيني بما فعلت • واخزاك الله وانتقم منك • فاما
النميمة والغيبة والكذب وسب الوالدين فحرام بالاتفاق لما روي انه كان بين خالد بن الوليد وبين سعد كلام فذكر رجل خالدا
عند سعد فقال مه ان ما بيننا لم يبلغ ديننا يعني ان ياثم بعضنا في بعض فلم يسمع السوء فكيف يجوز ان يقوله والدليل على جواز
ما ليس بكذب ولا حرام كالنسبة الى الزنا والسب والفحش ما روت عائشة رض ان ازواج النبي صلعم ارسلن اليه فاطمة
فجاءت فقالت يا رسول الله ارسلتني ازواجك اليك يسألنك العدل في بنت ابي قحافة والنبي صلعم نائم فقال يا بنية اتحبين
ما احب قالت نعم قال فارجعي اليهن فرجعت اليهن فاخبرتهن بذلك فقلن ما اغنيت عنا شيئا فارسلن زينب بنت جحش قالت
وهي التي كانت تساميني في الحب فجاءت فقالت بنت ابي بكر • وبنت ابي بكر فما زالت تذكرني وانا ساكتة انتظر ان يأذن
لي رسول الله صلعم في الجواب فاذن لي فسببتها حتى جف لساني فقال النبي صلعم كلا انها ابنة ابي بكر يعني انك لا تقاومينها في الكلام
وقولها سببتها ليس المراد به الفحش بل هو الجواب عن كلامها بالحق ومقابلتها بالصدق وقال النبي صلعم المستبان ما قالا فعلى البادي حتى
يعتدي المظلوم فاثبت للمظلوم انتصارا الى ان يعتدي فهذا القدر هو الذي اباحه هؤلاء وهو رخصة في الايذاء جزاء على ايذائه السابق باللسان ولا
الرخصة في هذا القدر ولكن الافضل تركه فانه يجره الى ما وراءه ولا يمكن الاقتصار على مقدار الحق فيه والسكوت عن اصل الجواب لعله ايسر
من الشروع في الجواب والوقوف على حد الشرع فيه ولكن من الناس من لا يقدر على ضبط نفسه في فور الغضب ولكن يعود سريعا ومنهم
من يكف في الابتداء ولكن يحقد على الدوام والناس في الغضب اربعة فبعضهم كالحلفاء سريع الوقود سريع الخمود وبعضهم
كالغضا بطيء الوقود بطيء الخمود وبعضهم بطيء الوقود سريع الخمود وهو الاحمد ما لم ينته الى فتور الحمية والغيرة وبعضهم

سريع الفيء وبطيء العود وهذا شرهم وفي الخبر المؤمن سريع الغضب سريع الرضا فهذه بتلك وقال الشافعي رحمه الله من استغضب فلم
يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان وقد قال ابو سعيد الخدري رض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان بني آدم خلقوا
على طبقات منهم بطيء الغضب سريع الفيء ومنهم سريع الغضب سريع الفيء فتلك بتلك ومنهم سريع الغضب بطيء الفيء الا وان خيرهم
البطيء الغضب السريع الفيء وشرهم السريع الغضب البطيء الفيء ولما كان الغضب في الحال يهيج ويؤثر في كل انسان وجب على السلطان
ان لا يعاقب احدا في حال غضبه عليه لانه ربما يتعدى الواجب لانه يكون متشفيا غيظه ومريحا نفسه فيكون صاحب حظ فيه وينبغي ان يكون
انتقامه وانتصاره لله تعالى لا لنفسه رأى عمر بن الخطاب رض سكرانا فاراد ان يأخذه ويعزره فشتمه السكران فرجع عمر فقيل له يا امير
المؤمنين لما شتمك تركته فقال لانه اغضبني ولو عزرته لكان ذلك لغضبي لنفسي ولم احب ان اضرب مسلما حمية لنفسي وقال عمر بن عبد
العزيز لرجل اغضبه لولا انك اغضبتني لعاقبتك

الثاني في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق

اعلم ان الغضب اذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في الحال رجع الى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا ومعنى الحقد ان يلزم قلبه استثقاله والبغضة له
والنفار منه وان يدوم ذلك ويبقى وقد قال النبي عم المؤمن ليس بحقود فالحقد ثمرة الغضب والحقد يثمر ثمانية امور **الاول**
الحسد وهو ان يحملك الحقد على ان تتمنى زوال النعمة عنه فتغتم بنعمة ان اصابها وتسر بمصيبة ان نزلت وهذا من فعل المنافقين اعني
الحسد وسياتي ذمه **الثاني** ان تزيد على اضمار الحسد في الباطن فتشمت بما يصيبه من البلاء **الثالث** ان تهجره وتصارمه
وتنقطع عنه وان طلبك واقبل عليك **الرابع** وهو ان تعرض عنه استصغارا له **الخامس** ان تتكلم فيه بما لا يحل من كذب
وغيبة وافشاء سر وهتك ستر وغيره **السادس** ان تحاكيه استهزاء به وسخرية منه **السابع** ايذاؤه
بالضرب وما يولم بدنه **الثامن** ان تمنعه حقه من صلة رحم وقضاء دين او رد مظلمة وكل ذلك حرام فاقل درجات
الحقد ان تحترز من الدرجات الثمانية المذكورة ولا تخرج بسبب الحقد الى ما تعصي الله تعالى به ولكن تستثقله بالباطن ولا تنهى قلبك عن بغضه
حتى تمتنع عما كنت تتطوع به من البشاشة والرفق والعناية والقيام بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله تعالى والمعاونة على المنفعة له او بترك
الدعاء والثناء عليه والتحريض على بره ومواساته فهذا كله مما ينقص درجتك في الدين ويحول بينك وبين فضل عظيم وثواب جزيل
وان كان لا يعرضك لعقاب ولما حلف ابو بكر رض ان لا ينفق على مسطح وكان قريبا له وكان تكلم في واقعة الافك نزل قوله تعالى
ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة الى قوله تعالى الا تحبون ان يغفر الله لكم الاية فقال ابو بكر رض نعم نحب ذلك وعاود الى الانفاق عليه
والاولى ان يبقى على ما كان فان امكنه ان يزيد في الاحسان مجاهدا للنفس وارغاما للشيطان فذلك هو مقام الصديقين
وهو من فضائل اعمال المقربين وللمحقود ثلاثة احوال عند القدرة احدها ان يستوفي حقه الذي يستحقه من غير زيادة ونقصان
وهو العدل والثاني ان يحسن اليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل والثالث ان يظلمه بما لا يستحقه وذلك هو الجور
وهو اختيار الاراذلين والثاني اختيار الصديقين والاول هو منتهى درجة الصالحين ولنذكر الان العفو والاحسان

فضيلة العفو

اعلم ان العفو ان يستحق حقا فيسقطه ويبرئ عنه من قصاص او غرامة وهو غير الحلم وكظم
الغيظ فلذلك اوردناه وقد قال الله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف الاية وقال الله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى وقال رسول الله عم
ثلث والذي نفسي بيده ان كنت لحالفا عليهن ما نقصت صدقة من مال فتصدقوا ولا عفا رجل عن مظلمة يبتغي بها وجه الله تعالى
الا زاده الله تعالى بها عزا يوم القيمة ولا فتح رجل باب مسألة الا فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر وقال عم التواضع لا يزيد العبد
الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله والعفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله والصدقة لا تزيد المال الا كثرة فتصدقوا يرحمكم
الله وقالت عائشة رض ما رأيت رسول الله عم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تنتهك من محارم الله فاذا انتهك من محارم الله
شيء كان اشدهم في ذلك غضبا وما خير بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما وقال عقبة بن عامر لقيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوما فبدرته فاخذت بيده او بدرني فاخذ بيدي فقال يا عقبة الا اخبرك بافضل اخلاق اهل الدنيا والاخرة
تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال رسول الله عم قال موسى يا رب اي عبادك اعز عليك
قال الذي اذا قدر عفا وكذلك سئل ابو الدرداء عن اعز الناس فقال الذي يعفو اذا قدر فاعفوا يعزكم الله وجاء رجل الى
النبي عم يشكو مظلمة فامره النبي عم ان يجلس واراد ان يأخذ له بمظلمته فقال رسول الله عم ان المظلومين هم المفلحون يوم
القيمة فابى ان يأخذها حين سمع الحديث وقالت عائشة رض قال رسول الله عم من دعا على من ظلمه فقد انتصر وعن انس رض
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث الله الخلائق يوم القيمة نادى مناد من تحت العرش ثلاث اصوات يا معشر الموحدين

ان الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى
ركعتين ثم اتى الكعبة فاخذ بعضادتي الباب فقال ما تقولون وما تظنون فقالوا نقول اخ وابن عم حليم رحيم قالوا ذلك ثلثا فقال رسول الله
اقول كما قال يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين قال فخرجوا كانما نشروا من القبور فدخلوا في الاسلام وعن سهيل بن عمرو
قال لما قدم رسول الله عم مكة وضع يديه على بابي الكعبة والناس حوله فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده
وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا معشر قريش ما تقولون وما تظنون فقلت نقول يا رسول الله خيرا ونظن خيرا اخ كريم وابن اخ
كريم وقد قدرت فقال النبي عم اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم وعن انس بن مالك رض قال قال رسول الله عم
اذا وقف العباد نادى مناد ليقم من اجره على الله فليدخل الجنة قيل من الذي اجره على الله قال العافون عن الناس فقام كذا وكذا الفا
فدخلوها بغير حساب وقال عبد الله بن مسعود رض قال رسول الله عم لا ينبغي لوالي امر ان يؤتى بحد الا اقامه والله عفو يحب العفو ثم
قرأ وليعفوا وليصفحوا الاية وقال جابر رض قال رسول الله عم ثلث من جاء بهن مع ايمان دخل من اي ابواب الجنة شاء وزوج من الحور
العين حيث شاء من ادى دينا خفيا وقرأ في دبر كل صلاة قل هو الله احد احدى عشرة مرات وعفا عن قاتله قال ابو بكر الصديق
او احداهن يا رسول الله قال او احداهن

الآثار

قال ابراهيم التيمي ان الرجل ليظلمني فارحمه وهذا احسان وراء
العفو لانه يشغل قلبه بتعرضه لمعصية الله تعالى بالظلم وانه يطالبه يوم القيمة فلا يكون له جواب وقال اذا اراد الله ان يتحف عبدا قيض له
من يظلمه ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز يشكو اليه رجلا ظلمه ووقع فيه فقال له عمر انك ان تلقى الله ومظلمتك كما هي خير لك من ان تلقاه
وقد اقتصصتها وقال يزيد بن ميسرة ان ظللت تدعو على من ظلمك فان الله يقول ان آخر يدعو عليك بانك ظلمته فان شئت استجبنا
لك وعليك وان شئت اخرتكما الى يوم القيمة فيسعكما عفوي وقال مسلم بن يسار لرجل دعا على ظالمه كل الظالم الى ظلمه فانه اسرع اليه
من دعائك عليه الا ان يتداركه بعمل وقمن ان لا يفعل وعن عبد الله بن عمر رض عن ابي بكر الصديق رض قال بلغنا ان الله تعالى يأمر
مناديا ينادي يوم القيامة فينادي من كان له عند الله شيء فليقم فيقوم اهل العفو فيكافيهم الله بما كان من عفوهم عن الناس
وقال هشام بن محمد اتي النعمان بن المنذر برجلين احدهما قد اذنب ذنبا عظيما فعفا عنه والاخر اذنب ذنبا صغيرا فعاقبه وقال
تعفو الملوك عن العظيم من الذنوب لفضلها ولقد يعاقب في اليسير وليس ذاك لجهلها الا ليعرف حلمها ويخاف شدة بطشها
وعن مبارك بن فضالة قال وفد سوار بن عبد الله في وفد من اهل البصرة الى ابي جعفر فكنت عنده اذ اتي برجل فامر بقتله
فقلت يقتل رجل من المسلمين وانا حاضر ثم قلت يا امير المؤمنين الا احدثك حديثا سمعته من الحسن قال وما هو قلت سمعته يقول
اذا كان يوم القيمة جمع الله تعالى الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر فيقوم مناد فيقول من له عند الله
يد فليقم فلا يقوم الا من عفا فقال والله لسمعته من الحسن فقلت والله لسمعته من الحسن فقال خليا عنه وقال معاوية عليكم
بالحلم والاحتمال حتى تمكنكم الفرصة فاذا امكنتكم فعليكم بالصفح والافضال وروي ان راهبا دخل على هشام بن عبد الملك فقال له
الراهب أرأيت ذا القرنين أكان نبيا فقال لا ولكنه اعطي ما اعطي باربع خصال كن فيه اذا قدر عفا واذا وعد وفى واذا
حدث صدق ولا يجمع شغل اليوم لغد وقال بعضهم ليس الحليم من ظلم فحلم حتى اذا قدر انتقم ولكن الحليم من ظلم فحلم ثم قدر فعفا وقال
زياد القدرة تذهب الحفيظة يعني الحقد والغضب واتي هشام برجل بلغه عنه امر فلما اقيم بين يديه جعل يتكلم بحجته
فقال له هشام وتتكلم ايضا فقال الرجل يا امير المؤمنين قال الله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها افنجادل الله تعالى ولا نتكلم
كلاما فقال هشام بلى ويحك فتكلم وروي ان سارقا دخل خباء عمار بن ياسر بصفين فقيل له اقطعه فانه من اعدائنا
فقال بل استر عليه لعل الله يستر علي يوم القيمة وجلس عبد الله بن مسعود في السوق يبتاع طعاما فابتاع ثم طلب الدراهم
وكانت في عمامته فوجدها وقد حلت فقال لقد جلست وانها لمعي فجعلوا يدعون على من اخذها ويقولون اللهم اقطع يد السارق الذي اخذها
فقال عبد الله اللهم ان كان حمله على اخذها حاجة فبارك له فيها وان كان حملته جراءة على الذنب فاجعله اخر ذنوبه وقال الفضيل
ما رأيت زاهدا مثل رجل من اهل خراسان جلس الي في المسجد الحرام ثم قام ليطوف فسرقت دنانير كانت معه فجعل يبكي
فقلت اعلى الدنانير تبكي قال لا ولكني مثلتني واياه بين يدي الله تعالى فاشرف عقلي على ادحاض حجته فبكائي رحمة عليه
وقال مالك بن دينار اتينا منزل الحكم بن ايوب ليلا وهو على البصرة وجاء الحسن وهو خائف فدخلنا عليه مع الحسن فكنا معه
الا بمنزلة الفراريج فذكر الحسن قصة يوسف وما فعل به اخوته من بيعهم اياه وطرحهم له في الجب فقال باعوا اخاهم

فقال الحكم وانا اقول لا تثريب عليكم اليوم ولو لم اجد الا ذنبي لوالله سكم تحته وكتب ابن المقفع الى صديق له يسأله العفو عن بعض اخوانه فلان
هارب من زلته الى عفوك لائذ منك بك واعلم انه لن يزداد الذنب عظما الا ازداد العفو فضلا واتي عبد الملك بن مروان
باساري بن الاشعث فقال له رجاء بن حيوة ما ترى قال ان الله تعالى قد اعطاك ما تحب من الظفر فاعط الله ما يحب من العفو فعفا
عنهم وروى ان زيادا اخذ رجلا من الخوارج فافلت منه فاخذ اخا له فقال ان جئت باخيك والا ضربت عنقك فقال
ارايت ان جئتك بكتاب من امير المؤمنين تخلي سبيلي قال نعم قال فانا آتيك بكتاب من العزيز الحكيم واقيم عليه شاهدين ابرهيم وموسى
ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابرهيم الذي وفى ألا تزر وازرة وزر اخرى فقال زياد خلوا سبيله هذا رجل لقن حجته وقيل مكتوب
في الانجيل من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان

فضيلة الرفق

اعلم ان الرفق محمود ويضاده العنف والحدة والعنف
نتيجة الغضب والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة وقد يكون سبب الحدة الغضب وقد يكون سببه شدة الحرص واستيلاؤه
بحيث يدهش عن التفكر ويمنع من التثبت فالرفق في الامور ثمرة لا يثمرها الا حسن الخلق ولا يحسن الخلق الا بضبط قوة الغضب
وقوة الشهوة وحفظها ولاجل هذا اثنى رسول الله ص على الرفق وبالغ فيه فقال يا عائشة انه من اعطي حظه من الرفق فقد اعطي حظه من خير الدنيا
والآخرة ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من خير الدنيا والآخرة قال النبي ص اذا احب الله اهل بيت ادخل عليهم الرفق
وقال ص ان الله ليعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق واذا احب الله عبدا اعطاه الرفق وما من اهل بيت يحرمون الرفق الا حرموا وقال
النبي صلى الله عليه وسلم يا عائشة ارفقي فان الله اذا اراد باهل بيت كرامة دلهم على باب الرفق وقال النبي ص من يحرم الرفق يحرم الخير كله
وقال النبي ص [illegible] ايما وال ولي فلان فرفق رفق الله به يوم القيامة • وقال النبي ص تدرون من يحرم على النار
كل هين لين سهل قريب وقال النبي ص الرفق يمن والخرق شؤم • وقال النبي ص التأني من الله والعجلة من الشيطان
وروى ان رسول الله ص اتاه رجل فقال يا رسول الله ان الله قد بارك لجميع المسلمين فيك فاخصصني منك بخير فقال الحمد
لله مرتين او ثلثا قال نعم قال اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان سوى ذلك فانته وعن عائشة رض
انها كانت مع رسول الله ص في سفر على بعير صعب فجعلت تصرفه يمينا وشمالا فقال رسول الله ص يا عائشة عليك بالرفق فانه لا
يدخل في شيء الا زانه ولا ينزع من شيء الا شانه

الآثار

بلغ امير المؤمنين عمر بن الخطاب رض ان جماعة اشتكوا من عماله
فامرهم ان يوافوه فلما اتوه قام فحمد الله واثنى عليه وقال ايها الرعية ان لنا عليكم حقا النصيحة بالغيب والمعاونة على الخير
ايها الرعاة ان للرعية عليكم حقا واعلموا انه لا حلم احب الى الله ولا اعم من حلم امام ورفقه وليس جهل ابغض الى الله ولا
اعم من جهل امام وخرقه واعلموا انه من يأخذ بالعافية فيمن بين ظهرانيه يرزق العافية فيمن هو دونه وقال وهب بن منبه
رض الرفق ثني الحلم وفي الخبر موقوفا ومرفوعا العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيمه والرفق والده
واللين اخوه والصبر امير جنوده وقال بعضهم ما احسن الايمان يزينه العلم وما احسن العلم يزينه العمل وما احسن
العمل يزينه الرفق وما اضيف شيء الى شيء مثل حلم الى علم وقال عمرو بن العاص لابنه عبد الله ما الرفق قال ان تكون ذا اناة وتلاين
الولاة قال فما الخرق قال معاداة امامك ومناوأة من يقدر على ضرك وقال شقيق لاصحابه تدرون ما الرفق قالوا قل يا ابا محمد
قال ان تضع الامور مواضعها الشدة في موضعها واللين في موضعه والسيف في موضعه والسوط في موضعه وهذه اشارة الى انه
لا بد من مزج الغلظة باللين والفظاظة بالرفق كما قيل ووضع الندى في موضع السيف بالعلى • مضر كوضع السيف في موضع الندى
فالمحمود وسط بين العنف واللين كما في سائر الاخلاق ولكن لما كانت الطباع الى الحدة والعنف اميل كانت الحاجة الى ترغيبهم
في جانب الرفق اكثر ولذلك كثر ثناء الشرع على جانب الرفق دون العنف وان كان العنف في محله حسنا كما ان الرفق في محله حسن
فاذا كان الواجب هو العنف فقد وافق الحق الهوى وهذا الذي الزبد بالشهد هكذا قاله عمر بن عبد العزيز وروى ان عمرو بن العاص كتب
الى معاوية يعاتبه في التأني فكتب اليه معاوية اما بعد فان التفهم في الخير زيادة ورشد وان الرشيد من رشد عن العجلة وان الخائب
من خاب عن الاناة وان المتثبت مصيب او كاد ان يكون مصيبا وان العجل مخطئ او كاد ان يكون مخطئا وان من لا ينفعه الرفق يضره
الخرق ومن لا ينفعه التجارب لا يدرك المعالي وعن ابن عون الانصاري قال ما تكلم الناس بكلمة صعبة الا والى جنبها كلمة الين
منها تجري مجراها وقال ابو حمزة الكوفي لا تتخذ من الخدم الا ما لا بد منه فان مع كل انسان شيطانا واعلم انهم لا يعطونك بالشدة شيئا
الا اعطوك باللين ما هو افضل منه وقال الحسن المؤمن وقاف متأن وليس كحاطب ليل فهذا ثناء اهل العلم على الرفق وذلك لانه محمود

ومفيد في اكثر الاحوال واغلب الامور والحاجة الى العنف قد تقع ولكن على الندور وانما الكامل من يميز مواقع الرفق عن مواقع العنف
فيعطي كل امر حقه فان كان قاصر البصيرة او اشكل عليه حكم واقعة من الوقايع فليمل الى الرفق فان النجح معه في الاكثر

القول في ذم الحسد وفي حقيقته واسبابه ومعالجته وغاية الواجب في ازالته

بيان ذم الحسد

اعلم ان الحسد ايضا من نتايج الحقد والحقد من نتايج الغضب فهو فرع فرع الغضب والغضب اصل اصله ثم للحسد من الفروع الذميمة
ما لا يكاد يحصى وقد ورد في ذم الحسد اخبار كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال النبي ص في النهي عن الحسد
واسبابه وثمراته لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا وقال انس بن مالك رض كنا يوما جلوسا عند رسول الله ص
فقال يطلع عليكم من هذا الفج رجل من اهل الجنة قال فطلع رجل من الانصار تنطف لحيته من وضوءه قد علق نعليه في يده الشمال فسلم فلما كان الغد
قال النبي ص مثل ذلك فطلع ذلك الرجل وقال له في اليوم الثالث مثل ذلك فطلع ذلك الرجل فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو
بن العاص وقال اني لاحيت ابي واقسمت ان لا ادخل عليه ثلثا فان رأيت ان تؤويني اليك حتى تمضي فعلت فقال نعم فبات عنده
ثلاث ليال فلم يره يقوم من الليل شيئا غير انه اذا انقلب على فراشه ذكر الله تعالى ولم يقم حتى يقوم لصلاة الفجر قال عبد الله بن عمرو ولم اسمعه يقول الا
خيرا فلما مرت الثلث وكدت ان احتقر عمله قلت يا عبد الله لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجرة ولكني سمعت رسول الله ص
يقول كذا وكذا فاردت ان اعرف عملك فلم ارك تعمل عملا كثيرا فما الذي بلغ بك ذلك قال ما هو الا ما رأيت فلما وليت دعاني فقال
ما هو الا ما رأيت غير اني لا اجد على احد من المسلمين غشا ولا احسد احدا على خير اعطاه الله تعالى اياه قال عبد الله هي التي بلغت بك
وهي التي لا نطيق وقال النبي ص ثلث لا ينجو منهن احد الظن والطيرة والحسد وساحدثكم بالمخرج من ذلك اذا ظننت فلا
تحقق واذا تطيرت فامض واذا حسدت فلا تبغ وفي رواية اخرى لا ينجو منهن احد وقل من ينجو منهن فاثبت في هذه الرواية
امكان النجاة وقال النبي ص دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء والبغضة هي الحالقة لا اقول حالقة الشعر ولكن
حالقة الدين والذي نفس محمد بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا الا انبئكم بما يثبت ذلك لكم افشوا
السلام بينكم وقال النبي ص انه سيصيب امتي داء الامم قالوا وما داء الامم قال الاشر والبطر والتكاثر والتنافس في
الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون البغي ثم يكون الهرج وقال النبي ص لا تظهر الشماتة لاخيك فيرحمه الله ويبتليك
وروى ان موسى بن عمران ع لما تعجل الى ربه رأى في ظل العرش رجلا فغبطه بمكانه وقال ان هذا لكريم على ربه فسأل ربه
ان يخبره باسمه فلم يخبره باسمه وقال احدثك من عمله ثلثا كان لا يحسد الناس على ما اتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه
ولا يمشي بالنميمة وقال زكريا ع قال الله تعالى الحاسد عدو لنعمتي متسخط لقضائي غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي
وقال النبي ص اخوف ما اخاف على امتي ان يكثر لهم المال فيتحاسدون ويقتتلون وقال صلى الله عليه وسلم استعينوا على قضاء
حوائجكم بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وقال ص ان لنعم الله اعداء قيل ومن هم قال الذين يحسدون الناس على ما اتاهم الله من
فضله وقال النبي ص ستة يدخلون النار قبل الحساب بسنة قيل يا رسول الله من هم قال الامراء بالجور والعرب
بالعصبية والدهاقين بالكبر والتجار بالخيانة واهل الرساتيق بالجهالة والعلماء بالحسد

الآثار

قال بعض السلف
اول خطيئة كانت هي الحسد حسد ابليس آدم عليه الصلاة والسلام ان يسجد له فحمله الحسد على المعصية اي على ترك السجود وحكي ان
عون بن عبد الله دخل على الفضل بن المهلب وكان يومئذ واليا على واسط فقال اني اريد ان اعظك بشيء فقال وما هو قال
اياك والكبر فانه اول ذنب عصي الله به ثم قرأ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس الآية واياك والحرص فانه اخرج آدم من
الجنة امكنه الله من جنة عرضها السموات والارض يأكل منها الا شجرة واحدة نهاه الله عنها فاكل منها فاخرجه الله تعالى منها ثم قرأ
اهبطوا منها الآية واياك والحسد فانه قتل ابن آدم اخاه حين حسده ثم قرأ واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق الآية واذا
ذكر اصحاب رسول الله ص فامسك واذا ذكر القدر فاسكت واذا ذكرت النجوم فاسكت وقال بكر بن عبد الله المزني
كان رجل يغشى بعض الملوك فيقوم عند الملك فيقول احسن الى المحسن باحسانه والمسيء سيكفيكه مساوته فحسده رجل على
ذلك المقام والكلام فسعى به الى الملك فقال ان هذا الذي يقوم بحذائك ويقول ما يقول زعم ان الملك ابخر فقال له الملك وكيف
يصح ذلك عندي قال تدعوه اليك فاذا دنا منك وضع يده على انفه كي لا يشم ريح البخر فقال له انصرف حتى انظر فخرج من
عند الملك ودعا الرجل الى منزله فاطعمه طعاما فيه ثوم فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء الملك وقال احسن الى المحسن باحسانه والمسيء

سيكفيك مساويه فقال له الملك ادن مني فدنا فوضع يده على فيه مخافة ان يشم الملك منه ريح الثوم فقال الملك في نفسه ما ارى فلانا الا قد صدق وكان الملك لا يكتب بخطه الا بجائزة او صلة فكتب له كتابا بخطه الى عامل من عماله اذا اتاك حامل كتابي هذا فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به الي فاخذ الكتاب وخرج فلقيه الرجل الذي سعى به فقال ما هذا الكتاب قال خط الملك لي بصلة فقال هبه لي فقال هو لك فاخذه ومضى الى العامل فقال العامل في كتابك ان اذبحك واسلخك فقال ان الكتاب ليس لي فالله الله في امري حتى تراجع الملك فقال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشا جلده تبنا وبعث به ثم عاد الرجل الى الملك كعادته وقال مثل قوله فتعجب الملك وقال ما فعلت بالكتاب قال لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته له قال له الملك انه ذكر لي انك تزعم اني ابخر قال ما قلت ذلك قال فلم وضعت يدك على فيك قال لانه اطعمني طعاما فيه ثوم فكرهت ان تشمه قال صدقت ارجع الى مكانك فقد كفاك المسيء مساويه **وقال** محمد بن سيرين ما حسدت احدا على شيء من الدنيا لانه ان كان من اهل الجنة فكيف احسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة وان كان من اهل النار فكيف احسده على امر الدنيا وهو يصير الى النار **وقال** رجل للحسن هل يحسد المؤمن قال ما انساك بني يعقوب نعم ولكن غمه في صدرك فانه لا يضرك ما لم تعد به يدا ولسانا **وقال** ابو الدرداء ما اكثر عبد ذكر الموت الا قل فرحه وقل حسده **وقال** معاوية كل الناس اقدر على رضاه الا حاسد نعمة فانه لا يرضيه الا زوالها **ولذلك قيل**

كل العداوة قد ترجى اماتتها • الا عداوة من عاداك من حسد

وقال بعض الحكماء الحسد جرح لا يبرأ • وحسب الحسود ما يلقى • وقال اعرابي ما رأيت ظالما اشبه بمظلوم من حاسد انه يرى النعمة عليك نقمة عليه **وقال** الحسن يا ابن آدم لم تحسد اخاك فان كان الذي اعطاه لكرامته عليه فلم تحسد من اكرمه الله وان كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره الى النار • وقال بعضهم الحاسد لا ينال من المجالس الا مذمة وذلا • ولا ينال من الملائكة الا لعنة وبغضا • ولا ينال من الخلق الا جزعا وغما • ولا ينال عند النزع الا شدة وهولا • ولا ينال عند الموقف الا فضيحة ونكالا

بيان حقيقة الحسد وحكمه واقسامه ومراتبه

اعلم انه لا حسد الا على نعمة فاذا انعم الله على اخيك بنعمة فلك فيها حالتان • احداهما ان تكره تلك النعمة وتحب زوالها وهذه الحالة تسمى حسدا فالحسد حده كراهة النعمة وحب زوالها عن المنعم عليه • **الحالة الثانية** ان لا تحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها ولكن تشتهي لنفسك مثلها وهذه تسمى غبطة وقد تختص باسم المنافسة وقد تسمى المنافسة حسدا والحسد منافسة ويوضع احد اللفظين موضع الآخر ولا حجر في الاسامي بعد فهم المعاني وقد **قال** صلى الله عليه وسلم ان المؤمن يغبط والمنافق يحسد • فاما الاول فهو حرام بكل حال الا نعمة اصابها فاجر او كافر وهو يستعين بها على تهييج الفتنة وافساد ذات البين وايذاء الخلق فلا يضرك كراهتك لها ومحبتك لزوالها فانك لا تحب زوالها من حيث هي نعمة بل من حيث هي آلة الفساد ولو امنت فساده لم يغمك بنعمته **ويدل على تحريم الحسد الاخبار** التي نقلناها وان هذه الكراهية تسخط لقضاء الله تعالى في تفضيل بعض عباده على بعض وذلك لا عذر فيه ولا رخصة واي معصية تزيد على كراهتك لراحة مسلم من غير ان يكون لك منه مضرة والى هذا اشار القرآن بقوله ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها الآية وهذا الفرح شماتة والحسد والشماتة متلازمان • قال تعالى ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم الآية فاخبر ان حبهم زوال نعمة الايمان حسد **وقال** تعالى ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء الآية • ثم ذكر الله تعالى حسد اخوة يوسف وعبر عما في قلوبهم بقوله اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين فلما كرهوا حب ابيهم له وساءهم ذلك واحبوا زواله عنه غيبوه **وقال** تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا اي لا تضيق صدورهم به ولا يغتمون فاثنى عليهم بعدم الحسد **وقال** تعالى في معرض الانكار ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله الآية **وقال** تعالى كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين الى قوله من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم الآية قيل في التفسير حسدا **وقال** تعالى وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم فانزل الله تعالى العلم ليجمعهم ويؤلف بينهم على طاعته فامرهم ان يتألفوا بالعلم فتحاسدوا واختلفوا اذ اراد كل واحد ان ينفرد بالرياسة وقبول القول فرد بعضهم على بعض **وقال** ابن عباس رضي الله عنه كانت اليهود قبل ان يبعث النبي صلى الله عليه وسلم اذا قاتلوا قوما قالوا نسالك بالنبي الذي وعدتنا ان ترسله وبالكتاب الذي تنزله الا ما نصرتنا فكانوا ينصرون فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم من ولد اسماعيل عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم فقال تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا الى قوله ان يكفروا بما انزل الله بغيا اي حسدا **وقالت** صفية بنت حيي للنبي صلى الله عليه وسلم جاء ابي وعمي من عندك يوما فقال ابي لعمي ما تقول فيه فقال اقول انه النبي الذي بشر به موسى قال فما ترى قال ارى معاداته ايام الحياة فهذا حكم الحسد في التحريم واما المنافسة فليست بحرام بل هي اما واجبة واما مندوبة واما مباحة وقد يستعمل لفظ المنافسة بدل الحسد والحسد بدل المنافسة قال قثم بن العباس لما اراد هو والفضل ان ياتيا النبي صلى الله عليه وسلم فيسألاه ان يؤمرهما على الصدقة قال لهما علي حين قال لهما على لا تذهبا فانه لا يؤمركما عليها فقالا له ما هذا منك الا نفاسة والله لقد زوجك ابنته فما نفسنا ذلك عليك اي هذا منك حسد وما حسدناك على تزويجك فاطمة والمنافسة مشتقة في اللغة من النفاسة والذي يدل على اباحة المنافسة قوله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون **وقال** تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم الآية وانما المسابقة عند خوف الفوت وهو كالعبدين يتسابقان الى خدمة مولاهما اذ يجزع كل واحد ان يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها وكيف وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وقال لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس ثم فسر ذلك في حديث ابي كبشة الانماري فقال مثل هذه الامة مثل اربعة رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه في ماله ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فيقول رب لو ان لي مالا مثل مال فلان لكنت اعمل فيه بمثل عمله فهما في الاجر سواء وهذا منه حب لان يكون له مثل ما له من غير حب زوال النعمة عنه قال ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو ينفقه في معاصي الله ورجل لم يؤته علما ولم يؤته مالا فيقول لو ان لي مثل مال فلان لكنت انفقه في مثل ما انفقه فيه من المعاصي فهما في الوزر سواء فذمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة تمنيه للمعصية لا من جهة حبه ان يكون له من النعمة مثل ماله فاذا لا حرج على من يغبط غيره في نعمة ويشتهي لنفسه مثلها مهما لم يحب زوالها عنه ولم يكره دوامها له نعم ان كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة كالايمان والصلاة والزكاة فهذه المنافسة واجبة وهو ان يحب ان يكون مثله لانه اذا لم يكن يحب ذلك فيكون راضيا بالمعصية وذلك حرام • وان كانت النعمة من الفضائل كانفاق الاموال في المكارم والصدقات فالمنافسة فيها مندوب اليها وان كانت نعمة يتنعم بها على وجه مباح فالمنافسة فيها مباحة وكل ذلك يرجع الى ارادة مساواته واللحوق به في النعمة وليس فيها كراهة النعمة فكان تحت هذه النعمة امران احدهما راحة المنعم عليه • والآخر ظهور نقصان غيره وتخلفه عنه وهو يكره احد الوجهين وهو تخلف نفسه ويحب مساواته فلا حرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها في المباحات نعم ذلك ينقص من الفضائل ويناقض الزهد والتوكل والرضا ويحجب عن المقامات الرفيعة ولكنه لا يوجب العصيان **وهاهنا دقيقة غامضة** وهو انه اذا ايس من ان ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانه فلا محالة يحب زوال النقصان وانما يزول نقصانه اما بان ينال مثله او بان تزول نعمة المحسود فاذا انسد احد الطريقين فيكاد القلب لا ينفك عن شهوة الطريق الآخر حتى اذا زالت النعمة عن المحسود كان ذلك اشهى عنده من دوامها اذ بزوالها يزول تخلفه وتقدم غيره وهذا يكاد لا ينفك القلب عنه فان كان بحيث لو القي الامر اليه ورد الى اختياره لسعى في زوال النعمة عنه فهو حسود حسدا مذموما وان كان يزعه التقوى عن ازالة ذلك فيعفى عنه ما يجده في طبعه من الارتياح الى زوال النعمة عن محسوده مهما كان كارها لذلك من نفسه بعقله ودينه ولعله المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا ينفك المؤمن عنهن الحسد والظن والطيرة ثم قال وله منهن مخرج اذا حسدت فلا تبغ اي ان وجدت في قلبك شيئا فلا تعمل به وبعيد ان يكون الانسان مريدا للحوق باخيه في النعمة فيعجز عنها ثم ينفك عن ميل الى زوال النعمة اذ يجد لا محالة ترجيحا له على دوامها فهذا الحد من المنافسة يزاحم الحسد الحرام فينبغي ان يحتاط فيه فانه موضع الخطر وما من انسان الا وهو يرى فوق نفسه جماعة من معارفه واقرانه يحب ان يساويهم ويكاد يجره ذلك الى الحسد المحظور ان لم يكن قوي الايمان رزين التقوى ومهما كان محركه خوف التفاوت وظهور نقصانه عن غيره جره ذلك الى الحسد المذموم والى ميل الطبع الى زوال النعمة عن اخيه حتى ينزل هو الى مساواته اذ لم يقدر هو ان يرتقي الى مساواته بادراك النعمة وذلك لا رخصة فيه اصلا بل هو حرام سواء كان في مقاصد الدين او مقاصد الدنيا ولكن يعفى عنه في ذلك ما لم يعمل به ان شاء الله تعالى وتكون كراهيته لذلك من نفسه كفارة له فهذه حقيقة الحسد واحكامه واما مراتبه فاربعة • الاولى ان يحب زوال النعمة عنه وان كان ذلك لا ينتقل اليه وهذا غاية الخبث • الثانية ان يحب زوال النعمة اليه لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة او امرأة جميلة او ولاية نافذة او سعة نالها غيره وهو يحب ان تكون له ومطلوبه تلك النعمة لا زوالها عنه ومكروهه فقد النعمة لا تنعم غيره بها • والثالثة ان لا يشتهي عينها لنفسه بل يشتهي لنفسه مثلها فان عجز عن مثلها احب زوالها كيلا يظهر التفاوت بينهما • والرابعة ان يشتهي لنفسه مثلها فان لم تحصل فلا يحب زوالها عنه وهذا الاخير هو المعفو عنه ان كان في الدنيا والمندوب اليه ان كان في الدين • والثالثة فيها مذموم وغير مذموم • والثانية اخف من الثالثة • والاولى مذموم محض وتسمية الثانية حسدا فيه تجوز وتوسع ولكنه مذموم لقوله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض فتمنيه لمثل ذلك غير مذموم واما تمنيه عين ذلك فهو مذموم

بيان اسباب الحسد والمنافسة

اما المنافسة فسببها حب ما فيه المنافسة فان كان ذلك امرا دينيا فسببه حب الله تعالى وحب طاعته وان كان دنيويا فسببه حب مباحات الدنيا والتنعم فيها وانما نظرنا الآن في الحسد المذموم ومداخله كثيرة جدا ولكن يحصر جملتها سبعة ابواب العداوة والتعزز والكبر والتعجب والخوف من فوت المقاصد المحبوبة وحب الرياسة وخبث النفس وبخلها فانه انما يكره النعمة عليه اما لانه عدوه فلا يريد له الخير وهذا لا يختص بالامثال بل يحسد الخسيس الملك

لحصول عجب زوال النعمة لكونه يبغضه اما بسبب اساءة اليه او الى من يحبه واما ان يكون من حيث يعلم انه يستكبر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كبره وتفاخره لعزة نفسه وهو المراد بالتعزز واما ان يكون في طبعه ان يتكبر على المحسود ويمتنع ذلك عليه بنعمته وهو المراد بالتكبر واما ان تكون النعمة عظيمة والمنصب كبيرا فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو المراد بالتعجب واما ان يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته بان يتوصل بها الى مزاحمته في اغراضه واما ان يكون يحب الرياسة التي تبتنى على الاختصاص بنعمة لا يساوى فيها واما ان لا يكون بسبب من هذه الاسباب بل لخبث النفس وشحها بالخير لعباد الله ولا بد من شرح هذه الاسباب

السبب الاول العداوة والبغضاء وهذا اشد اسباب الحسد فان من اذاه انسان بسبب من الاسباب وخالفه في غرضه بوجه من الوجوه ابغضه قلبه وغضب عليه ورسخ في قلبه الحقد والحقد يقتضي التشفي والانتقام فان عجز المبغض عن ان يتشفى بنفسه احب ان يتشفى منه الزمان وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله تعالى فمهما اصابت عدوه بلية فرح بها وظنها مكافاة له من جهة الله تعالى على بغضه وانه لاجله ومهما اصابته نعمة ساءه ذلك لانه ضد مراده وربما يخطر له انه لا منزلة له عند الله تعالى حيث لم ينتقم له من عدوه الذي اذاه بل انعم عليه وبالجملة فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما وانما غاية التقي ان لا يبغي وان يكره ذلك من نفسه فاما ان يبغض انسانا ثم تستوي عنده مسرته ومساءته فهذا غير ممكن وهذا مما وصف الله تعالى الكفار به اعني الحسد بالعداوة اذ قال تعالى واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ان تمسسكم حسنة تسؤهم الاية وكذلك قال ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر والحسد بسبب البغض ربما يفضي الى التنازع والتقاتل واستغراق جميع العمر في ازالة النعمة بالحيل والسعاية وهتك الستر وما يجري مجراه

السبب الثاني التعزز وهو ان يثقل عليه ان يترفع عليه غيره فاذا اصاب بعض امثاله ولاية او علما او مالا خاف ان يتكبر عليه وهو لا يطيق تكبره ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه وليس من غرضه ان يتكبر بل غرضه ان يدفع كبره فانه قد رضي بمساواته مثلا ولكن لا يرضى بترفعه عليه

والسبب الثالث الكبر وهو ان يكون في طبعه ان يتكبر عليه ويستصغره ويستخدمه ويتوقع منه الانقياد له والمتابعة في اغراضه فاذا نال نعمة خاف ان لا يحتمل تكبره ويترفع عن متابعته وربما يتشوق الى مساواته او الى ان يرتفع عليه فيعود متكبرا بعد ان كان متكبرا عليه ومن التعزز والتكبر كان حسد اكثر الكفار لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قالوا كيف يتقدم علينا غلام يتيم وكيف نطاطئ له رؤوسنا وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم اي كان لا يثقل علينا ان نتواضع له ونتبعه اذا كان عظيما وقال الله تعالى يصف قول قريش اهؤلاء من الله عليهم من بيننا كالاستحقار لهم والانفة منهم

السبب الرابع التعجب كما اخبر الله تعالى عن الامم الماضية اذ قالوا انؤمن لبشرين مثلنا ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم فتعجبوا من ان يفوز برتبة الرسالة والوحي والقرب من الله تعالى بشر مثلهم فحسدوهم واحبوا زوال النعمة عنهم جزعا ان يفضل عليهم من هو مثلهم في الخلقة لا عن قصد تكبر وطلب رياسة وتقدم عداوة او سبب اخر من سائر الاسباب وقالوا متعجبين ابعث الله بشرا رسولا وقالوا لولا انزل علينا الملائكة فقال تعالى او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم الاية

السبب الخامس الخوف من فوت المقاصد وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد فان كل واحد يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عونا له في الانفراد بمقصوده ومن هذا الجنس تحاسد الضرات في التزاحم على مقاصد الزوجية وتحاسد الاخوة في التزاحم على نيل المنزلة في قلب الابوين للتوصل به الى مقاصد الكرامة والمال وكذلك تحاسد التلميذين لاستاذ واحد على نيل المنزلة في قلب الاستاذ وتحاسد ندماء الملك وخواصه في نيل المنزلة في قلبه للتوصل به الى المقاصد الكريمة وكذلك تحاسد الواعظين المتزاحمين على اهل بلدة واحدة اذا كان غرضهما نيل المال بالقبول عندهم وكذلك التزاحم العالمين المتزاحمين على طائفة من المتفقهة محصورين اذ يطلب كل واحد منزلة في قلبهم للتوصل بهم الى اغراضهم

السبب السادس حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه من غير توصل به الى مقصود وذلك كالرجل الذي يريد ان يكون عديم النظير في فن من الفنون اذا غلب عليه حب الثناء واستفزه الفرح بما يمدح به من انه واحد الدهر وفريد العصر في فنه وانه لا نظير له فانه لو سمع بنظير له في اقصى العالم لساءه ذلك واحب موته او زوال النعمة التي بها يشاركه في المنزلة من شجاعة او علم او عبادة او صناعة او جمال او ثروة او غير ذلك مما ينفرد هو به ويفرح بسبب تفرده وليس السبب في هذا عداوة ولا تعززا ولا تكبرا على المحسود ولا خوفا من فوات مقصود سوى محض الرياسة بدعوى الانفراد وهذا وراء ما بين احاد العلماء من طلب الجاه والمنزلة في قلوب الناس للتوصل الى مقاصد سوى الرياسة

وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يؤمنون به خيفة من ان تبطل رياستهم واستتباعهم مهما نسخ علمهم

السبب السابع خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى فانك تجد من لا يشتغل برياسة وتكبر ولا طلب مال اذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله تعالى فيما انعم الله عليه يشق ذلك عليه واذا وصف له اضطراب امور الناس وادبارهم وفوت مقاصدهم وتنغص عيشهم فرح به فهو ابدا يحب الادبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كانهم ياخذون ذلك من ملكه وخزانته ويقال البخيل من بخل بمال نفسه والشحيح هو الذي يبخل بمال غيره فهذا يبخل بنعمة الله تعالى على عباده الذين ليس بينه وبينهم عداوة ولا رابطة وهذا ليس له سبب ظاهر الا خبث النفس ورذالة في الطبع عليه وقعت الجبلة ومعالجته شديدة لان الحسد الثابت بسائر الاسباب اسبابه عارضة يتصور زوالها فيطمع في ازالتها وهذا خبث في الجبلة لا عن سبب عارض فتعسر ازالته اذ يستحيل في العادة ازالته فهذه هي اسباب الحسد وقد يجتمع بعض هذه الاسباب او اكثرها او جميعها في شخص واحد فيعظم فيه الحسد لذلك ويقوى قوة لا يقدر معها على الاخفاء والمجاملة بل ينهتك حجاب المجاملة وتظهر العداوة بالمكاشفة واكثر المحاسدات تجتمع فيها جملة من هذه الاسباب وقلما يتجرد سبب واحد منها

بيان السبب في كثرة الحسد بين الامثال والاقران

اعلم ان الحسد انما يكثر بين قوم تكثر بينهم الاسباب التي ذكرناها وانما يقوى بين قوم تجتمع جملة من هذه الاسباب ويتظاهر اذ الشخص الواحد يجوز ان يحسد لانه قد يمتنع عن قبول التكبر ولانه يتكبر ولانه عدو ولغير ذلك من الاسباب وهذه الاسباب انما تكثر بين اقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات ويتواردون على الاغراض فاذا خالف واحد منهم صاحبه في غرض من الاغراض نفر طبعه عنه وابغضه وثبت الحقد في قلبه فعند ذلك يريد ان يستحقره ويتكبر عليه ويكافئه على مخالفته لغرضه ويكره تمكنه من النعمة التي توصله الى اغراضه وتترادف جملة من الاسباب اذ لا رابطة بين شخصين في بلدتين متنائيتين فلا يكون بينهما محاسدة وكذلك في محلتين نعم اذا تجاورا في مسكن او سوق او مدرسة او مسجد تواردا على مقاصد تتناقض فيها اغراضهما فيثور من التناقض التنافر والتباغض ومنه تثور بقية اسباب الحسد فلذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد والعابد يحسد العابد دون العالم والتاجر يحسد التاجر بل الاسكاف يحسد الاسكاف ولا يحسد البزاز الا بسبب اخر سوى الاجتماع في الحرفة ويحسد الرجل اخاه وابن عمه اكثر مما يحسد الاجانب والمراة تحسد ضرتها وسرية زوجها اكثر مما تحسد ام الزوج وابنته لان مقصد البزاز غير مقصد الاسكاف فلا يتزاحمون على المقاصد اذ مقصد البزاز الثروة ولا يحصلها الا بكثرة الزبون وانما ينازعه فيه بزاز اخر اذ حريف البزاز لا يطلبه الاسكاف بل البزاز ثم مزاحمة البزاز المجاور له اكثر من مزاحمة البعيد عنه الى طرف السوق فلا جرم يكون حسده للجار اكثر وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد العالم لان مقصده ان يذكر بالشجاعة ويشتهر بها وينفرد بهذه الخصلة ولا يزاحمه العالم على هذا الغرض وكذلك يحسد العالم العالم ولا يحسد الشجاع ثم حسد الواعظ للواعظ اكثر من حسده للفقيه والطبيب لان التزاحم بينهما على مقصود واحد اخص فاصل هذه المحاسدات العداوة واصل العداوة التزاحم على غرض واحد والغرض الواحد لا يجمع متباعدين بل متناسبين فلذلك يكثر الحسد بينهم نعم من اشتد حرصه على الجاه واحب الصيت في جميع اطراف العالم بما هو فيه فانه يحسد كل من هو في العالم وان بعد ممن يساهمه في الخصلة التي يتفاخر بها ومنشا جميع ذلك حب الدنيا فان الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين اما الاخرة فلا ضيق فيها وانما مثال الاخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وملائكته وانبيائه وملكوت ارضه وسماواته لم يحسد غيره اذا عرف ذلك ايضا لان المعرفة لا تضيق على العارفين بل المعلوم الواحد يعرفه الف الف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ به ولا تنقص لذة واحد بسبب غيره بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الانس وثمرة الافادة والاستفادة فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة لان مقصدهم معرفة الله تعالى وهو بحر واسع لا ضيق فيه وغرضهم المنزلة عند الله تعالى ولا ضيق ايضا فيما عند الله تعالى لان اجل ما عند الله سبحانه من النعيم لذة لقائه وليس فيها ممانعة ومزاحمة ولا يضيق بعض الناظرين على بعض بل يزيد الانس بكثرتهم نعم اذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا لان المال اعيان واجسام اذا وقعت في يد واحد خلت عنها يد الاخر ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلا قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الاخر او نقص عنه لا محالة فيكون ذلك سببا للتحاسد واذا امتلا قلب بالفرح بمعرفة الله تعالى لم يمنع ذلك ان يمتلئ قلب غيره وان يفرح به والفرق بين العلم والمال ان المال لا يحل في يد ما لم يرتحل عن اليد الاخرى والعلم في قلب العالم مستقر ويحل في قلب غيره بتعليمه من غير ان يرتحل عن قلبه والمال اجسام واعيان ولها نهاية فلو ملك انسان جميع ما في الارض لم يبق بعده مال يتملكه غيره والعلم لا نهاية له ولا يتصور استيعابه فمن عود نفسه الفكر في جلال الله وعظمته وملكوت ارضه وسمائه صار ذلك الذ عنده من كل نعيم ولم يكن ممنوعا منه ولا مزاحما فيه فلا يكون في قلبه حسد لاحد من الخلق لان غيره ايضا لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذته بل زادت لذته بمؤانسته فتكون لذة هؤلاء في مطالعة عجائب الملكوت على الدوام اعظم من لذة من ينظر الى اشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة فان نعيم العارف وجنته معرفته التي هي صفة ذاته يامن زوالها وهو ابدا يجني ثمارها فهو بروحه وقلبه مغتذ بفاكهة علمه وهي فاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة بل قطوفها دانية فهو وان غمض العين الظاهرة فروحه ابدا ترتع في جنة عالية ورياض زاهرة وان فرض كثرة في العارفين لم يكونوا متحاسدين بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين فهذا حالهم وهم بعد

الدنيا ما تظن بهم عند انكشاف الغطا ومشاهدة المحبوب في العقبى فاذن لا يتصور ان يكون في الجنة محاسدة ولا ان يكون بين اهل الجنة في الدنيا
محاسدة لان الجنة لا مضايقة فيها ولا مزاحمة فيها • ولا تنال الا بمعرفة الله تعالى التي لا مزاحمة فيها في الدنيا ايضا • واهل الجنة بالضرورة في الدنيا والآخرة
برآء من الحسد بل الحسد من صفات المبعدين عن سعة العليين • الى مضيق السجين • ولذلك وسم به الشيطان اللعين • وذكر
من صفاته حسد آدم على ما خص به من الاجتبا • ولما دعي الى السجود استكبر وابى • وتمرد وعصى • فقد عرفت انه لا حسد الا
للتوارد على مقصود يضيق عن الوفا بالكل • ولهذا لا ترى الناس يتحاسدون على النظر الى زينة السماء ويتحاسدون على البساتين التي
هي جزء يسير من جملة الارض لا وزن لها بالاضافة الى السما • **ولكن السماء** لسعة الاقطار • وافية بجميع الابصار • فلم يكن فيها تزاحم
وتحاسد اصلا **فعليك** ان كنت بصيرا وعلى نفسك مشفقا • ان تطلب نعيما لا زحمة فيه • ولذة لا مكدر لها • ولا يوجد
ذلك في الدنيا الا في معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وافعاله وعجائب ملكوت السموات والارض • ولا ينال ذلك في الآخرة الا بهذه المعرفة
ايضا • فان كنت لا تشتاق الى معرفة الله تعالى ولم تجد لذته وفتر عنه رايك وضعفت فيه رغبتك فانت فيه معذور **فالعنين**
لا يشتاق الى لذة الوقاع • والصبي لا يشتاق الى لذة الملك فان هذه لذات يختص بادراكها الرجال دون الصبيان والمخنثين فكذلك
لذة المعرفة يختص بادراكها رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فلا يشتاق الى هذه اللذة غيرهم لان الشوق • بعد الذوق • ومن لم يذق
لم يعرف • ومن لم يعرف لم يشتق • ومن لم يشتق لم يطلب • ومن لم يطلب لم يدرك بقي مع المحرومين في اسفل السافلين • ومن يعش عن
ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين

بيان الدواء الذي به ينفي مرض الحسد عن القلب

اعلم ان الحسد من
الامراض العظيمة للقلوب ولا تداوى امراض القلوب الا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض الحسد هو ان تعرف تحقيقا ان الحسد ضرر عليك
في الدنيا وانه لا ضرر به على المحسود في الدنيا والدين بل ينتفع به في الدين والدنيا ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدو نفسك وصديق
عدوك فارقت الحسد لا محالة اما كونه ضررا عليك في الدين فهو انك بالحسد سخطت قضا الله تعالى وكرهت نعمته التي قسمها لعباده •
وعدله الذي اقامه في ملكه بخفي حكمته واستنكرت ذلك واستبشعته وهذه جناية على حدقة التوحيد وقذى في عين الايمان وناهيك
بها جناية على الدين وقد انضاف الى ذلك انك غششت رجلا من المؤمنين وتركت نصيحته وفارقت اولياء الله تعالى وانبياءه في حبهم الخير
لعباد الله تعالى وشاركت ابليس وسائر الكفار في محبتهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم وهذه خبائث في القلب تاكل حسنات القلب كما تاكل النار
الحطب وتمحوها كما يمحو الليل النهار • واما كونه في الدنيا ضررا عليك فهو انك تتالم بحسدك وتتعذب به ولا تزال في كمد وغم اذ اعداؤك
لا يخليهم الله تعالى من نعم يفيضها عليهم فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتالم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموما محروما متشعب القلب
ضيق النفس كما تشتهيه لاعدائك وكما يشتهيه اعداؤك لك فقد كنت تريد المحنة لعدوك فتنجزت محنتك في الحال وغمك نقدا ولا
تزول النعمة عن المحسود بحسدك ولو لم تكن تؤمن بالبعث والحساب لما فيه من الم القلب ومساءته مع عدم النفع كيف وانت عالم بما في الحسد
من العذاب الشديد في الآخرة **فما اعجب من العاقل** ان يتعرض لسخط الله تعالى من غير نفع يناله بل مع ضرر يحتمله والم يقاسيه فيهلك
دينه ودنياه من غير جدوى واما انه لا ضرر على المحسود في دينه ودنياه فواضح لان النعمة لا تزول عنه بحسدك بل ما قدره الله تعالى من اقبال
ونعمة فلا بد ان يدوم الى اجل قدره الله تعالى فلا حيلة في دفعه فان كل شيء عنده بمقدار ولكل اجل كتاب ولذلك شكا نبي من الانبياء من امراة
ظالمة مستولية على الخلق فاوحى الله تعالى اليه فر من قدامها حتى تنقضي ايامها اي ما قدرناه في الازل لا سبيل الى تغييره فاصبر حتى تنقضي المدة
التي سبق القضا بدوام اقبالها ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا ولا يكون عليه اثم في الآخرة **ولعلك تقول** ليت
النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدي وهذا غاية الجهل وانه لا تشتهيه اولا لنفسك فانك ايضا لا تخلو عن عدو يحسدك فلو كانت النعمة
تزول بالحسد لم يبق لله تعالى نعمة عليك ولا على الخلق ولا نعمة الايمان لان الكفار يحسدون المؤمنين على الايمان قال الله تعالى ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم
وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون اذ ما يريده الحسود لا يكون نعم هو يضل بارادته الضلال لغيره فان ارادة الكفر كفر فمن اشتهى ان تزول
النعمة عن المحسود بالحسد فكانما يريد ان يسلب نعمة الايمان بحسد الكفار وكذا سائر النعم وان اشتهيت ان تزول النعمة عن الخلق بحسدك ولا تزول عنك بحسد
غيرك فهذا غاية الجهل والغباوة فان كل واحد من حمقى الحساد ايضا يشتهي ان يخص بهذه الخاصية ولست اولى من غيرك بنعمة الله تعالى عليك اذ لم تزل
النعمة بالحسد مما يجب عليك شكرها وانت بجهلك تكرهها واما ان المحسود ينتفع به في الدين والدنيا فواضح اما منفعته في الدين فهو انه مظلوم من
جهتك لا سيما اذا اخرجك الحسد الى القول والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه فهذه هدايا يهديها الله تعالى اليه اعني انك
تهدي اليه حسناتك حتى تلقاه يوم القيامة مفلسا محروما عن النعمة كما حرمت في الدنيا عن النعمة فكانك اردت زوال النعمة عنه فلم تزل نعم كان لله عليه نعمة

اذ وفقك للحسنات فنقلتها اليه بالحسد فاضفت له نعمة الى نعمة واضفت لنفسك شقاوة الى شقاوة • واما منفعته في الدنيا
فهو ان اهم اغراض الخلق مساءة الاعدا وغمهم وشقاوتهم وكونهم معذبين مغمومين ولا عذاب اعظم مما انت فيه من الم الحسد
وغاية اماني اعدائك ان يكونوا في نعمة وان تكون في غم وحسرة بسببهم وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم ولذلك لا يشتهي عدوك
موتك بل يشتهي ان تطول حياتك ولكن في عذاب الحسد لتنظر الى نعمة الله عليه فيتقطع قلبك حسدا **ولذلك قيل** •

لا مات حسادك بل خلدوا ... حتى يروا منك الذي يكمد
لا زلت محسودا على نعمة ... فانما الكامل من يحسد

ففرح عدوك بغمك وحسدك اعظم من فرحه بنعمته ولو علم خلاصك من الم الحسد وعذابه لكان ذلك اعظم مصيبة وبلية عنده فما انت فيه
من غم الحسد الا كما يشتهيه عدوك فاذا تاملت هذا عرفت انك عدو نفسك وصديق عدوك اذ تعاطيت ما
تضررت به في الدنيا والآخرة وانتفع به عدوك في الدنيا والآخرة وصرت مذموما عند الخلق والخالق شقيا في الحال والمآل ونعمة
المحسود دائمة شئت ام ابيت ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوك حتى وصلت الى ادخال اعظم سرور على ابليس الذي هو اعدا اعدائك لانه
لما راك كان محروما عن نعمة العلم والورع والجاه والمال الذي اختص به عدوك عنك خاف ان تحب ذلك له فتشاركه في الثواب بسبب المحبة
لان من احب الخير للمسلمين كان شريكا في الخير ومن فاته اللحاق بدرجة الاكابر في الدين لم يفته ثواب الحب لهم مهما احب ذلك فخاف
ابليس ان تحب ما انعم الله به على عبده من دينه ودنياه فتفوز بثواب الحب فبغضه اليك حتى لا تلحقه بحبك كما لم تلحقه بعملك
وقد قال اعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو مع من احب وقام اعرابي والنبي يخطب فقال متى الساعة
فقال ما اعددت لها قال ما اعددت لها كثير صلاة ولا صيام الا اني احب الله ورسوله فقال النبي انت مع من احببت **قال** انس فما فرح
المسلمون بعد اسلامهم كفرحهم يومئذ اشارة الى ان اكثر بغيتهم حب الله ورسوله قال انس فنحن نحب رسول الله وابا بكر وعمر ولا نعمل مثل عملهم ونرجو ان نكون معهم
وقال ابو موسى الاشعري قلت يا رسول الله الرجل يحب المصلين ولا يصلي ويحب الصوام ولا يصوم حتى عد اشياء فقال النبي هو مع من احب
وقال رجل لعمر بن عبد العزيز انه كان يقال ان استطعت ان تكون عالما فكن عالما وان لم تستطع ان تكون عالما فكن متعلما فان لم تستطع ان
تكون متعلما فاحبهم فان لم تستطع فلا تبغضهم فقال سبحان الله لقد جعل لنا مخرجا فانظر الآن كيف حسدك ابليس ففوت عليك ثواب
الحب ثم لم يقنع به حتى بغض اليك اخاك وحملك على الكراهة حتى اثمت وكيف لا وعساك تحاسد رجلا من اهل العلم وتحب ان يخطئ في دين الله تعالى
وينكشف خطاؤه ليفتضح وتحب ان يخرس لسانه حتى لا يتكلم او يمرض حتى لا يعلم ولا يتعلم واي اثم يزيد على ذلك فليتك اذ فاتك اللحاق به ثم اغتممت
بسببه سلمت من الاثم وعذاب الآخرة **وقد جاء في الحديث** اهل الجنة ثلثة المحسن والمحب له والكاف عنه اي من يكف عنه
الاذى والحسد والبغض والكراهية فانظر كيف ابعدك ابليس عن جميع المداخل الثلثة حتى لا تكون من اهل واحد منها البتة فقد نفذ عليك حسد
ابليس وما نفذ حسدك على عدوك بل على نفسك بل لو كشف لك حالك في يقظة او منام لرايت نفسك ايها الحاسد في صورة من يرمي سهما
الى عدوه ليصيب به مقتله فلا يصيبه بل يرجع الى حدقته اليمنى فيقلعها فيزداد غيظه ثانيا فيعود ويرميه اشد من الاول فيرجع
الى عينه الاخرى فيعميها فيزداد غيظه فيعود ثالثة فيعود على راسه فيشجه وعدوه سالم في كل حال وهو اليه راجع مرة بعد اخرى واعداؤه
حواليه يفرحون به ويضحكون عليه وهذا حال الحسود وسخرية الشيطان منه بل حالك في الحسد اقبح من هذا لان الرمية العائدة لم تفوت الا العينين
ولو بقيتا لفاتتا بالموت لا محالة والحسد يعود بالاثم والاثم لا يفوت بالموت ولعله يسوقه الى غضب الله تعالى والى النار فلان يذهب عينه في الدنيا خير
من ان يبقى له عين يدخل بها النار فيلقطها لهب النار فانظر كيف انتقم الله من الحاسد اذ اراد زوال النعمة عن المحسود ثم ازالها عن الحاسد
اذ السلامة من الاثم نعمة والسلامة من الغم والكمد نعمة وقد زالتا عنه تصديقا لقوله تعالى ولا يحيق المكر السيء الا باهله الآية وربما
يبتلى بعين ما يشتهيه لعدوه وقلما يشمت شامت بمساءة الا ويبتلى بمثلها حتى قالت عايشة رضي الله عنها ما تمنيت لعثمان شيئا
الا نزل بي حتى لو تمنيت له القتل لقتلت فهذا اثم الحسد نفسه فكيف ما يجر اليه الحسد من الاختلاف وجحود الحق واطلاق اللسان واليد
بالفواحش في التشفي من الاعدا وهو الداء الذي فيه هلك الامم فهذه هي الادوية العلمية فمهما تفكر فيها الانسان بذهن صاف وقلب
حاضر انطفى من قلبه نار الحسد وعلم انه مهلك نفسه ومفرح عدوه ومسخط ربه عز وجل ومنغص عيشه واما العمل النافع
فيه فهو ان يحكم الحسد فكل ما يتقاضاه الحسد من قول او فعل ينبغي ان يكلف نفسه نقيضه فان بعثه الحسد على القدح فيه كلف لسانه المدح
والثناء عليه وان حمله على التكبر عليه الزم نفسه التواضع له والاعتذار اليه وان بعثه على كف الانعام عنه الزم نفسه الزيادة في الانعام عليه
فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه واحبه وتولد منه الموافقة التي تقطع مادة الحسد لان التواضع والثناء والمدح واظهار

تستميل قلب المنعم عليه وتسترقه وتستعطفه وتحمله على مقابلة ذلك بالاحسان ثم ذلك الاحسان يعود الى الاول فيطيب قلبه ويصير ما تكلفه اولا طبعا آخرا ولا يصدنه عن ذلك قول الشيطان لو تواضعت واثنيت عليه حمله العدو على العجز او على النفاق او الخوف وان ذلك مذلة ومهانة فان ذلك من خدع الشيطان ومكايده بل المجاملة تكلفا او طبعا تكسر سورة العداوة من الجانبين وتقل مرغوبها وتعود القلوب الى التآلف والتحاب وبه تستريح القلوب من الم الحسد وغم التباغض فهذه هي ادوية الحسد وهي نافعة جدا الا انها مرة جدا ولكن النفع في الدواء المر فمن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء وانما تهون مرارة هذا الدواء اعني التواضع للاعداء والتقرب اليهم بالمدح والثناء بقوة العلم بالمعاني التي ذكرناها وقوة الرغبة في ثواب الرضا بقضاء الله عز وجل واحباب ما احبه وعزة النفس وترفعها عن ان يكون في العالم شيء على خلاف مرادها جهل وعند ذلك تريد ما لا يكون اذ لا مطمع في ان يكون ما تريد وفوات المراد ذل وخسة ولا طريق الى الخلاص من هذا الذل الا باحد امرين اما ان يكون ما تريد او بان تريد ما يكون والاول ليس اليك ولا مدخل للتكلف والمجاهدة فيه واما الثاني فللمجاهدة فيه مدخل وتحصيله بالرياضة ممكن فيجب تحصيله على كل عاقل هذا هو الدواء الكلي واما الدواء المفصل فهو تتبع اسباب الحسد من الكبر وغيره وعزة النفس وشدة الحرص على ما لا يغني وسيأتي تفصيل مداواة هذه الاسباب في مواضعها فانها مواد هذا المرض ولا ينقمع المرض الا بقمع المادة وان لم تنقمع المادة لم يحصل بما ذكرناه الا تسكين وتطفية ولا يزال يعود مرة بعد اخرى ويطول الجهد في تسكينه مع بقاء مواده فانه ما دام محبا للجاه فلا بد وان يحسد من استأثر بالجاه والمنزلة في قلوب الناس دونه ويغمه ذلك لا محالة وانما غايته ان يهون الغم على نفسه ولا يظهر بلسانه ويده واما الخلو عنه راسا فلا يمكنه والله اعلم

بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب

اعلم ان المؤذي ممقوت بالطبع ومن آذاك فلا يمكنك الا ان تبغضه غالبا واذا تيسرت له نعمة فلا يمكنك الا ان تكرهها له حتى يستوي عندك حسن حال عدوك وسوء حاله بل لا تزال تدرك في النفس بينهما تفرقة ولا يزال الشيطان ينازعك الى الحسد له ولكن ان قوي ذلك فيك حتى يبعثك على اظهار الحسد بقول او فعل بحيث يعرف ذلك من ظاهرك بافعالك الاختيارية فانت حسود عاص بحسدك وان كففت ظاهرك بالكلية الا انك بباطنك تحب زوال النعمة وليس في نفسك كراهة لهذه الحالة فانت ايضا حسود عاص لان الحسد صفة القلب لا صفة الفعل قال الله تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا وقال عز وجل ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء وقال ان تمسسكم حسنة تسؤهم واما الفعل فهو غيبة وكذب وهو عمل صادر عن الحسد وليس هو عين الحسد بل محل الحسد القلب دون الجوارح نعم هذا الحسد ليس مظلمة يجب الاستحلال منها بل هو معصية بينك وبين الله تعالى وانما يجب الاستحلال من الاسباب الظاهرة على الجوارح فاذا كففت ظاهرك والزمت مع ذلك قلبك كراهية ما يترشح منه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كانك تمقت نفسك على ما في طبعها فتكون تلك الكراهة من جهة العقل في مقابلة الميل من جهة الطبع فقد اديت الواجب عليك فلا يدخل تحت اختيارك في اغلب الاحوال اكثر من هذا واما تغيير الطبع ليستوي عنده المؤذي والمحسن ويكون فرحه او غمه بما يتيسر لهما من نعمة او تنصب عليهما من بلية سواء فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه ما دام ملتفتا الى حظوظ الدنيا الا ان يصير مستغرقا بحب الله تعالى مثل السكران الواله فقد ينتهي امره الى ان لا يلتفت قلبه الى تفاصيل احوال العباد بل ينظر الى الكل بعين واحدة وهي عين الرحمة ويرى الكل عباد الله وافعالهم افعالا لله ويراهم مسخرين وذلك ان كان فهو كالبرق الخاطف لا يدوم ثم يرجع القلب بعد ذلك الى طبعه ويعود العدو الى منازعته اعني الشيطان فانه ينازع بالوسوسة فمهما قابل ذلك بكراهية والزم قلبه هذه الحالة فقد ادى ما كلف به وقد ذهب ذاهبون الى انه لا ياثم اذا لم يظهر الحسد على جوارحه لما روي عن الحسن انه سئل عن الحسد فقال غمه فانه لا يضرك ما لم تبده وروي عنه موقوفا ومرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة لا يخلو منهن المؤمن وله منهن مخرج فمخرجه من الحسد ان لا يبغي والاولى ان يحمل هذا على ما ذكرناه من ان يكون فيه كراهية من جهة الدين والعقل في مقابلة حب الطبع لزوال نعمة العدو وتلك الكراهة تمنعه من البغي والايذاء فان جميع ما ورد من الاخبار في ذم الحسد يدل ظاهره على ان كل حاسد آثم والحسد عبارة عن صفة القلب لا عن الافعال وكل من يحب مساءة المسلمين فهو حاسد فاذن كونه آثما بمجرد حسد القلب من غير فعل هو في محل الاجتهاد والاظهر ما ذكرناه من حيث ظواهر الآيات والاخبار ومن حيث المعنى اذ يبعد ان يعفى عن العبد في ارادته مساءة مسلم واشتماله بالقلب عليه من غير كراهة وقد عرفت من هذا ان لك في اعدائك ثلاثة احوال احدها ان تحب مساءتهم بطبعك وتكره حبك لذلك وميل قلبك اليه بعقلك وتمقت نفسك عليه وتود لو كانت لك حيلة في ازالة ذلك الميل منك وهذا معفو عنه قطعا لانه لا يدخل تحت اختيارك اكثر منه الثانية ان تحب ذلك وتظهر الفرح بمساءته اما بلسانك واما بجوارحك فهذا هو الحسد المحظور قطعا الثالثة وهي بين الطرفين ان تحسد بالقلب من غير مقتك لنفسك على حسدك ومن غير انكار منك على قلبك ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد في مقتضاه وهذا محل الخلاف والظاهر انه لا يخلو عن اثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه

تم القول في كتاب آفة الغضب يتلوه كتاب ذم الدنيا

كتاب ذم الدنيا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي عرف اولياءه غوائل الدنيا وآفاتها وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها حتى نظروا في شواهدها وآياتها ووزنوا بحسناتها سيئاتها فعلموا انه يزيد منكرها على معروفها ولا يفي مرجوها بمخوفها ولا يسلم طلوعها من كسوفها ولكنها في صورة امرأة مليحة تستميل الناس بجمالها ولها اسرار سوء وقبائح تهلك الراغبين في وصالها ثم هي فرارة عن طلابها شحيحة باقبالها واذا اقبلت لم يؤمن شرها ووبالها ان احسنت ساعة اساءت سنة وان اساءت مرة جعلتها سنة فدوائر اقبالها على التقارب دائرة وتجارة بنيها خاسرة بائرة وآفاتها على التوالي لصدور طلابها راشقة ومجاري احوالها بذل طالبيها ناطقة فكل مغرور بها الى الذل مصيره وكل متكبر بها الى التحسر مصيره شأنها الهرب من طالبيها والطلب لهاربيها ومن خدمها فاتته ومن اعرض عنها واتته لا يخلو صفوها عن شوائب الكدورات ولا ينفك سرورها عن المنغصات سلامتها تعقب السقم وشبابها يسوق الى الهرم ونعيمها لا يثمر الا الحسرة والندم فهي خداعة مكارة طيارة فرارة لا تزال تتزين لطلابها حتى اذا صاروا من احبابها كشرت لهم عن انيابها وشوشت عليهم مناظم اسبابها وكشفت لهم عن مكنون عجائبها فاذاقتهم قواتل سمامها ورشقتهم بصوائب سهامها بينما اصحابها منها في سرور وانعام اذ ولت عنهم كانها اضغاث احلام ثم عكرت عليهم بدواهيها فطحنتهم طحن الحصيد ووارتهم في اكفانهم تحت الصعيد ان ملكت واحدا جميع ما طلعت عليه الشمس جعلته حصيدا كان لم يغن بالامس تمني اصحابها سرورا وتعدهم غرورا حتى يأملوا كثيرا ويبنوا قصورا فتصبح قصورهم قبورا وجمعهم بورا وسعيهم هباء منثورا وكان امر الله قدرا مقدورا والصلاة على محمد عبده ورسوله المرسل الى العالمين بشيرا ونذيرا وعلى من كان من اصحابه له في الدين ظهيرا وعلى الظالمين نصيرا وسلم كثيرا

اما بعد

فان الدنيا عدوة لله وعدوة لاولياء الله وعدوة لاعداء الله اما عداوتها لله فانها قطعت الطريق على عباد الله ولذلك لم ينظر الله اليها منذ خلقها واما عداوتها لاولياء الله فانها تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها واما عداوتها لاعداء الله فانها استدرجتهم بمكرها وكيدها واقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا بها وعولوا عليها فخذلتهم احوج ما كانوا اليها فاجتنوا منها حسرة تتقطع دونها الاكباد ثم حرمتهم عن السعادة ابد الاباد فهم على فراقها يتحسرون ومن مكايدها يستغيثون فلا يغاثون بل يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون واذ قد عظمت غوائل الدنيا وشرورها فلا بد اولا من معرفة الدنيا ما هي وما الحكمة في خلقها مع عداوتها وما مدخل غرورها وشرورها فان من لا يعرف الشر لا يتقيه ويوشك ان يقع فيه ونحن نذكر ذم الدنيا وامثلتها وحقيقتها وتفصيل معانيها واصناف الاشغال المتعلقة بها ووجه الحاجة الى اصولها وسبب انصراف الخلق عن الله بسبب فضولها

بيان ذم الدنيا

الآيات الواردة في ذم الدنيا وامثلتها كثيرة واكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الآخرة بل هو مقصود الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يبعثوا الا لذلك فلا حاجة الى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها فانا نورد بعض الاخبار الواردة فيها فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على شاة ميتة فقال اترون هذه الشاة هينة على اهلها فقالوا نعم قال والذي نفسي بيده الدنيا اهون على الله من هذه على صاحبها فقالوا نعم ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء وقال عليه السلام الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقال الا ان الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله منها وقال ابو موسى الاشعري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احب دنياه اضر باخرته ومن احب آخرته اضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى وقال النبي صلى الله عليه وسلم حب الدنيا راس كل خطيئة وقال زيد بن ارقم كنا مع ابي بكر الصديق رضي الله عنه فدعا بشراب فاتي بماء وعسل فلما ادناه من فيه بكى وبكى حتى ابكى اصحابه فسكتوا وما سكت ثم عاد وبكى حتى ظنوا انهم لا يقدرون على مسألته قال ثم مسح عينيه فقالوا يا خليفة رسول الله ما ابكاك قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته يدفع عن نفسه شيئا ولم ار معه احدا فقلت يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك قال هذه الدنيا مثلت لي فقلت لها اليك عني ثم رجعت فقالت انك ان افلت مني لم يفلت مني من بعدك وقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على مزبلة فقال هلموا الى الدنيا واخذ خرقا قد بليت على تلك المزبلة وعظاما قد نخرت فقال هذه الدنيا وهذه اشارة الى ان زينتها ستخلق مثل تلك الخرق وان الاجسام التي ترى بها ستصير عظاما بالية وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ان بني اسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا في الحلية والنساء والطيب والثياب وقال عيسى عليه السلام لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم الدنيا عبيدا اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه فان صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة وقال ايضا عليه الصلاة والسلام يا معشر الحواريين اني قد كببت لكم الدنيا على وجهها

فلا تستعشقوها بعدي فإنّ من خبث الدنيا أن الله عُصي فيها وإن من خبث الدنيا أن الآخرة لا تُدرك إلا بتركها ألا فاعبروها ولا تعمروها
واعلموا أن أصل كل خطيئة حب الدنيا ورب شهوة أورثت أهلها حزناً طويلاً وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام بُعثت ذم الدنيا وجلستم
على ظهرها فلا يغرنكم زينة الملوك والنساء فأما الملوك فلا تنازعوهم فإنهم لن يتعرضوا لكم ما تركتموهم ودنياهم وأما النساء
فاتقوهن بالصوم والصلاة وقال أيضاً الدنيا طالبة ومطلوبة فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه وطالب
الدنيا لا تطلبه الآخرة حتى يطلب الموت فيأخذه بعنقه وقال موسى بن يسار قال النبي ع م إن الله جل ثناؤه لم يخلق خلقاً أبغض
إليه من الدنيا وإنه منذ خلقها لم ينظر إليها وروي أن سليمان بن داود ع م مرّ في موكبه والطير تظله والإنس والجن عن يمينه ويساره
قال فمرّ بعابد من عباد بني إسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكاً عظيماً قال فسمعه سليمان فقال لتسبيحة في صحيفة مؤمن
خير مما أعطي ابن داود فإن ما أعطي ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى وقال النبي ع م ألهاكم التكاثر يقول ابن آدم مالي مالي وهل
لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت وقال الدنيا دار من لا دار له ومال من لا
مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادي من لا علم له وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين له وقال النبي صلى الله عليه وسلم
من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء وألزم الله قلبه أربع خصال همّاً لا ينقطع عنه أبداً وشغلاً لا يتفرغ منه أبداً وفقراً
لا يبلغ غناه أبداً وأملاً لا يبلغ منتهاه أبداً وقال أبو هريرة رض قال لي رسول الله ع م يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا جميعاً بما
فيها قلت بلى يا رسول الله فأخذ بيدي فأتى بي وادياً من أودية المدينة فإذا مزبلة فيها رؤوس وعذرات وخرق وعظام
ثم قال يا أبا هريرة هذه الرؤوس كانت تحرص حرصكم وتأمل آمالكم ثم هي اليوم عظام بلا جلد ثم هي صائرة رماداً وهذه
العذرة ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها من بطونهم فأصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية
كانت رياشهم ولباسهم فأصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد فمن
كان باكياً على الدنيا فليبك قال فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا وروي أن الله تعالى لما أهبط آدم ع م إلى الأرض قال ابن للخراب ولد
للفناء وقال داود بن هلال مكتوب في صحف إبراهيم ع م يا دنيا ما أهونك على الأبرار الذين تصنعت وتزينت لهم إني قذفت في قلوبهم
بغضك والصدود عنك وما خلقت خلقاً أهون علي منك كل شأنك صغير وإلى الفناء تصيرين قضيت عليك يوم خلقتك
ألا تدومي لأحد ولا يدوم أحد لك وإن بخل بك صاحبك وشح عليك طوبى للأبرار الذين أطلعوني من قلوبهم على الرضا ومن
ضميرهم على الصدق والاستقامة طوبى لهم ما لهم عندي من الجزاء إذا وفدوا إلي من قبورهم إلا النور يسعى أمامهم والملائكة حافين
بهم حتى أبلغهم ما يرجون من رحمتي وقال النبي ع م إن الدنيا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلقها الله لم ينظر إليها وتقول
يوم القيامة يا رب اجعلني لأدنى أوليائك نصيباً اليوم فيقول اسكتي يا لا شيء إني لم أرضك لهم في الدنيا أأرضاك لهم اليوم

وروي في أخبار آدم ع م أنه لما أكل الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل ولم يكن ذلك مجعولاً في شيء من أطعمة الجنة
إلا في هذه الشجرة فلذلك نهيا عن أكلها قال فجعل يدور في الجنة فأمر الله ملكاً يخاطبه فقال قل له أي شيء تريد فقال آدم أريد أن أضع ما في
بطني من الأذى فقال الله تعالى للملك قل له في أي مكان تضعه على الفرش أم على السرر أم على الأنهار أم تحت ظلال الأشجار هل ترى ههنا
موضعاً يصلح لذلك ولكن اهبط إلى الدنيا وقال النبي ع م ليجيئن أقوام يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم إلى النار قالوا يا رسول
الله مصلين قال نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون هنة من الليل فإذا عرض لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه وقال النبي صلى الله عليه وسلم
في بعض خطبه المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليتزود العبد
من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن حياته لموته ومن شبابه لهرمه فإن الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتم للآخرة والذي نفسي بيده
ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا دار إلا الجنة والنار وقال عيسى ع م لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار
في إناء واحد **ويروى** أن جبريل ع م قال لنوح ع م يا أطول الأنبياء عمراً كيف وجدت الدنيا فقال كدار لها بابان
دخلت من أحدهما وخرجت من الأخرى قيل لعيسى ع م لو اتخذت بيتاً قال يكفينا خلقان من كان قبلنا وقال نبينا ع م
احذروا الدنيا فإنها أسحر من هاروت وماروت وعن الحسن قال خرج رسول الله ع م على أصحابه فقال هل منكم من يريد أن
يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيراً ألا إنه من رغب في الدنيا وطال أمله فيها أعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد في الدنيا وقصر
أمله فيها أعطاه الله علماً بغير تعلم وهدى بغير هداية ألا إنه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك إلا بالقتل والتجبر ولا الغنى إلا بالفخر

والبخل ولا المحبة إلا باتباع الهوى ألا فمن أدرك ذلك الزمان منكم فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى وصبر على البغضاء وهو يقدر على المحبة وصبر
على الذل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك إلا وجه الله تعالى أعطاه الله ثواب خمسين صديقاً **وروي** أن عيسى عليه الصلاة والسلام
اشتد به الرعد والبرق والمطر يوماً فجعل يطلب بيتاً يلجأ إليه فرفعت له خيمة من بعيد فأتاها فإذا فيها امرأة فحاد عنها
فإذا هو بكهف في جبل فذهب فإذا فيه أسد فوضع يده عليه وقال إلهي جعلت لكل شيء مأوى ولم تجعل لي مأوى فأوحى الله تعالى إليه
مأواك في مستقر من رحمتي لأزوجنك يوم القيامة مائة حوراء خلقتها بيدي ولأطعمن في عرسك أربعة آلاف عام كل يوم
منها كعمر الدنيا ولآمرن منادياً ينادي أين الزهاد في الدنيا زوروا عرس الزاهد ابن مريم وقال عيسى ع م ويل لصاحب الدنيا كيف
يموت ويتركها بما فيها وتغره ويثق بها وتخذله ويل للمغترين كيف أرتهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما
كانوا يوعدون وويل لمن الدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غداً بذنبه وقيل أوحى الله تعالى إلى موسى ع م مالك ولدار الظالمين إنها
ليست لك بدار أخرج منها همك وفارقها بعقلك فبئست الدار هي إلا لعامل يعمل فيها فنعمت الدار هي يا موسى إني مرصد للظالم
حتى آخذ للمظلوم **وروي** أن رسول الله ع م بعث أبا عبيدة بن الجراح فجاء بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدوم أبي
عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ع م فلما صلى رسول الله ع م انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله ع م حين رآهم ثم قال أظنكم سمعتم
أن أبا عبيدة قدم بشيء قالوا نعم يا رسول الله قال فأبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم
أن تبسط لكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم وقال أبو سعيد الخدري
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض فقيل ما بركات الأرض قال زهرة الدنيا
فنهى عن ذكرها فضلاً عن إصابة عيشها وقال عمار بن سعيد مر عيسى ع م بقرية فإذا أهلها موتى في الأفنية والطرق فقال لهم
يا معشر الحواريين إن هؤلاء ماتوا عن سخطة ولو ماتوا على غيرها لتدافنوا فقالوا يا روح الله وددنا أنا علمنا خبرهم فسأل الله تعالى
فأوحى الله تعالى إليه إذا كان الليل فنادهم يجيبوك فلما كان الليل أشرف على نشز ثم قال يا أهل القرية فأجابه مجيب لبيك
يا روح الله فقال ما حالكم وما قصتكم قال بتنا في عافية وأصبحنا في الهاوية قال وكيف ذلك قالوا لحبنا الدنيا وطاعتنا
أهل المعاصي قال وكيف كان حبكم للدنيا قال حب الصبي لأمه إذا أقبلت فرحنا وإذا أدبرت حزنا وبكينا قال فما بال
أصحابك لا يجيبوني قال لأنهم ملجمون بلجم من نار بأيدي ملائكة غلاظ شداد قال فكيف أجبتني من بينهم قال لأني كنت فيهم ولم
أكن منهم فلما نزل بهم العذاب أصابني معهم فأنا معلق على شفير جهنم لا أدري أنجو منها أم أكبكب فيها فقال المسيح للحواريين
لأكل خبز الشعير بالملح الجريش ولبس المسوح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة وقال أنس بن مالك رض كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء
لا تسبق فجاء أعرابي بناقة له فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال رسول الله ع م إنه حق على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه وقال
عيسى ع م من الذي يبني على موج البحر داراً تلكم الدنيا فلا تتخذوها قراراً وقيل لعيسى ع م علمنا عملاً واحداً يحبنا الله عليه قال أبغضوا الدنيا يحبكم الله
وقال أبو الدرداء رض قال رسول الله ع م لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلاً ولهانت عليكم الدنيا ولآثرتم الآخرة ثم قال أبو الدرداء
من قبل نفسه لو تعلمون ما أعلم لخرجتم إلى الصعدات تبكون على أنفسكم ولتركتم أموالكم لا حارس لها ولا راجع إليها إلا ما لا بد لكم منه ولكن يغيب عن قلوبكم
ذكر الآخرة وحضرها الأمل فصارت الدنيا أملك بأعمالكم وصرتم كالذين لا يعلمون فبعضكم شر من البهائم التي لا تدع هواها مخافة ما يأتي
عاقبته ما لكم لا تحابون ولا تناصحون وأنتم إخوان على دين الله وما فرق بين أهوائكم إلا خبث سرائركم ولو اجتمعتم على البر لتحاببتم
ما لكم تناصحون في أمر الدنيا ولا يملك أحدكم النصيحة لمن يحبه ويعينه على أمر آخرته ما هذا إلا من قلة الإيمان في قلوبكم لو كنتم توقنون بخير الآخرة
وشرها كما توقنون بالدنيا لآثرتم طلب الآخرة لأنها أملك بأموركم فإن قلتم حب العاجل غالب فإنا نراكم تدعون العاجل من الدنيا للآجل
منها تكدون أنفسكم بالمشقة والاحتراف في طلب أمر لعلكم لا تدركونه فبئس القوم أنتم ما حققتم إيمانكم بما يعرف به الإيمان البالغ فيكم فإن كنتم
في شك مما جاءكم به محمد ع م فأتونا فلنبين لكم ولنريكم من النور ما تطمئن به قلوبكم والله ما أنتم بالمنقوصة عقولكم إنكم تستبينون
صواب الرأي في دنياكم وتأخذون بالحزم في أموركم ما لكم تفرحون باليسير من الدنيا تصيبونه وتحزنون على اليسير منها يفوتكم حتى يتبين ذلك
في وجوهكم ويظهر على ألسنتكم وتسمونها المصائب وتقيمون فيها المآتم وعامتكم قد تركوا كثيراً من دينهم ثم لا يتبين ذلك في وجوهكم
ولا تتغير حال بهم إني لأرى الله قد تبرأ منكم يلقى بعضكم بعضاً بالسرور وكلكم يكره أن يستقبل صاحبه بما يكره مخافة أن يستقبله صاحبه
بمثله فاصطحبتم على الغل ونبتت مراعيكم على الدمن وتصافيتم على رفض الأجل ولوددت أن الله تعالى أراحني منكم وألحقني بمن أحب رؤيته

ولو كان حلم لصابكم فان كان فيكم خير فقد سمعتم وان تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيرا • والله استعين على نفسي وعليكم وقال ﷺ
عليه الصلاة والسلام يا معشر الحواريين ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين كما رضي اهل الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا ۞ •

وفي معناه قيل • ارى رجالا بادنى الدين قد قنعوا • ولا اراهم رضوا في العيش بالدون ۞

• فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما • استغنى الملوك بدنياهم عن الدين ۞

وقال عيسى عليه الصلاة والسلام لتاتينكم بعدي دنيا تاكل ايمانكم كما تاكل النار الحطب واوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام ان
يا موسى لا تركن الى حب الدنيا فلن تاتيني بكبيرة هي اشد عليك منها ومر موسى عليه الصلاة والسلام برجل وهو يبكي ورجع وهو
يبكي فقال موسى يا رب عبدك يبكي من مخافتك فقال يا ابن عمران لو نزل دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى يسقط لم
اغفر له وهو يحب الدنيا

الآثار

قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلبا
ولا عن النار مهربا من عرف الله فاطاعه • وعرف الشيطان وعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف
الدنيا فرفضها • وعرف الآخرة فطلبها وقال الحسن رح ان اقواما كانت الدنيا عندهم وديعة فادوها الى من ائتمنهم
عليها ثم راحوا خفافا • وقال لقمان عليه السلام لابنه يا بني ان الدنيا بحر عميق قد غرق فيه ناس كثير فلتكن سفينتك فيها
تقوى الله عز وجل وحشوها الايمان بالله عز وجل وشراعها التوكل على الله لعلك ناج وما اراك ناجيا وقال الفضيل بن
عياض رح طال فكري في هذه الآية انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا
وقال بعض الحكما انك لن تصبح في شيء من الدنيا الا وقد كان له اهل قبلك ويكون له اهل بعدك وليس لك من الدنيا الا
عشا ليلة وغدا يوم فلا تهلك في اكله • وصم عن الدنيا • وافطر على الآخرة • وان راس مال الدنيا الهوى • وربحها النار •
وقيل لبعض الزهاد كيف ترى الدنيا قال تخلق الابدان وتجدد الآمال • وتقرب المنية وتبعد الامنية قال فما
حال اهلها قال من ظفر بها تعب • ومن فاتته نصب • وقد قيل

ومن يحمد الدنيا لعيش يسره • فسوف لعمري عن قليل يلومها •
اذا ادبرت كانت على المرء حسرة • وان اقبلت كانت كثيرا همومها •

وقال بعض الحكما كانت الدنيا ولم اكن فيها وتذهب الدنيا ولا اكون فيها فلا اسكن اليها فان عيشها نكد وصفوها
كدر واهلها منها على وجل • اما بنعمة زائلة • او بلية نازلة • او منية قاضية • وقال بعضهم من عيب الدنيا انها
لا تعطي احدا ما يستحق لكنها اما ان تزيده واما ان تنقصه وقال سفيان رحمه الله تعالى اما ترى النعم كانها مغضوب
عليها قد وضعت في غير اهلها وقال ابو سليمان الداراني رح من طلب الدنيا على المحبة لها لم يعط منها شيئا الا اراد اكثر ومن
طلب الآخرة على المحبة لها لم يعط منها شيئا الا اراد اكثر وليس لهذا غاية • ولا لهذا غاية • وقال رجل لابي حازم رحمه الله اشكو اليك
حب الدنيا وليست لي بدار فقال انظر الى ما آتاك الله منها فلا تاخذه الا من حله ولا تضعه الا في حقه ولا تغرك الدنيا وانما
قال هذا لانه لو واخذ نفسه بذلك لاتعبه حتى يتبرم بالدنيا ويطلب الخروج منها وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى
الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيئا فياخذك وقال الفضيل رح لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة
من خزف يبقى لكان ينبغي لنا ان نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى • فكيف وقد اخترنا خزفا يفنى على ذهب يبقى •
وقال ابو حازم اياكم والدنيا فانه بلغني انه يوقف العبد يوم القيامة اذا كان معظما للدنيا فيقال هذا الذي عظم ما
حقره الله تعالى وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ما اصبح احد من الناس الا وهو ضيف وماله عارية • فالضيف مرتحل
والعارية مردودة وقد قيل وما المال والاهلون الا وديعة • ولا بد يوما ان ترد الودايع ۞ •
وزار رابعة العدوية اصحابها فذكروا الدنيا واقبلوا على ذمها فقالت رابعة اسكتوا عن ذكرها فلولا موقعها من قلوبكم
ما اكثرتم من ذكرها الا من احب شيئا اكثر من ذكره • وقيل لابراهيم بن ادهم كيف انت فقال

• نرقع دنيانا بتمزيق ديننا • فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع ۞
• فطوبى لعبد آثر الله ربه • وجاد بدنياه لما يتوقع ۞

وقيل • ارى طالب الدنيا وان طال عمره • ونال من الدنيا سرورا وانعما ۞ كبان بنى بنيانه فاتمه • فلما استوى

وقيل هب الدنيا تساق اليك عفوا • اليس مصير ذاك الى انتقال • وما دنياك الا مثل ظل • اظلك ثم آذن بالزوال ۞
وقال لقمان لابنه يا بني بع دنياك باخرتك تربحهما جميعا ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا وقال مطرف بن الشخير لا تنظروا
خفض عيش الملوك ولين رياشهم ولكن انظروا الى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنه ان الله جعل الدنيا
ثلاثة اجزاء • جزء للمؤمن • وجزء للمنافق • وجزء للكافر • فالمؤمن يتزود • والمنافق يتزين • والكافر يتمتع وقال بعضهم
الدنيا جيفة فمن اراد منها شيئا فليصبر على معاشرة الكلاب وقيل يا خاطب الدنيا الى نفسها • تنح عن خطبتها تسلم • ان التي
وقال ابو الدرداء رح من هوان الدنيا على الله انه لا يعصى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها وقيل وما الناس الا هالك وابن هالك • وذو نسب في الهالكين
وقيل يا راقد الليل مسرورا باوله • ان الحوادث قد يطرقن اسحارا • افنى القرون التي كانت منعمة • كر الجديدين اقبالا وادبارا
يا من يعانق دنيا لا بقاء لها • يمسي ويصبح في دنياه سفارا • هلا تركت من الدنيا معانقة • حتى تعانق في الفردوس ابكارا
وقال ابو امامة الباهلي لما بعث محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم اتت ابليس جنوده فقالوا قد بعث نبي واخرجت امة فقال يحبون الدنيا قالوا
نعم قال لئن كانوا يحبونها ما ابالي ان لا يعبدوا الاوثان وانا اغدو عليهم واروح بثلاث اخذ المال من غير حقه وانفاقه في غير حقه
وامساكه عن حقه والشر كله من هذا تبع وقال رجل لعلي رضي صف لنا الدنيا قال وما اصف لك من دار من صح فيها مرض ومن سقم فيها ندم
ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها فتن في حلالها الحساب وفي حرامها العذاب وقيل له في ذلك مرة فقال اطول ام اقصر
فقيل اقصر فقال حلالها حساب وحرامها عقاب وقال مالك بن دينار اتقوا السحارة فانها تسحر قلوب العلماء يعني الدنيا وقال
ابو سليمان اذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا تزحمها فاذا كانت الدنيا في القلب لم تزحمها الآخرة لان الآخرة كريمة والدنيا لئيمة
وهذا تشديد عظيم ونرجو ان يكون ما ذكره سيار بن الحكم اصح اذ قال الدنيا والآخرة يجتمعان في القلب فايهما غلب كان الآخر تبعا له
وقال مالك بن دينار بقدر ما تحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك وبقدر ما تحزن للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك وهذا
اقتباس مما قاله علي كرم الله وجهه الدنيا والآخرة ضرتان فبقدر ما ترضي احداهما تسخط الاخرى وقال الحسن والله لقد ادركت اقواما كانت
الدنيا اهون عليهم من التراب الذي يمشون عليه ما يبالون اشرقت الدنيا ام غربت اذهبت الى ذا ام ذهبت الى ذا وقال رجل للحسن
ما تقول في رجل آتاه الله مالا فهو يتصدق منه ويصل منه ويحسن فيه اله ان يتعيش فيه يعني يتنعم فقال لا لو كانت له الدنيا كلها
له ما كان له منها الا الكفاف ويقدم ذلك ليوم فقره وقال الفضيل رح لو ان الدنيا عندافيرها عرضت علي حلالا لا احاسب بها
في الآخرة لكنت اتقذرها كما يتقذر احدكم الجيفة اذا مر بها ان تصيب ثوبه وقيل قدم عمر بن الخطاب رض الشام فاستقبله ابو عبيدة
ابن الجراح على ناقة مخطومة بحبل فسلم وساءله ثم اتى منزله فلم ير فيه الا سيفه وترسه ورحله فقال له امير المؤمنين لو اتخذت متاعا
فقال يا امير المؤمنين ان هذا يبلغنا المقيل وقال سفيان رح خذ من الدنيا لبدنك وخذ من الآخرة لقلبك وقال الحسن رح والله
لقد عبدت بنو اسرائيل الاصنام بعد عبادتهم الرحمن بحبهم الدنيا وقال وهب قرات في بعض الكتب الدنيا غنيمة الاكياس
وغفلة الجهال لم يعرفوها حتى خرجوا منها فسالوا الرجعة فلم يرجعوا • وقال لقمان الحكيم لابنه يا بني انك استدبرت الدنيا من يوم نزلتها
واستقبلت الآخرة فانت الى دار تقرب منها اقرب من دار تباعد منها وقال سعيد بن منصور اذا رايت العبد تزداد دنياه
وتنقص آخرته وهو بذلك راض فذلك المغبون الذي يلعب بوجهه ولا يشعر • وقال عمرو بن العاص على المنبر والله ما رايت قوما قط
ارغب فيما كان رسول الله صلعم يزهد فيه منكم والله ما اتى برسول الله صلعم ثلاث الا والذي عليه اكثر من الذي له وقال الحسن بعد ان تلا قوله
فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور من قال ذا من هو اعلم بها اياكم وما شغل من الدنيا فان الدنيا كثيرة الاشغال لا يفتح رجل على
نفسه باب شغل الا اوشك ذلك الباب ان يفتح عليه عشرة ابواب وقال ايضا مسكين ابن آدم رضي بدار حلالها حساب وحرامها
عذاب ان اخذه من حله حوسب بنعمته وان اخذه من حرام عذب به • ابن آدم يستقل ماله ولا يستقل عمله يفرح بمصيبته في دينه
ويجزع من مصيبته في دنياه وكتب الحسن البصري الى عمر بن عبد العزيز سلام عليك اما بعد فكانك يا اخي بمن كتب عليه الموت قد مات
فاجاب عمر رض سلام عليك كانك بالدنيا لم تكن وكانك بالآخرة لم تزل وقال الفضيل رح الدخول في الدنيا هين لكن التخلص منها
شديد وقال بعضهم عجبا لمن يعرف ان الموت حق كيف يفرح وعجبا لمن يعلم ان النار حق كيف يضحك وعجبا لمن يرى تقلب
الدنيا باهلها كيف يطمئن اليها وعجبا لمن يعلم ان القدر حق كيف ينصب وقدم على معاوية رجل من نجران عمره مائتا سنة
فساله عن الدنيا كيف وجدها فقال سنيات بلاء وسنيات رخاء يوم فيوم وليلة فليلة يولد ولد ويهلك هالك فلولا المولود

باد فلق ولولا الهلاك ضاقت الدنيا بمن فيها فقال له سل ما شئت فقال تجعل مني فرده او اجل حضر فدفعه فاك الملك
ذلك فقال لا حاجة لي اليك وقال داود الطائي رحمه الله يا ابن آدم فرحت ببلوغ املك وانما بلغته بانقضاء اجلك ثم سوفت
بعملك كان منفعته لغيرك وقال بشر الحافي من سال الله الدنيا فانما يسأله طول الوقوف بين يديه وقال ابو حازم ما في الدنيا شيء
يسرك الا وقد الزق به شيء يسوءك وقال الحسن لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا الا بحسرات ثلث انه لم يتمتع بما جمع ولم يدرك
ما امل ولم يحسن الزاد لما قدم عليه وقيل لبعض الزهاد قد نلت الغنى فقال انما نال الغنى من عتق من رق الدنيا وقال
ابو سليمان رحمه الله تعالى لا يصبر عن شهوات الدنيا الا من كان في قلبه ما يشغله بالآخرة وقال مالك بن دينار رحمه الله اصطلحنا
على حب الدنيا فلا يأمر بعضنا بعضا ولا ينهى بعضنا بعضا ولا يدعنا الله على هذا فليت شعري اي عذاب الله ينزل
بنا وقال ابو حازم يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة وقال الحسن اهينوا الدنيا فوالله ما هي لاحد باهنأ منها لمن اهانها
وقال ايضا اذا اراد الله بعبد خيرا اعطاه من الدنيا عطية ثم يمسك فاذا انفد اعاد عليه واذا هان عليه عبد بسط له الدنيا
بسطا وكان بعضهم يدعو يا ممسك السماء ان تقع على الارض امسك الدنيا عني وقال محمد بن المنكدر ارأيت لو ان
رجلا صام الدهر لا يفطر وقام الليل لا يفتر وتصدق بماله وجاهد بماله في سبيل الله واجتنب محارم الله غير انه يؤتى به يوم
القيمة فيقال ان هذا عظم في عينه ما صغره الله وصغر في عينه ما عظمه الله فكيف ترى تكون حاله فمن منا ليس هكذا الدنيا عظيمة
عنده مع ما اقترفنا من الذنوب والخطايا وقال ابو حازم رحمه الله اشتدت مؤنة الدنيا والآخرة فاما مؤنة الآخرة فانك
لا تجد عليها اعوانا واما مؤنة الدنيا فانك لا تضرب بيدك على شيء منها الا وجدت فاجرا قد سبقك اليه
وقال ابو هريرة رضي الله عنه الدنيا موقوفة ما بين السماء والارض كالشن البالي تنادي ربها منذ
خلقها الى يوم يفنيها يا رب يا رب لم تبغضني فيقول لها اسكتي يا لا شيء اسكتي يا لا شيء وقال
عبد الله بن المبارك حب الدنيا والذنوب في القلب قد احتوشته فمتى يصل الخير اليه وقال وهب بن
منبه رحمه الله تعالى من فرح قلبه بشيء من الدنيا فقد اخطأ الحكمة ومن جعل شهوته تحت قدميه فرق
الشيطان من ظله ومن غلب علمه هواه فهو الغالب وقيل لبشر بن الحارث الحافي رحمه الله تعالى
مات فلان فقال جمع الدنيا وذهب الى الآخرة وضيع نفسه قيل له انه كان يفعل ويفعل وذكروا ابوابا
من البر فقال وما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا وقال بعضهم الدنيا تبغض الينا نفسها ونحن نحبها
فكيف لو تحببت الينا وقيل لحكيم الدنيا لمن هي قال لمن تركها فقيل الآخرة لمن هي فقال لمن
طلبها وقال حكيم الدنيا دار خراب واخرب منها قلب من يعمرها والجنة دار عمران واعمر منها قلب من
يطلبها وقال الجنيد كان الشافعي رحمه الله تعالى من المريدين الناطقين بلسان الحق في الدنيا وعظ اخا له
في الله وخوفه بالله فقال يا اخي ان الدنيا دحض مزلة ودار مذلة عمرانها الى الخراب صائر وساكنها الى القبور
زائر شملها على الفرقة موقوف وغناها الى الفقر مصروف الاكثار فيها اعسار والاعسار فيها يسار
فافزع الى الله وارض برزق الله ولا تستلف من دار بقائك الى دار فنائك فان عيشك فيء زائل وجدار
مائل اكثر من عملك واقصر من املك وقال ابراهيم بن ادهم لرجل ادرهم في المنام احب اليك ام دينار في
اليقظة فقال دينار في اليقظة فقال كذبت لان الذي تحبه في الدنيا كانك تحبه في المنام والذي لا تحبه في الآخرة كانك
لا تحبه في اليقظة وعن اسماعيل بن عياش قال كان اصحابنا يسمون الدنيا خنزيرة فيقولون اليك عنا يا خنزيرة
فلو وجدوا لها اسما اقبح من هذا لسموها به وقال كعب الاحبار لتحببن اليكم الدنيا حتى تعبدوها واهلها وقال يحيى بن
معاذ الرازي العقلاء ثلثة من ترك الدنيا قبل ان تتركه وبنى قبره قبل ان يدخله وارضى خالقه قبل ان يلقاه وقال ايضا
الدنيا يبلغ من شؤمها ان تمنيك لها يلهيك عن الله تعالى فكيف الوقوع فيها وقال بكر بن عبد الله من اراد ان يستغني عن الدنيا
بالدنيا كان كمطفئ النار بالتبن وقال بندار اذا رأيت ابناء الدنيا يتكلمون في الزهد فاعلم انهم في مسخرة الشيطان
وقال ايضا من اقبل على الدنيا احرقته نيرانها يعني الحرص حتى يصير رمادا ومن اقبل على الآخرة صفته نيرانها فصار سبيكة
ذهب ينتفع به ومن اقبل على الله احرقته نار التوحيد فصار جوهرا لا حد لقيمته وقال علي انما الدنيا ستة اشياء مطعوم ومشروب

المطعومات العسل وهو مذقة ذبابة واشرف المشروبات الماء يستوي فيه البر والفاجر واشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دودة واشرف
المركوبات الفرس وعليه يقتل الرجال واشرف المنكوحات المراة وهي مبال في مبال والله ان المراة لتزين احسن شيء منها
ويراد اقبح شيء منها

بيان المواعظ في ذم الدنيا وصفتها

قال بعضهم يا ايها الناس اعملوا على مهل وكونوا
من الله على وجل ولا تغتروا بالامل ونسيان الاجل ولا تركنوا الى الدنيا فانها غدارة خداعة قد تزخرفت لكم بغرورها
وفتنتكم بامانيها وتزينت لخطابها فاصبحت كالعروس المجلية العيون اليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة والنفوس لها عاشقة
فكم من عاشق لها قتلت ومطمئن اليها خذلت فانظروا اليها بعين الحقيقة فانها دار كثرت بوائقها وذمها خالقها جديدها
يبلى وملكها يفنى وعزيزها يذل وكثيرها يقل وحيها يموت فاستيقظوا من غفلتكم وانتبهوا من رقدتكم قبل ان يقال فلان
عليل او مدنف ثقيل فهل على الدواء من دليل او الى الطبيب من سبيل فيدعى لك الاطباء ولا يرجى لك الشفاء ثم يقال
فلان اوصى وماله احصى ثم يقال قد ثقل لسانه فما يكلم اخوانه ولا يعرف جيرانه وعرق عند ذلك جبينك وتتابع انينك
وثبت يقينك وطمحت جفونك وصدقت ظنونك وتلجلج لسانك وبكى اخوانك وقيل لك هذا ابنك فلان وهذا
اخوك فلان ومنعت الكلام فلا تنطق وختم على لسانك فلا ينطلق ثم حل بك القضاء وانتزعت نفسك من الاعضاء ثم عرج
بها الى السماء فاجتمع عند ذلك اخوانك واحضرت اكفانك فغسلوك وكفنوك وانقطع عوادك واستراح حسادك
وانصرف اهلك الى مالك وبقيت مرتهنا باعمالك وقال بعضهم لبعض الملوك ان احق الناس بذم الدنيا وقلاها من بسط له
فيها واعطي حاجته منها لانه يتوقع آفة تعدو على ماله فتجتاحه او على جمعه فتفرقه او تاتي سلطانه فتهدمه من القواعد او تدب الى جسمه
فتسقمه او تفجعه بشيء هو ضنين به من احبابه فالدنيا احق بالذم هي الآخذة ما تعطي الراجعة فيما تهب وبينا هي تضحك
صاحبها اذ اضحكت منه غيره وبينا هي تبكي له اذ ابكت عليه وبينا هي تبسط كفه بالعطاء اذ بسطتها بالاسترداد فتعقد
التاج على راس صاحبها اليوم وتعفره في التراب غدا سواء عليها ذهاب ما ذهب وبقاء ما بقي تجد في الباقي من الذاهب
خلفا وترضى بكل من كل بدلا وكتب الحسن البصري الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فان الدنيا دار ظعن وليست بدار
اقامة وانما انزل آدم من الجنة اليها عقوبة فاحذرها يا امير المؤمنين فان الزاد منها تركها والغنى منها فقرها لها في كل حين قتيل
تذل من اعزها وتفقر من جمعها هي كالسم ياكله من لا يعرفه وهو حتفه فكن فيها كالمداوي جراحه يحتمي قليلا مخافة ما يكره
طويلا ويصبر على شدة الدواء مخافة طول البلاء فاحذر هذه الدار الغدارة الختالة الخداعة التي قد تزينت بخدعها وفتنت بغرورها
وختلت بامالها وتشوفت لخطابها فاصبحت كالعروس المجلية فالعيون اليها ناظرة والقلوب عليها والهة والنفوس
لها عاشقة وهي لازواجها كلهم قاتلة فلا الباقي بالماضي معتبر ولا الآخر بالاول مزدجر ولا العارف بالله حين اخبره عنها مدكر
فعاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطغى ونسي المعاد فشغل فيها لبه حتى زلت عنها قدمه فعظمت ندامته وكثرت حسرته
واجتمعت عليه سكرات الموت بالمه وحسرات الفوت بغصته فكم من راغب فيها لم يدرك منها ما طلب ولم يرح نفسه من التعب
فخرج بغير زاد وقدم على غير مهاد فاحذرها يا امير المؤمنين وكن اسر ما تكون فيها احذر ما تكون لها فان صاحب الدنيا
كلما اطمان منها الى سرور اشخصته الى مكروه السار لاهلها غار والنافع فيها غدا ضار وقد وصل الرخاء منها بالبلاء وجعل
البقاء فيها الى الفناء فسرورها مشوب بالاحزان لا يرجع منها ما ولى وادبر ولا يدرى ما هو آت فينتظر امانيها كاذبة
وآمالها باطلة وصفوها كدر وعيشها نكد وابن آدم فيها على خطر ان عقل ونظر فهو من النعماء على خطر ومن البلاء على حذر
ولو كان الخالق لم يخبر عنها خبرا ولم يضرب لها مثلا لكانت الدنيا قد ايقظت النائم ونبهت الغافل فكيف وقد جاء
من الله عز وجل عنها زاجر وفيها واعظ فما لها عند الله جل ثناؤه قدر وما نظر اليها منذ خلقها ولقد عرضت على نبيك
صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزائنها لا ينقصها عند الله جناح بعوضة فابى ان يقبلها اذ كره ان يخالف على الله امره او يحب ما ابغض
خالقه او يرفع ما وضع مليكه فزواها عن الصالحين اختيارا وبسطها لاعدائه اغترارا فيظن المغرور بها المقتدر عليها انه اكرم
بها ونسي ما صنع الله تعالى بمحمد صلى الله عليه وسلم حين شد الحجر على بطنه ولقد جاءت الرواية عن ربه تعالى انه قال لموسى عليه السلام اذا رأيت الغنى
مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته واذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وان شئت اقتديت بصاحب الروح
والكلمة ابن مريم عليه السلام كان يقول ادامي الجوع وشعاري الخوف ولباسي الصوف وصلاتي في الشتاء مشارق الشمس وسراجي القمر
ودابتي رجلاي وطعامي وفاكهتي ما انبتت الارض ابيت وليس لي شيء واصبح وليس لي شيء وليس على وجه الارض احد اغنى

مني والسلام وقال وهب بن منبه لما بعث الله عز وجل موسى وهرون عليهما السلام إلى فرعون قال لا يروعنكما لباسه الذي ألبس من الدنيا فإن ناصيته
بيدي ولا ينطق ولا يطرف ولا يتنفس إلا بإذني ولا يعجبكما ما متع به فإنما هي زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين ولو شئت أن
أزينكما بزينة يعرف فرعون حين يراها أن مقدرته تعجز عنها لفعلت ولكني أرغب بكما عن ذلك فأزوي ذلك عنكما
وكذلك أفعل بأوليائي إني لأذودهم عن نعيمها كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة وإني لأجنبهم سلوتها كما يجنب الراعي الشفيق إبله
عن مبارك العرة وما ذاك لهوانهم علي ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالماً موفراً إنما يتزين لي أوليائي بالذل والخشوع والخوف
والتقوى تنبت في قلوبهم فتظهر على أجسادهم فهي ثيابهم التي يلبسون ودثارهم الذي يظهرون وضميرهم الذي يستشعرون ونجاتهم
التي بها يفوزون ورجاؤهم الذي إياه يأملون ومجدهم الذي به يفخرون وسيماهم التي بها يعرفون فإذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك
وذلل لهم قلبك ولسانك واعلم أنه من أخاف لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة ثم أنا الثائر له يوم القيامة **وخطب علي رضي الله عنه**
يوماً فقال اعلموا أنكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على أعمالكم ومجزيون بها فلا تغرنكم الحياة الدنيا فإنها بالبلاء محفوفة وبالفناء
معروفة وبالغدر موصوفة وكل ما فيها إلى زوال وهي بين أهلها دول وسجال لا تدوم أحوالها ولا يسلم من شرها نزالها بينا أهلها منها
في رخاء وسرور إذا هم منها في بلاء وغرور أحوال مختلفة وتارات متصرفة العيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم وإنما
أهلها فيها أغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتقصمهم بحمامها وكل حتفه فيها مقدور وحظه فيها موفور واعلموا
عباد الله أنكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان أطول منكم أعماراً وأشد منكم بطشاً وأعمر دياراً وأبعد آثاراً
فأصبحت أصواتهم خامدة هامدة من بعد طول تقلبها وأجسادهم بالية وديارهم خالية وآثارهم عافية واستبدلوا بالقصور
المشيدة والسرر والنمارق الممهدة الصخور والأحجار المسندة في القبور اللاطئة الملحدة فمحلها مقترب وساكنها مغترب
بين أهل عمارة موحشين وأهل محلة متشاغلين لا يستأنسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والإخوان على ما بينهم
من قرب الجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكله البلى وأكلتهم الجنادل والثرى فأصبحوا بعد
الحياة أمواتاً وبعد غضارة العيش رفاتاً فجع بهم الأحباب وسكنوا التراب وظعنوا فليس لهم إياب هيهات هيهات
كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون فكأن قد صرتم إلى ما صاروا إليه من البلى والوحدة في دار المثوى وارتهنتم
في ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع فكيف بكم لو عاينتم الأمور وبعثرت القبور وحصل ما في الصدور وأوقفتم للتحصيل بين
يدي الملك الجليل فطارت القلوب لإشفاقها من سالف الذنوب وهتكت عنكم الحجب والأستار وظهرت منكم العيوب والأسرار
هنالك تجزى كل نفس ما كسبت إن الله تعالى يقول ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى وقال ووضع الكتاب فترى المجرمين
مشفقين مما فيه الآية جعلنا الله وإياكم عاملين بكتابه ومتبعين لأوليائه حتى يحلنا وإياكم دار المقامة من فضله إنه حميد مجيد
وقال بعض الحكماء الأيام سهام والناس أغراض والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويخترمك بلياليه وأيامه حتى يستغرق جميع أجزائك
فكيف بقاء سلامتك مع وقوع الأيام بك وسرعة الليالي في بدنك لو كشف لك عما أحدثت الأيام فيك من النقص لاستوحشت
من كل يوم يأتي عليك واستثقلت ممر الساعات بك ولكن تدبير الله فوق تدبير الاعتبار وبالسلو عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتها
وإنها لأمر من العلقم إذا عجمها الحكيم وقد أعيت الواصف لعيوبها بظاهر أفعالها وما تأتي به من العجائب أكثر مما يحيط به الواعظ
نستوهب الله تعالى رشداً إلى الصواب **وقال بعض الحكماء** وقد استوصف الدنيا فقال الدنيا وقتك الذي يرجع
إليك فيه طرفك لأن ما مضى عنك فقد فاتك إدراكه وما لم يأت فلا علم لك به والدهر يوم مقبل تنعاه ليلته وتطويه ساعاته
وأحداثه تتوالى على الإنسان بالتغيير والنقصان والدهر موكل بتشتيت الجماعات وتفريق الشمل وتنقل الدول والأمل
طويل والعمر قصير وإلى الله تصير الأمور **وخطب عمر بن عبد العزيز** فقال يا أيها الناس إنكم خلقتم لأمر إن كنتم تصدقون به
فإنكم حمقى وإن كنتم تكذبون به فإنكم هلكى إنما خلقتم للأبد ولكنكم من دار إلى دار تنقلون عباد الله إنكم في دار لكم
فيها من طعامكم غصص ومن شرابكم شرق لا تصفو لكم نعمة تسرون بها إلا بفراق أخرى تكرهون فراقها فاعملوا لما
أنتم صائرون إليه وخالدون فيه ثم غلبه البكاء فنزل **وقال** علي رضي الله عنه في خطبته أوصيكم بتقوى الله والترك للدنيا التاركة
لكم وإن كنتم لا تحبون تركها المبلية أجسامكم وإن كنتم تريدون تجديدها فإنما مثلكم ومثلها كمثل سفر سلكوا طريقاً فكأنهم
قد قطعوه وأفضوا إلى علم فكأنهم بلغوه وكم عسى يجري المجري حتى ينتهي إلى الغاية وكم عسى أن يبقى من له يوم في الدنيا وطالب حثيث يطلبه
حتى يفارقها فلا تجزعوا لبؤسها وضرائها فإنه إلى انقطاع ولا تفرحوا بنعمائها فإنه إلى زوال عجبت لطالب الدنيا والموت

يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه وقال محمد بن الحسين لما علم أهل الفضل والعلم والمعرفة والأدب أن الله تعالى قد أهان الدنيا ولم يرضها
لأوليائه وأنها عنده حقيرة قليلة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم زهد فيها وحذر أصحابه من فتنتها أكلوا منها قصداً وقدموا فضلاً
أخذوا منها ما يكفي وتركوا ما يلهي لبسوا من الثياب ما ستر العورة وأكلوا من الطعام أدناه ما يسد الجوعة نظروا إلى الدنيا بعين
أنها فانية وإلى الآخرة بعين أنها باقية فتزودوا من الدنيا كزاد الراكب فخربوا الدنيا وعمروا بها الآخرة نظروا إلى الآخرة بقلوبهم فعلموا أنهم
سينظرون إليها بأعينهم فارتحلوا إليها بقلوبهم لما علموا أنهم سيرتحلون إليها بأبدانهم تعبوا قليلاً وتنعموا طويلاً كل ذلك
بتوفيق مولاهم الكريم أحبوا ما أحب لهم وكرهوا ما كره لهم

بيان صفة الدنيا بالأمثلة

اعلم أن الدنيا سريعة الفناء قريبة الانقضاء تعد بالبقاء ثم تخلف في الوفاء تنظر إليها فتراها ساكنة مستقرة وهي
سائرة سيراً عنيفاً ومرتحلة ارتحالاً سريعاً ولكن الناظر إليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن إليها وإنما يحس عند انقضائها
ومثالها الظل فإنه متحرك ساكن متحرك في الحقيقة ساكن في الظاهر لا تدرك حركته بالبصر الظاهر بل بالبصيرة الباطنة ولما
ذكرت الدنيا عند الحسن البصري رحمه الله **أنشد وقال** أحلام نوم أو كظل زائل ⁕ إن اللبيب بمثلها لا يخدع **وكان** الحسن بن علي
يا أهل لذات دنيا لا بقاء لها ⁕ إن اغتراراً بظل زائل حمق ⁕ وكان أيضاً يتمثل من قوله **ونزل أعرابي** بقوم فقدموا إليه طعاماً فأكل
ثم قام إلى ظل خيمة فنام هنالك فاقتلعوا الخيمة فأصابته الشمس فانتبه وقام **وهو يقول** ألا إنما الدنيا كظل بنيته ⁕ ولا بد يوماً أن ظلك زائل
وكذلك قيل وإن امرأً دنياه أكبر همه ⁕ لمستمسك منها بحبل غرور ⁕ **مثال آخر** للدنيا من حيث التغرير بخيالاتها
ثم الإفلاس عنها بعد إفلاتها تشبه خيالات المنام وأضغاث الأحلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا حلم وأهلها عليها
مجازون ومعاقبون وقال يونس بن عبيد ما شبهت نفسي والدنيا إلا كرجل نام فرأى في منامه ما يكره وما يحب فبينما هو كذلك
إذ انتبه فكذلك الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا فإذا ليس بأيديهم شيء مما ركنوا إليه وفرحوا به وقيل لحكيم أي شيء أشبه
بالدنيا قال أحلام النائم **مثال آخر للدنيا في عداوتها لأهلها وإهلاكها لبنيها** اعلم أن طبع الدنيا التلطف في الاستدراج أولاً
والتوصل إلى الإهلاك آخراً وهي كامرأة تتزين للخطاب حتى إذا نكحتهم ذبحتهم وقد روي أن عيسى عليه الصلاة والسلام كوشف
بالدنيا فرآها في صورة عجوز هتماء عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت قالت لا أحصيهم قال فكلهم مات عنك أو كلهم طلقك قالت
بل كلهم قتلت فقال عيسى عليه السلام بؤساً لأزواجك الباقين كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين كيف تهلكينهم واحداً بعد واحد
ولا يكونون منك على حذر **مثال آخر للدنيا في مخالفة باطنها لظاهرها** اعلم أن الدنيا مزينة الظواهر قبيحة السرائر وهي
تشبه عجوزاً متزينة تخدع الناس بظاهرها فإذا وقفوا على باطنها وكشفوا القناع عن وجهها تمثل لهم قبائحها فندموا على اتباعها
وخجلوا من ضعف عقولهم في الاغترار بظاهرها قال العلاء بن زياد رحمه الله رأيت عجوزاً في النوم كبيرة متغضنة الجلد عليها
من كل زينة الدنيا والناس عكوف عليها معجبون ينظرون إليها فجئت ونظرت وتعجبت من نظرهم إليها وإقبالهم عليها فقلت لها ويلك من أنت قالت أما تعرفني
قلت لا ما أدري من أنت قالت أنا الدنيا قلت أعوذ بالله من شرك قالت فإن أحببت أن يعيذك الله تعالى من شري فأبغض الدرهم **وقال**
أبو بكر بن عياش رأيت الدنيا في النوم عجوزاً مشوهة شمطاء تصفق بيديها وخلفها خلق يتبعونها ويصفقون ويرقصون فلما كانت
بحذائي أقبلت علي فقالت لو ظفرت بك لصنعت بك مثل ما صنعت بهؤلاء ثم بكى أبو بكر وقال رأيت هذا قبل أن أقدم إلى بغداد وقال
الفضيل بن عياض رحمه الله قال عبد الله بن عباس يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقاء أنيابها بادية مشوه خلقها
فتشرف على الخلائق فيقال أتعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التي تفاخرتم عليها بها تقاطعتم الأرحام
وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم تقذف في جهنم فتنادي أي رب أين أتباعي وأشياعي فيقول الله عز وجل ألحقوا بها أتباعها
وأشياعها **وقال** الفضيل بلغني أن رجلاً عرج بروحه فإذا امرأة على قارعة الطريق عليها من كل زينة من الحلي والثياب وإذا
لا يمر بها أحد إلا جرحته فإذا هي أدبرت كانت أحسن شيء رآه الناس وإذا أقبلت كانت أقبح شيء رآه الناس عجوز شمطاء زرقاء عمشاء قال فقلت أعوذ بالله منك قالت لا والله
لا يعيذك الله مني حتى تبغض الدرهم قال فقلت من أنت قالت أنا الدنيا **مثال آخر للدنيا وعبور الإنسان بها** اعلم أن لك أحوالاً
ثلاثة حالة لم تكن فيها شيئاً وهي ما قبل وجودك إلى الأزل وحالة لا تكون فيها مشاهداً للدنيا وهي ما بعد موتك إلى الأبد وحالة
متوسطة بين الأبد والأزل وهي أيام حياتك في الدنيا فانظر إلى مقدار طولها وانسبه إلى طرفي الأزل والأبد حتى تعلم أنه أقل من منزل قصير في سفر
طويل ولذلك قال عليه السلام ما لي وللدنيا إنما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم صائف فرفعت له شجرة فقال تحت ظلها
ساعة ثم راح وتركها ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن إليها ولم يبال كيف انقضت أيامه في ضر وضيق أو سعة ورفاهية بل لا يبني

لبنة على لبنة توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة يبني بيتا من جص
فقال ما أرى الأمر إلا أعجل من هذا وأنكر ذلك وإلى هذا أشار عيسى عليه السلام حيث قال الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وهو مثل واضح
فإن الحياة معبر إلى الآخرة والمهد هو الميل الأول على رأس القنطرة واللحد هو الميل الثاني وبينهما مسافة محدودة فمن الناس من قطع نصف
القنطرة ومنهم من قطع ثلثها ومنهم من قطع ثلثيها ومنهم من لم يبق له إلا خطوة واحدة وهو غافل عنها وكيفما كان فلا بد من العبور والبناء
على القنطرة وتزيينها بأصناف الزينة وأنت عابر عليها غاية الجهل والخذلان **مثال آخر في لين مأخذها وخشونة مصدرها**
اعلم أن أوائل أمور الدنيا تبدو واهية لينة يظن الخائض فيها أن حلاوة خوضها كحلاوة الخوض فيها هيهات فالخوض فيها سهل والخروج منها مع السلامة
شديد **وقد كتب** علي إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه بمثالها فقال مثل الدنيا مثل الحية لين مسها ويقتل سمها فأعرض عما يعجبك منها لقلة ما يصحبك
منها وضع عنك همومها لما أيقنت من فراقها وكن أسر ما تكون فيها أحذر ما تكون لها فإن صاحبها كلما اطمأن منها إلى
سرور أشخصه عنها مكروه والسلام **مثال آخر للدنيا** في تعذر الخلاص من تبعاتها بعد الخوض فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما مثل صاحب
الدنيا كمثل الماشي في الماء هل يستطيع الذي يمشي في الماء أن لا تبتل قدماه وهذا يعرفك جهالة قوم ظنوا أنهم يخوضون في نعيم الدنيا بأبدانهم
وقلوبهم عنها مطهرة وعلائقها عن بواطنهم منقطعة وذلك مكيدة الشيطان بل لو أخرجوا مما هم فيه لكانوا من أعظم المتألمين بفراقها فكما أن
المشي في الماء يقتضي بللا لا محالة يلتصق بالقدم فكذلك ملابسة الدنيا تقتضي علاقة وظلمة في القلب بل علاقة القلب مع الدنيا تمنع حلاوة
العبادة **قال** عيسى عليه السلام بحق أقول لكم كما ينظر المريض إلى الطعام فلا يلتذ من شدة الوجع كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها
مع ما يجد من حلاوة الدنيا بحق أقول لكم إن الدابة إذا لم تركب وتمتهن تصعبت وتغير خلقها كذلك القلوب إذا لم ترقق بذكر الموت ونصب العبادة
تقسو وتغلظ • بحق أقول لكم إن الزق ما لم يتخرق يوشك أن يكون وعاء للعسل كذلك القلوب ما لم تخرقها الشهوات أو يدنسها الطمع أو
النعيم فسوف تكون أوعية للحكمة **وقال** نبينا صلى الله عليه وسلم إنما بقي من الدنيا بلاء وفتنة وإنما مثل عمل أحدكم كمثل الوعاء إذا طاب أعلاه طاب أسفله
وإذا خبث أعلاه خبث أسفله **مثال آخر** لما بقي من الدنيا وقلته بالإضافة إلى ما سبق **قال** صلى الله عليه وسلم مثل هذه الدنيا مثل ثوب
شق من أوله إلى آخره فبقي متعلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع **مثال آخر** لتأدية علائق الدنيا بعضها إلى بعض حتى الهلاك قال
عيسى عليه السلام مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله **مثال آخر** لمخالفة آخر الدنيا أولها ولنضارة أوائلها
وخبث عواقبها اعلم أن شهوات الدنيا في القلب لذيذة كشهوات الأطعمة في المعدة وسيجد العبد عند الموت لشهوات الدنيا في قلبه من الكراهة والنتن
والقبح ما يجده من الأطعمة اللذيذة إذا بلغت في المعدة غايتها وكما أن الطعام كلما كان ألذ طعما وأكثر دسما وأظهر حلاوة كان رجيعه أقذر وأشد نتنا
وكذلك كل شهوة في القلب هي أشهى وألذ وأقوى فنتنها وكراهتها والتأذي بها عند الموت أشد بل هي في الدنيا مشاهدة فإن من نهبت داره وأخذ
أهله وولده وماله فتكون مصيبته وألمه وتفجعه في كل ما فقده بقدر لذته فيه وحبه له وحرصه عليه فكلما كان عند الوجود أشهى عنده وألذ
فهو عند الفقد أدهى وأمر ولا معنى للموت إلا فقد ما في الدنيا **وقد** روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال للضحاك بن سفيان الكلابي ألست تؤتى بطعامك
وقد ملح وقزح ثم تشرب عليه اللبن والماء قال بلى قال فإلى ماذا يصير قال إلى ما قد علمت يا رسول الله قال فإن الله عز وجل ضرب مثل الدنيا بما يصير إليه
طعام ابن آدم **وقال** أبي بن كعب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الدنيا ضربت مثلا لابن آدم فانظر إلى ما يخرج من ابن آدم وإن قزحه وملحه إلى ما
يصير • وقال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلا وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلا وإن قزحه وملحه **وقال** الحسن قد رأيتهم
يطيبونه بالأفاوية والطيب ثم يرمونه حيث رأيتم • وقد قال الله تعالى فلينظر الإنسان إلى طعامه قال ابن عباس إلى رجيعه
وقال رجل لابن عمر إني أريد أن أسألك وأستحيي فقال لا تستحيي وسل قال إذا قضى أحدنا حاجته فقام ينظر إلى ذلك منه قال نعم
إن الملك يقول له انظر هذا ما بخلت به انظر إلى ماذا صار • **وكان** بشر بن كعب يقول انطلقوا حتى أريكم الدنيا فيذهب بهم إلى مزبلة
فيقول انظروا إلى ثمارهم ودجاجهم وعسلهم وسمنهم • **مثال آخر** في نسبة الدنيا إلى الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل
ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بما يرجع إليه • **مثال آخر** للدنيا وأهلها في اشتغالهم بنعيم الدنيا وغفلتهم عن الآخرة
وخسرانهم العظيم بسببها اعلم أن أهل الدنيا في غفلتهم مثلهم مثل قوم ركبوا سفينة فانتهت بهم إلى جزيرة فأمرهم الملاح بالخروج
لقضاء الحاجة وحذرهم المقام وخوفهم مرور السفينة واستعجالها فتفرقوا في نواحي الجزيرة فقضى بعضهم حاجته وبادر إلى السفينة فصادف
المكان خاليا فأخذ أوسع الأماكن وألينها وأوفقها لمراده • وبعضهم توقف في الجزيرة ينظر إلى أنوارها وأزهارها العجيبة وغياضها
الملتفة ونغمات طيورها وألحانها الموزونة الغريبة وصار يلحظ في تربتها وأحجارها وجواهرها ومعادنها المختلفة الألوان والأشكال
الحسنة المنظر العجيبة النقوش السالبة عيون الناظرين بحسن زبرجها وعجائب صورها ثم تنبه لخطر فوات السفينة فرجع إليها

فلم يصادف إلا مكانا ضيقا حرجا فاستقر فيه وبعضهم أكب على تلك الأصداف والأحجار وأعجبه حسنها ولم تسمح نفسه بإهمالها فاستصحب
منها جملة فلم يجد في السفينة إلا مكانا ضيقا حرجا وزادته الحجارة ضيقا وصارت ثقلا عليه ووبالا فندم على أخذها وحملها ولم يجد لها مكانا فحملها بعنقه
وولج الغياض ونسي المركب وبعد في متفرجه ومتنزهه منه حتى لم يبلغه نداء الملاح لاشتغاله بأكل تلك الثمار وشم تلك الأنوار والتفرج
في تلك الأشجار وهو مع ذلك خائف على نفسه من السباع وغير خال من السقطات والنكبات ولا منفك عن شوك ينشب بثيابه ويهتك عورته ويمنعه
عن الانصراف لو أراد فلما بلغه نداء السفينة انصرف مثقلا بما معه فلم يجد في السفينة موضعا فبقي في الشط حتى مات جوعا وبعضهم
لم يبلغه النداء وسارت السفينة فمنهم من افترسته السباع ومنهم من تاه على وجهه حتى هلك ومنهم من مات في الأوحال ومنهم من نهشته
الحيات وتفرقوا كالجيف المنتنة وأما من وصل إلى السفينة بثقل ما أخذه من الأحجار المزبرجة فقد استرقته وشغله الحزن
بحفظها والخوف من فوتها فلم يلبث أن ذبلت تلك الأزهار وكمدت ألوان الأحجار وظهر نتن رائحتها فصار مع ضيق المكان عليه مضيقا
عليه مؤذيا بنتنها ووحشتها فلم يجد حيلة إلا أن ألقاها في البحر هربا منها وقد أثر فيه ما أكل منها فلم ينته إلى الوطن إلا بعد أن
ظهرت عليه الأسقام بتلك الروائح فبلغ سقيما مدبرا ومن رجع قريبا ما فاته إلا سعة المحل فتأذى بضيق المكان مدة ولكن لما وصل
إلى الوطن استراح ومن رجع أولا وجد المكان الأوسع ووصل إلى الوطن سالما فهذا مثال أصناف أهل الدنيا في اشتغالهم
بحظوظهم العاجلة ونسيانهم موردهم ومصدرهم وغفلتهم عن عاقبة أمرهم وما أقبح من يزعم أنه بصير عاقل أن تغره
أحجار الأرض وهي الذهب والفضة وهشيم النبت وهي زينة الدنيا وشيء منها لا يصحبه عند الموت بل يصير كلا ووبالا
عليه وهو في الحال شاغل له بالحزن والخوف عليه وهذه حالة الخلق كلهم إلا من عصمه الله • **مثال آخر** لاغترار الخلق بالدنيا وضعف
إيمانهم بقول الله تعالى وتعذيبه إياهم غوائل الدنيا **قال** الحسن بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه إنما مثلي ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم
سلكوا مفازة غبراء حتى إذا لم يدروا ما سلكوا منها أكثر أو ما بقي أنفدوا الزاد وحسروا الظهر وبقوا بين ظهراني المفازة لا زاد ولا
حمولة فأيقنوا بالهلكة فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم رجل في حلة يقطر رأسه فقالوا إن هذا حديث عهد بريف وما جاءكم هذا إلا من قريب
فلما انتهى إليهم قال يا هؤلاء قالوا يا هذا قال على ماذا أنتم قالوا على ما ترى قال أرأيتم إن هديتكم إلى ماء رواء ورياض خضر ما تعملون قالوا لا
نعصيك شيئا قال أرأيتم إن هديتكم إلى ذلك أتعطوني شيئا قال أعطوني عهودكم ومواثيقكم بالله فأعطوه عهودهم ومواثيقهم بالله لا يعصونه شيئا قال
فأوردهم ماء رواء ورياضا خضرا فمكث فيهم ما شاء الله ثم قال يا هؤلاء قالوا يا هذا قال الرحيل قالوا إلى أين قال إلى ماء ليس كمائكم ورياض
ليست كرياضكم فقال أكثرهم والله ما وجدنا هذا حتى ظننا أنا لن نجده وما نصنع بعيش خير من هذا وقالت طائفة وهم أقلهم ألم تعطوا هذا
الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله أن لا تعصوه شيئا وقد صدقكم في أول حديثه فوالله ليصدقنكم في آخره فراح فيمن اتبعه وتخلف بقيتهم فنذر بهم
عدو فأصبحوا بين أسير وقتيل **مثال آخر** لتنعم الناس بالدنيا وتفجعهم على فراقها **اعلم** أن مثل الناس فيما أعطوا
من الدنيا كمثل رجل هيأ دارا وزينها وهو يدعو إلى داره قوما على الترتيب واحدا بعد واحد فدخل واحد داره فقدم إليه طبق ذهب عليه
بخور ورياحين ليشمه ويتركه لمن يلحقه لا ليتملكه فجهل رسمه وظن أنه قد وهب ذلك له فتعلق به قلبه لما ظن أنه له فلما استرجع
منه ضجر وتفجع ومن كان عالما برسمه انتفع به وشكره ورده بطيبة قلب وانشراح صدر وكذلك من عرف سنة الله تعالى
في الدنيا علم أنها دار ضيافة سبلت على المجتازين لا على المقيمين ليتزودوا منها وينتفعوا بما فيها كما ينتفع المسافرون بالعواري ولا يصرفون
إليها كل قلوبهم حتى تعظم مصيبتهم عند فراقها فهذه أمثلة الدنيا وآفاتها وغوائلها
اعلم أن معرفة ذم الدنيا لا يكفيك ما لم تعرف الدنيا المذمومة ما هي وما الذي ينبغي أن يجتنب منها وما الذي لا يجتنب فلا بد وأن
نبين الدنيا المذمومة المأمور باجتنابها لكونها عدوة قاطعة لطريق الله ما هي فنقول دنياك وآخرتك عبارة عن حالتين من أحوال
قلبك فالقريب الداني منها يسمى دنيا وهو كل ما قبل الموت والمتراخي المتأخر يسمى آخرة وهو ما بعد الموت فكل ما لك فيه حظ وغرض
ونصيب وشهوة ولذة في عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقك إلا أن جميع ما لك إليه ميل وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم بل هو ثلاثة أقسام
القسم الأول ما يصحبك في الدنيا وتبقى معك ثمرته بعد الموت وهو شيئان العلم والعمل فقط وأعني بالعلم العلم بالله تعالى
وبصفاته وأفعاله وملائكته وكتبه ورسله وملكوت أرضه وسمائه والعلم بشريعة نبيه عليه الصلاة والسلام وأعني بالعمل العبادة الخالصة
لوجه الله تعالى وقد يأنس العالم بالعلم حتى يصير ذلك ألذ الأشياء عنده فيهجر النوم والمنكح والمطعم والمشرب في لذته لأنه أشهى عنده من جميعها

فقد صار حظا عاجلا في الدنيا وكذا اذا ذكرنا الدنيا المذمومة لم نعد هذا من الدنيا اصلا ولو قلنا انه من الآخرة وكذا ذكر العابد ياتي بالعبادة فيستلذ بحيث لو منع عنها لكان ذلك اعظم العقوبات عليه حتى قال بعضهم ما اخاف من الموت الا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل وكان آخر يقول اللهم ارزقني قوة الصلاة والركوع والسجود في القبر وهذا قد صارت الصلاة عنده من حظوظه العاجلة وكل حظ عاجل فاسم الدنيا ينطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنو ولكنا لسنا نعني بالدنيا المذمومة ذلك وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة من جملة ملاذ الدنيا وذلك لان كل ما يدخل في الحس والمشاهدة فهو من عالم الشهادة وهو من الدنيا والتلذذ بتحريك الجوارح بالسجود والركوع انما يكون في الدنيا فلذلك اضافها الى الدنيا الا انا في هذا الكتاب لسنا نتعرض الا للدنيا المذمومة فنقول هذه ليست من الدنيا

القسم الثاني

وهو المقابل له على الطرف الاقصى كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له في الآخرة اصلا كالتلذذ بالمعاصي كلها والتنعم بالمباحات الزائدة على قدر الضرورات والحاجات الداخلة في جملة الرفاهية والرعونات كالتلذذ بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث والغلمان والجواري والخيول والمواشي والقصور والدور ورفيع الثياب ولذائذ الاطعمة فحظ العبد من هذه كلها هي الدنيا المذمومة وفيما يعد فضولا او في محل الحاجة نظر طويل اذ روي ان عمر بن الخطاب استعمل ابا الدرداء على حمص فاتخذ كنيفا انفق عليه درهمين فكتب اليه عمر بسم الله الرحمن الرحيم من عمر بن الخطاب امير المؤمنين الى عويمر قد كان لك في بناء فارس والروم ما تكتفي به عن عمران الدنيا حين اراد الله خرابها فاذا اتاك كتابي هذا فقد سيرتك انت واهلك الى دمشق فلم يزل بها حتى مات فهذا رآه فضولا من الدنيا فتامل فيه

القسم الثالث

وهو متوسط بين الطرفين كل حظ في العاجل معين على اعمال الآخرة كقدر القوت من الطعام والقميص الواحد الخشن وكل ما لا بد منه ليتاتى للانسان البقاء والصحة التي بها يتوصل الى العلم والعمل وهذا ليس من الدنيا كالقسم الاول لانه معين على القسم الاول ووسيلة اليه فمهما تناوله العبد على قصد الاستعانة به على العلم والعمل لم يكن به متناولا للدنيا ولم يصر به من ابناء الدنيا وان كان باعثه الحظ العاجل دون الاستعانة على التقوى التحق بالقسم الثاني وصار من جملة الدنيا ولا يبقى مع العبد عند الموت الا ثلاث صفات صفاء القلب اعني طهارته عن ادناس الدنيا وانسه بذكر الله تعالى وحبه لله تعالى وصفاء القلب وطهارته لا تحصل الا بالكف عن شهوات الدنيا والانس لا يحصل الا بكثرة ذكر الله تعالى والمواظبة عليه والحب لا يحصل الا بالمعرفة ولا تحصل معرفة الله تعالى الا بدوام الفكر وهذه الصفات الثلاث هي المنجيات المسعدات بعد الموت وهي الباقيات الصالحات اما طهارة القلب عن شهوات الدنيا فهي من المنجيات اذ تكون جنة بين العبد وبين عذاب الله كما ورد في الاخبار ان اعمال العبد تناضل عنه فاذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه واذا جاء من جهة يديه جاءت الصدقة تدفع عنه الحديث واما الانس والحب فهما من المسعدات وهما موصلان العبد الى لذة اللقاء والمشاهدة وهذه السعادة تتعجل عقيب الموت الى ان يدخل اوان الرؤية في الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة وكيف لا يكون القبر روضة ولم يكن له الا محبوب واحد فكانت العوائق تعوقه عن الانس بدوام ذكره ومطالعة جماله فارتفعت العوائق وافلت من السجن وخلي بينه وبين محبوبه فقدم عليه مسرورا سليما من الموانع آمنا من الفراق وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذبا ولم يكن له محبوب الا الدنيا وقد غصب منه وحيل بينه وبينه وسدت عليه طرق الحيلة في الرجوع اليه فما حال من كان له واحد يوحش ذلك الواحد وليس الموت عدما انما هو فراق لمحاب الدنيا وقدوم على الله تعالى فاذا سالك طريق الآخرة هو المواظب على اسباب هذه الصفات الثلاث وبغض الدنيا وبغضه عنها وكل ذلك لا يمكن الا بصحة البدن وصحة البدن لا تنال الا بقوت وملبس ومسكن ويحتاج كل واحد الى اسباب والقدر الذي لا بد منه من هذه الثلاثة اذا اخذه العبد من الدنيا للآخرة لم يكن من ابناء الدنيا وكانت الدنيا في حقه مزرعة للآخرة وان اخذ ذلك على حظ التنعم صار من ابناء الدنيا والراغبين في حظوظها الا ان الرغبة في حظوظ الدنيا تنقسم الى ما يعرض صاحبه لعذاب الآخرة ويسمى ذلك حراما والى ما يحول بينه وبين الدرجات العلى ويعرضه لطول الحساب ويسمى ذلك حلالا والبصير يعرف ان طول الموقف في عرصات القيامة لاجل المحاسبة ايضا عذاب فمن نوقش الحساب فقد عذب اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حلالها حساب وحرامها عقاب وقد قال ايضا حلالها عذاب الا انه عذاب اخف من عذاب الحرام بل لو لم يكن الحساب لكان ما يفوت من الدرجات العلى في الجنة وما يرد على القلب من التحسر على تفويتها بحظوظ حقيرة خسيسة لا بقاء لها هو ايضا عذاب وقس به حالك في الدنيا اذا نظرت الى اقرانك وقد سبقوك الى سعادة دنيوية كيف يتقطع قلبك عليها حسرة مع علمك بانها سعادات منصرمة لا بقاء لها ومنغصة بكدورات لا صفاء لها فما حالك في فوت سعادة لا يحيط الوصف بعظمها وتنقطع الدهور دون غايتها فكل من تنعم في الدنيا ولو بسماع صوت من طائر او بالنظر الى

خضرة او شربة ماء بارد فانه ينقص من حظه في الآخرة اضعافه وهو المعني بقول النبي صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه هذا من النعيم الذي تسالون عنه اشار الى الماء البارد دون التعرض للجواب بالسؤال فيه ذل وخوف وخطر ومشقة وانتظار وكل ذلك من نقصان الحظ ولذلك قال عمر رضي الله عنه اعزلوا عني حسابها حيث كان به عطش فعرض عليه ماء بارد بعسل فاداره في كفه وامتنع عن شربه فالدنيا قليلها وكثيرها حلالها وحرامها ملعونة الا ما اعان على تقوى الله عز وجل فان ذلك القدر ليس من الدنيا وكل من كانت معرفته اقوى واتقن كان حذره من نعيم الدنيا اشد حتى ان عيسى عليه السلام وضع راسه على حجر لما نام ثم رماه اذ تمثل له ابليس وقال رغبت في الدنيا وبلغني ان سليمان عليه السلام في ملكه كان يطعم الناس من لذائذ الاطعمة وهو ياكل خبز الشعير فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتحانا وشدة فان الصبر عن لذائذ الاطعمة مع القدرة عليها ووجودها اشد ولهذا زوى الله تعالى الدنيا عن نبينا صلى الله عليه وسلم وكان يطوي اياما وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع ولهذا سلط الله البلاء والمحن على الانبياء والاولياء ثم الامثل فالامثل كل ذلك نظرا لهم وامتنانا عليهم ليتوفر من الآخرة حظهم كما يمنع الوالد الشفيق ولده لذة الفواكه ويلزمه الم الفصد والحجامة شفقة عليه وحبا له لا بخلا عليه وقد عرفت بهذا ان كل ما ليس لله تعالى فهو من الدنيا وما هو لله تعالى فذلك ليس من الدنيا

فان قلت فما الذي هو لله تعالى فاقول الاشياء ثلاثة اقسام منها ما لا يتصور ان يكون لله تعالى وهو الذي يعبر عنه بالمعاصي والمحظورات وانواع التنعمات في المباحات وهي الدنيا المذمومة المحضة وهي الدنيا صورة ومعنى ومنها ما صورته لله تعالى ويمكن ان يجعل لغير الله تعالى وهي ثلاثة الفكر والذكر والكف عن الشهوات فان هذه الثلاث اذا جرت سرا ولم يكن عليها باعث سوى امر الله تعالى واليوم الآخر فهي لله تعالى وليست من الدنيا وان كان الغرض من الفكر طلب العلم للتشرف به وطلب القبول بين الخلق باظهار المعرفة او كان الغرض من ترك الشهوة حفظ المال او الحمية لصحة البدن والاشتهار بالزهد فقد صار هذا من الدنيا بالمعنى وان كان يظن بصورته انه لله تعالى ومنها ما صورته لحظ النفس ويمكن ان يجعل معناه لله تعالى وذلك كالاكل والشرب والنكاح وكل ما يرتبط به بقاؤه وبقاء ولده فان كان المقصود حظ النفس فهو من الدنيا وان كان القصد الاستعانة على التقوى فهو لله تعالى بمعناه وان كانت صورته صورة الدنيا قال صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا لقي الله تعالى وهو عليه غضبان ومن طلبها استعفافا عن المسالة وصيانة لنفسه جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر فانظر كيف اختلف ذلك بالقصد

فاذا الدنيا حظ نفسك العاجل الذي لا حاجة اليه لامر الآخرة ويعبر عنه بالهوى واليه الاشارة بقوله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى **ومجامع الهوى خمسة امور** هي ما جمعه الله تعالى في قوله انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد والاعيان التي تحصل منها هذه الخمسة سبعة يجمعها قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب فقد عرفت ان كل ما هو لله تعالى فليس من الدنيا وقدر ضرورة القوت وما لا بد منه من مسكن وملبس فهو لله تعالى ان قصد به وجه الله تعالى والاستكثار منه تنعم وهو لغير الله تعالى وبين التنعم والضرورة درجة يعبر عنها بالحاجة ولها طرفان وواسطة طرف يقرب من حد الضرورة فلا يضر فان الاقتصار على حد الضرورة غير ممكن وطرف يزاحم جانب التنعم ويقرب منه وينبغي ان يحذر منه وبينهما وسائط متشابهة ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه والحزم في الحذر والتقوى والتقريب من حد الضرورة ما امكن اقتداء بالانبياء والاولياء اذ كانوا يردون انفسهم الى حد الضرورة **حتى ان اويسا القرني** رحمه الله كان يظن اهله انه مجنون لشدة تضييقه على نفسه فبنوا له بيتا على باب دارهم وكان ياتي عليه السنة والسنتان والثلاث لا يرون له وجها وكان يخرج اول الاذان وياتي منزله بعد العشاء الآخرة **وكان** طعامه ان يلتقط النوى فكلما اصاب الحشف خباه لافطاره فان لم يصب ما يقوته من الحشف باع النوى واشترى بثمنه ما يقوته **وكان** لباسه ما يلتقط من المزابل فيلتقط قطع الاكسية فيغسلها في الفرات ويلفق بعضها الى بعض ثم يلبسه فكان ذلك لباسه فكان ربما مر بالصبيان فيرجمونه ويظنون انه مجنون فيقول لهم يا اخوتاه ان كنتم ترمونني فارموني باحجار صغار فاني اخاف ان تدموا عقبي فيحضر الصلاة ولا اصيب الماء فهكذا كانت سيرته ولقد عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم امره فقال اني لاجد نفس الرحمن من قبل اليمن اشارة اليه **ولما ولي عمر** بن الخطاب رضي الله عنه قال يا ايها الناس من كان منكم من اهل العراق فليقم فقاموا فقال اجلسوا الا من كان من اهل الكوفة فجلسوا فقال اجلسوا الا من كان من مراد فجلسوا فقال اجلسوا الا من كان من قرن فجلسوا كلهم الا رجل واحد فقال له عمر اقرني انت قال نعم فقال اتعرف اويس بن عامر القرني فوصفه له فقال وما تسال عن ذلك يا امير المؤمنين والله ما فينا احمق منه ولا اجن منه ولا اوحش منه ولا ادنى منه فبكى عمر رضي الله عنه ثم قال ما قلت ما قلته الا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر فقال هرم بن حيان لما سمعت هذا القول من عمر بن الخطاب قدمت الكوفة فلم يكن لي هم الا ان اطلب اويسا القرني واسال عنه حتى سقطت عليه جالسا على شاطئ الفرات نصف النهار يتوضأ ويغسل ثوبه قال فعرفته بالنعت الذي نعت لي فاذا رجل لحيم شديد الادمة محلوق الراس

ربما قال وانت حياك الله يا هرم بن حيان كيف انت يا اخي ومن دلك علي قال قلت الله قال لا اله الا الله سبحان الله ان كان
وعد ربنا لمفعولا قال فتعجبت حين عرفني ولا والله ما رايته قبل ذلك ولا رآني فقلت من اين عرفت اسمي واسم ابي وما رايتك
قبل اليوم قال انبأني العليم الخبير وعرفت روحي روحك حين كلمت نفسي نفسك ان الارواح لها انفس كانفس الاجساد وان
المؤمنين ليعرف بعضهم بعضا ويتحابون بروح الله وان لم يلتقوا يتعارفون ويتكلمون وان نات بهم الدار وتفرقت بهم المنازل
قال قلت حدثني رحمك الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث اسمعه منك قال اني لم ادرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن لي معه صحبة بابي وامي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن رايت
رجالا قد صحبوه وبلغني من حديثه نحو ما بلغك ولست احب ان افتح هذا الباب على نفسي ان اكون محدثا او مفتيا او قاضيا
في نفسي شغل يشغلني عن الناس يا هرم بن حيان فقلت يا اخي اقرأ علي آية من كتاب الله اسمعها منك وادع لي بدعوات
واوصني بوصية احفظها عنك فاني احبك في الله حبا شديدا قال فقام واخذ بيدي على شاطئ الفرات ثم قال اعوذ بالله
السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم بكى ثم قال قال ربي والحق قول ربي واصدق الحديث حديثه واصدق الكلام كلامه
ثم قرأ وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون حتى انتهى الى انه هو السميع
العليم فشهق شهقة ظننت انه قد غشي عليه ثم قال يا ابن حيان مات ابوك حيان ويوشك ان تموت فاما الى جنة واما
الى نار ومات ابوك آدم وماتت امك حوا ومات نوح ومات ابرهيم خليل الرحمن ومات موسى نجي الرحمن ومات
داود خليفة الرحمن ومات محمد صلى الله عليه وسلم رسول رب العالمين ومات ابو بكر خليفة المسلمين ومات عمر بن
الخطاب اخي وصفيي ثم قال يا عمراه يا عمراه قال فقلت رحمك الله ان عمر لم يمت فقال قد نعاه الي ربي ونعى الي نفسي ثم قال
انا وانت في الموتى كان قد كان ثم صلى على النبي ثم دعا بدعوات خفيات ثم قال هذه وصيتي اليك يا هرم بن حيان كتاب الله
ولقاء الصالحين المؤمنين فقد نعيت الي نفسي ونفسك عليك بذكر الموت لا يفارق قلبك طرفة عين ما بقيت وانذر قومك
اذا رجعت اليهم وانصح للامة جميعا واياك ان تفارق الجماعة قيد شبر فتفارق دينك وانت لا تشعر فتدخل النار يوم القيامة
ادع لي ولنفسك ثم قال اللهم ان هذا يزعم انه يحبني فيك وزارني من اجلك فعرفني وجهه في الجنة وادخله علي دارك دار
السلام واحفظه ما دام في الدنيا حيث ما كان وضم عليه ضيعته وارضه من الدنيا باليسير وما اعطيته من الدنيا فيسره
له تيسيرا واجعله لما اعطيته من نعمائك من الشاكرين واجزه عني خير الجزاء ثم قال استودعتك الله يا هرم بن حيان
والسلام عليك ورحمة الله وبركاته لا اراك بعد اليوم رحمك الله تطلبني فاني اكره الشهرة والوحدة احب الي اني كثير الهم شديد الغم مع هؤلاء
الناس حيا فلا تسأل عني ولا تطلبني واعلم انك مني على بال وان لم ارك وترني فاذكرني وادع لي فاني ساذكرك وادعو لك
ان شاء الله انطلق انت هاهنا حتى انطلق انا هاهنا فحرصت ان امشي معه ساعة فابى علي وفارقته فبكى وابكاني
وجعلت انظر الى قفاه حتى دخل بعض السكك ثم سألت عنه بعد ذلك فما وجدت احدا يخبرني عنه بشيء رحمه الله وغفر له فهكذا
كانت سيرة ابناء الآخرة المعرضين عن الدنيا وقد عرفت مما سبق في بيان الدنيا ومن سيرة الانبياء عم والاولياء ان حد الدنيا
كل ما اظلته الخضراء واقلته الغبراء الا ما كان لله تعالى من ذلك وضد الدنيا الآخرة وهو كل ما اريد به الله عز وجل وما يؤخذ بقدر الضرورة
من الدنيا لاجل القوة على طاعة الله فليس ذلك من الدنيا ويتبين هذا بمثال وهو ان الحاج لو حلف انه في طريق الحج لا يشتغل
بغير الحج بل يتجرد له ثم اشتغل بحفظ الزاد وعلف الجمل وخرز الراوية وكل ما لا بد للحج منه لم يحنث في يمينه ولم يكن مشتغلا
بغير الحج فكذلك البدن مركب النفس يقطع به مسافة العمر فتعهد البدن بما يبقى به قوته على سلوك الطريق بالعلم والعمل
هو من الآخرة لا من الدنيا نعم اذا قصد به تلذذ البدن وتنعمه بشيء من هذه الاسباب كان منحرفا عن الآخرة ويخشى على قلبه القسوة
قال الطنافسي كنت على باب بني شيبة في المسجد سبعة ايام طاويا فسمعت في الليلة الثامنة مناديا وانا بين اليقظة والمنام
الا من اخذ من الدنيا اكثر مما يحتاج اليه اعمى الله عين قلبه فهذا بيانه على حقيقة الدنيا

بيان ماهية الدنيا في نفسها واشغالها

التي استغرقت هموم الخلق حتى انستهم انفسهم وخالقهم ومصدرهم ومورده اعلم ان الدنيا عبارة عن اعيان موجودة
وللانسان فيها حظ وله في اصلاحها شغل فهذه ثلثة امور قد يظن ان الدنيا عبارة عن آحادها وليس كذلك اما الاعيان
الموجودة التي الدنيا عبارة عنها فهي الارض وما عليها قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا
فالارض فراش للآدميين ومهاد ومسكن ومستقر وما عليها لهم ملبس ومطعم ومشرب ومنكح ويجمع ما على الارض
ثلثة اقسام المعادن والنبات والحيوان اما النبات فيطلبه الآدمي للاقتيات والتداوي واما المعادن
فيطلبها الآدمي للآلات والاواني كالنحاس والرصاص وللنقد كالذهب والفضة ولغير ذلك من المقاصد واما
واما الحيوان فينقسم الى الانسان والبهائم اما البهائم فيطلب لحومها للاكل وظهورها للمركب والزينة واما الانسان فقد
فقد يطلب الآدمي ابدان الناس ليستخدمهم ويستسخرهم كالغلمان ويستمتع بهم كالجواري والنسوان ويطلب

قلوب الناس ليملكها بان يغرس فيها التعظيم والاكرام وهو الذي يعبر عنه بالجاه اذ معنى الجاه ملك القلوب فهذه هي الاعيان التي يعبر
عنها بالدنيا وقد جمعها الله في قوله زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين وهذا من الآدميين والقناطير المقنطرة
من الذهب والفضة وهذا من الجواهر والمعادن وفيه تنبيه على غيرها من اللآلي واليواقيت وغيرها والخيل المسومة والانعام وهي البهايم
والحيوانات والحرث وهو النبات والزرع فهذه هي اعيان الدنيا الا ان لها مع العبد علاقتين علاقة مع القلب وهو حبه لها وحظه
منها وانصراف همه اليها حتى يصير قلبه كالعبد او المحب المستهتر بالدنيا ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب المتعلقة بالدنيا
كالكبر والغل والحسد والريا والسمعة وسوء الظن والمداهنة وحب الثنا وحب التكاثر والتفاخر وهذه هي الدنيا الباطنة
واما الظاهرة فهي الاعيان التي ذكرناها والعلاقة الثانية مع البدن وهو اشتغاله باصلاح هذه الاعيان ليصلح لحظوظه وحظوظ
غيره وهي جملة الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون بها والخلق انما نسوا انفسهم ومآبهم ومنقلبهم بالدنيا لهاتين العلاقتين
علاقة القلب بالحب وعلاقة البدن بالشغل ولو عرف نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا وسرها علم ان هذه الاعيان التي سميناها دنيا لم
تخلق الا لعلف الدابة التي يسير بها الى الله تعالى واعني بالدابة البدن فانه لا يبقى الا بمطعم ومشرب وملبس ومسكن كما لا يبقى الجمل في طريق الحج الا بعلف
وماء وجلال ومثال العبد في نسيانه نفسه ومقصده مثال الحاج الذي يقف في منازل الطريق ولا يزال يعلف الناقة ويتعهدها وينظفها
ويكسوها الوان الثياب ويحمل اليها انواع الحشيش ويبرد لها الماء بالثلج حتى تفوته القافلة وهو غافل عن الحج وعن مرور القافلة وعن
بقائه في البادية فريسة للسباع هو وناقته والحاج البصير لا يهمه من امر الجمل الا القدر الذي يقوى به على المشي فيتعهده وقلبه الى الكعبة
والحج وانما يلتفت الى الناقة بقدر الضرورة وكذلك البصير في سفر الآخرة لا يشتغل بتعهد البدن الا بالضرورة كما لا يدخل
بيت الماء الا لضرورة ولا فرق بين ادخال الطعام في البطن وبين اخراجه من البطن في انهما ضرورة البدن ومن همته ما
يدخل في بطنه فقيمته ما يخرج من بطنه واكثر ما يشغل عن الله تعالى هو البطن فان القوت ضروري وامر الملبس والمسكن اهون ولو
عرفوا سبب الحاجة الى هذه الامور واقتصروا عليها لم تستغرقهم اشغال الدنيا وانما استغرقتهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم
منها ولكنهم جهلوا وغفلوا وتتابعت اشغال الدنيا واتصل بعضها ببعض وتداعت الى غير نهاية محدودة فتاهوا في كثرة
الاشغال ونسوا مقصودها ونحن نذكر تفصيل اشغال الدنيا وكيفية حدوث الحاجة اليها وكيفية غلط الناس في مقاصدها حتى يتضح
لك ان اشغال الدنيا كيف صرفت الخلق عن الله تعالى وكيف انستهم عاقبة امورهم فنقول الاشغال الدنيوية هي الحرف والصناعات
والاعمال التي ترى الخلق مكبين عليها وسبب كثرة الاشغال هو ان الانسان مضطر الى ثلث القوت والمسكن والملبس
فالقوت للغذاء والبقاء والملبس لدفع الحر والبرد والمسكن لدفع الحر والبرد ولدفع اسباب الهلاك عن المال والاهل ولم
يخلق الله تعالى القوت والملبس والمسكن مصلحا بحيث يستغني عن صنعة الانسان فيه نعم خلق ذلك للبهائم فان النبات
يغذي الحيوان من غير طبخ والحر والبرد لا يؤثر في بدنه فيستغني عن البناء ويقنع بالصحرا ولباسها شعورها وجلودها فيستغني عن
اللباس والانسان ليس كذلك فحدثت الحاجة لذلك الى خمس صناعات هي اصول الصناعات واوائل الاشغال الدنيوية
وهي الفلاحة والرعاية والاقتناص والحياكة والبناء اما البناء فللمسكن والحياكة وما يكتنفها من الغزل والخياطة
فللملبس والفلاحة للمطعم والرعاية للمواشي والخيل ايضا للمطعم والمركب والاقتناص نعني به تحصيل ما خلقه الله تعالى من صيد
او معدن او حشيش او حطب فالفلاح يحصل النبات والراعي يحفظ الحيوانات ويستنتجها والمقتنص يحصل
ما نبت ونتج بنفسه من غير صنع آدمي وكذلك ياخذ من معادن الارض ما خلق فيها من غير صنعة آدمي ونعني
بالاقتناص ذلك فيدخل تحته صناعات واشغال عدة ثم هذه الصناعات افتقرت الى ادوات وآلات كالحياكة
والفلاحة والبناء والاقتناص والآلات انما توجد اما من النبات وهو الاخشاب او من المعادن كالحديد والرصاص
وغيرهما او من الحيوانات فحدثت الحاجة الى ثلثة انواع اخر من الصناعات النجارة والحدادة والخرز وهؤلاء
هم عمال الآلات ونعني بالنجار كل عامل في الخشب كيف ما كان وبالحداد كل من يعمل في جواهر المعادن حتى النحاس والحديد وغيرهما
وغرضنا ذكر الاجناس فاما احاد الحرف فكثيرة واما الخراز فنعني به كل عامل في جلود الحيوانات واجزائها فهذه
امهات الصناعات ثم ان الانسان خلق بحيث لا يعيش وحده بل يضطر الى الاجتماع مع غيره من جنسه وذلك
لسببين احدهما حاجته الى النسل لبقاء جنس الانسان ولا يكون ذلك الا باجتماع الذكر والانثى وعشرتهما والثاني التعاون
على تهيئة اسباب المطعم والملبس ولتربية الولد فان الاجتماع يفضي الى الولد لا محالة والواحد لا يشتغل بحفظ الولد
وتهيئة اسباب القوت ثم ليس يكفيه الاجتماع مع الاهل والولد في المنزل بل لا يمكنه ان يعيش كذلك ما لم تجتمع طائفة كثيرة
ليتكفل كل واحد بصناعة فان الشخص الواحد كيف يتولى الفلاحة وحده وهو يحتاج الى آلاتها ويحتاج الآلة الى حداد
ونجار ويحتاج الطعام الى طحان وخباز وكذلك كيف ينفرد بتحصيل الملبس وهو يفتقر الى حراسة القطن والآلات

للهياكل والخياطة واعمال كثيرة ولذلك امتنع عيش الانسان وحده وحدثت الحاجة الى الاجتماعات ثم لو اجتمعوا في صحراء مكشوفة
لتاذوا بالحر والبرد واللصوص فافتقروا الى ابنية محكمة ومنازل لينفرد اهل كل بيت به وبما معه من الالات والاثاث والمنازل
ترفع الحر والبرد وتدفع الجيران عن المخصوصية ولكن جميع المنازل قد يقصدها جماعة من اللصوص خارج المنازل فافتقر اهل المنازل
الى التناصر والتعاون والتحصن بسور يحيط بجميع المنازل فحدثت البلاد بهذه الضرورة ثم مهما اجتمع الناس في المنازل والبلاد
وتعاملوا تولد بينهم خصومات وتحدث رياسة وولاية للزوج على الزوجة وولاية للابوين على الولد لانه ضعيف يحتاج الى القوام
به ومهما حصلت الولاية على عاقل افضى الى الخصومة بخلاف الولاية على البهائم اذ ليس لها قوة المخاصمة وان ظلمت واما المراة
فتخاصم الزوج والولد يخاصم الابوين هذا في المنزل واما اهل البلد ايضا فيتعاملون في الحاجات ويتنازعون فيها ولو تركوا
كذلك لتقاتلوا وهلكوا وكذلك الرعاة وارباب الفلاحة يتواردون على المراعي والاراضي والمياه وهي لا
تفي باغراضهم فيتنازعون لا محالة ثم قد يعجز بعضهم عن الفلاحة والصناعة بعمى او مرض وهرم وتعرض عوارض مختلفة
ولو ترك ضائعا لهلك ولو وكل تفقده الى الجميع لتخاذلوا ولو خص واحد من غير سبب يخصه لكان لا يذعن له فحدث بالضرورة
من هذه العوارض الحاصلة بالاجتماع صناعات اخر فمنها صناعة المساحة التي يعرف بها مقادير الارض ليمكن القسمة بينهم
بالعدل ومنها صناعة الجندية لحراسة البلد بالسيف ودفع اللصوص عنهم ومنها الحكم والتوسط لفصل
الخصومة ومنها الحاجة الى الفقه وهو معرفة القانون الذي ينبغي ان ينضبط به الخلق ويلزموا الوقوف على حدوده
حتى لا يكثر النزاع وهو معرفة حدود الله في المعاملات وشروطها فهذه امور سياسية لا بد منها ولا يشتغل بها الا مخصوص
بصفات مخصوصة من التمييز والعلم والهداية واذا اشتغلوا بها لم يتفرغوا لصناعة اخرى ويحتاجون الى المعاش ويحتاج اهل
البلد اليهم ولو اشتغل اهل البلد بالحرب مع الاعداء مثلا تعطلت الصناعات ولو اشتغل اهل الحرب والسلاح بالصناعات
لطلب القوت تعطلت البلاد عن الحراس واستضر الناس فمست الحاجة الى ان تصرف الى معايشهم الاموال الضائعة التي لا
مالك لها ان كانت او تصرف اليهم الغنائم ان كانت الغزوات مع الكفار فان كانوا اهل ديانة وورع قنعوا بالقليل من اموال
المصالح وان ارادوا التوسع فتمس الحاجة لا محالة الى ان يمدهم اهل البلد باموالهم ليمدوهم بالحراسة فتحدث الحاجة الى الخراج ثم تولد
بسبب الحاجة الى الخراج والحاجة الى صناعات اخرى ويحتاج الى من يوظف الخراج بالعدل على الفلاحين وارباب الاموال وهم العمال
والى من يستوفي منهم بالرفق وهم الجباة والمستخرجون والى من يجمع عنده ليحفظ الى وقت التفرقة وهم الخزان والى من يفرق عليهم بالعدل
وهو العارض للعساكر وهذه الاعمال لو تولاها عدد لا يجمعهم رابط انخرم النظام فتحدث عند ذلك الحاجة الى ملك يدبرهم وامير
مطاع يعين لكل عمل شخصا ويختار لكل واحد ما يليق به ويرعى النصفة في اخذ الخراج واعطائه واستعمال الجند في
الحرب وتوزيع اسلحتهم وتعيين جهات الحرب ونصب الامير والقائد على كل طائفة منهم الى غير ذلك من صناعات الملك فتحدث بعد ذلك الجند
بعد الجند الذين هم اهل السلاح وبعد الملك الذي يراقبهم بالعين الكالئة ويدبرهم الكتاب والخزان والى من يفرق عليهم بالعدل وهو العارض
للعساكر وهذه الاعمال لو تولاها عدد لا الحزم والنظام فيحدث عند ذلك الحاجة عند ذلك الى ملك يدبرهم الحساب والجباة والعمال
ثم هؤلاء ايضا يحتاجون الى معيشة ولا يمكنهم الاشتغال بالحرف فتحدث الحاجة الى مال الفرع مع مال الاصل وهو المسمى فرع الخراج وعند هذا
يكون الناس في الصناعات ثلاث طوائف الفلاحون والرعاة والمحترفون والجندية الحماة لهم بالسيوف والثالث المترددون بين الطائفتين
في الاخذ والاعطاء وهم العمال والجباة وامثالهم فانظر كيف ابتدأ الامر من حاجة القوت والمسكن والملبس والى ماذا انتهى وهكذا امور
الدنيا لا ينفتح منها باب الا وينفتح بسببه عشرة ابواب وهكذا يتناهى الى غير حد محصور وكانها هاوية لا نهاية لعمقها من وقع
في مهواة منها سقط منها الى اخرى وهكذا على التوالي وهذه هي الحرف والصناعات الا انها لا تتم الا بالاموال والالات والمال عبارة عن
اعيان الارض وما عليها مما ينتفع بها واعلاها الاغذية ثم الامكنة التي ياوي الانسان اليها وهي الدور ثم الامكنة التي يسعى فيها للتعيش
كالحوانيت والاسواق والمزارع ثم الكسوة ثم اثاث البيت والاته ثم الات الالات وقد يكون في الالات ما هو حيوان كالكلب الة
الصياد والبقر الة الحراثة والفرس الة الحرب ثم يحدث من ذلك حاجة البيع فان الفلاح ربما يسكن قرية ليس فيها الة الفلاحة
والحداد والنجار يسكنان قرية لا يمكن فيها الزراعة فبالضرورة يحتاج الفلاح اليهما ويحتاجان الى الفلاح فيحتاج احدهما ان يبذل للاخر ما عنده
حتى ياخذ منه غرضه وذلك بطريق المعاوضة الا ان النجار اذا طلب من الفلاح الغذاء بالته ربما لا يحتاج في ذلك الوقت الى الته فلا يبيعه
والفلاح اذا طلب الالة من النجار بالطعام ربما كان عنده طعام في ذلك الوقت فلا يحتاج اليه فتتعوق الاغراض فاضطروا الى حانوت يجمع
اليه الة كل صناعة ليترصد بها صاحبها ارباب الحاجات والى ابيات يجمع اليها ما يحمله الفلاحون فيشتريه منهم صاحب الابيات ليترصد
بها ارباب الحاجات فتظهر لذلك الاسواق والمخازن فيحمل الفلاح الحبوب فاذا لم يصادف محتاجا باعها بثمن رخيص من الباعة فيخزنونها
انتظارا لارباب الحاجات طمعا في الربح وكذلك في جميع الامتعة والاموال ثم يحدث لا محالة بين البلاد والقرى تردد فيتردد الناس يشترون من القرى الحنطة

ومن البلاد الالات وينقلون ويتعيشون به وتنتظم امور البلاد بسببهم اذ كل بلد لا يوجد فيه كل الة وكل قرية لا يوجد فيها كل طعام والبعض
يحتاج الى البعض فيحوج الى النقل فيحدث التجار المتكفلون بالنقل وباعثهم عليه حرص جمع المال فيتعبون طول الليل والنهار في الاسفار
لغرض غيرهم ونصيبهم منها جمع المال الذي ياكله لا محالة غيرهم اما قاطع الطريق واما فاتح الطريق سلطان ظالم ولكن جعل الله تعالى في
غفلتهم وجهلهم نظاما للبلاد ومصلحة للعباد بل جميع امور الدنيا انتظمت بالغفلة وخسة الهمة ولو عقل الناس وارتفعت
هممهم لزهدوا في الدنيا ولو فعلوا ذلك لبطلت المعايش ولو بطلت لهلكوا ولهلك الزهاد ايضا ثم هذه الاموال التي تنقل لا يقدر الانسان
على حملها فيحتاج الى دواب تحملها وصاحب المال قد لا يملك الدابة فيحدث معاملة بينه وبين مالك الدابة تسمى الاجارة ويصير الكرا
نوعا من الاكتساب ايضا ثم يحدث بسبب البياعات الحاجة الى النقدين فان من يريد ان يشتري طعاما بثوب فمن اين يدري ان المقدار
الذي يساويه من الطعام كم هو والمعاملة تجري في اجناس مختلفة كما يباع ثوب بطعام وحيوان بثوب وهذه امور لا تتناسب فلا
بد من حاكم عدل يتوسط بين المتبايعين يعدل احدهما بالاخر فيطلب ذلك العدل من اعيان الاموال ثم يحتاج الى ما يطول بقاؤه
لان الحاجة اليه تدوم وابقى الاموال المعادن واتخذت النقود من الذهب والفضة والنحاس ثم مست الحاجة الى الضرب والنقش
والتقدير فحدثت الحاجة الى دار الضرب والى الصيارفة وهكذا تداعى الاشغال والاعمال بعضها الى بعض حتى انتهت الى ما تراه فهذه اشغال
الخلق وهي معايشهم وشيء من هذه الحرف لا يمكن مباشرته الا بنوع من تعلم وتعب في الابتداء وفي الناس من يغفل عن ذلك في الصبا فلا يشتغل
به او يمنعه مانع فيبقى عاجزا عن الاكتساب لعجزه عن الحرف فيحتاج الى ان ياكل مما يسعى فيه غيره فيحدث منه حرفتان خسيستان اللصوصية
والكدية اذ يجمعهما انهما ياكلان من سعي غيرهما ثم ان الناس يحترزون من اللصوص والمكديين ويحفظون عنهم اموالهم فافتقروا الى
صرف عقولهم الى استنباط الحيل والتدابير اما اللصوص فمنهم من يطلب اعوانا ويكون في يديه شوكة وقوة فيجتمعون ويتكاثرون
ويقطعون الطرق كالاعراب والاكراد واما الضعفاء منهم فيفزعون الى الحيل اما بالنقب والتسلق عند انتهاز فرصة الغفلة واما
بان يكون طرارا وسلالا الى غير ذلك من انواع التلصص الحادثة بحسب ما تنتجه الافكار المصروفة الى استنباطها واما المكدي فانه اذا طلب
ما سعى فيه غيره فقيل له اتعب واعمل كما عمل غيرك فما لك والبطالة فلا يعطى فافتقروا الى الحيلة في استخراج الاموال وتمهيد العذر لانفسهم
في البطالة فاحتالوا للتعلل بالعجز اما بالحقيقة كجماعة يعمون اولادهم وانفسهم بالحيلة ليعذروا بالعمى فيعطوا واما بالتعامي
والتفالج والتجانن والتمارض واظهار ذلك بانواع من الحيل مع بيان ان تلك محنة اصابتهم من غير استحقاق ليكون ذلك سببا للرحمة وجماعة
يلتمسون اقوالا وافعالا يتعجب الناس منها حتى تنبسط قلوبهم عند مشاهدتها فيسخوا برفع اليد عن قليل المال في حال التعجب ثم قد يندم بعد
التعجب ولا ينفعه الندم وذلك قد يكون بالتمسخر والمحاكاة والشعبذة والافعال المضحكة وقد يكون بالاشعار الغريبة او الكلام المنثور المسجع مع حسن
الصوت والشعر الموزون اشد تاثيرا في النفس لا سيما اذا كان فيه تعصب يتعلق بالمذاهب كاشعار مناقب الصحابة وفضائل اهل البيت
او الذي يحرك داعية العشق من اهل المجانة كصنعة الطبالين في الاسواق او تسليم ما يشبه العوض وليس بعوض كبيع التعويذات والحشيش
التي يخيل بائعها انها ادوية فيخدع بها الصبيان والجهال وكاصحاب القرعة والفال من المنجمين ويدخل في هذا الجنس الوعاظ المكدون على رؤوس المنابر اذا لم
يكن وراءهم طائل علمي وكان غرضهم استمالة قلوب العوام واخذ اموالهم وانواع الكدية تزيد على الفين والفين وكل ذلك استنبط
بدقيق الفكر لاجل المعيشة فهذه هي اشغال الخلق واعمالهم التي اكبوا عليها وجرهم الى ذلك كله الحاجة الى القوت والكسوة ولكن نسوا في اثناء ذلك
انفسهم ومقصودهم ومنقلبهم ومآبهم فضلوا وتاهوا وسبق الى عقولهم الضعيفة بعد ان كدرها زحمة اشغال الدنيا خيالات فاسدة
فانقسمت مذاهبهم واختلفت آراؤهم على عدة اوجه فطائفة غلبهم الجهل والغفلة فلم تنفتح اعينهم للنظر الى عاقبة امرهم
فقالوا المقصود ان نعيش اياما في الدنيا فنجتهد حتى نكسب القوت ثم ناكل حتى نقوى على الكسب ثم نكسب حتى ناكل فياكلون ليكسبوا
ويكسبون لياكلوا وهذا مذهب الفلاحين والمحترفين ومن ليس له تنعم في الدنيا ولا قدم في الدين فانه يتعب نهارا لياكل ليلا وياكل ليلا
ليتعب نهارا وذلك كسير السواني فهو سفر لا ينقطع الا بالموت وطائفة اخرى زعموا انهم تفطنوا للامر وهو انه ليس المقصود
ان يشقى الانسان بالعمل ولا يتنعم في الدنيا بل السعادة في ان يقضي وطره من شهوة الدنيا وهي شهوة البطن والفرج فهؤلاء نسوا انفسهم
وصرفوا هممهم الى اتباع النسوان وجمع لذائذ الاطعمة ياكلون كما تاكل الانعام ويظنون انهم اذا نالوا ذلك فقد ادركوا غاية السعادة فشغلهم
ذلك عن الله تعالى واليوم الاخر وطائفة ظنوا ان السعادة في كثرة المال والاستغناء بكثرة الكنوز فاسهروا ليلهم ونهارهم في الجمع فهم يتعبون
في الاسفار طول الليل والنهار ويترددون في الاعمال الشاقة ويكتسبون ويجمعون ولا ياكلون الا قدر الضرورة شحا وبخلا عليها ان تنقص وهذه
لذتهم وفي ذلك دابهم وحركتهم الى ان يدركهم الموت فيبقى تحت الارض او يظفر به من ياكله في الشهوات واللذات فيكون للجامع تعبه
ووباله وللاكل لذته ثم الذين يجمعون ينظرون الى امثال ذلك ولا يعتبرون وطائفة ظنوا ان السعادة في حسن الاسم وانطلاق الالسنة
بالثناء والمدح بالتجمل والمروءة فهؤلاء يتعبون في كسب المعاش ويضيقون على انفسهم في المطعم والمشرب ويصرفون جميع اموالهم الى الملابس
الحسنة والدواب النفيسة ويزخرفون ابواب الدور وما يقع عليها ابصار الناس حتى يقال انه غني وانه ذو ثروة ويظنون ان ذلك هو السعادة

فهمتهم ليلهم ونهارهم في تمهيد موقع نظر الناس وطايفة اخرى ظنوا ان السعادة في الجاه والكرامة بين الناس وانقياد الخلق بالتواضع والتوقير فصرفوا همهم الى استجرار الناس الى الطاعة بطلب الولايات وتقلد اعمال السلطانية لينفذوا امرهم بها على طايفة من الناس ويرون انهم اذا اتسعت ولايتهم وانقادت لهم رعاياهم فقد سعدوا سعادة عظيمة وان ذلك غاية المطلب وهذا اغلب الشهوات على قلوب الغافلين من الناس فهولاء شغلهم حب تواضع الناس لهم عن التواضع لله وعن عبادته وعن التفكر في اخرتهم ومعادهم ووراء ذلك وهذه طوايف يطول ذكرها تزيد على نيف وسبعين فرقة كلهم ضلوا واضلوا عن سواء السبيل وانما جرهم الى كل ذلك حاجة المطعم والملبس والمسكن ونسوا ما يراد له هذه الامور الثلث والقدر الذي يكفي منها وانجرت بهم اوايل اسبابها الى اواخرها وتداعى بهم ذلك الى مهاوي لم يمكنهم الرقي منها فمن عرف وجه الحاجة الى هذه الاسباب والاشغال وعرف غاية المقصود منها فلا يخوض في شغل وحرفة وعمل الا وهو عالم بمقصوده وعالم بحظه ونصيبه منه وان غاية مقصوده تعهد بدنه بالقوت والكسوة حتى لا يهلك وذلك ان سلك فيه سبيل التقليل وان انعدمت الاشغال وفرغ القلب وغلب ذكر الاخرة وانصرفت الهمة الى الاستعداد له وان تعدى به قدر الضرورة كثرت الاشغال وتداعى البعض الى البعض وتسلسل الى غير نهاية فتتشعب به الهموم ومن تشعبت به الهموم في اودية الدنيا فلا يبالي الله في اي واد اهلكه فهذا شان المنهمكين في اشغال الدنيا وتنبه لذلك طايفة فاعرضوا عن الدنيا فحسدهم الشيطان ولم يتركهم واضلهم في الاعراض ايضا حتى انقسموا الى طوايف فظنت طايفة ان الدنيا دار بلاء ومحنة وان الاخرة دار سعادة لكل من وصل اليها سواء تعبد في الدنيا او لم يتعبد فراوا ان الصواب ان يقتلوا انفسهم للخلاص من محنة الدنيا واليه ذهب طوايف من الهند يتهجمون على النار ويقتلون انفسهم بالاحراق ويظنون ان ذلك خلاص لهم من محن الدنيا وظنت طايفة ان القتل لا يخلصه بل لا بد اولا من اماتة الصفات البشرية وقطعها عن النفس بالكلية وان السعادة في قطع الشهوة والغضب وغيرهما من الصفات البشرية ثم اقبلوا على المجاهدة وشددوا على انفسهم حتى هلك اكثرهم بشدة الرياضة وبعضهم فسد عقله وجن وبعضهم مرض وانسد عليهم طريق العبادة وبعضهم عجز عن قمع الصفات بالكلية فظن ان ما كلفه الشرع محال وان الشرع تلبيس لا اصل له فوقع في الالحاد وظهر لبعضهم ان هذا التعب كله لله تعالى وان الله مستغن عن عبادة العباد لا ينقصه عصيان عاص ولا تزيده عبادة عابد فعادوا الى الشهوات وسلكوا مسلك الاباحة وطووا بساط الشرع والاحكام وزعموا ان ذلك من صفاء توحيدهم حيث اعتقدوا ان الله تعالى غني عن عبادة العباد وظنت طايفة اخرى ان المقصود من العبادات المجاهدة حتى يصل العبد بها الى معرفة الله تعالى فاذا حصلت المعرفة فقد وصل وبعد الوصول يستغني عن الوسيلة والحيلة فتركوا السعي والعبادة وزعموا انه ارتفع محلهم في معرفة الله تعالى عن ان يمتهنوا بالتكاليف وانما التكاليف على عوام الخلق ووراء هذا مذاهب باطلة وضلالات هايلة يطول احصاوها الى ان يبلغ نيفا وسبعين فرقة وانما الناجي منها فرقة واحدة وهي السالكة ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وهو ان لا يترك الدنيا بالكلية ولا يقمع الشهوات بالكلية اما الدنيا فياخذ منها قدر الزاد واما الشهوات فيقمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل فلا يتبع كل شهوة ولا يترك كل شهوة بل يتبع العدل ولا يترك كل شي من الدنيا ولا يطلب كل شي منها بل يعلم مقصود كل شي من الدنيا ويحفظه على حد مقصوده فياخذ من القوت ما يقوى به البدن على العبادة ومن المسكن ما يحفظه عن اللصوص والحر والبرد ومن الكسوة كذلك حتى اذا فرغ القلب عن شغل البدن اقبل على الله بكنه همته واشتغل بالذكر والفكر طول العمر وبقي ملازما لسياسة الشهوات ومراقبا لها حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى ولا يعلم تفصيل ذلك الا بالاقتداء بالفرقة الناجية والفرقة الناجية هم الصحابة فانه صلى الله عليه وسلم لما قال الناجي منها واحدة قالوا يا رسول الله ومن هم قال اهل السنة والجماعة فقيل ومن اهل السنة والجماعة قال ما انا عليه واصحابي فقد كانوا على المنهج القصد وعلى السبيل الذي فصلناه من قبل فانهم ما كانوا ياخذون الدنيا للدنيا بل للدين وما كانوا يترهبون ويهجرون الدنيا بالكلية وما كان لهم في الامور تفريط وافراط بل كان بين ذلك قواما وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين وهو احب الامور الى الله تعالى كما سبق ذكره في مواضع والله اعلم تم كتاب ذم الدنيا بحمد الله تعالى وتوفيقه يتلوه كتاب ذم البخل وحب المال

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله مستوجب الحمد برزقه المبسوط وكاشف الضر بعد القنوط الذي خلق الخلق ووسع الرزق وافاض على العالمين اصناف الاموال وابتلاهم فيها بتقلب الاحوال وردده فيها بين العسر واليسر والغنى والفقر والطمع والياس والثروة والافلاس والعجز والاستطاعة والحرص والقناعة والبخل والجود والفرح بالموجود والاسف على المفقود والايثار والانفاق والتوسع والاملاق والتبذير والتقتير والرضا بالقليل واستحقار الكثير كل ذلك ليبلوهم ايهم احسن عملا وينظر ايهم اثر الدنيا على الاخرة بدلا وابتغى عن الاخرة عدولا وحولا واتخذ الدنيا ذخيرة وخولا والصلاة على محمد الذي نسخ بملته مللا وطوى بشرعه اديانا ونحلا وعلى اله واصحابه الذين سلكوا سبيل ربهم ذللا وسلم كثيرا اما بعد فان فتن الدنيا كثيرة الشعب والاطراف واسعة الارجاء والاكناف ولكن الاموال اعظم فتنها واطم محنها واعظم فتنة فيها انه لا غنى لاحد عنها ثم اذا وجدت فلا سلامة منها وان فقدت حصل منه الفقر الذي يكاد ان يكون كفرا وان وجدت

حصل منه الطغيان الذي لا تكون عاقبته امره الا خسرا وبالجملة فهي لا تخلو من الفوايد والافات وفوايدها من المنجيات وافاتها من المهلكات وتمييز خيرها عن شرها من المعوصات التي لا يقوى عليها الا ذووا البصاير في الدين من العلماء الراسخين دون المترسمين المغترين وشرح ذلك مهم على الانفراد فان ما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا لم يكن نظرا في المال خاصة بل في الدنيا عامة والدنيا تتناول كل حظ عاجل والمال بعض اجزاء الدنيا والجاه بعضها واتباع شهوة البطن والفرج بعضها وتشفي الغيظ بحكم الغضب والحسد بعضها والكبر وطلب العلو بعضها ولها ابعاض كثيرة ويجمعها كل ما للانسان فيه حظ عاجل ونظرنا الان في هذا الكتاب في المال وحده اذ فيه افات وغوايل وللانسان من فقده صفة الفقر ومن وجوده صفة الغنا وهما حالتان يحصل بهما الاختبار والامتحان ثم للفاقد حالتان القناعة والحرص واحداهما مذمومة والاخرى محمودة وللحريص حالتان طمع فيما في ايدي الناس او تشمر للحرف والصناعات مع الياس عن الخلق والطمع شر الحالتين وللواجد حالتان امساك بحكم البخل والشح وانفاق واحداهما مذمومة والاخرى محمودة وللمنفق حالتان تبذير واقتصاد والمحمود هو الاقتصاد وهذه امور متشابهة وكشف الغطاء عن الغموض فيها مهم فنشرحه في فصول وهي اربعة عشر بيان ذم المال ثم مدحه ثم تفصيل فوايد المال وافاته ثم ذم الحرص والطمع ثم علاج الحرص والطمع ثم فضيلة السخا ثم حكايات الاسخيا ثم ذم البخل ثم حكايات البخلا ثم الايثار وفضله ثم حد السخا والبخل ثم علاج البخل ثم مجموع الوظايف في المال ثم ذم الغنا ومدح الفقر

قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون وقال الله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة والله عنده اجر عظيم وقال الله تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون وقال تعالى الهاكم التكاثر وقال النبي صلى الله عليه وسلم حب المال والشرف ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وسلم ما ذيبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا فيها من حب المال والجاه في دين الرجل المسلم وقال صلى الله عليه وسلم هلك الاكثرون الا من قال به في عباد الله هكذا وهكذا وقليل ما هم وقيل يا رسول الله اي امتك شر قال الاغنيا وقال صلى الله عليه وسلم سياتي بعدكم قوم ياكلون اطايب الدنيا والوانها ويركبون فره الخيل والوانها وينكحون اجمل النسا والوانها ويلبسون اجمل الثياب والوانها لهم بطون من القليل لا تشبع وانفس بالكثير لا تقنع عاكفين على الدنيا يغدون ويروحون اليها اتخذوها الهة من دون الههم وربا من دون ربهم الى امرهم ينتهون وهواهم يتبعون فعزيمة من محمد ابن عبد الله لمن ادركه ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم ان لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنايزهم ولا يوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد اعان على هدم الاسلام وقال النبي صلى الله عليه وسلم دعوا الدنيا لاهلها من اخذ من الدنيا فوق ما يكفيه اخذ حتفه وهو لا يشعر وقال صلى الله عليه وسلم يقول ابن ادم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت وقال رجل يا رسول الله ما لي لا احب الموت قال هل معك من مال قال نعم يا رسول الله قال قدم مالك فان قلب المرء مع ماله ان قدمه احب ان يلحقه وان خلفه احب ان يتخلف معه وقال النبي عليه السلام اخلاء ابن ادم ثلثة واحد يتبعه الى قبض روحه والثاني الى قبره والثالث الى محشره فالذي يتبعه الى قبض روحه فماله والذي يتبعه الى قبره فاهله والذي يتبعه الى محشره فعمله وقال الحواريون لعيسى عليه السلام ما لك تمشي على الماء ولا نقدر على ذلك فقال لهم ما منزلة الدينار والدرهم عندكم قالوا حسن قال لكنهما عندي والمدر سواء وكتب سلمان الفارسي رضي الله عنه الى ابي الدرداء رضي الله عنه يا اخي اياك ان تجمع من الدنيا ما لا تودي شكره فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بصاحب الدنيا الذي اطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفا به الصراط قال له ماله امض فقد اديت حق الله تعالى في ثم يجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلما تكفا به الصراط قال له ماله ويلك الا اديت حق الله تعالى في فما يزال كذلك حتى يدعو بالثبور والويل وكل ما اوردناه في كتاب الزهد والفقر في ذم الغنا ومدح الفقر يرجع جميعه الى ذم المال فلا نطول بذكره وتكريره وكذلك كل ما ذكرنا في ذم الدنيا فيتناول ذم المال بحكم العموم لان المال اعظم اركان الدنيا وانما نذكر الان ما ورد في المال خاصة

وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم وقال الناس ما خلف وقال النبي صلى الله عليه وسلم
لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا روي ان رجلاً نال من ابي الدرداء واراه سوءاً فقال اللهم من فعل
بي سوءاً فاصح جسمه واطل عمره واكثر ماله فانظر كيف راى كثرة المال غاية البلاء مع صحة الجسم وطول
العمر لانه لا بد وان يفضي الى الطغيان ووضع علي بن ابي طالب رضي الله عنه درهماً على كفه ثم
قال اما انك ما لم تخرج عني لا تنفعني وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ارسل الى زينب
بنت جحش بعطائها فقالت ما هذا قالوا ارسل اليك عمر بن الخطاب قالت غفر الله له ثم
حلت ستراً كان لها فقطعته صرراً وقسمته في اهل رحمها وايتامها ثم رفعت يديها وقالت
اللهم لا يدركني عطاء عمر بن الخطاب بعد عامي هذا فكانت اول نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم
لحوقاً به وقال الحسن والله ما اعز الدرهم احد الا اذله الله تعالى وقيل ان اول ما ضرب الدينار والدرهم
رفعهما ابليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال من احبكما فهو عبدي حقاً وقال سميط بن عجلان
ان الدينار والدرهم ازمة المنافقين يقادون بها الى النار وقال يحيى بن معاذ الرازي الدرهم
عقرب فان لم تحسن رقيته فلا تاخذه فانه ان لدغك قتلك سمه قيل ما رقيته قال اخذه
من حله ووضعه في حقه وقال العلاء بن زياد رحمه الله تمثلت لي الدنيا وعليها من كل زينة
فقلت اعوذ بالله من شرك قالت فابغض الدينار والدرهم وذلك لان الدينار والدرهم هي
الدنيا كلها اذ يتوصل بهما الى جميع اصنافها فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا ولذلك قيل

اني وجدت فلا تظنوا غيره هذا التورع عند هذا الدرهم فاذا قدرت عليه ثم تركته فاعلم بان تقاك تقوى المسلم
لا يغرنك من المرء قميص رقعه او ازار فوق كعب الساق منه رفعه وله الدرهم فانظر ورعه

وروي عن مسلمة بن عبد الملك انه دخل على عمر بن عبد العزيز عند موته فقال يا امير المؤمنين صنعت
صنيعاً لم يصنعه احد قبلك تركت ولدك ليس لهم دينار ولا درهم وكان عنده ثلاثة عشر من الولد
فقال عمر بن عبد العزيز اقعدوني فاقعدوه فقال اما قولك لم ادع لهم ديناراً ولا درهماً فاني
لم امنعهم حقاً هو لهم ولم اعطهم حقاً لغيرهم وانما ولدي احد رجلين اما مطيع لله فالله كافيه
وهو يتولى الصالحين واما عاص لله فلا ابالي على ما وقع وروي ان محمد بن كعب القرظي اصاب
مالاً كثيراً فقيل له لو ادخرته لولدك من بعدك قال لا ولكني ادخره لنفسي عند ربي وادخر ربي
لولدي ويروى ان رجلاً قال لابي عبد ربه يا اخي لا تذهب بشر وتترك اولادك بخير فاخرج
ابو عبد ربه من ماله مائة الف درهم وقال يحيى بن معاذ الرازي مصيبتان لم يسمع الاولون والآخرون
مثلهما للعبد في ماله عند موته قيل وما هما قال يؤخذ منه كله ويسأل عنه كله

اعلم ان الله تعالى قد سمى المال خيراً فقال عز من قائل ان ترك خيراً الوصية للوالدين الآية وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وكل ما جاء في ثواب الصدقة
والحج فهو ثناء على المال اذ لا يمكن الوصول اليه الا به وقال تعالى ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك
الآية وقال تعالى ممتناً على عباده ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهاراً وقال
النبي صلى الله عليه وسلم كاد الفقر ان يكون كفراً وهو ثناء على المال ولا تقف على وجه الجمع بين
المدح والذم الا بان تعرف حكمة المال ومقصوده وآفاته وغوائله حتى ينكشف لك انه خير من وجه
وشر من وجه وانه محمود من حيث هو خير ومذموم من حيث هو شر فانه ليس بخير محض ولا هو
شر محض بل هو سبب للامرين جميعاً وما هذا وصفه فيمدح لا محالة مرة ويذم اخرى
ولكن البصير المميز يدرك ان المحمود منه غير المذموم وبيانه بالاستمداد مما ذكرناه في كتاب
الشكر من بيان الخيرات وتفصيل درجات النعم والقدر المقنع فيه هو ان مقصد الاكياس
وارباب البصائر سعادة الآخرة التي هي النعيم الدائم والملك المقيم والقصد الى هذا دأب
الكرام والاكياس اذ قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من اكرم الناس واكيسهم فقال اكثرهم
للموت ذكراً واشدهم له استعداداً وهذه السعادة لا تنال الا بثلاث وسائل في الدنيا وهي
الفضائل النفسية كالعلم وحسن الخلق والفضائل البدنية كالصحة والسلامة والفضائل الخارجة

جملة الخارجات وادناها الدراهم والدنانير فانهما خادمان ولا خادم لهما ويرادان لغيرهما ولا
يرادان لذاتهما اذ النفس هي الجوهر الشريف المطلوب سعادتها وانها تخدم العلم والمعرفة ومكارم
الاخلاق لتحصلها صفة في ذاتها والبدن يخدم النفس بواسطة الحواس والاعضاء والمطاعم والملابس تخدم البدن وقد سبق ان
المقصود من المطاعم ابقاء البدن ومن المناكح ابقاء النسل ومن البدن تكميل النفس وتزكيتها بالعلم والخلق ومن عرف هذا الترتيب فقد
عرف قدر المال ووجه شرفه وانه من حيث هو ضرورة المطاعم والملابس التي هي ضرورة بقاء البدن الذي هو ضرورة كمال النفس الذي هو خير
ومن عرف فائدة الشيء وغايته ومقصده واستعمله لتلك الغاية ملتفتاً اليها غير ناس لها فقد احسن وانتفع وكان ما حصل
له من الغرض محموداً في حقه **فاذاً** المال آلة ووسيلة الى مقصود صحيح ويصلح ان يتخذ آلة ووسيلة الى مقاصد فاسدة وهي
المقاصد الصارفة عن سعادة الآخرة وتسد سبيل العلم والعمل فهو اذاً محمود ومذموم محمود بالاضافة الى المقصود المحمود ومذموم
بالاضافة الى المقصود المذموم فمن اخذ من الدنيا اكثر مما يكفيه فقد اخذ حتفه وهو لا يشعر كما ورد في الخبر ولما كانت الطباع مائلة الى
اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله وكان المال مسهلاً لها وآلة اليها عظم الخطر فيما يزيد على الكفاية فاستعاذ الانبياء من شره
حتى **قال** نبينا صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافاً فلم يطلب من الدنيا الا ما تمحض خيره **وقال** اللهم احيني مسكيناً وامتني
مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين واستعاذ ابراهيم الخليل عليه السلام فقال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وعنى بها هذين الحجرين
الذهب والفضة اذ رتبة النبوة اجل من ان يخشى عليها ان تعتقد الالهية في شيء من هذه الحجارة وانما معنى عبادتهما حبهما والاغترار
بهما والركون اليهما **وقال** نبينا عليه السلام تعس عبد الدينار تعس ولا انتعش واذا شيك فلا انتقش فبين ان محبهما عابد لهما ومن عبد
حجراً فهو عابد صنم بل كل من كان عبداً لغير الله فهو عابد صنم وهو شرك الا ان الشرك شركان شرك خفي لا يوجب الخلود
في النار وقلما ينفك عنه المؤمنون فانه اخفى من دبيب النمل وشرك جلي يوجب الخلود في النار

بيان تفصيل آفات المال وفوائده

اعلم ان المال مثل حية فيها سم وترياق ففوائده ترياقه وغوائله سمومه فمن عرف غوائله وفوائده امكنه ان يحترز من شره ويستدر
من خيره اما الفوائد فهي تنقسم الى دنيوية ودينية اما الدنيوية فلا حاجة الى ذكرها فان معرفتها مشتركة بين اصناف الخلق
ولولا ذلك لم يتهالكوا على طلبها واما الدينية فتنحصر جميعها في ثلاثة انواع **النوع الاول** ان ينفقه على نفسه اما في عبادة واما
في الاستعانة على العبادة اما في العبادة فهو كالاستعانة على الحج والجهاد فانهما لا يتوصل اليهما الا بالمال وهما من امهات القربات والفقير
محروم عن فضلهما واما فيما يقوي على العبادة فذلك هو المطعم والملبس والمسكن والمنكح وضرورات المعيشة فان هذه الحاجات اذا لم
تتيسر كان القلب منصرفاً الى تدبيرها فلا يتفرغ الى الدين وما لا يتوصل الى العبادة الا به فهو عبادة فاخذ الكفاية من الدنيا لاجل
الاستعانة على الدين من الفوائد الدينية ولا يدخل في هذا التنعم والزيادة على الحاجة فان ذلك من حظوظ الدنيا فقط **النوع الثاني**
ما يصرفه الى الناس وهو اربعة اقسام الصدقة والمروءة ووقاية العرض واجرة الاستخدام اما الصدقة فلا يخفى ثوابها وانها لتطفئ
غضب الرب وقد ذكرنا فضائلها واما المروءة فنعني بها صرف المال الى الاغنياء والاشراف في ضيافة وهدية واعانة وما يجري
مجراه فان هذا لا يسمى صدقة بل الصدقة ما يسلم الى المحتاج الا ان هذا من الفوائد الدينية اذ به يكتسب العبد الاخوان والاصدقاء وبه يكتسب صفة السخاء
ويلتحق بزمرة الاسخياء فلا يوصف بالجود الا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل الفتوة والمروءة وهذا ايضاً مما يعظم الثواب فيه فقد وردت
اخبار كثيرة في الهدايا والضيافات واطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها واما وقاية العرض فنعني به بذل
المال لدفع هجو الشعراء وثلب السفهاء وقطع السنتهم ودفع شرهم وهو ايضاً مع تنجز فائدته في العاجلة من الحظوظ الدينية **قال** رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما وقى به المرء عرضه فهو له صدقة وكيف لا وفيه منع المغتاب عن الغيبة واحتراز عما يثور من كلامه من العداوة التي تحمل في المكافاة
والانتقام على مجاوزة حدود الشريعة **واما** الاستخدام فهو ان الاعمال التي يحتاج اليها الانسان لتهيئة اسبابه كثيرة ولو تولاها
بنفسه ضاعت اوقاته وتعذر عليه سلوك سبيل الآخرة بالفكر والذكر الذي هو اعلى مقامات السالكين ومن لا مال له فيفتقر الى
ان يتولى بنفسه خدمة نفسه من شراء الطعام وطبخه وكنس البيت حتى نسخ الكتاب الذي يحتاج اليه وكل ما يتصور ان يقوم به غيرك ويحصل به غرضك
فانت مغبون اذا اشتغلت به اذ عليك من العلم والعمل والفكر والذكر ما لا يتصور ان يقوم به غيرك فتضييع الوقت في غيره خسران
النوع الثالث ما لا يصرفه الى انسان معين ولكن يحصل به خير عام كبناء المساجد والقناطر والرباطات ودور المرضى ونصب

اوقات متمادية وناهيك خيرا فهذه جملة فوايد القناعة الدينية سوى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال
وحقارة الفقر والوصول الى العز والمجد بين الخلق وكثرة الاخوان والاعوان والاصدقاء والوقار والكرامة في القلوب وكل ذلك مما تقتضيه
الملازمة للحظوظ الدنيوية واما الافات فدينية ودنيوية اما الدينية فثلث الاولى انه يجر الى المعاصي فان الشهوات متقاضية
والعجز قد يحول بين المرء وبين المعصية ومن العصمة ان لا تقدر ومهما كان الانسان ايسا عن نوع من المعصية لم تتحرك داعيته فاذا استشعر
القدرة عليها انبعثت داعيته وتحركت داعية المعاصي بارتكاب الفجور فان اقتحم ما اشتهاه هلك وان صبر وقع في شدة اذ الصبر مع القدرة
اشد وفتنة السراء اعظم من فتنة الضراء الثانية انه يجر الى التنعم في المباحات وهذا اقل الدرجات فمتى يقدر صاحب المال على ان
يتناول خبز الشعير ويلبس الثوب الخشن ويترك لذائذ الاطعمة كما كان يقدر عليه سليمان ع م في ملكه فاحسن احواله ان يتنعم بالدنيا ويمرن عليها
نفسه فيصير التنعم مالوفا عنده ومحبوبا لا يصبر عنه ويجره البعض منه الى البعض واذا اشتد انسه به ربما لا يقدر على التوصل اليه
بالكسب الحلال فيقتحم الشبهات ويخوض في المرايات والمداهنة والكذب والنفاق وساير الاخلاق الردية لينتظم له امر دنياه ويتيسر
له تنعمه فان من كثر ماله كثرت حاجته الى الناس ومن احتاج الى الناس فلا بد ان ينافقهم ويعصي الله تعالى في طلب مرضاتهم فان سلم الانسان من الافة
الاولى وهي مباشرة المحظورات فلا يسلم عن هذه اصلا ومن الحاجة الى الخلق تتولد العداوة والصداقة ويتبع ذلك الحسد
والحقد والرياء والكبر والغيبة والنميمة وساير المعاصي التي تختص بالقلب واللسان ولا تخلو عن التعدي ايضا الى ساير
الجوارح وكل ذلك يلزم من شوم المال والحاجة الى حفظه واصلاحه الثالثة وهي التي لا ينفك عنها احد وهو انه
يلهيه اصلاح ماله عن ذكر الله تعالى وكل ما شغل العبد عن الله تعالى فهو خسران ولذلك قال عيسى عليه السلم في المال
ثلث آفات ان ياخذه من غير حله فقيل ان اخذه من حله فقال يضعه في غير حقه فقيل ان وضعه في حقه قال
يشغله اصلاحه عن الله تعالى وهذا هو الداء العضال فان اصل العبادات ومخها وسرها ذكر الله تعالى والفكر في
جلاله وذلك يستدعي قلبا فارغا وصاحب الضيعة يمسي ويصبح متفكرا في خصومة الفلاح ومحاسبته وخصومة الشركا
ومنازعتهم في الماء والحدود وخصومة اعوان السلطان في الخراج وخصومة الاجراء في التقصير في العمارة وخصومة
الفلاحين في خياناتهم وسرقتهم وصاحب التجارة يكون متفكرا في خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره في العمل
وتضييعه المال وكذلك صاحب المواشي وهكذا ساير اصناف الاموال وابعدها عن كثرة الشغل النقد المكنوز
تحت الارض ولا يزال الفكر مترددا فيما يصرف اليه وفي كيفية حفظه وفي الخوف مما يعثر عليه وفي قطع اطماع
الناس عنه واودية افكار اهل الدنيا لا نهاية لها والذي معه قوت يومه في سلامة من جميع ذلك فهذه جملة
الافات الدنيوية سوى ما يقاسيه ارباب الاموال في الدنيا من الخوف والحزن والغم والهم والتعب في دفع
الحساد وتجشم المصاعب في حفظ الاموال فاذا ترياق المال اخذ القوت منه وصرف الباقي الى الخيرات وما عداه سموم
اعلم ان الفقر محمود كما اوردناه في كتاب الفقر ولكن ينبغي ان يكون الفقير قانعا
ولكن ينبغي ان يكون الفقير قانعا منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت الى ما في ايديهم ولا حريصا على اكتساب المال كيف
كان ولا يمكنه ذلك الا بان يقنع بقدر الضرورة من المطعم والملبس ويقتصر على اقله قدرا واخسه نوعا ويرد امله
الى يومه او الى شهره ولا يشغل قلبه بما بعد شهر فان تشوق الى الكثرة وطول الامل فاته عز القناعة وتدنس لا محالة
بالطمع وذل الحرص وجره الحرص والطمع الى مساوي الاخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروات وقد جبل
الادمي على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان لابن ادم واديان من ذهب
لابتغى لهما ثالثا ولا يملا جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب وعن ابي واقد الليثي قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اوحي اليه اتيناه فعلمنا مما اوحي اليه فجيته ذات يوم فقال ان الله عز وجل
يقول انا انزلنا المال لاقام الصلوة وايتاء الزكوة ولو ان لابن ادم واديا لاحب ان يكون اليه الثاني ولو كان له
الثاني لاحب ان يكون اليهما الثالث ولا يملا جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال ابو موسى
الاشعري رضي الله عنه نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم

ولو ان لابن ادم واديين من مال لتمنى واديا ثالثا ولا يملا جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال النبي ص
يهرم ابن ادم ويشب فيه اثنتان الامل وحب المال او كما قال ولما كانت هذه جبلة للادمي مضلة وغريزة
مهلكة اثنى الله تعالى ورسوله على القناعة فقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدي الى الاسلام وكان عيشه كفافا
وقنع به وقال صلى الله عليه وسلم ما من احد غني ولا فقير الا ود يوم القيامة انه كان اوتي قوتا في الدنيا وقال
صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شدة الحرص والمبالغة
في الطلب فقال الا ايها الناس اجملوا في الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى
ياتيه ما كتب له في الدنيا وهي راغمة وروي ان موسى عليه السلام سال ربه تعالى فقال اي عبادك اغنى
فقال اقنعهم بما اعطيته قال فايهم اعدل قال من انصف من نفسه وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
قال رسول الله ص م ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا
في الطلب وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة اذا اشتد
بك الجوع فعليك برغيف وكوز من ماء وعلى الدنيا الدمار وقال ابو هريرة رضي الله تعالى عنه
كن ورعا تكن اعبد الناس وكن قنعا تكن اشكر الناس واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا
ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطمع فيما رواه ابو ايوب الانصاري رضي الله عنه ان اعرابيا اتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله عظني واوجز فقال اذا صليت فصل صلاة مودع ولا
تحدثن بحديث تعتذر منه غدا واجمع الياس مما في ايدي الناس وقال عوف بن مالك الاشجعي
كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة او ثمانية او سبعة فقال الا تبايعون رسول الله فبسطنا
ايدينا فبايعناه فقال قائل يا رسول الله قد بايعناك فعلى ما ذا نبايعك قال ان تعبدوا الله وحده ولا تشركوا
به شيا والصلوات الخمس وتسمعوا وتطيعوا واسر كلمة خفية ولا تسالوا الناس شيا قال فلقد
كان بعض اولئك النفر يسقط سوطه فما يسال احدا ان يناوله اياه قال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ان الطمع فقر وان الياس غنى فانه من يئس مما عند الناس استغنى وقيل لبعض الحكما
ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك

العيش ساعات تمر وخطوب ايام تكر
اقنع بعيشك ترضه واترك هواك وانت حر
فلرب حتف ساقه ذهب وياقوت ودر

وكان محمد بن واسع يبل الخبز اليابس بالماء وياكله ويقول
من قنع بهذا لم يحتج الى احد وقال سفيان خير دنياكم ما لم تبتلوا بها وخير ما ابتليتم به ما خرج
عن ايديكم وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ما من يوم الا وملك ينادي يا ابن ادم قليل
يكفيك خير من كثير يطغيك وقال سميط بن عجلان انما بطنك يا ابن ادم شبر في شبر
فلم يدخلك النار وقيل لحكيم ما مالك قال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما
في ايدي الناس ويروى ان الله تعالى قال يا ابن ادم لو كانت لك الدنيا كلها لم يكن لك منها الا القوت
فاذا انا اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا اليك محسن وقال عبد الله بن
مسعود رضي الله عنه اذا طلب احدكم الحاجة فليطلبها طلبا يسيرا ولا ياتي الرجل فيقول انك انك
فيقطع ظهره فانما ياتيه ما قسم له او ما رزق وكتب بعض بني امية الى ابي حازم يعزم
عليه الا رفع اليه حوائجه فكتب اليه قد رفعت حوائجي الى مولاي فما اعطاني منها قبلت وما امسك
عني قنعت وقيل لبعض الحكماء اي شيء اسر للعاقل وايما عون على دفع الحزن قال اسرها
اليه ما قدم من صالح الاعمال واعونها له على دفع الحزن الرضا بمحتوم القدر وقال بعض الحكما
وجدت اطول الناس غما الحسود واهناهم عيشا القنوع واصبرهم على الاذى الحريص اذا طمع واخفضهم
عيشا ارفضهم للدنيا واعظمهم ندامة العالم المفرط

ارفه سيرتي يمسي على ثقة ان الذي قسم الارزاق يرزقه
فالعرض منه مصون لا يدنسه والوجه منه جديد ليس يخلقه

ان القناعة من يحلل بساحتها لم يلق في دهره شيئا يؤرقه

وقيل: حتى متى أنا في حل وترحال * وطول سعي وإدبار وإقبال * ونازح الدار لا أنفك مغتربا * عن الأحبة لا يدرون ما حالي
بمشرق الأرض طورا ثم مغربها * لا يخطر الموت من حرصي على بالي * ولو قنعت أتاني الرزق في دعة * إن القنوع الغنى لا كثرة المال
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ألا أخبركم بما أستحل من مال الله عز وجل، حلتان لشتائي وقيظي وما يسعني من الظهر لحجي وعمرتي وقوتي بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بأرفعهم ولا بأوضعهم، فوالله ما أدري أيحل ذلك أم لا. كأنه شك في أن هذا القدر هل هو زيادة على الكفاية التي تجب القناعة بها. وعاتب أعرابي أخاه على الحرص فقال: يا أخي أنت طالب ومطلوب، يطلبك من لا تفوته، وتطلب ما قد كفيته، وكأن ما غاب عنك قد كشف لك، وما أنت فيه قد نقلت عنه، كأنك يا أخي لم تر حريصا محروما وزاهدا مرزوقا.

وقيل: أراك يزيدك الإثراء حرصا * على الدنيا كأنك لا تموت * فهل لك غاية إن صرت يوما * إليها قلت حسبي قد رضيت

وقال الشعبي رحمه الله: إن رجلا صاد قنبرة فقالت: ما تريد أن تصنع بي؟ قال: أذبحك وآكلك. قالت: والله ما أشفي من قرم ولا أشبع من جوع، ولكن أعلمك ثلاث خصال هي خير لك من أكلي، أما الواحدة فأعلمك وأنا في يدك، وأما الثانية إذا صرت على الشجرة، وأما الثالثة إذا صرت على الجبل. قال: هات الأولى. قالت: لا تلهفن على ما فاتك. فخلاها، فلما صارت على الشجرة قال: هات الثانية. قالت: لا تصدقن بما لا يكون أنه يكون. ثم طارت على الجبل فقالت: يا شقي لو ذبحتني لأخرجت من حوصلتي درتين كل واحدة عشرون مثقالا. قال: فعض على شفتيه وتلهف وقال: هات الثالثة. قالت: أنت قد نسيت الثنتين فكيف أخبرك بالثالثة؟ ألم أقل لك لا تلهفن على ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون أنه يكون؟ أنا ولحمي ودمي وريشي لا يكون عشرين مثقالا فكيف يكون في حوصلتي درتان كل واحدة عشرون مثقالا؟ ثم طارت فذهبت. وهذا مثال لفرط طمع الآدمي فإنه يعميه عن درك الحق حتى يقدر ما لا يكون أنه يكون. وقال محمد بن السماك: إن الرجاء حبل في قلبك وقيد في رجلك، فأخرج الرجاء من قلبك يخرج القيد من رجلك. وقال أبو محمد اليزيدي: دخلت على هارون الرشيد رحمه الله فوجدته ينظر في ورقة مكتوب فيها بالذهب، فلما رآني تبسم فقلت: فائدة أصلحك الله يا أمير المؤمنين؟ فقال: نعم، وجدت هذين البيتين في بعض خزائن بني أمية فاستحسنتهما وأضفت إليهما ثالثا. وأنشدني:

إذا سد باب عنك من دون حاجة * فدعه لأخرى ينفتح لك بابها
فإن قراب البطن يكفيك ملؤه * ويكفيك سوءات الأمور اجتنابها
ولا تك مبذالا لعرضك واجتنب * ركوب المعاصي يجتنبك عقابها

وقال عبد الله بن سلام لكعب الأحبار: ما يذهب العلم من قلوب العلماء بعد أن وعوه وعقلوه؟ قال: الطمع وشره النفس وطلب الحوائج. فقال رجل للفضيل: فسر لي قول كعب. قال: يطمع الرجل في الشيء فيطلبه فيذهب عليه دينه، والشره شره النفس في هذا وفي هذا، فإذا قضاها لك خزم أنفك وقادك حيث شاء واستمكن منك وخضعت له، فمن حبك للدنيا إذا مررت به سلمت عليه وعدته إذا مرض، لم تسلم عليه لله تعالى ولم تعده لله تعالى، فلو لم تكن لك إليه حاجة كان خيرا لك. ثم قال: هذا خير لك من مائة حديث عن فلان وفلان. وقال بعض الحكماء: من عجيب أمر الإنسان أنه لو نودي بدوام البقاء في أيام الدنيا لم يكن في قوى خلقته من الحرص على الجمع أكثر مما قد استعمله مع قصر مدة التمتع وتوقع الزوال. وقال عبد الواحد بن زيد: مررت براهب فقلت له: من أين تأكل؟ قال: من بيدر اللطيف الخبير الذي خلق الرحا هو يأتيها بالطحين، وأومى بيده إلى رحا أضراسه.

بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذي يكتسب به صفة القناعة

اعلم أن هذا الدواء مركب من ثلاثة أركان: العلم والعمل والصبر، ومجموع ذلك خمسة أمور. الأول وهو العمل: الاقتصاد في المعيشة والرفق في الإنفاق، فمن أراد عز القناعة فينبغي أن يسد على نفسه أبواب الخرج ما أمكنه ويرد نفسه إلى ما لا بد له منه، فمن كثر خرجه واتسع إنفاقه لم تمكنه القناعة، بل إن كان وحده فينبغي أن يقنع بثوب واحد خشن ويقنع بأي طعام كان ويقلل من الإدام ما أمكنه ويوطن نفسه عليه، وإن كان له عيال فيرد كل واحد منهم إلى هذا القدر، فإن هذا القدر يتيسر بأدنى جهد ويمكن معه الإجمال في الطلب والاقتصاد في المعيشة، وهو الأصل في القناعة، ونعني به الرفق في الإنفاق وترك الخرق فيه. قال النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله يحب الرفق في الأمر كله. وقال صلى الله عليه وسلم: ما عال من اقتصد. وقال صلى الله عليه وسلم: ثلاث منجيات: خشية الله في السر والعلانية، والقصد في الغنى والفقر، والعدل في الرضا والغضب. وروي أن رجلا رأى أبا الدرداء يلتقط حبا من الأرض وهو يقول: إن من فقهك رفقك في معيشتك. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: قال النبي صلى الله عليه وسلم: الاقتصاد وحسن السمت والهدي الصالح جزء من بضعة وعشرين جزءا من النبوة. وفي الخبر: التدبير نصف المعيشة. وقال صلى الله عليه وسلم: من اقتصد أغناه الله ومن بذر أفقره الله ومن ذكر الله عز وجل أحبه الله. وقال صلى الله عليه وسلم: إذا أردت أمرا فعليك بالتؤدة حتى يجعل الله لك فرجا ومخرجا. والتؤدة في الإنفاق من أهم الأمور.

الثاني: أنه إذا تيسر له في الحال ما يكفيه فلا ينبغي أن يكون شديد الاضطراب لأجل الاستقبال، ويعينه على ذلك قصر الأمل والتحقق بأن الرزق الذي قدر له لا بد وأن يأتيه وإن لم يشتد حرصه، فإن شدة الحرص ليس هو السبب لوصول الأرزاق، بل ينبغي أن يكون واثقا بوعد الله تعالى إذ قال: وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها. وذلك لأن الشيطان يعده الفقر ويأمره بالفحشاء ويقول: إن لم تحرص على الجمع والادخار فربما تمرض وربما تعجز وتحتاج إلى احتمال الذل في السؤال، فلا يزال طول العمر يتعبه في الطلب خوفا من الفقر ويضحك عليه في احتماله التعب مع الغفلة عن الله تعالى لتوهم تعب في ثاني الحال، وربما لا يكون. وفي مثله قيل:

ومن ينفق الساعات في جمع ماله * مخافة فقر فالذي فعل الفقر

وقد دخل ابنا خالد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما: لا تيأسا من الرزق ما تهزهزت رؤوسكما، فإن الإنسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشر ثم يرزقه الله تعالى. ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن مسعود وهو حزين فقال له: لا يكثر همك، ما يقدر يكن وما ترزق يأتيك. وقال صلى الله عليه وسلم: ألا أيها الناس أجملوا في الطلب فإنه ليس لعبد إلا ما كتب له، ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راغمة. ولا ينفك الإنسان عن الحرص إلا بحسن ثقته بتدبير الله تعالى في تقدير أرزاق العباد وأن ذلك يحصل لا محالة مع الإجمال في الطلب، بل ينبغي أن يعلم أن رزق الله للعباد من حيث لا يحتسب أكثر، قال الله تعالى: ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب. فإذا انسد عليه باب كان ينتظر الرزق منه فلا ينبغي أن يضطرب قلبه لأجله. وقال صلى الله عليه وسلم: أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب. وقال سفيان: اتق الله فما رأيت تقيا محتاجا، أي لا يترك التقي محتاجا فاقد الضرورة، بل يلقي الله في قلوب المسلمين أن يوصلوا إليه رزقه. وقال المفضل الضبي: قلت لأعرابي: من أين معاشك؟ قال: نذور الحاج. قلت: فإذا صدروا؟ فبكى وقال: لو لم نعش إلا من حيث ندري لم نعش. وقال أبو حازم: وجدت الدنيا شيئين، شيئا منهما هو لي فلن أعجله قبل أجله ولو طلبته بقوة السماوات والأرض، وشيئا منهما هو لغيري فذلك لم أنله فيما مضى فلا أرجوه فيما بقي، يمنع الذي لغيري مني كما يمنع الذي لي من غيري، ففي أي هذين أفني عمري؟ فهذا دواء من جهة المعرفة لا بد منه لدفع تخويف الشيطان وإنذاره بالفقر.

الثالث: أن تعرف ما في القناعة من عز الاستغناء وما في الطمع والحرص من الذل، فإذا تحقق ذلك عنده انبعثت رغبته إلى القناعة، لأنه في الحرص لا يخلو من تعب وفي الطمع لا يخلو من ذل، وليس في القناعة إلا ألم الصبر عن الشهوات والفضول، وهذا ألم لا يطلع عليه أحد إلا الله وفيه ثواب الآخرة، وذلك مما يضاف إليه نظر الناس وفيه الذل والإثم، ثم يفوته عز النفس والقدرة على متابعة الحق، فإن من كثر طمعه وحرصه كثرت حاجته إلى الناس فلا يمكنه دعوتهم إلى الحق ويلزمه المداهنة وذلك يهلك دينه. ومن لا يؤثر عز النفس على شهوة البطن فهو ركيك العقل ناقص الإيمان. قال صلى الله عليه وسلم: عز المؤمن استغناؤه عن الناس. ففي القناعة الحرية والعز، ولذلك قيل: استغن عمن شئت فأنت نظيره، واحتج إلى من شئت فأنت أسيره، وأحسن إلى من شئت فأنت أميره.

الرابع: أن يكثر تأمله في تنعم اليهود والنصارى وأراذل الناس والحمقى من الأكراد والأعراب ومن لا دين لهم ولا عقل، ثم ينظر إلى أحوال الأنبياء والأولياء وإلى سمت الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة والتابعين ويستمع أحاديثهم ويطالع أحوالهم ويخير عقله بين أن يكون على مشابهة أراذل الخلق أو على الاقتداء بمن هو أعز الخلق عند الله تعالى، حتى يهون عليه بذلك الصبر على القليل والقناعة باليسير، فإنه إن تنعم بالأكل فالحمار أكثر أكلا منه، وإن تنعم بالوقاع فالخنزير أعلى رتبة منه، وإن تزين في الملبس والخيل ففي اليهود من هو أعلى زينة منه، وإن قنع بالقليل ورضي به لم يساهمه في رتبته إلا الأنبياء والأولياء.

الخامس: أن يفهم ما في جمع المال من الخطر كما ذكرنا في آفات المال، وما فيه من خوف السرقة والنهب والضياع، وما في خلو اليد من الأمن والفراغ، ويتأمل ما ذكرناه في آفات المال مع ما يفوته من المدافعة عن باب الجنة إلى خمسمائة عام، فإنه إذا لم يقنع بما يكفيه ألحق بزمرة الأغنياء وأخرج من جريدة الفقراء، ويتم ذلك بأن ينظر أبدا إلى من دونه في الدنيا لا إلى من فوقه، فإن الشيطان أبدا يصرف نظره في الدنيا إلى من فوقه فيقول: لم تفتر عن الطلب وأرباب الأموال يتنعمون في المطاعم والملابس؟ ويصرف نظره في الدين إلى من دونه فيقول: ولم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان أعلم منك وهو لا يخاف الله، والناس كلهم مشغولون بالتنعم، فلم تريد أن تتميز عنهم؟ وقال أبو ذر الغفاري: أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم أن أنظر إلى من هو دوني لا إلى من هو فوقي. وقال أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا نظر أحدكم إلى من فضله الله عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه. فبهذه الأمور يقدر على اكتساب خلق القناعة، وعماد الأمر الصبر وقصر الأمل، وأن يعلم أن غاية صبره في الدنيا أيام قلائل للتمتع دهرا طويلا، فيكون كالمريض الذي يصبر على مرارة الدواء لشدة طمعه في انتظار الشفاء.

بيان فضيلة السخاء

اعلم أن المال إن كان مفقودا فينبغي أن يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص

وان كان موجودا احسن ان يكون حاله الايثار والسخاء واصطناع المعروف
ومواصلة من يصلح للسخاء • وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال السخاء شجرة من الجنة اغصانها متدلية الى الارض فمن اخذ منها غصنا
قاده ذلك الغصن الى الجنة **وقال** جابر بن عبد الله الانصاري رضه قال جبريل قال الله تعالى ان هذا دين ارتضيته لنفسي ولن
يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما استطعتم وفي رواية فاكرموه بهما ما صحبتموه وعن عائشة رضي الله عنها
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جبل الله وليا له الا على السخاء وحسن الخلق وعن جابر رضه قال قيل يا رسول الله اي الاعمال
افضل قال الصبر والسماحة وقال عبد الله بن عمر رضه قال رسول الله صلعم خلقان يحبهما الله عز وجل وخلقان يبغضهما
الله فاما اللذان يحبهما الله عز وجل فحسن الخلق والسخاء واما اللذان يبغضهما الله فسوء الخلق والبخل واذا اراد الله بعبد خيرا
استعمله في قضاء حوائج الناس وروى المقدام بن شريح عن ابيه عن جده قال قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني
الجنة قال ان من موجبات المغفرة بذل الطعام وافشاء السلام وحسن الكلام وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم السخاء شجرة في الجنة فمن كان سخيا اخذ بغصن منها فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله
الجنة والشح شجرة في النار فمن كان شحيحا اخذ بغصن من اغصانها فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله النار
وقال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اطلبوا الفضل عند الرحماء
من عبادي تعيشوا في اكنافهم فاني جعلت فيهم رحمتي ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فاني جعلت
فيهم سخطي وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجافوا عن ذنب السخي
فان الله تعالى اخذ بيده كلما عثر وقال عبد الله بن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرزق الى مطعم
الطعام اسرع من السكين الى ذروة البعير وان الله تعالى ليباهي بمطعم الطعام الملائكة وقال النبي
صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى جواد يحب الجواد ويحب معالي الاخلاق ويبغض سفسافها وقال
انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يسأل على الاسلام شيئا الا اعطاه فاتاه رجل فسأله
فامر له بشاء كثيرة بين جبلين من شاء الصدقة فرجع الى قومه فقال يا قوم اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا
يخشى الفاقة وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا اختصهم بالنعم لمنافع
العباد فمن بخل بتلك المنافع عن العباد نقلها الله تعالى عنه وحولها الى غيره وعن الهلالي قال اتي رسول الله صلعم
باسارى من بني العنبر فامر بقتلهم وافرد منهم رجلا فقال علي بن ابي طالب يا رسول الله الرب واحد
والدين واحد والذنب واحد فما بال هذا من بينهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نزل علي جبريل فقال اقتل هؤلاء
واترك هذا فان الله تعالى شكر له سخاء فيه وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح
وعن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام الجواد دواء وطعام البخيل
داء وقال النبي صلى الله عليه وسلم من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤنة الناس عليه ومن لم يحتمل تلك
المؤنة عرض تلك النعمة للزوال **وقال** عيسى عليه السلام استكثروا من شيء لا تاكله النار قيل وما هو قال
المعروف وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة دار الاسخياء وقال ابو هريرة رضه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار وان البخيل بعيد
من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار وجاهل سخي احب الى الله من عابد بخيل وادوا الداء البخل
وقال النبي صلعم اصنع المعروف الى من هو اهله والى من ليس من اهله فان اصبت اهله فقد اصبت وان لم تصب
اهله فانت اهله قال النبي صلى الله عليه وسلم ان بدلاء امتي لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها
بسخاء الانفس وسلامة الصدور والنصح للمسلمين وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلعم ان الله تعالى
جعل للمعروف وجوها من خلقه حبب اليهم المعروف وحبب اليهم فعاله ووجه طلاب المعروف
اليهم ويسر عليهم اعطاءه كما ييسر الغيث الى البلدة المجدبة فيحييها ويحيي اهلها وقال رسول الله صلعم كل
معروف صدقة وكل ما انفق الرجل على نفسه واهله كتب له صدقة وما وقى الرجل به عرضه كتب له صدقة
وما انفق رجل نفقة فعلى الله خلفها وقال النبي صلى الله عليه وسلم كل معروف فعلته الى غني او فقير
صدقة وروي ان الله تعالى اوحى الى موسى بن عمران عليه السلام لا تقتل السامري فانه سخي وقال جابر بن
عبد الله الانصاري بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا عليهم قيس بن سعد بن عبادة فجهدوا فنحر
لهم قيس تسع ركائب فحدثوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام ان الجود من شيمة اهل ذلك البيت

ومن اشعار قال علي بن ابي طالب رضه اذا اقبلت الدنيا فانفق منها فانها لا تفنى واذا ادبرت فانفق منها فانها لا تبقى **وانشدوا**
لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة • فليس ينقصها التبذير والسرف • فان تولت فاحرى ان تجود بها • والحمد منها اذا ما ادبرت خلف
وسال معاوية الحسن بن علي رضه عن المروءة والنجدة والكرم فقال اما المروءة فحفظ الرجل دينه وحرزه نفسه وحسن قيامه
بضيفه وحسن المنازعة والاقدام في الكراهية واما النجدة فالذب عن الجار والصبر في المواطن واما الكرم فالتبرع
بالمعروف قبل السؤال والاطعام في المحل والرافة بالسائل مع بذل النائل ودفع رجل الى الحسين بن علي رضه رقعة فقال حاجتك مقضية
فقيل له يا ابن رسول الله لو نظرت في رقعته ثم رددت الجواب على قدر ذلك فقال يسألني الله عز وجل عن ذل مقامه بين يدي حتى اقرأ رقعته
وقال محمد بن اسماء لم يشتري احد مماليكه بماله ولا يشتري الاحرار بمعروفه وسئل بعض الاعراب من سيدكم فقال من احتمل شتمنا
واعطى سائلنا واغضى عن جاهلنا وقال علي بن الحسين رضه من وصف ببذل ماله لطلابه لم يكن سخيا وانما السخي من يبتدئ بحقوق الله في
اهل طاعته ولا تنازعه نفسه الى حب الشكر له اذا كان يقينه بثواب الله تاما وقيل للحسن البصري ما السخاء قال ان تجود
بمالك في الله عز وجل قيل فما الحزم قال ان تمنع مالك فيه قيل فما الاسراف قال الانفاق لحب الرياسة **وقال** محمد بن جعفر الصادق
لا مال اعود من العقل ولا مصيبة اعظم من الجهل ولا مظاهرة اوثق من المشورة • الا وان الله يقول اني جواد كريم لا يجاورني لئيم واللؤم
من الكفر واهل الكفر في النار والجود والكرم من الايمان واهل الايمان في الجنة • وقال حذيفة بن اليمان رب فاجر في دينه اخرق في معيشته
يدخل الجنة بسماحته • وراى الاحنف بن قيس رجلا في يده درهم فقال لمن هذا الدرهم قال لي قال اما انه ليس لك حتى يخرج من يدك
وقيل في معناه انت للمال اذا امسكته • واذا انفقته فالمال لك • وسمي واصل بن عطاء الغزال لانه كان يجلس
الى الغزالين فاذا راى امراة ضعيفة اعطاها شيئا وروى الاصمعي ان الحسن بن علي رضه بعث يلومه على اعطاء الشعراء
فكتب اليه خير المال ما وقى العرض • وقيل لسفيان بن عيينة ما السخاء قال السخاء البر بالاخوان والجود بالمال • وورث
بعضهم خمسين الف درهم فبعث بها الى اخوانه صررا وقال قد كنت اسأل الله تعالى لاخواني الجنة في صلاتي افابخل عليهم بالدنيا • **وقال**
الحسن البصري بذل المجهود في بذل الموجود منتهى الجود وقيل لبعض الحكماء من احب الناس اليك قال من كثرت اياديه عندي قيل فان لم
يكن قال من كثرت ايادي عنده • **وقال** عبد العزيز بن مروان اذا الرجل امكنني من نفسه حتى اضع معروفي عنده فيده عندي مثل
يدي عنده • وقال المهدي لشبيب بن شيبة كيف رايت الناس في داري قال يا امير المؤمنين ان الرجل ليدخلها راجيا ويخرج راضيا
وتمثل متمثل عند عبد الله بن جعفر الطيار رضه ان الصنيعة لا تكون صنيعة • حتى يصاب بها طريق المصنع
فقال عبد الله بن جعفر ان هذا البيت ليبخل الناس ولكن امطر المعروف مطرا فان اصاب الكرام كانوا له اهلا وان اصاب اللئام
كنت انا له اهلا

حكايات عن الاسخياء

عن محمد بن المنكدر عن ام درة وكانت تخدم عائشة رضي الله عنها
قالت ان عبد الله بن الزبير بعث اليها بمال في غرارتين ثمانين ومائة الف فدعت بطبق فجعلت تقسمه بين الناس فلما امست
قالت يا جارية هاتي فطوري فجاءتها بخبز وزيت فقالت لها ام درة ما استطعت فيما قسمت اليوم ان تشتري لنا بدرهم
لحما نفطر عليه فقالت لو كنت ذكرتني لفعلت • وعن ابان بن عثمان قال اراد رجل ان يضار عبيد الله بن عباس فاتى وجوه
قريش فقال يقول لكم عبيد الله تغدوا عندي اليوم فاتوه حتى ملأوا عليه الدار فقال ما هذا فاخبر الخبر فامر عبيد الله بشراء الفاكهة
وامر قوما فطبخوا وخبزوا وقدمت الفاكهة اليهم فلم يفرغوا منها حتى وضعت الموائد فاكلوا حتى صدروا فقال عبيد الله لوكلائه
اموجود عندنا هذا كل يوم قالوا نعم قال فليتغد عندنا هؤلاء كل يوم • **وقال** مصعب بن الزبير حج معاوية فلما انصرف مر
بالمدينة فقال الحسين بن علي لاخيه الحسن لا تلقه ولا تسلم عليه فلما خرج معاوية قال الحسن ان علينا دينا ولا بد لنا من اتيانه
فركب في اثره فلحقه فسلم عليه واخبره بدينه فمروا عليه ببختي عليه ثمانون الف دينار وقد اعيا وتخلف عن الابل وقوم يسوقونه
فقال معاوية ما هذا فذكر له فقال اصرفوه بما عليه الى ابي محمد الحسن بن علي • وعن الواقدي محمد بن عمر الواقدي انه رفع رقعة
الى المامون يذكر فيها كثرة الدين وقلة صبره عليه فوقع المامون على ظهر رقعته انك رجل اجتمع فيك خصلتان السخاء
والحياء فاما السخاء فهو الذي اطلق ما في يدك واما الحياء فهو الذي منعك تبليغنا ما انت عليه وقد امرت لك بمائة الف درهم
فان كنت قد اصبت فازدد في بسط يدك وان لم اكن اصبت فجنايتك على نفسك وانت حدثتني وكنت على قضاء الرشيد
عن محمد بن اسحاق عن الزهري عن انس بن مالك ان النبي صلعم قال للزبير بن العوام يا زبير اعلم ان مفاتيح ارزاق العباد بازاء العرش يبعث الله
الى كل عبد بقدر نفقته فمن كثر كثر له ومن قلل قلل له وانت اعلم قال الواقدي فوالله لمذاكرة المامون اياي بالحديث احب الي من الجائزة

من مائة ألف وجاء رجل الحسن بن علي في حاجة فقال له هذا حق سؤالك إياي يعظم لدي ومعرفتي بما يجب لك يكبر علي ويدي تعجز عن نيلك بما
أنت أهله والكثير في ذات الله قليل وما في ملكي وفاء بشكرك فإن قبلت الميسور ورفعت عني مؤنة الاحتيال والاهتمام بما أتكلف
من واجبك فعلت فقال يا ابن رسول الله أقبل وأشكر العطية وأعذر على المنع فدعا الحسن بن علي رضي الله عنه بوكيله وجعل يحاسبه على نفقته حتى استقصاها
فقال هات الفاضل من الثلاثمائة ألف فأحضر خمسين ألفاً قال فما فعلت بالخمسمائة دينار قال هي عندي قال أحضرها فأحضرها فدفع الدنانير
والدراهم إلى الرجل فقال هات من يحملها لك فأتاه بحمالين فدفع إليهما الحسن رداءه لكراء الحمالين فقال له مواليه والله ما عندنا درهم فقال
لكني أرجو أن يكون لي عند الله أجر عظيم واجتمع قراء البصرة إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وهو عامل البصرة فقالوا لنا جار صوام قوام يتمنى كل واحد
منا أن يكون مثله وقد زوج ابنته من ابن أخيه وهو فقير وليس عنده ما يجهزها به فقام عبد الله بن عباس فأخذ بأيديهم وأدخلهم داره وفتح صندوقاً
فأخرج منه ست بدر فقال احملوا فحملوا فقال عبد الله بن عباس ما أنصفناه أعطيناه ما يشغله عن صيامه وقيامه ارجعوا بنا نكن أعوانه
على تجهيزها فليس للدنيا من القدر ما يشغل مؤمناً عن عبادة ربه وما بنا من الكبر ما لا نخدم أولياء الله تعالى ففعل وفعلوا وحكي أنه أجدب
الناس بمصر وعبد الحميد بن سعد أميرهم فقال والله لأعلمن الشيطان أني عدوه فعال محاويجهم إلى أن رخصت الأسعار ثم عزل فرحل وللتجار
عليه ألف ألف درهم فرهنهم بها حلي نسائه وقيمتها خمسمائة ألف ألف فلما تعذر عليه ارتجاعها كتب إليهم ببيعها ودفع الفاضل منها عن حقوقهم إلى من
لم تنله صلاته وكان أبو طاهر بن كثير شيعياً فقال له رجل بحق علي بن أبي طالب إلا وهبت لي نخلتك بموضع كذا فقال قد فعلت وحق علي لأعطينك
ما يليها وكان ذلك أضعاف ما طلب الرجل وكان أبو مرثد أحد الكرماء فمدحه بعض الشعراء فقال للشاعر والله ما عندي ما
عندي ما أعطيك ولكن قدمني إلى القاضي وادع علي عشرة آلاف درهم حتى أقر لك بها ثم احبسني فإن أهلي لا يتركوني محبوساً ففعل
ذلك فلم يمس حتى دفعت له عشرة آلاف درهم وأخرج أبو مرثد من الحبس • وكان معن بن زائدة عاملاً على العراقين بالبصرة
فحضر بابه شاعر فأقام مدة وأراد الدخول على معن ليمدحه فلم يتهيأ له فقال يوماً لبعض خدم معن إذا دخل الأمير البستان فعرفني فلما
دخل معن كتب الشاعر بيتاً على خشبة وألقاها في الماء الذي يدخل البستان وكان معن على رأس الماء فلما بصر بالخشبة أخذها وقرأها
فإذا فيها مكتوب يا جود معن ناج معناً بحاجتي • فما لي إلى معن سواك شفيع • قال فقال من صاحب هذه فدعي بالرجل
فقال له كيف قلت فقاله فأمر له بعشر بدر فأخذها ووضع الأمير الخشبة تحت بساطه فلما كان اليوم الثاني أخرجها من تحت البساط
وقرأ ما فيها ودعا بالرجل فدفع إليه مائة ألف درهم فلما أخذها الرجل تفكر وخاف أن يأخذ ما أعطاه فخرج فلما كان في اليوم الثالث
قرأ ما فيها ودعا بالرجل فطلب فلم يوجد فقال معن حق علي أن أعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي درهم ولا دينار وقال أبو الحسن
المدائني خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر الطيار رضي الله عنهم حجاجاً ففاتهم أثقالهم فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز في خباء لها فقالوا هل
من شراب فقالت نعم فأناخوا إليها وليس لها إلا شويهة في كسر الخيمة فقالت احلبوها وامتذقوا لبنها ففعلوا ثم قالوا لها هل من طعام
قالت لا إلا هذه الشويهة فليذبحها أحدكم حتى أهيئ لكم ما تأكلون فقام إليها أحدهم فذبحها وكشطها ثم هيأت لهم طعاماً
فأكلوا وأقاموا حتى أبردوا فلما ارتحلوا قالوا لها نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فإذا رجعنا سالمين فألمي بنا
فإنا صانعون بك خيراً ثم ارتحلوا فأقبل زوجها فأخبرته بخبر القوم والشاة فغضب الرجل وقال ويلك تذبحين شاتي
لقوم لا تعرفينهم ثم تقولين نفر من قريش قال ثم بعد مدة ألجأتهم الحاجة إلى دخول المدينة فدخلاها وجعلا ينقلان البعر إليها
ويبيعانه ويتعيشان بثمنه فمرت العجوز في بعض سكك المدينة فإذا الحسن بن علي رضي الله عنهما جالس على باب داره فعرف العجوز وهي
له منكرة فبعث الحسن غلامه ودعا العجوز فقال لها يا أمة الله أتعرفينني قالت لا قال أنا ضيفك يوم كذا وكذا فقالت العجوز بأبي
أنت وأمي أنت هو قال نعم ثم أمر الحسن فاشتروا لها من شاء الصدقة ألف شاة وأمر لها معها بألف دينار وبعث بها
مع غلامه إلى أخيه الحسين بن علي رضي الله عنهما فقال لها الحسين بكم وصلك أخي قالت بألف شاة وألف دينار فأمر لها الحسين أيضاً
بمثل ذلك ثم بعث بها مع غلامه إلى عبد الله بن جعفر فقال بكم وصلك الحسن والحسين قالت بألفي شاة وألفي دينار
فأمر لها عبد الله بألفي شاة وألفي دينار وقال لها لو بدأت بي لأتعبتهما فرجعت إلى زوجها بأربعة آلاف شاة
وأربعة آلاف دينار • وخرج عبد الله بن عامر بن كريز من المسجد يوماً يريد منزله وهو وحده فقام إليه غلام من ثقيف
فمشى إلى جانبه فقال له عبد الله ألك حاجة يا غلام قال صلاحك وفلاحك رأيتك تمشي وحدك فقلت أقيك بنفسي
وأعوذ بالله أن طار بك مكروه فأخذ عبد الله بيده ومشى معه إلى منزله ثم دعا بألف دينار فدفعها إليه فقال
استنفق هذه فنعم ما أدبك أهلك • وحكي أن قوماً من العرب جاءوا إلى قبر بعض الأسخياء للزيارة فنزلوا عنده وباتوا

من سفر بعيد فباتوا عند قبره فرأى رجل منهم صاحب القبر وهو يقول له هل لك أن تبادلني بعيرك بنجيبي وكان خلف النجيب نجيباً
معروفاً به ولهذا الرجل بعير سمين فقال له في النوم نعم فباع في النوم بعيره بنجيبه فلما وقع بينهما العقد عمد هذا الرجل إلى بعيره فنحره في
النوم فانتبه الرجل من نومه فنجح الدم من نحر بعيره فقام الرجل من النوم فنحره وقسم لحمه فطبخه وقضى حاجتهم ثم رحلوا وساروا
فلما كان اليوم الثاني وهم في الطريق استقبلهم ركب فقال رجل منهم من فلان بن فلان منكم باسم ذلك الرجل فقال أنا فقال هل
بعت من فلان شيئاً وذكر الميت صاحب القبر قال نعم بعت منه بعيري بنجيبه في النوم فقال خذ هذا نجيبه ثم قال هو أبي وقد
رأيته في النوم وهو يقول لي إن كنت ابني فادفع نجيبي إلى فلان وسماه • وقدم رجل من قريش من سفر فمر برجل من الأعراب على قارعة الطريق
قد أقعده الدهر وأضر به المرض فقال يا هذا أعنا على الدهر فقال الرجل لغلامه ما بقي من النفقة فادفعه إليه فصب الغلام في حجر الأعرابي
أربعة آلاف درهم فنهض ليذهب فلم يقدر من الضعف فبكى فقال له الرجل ما يبكيك لعلك استقللت قال لا ولكن ذكرت ما تأكل الأرض
من كرمك فأبكاني • واشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عقبة بن أبي معيط داره التي في السوق بتسعين ألف درهم فلما كان الليل
سمع بكاء أهل خالد فقال لأهله ما لهؤلاء يبكون قالوا يبكون لدارهم فقال يا غلام ائتهم فأعلمهم أن الدار والمال لهم جميعاً • وقيل
أنفذ هارون الرشيد إلى مالك بن أنس خمسمائة دينار فبلغ ذلك الليث بن سعد فأنفذ إليه ألف دينار فغضب هارون الرشيد وقال
أعطيته خمسمائة وتعطيه ألفاً وأنت من رعيتي فقال يا أمير المؤمنين إن لي كل يوم من غلتي ألف دينار فاستحييت أن أعطي مثله أقل من
دخل يوم • وحكي أنه لم تجب عليه الزكاة مع أن دخله كل يوم ألف دينار • وروى أن امرأة سألت الليث بن سعد شيئاً من عسل
فأمر لها بزق فقال إنها سألت على قدرها وأعطيناها على قدر النعمة علينا • وكان الليث بن سعد لا يتكلم حتى يتصدق على
ثلاثمائة وستين مسكيناً • وقال [illegible] شاة عندي وكان خيثمة بن عبد الرحمن يعوده بالغداة والعشي فسئل
هل ستعرف [illegible] وكيف صبر الصبيان مذ فقدوا لبنها [illegible]
[illegible] أكثر من ثلاثمائة دينار من بره [illegible] • وقال عبد الملك بن مروان لأسماء بن خارجة بلغني عنك خصال
فحدثني بها فقال هي من غيري أحسن منها مني قال عزمت عليك إلا حدثتني بها قال يا أمير المؤمنين ما مددت رجلي بين يدي جليس قط ولا صنعت طعاماً
فدعوت عليه قوماً إلا كانوا أمن علي مني عليهم ولا نصب رجل وجهه قط يسألني شيئاً فاستكثرت شيئاً أعطيته إياه • ودخل سعيد بن خالد
على سليمان بن عبد الملك وكان سعيد رجلاً جواداً وإذا لم يجد شيئاً كتب لمن سأله الصكاك على نفسه حتى يخرج عطاؤه فلما نظر إليه سليمان
تمثل بهذا البيت إني سمعت مع الصباح منادياً • يا من يعين على الفتى المعوان • ثم قال له حاجتك قال ديني قال كم هو قال ثلاثون
ألف دينار قال لك دينك ومثله • وقيل مرض قيس بن سعد بن عبادة فاستبطأ إخوانه فقيل له إنهم يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال
أخزى الله مالاً يمنع الإخوان من الزيارة ثم أمر منادياً فنادى من كان عليه لقيس حق فهو منه في حل فكسرت درجته بالعشي لكثرة من عاده وعن
أبي إسحاق قال صليت الفجر في مسجد الأشعث بالكوفة أطلب غريماً لي فلما صليت وضع بين يدي حلة ونعلين فقلت لست من أهل هذا المسجد فقيل
إن الأشعث بن قيس الكندي قدم البارحة من مكة فأمر لكل من صلى في المسجد بحلة ونعلين • وقال الشيخ أبو سعيد الخركوشي النيسابوري
سمعت محمد بن محمد الحافظ يقول سمعت الشافعي المجاور بمكة يقول كان بمصر رجل عرف بأن يجمع للفقراء شيئاً فولد لبعضهم ولد قال
فجئت إليه فقلت ولد لي ولد وليس معي شيء فقام معي ودخل على جماعة فلم يفتح بشيء فجاء إلى قبر رجل وجلس وقال يرحمك الله كنت تفعل وتصنع
وإني درت اليوم وكلفت جماعة دفع شيء لمولود فلم يتفق لي شيء قال ثم قام وأخرج ديناراً وكسره بنصفين وناولني نصفه وقال هذا دين عليك
إلى أن يفتح الله بشيء قال فأخذته وانصرفت فأصلحت ما اتفق لي فرأى ذلك المحتسب تلك الليلة ذلك الشخص في المنام فقال سمعت جميع
ما قلت وليس لنا إذن بالجواب ولكن احضر منزلي وقل لأولادي يحفروا مكان الكانون ويخرجوا قرابة فيها خمسمائة دينار واحملها
إلى هذا الرجل فلما كان من الغد تقدم إلى منزل الميت وقص القصة فقالوا له اجلس وحفروا الموضع وأخرجوا الدنانير وجاءوا بها
فوضعوها بين يديه فقال هذا مالكم وليس لرؤياي حكم فقالوا هو يتسخى ميتاً ونحن لا نتسخى أحياء فلما ألحوا عليه حمل الدنانير
إلى الرجل صاحب المولود وذكر القصة قال فأخذ منها ديناراً فكسره بنصفين فأعطى النصف الذي أقرضه وحمل النصف الآخر وقال
يكفيني هذا وتصدق به على الفقراء • وقال أبو سعيد الخركوشي فلا أدري أي هؤلاء أسخى • وروى أن الشافعي لما مرض مرض
موته قال مروا فلاناً يغسلني فلما توفي بلغه خبر وفاته فحضر وقال ائتوني بتذكرته فأتي بها فنظر فيها فإذا على الشافعي سبعون
ألف درهم دين فكتبها على نفسه وقضاها عنه وقال هذا غسلي إياه أي أراد به هذا قال الشيخ أبو سعيد الواعظ الخركوشي رحمه الله
لما قدمت مصر طلبت منزل ذلك الرجل فدلوني عليه فرأيت جماعة من أحفاده فزرتهم فرأيت فيهم سيما الخير وآثار الفضل فقلت بلغ

فبعث إليه بعشرة دنانير فسلمها إلى الخياط واعتذر إليه في قلتها **وأنشد الشافعي رحمه الله**

يا لهف نفسي على مال أفرقه ... على المقلين من أهل المروات
إن اعتذاري إلى من جاء يسألني ... ما ليس عندي لمن إحدى المصيبات

وعن الربيع بن سليمان قال أخذ رجل بركاب الشافعي فقال يا ربيع أعطه أربعة دنانير واعتذر إليه عني. وقال الربيع سمعت الحميدي يقول قدم الشافعي رحمه الله من صنعاء إلى مكة بعشرة آلاف دينار فضرب خباءه في موضع خارج من مكة فنثرها على ثوب ثم أقبل على كل من دخل عليه يقبض له قبضة ويعطيه حتى صلى الظهر ونفض الثوب وليس عليه شيء. وعن أبي ثور قال أراد الشافعي رحمه الله الخروج إلى مكة ومعه مال وكان قلما يمسك شيئا من سماحته فقلت له ينبغي أن تشتري بهذا المال ضيعة تكون لك ولولدك قال فخرج ثم قدم علينا فسألته عن ذلك المال فقال ما وجدت ضيعة يمكنني أن أشتريها لمعرفتي بأصلها وقد وقف أكثرها ولكني بنيت بمنى مضربا يكون لأصحابنا إذا حجوا ينزلون فيه **وأنشد الشافعي رحمه الله تعالى**

أرى نفسي تتوق إلى أمور ... ويقصر دون مبلغهن مالي
فنفسي لا تطاوعني ببخل ... ومالي لا يبلغني فعالي

وقال محمد بن عباد المهلبي دخل أبي على المأمون فوصله بمائة ألف درهم فلما قام من عنده تصدق بها فأخبر بها المأمون فلما عاد إليه عاتبه المأمون في ذلك فقال يا أمير المؤمنين منع الموجود سوء الظن بالمعبود. فوصله بمائة ألف أخرى. وقام رجل إلى سعيد بن العاص فسأله فأمر له بمائة ألف درهم فبكى فقال له سعيد ما يبكيك فقال أبكي على الأرض أن تأكل مثلك فأمر له بمائة ألف أخرى. ودخل أبو تمام على إبراهيم بن شكلة بأبيات امتدحه بها فوجده عليلا فقبل منه المدحة وأمر حاجبه بنيله ما يصلحه وقال عسى أن أقوم من مرضي فأكافئه فأقام شهرين فأوحشه طول المقام **فكتب إليه**

إن حراما قبول مدحتنا ... وترك ما نرتجي من الصفد
كما الدراهم والدنانير في البيع حرام إلا يدا بيد

فلما وصل إلى إبراهيم بن شكلة البيتان قال لحاجبه كم أقام قال شهرين قال أعطه ثلاثين ألفا وجئني بدواة **فكتب إليه**

أعجلتنا فأتاك عاجل برنا ... قلا ولو أمهلتنا لم نقلل
فخذ القليل وكن كأنك لم تسل ... ونكون نحن كأننا لم نفعل

ويروى أنه كان لعثمان بن عفان على طلحة رضي الله عنهما خمسون ألف درهم فخرج عثمان يوما إلى المسجد فقال له طلحة قد تهيأ مالك فاقبضه فقال هو لك يا أبا محمد معونة لك على مروءتك. وقالت سعدى بنت عوف دخلت على طلحة فرأيت منه ثقلا فقلت ما لك فقال اجتمع عندي مال قد غمني فقلت وما يغمك ادع قومك فقال يا غلام علي بقومي فقسمه فيهم فسألت الخادم كم كان فقال أربعمائة ألف. وجاء أعرابي إلى طلحة فسأله وتقرب إليه برحم فقال إن هذه الرحم ما سألني بها أحد قبلك إن لي أرضا قد أعطاني بها عثمان ثلاثمائة ألف درهم فإن شئت فاقبضها وإن شئت بعتها من عثمان ودفعت إليك الثمن فقال الثمن فباعها من عثمان ودفع إليه الثمن. وقيل بكى علي رضي الله عنه يوما فقيل ما يبكيك فقال لم يأتني ضيف منذ سبعة أيام أخاف أن يكون الله تعالى قد أهانني. وأتى رجل صديقا له فدق عليه الباب فقال ما جاء بك قال علي أربعمائة درهم دين فوزن أربعمائة درهم وأخرجها إليه وعاد يبكي فقالت له امرأته لم أعطيته إذ شق عليك فقال إنما أبكي لأني لم أتفقد حاله حتى احتاج إلى مفاتحتي.

بيان ذم البخل

قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وقال الله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم الآية. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إياكم والشح فإنما أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم. وقال النبي صلى الله عليه وسلم إياكم والشح لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيء الملكة وفي رواية ولا جبار وفي رواية ولا منان. وقال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه. وقال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله يبغض الشيخ الزاني والبخيل المنان والمعيل المختال. وقال النبي صلى الله عليه وسلم مثل المنفق والبخيل كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من لدن ثديهما إلى تراقيهما فأما المنفق فلا ينفق شيئا إلا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفي بنانه وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئا إلا قلصت ولزمت كل حلقة مكانها حتى أخذت بتراقيه فهو يوسعها فلا تتسع. وقال النبي صلى الله عليه وسلم خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق. وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر. وقال النبي صلى الله عليه وسلم إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة وإياكم والفحش فإن الله لا يحب الفاحش المتفحش وإياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم الشح أمرهم بالكذب فكذبوا وأمرهم بالظلم فظلموا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا. وقال النبي صلى الله عليه وسلم شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع. وقتل شهيد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكته باكية فقالت واشهيداه فقال وما يدريك أنه شهيد فلعله كان يتكلم فيما لا يعنيه أو يبخل بما لا ينقصه. وقال جبير بن مطعم رضي الله عنه بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقفله من حنين علقت الأعراب برسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه العضاه نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذوبا ولا جبانا. وقال عمر رضي الله عنه قسم النبي صلى الله عليه وسلم قسما فقلت غير هؤلاء كانوا أحق به منهم فقال إنهم خيروني بين أن يسألوني بالفحش أو يبخلوني ولست بباخل. وقال أبو سعيد الخدري دخل رجلان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه ثمن بعير فأعطاهما دينارين فخرجا من عنده فلقيهما عمر بن الخطاب فأثنيا وقالا معروفا وشكرا ما صنع بهما ودخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما قالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن فلان أعطيته ما بين عشرة إلى مائة ولم يقل ذلك إن أحدكم يسألني فينطلق في مسألته متأبطها وهي نار فقال عمر فلم تعطيهم ما هو نار فقال يأبون إلا أن يسألوني ويأبى الله لي البخل. وعن عبد الله بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجود من جود الله تعالى فجودوا يجد الله لكم ألا إن الله خلق الجود فجعله في صورة رجل وجعل رأسه راسخا في أصل شجرة طوبى وشد أغصانها بأغصان سدرة المنتهى ودلى بعض أغصانها إلى الدنيا فمن تعلق بغصن منها أدخله الجنة ألا إن السخاء من الإيمان والإيمان في الجنة وخلق البخل من مقته وجعل رأسه راسخا في أصل شجرة الزقوم ودلى بعض أغصانها إلى الدنيا فمن تعلق بغصن منها أدخله النار ألا إن البخل من الكفر والكفر في النار. وقال النبي صلى الله عليه وسلم السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يلج الجنة إلا سخي والبخل شجرة تنبت في النار فلا يلج النار إلا بخيل. وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيدكم يا بني لحيان قالوا سيدنا جد بن قيس إلا أنه رجل فيه بخل فقال النبي صلى الله عليه وسلم وأي داء أدوى من البخل ولكن سيدكم عمرو بن الجموح. وفي رواية أنهم قالوا سيدنا جد بن قيس فقال بم تسودونه قالوا إنه أكثرنا مالا وإنا على ذلك لنرى منه البخل فقال النبي صلى الله عليه وسلم وأي داء أدوى من البخل ليس ذلك سيدكم قالوا فمن سيدنا يا رسول الله قال سيدكم بشر بن البراء. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يبغض البخيل في حياته السخي عند موته. وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد. وقال صلى الله عليه وسلم خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق. وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا ينبغي للمؤمن أن يكون بخيلا ولا جبانا. وقال صلى الله عليه وسلم يقول قائلكم الشحيح أعذر من الظالم وأي ظلم أظلم عند الله من الشح حلف الله بعزته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة بخيل ولا شحيح. وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطوف بالبيت فإذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول بحرمة هذا البيت إلا غفرت لي ذنبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذنبك صفه لي فقال هو أعظم من أن أصفه لك فقال ويحك ذنبك أعظم أم الأرضون قال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال ويحك ذنبك أعظم أم الجبال قال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم السموات قال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم الله قال بل الله أعظم وأعلى قال ويحك فصف لي ذنبك قال يا رسول الله إني رجل ذو ثروة من المال وإن السائل ليأتيني ليسألني فكأنما يستقبلني بشعلة من نار فقال صلى الله عليه وسلم إليك عني لا تحرقني بنارك فوالذي بعثني بالهداية والكرامة لو قمت بين الركن والمقام ثم صليت ألف ألف عام ثم بكيت حتى تجري من دموعك الأنهار وتسقى بها الأشجار ثم مت وأنت لئيم لأكبك الله في النار ويحك أما علمت أن البخل كفر وأن الكفر في النار ويحك أما علمت أن الله تعالى يقول ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون.

الآثار

قال ابن عباس لما خلق الله جنة عدن قال لها تزيني فتزينت ثم قال لها أظهري أنهارك فأظهرت عين السلسبيل وعين الكافور وعين التسنيم فتفجر منها في الجنان أنهار الخمر وأنهار العسل واللبن ثم قال لها أظهري سررك وحجالك وكراسيك وحليك وحللك وحور عينك فأظهرت فنظر إليها فقال تكلمي فقالت طوبى لمن دخلني فقال الله تعالى وعزتي لا أسكنك بخيلا. **وقالت** أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز أف للبخيل لو كان البخل قميصا ما لبسته ولو كان طريقا ما سلكته. وقال طلحة بن عبيد الله إنا لنجد بأموالنا ما يجد البخلاء ولكنا نتصبر. وقال محمد بن المنكدر كان يقال إذا أراد الله بقوم شرا أمر عليهم شرارهم وجعل أرزاقهم بأيدي بخلائهم. وقال علي كرم الله وجهه في خطبته إنه سيأتي على الناس زمان عضوض يعض المؤمن على ما في يديه ولم يؤمر بذلك قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم. وقال عبد الله بن عمرو الشح أشد من البخل لأن الشحيح هو الذي يشح على ما في يد غيره حتى يأخذه ويشح بما في يديه فيحبسه والبخيل هو الذي يبخل بما في يديه. وقال الشعبي لا أدري أيهما أبعد غورا في جهنم البخل أو الكذب. وقيل ورد على أنوشروان حكيم الهند وفيلسوف الروم فقال للهندي تكلم فقال خير الناس من ألفي سخيا وعند الغضب وقورا وفي القول متأنيا وفي الرفعة متواضعا وعلى كل ذي رحم مشفقا. وقام الرومي فقال من كان بخيلا ورث عدوه ماله ومن قل شكره لم ينل النجح وأهل الكذب مذمومون وأهل النميمة يموتون فقراء ومن لم يرحم سلط عليه من لا يرحمه. وقال الضحاك في قوله تعالى إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا قال البخل أمسك الله أيديهم عن النفقة في سبيل الله فهم لا يبصرون الهدى. وقال كعب ما من صباح إلا وقد وكل به ملكان يناديان اللهم عجل لممسك تلفا وللمنفق خلفا. وقال الأصمعي سمعت أعرابيا وقد وصف رجلا فقال لقد صغر فلان في عيني لعظم الدنيا في عينه وكأنما يرى السائل ملك الموت إذا أتاه. وقال أبو حنيفة رحمه الله لا أرى أن أعدل بخيلا لأنه يحمله البخل على الاستقصاء فيأخذ فوق حقه خيفة من أن يغبن فمن كان هكذا لا يكون مأمون الأمانة. وقال علي كرم الله وجهه والله ما استقصى كريم قط حقه قال الله تعالى عرف بعضه وأعرض عن بعض. وقال الجاحظ ما بقي من اللذات إلا ثلاث ذم البخلاء وأكل القديد وحك الجرب. وقال بشر بن الحارث البخيل لا غيبة له. وقال النبي صلى الله عليه وسلم وقد مدحت امرأة عنده فقالوا صوامة قوامة إلا أن فيها بخلا قال فما خيرها إذا. وقال بشر النظر إلى البخيل يقسي القلب ولقاء البخلاء كرب

عن قلوب المؤمنين وقال يحيى بن معاذ الرازي ما في القلب للاسخيا الا حبا ولو كانوا فجارا وللبخلا الا بغضا ولو كانوا ابرارا وقال
ابن المعتز ابخل الناس بماله اجودهم بعرضه ولقي يحيى بن زكريا عليهما السلام ابليس في صورته فقال له يا ابليس اخبرني باحب الناس اليك وابغض الناس اليك
قال احب الناس الي المؤمن البخيل وابغض الناس الي الفاسق السخي قال ولم قال لان البخيل قد كفاني بخله والفاسق السخي اتخوف ان
يطلع الله عليه في سخائه فيقبله ثم ولى وهو يقول لولا انك يحيى لما اخبرتك

حكايات البخلاء

قيل كان بالبصرة رجل
موسر بخيل فدعاه بعض جيرانه وقدم اليه طباهجة ببيض فاكل منه فاكثر وجعل يشرب الما حتى انتفخ بطنه ونزل به الكرب والموت
فجعل يتلوى فلما جهده الامر وصف حاله للطبيب فقال لا باس عليك تقيا ما اكلت فقال هاه اتقيا طباهجة ببيض الموت
ولا اتقيا طباهجة ببيض. وقيل اقبل اعرابي يطلب رجلا وبين يديه تين فغطى التين بكسائه فجلس الاعرابي فقال له الرجل هل تحسن من
القران شيا فقال نعم فقرا والزيتون وطور سينين فقال الرجل فاين التين قال التين تحت كسائك. ودعا بعضهم اخا له ولم يطعمه
شيا فحبسه الى العصر حتى اشتد جوعه واخذه مثل الجنون واخذ صاحب البيت العود وقال بحياتي اي صوت تشتهي ان اسمعك قال صوت المقلى. وحكي ان محمد
بن يحيى بن خالد بن برمك كان بخيلا قبيح البخل فسئل نسيب له كان يعرفه عنه فقال له قائل صف لي مائدته فقال هي فتر في فتر وصحافه منقورة
من حب الخشخاش قال فمن يحضرها قال الكرام الكاتبون قال فما ياكل معه احد قال بلى الذباب فقال سوءة لك انت خاص به
وثوبك مخرق قال انا والله ما اقدر على ابرة اخيطه بها ولو ملك محمد بيتا من بغداد الى النوبة مملوا ابرا ثم جاءه جبريل وميكائيل
ومعهما يعقوب النبي عليه السلام يطلبون منه ابرة ويسالونه اعارتهم اياها ليخيطوا قميص يوسف الذي قد من دبر ما فعل. وقيل
كان مروان بن ابي حفصة لا ياكل اللحم بخلا فقيل له نراك لا تاكل الا الرؤوس في الصيف والشتا فلم تختاره فقال الراس اعرف سعره فآمن
خيانة الغلام ولا يستطيع ان يغبنني فيه وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر ان ياكل منه وان مس عينا او اذنا او خدا
وقفت على ذلك واكل منه الوانا عينه لونا واذنه لونا ولسانه لونا وغلصمته لونا ودماغه لونا واكفى مؤنة طبخه فقد اجتمعت لي
فيه مرافق. وخرج يوما يريد الخليفة المهدي فقالت له امراة من اهله ما لي عليك ان رجعت بالجائزة فقال ان اعطيت مائة
الف اعطيتك درهما فاعطي ستين الفا فاعطاها اربعة دوانق. واشترى مرة لحما بدرهم فدعاه صديق له فرد اللحم على
القصاب بنقصان دانق وقال اكره الاسراف. وكان للاعمش جار لا يزال يعرض عليه المنزل ويقول لو دخلت فاكلت كسرة
وملحا فيابى عليه الاعمش فعرض عليه ذات يوم فوافق جوع الاعمش فقال سر بنا فدخل منزله فقرب اليه كسرة وملحا فسال
سائل فقال له رب المنزل بورك فيك فاعاد عليه المسالة فقال له بورك فيك فلما سال الثالثة قال له اذهب والا والله خرجت
اليك بالعصا قال فناداه الاعمش وقال اذهب ويحك فلا والله ما رايت احدا اصدق مواعيد منه منذ مدة يعدني
على كسرة وملح فلا والله ما زادني عليهما

بيان الايثار وفضله

اعلم ان السخا والبخل كل واحد منهما ينقسم الى درجات
فارفع درجات السخا الايثار وهو ان يجود بالمال مع الحاجة اليه وانما السخاء عبارة عن بذل ما لا يحتاج اليه لمحتاج
او لغير محتاج والبذل مع الحاجة اشد وكما ان السخاوة قد تنتهي الى ان يسخو على غيره مع الاحتياج فالبخل قد ينتهي الى ان يبخل
على نفسه مع الحاجة فكم من بخيل يمسك المال ويمرض فلا يتداوى ويشتهي الشهوة فلا يمنعه منها الا البخل بالثمن ولو وجد
مجانا لاكله فهذا يبخل على نفسه مع الحاجة وذاك يؤثر غيره على نفسه مع الحاجة فانظر ما بين الرجلين فان الاخلاق عطايا
يضعها الله حيث يشاء وليس بعد الايثار درجة في السخا وقد اثنى الله على الصحابة رضي الله عنهم به فقال ويؤثرون على انفسهم
ولو كان بهم خصاصة الاية وقالت عائشة رضي الله عنها ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام متواليات حتى فارق الدنيا ولو شئنا
لشبعنا ولكنا كنا نؤثر على انفسنا. ونزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عند اهله شيا فدخل عليه رجل من الانصار فذهب
بالضيف الى اهله فوضع بين يديه الطعام وامر اهله باطفاء السراج وجعل يمد يده الى الطعام كانه ياكل ولا ياكل حتى اكل
الضيف الطعام فلما اصبح قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله عز وجل من صنيعكم الى ضيفكم فنزلت ويؤثرون على انفسهم
ولو كان بهم خصاصة فالسخاء خلق من اخلاق الله والايثار اعلى درجات السخاء وكان ذلك من ادب رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى سماه الله عظيما فقال وانك لعلى خلق عظيم. وقال سهل بن عبد الله رحمه الله قال موسى عليه السلام يا رب ارني بعض درجات
محمد صلى الله عليه وسلم وامته قال يا موسى انك لن تطيق ذلك ولكني اريك منزلة من منازله جليلة عظيمة فضلته بها عليك وعلى جميع خلقي
قال فكشف له عن ملكوت السماء فنظر الى منزلة كادت تتلف نفسه من انوارها وقربها من الله عز وجل قال يا رب بماذا بلغت
به الى هذه الكرامة قال بخلق اختصصته به من بينهم وهو الايثار يا موسى لا ياتيني احد منهم قد عمل به وقتا من عمره الا استحييت
من محاسبته وبواته من جنتي حيث يشاء. وقيل خرج عبد الله بن جعفر الى ضيعة له فنزل على نخيل قوم وفيها غلام اسود يعمل فيها

اذ اتى بقوته ودخل الحائط كلب ودنا من الغلام فرمى اليه الغلام بقرص فاكله ثم رمى اليه بالثاني والثالث فاكله وعبد الله ينظر فقال يا غلام كم قوتك
كل يوم قال ما رايت قال فلم اثرت هذا الكلب قال ما هي بارض كلاب انه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت رده قال فما انت صانع
اليوم قال اطوي يومي هذا فقال عبد الله بن جعفر الام على السخا ان هذا لاسخى مني فاشترى الغلام والحائط وما فيه من الالات فاعتق الغلام ووهبه
منه. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اهدي الى رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم راس شاة فقال ان اخي كان احوج مني اليه فبعث به اليه فلم يزل يبعث
به الواحد الى الاخر حتى تداوله سبعة ابيات حتى رجع الى الاول. وبات علي بن ابي طالب رضي الله عنه على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فاوحى الله تعالى
الى جبريل وميكائيل اني اخيت بينكما وجعلت عمر احدكما اطول من الاخر فايكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختار كلاهما الحياة فاوحى الله عز وجل اليهما افلا كنتما
مثل علي بن ابي طالب اخيت بينه وبين نبيي محمد صلى الله عليه وسلم فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا الى الارض فاحفظاه من عدوه
فهبطا فكان جبريل عند راسه وميكائيل عند رجليه وجبريل ينادي بخ بخ من مثلك يا ابن ابي طالب يباهي الله بك الملائكة فانزل الله تعالى ومن الناس
من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد. وعن ابي الحسن الانطاكي انه اجتمع عنده نيف وثلاثون نفسا وكانوا في قرية بقرب الري ولهم
ارغفة معدودة لم تشبع جميعهم فكسروا الرغفان واطفوا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع الطعام اذا هو بحاله لم ياكل واحد منهم شيا
ايثارا لصاحبه على نفسه. وروي ان شعبة جاءه سائل ولم يكن عنده شي فنزع خشبة من سقف بيته فاعطاه واعتذر اليه. وقال
حذيفة العدوي انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عم لي ومعي شي من ما وانا اقول ان كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه فاذا انا به
فقلت اسقيك فاشار الي ان نعم فاذا رجل يقول اه فاشار ابن عمي ان انطلق به اليه فاذا هو هشام بن العاص فقلت اسقيك فسمع
اخر فقال اه فاشار هشام ان انطلق به اليه فجئته فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات فرجعت الى ابن عمي فاذا
هو قد مات. وقال عباس بن دهقان ما خرج احد من الدنيا كما دخلها الا بشر بن الحارث الحافي فانه اتاه رجل في مرضه فشكا اليه الحاجة فنزع
قميصه فاعطاه واستعار ثوبا فمات فيه. وعن بعض الصوفية قال كنا بطرسوس فاجتمعنا جماعة وخرجنا الى باب الجهاد واذا
نحن بدابة ميتة فصعدنا الى موضع عال فقعدنا وحضر كلب فلما نظر الكلب الى الميتة رجع الى البلد ثم رجع بعد ساعة ومعه مقدار
عشرين كلبا فجاء الى تلك الميتة وقعد ناحية ووقعت الكلاب في الميتة فما زالت تاكلها وذلك الكلب قاعد حتى اكلت الميتة وبقي
العظم ورجعت الكلاب الى البلد فقام ذلك الكلب وجاء الى تلك العظام فاكل ما بقي على العظم قليلا ثم انصرف. وقد ذكرنا
جملة من اخبار الايثار واخبار الاوليا في كتاب الفقر والزهد

بيان حد السخا والبخل وحقيقتهما

لعلك تقول عرفت بشواهد الشرع ان البخل من المهلكات ولكن ما حد البخل وبماذا يصير الانسان بخيلا وما من انسان
الا وهو يرى نفسه سخيا وربما يراه غيره بخيلا وقد يصدر فعل من انسان يختلف فيه الناس فيقول قوم هذا بخل ويقول
اخرون ليس هذا من البخل وما من انسان الا ويجد في نفسه حب المال ولاجله يحفظ المال ويمسكه فان كان يصير بامساك المال بخيلا
فاذا لا ينفك احد عن البخل واذا كان الامساك مطلقا لا يوجب البخل ولا معنى للبخل الا الامساك فما البخل الذي يوجب
الهلاك وما حد السخا الذي يستحق به العبد صفة السخاوة وثوابها. فنقول قد قال قائلون حد البخل منع الواجب فكل
من ادى ما يجب عليه فليس ببخيل وهذا غير كاف فان من يرد اللحم الى القصاب والخبز الى الخباز لنقصان حبة او نصف حبة فانه يعد
بخيلا بالاتفاق وكذلك من يسلم الى عياله القدر الذي يفرضه القاضي ثم يضايقهم في لقمة ازدادوها عليه او تمرة اكلوها من ماله عد
بخيلا ومن كان بين يديه رغيف فحضر من يظن انه ياكل معه فاخفاه عنه عد بخيلا. وقال قائلون البخيل هو الذي يستصعب
العطية القليلة كالحبة وما يقرب منها ويستضعف ما فوقها وان اريد به ان يستصعب بعض العطايا فما من جواد الا وقد يستصعب
بعض العطايا وهو ما يستغرق جميع ماله او المال العظيم وهذا لا يوجب الحكم بالبخل. وكذلك تكلموا في الجود فقيل الجود عطاء بلا
من واسعاف من غير روية وقيل الجود عطاء من غير مسالة على رؤية التقليل وقيل الجود عطاء من غير مسالة السرور بالسائل والفرح بالعطاء ما
امكن وقيل الجود على رؤية المال لله والعبد لله فيعطي عبد الله مال الله من غير رؤية الفقر وقيل من اعطى البعض وابقى البعض فهو
صاحب سخا ومن بذل الاكثر وابقى لنفسه شيا فهو صاحب جود ومن قاسى الضراء واثر غيره بالبلغة فهو صاحب ايثار ومن لم
يبذل شيا فهو صاحب بخل. وجملة هذه الكلمات غير محيطة بحقيقة الجود والبخل بل نقول المال خلق لحكمة ومقصود وهو صلاحه
لحاجات الخلق ويمكن امساكه عن الصرف الى ما خلق الصرف اليه ويمكن بذله بالصرف الى ما لا يحسن الصرف اليه ويمكن التصرف فيه بالعدل وهو
ان يحفظ حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب البذل فالامساك حيث يجب البذل بخل والبذل حيث يجب الامساك تبذير وبينهما وسط
وهو المحمود وينبغي ان يكون السخا والجود عبارة عنه اذ لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بالسخا وقيل له ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط الاية وقال تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما فالجود وسط بين الاقتار والاسراف وبين
البسط والقبض وهو ان يقدر بذله وامساكه بقدر الواجب ولا يكفي ان يفعل ذلك بجوارحه ما لم يكن قلبه طيبا به غير منازع له
فيه فان بذل في محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يصابرها فهو متسخ وليس بسخي بل ينبغي ان لا يكون لقلبه علاقة مع المال
الا من حيث يراد المال له وهو صرفه الى ما يجب صرفه اليه.

فان قلت

فقد صار هذا موقوفا على معرفة الواجب فما الذي يجب
بذله فاقول ان الواجب قسمان واجب بالشرع وواجب بالمروة والعادة والسخي هو الذي لا يمنع واجب الشرع ولا واجب المروة
فان منع واحدا منهما فهو بخيل ولكن الذي يمنع اداء الزكاة ويمنع عياله واهله النفقة او يؤديها ولكن يشق عليه فانه بخيل بالطبع
وانما يتسخى بالتكلف او الذي يتيمم الخبيث من ماله ولا يطيب نفسه ان يعطي من اطيب ماله او من وسطه فهذا كله بخل
واما واجب المروة فهو ترك المضايقة والاستقصاء في المحقرات فان ذلك مستقبح واستقباح ذلك يختلف بالاحوال

والاشخاص فمن كثر ماله يستقبح منه ما لا يستقبح من الفقير من المضايقة ويستقبح من الرجل من المضايقة مع اهله واقاربه ومماليكه ما لا يستقبح من الاجانب ويستقبح مع الجار ما لا يستقبح اقل منه في المبايعه والمعاملة فيختلف ذلك بما فيه من المضايقه من ضيافة او معاملة وبما به المضايقه من طعام او ثوب اذ يستقبح في الاطعمة ما لا يستقبح في غيرها ويستقبح في شراء الكفن مثلا او شراء الاضحية او شراء خبز الصدقة ما لا يستقبح في غيره من المضايقه وكذلك يختلف بمن معه المضايقه من صديق واخ وقريب وزوجة وولد واجنبي فكذلك يختلف ايضا بمن منه المضايقه من صبي او امراة وشيخ وشاب وعالم وجاهل وموسر وفقير والبخيل هو الذي يمنع حيث ينبغي ان لا يمنع اما بحكم الشرع واما بحكم المروه وذلك لا يمكن التنصيص على مقداره ولعل حد البخل هو امساك المال عن غرض ذلك الغرض هو اهم من حفظ المال فان صيانة الدين اهم من صيانة المال فمانع الزكاة والنفقة بخيل وصيانة المروة اهم من حفظ المال والمضايق في الدقايق مع من لا يحسن المضايقه معه هاتك ستر المروة بحب المال فهو بخيل ثم تبقى درجة اخرى وهو ان يكون الرجل ممن يودي الواجب ويحفظ المروه ولكن معه مال كثير قد جمعه وليس يصرفه الى الصدقات والى المحتاجين فقد تقابل غرض حفظ المال ليكون عدة على نوايب الزمان وغرض الثواب ليكون رافعا للدرجات في الاخره وامساك المال عن هذا الغرض بخل عند الاكياس وليس بخلا عند عوام الخلق وذلك لان العوام نظرهم مقصور على حظوظ الدنيا فيرون امساكه لدفع نوايب الزمان مهما وربما يظهر عند العوام ايضا سمة البخل عليه ان كان في جواره محتاج فمنعه وقال قد اديت الزكاة الواجبة وليس علي غيرها ويختلف استقباح ذلك باختلاف مقدار ماله وباختلاف شدة حاجة المحتاج وصلاحه ودينه واستحقاقه فمن ادى واجب الشرع وواجب المروه اللايقة به فقد تبرا من البخل نعم لا يتصف بصفة الجود والسخا ما لم يبذل زيادة على ذلك لطلب الفضيله ونيل الدرجات فاذا اتسعت نفسه لبذل المال حيث لا يوجبه الشرع ولا يتوجه اليه الملامة في العاده فهو جواد بقدر ما تتسع له نفسه من قليل او كثير ودرجات ذلك لا تحصر في العاده وبعض الناس اجود من بعض واصطناع المعروف وراء ما توجبه العاده والمروه هو الجود ولكن بشرط ان يكون عن طيبة نفس ولا يكون عن طمع ورجاء خدمة او مكافاة او شكر او ثناء فان من طمع في الشكر والثنا فهو بياع وليس بجواد فانه يشتري المدح بماله والمدح لذيذ وهو مقصود في نفسه والجود هو بذل الشي من غير عوض هذا هو الحقيقة ولا يتصور ذلك الا من الله تعالى واما الادمي فاسم الجود عليه مجاز اذ لا يبذل الشي الا لغرض ولكنه اذا لم يكن غرضه الا الثواب في الاخره واكتساب فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذالة البخل سمي جوادا وان كان الباعث عليه الخوف من الهجا مثلا او من ملامة الخلق او ما يتوقعه من نفع ينال المنعم عليه فكل ذلك ليس من الجود لانه مضطر اليه بهذه البواعث وهي اغراض معجلة له عليها فهو معتاض لا جواد كما روي عن بعض المتعبدات انها دخلت على حبان بن هلال وهو جالس مع اصحابه فقالت هل فيكم من اساله عن مسئلة فقالوا لها سلي ما شيت واشاروا الى حبان بن هلال فقالت ما السخاء عندكم قالوا العطاء والبذل والايثار قالت هذه السخاء في الدنيا فما السخاء في الدين قالوا ان نعبد الله سبحانه وتعالى انفسنا غير مكرهة قالت فتريدون على ذلك اجرا قالوا نعم قالت ولم قالوا لان الله وعدنا بالحسنة عشرا قالت سبحان الله فاذا اعطيتم واحدة واخذتم عشرة فباي شي تسخيتم عليه قالوا فما السخاء عندك يرحمك الله قالت السخاء عندي ان تعبدوا الله متنعمين متلذذين بطاعته غير كارهين لا تريدون على ذلك اجرا حتى يكون مولاكم يفعل بكم ما يشاء الا تستحيون من الله ان يطلع على قلوبكم فيعلم منها انكم تريدون شيا بشي ان هذا في الدنيا قبيح **وقالت بعض المتعبدات** اتحسبون ان السخا في الدرهم والدينار فقط قيل ففيم قالت السخاء عندي في المهج وقال الحرث المحاسبي السخاوه في الدين ان تسخو بنفسك لله عز وجل ويسخو قلبك ببذل مهجتك واهراق دمك لله عز وجل بسماحة من غير اكراه لا تريد بذلك ثوابا عاجلا ولا اجلا وان كنت غير مستغن عن الثواب ولكن يغلب على قلبك حسن كمال السخا بترك الاختيار على الله تعالى حتى يكون هو الذي يفعل لك ما لا تحسن اختياره لنفسك

بيان علاج البخل

اعلم ان البخل سببه حب المال ولحب المال سببان احدهما حب الشهوات التي لا وصول اليها الا بالمال مع طول الامل فان الانسان لو علم انه يموت بعد يوم ربما كان لا يبخل بماله اذ القدر الذي يحتاج اليه في يوم او في شهر او في سنة قريب وان كان قصير الامل ولكن كان له اولاد قام الاولاد مقام طول الامل فانه يقدر بقاءهم كبقاء نفسه فيمسك لاجلهم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الولد مبخلة مجبنة مجهلة فاذا انضاف الى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بمجي الرزق قوي البخل لا محالة السبب الثاني ان يحب عين المال فمن الناس من معه ما يكفيه لبقية عمره اذا اقتصر على ما جرت به العادة في نفقته ويفضل الاف وهو شيخ بلا ولد ومعه اموال كثيره ولا تسمح نفسه باخراج الزكاة ولا بمداواة نفسه عند المرض بل صار محبا للدنانير عاشقا لها يلتذ بوجودها في يده وبقدرته عليها فيكنزها تحت الارض وهو يعلم انه يموت فتضيع او ياخذها اعداوه ومع ذلك فلا تسمح نفسه ان ياكل او يتصدق وهذا مرض للقلب عظيم ومثاله مثال رجل عشق شخصا فاحب رسوله لنفسه ثم نسي محبوبه واشتغل برسوله فان الدنانير رسول يبلغ الى الحاجات فصارت محبوبة واشتغل برسوله فان الدنانير لذ الالات الموصل الى اللذايذ لذيذ ثم قد ينسي الحاجات ويصير الذهب كانه محبوب في نفسه وهو غاية الضلال بل من راى بينه وبين الحجر فرقا فهو جاهل الا من حيث قضاء الحاجة به والفاضل عن قدر الحاجة والحجر بمثابة واحدة فهذه اسباب حب المال وانما علاج كل علة بمضادة سببها فيعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير وبالصبر ويعالج طول الامل بكثرة ذكر الموت والنظر في موت الاقران وان الذي خلقه خلق معه رزقه وكم من ولد لم يرث من ابيه مالا وحاله احسن من حال من ورث وبان يعلم انه يجمع المال لولده يريد ان يترك ولده بخير وينقلب هو الى شر وان ولده ان كان تقيا صالحا فالله يكفيه وان كان فاسقا فلا يستعين بماله على المعصية وترجع مظلمته اليه ويعالج ايضا قلبه بكثرة التامل في الاخبار الواردة في ذم البخل ومدح السخا وما توعد الله به على البخل من العذاب العظيم ومن الادوية النافعة كثرة التامل في احوال البخلا ونفرة الطبع عنهم واستقباحهم فانه ما من بخيل الا ويستقبح البخل من غيره ويستثقل كل بخيل من اصحابه فيعلم انه مستثقل مستقذر في قلوب الناس مثل ساير البخلا في قلبه ويعالج ايضا قلبه بان يتفكر في مقاصد المال وانه لماذا خلق فلا يحفظ من المال الا بقدر حاجته والباقي يدخره لنفسه بان يدخر ثواب بذله

فهذه ادوية من جهة المعرفة والعلم فاذا عرف بنور البصيرة ان البذل خير له من الامساك في الدنيا والاخرة هاجت رغبته في البذل ان كان عاقلا فان تحركت الداعية فينبغي ان يجتنب الخاطر الاول ولا يتوقف لان الشيطان يعده الفقر ويخوفه ويصده عنه كان الشيخ ابو الحسن البوشنجي في الخلا فدعا تلميذا له فقال انزع عني القميص وادفعه الى فلان فقال هلا صبرت حتى تخرج قال لم امن على نفسي ان تتغير وكان قد خطر له بذله ولا تزول صفة البخل الا بالبذل تكلفا كما لا يزول العشق الا بمفارقة المعشوق بالسفر عن مستقره حتى اذا سافر وفارق تكلفا وصبر عنه مدة تسلى عنه قلبه فكذلك الذي يريد علاج البخل ينبغي ان يفارق المال تكلفا بان يبذله بل لو رماه في الماء كان اولى به من امساكه مع الحب له ومن لطايف الحيل فيه ان يخدع نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالسخا فيبذل على قصد الريا حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا في حشمة الجود فيكون قد ازال عن نفسه خبث البخل واكتسب خبث الريا ولكن ينعطف بعد ذلك على الريا ويزيله بعلاجه ويكون طلب الاسم كالتسلية للنفس عند فطامها عن المال كما قد يسلى الصبي عند الفطام عن الثدي باللعب بالعصافير وغيرها لا ليخلى واللعب ولكن لينفك عن الثدي اليه ثم ينقل عنه الى غيره فكذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغي ان يسلط بعضها على بعض كما تسلط الشهوة على الغضب ويكسر سورته بها ويسلط الغضب على الشهوة ويكسر رعونتها به الا ان هذا مفيد في حق من كان البخل اغلب عليه من حب الريا والجاه فيبدل الاقوى بالاضعف فان كان الجاه محبوبا عنده كالمال فلا فايدة فيه فانه يقلع علة ويزيد في الاخرى الا ان علامة ذلك ان لا يثقل عليه البذل لاجل الريا فبذلك يتبين ان الريا اغلب عليه وان كان البذل يشق عليه مع الريا فينبغي ان يبذل فان ذلك يدل على ان مرض البخل اغلب على قلبه ومثال دفع بعض هذه الصفات ببعض ما يقال ان الميت تستحيل جميع اجزايه دودا ثم ياكل بعضها بعضا حتى يرجع الى اثنتين قويتين ثم لا يزالان يتقاتلان حتى تغلب احداهما الاخرى فتاكلها وتسمن بها ثم لا تزال تبقى جايعة حتى تموت فكذلك هذه الصفات الخبيثة يمكن ان يسلط بعضها على بعض حتى تقمعها فيجعل الاضعف قوتا للاقوى الى ان لا يبقى الا واحدة ثم تقع العناية بمحوها واذابتها بمنع القوت عنها فانها تقتضي لا محالة اعمالا فاذا خولفت خمدت الصفات وماتت مثل البخل فانه يقتضي امساك المال فاذا منع مقتضاه وبذل المال مع الجهد مرة بعد اخرى ماتت صفة البخل وصارت صفة البذل طبعا وسقط التعب فيه فاذا علاج البخل بالعلم والعمل فالعلم يرجع الى معرفة افة البخل وفايدة الجود والعمل يرجع الى البذل على سبيل التكلف ولكن قد يقوى البخل بحيث يعمي ويصم فيمنع تحقق المعرفة بافاته واذا لم تتحقق المعرفة لم تتحرك الرغبة ولم يتيسر العمل فتبقى العلة مزمنة كالمرض الذي يمنع معرفة الدواء وامكان استعماله فانه لا حيلة فيه الا الصبر الى الموت **وكان** بعض الشيوخ من الصوفية في معالجة علة البخل في المريدين ان يمنعهم من الاختصاص بزاويتهم وكان اذا توهم في مريد فرحه بزاويته وما فيها نقله الى زاوية غيره ونقل غيره الى زاويته واخرجه من جميع ما ملكه واذا راه يلتفت الى ثوب جديد يلبسه او سجادة يفرح بها يامره بتسليمها الى غيره ويلبسه ثوبا خلقا لا يميل اليه قلبه فبهذا يتجافى القلب عن متاع الدنيا فمن لم يسلك هذا السبيل انس بالدنيا واحبها فان كان له الف متاع كان له الف محبوب ولذلك اذا سرق واحد منه اصيب بمصيبته بقدر حبه له فاذا مات نزلت به الف مصيبة دفعة واحدة لانه كان يحب الكل وقد سلب عنه بل هو في حياته على خطر المصيبة بالفقد والهلاك **وحمل الى بعض الملوك** قدح من فيروزج مرصع بالجواهر لم ير له نظير ففرح الملك بذلك فرحا شديدا فقال لبعض الحكماء عنده كيف ترى هذا قال اراه مصيبة او فقرا قال وكيف قال ان انكسر كان مصيبة لا جبر لها وان سرق صرت فقيرا اليه ولم تجد مثله وقد كنت قبل ان حمل اليك في امن من المصيبة والفقر ثم اتفق ان انكسر يوما وعظمت مصيبة الملك فيه فقال صدق الحكيم ليته لم يحمل الينا وهذا بيان جميع اسباب الدنيا فان الدنيا عدوة لاعداء الله اذ تسوقهم الى النار وعدوة اولياء الله اذ تغمهم بالصبر عنها وعدوة الله اذ تقطع طريقه على عباده وعدوة نفسها فانها تاكل نفسها فان المال لا يحفظ الا بالخزاين والحراس والخزاين والحراس لا يمكن تحصيلها الا بالمال وهو بذل الدراهم والدنانير فالمال ياكل نفسه ويضاد ذاته حتى يفنى ومن عرف افة المال لم يانس به ولم ياخذ منه الا قدر حاجته ومن قنع بقدر الحاجة فلا يبخل لان ما امسكه لحاجته فليس ببخيل وما لا يحتاج اليه فليس يتعب نفسه بحفظه فيبذله بل هو كالماء على شاطي دجلة اذ لا يبخل احد به لقناعة الناس منه بقدر الحاجة

بيان مجموع الوظايف التي على العبد في ماله

اعلم ان المال كما وصفناه خير من وجه وشر من وجه ومثاله مثال حية ياخذها الراقي ويستخرج الترياق ويأخذها الغافل فيقتله

سمها من حيث لا يدري ولا ينجو احد عن سم المال الا بالمحافظة على خمس وظايف • الاولى ان يعرف مقصود المال وانه لماذا
خلق وانه لم يحتاج اليه حتى لا يكتسب ولا يحفظ الا قدر الحاجة فلا يعطيه من همه فوق ما يستحقه • الثانيه ان يراعي جهة
دخل المال فيجتنب الحرام المحض وما الغالب عليه الحرام كمال السلاطين ويجتنب الجهات المكروهة القادحة في المروه كالهدايا التي
فيها شوايب الرشوه وكالسوال الذي فيه الذل وهتك المروه وما يجري مجراه • الثالثه في المقدار الذي يكتسبه فلا يستكثر منه
ولا يستقل بل القدر الواجب ومعياره الحاجة والحاجة ملبس • ومسكن • ومطعم ولكل واحد ثلث درجات ادنى
واوسط واعلى وما دام مايلا الى جانب القلة ومتقربا من حد الضروره كان محقا ومن جملة المحقين وان جاوز وقع
في الهاوية • الرابعة ان يراعي جهة الخرج ويقتصد في الانفاق غير مبذر ولا مقتر كما ذكرناه فيضع ما اكتسبه من حله في حقه
ولا يضعه في غير حقه فان الاثم في الاخذ من غير حقه والوضع في غير حقه سواء • الخامسة ان يصلح نيته في الاخذ والترك
والانفاق والامساك فياخذ ما ياخذ ليستعين به على العبادة ويترك ما يترك زهدا فيه واستحقارا له واذا فعل ذلك
كله لم يضره وجود المال قال علي رضه لو ان رجلا اخذ جميع ما في الارض واراد به وجه الله تعالى فهو زاهد ولو ترك الجميع ولم يرد به وجه
الله فهو ليس بزاهد فلتكن حركاتك وسكناتك مقصورة على عبادة او على ما يعين على العبادة فان ابعد الحركات عن
العبادة الاكل وقضاء الحاجة وهما يعينان على العبادة فان كان ذلك قصدك بهما صارتا عبادة في حقك وكذلك ينبغي ان
تكون نيتك في كل ما يحفظك من قميص وازار وفراش وانية لان كل ذلك مما يحتاج اليه في الدين وما فضل عن الحاجة ينبغي ان يقصد
به ان ينتفع به عبد من عباد الله فلا يمنعه منه عند حاجته فمن فعل ذلك فهو الذي اخذ من حية المال جوهرها وترياقها واتقى
سمها فلا يضره كثرة المال ولكن لا يتاتى ذلك الا لمن رسخ في الدين قدمه وعظم فيه علمه والعامي اذا تشبه بالعالم
في الاستكثار من المال وزعم انه يشبه اغنياء الصحابة شبه الصبي الذي يرى المعزم الحاذق ياخذ الحية ويتصرف فيها
ليخرج ترياقها فيقتدي به ويظن انه اخذها مستحسنا صورتها وشكلها ومستلينا جلدها فاخذها اقتداء به فتقتله
في الحال الا ان قتيل الحية يدري انه قتيل وقتيل المال قد لا يعرف وقد شبهت الدنيا بالحية وقيل
هي الدنيا تشبه حية تنفث السم وان كانت المجسة لانت وكما يستحيل ان يتشبه الاعمى بالبصير في تخطي قلل الجبال
واطراف البحار والطرق المشوكة فمحال ان يتشبه العامي بالعالم الكامل في تناول المال

بيان ذم الغنى ومدح الفقر

اعلم ان الناس قد اختلفوا في تفضيل الغني الشاكر على الفقير الصابر وقد اوردنا ذلك في كتاب الفقر والزهد وكشفنا عن تحقيق الحق
فيه ولكنا في هذا الكتاب ندل على ان الفقر افضل واعلى من الغنى على الجملة من غير التفات الى تفاصيل الاحوال ونقتصر فيه على حكاية
فصل ذكره المحاسبي في بعض كتبه في الرد على بعض العلماء من الاغنياء حيث احتج باغنياء الصحابة وبكثرة مال عبد الرحمن
ابن عوف وشبه نفسه بهم والحرث المحاسبي خير الامة في علم المعاملة وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس
وافات الاعمال واغوار العبادات وكلامه جدير بان يحكى على وجهه وقد قال بعد كلام له في الرد على العلماء
بلغنا ان عيسى عم ابن مريم عم قال يا علماء السوء تصومون وتصلون وتتصدقون ولا تفعلون ما تؤمرون وتدرسون
ما لا تعملون فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول والاماني وتعملون بالهوى وما يغني عنكم ان تنقوا جلودكم وقلوبكم
دنسة بحق اقول لكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى فيه النخالة فكذلك انتم تخرجون الحكم من افواهكم
ويبقى الغل في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الاخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق اقول لكم ان
قلوبكم تبكي من اعمالكم جعلتم الدنيا تحت السنتكم والعمل تحت اقدامكم بحق اقول لكم افسدتم اخرتكم فصلاح الدنيا احب
اليكم من صلاح الاخرة فاي الناس اخسر منكم لو تعلمون • ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون في محل المتحيرين
كانكم تدعون اهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم ان يوضع السراج فوق ظهره وجوفه
وحش مظلم كذلك لا يغني عنكم ان يكون نور العلم بافواهكم واجوافكم منه وحشة معطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد اتقياء
ولا احرار كرام يوشك الدنيا ان تقلعكم عن اصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تاخذ خطاياكم بنواصيكم
ثم يدفعكم العلم من خلفكم حتى يسلمكم الى الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم على سواتكم ثم يجزيكم بسوء اعمالكم ثم قال الحرث
المحاسبي اخواني فهؤلاء علماء السوء شياطين الانس وفتنة على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفعتها واثروها على الاخرة
واذلوا الدين للدنيا فهم في العاجلة عار وشين وفي الاخرة هم الخاسرون او يعفو الكريم بفضله وبعد

فاني رايت الهالك المؤثر للدنيا سروره ممزوج بالتنغيص فتتفجر عنه انواع الهموم وفنون المعاصي والى التلف والبوار
مصيره فرح الهالك برجائه فلم تبق له دنيا ولم يسلم له دينه خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين فيا لها
من مصيبة ما افظعها ومن رزية ما اجلها الا فراقبوا الله اخواني ولا يغرنكم الشيطان واولياؤه من الانسين بالحجج
الداحضة عند الله فانهم يتكالبون على الدنيا ثم يطلبون لانفسهم المعاذير والحجج ويزعمون ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
كانت لهم اموال فيتزين المغترون بذكر الصحابة ليعذرهم الناس على جمع المال ولقد دهاهم الشيطان وما يشعرون
ويحك ايها المفتون ان احتجاجك بمال عبد الرحمن بن عوف مكيدة من الشيطان ينطق بها على لسانك لتهلك لانك متى
زعمت ان اخيار الصحابة ارادوا المال للتكاثر والشرف والزينة فقد اغتبت السادة ونسبتهم الى امر عظيم ومتى
زعمت ان اخذ المال الحلال اعلى وافضل من تركه ازريت بمحمد صلى الله عليه وسلم والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ونسبتهم الى قلة
الرغبة والزهد في هذا الخير الذي رغبت فيه انت واصحابك من جمع المال ونسبتهم الى الجهل اذ لم يجمعوا المال كما جمعت
ومتى زعمت ان جمع المال الحلال اعلى من تركه فقد زعمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينصح للامة اذ نهاهم عن
جمع المال وقد علم ان جمع المال خير للامة فقد غشهم بزعمك حين نهاهم عن جمع المال كذبت ورب السماء على رسول الله
صلى الله عليه وسلم لقد كان للامة ناصحا وعليهم مشفقا وبهم رؤوفا نعم ومتى زعمت ان جمع المال الحلال افضل فقد
زعمت ان الله تعالى لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم ان جمع المال خير لهم او زعمت ان الله لم يعلم ان الفضل
في الجمع ولذلك نهاهم عنه وانت عليم بما في المال من الخير والفضل ولذلك رغبت في الاستكثار كانك اعلم بموضع
الفضل والخير من ربك تعالى الله عن جهلك ايها المفتون تدبر ما دهاك به الشيطان حين زين لك الاحتجاج بمال
الصحابة ويحك وما ينفعك الاحتجاج بمال عبد الرحمن بن عوف وقد ود ابن عوف في القيامة انه لم يؤت
من الدنيا الا قوتا ولقد بلغني انه لما توفي عبد الرحمن بن عوف فيما ترك فقال كعب سبحان الله وما تخافون
على عبد الرحمن كسب طيبا وانفق طيبا وترك طيبا فبلغ ذلك ابا ذر الغفاري رضه فخرج مغضبا يريد كعبا فمر بلحي
بعير فاخذه بيده ثم انطلق يطلب كعبا فقيل لكعب ان ابا ذر يطلبك فخرج هاربا حتى دخل على عثمان رضه يستغيث
به واخبره الخبر فاقبل ابو ذر يقتص الاثر في طلب كعب حتى انتهى الى دار عثمان فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربا
من ابي ذر فقال له ابو ذر هيه يا ابن اليهودية تزعم لا باس بما ترك عبد الرحمن بن عوف ولقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوما نحو احد وانا معه فقال يا ابا ذر فقلت لبيك يا رسول الله فقال الاكثرون هم الاقلون يوم القيامة الا من قال هكذا وهكذا
عن يمينه وشماله وقدامه وخلفه وقليل ما هم ثم قال يا ابا ذر قلت نعم يا رسول الله بابي انت وامي قال ما يسرني ان لي مثل
احد انفقه في سبيل الله اموت يوم اموت واترك منه قيراطين ثم قال يا ابا ذر وانت تريد الاكثر وانا اريد الاقل
ورسول الله يريد هذا وانت تقول يا ابن اليهودية لا باس بما ترك عبد الرحمن بن عوف كذبت وكذب من قال فلم يرد عليه خوفا
حتى خرج وبلغنا ان عبد الرحمن بن عوف رضه قدم عليه عير من اليمن فضجت المدينة ضجة واحدة فقالت عايشه
ما هذا فقالوا عير قدمت لعبد الرحمن بن عوف قالت صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك عبد الرحمن فسالها فقالت سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اني رايت الجنة فرايت فقراء المهاجرين والمسلمين يدخلون سعيا ولم ار احدا من الاغنياء يدخلها معهم الا
عبد الرحمن بن عوف رايته يدخلها معهم حبوا فقال عبد الرحمن بن عوف ان العير وما عليها في سبيل الله وان ارقاءها احرار
لعلي ادخلها معهم سعيا وبلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن بن عوف اما انك اول من يدخل الجنة
من اغنياء امتي وما كدت ان تدخلها الا حبوا ويحك ايها المفتون فما احتجاجك بالمال وهذا عبد الرحمن
في فضله وتقواه وصنايعه المعروف وبذله الاموال في سبيل الله مع صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبشراه بالجنة يوقف في عرصات
القيمة واهوالها بسبب مال كسبه من حلال للتعفف وصنايع المعروف وانفق قصدا واعطى في سبيل الله سخاء منع من
السعي الى الجنة مع الفقراء المهاجرين وصار يحبو في اثارهم حبوا فما ظنكم بامثالنا الغرقى في فتن الدنيا فيحتج
بعبد الرحمن بن عوف ويزعم اني جمعت المال وقد جمعه الصحابة كانك اشبهت السلف وفعلهم ويحك ان هذا
من قياس ابليس ومن فتياه لاوليائه وساصف لك احوالك واحوال السلف لتعرف فضايحك وفضايل
الصحابة ولعمري لقد كان لبعض الصحابة اموال ارادوها للتعفف والبذل في سبيل الله فكسبوا حلالا واكلوا

طيبا وانفقوا قصدا وقدموا فضلا ولم يمنعوا منها حقا ولم يبخلوا بها لكنهم جادوا لله بالكثرة وجاد بعضهم بجميعها
وفي الشدة اثروا الله على انفسهم كثيرا فبالله اكذلك انت والله انك لبعيد الشبه بالقوم **وبعد** فان اخيار
الصحابة كانوا للمسكنة محبين ومن خوف الفقر امنين وبالله في ارزاقهم واثقين وبمقادير الله مسرورين
وفي البلاء راضين وفي الرخاء شاكرين وفي الضراء صابرين وفي السراء حامدين وكانوا لله متواضعين وعن
حب العلو والتكاثر ورعين لم ينالوا من الدنيا الا المباح لهم ورضوا بالبلغة منها وزجوا الدنيا وصبروا على مكارهها
وتجرعوا مرارتها وزهدوا في نعيمها وزهرتها فبالله اكذلك انت **ولقد بلغنا** انهم كانوا اذا اقبلت الدنيا
عليهم حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته من الله واذا راوا الفقر مقبلا قالوا مرحبا بشعار الصالحين **وبلغنا**
ان بعضهم كان اذا اصبح وعند عياله شيء اصبح كئيبا حزينا واذا لم يكن عندهم شيء اصبح فرحا مسرورا فقيل له ان الناس
اذا لم يكن عندهم شيء حزنوا واذا كان عندهم شيء فرحوا وانت لست كذلك فقال اني اذا اصبحت وليس عند عيالي شيء فرحت
اذ كانت لي بمحمد صلى الله عليه وسلم اسوة واذا اصبحت وعند عيالي شيء اغتممت اذ لم يكن لي بال محمد اسوة **وبلغنا**
انهم كانوا اذا سلك بهم سبيل الرخاء حزنوا واشفقوا وقالوا ما لنا وللدنيا وما يراد بها فكانهم كانوا على جناح خوف
واذا سلك بهم سبيل البلاء فرحوا واستبشروا وقالوا الان تعاهدنا ربنا فهذه احوال السلف ونعتهم وفيهم من الفضل اكثر
مما ذكرنا فبالله اكذلك انت انك لبعيد الشبه بالقوم **وساصف لك** ايها المفتون احوالك من احوالهم وذلك انك
تطغى عند الغنا وتبطر عند الرخا وتمرح عند السراء وتغفل عن شكر ذي النعماء وتقنط عند الضراء وتسخط عند البلاء
ولا ترضى بالقضا نعم وتبغض الفقر وتانف من المسكنة وذلك فخر المرسلين وانت تانف من فخرهم وتدخر المال
وتجمعه خوفا من الفقر وذلك من سوء الظن بالله عز وجل وقلة اليقين بضمانه وكفى به اثما وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها
وشهواتها ولذاتها **وبلغنا** ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليجيئن يوم القيامة قوم يطلبون حسنات لهم فيقال
لهم اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها وانت في غفلة فقد حرمت نعيم الاخرة بسبب نعيم الدنيا فيا لها حسرة
ومصيبة نعم وعساك تجمع المال للتكاثر والعلو والفخر والزينة في الدنيا **وبلغنا** ان من طلب الدنيا للتكاثر بها
لقي الله وهو عليه غضبان وانت غير مكترث بما حل بك من غضب الله حين اردتها للتكاثر والعلو نعم وعساك ان
المكث في الدنيا احب اليك من الانتقال الى جوار الله فانت تكره لقاء الله والله للقائك اكره وانت في غفلة
وعساك تاسف على ما فاتك من عرض الدنيا **وقد بلغنا** ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اسف على دنيا فاتته اقترب
من النار مسيرة سنة وانت تاسف على ما فاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله نعم ولعلك تخرج من
دينك احيانا لتوفير دنياك وتفرح باقبال الدنيا عليك وترتاح لذلك سرورا **وقد بلغنا** ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من احب الدنيا وسر بها ذهب خوف الاخرة من قلبه **وبلغنا** ان بعض اهل العلم قال انك تحاسب
على الحزن على ما فاتك من الدنيا وتحاسب بفرحك في الدنيا اذا قدرت عليها وانت فرح بدنياك وقد سلبت الخوف
من الله وعساك تعنى بامور الدنيا اضعاف ما تعنى بامور اخرتك وعساك مصيبتك في معاصيك اهون
عليك من مصيبتك في انتقاص دنياك نعم وخوفك من ذهاب مالك اكثر من خوفك من الذنوب وعساك
تبذل للناس ما جمعت من الاوساخ كلها للعلو والرفعة في الدنيا وعساك ترضي المخلوقين بساخط الله كيما
تكرم وتعظم ويحك فكان احتقار الله لك يوم القيامة اهون عليك من احتقار الناس اياك وعساك تخفي من
المخلوقين سيئاتك ولا تكترث باطلاع الله عليك فيها فكان الفضيحة عند الله اهون عليك من الفضيحة عند
الناس وكان العبيد اعلى قدرا عندك من الله تعالى عن جهلك فكيف تنطق عند ذوي الالباب وهذه المثالب فيك اف
لك متلوث في الاقذار وتحتج بمال الابرار هيهات ما ابعدك من السلف والله لقد بلغني انهم كانوا
فيما احل لهم ازهد منكم فيما حرم عليكم ان الذي لا باس به عندكم كان كالموبقات عندهم وكانوا للزلة الصغيرة اشد
استعظاما منكم لكبائر المعاصي فليت اطيب مالك واحله مثل شبهات اموالهم وليتك اشفقت من سيئاتك كما
اشفقوا من حسناتهم ان لا تقبل ليت صومك مثل افطارهم وليت اجتهادك في العبادة على مثل فتورهم ونومهم
وليت جميع حسناتك مثل واحدة من حسناتهم **وقد بلغني** عن بعض الصحابة رضي الله عنه قال غنيمة الصديقين ما فاتهم

من الدنيا ونعيمها ما زوي عنهم منها فمن لم يكن كذلك فليس معهم في الدنيا ولا معهم في الاخرة فسبحان الله كم بين الفريقين
من التفاوت فريق خيار الصحابة في العلو عند الله تعالى وفريق امثالكم في السفالة او يعفو الله الكريم بفضله **وبعد**
فان زعمت بانك متاس بالصحابة بجمع المال للتعفف والبذل في سبيل الله فتدبر امرك **ويحك** هل تجد الحلال في دهرك
كما وجدوا في دهرهم او تحسب انك محتاط في طلب الحلال كما احتاطوا **لقد بلغني** ان بعض الصحابة رضي الله عنه قال كنا ندع سبعين بابا
من الحلال مخافة ان نقع في باب من الحرام افتطمع نفسك في مثل هذا الاحتياط لا ورب الكعبة ما احسبك كذلك ويحك
كن على يقين ان جمع المال لاعمال البر مكر من الشيطان ليوقعك بسبب البر في اكتساب الشبهات الممزوجة بالسحت والحرام
وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اجترى على الشبهات اوشك ان يقع في الحرام **ايها المغرور** اما علمت ان
ان خوفك من اقتحام الشبهات اعلى وافضل واعظم لقدرك عند الله تعالى من اكتساب الشبهات وبذلها في سبيل الله تعالى
وسبيل البر بلغنا ذلك عن بعض اهل العلم قال لان ادع درهما واحدا مخافة ان لا يكون حلالا خير من ان تصدق بالف
دينار من شبهة لا تدري ايحل لك ام لا فان زعمت انك اتقى واورع من ان تلتبس بالشبهات وانما تجمع المال بزعمك من الحلال
للبذل في سبيل الله ويحك ان كنت كما زعمت بالغا في الورع فلا تتعرض للحساب فان خيار الصحابة خافوا المسايلة
بلغنا ان بعض الصحابة رضي الله عنه قال ما سرني ان اكتسب كل يوم الف دينار من حلال وانفقها في طاعة الله ولم يشغلني
الكسب عن صلاة الجماعة قالوا ولم ذلك يرحمك الله قال لاني غني عن مقام يوم القيامة فيقول عبدي من اين اكتسبت وفي
اي شيء انفقت فهؤلاء المتقون كانوا في جدة الاسلام والحلال موجود لديهم تركوا المال وجلا من الحساب مخافة ان لا
يقوم خير المال بشره وانت في غاية الامن والحلال في دهرك مفقود تتكالب على الاوساخ ثم تزعم انك تجمع المال من الحلال
ويحك واين الحلال فتجمعه **وبعد** فلو كان الحلال موجودا لديك اما تخاف ان يتغير عند الغنى قلبك وقد بلغنا
ان بعض الصحابة كان ورث مالا حلالا فتركه مخافة ان يفسد قلبه فتطمع ان يكون قلبك اتقى من قلوب الصحابة فلا
تزول عن شيء من الحق في امرك واحوالك لئن ظننت ذلك لقد احسنت الظن بنفسك الامارة بالسوء **ويحك** اني لك
ناصح ارى لك ان تقنع بالبلغة ولا تجمع المال لاعمال البر ولا تتعرض للحساب فانه بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال من نوقش الحساب عذب وقال صلى الله عليه وسلم يؤتى بالرجل يوم القيامة وقد جمع مالا من حرام وانفقه في
حرام فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى برجل قد جمع مالا من حرام وانفقه في حلال فيقال اذهبوا به الى النار
ويؤتى برجل قد جمع مالا من حلال وانفقه في حرام فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى برجل قد جمع مالا من حلال وانفقه
في حلال فيقال له قف لعلك ضيعت في طلب هذا الشيء مما فرض عليك من صلاة لم تصلها لوقتها وفرطت في شيء من ركوعها
وسجودها ووضوئها فيقول لا يا رب كسبت من حلال وانفقت في حلال ولم اضيع شيئا مما فرضت علي فيقال لعلك اختلت
في هذا المال في شيء من مركب او ثوب او باهيت به فيقول لا يا رب لم اختل ولم اباه في شيء فيقال لعلك
منعت حق احد امرتك ان تعطيه من ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فيقول لا يا رب كسبت من
حلال وانفقته من حلال ولم اضيع شيئا مما فرضته علي ولم اختل ولم اباه ولم اضيع حق احد امرتني ان اعطيه
قال فيجيء اولئك فيخاصمونه فيقولون يا رب اعطيته واغنيته وجعلته بين اظهرنا وامرته ان يعطينا فان
كان اعطاهم وما ضيع مع ذلك شيئا من الفرائض ولم يختل في شيء فيقال قف الان هات شكر نعمة انعمتها عليك
من اكلة وشربة ولقمة ولذة فلا يزال يسال **ويحك** من ذا الذي يتعرض لهذه المسايلة التي كانت لهذا
الرجل الذي تقلب في الحلال وقام بالحقوق كلها وادى الفرائض بحدودها حوسب هذه المحاسبة فكيف ترى يكون حال امثالنا
الغرقى في فتن الدنيا وتخاليطها وشبهاتها وشهواتها وزينتها **ويحك** لاجل هذه المسايلة خاف المتقون ان
يتلبسوا بالدنيا فرضوا بالكفاف منها وعملوا بانواع البر من كسب المال فلك ويحك بهؤلاء الاخيار اسوة فان ابيت
ذلك وزعمت انك بالغ في الورع والتقوى ولم تجمع المال الا من حلال بزعمك للتعفف والبذل في سبيل الله ولم تنفق
شيئا من الحلال الا بحق ولم يتغير بسبب المال قلبك عما يحب الله تعالى ولم تسخط الله تعالى في شيء من سرائرك وعلانيتك
ويحك فان كنت كذلك ولست كذلك فقد ينبغي لك ان ترضى بالبلغة وتعتزل الفضول كي تعتزل ذوي الاموال
اذا وقفوا للسؤال وتستبق مع الرعيل الاول في زمرة المصطفى صلى الله عليه وسلم لا حبس عليك للمسايلة والحساب
فاما سلامة واما عطب **فانه بلغنا** ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تدخل صعاليك المهاجرين قبل
اغنيائهم الجنة بخمسمائة عام وقال النبي صلى الله عليه وسلم فقراء المؤمنين الجنة قبل اغنيائهم فيتمتعون ويحبس الاخرون

جاءة على ركبهم فيقول قبلكم طلبتي انتم حكام الناس وملوكهم فاروني ماذا صنعتم فيما اعطيتكم وبلغنا ان بعض اهل
العلم قال ما يسرني ان لي حمر النعم ولا اكون في الرعيل الاول مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وحزبه يا قوم فاستبقوا السباق
مع المخفين في زمرة المرسلين وكونوا وجلين من التخلف والانقطاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كل الوجل المتقون لقد بلغني
ان بعض الصحابه عطش فاستسقى فاتي بشربة من ماء وعسل فلما ذاقه خنقته العبره ثم بكى وابكى ثم مسح الدموع عن
وجهه وذهب ليتكلم فعاد في البكا فما زال يبكي حتى مسح الدموع عن وجهه وذهب ليتكلم فعاد في البكاء فلما اكثروا عليه قيل
له اكل هذا من اجل هذه الشربة قال نعم بينا انا يوما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معه احد في البيت غيري فجعل
يدفع عن نفسه ويقول اليك عني فقلت فداك ابي وامي ما ارى بين يديك احدا لمن تخاطب فقال هذه الدنيا تطاولت
الي بعنقها وراسها فقالت لي يا محمد خذني فقلت اليك عني فقالت ان تنج مني يا محمد فانه لا ينجو مني من بعدك فاخاف
ان تكون هذه قد لحقتني تقطعني عن رسول الله صلعم **يا قوم فهولاء الاخيار** بكوا وجلا ان تقطعهم عن رسول الله صلعم شربة من
حلال ويحك انت في انواع النعيم والشهوات من مكاسب السحت والشبهات لا تخشى الانقطاع اف لك ما اعظم جهلك ويحك
وان تخلفت في القيامة عن رسول الله صلعم لتنظرن الى اهوال جزعت منها الملائكه والانبياء ولئن قصرت عن السباق ليطولن عليك اللحاق
ولئن اردت الكثرة لتصيرن الى حساب عسير ولئن لم تقنع بالقليل لتصيرن الى وقوف طويل وصراخ وعويل ولئن
رضيت باحوال المتخلفين المنقطعين عن اصحاب اليمين وعن رسول رب العالمين ولتبطئن عن نعيم المتنعمين ولئن
خالفت احوال المتقين لتكونن من المحتبسين في اهوال يوم الدين تدبر ويحك ما سمعت **وبعد** فان زعمت انك في
مثل خيار السلف فكن قنعا بالقليل زاهدا في الحلال بذولا لمالك موثرا على نفسك لا تخشى الفقر لا تدخر شيئا لغدك
مبغضا للتكاثر والغنا راضيا بالفقر والبلا فرحا بالقلة والمسكنة مسرورا بالذل والضعة كارها للعلو والرفعة قويا
في امورك لا يتغير عن الرشد قلبك قد حاسبت نفسك في الله واحكمت امورك على ما وافق رضوان الله وان توقف
في المسايله وان تحاسب قبلك مع المتقين وانما تجمع المال الحلال للبذل في سبيل الله **ويحك** ايها المغرور فتدبر
الامر واحسن النظر اما علمت ان ترك الاشتغال بالمال وفراغ القلب للذكر والتذكار والفكر والاعتبار اسلم للدين
وايسر للحساب واخف للمسايله وآمن من روعات القيامه واجزل للثواب واعلى لقدرك عند الله اضعافا مضاعفة
بلغنا عن بعض الصحابة رضه انه قال لو ان رجلا في حجره دنانير يعطيها والاخر يذكر الله تعالى لكان الذاكر افضل وسئل
بعض اهل العلم في الرجل يجمع المال لاعمال البر قال تركه ابر له **وبلغنا** ان بعض خيار التابعين سئل عن رجلين احدهما
طلب الدنيا حلالا فاصابها ووصل بها رحمه وقدم لنفسه واما الاخر فانه جانبها ولم يطلبها ولم يتناولها فايهما
افضل فقال بعيد والله ما بينهما الذي جانبها افضل وبينهما كما بين مشارق الارض ومغاربها **ويحك** فهذا الفضل
لك بترك الدنيا على من طلبها ولك في العاجل ان تركت الاشتغال بالمال ان ذلك اروح لبدنك واقل لتعبك وانعم لعيشك
وارخى لبالك واقل لهمومك فما عذرك في جمع المال وانت بترك المال افضل من طلب المال لاعمال البر نعم وشغلك
بذكر الله افضل من بذل المال في سبيل الله فاجتمع لك راحة العاجل مع السلامة والفضل في الاجل **وبعد** فلو كان في جمع
المال فضل عظيم لوجب عليك في مكارم الاخلاق ان تاسى بنبيك لان هداك الله به فترضى بما اختار لنفسه في مجانبة الدنيا
فترتع لواء المصطفى سائقا الى جنة الماوى **فانه بلغنا** ان رسول الله صلعم قال سادات المومنين في الجنة من اذا تغدا
لم يجد عشاء واذا استقرض لم يجد قرضا وليس له فضل كسوة الا ما يواريه ولم يقدر على ان يكتسب ما يغنيه يمسي مع ذلك
ويصبح راضيا عن ربه فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا
الا يا اخي متى جمعت من المال بعد هذا الباب فانك مبطل فيما ادعيت انك للبر والفضل تجمعه ولكنك خوفا من الفقر
تجمعه وللتنعم والزينه والفخر والتكاثر والعلو والريا والسمعه والتعظم والتكبر تجمعه ثم تزعم انك لاعمال البر تجمع المال ويحك
راقب الله واستحي من دعواك ايها المغرور **ويحك** ان كنت مفتونا بحب الدنيا فكن مقرا ان الخير والفضل والرضا
بالبلغه ومجانبة الفضول نعم وكن عند جمع المال مزريا على نفسك معترفا باساءتك وجلا من الحساب فذلك انجى لك واقرب
الى الفضل من طلب الحجج لجمع المال **اخواني** اعلموا ان دهر الصحابة كان الحلال موجودا فيه وكانوا مع ذلك من اورع الناس
وازهدهم في المباح لهم ونحن في دهر الحلال فيه مفقود فكيف لنا من الحلال ما يبلغ القوت وستر العوره فاما جمع المال في
دهرنا فاعاذنا الله واياكم من ذلك **وبعد** فاين لنا بمثل تقوى الصحابه وورعهم ومثل زهدهم واحتياطهم واين
لنا مثل ضمايرهم وحسن نياتهم ذهبنا ورب السماء بادواء النفوس واهوائها وعن قريب تكون الورود فالسعادة للمخفين
يوم النشور والحزن الطويل لاهل التكاثر والتخاليط وقد نصحت لكم ان قبلتم والقابلون لهذا قليل وفقنا الله واياكم للخير

برحمته هذا اخر كلامه وفيه كفاية في اظهار فضل الفقر ولا مزيد عليه ويشهد لذلك جميع الاخبار التي اوردناها في كتاب
ذم الدنيا وفي كتاب الفقر والزهد ويشهد لذلك جميع الاخبار التي اوردناها في كتاب ذم الدنيا ويشهد له ايضا ما روي عن
ابي امامة الباهلي رضه ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال يا ثعلبة قليل تودي شكره خير
من كثير لا تطيقه قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال يا ثعلبة اما لك في اسوة اما ترضى ان تكون مثل نبي الله
اما والذي نفسي بيده لو شئت ان تسير معي الجبال ذهبا وفضة لسارت قال والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله
ان يرزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه ولافعلن ولافعلن قال رسول الله اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما
فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من اوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعه
ويدع ما سواهما ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الصلوات الا الجمعة وهي تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة وطفق
يلقى الركبان يوم الجمعة يسألهم عن الاخبار وسال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما فعل ثعلبة بن حاطب فقيل يا رسول الله
اتخذ غنما فضاقت عليه المدينه واخبر بامره كله فقال يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبه قال وانزل الله تعالى خذ من اموالهم صدقة
تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم والله سميع عليم وانزل فرائض الصدقة فبعث رسول الله صلعم رجلا
من جهينة ورجلا من بني سليم على الصدقة وكتب لهما كتابا باخذ الصدقة وامرهما ان يخرجا فياخذا الصدقة من
المسلمين وقال مروا بثعلبة بن حاطب وبفلان رجل من بني سليم وخذا صدقاتهما فخرجا حتى اتيا ثعلبة فسالاه
الصدقة واقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية انطلقا حتى
تفرغا ثم عودا الي فانطلقا نحو السلمي فسمع بهما فقام الى خيار اسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها
فلما راوها قالا لا يجب عليك هذا وما نريد ناخذ هذا منك قال بلى خذوها نفسي بها طيبة وانما هي لنا خذوها
فلما فرغا من صدقاتهما رجعا الى ثعلبة فسالاه الصدقة فقال اروني كتابكما فنظر فيه فقال هذا اخت الجزية انطلقا
حتى ارى رايي فانطلقا حتى اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راهما قال ويح ثعلبة قبل ان يكلماه ودعا للسلمي
فاخبراه بالذي صنع ثعلبة وبالذي صنع السلمي فانزل الله تعالى في ثعلبة ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن
ولنكونن من الصالحين الى قوله وبما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلعم رجل من اقارب ثعلبة فسمع ما انزل الله تعالى فيه فخرج
حتى اتى ثعلبة فقال لا ام لك يا ثعلبة قد انزل الله تعالى فيك كذا فخرج ثعلبة حتى اتى النبي صلعم فساله ان يقبل منه
صدقته فقال ان الله منعني ان اقبل منك صدقتك فجعل يحثو التراب على راسه فقال له رسول الله صلعم هذا عملك امرتك
فلم تطعني فلما ابى ان يقبل صدقته رجع الى منزله فلما قبض النبي صلعم جاء بها الى ابي بكر الصديق رضه فابى ان يقبلها منه وجاء
الى عمر بن الخطاب رضه فابى ان يقبلها وتوفي ثعلبة في خلافة عمر رضه فهذا طغيان المال وشومه وقد عرفته من هذا
الحديث ولاجل بركة الفقر وشوم الغنى اثر رسول الله صلعم الفقر لنفسه ولاهل بيته حتى روي عن عمران بن حصين
انه قال كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاه فقال يا عمران ان لك عندنا منزلة وجاها فهل لك في عيادة فاطمة
بنت رسول الله صلعم فقلت نعم بابي انت وامي فقام وقمت معه حتى وقف بباب فاطمة فقرع الباب فقال السلام عليكم ادخل
فقالت ادخل بابي انت وامي يا رسول الله قال انا ومن معي قالت ومن معك يا رسول الله قال عمران قالت والذي بعثك بالحق نبيا ما علي
الا عباءة قال اصنعي بها هكذا وهكذا واشار بيده فقالت هذا جسدي فقد واريته فكيف براسي فالقى عليها ملاءة كانت
عليه خلقة فقال شدي بها على راسك ثم اذنت له فدخل فقال السلام عليكم يا ابنتاه كيف اصبحت قالت اصبحت والله وجعة
وزادني وجعا على ما بي اني لست اقدر على طعام اكله فقد اضر بي الجوع فبكى النبي صلى الله عليه وسلم وقال لا تجزعي يا ابنتاه فوالله ما
ذقت طعاما منذ ثلث واني لاكرم على الله منك ولو سالت ربي لاطعمني ولكني اثرت الاخرة على الدنيا ثم ضرب بيده
على منكبها وقال لها ابشري فوالله انك لسيدة نساء اهل الجنة فقالت فاين اسية امراة فرعون ومريم ابنة عمران
وخديجة بنت خويلد قال النبي صلى الله عليه وسلم اسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وخديجة سيدة نساء عالمها وانت سيدة نساء
عالمك انكن في بيوت من قصب لا اذى فيها ولا صخب ثم قال لها اقنعي بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيدا في الدنيا سيدا
في الاخره **فانظر الان** الى حال فاطمة رضه وهي بضعه من رسول الله صلعم كيف اثرت الفقر وتركت المال ومن راقب
احوال الانبياء والاولياء واقوالهم وما ورد من اخبارهم وآثارهم لم يشك بان فقد المال افضل من وجوده وان صرف في

الخيرات اذ اقل ما فيه مع اداء الحقوق والتوقي من الشبهات والصرف الى الخيرات اشتغال الهم باصلاحه وانصرافه عن ذكر الله تعالى
ولا ذكر الا مع الفراغ ولا فراغ مع شغل المال **وقد روي** عن جرير عن ليث قال صحب رجل عيسى عليه الصلاة والسلام فقال اكون
معك واصحبك فانطلقا فانتهيا الى شط نهر فجلسا يتغديان ومعهما ثلثة ارغفة فاكلا رغيفين وبقي رغيف فقام عيسى
الى النهر فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيف فقال للرجل من اخذ الرغيف قال لا ادري قال فانطلق ومعه صاحبه فرأى ظبية
معها خشفان فدعا احدهما فاتاه فذبحه فشوى منه فاكل هو وذاك الرجل ثم قال للخشف قم باذن الله فقام فذهب
فقال للرجل اسألك بالذي اراك هذه الاية من اخذ الرغيف قال لا ادري قال فانتهيا الى وادي ماء فاخذ عيسى بيد الرجل
ومشيا على الماء فلما جاوزا قال اسألك بالذي اراك هذه الاية من اخذ الرغيف قال لا ادري قال فانتهيا الى مفازة فجلسا
فاخذ عيسى يجمع ترابا وكثيبا ثم قال كن ذهبا باذن الله فصار ذهبا فقسمه ثلثة اثلاث فقال ثلث لي وثلث لك وثلث لمن اخذ
الرغيف قال انا الذي اخذت الرغيف قال فكله لك قال وفارقه عيسى فانتهى اليه رجلان في المفازة ومعه المال فارادا ان يأخذاه
منه ويقتلاه فقال هو بيننا اثلاثا قال فابعثوا احدكم الى القرية حتى يشتري طعاما قال فبعثوا احدهم فقال الذي بعث لاي شيء اقاسم
هؤلاء هذا المال لكني اضع في هذا الطعام سما فاقتلهما قال ففعل وقال ذانك لاي شيء نجعل لهذا ثلث المال ولكن اذا رجع قتلناه
واقتسمنا المال بيننا قال فلما رجع اليهما قتلاه واكلا الطعام فماتا وبقي ذلك المال في المفازة واولئك الثلثة قتلى عنده فمر بهم عيسى عم
على تلك الحال فقال لاصحابه هذه الدنيا فاحذروها **وحكي** ان ذا القرنين اتى على امة من الامم ليس بايديهم شيء مما يستمتع به الناس
من دنياهم قد احتفروا قبورا فاذا اصبحوا تعهدوا تلك القبور وكنسوها وصلوا عندها ورعوا البقل كما ترعى البهائم وقد قيض لهم
في ذلك معايش من نبات الارض فارسل ذو القرنين الى ملكهم فقال اجب الملك فقال ما لي اليه حاجة فاقبل اليه ذو القرنين
فقال اني ارسلت اليك لتأتيني فابيت فها انا قد جئت فقال لو كانت لي اليك حاجة لاتيتك فقال له ذو القرنين ما لي
اراكم على الحال التي لم ار احدا من الامم عليها قال وما ذاك قال ليس لكم دنيا ولا شيء افلا اتخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم
بها قالوا انا كرهناها لان احدا لم يعط منها شيئا الا تاقت نفسه ودعته الى ما هو افضل منه فقال ما بالكم قد احتفرتم قبورا
فاذا اصبحتم تعهدتموها فكنستموها وصليتم عندها قالوا اردنا اذا نظرنا اليها واملنا الدنيا منعتنا قبورنا من الامل قال
واراكم لا طعام لكم الا البقل من الارض افلا اتخذتم البهائم من الانعام فاحتلبتموها وركبتموها واستمتعتم بها فقالوا كرهنا
ان نجعل بطوننا قبورا لها ورأينا في نبات الارض بلاغا وانما يكفي ابن ادم ادنى العيش من الطعام وان ما جاوز الحنك من الطعام
لم نجد له طعما كائنا ما كان من الطعام ثم بسط ملك تلك الارض يده خلف ذي القرنين فتناول جمجمة فقال يا ذا القرنين اتدري
من هذا قال لا قال ومن هو قال ملك من ملوك الارض اعطاه الله سلطانا على اهل الارض فظلم وعتى فلما رأى الله ذلك منه
حسمه بالموت فصار كالحجر الملقى وقد احصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في اخرته ثم تناول جمجمة اخرى بالية فقال يا ذا القرنين هل
تدري من هذا قال لا ومن هذا قال هذا ملك ملكه الله بعده قد كان يرى ما يصنع الذي قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع وخشع
لله عز وجل وامر بالعدل في اهل مملكته فصار كما ترى قد احصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في اخرته ثم اهوى الى جمجمة ذي القرنين فقال
وهذه الجمجمة كأن قد كانت كهذين فانظر يا ذا القرنين ما انت صانع فقال له ذو القرنين هل لك في صحبتي فاتخذك اخا ووزيرا وشريكا
فيما اتاني الله من هذا المال قال ما اصلح انا وانت في مكان ولا ان نكون جميعا قال ذو القرنين ولم قال من اجل ان الناس كلهم
لك عدو ولي صديق قال ولم قال يعادونك لما في يديك من الملك والمال والدنيا ولا اجد احدا يعاديني لرفضي لذلك ولما عندي
من الحاجة وقلة الشيء قال فانصرف عنه ذو القرنين متعجبا منه ومتعظا به فهذه الحكايات تدلك على افات الغنى مع ما قدمناه من قبل

وقد تم كتاب ذم المال يتلوه ان شاء الله كتاب ذم الجاه والريا

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله علام الغيوب المطلع على سرائر القلوب المتجاوز عن كبائر الذنوب العالم بما
تجنه الضمائر من خفايا العيوب البصير بسرائر النيات وخفايا الطويات الذي لا يقبل من الاعمال الا ما كمل ووفى
وخلص عن شوائب الرياء والشرك وصفا فانه المتفرد بالملك والملكوت وهو اغنى الاغنياء عن الشرك **والصلاة**
على محمد وعلى اله واصحابه المبرئين من الخيانة والافك وسلم كثيرا **اما بعد** فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما
اخاف على امتي الرياء والشهوة الخفية والرياء من الشهوة الخفية التي هي اخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ولذلك

عجز عن الوقوف على غوائلها سماسرة العلماء فضلا عن عامة العباد والاتقياء وهو من اواخر غوائل النفس وبواطن مكايدها وانما يبتلى بها
العلماء والعباد المشمرون عن ساق الجد لسلوك سبيل الاخرة فانهم مهما قهروا انفسهم وجاهدوها وفطموها عن الشهوات وصانوها
عن الشبهات وحملوها بالقهر على اصناف العبادات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح فطلبت الاستراحة
الى التظاهر بالخير واظهار العمل الصالح والعلم فوجدت مخلصا من مشقة المجاهدة الى لذة القبول عند الخلق ونظرهم اليه بعين الوقار
فنازعت الى اظهار الطاعة وتوصلت الى اطلاع الخلق ولم تقنع باطلاع الخالق وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله وحده وعلمت
انهم اذا عرفوا تركه الشهوات وتوقيه الشبهات وتحمله مشاق العبادات اطلقوا السنتهم بالمدح والثناء وبالغوا في التقريظ والاطراء
ونظروا اليه بعين التوقير والاحترام وتبركوا بمشاهدته ولقائه ورغبوا في بركة دعائه وحرصوا على اتباع رأيه وفاتحوه
بالخدمة والسلام واكرموه في المحافل غاية الاكرام وسامحوه في البيع والمعاملات وقدموه في المجالس واثروه بالمطاعم والملابس
وتصاغروا له متواضعين وانقادوا له في اغراضه موقرين فاصابت النفس في ذلك لذة هي اعظم اللذات وشهوة هي اغلب
الشهوات فاستحقرت فيه ترك المعاصي والهفوات واستلانت خشونة المواظبة على العبادات لادراكها في الباطن لذة اللذات
وشهوة الشهوات فهو يظن ان حياته بالله وبعباداته المرضية وانما حياته بهذه الشهوة الخفية التي تعمى عن دركها اولي
العقول الناقدة القوية ويرى انه مخلص في طاعة الله ومجتنب لمحارم الله والنفس قد ابطنت هذه الشهوة تزيينا للعباد وتصنعا
للخلق وفرحا بما نالت من المنزلة والوقار واحبطت بذلك ثواب الطاعات واجور الاعمال وقد اثبتت اسمه في جريدة المنافقين
وهو يظن انه عند الله من المقربين وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها الا الصديقون ومهواة لا يرقى منها الا المقربون ولذلك قيل
اخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة واذا كان الرياء هو الداء الدفين الذي هو اعظم شبكة الشياطين وجب شرح القول
في سببه وحقيقته ودرجاته واقسامه وطرق معالجته والحذر منه ويتضح الغرض فيه في ترتيب الكتاب على شطرين **الشطر الاول**
في حب الجاه والشهرة وفيه بيان ذم الشهرة وبيان فضيلة الخمول وبيان ذم الجاه وبيان معنى الجاه وحقيقته وبيان السبب في كونه
محبوبا حبا اشد من حب المال وبيان ان الجاه كمال وهمي وليس بكمال حقيقي وبيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم وبيان السبب في
حب المدح والثناء وكراهة الذم وبيان العلاج في حب الجاه وبيان علاج حب المدح وبيان علاج كراهة الذم وبيان اختلاف
احوال الناس في الذم والمدح فهي اثنا عشر فصلا منها تنشأ معاني الرياء فلا بد من تقديمها

بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت

اعلم ان اصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وهو مذموم بل المحمود الخمول الا من شهره الله تعالى لنشر دينه من غير تكلف منه لطلب الشهرة
قال انس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب امرئ من الشر الا من عصمه الله ان يشير الناس اليه بالاصابع في
دينه ودنياه ان الله لا ينظر الى صوركم الحديث **ولقد** ذكر الحسن البصري للحديث تاويلا لا بأس به اذ روى هذا الحديث
فقيل له يا ابا سعيد ان الناس اذا رأوك اشاروا اليك بالاصابع فقال انه لم يعن به هذا انما عنى به المبتدع في دينه والفاسق
في دنياه **وقال** علي كرم الله وجهه تبذل ولا تشتهر ولا ترفع شخصك لتذكر وتعلم واكتم واصمت تسلم تسر الابرار وتغيظ الفجار
وقال ابراهيم بن ادهم ما صدق الله من احب الشهرة وقال ايوب والله ما صدق الله عبد الا سره ان لا يشعر بمكانه
وعن خالد بن معدان انه كان اذا كثرت حلقته قام مخافة الشهرة وعن ابي العالية انه كان اذا جلس اليه اكثر من ثلثة قام
ورأى طلحة قوما يمشون معه نحوا من عشرة فقال ذباب طمع وفراش نار وقال سليم بن حنظلة بينا نحن حول ابي بن كعب
نمشي خلفه اذ رآه عمر بن الخطاب فعلاه بالدرة فقال انظر يا امير المؤمنين ما تصنع فقال ان هذه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع وعن
الحسن قال خرج ابن مسعود يوما من منزله فاتبعه اناس فالتفت اليهم فقال علام تتبعوني فوالله لو تعلمون ما
اغلق عليه بابي ما اتبعني منكم رجلان **وقال** الحسن ان خفق النعال حول الرجال قلما تلبث معه قلوب الحمقى وخرج
الحسن ذات يوم فاتبعه قوم فقال هل لكم من حاجة والا فما عسى ان يبقى هذا من قلب المؤمن **وروي** ان رجلا صحب
ابن محيريز في سفر فلما فارقه قال اوصني فقال ان استطعت ان تعرف ولا تعرف وتمشي ولا يمشى اليك وتسأل ولا تسأل
فافعل وخرج ايوب في سفر فشيعه ناس فقال لولا اني اعلم ان الله يعلم من قلبي اني لهذا كاره لخشيت المقت من الله
وقال معمر عاتبت ايوب على طول قميصه فقال ان الشهرة فيما مضى كانت في طوله وهي اليوم في تشميره **وقال** بعضهم
كنت مع ابي قلابة اذ دخل عليه رجل عليه اكسية فقال اياكم وهذا الحمار النهاق يشير به الى طلب الشهرة وقال الثوري
كانوا يكرهون الشهرتين الثياب الجيدة والثياب الرديئة اذ الابصار تمتد اليهما جميعا وقال رجل لبشر بن الحارث الحافي اوصني

اوسنه فقال اخرج ذكرك وطيب مطعمك وكان خوشب يبكي ويقول بلغ اسمي مسجد الجامع وقال بشر الحافي ما اعرف رجلا احب
ان يعرف الا ذهب دينه وافتضح وقال ايضا لا يجد حلاوة الاخرة رجل يحب ان يعرفه الناس

بيان فضيلة الخمول

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره منهم البراء بن مالك وقال عبد الله بن مسعود
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب ذي طمرين لا يؤبه له لو قال اللهم اني اسألك الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا وقال
صلى الله عليه وسلم الا ادلكم على اهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو اقسم على الله لابره واهل النار كل متكبر جواظ وقال ابو هريرة رضي الله عنه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة كل اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له الذين اذا استأذنوا على الامراء لم يؤذن لهم واذا خطبوا
النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوائج احدهم تتجلجل في صدره لو قسم نوره على الناس لوسعهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان من امتي من لو اتى احدكم يسأله دينارا لم يعطه اياه ولو سأله درهما لم يعطه اياه ولو سأله فلسا لم يعطه اياه ولو سأل الله
الجنة لاعطاها اياه ولو سأله الدنيا لم يعطها اياه وما منعها اياه الا لهوانها عليه ذو طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره
وروي ان عمر بن الخطاب دخل المسجد فاذا هو بمعاذ بن جبل يبكي عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما يبكيك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان اليسير من الرياء شرك وان الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا وان حضروا لم يعرفوا قلوبهم
مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة وقال محمد بن سويد قحط اهل المدينة وكان بها رجل صالح لازم لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فبيناهم في دعائهم اذ جاءهم رجل عليه طمران خلقان فصلى ركعتين اوجز فيهما ثم بسط يديه فقال يا رب اقسمت عليك الا امطرت
علينا الساعة فلم يرد يديه ولم يقطع دعاءه حتى تغشت السماء بالغيم وامطروا حتى صاح اهل المدينة من مخافة الغرق فقال
يا رب ان كنت تعلم انهم قد اكتفوا فارفع عنهم فسكن وتبع الرجل صاحب المطر حتى عرف منزله ثم بكر عليه فخرج اليه فقال اني
اتيتك في حاجة فقال ما هي قال تخصني بدعوة فقال سبحان الله انت انت وتسألني ان اخصك بدعوة قال
ما الذي بلغك ما رأيت قال اطعت الله فيما امرني ونهاني فسألت الله فاعطاني وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كونوا
ينابيع العلم مصابيح الهدى احلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خلقان الثياب تعرفون في اهل السماء وتخفون
في اهل الارض وقال ابو امامة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اغبط اوليائي عبد مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلاة احسن
عبادة ربه واطاعه في السر وكان غامضا في الناس لا يشار اليه بالاصابع ثم صبر على ذلك قال ثم نقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده
فقال عجلت منيته وقل تراثه وقلت بواكيه وقال عبد الله بن عمر احب عباد الله الى الله الغرباء قيل ومن الغرباء قال
الفارون بدينهم يجتمعون يوم القيامة الى عيسى عليه السلام وقال الفضيل بن عياض بلغني ان الله تعالى يقول في بعض ما يمن به
على عبده الم انعم عليك الم استرك الم اخمل ذكرك وكان الخليل بن احمد يقول اللهم اجعلني عندك من ارفع خلقك
واجعلني في نفسي من اوضع خلقك واجعلني عند الناس من اوسط خلقك وقال سفيان الثوري وجدت
قلبي يصلح بمكة والمدينة مع قوم غرباء اصحاب قوت وعباء وقال ابراهيم بن ادهم ما قرت عيني يوما في الدنيا الا مرة
واحدة بت ليلة في بعض مساجد قرى الشام وكان بي البطن فجرني المؤذن برجلي حتى اخرجني من المسجد وقال الفضيل بن عياض
ان قدرت على ان لا تعرف فافعل وما عليك ان لا تعرف وما عليك ان لا يثنى عليك وما عليك ان تكون مذموما عند الناس
اذا كنت محمودا عند الله تعالى فهذه الاخبار والاثار تعرفك مذمة الشهرة وفضيلة الخمول وانما المطلوب بالشهرة وانتشار الصيت
هو الجاه والمنزلة في القلوب وحب الجاه هو منشأ كل فساد فان قلت فاي شهرة تزيد على شهرة الانبياء عليهم السلام
والخلفاء الراشدين وائمة العلماء فكيف فاتهم فضيلة الخمول فاعلم ان المذموم طلب الشهرة فاما وجودها من جهة الله سبحانه
من غير تكلف من العبد فليس بمذموم نعم فيه فتنة على الضعفاء دون الاقوياء وهو كالغريق الضعيف اذا كان معه جماعة من
الغرقى فالاولى به ان لا يعرفه احد فانهم يتعلقون به فيضعف عنهم فيهلك معهم واما القوي فالاولى به ان يعرفه الغرقى
ليتعلقوا به فينجيهم ويثاب على ذلك

بيان ذم حب الجاه

قال الله تعالى تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون
علوا في الارض ولا فسادا جمع بين ارادة الفساد والعلو وبين ان الدار الاخرة للخالي عن الارادتين جميعا
وقال تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار
وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون وهذا ايضا متناول بعمومه لحب الجاه فانه اعظم لذة من لذات الحياة الدنيا واكثر زينة من
زينتها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الجاه والمال ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان

ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا من حب الشرف والمال في دين المرء المسلم وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه
انما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الجاه

بيان معنى الجاه وحقيقته

اعلم ان الجاه والمال هما ركنا الدنيا ومعنى المال
ملك الاعيان المنتفع بها ومعنى الجاه ملك القلوب المطلوب تعظيمها وطاعتها وكما ان الغني هو الذي يملك الدراهم والدنانير
اي يقدر عليهما ليتوصل بهما الى الاغراض والمقاصد وقضاء الشهوات وسائر حظوظ النفس فكذلك ذو الجاه هو
الذي يملك قلوب الناس اي يقدر على ان يتصرف فيها ليستعمل بواسطتها اربابها في اغراضه ومآربه وكما انه يكتسب الاموال بانواع
من المعاملات ولا تصير القلوب مسخرة الا بالمعارف والاعتقادات فكل من اعتقد القلب فيه وصفا من اوصاف الكمال انقاد
له وتسخر له بحسب قوة اعتقاده وبحسب درجة الكمال عنده وليس يشترط ان يكون الوصف كمالا في نفسه بل يكفي ان يكون
كمالا عنده وفي اعتقاده وقد يعتقد ما ليس كمالا كمالا ويذعن قلبه للموصوف به انقيادا اضطراريا بحسب اعتقاده فان انقياد
القلب حال للقلب واحوال القلوب تابعة لاعتقادات القلوب وعلومها وتخيلاتها وكما ان محب المال يطلب ملك
الارقاء والعبيد فطالب الجاه يطلب ان يسترق الاحرار ويستعبدهم ويملك رقابهم بملك قلوبهم بل الرق الذي يطلبه صاحب
الجاه اعظم لان المالك يملك العبد قهرا والعبد متأب بطبعه ولو خلي ورأيه انسل عن الطاعة وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعا ويبغي
ان يكون له الاحرار عبيدا بالطبع والطوع مع الفرح بالعبودية والطاعة له فما يطلبه فوق ما يطلبه مالك الرق بكثير
فاذا معنى الجاه قيام المنزلة في قلوب الناس اي اعتقادات القلوب لنعت من نعوت الكمال فيه فبقدر ما يعتقدون من كماله
تذعن له قلوبهم وبقدر اذعان القلوب تكون قدرته على القلوب وبقدر قدرته تكون فرحه وحبه للجاه فهذا هو معنى الجاه
وحقيقته وله ثمرات كالمدح والاطراء فان المعتقد للكمال لا يسكت عن ذكر ما يعتقده فيثني عليه وكالخدمة والاعانة فانه لا
يبخل ببذل نفسه في طاعته بقدر اعتقاده فيكون مسخرة له مثل العبد في اغراضه وكالايثار وترك المنازعة وكالتعظيم
والتوقير بالمفاتحة بالسلام وتسليم الصدر في المحافل والتقديم في جميع المقاصد فهذه آثار تصدر عن قيام الجاه في
القلب ومعنى قيام الجاه في القلب اشتمال القلوب على اعتقادات صفات الكمال في الشخص اما بعلم او عبادة
او حسن خلق او نسب او ولاية او جمال صورة او قوة في بدن او شيء مما يعتقده الناس كمالا فان هذه الاوصاف كلها تعظم
محله في القلوب فتكون سببا لقيام الجاه

بيان سبب كون الجاه محبوبا بالطبع حتى لا يخلو عنه قلب الا بشدة المجاهدة

اعلم ان السبب الذي يقتضي كون الذهب والفضة وسائر انواع الاموال محبوبا هو بعينه يقتضي كون الجاه محبوبا بل يقتضي
ان يكون احب من المال كما يقتضي ان يكون الذهب احب من الفضة مهما تساويا في المقدار وهو انك تعلم ان الدراهم
والدنانير لا غرض في اعيانهما اذ لا تصلح لمطعم ولا منكح ولا ملبس وانما هي والحصباء بمثابة ولكنهما محبوبتان لانهما وسيلة الى
المحاب وذريعة الى قضاء الشهوات فكذلك الجاه لان معنى الجاه ملك القلوب وكما ان الذهب والفضة
يفيد قدرة يتوصل الانسان بها الى سائر اغراضه فكذلك ملك القلوب الاحرار والقدرة على استسخارها يفيد قدرة
على التوصل الى جميع الاغراض فالاشتراك في السبب اقتضى الاشتراك في المحبة وترجيح الجاه على المال اقتضى ان يكون الجاه
احب من المال ولملك القلوب ترجيح على ملك المال من ثلاثة اوجه الاول ان التوصل بالجاه الى المال ايسر من التوصل
بالمال الى الجاه فالعالم والزاهد الذي تقرر له جاه في القلوب لو قصد اكتساب الاموال تيسر له فان اموال ارباب
القلوب مسخرة للقلوب ومبذولة لمن اعتقد فيه الكمال واما الرجل الخسيس الذي لا يتصف بصفة الكمال اذا وجد
كنزا ولم يكن له جاه يحفظ ماله واراد ان يتوصل به الى الجاه لم يتيسر له فان الجاه آلة الى المال فمن ملك الجاه فقد ملك
المال ومن ملك المال لم يملك الجاه بكل حال فلذلك صار الجاه احب الثاني هو ان المال معرض لان يسرق
وينهب ويغصب ويطمع فيه الملوك والظلمة ويحتاج فيه الى الحفظة والخزائن والحراس ويتطرق اليه اخطار
كثيرة واما القلوب اذا ملكت لم تتعرض لهذه الآفات فهي على التحقيق خزائن عتيدة لا يقدر عليها السراق
ولا تتناولها ايدي الغصاب وانبت الاموال العقار ولا يؤمن فيه الغصب والظلم ولا يستغني عن المراقبة والحفظ
واما خزائن القلوب فهي محفوظة بانفسها وذو الجاه في امن وامان من الغصب والسرقة فيها نعم انما تغصب القلوب
بالتصريف وتقبيح الحال وتغيير الاعتقاد فيما صدق به من اوصاف الكمال وذلك مما يهون دفعه ولا يتيسر على
محاوله فعله الثالث ان ملك القلوب يسري وينمو ويتزايد من غير حاجة الى تعب ومقاساة فان

القلوب اذا اذعنت لشخص واعتقدت كماله بعلم او عمل او غيره افصحت الالسنة لا محالة بما فيها فيصف ما يعتقده
لغيره ويصطاد قلبه له ايضا ولهذا المعنى يحب الطبع الصيت وانتشار الذكر لان ذلك اذا استطار
في الاقطار اقتنصت القلوب ودعاها الى الاذعان والتعظيم فلا يزال يسري من واحد الى واحد ويتزايد وليس له
مرد معين واما المال فمن يملك منه شيئا فهو مالكه فقط ولا يقدر على استنمائه الا بتعب ومقاساة والجاه
ابدا في النما بنفسه ولا مرد لموقعه والمال واقف ولهذا اذا عظم الجاه وانتشر الصيت وانطلقت الالسن
بالثناء استحقرت الاموال في مقابلتها فهذه مجامع ترجيحات الجاه على المال واذا فصلت كثرت وجوه
الترجيح **فان قلت** فالاشكال قائم في المال والجاه جميعا فلا ينبغي ان يحب الانسان المال والجاه نعم
القدر الذي يتوسل به الى جلب الملاذ ودفع المضار معلوم كالمحتاج الى الملبس والمسكن والمطعم وكالمبتلى بمرض
او عقوبة اذا كان لا يتوصل الى دفع العقوبة عن نفسه الا بمال او جاه فحب المال والجاه معلوم اذ كل ما لا يتوصل
الى المحبوب الا به فهو محبوب وفي الطباع امر عجيب وراء هذا وهو حب جمع الاموال وكنز الكنوز وادخار الذخائر
واستكثار الخزائن وراء جميع الحاجات حتى لو كان للعبد واديان من مال لابتغى لهما ثالثا وكذلك يحب الانسان
اتساع الجاه وانتشار الصيت الى اقاصي البلاد التي يعلم قطعا انه لا يطؤها ولا يشاهد اصحابها ليعظموه او
ليبروه بمال او ليعينوه على غرض من اغراضه ومع اليأس من ذلك فانه يستلذ به غاية الالتذاذ وحب ذلك ثابت في
الطبع ويكاد يظن ان ذلك جهل فانه حب لما لا فائدة فيه لا في الدنيا ولا في الاخرة فنقول نعم هذا الحب لا تنفك عن
القلوب وله سببان احدهما جلي تدركه الكافة والاخر خفي وهو اعظم السببين ولكنه ادقهما واخفاهما عن الافهام
الاذكياء فضلا عن الاغبياء وذلك لاستمداده من عرق خفي في النفس وطبيعة مستكنة في الطبع لا يكاد يقف عليها
الا الغواصون فاما السبب الاول فهو دفع الم الخوف لان الشفيق بسوء الظن مولع والانسان وان كان مكتفيا
في الحال فانه طويل الامل ويخطر بباله ان المال الذي فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج الى غيره واذا خطر ذلك
بباله هاج الخوف من قلبه ولا يدفع الم الخوف الا الامن الحاصل بوجود مال اخر يفزع اليه ان اصابت هذا
المال جائحة فهو ابدا لشفقته على نفسه وحبه للحياة يقدر طول الحياة ويقدر هجوم الحاجات ويقدر امكان تطرق
الافات الى الاموال ويستشعر الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع خوفه وهو كثرة المال حتى ان اصيب بطائفة من ماله استغنى
بالاخر وهذا خوف لا يوقف له على مقدار مخصوص من المال فلذلك لم يكن لمثله موقف الى ان يملك جميع ما في الدنيا
ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال ومثل هذا العلة تطرد في حبه قيام المنزلة
والجاه في قلوب الاباعد عن وطنه وبلده فانه لا يخلو عن تقدير سبب يزعجه عن وطنه او يزعج اولئك عن اوطانهم الى
وطنه ويحتاج الى الاستعانة بهم ومهما كان ذلك ممكنا ولم يكن احتياجه اليهم مستحيلا احالة ظاهرة كان للنفوس
فرح ولذة بقيام الجاه في قلوبهم لما فيه من الامن من هذا الخوف واما السبب الثاني وهو الاقوى ان الروح امر
رباني وصفه الله تعالى اذ قال تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي ومعنى كونه ربانيا من اسرار علوم المكاشفة ولا
رخصة في اظهاره اذ لم يظهره رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنك قبل معرفة ذلك تعلم ان للقلب ميلا الى صفات بهيمية كالاكل والوقاع والى
صفات سبعية كالقتل والضرب والايذا والى صفات شيطانية كالمكر والخديعة والاغواء والى صفات ربوبية
كالكبر والعجب والعز والتجبر وطلب الاستعلا وذلك لانه مركب من اصول مختلفة يطول شرح تفصيلها فهو لما فيه من الامر
الرباني يحب الربوبية بالطبع ومعنى الربوبية التوحد بالكمال والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال فصار الكمال من صفات
الالهية فصار محبوبا بالطبع للانسان والكمال في التفرد بالوجود اذ في المشاركة في الوجود نقص لا محالة فكمال الشمس في انها موجودة
وحدها فلو كان معها شمس اخرى كان ذلك نقصانا في حقها اذ لم تكن منفردة بمعنى الشمسية والمنفرد بالوجود هو الله تعالى
اذ ليس معه موجود سواه فان ما سواه اثر من اثار قدرته لا قوام له بذاته بل هو قائم به فلم يكن موجودا معه لان المعية توجب
المساواة في الرتبة والمساواة في الرتبة نقصان في الكمال بل الكامل من لا نظير له في رتبته وكما ان اشراق نور الشمس في اقطار الافاق
ليس نقصانا في الشمس بل هو من جملة كمالها وانما نقصان الشمس بوجود شمس اخرى تساويها في الرتبة مع استغنائها عنها فكذلك
وجود كل ما في العالم يرجع الى اشراق انوار القدرة فيكون تابعا ولا يكون متبعا فاذا معنى الربوبية هو التفرد بالوجود وهو الكمال وكل
انسان فانه بطبعه محب لان يكون هو المنفرد بالكمال ولذلك قال بعض مشايخ الصوفية ما من انسان الا وفي باطنه ما صرح به فرعون من

قوله انا ربكم الاعلى ولكنه ليس يجد له مجالا وهو كما قال فان العبودية قهر على النفس والربوبية محبوبة بالطبع وذلك للنسبة الربانية
التي اومأ اليها قوله تعالى قل الروح من امر ربي ولكن لما عجزت النفس عن درك منتهى الكمال لم تسقط شهوتها للكمال فهي محبة
للكمال ومشتهية له وملتذة به لذاته لا لمعنى اخر وراء الكمال فكل موجود فهو محب لذاته ولكمال ذاته ومبغض للهلاك
الذي هو عدم ذاته او عدم صفات الكمال من ذاته وانما الكمال بعد ان يسلم التفرد بالوجود في الاستيلاء على كل الموجودات فان
اكمل الكمال ان يكون وجود غيرك منك وان لم يكن منك فان تكون مستوليا عليه فصار الاستيلاء على الكل محبوبا بالطبع لانه نوع
كمال وكل موجود يعرف ذاته فانه يحب ذاته ويحب كمال ذاته ويلتذ به الا ان الاستيلاء على الشيء بالقدرة على التاثير فيه وعلى التغيير
بحسب الارادة وكونه مسخرا لك تردده كيف تشاء فاحب الانسان ان يكون له استيلاء على الاشياء الموجودة معه الا ان الموجودات
منقسمة الى ما لا يقبل التغيير في نفسه كذات الله تعالى والى ما يقبل التغيير ولكن لا يستولى عليها بقدرة الخلق كالافلاك والكواكب
وملكوت السموات ونفوس الملائكة والجن والشياطين والجبال والبحار وما تحت الجبال والبحار والى ما يقبل التغيير بقدرة العبد
كالارض واجزائها وما عليها من المعادن والنبات والحيوان ومن جملتها قلوب الناس فانها قابلة للتاثير والتغيير مثل
اجسادهم واجساد الحيوانات فاذا انقسمت الموجودات الى ما يقدر الانسان على التصرف فيه كالارضيات والى ما لا يقدر
كالاله تعالى والملائكة والسموات احب الانسان ان يستولي على السموات بالعلم والاحاطة والاطلاع على اسرارها فان ذلك نوع استيلاء
اذ المعلوم المحاط به كالداخل تحت القدرة والعالم كالمستولي عليه فلذلك احب ان يعرف الله تعالى والملائكة والافلاك وجميع عجائب
السموات وعجائب الجبال والبحار وغيرها لان ذلك نوع استيلاء عليها والاستيلاء نوع كمال وهذا يضاهي اشتياق من عجز عن صنعة عجيبة
الى معرفة طريق الصنعة فيها كمن يعجز عن وضع الشطرنج فانه قد يشتهي ان يعرف اللعب به وانه كيف وضع وكمن يشاهد
صنعة عجيبة في الهندسة او الشعبذة او جر الثقيل او غيره وهو مستشعر في نفسه بعض العجز والقصور عنه ولكنه
يشتاق الى معرفة كيفيته فهو متألم بنقص العجز متلذذ بكمال العلم ان علمه واما القسم الثاني وهي الارضيات
التي يقدر الانسان عليها فهو بالطبع يحب ان يستولي عليها بالقدرة على التصرف فيها كيف يريد وهي قسمان اجساد وارواح
اما الاجساد فهي الدراهم والدنانير والامتعة فيجب ان يكون قادرا عليها يفعل فيها ما يشاء من الرفع والوضع والتسليم والمنع
فان ذلك قدرة والقدرة كمال والكمال من صفات الربوبية والربوبية محبوبة بالطبع فلذلك احب الاموال وان كان لا يحتاج اليها
في ملبسه ومطعمه وفي شهوات نفسه ولذلك طلب استرقاق العبيد واستعباد الاحرار ولو بالقهر والغلبة حتى يتصرف
في اجسادهم واشخاصهم بالاستسخار وان لم يملك قلوبهم فانها ربما لم تعتقد كماله حتى يصير محبوبا لهم ويقوم منزلته فيها فان
تلك الشهوة القهرية ايضا لذيذة لما فيها من القدرة **القسم الثاني** نفوس الادميين وقلوبهم وهي انفس ما على وجه الارض
فهو يحب ان يكون له استيلاء وقدرة عليها لتكون مسخرة له متصرفة تحت اشارته وارادته لما فيه من كمال الاستيلاء والتشبه
بالصفات الربوبية والقلوب انما تتسخر بالحب ولا تحب الا باعتقاد الكمال فان كل كمال محبوب لانه من معاني الانسان وهو الذي
لا يبليه الموت فيعدمه ولا يتسلط عليه التراب فياكله فانه محل الايمان والمعرفة وهو الواصل الى لقاء الله تعالى والساعي اليه
فاذا معنى الجاه تسخير القلوب ومن سخرت له القلوب كانت له قدرة واستيلاء عليها والقدرة والاستيلاء عليها كمال
وهو من اوصاف الربوبية فاذن محبوب القلب بطبعه الكمال بالعلم والقدرة والمال والجاه من اسباب القدرة ولا نهاية
للمعلومات ولا نهاية للمقدورات ومادام يبقى معلوم او مقدور فالشوق لا يسكن والنقصان لا يزول
ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان للخبر فاذا مطلوب القلب الكمال بالعلم والقدرة وتفاوت
الدرجات فيه غير محصورة فسرور كل انسان ولذته بقدر ما يدركه من الكمال فهذا هو السبب في كون العلم والمال والجاه
محبوبا وهو امر وراء كونه محبوبا لاجل التوصل الى قضاء الشهوات بل يحب الانسان من العلوم ما لا يصلح للتوصل الى الاغراض
بل ربما تفوت عليه جملة من الاغراض والشهوات ولكن الطبع يتقاضى العلم في جميع العجائب والمشكلات لان في العلم استيلاء
على المعلوم وهو نوع من الكمال الذي هو من الصفات الربوبية فكان محبوبا بالطبع الا ان في حب كمال العلم والقدرة اغاليط
لا بد من بيانها ان شاء الله تعالى

بيان الكمال الحقيقي والكمال الوهمي الذي لا حقيقة له

قد عرفت انه لا كمال بعد
فوات التفرد بالوجود الا في العلم والقدرة ولكن الكمال الحقيقي فيه ملتبس بالكمال الوهمي وبيانه ان كمال العلم لله سبحانه
وذلك من ثلثة اوجه احدها من حيث كثرة المعلومات وسعتها فانه محيط بجميع المعلومات ولذلك كلما

كانت علوم العبد أكثر كان أقرب إلى الله تعالى والثاني من حيث تعلق العلم بالمعلوم على ما هو به وكون المعلوم مكشوفا كشفا تاما فإن المعلومات مكشوفة لله تعالى بأتم أنواع الكشف على ما هي عليه فلذلك مهما كان علم العبد أوضح وأيقن وأصدق وأوفق للمعلوم في تفاصيل صفات المعلوم كان أقرب إلى الله تعالى والثالث من حيث بقاء العلم أبد الآباد بحيث لا يتغير ولا يزول فإن علم الله تعالى باق لا يتصور أن يتغير فكذلك مهما كان علم العبد بمعلومات لا يقبل التغيير والانقلاب كان أقرب إلى الله تعالى والمعلومات قسمان متغيرات وأزليات أما المتغيرات فمثاله العلم بكون زيد في الدار فإنه علم له معلوم ولكن يتصور أن يخرج زيد من الدار ويبقى اعتقاد كونه في الدار كما كان فينقلب جهلا فيكون نقصانا لا كمالا فكلما اعتقدت اعتقادا موافقا له وتصور أن ينقلب المعتقد فيه عما اعتقدته كنت بصدد أن ينقلب كمالك نقصا ويعود علمك جهلا ويلتحق بهذا المثال كل جميع متغيرات العالم كعلمك مثلا بارتفاع جبل ومساحة أرض وعدد البلاد وتباعد ما بينها من الأميال والفراسخ والقسم الثاني هي المعلومات الأزلية وهي جواز الجائزات ووجوب الواجبات واستحالة المستحيلات فإن هذه معلومات أزلية أبدية إذ لا يستحيل الواجب قط جائزا ولا الجائز محالا ولا المحال واجبا وكل هذه الأقسام داخلة في معرفة الله تعالى وما يجب له وما يستحيل في صفاته سبحانه وما يجوز في أفعاله فتكون هذه المعرفة نور العارفين بعد الموت يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا أي يكون هذه المعرفة رأس مال يتوصل إلى كشف ما لم ينكشف في الدنيا كما أن من معه سراج خفي فإنه يجوز أن يصير ذلك سببا لزيادة النور بسراج آخر يقتبس منه فيكمل النور بذلك النور الخفي على سبيل الاستتمام ومن ليس معه أصل السراج لا مطمع له في ذلك فمن ليس له أصل معرفة الله تعالى لم يكن له مطمع في هذا النور فيبقى كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها بل كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب الآية وأما ما عداه ذلك من المعارف فمنها ما لا فائدة له أصلا كمعرفة الشعر وأنساب العرب وغيره ومنها ما له منفعة في الإعانة على معرفة الله تعالى كمعرفة لغة العرب والتفسير والفقه والأخبار فإن معرفة لغة العرب تعين على معرفة تفسير القرآن ومعرفة التفسير تعين على معرفة ما في القرآن من كيفية العبادات والأعمال التي تفيد تزكية النفس قال الله تعالى قد أفلح من زكاها فتكون جملة هذه المعارف كالوسائل إلى تحقيق معرفة الله تعالى وأما القدرة فليس فيها كمال حقيقي للعبد بل للعبد علم حقيقي وليس له قدرة حقيقية وإنما القدرة الحقيقية لله تعالى وما يحدث من الأشياء عقيب إرادته وقدرته وحركته فهي حادثة بإحداث الله تعالى كما قررناه في كتاب الصبر والشكر وكتاب التوكل فكمال العلم يبقى معه بعد الموت ويوصله إلى الله تعالى وأما كمال القدرة فلا نعم له كمال من جهة القدرة بالإضافة إلى الحال وهي وسيلة إلى كمال العلم كسلامة أطرافه وقوة يده للبطش ورجله للمشي وحواسه للإدراك فإن هذه القوى آلة لا يمكن الوصول بها إلى كمال العلم وقد يحتاج في استيفاء هذه القوى إلى القدرة بالمال والجاه للتوصل به إلى المطعم والملبس وذلك إلى قدر معلوم فإن لم يستعمله للوصول به إلى معرفة الله تعالى فلا خير فيه البتة إلا من حيث اللذة الحالية التي تنقضي على القرب ومن ظن ذلك كمالا فهو جاهل فالخلق كلهم هالكون في غمرة الجهل فإنهم يظنون أن القدرة على الأجساد بقهر الحشمة وعلى سائر أعيان الأموال بسعة الغنى وعلى تعظيم الخلق بسعة الجاه وأما الحرية فالخلاص من أسر الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تشبها بالملائكة الذين لا تستفزهم الشهوة ولا يستهويهم الغضب فإن دفع آثار الغضب والشهوة عن النفس من الكمال الذي هو من صفات الملائكة ومن صفات الكمال لله تعالى استحالة التغير والتأثر عليه فمن كان عن التغير والتأثر بالعوارض أبعد كان إلى الله تعالى أقرب وبالملائكة أشبه ومنزلته عند الله أعظم وهذا كمال ثالث سوى كمال العلم والقدرة وإنما لم نورده في أقسام الكمال لأن حقيقته ترجع إلى عدم نقصان فإن التغير نقصان إذ هو عبارة عن نقصان صفة كانت وهلاكها والهلاك نقص في الذات وفي صفات الكمال للذات فإذا الكمالات ثلاثة وللعبد طريق إلى اكتساب كمال العلم وكمال الحرية ولا طريق له إلى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد موته إذ قدرته على أعيان الأموال وعلى استسخار القلوب والأبدان ينقطع بالموت ومعرفته وحريته لا تنعدم بالموت بل تبقى كمالا فيه ووسيلة إلى القرب من الله تعالى فانظر كيف انقلب الجاهلون وانكبوا على وجوههم انكباب العميان فأقبلوا على طلب كمال القدرة بالجاه

والمال وهو الكمال الذي لا يسلم وإن سلم فلا بقاء له وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا جرم لا يخفف عنهم العذاب وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا والعلم والحرية هي الباقيات الصالحات التي تبقى كمالا في النفس والمال والجاه هو الذي ينقضي على القرب وهو كما مثله الله تعالى حيث قال إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء الآية فكل ما تذروه رياح الموت فهو زهرة الحياة الدنيا وكل ما لا يقطعه الموت فهو الباقيات الصالحات فقد عرفت بهذا أن كمال القدرة بالمال والجاه كمال ظني لا أصل له وأن من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصودا فهو جاهل وإليه الإشارة بقول المتنبي

بيان ما يحمد

مهما عرفت أن معنى الجاه ملك القلوب والقدرة عليها فحكمه حكم ملك الأموال فإنه عرض من أعراض الحياة الدنيا وينقطع بالموت كالمال والدنيا مزرعة الآخرة فكل ما خلق في الدنيا فيمكن أن يتزود منه للآخرة كما أنه لا بد من أدنى مال لضرورة المعيشة مع الخلق والإنسان كما لا يستغني عن طعام يتناوله فيجوز أن يحب الطعام أو المال الذي يبتاع به الطعام فكذلك لا يخلو عن الحاجة إلى خادم يخدمه ورفيق يعينه وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم الأشرار فحبه لأن يكون له في قلب خادمه من المحل ما يدعوه إلى الخدمة ليس بمذموم وحبه لأن يكون له في قلب رفيقه من المحل ما يحسن به مرافقته ومعاونته ليس بمذموم فإن الجاه وسيلة إلى الأغراض كالمال فلا فرق بينهما إلا أن التحقيق في هذا يفضي إلى أن لا يكون المال والجاه في أعيانهما محبوبين له بل ذلك بمنزلة حب الإنسان أن يكون في داره بيت ماء لأنه يضطر إليه لقضاء حاجته ويود لو استغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغني عن بيت الماء وهذا على التحقيق ليس محبا لبيت الماء فكل ما يراد للتوصل إلى محبوب فالمحبوب هو المقصود المتوسل إليه وتدرك التفرقة بمثال وهو أن الرجل يحب زوجته من حيث إنه يدفع بها فضلة الشهوة كما يدفع ببيت الماء فضل الطعام ولو كفي مؤنة الشهوة لكان يهجر زوجته كما أنه لو كفي قضاء الحاجة لكان لا يدخل بيت الماء ولا يدور به وقد يحب زوجته لذاتها حب العشاق ولو كفي الشهوة لبقي مستصحبا لنكاحها فهذا هو الحب دون الأول فكذلك المال والجاه قد يحب كل واحد منهما على هذين الوجهين فحبهما لأجل التوسل بهما إلى مهمات البدن غير مذموم وحبهما لأعيانهما فيما يجاوز ضرورة البدن وحاجته مذموم ولكنه لا يوصف صاحبه بالفسق والعصيان ما لم يحمله الحب على مباشرة معصية

فإن قلت

طلبه الجاه والمنزلة في قلب أستاذه وخادمه ورفيقه وسلطانه ومن يرتبط أمره به مباح على الإطلاق كيف ما كان أو مباح إلى حد مخصوص وعلى وجه مخصوص فأقول يطلب ذلك على ثلاثة أوجه وجهان منها مباح ووجه محظور أما الوجه المحظور فهو أن يطلب قيام المنزلة في قلوبهم باعتقادهم صفة هو منفك عنها مثل العلم والورع والنسب فيظهر لهم أنه علوي أو عالم أو ورع وهو لا يكون كذلك فهذا حرام لأنه تلبيس وكذب إما بالقول وإما بالمعاملة وأما المباح فهو أن يطلب المنزلة بصفة هو متصف بها كقول يوسف اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم فإنه طلب المنزلة في قلبه بكونه حفيظا عليما وكان محتاجا إليه وكان صادقا فيه والثاني أن يطلب إخفاء عيب من عيوبه ومعصية من معاصيه حتى لا يعلم فهذا أيضا مباح لأن حفظ الستر على القبائح جائز فلا يجوز هتك الستر وإظهار القبيح وهذا ليس فيه تلبيس بل هو سد لطريق العلم بما لا فائدة للعلم به كالذي يخفي من السلطان أنه يشرب الخمر ولا يلقي إليه أنه ورع فإن قوله إني ورع تلبيس وعدم إقراره بالشرب لا يوجب اعتقاده الورع بل يمنع العلم بالشرب

بيان السبب في

اعلم أن لحب المدح والتذاذ النفس به أربعة أسباب السبب الأول وهو الأقوى شعور النفس بالكمال فإنا بينا أن الكمال محبوب وكل محبوب فإدراكه لذيذ ومهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت واهتزت وتلذذت والمدح يشعر نفس الممدوح بكمالها فإن الوصف الذي به مدح لا يخلو إما أن يكون جليا ظاهرا أو يكون مشكوكا فيه فإن كان جليا ظاهرا محسوسا كانت اللذة فيه أقل ولكنه لا يخلو عن كونه لذة كثنائه عليه بأنه طويل القامة أبيض اللون فإن هذا نوع كمال ولكن النفس تغفل عنه فتخلو عن لذته فإذا شعر به لم يخل حدوث الشعور عن حدوث لذة وإن كان ذلك الوصف مما يتطرق إليه الشك فاللذة فيه أعظم كالثناء عليه بكمال العلم وكمال الورع أو بالحسن المطلق فإن الإنسان ربما يكون شاكا في كمال حسنه وكمال علمه وكمال ورعه ويكون مشتاقا إلى زوال هذا الشك بأن يصير متيقنا لكونه عديم النظير في هذه الأمور فإذا ذكره غيره أورث ذلك طمأنينة وثقة باستشعار ذلك الكمال فتعظم لذته وإنما تعظم اللذة بهذه العلة مهما صدر الثناء من بصير بهذه الصفات خبير بها لا يجازف بالقول إلا عن تحقيق وذلك كفرح التلميذ بثناء أستاذه عليه بالكياسة والذكاء وغزارة الفضل فإنه في غاية اللذة وإن صدر ممن يجازف في

ولا يكون بصيرا فاذا الامر ضعفت اللذة وبهذه العلة ينقص الذم ايضا ويكرهه لانه يشعره بنقصان نفسه والنقصان
ضد الكمال المحبوب فهو ممقوت والشعور به مولم **السبب الثاني** ان المدح يدل على ان قلب المادح مملوك للممدوح وانه
مريد له ومعتقد فيه ومسخر تحت مشيئته وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذيذ وبهذه العلة تعظم اللذة
مهما صدر الثناء ممن تتسع قدرته وينتفع باقتناص قلبه كالملوك والاكابر وتضعف مهما كان المثني ممن لا يؤبه له ولا يقدر على شيء
السبب الثالث ان ثناء المثني ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لا سيما اذا كان ذلك ممن يلتفت الى
قوله ويعتقد بثنائه وهذا يختص بثناء يقع على الملأ فلا جرم كلما كان الجمع اكثر فالمثني اجدر بان يلتفت الى قوله كان المدح
الذ والذم اشد على النفس **السبب الرابع** ان المدح يدل على حشمة الممدوح واضطرار المادح الى اطلاق
اللسان بالثناء عليه اما عن طوع واما عن قهر فان الحشمة ايضا لذيذة لما فيها من القهر والقدرة وهذه اللذة تحصل
وان كان المادح لا يعتقد في الباطن ما مدح به ولكن كونه مضطرا الى ذكره نوع قهر واستيلاء عليه فلا جرم لذته تكون
بقدر منع المادح وقوته فهذه الاسباب الاربعة قد تجتمع في مدح واحد فيعظم به الالتذاذ وقد تفترق فتنقص اللذة
اما العلة الاولى وهو استشعار الكمال فيندفع بان يعلم الممدوح انه غير صادق في مدحه كما اذا مدح بانه نسيب او سخي او عالم
بعلم او متورع عن المحظورات وهو يعلم من نفسه ضد ذلك فتزول اللذة التي سببها استشعار الكمال فان كان يعلم ان المادح
ليس يعتقد ما يقوله ويبقى لذة الاستيلاء بالحشمة على اضطرار لسانه الى النطق بالثناء فان لم يكن ذلك عن خوف بل كان
بطريق اللعب بطلت اللذات كلها فلم يكن فيه اصلا لفوات الاسباب الثلثة فهذا ما يكشف الغطاء عن علة التذاذ
النفس بالمدح وتألمها بسبب الذم

بيان علاج حب الجاه

اعلم ان من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصور الهم
على مراعاة الخلق مشغوفا بالتودد اليهم والمراياة لاجلهم فلا يزال في اقواله وافعاله ملتفتا الى ما يعظم منزلته عندهم
وذلك بذر النفاق واصل الفساد ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الشرف والمال وافسادهما للدين بذئبين ضاريين وقال
انه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل اذ النفاق مخالفة الظاهر للباطن بالقول والفعل وكل من طلب المنزلة في قلوب
الناس فيضطر الى النفاق معهم والى التظاهر بخصال حميدة وهو خال عنها وذلك عين النفاق فحب الجاه اذن
من المهلكات فيجب علاجه وازالته عن القلب فانه طبع جبل عليه القلب كما جبل على حب المال وعلاجه مركب من علم وعمل
اما العلم فهو ان يعلم السبب الذي لاجله احب الجاه وهو كمال القدرة على اشخاص الناس وعلى قلوبهم وقد بينا ان ذلك ان صفا
وسلم فآخره الموت فليس هو من الباقيات الصالحات بل لو سجد لك كل من على بسيط الارض من المشرق الى المغرب فالى خمسين سنة لا يبقى الساجد ولا
المسجود له ويكون حالك كحال من مات قبلك من ذوي الجاه مع المتواضعين لهم فهذا لا ينبغي ان يترك به الدين الذي هو
الحياة الابدية التي لا انقطاع لها ومن فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي صغر الجاه في عينه الا ان ذلك انما يصغر في عين من ينظر
الى الاخرة كانه يشاهدها ويستحقر العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده ويكون حاله كحال الحسن البصري حين كتب
الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فكأنك بالدنيا لم تكن وكأنك بالاخرة لم تزل فهؤلاء كان التفاتهم الى الاخرة
لكمال علمهم بالتقوى اذ علموا ان العاقبة للمتقين فاستحقروا المال والجاه والدنيا وقال الله عز وجل بل تؤثرون الحيوة الدنيا
والاخرة خير وابقى وقال تعالى كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة فمن هذا حده ينبغي ان يعالج قلبه في حب الجاه بالعلم بالآفات
العاجلة وهو ان يتفكر في الاخطار التي يستهدف لها ارباب الجاه في الدنيا فان كل ذي جاه محسود ومقصود بالايذاء وخائف
على الدوام على جاهه ومحترز من ان تتغير منزلته في القلوب والقلوب اشد تغيرا من القدر في غليانها وهي مترددة بين
الاقبال والاعراض واما من حيث العمل فاسقاط الجاه عن قلوب الخلق بمباشرة افعال يلام عليها حتى يسقط من اعين
الخلق وتفارقه لذة القبول ويأنس بالخمول ويقنع بالقبول من الخالق وهذا منهج الذين اقتحموا الفواحش في صورها ليسقطوا
انفسهم عن اعين الخلق فيسلموا من آفة الجاه وهذا غير جائز لمن يقتدى به فانه يوهن الدين في قلوب المسلمين واما الذي
لا يقتدى به فلا يجوز له ان يقدم على محظور لاجل ذلك بل له ان يفعل من المباحات ما يسقط قدره عند الناس كما
يحكى ان بعض الملوك قصد بعض الزهاد فلما علم بقربه منه استدعى طعاما وبقلا واخذ ياكل بشره
ويعظم اللقمة فلما نظر اليه الملك سقط من عينه وانصرف فقال الزاهد الحمد لله الذي صرفك عني ومنهم
من شرب شرابا حلالا في قدح لونه لون الخمر حتى يظن انه يشرب الخمر فيسقط من الاعين وهذا في جوازه نظر
من حيث الفقه الا ان ارباب الاحوال ربما عالجوا انفسهم بما لا يفتي به الفقيه مهما رأوا اصلاح قلوبهم فيه
بما فرط منهم في صورة التقصير كما فعل بعضهم فانه عرف بالزهد فاقبل الناس عليه فدخل حماما ولبس
ثوب غيره وخرج ووقف في الطريق حتى عرفوه فاخذوه وضربوه واستردوا منه الثوب وقالوا انه
طرار وهجروه واقوى الطرق في قطع الجاه الاعتزال عن الناس والهجرة الى موضع الخمول فان المعتزل في
بيته في البلد الذي هو به مشتهر لا يخلو عن حب المنزلة التي ترسخ له في القلوب بسبب عزلته فربما يظن انه ليس
محبا لذلك الجاه وهو مغرور دائما وربما يحتاج في ازالة ذلك عن قلوبهم الى كذب وتلبيس ولا يبالي به
وبه تبين انه بعد محب للجاه والمنزلة ومن احب الجاه والمنزلة فهو كمن احب المال بل هو شر منه وان فتنة
الجاه اعظم ولا يمكنه ان لا يحب المنزلة في قلوب الناس ما دام يطمع في الناس فاذا احرز قوته من كسبه او من
جهة اخرى انقطع طمعه عن الناس واما صار الناس كلهم عنده كالارذال ولا يبالي اذا كانت له منزلة في
قلوبهم او لم تكن كما لا يبالي بذلك في قلوب الذين هم في اقصى المشرق لانه لا يراهم ولا يطمع فيهم ولا يقطع الطمع
عن الناس الا بالقناعة فمن قنع استغنى عن الناس واذا استغنى لم يشتغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته
في القلوب عنده وزن

بيان وجه العلاج لحب المدح وكراهة الذم

اعلم ان اكثر الخلق انما هلكوا بخوف مذمة
الناس وحب مدحهم فصارت حركاتهم كلها موقوفة على ما يوافق رضا الناس رجاء المدح وخوفا من الذم
وذلك من المهلكات فتجب معالجته وطريقه ملاحظة الاشياء التي لاجلها يحب المدح ويكره الذم **اما السبب الاول**
فهو استشعار الكمال بسبب قول المادح فطريقك فيه ان ترجع الى عقلك وتقول لنفسك ان هذه الصفة
التي مدحك الناس بها انت متصف بها ام لا فان كنت متصفا بها فهي اما صفة تستحق المدح كالعلم والورع
واما صفة لا تستحق كالثروة والجاه والاعراض الدنيوية والفرح بها كالفرح بنبات الارض الذي يصير على
القرب هشيما تذروه الرياح وهذا من قلة العقل بل العاقل يقول ما قال **نقول**
اشد الغم عندي في سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا
فلا ينبغي ان يفرح بذكر الانسان لعروض الدنيا وان فرح فلا ينبغي ان يفرح بمدح المادح بها بل بوجودها والمدح ليس هو
سبب وجودها وان كانت الصفة مما يستحق الفرح بها كالعلم والورع فينبغي ان لا يفرح بهما لان الخاتمة غير معلومة
وهذا انما يقتضي الفرح لانه يقرب عند الله زلفى وخطر الخاتمة باق ففي الخوف من الخاتمة شغل عن الفرح بكل ما في الدنيا
بل الدنيا دار احزان وغموم لا دار فرح وسرور ثم ان كنت تفرح بها على رجاء حسن الخاتمة فينبغي ان يكون فرحك
بفضل الله عليك بالعلم والتقوى لا بمدح المادح فان اللذة في استشعار الكمال والكمال موجود من فضل الله تعالى لا
من المدح والمدح تابع له فلم ينبغي ان يفرح بالمدح والمدح لا يزيدك فضلا **واما السبب الثاني**
وهو دلالة المدح على تسخير قلب المادح وكونه سببا لتسخير قلب آخر فهذا يرجع الى حب الجاه والمنزلة
في القلوب وقد سبق وجه معالجته وذلك بقطع الطمع وطلب المنزلة عند الله ثم بكمية يفرح به واما
وهو الحشمة التي اضطرت المادح الى المدح فهو ايضا يرجع الى قدرة عارضة لا ثبات لها ولا يستحق الفرح بل
ينبغي ان يغمك مدح المادح وتكرهه وتغضب به كما نقل ذلك عن السلف لان آفة المدح على الممدوح عظيمة
كما ذكرناه في كتاب آفات اللسان وقيل في بعض الاخبار اذا قيل لك نعم الرجل انت فكان احب اليك
من ان يقال بئس الرجل انت فانت والله بئس الرجل وروي في بعض الاخبار فانه قاصم للظهر ان
رجلا اثنى على رجل خيرا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام لو كان صاحبك حاضرا فرضي الذي قلت فمات على ذلك دخل النار
وقال عليه السلام اذا رايتم المادحين فاحثوا في وجوههم التراب ولهذا كانت الصحابة على وجل عظيم من المدح
وفتنته وما يدخل على القلب من السرور به حتى ان بعض الخلفاء الراشدين سأل رجلا عن شيء فقال
يا امير المؤمنين انت خير مني واعلم فغضب وقال اني لم آمرك ان تزكيني وقيل لبعض الصحابة لا يزال
الناس بخير ما ابقاك الله فغضب وقال اني لاحسبك عراقيا وقال بعضهم لما مدح اللهم
ان عبدك تقرب الي بمقتك فاشهدك على مقته وانما كرهوا المدح خيفة ان يفرحوا بمدح الخلق
لهم وهم ممقوتون عند الخالق فكان اشتغال قلوبهم بحالهم عند الله يبغض اليهم مدح الخلق لان

المدوح هو المقرب الى الله والمذموم بالحقيقة هو المبعد عن الله تعالى الملقى في النار مع الاشرار

بيان علاج كراهة الذم

قد سبق ان العلة في كراهة الذم هو ضد العلة في حب المدح وعلاجه ايضا يفهم منه والقول الوجيز فيه ان من ذمك لا يخلو من ثلثة اوجه اما ان يكون قد صدق فيما قاله فيك وقصد النصيحة والشفقة واما ان يكون صادقا فلا ينبغي ان تذمه وتغضب عليه بل ينبغي ان تتقلد منته فان من اهدى اليك عيوبك فقد ارشدك الى المهلكة حتى تتقيها فينبغي ان تفرح به وتشتغل بازالة الصفة المذمومة عن نفسك ان قدرت عليه فاما اغتمامك بسببه وكراهتك له وذمك اياه فغاية الجهل وان كان قصده التعيب فانت قد انتفعت بقوله اذ ارشدك الى عيبك ان كنت جاهلا به او ذكرك عيبك ان كنت غافلا عنه او قبحه في عينك لينبعث حرصك على ازالته ان كنت قد استحسنته فاشتغل بطلب السعادة فقد اتيح لك اسبابها بسبب ما سمعته من المذمة فمهما قصدت الدخول على ملك وثوبك ملوث بالعذرة وانت لا تدري ولو دخلت عليه كذلك لخفت ان يجز رقبتك لتلويثك مجلسه بالعذرة فقال لك قائل ايها الملوث طهر نفسك فينبغي ان تفرح به لان تنبهه غنيمة لك وجميع مساوي الاخلاق مهلكة في الاخرة والانسان انما يعرفها من قول اعدائه فينبغي ان تغتنمه. **الحالة الثانية** ان يفتري عليك بما انت بريء منه عند الله تعالى فينبغي ان لا تكره ذلك ولا تشتغل بذمه بل تتفكر في ثلثة امور احدها انك ان خلوت من ذلك العيب فلا تخلو من امثاله واخواته وما ستره الله من عيوبك اكثر فاشكر الله تعالى اذ لم يطلعه على عيوبك ودفعه عنك بذكر ما انت بريء منه. **والثاني** ان ذلك كفارة مساويك وذنوبك فكانه رماك بعيب انت بريء منه وطهرك من ذنوب انت ملوث بها وكل من اغتابك فقد اهدى اليك حسناته وكل من مدحك فقد قطع ظهرك فما بالك تفرح بقطع الظهر وتحزن بهدايا الحسنات التي تقربك الى الله وانت تزعم انك تحب القرب من الله تعالى. **واما الثالث** فان المسكين جنى على دينه حتى سقط من عين الله واهلك نفسه بافترائه وتعرض لعقابه الاليم فلا ينبغي ان تغضب عليه مع غضب الله عليه فتشمت الشيطان به وتقول اللهم اهلكه بل ينبغي ان تقول اللهم اصلحه. اللهم تب عليه اللهم ارحمه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون لما ضربوه وما يهون عليك كراهة الذم قطع الطمع فان من استغنيت عنه مهما ذمك لم يعظم اثره في قلبك واصل الدين القناعة وبها ينقطع الطمع عن الجاه والمال وما دام الطمع قائما كان حب الجاه والمدح في قلب من طمعت به غالبا.

بيان اختلاف الناس في المدح والذم

اعلم ان للناس اربعة احوال بالاضافة الى الذام والمادح **الحالة الاولى** ان يفرح بالمدح ويشكر المادح ويغضب من الذم ويحقد على الذام ويكافيه ويحب مكافاته وهذا حال اكثر الخلق وهو غاية درجات المعصية في هذا الباب. **والثانية** ان يمتعض في الباطن على الذام ولكن يمسك لسانه وجوارحه عن مكافاته ويفرح باطنه ويرتاح للمادح ولكن يحفظ ظاهره عن اظهار السرور وهذا من النقصان الا انه بالاضافة الى ما قبله كمال. **الحالة الثالثة** وهي اول درجات الكمال ان يستوي ذامه ومادحه فلا تغمه المذمة ولا تسره المدحة وهذا قد يظنه بعض العباد بنفسه ويكون مغرورا ان لم يمتحن نفسه بعلاماته وعلاماته ان لا يجد في نفسه هزة ونشاطا في قضاء حوائج المادح فوق ما يجده في قضاء حاجة الذام وان لا يكون انقطاع الذام عن مجلسه اهون عليه من انقطاع المادح وان لا يكون غمه بمصيبة المادح وما يصدر من ايذائه اكثر مما تكون من مصيبة الذام على قلبه واستويا من كل وجه فقد نال هذه الرتبة وما ابعد ذلك وما اشده على القلوب. واكثر العباد فرحهم لمدح الناس مستبطن في قلوبهم وهم لا يشعرون حيث لا يمتحنون انفسهم بهذه العلامات فان العابد لو تفكر علم ان في الناس من ارتكب من كبائر المعاصي اكثر مما ارتكبه الذام في مذمته. واعلم ان المادح الذي مدحه لا يخلو عن مذمة غيره ولا يجد في نفسه نفرة عنه لمذمة غيره كما يجد لمذمة نفسه. والمذمة من حيث انها معصية لا تختلف بان يكون هو المذموم وغيره ثم الشيطان يخيل اليه انه من الدين حتى يعمل على الله بهواه فيزيده ذلك بعدا من الله ومن لم يطلع على مكايد الشيطان وافات النفوس فاكثر عباداته تعب ضائع يفوت عليه الدنيا ويخسر الاخرة وفيهم قال الله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا. **الحالة الرابعة** وهو الصدق في العبادة ان تكره المدح

حوائج

وتمقت المادح اذ تعلم انه فتنة عليك قاصمة للظهر مضرة لك في الدين وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم راس التواضع ان تكره ان تذكر بالبر والتقوى. وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ويل للصايم وويل للقاعد وويل للقايم وويل لصاحب الصوف الا فقيل يا رسول الله الا من قال الا من تنزهت نفسه عن الدنيا وابغض المدحة واستحب المذمة وهذا شديد جدا وغاية امثالنا الطمع في الحالة الثانية وهو ان يضمر الفرح والكراهة على الذام فاما الحالة الثالثة وهي التسوية بين المادح والذام فلا نطمع فيه ثم ان طالبنا انفسنا بعلامات الحالة الثانية وما دونها فانها لا بد وان تسارع الى اكرام المادح وقضاء حاجاته وتتثاقل عن اكرام الذام والثناء عليه وقضاء حوائجه فلا نقدر على ان نسوي بينهما في الفعل الظاهر كما لا نقدر عليه في سريرة القلب ومن قدر على التسوية بين المادح والذام في ظاهر الفعل فهو جدير بان يتخذ قدوة في هذا الزمان فانه الكبريت الاحمر يتحدث به ولا يرى فهو بعيد من المرتبتين ولكل واحد من هذه الرتب ايضا فيها درجات اما الدرجات في المدح فهو ان من الناس من يتمنى المدحة والثناء وانتشار الصيت فيتوصل الى نيله بكل ممكن حتى يرائي بالعبادات ولا يبالي بمقارفة المحظورات لاستمالة قلوب الناس واستنطاق السنتهم بالمدح وهذا من الهالكين ومنهم من يريد ذلك فيطلبه بالمباحات ولا يباشر المحظورات وهذا على شفا جرف هار فان حدود الكلام الذي يستميل القلوب وحدود الاعمال لا يمكنه ان ينضبطها فيوشك ان يقع فيما لا يحل لنيل الحمد فهو قريب من الهالكين جدا ومنهم من لا يريد المدحة ولا يسعى لطلبها ولكن اذا مدح سبق السرور الى قلبه فان لم يقابل ذلك بالمجاهدة ولم يتكلف الكراهة فهو قريب من ان يستجره افراط السرور الى المرتبة التي قبله وان جاهد نفسه في ذلك وكلف قلبه الكراهة وبغض السرور عليه بالتفكر في افات المدح فهو في خطر المجاهدة فتارة يكون اليد له وتارة عليه ومنهم من اذا سمع المدح لم يسر ولم يغتم ولكن لم يؤثر فيه وهذا على خير ان كان قد بقي عليه بقية من الاخلاص ومنهم من يكره المدح اذا سمعه ولكن لا ينتهي به الى ان يغضب على المادح فينكر عليه واقصى درجاته ان يكره ويغضب ويظهر الغضب وهو صادق لا ان يظهر الغضب وقلبه محب له فان ذلك عين النفاق وكذلك بالضد من هذا تتفاوت الاحوال في حق الذام واول درجاته اظهار الغضب واخرها اظهار الفرح ولا يكون الفرح واظهاره الا من قلبه حنق وحقد على نفسه لتمردها عليه ولكثرة عيوبها ومواعيدها الكاذبة فيبغضها بغض العدو والانسان يفرح بمن يذم عدوه وهذا شخص عدوه نفسه فيفرح اذا سمع ذمها ويشكر الذام عليها ويعتقد فطنته وذكاءه لما وقف على عيوبها ويكون غنيمة عنده اذ صار بالمذمة اوضع في اعين الناس حتى لا يبتلى بفتنة الجاه اذا سيقت اليه حسنات لم ينصب فيها فعساه يكون خيرا بعيوب هو عاجز عن اماطتها ولو جاهد المريد نفسه طول عمره في هذه الخصلة الواحدة وهو ان يستوي ذامه ومادحه لكان له شغل شاغل فيه لا يتفرغ معه لغيره وبينه وبين السعادة عقبات كثيرة هذه احدى العقبات تلك ولا ينقطع شيء منها الا بالمجاهدة الشديدة في العمر الطويل.

الشطر الثاني من الكتاب في طلب الجاه والمنزلة بالعبادات

فيه بيان ذم الريا. وبيان حقيقة الريا وما يرائي به. وبيان درجات الريا. وبيان الريا الخفي. وبيان ما يحبط العمل من الريا وما لا يحبط. وبيان دواء الريا وعلاجه. وبيان الرخصة في اظهار الطاعات. وبيان الرخصة في كتمان الذنوب. وبيان ترك الطاعات خوفا من الريا والافات. وبيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب روية الخلق. وبيان ما يجب على المريد ان يلزم قلبه قبل الطاعة وبعدها وهي عشر فصول.

بيان ذم الريا

اعلم ان الريا حرام والمرائي عند الله تعالى ممقوت وقد شهد لذلك الايات والاخبار والاثار. اما الايات فقوله تعالى فويل للمصلين الى اخرها وقوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله الاية مدح المخلصين بنفي كل ارادة سوى وجه الله تعالى والريا هو ضده وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا الاية اي لمن يطلب الاجر والمدح بعباداته واعماله. واما الاخبار فقد قال عليه السلم حين ساله رجل فقال يا رسول الله فيم النجاة فقال ان لا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس. وقال عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

من رايا رايا الله به ومن سمع سمع الله به وفي حديث اخر طويل ان الله تعالى يقول للملكين ان هذا لم يرد في عمله فاجعلوه في سجين وقال عليه السلام ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يا رسول الله قال الريا يقول الله عز وجل يوم القيمة اذا جازا العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزا وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل من عمل عملا اشرك فيه غيري فهو له كله وانا بريء منه وانا اغنى الاغنيا عن الشرك وقال عيسى عليه السلام اذا كان يوم صوم احدكم فليدهن راسه ولحيته ويمسح شفتيه لئلا يرى الناس انه صائم واذا اعطى بيمينه فليخف عن شماله واذا صلى فليرخ ستر بابه فان الله يقسم الثنا كما يقسم الرزق وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله عملا فيه ذرة من رياء وقال عبد الله بن عمر لمعاذ بن جبل رضي الله عنهما حين راه يبكي قال لحديث سمعته من رسول الله عم يقول ان ادنى الريا الشرك وقال عليه الصلاة والسلام اخوف ما اخاف عليكم الريا والشهوة الخفية

وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان المرائي ينادى يوم القيمة يا فاجر يا غادر يا مرائي ضل عملك وحبط اجرك اذهب فخذ اجرك ممن كنت تعمل له وقال شداد بن اوس رايت النبي صلى الله عليه وسلم يبكي فقلت ما يبكيك فقال اني تخوفت على امتي الشرك اما انهم لا يعبدون صنما ولا شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولكنهم يراؤون باعمالهم وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لما خلق الارض مادت باهلها فخلق الجبال فصيرها اوتادا للارض فقالت الملائكة ما خلق الله ربنا خلقا هو اشد من هذه فخلق الحديد فقطع الجبل ثم خلق النار فاذابت الحديد ثم امر الله الماء فاطفا النار وامر الريح فركدت الماء فاختلفت الملائكة فقالت نسال الله تعالى فقالت يا ربنا ما اشد ما خلقت من خلقك قال الله تعالى ما خلقت شيا هو اشد من ابن ادم حين يتصدق بيمينه فيخفيها عن شماله فهذا اشد خلقا خلقته وروى عبد الله بن المبارك باسناده عن رجل انه قال لمعاذ بن جبل حدثني بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكى معاذ حتى ظننت انه لا يسكت ثم سكت ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا معاذ قلت لبيك بابي انت وامي قال اني محدثك حديثا ان انت حفظته نفعك وان انت ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله يوم القيمة يا معاذ ان الله تعالى خلق سبعة املاك قبل ان يخلق السموات والارض فجعل لكل سماء من السبعة ملكا بوابا لها قد جللها عظما فتصعد الحفظة بعمل العبد من حين اصبح الى حين امسى له نور كنور الشمس حتى اذا طلعت الى السماء الدنيا ذكرته فكثرته فيقول الملك للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا صاحب الغيبة امرني ربي ان لا ادع عمل من اغتاب يجاوزني الى غيري • ثم تاتي الحفظة بعمل صالح من اعمال العبد فتزكيه وتكثره حتى تبلغ به الى السماء الثانية فيقول لهم الملك الموكل بالسماء الثانية قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه اراد بعمله هذا عرض الدنيا امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري انه كان يفتخر على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يبتهج نورا من صدقة وصيام وصلاة قد اعجب الحفظة فيجاوزون به الى السماء الثالثة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا ملك الكبر امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني انه كان يتكبر على الناس في مجالسهم • قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كما يزهر الكوكب الدري له دوي من تسبيح وصلاة وحج وعمرة حتى يجاوز الى السماء الرابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل ظهره وبطنه انا صاحب العجب امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري انه كان اذا عمل عملا ادخل العجب في عمله • قال وتصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوز به الى السماء الخامسة كانه العروس المزفوفة الى اهلها فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه انا ملك الحسد انه كان يحسد الناس ممن يتعلم ويعمل بمثل عمله وكل من كان ياخذ فضلا من العبادة يحسدهم ويقع فيهم امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وحج وعمرة وصيام فيجاوزن الى السماء السادسة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه كان لا يرحم انسانا

قط من عباد الله اصابه بلاء او ضر كان يشمت به انا ملك الرحمة امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد الى السماء السابعة من صوم وصلاة ونفقة واجتهاد وورع لها دوي كدوي الرعد وضوء كضوء الشمس معها ثلثة الاف ملك فيجاوزون به الى السماء السابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به جوارحه اقفلوا على قلبه اني احجب عن ربي كل عمل لم يرد به وجه ربي انه اراد بعمله غير الله انه اراد رفعة عند الفقهاء وذكرا عند العلماء وصيتا في المدائن امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري وكل عمل لم يكن لله خالصا فهو ريا ولا يقبل الله عمل المرائي • قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وحسن صمت وذكر الله وتشيعه ملائكة السموات حتى تقطع الحجب كلها الى الله عز وجل فيقفون بين يديه سبحانه ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله قال فيقول لهم الله تعالى انتم الحفظة على عمل عبدي وانا الرقيب على نفسه انه لم يردني بهذا العمل واراد به غيري فعليه لعنتي فتقول الملائكة كلها عليه لعنتك ولعنتنا • وتقول السموات كلها عليه لعنتك ولعنتنا وتلعنه السموات السبع ومن فيهن قال معاذ قلت يا رسول الله انت رسول الله وانا معاذ قال اقتد بي وان كان في عملك تقصير • يا معاذ حافظ على لسانك من الوقيعة في اخوانك • من حملة القران واحمل ذنوبك عليك • ولا تحملها عليهم • ولا تزك نفسك بذمهم ولا ترفع نفسك عليهم • ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الاخرة ولا تتكبر في مجلسك لكي يحذر الناس من سوء خلقك ولا تناج رجلا وعندك اخر ولا تتعظم على الناس فتنقطع عنك خير الدنيا ولا تمزق الناس فتمزقك كلاب النار يوم القيمة في النار قال الله تعالى والناشطات نشطا تدري ما هي يا معاذ قلت ما هي يا رسول الله بابي انت وامي قال كلاب النار تنشط اللحم والعظم قلت بابي انت وامي من يطيق هذه الخصال ومن ينجو منها قال يا معاذ انه ليسير على من يسره الله تعالى عليه قال فما رايت اكثر تلاوة للقران من معاذ بن جبل للحذر مما في هذا الحديث

واما الاثار روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه راى رجلا يطاطئ رقبته فقال يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب انما الخشوع في القلوب • وراى ابو امامة الباهلي رجلا في المسجد يبكي في سجوده فقال انت انت لو كان هذا في بيتك **وقال** علي رضي الله عنه للمرائي ثلث علامات يكسل اذا كان وحده وينشط اذا كان في الناس ويزيد في العمل اذا اثني عليه • وينقص اذا ذم • **وقال** رجل لعبادة بن الصامت اقاتل بسيفي في سبيل الله اريد به وجه الله ومحمدة الناس قال لا شيء لك فساله ثلث مرات كل ذلك يقول لا شيء لك ثم قال في الثالثة ان الله يقول انا اغنى الاغنياء عن الشرك الحديث وضرب عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا بالدرة ثم قال اقتص مني فقال بل ادعها لله ولك فقال عمر ما صنعت شيا اما ان تدعها لي فاعرف ذلك او تدعها لله وحده فقال ودعتها لله وحده قال فنعم اذا وقال الحسن رضي الله عنه لقد صحبت اقواما ان كان احدهم لتعرض له الحكمة لو نطق بها لنفعته ونفعت اصحابه وما يمنعه منها الا مخافة الشهرة وان كان احدهم ليمر فيرى الاذى على الطريق فما يمنعه ان ينحيه الا مخافة الشهرة **وقال** الفضيل كانوا يراؤون بما يعملون وصاروا اليوم يراؤون بما لا يعملون وقال عكرمة ان الله تعالى يعطي العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله لان النية لا ريا فيها وقال الحسن المرائي يريد ان يغلب من يريد ان يغلب قدر الله تعالى هو رجل سوء ويريد ان يقول الناس هو رجل صالح وكيف يقولون وقد حل من ربه محل الارديا فلا بد لقلوب المؤمنين ان تعرفه **وقال** قتادة اذا راءى العبد يقول الله تعالى انظروا الى عبدي يستهزئ بي وقال ابو سليمان الداراني رضي الله عنه التوقي على العمل اشد من العمل وقال عبد الله بن المبارك ان كان الرجل ليطوف بالبيت وهو بخراسان قيل كيف ذلك قال يحب ان يذكر انه مجاور بمكة **وقال** ابرهيم بن ادهم ما صدق الله من اراد ان يشتهر

بيان حقيقة الريا وما يرايا به

اعلم ان الريا مشتق من الرؤية والسمعة مشتقة من السماع وانما الريا اصله طلب المنزلة في قلوب الناس باراءتهم خصال الخير الا ان الجاه والمنزلة تطلب في القلب باعمال سوى العبادات واسم الريا مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة في القلوب بالعبادات واظهارها فحد الريا هو ارادة العباد بطاعة الله تعالى والمرائي هو العابد والمراءى هو الناس المطلوب رؤيتهم بطلب المنزلة في قلوبهم والمراءى به هي الخصال التي قصد المرائي اظهارها والريا هو قصده اظهار ذلك والمراءى به كثير وتجمعه خمسة اقسام

بشعث الشعر ليدل به على استغراق الهم بالدين وعدم التفرغ لتسريح الشعر وهذه اسباب متى ما ظهرت استدل الناس
بها على هذه الامور ويقرب من هذا خفض الصوت واغارة العينين وذبول الشفتين ليستدل بذلك على انه
مواظب على الصوم وان وقار الشرع هو الذي خفض من صوته او ضعف الجوع هو الذي ضعف صوته وعن هذا
قال عيسى عم اذا صام احدكم فليدهن راسه وليرجل شعره ويكحل عينيه عبد الله بن مسعود اصبحوا صياما مدهنين
فهذه مرايات اهل الدين بالبدن واما اهل الدنيا فيراؤون باظهار السمن وصفاء اللون واعتدال القامة وحسن
الوجه ونظافة البدن وقوة الاعضاء وتناسبها **الثاني** الريا بالزي والهيئة اما الهيئة فتشعيث شعر
الراس وحلق الشارب واطراق الراس في المشي والهدو في الحركة وابقاء اثر السجود على الوجه ولبس الصوف
وتشميره الى قريب الساق وقصر الاكمام وترك تنظيف الثياب ليظهر من نفسه انه متبع للسنة فيه ومقتد بعباد الله
الصالحين ومنه لبس المرقع والصلاة على السجاده ولبس الثياب الزرق تشبيها بالصوفية مع الافلاس عن حقايق
التصوف في الباطن ومنه التقنع بالازار فوق العمامه ليرى به انه انتهى تقشفه الى الحذر من غبار الطريق
وطبقة اخرى يطلبون القبول عند اهل الصلاح وعند اهل الدنيا من الملوك والتجار فلو لبسوا الثياب الفاخره
ازدرتهم القرا ولو لبسوا الثياب المخرقه ازدرتهم اعين الملوك فهم يريدون الجمع بين قبول اهل الدنيا والدين
فلذلك يطلبون الاصواف الدقيقه والاكسيه الرفيعه والمرقعات المصبوغه والفوط الرقيقه فيلبسونها فقيمة
ثيابهم قيمة ثياب الاغنياء ولونها وهيئتها لون ثياب الصلحاء فيلتمسون القبول عند الفريقين ولو
لبس ثوب خشن او وسخ لكان عندهم خوفا من السقوط من اعين الناس والاغنياء واما اهل الدنيا فمراياتهم بالثياب
النفيسه والمراكب الرفيعه وانواع التوسع والتجمل في الملبس والمسكن واثاث البيت وفره الخيل وبالثياب المصبغه والطيالسة
النفيسه **الثالث** الريا بالقول وريا اهل الدين بالوعظ والتذكر والنطق بالحكمة وحفظ الاخبار والاثار لاجل الاستعمال
في المحاورة اظهارا لغزارة العلم ودلالة على شدة العناية باحوال السلف الصالح وتحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر بمشهد الخلق واظهار الغضب من المنكرات واظهار الاسف على مقارفة الناس المعاصي وتضعيف الصوت في الكلام
وترقيق الصوت بقراءة القران ليدل بذلك على الحزن والخوف وادعاء حفظ الحديث ولقاء الشيوخ والدق على من يروي
الحديث والمبادرة الى ان الحديث صحيح او غير صحيح لاظهار الفضل فيه والمجادلة على قصد افحام الخصم ليظهر للناس قوته في علم
الدين فاما اهل الدنيا فمراياتهم بالقول حفظ الاشعار والامثال والتفاصح في العبارات وحفظ النحو الغريب للاغراب
على اهل الفضل واظهار التودد الى الناس لاستمالة القلوب **الرابع** الريا بالعمل كمراياة المصلي بطول القيام والركوع
والسجود وتسوية القدمين واليدين وكذلك بالصوم والحج والغزو والصدقة واطعام الطعام وبالاخبات في المشي كارخا
الجفون وتنكيس الراس والوقار في الكلام حتى ان المرائي يسرع في المشي الى حاجته فاذا اطلع عليه واحد من اهل الدين
رجع الى الوقار ومنهم من يستحيي ان يخالف مشيته في الخلوة مشيته بمرأى من الناس فيكلف نفسه المشية الحسنة في الخلوة
حتى اذا رآه الناس لم يفتقروا الى التغيير ويظن انه يتخلص به عن الريا وقد تضاعف به رياوه واما اهل الدنيا
فيراؤون بالتبختر والاختيال وتحريك اليدين وتقريب الخطا والاخذ باطراف الذيل وادارة العطفين ليدلوا بذلك
على الجاه والحشمة **الخامس** المراياة بالاصحاب والزائرين والمخالطين كالذي يتكلف ان يزور عالما من
العلما ليقال ان فلانا قد زار فلانا او عابدا من العباد ليقال ان اهل الدين يتبركون بزيارته ويترددون اليه
او ملكا من الملوك او عاملا من عمال السلطان ليقال انهم يتبركون به لعظم رتبته في الدين وكالذي يكثر ذكر الشيوخ
ليرى انه لقي شيوخا كثيرة واستفاد منهم ويقول لغيره ومن لقيت من الشيوخ وانا قد لقيت فلانا وفلانا ودرت
البلاد وخدمت الشيوخ وما يجري مجراه فهذه مجامع ما يرائي به المراؤون وكلهم يطلبون به الجاه والمنزلة في قلوب
العباد ومنهم من يقنع بحسن الاعتقادات فيه فكم من راهب انزوى الى ديره سنين كثيرة وكم من عابد اعتزل الى
قلة جبل مدة مديدة وانما خبأته من حيث علمه بقيام جاهه في قلوب الخلق ومن المرائين من لا يقنع بقيام منزلته بل يلتمس
مع ذلك اطلاق اللسان بالثناء والحمد ومنهم من يريد انتشار الصيت عند الملوك لتقبل شفاعته وتنجز الحوائج على يديه
فيقوم له بها جاه عند العامة ومنهم من يقصد به التوصل الى جمع حطام وكسب مال ولو من الاوقاف واموال اليتامى وغيرها

من الحرام وهولا شر طبقات المرائين الذين يراؤون بالاسباب التي ذكرناها فهذه حقيقة الريا وما يقع به الريا
فان قلت فالريا حرام ام مكروه او مباح او فيه تفصيل فاقول فيه تفصيل فان الريا هو طلب الجاه وهو اما ان يكون
بالعبادات او بغير العبادات فان كان بغير العبادات فهو كطلب المال فلا يحرم من حيث انه طلب منزلة في قلوب العباد ولكن كما يمكن
كسب المال بتلبيسات واسباب محظورة فكذلك الجاه وكما ان كسب قليل من المال وهو ما يحتاج اليه الانسان محمود فكسب
قليل من الجاه وهو ما يسلم به من الافات محمود وهو الذي طلبه يوسف عم حيث قال اني حفيظ عليم وكما ان كثير
من المال يطغي وينسي ذكر الله والدار الاخرة فكذلك الكثير من الجاه بل اشد وفتنة الجاه اعظم من فتنة المال
ولا يقدر بحب الجاه واما ان تركه معا من القلب والانسان وغيره فاما سحق الجاه من غير حرص منك على طلبه ومن
غير اغتمام بزواله ان زال فلا ضرر فيه فلا جاه اوسع من جاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاه الخلفاء الراشدين ومن
بعدهم من علماء الدين ولكن هذا تخشين الثوب الذي يلبسه الانسان عند الخروج الى الناس مراياة وهو ليس بحرام لانه
ليس رياء بالعبادة بل بالدنيا وقس على هذا كل تجمل للناس وتزين لهم والدليل عليه ما روي عن عايشة رض ان رسول الله
اراد ان يخرج الى الصحابة فكان ينظر في حب الماء ويسوي عمامته وشعره فقالت او تفعل ذلك يا رسول الله
قال نعم ان الله يحب من العبد ان يتزين لاخوانه اذا خرج اليهم نعم هذا كان من رسول الله عبادة لانه كان مامورا بدعوة
الخلق وترغيبهم في الاتباع واستمالة قلوبهم ولو سقط من اعينهم لم يرغبوا في اتباعه فكان يجب عليه ان يظهر لهم محاسن
احواله لكيلا تزدريه اعينهم فان اعين عوام الخلق تمتد الى الظواهر دون السرائر فكان ذلك قصد رسول الله صلعم
ولكن لو قصد قاصد ان يحسن نفسه في اعينهم حذرا من ذمهم ولومهم واسترواحا الى توقيرهم واحترامهم
كان قد قصد امرا مباحا اذ للانسان ان يحذر من الم المذمة ويطلب راحة الانس بالاخوان ومهما استثقلوه
واستقذروه لم يانس بهم **فاذا** المراياة بما ليس من العبادات قد يكون مباحا وقد تكون طاعة وقد يكون
مذموما وذلك بحسب الغرض المطلوب ولذلك نقول الرجل اذا انفق ماله على جماعة من الاغنياء لا في معرض العبادة والصدقة
ولكن ليعتقد الناس انه سخي فهذه مرايات ليست بحرام اما العبادات كالصدقة والصلاة والحج والغزو
فيه حالتان احداهما ان لا يكون له قصد الا الريا المحض دون الاجر وهذا يبطل عبادته لان الاعمال بالنيات وهذا
ليس بقصد العبادة ثم لا يقتصر على احباط عمله حتى نقول صار كما كان قبل العبادة بل يعصي بذلك ويأثم لما دلت عليه
الايات والاخبار والمعنى فيه امران احدهما يتعلق بالعباد وهو التلبيس والمكر والخداع لانه خيل اليهم انه مخلص
مطيع لله عز وجل وانه من اهل الدين وليس كذلك والتلبيس في امر الدنيا حرام ايضا حتى لو قضى دين جماعة وخيل للناس انه متبرع عليهم
ليعتقدوا سخاوته اثم به لما فيه من التلبيس وتملك القلوب بالخداع والمكر **والثاني** يتعلق بالله تعالى وهو انه مهما
قصد بعبادة الله خلق الله فهو مستهزئ بالله تعالى ولذلك قال قتادة اذا راءى العبد قال الله تعالى انظروا الى عبدي كيف
يستهزئ بي مثاله ان يمثل بين يدي ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة الخدمة وانما وقوفه لملاحظة
جارية من جواري الملك او غلام من غلمانه فان هذا استهزاء بالملك اذ لم يقصد التقرب الى الملك بخدمته بل قصد
به عبدا من عبيده واي استحقار يزيد على ان يقصد العبد بطاعة الله تعالى مراعاة عبد ضعيف لا يملك ضرا ولا نفعا
واي استهزاء يزيد على ان يقصد العبد بطاعة الله تعالى مراعاة عبد ضعيف لا يملك له ضرا سبحانه رفع العبد فوق المولى فهذا من كبائر المهلكات
ولهذا سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك الاصغر ولو لم يكن في الريا الا انه يركع ويسجد لغير الله تعالى لكان فيه
كفاية فانه اذا لم يقصد به التقرب الى الله فقد قصد غير الله تعالى ولو عظم بالسجود غير الله لكفر كفرا جليا الا ان الريا هو الكفر
الخفي ولا يقدم عليه الا من خدعه الشيطان واوهم عنده ان العباد يملكون من نفعه وضره ورزقه واجله ومصالح حاله
ومآله اكثر مما يملكه الله تعالى فلذلك عدل بوجهه من الله تعالى اليهم فاقبل بقلبه عليهم يستميل بذلك قلوبهم ولو وكله الله تعالى
اليهم في الدنيا والاخرة لكان ذلك اقل مكافاة على صنيعه فان العباد كلهم عاجزون عن انفسهم لا يملكون لانفسهم
ضرا ولا نفعا فكيف لغيرهم هذا في الدنيا فكيف في يوم لا يجزي والد عن ولده شيئا بل يقول الانبياء فيه نفسي نفسي فكيف
يستبدل الجاهل عن ثواب الاخرة ونيل القربة عند الله تعالى ما يرتجيه بطمعه الكاذب في الدنيا من الناس فاما اذا قصد
الاجر والحمد جميعا في صلاته وصدقته فهو الشرك الذي يناقض الاخلاص وقد ذكرنا حكمه في كتاب الاخلاص

بيان درجات الريا

والثواب واما ان يكون مع ارادة الثواب فان كان كذلك فلا يخلو اما ان تكون ارادة الثواب اقوى واغلب او اضعف او
مساوية لارادة العبادة فتكون الدرجات اربعة الاولى وهي اغلظها ان لا يكون مراده الثواب اصلا كالذي
يصلي بين اظهر الناس ولو انفرد لكان لا يصلي بل ربما يصلي من غير طهارة مع الناس فهذا جرد قصد الرياء فهو
الممقوت عند الله تعالى الثانية ان يكون له قصد الثواب ايضا ولكن قصدا ضعيفا بحيث لو كان في الخلوة
لكان لا يفعله ولا يحمله ذلك القصد على العمل ولو لم يكن قصد الثواب لكان قصد الرياء يحمله فهذا اقرب مما قبله
الثالثة ان يكون قصد الثواب وقصد الرياء متساويين بحيث لو كان كل واحد خاليا عن الآخر لم يبعثه
على العمل فهذا قد افسد مثل ما اصلح فنرجو ان يسلم راسا براس لا له ولا عليه او يكون له من الثواب
مثل ما عليه من العقاب وظواهر الاخبار يدل على انه لا يسلم الرابعة ان يكون اطلاع الناس مرجحا ومقويا
لنشاطه ولو لم يكن لكان لا يترك العبادة فالذي نظنه والعلم عند الله انه لا يحبط اصل الثواب ولكن ينقص
منه او يعاقب على مقدار قصد الرياء ويثاب على مقدار قصد الثواب فاما قوله تعالى انا اغنى الاغنياء عن
الشرك فهو محمول على ما اذا تساوى القصدان او كان قصد الرياء ارجح

الركن الثالث المرايا به

وهو الطاعات وذلك ينقسم الى الرياء باصول الطاعات والى الرياء باوصافها • الدرجة الاولى • الرياء باصل الايمان
وهو اغلظ ابواب الرياء وصاحبه مخلد في النار وهو الذي يظهر التصديق بكلمة الشهادة وباطنه مشحون بالتكذيب
ولكنه يرائي بظاهر الاسلام وهو الذي ذكره الله تعالى في كتابه كقوله تعالى اذا جاءك المنافقون الى قوله والله يشهد ان المنافقين
لكاذبون اي في دلالة قولهم على ضمائرهم وقوله تعالى ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا الى قوله والله
لا يحب الفساد وقوله تعالى واذا لقوكم قالوا آمنا الآية وقوله تعالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا
والآيات فيهم كثيرة وليس وراء هذا الرياء رياء وحال هؤلاء اشد من حال الكفار المجاهرين الدرجة
الثانية الرياء باصول العبادات مع التصديق باصل الدين وهذا ايضا عظيم عند الله تعالى ولكنه دون الاول شانه
ان يكون مال الرجل في يد غيره فيامره باخراج الزكاة خوفا من ذمه والله يعلم منه انه لو كان في يده لما اخرجها او
يدخل وقت الصلاة وهو في جمع وعادته ترك الصلاة في الخلوة وكذلك الصوم وهو يشتهي خلوة من الناس ليفطر
فيترك العبادات للكسل وينشط عند اطلاع الناس عليه فتكون منزلته عند الخلق احب اليه من منزلته عند الخالق
وخوفه من مذمة الناس اعظم من خوفه من عقاب الله وهذا غاية الجهل وما اجدر صاحبه بالمقت وان كان غير منكر
من اصل الايمان من حيث الاعتقاد الدرجة الثالثة ان يرائي بالنوافل والسنن التي لو تركها لا يعصى
ولكنه يكسل عنها في الخلوة لفتور رغبته في ثوابها ولايثار لذة الكسل على ما يرجى من الثواب ثم يبعثه الرياء على
فعله وذلك كحضور الجماعة في الصلاة وعيادة المريض واتباع الجنازة والتهجد بالليل وانواع البر فهو
يفعل ذلك خوفا من المذمة او طلبا للمحمدة ويعلم الله تعالى منه انه لو خلا بنفسه لما زاد على اداء الفرائض فهذا
ايضا عظيم ولكنه دون ما قبله القسم الثاني الرياء باوصاف العبادات لا باصولها وهي ايضا على ثلث
درجات الدرجة الاولى ان يرائي بفعل ما في تركه نقصان كالذي عزمه ان يخفف الركوع والسجود ولا يطول
القراءة فاذا رآه الناس احسن الركوع والسجود وترك الالتفات واتم القعود بين السجدتين وقد قال
عبد الله بن مسعود رض من فعل ذلك فهو استهانة يستهين بها ربه اي انه ليس يبالي باطلاع الله عليه في الخلوة
فاذا اطلع عليه آدمي احسن الصلاة ومن جلس بين يدي انسان متربعا او متكيا فدخل غلامه فاستوى واحسن
الجلسة كان ذلك تقديما للغلام على السيد واستهانة بالسيد لا محالة وهذا حال المرائي بتحسين الصلاة في الملا
دون الخلوة وكذلك الذي يعتاد اخراج الزكاة من الدنانير الرديه او من الحب الردي فاذا اطلع عليه غيره اخرج
من الجيد خوفا من مذمته وكذلك الصائم يصون صومه عن الغيبة والرفث لا لكمال عبادة الصوم خوفا
من المذمة فهذا ايضا من الرياء المحظور لان فيه تقديم المخلوق على الخالق ولكنه دون الرياء باصول التطوعات
فان قال المرائي انما فعلت ذلك صيانة لالسنتهم عن الغيبة فانهم اذا راوا تخفيف الركوع والسجود وكثرة
الالتفات اطلقوا السنتهم بالذم والغيبة فاذا قصدت صيانتهم من هذه المعصية فيقال له

هذه مكيدة من الشيطان وتلبيس وليس كذلك فان ضررك من نقصان صلاتك وهي خدمتك لمولاك اعظم
من ضررك من غيبة غيرك فلو كان باعثك الدين لكانت شفقتك على نفسك اكثر وما انت في هذا الا
كمن يهدي وصيفة الى ملك لينال منه فضلا وولاية يتقلدها فيهديها اليه وهي عوراء قبيحة الاطراف ولا يبالي به اذا
كان الملك وحده واذا كان عنده بعض غلمانه امتنع خوفا من مذمة غلمانه وذلك محال بل من يراعي جانب غلام
الملك ينبغي ان تكون مراقبته للملك اكثر الدرجة الثانية ان يرائي بفعل ما لا نقصان في تركه ولكن
فعله في حكم التكملة والتتمة لعبادته كالتطويل في الركوع والسجود ومد القيام وتحسين الهيئة ورفع اليدين
والمبادرة الى التكبيرة الاولى وتحسين الاعتدال والزيادة في القراءة على السورة المعتادة وكذلك
الخلوة في صوم رمضان وطول الصمت وكاختيار الاجود على الجيد في الزكاة واعتاق الرقبة الغالية
في الكفارة وكل ذلك مما لو خلا بنفسه لكان لا يقدم عليه الدرجة الثالثة ان يرائي بزيادات خارجة
عن النوافل ايضا كحضوره الجماعة قبل القوم وقصده الصف الاول وتوجهه الى يمين الامام وما يجري مجراه
وكل ذلك مما يعلم الله منه انه لو خلا بنفسه لكان لا يبالي اين وقف ومتى يحرم بالصلاة فهذه درجات الرياء
بالاضافة الى ما يرائي به وبعضه اشد من بعض والكل مذموم

الركن الثالث المرايا لاجله

فان للمرائي مقصودا لا
من الاغراض وله ايضا ثلث درجات الدرجة الاولى وهي اشدها واعظمها ان يكون مقصوده
التمكن من معصية كالذي يرائي بعبادته ويظهر التقوى والورع بكثرة النوافل والامتناع عن اكل الشبهات
وغرضه ان يعرف بالامانة فيولى القضاء او الاوقاف او الوصايا او مال الايتام فياخذها او يسلم اليه
تفرقة الزكوات والصدقات ليستاثر بما يقدر عليه منها او يودع الودائع فياخذها ويجحدها او يسلم
اليه الاموال التي تنفق في طريق الحج فيختزل بعضها او كلها او يتوسل بها الى اشياع الحجيج ويتوصل بقولهم
الى اغراضه الفاسدة في المعاصي وقد يظهر بعضهم زي التصوف وهيئة الخشوع وكلام الحكمة على سبيل الوعظ
والتذكير وانما قصده التحبب الى امراة او غلام لاجل الفجور وقد يحضرون مجالس العلم والتذكير وحلق
القران يظهرون الرغبة في سماع العلم والقران والتذكير وانما غرضهم ملاحظة النسوان والصبيان او يخرج
الى الحج ومقصوده الظفر بمن في الرفقة من امراة او غلام وهؤلاء ابغض المرائين عند الله تعالى لانهم جعلوا طاعة
ربهم سلما الى معصيته واتخذوها آلة ومتجرا وبضاعة في فسقهم الدرجة الثانية ان يكون
غرضه نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا من مال او نكاح امراة جميلة او شريفة كالذي يظهر الحزن والبكاء
ويشتغل بالوعظ والتذكير لتبذل له الاموال ويرغب في نكاحه النساء فيقصد اما امراة بعينها لينكحها
او امراة شريفة على الجملة وكالذي يرغب ان يتزوج ابنة عالم او عابد فيظهر له العلم والعبادة ليرغب
في تزويجه ابنته فهذا رياء محظور لانه طلب بطاعة الله تعالى متاع الحياة الدنيا ولكنه دون الاول الدرجة الثالثة
ان لا يقصد نيل حظ وادراك مال او نكاح ولكن يظهر عبادته خيفة من ان ينظر اليه بعين النقص ولا يعد
من الخاصة والزهاد ويعتقد انه من جملة العامة كالذي يمشي مستعجلا فيطلع عليه الناس فيحسن المشي ويترك العجلة
كي لا يقال انه من اهل اللهو والسهو لا من اهل الوقار وكذلك يسبق الى الضحك او يبدو منه المزاح
فيخاف ان ينظر اليه بعين الاحتقار فيتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء واظهار الحزن ويقول ما
اعظم غفلة الآدمي عن نفسه والله يعلم منه انه لو كان في خلوة لما كان يثقل ذلك عليه وانما يخاف ان ينظر اليه
بعين الاحتقار لا بعين التوقير وكالذي يرى جماعة يصلون التراويح او يتهجدون او يصومون الاثنين والخميس او يتصدقون
فيوافقهم خيفة ان ينسب الى الكسل ويلحق بالعوام ولو خلا بنفسه لكان لا يفعل شيئا منه وكالذي
يعطش يوم عرفة او يوم عاشوراء فلا يشرب خوفا من ان يعلم الناس انه غير صائم فاذا ظن الناس انه صائم امتنع
عن الاكل لاجله او يدعى الى طعام فيمتنع ليظن انه صائم وقد لا يصرح بانه صائم ولكن يقول لي عذر وهو جمع
بين خبيثين فانه يرى انه صائم ثم يرى انه مخلص ليس بمراء وانه يحترز من ان يذكر عبادته للناس فيكون
مرائيا ويريد ان يقال انه ساتر لعبادته ثم ان اضطر الى شرب لم يصبر عن ان يذكر لنفسه فيه عذرا تصريحا او تعريضا

بان يعتل بمرض يقتضي فرط العطش ويمنع من الصوم او يقول افطرت تطييبا لقلب فلان ثم لا يذكر عذره في معرض كلامه مثل ان يقول ان فلانا محب للاخوان شديد الرغبة في ان يأكل الانسان من طعامه وقد الح علي اليوم فلم اجد بدا من تطييب قلبه اما المخلص فلا يبالي كيف نظر الخلق اليه فان لم يكن له رغبة في الصوم وقد علم الله تعالى ذلك منه فلا يريد ان يعتقد غيره ما يخالف علم الله فيه فيكون ملبسا وان كانت له رغبة في الصوم لله تعالى قنع بعلم الله تعالى ولم يشرك فيه غيره وسياق شرح ذلك وشروطه فهذه درجات الريا ومراتب اصناف المرائين وجميعهم تحت مقت الله وغضبه وهو من اشد المهلكات وان من شدته ان فيه شوائب هي اخفى من دبيب النمل كما ورد به الخبر تزل فيه اقدام العلماء فضلا عن العباد الجهلة بآفات النفوس وغوائل القلوب

بيان الريا الخفي الذي هو اخفى من دبيب النمل

اعلم ان الريا خفي وجلي فالجلي هو الذي يبعث على العمل ويحمل عليه ولو قصد الثواب وهو اجلاه واخفى منه قليلا ما لا يحمل على العمل بمجرده الا انه يخفف العمل الذي يريد به وجه الله تعالى كالذي يعتاد التهجد كل ليلة ويثقل عليه فاذا نزل عليه الضيف تنشط له وخف عليه وعلم انه لولا رجاء الثواب لكان لا يصلي لمجرد ريا الضيفان واخفى من ذلك ما لا يؤثر في العمل ولا بالتسهيل والتخفيف ايضا ولكنه مع ذلك مستبطن في القلب ومهما لم يؤثر في الدعاء الى العمل لم يمكن ان يعرف الا بالعلامات واجلى علاماته ان يسر باطلاع الناس على طاعته فرب عبد مخلص في عمله ولا يعتقد الريا بل يكرهه ويرده ويتم العمل ولكن اذا اطلع الناس عليه سره ذلك وارتاح له وروح ذلك عن قلبه شدة العبادة وهذا السرور يدل على ريا خفي ومنه يترشح السرور ولولا التفات القلب الى الناس لما ظهر سروره عند اطلاع الناس فلقد كان الريا مستكنا في القلب استكنان النار في الحجر فاظهر منه اطلاع الخلق اثر الفرح والسرور ثم اذا استشعر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكراهية فيصير ذلك قوتا وغذاء للعرق الخفي من الريا حتى يتحرك على نفسه حركة خفية فيتقاضى تقاضيا خفيا ويتعنى فلا يدعو الى الاظهار بالنطق تعريضا وتصريحا ولكن بالشمائل كاظهار النحول والاصفار وخفض الصوت ويبس الشفتين وجفاف الريق وآثار الدموع وغلبة النعاس الدال على طول التهجد واخفى من ذلك ان يختفي بحيث لا يريد الاطلاع عليه ولا يسر بظهور طاعته ولكنه مع ذلك اذا رأى الناس احب ان يبدؤوه بالسلام وان يقابلوه بالبشاشة والتوقير وان يثنوا عليه وان ينشطوا في قضاء حوائجه وان يسامحوه في البيع والشرا وان يوسعوا له المكان فان قصر فيه مقصر ثقل ذلك على قلبه ووجد لذلك استبعادا في نفسه كأن نفسه تتقاضى الاحترام على الطاعة التي اخفاها مع انه لم يطلع عليه ولو لم يكن سبقت منه تلك الطاعة لما كان يستبعد تقصير الناس في حقه ومهما لم يكن وجود العبادة كعدمها في كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد قنع بعلم الله تعالى ولم يكن خاليا عن شوب خفي من الريا اخفى من دبيب النمل وكل ذلك يوشك ان يحبط الاجر ولا يسلم منه الا الصديقون وقد روي عن علي بن ابي طالب رضه انه قال ان الله تعالى يقول للقراء يوم القيمة الم يكن يرخص عليكم السعر الم تكونوا تبتدؤا بالسلام الم يكن تقضى لكم الحوائج وفي الحديث لا اجر لكم قد استوفيتم اجوركم وقال عبد الله بن المبارك عن وهب بن منبه ان رجلا من السياح قال لاصحابه انا انما فارقنا الاموال والاولاد مخافة الطغيان فنخاف ان يكون قد دخل علينا في امرنا هذا اكثر مما دخل على اهل الاموال في اموالهم ان احدنا اذا لقي احب ان يعظم لمكان دينه وان سأل حاجة احب ان تقضى لمكان دينه وان اشترى شيئا احب ان يرخص له لمكان دينه فبلغ ذلك ملكهم فركب في موكب من الناس فاذا السهل والجبل قد امتلا بالناس فقال السايح ما هذا فقالوا الملك قد اظلك فقال للغلام ائتني بطعام فاتاه ببقل وزيت وقلوب الشجر فجعل يحشو شدقه ويأكل اكلا عنيفا فقال الملك اين صاحبكم قالوا هذا فقال كيف انت قال كالناس وفي حديث آخر فقال الملك ما عند هذا من خير فانصرف عنه فقال السايح الحمد لله الذي صرفك عني وانت لي ذام فلم يزل المخلصون خائفين من الريا الخفي يجتهدون لذلك في مخادعة الناس عن اعمالهم الصالحة يحرصون على اخفائها اعظم مما يحرص الناس على اظهار فواحشهم كل ذلك رجاء ان يخلص لهم عملهم من الريا فيجازيهم الله تعالى في القيمة باخلاصهم على ملأ من الخلق اذ علموا ان الله تعالى لا يقبل في القيمة الا الخالص وعلموا شدة حاجتهم وفاقتهم في القيمة وانه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ولا يجزي والد عن ولده ويشتغل الصديقون بانفسهم فيقول كل واحد نفسي نفسي فضلا عن غيرهم فكانوا كزوار بيت الله اذا توجهوا الى مكة فهم يستصحبون مع

توبيخ عظيم للقراء

انفسهم الذهب المغربي الخالص لعلمهم بان ارباب البوادي لا يروج عندهم الزيف والحاجة تشتد في البادية ولا وطن يفزع اليه ولا حميم يتمسك به فلا ينجي الا الخالص من النقد فكذا يشاهد ارباب القلوب يوم القيمة والزاد الذي يتزود له من التقوى فاذا شوائب الريا الخفي كثيرة لا تنحصر ومهما ادرك من نفسه تفرقة بين ان يطلع على عبادته انسان او بهيمة ففيه شعبة من الريا فانه لما قطع طمعه عن البهائم لم يبال حضره البهائم او الصبيان الرضع او غابوا اطلعوا على حركته او لم يطلعوا واذا لم يجد ذلك ففيه شوب خفي ولكن ليس كل شوب محبطا للاجر ومفسدا للعمل بل فيه تفصيل **فان قلت** فما نرى احدا ينفك عن السرور اذا عرفت طاعاته فالسرور مذموم كله او بعضه محمود وبعضه مذموم فنقول اولا كل سرور فليس بمذموم بل السرور ينقسم الى محمود والى مذموم اما المحمود فاربعة اقسام • الاول ان يكون قصده اخفاء الطاعة والاخلاص لله ولكن لما اطلع عليه الخلق علم ان الله تعالى اطلعهم عليه واظهر الجميل من احواله فيستدل به على حسن صنع الله تعالى به ونظره اليه والطافه به فانه يستر الطاعة والمعصية ثم ان الله تعالى يستر عليه المعصية ويظهر الطاعة ولا لطف اعظم من ستر القبيح واظهار الجميل كما قال الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا الاية • الثاني ان يستدل باظهار الله تعالى الجميل وستر القبيح عليه في الدنيا انه كذلك يفعل في الآخرة فيكون الاول فرحا بالقبول من غير ملاحظة المستقبل وهذا التفات الى المستقبل • الثالث ان يظن رغبة المطلعين على الاقتداء به في الطاعة فيتضاعف بذلك اجره فيكون له اجر العلانية بما اظهر آخرا واجر السر بما قصده اولا ومن اقتدى به في طاعة فله مثل اجر اعمال المقتدين من غير ان ينقص من اجورهم شيء • الرابع ان يحمده المطلعون على طاعته فيفرح بطاعتهم لله في مدحهم وبحبهم للمطيع وبميل قلوبهم الى الطاعة اذ من اهل الايمان من يرى اهل الطاعة فيمقته ويحسده او يذمه ويهزأ به وينسبه الى الريا ولا يحمده عليه فهذا فرح بحسن ايمان عباد الله **واما المذموم** فهو ان يكون فرحه لقيام منزلته عند الناس حتى يمدحوه ويعظموه ويقوموا بقضاء حوائجه ويقابلوه بالاكرام في مصادره وموارده • فهذا مذموم

الركن الثالث المرائى لاجله • بيان ما يحبط العمل من الريا

ثم ورد وارد الريا فلا يخلو اما ان يكون ورد عليه بعد فراغه من العمل او قبل الفراغ فان ورد بعد الفراغ سرور مجرد بالظهور من غير اظهار فهذا لا يحبط العمل اذ العمل قد تم على نعت الاخلاص سالما عن الريا فما يطرأ بعده فنرجو ان لا ينعطف عليه اثره لا سيما اذا لم يتكلف هو اظهاره والتحدث به ولم يتمن ذكره واظهاره ولكن اتفق ظهوره باظهار الله تعالى ولم يكن منه الا ما دخل من السرور والارتياح على قلبه نعم لو تم العمل على الاخلاص من غير عقد ريا ولكن ظهرت له رغبة في الاظهار فتحدث به واظهره فهذا مخوف وفي الآثار والاخبار ما يدل على انه يحبط فقد روي عن عبد الله بن مسعود انه سمع رجلا يقول قرأت البارحة سورة البقرة قال ذلك حظه منها وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له صمت الدهر يا رسول الله فقال له ما صمت ولا افطرت فقيل لانه اظهره وهو اشارة الى كراهة صوم الدهر وكيفما كان فيحتمل ان يكون ذلك من رسول الله صلعم وابن مسعود استدلالا على ان قلبه عند العبادة لم يخل عن عقد الريا وقصده لما ان ظهر التحدث به اذ يبعد ان يكون ما يطرأ بعد العمل مبطلا لثواب العمل بل الاقيس ان يقال انه مثاب على عمله الذي مضى ومعاقب على مراءاته بطاعة الله تعالى بعد الفراغ منه فلا يخلو اما ان يكون بمجرد سرور لا يؤثر في العمل واما ان يكون ريا باعثا على العمل فان كان باعثا على العمل وختم العمل به حبط اجره وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم العمل كالوعاء اذا طاب آخره طاب اوله اي النظر للخاتمة وروي من راءى بعمله ساعة حبط عمله الذي كان قبله وهو منزل على الصلاة في هذه الصورة لا على الصدقة ولا على القراءة فان كل جزء منه مفرد فما يطرأ يفسد الباقي دون الماضي والصوم والحج من قبيل الصلاة فاما اذا كان وارد الريا بحيث لا يمنعه من قصد الاستتمام لاجل الثواب كما لو حضر جماعة في اثناء صلاته ففرح بحضورهم وعقد الريا وقصد تحسين الصلاة لاجل نظرهم وكان لولا حضورهم لكان يتمها ايضا فهذا ريا قد اثر في العمل وانتهض باعثا على الحركات فهذا ينبغي ان يفسد العبادة فيما معنى ركن من اركانها على هذا الوجه لانا نكتفي بالنية السابقة عند الاحرام بشرط ان لا يبطل ما غلبه وعمرها وقد ذهب الحارث

مما يبنيه الاحتياط في امر اهون منه وقال اذا لم يرد الا مجرد السرور باطلاع الناس يعني سرورا بحب المنزلة
والجاه قال فقد اختلف الناس في هذا فصارت فرقة الى انه يحبط لانه قد نقض العزم الاول وركن
الى حمد المخلوقين ولم يختم عمله بالاخلاص ثم قال ولا اقطع عليه بالحبط وان لم يتزيد في العمل ولا آمن
عليه والاغلب على قلبي انه يحبط اذا ختم عمله بالرياء وقد روي ان رجلا قال يا رسول الله اسر العمل لا احب ان
يطلع عليه فيطلع عليه فيسرني قال لك اجران اجر السر واجر العلانية ثم تكلم على الخبر بكلام طويل يرجع حاصله الى
ثلاثة اوجه احدها انه يحتمل انه اراد ظهور عمله بعد الفراغ وليس في الحديث انه قبل الفراغ والثاني انه
اراد ان يسر به للاقتداء الناس به او لسرور آخر محمود مما ذكرناه من قبل لا سرورا بسبب حب المحمدة والمنزلة
بدليل انه حصل له به اجران والثالث انه قال اكثر من يروي الحديث غير متصل الى ابي هريرة رضي الله عنه
بل اكثرهم يرويه عن ابي صالح ومنهم من يرفعه فالحكم بالعمومات الواردة في الرياء اولى هذا ما ذكره ولم
يقطع به بل مال فيه الى الاحتياط والذي ينقدح عندنا ان هذا القدر اذا لم يظهر اثره في العمل بل بقي العمل صادرا
من باعث الدين وانما انضاف اليه سرور بالاطلاع فلا يفسد العمل لانه لم ينعدم اصل نيته وبقيت تلك النية باعثة
على العمل وحاملة على الاتمام واما الاخبار التي وردت في المرائي فهي محمولة على ما اذا لم يرد به الا الخلق
واما ما ورد في الشركة فهو محمول على ما اذا كان قصد الرياء مساويا لقصد الثواب او اغلب منه ولا يبعد ان يقال ان
الذي اوجب عليه صلاة خالصة لله والخالص ما لا يشوبه شيء ولا يكون مؤديا للواجب مع هذا الشوب
والعلم عند الله فيه وقد ذكرنا في كتاب الاخلاص كلاما اوفى مما اوردناه فلنرجع اليه

القسم الثالث

الذي يقارن وان ندم عليه في اثناء ذلك واستغفر ورجع قبل التمام ففيما يلزمه ثلاثة اوجه قالت فرقة لم تنعقد صلاته
مع قصد الرياء فليستأنف وقالت فرقة يلزمه اعادة الافعال كالركوع والسجود وتفسد افعاله دون
تحريمة الصلاة لان التحريم عقد والرياء خاطرة في قلبه لا يخرج التحريم عن كونه عقدا وقالت طائفة لا يلزمه
شيء بل يستغفر الله بقلبه ويتم العبادة على الاخلاص والنظر الى خاتمة العبادة كما لو ابتدأه بالاخلاص
وختم بالرياء لكان يفسد عمله وشبهوا ذلك بثوب ابيض لطخ بنجاسة عارضة فاذا ازيل العارض عاد
الى الاصل فقالوا ان الصلاة والركوع والسجود لا يكون الا لله ولو سجد لغير الله لكان كافرا ولكن اقترن به عارض
الرياء ثم زال بالندم والتوبة وصار الى حالة لا يبالي بحمد الناس وذمهم فتصح صلاته ومذهب الفريقين الآخرين
خارج عن قياس الفقه جدا واولها وقت مراعاة احكام النية حالة الافتتاح فالذي يستقيم
على قياس الفقه هو ان يقال ان كان باعثه مجرد الرياء في ابتداء العقد دون طلب الثواب وامتثال الامر لم
ينعقد افتتاحه ولم يصح ما بعده وذلك فيمن اذا خلا بنفسه لم يصل واذا رأى الناس تحرم بالصلاة لان يصلي
لاجل الناس فهذه صلاة لا نية فيها اذ النية عبارة عن اجابة باعث الدين وههنا لا باعث ولا اجابة
فاما اذا كان بحيث لولا الناس ايضا لكان يصلي الا انه ظهرت له الرغبة في المحمدة واجتمع الباعثان فهذا
اما ان يكون في صدقة وقراءة وما ليس فيه تحرم وتحليل او في عقد صلاة وحج فان كان في صدقة فقد عصى باجابة
باعث الرياء واطاع باجابة باعث الثواب فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره
وان كان في صلاة يتطرق ذلك الى النية فلا يخلو اما ان يكون فرضا او نفلا فان كانت نفلا فحكمه حكم الصدقة ايضا
فقد عصى من وجه واطاع من وجه اذ اجتمع في قلبه الباعثان فاما اذا كان في فرض واجتمع الباعثان وكان
كل واحد لا يستقل وانما يحصل الانبعاث بمجموعهما فهذا لا يسقط الواجب عنه لان الايجاب لم ينتهض باعثا
في حقه بمجرده واستقلاله وان كان كل باعث مستقلا حتى لو لم يكن باعث الرياء لادى الفرض ولو لم يكن
باعث الفرض لانشأ صلاة تطوعا لاجل الرياء فهذا محل النظر وهو محتمل جدا يحتمل ان يقال الواجب امتثال
الامر بباعث مستقل بنفسه وقد وجد فاقتران غيره به لا يمنع سقوط الفرض عنه كما لو صلى في دار مغصوبة
فانه وان كان عاصيا بايقاع الصلاة في الدار المغصوبة فانه مطيع باصل الصلاة ويسقط الفرض عن نفسه
اما اذا كان الرياء في المبادرة مثلا دون اصل الصلاة مثل من بادر الى الصلاة في اول الوقت لحضور جماعة

ولو خلا لاخر الى وسط الوقت ولولا الفرض لكان لا يبتدئ صلاة لاجل الرياء فهذا مما يقطع بصحة صلاته
وسقوط الفرض عنه لان باعث اصل الصلاة من حيث انها صلاة لم يعارضه غيره بل من حيث تعيين الوقت فهذا
ابعد عن القدح في النية فاما مجرد السرور باطلاع الناس اذا لم يبلغ اثره الى حيث يؤثر في العمل فبعيد
ان يفسد الصلاة فهذا ما نراه لائقا بقانون الفقه والمسألة غامضة من حيث ان الفقهاء لم يتعرضوا
لها في فن الفقه والذين خاضوا فيها وتصرفوا لم يلاحظوا قوانين الفقه ومقتضى فتاوى الفقهاء في
صحة الصلاة وفسادها بل حملهم الحرص على تصفية القلوب وطلب الاخلاص وما ذكرناه هو الاقصد
فيما نراه والعلم عند الله

بيان دواء الرياء وطريق معالجة القلب

لقد عرفت بما سبق ان الرياء محبط للاعمال وسبب
للمقت عند الله تعالى وانه من كبائر المهلكات وما هذا وصفه فجدير بالتشمير عن ساق الجد في ازالته ولو بالمجاهدة
وتحمل المشاق فلا شفاء الا في شرب الادوية المرة البشعة وهذه مجاهدة يضطر اليها العباد كلهم اذ الصبي
يخلق ضعيف العقل والتمييز ممتد العين الى الخلق كثير الطمع فيهم فيرى الناس يتصنع بعضهم لبعض
فيغلب عليه حب التصنع ويترسخ ذلك في قلبه وانما يشعر بكونه مهلكا بعد كمال عقله وقد انغرس الرياء في قلبه فلا
يقدر على قمعه الا بمجاهدة شديدة ومكابدة لقوة الشهوات وفي علاجه مقامان احدهما قطع عروقه واصوله
والثاني دفع ما يخطر منه في الحال المقام الاول في قلع عروقه واستئصال اصوله واصله حب المنزلة والجاه
واذا فصل رجع الى ثلاثة اصول وهو حب لذة الحمد والفرار من الم الذم والطمع فيما في ايدي الناس
ويشهد للرياء بهذه الاسباب وانها الباعثة للمرائي ما روى ابو موسى الاشعري رضي الله عنه ان اعرابيا سأل النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية ومعناه انه يأنف ان يقهر او يذم بانه مقهور مغلوب فقال والرجل يقاتل
ليرى مكانه وهذا هو لذة طلب الجاه والقدر في القلوب والرجل يقاتل للذكر وهذا هو الحمد باللسان فقال صلى الله عليه وسلم
من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وقال عبد الله بن مسعود اذا التقى الصفان نزلت الملائكة
فكتبت الناس على مراتبهم فلان يقاتل للذكر وفلان يقاتل للملك والقتال اشارة الى الطمع في الدنيا وقال عمر
بن الخطاب يقولون فلان شهيد ولعله يكون قد ملأ دفتي راحلته ورقا وقال النبي صلى الله عليه وسلم من غزا لا يبتغي الا عقالا
فله ما نوى فهذا اشارة الى الطمع وقد لا يشتهي الحمد ولا يطمع فيه ولكن يحذر من الم الذم كالبخيل بين الاسخياء وهم
يتصدقون بالمال الكثير فانه يتصدق بالقليل كيلا يبخل وكالجبان بين الشجعان لا يفر من الزحف خوفا
من الذم وهو لا يطمع في الحمد وقد هجم غيره على صف القتال وقد يقدر الانسان على الصبر عن لذة الحمد ولا يقدر
على الصبر على الم الذم وكذلك قد يترك السؤال عن علم هو محتاج اليه خيفة من ان يذم بالجهل ويفتي
بغير علم ويدعي العلم بالحديث وهو به جاهل كل ذلك حذرا من الذم وعلاجه ما ذكرناه في الشطر الاول من الكتاب
على الجملة ولكنا نذكر الآن ما يخص الرياء وليس يخفى ان الانسان انما يقصد الشيء ويرغب فيه لظنه
انه خير له ونافع ولذيذ اما في الحال واما في المآل فان علم انه لذيذ في الحال ولكنه ضار في المآل سهل قطع الرغبة
عنه كمن يعلم ان العسل لذيذ ولكن اذا بان له ان فيه سما اعرض عنه فكذلك طريق قطع هذه الرغبة ان يعلم ما فيه
من المضرة ومهما عرف العبد مضرة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الآخرة
من المنزلة عند الله وما يتعرض له من العقاب العظيم والمقت الشديد والخزي الظاهر حيث ينادى على رؤوس
الاشهاد يا فاجر يا غادر يا مرائي اما استحييت اذ اشتريت بطاعة الله عرض الدنيا راقبت قلوب العباد
واستهزأت بطاعة الله وتحببت الى العباد بالتبغض الى الله وتزينت لهم بالشين عند الله وتقربت اليهم
بالبعد من الله وتحمدت اليهم بالتذمم عند الله وطلبت رضاهم بسخط الله اما كان احد اهون عليك من
الله فمهما تفكر العبد في هذا الخزي وقابل ما يحصل له من العباد والتزين لهم في الدنيا بما يفوته في الآخرة وبما
يحبط عليه من ثواب الاعمال كان ذلك كافيا في معرفة ضرره وان كان مع ذلك سائر حسناته راجحة فقد كان
ينال بهذه الحسنة علو المرتبة عند الله في زمرة النبيين والصديقين وقد حط عنهم بسبب الرياء ورد الى صف
النعال من مراتب الاولياء هذا مع ما يعرض له في الدنيا من تشتت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق فان رضى الناس

غاية لا تدرك وكل ما رضي به فريق سخط به فريق ورضى بعضهم في سخط بعضهم ومن طلب رضاهم في سخط الله سخط الله
عليه واسخطهم ايضا عليه واما الطمع لما في ايديهم فبان يعلم ان الله تعالى هو المسخر للقلوب بالمنع والاعطا وان الخلق مضطرون
فيه ولا رازق الا الله ومن طمع في الخلق لم يخل عن الذل والخيبة وان وصل الى المراد لم يخل عن المنة والمهانة فكيف
يترك ما عند الله تعالى برجاء كاذب ووهم فاسد قد يصيب وقد يخطئ واذا اصاب فلا تفي لذته بالم منته
ومذلته واما ذمهم فلم يحذر منه ولا يزيده ذمهم شيئا ما لم يكتبه الله عز وجل عليه فلا يعجل اجله ولا يؤخر
رزقه ولا يجعله من اهل النار ان كان من اهل الجنة ولا يبغضه الى الله ان كان محمودا عند الله تعالى ولا يزيده مقتا
ان كان ممقوتا عند الله فالعباد كلهم عجزة لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا
واذا قرر في نفسه آفة هذه الاسباب وضررها فترت رغبته واقبل على الله قلبه فان العاقل لا يرغب
فيما يكثر ضرره ويقل نفعه ويكفيه ان الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء واظهار الاخلاص
لمقتوه وسيكشف الله عن سره حتى يبغضه الى الناس ويعرفهم انه مراء وممقوت عند الله ولو اخلص
لله لكشف الله لهم اخلاصه وحببه اليهم وسخرهم له واطلق السنتهم بحمده والثناء عليه كما قال
شاعر بني تميم • ان مدحي زين • وان ذمي شين • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كذبت ذاك الله لا اله الا الله اذ لا زين الا في مدحه ولا شين الا في ذمه فاي خير لك في مدح الناس
وانت عند الله مذموم ومن اهل النار واي شر لك من ذم الناس وانت عند الله محمود في زمرة المقربين
فمن احضر في قلبه الآخرة ونعيمها المؤبد والمنازل الرفيعة عند الله تعالى استحقر ما يتعلق بالخلق
ايام الحياة مع ما فيه من الكدورات والمنغصات فاجتمع همه وانصرف الى الله قلبه وتخلص من مذلة
الرياء ومقاساة قلوب الخلق فانعطف من اخلاصه انوار على قلبه ينشرح بها صدره وينفتح له من
لطائف المكاشفات ما يزيد به انسه بالله ووحشته من الخلق واستحقاره للدنيا واستعظامه للآخرة
وسقط محل الخلق من قلبه وانحل عنه داعية الرياء وتذلل له منهج الاخلاص فهذا وما قدمناه في
الشطر الاول الى الادوية العلمية القامعة مغارس الرياء **واما الدواء العملي** فهو ان يعود نفسه اخفاء العبادات
كما تغلق الابواب دون الفواحش حتى يقنع قلبه بعلم الله تعالى واطلاعه على عباداته فلا تنازعه النفس
الى طلب علم غير علم الله به وقد روي ان بعض اصحاب ابي حفص الحداد رحمه الله ذم الدنيا واهلها فقال له
ما كان سبيلك ان تخفيه لا تجالسنا بعد هذا فلم يرخص في اظهار هذا القدر لان في ضمن ذم الدنيا
دعوى الزهد فيها فلا دواء للرياء مثل الاخفاء وذلك يشق في بداية المجاهدة واذا صبر عليه مدة بالتكلف
سقط عنه ثقله وهان عليه ذلك بتواصل الطاف الله وما يمد به عباده من حسن التوفيق والتأييد
ولكن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فمن العبد المجاهدة ومن الله حسن التوفيق والهداية
ومن العبد قرع الباب ومن الله فتح الباب والله لا يضيع اجر المحسنين وان تك حسنة يضاعفها
ويؤت من لدنه اجرا عظيما •

المقام الثاني في دفع العارض منه في اثناء العبادة

وذلك لا بد من تعلمه ايضا فان من جاهد نفسه وقطع مغارس الرياء من قلبه بالقناعة وقطع الطمع
واسقاط نفسه من اعين المخلوقين واستحقار مدح المخلوقين وذمهم فالشيطان لا يتركه في اثناء
العبادة بل يعارضه بخطرات الرياء فلا بد وان يتشمر لدفع ما يعرض من خاطر الرياء وخواطر الرياء ثلاثة
فالاول العلم باطلاع الخلق ثم يتلوه هيجان الرغبة من النفس في حمدهم وحصول المنزلة عندهم
ثم يتلوه قبول النفس والركون اليه وعقد الضمير على تحقيقه فالاول معرفة والثاني حالة تسمى
الشهوة والرغبة والثالث يسمى العزم وتصميم العقد وانما كمال القوة في دفع الخاطر الاول ورده
قبل ان يتلوه الثاني فاذا خطر له معرفة اطلاع الخلق دفع ذلك بان قال ما لك وللخلق علموا او لم يعلموا
والله عالم بحالك واي فائدة في علم غيره وان هاجت الرغبة الى لذة الحمد ذكر ما رسخ في قلبه من آفة
الرياء وتعرضه للمقت عند الله تعالى في القيامة وخيبته في احوج اوقاته الى اعماله لو تفكر في غرضه

لمقت الله وعقابه الاليم والشهوة تدعو الى القبول والكراهة تدعو الى الاباء والنفس تطاوع لا محالة
لاقواهما واغلبهما فاذا لا بد في رد الرياء من ثلاثة امور المعرفة والكراهة والاباء وقد يشرع العبد في العبادة
على عزم الاخلاص ثم يرد خاطر الرياء فيقبله ولا تحضره المعرفة ولا الكراهة التي كان الضمير ينطوي عليها
وانما سبب ذلك امتلاء القلب بخوف الذم وحب المحمدة واستيلاء الحرص عليه بحيث لا يبقى في
القلب متسع لغيره ويعزب عن القلب المعرفة السابقة بآفة الرياء وشؤم عاقبته وهو كالذي
يعرف نفسه الحلم وذم الغضب ويعزم على الحلم عند جريان سبب الغضب ثم يجري من الاسباب
ما يشتد به غضبه فينسى سابق عزمه ويمتلئ قلبه غيظا فكذلك حلاوة الشهوة تملأ القلب وتدفع
نور المعرفة مثل مرارة الغضب واليه اشار جابر بن عبد الله الانصاري رضي الله عنه بقوله بايعنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على ان لا نفر ولم نبايعه على الموت فانسيناها يوم
حنين حتى نودي يا اصحاب الشجرة فرجعوا وذلك لان القلوب امتلأت بالخوف فنسيت العهد السابق
حتى ذكروا واكثر الشهوات التي تهجم فجأة هكذا تكون اذ تنسى معرفة مضرتها الداخلة في عقد
الايمان ومهما نسي المعرفة لم تظهر الكراهة فان الكراهة ثمرة المعرفة فكم من عالم يحفظ كلام
لا يدعو الى الذكر الا لايا الخلق وهو يعلم ذلك ولكنه يستمر عليه فيكون الحجة عليه اوكد واصل
ذلك كله حب الدنيا ونسيان الآخرة وقلة التفكر فيما عند الله وقلة التأمل في آفات الحياة الدنيا وعظم
نعيم الآخرة وبعض ذلك ينتج بعضا ويثمره واصل ذلك كله حب الدنيا وغلبة الشهوات فهو
راس كل خطيئة ومنبع كل ذنب لانطواء حب الجاه والمنزلة ونعيم الدنيا هو الذي يغصب
القلب ويسلبه ويحول بينه وبين التفكر في العاقبة والاستضاءة بنور الكتاب والسنة وانوار
العلوم واعلم ان الله تعالى لم يكلف العبد الا ما يطيق وليس في طاقة العبد منع الشيطان عن نزغاته
ولا قمع الطبع حتى لا يميل الى الشهوات ولا ينازع اليها وانما غايته ان يقابل شهوته بكراهة استثارها
من معرفة العواقب وعلم الدين واصول الايمان بالله واليوم الآخر فاذا فعل ذلك فهو الغاية في اداء ما
كلف ويدل على ذلك من الاخبار ما روي ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا اليه وقالوا تعرض لقلوبنا
اشياء لان نخر من السماء فتخطفنا الطير او تهوي بنا الريح في مكان سحيق احب الينا من ان نتكلم بها فقال
او قد وجدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الايمان ولم يجدوا الا الوسوسة والكراهة ولا يمكن ان يقال
اراد بصريح الايمان الوسوسة فلم يبق الا حمله على الكراهة المساوقة للوسوسة والرياء وان كان عظيما فهو
دون الوسوسة في حق الله تعالى فاذا اندفع ضرر الاعظم بالكراهة فبان يندفع ضرر الاصغر اولى
ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه انه قال الحمد لله الذي رد كيد الشيطان الى الوسوسة
وقال ابو حازم ما كان من نفسك فكرهته نفسك لنفسك فلا يضرك من عدوك وما كان من نفسك فرضيته نفسك
لنفسك فعاتبها والمخلصون عن الرياء في دفع خواطر الرياء على اربع مراتب **المرتبة الاولى**
ان يرد على الشيطان مكيدته ولا يقتصر عليه بل يشتغل بمجادلته ويطيل الجدال معه لظنه ان ذلك
اسلم لقلبه وهو على التحقيق نقصان لانه اشتغل عن مناجاة الله عز وجل وعن الخير الذي هو بصدده
وانصرف الى قتال قطاع الطريق والتعريج على قتال قطاع الطريق نقصان في السلوك **المرتبة الثانية**
ان يعرف ان الجدال والقتال نقصان في السلوك فيقتصر على تكذيبه ودفعه ولا يشتغل بمجادلته
الثالثة ان لا يشتغل بتكذيبه ايضا لان ذلك دفعه وان قلت بل يكون قد قرر في ضميره
كراهية الرياء وكذب الشيطان فيستمر على ما كان عليه مستصحبا للكراهة غير مشتغل بالتكذيب ولا
بالمخاصمة **الرابعة** ان يكون قد علم ان الشيطان عند جريان اسباب الرياء فيكون قد عزم على انه
مهما نزغ الشيطان زاد فيما هو فيه من الاخلاص والاشتغال بالله واخفاء الصدقة والعبادة غيظا للشيطان
وذلك هو الذي يغيظ الشيطان ويقمعه ويروى عن الفضيل بن غزوان انه قيل له ان فلانا ذكرك

لاغيظن

خيال واسه لأكيدن من امره قيل من امره قال الشيطان اللهم اغفر له اي لأغيظنه ثم لأطيع الله فيه
وقال ابرهيم التيمي رحمه الله ان الشيطان ليدعو العبد الى الباب من الاثم فلا يطيعه وليحدث عند ذلك
خيرا فاذا راه كذلك تركه وضرب الحارث المحاسبي لهذه الاربعة مثلا فقال مثالهم كاربعة قعدوا
مجلسا من العلم والحديث لينالوا منه فايدة وفضلا وهداية ورشدا فحسدهم على ذلك ضال مبتدع
وخاف ان يعرفوا الحق فتقدم الى واحد منهم فمنعه وصرفه عنه ودعاه الى مجلس ضلالة فابى فلما عرف اباه
شغله بالمجادلة فاشتغل معه ليرد ضلاله وهو يظن ان ذلك مصلحة وهو غرض الضال ليفوت عليه بقدر تاخره فلما
مر على الثاني نهاه واستوقفه فوقف فدفع في نحر الضال ولم يشتغل بالقتال واستعجل ففرح منه الضال بقدر
بقدر توقفه للدفع فيه ومر به الثالث فلم يلتفت اليه ولم يشتغل بدفعه ولا بقتاله بل استمر على ما كان
فخاب منه بالكلية فمر به الرابع فلم يتوقف له واراد ان يغيظه فزاد في عجلته وترك التاني في المشي فيوشك
ان عادوا ومروا عليه مرة اخرى ان يعاودوا الجميع الا هذا الاخير فانه لا يعاوده خيفة من ان يزداد فايدة باستعجاله

فان قلت فالشيطان اذا كان لا يؤمن من نزغاته فهل يجب الترصد له قبل خطوره للحذر منه انتظارا
لوروده ام يجب التوكل على الله ليكون هو الدافع له او يجب الاشتغال بالعبادة والغفلة عنه قلنا اختلف الناس
فيه على ثلثة اوجه فذهب فرقة من اهل البصرة الى ان الاقوياء عن الحذر من الشيطان لانهم انقطعوا الى الله تعالى
واشتغلوا بحبه فاعتزلهم الشيطان وايس منهم وخنس عنهم كما اذ خلوا عن حبها بالتخلية لم يبق للشيطان
اليهم سبيل فلا حاجة بهم الى الحذر وذهب فرقة من اهل الشام الى ان الترصد للحذر منه انما يحتاج اليه من قل
يقينه ونقص توكله فمن ايقن بان لا شريك لله تعالى في تدبيره فلا يحذر غيره ويعلم ان الشيطان ذليل مخلوق ليس له
امر ولا نهي ولا يكون الا ما اراده الله تعالى فهو الضار والنافع والعارف منه يستحيي ان يحذر غيره فاليقين بالوحدانية
تغنيه عن الحذر وقالت فرقة من اهل العلم لا بد من الحذر من الشيطان وما ذكره البصريون من ان الاقوياء غرور
اذ الانبياء عليهم السلام لم يتخلصوا من نزغاته ووساوسه فكيف يتخلص غيره وليس كل وساوس الشيطان من الشهوات
وحب الدنيا بل في صفات الله واسمائه وفي تحسين البدع والضلال وغيره فلا ينجو احد من الخطر فيه ولذلك قال الله تعالى
وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الى قوله والله عليم حكيم وقال النبي صلى الله عليه وسلم انه ليغان
على قلبي مع ان شيطانه قد اسلم ولا يامره الا بخير فمن ظن ان اشتغاله بحب الله اكثر من اشتغال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وساير الانبياء فهو مغرور ولم يؤمنهم ذلك من كيد الشيطان ولذلك لم يسلم منه ادم وحوا عليهما السلام في الجنة
التي هي دار الامن والسرور بعد ان قال الله لهما ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ومع انه لم ينه
الا عن شجرة واحدة واطلق له سواها ما اراد فاذا لم يامن نبي من الانبياء وهو في الجنة وهي دار الامن والسعادة
من الشيطان فكيف يجوز لغيره ان يامن في دار الدنيا التي هي منبع الفتن والمحن ومعدن الملاذ والشهوات المنهي عنها
وقال موسى بن عمران هذا من عمل الشيطان وحذر الله منه جميع الخلق فقال تعالى يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان الاية
والقران من اوله الى اخره تحذير من الشيطان فكيف يدعي الامن منه وقد امرنا بالحذر من العدو من الكفار فقال
فليأخذوا حذرهم واسلحتهم وقال تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل فاذا لزمك
بامر الله الحذر من العدو الكافر وانت تراه فلان يلزمك الحذر من عدو يراك ولا تراه اولى ولذلك قال
ابن محيريز صيد تراه ولا يراك يوشك ان تظفر به وصيد يراك ولا تراه يوشك ان يظفر بك واشار
الى الشيطان وبه يبطل مذهب الفرقة الثانية وظنهم ان ذلك قدح في التوكل فان اخذ الترس والسلاح وحفر
الخندق وجمع الجنود لم يقدح في توكل رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يقدح في التوكل الخوف مما خوف الله منه والحذر مما
حذر منه وهذا ما اختاره الحارث المحاسبي رحمه الله وهو الصحيح الذي يشهد له نور العلم وما قبله يشبه
ان يكون من كلام العباد الذين لا يغزر علمهم ويظنون ان ما يهجم عليهم من الاحوال في بعض الاوقات من الاستغراق
بالله تعالى يستمر على الدوام وهو بعيد ثم اختلفت هذه الفرقة على ثلثة اوجه في كيفية الحذر فقال قوم اذا حذرنا
الله تعالى العدو فلا ينبغي ان يكون شيء اغلب على قلوبنا من ذكره والحذر منه والترصد له فانا ان غفلنا عنه لحظة فيوشك

ان يهلكنا وقال اخرون يؤدي الى خلو القلب عن ذكر الله واشتغال الهم كله بالشيطان وربما عرض من
حيث لا يحتسب وان تجردنا للذكر اغفلنا ذكر الله تعالى فالجمع اولى وقال العلماء المحققون غلط الفريقان
الاولان فقد تجرد الشيطان ونسي ذكر الرحمن فلا يخفى غلطه وانما امرنا بالحذر من الشيطان كيلا يصدنا
عن الذكر فكيف نجعل ذكره اغلب الاشياء على قلوبنا وهو منتهى ضرر العدو ثم يؤدي ذلك الى خلو نور القلب
عن ذكر الله واما الفرقة الثانية فقد شاركت الاولى اذ جمعت في القلب بين ذكر الله
والشيطان وبقدر ما يشتغل القلب بذكر الشيطان ينقص من ذكر الله وقد امر الله الخلق بذكره
ونسيان ما عداه ابليس وغيره بل الرجل يحتاج او نام وهو خايف على ان يفوته مهم عند طلوع الصبح
فيلزم نفسه الحذر وينام على ان ينتبه في ذلك الوقت فينتبه في الليل مرات قبل اوانه لما سكن في قلبه
من الخوف مع انه بالنوم غافل عنه فاشتغاله بذكر الله تعالى كيف يمنع تنبهه ومثل هذا القلب هو الذي يقوى
على دفع العدو واذا كان اشتغاله بمجرد ذكر الله فقد امات منه الهوى واحيا فيه نور العقل والعلم
واماط ظلمة الشهوات فاهل البصيرة استشعروا قلوبهم عداوة الشيطان وترصده والزموا الحزم
ثم لم يشتغلوا بذكره بل بذكر الله تعالى ودفعوا بالذكر شر العدو واستضاؤا بنور الذكر حتى ابصروا خواطر
العدو فمثال القلب مثال حوض يريد تطهيره من الماء القذر ليتفجر منها الماء الصافي فالمشتغل بذكر الشيطان
فقد ترك فيها الماء القذر والذي جمع بين ذكر الله وذكر الشيطان فقد نزح الماء من جانب ولكن
تركه جاريا اليه من جانب اخر والبصير هو الذي يجعل المجرى للماء القذر سكرا ويملأه بالماء الصافي واذا جاء
الماء القذر دفعه بالسكر والسد من غير كلفة وزيادة تعب

بيان الرخصة في قصد اظهار الطاعات

اعلم ان في الاسرار بالاعمال فايدة الاخلاص والنجاة من الرياء وفي الاظهار فايدة الاقتداء وترغيب الناس
في الخير ولكن فيه افة الرياء قال الحسن قد علم المسلمون ان السر احرز العملين ولكن لذلك اثنى الله
تعالى على السر والعلانية فقال تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها الاية والاظهار قسمان
احدهما في نفس العمل والاخر بالتحدث بما عمل القسم الاول اظهار نفس العمل كالصدقة في الملا لترغيب
الناس فيها كما روي عن الانصاري الذي جاء بالصرة فتتابع الناس بالعطية لما راوه فقال النبي صلى الله عليه وسلم
من سن سنة حسنة فعمل بها كان له اجرها واجر من اتبعه وتجري ساير الاعمال هذا المجرى من الصلاة والحج
والغزو وغيره وتعمم الغازي اذا هم بالخروج واستعداده وشد الرحل قبل القوم تحريضا لهم
على الحركة فذلك افضل لان الغزو في اصله من اعمال العلانية لا يمكن اسراره فالمبادرة اليه ليس هو من
الاعلان بل هو تحريض مجرد وانما يمكن اسرار الصدقة والصلاة فان كان اظهار الصدقة
يؤذي المتصدق عليه ويرغب الناس في الصدقة فالسر افضل لان الايذاء حرام والا ففيه
ايضا فقد اختلف الناس في الافضل فقال قوم السر افضل من العلانية وان كان في العلانية قدوة
وقال قوم السر افضل من العلانية لا قدوة فيها ويدل على ذلك ان الله امر انبياءه باظهار العمل للاقتدا
وخصهم بمنصب النبوة ولا يجوز ان يظن بهم انهم حرموا افضل العملين ويدل عليه قوله اجرها
واجر من عمل بها وقد روي في الحديث ان عمل السر يضاعف على عمل العلانية سبعين ضعفا
ويضاعف عمل العلانية اذا استن عامله على عمل السر سبعين ضعفا وهذا لا وجه للخلاف فيه
فانه مهما انفك القلب عن شوايب الرياء تم الاخلاص على وجه واحد في الحالين وفيما يحل شايبة
الرياء لا ينفعه اقتداء غيره وهلك به فلا خلاف في ان السر افضل منه ولكن على من يظهر العمل وظيفتان
احداهما ان يظهره حيث يعلم انه يقتدى به او يظن ذلك ظنا ورب رجل يقتدي به اهله دون جيرانه
او جيرانه دون اهله وانما العالم المعروف هو الذي يقتدي به الناس كافة والثانية ان يراقب
قلبه فانه ربما يكون فيه حب الرياء الخفي فيدعوه الى الاظهار بعذر الاقتداء وانما شهوته التجمل
بالعمل وبكونه يقتدى به وهذا حال كل من يظهر اعماله الا الاقوياء المخلصون فقليل ما هم فلا ينبغي ان يخدع

الضعيف نفسه بذلك فيهلك وهو لا يشعر وهذه مزلة قدم العباد والعلماء فانهم يتشبهون بالاقويا
في الاظهار ولا تقوى قلوبهم على الاخلاص فيحبط اجورهم بالريا والتفطن لذلك غامض ومحك ذلك ان
يقال له اخف العمل حتى يقتدى الناس بعابد اخر مثلك ويكون لك في السر مثل اجر الاعلان فان
قلبه الى ان يكون هو المقتدى به وهو المظهر للعمل فباعثه الريا دون طلب الاجر واقتدا الناس
ورغبتهم في الخير فانهم قد رغبوا في الخير بالنظر الى غيره واجره قد توفر عليه مع اسراره وقلما تسلم الاعمال
عن الافات فلا ينبغي ان يغتر بالسلامة فيها والسلامة في الاخفا القسم الثاني ان يتحدث بما فعله بعد
الفراغ وحكمه حكم اظهار العمل نفسه والخطر في هذا اشد لان مؤونة النطق خفيفة على اللسان وقد
يجري في الحكاية مبالغة وزيادة وللنفس لذة في اظهار الدعاوي عظيمة الا انه لو تطرق اليه الريا لم يؤثر في
افساد العبادة الماضية بعد الفراغ منها فهو من هذا الوجه اهون وقد روي مثل ذلك عن جماعة من
من السلف الاقويا وقال سعد بن معاذ ما صليت صلاة منذ اسلمت فحدثت نفسي بغيرها ولا
تبعت جنازة الا حدثت نفسي بما هي قايلة وما هو مقول لها ولا سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قولا
قط الا علمت انه حق وقال عمر بن الخطاب رض ما ابالي اصبحت على عسر او على يسر لاني لا ادري ايهما خير لي
وقال شداد بن اوس ما تكلمت بكلمة منذ اسلمت حتى ازمها واخطمها وكان قد قال لغلامه ايتنا بالسفرة
نعبث بها حتى ندرك الغدا وقال ابو سفيان لاهله حين حضرته الوفاة لا تبكوا علي فاني ما احدثت ذنبا
منذ اسلمت وقال عمر بن عبد العزيز ما قضى الله لي بقضاء قط فسرني ان يكون قضى لي بغيره وما
اصبح لي هوى الا في مواقع قدر الله تعالى فهذا كله اظهار لاحوال شريفة وفيها غاية المراياة اذا صدرت ممن يرائي
وقد روي انه كان يجتاز الانسان في سكك البصرة عند الصبح فيسمع اصوات المصلين بالقران من
البيوت وصنف بعضهم كتابا في دقايق الريا فتركوا ذلك وترك الناس الرغبة فيه فكانوا يقولون
ليت ذلك الكتاب لم يصنف

بيان الرخصة في كتمان الذنوب وكراهة اطلاع الناس عليها وذمهم لها

اعلم ان الاصل في الاخلاص استوا السريرة والعلانية كما قال عمر بن الخطاب رض لرجل عليك بعمل العلانية قال
يا امير المومنين وما عمل العلانية قال اذا اطلع عليك غيرك لم تستحي منه وقال ابو مسلم الخولاني ما
عملت عملا قط ابالي ان يطلع الناس عليه الا اتياني اهلي والبول والغايط الا ان هذه درجة عظيمة لا ينالها
كل احد ولا يخلو الانسان عن ذنوب بقلبه او بجوارحه وهو يخفيها ويكره اطلاع الناس عليها لا سيما ما يختلج به الخواطر في
الشهوات والاماني والله تعالى مطلع على جميع ذلك فارادة العبد لاخفايها عن العبيد ربما يظن انه ريا محظور وليس
كذلك بل المحظور ان يستر ذلك ليرى الناس انه ورع لا انه خايف من الله مع انه ليس كذلك فهذا هو ستر المرائي واما
الصادق الذي لا يرائي فله ستر المعاصي ويصح قصده فيه ويصح اغتمامه باطلاع الناس عليه اذا افتضح لثمانية
اوجه الاول هو ان يفرح بستر الله عليه واذا افتضح اغتم بهتك الله ستره وخاف ان يهتك ستره في
القيامة اذ ورد في الخبر ان من ستر الله عليه في الدنيا ستر الله عليه في الاخرة وهذا غم ينشا من قوة الايمان
والثاني انه قد علم ان الله تعالى يكره ظهور المعاصي ويحب سترها كما قال صلى الله عليه وسلم من ارتكب شيا
من هذه القاذورات فليستتر بستر الله تعالى وان عصى الله بالذنب فلم يخل قلبه عن محبة ما احبه الله وهذا
ينشا من قوة الايمان بكراهة الله ظهور المعاصي واثر الصدق فيه ان يكره ظهور الذنب عن غيره ايضا
ويغتم بسببه الثالث ان يكره ذم الناس له به من حيث ان ذلك يغمه ويشغل قلبه وعقله عن طاعة الله تعالى
فان الطبع يتاذى بالذم وينازع العقل ويشغل عن الطاعة ولهذه العلة ايضا ينبغي ان يكره الحمد
الذي يشغله عن الله تعالى ويستغرق قلبه ويصرفه عن الذكر وهذا ايضا من قوة الايمان اذ صدق الرغبة
في فراغ القلب لاجل الطاعة من الايمان الرابع ان يكون ستره ورغبته فيه لكراهية ذم
الناس من حيث يتاذى طبعه فان الذم مولم للقلب كما ان الضرب مولم للبدن وخوف تالم القلب بالذم ليس بحرام
ولا الانسان به عاص وانما يعصي اذا فزعت نفسه من ذم الناس وليس يجب على الانسان ان لا يغتم بذم الخلق ولا

هنا بيان الرخصه وكتمان الذنوب مع ذلك

ولا يتاذى به فيستوي ذامه ومادحه لعلمه بان الضار والنافع هو الله تعالى وان العباد كلهم عاجزون وذلك قليل جدا
فكم من صابر عن لذة الحمد لا يصبر على الم الذم اذ الحمد يطلب اللذة وعدم اللذة لا يولم واما الذم فانه مولم وربما
كراهة الذم على المعصية فلا يعجز ورقيه الا امر واحد وهو ان تشغله غمه باطلاع الخلق على ذنبه عن اطلاع الله تعالى فان ذلك غاية
النفاق في الدين وقد يكره الذم من حيث ان الذام قد عصى الله تعالى به وهذا من الايمان وعلامته ان يكره ذمه لغيره فهذا
التوجع لا يفرق بينه وبين غيره بخلاف التوجع من جهة الطبع السادس ان يستر كيلا يقصد بسوء اذا عرف
ذنبه وهذا وراء الم الذم فان الذم مولم من حيث يشعر القلب بنقصانه وخسته السابع مجرد الحيا
فانه نوع الم وراء الم الذم والقصد بالشر وهو خلق كريم يحدث في اول الصبي مهما اشرق عليه نور العقل فيستحي
من القبايح اذا شوهدت فيه وهو وصف محمود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحيا خير كله وقال عم الحيا شعبة
من الايمان وقال عم الحيا لا ياتي الا بخير وقال عم ان الله يحب الحيي الحليم والذي يفسق ولا يبالي ان يظهر
فسقه للناس جمع الى الفسق التهتك والوقاحة وفقد الحيا فهو اشد حالا ممن يستتر ويستحيي الا ان الحيا ممتزج
بالريا ومشتبه به اشتباها عظيما وبيانه ان الرجل يطلب من صديق له قرضا ونفسه لا تسخو باقراضه
الا انه يستحيي من رده وعلم انه لو راسله على لسان غيره لكان لا يستحيي ولا يقرض ريا ولا طلبا لثواب فله عند
ذلك احوال احدها ان يشافهه بالرد الصريح ولا يبالي فينسب الى قلة الحيا وهذا فعل من لا حيا له الثاني
ان يتعذر عليه الرد بالحيا ويبقى في نفسه البخل فيتعذر الاعطا فيهيج باعث الاخلاص ويقول له ان الصدقة الواحدة
بعشرة والقرض بثمانية عشر ففيه اجر عظيم وادخال سرور على قلب صديق وذلك محمود عند الله تعالى فتسخو النفس بالاعطا
لذلك فهذا مخلص هيج الحيا اخلاصه الثالث ان لا يكون له رغبة في الثواب ولا خوف من مذمته ولا حب
محمدته لانه لو طلب مراسلة لكان لا يعطيه فاعطاه بمحض الحيا وهو ما يجده في قلبه من الم الحيا ولولا الحيا لرده ولو
جاءه من لا يستحيي منه من الاجانب او الاراذل لكان يرده وان كثر الثواب والحمد فيه فهذا محض الحيا وقد قيل
ان بعض الحيا ضعف وهو صحيح والمراد منه الحيا بما ليس بقبيح كالحيا من وعظ الناس وامامة الصلاة وهو
في الصبيان والنسوان محمود وفي العقلا غير محمود وقد تشاهد معصية من شيخ فتستحيي من شيبته ان تنكر
عليه لان من اجلال الله تعالى اجلال ذي الشيبة المسلم وهذا الحيا حسن واحسن منه ان تستحيي من الله فلا تضيع الامر
بالمعروف الثامن ان يخاف من ظهور ذنبه ان يستجري عليه غيره ويقتدي به وهذه العلة الواحدة فقط
هي الجارية في اظهار الطاعة وهو القدوة ويختص ذلك بالايمة او بمن يقتدى به وبهذه العلة ينبغي ان يخفي العاصي
معصيته من اهله واولاده لانهم يتعلمون منه ففي الستر هذه الاعذار الثمانية وليس في اظهار الطاعة عذر الا هذا
العذر الواحد ومهما قصد بستر المعصية ان يخيل الى الناس انه ورع كان مرائيا كما اذا قصد ذلك باظهار الطاعة

بيان الرخصة في ترك الطاعات خوفا من الريا ودخول الافات

اعلم ان من الناس من يترك العمل خوفا من ان يكون
مرائيا به وذلك غلط وموافقة للشيطان بل الحق فيما يترك من الاعمال وما لا يترك لخوف الافات ما نذكره وهو ان الطاعات
تنقسم الى ما لا لذة فيها كالصلاة والصوم والحج والغزو فانها مقاساة ومجاهدات انما تصير لذيذة من حيث انها توصل
الى حمد الناس وحمد الناس لذيذ وذلك عند اطلاع الناس عليه والى ما هو لذيذ وهو اكثر ما لا يقتصر على البدن بل يتعلق
بالخلق كالخلافة والقضا والولايات والحسبة وامامة الصلاة والتذكير والتدريس وانفاق المال على الخلق القسم الاول
الطاعات اللازمة للبدن التي لا تتعلق بالغير ولا لذة في عينها كالصلاة والصوم والحج والغزو فخطرات الريا فيها
ثلثة احدها ما يدخل قبل العمل فيبعث على الابتدا لروية الناس وليس معه باعث الدين فهذا ينبغي ان يترك
لانه معصية لا طاعة فانه تدرع بصورة الطاعة الى طلب المنزلة فان قدر الانسان على ان يدفع عن نفسه باعث
الريا ويقول لها اما تستحيين من مولاك لا تسخو بالعمل لاجله وتسخو بالعمل لاجل عباده الثانية ان
ينبعث لاجل الله عز وجل ولكن تعرض الريا مع عقد العبادة واولها فلا ينبغي ان يترك العمل لانه وجد باعثا دينيا
فيشرع في العمل ويجاهد نفسه في دفع الريا وتحصيل الاخلاص بالمعالجة الثالثة ان يعقد على الاخلاص
ثم يطرا الريا ودواعيه فينبغي ان يجاهد في الدفع ولا يترك العمل لكي يرجع الى عقد الاخلاص ويرد نفسه اليه

ثم احتق يتم العمل لان الشيطان يدعوك اولا الى ترك العمل فاذا لم تجب واشتغلت فيدعوك الى الريا فاذا لم تجب ودفعته يقول لك هذا العمل ليس بخالص وانت مرائي وتعبك ضايع فاي فايدة لك في عمل لا اخلاص فيه حتى يحملك بذلك على ترك العمل فاذا تركته فقد حصل غرضه ومن هذا القبيل من يترك العمل خوفا على الناس ان يقولوا انه مرائي فيعصون الله به فهذا من مكايد الشيطان لانه اساء الظن بالمسلمين وما كان من حقه ان يظن ذلك بهم ثم ان كان فلا يضره قولهم ويفوت ثواب العبادة وترك العمل خوفا من قولهم انه مراي هو عين الريا فاي فرق بين ان يترك العمل خوفا من ان يقال انه مراي وبين ان يحسن العمل خوفا من ان يقال انه غافل مقصر بل ترك العمل اشد من ذلك فهذه كلها مكايد الشيطان على العباد الجهال ثم كيف يطمع ان يتخلص من الشيطان بان يترك العمل والشيطان لا يخليه بل يقول له الان يقول الناس انك تركت العمل ليقال انه مخلص لا تشتهي الشهرة فيضطرك بذلك الى ان تهرب فان تهرب ودخلت سربا من الارض القى في قلبك حلاوة معرفة الناس بزهدك وهربك منهم وتعظيمهم لك بذلك بقلوبهم عياذا لك فكيف تتخلص منه بل لا نجاة منه الا بان تلزم قلبك معرفة آفة الريا وهو انه ضرر في الاخرة ولا نفع فيه في الدنيا لتلزم الكراهة والاباء قلبك وتستمر مع ذلك على العمل ولا تبالي والزم قلبك الحياء من الله اذا دعتك نفسك الى ان تستبدل بحمد الله حمد المخلوقين وهو مطلع على قلبك ولو اطلع الخلق على قلبك وانت تريد حمدهم لمقتوك بل ان قدرت على ان تزيد في العمل حياء من ربك وعقوبة لنفسك فافعل فان قال لك الشيطان انت مراي فاعلم كذبه فيما تصادف في قلبك كراهية ومنه خوفا **فان قلت** فقد نقل عن اقوام ترك العمل مخافة الشهرة روي ان ابرهيم النخعي دخل عليه انسان فاطبق المصحف وترك القراءة وقال لا يرى هذا انا نقرا كل ساعة وقال الحسن كان احدهم يمر بالاذى ما يمنعه من رفعه الا كراهة الشهرة وكان احدهم ياتيه البكا فيصرفه الى الضحك مخافة الشهرة وقد وردت فيه آثار كثيرة قلنا هذا يعارضه ما اوردناه من اظهار الطاعات مما لا يحصى واظهار الحسن البصري هذا الكلام في معرض الوعظ اقرب الى خوف الشهرة من البكا واماطة الاذى عن الطريق والكلام في الافضل والافضل انما يقدر عليه الاقويا دون الضعفا واما اطباق ابرهيم النخعي المصحف يمكن ان يكون لعلمه بانه سيحتاج الى ترك القراءة عند دخوله واستينافها بعد خروجه للاشتغال به ومحادثته فراى ان لا يراه في القراءة ابعد عن الريا وهو عازم على الترك للاشتغال به واما ترك دفع الاذى فذلك لمن يخاف على نفسه آفة الشهرة واقبال الناس عليه وشغلهم اياه عن عبادات هي اكثر من رفع خشبة من الطريق فيكون تركه لذلك للمحافظة على عبادات اكثر منها لا لمجرد خوف الريا ثم كلام الحسن في تركهم البكا واماطة الاذى لخوف الشهرة ربما كان حكاية احوال الضعفاء الذين لا يعرفون الافضل ولا يدركون هذه الدقايق وانما ذكره تخويفا للناس من آفة الشهرة وزجرا عن طلبها • القسم الثاني ما يتعلق بالخلق وتعظم فيه الآفات والاخطار واعظمها الخلافة ثم القضا ثم التذكير والتدريس والفتوى ثم انفاق المال اما الخلافة والامارة فهي من افضل العبادات اذا كانت مع العدل والاخلاص وقد قال صلى الله عليه وسلم ليوم من امام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاما فاعظم بعبادة يوازي يوم منها عبادة ستين سنة وقال صلى الله عليه وسلم اقرب الناس مني مجلسا يوم القيمة امام عادل فالامارة والخلافة من اعظم العبادات ولم تزل المتقون يحترزون منها ويتركونها ويهربون من تقلدها وذلك لما فيها من عظم الخطر اذ تتحرك بها الصفات الباطنة ويغلب على النفس حب الجاه ولذة الاستيلا ونفاذ الامر وهو اعظم ملاذ الدنيا واذا صارت الولاية محبوبة كان الوالي ساعيا في حظ نفسه ويوشك ان يتبع هواه فيمتنع من كل ما يقدح في جاهه وولايته وان كان حقا وعند ذلك يهلك ويكون يوم من سلطان جاير شرا من فسق ستين سنة ولهذا الخطر العظيم كان عمر بن الخطاب يقول من ياخذها بما فيها وكيف لا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من وال عشرة الا جاء يوم القيمة مغلولة يده الى عنقه اطلقه عدله او اوبقه جوره رواه معقل بن يسار وولاه عمر بن الخطاب رض ولاية فقال يا امير المؤمنين اشر علي قال اجلس واكتم علي وروى الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولى رجلا فقال للنبي صلى الله عليه وسلم اختر لي قال اجلس وكذلك لاخر منهم عبد الرحمن

ابن سمرة اذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانك ان اعطيتها من غير مسألة اعنت عليها وان اوتيتها عن مسألة وكلت اليها الخبر وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لرافع بن عمر لا تأمر على اثنين ثم ولي الخلافة فقام بها فقال له رافع الم تقل لي لا تأمر على اثنين وانت قد وليت امر امة محمد صلى الله عليه وسلم فقال بلى وانا اقول لك ذلك فمن لم يعدل فيها فعليه بهلة الله يعني لعنة الله ولعل القليل البصيرة يرى ما ورد في فضل الامارة مع ما ورد من النهي عنها متناقضا وليس كذلك بل الحق فيه ان الخواص الاقويا في الدين لا ينبغي ان يمتنعوا من تقلد الولايات وان الضعفا لا ينبغي ان يدوروا بها فيهلكوا واعني بالقوي الذي لا تميله الدنيا ولا يستفزه الطمع ولا تأخذه في الله لومة لائم وهم الذين سقط الخلق عن اعينهم وزهدوا في الدنيا وتبرموا بها وبمخالطة الخلق وقهروا انفسهم وملكوها وقمعوا الشيطان فايس منهم فهولاء لا يحركهم الا الحق ولا يسكنهم الا الحق ومن جرب نفسه فراها صابرة على الحق كافة عن الشهوات في غير الولاية ولكن كان عليها ان تتغير اذا ذاقت لذة الولاية وان تستحلي الجاه وتستلذ نفاذ الامر وتكره العزل فيداهن خوفا من العزل فهذا قد يلزمه الهرب من تقليد الولاية ومهما مالت النفس الى طلب الولاية وحملت على السوال والطلب فهو امارة الشر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا نولي امرنا هذا من سالنا فاذا فهمت اختلاف حكم القوي والضعيف عرفت ان نهي ابي بكر الصديق رافع بن عمر عن الولاية ثم تقلده لها ليس بمتناقض واما القضا فهو وان كان دون الخلافة والامارة فهو في معناها فان كل ذي ولاية امير اي له امر نافذ والامارة محبوبة بالطبع والثواب في القضا عظيم مع اتباع الحق والعقاب عظيم مع العدول عن الحق وقال النبي صلى الله عليه وسلم من استقضي فقد ذبح بغير سكين فحكمه حكم الخلافة ينبغي ان يتركها الضعفا وكل من للدنيا وزن في عينه وليتقلدها الاقويا الذين لا تاخذهم لومة لايم مهما كان السلاطين ظلمة ولم يقدر القاضي على القضا الا بمداهنتهم واهمال بعض الحقوق لاجلهم ولاجل المتعلقين بهم اذ يعلم انه لو حكم عليهم بالحق لعزلوه ولم يطيعوه فليس له ان يتقلد القضا وان تقلده فعليه ان يطالبهم بالحقوق ولا يكون خوف العزل عذرا مرخصا له في الاهمال اصلا بل اذا عزل سقطت العهدة عنه فينبغي ان يفرح بالعزل اذا كان يقضي لله تعالى فان لم تسمح به نفسه فهو اذا يقضي باتباع الهوى والشيطان فكيف يرتقب عليه ثوابا وهو مع الظلمة في الدرك الاسفل من النار واما الوعظ والفتوى ورواية الحديث والتدريس وجمع الاسانيد العالية وكل ما يتسع فيه بسبب الجاه فآفته عظيمة مثل آفة الولايات وقد كان الخايفون من السلف يتدافعون الفتوى ما وجدوا اليه سبيلا وكانوا يقولون حدثنا باب من ابواب الدنيا ومن قال حدثنا فقد قال اوسعوا لي ودفن بشر الحافي كذا وكذا قمطرة من الحديث وقال اني اشتهي ان احدث ولو اشتهيت ان لا احدث لحدثت والواعظ يجد في وعظه وتاثر قلوب الناس به وتلاحق بكائهم وزعقاتهم واقبالهم عليه لذة لا توازيها لذة فاذا غلب ذلك على قلبه مال طبعه الى كل كلام مزخرف يروج عند العوام وان كان باطلا ويفر عن كل كلام يستثقله العوام وان كان حقا ويصير مصروف الهمة بالكلية الى ما يحرك قلوب العوام ويعظم منزلته في قلوبهم فلا يسمع حديثا وحكمة الا ويكون فرحه به من حيث يصلح ان يذكره على راس المنبر وكان ينبغي ان يكون فرحه بها من حيث انه عرف طريق السعادة وطريق سلوك سبيل الدين ليعمل به اولا ثم يقول اذا انعم الله علي بهذه النعمة ونفعني بهذه الحكمة فاقصها ليشاركني في نفعها اخواني المسلمون فهذا ايضا مما تعظم فيه الخوف والفتنة فحكمه حكم الولايات فمن لا باعث له الا طلب الجاه والمنزلة والاكل بالدين والتفاخر والتكاثر به فينبغي ان يتركه ويخالف الهوى فيه الى ان ترتاض نفسه وتقوى في الدين همته ويامن على نفسه الفتنة **فان قلت** مهما حكم بذلك على اهل العلم تعطلت العلوم واندرست فنقول قد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن طلب

الامارة وتوعد عليها حتى قال انكم تحرصون على الامارة وانها حسرة يوم القيمة وندامة الا من اخذها بحقها وقال
السلطنة والامارة ليبطل الدين والدنيا جميعا وثار القتال بين الخلق وزال الامن وخربت البلاد وضرب
عمر بن الخطاب ابي بن كعب لما حين راى قوما يتبعونه وهو في ذلك يقول ابي سيد المسلمين وكان يقرا عليه
القران فمنع ان يتبعوه وقال ذلك فتنة على المتبوع ومذلة على التابع وعمر رضي الله عنه كان بنفسه يخطب ويعظ
ولا يمنع منه واستاذن رجل عمر بن الخطاب ان يعظ الناس اذا فرغ من صلاة الصبح فمنعه فقال اتمنعني من نصح الناس
فقال اخشى ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا اذ راى فيه مخايل الرغبة في جاه الوعظ وقبول الخلق فاما قول القائل
نهيك عن ذلك يودي الى اندراس العلم فهو غلط اذ نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القضا لم يود الى تعطل القضا
بل الرياسة وحبها يضطر الخلق الى طلبها وقد وعد الله تعالى ان يويد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم فلا تشغل قلبك
بامر الناس فان الله لا يضيعهم وانظر لنفسك ثم الواعظ هو الذي يرغب في الاخرة ويزهد في الدنيا بظاهر سيرته
فاما ما احدثه الوعاظ في هذه الاعصار من الكلمات المزخرفة والالفاظ المسجعة المقرونة بالاشعار مما ليس فيه تعظيم لامر
الدين وتخويف المسلمين بل فيه الترجية والتجرية على المعاصي بطيارات النكت فيجب اخلاء البلاد منهم فانهم نواب الدجال
وخلفاء الشيطان وانما كلامنا في واعظ حسن الوعظ جميل الظاهر يبطن في نفسه حب القبول ولا يقصد غيره
وفيما اوردناه في كتاب العلم من الوعيد الوارد في حق علماء السوء ما يبين لزوم الحذر من فتن العلم وغوائله ولهذا
قال عيسى صلوات الله وسلامه عليه يا علماء السوء تصومون وتصلون وتصدقون ولا تفعلون ما تومرون وتدرسون
ما لا تعملون فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول والاماني وتعملون بالهوى وما يغني عنكم ان تنقوا جلودكم
وقلوبكم دنسة بحق اقول لكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق وتبقى فيه النخالة كذلك انتم تخرجون الحكم من افواهكم
ويبقى الغل في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الاخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق اقول
لكم ان قلوبكم تبكي من اعمالكم جعلتم الدنيا تحت السنتكم والعمل تحت اقدامكم بحق اقول لكم افسدتم اخرتكم فصلاح الدنيا
احب اليكم من صلاح الاخرة فاي الناس اخس منكم لو تعلمون ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون
في محل المتحيرين كانكم تدعون اهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يغني البيت المظلم ان يوضع السراج
فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغني عنكم ان يكون نور العلم بافواهكم واجوافكم منه وحشة معطلة يا عبيد
الدنيا لا كعبيد اتقياء ولا كاحرار كرام يوشك الدنيا ان تقلعكم عن اصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم
تكبكم على مناخركم ثم تاخذ خطاياكم بنواصيكم ثم يدفعكم العلم من خلفكم ثم يسلمكم الى الملك الديان
عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء اعمالكم ◦ وروى الحارث المحاسبي هذا الحديث ثم قال هولاء علماء
السوء شياطين الانس وفتنة على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفعتها واثروها على الاخرة واذلوا الدين للدنيا
فهم في العاجل عار وشين وفي الاخرة هم الخاسرون ◦ فان قلت فهذه الافات ظاهرة ولكن ورد في
العلم والوعظ رغائب كثيرة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان يهدي الله بك رجلا خير لك من الدنيا وما فيها
وقال عم ايما داع دعا الى هدى واتبع عليه كان له اجره واجر من اتبعه الى غير ذلك من فضائل العلم فاعلم ان فضل
العلم كثير وخطره عظيم كفضل الخلافة والامارة ولا نقول لاحد من عباد الله اترك العلم اذ ليس في نفس العلم افة
وانما الافة في اظهاره بالتصدي للوعظ والتدريس ورواية الحديث اما اذا لم يحركه الا الدين فترك الاظهار انفع
له واسلم وكذلك نوافل الصلوات اذا تجرد فيها باعث الرياء وجب تركها وبالجملة فالمراتب ثلاث
الاولى الولايات والافات فيها عظيمة وقد تركها جماعة من السلف خوفا من الافة الثانية الصلاة
والصوم والحج والغزو وقد تعرض لها اقوياء السلف وضعفاؤهم ولم يوثر فيهم الترك لخوف الافة وذلك لضعف
الافات الداخلة فيها الرتبة الثالثة وهي متوسطة بين الرتبتين وهي التصدي لمنصب الوعظ
والفتوى والرواية والتدريس والافات فيها اقل منها في الولايات واكثر منها في الصلوات فالصلاة ينبغي ان
لا يتركها الضعفاء والاقوياء دون الاقوياء ومناصب العلم بينهما ومن جرب افات منصب العلم علم انها بالولايات
اشبه وان الحذر منها في حق الضعيف اسلم والله اعلم وههنا رتبة رابعة وهي جمع المال واخذه للتفرقة
على المستحقين فان في الانفاق واظهار السخاء استجلاب الثناء وفي ادخال السرور على قلوب الناس لذة للنفس والافات فيها ايضا

وعظ عظيم للعلماء السوء

كثيرة ولذلك سئل الحسن عن رجل طلب القوت ثم امسك واخر فوق قوته ثم تصدق به فقال القاعد افضل لما نعرف
من قلة السلامة في الدنيا وان من الزهد تركها قربة الى الله تعالى وقال ابو الدرداء ما يسرني ان اقيم على درج مسجد دمشق اربح
كل يوم خمسين دينارا اتصدق بها اما اني لا احرم البيع والشرى ولكني اريد ان اكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا
بيع عن ذكر الله الاية وقد اختلف العلماء فقال قوم اذا طلب الدنيا من الحلال وسلم منها وتصرف بها فهو افضل من ان
يشتغل بالعبادات والنوافل ◦ وقال قوم الجلوس في دوام ذكر الله افضل والاخذ والاعطاء يشغل عن ذكر الله عز وجل ◦
وقال عيسى عليه الصلاة والسلام يا طالب الدنيا لتبر تركك لها ابر فاما من يتعرض لافة الرياء فتركه والاشتغال
بالذكر لا خلاف في انه افضل وبالجملة ما يتعلق بالخلق وللنفس فيه لذة فهو مثار الافات فالاحب ان يعمل ويدفع
الافة فان عجز فلينظر وليجتهد ثم قد يقع بما ذكرناه غرور للجاهل فيمسك المال ولا ينفقه خيفة من الافات
وهو عين البخل ولا خلاف في ان تفرقة المال في المباحات فضلا من الصدقات افضل من امساكه وانما الخلاف فيمن يحتاج الى
الكسب ان الافضل هو الكسب والانفاق او التجرد للذكر وذلك لما في الكسب من الافات فاما المال الحلال فتفرقته افضل من
من امساكه فان قلت فباي علامة يعرف الواعظ والعالم انه صادق مخلص في وعظه وعلمه غير مريد رياء الناس
فاعلم ان لذلك علامات احداها انه لو ظهر من هو احسن منه وعظا او اغزر منه علما والناس اشد له قبولا فرح به ولم
يحسده نعم لا باس بالغبطة وهو ان يتمنى لنفسه مثل علمه والاخرى ان الاكابر اذا حضروا لم يتغير كلامه بل بقي كما كان
عليه فينظر الى الخلق بعين واحدة والاخرى ان لا يحب اتباع الناس له في الطريق والمشي خلفه في الاسواق وقد
روى عن سعيد بن ابي مروان قال كنت جالسا الى جنب الحسن اذ دخل علينا الحجاج من بعض ابواب المسجد على برذون
فجعل يلتفت في المسجد فلم ير حلقة احفل من حلقة الحسن فتوجه نحوها حتى بلغ قريبا منها ثم ثنى وركه فنزل ومشى
نحو الحسن فلما راه الحسن متوجها اليه تجافى له عن ناحية مجلسه حتى صار بيني وبين الحسن فرجة ومجلس للحجاج فجاء
الحجاج حتى جلس بيني وبينه والحسن يتكلم بكلام له يتكلم به في كل يوم فما قطع الحسن كلامه قال سعيد فقلت في
نفسي لابلون الحسن اليوم ولانظرن اليه هل يحمل الحسن جلوس الحجاج اليه ان يزيد في كلامه يتقرب اليه او يحمل الحسن
هيبة الحجاج ان ينتقص من كلامه فلما فرغ الحسن من كلامه وهو غير مكترث رفع الحجاج يده فضرب بها على منكب الحسن
ثم قال صدق الشيخ وبر فعليكم بهذه المجالس وامثالها فاتخذوها خلقا وعادة فانه بلغني عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان مجالس الذكر رياض الجنة ولولا ما حملناه من امر الناس ما غلبتمونا على هذه المجالس لمعرفتنا
بفضلها قال ثم افتر الحجاج فتكلم حتى عجب الحسن ومن حضر من بلاغته فلما فرغ قام فجاء رجل من
اهل الشام الى مجلس حيث قام الحجاج فقال عباد الله المسلمين الا تعجبوا اني رجل شيخ كبير واني اغزو فاكلف
فرسا وبغلا واكلف فسطاطا وان لي في العطاء ثلثمائة درهم وان لي سبع بنات من العيال فشكا من حاله حتى
رق الحسن له واصحابه والحسن مكب فلما فرغ الرجل رفع الحسن راسه فقال ما لهم قاتلهم الله اتخذوا عباد
الله خولا ومال الله دولا وقتلوا الناس على الدينار والدرهم فاذا غزا عدو الله غزا في الفساطيط وعلى البغال
السابقة واذا اغزى اخاه اغزاه طاويا راجلا فما فتر الحسن حتى ذكرهم باقبح العيب واشده فقام
رجل من اهل الشام كان جالسا الى الحسن فسعى به الى الحجاج وحكى له كلامه فلم يلبث الحسن ان اتته رسل الحجاج
فقالوا اجب الامير فقام الحسن واشفقنا عليه من شدة كلامه الذي تكلم به فلم يلبث الحسن ان رجع الى
مجلسه وهو يتبسم وقلما رايته فاغرا فاه يضحك انما كان يتبسم فاقبل حتى قعد في مجلسه فعظم
الامانة وقال انما تجالسون بالامانة كانكم تظنون ان الخيانة ليست الا في الدينار والدرهم ان الخيانة
كل الخيانة ان يجالسنا الرجل فنطمئن الى جانبه ثم ينطلق فيسعى بنا الى شرارة من نار اني اتيت هذا
فقال اقصر عليك من لسانك وقولك اذا غزا عدو الله غزا كذا واذا اغزى اخاه اغزاه كذا
لا ابا لك تحرض علينا الناس اما انا على ذلك لا نتهم نصيحتك فاقصر علينا من لسانك قال فرفعه
عني وركب الحسن حمارا يريد المنزل فبينما هو يسير اذ التفت فراى قوما يتبعونه فوقف فقال
هل لكم من حاجة او تسالون عن شيء والا فارجعوا فما يبقى هذا من قلب العبد ومهما رايت العالم يتغاير

ويتحاسدون ولا يتواسون ولا يتعاونون فاعلم انهم اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فهم الخاسرون

بيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وما لا يصح

اعلم ان الرجل قد يبيت مع القوم في موضع فيقومون للتهجد او يقوم بعضهم فيصلون الليل كله او بعضه
وهو ممن يقوم في بيته ساعة قريبة فاذا راهم انبعث نشاطه للموافقة حتى يزيد على ما كان يعتاده
او يصلي مع انه كان لا يعتاده اصلا وكذلك قد يقع في موضع يصوم اهل الموضع فينبعث له نشاط
في الصوم ولولاهم لما انبعث هذا النشاط فهذا ربما يظن انه رياء وان الواجب ترك الموافقة وليس
كذلك على الاطلاق بل له تفصيل لان كل مؤمن راغب في عبادة الله تعالى وفي قيام الليل وصيام النهار
ولكن قد تعوقه العوائق ويمنعه الاشتغال وتغلبه التمكن من الشهوات او تستهويه الغفلة فربما
يكون مشاهدة الغير سبب زوال الغفلة او تندفع العوائق والاشغال في بعض المواضع فينبعث النشاط
فقد يكون الرجل في منزله فتقطعه الاسباب عن التهجد مثل تمكنه من النوم على فراش وثير وتمكنه من التمتع
بزوجته والمحادثة مع اهله والاشتغال باولاده فاذا وقع في منزل غريب اندفعت هذه الشواغل التي
تفتر رغبته للخير وحصلت اسباب باعثة على الخير كمشاهدته اياهم وقد اقبلوا على الله عز وجل واعرضوا
عن الدنيا فانه ينظر اليهم فينافسهم ويشق عليه ان يسبقوه بطاعة الله تعالى فيتحرك داعيته للدين لا للرياء
وقد يعسر عليه الصوم في منزله ومعه اطايب الاطعمة ويشق عليه الصبر عنها فاذا اعوزته تلك الاطعمة لم يشق عليه فتنبعث
داعية الدين للصوم فان الشهوات الحاضرة عوائق ودوافع تغلب باعث الدين فاذا سلم منها قوي الباعث
فهذا وامثاله من الاسباب يتصور وقوعه ويكون السبب فيه مشاهدة الناس والشيطان عند ذلك ربما يصد عن
العمل ويقول لا تعمل فتكون مرائيا اذ كنت لا تعمل في بيتك ولا تزد على صلاتك المعتادة وقد تكون رغبته في
الزيادة لاجل رؤيتهم وخوفا من ذمهم لا سيما اذا كانوا يظنون به انه يقوم الليل فان نفسه
لا تسمح بان يسقط عن اعينهم فيريد ان يحفظ منزلته وعند ذلك يقول الشيطان صل فانك مخلص
ولست تصلي لاجلهم بل لله تعالى وهذا امر يشتبه الا على ذوي البصائر فاذا عرف ان المحرك هو الرياء
فلا ينبغي ان يزيد على ما كان يعتاده ولا ركعة واحدة لانه يعصي الله تعالى بطلب محمدة الناس بطاعة الله تعالى وعلامة
ذلك ان يعرض على نفسه انه لو راى هؤلاء يصلون من حيث لا يرونه من وراء حجاب وهو في ذلك الموضع بعينه
هل كانت نفسه تسخو بالصلاة وهم لا يرونه فان سمحت به فليصل فان باعثه الحق وان كان يثقل ذلك على نفسه
لو غاب عن اعينهم فليترك فان باعثه الرياء ثم مهما علم ان الغالب على قلبه لزيادة الدين فلا ينبغي ان يترك العمل
بما يجده من حب المحمدة بل ينبغي ان يرد ذلك على نفسه بالكراهة ويشتغل بالعبادة وكذلك قد يبكي جماعة
فينظر اليهم فيحضره البكاء خوفا من الله عز وجل لا من الرياء ولو سمع ذلك الكلام لما بكى ولكن بكاء الناس يؤثر
في ترقيق القلب وقد لا يحضره البكاء فيتباكى تكلفا وذلك محمود وعلامة الصدق ان يعرض على نفسه انه
لو سمع بكاءهم من حيث لا يرونه هل كان يخاف على نفسه القساوة فيتباكى ام لا فان لم يجد ذلك فانما خوفه
من ان يقال هو قاسي القلب • فينبغي ان يترك التباكي قال لقمان الحكيم لابنه لا تري الناس انك تخشى الله
ليكرموك وقلبك فاجر • وكذلك الصيحة والتنفس والانين عند القرآن والذكر او بعض مجاري
الاحوال تارة تكون من الصدق والحزن والخوف والندم والتاسف • وتارة تكون لمشاهدة حزن غيره
وقساوة قلبه فيتكلف التنفس والانين ويتحازن وذلك محمود وقد تكون اصل الانين عن الحزن ولكن يمده
ويزيد في رفع الصوت فتلك الزيادة رياء وهو محظور لانه في حكم الابتداء لمجرد الرياء فقد يهيج من الحزن
ما لا يملك العبد نفسه ولكن يسبق خاطر الرياء فيقبله ويدعوه الى زيادة تحزين الصوت وكذلك
قد يسمع الذكر فتضعف قواه من الخوف فيسقط ثم يستحيي ان يقال انه سقط من غير زوال عقل وحالة
شديدة فيزعق ويتواجد تكلفا ليرى انه سقط لكونه مغشيا عليه وقد كان ابتداء السقطة عن
صدق وكذلك قد يفيق بعد الصعق ولكن يزول صعقه سريعا فيجزع ان يقال لم تكن غشيته صحيحة

ولو كانت لدام ضعفه فيستديم اثرها الصعق والانين فيتكئ على غيره يري انه يضعف عن القيام ويتمايل
في المشي ليظهر انه ضعيف عن سرعة المشي فهذه كلها مكايد الشيطان ونزغات النفس فاذا خطرت
فعلاجها ان يتذكر ان الناس لو عرفوا نفاقه في الباطن واطلعوا على ضميره لمقتوه وان الله مطلع على ضميره كما
روي عن ذي النون المصري انه قام وزعق وقام معه شيخ راى فيه اثر التكلف فقال يا شيخ الذي يراك حين
تقوم فجلس الشيخ وكل ذلك من اعمال المنافقين وقد جاء في الخبر تعوذوا بالله من خشوع النفاق وانما خشوع النفاق
ان تخشع الجوارح والقلب غير خاشع ومن ذلك الاستغفار والاستعاذة بالله من سخط الله وغضبه فان ذلك قد
يكون لخاطر خوف وتذكر ذنب وندم عليه وقد يكون للمراءاة فهذه خواطر ترد على القلب متضادة مترادفة
متقاربة وهي مع تقاربها متشابهة فراقب قلبك في كل ما يخطر لك وانظر ما هو ومن اين هو فان كان لله
فامضه ولكن على وجل من عبادتك اهي مقبولة ام لا لخوفك على الاخلاص فيه واحذر ان تحدث ذلك خاطر الركون
الى حمدهم بعد الشروع بالاخلاص فان ذلك مما يكثر جدا وتذكر ما قاله احد الثلاثة نفر الذين حاجوا
ايوب اما علمت ان العبد تضل عنه علانيته التي كان يخادع بها عن نفسه ويجزى بسريرته وقول بعضهم
اعوذ بك ان يرى الناس اني اخشاك وانت لي ماقت • وكان من دعاء علي بن الحسين رضي الله عنه اللهم اني اعوذ بك ان
تحسن في لامعة العيون علانيتي • وتقبح لك فيما اخلو سريرتي • محافظا على رياء الناس من نفسي • ومضيعا لما
انت مطلع عليه مني • ابدي للناس احسن امري • وافضي اليك باسوء عملي • تقربا الى الناس بحسناتي •
وفرارا منهم اليك بسيئاتي • فيحل بي مقتك • ويجب علي غضبك • اعذني من ذلك يا رب العالمين • وقد قال
احد الثلاثة لايوب عليه السلام يا ايوب الم تعلم ان الذين حفظوا علانيتهم • واضاعوا سرائرهم عند طلب الحاجات
الى الرحمن تسود وجوههم فهذه جملة آفات الرياء فليراقب العبد قلبه ليقف عليه ففي الخبر ان للرياء
سبعين بابا وقد عرفت ان بعضه اغمض من بعض وبعضه مثل دبيب النمل وبعضه اخفى من دبيب النمل
وكيف يدرك ما هو اخفى من دبيب النمل الا بشدة التفقد والمراقبة فكيف تطمع في ادراكه من غير تفقد
القلب وامتحان النفس وتفتيش عن خدعها

بيان ما ينبغي للمريد ان يلزم نفسه قبل العمل وبعده

اعلم ان اول ما يلزم المريد قلبه في سائر اوقاته القناعة بعلم الله تعالى في جميع طاعاته ولا يقنع بعلم الله الا من لا يخاف
الا الله ولا يرجو الا الله فاما من خاف غيره وارتجاه اشتهى اطلاعه على محاسن احواله فان كان في هذه الرتبة
فليلزم قلبه كراهة ذلك من جهة العقل والايمان لما فيه من خطر التعرض للمقت وليراقب نفسه عند الطاعات
العظيمة الشاقة التي لا يقدر عليها غيره فان النفس عند ذلك تكاد تغلي حرصا على الافشاء وتقول مثل هذا العمل
العظيم والخوف والبكاء العظيم لو عرفه الخلق منك لسجدوا لك فما في الخلق من يقدر على مثله فكيف ترضى باخفائه
فيجهل الناس محلك وينكرون قدرك ويحرمون الاقتداء بك ففي مثل هذا الامر ينبغي ان يثبت قدمه ويتذكر في
مقابلة عظم عمله عظم ملك الاخرة ونعيم الجنة ودوامه ابد الاباد وعظم غضب الله ومقته على من طلب بطاعته
ثوابا من عباده فيقول وكيف ابيع مثل هذا العمل بحمد الخلق وهم عاجزون لا يقدرون لي على رزق ولا اجل فيلزم
ذلك قلبه ولا ينبغي ان ييأس عنه واما المخلطون فليس ذلك من شانهم فيترك المجاهدة في الاخلاص
لان المخلط احوج الى ذلك من المتقي لان المتقي ان فسدت نوافله بقيت فرائضه تامة كاملة والمخلط
لا تخلو فرائضه من النقصان والحاجة الى الجبران بالنوافل فان لم يسلم صار ماخوذا بالفرائض وهلك به
وقد روى تميم الداري عن النبي عليه الصلاة والسلام انه قال يحاسب العبد يوم القيامة فان نقص من فرضه
قيل انظروا هل له من تطوع فان كان له تطوع اكمل به فرضه وان لم يكن له تطوع اخذ بطرفيه فالقي
في النار فياتي المخلط يوم القيامة وفرضه ناقص وعليه ذنوب كثيرة فاجتهاده في جبر الفرائض وتكفير
السيئات ولا يمكن ذلك الا بخلوص النوافل واما المتقي فجهده في زيادة الدرجات فان حبط تطوعه بقي من
حسناته ما يترجح على السيئات فيدخل الجنة فاذا ينبغي ان يلزم قلبه خوف اطلاع غير الله تعالى لتصح نوافله
ثم يلزم قلبه ذلك بعد الفراغ حتى لا يتحدث به ولا يظهره واذا فعل جميع ذلك فينبغي ان يكون وجلا من عمله

وبيان المتكبر عليه ودرجات الكبر • وبيان ما به التكبر • وبيان البواعث على التكبر • وبيان أخلاق المتواضعين وما فيه يظهر التكبر • وبيان علاج التكبر • وبيان امتحان النفس في خلق الكبر • وبيان المحمود من خلق التواضع والمذموم منه •

بيان ذم الكبر

قد ذم الله سبحانه الكبر في مواضع من كتابه وذم كل جبار متكبر فقال تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وقال تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار • وقال تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد • وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في النار وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال التقى عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو على المروة فتوقفا فمضى ابن عمرو وأقام ابن عمر يبكي قالوا فما يبكيك يا أبا عبد الرحمن قال هذا يعني عبد الله بن عمرو زعم أنه سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر كبه الله في النار على وجهه وقال سليمان بن داود عليهما السلام يوما للطير والجن والإنس والبهائم اخرجوا فخرجوا في مائتي ألف من الإنس ومائتي ألف من الجن فرفع حتى سمع زجل الملائكة بالتسبيح في السموات ثم خفض حتى مست قدمه البحر فسمع صوتا لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لخسفت به أبعد مما رفعته وقال عليه الصلاة والسلام يخرج من النار عنق له أذنان يسمعان وعينان تبصران ولسان ينطق يقول وكلت بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلها آخر وبالمصورين وقال عليه الصلاة والسلام بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الأعلى • بئس العبد عبد تجبر واختال ونسي الكبير المتعال • بئس العبد عبد سها ولها ونسي المقابر والبلى • بئس العبد عبد عتا وبغى ونسي المبدأ والمنتهى • وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن نوحا لما حضرته الوفاة دعا ابنيه فقال إني آمركما باثنتين وأنهاكما عن اثنتين أنهاكما عن الشرك والكبر وآمركما بسبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء وآمركما بلا إله إلا الله فإن السموات والأرضين وما فيهن لو وضع في كفة ووضع لا إله إلا الله في الكفة الأخرى كانت أرجح منها ولو أن السموات والأرض وما فيهن كانت حلقة فوضعت لا إله إلا الله عليها لقصمتها وقال عليه السلام إن أحبكم إلينا وأقربكم منا في الآخرة أحاسنكم أخلاقا وإن أبغضكم إلينا وأبعدكم منا الثرثارون المتفيهقون والمتشدقون قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون وقال عليه السلام يحشر المتكبرون يوم القيامة ذرا في مثل صور الرجال يعلوهم كل شيء من الصغار ثم يساقون إلى سجن في جهنم يقال له بولس يعلوهم نار الأنيار يسقون من طين الخبال عصارة أهل النار وعن محمد بن واسع قال دخلت على بلال بن أبي بردة فقلت له يا بلال إن أباك حدثني عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن في جهنم واديا يقال له هبهب حقا على الله أن يدخله كل جبار فإياك يا بلال أن تكون ممن يسكنه

الآثار

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لا يحقرن أحد أحدا من المسلمين فإن صغير المسلمين عند الله كبير وقال وهب لما خلق الله جنة عدن نظر إليها فقال أنت حرام على كل متكبر وقال الحسن العجب لابن آدم يغسل الخرء بيده كل يوم مرتين ثم يتكبر يعارض جبار السموات • وقال محمد بن الحسين بن علي ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر قط إلا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل أو كثر وقال النعمان بن بشير على المنبر إن للشيطان مصالي وفخوخا وإن من مصالي الشيطان وفخوخه البطر بأنعم الله والفخر بإعطاء الله والكبر على عباد الله واتباع الهوى في غير ذات الله تعالى

بيان ذم الاختيال وإظهار آثار الكبر في المشي وجر الثياب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله إلى رجل يجر إزاره بطرا • وقال صلى الله عليه وسلم بينما رجل يتبختر في مشيته إذ أعجبته نفسه فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة • وقال زيد بن أسلم دخلت على ابن عمر فمر به عبد الله بن واقد وعليه ثوب جديد فسمعته يقول أي بني ارفع إزارك فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا ينظر الله إلى من جر إزاره خيلاء وروي أنه صلى الله عليه وسلم بزق يوما على كفه ووضع أصبعه عليها وقال يقول الله ابن آدم أتعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللأرض منك وئيد جمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت أتصدق وأنى أوان الصدقة وقال صلى الله عليه وسلم إذا مشت أمتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم سلط بعضهم على بعض قال ابن الأعرابي هي مشية فيها اختيال

الآثار

عن أبي بكر الهذلي قال بينا نحن مع الحسن إذ مر علينا ابن الأهتم يريد المقصورة وعليه جباب خز قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه وانفرج عنها قباؤه وهو يمشي يتبختر إذ نظر إليه الحسن نظرة فقال أف أف شامخ بأنفه ثاني عطفه مصعر خده ينظر في عطفيه أي حميق أنت تنظر في عطفيك في نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير المأخوذ بأمر الله فيها ولا المؤدى حق الله منها والله أن يمشي أحدهم طبيعته يتخلج تخلج المجنون في كل عضو من أعضائه لله نعمة وللشيطان به لعنة فسمعه ابن الأهتم فرجع يعتذر إليه فقال لا تعتذر إلي وتب إلى ربك أما سمعت قوله تعالى ولا تمش في الأرض مرحا الآية ومر بالحسن شاب عليه بردة حسنة فدعاه فقال له ابن آدم معجب بشبابه محب لشمائله كأن القبر قد وارى بدنك وكأن الغير قد وارى بدنك وكأنك قد لاقيت عملك ويحك داو قلبك فإن حاجة الله إلى العباد صلاح قلوبهم وروي أن عمر بن عبد العزيز حج قبل أن يستخلف فنظر إليه طاوس وهو يختال في مشيته فغمز جنبه بأصبعه ثم قال ليس هذه مشية من في بطنه خرء فقال عمر كالمعتذر يا عم لقد ضرب كل عضو مني على هذه المشية حتى تعلمتها ورأى محمد بن واسع ولده يختال فدعاه فقال أتدري من أنت أما أمك فاشتريتها بمائتي درهم وأما أبوك فلا أكثر الله في المسلمين مثله ويروى أن مطرف بن عبد الله بن الشخير رأى المهلب وهو يتبختر في مشيته فقال يبغضها الله ورسوله فقال له المهلب أما تعرفني فقال بلى أعرفك أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وتحمل بين ذلك عذرة • فمضى المهلب وترك مشيته وإذ ذكرنا ذم الكبر والاختيال فلنذكر فضل التواضع

بيان فضيلة التواضع

قال صلى الله عليه وسلم ما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله وقال عليه الصلاة والسلام ما من أحد إلا ومعه ملكان وعليه حكمة يمسكانه بها فإن هو رفع نفسه جبذاها وقالا اللهم ضعه وإن وضع نفسه قالا اللهم ارفعه وعن أبي سلمة المديني عن أبيه عن جده قال كان صلى الله عليه وسلم عندنا بقباء وكان صائما فأتيناه عند إفطاره بقدح من لبن وجعلنا فيه شيئا من عسل فلما رفعه وذاقه وجد فيه حلاوة العسل فقال ما هذا فقلنا يا رسول الله جعلنا فيه شيئا من عسل فوضعه وقال أما إني لا أحرمه ومن تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن اقتصد أغناه الله ومن بذر أفقره الله ومن أكثر ذكر الله أحبه الله وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في نفر من أصحابه في بيته يأكلون فقام سائل على الباب وبه زمانة يتكره منها فأذن له فلما دخل أجلسه على فخذه ثم قال اطعم فكأن رجلا من قريش اشمأز منه وتكرهه فما مات ذلك الرجل حتى كانت به زمانة مثلها وأوحى الله إلى موسى عليه الصلاة والسلام إنما أقبل صلاة من تواضع لعظمتي ولم يتعاظم على خلقي وألزم قلبه خوفي وقطع النهار بذكري وكف نفسه عن الشهوات من أجلي وقال عيسى عليه الصلاة والسلام طوبى للمتواضعين في الدنيا هم أصحاب المنابر يوم القيامة طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون إلى الله يوم القيامة • وقال صلى الله عليه وسلم إذا هدى الله عبدا للإسلام وحسن صورته وجعله في موضع غير شائن له ورزقه مع ذلك تواضعا فذلك من صفوة الله تعالى وقال عليه الصلاة والسلام أربع لا يعطيهن الله إلا من يحب الصمت وهو أول العبادة والتوكل على الله والتواضع والزهد في الدنيا وقال عليه السلام التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا يرحمكم الله وقال لأصحابه يوما ما لي لا أرى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة قال التواضع وقال إذا رأيتم المتواضعين من أمتي فتواضعوا لهم وإذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فإن ذلك لهم مذلة وصغار

الآثار

قال عمر رضي الله عنه إن العبد إذا تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك الله وإذا تكبر وعدا طوره وهصه الله إلى الأرض وقال اخسأ أخسأك الله فهو في نفسه كبير وفي أعين الناس حقير حتى إنه لأحقر عندهم من الخنزير وقال جرير بن عبد الله انتهيت إلى رجل نائم تحت شجرة قد استظل بنطع له وقد جاوزت الشمس النطع فسويته عليه ثم إن الرجل النائم استيقظ وإذا هو سلمان الفارسي فذكرت له ما صنعت فقال يا جرير تواضع لله في الدنيا فإنه من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة يا جرير أتدري ما ظلمة النار يوم القيامة قلت لا قال فإنه ظلم الناس بعضهم بعضا في الدنيا وقال الفضيل وقد

وقيل اوحى الى عيسى عليه الصلاة والسلام اذا انعمت عليك بنعمة فاستقبلها بالاستكانة اتممها عليك وقال كعب
ما انعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله الا اعطاه الله نفعها في الدنيا ورفع الله له بها درجة
يوم القيمة في الاخرة وما انعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فلم يشكرها لله ولم يتواضع بها لله الا منعه الله نفعها
في الدنيا وفتح عليه طبقا من النار يعذبه به ان شاء او يتجاوز عنه ودخل ابن السماك على هرون الرشيد
فقال يا امير المؤمنين ان تواضعك في شرفك اشرف لك من شرفك فقال ما احسن ما قلت فقال يا امير المؤمنين
ان امرءا اتاه الله جمالا في خلقته وتواضعا في حسبه وبسط ذات يده وعف في جماله وواسى في ماله كتب في ديوان الله
من خالصة الله فدعى هرون بدواة وقرطاس فكتبه بيده وكان سليمان بن داود عليه السلام اذا اصبح تصفح وجوه
الاغنياء والاشراف حتى يجيء الى المساكين فيقعد معهم ويقول مسكين مع مساكين وقال ابو سليمان ان الله اطلع على
قلوب الادميين فلم يجد قلبا اشد تواضعا من قلب موسى عليه السلام فخصه من بينهم بالكلام • وقال ارفع ما يكون المؤمن
عند الله اوضع ما يكون عند نفسه واوضع ما يكون عند الله ارفع ما يكون عند نفسه وقال مالك بن دينار لو ان رجلا
ينادي بباب المسجد ليخرج شركم رجلا والله ما كان يسبقني احد الى الباب الا رجل بفضل قوة او سعي فلما
بلغ ابن المبارك قوله قال بهذا صار مالك مالكا وقال الفضيل من احب الرياسة لم يفلح ابدا وقال موسى
ابن القسم كانت عندنا زلزلة وريح حمراء فذهبت الى محمد بن مقاتل فقلت يا ابا عبد الله انت امامنا فادع
الله لنا فبكى ثم قال ليتني لم اكن سبب هلاككم قال فرايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال لي ان الله دفع
عنكم بدعاء محمد بن مقاتل وعن الفتح قال رايت علي بن ابي طالب في المنام فقلت له يا ابا الحسن عظني فقال
ما احسن التواضع بالاغنياء في مجالس الفقراء رغبة منهم في ثواب الله واحسن من ذلك تيه الفقراء على
الاغنياء ثقة منهم بالله وقال ابو يزيد ما دام العبد يظن ان في الخلق من هو شر منه فهو متكبر فقيل له
متى يكون متواضعا قال اذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا وتواضع كل انسان على قدر معرفته بربه ومعرفته
بنفسه وقال ابو سليمان لو اجتمع الخلق على ان يضعوني كاتضاعي عند نفسي ما قدروا عليه وقال يحيى
ابن خالد البرمكي الشريف اذا تنسك تواضع والسفيه اذا تنسك تكبر ويقال التواضع في الخلق كلهم حسن وفي
الاغنياء احسن والكبر في الخلق كلهم قبيح وفي الفقراء اقبح ويقال لا عز الا لمن تذلل لله ولا رفعة الا لمن
تواضع لله ولا امن الا لمن خاف الله ولا ربح الا لمن ابتاع نفسه من الله وقال ابو علي الجوزجاني النفس معجونة
بالكبر والحرص والحسد فمن اراد الله هلاكه منع منه التواضع والنصيحة والقناعة واذا اراد الله بعبده
خيرا لطف به فاذا هاجت في نفسه نار الكبر ادركها التواضع مع نصرة الله واذا هاجت نار الحسد
في نفسه ادركتها النصيحة مع توفيق الله عز وجل واذا هاجت في نفسه نار الحرص ادركتها القناعة
مع عون الله وقال الجنيد كان يعاب ابرهيم النخعي هيبة الامير وكان يقول لي ان زمانا صرت فيه
فقيه الكوفة لزمان سوء وكان عطاء السلمي اذا سمع صوت الرعد قام وقعد واخذ بطنه كانه
امرأة مخاض ويقول هذا من اجلي يصيبكم لو مات عطاء لاستراح الناس ودعا رجل لعبد الله بن
المبارك فقال اعطاك الله ما ترجوه فقال ان الرجاء يكون بعد المعرفة فاين المعرفة وتفاخرت
قريش عند سلمان الفارسي يوما فقال سلمان لكني خلقت من نطفة قذرة ثم اعود جيفة
منتنة ثم اتي الى الميزان فان ثقل فانا كريم وان خف فانا لئيم **بيان حقيقة الكبر وافته**
اعلم ان الكبر ينقسم الى ظاهر وباطن فالباطن هو خلق في النفس والظاهر هو اعمال
تصدر على الجوارح واسم الكبر بالخلق الباطن احق واما الاعمال فانها ثمرات لذلك الخلق
وخلق الكبر موجب للاعمال ولذلك اذا ظهر على الجوارح قيل تكبر واذا لم يظهر قيل في
نفسه كبر والاصل هو الخلق الذي في النفس وهو الاسترواح الى رؤية النفس فوق المتكبر
عليه فان الكبر يستدعي متكبرا عليه ومتكبرا به وبه ينفصل الكبر عن العجب كما سيأتي
ولا يكفي ان يستحقر غيره فانه مع ذلك لو راى نفسه احقر لم يتكبر ولو راى غيره مثل نفسه

لم يتكبر بل لابد ان يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره فعند هذه الاعتقادات
الثلثة يحصل فيه خلق الكبر لا ان هذه الرؤية هو الكبر بل هذه الرؤية وهذه العقيدة ينتفخ فيحصل
في قلبه اعتداد وهزة وفرح وركون الى ما اعتقده وعز في نفسه بسبب ذلك فتلك العزة والهزة والركون
الى المعتقد هو خلق الكبر ولذلك قال عليه الصلاة والسلام نعوذ بالله من نفخة الكبرياء ولذلك قال عمر
اخشى ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا للذي استاذنه ان يعظ بعد صلاة الصبح ولذلك قال ابن عباس في قوله تعالى
ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه قال عظمة لم يبلغوها ففسر الكبر بالعظمة ثم هذه العظمة تقتضي اعمالا
في الظاهر والباطن هي ثمراتها ويسمى ذلك تكبرا فانه مهما عظم عنده قدره بالاضافة الى غيره حقر من دونه
وازدراه واقصاه عن نفسه وابعده وترفع عن مجالسته ومواكلته ورأى ان حقه ان يقوم ماثلا بين يديه
فان كان اكبر من ذلك واشد استنكف عن استخدامه ايضا ولم يجعله اهلا للقيام بين يديه وان كان
دون ذلك انف من مساواته وتقدم عليه في المحافل وانتظر ان يبدأه بالسلام واستبعد تقصيره في
قضاء حوائجه وتعجب منه لذلك وان حاج او ناظر انف ان يرد عليه وان وعظ استنكف عن القبول
وان وعظ عنف في النصح وان رد عليه شيء من قوله وان علم لم يرفق بالمتعلمين واستذلهم
وانتهرهم وامتن عليهم واستخدمهم واذا نظر الى العامة فكانه ينظر الى الحمير استجهالا لهم واستحقارا لهم
والاعمال الصادرة عن خلق الكبر اكثر من ان تحصى فلا حاجة بنا الى احصائها فانها مشهورة فهذا هو الكبر وافته
عظيمة وغائلته هايلة وفيه يهلك الخواص من الخلق وقلما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء فضلا عن عوام
الناس وكيف لا تعظم وقد قال عليه الصلاة والسلام لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر وانما
صار حجابا دون الجنة لانه يحول بين العبد وبين اخلاق المؤمنين كلها وتلك الاخلاق هي ابواب الجنة والكبر
وعزة النفس يغلق تلك الابواب كلها لانه لا يقدر على ان يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه وفيه شيء من العز ولا
يقدر على التواضع وهو رأس اخلاق المتقين وفيه العز ولا يقدر على ترك الحقد وفيه العز ولا يقدر ان
يدوم على الصدق وفيه العز ولا يقدر على ترك الغضب وفيه العز ولا يقدر على كظم الغيظ وفيه العز ولا يقدر
على النصح اللطيف وفيه العز ولا يقدر على قبول النصح وفيه العز ولا يسلم من الازراء بالناس ومن اغتيابهم وفيه
العز ولا معنى للتطويل فما من خلق ذميم الا وصاحب الكبر والعز مضطر اليه ليحفظ به عزه وما من خلق محمود الا
وهو عاجز عنه خوفا من ان يفوته عزه فلاجل هذا لم يدخل الجنة من في قلبه حبة منه وفي ذلك وردت الايات
التي فيها ذم المتكبرين قال الله تعالى وكنتم عن اياته تستكبرون ثم قال تعالى ادخلوا ابواب جهنم خالدين
فيها فبئس مثوى المتكبرين ثم اخبر ان اشد الناس عذابا اشدهم عتيا على الله تعالى فقال تعالى ثم
لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا وقال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم
داخرين ولذلك قال عيسى عليه السلام ان الزرع ينبت في السهل ولا ينبت في الصفا كذلك الحكمة تعمل في قلب المتواضع
ولا تعمل في قلب المتكبر الا ترون ان من شمخ براسه الى السقف شجه ومن طاطا اظله واكنه فهذا مثل ضربه
للمتكبرين وانهم كيف يحرمون الحكمة ولذلك ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم جحود الحق في حد الكبر والكشف عن حقيقته وقال
الكبر من سفه الحق وغمص الناس **بيان المتكبر عليه واقسامه ودرجاته وثمرات الحق وغمض الناس**
وقد خلق الانسان ظلوما جهولا فتارة يتكبر على الخلق • وتارة على الله • فاذا التكبر باعتبار المتكبر عليه ثلثة
اقسام • **القسم الاول** التكبر على الله سبحانه وتعالى وذلك هو افحش انواع الكبر ولا مثار له الا الجهل المحض
والطغيان مثل نمرود فانه كان يحدث نفسه بان يقاتل رب السماء وكما يحكى عن فرعون وغيره فانه
لتكبره قال انا ربكم الاعلى اذ استنكف ان يكون عبدا لله ولذلك قال الله تعالى ان الذين يستكبرون عن
عبادتي سيدخلون جهنم داخرين • وقال تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله الى قوله فيعذبهم
عذابا اليما • **القسم الثاني** التكبر على الرسل وذلك من حيث تعزز النفس وترفعها عن الانقياد لبشر
مثل سائر الناس وذلك تارة يصرف عن الفكر والاستبصار فيبقى في ظلمة الجهل بكبره فيمتنع عن الانقياد وهو

انه محق فيه وتارة يمتنع مع المعرفة ولكن لا تطاوعه نفسه للانقياد للحق والتواضع للرسل كما حكى الله تعالى عنهم
قولهم انؤمن لبشرين مثلنا وقوله تعالى ان انتم الا بشر مثلنا وقوله تعالى ولئن اطعتم بشرا مثلكم الآية وقوله تعالى لولا انزل
علينا الملائكة او نرى ربنا الآية وقال فرعون او جاء معه الملائكة مقترنين وقال تعالى فاستكبر هو وجنوده في
الارض بغير الحق فتكبر على الله وعلى رسله جميعا قال وهب قال له موسى عليه السلام آمن ولك ملكك قال حتى اشاور هامان
فشاوره فقال له بينما انت رب تعبد اذ صرت عبدا تعبد فاستنكف عن عبودية الله تعالى وعن اتباع موسى
وقالت قريش كيف نجلس اليك وعندك هؤلاء واشاروا الى فقراء المسلمين فازدروهم باعينهم وتكبروا
عن مجالستهم فانزل الله سبحانه وتعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه الآية واخبرنا
عن تعجبهم حين دخلوا جهنم اذ لم يروا الذين ازدروهم فقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار
قيل يعنون عمارا وبلالا وصهيبا والمقداد رضي الله عنهم اجمعين. **القسم الثالث** التكبر على العباد وذلك
بان يستعظم نفسه ويستحقر غيره فتأبى نفسه عن الانقياد لهم وتدعوه الى الترفع عليهم فيزدريهم ويستصغرهم
ويأنف من مساواتهم وهذا وان كان دون الاول والثاني فهو ايضا عظيم من وجهين احدهما ان الكبر والعز
والعظمة والعلا لا يليق الا بالملك القادر فاما العبد المملوك الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شيء فمن
اين يليق به الكبر فمهما تكبر العبد فقد نازع الله تعالى في صفة لا يليق الا بجلاله ومثاله ان يأخذ الغلام قلنسوة
الملك فيضعها على راسه ويجلس على سريره فما اعظم استحقاقه للمقت وما اعظم تهدفه للخزي والنكال
والى هذا المعنى الاشارة بقوله تعالى العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته اي انه خاص صفتي ولا
يليق الا بي والمنازع فيه منازع في صفة من صفاتي فاذا كان الكبر على عباده لا يليق الا به فمن تكبر على عباده فقد جنى
عليه اذ الذي يسترذل خواص غلمان الملك ويستخدمهم ويترفع عليهم ويستأثر بما حق الملك ان يستأثر به منهم فهو منازع
له في بعض امره وان لم تبلغ درجته درجة من اراد الجلوس على سريره والاستبداد بملكه فالخلق كلهم عباد الله
وله العظمة والكبرياء عليهم ومن تكبر على عبد من عباد الله فقد نازع الله في حقه **الوجه الثاني** الذي تعظم به رذيلة الكبر
انه يدعو الى مخالفة الله تعالى في اوامره لان المتكبر اذا سمع الحق من عبد من عباد الله تعالى استنكف عن قبوله وتشمر لجحده
ولذلك ترى المناظرين في مسائل الدين يزعمون انهم يتباحثون عن اسرار الدين ثم يتجاحدون تجاحد المتكبرين
ومهما اتضح الحق على لسان واحد منهم انف الآخر عن قبوله وتشمر لجحده واحتال لدفعه بما يقدر عليه من التلبيس
وذلك من اخلاق الكافرين والمنافقين اذ وصفهم الله تعالى فقال وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن
والغوا فيه لعلكم تغلبون فكل من يناظر للغلبة والافحام لا ليغتنم الحق اذا ظفر به فقد شاركهم في هذا الخلق كما قال تعالى
واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم وروي عن عمر رضي الله عنه انه قرأ هذه الآية فقال انا لله وانا اليه راجعون قام
رجل فامر بالمعروف فقتل فقام آخر فقال تقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فقتل وقال ابن مسعود
كفى بالرجل اثما اذا قيل له اتق الله قال عليك بنفسك وقال عليه الصلاة والسلام لرجل كل بيمينك قال لا
استطيع فقال لا استطعت فما منعه الا كبره قال فما رفعها بعد ذلك اي اعتلت يده فاذا تكبره على الخلق عظيم لانه سيدعوه
الى التكبر على امر الله وانما ضرب ابليس مثلا لهذا وما حكاه من احواله الا ليعتبر به فانه قال انا خير منه وهذا التكبر بالنسب اذ
قال خلقتني من نار وخلقته من طين فحمله ذلك على ان يمتنع من السجود الذي امره الله تعالى به فكان مبدؤه الكبر على آدم
وهذه الآفة من آفات الكبر على العباد عظيمة وكذلك شرح عليه السلام الكبر بهاتين الآفتين اذ سأله ثابت بن قيس
ابن شماس فقال يا رسول الله اني امرؤ قد حبب الي من الجمال ما ترى افمن الكبر هو فقال لا ولكن الكبر من بطر الحق وغمص
الناس وفي حديث آخر من سفه الحق وقوله غمص الناس اي ازدراهم واحتقرهم وهم عباد الله امثاله او خير منه
وهذه الآفة الاولى وقوله سفه الحق هو رده وهي الآفة الثانية فكل من رأى انه خير من اخيه واحتقره وازدراه ونظر اليه
بعين الاستصغار او رد الحق وهو يعرفه فقد تكبر فيما بينه وبين الخلق ومن انف من ان يخضع لله ويتواضع له بطاعته
واتباع رسله فقد تكبر فيما بينه وبين الله ورسله. **بيان ما به التكبر** اعلم انه لا يتكبر الا من استعظم نفسه ولا
يستعظمها الا وهو يعتقد لها صفة من صفات الكمال وجماع ذلك يرجع الى كمال ديني او دنيوي فالديني هو

العلم والعمل والدنيوي هو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الانصار فهذه سبعة اسباب **الاول العلم** وما اسرع
الكبر الى العلماء ولذلك قال عليه الصلاة والسلام آفة العلم الخيلاء فلا يلبث العالم ان يتعزز بعزة العلم ويستشعر في نفسه جمال العلم
وكماله ويستعظم نفسه ويستحقر الناس وينظر اليهم نظره الى البهائم ويتوقع ان يبدءوه بالسلام فان
بدأ احدا منهم بالسلام او رد عليه ببشر او قام له او اجاب له دعوة رأى ذلك صنيعة له ويدا عنده يلزمه شكرها
واعتقد انه اكرمهم وفعل بهم ما لا يستحقون من مثله ويستخدم من خالطه منهم ويستسخرهم في حوائجه فان قصر
مقصر استنكره كأنهم عبيده واجراؤه وكان تعليمه العلم لهم صنيعة منه لديهم ومعروف اليهم هذا فيما يتعلق بالدنيا
اما في الآخرة فتكبره عليهم بان يرى نفسه عند الله اعلى وافضل منهم فيخاف عليهم اكثر مما يخاف على نفسه
ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لهم وهذا بان يسمى جاهلا اولى من ان يسمى عالما بل العلم الحقيقي هو الذي يعرف الانسان
به نفسه وربه وخطر الخاتمة كما سيأتي في معالجة الكبر بالعلم ولهذا قال ابو الدرداء من ازداد علما ازداد
وجعا وهو كما قال قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فاما ما وراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والشعر
وفصل الخصومات فاذا تجرد الانسان لها وامتلأ بها امتلأ كبرا فهذه العلوم تسمى صناعات اولى من ان تسمى علوما بل العلم
هو معرفة العبودية والربوبية وطريق العبادة وهذا يورث التواضع غالبا. **السبب الثاني** ان يخوض الانسان
في العلم وهو خبيث الدخلة رديء النفس سيئ الاخلاق ولم يشتغل اولا بتهذيب نفسه وتزكية قلبه بانواع المجاهدة
ولم يرض نفسه في عبادة ربه فيبقى خبيث الجوهر فاذا خاض في العلم كان صادف العلم من قلبه منزلا خبيثا لم يطب ثمره
ولم يظهر في الخير اثره وقد ضرب وهب لهذا مثلا فقال العلم كالغيث ينزل من السماء حلوا صافيا فتشربه الاشجار بعروقها فتحوله
على قدر طعومها فيزداد المر مرارة والحلو حلاوة فكذلك العلم تحفظه الرجال فتحوله على قدر هممها واهوائها فيزيد المتكبر كبرا
والمتواضع تواضعا ولاجل ذلك قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقال تعالى ولو كنت فظا
غليظ القلب لانفضوا من حولك ووصف اولياءه فقال اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين وكذلك قال صلى الله عليه وسلم
فيما رواه العباس يكون قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن اقرأ منا ثم التفت الى اصحابه
فقال اولئك منكم ايها الامة اولئك هم وقود النار ولذلك قال عمر رضي الله عنه لا تكونوا جبابرة العلماء فلا يفي علمكم بجهلكم
ولذلك استأذن تميم الداري في القصص فأبى ان يأذن له وقال انه الذبح واستأذنه رجل كان امام قوم اذا سلم من صلاته
ذكرهم فقال اني اخاف ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا وصلى حذيفة بقوم فلما سلم قال لتلتمسن اماما غيري او لتصلن
فرادى اني رأيت في نفسي انه ليس في القوم افضل مني واذا كان مثل حذيفة لا يسلم من هذا فكيف يسلم الضعفاء
من متأخري هذه الامة وهيهات ان يسلم آخر الزمان بمثلهم ثم اين الاقبال واصحاب الاول وقد انقرضوا في
القرن الاول ومن يليه بل يعز في زماننا عالم يختلج في نفسه الاسف والحزن على فوات هذه الخصلة ولولا بشارة
رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله سيأتي على الناس زمان من تمسك فيه بعشر ما انتم عليه نجا لكان جديرا بنا ان نقتحم والعياذ
بالله ورطة الناس والقنوط مع ما نحن فيه من سوء اعمالنا ومن لنا ايضا ان نتمسك بعشر ما كانوا عليه فنسأل الله تعالى
ان يعاملنا بما هو اهله وان يستر علينا قبائح اعمالنا كما تقتضيه جوده وكرمه. **الثاني في العمل والعبادة**
وليس يخلو عن رذيلة الكبر والعز واستمالة قلوب الناس والزهاد والعباد بترشح الكبر منهم في الدين والدنيا
اما الدنيا فهو انهم يرون غيرهم بزيارتهم اولى منهم بزيارة غيرهم ويتوقعون قيام الناس بقضاء حوائجهم
وتوقيرهم والتوسع لهم في المجالس وتقديمهم على سائر الناس في الحظوظ الى جميع ما ذكرناه في حق العلماء واما في الدين
فهو ان احدهم يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجيا وهو الهالك تحقيقا مهما رأى ذلك قال صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم
الرجل يقول هلك الناس فهو اهلكهم وانما قال ذلك لان هذا القول يدل على انه مزدر بخلق الله مغتر بالله
امن من مكر الله غير خائف من سطوته وكيف لا يخاف ويكفيه شرا احتقاره لغيره قال عليه الصلاة والسلام
كفى بالمرء شرا ان يحقر اخاه المسلم فكم من الفرق بينه وبين من يحبه لله ويعظمه لعبادته ويرجو له ما لا يرجو
لنفسه فالخلق يدركون النجاة بتعظيمهم اياه لله فهم يتقربون الى الله سبحانه بالدنو منه وهو يتمقت الى الله
بالتنزه والتباعد منهم كأنه مترفع عن مجالستهم فما اجدرهم اذا احبوه بصلاحه ان ينقلهم الله الى

درجته في العمل

وما اجدره اذا ازدراهم بعيد ان يمقته الله الى درجة الاهلاك كما روى ان رجلا من بني اسرائيل يقال له خليع بني اسرائيل لكثرة فساده مر برجل اخر يقال له عابد بني اسرائيل وكان على راس العابد غمامة تظله فلما مر الخليع به قال الخليع في نفسه انا خليع بني اسرائيل وهذا عابد بني اسرائيل فلو جلست اليه لعل الله ان يرحمني فجلس اليه فقال العابد انا عابد بني اسرائيل وهذا الخليع بني اسرائيل فكيف يجلس الي فاستانف منه وقال له قم عني فاوحى الله الى نبي ذلك الزمان مرهما فليستانفا العمل فقد غفرت للخليع واحبطت عمل العابد وفي حديث اخر فتحولت الغمامة عن راس الخليع وهذا يعرفك ان الله سبحانه انما يريد من العبيد قلوبهم ولذلك روى ان رجلا من بني اسرائيل اتى عابدا من بني اسرائيل فوطى على رقبته وهو ساجد فقال له ارفع فوالله لا يغفر الله لك فاوحى الله اليه ايها المتالي علي بل انت لا يغفر الله لك وكذلك قال الحسن حتى ان صاحب الصوف اشد كبرا من صاحب المطرف الخز وهذه الافة قلما ينفك منها العباد وقد ينتهي الحمقى والاغبياء بعضهم الى ان يتحدى ويقول سترون ما يجري عليه فاذا اصيب بنكبة زعم ان ذلك من كراماته وان الله ما اراد به الا شفاء غلته والانتقام منه مع انه يرى طبقات من الكفار يسبون الله ورسوله وجماعة اذوا الانبياء ومنهم من ضرب ومنهم من قتل ثم ان الله امهل اكثرهم ولم يعاقبهم في الدنيا ثم الجاهل المغرور يظن انه اكرم على الله من انبيائه وانه قد انتقم له بما لا ينتقم لانبيائه ولعله في مقت الله باعجابه وكبره وهو غافل عن هلاك نفسه فهذه عقيدة المغترين واما الاكياس من العباد فيقولون ما كان يقول عطاء السلمي اذا هاجت ريح او صاعقة ما يصيب الناس ما يصيبهم الا بسببي ولو مات عطاء لتخلصوا وما قاله الاخر بعد انصرافه من عرفات اني كنت ارجو الرحمة لجميعهم لولا كوني فيهم [illegible] ومن اعتقد جزما انه فوق احد من عباد الله فقد احبط بجهله جميع عمله فان الجهل افحش من المعاصي واعظم شي يبعد العبد من الله حكمه لنفسه بانه خير من غيره جهل محض وامن من مكر الله ولا يامن من مكر الله الا القوم الخاسرون ولذلك روى ان رجلا ذكر بخير لرسول الله عم فاقبل ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذي ذكرناه لك فقال اني ارى في وجهه سفعة من الشيطان فسلم ووقف على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عم اسالك بالله هل حدثتك نفسك انه ليس في القوم افضل منك قال اللهم نعم فراى عم بنور النبوة ما استكن في قلبه سفعة في وجهه وهذه الافة لا ينفك عنها احد من العباد الا من عصمه الله لكن العلماء والعباد في افة الكبر على ثلث درجات **الدرجة الاولى** ان يكون الكبر مستقرا في قلبه يرى نفسه خيرا من غيره الا انه يجتهد ويتواضع ويفعل فعل من يرى غيره خيرا من نفسه وهذا قد رسخت في نفسه شجرة الكبر ولكنه قطع اغصانها بالكلية **الدرجة الثانية** ان يظهر ذلك على افعاله بالترفع في المجالس والتقدم على الاقران واظهار الانكار على من يقصر في حقه وادنى ذلك في العالم ان يصعر خده للناس كانه معرض عنهم وفي العابد ان يعبس وجهه ويقطب جبينه كانه متنزه عن الناس مستقذر لهم او غضبان عليهم وليس يعلم المسكين ان الورع ليس في الجبهة حتى تقطب ولا في الوجه حتى يعبس ولا في الخد حتى يصعر ولا في الرقبة حتى تطاطا ولا في الذيل حتى يضم انما الورع في القلب قال عم التقوى هاهنا واشار الى قلبه فقد كان عم اكرم الخلق واتقاهم وكان اوسعهم خلقا واكثرهم بشرا وتبسما وانبساطا ولذلك قال الحرث صاحب رسول الله عم يعجبني من القراء كل طلق ضحاك واما الذي تلقاه ببشر ويلقاك بعبوس يمن عليك بعلمه فلا اكثر الله في المسلمين مثله ولو كان الله يرضى ذلك لما قال لنبيه عم واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقد يزكي نفسه ويقول تعس فلان ان يسوءه فيهلك ولده واخذ ماله او مرض او ما يجري مجراه يدعي الكرامة لنفسه واما العالم فانه يتفاخر ويقول انا متفنن في العلوم ومطلع على الحقائق ورايت من الشيوخ فلانا وفلانا ومن انت وما فضلك ومن لقيت وما سمعت من الحديث كل ذلك ليصغر غيره ويعظم نفسه واما مباهاته فهو ان يجتهد في المناظرة ان يغلب ولا يغلب ويسهر طول الليل والنهار في تحصيل علوم يتجمل بها في المحافل والمناظرة والجدل وتحسين العبارة وحفظ الاحاديث والالفاظ حتى يرد على من اخطا فيها ويظهر فضله ونقصان اقرانه ويفرح مهما اخطا واحد منهم ليرد عليه ويسوءه اذا اصاب فهذه كلها اخلاق الكبر واثاره يثمرها التعزز في العلم والعمل واين من يخلو عنها او بعضها فليت شعري من عرف هذه الاخلاق من نفسه وسمع قوله عم لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل

من كبر كيف يستعظم نفسه ويتكبر على غيره وانما العظيم من خلا عن هذا والعالم من فهم ان الله تعالى قال له ان لك عندنا قدرا ما لم تر لنفسك قدرا فان رايت لها قدرا فلا قدر لك عندنا ومن لم يعلم هذا من الدين فاسم العالم عليه كذب **الثالث** التكبر بالحسب والنسب فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وان كان ارفع منه عملا وعلما وقد يتكبر بعضهم فيرى ان الناس له موال وعبيد وثمرة ذلك على اللسان التفاخر به فيقول لغيره يا نبطي ويا هندي ويا ارمني ومن انت ومن ابوك وانا فلان وابن فلان واني لمثلك ان يكلمني او ينظر الي وان كان صالحا او عاقلا الا انه قد يترشح عنه عند الاحوال فان غلبه غضب اطفا ذلك نور بصيرته كما روى عن ابي ذر انه قال قاولت رجلا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له يا ابن السودا فقال عم يا ابا ذر طف الصاع ليس لابن البيضا على ابن السودا فضل قال ابو ذر فاضطجعت وقلت للرجل قم فطا على خدي فانظر كيف نبهه عم انه راى لنفسه فضلا بكونه ابن بيضا وان ذلك خطا وجهل وانظر كيف تاب وقلع من نفسه شجرة الكبر باخمص قدم من تكبر عليه اذ عرفت ان العز لا يقمعه الا الذل ومن ذلك قوله عم ليدعن النحر اقوام الفخر بابائهم وان صاروا فحما في جهنم او ليكونن اهون على الله من الجعلان التي تدور بانافها القذر **الرابع** التفاخر بالجمال وذلك يجري اكثره بين النساء ويدعو ذلك الى التنقص والغيبة والثلب وذكر عيوب الناس ومن ذلك ما روى عن عايشة رضي الله عنها قالت دخلت امراة على رسول الله عم فقلت بيدي هكذا انها قصيرة فقال عم قد اغتبتيها وهذا منشاه خفي الكبر **الخامس** التكبر بالمال وذلك يجري بين الملوك في خزاينهم وبين التجار في بضائعهم وبين الدهاقين في اراضيهم وبين المتجملين في لباسهم وخيولهم ومراكبهم فيستحقر الغني الفقير ويتكبر عليه ويقول له انت مسكين وانا لو اردت لاشتريت مثلك واستخدمت من هو فوقك ومن انت وما معك وكل ذلك لجهله بافة الغنا وفضيلة الفقر واليه الاشارة بقوله تعالى فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا حتى اجابه وقال ان ترن انا اقل منك مالا وولدا الا قوله فلن تستطيع له طلبا وكان ذلك تكبرا منه بالمال فبين الله تعالى عاقبته ومن ذلك تكبر قارون اذ خرج على قومه في زينته قال قوم يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون **السادس** التكبر بالقوة وشدة البطش **السابع** التكبر بالاتباع والانصار والتلاميذ والغلمان وبالعشيرة والاقارب ويجري ذلك من الملوك في المكاثرة بالجنود وبين العلماء في المكاثرة بالمستفيدين وبالجملة فكل ما هو نعمة وامكن ان يعتقد كمالا وان لم يكن في نفسه كمالا امكن ان يتكبر به حتى ان المخنث يتكبر على اقرانه بزيادة معرفته وقدرته على صنعة المخنثين وكذلك الفاسق قد يفتخر بكثرة الشرب وبكثرة الفجور بالنسوان والغلمان ويتكبر بذلك لظنه انه كمال فهذه مجامع ما يتكبر به العباد بعضهم على بعض

بيان البواعث على الكبر واسبابه المهيجة له

اعلم ان الكبر خلق باطن واما ما يظهر من الاخلاق والافعال فهي ثمرة ونتيجة وينبغي ان يسمى تكبرا ويخص اسم الكبر بالمعنى الباطن الذي هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير وهذا الباطن له موجب واحد وهو العجب وهو العجب كما سياتي معناه فانه اذا اعجب بنفسه وبعلمه او بشي من اسبابه استعظم نفسه وتكبر واما الكبر الظاهر فاسبابه ثلثة سبب في المتكبر وسبب في المتكبر عليه وسبب يتعلق بغيرهما اما السبب الذي في المتكبر فهو العجب والذي في المتكبر عليه هو الحقد والحسد والذي يتعلق بغيرهما هو الريا فتصير الاسباب بهذا الاعتبار اربعة العجب والحقد والحسد والريا واما العجب فقد ذكرنا انه يورث الكبر الباطن والكبر الباطن يثمر الكبر الظاهر في الاعمال والاقوال والاحوال واما الحقد فانه يحمل على التكبر من غير عجب كالذي يتكبر على من يرى انه مثله او فوقه ولكنه قد غضب عليه بسبب سبق منه فاورثه الغضب حقدا ورسخ في قلبه بغضه فهو لذلك لا تطاوعه نفسه ان يتواضع له وان كان عنده مستحقا للتواضع فكم من رذل لا تطاوعه نفسه على التواضع لبعض الاكابر لحقده عليه وبغضه واما الحسد فانه يوجب البغض للمحسود وان لم يكن من جهته ايذاء وسبب يقتضي الغضب والحقد ويدعو الحسد ايضا الى جحد الحق حتى يمنع من قبول النصيحة وتعلم العلم فكم من جاهل يشتاق الى العلم وقد بقي في رذيلة الجهل لاستنكافه ان يستفيد من واحد من اهل بلده واقاربه حسدا وبغيا عليه فهو يعرض عنه ويتكبر عليه مع معرفته بانه يستحق التواضع

نفضل علم ولكن الحسد بعثه على ان يعامله باخلاق الكبر وان كان في باطنه لا يرى نفسه فوقه واما الرياء ايضا فهو يدعو
الى اخلاق المتكبرين حتى ان الرجل ليناظر من هو افضل منه وليس بينه وبينه معرفة ولا محاسدة ولا حقد ولكن يمتنع من قبول الحق
منه ولا يتواضع له في الاستفادة منه خيفة من ان يقول الناس هو افضل منه فيكون باعثه على التكبر عليه الرياء المجرد
وكذلك قد ينتمي الى نسب شريف كاذبا وهو يعلم انه كاذب ثم يتكبر على من ليس ينتسب الى ذلك النسب
ويترفع عليه في المجالس ويتقدم عليه في الطريق ولا يرضى بمساواته في الكرامة والتوقير وهو عالم بباطنه انه لا
يستحق ذلك ولكن يحمله الرياء على افعال المتكبرين وكان اسم المتكبر انما يطلق في الاكثر على من يفعل هذه الافعال
عن كبر في الباطن صادر عن العجب والنظر الى الغير بعين الاستحقار وهذا الذي يسمى تكبرا لاجل الافعال
بافعال الكبر

بيان اخلاق المتواضعين ومجامع ما يظهر فيه اثر التواضع

اعلم ان التكبر يظهر في شمائل الرجل من صعر
في وجهه ونظره شزرا واطراقه رأسه وجلوسه متربعا ومتكئا وفي اقواله حتى في صوته ونغمته وصيغته
في الايراد ويظهر في مشيته وتبختره وقيامه وجلوسه وحركاته وسكناته وفي تعاطيه لافعاله وفي سائر
تقلباته في احواله واقواله واعماله فمن المتكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يتكبر في بعضه ويتواضع في بعض
فمنها التكبر بان يحب قيام الناس له او بين يديه وقد قال عليه الصلاة والسلام من اراد ان ينظر الى رجل
من اهل النار فلينظر الى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام وقال انس لم يكن شخص احب اليهم من رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكانوا اذا راوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك ومنها انه لا يمشي الا ومعه غيره
يمشي خلفه قال ابو الدرداء لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشي خلفه وكان عبد الرحمن بن عوف لا
يعرف من عبيده اذ كان لا يتميز عنهم في صورة ظاهرة وكان عليه الصلاة والسلام في بعض الاوقات
يمشي مع اصحابه فيامرهم بالتقدم ويمشي في غمارهم اما لتعليم غيره واما لينفي عن نفسه وساوس
الشيطان بالكبر والعجب كما ازال الثوب الجديد في الصلاة وابدله بالخليع ومنها ان يستنكف عن
جلوس غيره بالقرب منه الا ان يجلس بين يديه وقال وهيب جلست الى عبد العزيز بن ابي
رواد فمست فخذي فخذه فنحيت نفسي عنه فاخذ ثيابي فجرني اليه فقال لم تفعلون بي ما تفعلون
بالجبابرة واني لا اعرف منكم رجلا شرا مني وقال انس كانت الوليدة من ولائد المدينة تاخذ بيد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت ومنها ان يتوقى
مجالسة المرضى والزمنى وذلك كبر دخل رجل وعليه جدري قد تقشر على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعنده اصحابه ياكلون فما جلس عند احد الا قام من جنبه فاجلسه النبي صلى الله عليه وسلم الى جنبه وكان
عبد الله بن عمر اذا حضر طعامه لا يدع مجذوما ولا ابرص ولا مبتلى الا اجلسهم على مائدته ومنها ان
لا يتعاطى بيده شغلا في بيته والتواضع بخلاف ذلك روي ان عمر بن عبد العزيز اتاه ليلة ضيف
وكان يكتب فكاد السراج ينطفي فقال الضيف اقوم الى المصباح فاصلحه فقال ليس من كرم
الرجل ان يستخدم ضيفه قال فانبه الغلام فقال هي اول نومة نامها فقام فاخذ البطة
وملا المصباح زيتا فقال الضيف قمت بنفسك فقال ذهبت وانا عمر ورجعت وانا عمر وخير
الناس من كان عند الله متواضعا ومنها ان لا ياخذ متاعه ويحمله الى بيته وذلك خلاف عادة
المتواضعين كان عليه الصلاة والسلام يفعل ذلك وقال علي لا ينقص الكامل من كماله ما جر من نفع الى عياله
وكان ابو عبيدة بن الجراح يحمل سطلا له من خشب الى الحمام وعن الاصبغ بن نباتة قال كاني انظر الى
عمر معلقا لحما في يده اليسرى وفي يده اليمنى الدرة يدور في الاسواق حتى دخل رحله وقال
بعضهم رايت عليا اشترى لحما بدرهم فحمله في ملحفته فقلت له احمل عنك يا امير المؤمنين فقال لا
ابو العيال احق ان يحمل ومنها ان يظهر به التكبر والتواضع وقد قال عليه السلام البذاذة من
الايمان قال زيد بن وهب رايت عمر بن الخطاب خرج الى السوق وبيده الدرة وعليه ازار فيه اربعة
عشر رقعة بعضها من ادم وقال عيسى عليه السلام جودة الثياب خيلاء القلب وروي ان عمر

اللباس

ابن عبد العزيز كان قبل ان يستخلف يشترى له الحلة بالف فيقول ما اجودها لولا خشونة فيها فلما استخلف كان يشترى
له الثوب بخمسة دراهم فيقول ما اجوده لولا لينه فقيل له اين لباسك ولباسك
نفسا تواقة ذواقة وانها لم تذق من الدنيا طبقة الا تاقت الى الطبقة التي فوقها حتى فاذا ذاقت الخلافة
وهي ارفع الطبقات تاقت الى ما عند الله **فان قلت** فقد قال عيسى عليه السلام جودة الثياب خيلاء
القلب وقد سئل نبينا عليه السلام عن الجمال في الثياب هل هو من الكبر فقال لا ولكن من سفه الحق وغمص
الناس فكيف طريق الجمع بينهما فاعلم انه ليس من ضرورة الثوب الجيد ان يكون من التكبر في حق كل احد
في كل حال وهو ما اشار اليه عليه السلام من حال ثابت بن قيس اذ قال اني امرؤ حبب الي الجمال فعرفه ان ميله
الى النظافة وجودة الثياب لا ليتكبر على غيره فانه ليس من ضرورته ان يكون من التكبر وعلامة طلب الجمال
ان يحب الجمال في كل شيء ولو في خلوته وليس هو من الكبر واذا انقسمت الاحوال نزل قول عيسى عليه السلام
على بعض الاحوال على ان قوله هو خيلاء القلب يعني قد يورث خيلاء القلب وقول نبينا عليه السلام
ليس من الكبر يعني ان الكبر لا يوجبه ويجوز ان لا يوجب الكبر ثم يكون هو مورثا للكبر وبالجملة فالاحوال
تختلف في مثل هذا والمحمود الوسط في اللباس الذي لا يوجب شهرة بالجودة ولا بالرذالة وقد قال عليه السلام
كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير سرف ولا مخيلة ان الله يحب ان يرى اثر نعمته على عبده وقال عيسى عليه السلام
ما لكم تاتوني عليكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الذئاب الضواري البسوا ثياب الملوك والينوا قلوبكم
بالخشية ومنها ان يتواضع بالاحتمال اذا سب واوذي واخذ حقه وذلك هو الافضل وقد اوردنا ما نقل
عن السلف في احتمال الاذى في كتاب الغضب والحقد وقد قال ابو سلمة قلت لابي سعيد الخدري
ما ترى فيما احدث الناس من الملبس والمشرب والمركب والمطعم وقال يا ابن اخي كل لله واشرب لله والبس لله
وكل شيء دخله زهو او مباهاة او رياء او سمعة فهو معصية وسرف وعالج في بيتك من الخدمة ما كان
يعالج في بيته صلى الله عليه وسلم كان يعلف الناضح ويعقل البعير ويقم البيت ويحلب
الشاة ويخصف النعل ويرقع الثوب وياكل مع خادمه ويطحن عنه اذا اعيى ويشتري الشيء من السوق
فلا يمنعه الحياء ان يعلقه بيده او يجعله في طرف ثوبه فينقلب به الى اهله يصافح الغني والفقير
والصغير والكبير ويسلم مبتديا على كل من استقبله من صغير او كبير او اسود او احمر او عبد من اهل
الصلاة ليست له حلة لمدخله وحلة لمخرجه لا يستحيي ان يجيب اذا دعي وان كان اشعث اغبر ولا
يحقر ما دعي اليه وان لم يجد الا حشف الدقل لا يرفع غداء لعشاء ولا عشاء لغداء هين المؤونة
لين الخلق كريم الطبع جميل المعاشرة طلق الوجه بسام من غير ضحك محزون من غير عبوس
شديد من غير عنف متواضع من غير مذلة جواد من غير سرف رحيم لكل ذي قربى قريب من
كل مسلم وذمي رقيق القلب دائم الاطراق لم يتجشأ من شبع ولا يمد يده من طمع قال ابو سلمة
فدخلت على عائشة فحدثتها بحديث ابي سعيد فقالت ما اخطأ منه حرفا ولقد قصر اذ ما
اخبرك انه لم يمتلئ قط شبعا ولم يبث الى احد شكوى وكانت الفاقة احب اليه من اليسار
والغنى وان كان ليظل جائعا يلتوي ليلته حتى يصبح فلا يمنعه ذلك من صيام يومه ولو
شاء ان يسال ربه فيؤتى بكنوز الارض وثمارها ورغد عيشها من مشارقها ومغاربها لفعل
وربما بكيت رحمة له مما ارى به من الجوع وامسح بطنه بيدي واقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من
الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة اخواني من اولي العزم من الرسل قد صبروا
على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني
استحيي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي دونهم فاصبر اياما يسيرة احب الي من ان ينقص
حظي غدا في الآخرة وما من شيء احب الي من اللحوق باخواني قالت عائشة فوالله ما استكمل
بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله تعالى فالذي نقل من اخلاقه عليه الصلاة والسلام جملة اخلاق

المتواضعين

فمن طلب التواضع فليقتد به صلى الله عليه وسلم وقد قال عمر رضه انا قوم قد اعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العز في
وقال ابو الدرداء اعلم ان لله عبيدا يقال لهم الابدال الخلف من الانبياء هم اوتاد الارض فلما انقضت النبوة ابدل
الله مكانهم قوما من امة محمد صلى الله عليه وسلم لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولا حسن حلية ولكن
الورع وحسن النية وسلامة الصدر لجميع المسلمين والنصح لهم ابتغاء مرضات الله وهم قوم اصطفاهم الله في
واستخلصهم لنفسه وهم اربعون صديقا ثلثون رجلا قلوبهم على مثل يقين ابرهيم خليل الرحمن عليه السلام
لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد انشا من يخلفه واعلم يا اخي انهم لا يلعنون شيا ولا يؤذونه ولا يحقرونه
ولا يتطاولون عليه ولا يحسدون احدا ولا يحرصون على الدنيا هم اطيب الناس خبرا والينهم عريكة واسخاهم
نفسا علامتهم السخا وسجيتهم البشاشة وصفتهم السلامة ليسوا اليوم في خشية وغدا في غفلة ولكن
مداومين على حالهم الظاهر وهم فيما بينهم وبين ربهم لا تدركهم الرياح العواصف ولا الخيل المجراة قلوبهم
تصعد ارتياحا الى الله واشتياقا اليه وقدما قدما في استباق الخيرات اولئك حزب الله وحزب الله هم المفلحون
قال الراوي قلت يا ابا الدرداء ما سمعت بصفة اشد علي من هذه الصفة وكيف لي ان ابلغها فقال
ما بينك وبين ان تكون في اوسعها الا ان تبغض الدنيا فانك اذا ابغضت الدنيا اقبلت على حب الاخرة
وبقدر حبك للاخرة تزهد في الدنيا وبقدر ذلك تبصر ما ينفعك فاذا علم الله من عبد حسن الطلب افرغ عليه
السداد واكتنفه بالعصمة واعلم يا اخي ان ذلك في الكتاب المنزل ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون
فما التذ المتلذذون بمثل حبه وطلب مرضاته

بيان الطريق في معالجة الكبر واكتساب التواضع

اعلم ان الكبر من المهلكات ولا يخلو احد من الخلق عن شيء منه وازالته فرض عين ولا يزول بالتمني بل بالمعالجة واستعمال
الادوية القامعة له وفي معالجته مقامان **المقام الاول** في استيصال اصله وعلاجه علمي وعملي ولا يتم الشفا
الا بمجموعهما **اما العلمي** ان يعرف نفسه ويعرف ربه ويكفيه ذلك في ازالة الكبر فانه مهما عرف نفسه حق المعرفة
علم انه اذل من كل ذليل واقل من كل قليل وانه لا يليق به الا التواضع والذلة والمهانة واذا عرف ربه علم انه لا يليق
العظمة والكبرياء الا لله واما معرفته بربه وعظمته ومجده فالقول فيه يطول وهو منتهى علم المكاشفة
واما معرفته نفسه فذلك ايضا يطول ولكنا نذكر منه ما ينفع في اثارة التواضع والمذلة ويكفيه ان يعرف معنى اية
في كتاب الله سبحانه فان في القران علم الاولين والاخرين لمن فتحت بصيرته وقد قال الله تعالى قتل الانسان ما اكفره من اي
شيء خلقه الى قوله ثم اذا شاء انشره فقد اشارت الاية الى اول خلق الانسان والى اخره والى وسطه فلينظر الانسان
الى ذلك ليفهم معنى هذه الاية **اما اول الانسان** فانه لم يكن شيا مذكورا وقد كان في حيز العدم واي شيء اقل
واخس من المحو والعدم وقد كان كذلك في العدم ثم خلقه الله من اذل الاشياء واقذرها اذ خلقه من تراب ثم من
نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم جعله عظما ثم كسا العظم لحما فقد كان هذا بداية وجوده حيث صار
شيا مذكورا فلم يخلق في ابتدائه كاملا بل خلقه جمادا ميتا لا يسمع ولا يبصر ولا ينطق ولا يبطش ولا
يدرك ولا يعلم فبدا بموته قبل حياته وبضعفه قبل قوته وبجهله قبل علمه وبعماه قبل بصره وبضلالته
قبل هداه وبفقره قبل غناه وبعجزه قبل قدرته فهذا معنى قوله من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم امتن
عليه فقال ثم السبيل يسره وهذه اشارة الى ما تيسر له في مدة حياته الى الموت ولذلك قال تعالى من
نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل ومعناه انه احياه بعد ان كان جمادا
ميتا ترابا اولا ونطفة ثانيا واسمعه بعد ما كان اصم وبصره بعد ما كان فاقدا للبصيرة وقواه بعد
الضعف وعلمه بعد الجهل وخلق له الاعضاء بما فيها من العجايب والايات بعد الفقد لها واشبعه بعد الجوع
وكساه بعد العرى فانظر كيف دبره والى السبيل يسره والى طغيان الانسان ما اكفره والى جهله
كيف اظهره فقال اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين فانظر الى نعمة الله تعالى
كيف نقله من تلك الذلة والقلة والخسة الى هذه الرفعة والكرامة فصار موجودا بعد العدم حيا بعد الموت ناطقا
بعد البكم وبصيرا بعد العمى وقويا بعد الضعف وعالما بعد الجهل وقادرا بعد العجز وغنيا بعد الفقر وكان في

ذاته لا شيء واي شيء اخس من لا شيء واي قلة اقل من العدم المحض فيعرفه خسة ذاته ليعرف بذلك نفسه واكمل النعمة عليه
ليعرف بذلك ربه ويعلم به عظمته وجلاله وانه لا يليق الكبر الا به ولذلك امتن عليه فقال الم نجعل له عينين ولسانا
وشفتين وهديناه النجدين وعرفه خسته اولا فقال الم يك نطفة من مني يمنى الى قوله الذكر والانثى ليدوم
وجوده بالتناسل فهذا بدو وجوده وهذا حاله فمن اين له البطر والكبرياء والفخر والخيلاء وهو على التحقيق اخس الاخسا
واضعف الضعفا ولو اكمله وفوض اليه امره وادام له الوجود باختياره لجاز ان يطغى وينسى المبدا والمنتهى
ولكن سلط عليه في دوام وجوده الامراض الهايلة والاسقام العظيمة والافات المختلفة والطبايع المتضادة من
المرة والبلغم والدم ويهدم البعض من اجزائه البعض شاء ام ابى رضي ام سخط فيجوع كرها ويعطش كرها
ويمرض كرها ويموت كرها لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا خيرا ولا شرا يشتهي الشيء فربما يكون هلاكه فيه
ويكره الشيء ويكون حياته فيه يستلذ الاطعمة وتهلكه وترديه ويستبشع الادوية وهي تنفعه وتحييه
لا يامن في لحظة من ليله ونهاره ان يسلب سمعه وبصره وعلمه وقدرته وتفلج اعضاؤه ويختلس عقله
ويختطف روحه ويسلب جميع ما يهواه في دنياه فهو مضطر ذليل واي شيء اذل منه لو عرف
نفسه وانى يليق الكبر به لولا جهله فهذا اوسط احواله فيتامله واما اخره ومورده فهو
المشار اليه بقوله تعالى ثم اماته فاقبره ومعناه انه يسلب روحه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته وادراكه وحركته
فيعود جمادا كما كان اول امره ثم يوضع في التراب فيصير جيفة منتنة قذرة كما كان في الاول نطفة قذرة ثم
تبلى اعضاؤه وتتفتت اجزاؤه وتنخر عظامه فيصير رميما رفاتا ويأكل الدود اجزاءه فيصير روثا
في اجواف الديدان ويكون جيفة يهرب منه الحيوان ويستقذره كل من كان يستحسنه ويهرب
من نفرة الانسان واحسن احواله ان يعود الى ما كان ويصير ترابا يعمل منه الكيزان ويعمر منه البنيان
وصار كانه لم يكن الا سر حصيد كما كان في اول امره وليته لو ترك ترابا بل يحييه بعد طول البلا
ليقاسي شدايد البلا فيخرج من قبره الى اهوال يوم القيامة فينظر الى القيامة قايمة والسما ممزقة منشقة
والارض مبدلة والجبال مسيرة والنجوم منكدرة والشمس مكورة منكسفة والاحوال مظلمة والملايكة
غلاظ شداد وجهنم تزفر والجنة ينظر اليها المجرم فيتحسر ويرى صحايف منشورة فيقال له اقرا
كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فيقال كان قد وكل بك في حياتك التي كنت تفرح بها وتتكبر بنعيمها
وتفتخر باسبابها ملكان رقيبان يكتبان عليك ما تنطق به وتعمله من قليل وكثير ونقير وقطمير
قد نسيت ذلك واحصاه الله فهلم الى الحساب واستعد للجواب او تساق الى دار العذاب
فينقطع قلبه فزعا من هول هذا الخطاب من قبل ان تنتشر الصحيفة فيشاهد ما فيها من مخازيه فاذا شاهدها
قال يا ويلتي ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فهذا اخر امره وهو معنى
قوله تعالى ثم اذا شاء انشره فما لمن هذا حاله والتكبر وكيف يرى نفسه شيا حتى يعتقد لها
فضلا واي عبد لم يذنب ذنبا استحق به العقوبة الا ان يعفو الكريم بفضله **واما العلاج العملي**
فهو ان يتواضع بالفعل لله ولسائر الخلق بالمواظبة على اخلاق المتواضعين كما وصفناه وحكيناه من
احوال الصالحين ومن احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انه كان ياكل على الارض ويقول انما انا عبد اكل كما ياكل
العبد وقيل لسلمان لم لا تلبس ثوبا جديدا فقال انما انا عبد فاذا اعتقت يوما لبست اشار الى
العتق في الاخرة ولا يتم التواضع بعد المعرفة الا بالعمل ولذلك امر العرب الذين تكبروا على الله وعلى رسوله
بالايمان وبالصلوات جميعا وقيل الصلوة عماد الدين وفي الصلاة اسرار ومن جملة الاسرار ما فيها
من التواضع بالمثول قايما وبالركوع والسجود وقد كانت العرب قديما يانفون من الانحنا فكان
ربما يسقط من يد احدهم سوطه فلا ينحني لاخذه حتى قال حكيم ابن حزام بايعت النبي صلى الله عليه وسلم
على ان لا اخر الا قايما فبايعه عليه السلام على ذلك ثم فقه وكمل ايمانه بعد فلما كان السجود عندهم هو
منتهى الذلة والضعة امروا به لتنكسر بذلك خيلاؤهم ويزول كبرهم وبه امر سائر الخلق فان الركوع

والسجود والمثول قائما فاما هو العمل الذي يقتضي التواضع فكذلك من عرف نفسه فلينظر كل ما يتقاضاه الكبر من الافعال فليواظب على نقيضه حتى يصير التواضع له خلقا

المقام الثاني فيما يعرض من التكبر بالاسباب السبعة المذكورة وقد ذكرنا في كتاب ذم الجاه ان الكمال الحقيقي هو العلم والعمل فاما ما عداه مما يفنى بالموت فكمال وهمي فمن هذا يعسر على العلماء ان لا يتكبروا ولكن نذكر طريق العلاج من العلم والعمل الاول

النسب فمن يعتريه الكبر من جهة النسب فليداو قلبه بمعرفة امرين احدهما ان هذا جهل من حيث انه تعزز بكمال غيره ولذلك قيل • لئن فخرت بآباء ذوي شرف • لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا •

فالمتكبر بالنسب ان كان خسيسا في صفات ذاته فمن اين يتكبر والما خسه كمال غيره بل لو كان الذي ينتسب اليه حيا لكان له ان يقول انما الفضل لي ومن انت وانما انت دودة خلقت من بولي افترى ان الدودة التي تخلق من بول الانسان اشرف من الدودة التي تخلق من بول الفرس هيهات فهما متساويتان

الثاني هو ان يعرف نسبه الحقيقي فيعرف اباه وجده فان اباه القريب نطفة قذرة وجده البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله تعالى نسبه فقال الذي احسن كل شيء خلقه وبدا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين فاصله من التراب المهين • الذي يداس بالاقدام ثم خمر طينه حتى صار حما مسنونا فكيف يتكبر واخس الاشياء اليه نسبة اذ يقال يا اذل من التراب • ويا انتن من الحما ويا اقذر من النطفة والمضغة وهذا نهاية خسة النسب فالاصل يوطأ بالاقدام • والفصل يغتسل منه الاجسام فهذا هو النسب الحقيقي للانسان فمن عرفه لم يتكبر بالنسب ويكون مثاله بعد هذه المعرفة وانكشاف الغطاء عن حقيقة اصله كرجل لم يزل عند نفسه من بني هاشم وقد اخبره بذلك والداه فلم يزل فيه عزة الشرف فبينما هو كذلك اذا اخبره عدول لا يشك في قولهم انه ابن هندي حجام يتعاطى القذر وكشفوا له وجه التلبيس عليه فلم يبق له شك في صدقهم افترى ذلك يبقي شيئا من كبره لا بل يصير عند نفسه احقر الناس واذلهم فهو من استشعار الخزي لخسته في شغل عن ان يتكبر فهذا حال البصير اذا تفكر في اصله وعلم انه من النطفة والمضغة والتراب والدم

السبب الثاني الكبر بالجمال ودواؤه ان ينظر الى باطنه نظر العقلاء ولا ينظر الى الظاهر نظر البهائم ومهما نظر الى باطنه راى من القبائح ما يكدر عليه تعززه بجماله فانه وكل به الاقذار في جميع اجزائه • الرجيع في امعائه • والبول في مثانته والمخاط في انفه • والبزاق في فيه • والوسخ في اذنيه والدم في عروقه والصديد تحت بشرته والصنان تحت ابطيه • يغسل الغائط كل يوم مرتين • ويتردد الى الخلاء كل يوم مرتين • ويخرج من باطنه ما لو رآه بعينه لاستقذره فضلا عن ان يمسه او يشمه وأوله من خلق من الاقذار الشنيعة الصور • من النطفة • ودم الحيض • واخرج من مجرى البول مرتين مرة من ظهر ابيه ومرة من رحم امه ثم الى رحم هو مغيض دم الحيض • ثم خرج من مجرى القذر

قال انس كان ابو بكر يخطبنا ويقذر الينا انفسنا ويقول خرج احدكم من مجرى البول مرتين • وكذلك قال طاوس لعمر بن عبد العزيز ما هذه مشية من في بطنه خرءه اذ راه يتبختر قبل الخلافة هذا اوله واوسطه واذا نظر انه خلق من اقذار فاذا نظر وسكن في اقذار وصار انتن واقذر من التراب ويموت فيصير جيفة اقذر من سائر الاقذار لم يفتخر بجماله الذي هو كخضراء الدمن وكلون الازهار في البراري فبينما هو كذلك اذ صار هشيما تذروه الرياح ولا بقاء له بل هو في كل حال يتصور ان يزول بمرض او جدري او سبب من الاسباب وكم من وجوه جميلة قد شمخت بهذه الاسباب فمعرفة هذه الامور تنزع عن القلب داء الكبر بالجمال لمن اكثر تاملها

السبب الثالث التكبر بالقوة والايد ويمنعه منه ان يعلم ما سلط عليه من العلل والامراض وانه لو توجع له عرق واحد من بدنه لصار اعجز من كل عاجز • واذل من كل ذليل فانه لو سلبه الذباب شيئا لم يستنقذه منه وان بقة لو دخلت انفه او اذنه لقتلته وان شوكة لو دخلت في رجله لاعجزته • وان حمى يوم تحلل من قوته ما لا ينجبر في مدة • فمن لا يطيق شوكة • ولا يقاوم بقة ولا يقدر على ان يدفع عن نفسه ذبابة لا ينبغي ان يفتخر فلا يكون اقوى من حمار او فيل او جمل واي جمال في صفة تسبقك البهائم فيها

السبب الرابع والخامس الغنى وكثرة المال وفي معناه كثرة الانصار والاتباع والتكبر بولاية السلاطين والتمكن من جهتهم وكل ذلك تكبر بمعنى خارج عن ذات الانسان كالجمال والقوة والعلم وهذا اقبح انواع التكبر فان المتكبر بماله كانه متكبر بفرسه وداره ولو مات فرسه وانهدمت داره لعاد ذليلا والمتكبر بتمكين السلطان وولايته لا بصفة في نفسه بنى امره على قلب هو اشد غليانا من القدر فان تغير عليه كان اذل الخلق وكل متكبر

بامر خارج عن ذاته فهو ظاهر الجهل كيف والمتكبر بالغنى لو تامل لراى في اليهود من يزيد عليه في الغنى والثروة والتجمل فاف لشرف يسبقك به اليهودي واف لشرف يأخذه السارق في لحظة فيعود صاحبه ذليلا مفلسا فهذه اسباب ليست في ذاته وكل ما ليس في ذاتك فليس لك وشيء من هذه الامور ليس اليك بل الى واهبه ان ابقاه بقي وان استرجعه زال منك وما انت الا عبد مملوك لا تقدر على شيء ومن عرف ذلك لا بد وان يتكبر ومثاله ان يفتخر الغافل بقوته وجماله وماله وحريته واستقلاله وسعة منازله وكثرة خيوله وغلمانه اذ شهد عليه شاهدان عدلان عند حاكم منصف بانه رقيق لفلان وان ابويه كانا مملوكين له فعلم ذلك وحكم به الحاكم فجاء مالكه واخذه واخذ جميع ما في يده وهو مع ذلك يخشى ان يعاقبه وينكل به لتفريطه في امواله وتقصيره في طلب مالكه ليعرف ان له مالكا ثم نظر العبد فراى نفسه محبوسا في منزل قد احدق به الحيات والعقارب والهوام وهو في كل حال على وجل من كل واحد منها وقد بقي لا يملك نفسه ولا ماله ولا يعرف طريقا الى الخلاص البتة افترى من هذا حاله يفتخر بقدرته وثروته وقوته وكماله او يتكبر بل لا يرى من نفسه الا الذل والعجز فكذلك الغافل المغرور بالمال والجمال وهو مع ذلك بين آفات وشهوات وامراض واسقام كالحيات والعقارب يخاف منها الهلاك فمن هذا حاله لا يتكبر بقوته وقدرته اذ يعلم انه لا قدرة له ولا قوة

السبب السادس التكبر بالعلم وهو اعظم الآفات واغلب الادواء وابعدها عن قبول العلاج الا بشدة شديدة وجهد جهيد وذلك لان قدر العلم عظيم عند الله عظيم عند الناس وهو اعظم من قدر المال والجمال وغيرهما بل لا قدر لهما اصلا الا اذا كان معهما علم وعمل ولذلك قال كعب الاحبار ان للعلم طغيانا كطغيان المال ولذلك قال عمر رضي الله عنه العالم اذا زل زل بزلته عالم فيعجز العالم عن ان لا يستعظم نفسه بالاضافة الى الجاهل لكثرة ما نطق به الشرع من فضائل العلم ولن يقدر العالم على دفع الكبر الا بمعرفة امرين احدهما ان يعلم ان حجة الله على اهل العلم اوكد وانه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل من العالم عشره فان من عصى الله عن معرفة وعلم فجنايته افحش اذ لم يقض حق نعمة الله عليه في العلم ولذلك قال عليه السلام يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحا فيطيف به اهل النار فيقولون ما لك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر وآتيه وقد مثل الله تعالى من يعلم ولا يعمل بالحمار والكلب فقال مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا اراد علماء اليهود وقال سبحانه في بلعم بن باعوراء فمثله كمثل الكلب قال ابن عباس اوتي بلعم كتابا فاخلد الى شهوات الارض ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي سواء آتيته الحكمة او لم اوته فلا يدع شهوته فكم عالم اشتهى شهوة الاخرة سلامة الجهال والعياذ بالله من ذلك فهذا الخطر يمنع التكبر لانه ان كان من اهل النار فالخنزير افضل منه فكيف يتكبر فلا ينبغي ان يكون اكبر عنده نفسه من الصحابة فقد كان بعضهم يقول يا ليتني لم تلدني امي ويأخذ الاخر تبنة من الارض ويقول يا ليتني كنت هذه التبنة كل ذلك فرقا من خطر الخاتمة وكانوا يرون انفسهم سواء مع الاشرار الطين ومن التراب مهما طال فكره في الخطر الذي هو بصدده زال بالكلية كبره ورأى نفسه كانه شر الخلق

الامر الثاني ان العالم يعلم ان الكبر لا يليق الا بالله وحده وانه اذا تكبر صار ممقوتا عند الله بغيضا وقد احب الله منه ان يتواضع وقال له ان لك عندي قدرا ما لم تر لنفسك قدرا وان رايت لنفسك قدرا فلا قدر لك عندي فلا بد ان يكلف نفسه ما يحب مولاه وهذا يزيل التكبر عن نفسه وان كان يستيقن انه لا ذنب له مثلا ان تصور ذلك وبهذا زال الكبر عن الانبياء صلوات الله عليهم اذ علموا انه من نازع الله في رداء الكبرياء قصمه وقد امرهم الله سبحانه ان يصغروا انفسهم عند الخلق ليعظم محلهم عند الله فهذا ايضا مما يبعث على التواضع لا محالة فان قلت وكيف يتواضع للفاسق المتظاهر بالفسق وللمبتدع وكيف يرى نفسه دونهم وهو عالم عابد فاعلم ان ذلك انما يمكن بالتفكر في خطر الخاتمة بل لو نظر الى كافر لم يمكنه ان يتكبر عليه اذ يتصور ان يسلم الكافر فيختم له بالايمان ويضل هذا العالم فيختم له بالكفر والكبير من هو كبير

عند الله تعالى في الآخرة والكلب والخنزير اعلى رتبة ممن هو عند الله من اهل النار وهو لا يدري
وكم من مسلم نظر اليه عمر قبل اسلامه فاستحقره وازدراه لكفره وقد رزقه الله الاسلام وفاق
جميع المسلمين الا ابا بكر وحده فالعواقب مطوية عن العباد ولا ينظر العاقل الا الى العاقبة وجميع
الفضائل في الدنيا انما تراد للعاقبة فاذا من حق العبد ان لا يتكبر على احد بل ان نظر الى جاهل
قال انه عصى الله بجهل وانا عصيته بعلم فهو اعذر مني وان نظر الى عالم قال ان هذا علم
ما لم اعلم فكيف اكون مثله وان نظر الى من هو اكبر منه سنا قال انه اطاع الله قبلي
او كافر قال وما يدريني لعله يختم له بالاسلام ويختم لي بما هو عليه فليس بيدي وامر الهداية بيده
اليّ كما لم يكن ابتداؤها اليّ فبملاحظة الخاتمة يقدر على ان ينفي الكبر عن نفسه وكل ذلك
بان يعلم ان الكمال في سعادة الآخرة والتقرب من الله لا فيما يظهر في الدنيا مما لا بقاء له
فان قلت فكيف ابغض المبتدع في الله وابغض الفاسق وقد امرت ببغضهما ثم مع ذلك
تواضع لهما والجمع بينهما متناقض فاعلم ان هذا امر ملتبس مشتبه على اكثر الخلق اذ يمتزج
غضبك لله في انكار البدعة والفسق بكبر النفس والادلال بالعلم والورع وكم من عابد جاهل
وعالم مغرور اذا راى فاسقا جلس الى جنبه ازعجه عنه وتنزه منه بكبر باطن في نفسه وهو ظان
انه قد غضب لله كما وقع لعابد بني اسرائيل مع خليعهم وذلك لان الكبر على المطيع ظاهر
كونه شرا والحذر منه ممكن والكبر على الفاسق والمبتدع يشبه الغضب لله وهو خير فان الغضبان
ايضا يتكبر ايضا على من غضب عليه والمتكبر يغضب واحدهما يثمر الآخر ويوجبه وهما ممتزجان
ملتبسان لا يميز بينهما الا الموفقون والذي يخلصك من هذا ثلاثة امور احدها التفاتك
الى ما سبق من ذنوبك وخطاياك ليصغر عند ذلك قدرك في عينك والثاني ان تكون
ملاحظتك الى ما انت متميز به من العلم واعتقاد الحق والعمل الصالح من حيث ان ذلك نعمة
من الله عليك وله المنة فيه لا لك فترى ذلك منه حتى لا تعجب بنفسك واذا لم تعجب بنفسك
لم تتكبر والثالث ملاحظتك ابهام عاقبتك وعاقبته وانه ربما يختم له بالخير ويختم لك بالشقا
حتى يشغلك الخوف عن التكبر عليه فان قلت كيف اغضب مع هذه الاحوال فاقول
تغضب لمولاك وسيدك اذ امرك ان تغضب له لا لنفسك وانت في غضبك لا ترى نفسك
ناجيا وصاحبك هالكا بل يكون خوفك على نفسك بما علم الله من خفايا ذنوبك اكثر من
خوفك عليه مع الجهل بالخاتمة ولعرفك ذلك بمثال لتعلم انه ليس من ضرورة الغضب لله
ان تتكبر على المغضوب عليه وان ترى قدرك فوق قدره فاقول اذا كان للملك ولد وغلام هو
رعايته وقد وكل الغلام بالولد ليراقبه وامره ان يضربه مهما اساء ادبه واشتغل بما لا
يليق به ويغضب عليه فان كان الغلام مطيعا محبا لمولاه فلا يجد بدا من ان يغضب مهما راى
ولد الملك قد اساء الادب وان يغضب عليه لمولاه ولانه امره بذلك وانه يريد التقرب بامتثال
امره اليه ولانه جرى من الولد ما يكرهه مولاه فيضربه ويغضب عليه من غير تكبر عليه
بل هو متواضع له يرى قدره عند مولاه فوق قدر نفسه لان الولد لا محالة اعز عليه من الغلام
فاذا ليس من ضرورة الغضب التكبر وعدم التواضع فكذلك كذا ان تنظر الى المبتدع والفاسق
ويظن انهما ربما كان قدرهما عند الله في الآخرة اعظم من قدرك لما سبق لهما عند الله من الحسنى
في الازل ولما سبق لك من سوء القضاء في الازل وانت غافل عن ذلك واما المغرور فانه
يتكبر ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لغيره مع جهله بالعاقبة وذلك غاية الغرور فهذا سبيل
التواضع لمن عصى الله او اعتقد البدعة مع الغضب عليه ومجانبته بحكم الامر **السبب الثاني**

التكبر بالورع والعبادة وفي ذلك ايضا فتنة عظيمة على العباد وسبيله ان يلزم قلبه التواضع
لجميع العباد وذلك بان يعلم ان من تقدم عليه بالعلم لا ينبغي ان يتكبر عليه كيف ما كان لما
عرفه من فضيلة العلم وقد قال الله سبحانه هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون
وقال عليه السلام فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي الى غير ذلك مما
ورد في فضل العلم فان قال العابد فان ذلك لعالم عامل وهذا عالم فاجر فيقال له اما علمت
ان الحسنات يذهبن السيئات وكما ان العلم يمكن ان يكون حجة على العالم فيمكن ايضا
ان يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه وكل واحد منهما ممكن وقد وردت الاخبار بما يشهد
لذلك واذا كان هذا الامر غائبا عنه لم يجز له ان يحتقر عالما بل يجب عليه ان يتواضع له
وبالجملة من جوز ان يكون عند الله شقيا وقد سبق القضاء الازلي بشقوته فما سبيله ان
يتكبر بحال من الاحوال نعم اذا غلبه الخوف راى كل احد خيرا من نفسه وذلك هو الفضل
كما روي ان عابدا ادعى الى جبل فقيل له في النوم ائت فلانا الاسكاف فسله ان يدعو
لك فاتاه فساله عن عمله فاخبره انه يصوم النهار ويكتسب فيتصدق ببعض كسبه ويطعم
عياله ببعضه فرجع وهو يقول ان هذا لحسن ولكن ليس كالمتفرغ لطاعة الله تعالى فاتى في
النوم فقيل له ائت الاسكاف وقل له ما هذا الصفار بوجهك فاتاه فساله فقال له ما رايت
احدا من الناس الا وقع لي انه سينجو واهلك انا فقال العابد بهذا والله والذي يدل على
فضيلة هذه الخصلة قوله سبحانه والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون
اي يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها وقال تعالى ان الذين هم من خشية ربهم
مشفقون وقد وصف الله الملائكة مع تقدسهم عن الذنوب بالاشفاق فقال سبحانه
وهم من خشيته مشفقون فما زال الاشفاق والحذر مما سبق به القضاء في الازل ثم
ينكشف عند خاتمة الاجل غالبا لا من مكر الله وذلك يوجب الكبر وهو سبب الهلاك
فالكبر دليل الامن والامن مهلك والتواضع دليل الخوف والخوف مسعد فاذا ما يفسده العابد
باضمار الكبر واحتقار الخلق والنظر اليهم بعين الاستصغار اكثر مما يطلبه بظاهر الاعمال
فهذه معارف بها يزال داء الكبر عن القلب لا غير الا ان النفس بعد هذه المعرفة قد تضمر
النفس للتواضع وتدعي البراءة من الكبر وهي كاذبة فاذا وقعت الواقعة عادت
الى طبعها وبيانه ان يمتحن النفس بخمس امتحانات هي ادلة على استخراج ما في الباطن
وان كانت الامتحانات كثيرة الامتحان الاول ان يناظر في مسالة مع واحد من اقرانه
فان ظهر شيء من الحق على لسان صاحبه فثقل عليه قبوله والانقياد له والاعتراف به والشكر له
على تنبيهه وتعريفه واخراجه الحق فذلك يدل على ان فيه كبرا دفينا فليتق الله فيه وليشتغل
بعلاجه اما من حيث العلم فبان يذكر نفسه خسة نفسه وخطر عاقبته وان الكبر لا يليق الا
بالله واما بالعمل فان يكلف نفسه ما ثقل عليه من الاعتراف بالحق فيطلق اللسان بالحمد
والثناء ويقر على نفسه بالعجز ويشكره على الاستفادة ويقول ما احسن ما فطنت له وقد كنت
غافلا عنه فجزاك الله خيرا على ما نبهتني له والحكمة ضالة المؤمن فاذا وجدها ينبغي ان يشكر
من دله عليها فاذا واظب على ذلك مرات متوالية صار ذلك له طبعا وسقط ثقل الحق عن قلبه
وطاب قبوله وان ثقل عليه ذلك في الخلوة والملا جميعا ففيه الكبر والرياء جميعا ولا ينفعه
الخلاص من احدهما دون الآخر فيعالج كلا الداءين فانهما جميعا مهلكان الامتحان الثاني
ان يجتمع مع الاقران والامثال في المحافل ويقدمهم على نفسه ويمشي خلفهم ويجلس تحت الصدور
عنهم فان ثقل ذلك عليه فهو متكبر فليواظب عليه تكلفا حتى يسقط عنه ثقله

فذلك من رذائل الكبر وهاهنا للشيطان مكيدة وهو أن يجلس في صف النعال أو يجعل بينه وبين
الأقران بعض الأرذال فيظن أن ذلك تواضع وهو عين الكبر فإن ذلك يخف على نفوس المتكبرين
إذ يوهمون أنهم تركوا مكانهم بالاستحقاق والتفضل فيكون قد تكبر وتكبر بإظهار التواضع أيضاً بل
ينبغي أن يقدم أقرانه ويجلس بينهم ولا ينحط عنهم إلى صف النعال فذلك هو الذي يخرج خبث الكبر
من الباطن الامتحان الثالث أن يجيب دعوة الفقير ويمر إلى السوق في حاجة الرفقاء والأقارب فإن ثقل
ذلك عليه فهو كبر ورياء فإن هذه الأفعال من مكارم الأخلاق والثواب عليها جزيل فنفور النفس عنها
ليس إلا لخبث في الباطن فليشتغل بإزالته بالمواظبة عليه مع تذكر جميع ما ذكرناه من المعارف التي
تزيل داء الكبر الامتحان الرابع أن يحمل حاجة نفسه وحاجة أهله ورفقائه من السوق إلى البيت
فإن أبت النفس ذلك فهو كبر ورياء فإن كان يثقل ذلك مع خلو الطريق فهو كبر وإن كان لا يثقل
إلا مع مشاهدة الناس فهو رياء وكل ذلك من أمراض القلب وعلله المهلكة إن لم يتدارك وقد
أهمل الناس طب القلوب واشتغلوا بطب الأجسام والقلوب لا يدرك لها السعادة إلا بسلامتها وقال
سبحانه إلا من أتى الله بقلب سليم ويروى أن عبد الله بن سلام حمل حزمة حطب فقيل له يا أبا يوسف
قد كان في غلمانك وبنيك ما يكفيك قال أجل ولكن أردت أن أجرب نفسي هل تنكر ذلك فلم يقنع
منها بما أعطته من العزم على ترك الأنفة حتى جربها أهي صادقة أم كاذبة الامتحان الخامس أن يلبس ثياباً
بذلة فإن نفور النفس عن ذلك في الملأ رياء وفي الخلوة كبر وكان عمر بن عبد العزيز له مسح يلبسه
بالليل وقد قال عليه السلام من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد بريء من الكبر وقال عليه السلام
إنما أنا عبد آكل بالأرض وألبس الصوف وأعتقل البعير وألعق أصابعي وأجيب دعوة المملوك
فمن رغب عن سنتي فليس مني وروي أن أبا موسى قيل له إن أقواماً يتخلفون عن الجمعة بسبب ثيابهم
فلبس عباءة فصلى بها بالناس وهذه مواضع يجتمع فيها الرياء والكبر فما يختص بالملأ فهو الرياء
وما يكون في الخلوة فهو الكبر فإن من لا يعرف الشر لا يتقيه ومن لا يدرك المرض لا يداويه

بيان غاية الرياضة في خلق التواضع اعلم أن هذا الخلق كسائر الأخلاق له طرفان
وواسطة فطرفه الذي يميل إلى الزيادة يسمى تكبراً وطرفه الذي يميل إلى النقصان يسمى تخاسساً
ومذلة والوسط يسمى تواضعاً والمحمود أن يتواضع في غير مذلة ولا تخاسس فإن كلا طرفي قصد
الأمور ذميم وأحب الأمور إلى الله أوسطها فمن تقدم على أمثاله فهو متكبر ومن تأخر عنهم فهو
متواضع أي أنه وضع شيئاً من قدره الذي يستحقه والعالم إذا دخل عليه إسكاف فتنحى له عن
مجلسه وأجلسه فيه ثم تقدم وسوى نعله وعدا إلى باب الدار خلفه فقد تخاسس وتذلل
وهذا أيضاً غير محمود بل المحمود عند الله سبحانه العدل وهو أن يعطي كل ذي حق حقه فينبغي
أن يتواضع بمثل هذه الأمثال كما تواضع للسوقي في القيام والبشر في الكلام والرفق في
السؤال وإجابة دعوته والسعي في حاجته وأمثال ذلك وأن لا يرى نفسه خيراً منه بل يكون
على نفسه أخوف منه على غيره فلا يحتقره ولا يستصغره وهو لا يعرف خاتمة أمره فإذاً سبيله
في اكتساب التواضع أنه يتواضع للأقران ولمن دونهم حتى يخف عليه التواضع المحمود في
محاسن العادات ليزول به الكبر عنه فإن خف عليه ذلك فقد حصل له خلق التواضع وإن كان
يثقل عليه وهو يفعل فهو متكلف لا متواضع فإن خف عليه وصار بحيث يثقل عليه رعاية
قدره حتى أحب التملق والتخاسس فقد خرج إلى طرف النقصان فليرفع نفسه إذ ليس للمؤمن
أن يذل نفسه إلى أن يعود إلى الوسط الذي هو الصراط المستقيم وذلك غامض في هذا الخلق
وفي سائر الأخلاق والميل عن الوسط إلى النقصان وهو التملق أهون من الميل إلى الطرف الأعلى بالزيادة
بالتكبر كما أن الميل إلى طرف التبذير في المال أحمد عند الناس من الميل إلى طرف البخل فنهاية

التبذير في المال ونهاية البخل مذمومان وأحدهما أفحش من الآخر وكذلك نهاية التكبر ونهاية
التخاسس والتذلل مذمومان وأحدهما أقبح من الآخر ولنقتصر على هذا من بيان أخلاق الكبر
والتواضع

الشطر الثاني في العجب

وفيه بيان ذم العجب وآفاته وبيان حقيقة
العجب والإدلال وحدهما وبيان علاج العجب وتفصيل علاجه

بيان ذم العجب اعلم
أن العجب مذموم في كتاب الله سبحانه وفي سنة نبيه عليه السلام قال الله تعالى ويوم حنين
إذ أعجبتكم كثرتكم وذكر ذلك في معرض الإنكار وقال سبحانه وتعالى وظنوا أنهم مانعتهم
حصونهم من الله فرد على الكفار في إعجابهم بحصونهم وشوكتهم وقال سبحانه وهم
يحسبون أنهم يحسنون صنعاً وهذا أيضاً يرجع إلى العجب بالعمل وقد يعجب الإنسان بعمل هو
مخطئ فيه كما يعجب بعمل هو فيه مصيب وقال عليه السلام ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى
متبع وإعجاب المرء بنفسه وقال لأبي ثعلبة حين ذكر آخر هذه الأمة إذا رأيت شحاً مطاعاً
وهوى متبعاً وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك وقال ابن مسعود الهلاك في
اثنتين القنوط والعجب وإنما جمع بينهما لأن السعادة لا تنال إلا بالسعي والطلب والجد والتشمير
والقانط لا يسعى ولا يطلب والمعجب يعتقد أنه قد سعد وظفر بمراده فلا يسعى فالموجود لا يطلب
كما أن المحال لا يطلب والسعادة موجودة في اعتقاد المعجب حاصلة ومستحيلة في اعتقاد القانط
فمن هاهنا جمع بينهما وقال سبحانه فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى قال ابن جريج معناه
إذا عملت خيراً فلا تقل عملت ووقى طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه يوم أحد فأكب عليه
حتى أصيبت كفه فكأنه أعجبه فعله العظيم إذ فداه بروحه حتى جرح فتفرس ذلك عمر فيه
وقال ما زال يعرف في طلحة بأو منذ أصيبت يده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والبأو هو الكبر
في اللغة إلا أنه لم ينقل عنه أنه أظهره ولا احتقر مسلماً ولما كان وقت الشورى قال ابن
عباس أين أنت عن طلحة قال ذاك رجل فيه نخوة فإذا كان لا يتخلص من العجب أمثالهم فكيف
يتخلص الضعفاء إن لم يأخذوا حذرهم وقال عليه السلام لخشيت عليكم أكبر من ذلك العجب العجب
فجعله أكبر من الذنوب وكان بشر بن منصور من الذين إذا رأوا ذكر الله والدار الآخرة لمواظبته
على العبادة فأطال الصلاة يوماً ورجل خلفه ففطن له بشر فلما انصرف من الصلاة قال لا يعجبك ما
رأيت مني فإن إبليس عبد الله مع الملائكة مدة طويلة ثم صار إلى ما صار إليه وقيل
لعائشة رضي الله عنها متى يكون مسيئاً قالت إذا ظن أنه محسن وقد قال الله سبحانه يا أيها الذين آمنوا
لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى والمن نتيجة استعظام الصدقة واستعظام العمل هو العجب وظهر
بهذا أن العجب مذموم جداً

بيان آفة العجب اعلم أن آفات العجب كثيرة فإن العجب يدعو
إلى الكبر لأنه أحد أسبابه كما ذكرنا فيتولد من العجب الكبر ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تخفى هذا
مع العباد وأما مع الله فالعجب يدعو إلى نسيان الذنوب وإهمالها فبعض ذنوبها لا يذكرها ولا
يتفقدها لظنه أنه مستغن عن تفقدها فينساها وما يتذكره منها فيستصغره ولا يستعظمه
ولا يجتهد في تداركه وتلافيه بل يظن أنه يغفر له وأما الأعمال والعبادات فإنه يستعظمها ويتبجح
بها ويمن على الله بفعلها وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين منها ثم إذا أعجب بها عمي
عن آفاتها ومن لا يتفقد آفات الأعمال كان أكثر سعيه ضائعاً فإن الأعمال الظاهرة إذا لم تكن
خالصة نقية عن الشوائب قلما تنفع والمغتر المعجب يغتر بنفسه وبربه ويأمن مكر الله وعذابه
ويظن أنه عند الله بمكان وأن له عند الله منة وحقاً بأعماله التي هي نعمة من الله وعطية من عطاياه و
يخرجه العجب إلى أن يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها ويمنعه ذلك من الاستفادة ومن الاستشارة
والسؤال فيستبد بنفسه وبرأيه ويستنكف عن سؤال من هو أعلم منه وربما يعجب بالرأي

للخطا الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره فيصر عليه ولا يسمع نصح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر الى غيره بعين الاستجهال ويصر على خطائه ولو اتهم رايه ولم يثق برايه فاستضاء بنور القرآن واستعان بعلماء الدين وتابع سؤال اهل البصيرة لكان ذلك يوصله الى الحق فهذا واشباهه من آفات العجب فلذلك كان من المهلكات

بيان حقيقة العجب والادلال وحدهما

اعلم ان العجب انما يكون بوصف هو كمال لا محالة وللعالم بكمال نفسه في علم وعمل ومال وغيره حالتان احداهما ان يكون خائفا من زواله ومشفقا على تكدره وسلبه من اصله فهذا ليس بمعجب والاخرى ان يكون خائفا من زواله ولكن يكون فرحا به من حيث هو نعمة من الله عليه لا من حيث اضافته الى نفسه وهذا ايضا ليس بمعجب وله حالة ثالثة هي العجب وذلك بان يكون غير خائف عليه بل يكون فرحا به مطمئنا اليه ويكون فرحه من حيث انه كمال ونعمة ورفعة وخير لا من حيث انه عطية من الله ونعمة منه فيكون فرحه من حيث انه صفته ومنسوب اليه بانه له لا من حيث انه منسوب الى الله بانه منه فمن غلب على قلبه انه نعمة من الله مهما شاء سلبها زال العجب بذلك عن نفسه فاذا العجب هو استعظام النعمة والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم فان انضاف الى ذلك ان غلب على نفسه ان له عند الله حقا وانه منه بمكان حتى يتوقع بعمله كرامة في الدنيا واستبعد ان يجري عليه مكروه استبعادا يزيد على استبعاده ما يجري على الفساق سمي هذا ادلالا بالعمل فكانه يرى لنفسه على الله دالة قال قتادة في قوله سبحانه ولا تمنن تستكثر اي لا تدل بعملك وفي الخبر ان صلاة المدل لا ترتفع فوق راسه ولان تضحك وانت معترف بذنبك خير من ان تبكي وانت مدل بعملك والادلال وراء العجب فلا مدل الا وهو معجب ورب معجب لا يدل فان توقع اجابة دعوته واستنكر ردها بباطنه وتعجب من ذلك كان مدلا بباطنه وتعجب من ذلك كان مدلا بعمله فهذا هو العجب والادلال وهو من مقدمات الكبر واسبابه

بيان علاج العجب على الجملة

اعلم ان علاج كل علة هو مقابلة سببها بضده وعلة العجب الجهل المحض وعلاجه المعرفة المضادة لذلك الجهل فقط فلنفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار العبد كالعبادة والصدقة والغزو والسياسة للخلق واصلاحهم فان العجب بهذا اغلب من العجب بالجمال والقوة والنسب وما لا يدخل تحت اختياره ولا يراه من نفسه فنقول الورع والتقوى والعبادة والعمل الذي به العجب انما يعجب به من حيث انه فيه وهو محله ومجراه ويجري فيه وعليه من جهة غيره فهذا جهل لان المحل مسخر ومجرى لا يدخل له في الايجاد والتحصيل فكيف يعجب بما ليس اليه فينبغي ان يتامل قدرته وارادته وسائر الاسباب التي بها تم عمله انها من اين كانت له فان كان جميع ذلك نعمة من الله من غير حق سبق له ومن غير وسيلة يدلي بها فينبغي ان يكون اعجابه بجود الله وكرمه وفضله اذ افاض عليه ما لا يستحقه واثره به من غير سابقة ووسيلة فانه مهما برز الملك لغلمانه ونظر اليهم فخلع على واحد من جملتهم لا لصفة فيه ولا لوسيلة ولا لجمال ولا لخدمة فينبغي ان يتعجب المنعم عليه من فضل الملك وحكمه وايثاره له من غير استحقاق واعجابه بنفسه من اين وما سببه فلا ينبغي ان يعجب هو بنفسه نعم يجوز ان يعجب العبد فيقول الملك الحكيم عدل لا يظلم ولا يقدم ولا يؤخر الا بسبب فلولا اني متفطن من الصفات المحمودة الباطنة ما اقتضى الايثار بالخلعة لما آثرني بها فيقال له وتلك الصفة ايضا هي من خلع الملك وعطيته التي خصصك بها من غيرك من غير وسيلة او هي عطية غيره فان كانت من عطية الملك لم يكن لك ان تعجب به بل يقول انما اعطاني غلاما لاني صاحب فرس واما غيري فلا فرس له فيقال لك وهو الذي اعطاك الفرس فلا فرق بين ان يعطيك الفرس والغلام جميعا او يعطيك احدهما بعد الاخر فاذا كان الكل منه فينبغي ان تعجب بجوده وفضله لا بنفسك وهذا

يتصور في حق الملوك ولا يتصور في حق الجبار ملك الملوك المتفرد باختراع الجميع المنفرد بخلق الموصوف والصفة فانك ان اعجبت بالعبادة وقلت وفقني للعبادة لحبي له فيقال ومن خلق الحب في قلبك فتقول هو فيقال فالحب والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتداك بهما من غير استحقاق من جهتك اذ لا وسيلة لك ولا علاقة فاذًا لا معنى لعجب العابد بعبادته وعجب العالم بعلمه وعجب الجميل بجماله وعجب الغني بغناه لان كل ذلك من فضل الله وانما هو محل لفيضان فضل الله وجوده فان قلت لا يمكنني ان اجهل اعمالي واني انا عملتها فاني انتظر عليها ثوابا ولولا انها عملي لما انتظرت الثواب عليها وان كانت الاعمال مخلوقة لله تعالى على سبيل الاختراع فمن اين لي الثواب وان كانت الاعمال مني وبقدرتي فكيف لا اعجب بها فاعلم ان جوابك من وجهين احدهما هو صريح الحق والاخر فيه مسامحة واما صريح الحق فهو انك وقدرتك وحركتك وكل ذلك من خلق الله سبحانه واختراعه فما عملت اذ عملت وما صليت اذ صليت قال الله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فهذا هو الحق الذي انكشف لارباب القلوب بمشاهدة هي اوضح من ابصار العيون بل الله خلقك وخلق اعضاك وخلق فيها القوة والقدرة والصحة وخلق لك العقل والعلم والارادة ولو اردت ان تنفي شيا من هذا عن نفسك لم تقدر عليه وايضاح ذلك وايضاح كيفية الثواب على عمل هو من خلق الله وسياتي تقريره في باب الشكر فانه اليق به فارجع اليه ونحن الان نزيل اشكالك بالجواب الثاني الذي فيه مسامحة وهو ان تحسب ان العمل حصل بقدرتك وسائر اسباب عملك ولكن ذلك من فضل الله سبحانه لا منك فان كان العمل بالقدرة والقدرة مفتاحه وهذا المفتاح بيد الله وما لم يعطك المفتاح لا يمكنك العمل والعبادات خزاين بها يتوصل الى السعادات ومفاتيحها القدرة والارادة والعمل وهو بيد الله لا محالة ارايت لو انك رايت خزاين الدنيا مجموعة في قلعة حصينة ومفتاحها بيد خازن ولو جلست حول حيطانها وعلى بابها الف سنة لم يمكنك ان تنظر شيئا من جملتها ولو اعطاك المفتاح لاخذتها من قرب بان تبسط يدك وتاخذها فاذا اعطاك الخازن المفاتيح وسلطك عليها ومكنك منها فمددت اليد واخذتها كان اعجابك باعطاء الخازن المفاتيح اولى ام بما اليك من مد اليد واخذها ولا شك انك ترى ذلك نعمة من الخازن لان المؤنة في تحريك اليد باخذ المفاتيح قريبة انما الشان كله في تسليم المفاتيح فكذلك مهما خلقت القدرة وسلطت الارادة الجازمة وحركت الدواعي والبواعث وصرفت عنك الموانع والصوارف حتى لم يبق صارف الا دفع ولا باعث الا وكل بك فالعمل هين عليك وتحريك البواعث وصرف العوايق وتهيئة الاسباب كلها من الله سبحانه وليس شيء منها اليك فمن العجائب ان تعجب بنفسك ولا تعجب بمن اليه الامر كله ولا تعجب بجوده وكرمه وفضله في ايثاره اياك على الفساق من عباده اذ سلط دواعي الفساد عليهم وصرفها عنك وسلط اخدان السوء ودعاة الشر عليهم وصرفهم عنك ومكنهم من اسباب الشهوات واللذات وزواها عنك وصرف عنهم بواعث الخير ودواعيه وسلطها عليك حتى تيسر لك الخير وتيسر لهم الشر فعل ذلك كله بك من غير وسيلة سابقة منك ولا جريمة سابقة من الفاسق العاصي بل اثرك وقدمك واصطفاك بفضله وابعد العاصي واشقاه بعدله فما اعجب اعجابك بنفسك اذ عرفت ذلك فاذا لا تنصرف قدرتك الى المقدور الا بتسليط الله سبحانه عليك داعية لا تجد سبيلا الى مخالفتها فكانه الذي اضطرك الى الفعل ان كان فاعلا تحقيقا فله الشكر والمنة وسياتي في كتاب التوحيد والتوكل من تسلسل الاسباب والمسببات ما تتبين به انه لا فاعل الا الله

ولا خالق سواه. والعجب ممن يعجب اذ رزقه الله عقلاً وافقره ممن افاض عليه المال من غير علم
فيقول كيف منعني قوت يومي وانا العاقل الفاضل، وافاض عليه نعيم الدنيا وهو الجاهل
الغافل حتى يكاد يرى هذا ظلماً اذ يقول للجاهل يا رب لم جمعت له بين العقل والغنى وحرمتني
منهما فهلا جمعتهما لي او رزقتني احدهما والى مثل هذا اشار علي رضي الله عنه
حيث قيل له ما بال العقلاء فقراء فقال ان عقل الرجل محسوب من رزقه عليه والمرأة
الحسناء الفقيرة، وترى الحلي على المرأة الدميمة القبيحة فتعجب وتقول كيف يحرم مثل هذا
الجمال من الزينة، وتخص بها مثل هذه القبيحة ولا تدري المغرورة ان الجمال محسوب عليها
من رزقها فانها لو خيرت بين الجمال مع الفقر والقبح مع الغنى لآثرت الجمال فاذن نعمة
الله عليها اكبر وقول الحكيم العاقل يا رب لم حرمتني الدنيا واعطيتها الجهال كقول
من اعطاه الملك فرساً ايها الملك لم لا تعطيني غلاماً وانا صاحب فرس فيقول له الملك
كنت لا تعجب من هذا لو لم اعطك الفرس فهب اني ما اعطيتك الفرس اصارت نعمتي عليك
وسيلة لك وحجة تطلب بها نعمة اخرى فهذه اوهام لا تخلو الجهال عنها ومنشأ جميع
ذلك الجهل ولذلك لما قال داود يا رب ما تأتي ليلة الا وانسان من آل داود قائم يصلي
ولا يأتي يوم الا وانسان من آل داود صائم وفي رواية ما تمر ساعة من ليل او نهار
الا وعابد من آل داود يعبدك اما يصلي او يصوم او يذكرك فاوحى الله اليه يا داود ومن اين
ذلك ان ذلك لم يكن الا بي ولولا عوني اياك ما قويت وساكلك الى نفسك قال ابن عباس
انما اصاب داود ما اصاب من الذنب بعجبه بعمله اذ اضاف ذلك الى آل داود مدلاً به
حتى وكل الى نفسه فاذنب ذنباً اورثه الحزن والندم وقال داود يا رب ان بني اسرائيل
يسألونك بابرهيم واسحق ويعقوب فقال الله سبحانه اني ابتليتهم فصبروا فقال يا رب
وان ابتليتني صبرت فاذن بالعمل قبل وقته فقال له ما اني لم اخبرهم باي شيء ابتليهم
ولا في اي شهر ولا في اي يوم وانا مخبرك في شهرك هذا في سنتك هذه ابتليك بامرأة فاحذر
نفسك فوقع فيما وقع فيه وكذلك لما اتكل اصحاب رسول الله صلعم يوم حنين على قوتهم وكثرتهم
ونسوا فضل الله عليهم وقالوا لا نغلب اليوم عن قلة وكلوا الى انفسهم فقال الله ويوم حنين
اذ اعجبتكم كثرتكم الى قوله مدبرين وروي عن ابن عيينة ان ايوب عليه السلام قال الهي انك
ابتليتني بهذا البلاء وما ورد علي امر الا آثرت هواك على هواي فنودي من غمامة بعشرة
آلاف صوت فنودي يا داود اني لك ذلك اي من اين لك ذلك قال فاخذ كفاً من رماد
فوضعه على رأسه فقال منك يا رب فرجع عن نسيانه واضاف ذلك الى الله سبحانه ولهذا
قال تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابداً. ولقد كان بعض الصحابة
يتمنى بعضهم ان يكون طائراً، وبعضهم يتمنى ان يكون تراباً مع صفاء اعمالهم وقلوبهم
فكيف يكون لذي بصيرة ان يعجب بعمله او يدل به ولا يخاف على نفسه فاذا هذا هو
العلاج القالع لمادة العجب من قلبه فكم من مؤمن قد ارتد ومطيع قد فسق وختم له
بالسوء وهذا العلم لا يبقى معه عجب بحال بيان اقسام ما به العجب وتفصيل
علاجه واعلم ان العجب يكون بالاسباب التي بها يتكبر كما ذكرناه وقد يعجب بما
لا يتكبر به كعجبه بالرأي الخطأ الذي يزين له بجهله فما به العجب ثمانية الاول ان يعجب ببدنه
في جماله وهيئته وصحته وقوته وتناسب خلقته واشكاله وحسن صورته وحسن صوته وبالجملة تفصيل
خلقته فيلتفت الى جمال نفسه وينسى انه نعمة من الله تعالى وهو بعرضة الزوال في
كل حال وعلاجه ما ذكرناه في الكبر بالجمال وهو التفكر في اقذار باطنه في اول امره وآخره

وفي الوجوه الجميلة والابدان الناعمة كيف تمزقت في التراب وانتنت في القبور
حتى استقذرتها الطباع. الثاني القوة والبطش كما حكي عن قوم عاد حين قالوا
من اشد منا قوة، وكما اتكل عوج على قوته واعجب بها فاقتلع جبلاً ليطبقه على عسكر
موسى فثقبه الله سبحانه حتى صار في عنقه، وقد يتكل المؤمن ايضاً على قوته كما روي
عن سليمان بن داود عليه السلام انه قال لاطوفن الليلة بمائة امرأة ولم يقل ان شاء
الله تعالى كل امرأة غلاماً الحديث فحرم ما اراده من الولد وكذلك قول داود يا رب ان
ابتليتني صبرت اعجاباً بالقوة وعلاجه ما ذكرناه، وهو ان يعلم ان حمى يوم تضعف قوته
وانه اذا اعجب بها ربما سلبها الله تعالى بادنى آفة يسلطها عليه. الثالث العجب بالعقل والكياسة
والتفطن لدقائق الامور من مصالح الدين والدنيا وثمرته الاستبداد بالرأي وترك المشورة
واستجهال الناس المخالفين له لرأيه ويخرج الى قلة الاصغاء الى اهل العلم اعراضاً عنهم بالاستغناء
بالرأي والعقل واستحقاراً لهم واهانة وعلاجه ان يشكر الله تعالى على ما رزق من العقل
ويتفكر انه بادنى مرض يصيب دماغه كيف يوسوس ويجن بحيث يضحك منه فلا يأمن
ان يسلب عقله ان اعجب به ولم يقم بشكره وليستقصر عقله وعلمه وليعلم انه ما اوتي من
العلم الا قليلاً. الرابع العجب بالنسب والشرف كعجب الهاشمية حتى يظن بعضهم انه ينجو
بسبب شرف نسبه ونجاة آبائه وانه مغفور له ويتخيل بعضهم ان جميع الخلق له موال
وعبيد وعلاجه ان يعلم انه مهما خالف آباءه في افعالهم واخلاقهم وظن انه ملحق بهم
فقد جهل وان اقتدى بآبائه فما كان من اخلاقهم العجب بل الخوف والازراء على النفس
والاستعظام للخلق ومذمة النفس ولقد شرفوا بالعلم والطاعة والخصال الحميدة لا
بالنسب فليتشرف بما شرفوا به وقد ساواهم في النسب وشاركهم في القبائل من لم يؤمن
بالله وكانوا عند الله شراً من الكلاب، واخس من الخنازير ولذلك قال الله سبحانه
يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم
عند الله اتقاكم فبين ان الشرف بالتقوى ولذلك قيل له عليه السلام من اكرم الناس فقال
من يتمنى الى نبي ولكن قال اكثرهم للموت ذكراً واشدهم له استعداداً، وانما نزلت الآية حين
اذن بلال يوم الفتح على الكعبة فقال الحرث بن هشام او سهيل بن عمرو وخالد بن اسيد
هذا العبد الاسود يؤذن فقال سبحانه ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقال عليه السلام ان الله
قد اذهب عنكم عبية الجاهلية اي كبرها كلكم بنو آدم وآدم من تراب وقال عليه السلام
يا معشر قريش لا تأتي الناس بالاعمال يوم القيامة وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم تقولون
يا محمد يا محمد فاقول هكذا وهكذا اي اعرض عنكم فبين انهم ان مالوا الى الدنيا لم ينفعهم
نسب قريش ولما انزل قوله سبحانه وانذر عشيرتك الاقربين ناداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بطناً بعد بطن حتى قال يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله
اعملا لانفسكما فاني لا اغني عنكما من الله شيئاً فمن عرف هذه الامور وعرف ان شرفه بقدر
تقواه، وقد كان من عادة آبائه التواضع، اقتدى بهم في التقوى والتواضع، والا كان
طاعناً في نسبه، فان قلت فقد قال عليه السلام بعد قوله لفاطمة وصفية
اني لا اغني عنكما من الله شيئاً الا ان لكما رحماً سابلها ببلالها وقال عليه السلام
اترجو سليم شفاعتي ولا ترجوها بنو عبد المطلب فذلك يدل على انه سيخص قرابته
بالشفاعة فاعلم ان كل مسلم فهو منتظر لشفاعته صلى الله عليه وسلم والنسيب ايضاً جدير
بان يرجوها ولكن بشرط ان يتقي الله ان يغضب عليه فلا يأذن لاحد في الشفاعة له

فان الذنوب منقسمة الى ما يوجب المقت فلا يؤذن في الشفاعة فيه والى ما يعفى عنه بسبب
الشفاعة كالذنوب عند ملوك الدنيا فان كل ذي مكانة عند الملك لا يقدر على الشفاعة
فيما اشتد فيه غضب الملك فمن الذنوب ما لا تنجي منه الشفاعة وعنه العبارة بقوله سبحانه ولا
يشفعون الا لمن ارتضى وقال سبحانه من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وبقول سبحانه
يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا واذا انقسمت الذنوب
الى ما يشفع فيها والى ما لا يشفع فيها وجب الخوف والاشفاق لا محالة ولو كان كل ذنب
تقبل فيه الشفاعة لما امر قريشا بالطاعة ولما نهى فاطمة عن المعصية ولكان يأذن لها في
اتباع الشهوات لتكمل لذتها في الدنيا ثم يشفع لها في الآخرة لتكمل لذتها في الآخرة
فالانهماك في الذنوب وترك التقوى اعتمادا على رجاء الشفاعة يضاهي انهماك المريض
في شهواته اعتمادا على طبيب حاذق قريب مشفق من اب او اخ او غيره وذلك جهل
لان سعي الطبيب وهمته وحذقه ينفع في ازالة بعض الامراض لا في كلها فلهذا ينبغي ان
يفهم عناية الشفعاء من الانبياء والصالحين للاقارب والاجانب فانه كذلك قطعا وذلك
لا يزيل الخوف والحذر وكيف يزيله وخير الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وقد
كانوا يتمنون انهم لم يكونوا بهائم من خوف الآخرة مع كمال تقواهم وحسن اعمالهم وصفاء قلوبهم
وما سمعوه من وعد رسول الله اياهم بالجنة خاصة ولسائر المسلمين بالشفاعة عامة الخامس
من العجب بنسب السلاطين الظلمة واعوانهم دون نسب الدين والعلم وهذا غاية الجهل وعلاجه
ان يتفكر في مخازيهم وما جرى لهم من الظلم لعباد الله والفساد في دين الله وانهم ممقوتون
عند الله ولو نظروا الى صورهم في النار وانتانهم واقذارهم لاستنكفوا منهم ولتبرؤوا من
الانتساب اليهم ولا نكروا على من نسبهم اليهم استقذارا لهم واستقباحا واستنكافا
ولو انكشف لهم ذلهم في القيمة وقد تعلق الخصماء بهم والملائكة آخذون بنواصيهم
يجرونهم على وجوههم في مظالم العباد لتبرؤوا الى الله منهم ولكان انتسابه الى الكلب و
الخنزير احب اليه من الانتساب اليهم فحق اولاد الظلمة ان عصمهم الله من ظلمهم ان يشكروا الله
على سلامة دينهم ويستغفروا لآبائهم ان كانوا مسلمين فاما العجب بنسبهم فجهل محض

السادس من العجب بكثرة العدد من الاولاد والخدم والغلمان والعشيرة والاقارب والانصار
والاتباع كما قال الله اخبارا عن الكافرين قالوا نحن اكثر اموالا واولادا وكما قال المؤمنون لا نغلب اليوم
عن قلة وعلاجه ما ذكرناه في الكبر وهو ان يتفكر في ضعفه وضعفهم وان كلهم عبيد عجزة لا يملكون
لانفسهم ضرا ولا نفعا وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ثم كيف يعجب بهم وانهم
سيتفرقون عنه اذا مات فيدفن في قبره ذليلا مهينا وحده لا يرافقه ولد ولا اهل ولا قريب
ولا حميم ولا عشير فيسلمونه الى البلى والعقارب والديدان والحيات ولا يغنون عنه شيئا
وذلك احوج اوقاته اليهم وكذلك يهربون عنه يوم القيمة يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه
وصاحبته وبنيه فاي خير فيمن يفارقك في اشد احوالك ويهرب منك عند حاجتك اليه
قال الله سبحانه حكاية عن صاحب الجنتين اذ قال انا اكثر منك مالا واعز نفرا ورأى عليه
السلام رجلا غنيا جالسا الى جنبه فقير فانقبض عنه وجمع ثيابه فقال اخشيت ان يعدو
اليك فقره وذلك العجب بالغنى وعلاجه بان يتفكر في آفات المال وكثرة حقوقه وعظم
غوائله وفي فضيلة الفقراء وسبقهم الى الجنة والى قوله عليه السلام بينا رجل يتبختر في حلة
قد اعجبته نفسه اذ امر الله الارض فاخذته فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة اشارة الى عقوبة
اعجابه بنفسه وماله وقال ابو ذر كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد ثم قال

الي ارفع رأسك فرفعت رأسي فاذا رجل عليه ثياب جياد ثم قال لي ارفع رأسك فرفعت
رأسي فاذا رجل عليه خلقان فقال يا ابا ذر هذا عند الله خير من قراب الارض مثل هذا
وجميع ما ذكرناه في كتاب الزهد وكتاب ذم الدنيا يبين حقارة الاغنياء وشرف الفقراء
عند الله فكيف يتصور من المؤمن ان يعجب بثروته الثامن العجب بالرأي الخطأ قال الله تعالى
افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا وقال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وقد اخبر
عليه السلام ان ذلك يغلب على آخر الامة وبذلك هلكت الامم اذ افترقوا فرقا وكل معجب
برأيه كل حزب بما لديهم فرحون وجميع اهل البدع والضلال انما اصروا على البدع لعجبهم
بآرائهم لان صاحب الرأي الخطأ جاهل بخطائه ولو عرفه لتركه ولا يعالج الداء الذي لا يعرف
والجهل داء لا يعرف فتعسر مداواته جدا لان العارف يقدر ان يبين للجاهل
جهله ويزيله عنه الا اذا كان معجبا برأيه وجهله فانه لا يصغي الى العارف ويتهمه فقد
سلط الله عليه بلية تهلكه وهو يظنها نعمة فكيف يمكن علاجه وكيف يطلب الهرب
مما هو سبب سعادته وانما علاجه على الجملة ان يكون متهما لرأيه ابدا لا يغتر به
الا ان يشهد له قاطع من كتاب الله او سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم او دليل صحيح عقلي
جامع لشروط الادلة ولن يعرف الانسان ادلة الشرع والعقل وشروطها الا بقريحة تامة
وعقل ثابت وجد وتشمر في الطلب وممارسة الكتاب والسنة ومجالسة لاهل العلم
طول العمر وتتبع سنة السلف ويؤمن بمجمل ما جاء به الكتاب والسنة من غير بحث وتفصيل
بل يقول آمنا وصدقنا ويشتغل بالتقوى واجتناب المعاصي واداء الطاعات والشفقة
على المسلمين واما الذي عزم على العلم فادل مهم له معرفة الدليل وشروطه وذلك مما يطول
الامر فيه والوصول الى اليقين والمعرفة في اكثر المطالب شديد لا يقدر عليه الا الاقوياء المؤيدون
بنور الله وذلك عزيز الوجود جدا فنسأل الله العصمة من الضلال ونعوذ به من الاغترار
بخيالات الجهال

كتاب ذم الغرور

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي بيده مقاليد الامور ومفاتيح
الخيرات والشرور مخرج اوليائه من الظلمات الى النور ومورد اعدائه دركات الغرور
والصلاة على محمد مخرج الخلائق من الديجور وعلى آله واصحابه الذين لم تغرهم الحياة
الدنيا ولم يغرهم بالله الغرور صلاة تتوالى على ممر الدهور وتتكرر بتكرر الساعات
والشهور **اما بعد** فمفتاح السعادة التيقظ والفطنة ومنبع الشقاوة
الغرور والغفلة فلا نعمة لله على عباده اعظم من الايمان والمعرفة ولا وسيلة اليه
سوى انشراح الصدور بنور اليقين والبصيرة ولا نقمة اعظم من الكفر والمعصية ولا
داعي اليهما سوى عمى القلب بظلمة الجهالة والاكياس ارباب البصائر قلوبهم كمشكاة فيها
مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة
لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره
من يشاء والمغترون قلوبهم كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه
سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا
فما له من نور والمغترون هم الذين اراد الله ان يضلهم فجعل صدورهم ضيقة حرجا
كانما يصعد في السماء فاذا عرفت ان الغرور هو ام الشقاوات ومنبع المهلكات فلا
بد من شرح مداخله ومجاريه وتفصيلها ليحذره المريد بعد معرفته فيتقيه
ونحن نشرح اجناس مجاري الغرور واصناف المغترين من العصاة والعلماء والصالحين

الناس اغتروا بمبادي الامور الجليلة الجميلة ظواهرها القبيحة سرائرها ونشير الى
وجه اغترارهم بها وغفلتهم عنها وفرق المغترين كثيرة ولكن يجمعهم اربعة
اصناف الصنف الاول من العلماء الصنف الثاني من العباد الصنف الثالث من المتصوفة
الصنف الرابع من ارباب الاموال والمغترون من كل صنف فرق كثيرة وجهات
غرورهم مختلفة فمنهم من راى المنكر معروفا كالذي يتخذ المساجد ويزخرفها
من المال الحرام ومنهم من لم يميز بين ما يسعى فيه لنفسه وبين ما يسعى فيه لله
كالواعظ الذي غرضه القبول والجاه ومنهم من يترك اللباب ويشتغل بالقشر
كالذي يكون همه في الصلاة مقصورا على تصحيح مخارج الحروف الى غيره ذلك من مداخل
الغرور التي لا تنقشع الا بتفصيل الفرق وضرب الامثلة فلنبدا بذكر غرور العلماء

بعد بيان ذم الغرور وبيان حقيقته ومحله

بيان ذم الغرور وحقيقته وامثلته

اعلم ان قوله سبحانه فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور
وقوله تعالى ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني حتى جاء امر الله وغركم
بالله الغرور كاف في ذم الغرور وقد قال عليه السلام حبذا نوم الاكياس و
فطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى و
يقين افضل من ملء الارض من المغترين وقال عليه السلام الكيس من دان نفسه
وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني وكل ما ورد في
فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم الغرور لان الغرور عبارة عن بعض انواع الجهل
وكان السبب الموجب للجهل شبهة وخيالا فاسدا يظن انها دليل ولا يكون دليلا
فالغرور هو سكون النفس الى ما يوافق الهوى ويميل اليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان
ومن اعتقد انه على خير اما في العاجل واما في الاجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور
فاكثر الناس يظنون بانفسهم الخير وهم مخطئون فيه فاكثر الناس اذن مغرورون
وان اختلفت اصناف غرورهم المثال الاول غرور الكفار فمنهم من غرته الحيوة
الدنيا ومنهم من غره بالله الغرور اما الذين غرتهم الحياة الدنيا فهم الذين قالوا النقد خير من النسيه
والدنيا نقد والاخرة نسيئة فاذا هي خير فلا بد من ايثارها وقالوا اليقين خير من الشك
ولذات الدنيا يقين ولذات الاخرة شك فلا نترك اليقين بالشك وهذه اقيسة فاسدة
تشبه قياس ابليس اذ قال انا خير منه الايه والى هولاء الاشارة بقوله تعالى اولئك الذين
اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة الايه وعلاج هذا الغرور اما بتصديق الايمان واما بالبرهان
اما التصديق بمجرد الايمان فهو ان تصدق الله سبحانه في قوله وما عند الله خير وابقى وقوله
وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور وقد اخبر عليه السلام بذلك طوائف من الكفار فقلدوه
وصدقوه وامنوا به ولم يطالبوه بالبرهان ومنهم من قال انشدك الله ابعثك الله رسولا
فكان يقول نعم فيصدق وهذا ايمان العامة اما المعرفة بالبيان والبرهان فهو ان يعرف
فساد هذا الوجه وهذا القياس الذي نظمه في قلبه الشيطان فان كل مغرور فلغروره سبب
وذلك السبب هو دليل وكل دليل فهو نوع قياس يقع في النفس ويورث السكون اليه
وان كان صاحبه لا يشعر به والقياس الذي نظمه الشيطان فيه اصلان احدهما قوله ان
الدنيا نقد والاخرة نسيئة وهذا صحيح والاخر قوله ان النقد خير من النسيئة وهذا
محل التلبيس فليس الامر كذلك بل ان كان النقد مثل النسيئة في المقدار والمقصود فهو
خير وان كان اقل منه فالنسيئة خير فان هذا الكافر المغرور يبذل في تجارته درهما

ليأخذ عشرة نسيئة ولا يقول النقد خير من النسيئة فلا اتركها واذا حذره الطبيب الفواكه
ولذائذ الاطعمة ترك ذلك في الحال خوفا من الم المرض في المستقبل فقد ترك النقد ورضي
بالنسيئة فان لذة الدنيا من حيث مدتها الى مدة الاخرة اكثر بحاق العدد فان اقصى
عمر الانسان مائة سنة وليس هو عشر عشير جزء من الف جزء من الاخرة فكانه ترك واحدا
لياخذ الف الف بل لياخذ ما لا نهاية له وهذا الجزء متناه لتقطع عام مشهور اطلاق
واريد به خاص فان من قال النقد خير من النسيئة انما اراد به خير من نسيئة هو مثلها
وان لم يصرح به وعند هذا يفزع الشيطان الى القياس الاخر وهو قوله ان اليقين خير من
الشك والاخرة شك وهذا القياس اكثر فسادا من الاول لان كلا اصليه باطل اذ اليقين
خير من الشك اذا كان مثله والا فالتاجر في تعبه على يقين وفي ربحه على شك والمتفقه
في اجتهاده على يقين وفي ادراكه رتبة العلم على شك وكذلك الحازم واسم العقلاء
باتفاق وكل ذلك ترك اليقين بالشك والمريض يشرب الدواء البشع الكريه وهو من
الشفاء على شك ومن مرارة الدواء على يقين فكذلك من يشك في الاخرة فواجب عليه
بحكم الحزم ان يقول ايام الصبر قلائل وهو منتهى العمر قريب بالاضافة الى ما يقال من
امر الاخرة فان كان ما قيل فيه كذبا فما يفوتني الا التنعم ايام حياتي وقد كنت في العدم
من الازل الى الان لا اتنعم فاحسب اني بقيت في العدم وان كان ما قيل صدقا فابقى
في النار ابد الاباد وهذا ما لا يطاق ولذلك قال علي لبعض الملحدين ان كان ما
قلت حقا فقد تخلصت وتخلصنا وان كان ما قلناه باطلا فقد تخلصنا وهلكت وما
قال هذا عن شك منه في الاخرة ولكن كلم الملحد على قدر عقله وبين له انه وان لم يكن
متيقنا فهو مغرور واما الاصل الثاني من كلامه وهو ان الاخرة شك فهو ايضا خطا
بل ذلك يقين عند المؤمنين وليقينه مدركان احدهما الايمان والتصديق تقليدا
للانبياء والعلماء وذلك ايضا يزيل الغرور وهو مدرك يقين العوام واكثر الخواص و
مثالهم مثال مريض لا يعرف دواء علته وقد اتفق الاطباء واهل الصناعة على ان دواءه
النبت الفلاني فانه يطمئن نفس المريض الى تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك
بالبراهين الطبية بل يثق بقولهم ويعمل به ولو اخبره سوادي او معتوه بخلاف ذلك
فانه يعلم بالتواتر وقرائن الاحوال انهم اكثر منه عددا واغزر منه فضلا واعلم
بالطب فيعلم كذبه بقولهم وكذلك من نظر الى المعترفين بالاخرة والمخبرين عنها
القائلين بان التقوى هو الدواء النافع في الوصول الى سعادتها وجدهم خير خلق الله
واعلى رتبة في البصيرة والمعرفة والعقل وهم الانبياء والحكماء والعلماء ومن اتبعهم
على ذلك الخلق على اصنافهم وشذ منهم احاد من البطالين غلبت عليهم الشهوة فنفرت
عليهم ترك الشهوات وعظم عليهم الاعتراف بانهم من اهل النار فجحدوا الاخرة وكذبوا
الانبياء فكما ان قول الصبي السوادي والصبي المعتوه لا يزيل طمانينة القلوب الى ما اتفق
عليه الاطباء فكذلك قول هذا الغبي الذي استرقته الشهوات لا يشكك في صحة
اقوال الانبياء والعلماء وهذا القدر من الايمان كاف لجملة الخلق وهو يقين جازم يستحث
على العمل لا محالة ويزيل الغرور به اما المدرك الثاني لمعرفة الاخرة فهو الوحي والالهام
فالوحي للانبياء والالهام للاولياء ولا تظنن ان معرفة النبي صلى الله عليه وسلم لامر الاخرة
ولامور الدين تقليد لجبريل بالسماع منه كما ان معرفتك تقليد للنبي صلى الله عليه وسلم حتى
تكون معرفتك كمعرفته هيهات فان التقليد ليس بمعرفة بل هو اعتقاد صحيح والانبيا

عليهم السلام عارفون ومعنى معرفتهم انهم كشف لهم عن حقيقة الاشياء على ما هي عليه
فشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما تشاهد انت المحسوسات بالبصيرة الظاهرة فيخبرون
عن مشاهدة لا عن سماع وتقليد وذلك بان يكشف لهم عن حقيقة الروح وانه من امر
الله وليس المراد بكونه من امر الله الامر الذي يقابل النهي لان ذلك الامر كلام والروح ليس
بكلام وليس المراد بالامر الشان حتى يكون المراد به انه من خلق الله فقط لان ذلك عام
في جميع المخلوقات بل العالم عالمان عالم الامر وعالم الخلق ولله الخلق والامر فالاجسام
ذوات الكمية والمقادير من عالم الخلق اذ الخلق عبارة عن التقدير في وضع اللسان فكل
موجود منزه عن الكمية والمقدار فانه من عالم الامر وشرح ذلك سر الروح ولا رخصة في
ذكره لاستضرار اكثر الخلق بسماعه فمن عرف سر الروح فقد عرف نفسه ومن عرف نفسه
عرف ربه وعرف انه امر رباني بطبعه وفطرته وانه في العالم الجسماني غريب وان
هبوطه اليه لم يكن لمقتضى طبعه في ذاته بل بامر عارض وذلك العارض ورد على قالب آدم
عليه السلام وعبر عنه بالمعصية وهي التي حطته عن الجنة التي هي اليق به بمقتضى ذاته
فانها في جوار الرب سبحانه وانه امر رباني وحنينه الى جوار الرب لطبعه ذاتي الا ان
يصرفه عن مقتضى طبعه عوارض العالم الغريب فينسى عند ذلك نفسه وربه ومهما فعل
ذلك فقد ظلم نفسه اذ قيل له ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم وهذه اشارة
الى اسرار تهتز لاستنشاق روائحها العارفون وتشمئز عن سماع الفاظها القاصرون
فانهم تضرهم كما تضر رياح الورد بالجعل وتبهر ابصارهم الضعيفة كما تبهر الشمس
ابصار الخفافيش وانفتاح هذا الباب من سر القلب الى عالم الملكوت يسمى معرفة وولاية
ويسمى صاحبه وليا وعارفا وهي مبادي مقامات الانبياء صلوات الله عليهم واخر مقامات
الاولياء اول مقامات الانبياء ولنرجع الى الغرض المقصود ان غرور الشيطان بان الاخرة
شك يدفع اما بيقين تقليدي واما ببصيرة ومشاهدة من جهة الباطن والمؤمنون بالسنتهم
وبعقائدهم اذا ضيعوا اوامر الله وهجروا الاعمال الصالحة ولابسوا الشهوات والمعاصي فهم
مشاركون للكفار في هذا الغرور لانهم اثروا الحياة الدنيا على الاخرة نعم امرهم اخف لان
اصل الدين يعصمهم من عذاب الابد يخرجون من النار ولو بعد حين قال الله تعالى الغفران
قال تعالى واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى وقال ان رحمة الله قريب من
المحسنين ثم قال عليه السلام اعبد الله كانك تراه فوعد المغفرة في كتاب الله منوط بالايمان والعمل
الصالح جميعا لا بالايمان وحده فهؤلاء ايضا مغرورون اعني المطمئنين الى الدنيا الفرحين بها
المترفهين بنعيمها المحبين لها الكارهين للموت خيفة فوات لذات الدنيا فهذا امثال الغرور بالدنيا
من الكفار والمؤمنين جميعا ولنذكر للغرور بالله مثالين من غرور الكافرين والعاصين
فاما غرور الكافرين بالله فمثاله قول بعضهم في انفسهم وبالسنتهم انه لو كان لله معاد
فنحن احق به من غيرنا ونحن اوفر حظا فيه واسعد حالا كما اخبر الله عن قول الرجلين المتحاورين
اذ قال وما اظن الساعة قائمة الاية وجملة امرهما كما ذكر في التفسير ان الكافر منهما بنى قصرا
بالف دينار وفي ذلك عظة المؤمن ويقول له بنيت قصرا يخرب ويفنى الا اشتريت قصرا
في الجنة واشتريت بستانا يخرب ويفنى الا اشتريت بستانا في الجنة لا يفنى وخدما
لا يفنون ولا يموتون وزوجة من الحور العين لا تموت وفي ذلك يرد عليه الكافر ويقول
ما هناك شيء وما قيل من ذلك فهو احاديث وان كان ليكونن لي في الاخرة خير من ذلك

ولذلك وصف الله سبحانه قول العاص بن وائل لاوتين مالا وولدا قال تعالى ردا عليه
اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا روي عن خباب بن الارت انه قال كان لي على
العاص بن وائل دين فجئت اتقاضاه فلم يقض لي فقلت اني اخذه في الاخرة فقال
اذا صرت الى الاخرة كان لي ثم مال وولد اقضيك فانزل الله قوله افرايت الذي كفر
باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا الاية وقال سبحانه ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء
مسته ليقولن هذا لي وهذا كله من الغرور بالله وسببه قياس من اقيسة ابليس و
ذلك انهم ينظرون مرة الى نعم الله عليهم في الدنيا فيقيسون عليها نعمة الاخرة كما حكى
الله عنهم من قولهم لولا يعذبنا الله بما نقول الاية ومرة ينظرون الى المؤمنين وهم فقراء
شعث غبر فيزدرون بهم ويستحقرونهم ويقولون اهؤلاء من الله عليهم من بيننا و
يقولون لو كان خيرا ما سبقونا اليه وترتيب القياس الذي نظم في قلوبهم انهم قالوا قد
احسن الله الينا بنعيم الدنيا وكل محسن محب وكل محب فانه محسن في المستقبل ايضا
كما قال الشاعر * لقد احسن الله فيما مضى * كذلك يحسن فيما بقي *
وانما يقيس المستقبل على الماضي بواسطة الكرامة والحب اذ يقول لولا اني كريم عند
الله ومحبوب لما احسن الي والتلبيس تحت ظنه ان كل محسن محب فقد اغتر بالله اذ ظن
انه كريم عند الله بدليل لا يدل على الكرامة ومثال ان يكون عند الرجل عبدان صغيران
يبغض احدهما ويحب الاخر فالذي يحبه يمنعه من اللعب ويلزمه المكتب ويحبسه فيه
ليعلمه الادب ويمنعه من الفواكه وملاذ الاطعمة التي تضره ويسقيه الادوية التي
تنفعه والذي يبغضه يهمله ليعيش كيف يريد فيلعب ولا يدخل المكتب وياكل كل
ما يشتهي فيظن هذا العبد المهمل انه عند سيده محبوب كريم لانه مكنه من اللعب
ومن لذاته وشهواته ولم يحجر عليه وذلك محض الغرور وكذا نعم الدنيا فانها مهلكات ومبعدات
عن الله سبحانه فان الله يحمي عبده المؤمن وهو يحبه كما يحمي احدكم مريضه عن الطعام والشراب
وهو يحبه كذا ورد في الخبر * وكان ارباب البصائر اذا اقبلت عليهم الدنيا حزنوا وقالوا
ذنب عجلت عقوبته * وراوا ذلك امارة المقت والاهمال واذا اقبل الفقر قالوا مرحبا
بشعار الصالحين * والمغرورون اذا اقبلت عليهم الدنيا ظنوا انها كرامة واذا صرفت
عنهم ظنوا انها هوان * كما اخبر الله عنه فقال فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه
الى قوله كلا يعني ان ذلك غرور * قال الحسن كذبهما جميعا بقوله كلا ليس هذا بكرامتي
ولا هذا بهواني ولكن الكريم من اكرمته بطاعتي غنيا كان او فقيرا والمهان من
اهنته بمعصيتي غنيا كان او فقيرا * وقد قال الله سبحانه ايحسبون انما نمدهم به
من مال وبنين الاية وقال سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال فتحنا عليهم
ابواب كل شيء الاية انهم كلما احدثوا ذنبا احدثت لهم نعمة ليزداد غرورهم وقال
تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما الى غير ذلك مما ورد في كتاب الله وسنته فمن امن به
تخلص من هذا الغرور * فان منشا هذا الغرور الجهل بالله وبصفاته فان من عرفه
لا يامن مكره ولا يغتر به * وينظر الى فرعون وقارون والى ملوك الارض كيف احسن اليهم
ابتداء ثم دمرهم تدميرا * وقد حذر الله مكره واستدراجه فقال سبحانه فلا يامن مكر
الله الا القوم الخاسرون * وقال ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف
كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين * وقال سبحانه انهم يكيدون كيدا
واكيد كيدا فمهل الكافرين امهلهم رويدا * فكما لا يجوز للعبد المهمل ان يستدل باهمال

السيد اياه وتمكينه من التنعم على حب السيد بل ينبغي ان يحذر ان يكون مكرا منه مع ان
السيد لم يحذره مكر نفسه فبان يحذر ذلك في حق الله مع تحذيره استدراجه اولى فاذن
من امن مكر الله مغرور * المثال الثالث غرور العصاة من المؤمنين بقولهم ان الله كريم
وانا نرجوا عفوه واتكالهم على ذلك واهمالهم الاعمال وظنهم ان الرجا مقام محمود في
الدين وان نعم الله واسعة ورحمته شاملة وكرمه عميم * واين معاصي العباد في بحار
رحمته وانا موحدون فنرجوه بوسيلة الايمان * وانما كان مستند رجائهم التمسك
بصلاح ابائهم كاغترار العلوية بنسبهم ومخالفتهم سيرة ابائهم في الخوف والتقوى
والورع فقياس الشيطان للعلوية * ان من احب انسانا احب اولاده وان الله سبحانه
قد احب اباكم فيحبكم فلا تحتاجون الى الطاعة * وينسى المغرور ان نوحا عليه السلام
اراد ان يستصحب ولده في السفينة فقال ان ابني من اهلي فقيل انه ليس من اهلك انه
عمل غير صالح وان ابرهيم عليه السلام استغفر لابيه فلم ينفعه وان نبينا عليه السلام
استاذن في ان يزور قبر امه ويستغفر فاذن له في الزيارة ولم ياذن له في الاستغفار
فجلس يبكي على قبرها لرقته لها بسبب القرابة فهذا ايضا اغترار بالله وذلك لان الله يحب
المطيع ويبغض العاصي وكما انه لا يبغض الاب المطيع ببغضه لولده العاصي فكذلك
لا يحب الولد العاصي بحبه لوالده المطيع ولو كان الحب يسري من الاب الى الولد لاوشك ان
يسري البغض ايضا بل الحق ان لا تزر وازرة وزر اخرى ومن ظن انه ينجو بتقوى ابيه
فهو كمن ظن انه يشبع باكل ابيه ويروى بشرب ابيه ويصير عالما بعلم ابيه فالتقوى فرض عين
فلا يجزي فيه والد عن ولده شيا * فان قلت فاين الغلط في قول العصاة والفجار ان الله كريم
وانا نرجو مغفرته ورحمته فان هذا الكلام صحيح مقبول في القلوب * فاعلم ان الشيطان
لا يغوي الانسان الا بكلام مقبول الظاهر مردود الباطن ولولا حسن ظاهره لما انخدعت
به القلوب ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كشف ذلك الغرور * فقال الكيس من دان نفسه وعمل
لما بعد الموت * والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني وهذا هو التمني على
الله غير الشيطان اسمه فسماه رجاء حتى خدع به الجهال * وقد شرح الله الرجا فقال
ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله يعني ان الرجا
بهم يليق وهذه الاية ذكر ان الاخرة اجر وجزاء على الاعمال * قال الله تعالى وانما توفون
اجوركم يوم القيمة افترى ان من استوجر على اصلاح اوان وشرط له اجرة عليها وكان الشارط
كريما يفي بالوعد ولا يخلف بل يزيد فجاء الاجير وكسر الاواني وافسد جميعها ثم جلس ينتظر
الاجرة وزعم ان المستاجر كريم لا يخلف الوعد افيراه العقلاء في انتظاره متمنيا مغرورا او راجيا
وهذا جهل بالفرق بين الرجا والغرور * قيل للحسن قوم يقولون نرجو الله ويضيعون العمل
فقال هيهات هيهات تلك امانيهم يترجحون فيها من رجا شيا طلبه * ومن خاف من شيء هرب
منه وكما ان الذي يرجو في الدنيا ولدا وهو بعد لم ينكح او نكح ولم يجامع او جامع ولم ينزل
فهو معتوه فكذلك من رجا رحمة الله ولم يؤمن او امن ولم يعمل صالحا او عمل صالحا ولم
يترك المعاصي فهو مغرور وكذلك اذا وطئ فانزل بقي مترددا في امر الولد يخاف ويرجو
فضل الله في خلق الولد ودفع الافات عن الرحم وعن الام الى ان يتم فكذلك اذا امن
وعمل الصالحات وترك السيئات بقي مترددا بين الخوف والرجا يخاف ان لا يقبل منه وان لا يدوم
عليه وان يختم له بالسوء ويرجو من فضل الله ان يثبته بالقول الثابت ويحفظ دينه
من صواعق سكرات الموت حتى يموت على التوحيد ويحرس قلبه عن الميل الى الشهوات

بقية عمره حتى لا يميل الى المعاصي فهو اذا كيس ومن عدا هؤلاء فهم المغرورون بالله فسوف
يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا * ولتعلمن نباه بعد حين وعند ذلك يقولون
كما اخبر الله عنهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون * فقد علمنا
الان صدقك في قولك * وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه
الجزاء الاوفى * وكلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير * قالوا بلى الم نسمعكم
سنة الله في عباده * انه توفى كل نفس ما كسبت * وان كل نفس بما كسبت رهينة * فما الذي
غركم بربكم * بعد ان سمعتم وعقلتم * وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير *
فان قلت فاين مظنته وموضعه المحمود * فاعلم انه محمود في موضعين احدهما
في حق العاصي المنهمك * اذا خطرت له التوبة فقال له الشيطان واني تقبل توبتك
فيقنطه من رحمة الله * فيجب عند ذلك ان يقمع القنوط * بالرجا فيتذكر ان الله كريم يقبل
التوبة عن عباده * وان التوبة طاعة تكفر الذنب * قال الله سبحانه يا عبادي الذين
اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور
الرحيم * وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان ياتيكم * وقال تعالى واني لغفار لمن تاب
وامن وعمل صالحا ثم اهتدى * فاذا توقع المغفرة على التوبة فهو راج * وان توقع المغفرة
مع الاصرار فهو مغرور * الثاني ان تفتر نفسه عن فضائل الاعمال ويقتصر على الفرايض
فيرجي نفسه نعيم الله وما وعد به الصالحين * حتى ينبعث من الرجا نشاط العبادة فيقبل
على الفضائل ويتذكر قوله سبحانه قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الى قوله
الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون * فالرجا الاول يقمع القنوط المانع من التوبة والرجا
الثاني يقمع الفتور المانع من النشاط والتشمير فكل توقع حث على توبة وعلى تشمير
في العبادة فهو رجاء وكل توقع اوجب فتورا في العبادة وركونا الى البطالة فهو
غرور كما اذا خطر له ان يترك الذنب ويشتغل بالعمل فيقول له الشيطان ما لك تتعب
نفسك وتعذبها ولك رب كريم غفور رحيم * فيفتر بذلك عن التوبة والعبادة فهو
الغرور وعند هذا واجب على العبد ان يستعمل الخوف فيخوف نفسه بغضب الله وعظم
عقابه ويقول انه مع انه غافر الذنب شديد العقاب وانه تعالى مع كرمه خلد الكفار في النار
ابد الاباد مع انه لا يضره كفرهم بل سلط العذاب والمحن والامراض والعلل والفقر
والجوع على جملة من عباده في الدنيا وهو قادر على ازالتها * فمن هذه سنته في عباده
وقد خوفني عقابه كيف لا اخافه وكيف اغتر به * فالخوف والرجا قائدان وسائقان
يبعثان على العمل * وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم وذكر ان الغرور سيغلب على اخر هذه
الامة وقد كان ما اخبر عليه السلام فقد كان الناس في الاعصار الاول
يواظبون على العبادات * ويؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة * يخافون على انفسهم وهم
طول الليل والنهار في طاعة الله * يبالغون في التقوى * والحذر من الشبهات والشهوات
ويبكون على انفسهم في الخلوات واما الان فترى الناس امنين مسرورين مطمئنين
غير خائفين مع اكبابهم على المعاصي وانهماكهم في الدنيا * واعراضهم عن الله زاعمين
انهم واثقون بكرم الله وفضله وراجون لمغفرته وعفوه * يزعمون انهم قد عرفوا من كرم
الله وعفوه ما لا يعرفه الانبياء والصحابة والسلف الصالحون رضي الله عنهم فان كان هذا
الامر يدرك بالتمني وينال بالهوينا فعلى ماذا كان بكاء اولئك وخوفهم وحزنهم وقد ذكرنا
تحقيق هذه الامور في كتاب الخوف والرجا * وقد قال عليه الصلاة والسلام ياتي على الناس

زمان يخلق فيه القرآن في قلوب الرجال كما تخلق الثياب على الابدان يكون امرهم كله
طمعا لا خوف فيه ان احسن احدهم قال يتقبل مني وان اساء قال يغفر لي فاخبر انهم
يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخويفات القرآن وبما فيه وبذلك خبر سبحانه
عن النصارى اذ قال فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى
ويقولون سيغفر لنا وقال سبحانه ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد والقرآن من
اوله الى آخره تحذير وتخويف ولا يتفكر فيه متفكر الا ويطول حزنه ويعظم خوفه ان كان
مومنا بما فيه وترى الناس يهذونه هذا يحرصون على اخراج الحروف من مخارجها ويتنا
ظرون على رفعها ونصبها وخفضها كانهم يقرءون شعرا من اشعار العرب لا يهمهم الالتفات
الى معانيه والعمل بما فيه وهل في العالم غرور يزيد على هذا فهذه امثلة لغرور
بالله سبحانه فبان الفرق بين الرجاء والغرور ومنهم من يظن ان طاعاته اكثر من معاصيه
لانه لا يحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه واذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذي
يستغفر الله بلسانه او يسبح في اليوم مائة مرة ثم يغتاب المسلمين ويمزق اعراضهم
ويتكلم بما لا يرضاه الله طول النهار من غير حصر وعدد ويكون نظره الى عدد
تسبيحاته انه استغفر مائة مرة وغفل عن هذيانه طول نهاره الذي لو كتبها لكانت
مثل تسبيحه مائة مرة واوعد الحساب على كل كلمة فقال تعالى ما يلفظ من قول الا
لديه رقيب عتيد فهو ابدا يلتفت الى فضائل التسبيحات ولا يلتفت الى ما ورد في
عقوبة المغتابين والكذابين والنمامين الى غير ذلك من آفات اللسان وذلك محض الغرور
فيا عجبا لمن يحاسب نفسه ويحتاط خوفا على قيراط يفوته من الاجر ولا يحتاط خوفا
من فوات الفردوس الاعلى ونعيمها ما هذه الا مصيبة عظيمة لمن تفكر فيها فقد دفعنا
الى امر ان شككنا فيه كنا من الكفرة الجاحدين وان صدقنا به كنا من الحمقا المغرورين
فما هذه اعمال من يصدق بما جاء به القرآن وانا نتبرأ الى الله ان نكون من اهل الكفران
فسبحان من صدنا عن التنبه واليقين مع هذا البيان وما اجدر من يقدر على تسليط
مثل هذه الغفلة والغرور على القلوب ان يخشى ويتقى ولا يغتر به اتكالا على اباطيل المنى
وتعاليل الشيطان والهوى

بيان اصناف المغترين واقسام كل صنف من الاصناف

الصنف الاول اهل العلم والمغترون منهم فرق ففرقة منهم احكمت العلوم العقلية
والشرعية وتعمقوا فيها واشتغلوا بها واهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصي و
الزامها الطاعات واغتروا بعلمهم وظنوا انهم عند الله بمكان وانهم قد بلغوا من العلم
مبلغا لا يعذب الله مثلهم بل يقبل في الخلق شفاعتهم فانه لا يطالبهم بذنوبهم و
خطاياهم لكرامتهم على الله وانهم مغرورون فانهم لو نظروا بعين البصيرة لعلموا ان
العلم علمان علم معاملة وعلم مكاشفة وعلم المكاشفة هو العلم بالله سبحانه وبصفاته
وهو المسمى بالعادة علم المعرفة فاما علم المعاملة فكمعرفة الحلال والحرام ومعرفة اخلاق
النفس المذمومة واخلاقها المحمودة وكيفية علاجها فالقرآن منها فهي علوم لا تراد الا
للعمل ولولا الحاجة الى العمل لم يكن لهذه العلوم قيمة **مثال هذا** مثال مريض
به علة لا يزيلها الا دواء مركب من اخلاط كثيرة لا يعرفها الا حذاق الاطباء فسعى في طلب
الطبيب بعد ان هاجر عن وطنه حتى عثر على طبيب حاذق فعلمه الدواء وفصل له الاخلاط
وانواعها ومقاديرها ومعادنها التي منها تجتلب وعلمه كيفية دق كل واحد منها

وكتب به نسخة جيدة بخط حسن ورجع الى بيته واخذ يكررها ويقرؤها ويعلمها المرضى
ولم يشتغل بشربها واستعمالها افترى ان ذلك يغني عن مرضه شيئا هيهات لو كتب منه
الف نسخة وعلمها الف مريض حتى يشفى جميعهم وكررها كل ليلة الف مرة لم يغن ذلك
من مرضه شيئا الا ان يزن الذهب ويشتري الدواء ويخلطه كما تعلم ويشربه ويصبر على
مرارته ويكون شربه بعد تقديم الاحتماء وجميع شروطه فاذا فعل جميع ذلك فهو على خطر
من شفائه فكيف اذا لم يشربه اصلا فمهما ظن ان ذلك يكفيه ويشفيه فهو مغرور
وهكذا الفقيه الذي احكم علم الطاعات ولم يعملها واحكم علم الاخلاق المحمودة
ولم يتصف بها واحكم علم المعاصي والاخلاق المذمومة ولم يجتنبها فهو مغرور اذ قد قال
سبحانه قد افلح من زكاها ولم يقل قد افلح من تعلم كيفية تزكيتها وكتب علمها وعلمها
الناس وعند هذا يقول له الشيطان انما مطلبك القرب من الله سبحانه وثوابه والعلم
يجلب الثواب ويتلو عليه الاخبار الواردة في فضائل العلم فان كان المسكين معتوها
وافق ذلك هواه واطمأن اليه واهمل العمل وان كان كيسا قال للشيطان انذكرني فضائل
العلم وتنسيني ما ورد في العالم الفاجر الذي لا يعمل بعلمه كقوله سبحانه فمثله كمثل الكلب
ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث وكقوله سبحانه كمثل الحمار يحمل اسفارا فاي خزي
اعظم من التمثيل بالكلب والحمار وقد قال عليه السلام من ازداد علما ولم يزدد هدى
لم يزدد من الله الا بعدا وقوله عليه السلام شر الناس العلماء السوء وقوله ويل
للذي لا يعلم ولو شاء الله لعلمه وويل للذي يعلم سبع مرات وان العلم حجة عليه اذ
يقال له ماذا عملت فيما علمت وكيف اديت شكر الله وقال عليه السلام اشد الناس
عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه فهذا وامثاله مما اوردناه في كتاب العلم في باب
علامة علماء الآخرة اكثر من ان يحصى الا انه اذا وافق هوى العالم الفاجر وما ورد في
فضل العلم يوافقه فيميل الشيطان قلبه الى ما يهواه وذلك هو عين الغرور **واما الذي
يدعي علوم المكاشفة** كالعلم بالله وصفاته واسمائه وهو مع ذلك يهمل العمل
ويضيع امر الله وحدوده فغروره اشد ومثاله مثال من اراد خدمة ملك من الملوك
فعرف الملك وعرف خلاقه واوصافه ولونه وشكله وعرضه وطوله وعادته ومجلسه
ولم يعلم ما يحب ويكره وما يغضب منه وما يرضى به او عرف ذلك الا انه قصد خدمته
وهو ملابس لجميع ما يغضب منه عليه وعاطل عن جميع ما يحبه من زي وكلام وحركة وسكون
فورد على الملك وهو يريد التقرب منه والاختصاص به متلطخا بجميع ما يكرهه الملك
عاطلا عن جميع ما يحبه متوسلا اليه بمعرفته له ونسبه واسمه وبلده وشكله وصورته
وعادته في سياسة غلمانه ومعاملته رعيته فهذا مغرور جدا ولو ترك جميع ما عرفه واشتغل
بمعرفة الملك فقط ومعرفة ما يحبه ويكرهه لكان ذلك اقرب الى نيله المراد من قربه و
الاختصاص به بل تقصيره في التقوى واتباعه الشهوات يدل على انه لم ينكشف له من معرفة
الله الا الاسامي دون المعاني اذ لو عرف الله حق معرفته لخشيه واتقاه فلا يتصور ان
يعرف عاقل الاسد ثم لا يتقيه ولا يخافه **وقد** اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام
خفني كما تخاف السبع الضاري نعم من يعرف الاسد ولا يخافه فكانه ما عرف الاسد فمن
عرف الله عرف من صفاته انه لو اهلك العالمين لم يبال ويعلم انه مسخر في قدرة من لو
اهلك مثله الافا مؤلفة وابد عليهم العذاب ابد الآباد لم يؤثر فيه ذلك اثرا ولم
يأخذه عليه رأفة ولا اعتراه عليه جزع ولهذا قال سبحانه انما يخشى الله من عباده العلماء

وقاعد المزيد راس الحكمة خشية الله وقال ابن مسعود كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله
جهلا. واستفتى الحسن في مسالة فاجاب فقيل له ان فقهاءنا لا يقولون ذلك فقال
وهل رايت فقيها قط الفقيه القايم ليله الصايم نهاره الزاهد في الدنيا. فاذن الفقيه
من فقه عن الله امره ونهيه وعلم من صفاته ما يحبه ويكرهه وذلك هو العالم بالحقيقة
ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين. فان لم يكن بهذه الصفة فهو من المغترين المغرورين
وفرقة اخرى احكموا العلم والعمل فواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا المعاصي الا انهم
لم يتفقدوا قلوبهم ليمحوا منها الصفات المذمومة عند الله من الكبر والحسد والريا وطلب
الرياسة والعلا وارادة السوء للاقران وطلب الشهرة في البلاد والعباد ولعلهم لم يلتفتوا الى
قوله عليه السلام ادنى الريا شرك. والى قوله لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة
من كبر والى قوله الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب الى غير ذلك من الاخبار
التي اوردناها في جميع ربع المهلكات في الاخلاق المذمومة فهولاء زينوا ظواهرهم
واهملوا بواطنهم ونسوا قوله عليه السلام ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اموالكم وانما
ينظر الى قلوبكم واعمالكم فتعاهدوا الاعمال وما تعاهدوا القلوب والقلب هو الاصل
اذ لا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم. ومثالهم مثال رجل زرع زرعا فنبت ونبت
معه حشيش يفسده فامر بتنقية الزرع من الحشيش بقلعه من اصله فاخذ يجز
روس الحشيش ويقطعه فلا يزال يقوى اصله وينبت لان مغارس المعاصي هي الاخلاق
الذميمة في القلب فمن لا يطهر القلب منها لم تتم له الطاعات الظاهرة الا مع
الافات الكثيرة العظيمة. وفرقة اخرى علموا ان هذه الاخلاق الباطنة وعلموا انها
مذمومة من جهة الشرع الا انهم لعجبهم بانفسهم يظنون انهم منفكون عنها وانهم
ارفع عند الله من ان يبتليهم بذلك وانما يبتلى بها العوام دون الاتقيا الذين
بلغوا مبلغهم في العلم. ثم اذا ظهرت عليهم مخايل الكبر والرياسة وطلب
العلو والشرف قالوا ما هذا كبر وانما هو طلب عز الدين واظهار شرف العلم
وارغام انوف المخالفين من المبتدعين. فاني لو لبست الدون من الثياب وجلست
في الدون من المجالس لشمتت بي اعداء الدين وفرحوا بذلك وكان فيه ذلا للاسلام
ونسي المغرور ان عدوه الذي حذره منه مولاه هو الشيطان وانه يفرح بما فعله
ويسخر منه ونسي ان النبي صلى الله عليه وسلم بماذا نصر الدين وبماذا ارغم
الكافرين ونسي ما روي عن الصحابة من التواضع والتذلل والقناعة بالفقر حتى
ان عمر عوتب على بذاذة زيه عند قدومه الى الشام فقال انا قوم اعزنا الله
بالاسلام فلا نطلب العز في غيره. ثم هذا المغرور يطلب عز الدين بالثياب
الرقيقة من القصب والدبيقي والابريسم المحرم والخيول والمراكب ويزعم انه
يطلب بذلك عز الاسلام وشرف العلم. وكذلك مهما اطلق اللسان بالحسد في اقرانه
او فيمن رد عليه شيا من كلامه لم يظن بنفسه ان ذلك حسد ولكن يقول انما هو
غضب للحق ورد على المبطلين في عدوانهم وظلمهم بل ربما يفرح بذلك ويكون غضبه
لنفسه وحسدا لاقرانه من حيث باطنه. وكذلك يرائي باعماله فاذا خطر خاطر الريا
قال هيهات انما غرضي من اظهار العلم والعمل اقتدا الناس بي ليهتدوا الى دين الله و
يتخلصوا من عقاب الله ولا يتامل المغرور انه ليس يفرح باقتداء الناس بغيره كما يفرح
باقتدا الناس به فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يدي من كان

كمن له عبيد مرضى معالجتهم لم يفرق بين ان يحصل شفاوهم على يديه او على يد
طبيب اخر والله مطلع على ضميره انه لو اخبره نبي بان ثوابه في الخمول واخفاء العلم
اكثر من ثوابه في الاظهار وحبس مع ذلك في سجن وقيد بالسلاسل لاحتال في
هدم السجن وحل السلاسل حتى يرجع الى موضعه الذي يظهر فيه رياسته وكذلك
يدخل على السلطان ويتودد اليه ويثني عليه ويتواضع له واذا خطر له ان التوا
للسلطان الظالم حرام قال له الشيطان هيهات انما ذلك عند الطمع في مالهم واما
انت فغرضك ان تشفع للمسلمين وتدفع الضرر عنهم والله يعلم من باطنه انه لو ظهر
لبعض اقرانه قبول عند ذلك السلطان فصار يشفع في كل مسلم حتى دفع الضرر
عن جميع المسلمين لثقل ذلك عليه ولو قدر ان يقبح حاله عند السلطان بالطعن فيه
والكذب عليه لفعل وكذلك قد ينتهي غرور بعضهم الى ان ياخذ من اموالهم واذا خطر له
انه حرام قال له الشيطان هذا مال لا مالك له وهو لمصالح المسلمين وانت امام المسلمين
وبك قوام دين الله افلا يحل لك ان تاخذ قدر حاجتك فيغتر بهذا التلبيس في ثلاثة
امور احدها في انه لا مالك له فانه يعرف انه ياخذ الخراج من المسلمين واهل السواد
والذين ياخذ منهم احيا واولادهم وورثتهم احيا وغاية الامر وقوع المظالم في اموالهم
ومن غصب مائة دينار من عشرة نفر وخلطها فلا خلاف في انه مال حرام ولا يقال
له انه مال لا مالك له فالواجب ان يقسم بين العشرة ويرد الى كل واحد عشره الثاني
انك من مصالح المسلمين وبك قوام الدين ولعل الذين فسد دينهم واستحلوا اموال
السلاطين ورغبوا في طلب الدنيا والاقبال على الرياسة والاعراض عن الاخرة بسببه
اكثر من الذين زهدوا في الدنيا ورفضوها واقبلوا على الله فهو على التحقيق دجال
الدين وقوام مذهب الشياطين لا امام الدين ومثله كما قال عيسى عليه السلام العالم
السو كصخرة وقعت في فم الوادي فلا هي تشرب الماء ولا هي تتركه يخلص الى الزرع
اصناف غرور اهل العلم كثيرة وفرقة اخرى احكموا العلوم وطهروا الجوارح
وزينوها بالطاعة واجتنبوا ظاهر المعاصي وتفقدوا اخلاق النفس وصفات القلب
من الريا والحسد وطلب العلو وقلعوا منابتها الجلية القوية ولكنهم بعد مغرورون
اذ بقيت في زوايا القلب من مكايد الشيطان وخبايا خدع النفس ما دق وغمض
مدركه ومثالهم مثال من يريد تنقية زرع من الحشيش فدار عليه وفتشه ولم
يبق فيه شيا من ذلك فيما ظهر له الا انه لم يفتش عما يخرج روسه من تحت الارض
وظن ان الكل قد ظهر وبرز وكان قد نبت من اصول الحشيش شعب لطاف فا
نبسطت تحت الارض فاهملها وهو يظن انه قد طهرها فاذا هي بها وقد نمت وقوت
فافسدت اصول الزرع من حيث لا يدري. فكذلك العالم قد يغفل عن المراقبة
للخفايا والتفقد للدقائق فتراه يسهر ليله وينصب نهاره في جمع العلوم وجمع
التصانيف فيها وهو يرى ان باعثه الحرص على اظهار دين الله ونشر شريعته ولعل
باعثه الخفي هو طلب الذكر وانتشار الاسم في اطراف الارض وكثرة الرحلة اليه من الافاق
وانطلاق الالسنة عليه بالثنا والمدح بالزهد والورع والفرح بكثرة الاصحاب في
المستفيدين ولعل هذا المسكين المغرور يحيا في الباطل بما انتظم له من امر
وامارة وعز وانقياد وتوقير وحسن ثنا فلو تغيرت عليه القلوب واعتقدوا
فيه غير الزهد بما يظهر من اعماله فعساه يتشوش عليه قلبه ويختلط ولعله

ووظائفه وعساه يوثر بالكرامة والمراعاة من اعتقد فيه الزهد والورع وان كان قد
اعتقد فيه فوق قدره وعساه يوثر بعض اصحابه على بعض وهو يرى انه يوثره لتقدمه في
الفضل والورع فيحمد الله على ما ستر عليه لسانه من منافع خلقته ويرى ان ذلك سيكفر
لذنوبه ولم يعتقد مع نفسه تصحيح النية فيه وعساه لو وعظ لمشاركة تلك التجاوب
في ايثار الخمول واخفاء العلم لم يرغب فيه لفقره في الاخفاء والعزلة لذة القبول
وعز الرياسة هذا هو المراد بقول الشيطان من ظن من بني آدم انه بعلمه امتنع
مني فبجهله وقع في حبائلي وعساه يصنف ويجتهد فيه ظانا انه يجمع علم الله لينتفع
به وانما يريد به استطارة اسمه بحسن التصنيف ولو ادعى مدعي تصنيفه ونسبه
الى نفسه ليشق عليه ذلك والله عالم بانه المصنف لا من ادعاه ولعله يحكي من العلماء
المزيف لما يزيد ترسيفه فيعزوه الى قائله وما يستحسنه لا يعزوه الى قائله
ليظن انه من كلامه فينقله بعينه كالسارق له كالذي يسرق قميصا فيتخذه
قباء كي لا يعرف انه مسروق ولعله يجتهد في تزيين الفاظه وتحسين نظمه كيلا ينسب
الى الركاكة ويرى ان غرضه ترويج الحكمة ليكون اقرب الى نفع الناس وعساه غافل
عما روي ان بعض العلماء وضع ثلثمائة مصحف مصنف في الحكمة فاوحى الله سبحانه
الى نبي زمانه قل له قد ملأت الارض نفاقا واني لا اقبل من نفاقك شيئا
ولعل جماعة من هذا الصنف من المغترين اذا اجتمعوا ظن كل واحد منهم بنفسه
السلامة عن عيوب القلب وخفاياه ولو افترقوا واتبع كل واحد منهم فرقة من
اصحابه لينظر كل منهم الى كثرة من يتبعه وانه اكثر تبعا ام غيره فيفرح ان كان اتباعه
اكثر وان علم ان غيره احق بكثرة الاتباع منه ثم اذا تفرقوا واشتغلوا بالافادة في
تغايروا وتحاسدوا ولعل من يختلف الى واحد منهم اذا انقطع عنه الى غيره ثقل
على قلبه ووجد في نفسه نفرة منه فبعد ذلك لا يهتز باطنه لاكرامه ولا يتشمر
لقضاء حوائجه كما كان يتشمر من قبل وربما قطب وجهه اذا ذكرت عيوبه يظهر
انه كان لغيبة المسلمين وسر قلبه راض بذلك ومريد له والله مطلع عليه في
ذلك فهذا وامثاله من خفايا العيوب لا يفطن له الا الاكياس ولا يتنزه منها الا
الاقوياء ولا مطمع فيه لامثالنا من الضعفاء الا ان اقل الدرجات ان نعرف الانسان
عيوب نفسه ويسوءه ذلك ويكرهه ويحرص على اصلاحه واذا اراد الله بعبد
خيرا بصره بعيوب نفسه ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مرجو الحال
وامره اقرب من المغرور والمزكي لنفسه الممتن على الله بعلمه وعمله فنعوذ بالله من
الغفلة والاغترار ومن العمى عن خفايا الذنوب مع الاعمال ومنهم فرقة اقتصروا على
علم الفتاوى في الحكومات والخصومات وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية
بين الخلق لمصالح المعاش وخصصوا اسم الفقه بها وسموا ذلك الفقه وعلم المذهب
وربما ضيعوا مع ذلك الاعمال الظاهرة والباطنة فلم يتفقدوا الجوارح ولم
يحرسوا اللسان والبطن عن الحرام والرجل عن المشي الى السلاطين وكذلك
سائر الجوارح ولم يحرسوا قلوبهم عن الكبر والرياء والحسد فهؤلاء مغرورون
من وجهين احدهما من حيث العمل والآخر من حيث العلم اما العمل فقد ذكرنا وجه
الغرور فيه وان مثالهم مثال المريض اذا تعلم نسخة الدواء واشتغل بتكراره في
تعليمه فكذلك المتفقه المسكين قد تسلط عليه حب الدنيا واتباع الهوى

والشهوات

والشهوات والحسد والكبر والرياء وسائر المهلكات الباطنة وربما تختطفه
الموت قبل التوبة والتلافي ويلقى الله وهو عليه غضبان فترك ذلك كله واشتغل
بعلم السلم والاجارة والظهار واللعان والجراحات والديات والدعاوى
والبينات وكتاب الحيض ولا يحتاج الى شيء من ذلك قط في عمره فاذا
احتاج غيره كان في المفتين كثرة ويشتغل بذلك ويحرص عليه لما فيه من الجاه
والمال والرياسة وقد دهاه الشيطان وما يشعر اذ يظن المسكين المغرور
بنفسه انه مشغول بفرض نفسه وليس يدري ان الاشتغال بفرض الكفاية
قبل الفراغ من فرض العين معصية هذا لو كانت نيته صحيحة كما قال وكان
قد قصد بالفقه وجه الله فانه وان قصد وجه الله باشتغاله به معرض عن
فرض عينه في جوارحه فهذا غرور من حيث العمل واما غروره من حيث العلم
فحيث اقتصر على علم الفتاوى وظن انه علم الدين وترك علم كتاب الله وسنة
رسوله وربما طعن على المحدثين وقال انهم نقلة اخبار وحملة اسفار لا
يفقهون وترك ايضا علم تهذيب الاخلاق وترك الفقه عن الله تعالى بادراك
جلاله وعظمته وهو العلم الذي يورث الخوف والهيبة والخشوع ويحمل على التقوى
فتراه آمنا من الله مغترا به متكلا على انه لا بد ان يرحمه فانه قوام دينه وانه لو لم
يشتغل بالفتاوى لتعطل الحلال والحرام وقد ترك العلوم التي هي اهم وهو غافل
مغرور وسبب غروره ما سمع في الشرع من تعظيم الفقه ولم يدر ان ذلك الفقه
عن الله ومعرفة صفاته المرجوة والمخوفة بالله ويلازم الخوف والتقوى اذ قال الله تعالى
فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة والذي يحصل به الانذار غير هذا العلم
فان مقصود هذا العلم حفظ الاموال بشروط المعاملات وحفظ الابدان بدفع
القتل والجراحات والمال في طريق الله سبحانه وانما العلم المهم هو معرفة سلوك
الطريق وقطع عقبات القلب التي هي الصفات المذمومة وهي الحجاب بين العبد
والله سبحانه واذا مات العبد ملوثا بتلك الصفات كان محجوبا عن الله فمثاله في الاقتصار
على علم الفقه مثال من اقتصر من سلوك طريق الحج على علم خرز الراوية والخف ولا شك
في ان ذلك لو لم يكن لتعطل الحج ولكن المقتصر عليه ليس من الحج في شيء وقد
ذكرنا شرح ذلك في كتاب العلم ومن هؤلاء من اقتصر من علم الفقه على الخلافيات
ولم يهمه تعلمه الا تعلم طريق المجادلة والالزام وافحام الخصوم ودفع الحق لاجل
الغلبة والمباهاة فهو طول الليل والنهار في التفتيش عن مناقضات ارباب المذاهب
والتفقد لعيوب الاقران وهؤلاء هم سباع الانس طبعهم الايذاء وهمهم السفه
ولا يقصدون العلم الا لضرورة ما يلزمهم المباهاة به للاقران فكل علم لا يحتاجون
اليه في المباهاة كعلم القلب وعلم سلوك الطريق الى الله تعالى بمحو الصفات
المذمومة وتبديلها بالمحمودة فانهم يستحقرونه ويسمونه التزويق وكلام
الوعاظ وانما التحقيق عندهم معرفة تفاصيل العربدة التي تجري بين المتصارعين
في الجدل وهؤلاء قد جمعوا ما جمع الذين من قبلهم في علم الفتاوى لكن زادوا
اذ اشتغلوا بما ليس من فروض الكفاية وفرقة اخرى اشتغلوا بعلم
الكلام والمجادلة في الاهواء والرد على المخالفين وتتبع مناقضاتهم واستكثروا من علم

المقالات المخالفة • واشتغلوا بتعلم الطريق في مناظرة اولئك وافحامهم وافترقوا
في ذلك فرقا كثيرة • واعتقدوا انه لا يكون لعبد عمل الا بالايمان ولا يصح ايمان الا
بان يتعلم جدلهم وما سموه ادلة عقايدهم • وظنوا انه لا احد اعرف بالله وبصفاته
منهم • فانه لا ايمان لمن لم يعتقد مذهبهم ولم يتعلم علمهم ثم هم فرقتان ضالة
ومحقة • فالضالة التي تدعو الى غير السنة والمحقة هي التي تدعو الى السنة والغرور
شامل لجميعهم • اما الضالة فلغفلتها عن ضلالتها وظنها بنفسها النجاة • وهم فرق
كثيرة • يكفر بعضهم بعضا • وانما اتت من حيث انها لم تتهم رايها ولم تحكم شروط
الادلة ومنهاجها • فرات الشبهة دليلا والدليل شبهة وتخييلا • **واما الفرقة المحقة**
فانما اغترارها من حيث ظنت بالجدل انه اهم الامور • وافضل القربات في دين الله سبحانه
وزعمت انه لا يتم لاحد دينه ما لم يفحص ويبحث • وانه من صدق الله ورسوله من غير بحث
وتحرير فليس بمؤمن ولا كامل الايمان • ولا مقرب عند الله • فبهذا الظن الفاسد
قطعت اعمارها في تعلم الجدل والبحث عن المقالات وهذيانات المبتدعة ومناقضاتهم في
اهملت عيوب نفسها وقلوبها حتى عميت عن ذنوبها وخطاياها الظاهرة والباطنة وهي تظن
ان اشتغالها بالجدل اولى واقرب عند الله سبحانه وافضل فلم تلتفت الى القرن الاول وان
النبي صلى الله عليه وسلم شهد لهم بانهم خير الخلق • وانهم قد ادركوا كثيرا من المبتدع والاهواء
فما جعلوا اعمارهم ودينهم غرضا للخصومات والمجادلات ولا اشتغلوا بذلك عن تفقد
قلوبهم وجوارحهم واحوالهم • بل لم يتكلموا فيه الا حيث راوا حاجة وتوسموا مخايل
قبول فذكروا بقدر الحاجة ما يدل الضال على ضلالته • واذا راوا مصرا على ضلالته
هجروه • واعرضوا عنه وابغضوه في الله ولم يلزموا الملاحاة معه طول العمر بل قالوا
ان الحق هو الدعوة الى السنة ومن السنة ترك الجدال في الدعوة الى السنة اذ روى ابو
امامة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ضل قوم قط الا اوتوا الجدل وخرج عليه
السلام يوما على اصحابه وهم يتجادلون ويختصمون فغضب عليهم حتى كانه فقئ في وجهه
حب الرمان • من شدة الغضب فقال الهذا بعثتم ابهذا امرتم ان تضربوا كتاب الله
بعضه ببعض انظروا الى ما امرتم به فاعملوا والى ما نهيتم عنه فانتهوا فقد
زجرهم عن ذلك وكانوا اولى خلق الله بالحجاج والجدل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد بعث الى كافة الملل لم يقعد معهم في مجلس مجادلة لالزام وافحام وتحقيق
دفع سوال دايما والزام وايراد الزام فما جادلهم الا بتلاوة القران المنزل عليه
ولم يزد في المجادلة عليه لان ذلك يشوش القلوب ويستخرج منها الاشكالات والشبه
ثم لا يقدر على محوها من قلوبهم وما كان يعجز عن مجادلتهم بالتقسيمات ودقايق
الاقيسة وان يعلم اصحابه كيف الجدل والالزام لكن الاكياس واهل الحزم لم يغتروا بهذا
وقالوا لو نجا اهل الارض كلهم وهلكنا لم تنفعنا نجاتهم ولو نجونا وهلكوا لم يضرنا
هلاكهم وليس علينا في المجادلة اكثر مما كان على الصحابة مع اليهود والنصارى واهل
الملل وما ضيعوا العمر بتحرير مجادلتهم فما لنا نضيع اعمارنا ولا نصرفها الى ما ينفعنا
في يوم فقرنا وفاقتنا • ثم يرى ان المبتدع ليس يترك بدعته بجدل بل يزيده •
التعصب والخصومة تشددا في بدعته واشتغالنا بمخاصمة انفسنا ومجادلتها
ومجاهدتها لتترك الدنيا للاخرة اولى بنا وفرقة اخرى اشتغلت بالوعظ

والتذكير

والتذكير واعلاهم رتبة من يتكلم في اخلاق النفس وصفات القلب من الخوف
والرجا والصبر والشكر والتوكل والزهد والاخلاص ونظايره وهم مغرورون
يظنون بانفسهم انهم اذا تكلموا بهذه الصفات ودعوا الخلق اليها صاروا من
اهلها موصوفين بها وهم منفكون عنها عند الله الا عن قدر يسير لا ينفك عنها
عوام المسلمين وغرور هولاء اشد الغرور لانهم يعجبون بانفسهم غاية الاعجاب
ويظنون انهم ما تبحروا في علم المحبة وما قدروا على تحقيق دقايق الاخلاص الا وهم
مخلصون ولا وقفوا على خفايا عيوب النفس الا وهم عنها منزهون ولولا انهم
مقربون عند الله لما عرفوا معنى القرب والبعد وعلم السلوك الى الله وكيفية
قطع المنازل في طريق الله ويرون انهم لا يخافون وهم من المغترين المضيعين في
يرون انهم من الراضين بقضا الله وهم من الساخطين ويرون انهم من المتوكلين
على الله وهم من المتوكلين على العز والجاه والاسباب • ويرون انهم من المخلصين
وهم من المرائين يصفون الاخلاص فيتركون الاخلاص في الوصف ويصفون الريا ويذكره
ويراون بذكره ليعتقد فيهم انهم لولا انهم مخلصون لما اهتدوا الى دقايق الريا ويصفون
الزهد في الدنيا لشدة حرصهم في الدنيا وقوة رغبتهم فيها وهم يظهرون الدعا
الى الله وهم منه فارون يخوفون بالله وهم منه امنون • ويذكرون بالله وهم له
ناسون • ويقربون الى الله وهم منه متباعدون • ويحثون على الاخلاص وهم غير
مخلصين • ويذمون الصفات المذمومة وهم بها متصفون • ويصرفون الناس
عن الخلق وهم على الناس اشد حرصا • لو منع احدهم من مجالسه التي يدعوا فيه
الناس الى الله لضاقت عليهم الارض بما رحبت • ويزعم ان غرضه اصلاح الخلق ولو
ظهر من اقرانه من اقبل الخلق عليه • وصلحوا على يديه لمات غما وحسدا ولو اثنى
احد من المترددين اليه على اقرانه لكان ابغض خلق الله اليه فهولا اعظم الناس غرة
وابعدهم عن التنبه والرجوع الى السداد • ولان المرغب في الاخلاق المحمودة والمنفر
عنها هو العلم بغوايلها وفوايدها وهولا قد علموا ذلك وشغلهم حب دعوة الخلق
عن العمل به فبم يعالجون • وكيف سبيل تخويفهم وانما المخوف بما يتلون على عباد الله
فيخافون وليسوا هم بما يتلون خايفين • وذلك لانه ان كان يدعي انه احب الله فما الذي
ترك من حطام الدنيا لاجله • ويدعي الخوف فما الذي امتنع منه بالخوف ويدعي الزهد
فما الذي تركه مع القدرة عليه • ويدعي الانس بالله فمتى طابت له الخلوة ومتى اشتاق
من مناجاته للخلوة لا بل ترى قلبه يمتلي بحلاوة • اذا احدق به المريدون
وتراه يستوحش اذا خلا بالله فهل رايت محبا انس مستوحشا من محبوبه
يستروح منه الى غيره والاكياس يمتحنون انفسهم في هذه الصفات ويطالبونها
بالحقيقة ولا يقنعون بالتزويق بل بموثق من الله غليظ والمغترون يحسنون
بانفسهم الظنون • فاذا كشف لهم الغطا في الاخرة يفتضحون • بل يطرحون في النار
فيدور بهم اقتابهم كما يدور الحمار بالرحا كما ورد به الخبر • لانهم يامرون بالخير ولا
ياتونه وينهون عن الشر وياتونه • وانما مثاله مثال المريض يصف المرض ويصف
دواه بفصاحته • ويصف الصحة والشفا وغيره من المرضى لا يقدر على وصف
الصحة والشفا ودرجاته واسبابه واصنافه فهو لم ينادقهم في صفة المرض •

والاتصاف به وانما يغادقهم في الوصف ولا لعالم بالطب فظنه عند عالم الصحة انه صحيح
غاية الجهل ومن التلبيس عليه وصف الحقايق بالاتصاف بالحقايق فهو مغرور وفرقة غلط
للحسن البصري وامثاله • وفرقة اخرى منهم عدلوا عن المنهاج الواجب في الوعظ
وهم اهل الزمان كافة الا من عصمه الله على الندور في بعض اطراف البلاد ان كان
ولسنا نعرفه فاشتغلوا بالطامات والشطح وتلفيق كلمات خارجة عن قانون الشرع
والعقل طلبا للاغراب وطايفة شغفوا بطيارات النكت وتسجيع الالفاظ وتلفيقها
فاكثر همهم في الاسجاع والاستشهاد باشعار الوصال والفراق وغرضهم ان يكثر
في مجالسهم الزعقات والتواجد ولو على اغراض فاسدة فهولاء شياطين الانس
ضلوا واضلوا عن سواء السبيل • فان الاولين وان لم يصلحوا انفسهم فقد اصلحوا
غيرهم وصححوا كلامهم ووعظهم واما هولاء فانهم يصدون عن سبيل الله و
يجرون الخلق على الغرور بالله بلفظ الرجا فيزيدهم كلامهم جراءة على المعاصي و
رغبة في الدنيا لا سيما اذا كان الواعظ متزينا بالثياب والمركب فيشهد قوله
الى قومه بشدة حرصه على الدنيا • فما يفسده هذا المغرور اكثر مما يصلحه وفرقة
اخرى منهم قنعوا بحفظ كلام الزهاد واحاديثهم في ذم الدنيا • فهم يحفظون الكلمات
على وجوهها ويؤدونها من غير احاطة بمعانيها فبعضهم يفعل ذلك على وجوهها
ويؤدونها على المنابر وبعضهم في المحاريب وبعضهم في الاسواق مع الجلساء وكل منهم
يظن انه اذا تميز بهذا القدر عن السوقة والجندية اذ حفظ كلام الزهاد واهل الدين
فقد افلح ونال الغرض وصار مغفورا له من عقاب الله من غير ان يحفظ ظاهره
وباطنه من الاثام وفرقة اخرى استغرقوا اوقاتهم في علم الحديث اعني في سماعه
وجمع الروايات الكثيرة وطلب الاسانيد الغريبة العالية فهمة احدهم ان يدور
في البلاد • ويرى الشيوخ ليقول انا اروي عن فلان ولقيت فلانا ومعي من الاسانيد
ما ليس مع غيري وغرورهم من وجوه منها انهم كحملة الاسفار لانهم لم يصرفوا العناية
الى فهم معاني السنة فعلمهم قاصر وليس معهم الا النقل ويظنون ان ذلك يكفيهم
ومنها انهم يتركون العلم الذي هو فرض عين عليهم وهو معرفة معالجة القلب
ويشتغلون بتكثير الاسانيد وطلب العالي منها ولا حاجة الى شيء من ذلك ومنها
وهو الذي اكب عليه اهل الزمان ايضا انهم لا يقومون بشرط السماع فان السماع
بمجرده وان لم يكن منه فائدة فهو مهم في نفسه للوصول الى اثبات الحديث اذ
التفهم بعد الاثبات والعمل بعد التفهم فالاول السماع • ثم التفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم
النشر وهولاء اقتصروا من الجملة على السماع ثم تركوا حقيقة السماع فترى الصبي يحضر في
مجلس الشيخ والحديث يقرا والشيخ نايم والصبي يلعب ثم يكتب اسم الصبي في
السماع فاذا كبر تصدى ليسمع منه والبالغ الذي يعقل ربما يغفل ولا يسمع ولا يصغي
ولا يضبط وربما اشتغل بحديث او نسخ والشيخ الذي يقرا عليه لو صحف وغير لم
يشعر به وكل ذلك جهل وغرور اذ الاصل في الحديث ان يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيحفظه كما سمعه ويرويه كما حفظه فيكون الرواية عن الحفظ والحفظ عن السماع
فان عجزت عن سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته من الصحابة والتابعين
وصار سماعك من الراوي كسماع من سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ان

تصغي

تصغي لتحفظ وتروي كما حفظته وتحفظ كما سمعت بحيث لا تغير منه حرفا ولو
غير غيرك منه حرفا خطا عرفت خطاه وللحفظ طريقان احدهما ان تحفظ
بالقلب وتستديمه بالتكرار كما تحفظ ما جرى على سماعك من مجاري الاحوال
والثاني ان تكتب كما تسمع وتصحح المكتوب وتحفظه حتى لا يصل اليه يد غيره ويكون
حفظك للكتاب المكتوب معك فانه لو امتدت اليه يد غيرك ربما غيره واذا لم
تحفظه لم تشعر بتغييره فيكون محفوظا بقلبك وبكتابك فيكون كتابك مذكرا لك
ما سمعته وتامن فيه من التغيير والتحريف فاذا لم يكن معك حفظ بقلبك ولا نسخة
صحيحة اتفقت عليها لتقابل بها فمن اين تعلم انك سمعت ذلك وقد قال الله تعالى
ولا تقف ما ليس لك به علم وقول الشيوخ كلهم في هذا الزمان ما في هذا الكتاب اذا
لم يوجد الشرط الذي ذكرناه كذب صريح واقل شروط السماع ان يجري السماع على
السمع مع نوع من الحفظ يشعر معه بالتغيير ولو جاز ان يكتب سماع الصبي والغافل
والنايم والذي ينسخ لجاز ان يكتب سماع الصبي في المهد وسماع المجنون ثم ان بلغ
الصبي وافاق المجنون سمع عليهما ولا خلاف في عدم جوازه ولو جاز ان يكتب
ذلك لجاز ان يكتب سماع الجنين في البطن فان استجرا حال فقال يكتب سماع الصبي
في المهد فليكتب سماع الجنين في البطن فان فرق بينهما بان الجنين لا يسمع
الصوت وهذا يسمع الصوت فما ذا ينفع هذا وهذا انما ينقل الحديث دون الصوت
فليقتصر اذا صار شيخا ان يقول سمعت بعد بلوغي ان في صباي حضرت مجلسا يروى فيه
حديث كان يقرع سمعي صوته ولا ادري ما هو ولا خلاف ان الرواية كذلك لا تصح وما زاد
عليه فهو كذب صريح وهذا السماع في سند الاقوال لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرا بسمع
مقالتي فوعاها فاداها كما سمع وكيف يودي كما سمع من لا يدري ما سمع فهذا اخس
انواع الغرور وقد بلي به اهل الزمان ولو سمعوا على الشرط لكانوا على انهم مغرورون
لاقتصارهم على النقل وبما افنوا اعمارهم في الروايات والاسانيد ومن طلب هذا القصد
ربما يكفيه الحديث الواحد عمرا طويلا كما روي عن بعض الشيوخ انه حضر مجلس السماع
فكان اول حديث روي قوله عليه السلام من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فقام وقال
يكفيني هذا حتى افرغ منه ثم اسمع غيره فهكذا يكون سماع الاكياس الذين يحذرون
الغرور وفرقة اخرى اشتغلت بعلم النحو واللغة والشعر وغريب اللغة واغتروا
به وزعموا انه قد غفر لهم وانهم من علماء الامة اذ قوام الدين بالكتاب والسنة وقوام
الكتاب والسنة بعلم النحو واللغة فافنى هولاء اعمارهم في دقايق النحو وصناعة الشعر
وغرايب اللغة ومثالهم من يفني جميع العمر في تعلم الخط وتصحيح الحروف وتحسينها
ويزعم ان العلوم لا يمكن حفظها الا بالكتابة فلا بد من تعلمها وتصحيحها ولو عقل
لعلم انه يكفيه ان يتعلم اصل الخط بحيث يمكن ان يقرا كيف ما كان والباقي زيادة
على الكفاية وكذلك الاديب لو عقل لعرف ان لغة العرب كلغة الترك والهند وانما
فارقتهم لاجل ورود الشرع بلغة العرب ويكفي من اللغة علم الغريبين في الاحاديث
ومن النحو ما يتعلق بالكتاب والحديث واما التعمق فيه الى درجات لا تتناهى فهو
فضول يستغنى عنه ومن احتاج الى ان يشرب السكنجبين ليقمع ما به من الصفرا
فيضيع اوقاته في تحسين القدح الذي يحفظ السكنجبين فهو من جهال المغرورين

وكذلك غرور اهل النحو والادب والقراآت والتدقيق في مخارج الحروف مهما تعمقوا فيها
وتجردوا لها وعرجوا عليها اكثر مما يحتاج اليه في تعلم العلوم التي هي فرض عين
واللب الاقصى هو العمل والذي فوقه هو معرفة العمل وهو كالقشر للعمل وكاللب بالاضافة
الى ما فوقه وما فوقه سماع الالفاظ وحفظها بطريق الروايه وهو قشر بالاضافة الى
المعرفة ولب بالاضافة الى ما فوقه وهو العلم باللغة والنحو وفوق ذلك وهي القشرة العليا
العلم بمخارج الحروف والقانعون بهذه الدرجات كلها مغرورون الا من اتخذها منازل
فلم يعرج عليها الا بقدر حاجته فتجاوزها الى ما وراءها حتى وصل الى لباب العمل
فطالب بحقيقة العمل قلبه وجوارحه فهذا هو المقصود المخدوم المحكي من جملة علوم الشرع
وساير العلوم خدم له ووسايل اليه وقشور له ومنازل [illegible] وفرقة اخرى عظم غرورهم في فن
الفقه وظنوا ان حكم العبد بينه وبين الله يتبع حكمه في مجالس القضاء فوضعوا الحيل
في دفع الحقوق واساؤا تاويل الالفاظ المبهمة واغتروا بالظواهر واخطأوا فيها
وهذا من قبيل الخطأ في الفتوى والغرور فيه والخطأ في الفتاوى مما يكثر ولكن هذا
نوع عم الكافة الا الاكياس منهم فنشير الى امثلة له من ذلك فتواهم بان المراة متى
ابرأت من الصداق برئ الزوج بينه وبين الله عز وجل وذلك خطأ بل الزوج
قد يسيء الى الزوجة بحيث يضيق عليها الامور بسوء الخلق فتضطر الى طلب
الخلاص فتبرئ الزوج لتتخلص منه فهو ابراء لا عن طيبة نفس وقد قال تعالى فان طبن
لكم عن شيء منه نفسا وطيبة القلب غير طيبة النفس فالقلب قد يريد ما لا تطيب به
النفس كالانسان يريد الحجامة بقلبه ولكن نفسه تكرهها وانما طيب النفس ان تسمح نفسها
بالابراء لا عن ضرورة تقابلها حتى اذا رددت بين ضررين اختارت اهونهما فهذه مصادرة
على التحقيق باكراه الباطن نعم القاضي في الدنيا لا يطلع على القلوب والاغراض فانما
ينظر الى الابراء الظاهر ويرى انها لم تكره بسبب ظاهر واما الاكراه الباطن فليس
يطلع الخلق عليه ولكن مهما تصدى القاضي الاكبر في صعيد القيامة للقضاء لم يكن هذا
محسوبا ولا معتدا به في تحصيل الابراء ولذلك لا يحل له ان ياخذ مال انسان الا عن
طيبة نفس منه فلو طلب من انسان مالا على ملأ من الناس ان لا يعطيه وكان يود
ان يكون سؤاله في خلوة حتى لا يعطيه خاف الم مذمة الناس وخاف الم تسليم المال
وتردد نفسه بينهما فاختار اهون الالمين وهو الم التسليم فلا فرق بين هذا
وبين المصادرة اذ معنى المصادرة ايلام البدن بالسوط حتى يصير ذلك اقوى من الم
القلب ببذل المال فيختار اهون الالمين والسؤال في مظنة الحيا والرياء ضرب للقلب
بالسوط فلا فرق بين ضرب الباطن وضرب الظاهر عند الله سبحانه ولكن لمن يخط
الشر لسانه او لسعاية فهو حرام وكذلك كل مال يؤخذ على هذا الوجه فهو حرام الا ترى
ما جاء في قصة داود حيث قال بعد ان غفر له يا رب كيف لي بخصمي فامر بالاستحلال
منه وكان خصمه ميتا فامر بندائه في صخرة بيت المقدس فنادى يا اوريا فاجابه
لبيك يا نبي الله اخرجتني من الجنة فماذا تريد فقال اني اسأت اليك فهبه لي
قال قد فعلت ذلك يا نبي الله فانصرف وقد ركن الى ذلك فقال له جبرائيل هل ذكرت له
ما فعلت قال لا قال فارجع فبين له فناداه فقال لبيك يا نبي الله فقال اني اذنبت
اليك ذنبا فقال الم اهبه لك فقال الا تسألني ما ذلك الذنب فقال وما هو يا نبي الله

قال كذا وكذا وذكر شان المراة فانقطع عنه الجواب فقال يا اوريا الا تجيبني فقال
يا نبي الله ما هكذا تفعل الانبياء حتى اقف معك بين يدي الله فاستقبل داود
البكاء والصراخ من اوله حتى وعده الله انه يستوهبه في القيامة فهذا ينبهك ان الهبة
من غير طيب نفس ورضا قلب لا تفيد وان طيبة القلب لا تحصل الا بالمعرفة ومن
ذلك هبة الرجل الزكاة في اخر الحول لزوجته واتهابه لها لاسقاط الزكاة فالفقيه
يقول سقطت الزكاة فان اراد به ان مطالبة السلطان والساعي قد سقطت عنه
فقد صدق فان مطمح نظرهم ظاهر الملك وقد زال وان ظن انه يسلم في القيامة
ويكون كانه لم يملك المال ولم يبع لحاجة لاجل هذا القصد فما اعظم جهله
بفقه الدين وسر الزكاة فان سر الزكاة تطهير القلب عن رذيلة البخل فان البخل
مهلك قال عليه السلام ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء
بنفسه وانما صار شحه مطاعا بما فعله وقبل ذلك لم يكن مطاعا فقد تم هلاكه
بما يظن ان فيه خلاصه فان الله مطلع على قلبه وحب المال وحرصه عليه وانه بلغ
من حرصه على المال ان استنبط الحيل حتى سد على نفسه طريق الخلاص من البخل
بالجهل والغرور ومن ذلك اباحة الله سبحانه مال المصالح للفقيه وغيره بقدر الحاجة
والفقهاء المغرورون لا يفرقون بين الاماني والفضول والشهوات وبين الحاجات
بل يرون كل ما لا يتم رعونتهم الا به حاجة وذلك محض الغرور

الصنف الثاني ارباب العبادات والعمل

والمغرورون منهم فرق كثيرة منهم من غروره في الصلاة ومنهم من غروره في
تلاوة القرآن ومنهم من غروره في الحج ومنهم من غروره في الغزو ومنهم من غروره
في الزهد وفي الدنيا كل مشغول بنهج من مناهج العمل وليس خاليا عن غرور الا الاكياس
وقليل ما هم فمنهم فرقة قد اهملوا الفرائض واشتغلوا بالنوافل والفضائل وربما
تعمقوا في الفضائل حتى خرجوا الى العدوان والسرف كالذي يغلب عليه الوسوسة
فيبالغ فيه ولا يرتضي الماء المحكوم بطهارته في فتوى الشرع ويقدر الاحتمالات
البعيدة قريبة في النجاسات واذا آل الامر الى اكل الحلال قدر الاحتمالات القريبة
بعيدة وربما اكل الحرام المحض ولو انقلب هذا الاحتياط من الماء الى الطعام لكان
اشبه بسيرة الصحابة اذ توضأ عمر بماء في جرة نصرانية مع ظهور احتمال النجاسة
وكان مع هذا يدع ابوابا من الحلال خوفا من الوقوع في المشتبه او الحرام ثم من هؤلاء من
يخرج الى الاسراف في صب الماء وذلك منهي عنه وقد يطول الامر حتى يضيع الصلاة وان لم
يخرجها عن وقتها ايضا فهو مغرور فانه من فضيلة الوقت وفرقة غلبت عليها
الوسوسة في الصلاة فلا يدعها الشيطان حتى يعتقد نية صحيحة بل يوسوس له في
تحرمه حتى تفوته الجماعة ويخرج من الصلاة عن الوقت فان لم تفته تكبيرة تكون
في قلبه تردد بعد في صحة نيته وقد يوسوس في التكبير حتى قد يغير صيغة
التكبير لشدة الاحتياط فيه يفعلون ذلك في اول الصلاة ثم يغفلون في جميع الصلاة
ولا يحضرون قلوبهم ويغترون بذلك ويظنون انهم اذا اتعبوا انفسهم في تصحيح
النية في اول الصلاة وتميزوا عن العامة بهذا الجهد فهم على خير عند ربهم عز وجل

وفرقة اخرى يغلب عليهم الوسوسة في اخراج حروف الفاتحة وساير الاذكار من مخارجها
فلا يزال احدهم يحتاط في التشديدات والفرق بين الضاد والظاء وتصحيح مخارج الحروف
في جميع صلاته لا يهمه غير ذلك ولا يتفكر فيما سواه ذاهلا عن معاني القران والاتعاظ
به وصرف الفهم عن معاني اسراره وهذا من اقبح انواع الغرور وفرقة اخرى اغتروا
بقراءة القران فهم يهدرونه هدرا وربما يختمونه في اليوم والليلة مرة وربما يزيد
احدهم على ذلك فلسانه يجري بالتلاوة وقلبه يتردد في اودية الاماني فلا يتفكر
في معاني القران لينزجر بزواجره ويتعظ بمواعظه ويقف عند اوامره ونواهيه
ويعتبر بمواضع الاعتبار الى غير ذلك مما ذكرناه في اداب تلاوة القران من مقاصد
التلاوة فهو مغرور يظن ان المقصود من انزال القران الهمهمة به مع الغفلة عنه
ومثاله مثال عبد كتب اليه مالكه كتابا واشار اليه فيه بالاوامر والنواهي فلم يصرف
عنايته الى فهمه والعمل به ولكنه اقتصر على حفظه فهو مستمر على خلاف ما امره
به مولاه الا انه يكرر الكتاب بنغمته وصوته كل يوم مائة مرة فهو في ذلك مستحق
العقوبة مهما ظن ان ذلك هو المراد منه فهو مغرور نعم حفظه وتلاوته انما تراد
لكي لا ينسى بل يحفظه وحفظه يراد لمعناه ومعناه يراد للعمل به والانتفاع بمعانيه
وفرقة اخرى اغتروا بالصوم وربما صاموا الدهر او صاموا الايام الشريفة
وهم فيها لا يحفظون السنتهم من الغيبة وخواطرهم عن الريا وبطونهم عن الحرام
عند الافطار والسنتهم عن الهذيان بانواع الفضول كل منهم يظن بنفسه الخير
يهمل الفرض ويطلب النفل ثم لا يقوم بحقه وذلك غاية الغرور وفرقة اخرى
اغتروا بالحج فيخرجون الى الحج من غير خروج عن المظالم وقضاء الدين واسترضاء
الوالدين وطلب الزاد الحلال وقد يفعلون ذلك بعد سقوط حجة الاسلام عنهم ويضيعون
في الطريق الصلاة والفرائض ويعجزون عن طهارة ثيابهم وابدانهم ويتعرضون لمكس الظلمة
حتى يوخذ منهم ولا يحذرون في طريقهم الرفث والجدال والخصام وربما جمع بعضهم
الحرام وانفقه على الرفقاء في الطريق وهو يطلب به السمعة والريا فيعصي الله في كسب الحرام
اولا وفي انفاقه بالريا ثانيا فلا هو اخذ المال من حله ولا هو وضعه في حقه ثم يحضر البيت
الحرام بقلب ملوث برذايل الاخلاق وذميم الصفات لم يقدم التطهير على حضوره
وهو مع ذلك يظن انه على خير من ربه وفرقة اخرى اخذت في طريق الحسبة
والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ينكرون على الناس ويامرونهم بالخير وينسون
انفسهم واذا امروهم بالخير عنفوا وطلبوا الرياسة والعز واذا باشر احدهم منكرا
ورد عليه غضب وقال انا المحتسب فكيف ينكر علي وقد يجمع الناس الى مسجده ومن
تاخر عنه غلظ القول عليه وانما غرضه الريا والرياسة ولو قام بتعهد المسجد غيره لحرد
عليه بل منهم من يؤذن ويظن انه يؤذن لله ولو جاء غيره واذن في وقت غيبته
لقامت عليه القيامة وقال لم اخذ حقي وزوحمت على مرتبتي وفرقة اخرى جاوروا
بالمدينة ومكة واغتروا بذلك ولم يراقبوا قلوبهم ولم يطهروا ظاهرهم وبواطنهم
وقلوبهم معلقة ببلادهم ملتفتة الى قول اهل بلادهم فيه ان فلانا مجاور بمكة
وترى احدهم يتحدى ويقول قد جاورت بمكة كذا وكذا سنة واذا سمع ان ذلك
قبيح ترك صريح التحدي واحب ان يعرفه الناس بذلك ثم هو في مجاورته يمد عين الطمع الى اوساخ

اموال الناس واذا جمع منها شيئا شح عليه وامسكه ولم تسمح نفسه بلقمة يتصدق بها
على فقير فيظهر فيه الريا والبخل والطمع وجملة من المهلكات كان عنها بمعزل
لو ترك المجاورة ولكن حب المحمدة ان يقال انه من المجاورين وما من عمل من الاعمال
وعبادة من العبادات الا وفيها افات فمن لم يعرف مداخل افاتها واعتمد عليها
فهو مغرور ولا يعرف شرح ذلك الا من جملة احيا علوم الدين فيعرف مداخل
الغرور في الصلاة والحج والزكاة والتلاوة وساير القربات من الكتب التي رتبناها
وفرقة اخرى زهدت في المال وقنعت من اللباس والطعام بالدون
ومن المسكن بالمساجد وظنت انها ادركت رتبة الزهاد وهم مع ذلك راغبون
في الرياسة والجاه اما بالعلم او بالوعظ او بمجرد الزهد فقد تركوا اهون الامرين
وباءوا باعظم المهلكين فان الجاه اعظم من المال ولو تركوا الجاه واخذوا المال
لكانوا الى السلامة اقرب فهولاء مغرورون اذ ظنوا انهم من الزهاد في الدنيا
وهم لم يفهموا معنى الدنيا فان الراغب فيها لا بد ان يكون منافقا وحسودا و
متكبرا ومرائيا ومتصفا بجميع خبائث الاخلاق نعم وقد يترك بعضهم الرياسة
ويوثر الخلوة والعزلة وهو مع ذلك مغرور اذ يتطاول بذلك على الاغنيا ويخشن
معهم الكلام وينظر اليهم بعين الاستحقار ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لهم ويعجب بعمله
وهو مع ذلك متصف بجملة خبائث القلب وهو لا يدري وربما يعطى المال فلا ياخذه خيفة
من ان يقال بطل زهده ولو قيل له انه حلال فخذه في الظاهر ورده في الباطن لم
تسمح نفسه به خوفا من ذم الناس فهو راغب في حمد الناس وهو من اكبر ابواب الريا
ويرى نفسه انه زاهد وهو مغرور بذلك ومع ذلك فربما لا يخلو عن توقير الاغنيا و
تقديمهم على الفقير والميل الى المريدين له والمثنين عليه وكل ذلك خداع وغرور من
الشيطان ومن العباد من يشدد على نفسه في اعمال الجوارح حتى انه ربما يصلي في اليوم
والليلة مثلا الف ركعة ويختم القران وهو في جميع ذلك لا يخطر له مراعاة القلب
وتفقده وتطهيره من الريا والكبر والعجب وساير المهلكات ولا يدري ان ذلك مهلك
وان دري ذلك بعلمه فلا يظن بنفسه ذلك وان ظن بنفسه توهم انه مغفور له لعمله الظاهر
وانه غير مواخذ باحوال القلب ثم لا يخلو هذا المغرور من سوء خلقه مع الناس وخشونته
وتلوث باطنه من الريا وحب الثنا فاذا قيل له انت من اوتاد الارض واولياء الله واحبا
فرح بذلك وصدق به وازداد بذلك غرورا وظن ان تزكية الناس له دليل على انه
مرضي عند الله ولا يدري ان ذلك لجهل الناس بخبائث باطنه وفرقة اخرى
حرصت على النوافل ولم تعظم اعتدادها بالفرائض ترى احدهم يفرح بصلاة الضحى وصلاة
الليل وامثال هذه النوافل ولا يجد للفريضة لذة ولا يشتد حرصه على المبادرة بها
في اول الوقت وينسى قوله عليه السلام عن الله سبحانه انه قال ما تقرب المتقربون الي
بمثل اداء ما افترضت عليهم وترك الترتيب في الخيرات من جملة الشرور قد
اذ قد يتعين على الانسان فرضان احدهما يفوت والاخر لا يفوت او نفلان احدهما
يضيق وقته والاخر يتسع وقته فان لم يحفظ الترتيب فيه كان مغرورا ونظاير
ذلك اكثر مما يحصى فان المعصية ظاهرة والطاعة ظاهرة وانما الغامض تقديم

بعض الطاعات على بعض كتقديم الفرائض على النوافل وتقديم فروض الاعيان على فروض
الكفايات وتقديم الاهم في فروض الاعيان على ما دونه وتقديم ما يفوت على ما لا يفوت وهذا
كما يجب ان يقدم حاجة الوالدة على حاجة الوالد اذ سئل عليه السلام وقال له رجل يا رسول الله
من ابر قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال
اباك قال ثم من قال ادناك فادناك فاذا تقابلت المحذورات والطاعات لا تنحصر ومن
ترك الترتيب في جميع ذلك فهو مغرور وهذا غرور في غاية الغموض لان المغرور فيه في طاعة
الا انه لا يفطن لصيرورة الطاعة معصية من حيث ترك بها طاعة واجبة هي اهم منها
ومن جملة ذلك الاشتغال بالمذهب والخلاف من الفقه في حق من بقي عليه تفقد
الطاعات والمعاصي الظاهرة والباطنة المتعلقة بالجوارح والمتعلقة بالقلب بالعلاج اذ
مقصد الفقه معرفة ما يحتاج اليه في قلبه اولى به الا ان حب الرياسة والجاه
ولذة المباهاة وقهر الاقران والتقدم عليهم يعمي قلبه حتى يغتر مع نفسه ويظن انه مشغول
به في مهمه

الصنف الثالث المتصوفة

وما اغلب الغرور عليهم و
المغترون منهم فرق كثيرة منهم متصوفة اهل الزمان الا من عصمه الله اغتروا بالزي في
المنطق والهيئة فساعدوا الصادقين من الصوفية في زيهم وهيئتهم وفي الفاظهم وفي
آدابهم ومراسمهم كاصطلاحاتهم وفي احوالهم الظاهرة في السماع والرقص والطهارة
والصلاة والجلوس على السجادات مع اطراق الراس وادخاله في الجيب كالمتفكر وفي
تنفس الصعدا وفي خفض الصوت في الحديث الى غير ذلك من الشمايل والهيات فلما
تكلفوا هذه الامور وتشبهوا بهم فيها ظنوا انهم ايضا صوفية ولم يتعبوا انفسهم
قط في المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية
والجلية وكل ذلك من اوائل منازل التصوف ولو فرغوا من جميع ذلك لما جاز لهم ان يعدوا
انفسهم من الصوفية كيف ولم يحوموا قط حولها ولم يسوموا انفسهم شيئا منها بل تراهم
يتكالبون على الحرام والشبهات واموال السلاطين ويتنافسون في الرغيف والفلس
والحبة ويتحاسدون على النقير والقطمير ويمزق بعضهم اعراض بعض مهما خالفه في شيء
من غرضه وهولاء غرورهم ظاهر ومثالهم مثال امراة عجوز سمعت ان الشجعان و
الابطال من المقاتلين تثبت اسماؤهم في الديوان ويقطع كل واحد منهم قطرا من اقطار
المملكة فتاقت نفسها الى ان تقطع مملكة فلبست درعا ووضعت على راسها المغفر و
تعلمت من رجز الابطال ابياتا واعتادت ايرادها بنغماتهم حتى تيسر عليها ذلك وتعلمت
كيفية تبخترهم في الميدان وتلقفت جميع شمائلهم ثم توجهت الى المعسكر
فلما وصلت الى المعسكر انفذت الى ديوان العرض فامر ان تجرد عنها المغفر والدرع وينظر
الى ما تحته ويمتحن بالمبارزة مع بعض الشجعان ليعرف قدر غنائها فلما جرد عنها المغفر
والدرع اذا هي عجوز ضعيفة زمنة لا تطيق حمل المغفر والدرع فقيل لها اجئت للاستهزاء
بالملك وللاستخفاف باهل حضرته والتلبيس عليه خذوها فالقوها قدام الفيل فالقيت الى
الفيل فهكذا يكون حال المدعين للتصوف في القيامة اذا كشف عنهم الغطاء وعرضوا على
القاضي الاكبر الذي لا ينظر الى الزي والمرقع بل الى سر القلب وفرقة اخرى
زادت على هولاء في الغرور اذ شق عليها الاقتداء بهم في بذاذة الثياب والرضا بالدون
فارادت ان تتظاهر بالتصوف ولم تجد بدا من التزين بزيهم فتركوا الخز والابريسم

وطلبوا المرقعات النفيسة والفوط الرفيعة والسجادات المصبوغة ولبسوا من الثياب
ما هو ارفع قيمة من الخز والابريسم وظنوا مع ذلك انهم متصوفون بمجرد الثياب في كونها
مرقعة ونسوا ان اولئك انما لونوا الثياب لئلا يطول عليهم غسلها كل ساعة لازالة الوسخ
وانما لبسوا المرقعات اذ كانت ثيابهم مخرقة وكانوا يرقعونها ولا يلبسون الجديد واما
تقطيع الفوط الرفيعة قطعة قطعة وخياطة المرقعات منها فمن اين تشبه ما اعتاده
اولئك فهولاء اظهر حماقة من كافة المغرورين فانهم يتنعمون بنفيس الثياب
ولذائذ الاطعمة ويطلبون رغد العيش وياكلون اموال السلاطين وهم مع ذلك يظنون
بانفسهم الخير وشر هولاء مما يتعدى الى الخلق اذ يهلك من يقتدي بهم ومن
لا يقتدي بهم تفسد عقيدته في اهل التصوف كافة وفرقة اخرى
ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاوزة المقامات والاحوال بعين الشهود والوصول
الى القرب ولا تعرف هذه الامور الا بالاسامي والالقاب الا انه تلقف من الفاظ الطامات
كلمات فهو يرددها ويظن ان ذلك اعلى من علم الاولين والآخرين فهو ينظر الى الفقهاء
والمفسرين والمحدثين واصناف العلماء بعين الازراء فضلا عن العوام حتى ان
الفلاح يترك فلاحته والحائك يترك حياكته ويلازمهم اياما معدودة ويتلقف منهم تلك
الكلمات فهو يرددها كانه يتكلم عن الوحي ويخبر عن سر الاسرار ويستحقر بذلك جميع
العباد والعلماء ويقول في العباد انهم اجراء متعبون وفي العلماء انهم بالحديث عن الله
محجوبون ويدعي لنفسه انه وصل الى الحق وانه من المقربين وهو عند الله من الفجار المنافقين
وعند ارباب القلوب من الحمقا الجاهلين وفرقة منهم وقعت في الاباحة وطووا
بساط الاحكام ورفضوا التفصيل بين الحلال والحرام فبعضهم يقول ان الله مستغن عن عملي
فلما اتعب نفسي وبعضهم يقول قد كلف الناس تطهير القلوب عن الشهوات وعن حب
الدنيا وذلك محال وقد كلفوا ما لا يمكن وانما يغتر به من لم يجرب واما نحن فقد جربنا وادركنا
ان ذلك محال ولم يعلم الحمقى ان الناس لم يكلفوا قلع الشهوة والغضب بالكلية بل
انما كلفوا تهذيبهما بحيث ينقادان لحكم العقل والشرع وبعضهم يقول الاعمال بالجوارح
لا قدر لها وانما النظر الى القلوب وقلوبنا والهة بحب الله وواصلة الى معرفة الله وانما نخوض في الدنيا
بابداننا وقلوبنا عاكفة في حضرة الربوبية فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب
ويزعمون انهم ترقوا عن العوام واستغنوا عن تهذيب النفس بالاعمال البدنية وان الشهوات
لا تصدهم عن طريق الله لقوتهم فيها ويرفعون درجة انفسهم عن درجة الانبياء عليهم
السلام اذ كانت تصدهم عن طريق الله خطيئة واحدة حتى كانوا يبكون عليها وينوحون
سنين متوالية واصناف غرور اهل الاباحة من المتشبهين بالصوفية لا تحصى وكل ذلك
بناء على اغاليط ووساوس يخدعهم الشيطان بها وفرقة اخرى جاوزت حدها ايضا
واجتنبت الاعمال وطلبت الحلال واشتغلت بتفقد القلب فصارت تدعي المقامات من
الزهد والتوكل والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها و
علاماتها وآفاتها فمنهم من يدعي الوجد والحب لله ويزعم انه واله بالله تعالى ولعله قد تخيل
في الله خيالا فيدعي حب الله قبل معرفته ثم لا يخلو عن مقارفة ما يغضب الله وعن
ايثار هوى نفسه على امر الله وليس يدري ان ذلك يناقض الحب وبعضهم ربما يميل
الى القناعة والتوكل فيخوض البوادي من غير زاد ليصحح دعوى التوكل وليس يدري ان

الذي يقتضيه لم يشتغل عن السلف والصحابة وقد كانوا اعرف بالتوكل منه فما فهموا ان التوكل
المخاطرة بالروح وترك الزاد بل كانوا يأخذون الزاد وهم متوكلون على الله لا على الزاد وهذا
ربما يترك الزاد وهو متوكل على سبب من الاسباب واثق به وما من مقام من المقامات
الا وفيها غرور وقد اغتر بها قوم وقد ذكرنا مداخل الآفات في ربع المهلكات من الكتاب فلا
يمكن اعادته وفرقة اخرى ضيقت على انفسها في امر القوت حتى طلبت الحلال المحض
واهملت تفقد القلب والجوارح في غير هذه الخصلة الواحدة ومنهم من اهمل الحلال في
مطعمه وملبسه واخذ يتعمق في غير ذلك وليس يدري المسكين ان الله تعالى لم يرض
من عبده بطلب الحلال فقط ولا يرضيه الا بتفقد جميع الطاعات والمعاصي فمن ظن ان
بعض هذه الامور يكفيه وينجيه فهو مغرور وفرقة منهم ادعوا حسن الخلق والتواضع
والسماحة فتصدوا لخدمة الصوفية فجمعوا قوما وتكلفوا خدمتهم واتخذوا ذلك شبكة
للرياسة وجمع المال وانما غرضهم التكبر وهم يظهرون الخدمة والتواضع وغرضهم الاستتباع
وهم يظهرون ان غرضهم الخدمة والتبعية ثم يجمعون من الحرام والشبهات وينفقون
عليهم لتكثر اتباعهم وبعضهم يأخذ اموال السلاطين وينفق عليهم وبعضهم يأخذها
لينفق في طريق الحج على الصوفية ويزعم ان غرضه البر وباعث جميعهم الرياء والسمعة وآية
ذلك اهمالهم جميع اوامر الله ظاهرا وباطنا ومثال من يأخذ المال الحرام وينفقه في طريق
الحج لارادة الخير كمن يعمر مساجد الله فيطينها بالعذرة ويزعم ان قصده العمارة بذلك وفرقة
اخرى جاوزوا هذه الرتبة واشتغلوا بسلوك الطريق وانفتحت لهم ابواب المعرفة فكلما
شموا من مبادي المعرفة رائحة تعجبوا منها وفرحوا بها واعجبهم غرابتها فتقيدت قلوبهم
بالالتفات اليها والتفكر فيها وفي كيفية انفتاح بابها عليهم وانسداده على غيرهم
وكل ذلك غرور لان عجائب طريق الله ليس لها نهاية ولو وقف السالك مع كل اعجوبة
وتقيد بها لقصرت خطاه وحرم الوصول الى المقصد وفرقة اخرى جاوزوا هؤلاء ولم
يلتفتوا الى ما يفيض عليهم من الانوار في الطريق ولم يعرجوا على الفرح بها والالتفات اليها
جادين في السير حتى قاربوا ووصلوا الى حد القرب الى الله فوقفوا وغلطوا فان لله تعالى
سبعين حجابا من نور لا يصل السالك الى حجاب من تلك الحجب في الطريق الا ويظن انه قد
وصل واليه الاشارة بقول ابرهيم عليه السلام اذ قال الله تعالى خبرا عنه فلما جن
عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي وليس المعني به هذه الاجسام المضيئة فانه كان
يراها في الصغر ويعلم انها ليست آلهة وهي كثيرة وليست واحدة والجهال يعلمون ان الكواكب
ليست بآلهة فمثل ابرهيم لا يغره الكوكب الذي لا يغر السوادية ولكن المراد به نور من
الانوار التي هي من حجب الله سبحانه وهي على طريق السالكين ولا يتصور الوصول الى الله الا بالوصول
الى هذه الحجب وهي حجب من النور وبعضها اعظم من بعض واصغر النيرات الكوكب فاستعير
له لفظه واعظمها الشمس وبينهما رتبة القمر فلم يزل ابرهيم عليه السلام لما رأى ملكوت
السموات حيث قال تعالى وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض يصل الى نور
بعد نور ويتخايل اليه في اول ما يلقاه انه قد وصل ثم كان ينكشف له ان وراءه امرا فيترقى
اليه ويقول قد وصلت فيكشف له ما وراءه حتى وصل الى الحجاب الاقرب الذي لا وصول الا
بعده فقال هذا اكبر فلما ظهر له انه على عظمه غير خال عن الهوي في حضيض النقص
الانحطاط عن ذروة الكمال قال لا احب الآفلين اني وجهت وجهي للذي فطر السموات
والارض وسالك هذه الطريق قد يغتر في الوقوف على بعض هذه الحجب وقد يغتر

بالحجاب الاول واول الحجب بين العبد وبين ربه نفسه فانها ايضا امر رباني وهي نور من انوار
الله اعني سر القلب الذي يتجلى فيه حقيقة الحق كله حتى انه ليتسع لجملة العالم ويحيط بها
وتتجلى فيه صورة الكل وعند ذلك يشرق نوره اشراقا عظيما اذ يظهر فيه الوجود كله
على ما هو عليه وهو في اول الامر محجوب بمشكاة هي كالساتر له فاذا تجلى نوره وانكشف
فيه جمال القلب بعد اشراق نور الله عليه ربما التفت صاحب القلب الى القلب فيرى من
جماله الفائق ما يدهشه وربما سبق لسانه في الدهشة ان يقول انا الحق فان لم
يتضح له ما وراء ذلك اغتر به ووقف عليه وهلك وكان قد اغتر بكوكب صغير من
انوار الحضرة الالهية ولم يصل بعد الى القمر فضلا عن الشمس فهو مغرور وهذا محل
الالتباس اذ المتجلي يلتبس بالمتجلى فيه كما يلتبس لون ما يتراءى في المرآة بالمرآة فيظن انه
لون المرآة وكما يلتبس ما في الزجاج بالزجاج كما قيل: شعر

فكانه خمر ولا قدح * وكانه قدح ولا خمر *

وبهذه العين نظر النصارى الى المسيح
عليه السلام فرأوا اشراق نور الله عز وجل قد تلألأ عليه فغلطوا فيه كمن يرى كوكبا في
المرآة او ماء فيظن ان الكوكب في المرآة او في الماء فيمد يده اليه ليأخذه وهو بذلك
مغرور وانواع الغرور في سلوك الطريق الى الله لا تحصى في مجلدات ولا تستقصى الا بعد
شرح جميع علوم المكاشفة وذلك مما لا رخصة في ذكره

الصنف الرابع ارباب الاموال

والمغترون منهم فرق كثيرة ففرقة منهم يحرصون على بناء
المساجد والمدارس والرباطات والقناطر وما يظهر للناس كافة ويكتبون اساميهم عليها
بالآجر ليتخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت اثرهم وهم يظنون انهم استحقوا المغفرة بذلك
وقد اغتروا فيه من وجهين احدهما انهم يبنونها من اموال اكتسبوها من النهب
والظلم والرشا والجهات المحظورة فهم قد تعرضوا لسخط الله في كسبها وكان الواجب
عليهم الامتناع من كسبها فاذن قد عصوا الله بكسبها وكان الواجب عليهم التوبة
والرجوع الى الله وردها الى ملاكها اما باعيانها او برد بدلها عند العجز عن ردها باعيانها
وان عجزوا عن الملاك كان الواجب ردها الى الورثة فان لم يبق للمظلوم وارث كان
الواجب صرفها الى اهم المصالح فيبنون الابنية بالآجر وغرضهم من بنائها الرياء وجلب
الثناء وحرصهم على بنائها لما يبقى اسمهم بها لا لابتغاء الخير والله مطلع عليه كتب اسمه او لم
يكتبه فلولا انه يريد به وجه الناس لا وجه الله لما افتقر الى ذلك وفرقة اخرى
ربما اكتسبت المال من الحلال وانفقته على المساجد ونحوها وهي ايضا مغرورة من
وجهين احدهما الرياء وطلب الثناء فان احدهم ربما يكون في جواره او في بلده فقراء وصرف
المال اليهم اهم من صرفه الى المساجد وتزيينها وانما يخف عليه الصرف الى المسجد ليظهر
ذلك بين الناس والوجه الثاني انه يصرفها الى زخرفة المساجد وتزيينها بالنقوش
التي هي منهي عنها لانها تشغل قلوب المصلين وتخطف ابصارهم والمقصود من الصلاة
الخشوع وحضور القلب وذلك النقش يفسد قلوب المصلين ويحبط ثوابهم ووبال
ذلك كله يرجع اليه وهو مع ذلك يغتر به ويرى انه من الخيرات ويعتد ذلك وسيلة
الى الله وقد تعرض به لسخط الله وهو يظن انه مطيع لله وممتثل لامره وقد شوش قلوب
عباد الله بما زخرفه في المسجد ووبال ذلك كله في رقبته قال مالك بن دينار دخل رجلان
المسجد فوقف احدهما على الباب وقال مثلي لا يدخل بيت الله فكتبه الملكان عند الله صديقا
وقال الحواريون للمسيح انظر الى هذا المسجد فقال حقا اقول لكم لا يترك الله من هذا

المسجد حجرا قايما على حجر الا اهاله بذنوب اهله ان الله لا يعبأ بالذهب والفضة ولا بهذه
الحجارة التي تعجبكم شيا وان احب الاشيا الى الله القلوب الصالحة بها يعمر الله الارض وبها
تخرب اذا كانت على غير ذلك وقال ابو الدردا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم وقال الحسن ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما اراد ان يبني مسجد المدينة اتاه جبريل عليه السلام فقال ابنه سبعة
اذرع طولا في السما لا تزخرفه ولا تنقشه فغروره من حيث انه راى المنكر معروفا
واتكل عليه وفرقة اخرى ينفقون الاموال في الصدقات وعلى الفقرا والمساكين يطلبون
به المحافل الجامعة ومن الفقرا من عادته الشكر والافشا بالمعروف ويكرهون التصدق
في السر ويرون اخفا الفقير لما اخذ منهم جناية عليهم وكفرانا وربما يحرصون على انفاق
المال في الحج فيحجون مرة بعد اخرى ولذلك قال ابن مسعود في اخر الزمان يكثر الحاج
بلا سبب يهون عليهم السفر ويبسط لهم في الرزق فيرجعون محرومين مسلوبين
يهوي باحدهم بعيره بين القفار والرمال وجاره ماسور بجنبه لا يواسيه وروى ابو نصر
التمار ان رجلا جاء يودع بشر بن الحرث وقال قد عزمت على الحج فتامرني بشي فقال كم
اعددت للنفقة فقال الفي درهم فقال بشر فاي شي تبتغي بحجك نزهة ام اشتياقا
الى البيت ام ابتغا مرضات الله فقال ابتغا مرضات الله قال فان اصبت رضا الله
وانت في بيتك وتنفق الفي درهم وانت على يقين من مرضات الله تفعل
ذلك قال نعم قال اذهب فاعطها عشرة انفس مديون يقضي دينه وفقير يرم
شعثه ومعيل يغني عياله ومربي يتيم يفرحه وان قوي قلبك لواحد فافعل فان
ادخال السرور على قلب المسلم واغاثة اللهفان وكشف الضر واعانة الضعيف افضل
من مائة حجة بعد حجة الاسلام قم فاخرجها كما امرناك والا فقل لنا ما في قلبك فقال
يا ابا نصر سفري اقوى في قلبي فتبسم بشر واقبل عليه فقال له المال اذا جمع من وسخ
التجارات والشبهات اقتضت النفس ان تقضي به وطرا فاظهرت الاعمال الصالحات
وقد الى الله تعالى على نفسه ان لا يقبل الا عمل المتقين وفرقة اخرى من ارباب الاموال
يحفظون الاموال ويمسكونها بحكم البخل ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التي لا يحتاج
فيها الى نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم القران فهم مغرورون لان البخل المهلك
قد استولى على باطنهم فهم محتاجون الى قمعه باخراج المال وقد اشتغلوا بطلب فضايل هم
مستغنون عنها ومثالهم مثال من دخل في ثوبه حية وقد اشرف على الهلاك وهو مشغول
بطبخ السكنجبين ليسكن به الصفرا ومن قتلته الحية متى يحتاج الى السكنجبين ولذلك
قيل لبشر ان فلانا الغني كثير الصوم والصلاة فقال المسكين ترك حاله ودخل في حال غيره وانما
حال هذا اطعام الطعام للجياع والانفاق على المساكين فهذا افضل له من تجويعه نفسه
ومن صلاته لنفسه مع جمعه للدنيا ومنعه الفقرا وفرقة اخرى من عوام الخلق
وارباب الاموال والفقرا يحضرون مجالس الذكر واعتقدوا ان ذلك يغنيهم ويكفيهم
واتخذوا ذلك عادة ويظنون ان لهم على مجرد سماع الوعظ دون العمل ودون الاتعاظ
اجرا وهم بذلك مغرورون لان فضل مجلس الذكر كثير لكونه مرغبا في الخير فان لم يهيج
الرغبة فلا خير فيه والرغبة محمودة لانها تبعث على العمل فان ضعفت عن الحمل على العمل
فلا خير فيها وربما دخلته رقة كرقة النسا فيبكي وربما يسمع كلاما مخوفا فلا يزيد على
ان يصفق بيديه ويقول يا سلام سلم او يقول نعوذ بالله او سبحان الله ويظن انه قد

اتى بالخير وهو مغرور وانما مثاله مثال مريض يحضر مجالس الاطبا فيسمع ما يجري وجايع
يحضر من يصف له الاطعمة اللذيذة الشهية ثم ينصرف عنه وذلك لا يغني عنه من مرضه ولا من
جوعه شيا وكذلك سماع وصف الطاعات دون العمل لا يغني من الله شيا فكل وعظ لم
يغير منك صفة تغييرا يغير اعمالك حتى تقبل على الله وتعرض عن الدنيا اقبالا قويا او ضعيفا
فذلك الوعظ زيادة حجة عليك فاذا رايته وسيلة لك كنت مغرورا فان قلت فما
ذكرته من مداخل الغرور امر لا يتخلص منه احد ولا يمكن الاحتراز منه وهذا يوجب الياس
اذ لا يقدر احد من البشر على الحذر من خفايا هذه الافات فنقول الانسان اذا فترت
همته من شي اظهر الياس واستعظم الامر واستوعر الطريق واذا صح منه الهوى هدي
الى الحيل واستنبط بدقيق النظر خفايا الطرق في الوصول الى الغرض حتى ان الانسان
اذا اراد ان يستنزل الطير المحلق في جو السما استنزله واذا اراد ان يستخرج الحوت
من اعماق البحار استخرجه واذا اراد ان يستخرج الذهب والفضة من تحت الجبال استخرجه
واذا اراد ان يقتنص الوحوش المطلقة في البراري والصحاري اقتنصها واذا اراد ان ياخذ
الافاعي ويعبث بها اخذها واستخرج الدرياق من اجوافها واذا اراد ان يتخذ الديباج
الملون المنقش من ورق التوت اتخذه واذا اراد ان يعرف مقادير الكواكب وطولها
وعرضها عرفه بطريق الهندسة وهو مستقر على الارض وكل ذلك باستنباط الحيل
واعداد الالات فسخر الكلاب والفرس للصيد وسخر البازي لاقتناص الطير وهيا الشبكة
لاقتناص السمك الى غير ذلك من دقايق حيل الادمي وكل ذلك لانه اهمه امر دنياه
وذلك معين له على دنياه فلو اهمه امر اخرته وليس عليه فيها الا شغل واحد وهو تقويم
قلبه فعجز عن تقويم قلبه وجادل في ذلك وقال هذا محال ومن الذي يقدر عليه
كما قيل لو صح منك الهوى ارشدت للحيل فهذا شي لم يعجز عنه السلف الصالحون
ومن تبعهم باحسان فلا يعجز عنه ايضا من صدقت ارادته وقويت همته بل لا
يحتاج الى عشر تعب الخلق في استنباط حيل الدنيا ونظم اسبابها فان قلت
فقد قربت الامر فيه بعد ان كثرت مداخل الغرور فبم ينجو العبد من الغرور فاعلم
انه ينجو منه بثلاثة امور بالعقل والعلم والمعرفة فهذه ثلاثة امور لا بد منها اما
العقل فنعني به الفطرة الغريزية والنور الاصلي الذي به يدرك الانسان حقايق الاشيا
فالفطنة والكياسة فطرية والحمق فطرة فالبليد لا يقدر على التحفظ من الغرور فصفا العقل
وذكا الفهم لا بد منه في اصل الفطرة فاساس السعادات كلها العقل والكياسة قال عليه
السلام تبارك الله الذي قسم العقل بين عباده اشتاتا ان الرجلين يستوي عملهما وبرهما
وصومهما وصلاتهما ولكنهما يتفاوتان في العقل كالذرة في جنب احد وما قسم الله
لخلقه حظا هو افضل من العقل واليقين وعن ابي الدردا انه سيل رسول الله قال
ارايت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل ويحج ويتصدق ويغزو في سبيل الله ويعود
المرضى ويشيع الجنايز ويعين الضعيف ما حاله ومنزلته عند الله يوم القيمة فقال انما
يجزى على قدر عقله وقال انس اثني على رجل عند رسول الله فقالوا خيرا فقال كيف
عقله فقالوا يا رسول الله نقول في عبادته وفضله وخلقه فقال كيف عقله فان الاحمق
يصيب بحمقه اعظم من فجور الفاجر وانما يتقرب الناس على قدر عقولهم وقال عليه
السلام وذكر له شدة عبادة رجل فقال كيف عقله فقالوا ليس بشي فقال ليس يبلغ

صاحبكل حيث تظنون الثاني المعرفة واعني بها ان يعرف اربعة امور يعرف نفسه
ويعرف ربه ويعرف الدنيا ويعرف الاخرة فيعرف نفسه بالعبودية والذل وبكونه غريبا في
هذا العالم واجنبيا من هذه الشهوات البهيمية وانما الموافق له طبعا معرفة الله
والنظر الى وجهه فقط ولا يتصور ان تعرف هذا ما لم يعرف نفسه فليستعن على هذا
بما ذكرناه في كتاب المحبة وشرح عجائب القلب وكتاب التفكر وكتاب الشكر اذ فيها
اشارات الى وصف النفس والى وصف جلال الله تعالى فيحصل له التنبيه على الجملة واما
معرفة الدنيا والاخرة فيستعين عليه بما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا وفي كتاب ذكر الموت
فاذا عرف نفسه وعرف ربه وعرف الدنيا والاخرة ثار من قلبه بمعرفة الله حب الله وبمعرفة
الاخرة شدة الرغبة فيها وبمعرفة الدنيا الرغبة عنها ويصير اهم اموره ما يوصله الى الله
سبحانه وينفعه في الاخرة فاذا غلبت هذه الارادة على قلبه صحت نيته في الامور كلها
واذا غلب حب الله على قلبه بمعرفته بالله وبنفسه الصادرة عن كمال عقله احتاج
الى المعنى الثالث وهو العلم اي العلم بكيفية سلوك الطريق الى الله والعلم بما يقربه الى
الله وما يبعده عنه والعلم بافات الطريق وغوائله وجميع ذلك قد اودعناه كتاب احياء
علوم الدين فيعرف من ربع العبادات شرائطها فيراعيها وافاتها فيتقيها ومن ربع العادات
اسرار المعايش وما هو مضطر اليه فياخذه باداب الشرع وما هو مستغن عنه فيعرض عنه
ومن ربع المهلكات جميع الصفات المانعة من طريق الله فان المانع عن الله هي الصفات
المذمومة في الخلق فيعلم المذموم ويعلم طريق علاجه ويعلم من ربع المنجيات الصفات
المحمودة التي لا بد ان توضع خلفا من المذمومة بعد محوها فاذا احاط بجميع ذلك
امكنه الحذر من الانواع التي اشرنا اليها من الغرور ولا يحصل ذلك الا بالمعرفة
التي ذكرناها فان قلت فاذا فعل جميع ذلك فما الذي يخاف عليه فاقول يخاف
عليه ان يخدعه الشيطان ويدعوه الى نفع الخلق ونشر العلم ودعوة الناس الى ما عرفه الله
تعالى من دينه فان المريد المخلص اذا فرغ من تهذيب الخلق وراقب القلب حتى صفاه
من جميع الكدورات استوى على الصراط المستقيم وصغرت الدنيا في عينه وتركها وانقطع
طمعه منها وعن اهلها ولم يلتفت اليهم ولم يبق له الا هم واحد وهو الله عز وجل
وتلذذ بذكره ومناجاته والشوق الى لقائه فقد عجز الشيطان عن اغوائه اذ ياتيه
من جهة الدنيا وشهوات النفس فلا يطيعه فياتيه من جهة الدين فيدعوه الى الرحمة
على الخلق والشفقة على دينهم بالنصح لهم والدعاء الى الله فينظر العبد بعين الرحمة الى عبيده
من العبيد فيراهم حيارى في امرهم سكارى في دنياهم قد استولى عليهم المرض
فهم لا يشعرون وفقدوا الطبيب واشرفوا على العطب فغلبت على قلبه الرحمة لهم
وقد كان عنده حقيقة المعرفة بما يهديهم ويبين لهم صلاحهم ويرشدهم
الى سعادتهم فكان مثله مثال رجل به داء عظيم لا يطاق المه وقد كان لذلك
يسهر ليله ويقلق نهاره ولا ياكل ولا يشرب ولا يتصرف لشدة الضربان الالم فوجد له
دواء من غير ثمن ولا تعب ولا مرارة في تناوله فاستعمله فبرئ وصح وطاب نومه
بالليل بعد طول سهره وهدا بالنهار بعد قلقه وطاب عيشه واصاب لذة العافية
بعد طول السقم ثم نظر الى عدد كثير من المسلمين فاذا بهم تلك العلة بعينها
وقد طال سهرهم واشتد قلقهم وارتفع الى السماء انينهم فتذكر ان دواءهم هو الذي

يعرفه وانه يقدر على شفائهم باسهل ما يكون من المعاناة وفي اوجز زمان فاخذته الرحمة
والرافة ولم يجد فسحة في التراخي عن الاشتغال بعلاجهم فكذلك العبد المخلص بعد
ان اهتدى الى الطريق وشفي من امراض القلوب شاهد الخلق وقد مرضت قلوبهم وقرب
هلاكهم وسهل عليه دواؤهم فانبعث من ذات نفسه عزم جازم في الاشتغال
بنصحهم فلما اشتغل بذلك وجد الشيطان الى الفتنة سبيلا فدعاه الى الرياسة
دعاء خفيا اخفى من دبيب النمل لا يشعر به المريد فلم يزل ذلك الدبيب في قلبه
حتى دعاه الى التصنع والتزين للخلق بتحسين الالفاظ والنغمات والحركات فاقبل
الناس عليه يعظمونه ويبجلونه ويوقرونه توقيرا يزيد على توقير الملوك اذ راوه شافيا
لدائهم بمحض الشفقة والرحمة من غير طمع فصار احب اليهم من ابائهم وامهاتهم واثروه
بانفسهم واموالهم وصاروا له كالخدم والعبيد يخدمونه ويقدمونه في المحافل فعند ذلك
انتشر الطبع وارتاحت النفس وذاقت اللذة فعند ذلك وجد الشيطان فرصة وامتدت
الى قلبه يده فهو يستعمله في كل ما يحفظ عليه تلك اللذة وانما مثاله مثال
رجل راى جماعة من اخوانه قد وقعوا في بير وغطي راسه بحجر كبير فهاجوا واشرفوا على الغرق بسبب
ذلك فرق قلبه لاخوانه فجاء الى البير ورفع الحجر عن راس البير فشق عليه فجاء من اعانه على
ذلك حتى تيسر عليه او كفاه ذلك ونجاه بنفسه وكان سبيله ان يعظم به فرحه اذ عرض
خلاص اخوانه من البير فان قلت فبم يصح له ان يشتغل بنصح الناس فاقول
اذا لم يكن له قصد سوى هدايتهم لله فكان يود لو وجد من يعينه او يكفونه
بانفسهم وانقطع بالكلية طمعه من ثنائهم واموالهم واستوى عنده حمدهم وذمهم
فلم يبال بذمهم اذ كان الله سبحانه يحمده ولم يفرح بحمدهم اذ لم يقترن به حمد الله ونظر
اليهم كما ينظر الى السادات والى البهائم اما الى السادات فمن حيث انه لا يتكبر عليهم
ويرى كلا منهم خيرا من نفسه لجهله بالخاتمة واما الى البهائم فمن حيث انقطع طمعه
عن طلب المنزلة في قلوبهم فانه لا يبالي كيف تراه البهائم فلا يتزين لها ولا يتصنع فان
قلت فلو ترك الوعاظ الوعظ الا عند سبيل حفظه الله حتى خلت الدنيا عن الوعاظ
وخربت القلوب فاقول وقد قال عليه السلام حب الدنيا راس كل خطيئة ولولا حب
الناس الدنيا لهلك العالم وبطلت المعايش وهلكت القلوب والابدان جميعا الا انه
عليه السلام علم ان حب الدنيا مهلك وان ذكره كونه مهلكا لا ينزع الحب من قلوب الاكثرين
الا الاولين الذين لا تخرب الدنيا بتركهم فلم يترك النصح وذكر ما في حب الدنيا من الخطر ولم يترك
ذكره خوفا من ان يترك ثقة بالشهوات المهلكة التي سلطها الله على عباده ليسوقهم بها
الى جهنم تصديقا لقوله تعالى ولكن حق القول مني وكذلك لا يزال الالسنة الوعاظ مطلقة
بحب الرياسة ولا تدعوها بقول من يقول ان الوعظ لطلب الرياسة حرام كما لم يدع الخلق
شرب الخمر والزنا والسرقة والربا والظلم وسائر المعاصي لقول الله عز وجل ولقول رسوله
عليه السلام ان ذلك حرام فانظر لنفسك وكن قانع القلب من حيث الناس فان الله
يصلح خلقا كثيرا بافساد شخص واحد واشخاص ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض
لفسدت الارض وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وباقوام لا خلاق لهم
فان قلت فاذا علم المريد هذه المكيدة من الشيطان فاشتغل بنفسه وترك
النصح او نصح وراعى شرط الصدق والاخلاص فيه فما الذي يخاف عليه وما الذي يبقى

بين يديه من الاخطار فاعلم انه قد يجي من طريق اعظمه وهو ان الشيطان قد يقول له قد عجزت عني وافلت مني بذكايك وكمال عقلك وقد قدرت على جماعة من الاوليا وما قدرت عليك فما اصبرك واعظم عند الله اذ قواك على قهري ومكنك من التفطن لجميع مداخل غروري فيصغي اليه ويعجب بنفسه في فراره من الغرور فيكون اعجابه بنفسه غاية الغرور وهو المهلك الاكبر فالعجب اكبر من كل ذنب فان قلت فلعله لم يعجب بنفسه اذ علم ان ذلك من الله لا منه وان مثله لا يقوى على دفع الشيطان الا بتوفيق الله ومعونته ومن عرف ضعف نفسه وعجزه عن اقل القليل اذا قدر على مثل هذا الامر العظيم علم انه لم يقوى عليه بنفسه بل بالله تعالى فما الذي يخاف عليه بعد نفي العجب فاقول يخاف عليه الغرور بفضل الله تعالى والثقة بكرمه والامن من مكره فيكون حاله حال الاتكال على فضل الله دون ان يقارنه الخوف من مكره ومن امن مكر الله فهو خاسر جدا بل طريقه ان يكون مشاهدا لجملة ذلك انه من فضل الله ثم يكون خايفا على نفسه ان يكون سترت عنه صفة من صفات قلبه من حب او رياء او التفات الى عز وهو غافل عن خطر الخاتمة فهذا خطر لا محيص عنه وخوف لا نجاة منه الا بعد مجاوزة الصراط ولذلك قال الشيطان لبعض الاوليا في وقت النزع وكان قد بقي له نفس افلت مني يا فلان فقال لا بعد ولذلك قيل الناس كلهم هلكى الا العالمين والعالمون هلكى الا العاملين والعاملون هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم فاذن المغرور هالك والمخلص الفار من الغرور على خطر فلذلك لا تفارق الخوف والحذر قلوب الاوليا ابدا نسال الله حسن الخاتمة

الربع الرابع من المنجيات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي بتحميده يستفتح كل كتاب، وبذكره يصدر كل خطاب، وبحمده يتنعم أهل النعيم في دار الثواب، وباسمه يتسلى الأشقياء وإن أرخي دونهم الحجاب، وضرب بينهم وبين السعداء بسور له باب، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب. ونتوب إليه توبة من يوقن أنه رب الأرباب، ومسبب الأسباب، ونرجوه رجاء من يعلم أنه الملك الرحيم الغفور التواب، ونمزج برجائنا الخوف مزج من لا يرتاب، أنه مع كونه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب. ونصلي على نبيه محمد وصحبه الأكرمين صلاة تنقذنا من هول المطلع يوم العرض والحساب، وتمهد لنا عند الله زلفى وحسن مآب.

أما بعد فإن التوبة عن الذنوب بالرجوع إلى ستار العيوب وعلام الغيوب مبدأ طريق السالكين، ورأس مال الفائزين، وأول أقدام المريدين، ومفتاح استقامة المائلين، ومطلع الاصطفاء والاجتباء للمقربين، ولأبينا آدم صلى الله عليه وعلى سائر الأنبياء أجمعين. وما أجدر بالأولاد الاقتداء بالآباء والأجداد، فلا غرو أن أذنب الآدمي واجترم، فهي شنشنة نعرفها من أخزم، ومن أشبه أباه فما ظلم. ولكن الأب إذا جبر بعد أن كسر، وعمر بعد أن هدم، فليكن النزوع إليه في كلا طرفي النفي والإثبات والوجود والعدم. ولقد قرع آدم سن الندم، وتندم على ما سبق منه وتقدم، فمن اتخذه قدوة في الذنب دون التوبة فقد زلت به القدم. بل التجرد لمحض الخير دأب الملائكة المقربين، والتجرد للشر دون التلافي سجية الشياطين، والرجوع إلى الخير بعد الوقوع في الشر ضرورة الآدميين. فالمتجرد للخير ملك مقرب عند الملك الديان، والمتجرد للشر شيطان، والمتلافي للشر بالرجوع إلى الخير بالحقيقة إنسان. فقد ازدوج في طينة الإنسان شائبتان، واصطحب فيه سجيتان، وكل عبد مصحح نسبه إما إلى الملك أو إلى آدم أو إلى الشيطان. فالتائب قد أقام البرهان على صحة نسبه إلى آدم بملازمة حد الإنسان، والمصر على الطغيان مسجل على نفسه بنسب الشيطان. فأما تصحيح النسب إلى الملائكة بالتجرد لمحض الخير فخارج عن حيز الإمكان، فإن الشر معجون مع الخير في طينة آدم عجنا محكما لا يخلصه إلا إحدى النارين: نار الندم أو نار جهنم. فالإحراق بالنار ضروري في تخليص جوهر الإنسان عن خبائث الشيطان، وإليك الآن اختيار أهون النارين والمبادرة إلى أخف الشرين قبل أن يطوى بساط الاختيار ويساق إلى دار الاضطرار، إما إلى الجنة وإما إلى النار. وإذا كانت التوبة موقعها من الدين هذا الموقع وجب تقديمها في ربع المنجيات بشرح حقيقتها وشروطها وسببها وعلامتها وثمرتها والآفات المانعة منها والأدوية الميسرة لها. ويتضح ذلك بذكر أربعة أركان:

الركن الأول في نفس التوبة وبيان حدها وحقيقتها وأنها واجبة على الفور وعلى جميع الأشخاص وفي جميع الأحوال، وأنها إذا صحت كانت مقبولة.

الركن الثاني فيما عنه التوبة وهي الذنوب، وبيان انقسامها إلى صغائر وكبائر، وما يتعلق بالعباد وما يتعلق بحق الله تعالى، وبيان كيفية توزع الدرجات والدركات على الحسنات والسيئات، وبيان الأسباب التي بها تعظم الصغائر.

الركن الثالث في بيان شروط التوبة ودوامها، وكيفية تدارك ما مضى من المظالم، وكيفية تكفير الذنوب، وبيان أقسام التائبين في دوام التوبة.

الركن الرابع في السبب الباعث على التوبة وكيفية العلاج في حل عقدة الإصرار من المذنبين. ويتم المقصود بهذه الأركان الأربعة.

الركن الأول في نفس التوبة وبيان حقيقة التوبة وحدها

اعلم أن التوبة عبارة عن معنى ينتظم ويلتئم من ثلاثة أمور مرتبة: علم وحال وفعل. فالعلم أول، والحال ثان، والفعل ثالث، والأول موجب للثاني، والثاني موجب للثالث إيجابا اقتضاه اطراد سنة الله تعالى في الملك والملكوت. أما العلم فهو معرفة عظم ضرر الذنوب وكونها حجابا بين العبد وبين كل محبوب، فإذا عرف ذلك معرفة محققة بيقين غالب على قلبه ثار من هذه المعرفة تألم للقلب بسبب فوات المحبوب، فإن القلب مهما أحس بفوات محبوبه تألم، فإن كان فواته بفعله تأسف على الفعل المفوت، فيسمى تألمه بسبب فعله المفوت لمحبوبه ندما. فإذا غلب هذا الألم على القلب واستولى انبعث من هذا الألم في القلب حالة أخرى تسمى إرادة وقصدا إلى فعل له تعلق بالحال وبالماضي وبالاستقبال. أما تعلقه بالحال فبالترك للذنب الذي كان ملابسا له، وأما بالاستقبال فبالعزم على ترك الذنب المفوت للمحبوب إلى آخر العمر، وأما بالماضي فبتلافي ما فات بالجبر والقضاء إن كان قابلا للجبر. فالعلم هو الأول وهو مطلع هذه الخيرات، وأعني بهذا العلم الإيمان واليقين، فإن الإيمان عبارة عن التصديق بأن الذنوب سموم مهلكة، واليقين عبارة عن تأكد هذا التصديق وانتفاء الشك عنه واستيلائه على القلب، فيثمر نور هذا الإيمان مهما أشرق على القلب نار الندم، فيتألم به القلب حيث يبصر بإشراق نور الإيمان أنه صار محجوبا عن محبوبه، كمن يشرق عليه نور الشمس وقد كان في ظلمة فيسطع النور عليه بانقشاع سحاب أو انحسار حجاب، فرأى محبوبه قد أشرف على الهلاك، فتشتعل نيران الحب في قلبه، وتنبعث تلك النيران إرادته للانتهاض للتدارك. فالعلم والندم والقصد المتعلق بالترك في الحال والاستقبال والتلافي للماضي ثلاثة معان مرتبة في الحصول، فيطلق اسم التوبة على مجموعها، وكثيرا ما يطلق اسم التوبة على معنى الندم وحده، ويجعل العلم كالسابق والمقدمة، والترك كالثمرة والتابع المتأخر. وبهذا الاعتبار قال النبي صلى الله عليه وسلم: الندم توبة، إذ لا يخلو الندم عن علم أوجبه وأثمره، وعن عزم يتبعه ويتلوه، فيكون الندم محفوفا بطرفيه أعني ثمرته ومثمره. وبهذا الاعتبار قيل في حد التوبة: إنه ذوبان الحشا لما سبق من الخطا، فإن هذا يعرض لمجرد الألم، ولذلك قيل: هو نار في القلب تلتهب، وصدع في الكبد لا ينشعب. وباعتبار معنى الترك قيل في حد التوبة: إنه خلع لباس الجفا ونشر بساط الوفا. **قال** سهل التستري: التوبة تبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة، ولا يتم ذلك إلا بالخلوة والصمت وأكل الحلال. وكأنه أشار إلى المعنى الثالث من التوبة، والأقاويل في حدود التوبة لا تنحصر، وإذا فهمت هذه المعاني الثلاثة وتلازمها وترتيبها عرفت أن جميع ما قيل في حدودها قاصر عن الإحاطة بجميع معانيها، وطلب العلم بحقائق الأمور أهم من طلب الألفاظ المجردة.

بيان وجوب التوبة وفضلها

اعلم أن وجوب التوبة ظاهر بالآيات والأخبار، وهو واضح بنور البصيرة عند من انفتحت بصيرته، وشرح الله بنور الإيمان صدره حتى اقتدر على أن يسعى بنوره الذي بين يديه في ظلمات الجهل مستغنيا عن قائد يقوده في كل خطوة. فالسالك إما أعمى لا يستغني عن قائد في خطوه، وإما بصير يهتدي إلى أول الطريق ثم يهتدي بنفسه، وكذلك الناس في طريق الدين ينقسمون هذا الانقسام، فمن قاصر لا يقدر على مجاوزة التقليد في خطوه فيفتقر إلى أن يسمع في كل قدم نصا من كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وربما يعوزه ذلك فيتحير، فسير هذا وإن طال عمره وعظم جده مختصر، وخطاه قاصرة. ومن سعيد شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه، فيتنبه بأدنى إشارة لسلوك طريق معوصة وقطع عقبات متعبة، فيشرق في قلبه نور القرآن ونور الإيمان، وهو لشدة نور باطنه يجتزئ بأدنى بيان، فكأنه يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار، فإذا مسته نار فهو نور على نور، يهدي الله لنوره من يشاء. وهذا لا يحتاج إلى نص منقول في كل واقعة، فمن هذا حاله إذا أراد أن يعرف وجوب التوبة فينظر أولا بنور البصيرة إلى التوبة ما هي، ثم إلى الوجوب ما معناه، ثم يجمع بين معنى الوجوب والتوبة، فلا يشك في ثبوته لها. وذلك بأن يعلم أن معنى الوجوب ما هو واجب في الوصول إلى سعادة الأبد والنجاة من هلاك الأبد، فإنه لولا تعلق السعادة والشقاوة بفعل الشيء وتركه لم يكن لوصفه بكونه واجبا معنى، وقول القائل صار واجبا بالإيجاب حديث محض، فإن ما لا غرض لنا عاجلا وآجلا في فعله وتركه فلا معنى لاشتغالنا به، أوجبه علينا غيرنا أو لم يوجبه. فإذا عرف معنى الوجوب وأنه الوسيلة إلى سعادة الأبد، وعلم أنه لا سعادة في دار البقاء إلا في لقاء الله، وأن كل محجوب عنه يشقى لا محالة، محول بينه وبين ما يشتهيه، محترق بنار الفراق ونار الجحيم، وعلم أنه لا مبعد عن لقاء الله إلا اتباع الشهوات والأنس بهذا العالم الفاني والإكباب على حب ما لا بد من فراقه قطعا، وعلم أنه لا مقرب من لقاء الله إلا قطع علاقة القلب عن زخرف هذا العالم والإقبال بالكلية على الله طلبا للأنس به بدوام ذكره، وللمحبة له بمعرفة جلاله وجماله على قدر طاقته، وعلم أن الذنوب التي هي إعراض عن الله واتباع لمحاب الشياطين أعداء الله المبعدين عن حضرته سبب كونه محجوبا مبعدا عن الله تعالى، فلا يشك في أن الانصراف عن طريق البعد واجب للوصول إلى القرب. وإنما يتم الانصراف بالعلم والندم والعزم، فإنه ما لم يعلم أن الذنوب أسباب البعد عن المحبوب لم يندم، ولم يتوجع بسبب سلوكه في طريق البعد، وما لم يتوجع فلا يرجع، ومعنى الرجوع الترك والعزم، فلا يشك في أن المعاني الثلاثة ضرورية في الوصول إلى المحبوب، وهكذا يكون الإيمان الحاصل عن نور البصيرة. وأما من لم يترشح لمثل هذا المقام المحمود المرتفع ذروته عن حدود أكثر الخلق ففي التقليد والاتباع له مجال رحب يتوصل به إلى النجاة من الهلاك، فليلاحظ فيه قول الله وقول رسوله وقول السلف الصالحين. فقد قال الله تعالى: وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون، وهذا أمر على العموم. **وقال** تعالى: يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم الآية. ومعنى النصوح الخالص لله خاليا عن الشوائب، مأخوذ من النصح. ويدل على فضل التوبة قوله تعالى: إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين. **وقال** رسول الله صلى الله عليه وسلم: التائب حبيب الله، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له. **وقال** صلى الله عليه وسلم: لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه، فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته، فطلبها حتى إذا اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله قال: أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت، فوضع رأسه على ساعده ليموت، فاستيقظ فإذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه، فالله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته. وفي بعض الألفاظ: قال من فرحه إذ أراد أن يشكر الله: اللهم أنا ربك وأنت عبدي. ويروى عن الحسن: لما تاب الله على آدم عليه الصلاة والسلام

هذه القبلة فهبط عليه جبريل وميكائيل فقالا يا آدم قرت عيناك بتوبة الله عليك فقال آدم يا جبرائيل فان كان بعد هذه التوبة
سؤال فاين مقامي فاوحى الله تعالى اليه يا آدم اورثت ذريتك التعب والنصب واورثتهم التوبة فمن دعاني منهم لبيته كتلبيتك ومن
سالني المغفرة لم ابخل عليه لاني قريب مجيب يا آدم واحشر التائبين من القبور مستبشرين ضاحكين ودعاؤهم مستجاب والاخبار
والآثار في ذلك لا تحصى والاجماع منعقد من الامة على وجوبها اذ معناه العلم بان الذنوب والمعاصي مهلكات ومبعدات من الله تعالى
وهذا داخل في وجوب الايمان ولكن قد تدهش الغفلة عنه فمعنى هذا العلم ازالة هذه الغفلة ولا خلاف في وجوبها ومن معانيها ترك المعاصي
في الحال والعزم على تركها في الاستقبال وتدارك ما سبق من التقصير في سابق الاحوال وذلك لا يشك في وجوبه واما التندم على ما سبق والتحزن
عليه فواجب وهو روح التوبة وبه تمام التلافي فكيف لا يكون واجبا بل هو نوع الم يحصل لا محالة عقيب حقيقة المعرفة بما فات
من العمر وضاع في سخط الله تعالى **فان قلت** تألم القلب امر ضروري لا يدخل تحت الاختيار فكيف يوصف بالوجوب
فاعلم ان سببه تحقيق العلم بفوات المحبوب وله سبيل الى تحصيل سببه وبمثل هذا المعنى دخل العلم تحت الوجوب لا بمعنى ان العلم يخلقه
العبد ويحدثه في نفسه فان ذلك محال بل العلم والندم والفعل والارادة والقدرة والقادر والكل من خلق الله وفعله والله خلقكم وما
تعملون هذا هو الحق عند ذوي البصائر وما سوى هذا ضلال **فان قلت** فليس للعبد اختيار في الفعل والترك
قلنا نعم وذلك لا يناقض قولنا ان الكل من خلق الله بل الاختيار ايضا من خلق الله والعبد مضطر في الاختيار الذي له فان الله اذا
خلق اليد الصحيحة وخلق الطعام اللذيذ وخلق الشهوة للطعام في المعدة وخلق العلم في القلب بان هذا الطعام يسكن الشهوة وخلق
الخواطر المتعارضة في ان هذا الطعام هل فيه مضرة مع انه يسكن الشهوة وهل دون تناوله مانع يتعذر معه تناوله ام لا ثم خلق العلم بانه
لا مانع ثم عند اجتماع هذه الاسباب تنجزم الارادة الباعثة على التناول فانجزام الارادة بعد تردد الخواطر المتعارضة وبعد وقوع الشهوة للطعام
يسمى اختيارا ولا بد من حصوله عند تمام اسبابه فاذا حصل انجزام الارادة بخلق الله اياها تحركت اليد الصحيحة الى جهة الطعام لا محالة
اذ بعد تمام الارادة والقدرة يكون حصول الفعل ضروريا فتحصل الحركة فتكون الحركة بخلق الله تعالى بعد حصول القدرة وانجزام الارادة وهما
من خلق الله تعالى وانجزام الارادة يحصل بعد صدق الشهوة والعلم بعدم المانع وهما ايضا من خلق الله تعالى ولكن بعض هذه المخلوقات يترتب على
البعض ترتيبا جرت به سنة الله تعالى في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا فلا يخلق الله تعالى حركة اليد بكتابة منظومة ما لم يخلق فيها
صفة تسمى قدرة وما لم يخلق فيها حياة وما لم يخلق ارادة مجزومة ولا يخلق الارادة المجزومة ما لم يخلق شهوة وميلا في النفس ولا ينبعث
هذا الميل انبعاثا تاما ما لم يخلق علما بانه موافق للنفس اما في الحال او في المآل ولا يخلق العلم ايضا الا باسباب اخر ترجع الى حركة وارادة
وعلم فالعلم والميل الطبيعي ابدا يستتبع الارادة الجازمة والارادة والقدرة ابدا تستردف الحركة وهكذا الترتيب في كل فعل والكل من اختراع الله تعالى
ولكن بعض مخلوقاته شرط للبعض فلذلك يجب تقدم البعض وتاخر البعض كما لا يخلق الارادة الا بعد العلم ولا يخلق العلم الا بعد الحياة ولا
يخلق الحياة الا بعد الجسم فيكون خلق الجسم شرطا لحدوث الحياة لا ان الحياة تتولد من الجسم ويكون خلق الحياة شرطا لخلق العلم لا ان العلم يتولد
من الحياة ولكن لا يستعد المحل لقبول العلم الا اذا كان حيا ويكون خلق العلم شرطا لجزم الارادة لا ان العلم يولد الارادة ولكن لا يقبل الارادة الا جسم حي
عالم ولا يدخل في الوجود الا ممكن وللامكان ترتيب لا يقبل التغير لان تغيره محال فمهما وجد شرط الوصف استعد المحل لقبول الوصف فحصل ذلك
الوصف من الجود الالهي والقدرة الازلية عند حصول الاستعداد ولما كان للاستعداد بسبب الشروط ترتيب كان لحصول الحوادث بفعل الله تعالى
ترتيب والعبد مجرى هذه الحوادث المرتبة وهي مرتبة في قضاء الله تعالى الذي هو واحد كلمح البصر ترتيبا كليا لا يتغير وظهورها بالتفصيل
مقدر بقدر لا يتعداها وعنه العبارة بقوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر وعن القضاء الكلي الازلي العبارة بقوله تعالى وما امرنا الا
واحدة كلمح بالبصر واما العباد فانهم مسخرون تحت مجاري القضاء والقدر ومن جملة القدر خلق حركة في يد الكاتب بعد خلق صفة مخصوصة
في يده تسمى القدرة وبعد خلق ميل قوي جازم في نفسه يسمى القصد وبعد علم بما اليه ميله يسمى الادراك والمعرفة فاذا ظهرت من باطن الملكوت
هذه الامور الاربعة على جسم عبد مسخر تحت قهر التقدير سبق اهل عالم الملك والشهادة المحجوبون عن عالم الغيب والملكوت وقالوا ايها الرجل قد تحركت
وكتبت ورميت فنودي من وراء حجب الغيب وسرادقات الملكوت وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وما قتلتم اذ قتلتم ولكن
قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم وعند هذا تحيرت عقول القاعدين في بحبوحة عالم الشهادة فمن قائل انه جبر محض ومن قائل انه اختراع صرف
ومن متوسط مائل الى انه كسب ولو فتح لهم ابواب السماء فنظروا الى عالم الغيب والملكوت لظهر لهم ان كل واحد صادق من وجه وان
القصور شامل لجميعهم فلم يدرك واحد منهم كنه هذا الامر ولم يحط علمه بجوانبه وتمام علمه ينال باشراق النور من كوة نافذة الى عالم

الغيب وانه تعالى عالم الغيب والشهادة لا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى وقد يطلع على الشهادة من لم يدخل في حيز الارتضاء ومن حرك سلسلة
الاسباب والمسببات وعلم كيفية تسلسلها ووجه ارتباط مناط سلسلتها بمسبب الاسباب انكشف له سر القدر وعلم علما يقينا ان لا خالق الا الله
ولا مبدع سواه **فان قلت** قد قضيت على كل واحد من القائلين بالجبر والاختراع والكسب بانه صادق من وجه
وهو مع صدقه قاصر وهذا تناقض فكيف يمكن فهم ذلك وهل يمكن ايصال ذلك الى الافهام بمثال **فاعلم** ان جماعة من العميان
قد سمعوا انه حمل الى البلدة حيوان عجيب يسمى الفيل وما كانوا قط شاهدوا صورته ولا سمعوا باسمه فقالوا لا بد لنا من مشاهدته
ومعرفته باللمس الذي نقدر عليه فطلبوه فلما وصلوا اليه لمسوه فوقع يد بعض العميان على رجله ووقع يد بعضهم على نابه ووقع يد بعضهم
على اذنه فقالوا قد عرفناه فلما انصرفوا سألهم بقية العميان فاختلفت اجوبتهم فقال الذي لمس الرجل ان الفيل ما هو الا مثل
اسطوانة خشنة الظاهر الا انه الين منها وقال الذي لمس الناب ليس كما تقول بل هو صلب لا لين فيه واملس لا خشونة فيه
وليس في غلظ الاسطوانة اصلا بل هو مثل عمود وقال الذي لمس الاذن لعمري هو لين وفيه خشونة فصدق احدهما فيه ولكن قال ما هو مثل
عمود ولا هو مثل اسطوانة وانما هو مثل جلد عريض غليظ فكل واحد من هؤلاء صدق من وجه اذ اخبر كل واحد عما اصابه من معرفة الفيل
ولم يخرج واحد من خبره عن وصف الفيل ولكنهم بجملتهم قصروا عن الاحاطة بكنه صورة الفيل **فاستبصر** بهذا المثال واعتبر به
فانه مثال اكثر ما اختلف الناس فيه وان كان هذا كلاما يناطح علوم المكاشفة ويحرك امواجها وليس ذلك من غرضنا
فلنرجع الى ما كنا بصدده وهو بيان ان التوبة واجبة بجميع اجزائها الثلاثة العلم والندم والترك وان الندم داخل في الوجوب
لكونه واقعا في جملة افعال الله المحصورة بين علم العبد وارادته وقدرته المتخللة بينها وما هذا وصفه فاسم الوجوب يشمله

بيان ان وجوب التوبة على الفور

اما وجوبها فلا يستراب فيه اذ معرفة كون المعاصي مهلكات من نفس الايمان وهو واجب على
الفور والمتفصي عن وجوبه هو الذي عرفه معرفة زجره عن الفعل فان هذه المعرفة ليست من علوم المكاشفات التي لا تتعلق بعمل
بل هي من علوم المعاملة وكل علم يراد ليكون باعثا على عمل فلا يقع التفصي عن عهدته ما لم يصر باعثا فالعلم بضرر الذنوب انما اريد ليكون
باعثا على تركها فمن لم يتركها فهو فاقد لهذا الجزء من الايمان وهو المراد بقوله عليه السلام لا يزني الزاني وهو مؤمن حين يزني وما
اراد به نفي الايمان الذي يرجع الى علوم المكاشفة كالعلم بالله ووحدانيته وصفاته وكتبه ورسله فان ذلك لا ينافيه الزنا والمعاصي
وانما اراد به نفي الايمان بكون الزنا مبعدا عن الله وموجبا للمقت كما اذا قال الطبيب هذا سم فلا تتناوله فاذا تناوله يقال تناوله
وهو غير مؤمن لا بمعنى انه غير مؤمن بوجود الطبيب وكونه طبيبا وغير مصدق به بل المراد انه غير مصدق بقوله انه سم مهلك
فان العالم بالسم لا يتناوله اصلا **فالعاصي** بالضرورة ناقص الايمان وليس الايمان بابا واحدا بل هو نيف وسبعون
بابا اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق ومثاله قول القائل ليس الانسان موجودا واحدا بل هو
نيف وسبعون موجودا اعلاها القلب والروح وادناها اماطة الاذى عن البشرة بان يكون مقصوص الشارب مقلم الاظفار نقي
البشرة عن الخبث حتى يتميز عن البهائم المرسلة الملوثة بارواثها المستكرهة الصور بطول مخالبها واظلافها وهذا مثال مطابق
فالايمان كالانسان وفقد شهادة التوحيد يوجب البطلان بالكلية كفقد الروح والذي ليس له الا شهادة التوحيد والرسالة
هو كانسان مقطوع الاطراف مفقوء العينين فاقد لجميع اعضائه الظاهرة والباطنة لا اصل الروح وكما ان من هذا حاله
قريب من ان يموت فتزايله الروح الضعيفة المنفردة التي تخلفت عنها الاعضاء التي تمدها وتقويها فكذلك من ليس له الا اصل
الايمان وهو مقصر في الاعمال قريب من ان تنقلع شجرة ايمانه اذا صدمتها الرياح العاصفة المحركة للايمان في مقدمة قدوم ملك
الموت ووروده فكل ايمان لم يثبت في اليقين اصله ولم تنتشر في الاعمال فروعه لم يثبت على عواصف الاهوال عند ظهور ناصية
ملك الموت وخيف عليه سوء الخاتمة الا ما سقي بالطاعات على توالي الايام والساعات حتى رسخ وثبت **وقول**
العاصي المطيع اني مؤمن كما انك مؤمن كقول شجرة القرع لشجرة الصنوبر انا شجرة وانت شجرة وما احسن جواب شجرة الصنوبر
اذ قالت ستعرفين اغترارك بشمول الاسم اذا عصفت رياح الخريف فعند ذلك تنقلع اصولك وتتناثر اوراقك وينكشف
غرورك بالمشاركة في اسم الشجرة مع الغفلة عن اسباب ثبات الاشجار وسوف ترى اذا انجلى الغبار افرس تحتك ام حمار
وهذا امر يظهر عند الخاتمة وانما انقطع نياط قلوب العارفين خوفا من دواهي الموت ومقدماته الهائلة التي لا يثبت عليها الا الاقلون
فالعاصي اذا كان لا يخاف الخلود في النار بسبب معصيته كالصحيح المنهمك في الشهوات المضرة اذا كان لا يخاف الموت بسبب صحته

وان الموت غالبا لا يقع الا فجاءة فيقال له الصحيح على المرض ثم اذا مرض يخاف الموت فكذلك العاصي يخاف سوء الخاتمة
ثم اذا ختم له بالسوء وجب الخلود في النار فالمعاصي للايمان كالماكولات المضرة للابدان فلا تزال تجتمع في الباطن حتى تغير مزاج الاخلاط
وهو لا يشعر بها الا ان يفسد المزاج فيمرض دفعة ثم يموت دفعة فكذلك المعاصي فان كان الخائف من الهلاك في هذه الدنيا المنقضية
يجب عليه ترك السموم وما يضره من الماكولات في كل حال وعلى الفور فالخائف من هلاك الابد اولى بان يجب عليه ذلك وان كان متناول السم
اذا ندم يجب عليه ان يتقيا ويرجع عن تناوله بابطاله واخراجه عن المعدة على سبيل الفور والمبادرة تلافيا لبدنه المشرف على الهلاك
الذي لا يفوت عليه الا هذه الدنيا الفانية فمتناول سموم الدين وهي الذنوب اولى بان يجب عليه الرجوع عنها بالتدارك الممكن ما دام يبقى للتدارك
مهلة وهو العمر فان المخوف من هذا السم فوات الآخرة الباقية التي فيها النعيم المقيم • والملك العظيم • وفي فواتها نار الجحيم • والعذاب المقيم • الذي
يتصرم اضعاف اعمار الدنيا دون عشر عشير مدته اذ ليس لمدته آخر البتة • فالبدار البدار الى التوبة قبل ان تعمل سموم الذنوب
بروح الايمان عملا يجاوز الامر فيه اختيار الاطباء ولا ينفع بعده الاحتماء فلا ينجع بعد ذلك نصح الناصحين ووعظ الواعظين
وتحق الكلمة عليه بانه من الهالكين ويدخل تحت عموم قوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين
ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون • ولا يغرنك لفظ الايمان فتقول
المراد بالآية الكافرون اذ تبين لك ان الايمان بضع وسبعون بابا وان الزاني لا يزني وهو مؤمن • **فالمحجوب** عن الايمان الذي هو شعب
وفروع سيحجب في الخاتمة عن الايمان الذي هو اصل كما ان الشخص الفاقد لجميع الاطراف التي هي فروع سيساق الى الموت المعدوم للروح التي
هي اصل فلا بقاء للاصل دون الفرع ولا وجود للفرع دون الاصل فلا فرق بين الفرع والاصل الا في شيء واحد وهو ان وجود الفرع وبقاءه
جميعا يستدعي وجود الاصل واما وجود الاصل فلا يستدعي وجود الفرع ولكن بقاؤه يستدعي وجود الفرع فبقاء الاصل بالفرع ووجود
الفرع بالاصل • **فعلوم المكاشفة** وعلوم المعاملة متلازمة كتلازم الاصل والفرع فلا يستغني احدهما عن الآخر وان كان احدهما في
رتبة الاصل والآخر في رتبة التابع وعلوم المعاملة اذا لم تكن باعثة على العمل فعدمها خير من وجودها فان هي لم تعمل عملها الذي تراد له
ثم قام مؤكدا للحجة على صاحبها ولذلك يزاد في عذاب العالم الفاجر على عذاب الجاهل الفاجر كما اوردنا من الاخبار في كتاب العلم •

بيان ان وجوب التوبة عام في الاشخاص والاحوال

ولا ينفك عنه احد البتة صح

اعلم ان ظاهر الكتاب قد دل على هذا • اذ قال تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون فعمم الخطاب
ونور البصيرة ايضا يرشد اليه اذ معنى التوبة الرجوع عن الطريق المبعد عن الله المقرب الى الشيطان ولا يتصور ذلك الا من عاقل ولا
تكمل غريزة العقل الا بعد كمال غريزة الشهوة والغضب وساير الصفات المذمومة التي هي وسايل الشيطان الى اغواء الانسان
اذ كمال العقل انما يكون عند مقاربة الاربعين واصله انما يتم عند مراهقة البلوغ ومباديه تظهر بعد سبع سنين والشهوات
جنود الشيطان والعقول جنود الملئكة واذا اجتمعا قام القتال بينهما بالضرورة اذ لا يثبت احدهما للآخر فانهما ضدان
فالتطارد بينهما كالتطارد بين الليل والنهار والنور والظلمة ومهما غلب احدهما ازعج الآخر بالضرورة واذا كانت الشهوات تكمل
في الصبى والشباب قبل كمال العقل فقد سبق جند الشيطان واستولى على المكان ووقع للقلب به انس وإلف لا محالة بمقتضيات الشهوات
بالعادة وغلب ذلك عليه ويعسر عليه النزوع ثم يلوح العقل الذي هو حزب الله وجنده ومنقذ اوليائه من ايدي اعدائه شيئا فشيئا على التدريج
فان لم يقو ولم يكمل سلمت مملكة القلب للشيطان وانجز اللعين موعده حيث قال لاحتنكن ذريته الا قليلا وان كمل العقل وقوي كان اول
شغله قمع جنود الشيطان بكسر الشهوات ومفارقة العادات ورد الطبع على سبيل القهر الى العبادات ولا معنى للتوبة الا هذا وهو الرجوع عن

الرجوع

طريق دليله الشهوة وخفيره الشيطان الى طريق الله تعالى **وليس في الوجود** آدمي الا وشهوته سابقة على عقله وغريزته التي هي
عدة الشيطان متقدمة على غريزته التي هي عدة الملئكة فكان الرجوع عما سبق اليه على مساعدة الشهوات ضروريا في حق كل انسان نبيا او غبيا
فلا تظنن ان هذه الضرورة اختصت بآدم صلى الله عليه وسلم • فلا تحسبن هندا لها الغدر وحدها • سجية نفس كل غانية هند • بل هو حكم
ازلي مكتوب على جنس الانس لا يمكن فرض خلافه ما لم تتبدل السنة الالهية التي لا مطمع في تبديلها • فاذا كل من بلغ كافرا جاهلا فعليه
التوبة من كفره وجهله فاذا بلغ مسلما تبعا لابويه غافلا عن حقيقة اسلامه فعليه التوبة من غفلته بتفهم معنى الاسلام فانه لا يغني عنه
اسلام ابويه شيئا ما لم يسلم بنفسه فان فهم فعليه الرجوع عن عادته وإلفه للاسترسال وراء الشهوات من غير صارف بالرجوع الى
حدود الله تعالى في المنع والاطلاق والانكفاف والاسترسال وهو من اشق ابواب التوبة وفيه هلك الاكثرون اذ عجزوا عنه وكل هذا رجوع
وتوبة فدل ان التوبة فرض عين في حق كل شخص لا يتصور ان يستغني عنها احد من البشر كما لم يستغن عنه آدم عليه الصلاة والسلام

فخلقة الولد لا تتسع لما لم تتسع له خلقة الوالد اصلا

واما بيان وجوبها على الدوام وفي كل حال

فهو ان كل بشر فلا يخلو عن معصية بجوارحه اذ لم يخل عنه الانبياء عليهم الصلاة والسلام كما ورد في القرآن والاخبار من خطايا الانبياء عليهم السلام
وتوبتهم وبكائهم على خطاياهم فان خلا في بعض الاحوال عن معصية الجوارح فلا يخلو عن الهم بالذنوب بالقلب فان خلا عن الهم فلا يخلو من
عن وساوس الشيطان بايراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله فان خلا عنه فلا يخلو عن غفلة وقصور في العلم بالله وصفاته وافعاله
وكل ذلك نقص وله اسباب وترك اسبابه بالتشاغل باضدادها رجوع عن طريق الى ضده والمراد بالتوبة الرجوع ولا يتصور الخلو
في حق الآدمي عن هذا النقص وانما يتفاوتون في المقادير فاما الاصل فلا بد منه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي حتى استغفر الله في اليوم والليلة
سبعين مرة فاستغفر الله الحديث ولذلك اكرمه الله تعالى بان قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر واذا كان هذا حاله فكيف حال غيره

فان قلت لا يخفى ان ما يطرأ على القلب من الهموم والخواطر نقص وان الكمال في الخلو عنه وان القصور عن معرفة كنه جلال الله
نقص وانه كلما ازدادت المعرفة زاد الكمال وان الانتقال الى الكمال من اسباب النقصان رجوع والرجوع توبة ولكن هذه فضائل لا فرائض وقد
اطلقت القول بوجوب التوبة في كل حال والتوبة عن هذه الامور ليست واجبة اذ ادراك الكمال غير واجب في الشرع فما المراد بقولك التوبة واجبة
في كل حال **فاعلم** انه قد سبق ان الانسان لا يخلو في مبدأ خلقته عن اتباع الشهوات اصلا وليس معنى التوبة تركها فقط بل تمام التوبة
بتدارك ما مضى وكل شهوة اتبعها الانسان ارتفع منها ظلمة الى قلبه كما يرتفع من نفس الانسان ظلمة الى وجه المرآة الصقيلة فان تراكمت ظلمة الشهوات
صار رينا كما يصير بخار النفس في وجه المرآة عند تراكمه خبثا كما قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فاذا تراكم الرين صار طبعا فيطبع على
قلبه كالخبث في وجه المرآة اذا تراكم وطال زمانه غاص في جوهر الحديد وافسده وصار لا يقبل التصقيل بعده وصار كالمطبوع من الخبث ولا
يكفي في تدارك اتباع الشهوات تركها في المستقبل بل لا بد من محو تلك الآثار التي انطبعت في القلب كما لا يكفي في ظهور الصور في المرآة قطع الانفاس
والبخارات المسودة لوجهها في المستقبل ما لم يشتغل بمحو ما انطبع فيها من الآثار وكما يرتفع الى القلب ظلمة من المعاصي والشهوات فيرتفع اليه نور من الطاعات
وترك الشهوات فتنمحي ظلمة المعصية بنور الطاعة واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم اتبع السيئة الحسنة تمحها فاذا لا يستغني العبد في حال من احواله
عن محو آثار السيئات عن قلبه بمباشرة حسنات تضاد آثارها آثار تلك السيئات هذا في قلب حصل اولا صفاؤه وجلاؤه ثم اظلم باسباب عارضة
فاما التصقيل الاول ففيه يطول الشغل اذ ليس شغل الصيقل في ازالة الصدأ عن المرآة كشغله في عمل اصل المرآة فهذه اشغال طويلة لا تنقطع
اصلا وكل ذلك يرجع الى التوبة واما قولك ان هذا لا يسمى واجبا بل هو فضل وطلب كمال فاعلم ان الواجب له معنيان احدهما ما يدخل
في فتوى الشرع ويشترك فيه كافة الخلق وهو القدر الذي لو اشتغل كافة الخلق به لم يخرب العالم فلو كلف الناس كلهم ان يتقوا الله حق تقاته لتركوا المعايش
ورفضوا الدنيا بالكلية ثم يؤدي ذلك الى بطلان التقوى بالكلية فانه مهما فسدت المعايش لم يتفرغ احد للتقوى بل شغل الحياكة والحراثة والخبز يستغرق
جميع العمر من كل واحد فيما يحتاج اليه فجميع هذه الدرجات ليست واجبة بهذا الاعتبار **والواجب الثاني** هو الذي لا بد منه للوصول الى
القرب المطلوب من رب العالمين والمقام المحمود بين الصديقين والتوبة عن جميع ما ذكرناه واجبة في الوصول اليه كما يقال الطهارة واجبة في التطوع اي
لمن يريده فانه لا يتوصل اليه الا بها فاما من رضي بالنقصان والحرمان عن فضل صلاة التطوع فالطهارة ليست واجبة عليه لاجله وكما يقال العين
والاذن واليد والرجل شرط في وجود الانسان يعني انه شرط لمن يريد ان يكون انسانا كاملا ينتفع بانسانيته ويتوصل بها الى درجات العلا في الدنيا فاما من قنع باصل
الحياة ورضي ان يكون كلحم على وضم وكخرقة مطروحة فليس يشترط لمثل هذه الحياة عين ويد ورجل **فاصل الواجبات** الداخلة في فتوى العامة
لا يوصل الا الى اصل النجاة واصل النجاة كاصل الحياة وما وراء اصل النجاة من السعادات التي بها تنتهي الحياة يجري مجرى الاعضاء والآلات التي بها تتهيأ الحياة وفيه
سعي الانبياء والاولياء والعلماء والامثل فالامثل وعليه كان حرصهم وحواليه كان تطوافهم ولاجله كان رفضهم لملاذ الدنيا بالكلية حتى انتهى عيسى
عليه السلام الى ان توسد حجرا في منامه فجاءه الشيطان فقال اما كنت تركت الدنيا للآخرة فقال نعم وما الذي حدث فقال توسدك لهذا الحجر تنعم بالدنيا
فلم لا تضع راسك على الارض فرمى عيسى عليه السلام بالحجر ووضع راسه على الارض وكان رميه للحجر توبة عن ذلك التنعم افترى ان عيسى عليه السلام لم يعلم ان وضع الراس على
الارض لا يسمى واجبا في فتاوى العامة افترى ان نبينا صلى الله عليه وسلم لما شغله الثوب الذي كان عليه علم في صلاته حتى نزعه وشغله شراك
نعله الذي جدده حتى اعاد الشراك الخلق لم يعلم ان ذلك ليس واجبا في شرعه الذي شرعه لكافة العباد فاذا علم ذلك فلم تاب عنه بتركه
وهل كان ذلك الا لانه رآه مؤثرا في قلبه اثرا يمنعه عن بلوغ المقام المحمود الذي كان قد وعد به او ترى ان الصديق رضي الله عنه بعد ان شرب اللبن
وعرف انه من غير وجهه ادخل اصبعه في حلقه ليخرجه حتى كاد يخرج معه روحه ما علم من الفقه هذا القدر وهو ان ما اكله عن جهل فهو غير آثم به
ولا يجب في فتوى الفقه اخراجه فلم تاب عن اكله بالتدارك على حسب امكانه بتخلية المعدة عنه وهل كان ذلك الا لسر وقر في صدره

عمره ذلك السرار فتوى لعامة حديث اخر وان خضر طريق المجرم لا يعرفه الا الصديقون فتامل احوالهم هي لانه الزم هم العزم خوف ان ياسه ويغرق الله وبكراسه وبكلام المغرور باسه واياك مرة واحدة ان تغرك الحياة الدنيا واياك ثم اياك ان يغرك بالله الغرور فهذه اسرار من استنشق مبادي روايحها علم ان لزوم التوبة النصوح لازم للعبد السالك في كل نفس من انفاسه ولو عمر عمر نوح وان ذلك واجب على الفور من غير مهلة ولقد صدق ابو سليمان الداراني حيث قال لو لم يبك العاقل فيما بقي من عمره الا على فوت ما مضى منه في غير الطاعة لكان خليقا ان يحزنه ذلك الى الممات فكيف من يستقبل ما بقي من عمره بمثل ما مضى من جهله وانما قال هذا لان العاقل اذا ملك جوهرة نفيسة اذا ضاعت منه بغير فايدة بكى عليها لا محالة فان ضاعت منه وصار ضياعها سبب هلاكه كان بكاوه منه اشد وكل ساعة من العمر بل كل نفس جوهرة نفيسة لا خلف لها ولا بدل منها فانها صالحة لان توصلك الى سعادة الابد وتنقذك من شقاوة الابد واي جوهرة انفس من هذه فاذا ضيعتها في الغفلة فقد خسرت خسرانا مبينا وان صرفتها الى معصية فقد هلكت هلاكا فاحشا فان كنت لا تبكي على هذه المصيبة فذلك لجهلك ومصيبتك بجهلك اعظم من كل مصيبة لكن الجهل مصيبة لا يعرف المصاب بها انه صاحب مصيبة فان نوم الغفلة يحول بينه وبين معرفته والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فعند ذلك ينكشف لكل مفلس افلاسه ولكل مصاب مصيبته وقد يقع الياس عن التدارك **قال** بعض العارفين ان ملك الموت اذا ظهر للعبد اعلمه انه قد بقي من عمرك ساعة وانك لا تستاخر عنها طرفة عين فيبدو للعبد من الاسف والحسرة ما لو كانت له الدنيا بحذافيرها لخرج منها على ان يضم الى تلك الساعة ساعة اخرى يستعتب فيها ويتدارك تفريطه فلا يجد اليه سبيلا وهو اول ما يظهر من معاني قوله تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون واليه الاشارة بقوله تعالى من قبل ان ياتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين ولن يوخر الله نفسا اذا جاء اجلها فقيل الاجل القريب الذي يطلبه معناه انه يقول عند كشف الغطاء للعبد يا ملك الموت اخرني يوما اعتذر فيه الى ربي واتوب واتزود صالحا لنفسي فيقول فنيت الايام فلا يوم فيقول اخرني ساعة فيقول فنيت الساعات فلا ساعة فيغلق عليه باب التوبة فيتغرغر بروحه وتتردد انفاسه في شراسيفه ويتجرع غصة الياس عن التدارك وحسرة الندامة على تضييع العمر فيضطرب اصل ايمانه في صدمات تلك الاهوال فاذا زهقت نفسه فان كان ممن سبقت له من الله الحسنى خرجت روحه على التوحيد فذلك حسن الخاتمة وان سبق له القضاء بالشقوة والعياذ بالله خرجت روحه على الشك والاضطراب وذلك سوء الخاتمة ولمثل هذا يقال وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن وقوله انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب معناه عن قرب عهد بالخطيئة بان يتندم عليها ويمحو اثرها بحسنة يردفها بها قبل ان يتراكم الرين على القلب فلا يقبل المحو ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اتبع السيئة الحسنة تمحها ولذلك قال لقمان لابنه يا بني لا توخر التوبة فان الموت ياتي بغتة ومن ترك المبادرة الى التوبة بالتسويف كان بين خطرين عظيمين احدهما ان تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى تصير رينا وطبعا فلا يقبل المحو والثاني ان يعاجله المرض او الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو ولذلك ورد في الخبر ان اكثر صياح اهل النار من التسويف فما هلك من هلك الا بالتسويف فيكون تسويده القلب نقدا وجلاوه بالطاعة نسيئة الى ان يختطفه الاجل فياتي الله بقلب غير سليم ولا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم **فالقلب** امانة الله تعالى عند عبده **والعمر** امانة الله عنده وكذا سائر اسباب الطاعة فمن خان في الامانة ولم يتدارك خيانته فامره مخطر **قال** بعض العارفين ان لله تعالى الى عبده سرين يسرهما اليه على سبيل الالهام احدهما اذا خرج من بطن امه يقول له عبدي قد اخرجتك الى الدنيا طاهرا نظيفا واستودعتك عمرك وائتمنتك عليه فانظر كيف تحفظ الامانة وانظر كيف تلقاني والثاني عند خروج روحه يقول عبدي ماذا صنعت في امانتي عندك هل حفظتها حتى تلقاني على العهد فالقاك على الوفاء او اضعتها فالقاك بالمطالبة والعقاب واليه الاشارة بقوله تعالى اوفوا بعهدي اوف بعهدكم وبقوله والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

بيان ان التوبة اذا اجتمعت شرايطها فهي مقبولة لا محالة

اعلم انك اذا فهمت معنى القبول لم تشك في ان كل توبة صحيحة فهي مقبولة فالناظرون بنور البصاير المستمدون من انوار القران علموا ان كل قلب سليم مقبول عند الله تعالى ومتنعم في الاخرة في جوار الله تعالى ومستعد لان ينظر بعينه الباقية الى وجه الله تعالى وعلموا ان القلب خلق سليما في الاصل وكل مولود يولد على الفطرة وانما تفوته السلامة بكدورة ترهق وجهه من غبرة الذنوب وظلمتها وعلموا ان نار الندم تحرق تلك الغبرة وان نور الحسنة يمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة وانه لا طاقة لظلام المعاصي مع نور الحسنات كما لا طاقة لظلام الليل مع نور النهار بل كما لا طاقة لكدورة الوسخ مع بياض الصابون فكما ان الثوب الوسخ لا يقبله الملك لان يكون لباسه فالقلب المظلم لا يقبله الله تعالى لان يكون في جواره وكما ان استعمال الثوب في الاعمال الخسيسة يوسخ الثوب وغسله بالصابون والماء الحار ينظفه لا محالة فاستعمال القلب في الشهوات يوسخ القلب وغسله بماء الدموع وحرقة الندم ينظفه ويطهره ويزكيه وكل قلب زكي طاهر فهو مقبول كما ان كل ثوب نظيف فهو مقبول فانما عليك التزكية والتطهير واما القبول فمبذول قد سبق به القضاء الازلي الذي لا مرد له وهو المسمى فلاحا في قوله تعالى قد افلح من زكاها ومن لم يعرف على سبيل التحقيق معرفة اقوى واجلى من المشاهدة بالبصر ان القلب يتاثر بالمعاصي والطاعات تاثرا متضادا يستعار لاحدهما لفظ الظلمة كما يستعار للجهل ويستعار للاخر لفظ النور كما يستعار للعلم وان بين النور والظلمة تضادا ضروريا لا يتصور الجمع بينهما فكانه لم يعرف من الدين الا قشوره ولم يعلق به الا اسماوه وقلبه في غطاء كثيف عن حقيقة الدين بل عن حقيقة نفسه وصفات نفسه ومن جهل نفسه فهو بغيره اجهل واعني به قلبه اذ بقلبه يعرف غيره فكيف يعرف غيره وهو لا يعرف قلبه فمن يتوهم ان التوبة تصح ولا تقبل كمن يتوهم ان الشمس تطلع والظلام لا يزول والثوب يغسل بالصابون والوسخ لا يزول الا ان يغوص الوسخ لطول تراكمه في تجاويف الثوب وخلله فلا يقوى الصابون على قلعه فمثال ذلك ان تتراكم الذنوب حتى تصير طبعا ورينا على القلب فمثل هذا القلب لا يرجع ولا يتوب نعم قد يقول باللسان تبت فيكون ذلك كقول القصار بلسانه قد غسلت الثوب وذلك لا ينظف الثوب اصلا ما لم يغير صفة الثوب باستعمال ما يضاد الوصف المتمكن منه فهذا حال امتناع اصل التوبة وهو غير بعيد بل هو الغالب على كافة الخلق المقبلين على الدنيا المعرضين عن الله بالكلية وهذا البيان كاف عند ذوي البصاير في قبول التوبة ولكنا نعضد جناحه بنقل الآيات والاخبار والآثار فكل استبصار لا يشهد له الكتاب والسنة لا يوثق به وقد قال الله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده وقال تعالى غافر الذنب وقابل التوب الى غير ذلك من الآيات وقال صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة العبد الحديث والفرح وراء القبول فهو دليل على القبول وزيادة وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يبسط يده بالتوبة لمسيء الليل الى النهار ولمسيء النهار الى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وبسط اليد كناية عن طلب التوبة والطالب وراء القابل فرب قابل ليس بطالب ولا طالب الا وهو قابل وقال صلى الله عليه وسلم لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم وقال ايضا ان العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة قيل كيف ذلك يا رسول الله قال يكون نصب عينيه تائبا فارا حتى يدخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم كفارة الذنب الندامة وقال التايب من الذنب كمن لا ذنب له ويروى ان حبشيا قال يا رسول الله اني كنت اعمل الفواحش فهل لي من توبة قال نعم فولى ثم رجع فقال يا رسول الله اكان يراني وانا اعملها قال نعم فصاح الحبشي صيحة خرجت روحه ويروى ان الله عز وجل لما لعن ابليس سال النظرة فانظره الى يوم القيامة فقال وعزتك لا خرجت من قلب ابن ادم ما دام فيه الروح فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لا حجبت عنه التوبة ما دام فيه الروح وقال صلى الله عليه وسلم ان الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ والاخبار في هذا لا تحصى واما الآثار فقد قال سعيد بن المسيب انزل قوله تعالى انه كان للاوابين غفورا في الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقال الفضيل قال الله تعالى بشر المذنبين انهم ان تابوا قبلت منهم وحذر الصديقين اني ان وضعت عليهم عدلي عذبتهم وقال طلق بن حبيب ان حقوق الله اعظم من ان يقوم بها العبد ولكن اصبحوا تايبين وامسوا تايبين وقال عبد الله بن عمر من ذكر خطيئة الممها فوجل منها قلبه محيت عنه في ام الكتاب ويروى ان نبيا من انبياء بني اسرائيل اذنب فاوحى الله عز وجل اليه وعزتي وجلالي لئن عدت لاعذبنك فقال يا رب انت انت وانا انا وعزتك لئن لم تعصمني لاعودن فعصمه الله تعالى وقال بعضهم ان العبد ليذنب الذنب فلا يزال نادما حتى يدخل الجنة فيقول ابليس ليتني لم اوقعه في الذنب وقال حبيب بن ثابت يعرض على الرجل ذنوبه يوم القيامة فيمر بالذنب فيقول اما اني قد كنت مشفقا منك فيغفر الله له ويروى ان رجلا سال ابن مسعود عن ذنب الم به هل له توبة فاعرض عنه ابن مسعود ثم التفت اليه فراى عينيه تذرفان فقال له ان للجنة ثمانية ابواب كلها تفتح وتغلق الا باب التوبة فان عليه ملكا موكلا به لا يغلق فاعمل ولا تياس وقال عبد الرحمن بن ابي القسم تذاكرنا مع عبد الرحيم توبة الكافر وقول الله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فقال اني لارجو ان يكون المسلم احسن حالا عند الله تعالى ولقد بلغني ان توبة المسلم كاسلام بعد اسلام وقال عبد الله بن سلام لا احدثكم الا عن نبي مرسل او كتاب منزل ان العبد اذا عمل ذنبا ثم ندم عليه طرفة عين سقط عنه اسرع من طرفة عين وقال عمر رضي الله عنه اجلسوا الى التوابين فانهم ارق افئدة وقال بعضهم انا اعلم متى يغفر الله لي قيل ومتى قال اذا تاب علي وقال اخر انا من ان احرم التوبة اخوف مني من ان احرم المغفرة اي المغفرة من لوازم التوبة وتوابعها لا محالة ويروى

انه كان في بني اسرايل شاب عبد الله عشرين سنة ثم عصى عشرين سنة ثم نظر في المراة فراى الشيب في لحيته فساءه ذلك فقال الهي اطعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة فان رجعت اليك اتقبلني فسمع قايلا يقول ولا يرى شخصا احببتنا فاحببناك وتركتنا فتركناك وعصيتنا فاهملناك فان رجعت الينا قبلناك **وقال** ذو النون المصري ان لله عبادا انصبوا اشجار الخطايا نصب روامق القلوب وسقوها بماء التوبة فاثمرت ندما وحزنا فجنوا من غير جنون وتبلدوا من غير عي ولا بكم وانهم لهم البلغاء الفصحاء العارفين بالله ورسوله ثم شربوا بكاس الصفا فورثوا الصبر على طول البلا ثم تولهت قلوبهم فاورثوا انفسهم الجزع حتى وصلوا الى علو الزهد بسلم الورع فاستعذبوا مرارة الترك للدنيا واستلانوا خشونة المضجع حتى ظفروا بحبل النجاة وعروة السلامة وسرحت ارواحهم في العلى حتى اناخوا في رياض النعيم وخاضوا في بحر الحياة وردموا خنادق الجزع وعبروا جسور الهوى حتى نزلوا بفناء العلم واستقوا من غدير الحكمة وركبوا سفينة الفطنة واقلعوا بريح النجاة في بحر السلامة حتى وصلوا الى رياض الراحة ومعدن العز والكرامة فهذا القدر كاف في بيان ان كل توبة صحيحة فمقبولة لا محالة **فان قلت** افتقول ما قال المعتزلة من ان قبول التوبة واجب على الله تعالى فاقول لا اعني بما ذكرته من وجوب قبول التوبة على الله الا ما يريده القايل بقوله ان الثوب اذا غسل بالصابون وجب زوال الوسخ وان العطشان اذا شرب الماء وجب زوال العطش وانه اذا منع الماء مدة وجب العطش وانه اذا دام العطش وجب الموت وليس في شي من ذلك ما يريده المعتزلة بالايجاب على الله تعالى بل اقول خلق الله الطاعة مكفرة للمعصية والحسنة ماحية للسيئة كما خلق الماء مزيلا للعطش والقدرة متسعة لخلافه لو سبقت به المشية فلا واجب على الله ولكن ما سبقت به الارادة الازلية فواجب كونه لا محالة **فان قلت** فما من تايب الا وهو شاك في قبول توبته والشارب لا يشك في زوال عطشه فلم يشك فيه **فاقول** شكه في القبول لشكه في شرايط وجود الصحة فان للتوبة اركانا وشروطا دقيقة كما سياتي وليس يتحقق وجود جميع شروطها كالذي يشك في دوا شربه للاسهال في انه هل يسهل وذلك لشكه في حصول شروط الاسهال في الدواء باعتبار الحال والوقت وكيفية خلط الدواء وطبخه وجودة عقاقيره وادويته فهذا وامثاله موجب الخوف بعد التوبة وموجب للشك في قبولها لا محالة على ما سياتي في شروطها

ذنوب صغايرها

الركن الثاني فيما عنه التوبة وهي الذنوب صغايرها وكبايرها

اعلم ان التوبة ترك الذنب ولا يمكن ترك الشي الا بعد معرفته واذا كانت التوبة واجبة كان ما لا يتوصل اليها الا به واجبا فمعرفة الذنوب اذا واجب والذنب عبارة عن كل ما هو مخالف لامر الله تعالى من ترك او فعل وتفصيل ذلك يستدعي شرح التكليفات من اولها الى اخرها وليس ذلك من غرضنا ولكنا نشير الى مجامعها وروابط اقسامها

بيان اقسام الذنوب

اعلم ان للانسان اخلاقا واوصافا كثيرة على ما عرف شرحه في كتاب عجايب القلب وغوايله ولكن تنحصر مثارات الذنوب في اربع صفات صفات ربوبية وصفات شيطانية وصفات بهيمية وصفات سبعية وذلك لان طينة الانسان عجنت من اخلاط مختلفة فاقتضى كل واحد من الاخلاط في المعجون منه اثرا من الاثار كما يقتضي السكر والخل والزعفران في السكنجبين اثارا مختلفة فاما ما يقتضي النزوع الى الصفات الربوبية فمثل الفخر والكبر والعجب والجبرية وحب المدح والثنا والعز والغنا وحب دوام البقا وطلب الاستعلاء على الكافة حتى كانه يقول انا ربكم الاعلى وهذا يتشعب منه جملة من كباير الذنوب غفل عنها الخلق ولم يعدوها ذنوبا وهي المهلكات العظيمة التي هي كالامهات لاكثر المعاصي كما استقصيناه في ربع المهلكات **الثانية** هي الصفة الشيطانية التي منها يتشعب الحسد والبغي والحيلة والخداع والامر بالفساد والمنكر ومنه الغش والنفاق والدعوة الى البدع والضلال **الثالثة** الصفة البهيمية ومنها يتشعب الشره والكلب والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج ومنه يتشعب الزنا واللواطة والسرقة واكل مال الايتام وجمع الحطام لاجل الشهوات **الرابعة** الصفة السبعية ومنها يتشعب الغضب والحقد والتهجم على الناس بالضرب والقتل واستهلاك الاموال ويتفرع منها جمل من الذنوب وهذه الصفات لها تدريج في الفطرة فالصفة البهيمية هي التي تغلب اولا ثم تتلوها الصفة السبعية ثانيا ثم اذا اجتمعا استعملا العقل في الخداع والمكر والحيلة وهي الصفة الشيطانية ثم بالاخرة تغلب الصفات الربوبية وهي الفخر والعز والعلو وطلب الكبرياء وقصد الاستيلاء على جميع الخلق فهذه امهات الذنوب ومنابعها ثم تتفجر الذنوب من هذه المنابع على الجوارح فبعضها خاصة كالكفر والبدعة والنفاق واضمار السو للناس وبعضها على العين والسمع وبعضها على اللسان وبعضها على البطن والفرج وبعضها على اليدين والرجلين وبعضها على جميع البدن ولا حاجة الى بيان تفصيل ذلك فانه واضح

قسمة ثانية اعلم ان الذنوب ينقسم الى ما بين العبد وبين الله والى ما يتعلق بحقوق العباد فما يتعلق بالعبد خاصة كتركه الصلاة والصوم والواجبات الخاصة وما يتعلق بحقوق العباد كتركه الزكاة وقتله النفس وغصبه الاموال وشتمه الاعراض وكل متناول من حق الغير فاما نفس او طرف او مال او عرض او دين او جاه وتناول الدين بالاغواء والدعاء الى البدعة والترغيب في المعاصي وتهييج اسباب الجراة على الله تعالى كما يفعله بعض الوعاظ بتغليب جانب الرجا على جانب الخوف وما يتعلق بالعباد فالامر فيه اغلظ وما بين العبد وبين الله تعالى اذا لم يكن شركا فالعفو فيه ارجى واقرب وقد جاء في الخبر الدواوين ثلثة ديوان يغفر وديوان لا يغفر وديوان لا يترك فالديوان الذي يغفر ذنوب العباد بينهم وبين الله واما الديوان الذي لا يغفر فالشرك واما الديوان الذي لا يترك فمظالم العباد اي لا بد وان يطالب بها حتى يعفى عنه

قسمة ثالثة اعلم ان الذنوب تنقسم الى صغاير وكباير وقد كثر اختلاف الناس فيه فقال قايلون لا صغيرة ولا كبيرة بل كل مخالفة لله فهي كبيرة وهذا ضعيف اذ قال الله تعالى ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم سياتكم وقال تعالى الذين يجتنبون كباير الاثم والفواحش الا اللمم وقال صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة يكفرن ما بينهن ان اجتنبت الكباير وفي لفظ اخر كفارات لما بينهن الا الكباير وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص الكباير الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس فاختلف الصحابة والتابعون في عدد الكباير من اربع الى سبع الى تسع الى احدى عشرة فما فوق ذلك فقال ابن مسعود هن اربع وقال ابن عمر هن سبع وقال عبد الله بن عمرو هن تسع وكان ابن عباس اذا بلغه قول ابن عمر الكباير سبع يقول هي الى السبعين اقرب منها الى السبع وقال مرة كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة وقال غيره كل ما اوعد الله عليه بالنار فهو من الكباير وقال بعض السلف كل ما اوجب الحد في الدنيا فهو كبيرة وقيل انها مبهمة لا يعرف عددها كليلة القدر وساعة يوم الجمعة وقال ابن مسعود لما سئل عنها اقرا من اول سورة النسا الى راس ثلثين اية منها عند قوله ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه فكل ما نهى الله عنه في هذه السورة الى هاهنا فهو كبيرة وقال ابو طالب المكي الكباير سبعة عشر جمعتها من جملة الاخبار وجملة ما اجتمع من قول ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم اربعة في القلب وهو الشرك بالله تعالى والاصرار على معصيته والقنوط من رحمته والامن من مكره واربعة في اللسان وهي شهادة الزور وقذف المحصن واليمين الغموس وهي التي يحق بها باطلا او يبطل بها حقا وقيل هي التي يقتطع بها مال امرئ مسلم باطلا ولو سواكا من اراك وسميت غموسا لانها تغمس صاحبها في النار والسحر وهو كل كلام يغير الانسان وساير الاجسام عن موضوعات الخلقة وثلثة في البطن وهو شرب الخمر والمسكر من كل شراب واكل مال اليتيم ظلما واكل الربا وهو يعلم واثنتان في الفرج وهو الزنا واللواط واثنتان في اليد وهو القتل والسرقة وواحدة في الرجلين وهو الفرار من الزحف الواحد من اثنين والعشرة من عشرين وواحدة في جميع الجسد وهو عقوق الوالدين قال وجملة عقوقهما ان يقسما عليه في حق فلا يبر قسمهما وان سالاه حاجة فلا يعطيهما وان يسباه فيضربهما ويجوعا فلا يطعمهما هذا ما قاله وهو قريب ولكن ليس يحصل به تمام الشفاء اذ يمكن الزيادة عليه والنقصان منه فانه جعل اكل الربا ومال اليتيم من الكباير وهي جناية على الاموال ولم يذكر في كباير النفوس الا القتل فاما فقو العينين وقطع اليدين وغير ذلك من تعذيب المسلمين بالضرب وانواع العذاب لم يتعرض له وضرب اليتيم وتعذيبه وقطع اطرافه لا يشك في انه اكبر من اكل ماله كيف وفي الخبر من الكباير السبتان بالسبة ومن الكباير استطالة الرجل في عرض اخيه المسلم وهذا زايد على قذف المحصن وقال ابو سعيد الخدري وغيره من الصحابة انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكباير وقالت طايفة كل عمد كبيرة وكل ما نهى الله عنه فهو كبيرة وكشف الغطاء عن هذا ان نظر الناظر في ان السرقة كبيرة ام لا لا يصح ما لم يفهم معنى الكبيرة والمراد بها كقول القايل السرقة حرام ام لا لا مطمع في معرفته الا بعد تقرير معنى الحرام اولا ثم البحث عن وجوده في السرقة فالكبيرة من حيث اللفظ مبهم ليس لها موضوع خاص في اللغة ولا في الشرع وذلك لان الكبير والصغير من المضافات وما من ذنب الا وهو كبير بالاضافة الى ما دونه وصغير بالاضافة الى ما فوقه فالمضاجعة مع الاجنبية كبيرة بالاضافة الى النظر صغيرة بالاضافة الى الزنا وقطع يد المسلم كبيرة بالاضافة الى ضربه صغيرة

بالاضافة الى ما فوقه ثم للانسان ان يطلق على ما توعد بالنار على فعله خاصة اسم الكبيرة ونعني بوصفها بالكبيرة ان العقوبة بالنار
عظيمة وله ان يطلق على ما اوجب الحد عليه مصيرا الى ان ما عجل عليه في الدنيا عقوبة واجبة عظيم وله ان يطلق على ما ورد في نص الكتاب
النهي عنه **فيقول** تخصيصه بالذكر في القرآن يدل على عظمه ثم يكون عظيما وكبيرة لا محالة بالاضافة اذ منصوصات
القرآن ايضا تتفاوت درجاتها فهذه الاطلاقات لا حرج فيها وما نقل من الفاظ الصحابة يتردد بين هذه الجهات ولا
يبعد تنزيلها على شيء من هذه الاحتمالات نعم من المهمات ان يعلم معنى قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم
وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات كفارات لما بينهن الا الكبائر فان هذا اثبات حكم الكبائر **والحق** في ذلك ان الذنوب
منقسمة في نظر الشرع الى ما يعلم استعظامه اياها والى ما يعلم انها معدودة في الصغائر والى ما يشك فيه فلا ندري حكمه فالطمع
في معرفة حد حاصر او عدد جامع مانع طلب لما لا يمكن فان ذلك لا يمكن الا بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يقول اني اردت
بالكبائر عشرة او خمسة ويفصلها فاذا لم يرد هذا بل ورد في بعض الالفاظ ثلاث من الكبائر وفي بعضها سبع من الكبائر ثم ورد
ان السبتين بالسبة الواحدة من الكبائر وهو خارج من السبع والثلاث علم انه لم يقصد به العدد والحصر فكيف
يطمع في عدد ما لم يعدده الشرع وربما قصد الشرع ابهامه ليكون العباد منه على وجل كما ابهم ليلة القدر ليعظم جد
الناس في طلبها نعم لنا سبيل كلي يمكننا ان نعرف به اجناس الكبائر وانواعها بالتحقيق واما اعيانها فنعرفها بالظن
والتقريب ونعرف ايضا اكبر الكبائر فاما اصغر الصغائر فلا سبيل الى معرفته **وبيانه** انا نعلم بشواهد الشرع وانوار
البصائر جميعا ان مقصود الشرائع كلها سياقة الخلق الى جوار الله تعالى وسعادة لقائه وانه لا وصول لهم الى ذلك الا بمعرفة الله تعالى
ومعرفة صفاته وكتبه ورسله واليه الاشارة بقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي ليكونوا عبيدا لي ولا يكون العبد عبدا ما لم يعرف
ربه بالربوبية ونفسه بالعبودية فلا بد وان يعرف نفسه وربه فهذا هو المقصود الاقصى ببعثة الانبياء ولكن لا يتم هذا الا
في الحياة الدنيا وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم الدنيا مزرعة الآخرة فصار حفظ الدنيا ايضا مقصودا تابعا للدين لانها وسيلة
اليه والمتعلق من الدنيا بالآخرة شيئان النفوس والاموال فكل ما يسد باب معرفة الله تعالى فهو اكبر الكبائر ويليه ما يسد باب
حياة النفوس ويليه ما يسد باب المعايش التي بها حياة النفوس فهذه ثلاث مراتب فحفظ المعرفة على القلوب والحياة على
الابدان والاموال على الاشخاص ضروري في مقصود الشرائع كلها وهذه ثلاثة امور لا يتصور ان تختلف فيها الملل فلا يجوز ان يبعث
الله نبيا يريد ببعثه اصلاح الخلق في دينهم ودنياهم ثم يأمرهم بما يمنعهم عن معرفته ومعرفة رسله او يأمرهم باهلاك النفوس واهلاك
الاموال فحصل من هذا ان الكبائر على ثلاث مراتب **الاولى** ما يمنع من معرفة الله ومعرفة رسله وهو الكفر
فلا كبيرة فوق الكفر اذ الحجاب بين الله والعبد هو الجهل والوسيلة المقربة له اليه هو العلم والمعرفة وقربه بقدر معرفته وبعده
بقدر جهله ويتلو الجهل الذي يسمى كفرا الامن من مكر الله تعالى والقنوط من رحمته فان هذا ايضا عين الجهل فان من عرف الله لم يتصور ان يكون
آمنا ولا ان يكون آيسا ويتلو هذه الرتبة البدع كلها المتعلقة بذات الله وصفاته وافعاله وبعضها اشد من بعض وتفاوتها على حسب
تفاوت الجهل بها وعلى حسب تعلقها بذات الله سبحانه وبافعاله وشرائعه وباوامره ونواهيه ومراتب ذلك لا تنحصر وهي تنقسم الى ما
يعلم انها داخلة تحت ذكر الكبائر المذكورة في القرآن والى ما يعلم انها لا تدخل والى ما يشك فيه وطلب رفع الشك في القسم المتوسط طمع في غير مطمع
الرتبة الثانية النفوس اذ ببقائها وحفظها تدوم الحياة وتحصل المعرفة بالله فقتل النفس لا محالة من الكبائر
وان كان دون الكفر لان ذلك يصدم عين المقصود وهذا يصدم وسيلة المقصود اذ الحياة الدنيا لا تراد الا للآخرة والتوصل
اليها بمعرفة الله تعالى ويتلو هذه الكبيرة قطع الاطراف وكل ما يفضي الى الهلاك حتى الضرب وبعضها اكبر من بعض
ويقع في هذه الرتبة تحريم الزنا واللواط لانه لو اجتمع الناس على الاكتفاء بالذكور في قضاء الشهوات انقطع النسل ودفع الموجود
قريب من قطع الوجود واما الزنا فانه لا يفوت اصل الوجود لكن يشوش الانساب ويبطل التوارث والتناصر وجملة من
الامور التي لا ينتظم العيش الا بها بل كيف يتم النظام مع اباحة الزنا ولا ينتظم امور البهائم ما لم يتميز الفحل منها باناث
يختص بها عن سائر الفحول ولذلك لا يتصور ان يكون الزنا مباحا في شرع قصد به الاصلاح وينبغي ان يكون الزنا في الرتبة دون
القتل لانه ليس يفوت دوام الوجود ولا يمنع اصله ولكنه يفوت تمييز الانساب ويحرك من الاسباب ما يكاد يفضي الى
التقاتل وينبغي ان يكون اشد من اللواط لان الشهوة داعية اليه من الجانبين فيكثر وقوعه ويعظم اثر الضرر بكثرته

الرتبة الثالثة الاموال فانها معايش الخلق فلا يجوز تسلط الناس على تناولها كيف شاؤوا حتى بالاستيلاء والسرقة
وغيرها بل ينبغي ان تحفظ لتبقى ببقائها النفوس الا ان الاموال اذا اخذت امكن استردادها وان اكلت امكن تغريمها فليس يعظم
الامر فيها نعم اذا جرى تناولها بطريق يعسر التدارك فينبغي ان يكون ذلك من الكبائر وذلك باربعة طرق **احدها**
الخفية وهو السرقة فاذا لم يطلع عليه غالبا كيف يتدارك **والثاني** اكل مال اليتيم وهذا ايضا من الخفية اعني به في حق الولي
والقيم به فانه مؤتمن فيه وليس له خصم سوى اليتيم وهو صغير لا يعرف فتعظيم الامر فيه واجب بخلاف الغصب فانه ظاهر
يعرف وبخلاف الخيانة في الوديعة فان المودع خصم فيه ينتصف لنفسه **والثالث** تفويتها بشهادة الزور **والرابع**
اخذ الوديعة وغيرها باليمين الغموس فان هذه طرق لا يمكن فيها التدارك ولا يجوز ان تختلف الشرائع في تحريمها اصلا وبعضها اشد
من بعض وكلها دون الرتبة الثانية المتعلقة بالنفوس وهذه الاربعة جديرة بان تكون من الكبائر وان لم يوجب الشرع الحد في
بعضها ولكن كثر الوعيد عليها وعظم في مصالح الدنيا تأثيرها واما اكل الربا فليس فيه الا اكل مال الغير بالتراضي مع الاخلال بشرط
وضعه الشرع ولا يبعد ان تختلف الشرائع في مثله واذا لم يجعل الغصب الذي هو اكل مال الغير بغير رضاه وبغير رضا الشرع
من الكبائر فاكل الربا اكل برضا المالك ولكن دون رضا الشرع وان عظم الشرع الربا بالزجر عنه فقد عظم ايضا الظلم بالغصب وغيره
وعظم الخيانة والمصير الى ان اكل دانق بالخيانة والغصب من الكبائر فيه نظر وذلك واقع في مظنة الشك واكثر ميل الظن الى
انه غير داخل تحت الكبائر بل ينبغي ان تختص الكبيرة بما لا يجوز اختلاف الشرائع فيه ليكون ضروريا في الدين فيبقى مما ذكره ابو طالب المكي القذف
والشرب والسحر والفرار من الزحف وعقوق الوالدين اما الشرب لما يزيل العقل فهو جدير بان يكون من الكبائر وقد
دل عليه تشديدات الشرع وطريق النظر ايضا لان العقل محفوظ كما ان النفس محفوظة بل لا خير في النفس دون العقل فازالة العقل من الكبائر ولكن
هذا لا يجري في قطرة من الخمر ولا شك في انه لو شرب ماء فيه قطرة من خمر لم يكن ذلك كبيرة وانما هو شرب ماء نجس والقطرة وحدها
في محل الشك وايجاب الشرع الحد به يدل على تعظيم امره فيعد ذلك من الكبائر بالشرع وليس في قوة البشرية الوقوف على جميع
اسرار الشرع فان ثبت اجماع في انه كبيرة وجب الاتباع والا فللتوقف فيه مجال واما القذف فليس فيه الا تناول الاعراض
والاعراض دون الاموال في الرتبة ولتناولها مراتب واعظمها التناول بالاضافة الى فاحشة الزنا وقد عظم الشرع امره واظن
ظنا غالبا ان الصحابة كانوا يعدون كل ما يجب الحد به كبيرة فهو بهذا الاعتبار لا تكفره الصلوات الخمس وهو الذي نريده بالكبيرة
الآن ولكن من حيث انه يجوز ان تختلف فيه الشرائع فالقياس بمجرده لا يدل على كبره وعظمه بل كان لا يبعد ان يرد الشرع بان العدل
الواحد اذا راى انسانا يزني فله ان يشهد ويجلد المشهود عليه بمجرد شهادته فان لم تقبل شهادته فحد القذف ليس ضروريا
في مصالح الدنيا وان كان على الجملة من المصالح الظاهرة الواقعة في رتبة الحاجات فاذا هذا ايضا يلحق بالكبائر في حق من عرف حكم
الشرع فاما من ظن ان له ان يشهد وحده او ظن انه يساعده على الشهادة غيره فلا ينبغي ان يجعل في حقه من الكبائر واما
السحر فان كان فيه كفر فكبيرة والا فعظمته بحسب الضرر الذي يتولد منه من هلاك نفس او مرض او غيره واما الفرار من الزحف
وعقوق الوالدين فهذا ايضا ينبغي ان يكون من حيث القياس في محل التوقف واذا قطع بان سب الناس بكل شيء سوى الزنا وضربهم
والظلم لهم بغصب اموالهم واخراجهم من مساكنهم وبلادهم واجلائهم من اوطانهم ليس من الكبائر اذ لم ينقل ذلك في السبع عشرة
وهو اكثر ما قيل فيه فالتوقف في هذا ايضا غير بعيد ولكن الحديث يدل على تسميته كبيرة فليلحق بالكبائر فاذا رجع حاصل الامر
الى انا نعني بالكبيرة ما لا تكفره الصلوات الخمس بحكم الشرع وذلك مما انقسم الى ما علم انه لا تكفره قطعا والى ما ينبغي ان تكفره
والى ما يتوقف فيه والمتوقف فيه بعضه مظنون بالنفي والاثبات وبعضه مشكوك فيه وهو شك لا يزيله الا نص كتاب او سنة
واذ لا مطمع فيها فطلب رفع الشك فيه محال **فان قلت** فهذا اقامة برهان على استحالة معرفة حده
فكيف يرد الشرع بما يستحيل معرفة حده **فاعلم** ان كل ما لا يتعلق به حكم في الدنيا فيجوز ان يتطرق اليه الابهام لان
دار التكليف هي دار الدنيا والكبيرة على الخصوص لا حكم لها في الدنيا من حيث انها كبيرة بل موجبات الحدود معلومة باسمائها
كالسرقة والزنا وغيرهما وانما حكم الكبيرة ان الصلوات الخمس لا تكفرها وهذا امر يتعلق بالآخرة والابهام اليق به
حتى يكون الناس على وجل وحذر فلا يتجرؤون على الصغائر اعتمادا على الصلوات الخمس وكذلك اجتناب الكبائر يكفر الصغائر
بموجب قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ولكن اجتناب الكبيرة انما يكفر الصغيرة اذا اجتنبها مع القدرة والارادة

لم يتمكن من امراته ومن مواقعتها فيكف نفسه عن الوقاع ويقتصر على نظر ولمس فان مجاهدة نفسه في الكف عن الوقاع اشد تاثيرا في
تنوير قلبه من اقدامه على النظر في الظلام وهذا المعنى يكفره فان كان عنينا ولم يكن امتناعه الا بالضرورة للعجز او كان قادرا ولكن امتنع لخوف
امر آخر فهذا لا يصلح للتكفير اصلا وكل من لا يشتهي الخمر بطبعه ولو ابيح له لما شربه فاجتنابه لا يكفر عنه الصغائر التي هي من مقدماته كسماع
الملاهي والاوتار نعم من يشتهي الخمر وسماع الاوتار فيمسك نفسه بالمجاهدة عن الخمر ويطلقها في السماع فمجاهدة النفس بالكف ربما يمحو عن قلبه الظلمة
التي ارتفعت اليه من معصية السماع فكل هذه احكام اخروية ويجوز ان يبقى بعضها في محل الشك ويكون من المتشابهات ولا يعرف تفصيلها الا بالنص ولم يرد
النص بعد ولا حد جامع بل ورد بالفاظ مختلفة **فقد روى** ابو هريرة انه عليه الصلاة والسلام قال الصلاة الى الصلاة كفارة ورمضان
الى رمضان كفارة الا من ثلث اشراك بالله وترك السنة ونكث الصفقة قيل ما ترك السنة قال الخروج من الجماعة ونكث الصفقة ان
يبايع رجلا ثم يخرج عليه بالسيف يقاتله فهذا وامثاله من الالفاظ لا يحيط بالعدد كله ولا يدل على حد جامع فيبقى لا محالة مبهما
فان قلت الشهادة لا تقبل الا ممن يجتنب الكبائر والورع عن الصغائر ليس شرطا في قبول الشهادة وهذا من احكام الدنيا
فاعلم انا لا نخصص رد الشهادة بالكبائر فلا خلاف في ان من يسمع الملاهي ويلبس الديباج ويتختم بخاتم الذهب ويشرب في اواني
الذهب والفضة لا تقبل شهادته ولم يذهب احد الى ان هذه الامور من الكبائر **قال** الشافعي رحمه الله اذا شرب الحنفي النبيذ حددته
ولم ارد شهادته فقد جعله كبيرة بايجاب الحد ولم يرد به الشهادة فدل ان الشهادة نفيا واثباتا لا تدور على الصغائر والكبائر
بل كل الذنوب تقدح في العدالة الا ما لا يخلو الانسان عنه غالبا بضرورة مجاري العادات كالغيبة والتجسس وسوء الظن والكذب في
بعض الاقوال وسماع الغيبة وترك الامر بالمعروف واكل الشبهات وسب الولد والغلام وضربهما بحكم الغضب زائدا على حد
المصلحة واكرام السلاطين الظلمة ومصادقة الفجار والتكاسل عن تعليم الاهل والولد جميع ما يحتاجون اليه من امر الدين فهذه ذنوب
لا يتصور ان ينفك الشاهد عن قليلها او كثيرها الا بان يعتزل الناس ويتجرد لامور الآخرة ويجاهد نفسه مدة بحيث يبقى على سمته مع
المخالطة ولو لم يقبل الا قول مثله لعز وجوده وبطلت الاحكام والشهادات وليس لبس الحرير وسماع الملاهي واللعب
بالنرد ومجالسة الشرب في وقت الشرب والخلوة بالاجنبيات وامثال هذه الصغائر من هذا القبيل فالى مثل هذا المنهاج ينبغي ان
ينظر في قبول الشهادة وردها لا الى الكبيرة والصغيرة ثم آحاد هذه الصغائر التي لا ترد الشهادة بها لو واظب عليها لاثر في رد
الشهادة كمن اتخذ الغيبة وثلب الناس عادة وكذلك مجالسة الفجار ومصادقتهم والصغيرة تكبر بالمواظبة كما ان المباح يصير
كبيرة بالمواظبة كاللعب بالشطرنج والترنم بالغناء على الدوام وغيره فهذا بيان حكم الصغائر والكبائر

بيان كيفية توزع الدرجات والدركات في الآخرة على الحسنات والسيئات في الدنيا

اعلم ان الدنيا من عالم الملك والشهادة والآخرة من عالم الغيب والملكوت واعني بالدنيا حالتك قبل الموت وبالآخرة حالتك بعد الموت
فدنياك وآخرتك صفاتك واحوالك يسمى القريب الداني منها دنيا والمتاخر آخرة ونحن الآن نتكلم من الدنيا في الآخرة فانا الآن في الدنيا
وهو عالم الملك وغرضنا شرح الآخرة وهي عالم الملكوت ولا يتصور شرح عالم الملكوت في عالم الملك الا بضرب الامثال ولذلك
قال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وهذا لان عالم الملك نوم بالاضافة الى عالم الملكوت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وما سيكون في اليقظة لا يتبين لك في النوم الا بضرب الامثال المحوجة الى التعبير فكذلك ما سيكون في يقظة
الآخرة لا يتبين في نوم الدنيا الا في كسوة الامثال واعني بكسوة الامثال ما تعرفه من علم التعبير ويكفيك منه ان كنت فطنا ثلاثة امثلة فقد جاء
رجل الى ابن سيرين فقال رايت كاني في يدي خاتما اختم به افواه الرجال وفروج النساء فقال انك مؤذن تؤذن في رمضان قبل
الفجر فقال صدقت وجاءه آخر فقال رايت كاني اصب الزيت في الزيتون فقال ان كان تحتك جارية اشتريتها ففتش عن
حالها فانها امك لان الزيتون اصل الزيت فهو رد الى الاصل فنظر فاذا جاريته كانت امه وقد سبيت في صغره وقال آخر
رايت كاني اقلد الدر في اعناق الخنازير فقال انك تعلم الحكمة غير اهلها فكان كما قال والتعبير من اوله الى آخره امثال تعرفك
طريق ضرب الامثال وانما نعني بالمثل اداء المعنى في صورة ان نظر الى معناه وجد صادقا وان نظر الى صورة الخاتم والختم به على
الفروج رآه كاذبا فانه لم يختم به قط وان نظر الى معناه وجده صادقا اذ قد صدر منه روح الختم ومعناه وهو المنع
الذي يراد الختم له وليس للانبياء ان يتكلموا مع الخلق الا بضرب الامثال لانهم كلفوا ان يكلموا الناس على قدر عقولهم وقدر
عقولهم انهم في النوم والنائم لا يكشف له شيء الا بمثل فاذا ماتوا انتبهوا وعرفوا ان المثل صادق ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم

قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وهو من المثال الذي لا يعقله الا العالمون فاما الجاهل فلا يجاوز قدره ظاهر
المثال لجهله بالتفسير الذي يسمى تاويلا كما يسمى تفسير ما يرى من الامثلة في النوم تعبيرا في النوم فيثبت لله تعالى يدا واصبعا تعالى
الله عن قوله وكذلك في قوله عليه السلام ان الله خلق آدم على صورته فانه لا يفهم من الصورة الا اللون والشكل والهيئة فيثبت لله مثل
ذلك تعالى عن قوله علوا كبيرا ومن ههنا زل من زل في صفات الالهية حتى في الكلام وجعلوه صوتا وحرفا الى غير ذلك من الصفات
والقول فيه يطول وكذلك قد يرد في امور الآخرة ضرب امثلة يكذب بها الملحد بجمود نظره على ظاهر المثال وتناقضه عنده
كقوله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش املح فيذبح فيثور الملحد الاحمق ويكذب ويستدل به على كذب الانبياء
ويقول يا سبحان الله الموت عرض والكبش جسم فكيف ينقلب العرض جسما وهل هذا الا محال ولكن الله تعالى عزل هؤلاء الحمقى عن معرفة
اسرار ابنته فقال وما يعقلها الا العالمون ولا يدري المسكين ان من قال رايت في منامي انه جيء بكبش وقيل هذا هو الوباء الذي كان
في البلد فذبح فقال المعبر صدقت والامر كما رايت وهذا يدل على ان هذا الوباء ينقطع ولا يعود قط لان المذبوح وقع الياس
عنه فاذا المعبر صادق في تصديقه ويرجع حقيقته الى ان الملك الموكل بالرؤيا وهو الذي يطلع الارواح عند النوم على ما في اللوح
المحفوظ عرفه ما في اللوح المحفوظ بمثال ضربه له لان النائم انما يحتمل المثال فكان مثاله صادقا وكان معناه صحيحا فالرسل ايضا
انما يكلمون الناس في الدنيا وهي بالاضافة الى الآخرة نوم فيوصلون المعاني الى افهامهم بالامثلة حكمة من الله ولطفا بعباده وتيسيرا
لادراك ما يعجزون عن ادراكه دون ضرب المثل فقوله يؤتى بالموت في صورة كبش املح مثال ضربه ليوصل الى الافهام حصول الياس عن الموت وقد
جبلت القلوب على التاثر بالامثلة وثبوت المعاني فيها بواسطتها ولذلك عبر القرآن بقوله كن فيكون عن نهاية القدرة وعبر صلى الله عليه وسلم
بقوله قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن عن سرعة التقليب وقد اشرنا الى الحكمة في ذلك في كتاب قواعد العقائد من ربع العبادات
فلنرجع الى الغرض فالمقصود ان تعريف توزع الدرجات والدركات على الحسنات والسيئات لا يمكن الا بضرب الامثال فليعلم من
المثل الذي نضربه معناه لا صورته **فنقول** الناس في الآخرة ينقسمون اصنافا وتتفاوت درجاتهم في السعادة والشقاوة
تفاوتا لا يدخل تحت الحصر كما تتفاوتون في سعادة الدنيا وشقاوتها ولا تفارق الآخرة الدنيا في هذا المعنى اصلا البتة فان مدبر
الملك والملكوت واحد لا شريك له وسنته الصادرة عن ارادته الازلية مطردة لا تبديل لها الا انا ان عجزنا عن احصاء آحاد الدرجات فلا
نعجز عن احصاء الاجناس **فنقول** الناس ينقسمون بالضرورة الى اربعة اقسام هالكين ومعذبين وناجين وفائزين
ومثال ذلك في الدنيا ان يستولي ملك من الملوك على اقليم فيقتل بعضهم فهم الهالكون ويعذب بعضهم مدة ولا يقتلهم فهم المعذبون
ويخلي بعضهم فهم الناجون ويخلع على بعضهم فهم الفائزون فان كان الملك عادلا لم يقسمهم كذلك الا باستحقاق فلا يقتل الا
جاحدا لاستحقاق الملك معاندا له في اصل الدولة ولا يعذب الا من قصر في خدمته مع الاعتراف بملكه وعلو درجته ولا يخلي
الا معترفا له برتبة الملك لكنه لم يقصر ليعذب ولم يخدم ليخلع عليه ولا يخلع الا على من افرغ عمره في الخدمة والنصرة ثم ينبغي ان
تكون خلع الفائزين متفاوتة الدرجات بحسب درجاتهم في الخدمة واهلاك الهالكين اما تحقيقا بحز الرقبة او تنكيلا بالمثلة
بحسب درجاتهم في المعاندة وتعذيب المعذبين في الخفة والشدة وطول المدة وقصرها واتحاد انواعها واختلافها بحسب درجات تقصيرهم
فتنقسم كل رتبة من هذه الرتب الى درجات لا تنحصر فكذلك فافهم ان الناس في الآخرة هكذا يتفاوتون فمن هالك ومن معذب
مدة ومن ناج يحل في دار السلامة ومن فائز والفائزون ينقسمون الى من يحلون في جنات عدن او جنات الماوى
او جنات الفردوس والمعذبون ينقسمون الى من يعذب قليلا والى من يعذب الف سنة الى سبعة آلاف سنة وذلك آخر
من يخرج من النار كما ورد في الخبر **وكذلك** الهالكون الآيسون عن رحمة الله تتفاوت درجاتهم وهذه الدرجات
بحسب اختلاف الطاعات والمعاصي **فلنذكر** كيفية توزعها عليها اما الرتبة الاولى وهي الهلاك ونعني بالهالكين
الآيسين من رحمة الله تعالى اذ الذي قتله الملك في المثال الذي ضربناه آيس من رضا الملك واكرامه فلا تغفل عن معاني المثال
وهذه الدرجة لا تكون الا للجاحدين والمعرضين المتجردين للدنيا المكذبين بالله وبرسله وبكتبه فان السعادة الاخروية
في القرب من الله والنظر الى وجهه وذلك لا ينال اصلا الا بالمعرفة التي يعبر عنها بالايمان والتصديق والجاحدون هم
المنكرون والمكذبون فهم الآيسون من رحمة الله ابد الآباد وهم الذين يكذبون برب العالمين وبانبيائه المرسلين وهم عن ربهم
يومئذ لمحجوبون لا محالة وكل محجوب عن محبوبه فمحول بينه وبين ما يشتهيه فهو لا محالة يكون محترقا معذبا بنار جهنم بنار الفراق ولذلك قال

العارفون لم يخافوا من نار جهنم ولا رجوا الحور العين وانما مطلبهم اللقاء ومهربهم من الحجاب فقط وقال بعضهم من عبد الله بعوض فهو لئيم
اذ يعبده لطلب جنته او لخوف ناره بل العارف يعبده لذاته فلا يطلب الا ذاته فقط واما الحور والفواكه فقد لا يشتهيها واما النار
فقد لا يتقيها اذ نار الفراق اذا استولت ربما غلبت النار المحرقة للاجسام فان نار الفراق نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة ونار جهنم
لا شغل لها الا مع الاجسام والم الاجسام يستحقر مع الم الفؤاد **ولذلك قيل** وفي فؤاد المحب نار هوى احر نار الجحيم ابردها ولا ينبغي ان
ينكر هذا في عالم الآخرة اذ له نظير مشاهد في عالم الدنيا فقد رؤي من غلب عليه الوجد فعدا على النار وعلى اصول القصب الجارحة لقدمه
وهو لا يحس به لفرط غلبة ما في قلبه وترى الغضبان يستولي عليه الغضب في القتال فتصيبه جراحات وهو لا يشعر بها في الحال لان
الغضب نار في القلب **قال** رسول الله صلى الله عليه وسلم الغضب قطعة من النار واحتراق الفؤاد اشد من احتراق الاجساد والاشد
يبطل الاحساس بالاضعف كما تراه فليس الهلاك من النار والسيف الا من حيث انه يفرق بين جزئين يرتبط احدهما بالآخر برابطة التاليف الممكن في
الاجسام فالذي يفرق بين القلب وبين محبوبه المرتبط به برابطة تاليف اشد احكاما من تاليف الاجسام فهو اشد ايلاما ان كان من ارباب
البصائر وارباب القلوب ولا يبعد ان لا يدرك من لا قلب له شدة هذا الالم ويستحقره بالاضافة الى الم الجسم فالصبي لو خير بين الم الحرمان
عن الكرة والصولجان وبين الم الحرمان عن رتبة السلطان لم يحس بالم الحرمان عن رتبة السلطان اصلا ولم يعده الما وقال
العدو في الميدان مع الصولجان احب الي من سرير الملك مع الجلوس عليه بل من تغلبه شهوة البطن لو خير بين الهريسة والحلوى
وبين فعل جميل يقهر به الاعداء ويفرح به الاصدقاء لآثر الهريسة والحلوى وهذا لفقد المعنى الذي بوجوده يصير الجاه محبوبا ووجود
المعنى الذي بوجوده يصير الطعام لذيذا وذلك لمن استرقته صفات البهائم والسباع ولم تظهر فيه الصفات الملكية التي لا يناسبها ولا
يلذها الا القرب من رب العالمين ولا يؤلمها الا البعد والحجاب وكما لا يكون الذوق الا في اللسان والسمع الا في الآذان فلا تكون
هذه الصفة الا في القلب فمن لا قلب له ليس له هذا الحس كمن لا سمع له ولا بصر ليس له لذة الالحان وحسن الصور والالوان وليس لكل انسان
قلب ولو كان لما صح قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب فجعل من لم ينتفع بالقرآن مفلسا من القلب ولست اعني بالقلب هذا
اللحم الذي تكتنفه عظام الصدر بل اعني به السر الذي هو من عالم الامر وهذا اللحم الذي هو من عالم الخلق عرشه والصدر كرسيه
وسائر الاعضاء عالمه ومملكته ولله الخلق والامر جميعا ولكن ذلك السر الذي قال الله تعالى فيه قل الروح من امر ربي هو الملك والامير
لان بين عالم الامر وعالم الخلق ترتيبا وعالم الامر امير على عالم الخلق وهي اللطيفة التي اذا صلحت صلح لها سائر الجسد من عرفها فقد
عرف نفسه ومن عرف نفسه فقد عرف ربه وعند ذلك يشم العبد مبادي روائح المعنى المطوي تحت قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم
على صورته ونظر بعين الرحمة الى الجامدين على ظاهر لفظه والى المتعسفين في طرق تاويله وان كانت رحمته للجامدين على اللفظ
اكثر من رحمته للمتعسفين في التاويل لان الرحمة على قدر المصيبة ومصيبة اولئك اكثر وان اشتركوا في مصيبة الحرمان عن حقيقة الامر
فالمنة فضل الله يؤتيه من يشاء والفضل العظيم وهي حكمة يختص بها من يريد ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا
ولنعد الى الغرض فقد ارخينا الطول وطولنا النفس في امر هو اعلى من علوم المعاملة التي نقصدها في هذا الكتاب فقد
ظهر ان رتبة الهلاك ليس الا للجهال المكذبين وشهادة ذلك من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل تحت الحصر فلذلك لم نورده

الرتبة الثانية رتبة المعذبين وهذه رتبة من تحلى باصل الايمان ولكن قصر بالوفاء بمقتضاه فان راس
الايمان هو التوحيد وهو ان لا يعبد الا الله تعالى ومن اتبع هواه فقد اتخذ الهه هواه فهو موحد بلسانه لا بالحقيقة بل معنى
قولك لا اله الا الله معنى قوله تعالى قل الله ثم ذرهم وهو ان يذر بالكلية غير الله ومعنى قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
ولما كان الصراط المستقيم الذي لا يكمل التوحيد الا بالاستقامة عليه ادق من الشعر واحد من السيف مثل الصراط الموصوف في الآخرة
فلا ينفك بشر عن ميل عن الاستقامة ولو في امر يسير اذ لا يخلو عن اتباع الهوى ولو في فعل قليل وذلك قادح في كمال التوحيد
بقدر ميله عن الصراط المستقيم فذلك يقتضي لا محالة نقصانا في درجة القرب ومع كل نقصان ناران نار الفراق لذلك
الكمال الفائت بالنقصان ونار جهنم كما وصفها القرآن فيكون كل مائل عن الصراط المستقيم معذبا مرتين من وجهين
ولكن شدة ذلك العذاب وخفته وتفاوته بحسب طول المدة انما يكون بسبب امرين احدهما قوة الايمان وضعفه والثاني
كثرة اتباع الهوى وقلته واذ لا يخلو بشر في غالب الامر عن واحد من الامرين قال الله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما
مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا وكذلك قال الخائفون من السلف انما خوفنا لانا تيقنا انا على النار واردون وشككنا في النجاة

ولما روى الحسن الخبر الوارد فيمن يخرج من النار بعد الف عام وانه ينادي يا حنان يا منان قال الحسن يا ليتني كنت ذلك الرجل واعلم
ان في الاخبار ما يدل على ان آخر من يخرج من النار بعد سبعة آلاف سنة وان الاختلاف في المدة بين اللحظة وبين سبعة آلاف
سنة حتى يجوز بعضهم على النار كبرق خاطف ولا يكون له فيها لبث وبين اللحظة وسبعة آلاف سنة درجات متفاوتة من اليوم والاسبوع والشهر وسائر المدد
وان الاختلاف بالشدة لا نهاية لاعلاه وادناها التعذيب بالمناقشة في الحساب كما ان الملك قد يعذب بعض المقصرين في الاعمال
بالمناقشة في الحساب ثم يعفو وقد يضرب بالسياط وقد يعذب بانواع اخر من العذاب ويتطرق الى العذاب اختلاف ثالث
في غير المدة والشدة وهو اختلاف الانواع اذ ليس من يعذب بمصادرة المال فقط كمن يعذب باخذ المال وقتل الولد واستباحة الحريم
وتعذيب الاقارب والضرب وقطع اللسان واليد والانف والاذن وغيره فهذه الاختلافات ثابتة في عذاب الآخرة دل عليها
قواطع الشرع وهي بحسب اختلاف قوة الايمان وضعفه وكثرة الطاعات وقلتها وكثرة السيئات **واما شدة العذاب** فبشدة قبح السيئات
وكبرها واما كثرته فبكثرتها **واما اختلاف** انواعه فباختلاف انواع السيئات وقد انكشف هذا لارباب القلوب مع شواهد القرآن
بنور الايمان وهو المعني بقوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد وبقوله تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت وبقوله وان ليس للانسان الا
ما سعى وبقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره الى غير ذلك مما ورد في الكتاب والسنة من كون العقاب
والثواب جزاء على الاعمال وكل ذلك بعدل لا ظلم فيه وجانب العفو والرحمة ارجح اذ قال تعالى فيما اخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم سبقت رحمتي
غضبي وقال تعالى وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما **فاذا** هذه الامور الكلية من ارتباط الدرجات والدركات
بالحسنات والسيئات معلومة بقواطع الشرع ونور المعرفة فاما التفصيل فلا يعرف الا ظنا ومستنده ظواهر الاخبار ونوع حدس يستمد
من انوار الاستبصار بعين الاعتبار **فنقول** كل من احكم اصل الايمان واجتنب جميع الكبائر واحسن جميع الفرائض اعني
الاركان الخمسة ولم يكن منه الا صغائر متفرقة لم يصر عليها فيشبه ان يكون عذابه المناقشة في الحساب فقط فانه اذا حوسب رجحت
حسناته على سيئاته اذ ورد في الاخبار ان الصلوات الخمس والجمعة وصوم رمضان كفارات لما بينهن وكذلك اجتناب الكبائر بحكم
نص القرآن مكفر للصغائر واقل درجات التكفير ان يدفع العذاب ان لم يدفع الحساب وكل من هذا حاله ثقلت موازينه
فينبغي ان يكون بعد ظهور الرجحان في الميزان وبعد الفراغ من الحساب في عيشة راضية نعم يلتحق باصحاب اليمين او بالمقربين
وينزل في جنات عدن او في الفردوس الاعلى فذلك يتبع اصناف الايمان لان الايمان ايمانان تقليدي كايمان العوام يصدقون
بما يسمعون ويستمرون عليه وايمان كشفي يحصل بانشراح الصدر بنور الله حتى ينكشف فيه الوجود كله على ما هو عليه فيتضح ان الكل
الى الله مرجعه ومصيره اذ ليس في الوجود الا الله وصفاته وافعاله فهذا الصنف هم المقربون النازلون في الفردوس
الاعلى وهم على غاية القرب من الملأ الاعلى **وهم ايضا على اصناف فمنهم السابقون** ومنهم من دونهم وتفاوتهم
بحسب تفاوت معرفتهم بالله تعالى ودرجات العارفين في المعرفة لا تنحصر اذ الاحاطة بكنه جلال الله غير ممكن وبحر المعرفة ليس
له ساحل ولا عمق وانما يغوص فيه الغواصون بقدر قواهم وبقدر ما سبق لهم من الله في الازل فالطريق الى الله تعالى لا نهاية لمنازله
فالسالكون سبيل الله لا نهاية لدرجاتهم **واما المؤمن** ايمانا تقليديا فهو من اصحاب اليمين ودرجته دون درجة
المقربين وهم ايضا على درجات فالاعلى من درجات اصحاب اليمين تقارب رتبته رتبة الادنى من درجات المقربين هذا حال
من اجتنب كل الكبائر وادى الفرائض كلها اعني الاركان الخمسة التي هي النطق بكلمة الشهادة باللسان والصلاة والزكاة والصوم
والحج فاما من ارتكب كبيرة او كبائر او اهمل بعض اركان الاسلام فان تاب توبة نصوحا قبل قرب الاجل التحق بمن لم يرتكب لان
التائب من الذنب كمن لا ذنب له **والثوب المغسول** كالذي لم يتوسخ اصلا وان مات قبل التوبة فهذا امر مخطر عند الموت
اذ ربما يكون موته على الاصرار سببا لتزلزل ايمانه فيختم له بسوء الخاتمة لا سيما اذا كان ايمانه تقليديا فان التقليد وان كان جزما
فانه قابل للانحلال بادنى شك وخيال **والعارف البصير** ابعد من ان يخاف عليه سوء الخاتمة وكلاهما ان ماتا على
الايمان يعذبان الا ان يعفو الله عذابا يزيد على عذاب المناقشة في الحساب وتكون كثرة العقاب من حيث المدة بحسب كثرة مدة
الاصرار ومن حيث الشدة بحسب قبح الكبائر ومن حيث اختلاف النوع بحسب اختلاف اصناف السيئات وعند انقضاء مدة العقاب
ينزل البله المقلدون في درجات اصحاب اليمين والعارفون المستبصرون في اعلى عليين ففي الخبر آخر من يخرج من النار يعطى

مثل الدنيا عشر امثاله ولا تظنن ان المراد به تقدير المساحة لاطراف الاجسام بان يقابل فرسخ بفرسخين او عشرة فان هذا جهل بطريق ضرب الامثال بل هذا كقول القائل اخذ منه جملا واعطاه عشرة امثاله وكان الجمل يساوي عشرة دنانير فاعطاه مائة دينار فانه لم يفهم من المثل الا المثل في الوزن والثقل فلا تكون مائة دينار لو وضعت في كفة الميزان والجمل في الكفة الاخرى عشر عشيره بل هو موازنة معاني الاجسام وارواحها دون اشخاصها وهياكلها فان الجمل لا يقصد لثقله وطوله وعرضه ومساحته بل لماليته فروحه المالية وجسمه اللحم والدم ومائة دينار عشرة امثاله بالموازنة الروحانية لا بالموازنة الجسمانية وهذا صادق عند من يعرف روح المالية من الذهب والابل بل لو اعطاه جوهرة وزنها مثقال وقيمتها مائة دينار وقال اعطيته عشرة امثاله كان صادقا ولكن لا يدرك صدقه الا الجوهري فان روح الجوهرة لا يدرك بمجرد النظر بل بفطنة اخرى وراء البصر فلذلك يكذب الصبي بل القروي والبدوي ويقول ما هذه الجوهرة الا حجر وزنه مثقال ووزن الجمل الف مثقال فقد كذب في قوله اني اعطيته عشرة امثاله والكاذب بالتحقيق هو الصبي ولكن لا سبيل الى تحقيق ذلك عنده الا بان ينتظر به البلوغ والكمال وان يحصل في قلبه النور الذي به يدرك ارواح الجواهر وسائر الاموال فعند ذلك ينكشف له الصدق **والعارف** عاجز عن تفهيم المقلد المقصر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الموازنة اذ يقول الجنة في السماوات كما ورد في الاخبار والسموات من الدنيا فكيف يكون عشرة امثال الدنيا في الدنيا وهذا كما يعجز البالغ عن تفهيم الصبي تلك الموازنة وكذلك تفهيم البدوي وكما ان الجوهري مرحوم اذا ابتلي بالبدوي والقروي في تفهيم تلك الموازنة فالعارف مرحوم اذا ابتلي بالبليد الابله في تفهيم هذه الموازنة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ارحموا ثلاثة عالما بين جهال وعزيز قوم ذل وغني قوم افتقر والانبياء مرحومون بين الامة بهذا السبب ومقاساتهم لقصور عقول الامة فتنة لهم وامتحان وابتلاء من الله تعالى وبلاء موكل بهم سبق بتوكيله القضاء الازلي وهو المعني بقوله عليه السلام البلاء موكل بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل فلا تظنن ان البلاء بلاء ايوب وهو الذي ينزل بالبدن فان بلاء نوح عليه السلام ايضا من البلاء العظيم اذ بلي بجماعة كان لا يزيدهم دعاؤه الى الله تعالى الا فرارا ولذلك لما تأذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلام بعض الناس قال رحم الله اخي موسى لقد اوذي باكثر من هذا فصبر فاذا لا تخلو الانبياء صلوات الله عليهم عن الابتلاء بالجاحدين فلا تخلو الاولياء والعلماء عن الابتلاء بالجاهلين ولذلك قلما تنفك الاولياء عن ضروب الايذاء وانواع البلايا بالاخراج من البلاد والسعاية بهم الى السلاطين والشهادة عليهم بالكفر والخروج عن الدين وواجب ان يكون اهل المعرفة عند اهل الجهل من الكافرين كما يجب ان يكون الفلس عن الابل الكبير جوهرة صغيرة عند الجاهلين من المبذرين المضيعين فاذا عرفت هذه الدقائق فآمن بقوله صلى الله عليه وسلم ان آخر من يخرج من النار يعطى مثل الدنيا عشر مرات واياك ان تقتصر بتصديقك على ما يدركه البصر والحواس فقط فتكون حمارا برجلين لان الحمار يشاركك في الحواس الخمس وانما تفارق الحمار بسر الهي عرض على السماوات والارض فابين ان يحملنها واشفقن منها فادراك ما يخرج عن عالم الحواس الخمس لا يصادف الا في عالم ذلك السر الذي به فارقت الحمار وسائر البهائم فمن ذهل عن ذلك وعطله واهمله وقنع بدرجة البهائم ولم يجاوز المحسوسات فهو الذي اهلك نفسه بتعطيلها ونسيها بالاعراض عنها فلا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم فكل من لم يعرف الا المدرك بالحواس فقد نسي الله اذ ليس ذات الله مدركا في هذا العالم بالحواس الخمس وكل من نسي الله انساه الله لا محالة نفسه ونزل الى افق البهائم وترك الترقي الى الافق الملا الاعلى وكان في الامانة التي اودعه الله تعالى وانعم بها عليه كافرا لنعمته ومعرضا لنقمته الا انه اسوأ حالا من البهيمة فان البهيمة تتخلص بالموت واما هذا فعنده امانة سترجع لا محالة الى مودعها فاليه مرجع الامانة ومصيرها وتلك الامانة كالشمس الزاهرة وانما هبطت الى هذا القالب الفاني وغربت فيه وستطلع هذه الشمس عند خراب القالب من مغربها وتعود الى باريها وخالقها اما مظلمة منكسفة واما زاهرة مشرقة والزاهرة المشرقة غير محجوبة عن الحضرة الربوبية والمظلمة ايضا راجعة الى الحضرة اذ المرجع والمصير للكل اليه الا انها ناكسة رؤسها عن جهة اعلى عليين الى جهة اسفل السافلين ولذلك قال تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم فبين انهم عند ربهم الا انهم منكوسون منكوسون قد انقلبت وجوههم الى اقفيتهم وانتكست رؤسهم عن جهة فوق الى جهة اسفل وذلك حكم الله تعالى فيمن حرمه توفيقه ولم يهده طريقه فنعوذ بالله تعالى من الضلال والنزول الى منازل الجهال فهذا حكم انقسام من يخرج من النار ويعطى مثل عشرة امثال الدنيا او اكثر ولا يخرج من النار الا موحد ولست اعني بالتوحيد ان يقول بلسانه لا اله الا الله فان اللسان من عالم الملك والشهادة فلا ينفع الا في عالم الملك فيدفع السيف عن رقبته وايدي الغانمين عن ماله

ومدة الرقبة والمال مدة الحياة فحيث لا يبقى رقبة ولا مال لا ينفع القول باللسان وانما ينفع الصدق في التوحيد وكمال التوحيد ان لا يرى الامور كلها الا من الله تعالى وعلامته ان لا يغضب على احد من الخلق بما يجري عليه اذ لا يرى الوسائط وانما يرى مسبب الاسباب كما سياتي تحقيقه في التوكل وهذا التوحيد متفاوت فمن الناس من له من التوحيد مثل الجبال ومنهم من له مثقال ومنهم من له مثقال خردلة وذرة فمن في قلبه مثقال دينار من ايمان فهو اول من يخرج من النار **وفي الخبر** يقال اخرجوا من النار من في قلبه مثقال دينار من ايمان فآخر من يخرج من في قلبه مثقال ذرة من ايمان وما بين المثقال والذرة على تفاوت درجاتهم يخرجون بين طبقة المثقال وبين طبقة الذرة والموازنة بالمثقال والذرة على سبيل ضرب المثل كما ذكرناه من الموازنة بين اعيان الاموال وبين النقود واكثر ما يدخل الموحدين النار مظالم العباد فديوان العباد هو الديوان الذي لا يترك فاما بقية السيئات فيتسارع العفو والتكفير اليها ففي الاخبار ان العبد ليوقف بين يدي الله تعالى وله من الحسنات امثال الجبال لو سلمت له لكان من اهل الجنة فيقوم اصحاب المظالم فيكون قد سب عرض هذا واخذ مال هذا وضرب هذا فيقتص من حسناته حتى لا يبقى له حسنة فتقول الملائكة يا ربنا قد فنيت حسناته وبقي طالبون كثير فيقال القوا من سيئاتهم على سيئاته وصكوا له صكا الى النار وكما يهلك هو بسيئة غيره بطريق القصاص فكذلك ينجو المظلوم بحسنة الظالم اذ ينقل اليه عوضا عما ظلم به **وقد** حكي عن ابن الجلاء ان بعض اخوانه اغتابه ثم ارسل اليه يستحله فقال لا افعل ليس في صحيفتي حسنة افضل منها فكيف امحوها وقال هو وغيره ذنوب اخواني من حسناتي اريد ان ازين بها صحيفتي فهذا ما اردنا ان نذكره من اختلاف العباد في المعاد في درجات السعادة والشقاوة وكل ذلك حكم بظاهر الاسباب يضاهي حكم الطبيب على مريض بانه يموت لا محالة ولا يقبل العلاج وعلى مريض آخر بان عارضه خفيف وعلاجه هين فان ذلك ظن يصيب في اكثر الاحوال ولكن قد يخطئ في البعض فقد يتوب الى المشرف على الهلاك نفسه من حيث لا يشعر الطبيب وقد يساق الى ذي العارض الخفيف اجله من حيث لا يطلع عليه وذلك لاسرار الله الخفية في ارواح الاحياء وغموض الاسباب التي رتبها مسبب الاسباب بقدر معلوم اذ ليس في قوة البشر الاطلاع عليها فكذلك النجاة في الآخرة لها اسباب خفية ليس في قوة البشر الاطلاع عليها فتقضي الى النجاة بالعفو والرضى وعما يفضي الى الهلاك بالغضب والانتقام ووراء ذلك الاسرار المشية الازلية التي لا يطلع الخلق عليها فلذلك يجب علينا ان نجوز العفو عن العاصي وان كثرت سيئاته الظاهرة والغضب على المطيع وان كثرت طاعاته الظاهرة فان الاعتماد على التقوى والتقوى في القلب وهو اغمض من ان يطلع عليه صاحبه فكيف غيره ولكن قد انكشف لارباب القلوب ان الله لا يعفو عن عبد الا بسبب خفي فيه يقتضي العفو ولا يغضب الا بسبب باطن يقتضي البعد من الله عز وجل ولولا ذلك لم يكن العفو والغضب جزاء على الاعمال والاوصاف ولو لم يكن جزاء لم يكن عدلا ولو لم يكن عدلا لم يصح قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد ولا قوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وكل ذلك صحيح فليس للانسان الا ما سعى وسعيه هو الذي يرى وكل نفس بما كسبت رهينة ولما زاغوا ازاغ الله قلوبهم ولما غيروا ما بانفسهم غير الله ما بهم تحقيقا لقوله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وهذا كله قد انكشف لارباب القلوب انكشافا اوضح من المشاهدة بالبصر اذ البصر يمكن الغلط فيه اذ قد يرى البعيد قريبا والكبير صغيرا ومشاهدة القلب لا يمكن الغلط واغا الشأن في انفتاح بصيرة القلب والا فما يرى بها بعد الانفتاح فلا يتصور فيه الكذب والى الاشارة بقوله تعالى ما كذب الفؤاد ما راى

تعريف الناجين

الرتبة الثالثة رتبة الناجين

واعني بالنجاة السلامة فقط دون السعادة والفوز وهم قوم لم يخدموا فيخلع عليهم ولم يقصروا فيعذبوا ويشبه ان يكون هذا حال المجانين والصبيان من الكفار والمعتوهين والذين لم تبلغهم الدعوة في اطراف البلاد وعاشوا على البله وعدم المعرفة فلم تكن لهم معرفة ولا جحود ولا طاعة ولا معصية فلا وسيلة تقربهم ولا جناية تبعدهم فما هم من اهل الجنة ولا من اهل النار بل ينزلون في منزلة بين المنزلتين ومقام بين المقامين عبر الشرع عنه بالاعراف وحلول طائفة من الخلق فيه معلوم يقينا من الآيات والاخبار ومن انوار الاعتبار فاما الحكم على التعيين كالحكم مثلا بان الصبيان منهم فهذا مظنون وليس مستيقنا والاطلاع عليه تحقيقا في عالم النبوة ويبعد ان يرتقي اليه رتبة الاولياء والعلماء والاخبار في حق الصبيان ايضا متعارضة حتى قالت عائشة رضي الله عنها لما مات بعض الصبيان عصفور من عصافير الجنة فانكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وقال وما يدريك فاذا الاشكال والاشتباه اغلب في هذا المقام

تعريف الفائزين

الرتبة الرابعة الفائزون

العارفون دون المقلدين وهم المقربون السابقون فان المقلدين وان كان لهم فوز على الجملة بمقام في الجنة فهم من اصحاب اليمين وهؤلاء هم المقربون وما يلقى هؤلاء لا يجاوز حد البيان والقدر الممكن ذكره ما فصله القرآن فليس بعد بيان الله بيان والذي لا يمكن التعبير عنه في هذا العالم فهو الذي اجمله قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقوله اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

والعارفون مطلبهم تلك الحالة التي لا يتصور ان يخطر على قلب بشر في هذا العالم فاما الحور والقصور والفواكه واللبن والعسل والخمر والحلي والاساور فانهم لا يحرصون عليها ولو اعطوها لم يقنعوا بها ولا يطلبون الا لذة النظر الى وجه الله الكريم فهي غاية الغايات ونهاية اللذات ولذلك قيل لرابعة العدوية كيف رغبتك في الجنة فقالت الجار ثم الدار فهؤلاء قوم شغلهم حب رب الدار عن الدار وزينتها بل عن كل شيء سواه حتى عن انفسهم ومثالهم مثال العاشق المستهتر بمعشوقه المستوفي همه بالنظر الى وجهه او الفكر فيه فانه في حال الاستغراق غافل عن نفسه لا يحس بما يصيبه في بدنه ويعبر عن هذه الحالة بانه فني عن نفسه ومعناه انه صار مستغرقا بغيره وصارت همومه هما واحدا وهو محبوبه ولم يبق فيه متسع لغير محبوبه حتى يلتفت اليه لا نفسه ولا غير نفسه وهذه الحالة هي التي توصل في الآخرة الى قرة عين لا تتصور ان تخطر في هذا العالم على قلب بشر كما لا يتصور ان يخطر صورة الالوان والالحان على قلب الاصم والاكمه الا ان يرفع الحجاب عن سمعه وبصره فعند ذلك يدرك حالة يعلم بها قطعا انه لم يتصور ان يخطر بباله قبل ذلك صورتها فالدنيا حجاب على التحقيق وبرفعه ينكشف الغطا فعند ذلك يدرك ذوق الحياة الطيبة وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون فهذا القدر كاف في بيان توزع الدرجات على الحسنات

بيان ما تعظم به الصغائر من الذنوب

اعلم ان الصغيرة تكبر باسباب منها الاصرار والمواظبة ولذلك قيل لا صغيرة مع اصرار ولا كبيرة مع استغفار فكبيرة واحدة تنصرم ولا يتبعها مثلها لو تصور ذلك كان العفو عنها ارجى من صغيرة يواظب العبد عليها ومثال ذلك قطرات من الماء يقع على الحجر على توال فتؤثر فيه وذلك القدر من الماء لو صب عليه دفعة لم يؤثر ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الاعمال ادومها وان قل والاشياء تستبان باضدادها فاذا كان النافع من العمل هو الدائم وان قل فالكثير المنصرم قليل النفع في تنوير القلب وتطهيره فكذلك القليل من السيئات اذا دام عظم تاثيره في اظلام القلب الا ان الكبيرة قلما يتصور الهجوم عليها بغتة من غير سوابق ولواحق من جملة الصغائر فقلما يزني الزاني بغتة من غير مراودة ومقدمات وقلما يقتل بغتة من غير مشاحنة سابقة ومعاداة فكل كبيرة يكتنفها صغائر سابقة ولاحقة ولو تصورت كبيرة وحدها بغتة ولم يتفق اليها عود ربما كان العفو فيها ارجى من صغيرة واظب الانسان عليها عمره ومنها ان يستصغر الذنب فان الذنب كلما استعظمه العبد من نفسه صغر عند الله وكلما استصغره كبر عند الله لان استعظامه يصدر عن نفور القلب عنه وكراهته له وذلك النفور يمنع من شدة تاثره به واستصغاره يصدر عن الالف به وذلك يوجب شدة الاثر في القلب والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات والمحذور تسويده بالسيئات ولذلك لا يؤاخذ بما يجري عليه في الغفلة فان القلب لا يتاثر بما يجري في الغفلة وقد جاء في الخبر المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف ان يقع عليه والمنافق يرى ذنبه كذباب مر على انفه فاطاره وقال بعضهم الذنب الذي لا يغفر قول العبد ليت كل شيء عملته مثل هذا وانما يعظم الذنب في قلب المؤمن لعلمه بجلال الله فاذا نظر الى عظم من عصى به رأى الصغير كبيرا وقد اوحى الله الى بعض انبيائه لا تنظر الى قلة الهدية وانظر الى عظم مهديها ولا تنظر الى صغر الخطيئة وانظر الى كبرياء من واجهته بها وبهذا الاعتبار قال بعض الصحابة للتابعين انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات اذ كانت معرفة الصحابة بجلال الله اتم فكانت الصغائر عندهم بالاضافة الى جلال الله كبائر وبهذا السبب يعظم من العالم ما لا يعظم من الجاهل ويتجاوز عن العامي في امور لا يتجاوز في امثالها عن العارف لان الذنب والمخالفة يكبر بمعرفة قدر المخالف ومنها السرور بالصغيرة والفرح والتبجح بها واعتداد التمكن من ذلك نعمة والغفلة عن كونه سبب الشقاوة فكلما غلبت حلاوة الصغيرة عند العبد كبرت الصغيرة وعظم اثرها في تسويد قلبه حتى ان من المذنبين من يتمدح بذنبه ويتبجح به لشدة فرحه بمقارفته اياه كما يقول اما رايتني كيف مزقت عرضه ويقول المناظر في مناظرته اما رايتني كيف فضحته وكيف ذكرت مساويه حتى اخجلته وكيف استخففت به وكيف لبست عليه ويقول المعامل في التجارة اما رايت كيف روجت عليه الزايف وكيف خدعته وكيف غبنته في ماله وكيف استحمقته فهذا وامثاله يكبر به الصغائر فان الذنوب مهلكات واذا دفع العبد اليها وظفر الشيطان به في الحمل عليها فينبغي ان يكون في مصيبة وتاسف بسبب غلبة العدو عليه وبسبب بعده من الله تعالى فالمريض الذي يفرح بان ينكسر الاناء الذي فيه دواؤه حتى يتخلص من الم شربه لا يرجى شفاؤه ومنها ان يتهاون بستر الله عليه وحلمه عنه وامهاله اياه ولا يدري انه انما يمهل مقتا ليزداد بالامهال اثما فيظن ان تمكنه من المعاصي عناية من الله تعالى به فيكون ذلك لامنه من مكر الله وجهله بمكامن الغرور بالله كما قال الله تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ومنها ان ياتي الذنب ويظهره بان يذكره بعد اتيانه او ياتيه في مشهد غيره فان ذلك منه جناية على ستر الله الذي اسدله عليه وتحريك لرغبة الشر فيمن اسمعه ذنبه او اشهده فعله فهما جنايتان انضمتا الى جنايته فتغلظت به فان انضاف الى ذلك الترغيب للغير فيه والحمل عليه وتهيئة الاسباب له صارت جناية رابعة وتفاحش الامر وفي الخبر كل الناس معافى الا المجاهرين يبيت احدهم على ذنب قد ستره الله عليه فيصبح فيكشف ستر الله ويتحدث بذنبه وهذا لان من صفات الله ونعمه انه يظهر الجميل ويستر القبيح ولا يهتك الستر فالاظهار كفران لهذه النعمة وقال بعضهم لا تذنب فان كان ولا بد فلا ترغب غيرك فيه فتذنب ذنبين ولذلك قال تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يامرون بالمنكر وينهون عن المعروف وقال بعض السلف ما انتهك المرء من اخيه حرمة اعظم من ان يساعده على معصية ثم يهونها عليه ومنها ان يكون المذنب عالما يقتدى به فاذا فعله بحيث يرى ذلك منه كبر ذنبه كلبس العالم الابريسم وركوبه مراكب الذهب واخذه مال الشبهة من اموال السلاطين ودخوله على السلاطين وتردده اليهم ومساعدته اياهم بترك الانكار عليهم واطلاقه اللسان في الاعراض وتعديه باللسان في المناظرة وقصده الاستخفاف واشتغاله من العلوم بما لا يقصد منه الا الجاه كعلم الجدل والمناظرة وهذه ذنوب يتبع العالم عليها فيموت العالم ويبقى شره مستطيرا في العالم آمادا متطاولة فطوبى لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه وفي الخبر من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة لا ينقص من اوزارهم شيئا قال تعالى ونكتب ما قدموا وآثارهم والآثار ما يلحق من الاعمال بعد انقضاء العمل والعامل وقال ابن عباس ويل للعالم من الاتباع يزل زلة فيرجع عنها ويحملها الناس فيذهبون بها في الآفاق وقال بعضهم مثل زلة العالم مثل انكسار سفينة تغرق ويغرق اهلها وفي الاسرائيليات ان عالما كان يضل الناس بالبدعة ثم ادركته توبة فعمل في الاصلاح دهرا فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل له ان ذنبك لو كان فيما بيني وبينك لغفرته لك ولكن كيف بمن اضللت من عبادي فادخلتهم النار فبهذا يتضح ان امر العلماء مخطر فعليهم وظيفتان احداهما ترك الذنب والاخرى اخفاؤه وكما يتضاعف اوزارهم على الذنوب فكذلك يتضاعف ثوابهم على الحسنات اذا اتبعوا فاذا ترك التجمل والميل الى الدنيا وقنع منها باليسير من الطعام بالقوت ومن الكسوة بالخلق فيتبع عليه ويقتدي به العلماء والعوام فيكون له مثل ثوابهم فان مال الى التجمل مالت طباع من دونه الى التشبه به ولا يقدرون على التجمل الا بخدمة السلاطين وجمع الحطام من الحرام ويكون هو السبب في جميع ذلك فحركات العلماء في طوري الزيادة والنقصان تتضاعف آثارها اما بالربح واما بالخسران وهذا القدر كاف في تفاصيل الذنوب التي التوبة توبة عنها

الركن الثالث في تمام التوبة وشروطها ودوامها الى آخر العمر

قد ذكرنا ان التوبة عبارة عن ندم يورث عزما وقصدا وذلك الندم اورثه العلم بكون المعاصي حائلا بينه وبين محبوبه ولكل واحد من العلم والندم والعزم دوام وتمام ولتمامها علامة ولدوامها شرط فلا بد من بيانها اما العلم فالنظر فيه نظر في سبب التوبة وسياتي واما الندم فهو توجع القلب عند شعوره بفوات المحبوب وعلامته طول الحسرة والحزن وانسكاب الدمع وطول البكاء فمن استشعر عقوبة نازلة بولده او ببعض اعزته طال عليه مصيبته وبكاؤه واي عزيز اعز عليه من نفسه واي عقوبة اشد من النار واي شيء ادل على نزول العقوبة من المعاصي واي مخبر اصدق من الله تعالى ورسوله ولو حدثه انسان واحد يسمى طبيبا ان مرض ولده لا يبرا وانه سيموت طال في الحال حزنه فليس ولده باعز من نفسه ولا الطبيب باعلم ولا باصدق من الله ورسوله ولا الموت باشد من النار ولا المرض ادل على الموت من المعاصي على سخط الله تعالى والتعرض بها للنار فالم الندم كلما كان اشد كان تكفير الذنوب به ارجى فعلامة صحة الندم رقة القلب وغزارة الدمع وفي الخبر جالسوا التوابين فانهم ارق افئدة ومن علامته ان تتمكن مرارة الذنوب في قلبه بدلا عن حلاوتها فيستبدل بالميل كراهية وبالرغبة نفرة وفي الاسرائيليات ان الله تعالى قال لبعض انبيائه وقد ساله قبول توبة عبد بعد ان اجتهد سنين في العبادة ولم ير قبول توبته فقال وعزتي وجلالي لو شفع فيه اهل السموات والارض ما قبلت توبته وحلاوة ذلك الذنب الذي تاب منه في قلبه فان قلت فالذنوب هي اعمال مشتهاة بالطبع فكيف يجد مرارتها فاقول من تناول عسلا كان فيه سم ولم يدركه بالذوق واستلذه ثم مرض وطال مرضه وألمه وتناثر شعره وفلجت اعضاؤه فاذا قدم اليه عسل فيه مثل ذلك السم وهو

بيان ما يعظم به تصغير الذنب

بيان الركن الثالث من اركان التوبة

في الجوع والشهوة للحلاوة فهل تنفر نفسه عن ذلك العسل أم لا فان قلت لا فهو جحد للمشاهدة بل ربما تنفر عن العسل الذي ليس
فيه سم أيضا لشبهه به فوجدان التائب مرارة الذنب كذلك يكون وذلك لعلمه بأن كل ذنب فذوقه ذوق العسل
وعمله عمل السم ولا تصح التوبة ولا يصدق إلا بمثل هذا الإيمان ولما عز مثل هذا الإيمان عزت التوبة والتائبون فلا ترى إلا معرضا
عن الله تعالى متهاونا بالذنوب مصرا عليها فهذا شرط تمام الندم وينبغي أن يدوم إلى الموت وينبغي أن يجد هذه المرارة
في جميع الذنوب وإن لم يكن قد ارتكبها من قبل كما يجد متناول السم في العسل النفرة من الماء البارد مهما علم أن فيه مثل ذلك
السم إذ لم يكن ضرره من العسل بل مما فيه ولم يكن ضرر التائب من سرقته وزناه من حيث إنه سرقة وزنا بل من حيث إنه مخالفة أمر
الله تعالى وذلك جار في كل ذنب وأما القصد الذي ينبعث منه وهو إرادة التدارك فله تعلق بالحال وهو موجب ترك
كل محظور هو ملابس له وأداء كل فرض هو متوجه إليه في الحال وله تعلق بالماضي وهو تدارك ما فرط وبالمستقبل وهو دوام
الطاعة ودوام ترك المعصية إلى الموت وشرط صحته فيما يتعلق بالماضي أن يرد فكره إلى أول يوم بلغ فيه بالسن أو الاحتلام ويفتش
عما مضى من عمره سنة سنة وشهرا شهرا ويوما يوما ونفسا نفسا وينظر إلى الطاعات ما الذي قصر فيه منها وإلى المعاصي ما الذي
قارفه منها فإن كان قد ترك صلاة أو صلاها مع ثوب نجس أو صلاها بنية غير صحيحة لجهله بشرط النية فيقضيها عن آخرها
فإن شك في عدد ما فاته منها حسب من مدة بلوغه وترك القدر الذي يستيقن أنه أداه ويقضي الباقي وله أن يأخذ فيه
بغالب الظن ويصل إليه على سبيل التحري والاجتهاد وأما الصوم فإن كان قد تركه في سفر ولم يقضه أو أفطر عمدا أو نسي النية
بالليل ولم يقض فيتعرف مجموع ذلك بالتحري والاجتهاد ويشتغل بقضائه وأما الزكاة فيحسب جميع ماله وعدد السنين من أول
ملكه لا من زمان البلوغ فإن الزكاة واجبة في مال الصبي فيؤدي ما علم بغالب الظن أنه في ذمته وإن أداه لا على وجه يوافق مذهبه
بأن لم يصرف إلى الأصناف الثمانية أو أخرج البدل وهو على مذهب الشافعي رحمه الله تعالى فيقضي جميع ذلك فإن ذلك لا يجزيه أصلا وحساب
الزكاة ومعرفة ذلك يطول ويحتاج فيه إلى تأمل شاف ويلزمه أن يسأل عن كيفية الخروج عنه من العلماء وأما الحج فإن
كان قد استطاع في بعض السنين فلم يتفق له الخروج والآن قد أفلس فعليه الخروج فإن لم يقدر مع الإفلاس فعليه أن يكتسب من
الحلال قدر الزاد فإن لم يكن له كسب ولا مال فعليه أن يسأل الناس ليصرف إليه من الزكوات أو الصدقات ما يحج به فإنه إن مات
قبل الحج مات عاصيا قال عليه الصلاة والسلام من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا والعجز الطارئ
بعد القدرة لا يسقط عنه الحج فهذا طريق تفتيشه عن الطاعات وتداركها وأما المعاصي فينبغي أن يفتش من أول
بلوغه عن سمعه وبصره ولسانه وبطنه ويده ورجله وفرجه وسائر جوارحه ثم ينظر في جميع أيامه وساعاته ويفصل
عند نفسه ديوان معاصيه حتى يستوفي جميعها صغائرها وكبائرها ثم ينظر فيها فما كان من ذلك بينه وبين الله تعالى من حيث لا يتعلق بمظالم
العباد كنظر إلى غير محرم وقعود في مسجد مع الجنابة ومس المصحف بغير وضوء واعتقاد بدعة وشرب خمر وسماع ملاه وغير ذلك
مما لا يتعلق بمظالم العباد فالتوبة عنها بالندم والتحسر عليها وبأن يحسب مقدارها من حيث الكثرة ومن حيث المدة ويطلب لكل معصية منها
حسنة تناسبها فيأتي من الحسنات بمقدار تلك السيئات أخذا من قوله صلى الله عليه وسلم اتق الله حيث كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها
بل من قوله تعالى إن الحسنات يذهبن السيئات فيكفر سماع الملاهي بسماع القرآن وبمجالس الذكر ويكفر القعود في المسجد جنبا
بالاعتكاف فيه مع الاشتغال بالعبادة ويكفر مس المصحف محدثا بإكرام المصحف وكثرة قراءة القرآن منه وكثرة تقبيله وبأن
يكتب مصحفا ويجعله وقفا ويكفر شرب الخمر بالتصدق بكل شراب حلال هو أطيب وأحب إليه وعد جميع المعاصي غير ممكن
وإنما المقصود سلوك طريق المضادة فإن المرض يعالج بضده فكل ظلمة ارتفعت إلى القلب بمعصية فلا يمحوها إلا نور يرتفع إليها
بحسنة تضادها والمتضادات هي المتناسبات فلذلك ينبغي أن يمحو كل سيئة بحسنة من جنسها لكن بما يضادها فإن البياض
يزال بالسواد لا بالحرارة والبرودة وهذا التدريج والتحقيق من التلطف في طريق المحو فالرجاء فيه أصدق والثقة به أكثر
من أن يواظب على نوع من العبادات وإن كان ذلك أيضا مؤثرا في المحو فهذا حكم ما بينه وبين الله ويدل على أن الشيء يكفر بضده
أن حب الدنيا رأس كل خطيئة وأثر اتباع الدنيا في القلب السرور بها والأنس بها والحنين إليها فلا جرم كان كل أذى يصيب
المسلم ينبو له قلبه عن الدنيا يكون كفارة له إذ القلب يتجافى بالهموم والغموم عن دار الهموم قال صلى الله عليه وسلم
من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهموم وفي لفظ آخر إلا الهم بطلب المعيشة وفي حديث عائشة إذا كثرت ذنوب العبد

ولم يكن له أعمال تكفرها أدخل الله تعالى عليه الهموم فيكون كفارة لذنوبه ويقال إن الهم الذي يدخل على القلب والعبد لا يعرفه
هو ظلمة الذنوب والهم بها وشعور القلب بوقفة الحساب وهول المطلع فإن قلت هم الإنسان غالبا
بماله وولده وجاهه وهو خطيئة فكيف يكون كفارة فاعلم أن الحب له خطيئة والحرمان عنه كفارة ولو تنعم به لتمت الخطيئة فقد
روي أن جبريل دخل على يوسف في السجن فقال له كيف تركت الشيخ الكئيب فقال قد حزن عليك حزن مائة ثكلى قال فما له عند الله
قال أجر مائة شهيد فإذا الهموم أيضا مكفرات حقوق الله تعالى فهذا حكم ما بينه وبين الله وأما مظالم العباد ففيها أيضا
معصية وجناية على حق الله فإن الله تعالى نهى عن ظلم العباد أيضا فما يتعلق منه بحق الله تعالى تداركه بالندم والتحسر وترك مثله في
المستقبل والإتيان بالحسنات التي هي أضدادها فيقابل إيذاءه الناس بالإحسان إليهم ويكفر غصب أموالهم بالتصدق
بملكه الحلال ويكفر تناوله أعراضهم بالغيبة والقدح بالثناء على أهل الدين وإظهار ما يعرفه من خصال الخير من أقرانه وأمثاله
ويكفر قتل النفوس بإعتاق الرقاب لأن ذلك إحياء إذ العبد مفقود لنفسه موجود لسيده فالإعتاق إيجاد لا يقدر
الإنسان على أكثر منه فيقابل الإعدام بالإيجاد وبهذا يعرف أن ما ذكرناه من سلوك طريق المضادة في التكفير والمحو مشهود له
في الشرع حيث كفر القتل بإعتاق رقبة ثم إذا فعل ذلك كله لم ينجه ولم يكفه ما لم يخرج عن مظالم العباد ومظالم العباد إما
في النفوس أو الأموال أو الأعراض أو القلوب أعني به الإيذاء المحض أما النفوس فإن جرى عليه قتل خطأ فتوبته بتسليم الدية
ووصولها إلى المستحق إما منه أو من عاقلته وهو في عهدة ذلك قبل الوصول وإن كان عمدا موجبا للقصاص فبالقصاص فإن لم
يعرف فيجب عليه أن يعترف عند ولي الدم ويحكمه في روحه فإن شاء عفا عنه وإن شاء قتله ولا يسقط عهدته إلا بهذا ولا يجوز له
الإخفاء وليس هذا كما لو زنى أو سرق أو شرب أو قطع الطريق أو باشر ما فيه حد لله فإنه لا يلزمه في التوبة أن يفضح نفسه
ويهتك ستره ويلتمس من الوالي استيفاء حق الله تعالى بل عليه أن يستتر بستر الله تعالى ويقيم حد الله على نفسه بأنواع المجاهدة والتعذيب
فالعفو في محض حقوق الله تعالى قريب من التائبين النادمين فإن رفع أمره إلى الوالي حتى أقام عليه الحد وقع موقعه وتكون توبته صحيحة
مقبولة عند الله تعالى بدليل ما روي أن ماعز بن مالك أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني قد ظلمت نفسي وزنيت
وإني أريد أن تطهرني فرده فلما كان من الغد أتاه فقال يا رسول الله إني قد زنيت فرده الثانية فلما كان في الرابعة أمر به
فحفر له حفيرة ثم أمر به فرجم فكان الناس فيه فرقتين فقائل يقول لقد هلك لقد أحاطت به خطيئته وقائل يقول
ما توبة أفضل من توبة ماعز فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم وجاءت
الغامدية فقالت يا رسول الله إني زنيت فطهرني فردها فلما كان الغد قالت يا رسول الله لم تردني لعلك تريد أن
تردني كما رددت ماعزا فوالله إني لحبلى فقال أما الآن فاذهبي حتى تضعي فلما ولدت أتت بالصبي في خرقة فقالت
هذا قد ولدته قال اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه فلما فطمته أتته بالصبي وفي يده كسرة خبز فقالت هذا يا نبي الله قد
فطمته وقد أكل الطعام فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها وأمر الناس فرجموها فأقبل خالد
ابن الوليد بحجر فرمى رأسها فتنضح الدم على وجه خالد فسبها فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبه إياها فقال مهلا يا خالد
فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت وأما القصاص
وحد القذف فلا بد فيه من تحكيم المستحق فيه فإن كان المتناول مالا تناوله بغصب أو خيانة أو غبن في معاملة بنوع تلبيس
كترويج زيف أو ستر عيب من المبيع أو نقص أجرة أجير أو منع أجرته فكل ذلك يجب أن يفتش عنه لا من حد بلوغه
بل من مدة وجوده فإن ما يجب في مال الصبي يجب على الصبي إخراجه بعد البلوغ إن كان الولي قد قصر فيه فإن لم يفعل كان
ظالما مطالبا به إذ يستوي في الحقوق المالية الصبي والبالغ وليحاسب نفسه على الحبات والدوانق من أول يوم حياته إلى
يوم توبته قبل أن يحاسب في القيامة وليناقش قبل أن يناقش فمن لم يحاسب نفسه في الدنيا طال في الآخرة حسابه فإن حصل
مجموع ما عليه بظن غالب ونوع من الاجتهاد ممكن فليكتبه وليكتب أسامي أصحاب المظالم واحدا واحدا وليطف في نواحي العالم
وليطلبهم وليستحلهم أو ليرد حقوقهم وهذه التوبة تشق على الظلمة وعلى التجار فإنهم لا يقدرون على طلب المعاملين
كلهم ولا على طلب ورثتهم ولكن على كل واحد منهم أن يفعل منه ما يقدر عليه فإن عجز فلا يبقى له طريق إلا أن يكثر من الحسنات
حتى تفيض عنه يوم القيامة فتؤخذ حسناته وتوضع في ميزان أرباب المظالم وليكن كثرة حسناته بقدر كثرة مظالمه فإنه إن لم

يفيء من حسناته او يحمل من سيئات ارباب المظالم فيهلك بسيئات غيره فهذه طريق كل تائب في رد المظالم وهذا يوجب استغراق العمر في الحسنات
لو طال العمر بحسب طول مدة الظلم فكيف وذلك مما لا يعرف فربما يكون الاجل قريبا فينبغي ان يكون تشمره للحسنات والوقت ضيق اشد
من تشمره للسيئات الذي كان في المعاصي في متسع الاوقات هذا حكم المظالم الثابتة في ذمته اما الاموال الحاضرة فليرد الى المالك
ما عرف له مالكا معينا وما لا يعرف له مالكا معينا فعليه ان يتصدق به فان اختلط الحرام بالحلال عرف قدر الحرام بالاجتهاد
وتصدق بذلك المقدار كما سبق تفصيله في كتاب الحلال والحرام واما الجناية على القلوب بمشافهة الناس بما يسوءهم او
بغيبتهم في الغيبة فليطلب كل من تعرض له بلسانه او اذى قلبه بفعل من افعاله وليستحل واحدا واحدا منهم ومن مات او غاب
فقد فات امره ولا تدارك الا بتكثير الحسنات ليؤخذ عوضا في القيامة واما من وجده واحله بطيبة قلب فذلك كفارته عليه ان يعرفه قدر
جنايته وتعرضه له فالاستحلال المبهم لا يكفي فربما لو عرف ذلك وكثرة تعديه عليه لم تطب نفسه بالاحلال وادخر ذلك
في القيامة ذخيرة بان يأخذ من حسناته او يحمله من سيئاته فان كان في جملة جنايته عليه ما لو ذكره وعرفه لتأذى بمعرفته
كزناه بجاريته او اهله او نسبته باللسان الى عيب من خفايا عيوبه يعظم اذاه مهما شوفه به فقد انسد عليه
طريق الاستحلال فليس له الا ان يستحل منها ثم تبقى له مظلمة فليجبرها بالحسنات كما يجبر مظلمة الميت والغائب واما
الذكر والتعريف فهو سيئة جديدة يجب الاستحلال منها ومهما ذكر جنايته وعرفه المجني عليه فلم تسمح نفسه بالاحلال بقيت المظلمة
عليه فان هذا حقه فعليه ان يتلطف به ويسعى في مهماته واغراضه ويظهر من حبه والشفقة عليه ما يستميل قلبه فان
الانسان عبد الاحسان فكل من نفر بسيئة مال بحسنة فاذا طاب القلب بكثرة تودده وتلطفه سمحت نفسه بالاحلال فان ابى الا
الاصرار فيكون تلطفه به واعتذاره اليه من جملة حسناته التي يمكن ان يجبر بها في القيامة جنايته وليكن قدر سعيه في فرحه وسرور
قلبه بتودده وتلطفه في قدر سعيه في ايذائه حتى اذا قاوم احدهما الاخر او زاد عليه اخذ ذلك منه ايضا في القيامة بحكم الله
به عليه كمن اتلف في الدنيا مالا فجاء بمثله فامتنع من له المال عن القبول وعن الابراء فان الحاكم يحكم عليه بالقبض منه شاء ام ابى
فكذلك يحكم في صعيد القيامة احكم الحاكمين واعدل المقسطين وفي الخبر المتفق عليه في الصحيحين عن ابي سعيد الخدري ان النبي صلعم
قال كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن اعلم اهل الارض فدل على راهب فاتاه فقال انه قتل تسعة وتسعين نفسا
فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن اعلم اهل الارض فدل على رجل عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة
فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى ارض كذا وكذا فان بها اناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع الى ارضك
فانها ارض سوء فانطلق حتى اذا نصف الطريق اتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة
الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فاتاه ملك في صورة ادمي فجعلوه بينهم فقال
قيسوا ما بين الارضين فالى ايتهما كان ادنى فهو له فقاسوا فوجدوه ادنى الى الارض التي اراد فقبضته ملائكة الرحمة
وفي رواية فكان الى القرية الصالحة اقرب منها بشبر فجعل من اهلها وفي رواية فاوحى الله الى هذه ان تباعدي والى هذه ان
تقربي وقال قيسوا ما بينهما فوجدوه الى هذه اقرب بشبر فغفر له فبهذا يعرف انه لا خلاص الا برجحان ميزان الحسنات
ولو بمثقال فلا بد للتائب من تكثير الحسنات هذا حكم القصد المتعلق بالماضي فاما العزم المرتبط بالاستقبال فهو ان
يعقد مع الله عقدا موكدا ويعاهده بعهد وثيق ان لا يعود الى تلك الذنوب ولا الى امثالها كالذي يعلم في مرضه ان
الفاكهة تضره مثلا فيعزم عزما جازما انه لا يتناول الفاكهة ما لم يزل مرضه فان هذا العزم يتأكد في الحال وان كان
يتصور ان تغلبه الشهوة في ثاني الحال ولكن لا يكون تائبا ما لم يتأكد عزمه في الحال ولا يتصور ان يتم ذلك للتائب في اول امره الا
بالعزلة والصمت وقلة الاكل والنوم واحراز قوت حلال فان كان له مال موروث حلال او كانت له حرفة يكتسب بها
قدر الكفاية فليقتصر عليه فان راس المعاصي اكل الحرام فكيف يكون تائبا مع الاصرار عليه ولا يكتفي بالحلال وترك الشبهات من لا يقدر
على ترك الشهوات في الماكولات والملبوسات وقد قال بعضهم من ترك شهوة وجاهد لله سبع مرات لم يبتل بها وقال
اخر من تاب من ذنب واستقام عليه سنين لم يعد اليه ابدا ومن مهمات التائب اذا لم يكن عالما ان يتعلم ما يجب
عليه في المستقبل وما يحرم عليه حتى يمكنه الاستقامة وان لم يؤثر العزلة لم تتم له الاستقامة المطلقة الا ان يتوب عن بعض الذنوب
كالذي يتوب عن الشرب والزنا والغصب مثلا وليست هذه توبة مطلقة وقد قال بعض الناس ان هذه التوبة لا تصح وقال

قائلون يصح ولفظ الصحة في هذا المقام مجمل بل نقول لمن قال لا يصح ان عنيت به ان ترك بعض الذنوب لا يفيد اصلا بل وجوده كعدمه فما اعظم خطاك
فانا نعلم ان كثرة الذنوب سبب لكثرة العقاب وقلتها سبب لقلته ونقول لمن قال يصح ان اردت به ان التوبة عن بعض الذنوب
توجب قبولا يوصل الى النجاة او الفوز فهذا ايضا خطأ بل النجاة والفوز بترك الجميع هذا حكم الظاهر ولسنا نتكلم في خفايا اسرار
عفو الله تعالى وان قال من ذهب الى انه لا يصح اني اردت به ان التوبة عبارة عن الندم وانما يندم على السرقة مثلا لكونها معصية لا لكونها
سرقة ويستحيل ان يندم عليها دون الزنا ان كان توجعه لاجل المعصية فان العلة شاملة لهما اذ من يتوجع على قتل ولده بالسيف
توجع على قتله بالسكين لان توجعه بفوات محبوبه سواء كان بالسيف او بالسكين فكذلك توجع العبد بفوات محبوبه وذلك
بالمعصية سواء عصى بالسرقة او بالزنا فكيف يتوجع على البعض دون البعض فالندم حالة توجبها المعرفة بكون المعصية مفوتا للمحبوب
من حيث انه معصية فلا يتصور ان يكون على بعض المعاصي دون بعض ولو جاز هذا لجاز ان يتوب عن شرب الخمر من احد الدنين دون الاخر
فان استحال ذلك من حيث ان المعصية في الخمرين واحد وانما الدنان ظروف فكذلك اعيان المعاصي الات المعصية والمعصية من حيث
مخالفة الامر واحد فاذا معنى عدم الصحة ان الله وعد التائبين رتبة لا تنال الا بالندم ولا يتصور الندم على بعض المتماثلات فهو
كالملك المرتب على الايجاب والقبول فانه اذا لم يتم الايجاب والقبول يقال ان العقد لا يصح اي لا يترتب عليه الثمرة وهو الملك
وتحقيق هذا ان ثمرة مجرد الترك ان ينقطع عنه عقاب ما تركه وثمرة الندم تكفير ما سبق فترك السرقة لا يكفر السرقة بل
الندم عليها ولا يتصور الندم الا لكونه معصية وذلك يعم جميع المعاصي وهذا كلام مفهوم واقع يستنطق المنصف بتفصيله
ينكشف الغطاء **فنقول** التوبة عن بعض الذنوب لا تخلو اما ان تكون عن الكبائر دون الصغائر او عن الصغائر دون الكبائر
او عن كبيرة دون كبيرة اما التوبة عن الكبائر دون الصغائر فممكن لانه يعلم ان الكبائر اعظم عند الله واجلب لسخط الله ومقته والصغائر
اقرب الى تطرق العفو اليه فلا يستحيل ان يتوب عن الاعظم ويتندم عليه كالذي يجني على اهل الملك وحرمه ويجني على دابته فيكون
خائفا من الجناية على الاهل مستحقرا الجناية على الدابة والندم بحسب استعظام الذنب واعتقاده كونه مبعدا عن الله وهذا ممكن وجوده في
الشرع فقد كثر التائبون في الاعصار الخالية ولم يكن احد منهم معصوما فلا يستدعي التوبة العصمة و الطبيب قد يحذر المريض العسل
تحذيرا شديدا ويحذره السكر تحذيرا اخف منه على وجه يشعره بانه ربما لا يظهر ضرر السكر اصلا فيتوب المريض بقوله عن العسل
دون السكر فهذا غير محال وجوده وان اكلهما جميعا بحكم شهوته ندم على اكل العسل دون السكر **الثاني** ان يتوب عن بعض
الكبائر دون بعض وهذا ايضا ممكن لاعتقاده ان بعض الكبائر اشد واغلظ عند الله كالذي يتوب عن القتل والنهب والظلم
ومظالم العباد لعلمه بان ديوان العباد لا يترك وما بينه وبين الله يتسارع العفو اليه فهذا ايضا ممكن كما في التفاوت بين الصغائر
والكبائر لان الكبائر ايضا متفاوتة في انفسها وفي اعتقاد مرتكبها وكذلك قد يتوب عن بعض الكبائر التي لا تتعلق بالعباد
كما يتوب عن شرب الخمر دون الزنا مثلا اذ يتضح له ان الخمر مفتاح الشرور وانه اذا زال عقله ارتكب جميع المعاصي وهو لا يدري فيترجح
شر الخمر عنده وينبعث منه خوف يوجب ذلك تركا في المستقبل وندما على الماضي **الثالث** ان يتوب عن صغيرة
او صغائر وهو مصر على كبيرة يعلم انها كبيرة كالذي يتوب عن الغيبة او عن النظر الى غير المحرم وما يجري مجراه وهو مصر على شرب الخمر
وهو ايضا ممكن ووجه امكانه انه ما من مؤمن الا وهو خائف من معاصيه ونادم على فعله ندما اما ضعيفا واما قويا
ولكن تكون لذة نفسه في تلك المعصية اقوى من الم قلبه في الخوف منها لاسباب توجب ضعف الخوف من الجهل والغفلة ولاسباب توجب
قوة الشهوة فيكون الندم موجودا ولكن لا يكون مليا بتحريك العزم ولا قويا عليه فان سلم عن شهوة اقوى منه بان لم يعارضه
الا ما هو اضعف منه قهر الخوف الشهوة وغلبها واوجب ذلك ترك المعصية وقد تشتد ضراوة الفاسق بالخمر فلا يقدر على الصبر
عنه فيكون له ضراوة ما بالغيبة وثلب الناس والنظر الى غير المحرم وخوفه من الله قد بلغ مبلغا يقمع هذه الشهوة الضعيفة
دون القوية فيوجب غلبة جند الخوف انبعاث العزم للترك بل يقول هذا الفاسق في نفسه ان قهرني الشيطان بواسطة
غلبة الشهوة في بعض المعاصي فلا ينبغي ان اخلع العذار وارخي العنان بالكلية بل اجاهده في بعض المعاصي فعسى الله
ان يكون تقربي له في البعض كفارة لبعض ذنوبي ولولا تصور هذا لما تصور من الفاسق ان يصلي ويصوم ولقيل له ان كانت
صلاتك لغير الله فلا تصح وان كانت لله فاترك الفسق لله فان امر الله فيه واحد فلا يتصور ان تقصد بصلاتك التقرب
الى الله ما لم تتقرب بترك الفسق وهذا محال بل يقول لله علي امران ولي على المخالفة فيهما عقوبتان وانا مليّ في احدهما

بقوة الشيطان عاجز عنه في الآخر وقهره فيما أقدر عليه وأرجو بمجاهدتي فيه أن يكفر عني ما عجزت عنه بعثرة شهوتي فكيف لا يتصور
هذا وهو حال كل مسلم إذ لا مسلم إلا وهو جامع بين طاعة الله ومعصيته ولا سبب له إلا هذا وإذا فهم هذا فهم أن غلبة
خوف الشهوة في بعض الذنوب ممكن وجوده والخوف إذا كان من فعل ماض أورث الندم والندم يورث العزم وقد قال النبي صلى الله
عليه وسلم التائب من الذنب كمن لا ذنب له ولم يقل التائب من الذنوب كلها وبهذه المعاني يتبين أن التوبة عن بعض
الذنوب عن يمكن لأن الشهوة متماثلة في حق الشهوة ومن جهة العوض لسخط الله تعالى نعم يجوز أن يتوب عن الخمر دون النبيذ لتفاوتهما
في اقتضاء السخط ويتوب عن الكثير دون القليل لأن لكثرة المعصية تأثيرا في كثرة العقوبة فيساعد الشهوة بالقدر الذي يعجز
عنه ويترك بعض شهوته لله كالمريض الذي حذره الطبيب الفاكهة فإنه قد يتناول قليلها ولكن لا يستكثر منها فقد حصل
من هذا أنه لا يمكن أن يتوب عن شيء ويستوي عن مثله بل لا بد أن يكون ما تاب عنه مخالفا لما بقي عليه إما في شدة المعصية
وإما في غلبة الشهوة وإذا حصل هذا التفاوت في اعتقاد التائب تصور اختلاف حاله في الخوف والندم فيتصور اختلاف حاله
في الترك فندمه على ذلك الذنب ووفاؤه بعزمه على الترك يلحقه بمن لم يذنب وإن لم يكن قد أطاع الله في جميع الأوامر

فإن قلت فهل تصح توبة العنين من الزنا الذي قارفه قبل طريان العنة فأقول لا لأن التوبة عبارة
عن ندم يبعث العزم على الترك فيما يقدر على فعله وما لا يقدر على فعله فقد انعدم بنفسه لا بتركه إياه ولكني أقول
لو طرأ عليه بعد العنة كشف ومعرفة تحقق بها ضرر الزنا الذي قارفه وثار منه احتراق وتحسر وندم بحيث لو كانت
شهوة الوقاع باقية لكانت حرقة الندم تقمع تلك الشهوة وتغلبها فإني أرجو أن يكون ذلك مكفرا لذنبه وماحيا عنه سيئته
إذ لا خلاف في أنه لو تاب قبل طريان العنة ومات عقيبه كان من التائبين وإن لم تطرأ عليه حالة تهيج فيها الشهوة وتتيسر
أسباب القضاء للشهوة ولكنه تائب باعتبار أن ندمه بلغ مبلغا أوجب صرف قصده عن الزنا لو ظهر قصده فإذا لا
يستحيل أن يبلغ قوة الندم في حق العنين هذا المبلغ إلا أنه لا يعرفه من نفسه فإن كل من لا يشتهي شيئا يقدر نفسه قادرا على
تركه بأدنى خوف والله مطلع على ضميره وعلى مقدار ندمه فعساه يقبله منه بل الظاهر أنه يقبله والحقيقة في هذا
ترجع إلى أن ظلمة المعصية تنمحي عن القلب بشيئين أحدهما حرقة الندم والآخر شدة المجاهدة بالترك في الاستقبال وقد
امتنعت المجاهدة بزوال الشهوة ولكن ليس محالا أن يقوى الندم على محوه دون المجاهدة ولولا هذا لقلنا إن التوبة لا تقبل
ما لم يعش التائب بعد التوبة مدة يجاهد نفسه في عين تلك الشهوة مرات كثيرة وذلك مما لا يدل ظاهر الشرع على اشتراطه
أصلا **فإن قلت** إذا فرضنا تائبين أحدهما سكنت نفسه عن النزوع إلى الذنب والآخر بقي في
نفسه نزوع إليه وهو يجاهدها ويمنعها فأيهما أفضل فاعلم أن هذا مما اختلف العلماء فيه فقال أحمد بن أبي الحواري
وأصحاب أبي سليمان الداراني إن المجاهد أفضل لأن له مع التوبة فضل الجهاد وقال علماء البصرة ذلك الآخر أفضل لأنه لو
فتر في توبته كان أقرب إلى السلامة من المجاهد الذي هو في عرضة الفتور عن المجاهدة وما قاله كل واحد من الفريقين لا
يخلو عن حق وعن قصور عن كمال الحقيقة والحق فيه أن الذي انقطع نزوع نفسه له حالتان إحداهما أن يكون انقطاع
نزوعه إليها بفتور في نفس الشهوة فقط فالمجاهد أفضل من هذا إذ تركه بالمجاهدة قد دل على قوة يقينه واستيلاء دينه
على شهوته فهو دليل قاطع على قوة اليقين وعلى قوة الدين وأعني بقوة الدين قوة الإرادة التي تنبعث بإشارة اليقين
وتقمع الشهوة المنبعثة بإشارة الشياطين فهاتان قوتان تدل المجاهدة عليهما قطعا وقول القائل إن هذا أسلم إذ لو
فتر لا يعود إلى الذنب فهذا صحيح ولكن استعمال لفظ الأفضل فيه خطأ وهو كقول القائل العنين أفضل لأنه في أمن
من خطر الشهوة والصبي أفضل من البالغ لأنه أسلم والمفلس أفضل من الملك القاهر القامع لأعدائه لأن المفلس لا عدو
له والملك ربما يغلب مرة ويغلب مرات وهذا كلام رجل سليم القلب قاصر النظر على الظواهر غير عالم بأن العز
في الأخطار وأن العلو شرطه اقتحام الأغرار بل هو كقول القائل الصياد الذي ليس له فرس ولا كلب أفضل في صناعة
الاصطياد وأعلى رتبة من صاحب الكلب والفرس لأنه آمن من أن يجمح به فرسه فتنكسر أعضاؤه عند السقوط على
الأرض وآمن من أن يعضه الكلب ويعتدي عليه وهذا خطأ بل صاحب الفرس والكلب إذا كان قويا عالما بطريق
تأديبهما أعلى رتبة وأحرى بدرك سعادة الصيد الحالة الثانية أن يكون بطلان النزوع بسبب قوة اليقين

وصدق المجاهدة السابقة إذ بلغ مبلغا قمع شيطان الشهوة حتى تأدبت بأدب الشرع فلا يهيجها إلا بإشارة الدين وقد سكنت
بسبب استيلاء الدين عليه فهذا أعلى رتبة من المجاهد المقاسي لهيجان الشهوة وقمعها وقول القائل إن ذلك لا فضل
للجهاد قصور عن الإحاطة بمقصود الجهاد فإن الجهاد ليس مقصودا لعينه بل المقصود قطع ضراوة العدو حتى لا يستجرك إلى
شهواته وإن عجز عن استجرارك فلا يصدك عن سلوك طريق الدين فإذا قهرته وحصلت المقصود فقد ظفرت وما دمت
في المجاهدة فأنت بعد في طلب الظفر ومثاله كمثال من قهر العدو واسترقه بالإضافة إلى من هو مشغول بالجهاد
في صف القتال ولا يدري كيف يسلم ومثاله أيضا مثال من علم كلب الصيد وراض الفرس فهما يمانان عنده بعد ترك
الكلب الضراوة والفرس الجماح بالإضافة إلى من هو مشغول بمقاساة التأديب بعد ولقد غلط بعض الزهاد فظنوا أن
الجهاد هو المقصود الأقصى ولم يعلموا أن ذلك طلب للخلاص من عوائق الطريق وظن آخرون أن قمع الشهوات وإماطتها
بالكلية مقصود حتى جرب بعضهم نفسه فعجز عنه فقال هذا محال فكذب بالشرع وسلك سبيل الإباحة واسترسل في
اتباع الشهوات وكل ذلك جهل وضلال وقد قررنا ذلك في كتاب رياضة النفس من ربع المهلكات **فإن قلت**
فما قولك في تائبين أحدهما نسي الذنب ولم يشتغل بالتفكر فيه والآخر جعله نصب عينيه ولا يزال يتفكر فيه ويحترق
ندما عليه أيهما أفضل **فاعلم** أن هذا أيضا قد اختلفوا فيه فقال بعضهم حقيقة التوبة أن تنصب ذنبك
بين عينيك وقال آخر حقيقة التوبة أن تنسى ذنبك وكل واحد من المذهبين عندنا حق ولكن بالإضافة إلى
حالين وكلام المتصوفة أبدا يكون قاصرا فإن عادة كل واحد أن يخبر عن حال نفسه فقط ولا يهمه حال غيره فتختلف
الأجوبة لاختلاف الأحوال وهذا نقصان بالإضافة إلى درجة العلم فإن معرفة الأشياء على ما هي عليه أفضل وأعلى
لكنه كمال بالإضافة إلى الهمة والإرادة والجد حيث يكون صاحبه مقصور النظر على حال نفسه لا يهمه أمر غيره إذ
طريقه إلى الله نفسه ومنازل أحواله وقد يكون طريق العبد إلى الله العلم والتعليم فالطرق إلى الله كثيرة وإن كانت تختلف
في القرب والبعد والله أعلم بمن هو أهدى سبيلا مع الاشتراك في أصل الهداية فأقول تصور الذنب وذكره
والتفجع عليه كمال في حق المبتدئ المريد لأنه إذا نسيه لم يكثر احتراقه فلا تقوى إرادته وانبعاثه لسلوك الطريق
لأن ذلك يستخرج منه الحزن والخوف الوازع عن الرجوع إلى مثله فهو بالإضافة إلى الغافل كمال ولكنه بالإضافة
إلى سالك الطريق نقصان فإنه شغل مانع من سلوك الطريق بل سالك الطريق ينبغي أن لا يعرج على غير السلوك
فإن ظهر له مبادي الوصول وانكشف له أنوار المعرفة ولوامع الغيب استغرقه ذلك ولم يبق فيه متسع للالتفات إلى ما
سبق من أحواله وهو الكمال بل لو عاق عن الطريق إلى بلد من البلاد نهر حاجز طال تعب المسافر في عبوره من حيث إنه
كان قد خرب جسره من قبل فجلس على شاطئ النهر بعد عبوره يبكي متأسفا على تخريبه الجسر كان هذا مانعا آخر اشتغل
به بعد الفراغ عن ذلك المانع نعم إن لم يكن الوقت وقت الرحيل بأن كان ليلا فقعد عن السلوك على طريقه انتظارا وهو
يخاف على نفسه أن يخربه فليطل بكاؤه وحزنه على تخريب الجسر ليتأكد بطول الحزن عزمه على أن لا يعود إلى مثله فإن
حصل له من التنبه ما وثق بنفسه أنه لا يعود إلى مثله فسلوك الطريق أولى به من الاشتغال بذكر تخريب الجسر والبكاء عليه
وهذا لا يعرفه إلا من عرف الطريق والمقصد والعائق وطريق السلوك وقد أشرنا إلى تلويحات منه في كتاب العلم
وفي ربع المهلكات بل نقول شرط دوام التوبة أن يكون كثير الفكر في النعيم في الآخرة لتزيد رغبته ولكن إن كان شابا
فلا ينبغي أن يخير فكره في كل ما له نظير في الدنيا كالحور والقصور فإن ذلك الفكر ربما يحرك رغبته فيطلب العاجل ولا
يرضى بالآجل بل ينبغي أن يتفكر في لذة النظر إلى وجه الله تعالى فقط فذلك لا نظير له في الدنيا فكذلك تذكر الذنب قد يكون
محركا للشهوة فالمبتدئ أيضا قد يستضر به فيكون النسيان أفضل له عند ذلك ولا يصدنك عن التصديق
بهذا التحقيق ما يحكى لك من بكاء داود ونياحته فإن قياسك نفسك على الأنبياء قياس في غاية الاعوجاج لأنهم
قد ينزلون في أقوالهم وأفعالهم إلى الدرجات اللائقة بأممهم فإنهم ما بعثوا إلا لإرشادهم فعليهم التلبيس بما ينتفع أممهم بمشاهدته
وإن كان ذلك نازلا عن ذروة مقامهم فلقد كان في الشيوخ من لا يشير على مريده بنوع رياضة إلا ويخوض معه فيها
وقد كان مستغنيا عنها لفراغه عن المجاهدة وتأديب النفس ولكن تسهيلا للأمر على المريد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم

اما انى لا انسى ولكنى انسى لاشرع. ولا تعجب من هذا فان الامة فى كنف شفقة الانبياء عليهم الصلاة والسلام كالعيال
فى كنف شفقة الاباء، وكالمواشى فى كنف الرعاة. اما ترى الاب اذا اراد ان يستنطق ولده الصبى كيف ينزل الى
درجة نطق الصبى كما قال صلى الله عليه وآله للحسن كخ كخ لما اخذ تمرة من الصدقة ووضعها فى فيه وما كانت فصاحته
تقصر عن ان يقول ارم هذه التمرة فانه حرام ولكن علم انه لا يفهم منطقه ترك فصاحته وترك لكنه بل الذى
يعلم شاة او طايرا يصوت به رغاء وصفيرا تشبها بالبهيمة والطاير وتلطفا فى تعليمه فاياك تغفل عن امثال

بيان اقسام العباد فى دوام التوبة

هذه الدقايق فانها مزلة اقدام العارفين فضلا عن الغافلين
اعلم ان طبقات التايبين اربع طبقات **الطبقة الاولى** ان يتوب العاصى ويستقيم على التوبة الى آخر عمره فيتدارك
ما فرط من امره ولا يحدث نفسه بالعود الى ذنوبه الا الزلات التى لا ينفك البشر عنها فى العادات مهما لم يكن فى رتبة النبوة فهذا هو الاستقامة
فى التوبة وصاحبه هو السابق بالخيرات المستبدل بالسيات حسنات واسم هذه التوبة النصوح واسم هذه النفس النفس
المطمئنة التى ترجع الى ربها راضية مرضية وهؤلاء هم الذين اليهم الاشارة بقوله صلى الله عليه وآله سبق المفردون المستهترون بذكر الله
وضع الذكر اوزارهم فوردوا القيامة خفافا. فان فيه اشارة الى انهم كانوا تحت اوزار وضعها الذكر عنهم واهل هذه الطبقة على
رتب من حيث النزوع الى الشهوات فمن تايب سكنت شهواته تحت قهر المعرفة ففتر نزاعها ولم يشغله عن السلوك صراعها
والى من لا ينفك عن منازعة النفس ولكنه ملى بمجاهدتها وردها ثم تتفاوت درجات النزاع ايضا بالكثرة والقلة
وباختلاف المدة وباختلاف الانواع وكذلك يختلفون من حيث طول العمر فمن مختطف قريبا من توبته يغبط على ذلك
لسلامته وموته قبل الفترة ومن ممهل طال جهاده وصبره وتمادت استقامته وكثرت حسناته وحال هذا اعلى وافضل
اذ كل سيئة فانما تمحوها حسنة حتى قال بعض العلماء انما يكفر الذنب الذى ارتكبه العاصى مرات ان تمكن منه عشر مرات
مع صدق الشهوة ثم يصبر عنه ويكسر شهوته خوفا من الله تعالى واشتراط هذا بعيد وان كان لا ينكر عظم اثره لو فرض ولكن لا
ينبغى للمريد الضعيف ان يسلك هذا الطريق فتهيج الشهوة وتحضر الاسباب حتى يتمكن ثم يقع فى الانفاق فانه لا يوثق
خروج عنان الشهوة عن اختياره فيقدم على المعصية وينقض توبته بل طريقه الفرار من ابتداء اسبابه الميسرة لها حتى
يسد طرقها على نفسه ويسعى مع ذلك فى كسر شهوته بما يقدر عليه فيه تسلم توبته فى الابتداء **الطبقة الثانية**
تايب سلك الاستقامة فى امهات الطاعات وكباير الفواحش كلها الا انه ليس ينفك عن ذنوب تعتريه لا عن عمد وتجريد وتجرد
قصد ولكن يبتلى بها فى مجارى احواله من غير ان يقدم عزما على الاقدام عليها ولكنه كلما اقدم عليها لام نفسه وندم وتأسف
وجدد عزمه على ان يتشمر للاحتراز من اسبابها التى تعرضه لها وهذه النفس جديرة بان تكون هى النفس اللوامة اذ تلوم
صاحبها على ما يستهدف له من الاحوال الذميمة لا عن تصميم عزم وتخمين راى وقصد وهذه رتبة عالية وان كانت نازلة
عن الطبقة الاولى وهى اغلب احوال التايبين لان الشر معجون بطينة الادمى فقلما ينفك عنه وانما غاية سعيه ان يغلب
خيره شره حتى يثقل ميزانه فترجح كفة الخيرات فاما ان تخلو بالكلية كفة السيات فذلك فى غاية البعد وهؤلاء
لهم حسن الوعد من الله تعالى اذ قال تعالى الذين يجتنبون كباير الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة فكل
المام يقع بصغيرة لا عن توطين النفس عليه فهو جدير بان يكون من اللمم المعفو عنه وقد قال الله تعالى والذين اذا فعلوا
فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله فاثنى عليهم مع ظلمهم انفسهم
لتندمهم ولومهم انفسهم عليه. والى مثل هذه الرتبة الاشارة بقوله صلى الله عليه وآله فيما رواه على عليه السلام خياركم كل مفتن
تواب. وفى خبر آخر المؤمن كالسنبلة تفىء احيانا وتميل احيانا وفى الخبر لا بد للمؤمن من ذنب ياتيه الفينة بعد الفينة
اى الحين بعد الحين. فكل ذلك ادلة قاطعة على ان هذا القدر لا ينقض التوبة ولا يلحق صاحبها بدرجة المصرين ومن
يؤيس مثل هذا عن درجة التايبين كان كالطبيب الذى يؤيس الصحيح عن دوام الصحة بما يتناوله من الفواكه والاطعمة الحارة
مرة بعد اخرى من غير مداومة واستمرار والتعليق فى اوقات نادرة غير متطاولة ولا كثيرة وذلك يدل على نقصان الطبيب
والطبيب الحقيقى فى الدين هو الذى لا يؤيس الخلق عن درجات السعادات بما يتفق لهم من الفترات ومقارفة السيات المختطفة
قال صلى الله عليه وآله كل بنى ادم خطاء وخير الخطائين المستغفرون وقال ايضا المؤمن واه راقع فخيرهم من مات على رقعه

اى واه بالذنوب راقع بالتوبة والندم وقال تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة فما
وصفهم بعدم السيئة اصلا **الطبقة الثالثة** ان يتوب ويستمر على الاستقامة مدة ثم تغلبه شهوته فى بعض
الذنوب فيقدم عليها عن قصد وصدق شهوة لعجزه عن قهر الشهوة الا انه مع ذلك مواظب على الطاعات وتارك جملة من الذنوب
مع القدرة والشهوة وانما قهرته هذه الشهوة الواحدة او الشهوتان وهو يود ان لو اقدره الله تعالى على قمعها وكفاه شرها هذا
امنيته فى حال قضاء الشهوة وعند الفراغ يتندم ويقول ليتنى لم افعله وسأتوب عنه واجاهد نفسى فى قهرها لكنه تسول نفسه
ويسوف توبته مرة بعد اخرى ويوما بعد يوم فهذه النفس هى التى تسمى النفس المسولة وصاحبها من الذين قال الله فيهم وآخرون اعترفوا
بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فامره من حيث مواظبته على الطاعات وكراهيته من حيث تسويفه وتاخيره فربما
يختطف قبل التوبة ويقع امره فى المشية فان تداركه الله بفضله وجبر كسره وامتن عليه بالتوبة التحق بالسابقين وان غلبته
شقوته وقهرته شهوته فيخشى ان يحق عليه فى الخاتمة ما سبق عليه من القول فى الازل لانه مهما تعذر على المتفقه مثلا الاحتراز عن
شواغل التعلم دل تعذره على انه سبق له فى الازل ان يكون من الجاهلين فيضعف الرجاء فى حقه واذا تيسرت له اسباب المواظبة
على التحصيل دل على انه سبق له فى الازل ان يكون من جملة العالمين فكذلك ارتباط سعادات الآخرة ودركاتها بالحسنات
والسيئات بحكم تقدير مسبب الاسباب كارتباط المرض والصحة بتناول الاغذية والادوية وارتباط حصول الفقه النفس
الذى به يستحق المناصب العلية فى الدنيا بترك الكسل والمواظبة على تفقيه النفس فكما لا يصلح لمنصب الرياسة والقضاء
والتقدم بالعلم الا نفس صارت فقيهة بطول التفقه فلا يصلح لملك الآخرة ونعيمها ولا للقرب من رب العالمين
الا قلب سليم صار طاهرا بطول التزكية والتطهير هكذا سبق فى الازل تدبير رب الارباب ولذلك قال تعالى ونفس وما
سواها فالهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها فمهما وقع العبد فى ذنب فصار الذنب نقدا
والتوبة نسيئة كان هذا من علامات الخذلان قال صلى الله عليه وآله ان العبد ليعمل بعمل اهل الجنة سبعين سنة حتى يقول
الناس انه من اهلها ولم يبق بينه وبينها الا شبر فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها فاذا الخوف من الخاتمة قبل التوبة وكل
نفس فوخامته اذ يمكن ان تكون الموت متصلا به فليراقب الانسان ولا ينفع الحذور ودامت الحسرات حتى لا ينفع التحسر
الطبقة الرابعة ان يتوب ويجرى مدة على الاستقامة ثم يعود الى مقارفة الذنب او الذنوب من غير ان يحدث
نفسه بالتوبة ومن غير ان يتاسف على فعله بل ينهمك انهماك الغافل فى اتباع شهواته فهذا من جملة المصرين وهذه النفس هى الامارة بالسوء
الفرارة من الخير ويخاف على هذا سوء الخاتمة وامره فى مشية الله فان ختم له بالسوء شقى شقاوة لا آخر لها وان ختم له بالحسنى حتى
مات على التوحيد فينتظر له الخلاص من النار ولو بعد حين ولا يستحيل ان يشمله عموم العفو بسبب خفى لا نطلع عليه كما لا يستحيل ان يدخل
الانسان خرابا ليجد كنزا فيتفق ان يجده ولا ان يجلس فى البيت ليجعله الله تعالى عالما بالعلوم من غير تعلم كما كان للانبياء صلوات الله عليهم
فطلب المغفرة بالطاعات كطلب العلم بالجهد والتكرار وطلب المال بالتجارة وركوب البحار وطلب المغفرة بمجرد الرجاء مع خراب
الاعمال كطلب الكنوز فى المواضع الخربة وطلب العلوم من تعليم الملائكة. وليس من اجتهد تعلم ولا من اتجر استغنى ولا من صام وصلى
غفر له **فالناس** كلهم محرومون الا العالمون والعالمون كلهم محرومون الا العاملون والعاملون كلهم محرومون الا
المخلصون والمخلصون على خطر عظيم وكما ان من خرب بيته وضيع ماله وترك نفسه وعياله جياعا يزعم انه ينتظر فضل الله بان يرزقه
كنزا يجده تحت الارض فى بيته الخرب يعد عند ذوى البصاير من الحمقى المغرورين وان كان ما ينتظره غير مستحيل فى قدرة الله تعالى
وفضله فكذلك من ينتظر المغفرة من فضل الله وهو مصر على الذنوب غير سالك سبيل المغفرة معدود عند ارباب القلوب
من المعتوهين والعجب من عقل هذا المعتوه وترويجه حماقته فى صيغة حسنة اذ يقول ان الله كريم وجنته ليست تضيق على
مثلى ومعصيتى ليست تضره ثم تراه يركب البحار ويقتحم الاوعار فى طلب دينار واذا قيل له ان الله كريم ودنانير خزائنه
ليست تقصر عن فقرك وكسلك بترك التجارة ليست تضرك فاجلس فى بيتك فعساه يرزقك من حيث لا تحتسب فيستحمق قائل هذا الكلام
ويستهزئ به ويقول ما هذا الهوس السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وانما ينال ذلك بالكسب هكذا قدره رب الارباب واجراه سنته
ولا تبديل لسنة الله ولا يعلم المغرور ان رب الآخرة ورب الدنيا واحد وان سنته لا تبديل لها فيهما جميعا وانه اخبر اذ قال وان
ليس للانسان الا ما سعى فكيف يعتقد انه كريم فى الآخرة وليس بكريم فى الدنيا وكيف يقول ليس مقتضى الكرم الفتور عن كسب المال

الفتور عن الملك المقيم والنعيم الدائم وان ذلك بحكم الكرم يعطيه من غير جهد وهذا ينفعه مع شره الاجتهاد في طلب الدوام فنعوذ بالله
من العمى والضلال فما هذا الا انتكاس على ام الراس وانغماس في ظلمات الجهل وصاحبه جدير بان يكون داخلا تحت قوله تعالى ولو ترى
اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا اي ابصرنا انك صدقت اذ قلت وان ليس للانسان
الا ما سعى فارجعنا نسعى وعند ذلك لا يمكن من الانقلاب وحق عليهم العذاب فنعوذ بالله من دواعي الجهل والشك والارتياب
السابق بالضرورة الى سوء المنقلب والمآب

بيان ما ينبغي ان يبادر اليه التائب ان جرى عليه ذنب اما عن قصد وشهوة غالبة او عن المام بحكم الاتفاق

اعلم ان الواجب عليه التوبة والندم والاشتغال بالتكفير بحسنة تضاده كما ذكرنا طريقه فان لم تساعده النفس على العزم على الترك لغلبة
الشهوة فقد عجز عن احد الواجبين فلا ينبغي ان يترك الواجب الثاني وهو ان يدرأ بالحسنة السيئة ليمحوها فيكون ممن خلط عملا صالحا
واخر سيئا والحسنات المكفرة للسيئات اما بالقلب واما باللسان واما بالجوارح ولتكن الحسنة في محل السيئة
وفيما يتعلق باسبابها فاما بالقلب فليكفره بالتضرع الى الله تعالى في سؤال المغفرة والعفو ويتذلل تذلل العبد الآبق ويكون ذلك بحيث يظهر
لسائر العباد بنقصان كبره فيما يتعلق بينهم فما للعبد الآبق المذنب وجه التكبر على العباد وكذلك يضمر بقلبه الخيرات للمسلمين
والعزم على الطاعات واما باللسان فالاعتراف بالظلم والاستغفار فيقول ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي وكذلك يكثر من ضروب
الاستغفار كما اوردناه في كتاب الدعوات والاذكار واما الجوارح فبالطاعات والصدقات وانواع العبادات وفي الآثار ما
يدل على ان الذنب اذا اتبع بثمانية اعمال كان العفو عنه مرجوا اربعة من اعمال القلوب وهي التوبة والعزم على التوبة وحب الاقلاع
عنه وخوف العقاب عليه ورجاء المغفرة له واربعة من اعمال الجوارح وهو ان تصلي عقيب الذنب ركعتين ثم تستغفر الله
سبعين مرة وتقول سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة ثم تتصدق بصدقة ثم تصوم يوما وفي بعض الآثار تسبغ الوضوء وتصلي
ركعتين وفي بعض الاخبار تصلي اربع ركعات وفي الخبر اذا عملت سيئة فاتبعها حسنة تكفرها السر بالسر والعلانية
بالعلانية ولذلك قيل صدقة السر تكفر ذنوب الليل وصدقة الجهر تكفر ذنوب النهار وفي الخبر الصحيح ان رجلا
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني عالجت امرأة فاصبت منها كل شيء الا المسيس فاقض علي بحكم الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم اوما صليت
معنا صلاة الغداة فقال نعم فقال ان الحسنات يذهبن السيئات وهذا يدل على ان ما دون الزنا من معالجة النساء صغيرة اذ
جعل الصلاة كفارة له فمقتضى قوله الصلوات الخمس كفارات لما بينهن الا الكبائر فعلى الاحوال كلها ينبغي ان يحاسب نفسه ويجمع سيئاته

انظر فضيلة صدقة السر والجهر

فان قلت فكيف يكون الاستغفار نافعا من غير حل عقدة الاصرار وفي الخبر المستغفر من الذنب وهو مصر عليه
كالمستهزئ بآيات الله تعالى وكان بعضهم يقول استغفر الله من قولي استغفر الله وقيل الاستغفار باللسان توبة الكذابين وقالت
رابعة العدوية استغفارنا يحتاج الى استغفار فاعلم انه قد ورد في فضل الاستغفار اخبار خارجة عن الحصر ذكرناها في كتاب
الاذكار والدعوات حتى قرن الله تعالى الاستغفار ببقاء الرسول فقال وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
وكان بعض الصحابة يقول كان لنا امانان فذهب احدهما وهو كون الرسول فينا وبقي الاستغفار فان ذهب هلكنا فنقول
الاستغفار الذي هو توبة الكذابين هو الاستغفار بمجرد اللسان من غير ان يكون للقلب فيه شركة كما يقول الانسان بحكم العادة
وعند رأس الغفلة استغفر الله وكما يقول اذا سمع صفة النار نعوذ بالله منها من غير ان يتأثر به قلبه وهذا يرجع الى مجرد حركة اللسان
ولا جدوى له فاما اذا انضاف اليه تضرع القلب الى الله تعالى وابتهاله في سؤال المغفرة عن صدق ارادة وخلوص نية ورغبة فهذه حسنة
في نفسها فتصلح بان يدفع بها السيئة وعلى هذا تحمل الاخبار الواردة في فضل الاستغفار حتى قال صلى الله عليه وسلم ما اصر من استغفر ولو
عاد في اليوم سبعين مرة وهو عبارة عن الاستغفار بالقلب وللتوبة والاستغفار درجات واوائلها لا تخلو عن الفائدة وان
لم تنته الى اواخرها ولذلك قال سهل لا بد للعبد في كل حال من مولاه فاحسن احواله ان يرجع اليه في كل شيء فان عصى قال يا رب استر
علي فاذا فرغ من المعصية قال يا رب تب علي فاذا تاب قال يا رب ارزقني العصمة فاذا عمل حسنة قال يا رب تقبل مني وسئل
ايضا عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال اول الاستغفار الاستجابة ثم الانابة ثم التوبة فالاستجابة اعمال الجوارح والانابة
اعمال القلوب والتوبة اقباله على مولاه بترك الخلق ثم يستغفر من تقصيره والذي هو فيه ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر فعند ذلك
يغفر له فيكون عنده مأواه ثم التنقل الى الانفراد ثم الثبات ثم البيان ثم القرب ثم المعرفة ثم المناجاة ثم المصافاة ثم

الموالاة ثم محادثة السر وهو الخلة ولا يستقر هذا في قلب عبد حتى يكون العلم غذاءه والذكر قوامه والرضا زاده والتوكل صاحبه
ثم ينظر الله تعالى اليه فيرفعه الى العرش فيكون مقامه مقام حملة العرش وسئل ايضا عن قوله صلى الله عليه وسلم التائب حبيب الله فقال
انما يكون حبيبا اذا كان فيه جميع ما ذكر في قوله تعالى التائبون العابدون الآية وقال الحبيب هو الذي لا يدخل فيما يكرهه حبيبه والمقصود
ان للتوبة ثمرتين احداهما تكفير السيئات حتى يصير كمن لا ذنب له الثانية نيل الدرجات حتى يصير حبيبا وللتكفير
ايضا درجات فبعضه محو لاصل الذنب بالكلية وبعضه تخفيف له ويتفاوت ذلك بتفاوت درجات التوبة فالاستغفار
بالقلب والتدارك بالحسنات وان خلا عن حل عقدة الاصرار من اوائل الدرجات فليس يخلو عن الفائدة اصلا فلا ينبغي ان
تظن ان وجودها كعدمها بل عرف اهل المشاهدة وارباب القلوب معرفة لا ريب فيها ان قول الله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا
يره صدق فلا يخلو ذرة من الخير عن اثر كما لا تخلو شعيرة تطرح في الميزان عن اثر ولو خلت الشعيرة الاولى عن اثر لكانت الثانية
مثلها ولكان لا يرجح الميزان باحمال الذر وذلك بالضرورة محال بل ميزان الحسنات يترجح بذرات الخير الى ان يثقل فيشيل كفة
السيئات فاياك ان تستصغر ذرات الطاعات فلا تأتيها وذرات المعاصي فلا تتقيها كالمرأة الخرقاء تكسل عن الغزل تعللا
بانها لا تقدر في كل ساعة الا على خيط واحد وتقول اي غنى يحصل بخيط وما وقع ذلك في الثياب ولا تدري المعتوهة ان ثياب الدنيا
اجتمعت خيطا خيطا وان اجسام العالم مع اتساع اقطاره ذرة ذرة فاذا التضرع والاستغفار بالقلب حسنة
لا يضيع عند الله تعالى اصلا بل اقول الاستغفار باللسان ايضا حسنة اذ حركة اللسان بها عن غفلة خير من حركة اللسان
في تلك الساعة بغيبة مسلم او فضول كلام بل هو خير من السكوت عنه فيظهر فضله بالاضافة الى السكوت عنه وانما
يكون نقصانا بالاضافة الى عمل القلب ولذلك قال بعضهم لشيخه ابي عثمان المغربي ان لساني في بعض الاحوال يجري بالذكر
والقرآن وقلبي غافل فقال اشكر الله تعالى اذ استعمل جارحة من جوارحك في خير وعوده الذكر ولم يستعمله في الشر ولم يعوده الفضول
وما ذكره حق فان تعود الجوارح للخيرات حتى يصير لها ذلك كالطبع يدفع جملة من المعاصي فمن تعود لسانه الاستغفار
اذا سمع من غيره كذبا سبق لسانه الى ما تعود فقال استغفر الله ومن تعود الفضول سبق لسانه الى ان يقول ما احمقك وما
اقبح كذبك ومن تعود الاستعاذة اذا حدث بظهور مبادي الشر من شرير سبق اللسان بحكم العادة الى قوله نعوذ بالله واذا تعود الفضول قال
لعنه الله فيعصي في احدى الكلمتين ويسلم في الاخرى وسلامته اثر اعتياد لسانه الخير وهو من جملة معاني قوله تعالى ان الله لا يضيع اجر
المحسنين ومعاني قوله وان تك حسنة يضاعفها فانظر كيف ضاعفها اذ جعل الاستغفار في الغفلة عادة اللسان حتى دفع عنه
عادة شر المعاصي بالغيبة واللعن والفضول وهذا تضعيف في الدنيا لادنى الطاعات وتضعيف الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون
فاياك ان تلمح في الطاعات مجرد الآفات فتفتر رغبتك في العبادات فان هذه مكيدة روجها الشيطان بلعنته على المغرورين
وخيل اليهم انهم ارباب البصائر واهل الفطن لخفايا والسرائر فاي خير في ذكر باللسان مع غفلة القلب فانقسم الخلق
في هذه المكيدة الى ثلاثة اقسام ظالم لنفسه ومقتصد وسابق اما السابق فقال صدقت يا ملعون ولكن هي كلمة حق اريد
بها باطل فلا جرم اعذبك مرتين وارغم انفك من وجهين فاضيف الى حركة اللسان حركة القلب فكان كالذي داوى
جرح الشيطان بنثر الملح عليه واما الظالم المغرور فاستشعر في نفسه خيلاء الفطنة لهذه الدقيقة ثم عجز عن الاخلاص بالقلب
فترك مع ذلك تعويد اللسان بالذكر فاسعف الشيطان وتدلى بحبل غروره فتمت بينهما المشاكلة والموافقة كما قيل وافق
شن طبقه وافقه فاعتنقه واما المقتصد فلم يقدر على ارغامه باشراك القلب في العمل وتفطن لنقصان حركة اللسان
بالاضافة الى القلب ولكن اهتدى الى كماله بالاضافة الى السكوت والفضول فاستمر عليه وسأل الله تعالى ان يشرك القلب مع اللسان
في اعتياد الخير فكان السابق كالحائك الذي ذمت حياكته فتركها واصبح كاتبا والظالم المغرور كالذي ترك الحياكة واصبح كناسا
والمقتصد كالذي عجز عن الكتابة فقال لا انكر مذمة الحياكة ولكن الحائك مذموم بالاضافة الى الكاتب لا بالاضافة الى الكناس فاذا
عجزت عن الكتابة فلا اترك الحياكة ولما قالت رابعة العدوية استغفارنا يحتاج الى استغفار فلا تظن انها تذم حركة اللسان
من حيث انه ذكر الله بل تذم غفلة القلب فهو محتاج الى الاستغفار من غفلة قلبه لا من حركة لسانه فان سكت عن الاستغفار باللسان
ايضا احتاج الى استغفارين لا الى استغفار واحد فهكذا ينبغي ان يفهم ذم ما يذم وحمد ما يحمد والا جهلت معنى ما قال القائل
الصادق حسنات الابرار سيئات المقربين فان هذه امور نسبية بالاضافة فلا ينبغي ان تؤخذ من غير اضافة بل ينبغي ان لا تستحقر

الطاعات والمعاصي ولذلك قال جعفر الصادق ان الله تعالى خبأ ثلاثا في ثلاث رضاه في طاعته فلا تحقروا شيئا منها فلعل رضاه فيه
وغضبه في معاصيه فلا تحقروا منها شيئا فلعل غضبه فيه وخبأ ولايته في عباده فلا تحقروا منهم احدا فلعله ولي الله تعالى

الركن الرابع في دواء التوبة وطريق العلاج لحل عقدة الاصرار

اعلم ان الناس قسمان شاب لا صبوة له نشأ على الخير واجتناب الشر وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة وهذا عزيز نادر **القسم الثاني** هو الذي لا يخلو عن مقارفة الذنوب ثم هم ينقسمون الى مصرين والى تائبين وغرضنا ان نبين العلاج في عقدة الاصرار ونذكر الدواء فيه فاعلم ان شفاء التوبة لا يحصل الا بالدواء ولا يقف على الدواء من لا يقف على الداء اذ لا معنى للدواء الا مناقضة اسباب الداء فكل داء حصل من سبب فدواؤه حل ذلك السبب ورفعه وابطاله ولا يبطل الشيء الا بضده ولا سبب للاصرار الا الغفلة والشهوة ولا تضاد الغفلة الا العلم ولا يضاد الشهوة الا الصبر على قطع الاسباب المحركة للشهوة والغفلة راس الخطايا قال الله تعالى اولئك هم الغافلون لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون فلا دواء اذا للتوبة الا معجون يعجن من حلاوة العلم ومرارة الصبر وكما يجمع السكنجبين بين حلاوة السكر وحموضة الخل ويقصد بكل واحد منهما غرض اخر في العلاج بمجموعهما فيقمع الاسباب المهيجة للصفراء فهكذا ينبغي ان تفهم علاج القلب عما به من مرض الاصرار فاذا لهذا الدواء اصلان احدهما العلم والاخر الصبر ولا بد من بيانهما **فان قلت** اينفع كل علم في حل الاصرار ام لا بد من علم مخصوص فاعلم ان كل العلوم جملتها ادوية لامراض القلوب ولكن لكل مرض علم يخصه كما ان علم الطب ينفع في علاج الامراض بالجملة ولكن يخص كل علة علم مخصوص فكذا داء الاصرار فلنذكر خصوص ذلك العلم على موازنة مرض الابدان ليكون اقرب الى الفهم فنقول يحتاج المريض الى تصديق بامور الاول ان يصدق على الجملة بان للمرض والصحة اسبابا يتوصل اليها بالاختيار على ما رتبه مسبب الاسباب وهذا هو الايمان باصل الطب فان من لا يؤمن به لا يشتغل بالعلاج ويحق عليه الهلاك وهذا وزانه مما نحن فيه الايمان باصل الشرع وهو ان للسعادة في الاخرة سببا هو الطاعة وللشقاوة سببا هو المعصية وهو الايمان باصل الشرائع وهذا لا بد من حصوله اما عن تحقيق او تقليد وكلاهما من جملة الايمان **الثاني** انه لا بد وان يعتقد المريض في طبيب معين انه عالم بالطب حاذق فيما يعبر عنه لا يلبس ولا يكذب فان ايمانه باصل الطب لا ينفعه بمجرده دون هذا الايمان ووزانه مما نحن فيه العلم بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم والايمان بان كل ما يقوله حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف **الثالث** انه لا بد وان يصغي الى الطبيب فيما يحذره من تناول الفواكه والاسباب المضرة على الجملة حتى يغلب عليه الخوف في ترك الاحتماء فيكون شدة الخوف باعثا على الاحتماء ووزانه من الدين الاصغاء الى الايات والاخبار المشتملة على الترغيب في التقوى والتحذير من ركوب الذنوب واتباع الهوى والتصديق بجميع ما يلقى اليه من ذلك من غير شك واسترابة حتى ينبعث به الخوف المقوي على الصبر الذي هو الركن الاخر في العلاج **الرابع** انه يصغي الى الطبيب فيما يخص مرضه وفيما يلزمه في نفسه الاحتماء عنه ليعرفه اولا تفصيل ما يضره من افعاله واحواله وماكوله ومشروبه فليس على كل مريض الاحتماء عن كل شيء ولا ينفعه كل دواء بل لكل علة خاصة علم خاص وعلاج خاص ووزانه من الدين ان كل عبد فليس يبتلى بكل شهوة وارتكاب كل ذنب بل لكل مؤمن ذنب مخصوص او ذنوب مخصوصة وانما حاجته في الحال مرهقة الى العلم بانها ذنوب ثم الى العلم بافاتها وقدر ضررها في الدين ثم الى العلم بكيفية التوصل الى الصبر عنها ثم الى العلم بكيفية تكفير ما سبق منها فهذه علوم يختص بها اطباء الدين وهم العلماء ورثة الانبياء فالعاصي ان علم عصيانه فعليه طلب العلاج من الطبيب وهو العالم وان كان لا يدري ان ما يرتكبه ذنب فعلى العالم ان يعرفه وذلك بان يتكفل كل عالم باقليم او بلدة او محلة او مسجد او مشهد فيعلم اهله دينهم ويميز ما يضرهم عما ينفعهم وما يشقيهم عما يسعدهم ولا ينبغي ان يصبر الى ان يسال عنه بل ينبغي ان يتصدى لدعوة الناس الى نفسه فانهم ورثة الانبياء والانبياء ما تركوا الناس على جهلهم بل كانوا ينادونهم في مجامعهم ويدورون على ابواب دورهم في الابتداء ويطلبون واحدا واحدا فيرشدونهم فان مرضى القلوب لا يعرفون مرضهم كما ان الذي ظهر على وجهه برص ولا مراة معه لا يعرف برصه ما لم يعرفه غيره وهذا فرض عين على العلماء كافة وعلى السلاطين كافة ان يرتبوا في كل قرية وفي كل محلة فقيها متدينا يعلم الناس دينهم فان الخلق لا يولدون الا جهالا فلا بد من تبليغ الدعوة اليهم في الاصل والفرع فالدنيا دار المرضى اذ ليس في بطن الارض الا ميت ولا على ظهرها الا سقيم ومرض القلوب اكثر من مرض الابدان فالعلماء اطباء والسلاطين

قوام دار المرضى فكل مريض لا يقبل العلاج بمداواة العالم يسلم الى السلطان ليكف شره كما يسلم الطبيب المريض الذي لا يحتمي او الذي غلب عليه الجنون الى القيم ليقيده بالسلاسل والاغلال ويكف شره عن سائر الناس وانما صار مرض القلوب اكثر من مرض الابدان لثلاث علل **احداها** ان المريض به لا يدري انه مريض **والثانية** ان عاقبته غير مشاهدة في هذا العالم بخلاف مرض البدن فان عاقبته موت مشاهد تنفر الطباع منه وما بعد الموت غير مشاهد فقلت النفرة عن الذنوب وان علمها مرتكبها فلذلك تراه يتكل على فضل الله في مرض القلب ويجتهد في علاج مرض البدن من غير اتكال **والثالثة** وهو الداء العضال فقد الطبيب فان الاطباء هم العلماء وقد مرضوا في هذه الاعصار مرضا شديدا عجزوا عن علاجه وصارت لهم سلوة في عموم المرض حتى لا يظهر نقصانهم فاضطروا الى اغواء الخلق والاشارة عليهم بما يزيدهم مرضا لان الداء المهلك هو حب الدنيا وقد غلب هذا الداء على الاطباء فلم يقدروا على تحذير الخلق منه استنكافا من ان يقال لهم فما بالكم تامرون بالعلاج وتنسون انفسكم فبهذا السبب عم الداء وعظم الوباء وانقطع الدواء وهلك الخلق لفقد الاطباء بل اشتغل الاطباء بفنون الاغواء فليتهم اذ لم ينصحوا لم يغشوا وليتهم سكتوا وما نطقوا فانهم اذا تكلموا لم يهمهم في مواعظهم الا ما يرغب العوام ويستميل قلوبهم ولا يتوصلون الى ذلك الا بالارجاء وتغليب اسباب الرجا وذكر دلائل الرحمة لان ذلك الذ في الاسماع واخف على الطباع فينصرف الخلق عن مجالس الوعظ وقد استفادوا مزيد جراءة على المعاصي ومزيد ثقة بفضل الله تعالى ومهما كان الطبيب جاهلا او خائنا اهلك بالدواء حيث يضعه في غير موضعه فالرجاء والخوف دواءان ولكن لشخصين متضادي العلة اما الذي غلب عليه الخوف حتى هجر الدنيا بالكلية وكلف نفسه ما لا يطيق وضيق العيش على نفسه بالكلية فتكسر سورة اسرافه بالخوف بذكر اسباب الرجا ليعود الى الاعتدال وكذا المصر على الذنوب المشتهي للتوبة الممتنع عنها بحكم القنوط واليأس استعظاما لذنوبه التي سبقت يعالج ايضا باسباب الرجا حتى يطمع في قبول التوبة فيتوب فاما معالجة المغرور المسترسل في المعاصي بذكر اسباب الرجا فيضاهي معالجة المحرور بالعسل طلبا للشفاء وذلك من دأب الجهال الاغبياء فاذا فساد الاطباء هو المعضلة للداء الذي لا يقبل الدواء اصلا **فان قلت** فاذكر الطريق الذي ينبغي ان يسلكه الواعظ في وعظه مع الخلق فاعلم ان ذلك يطول ولا يمكن استقصاؤه نعم نشير الى الانواع النافعة في حل عقدة الاصرار وحمل الناس على ترك الذنوب وهي اربعة **النوع الاول** ان يذكر ما في القران من الايات المخوفة للمذنبين والعاصين وكذلك ما ورد من الاخبار والاثار كقوله صلى الله عليه وسلم ما من يوم طلع فجره ولا ليلة غاب شفقها الا وملكان يتجاوبان باربعة اصوات يقول احدهما يا ليت هذا الخلق لم يخلقوا ويقول الاخر يا ليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا ويقول الاخر ويا ليتهم اذ لم يعلموا لماذا خلقوا عملوا بما علموا وفي بعضها ليتهم تجالسوا فتذاكروا ما علموا ويقول الاخر ويا ليتهم اذ لم يعملوا بما علموا تابوا مما عملوا وقال بعض السلف اذا اذنب العبد امر صاحب اليمين صاحب الشمال وهو امير عليه ان يرفع القلم عنه ست ساعات فان تاب واستغفر لم يكتبها عليه وان لم يستغفر كتبها وقال بعض السلف ما من عبد يعصي الا استاذن مكانه من الارض ان يخسف به واستاذن سقفه من السماء ان يسقط عليه كسفا فيقول الله تعالى للارض والسماء كفا عن عبدي وامهلاه فانكما لم تخلقاه ولو خلقتماه لرحمتماه لعله يتوب الي فاغفر له لعله يستبدل صالحا فابدله له حسنات فذلك معنى قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه الطابع معلق بقائمة العرش فاذا انتهكت الحرمات واستحلت المحارم ارسل الله الطابع فيطبع على القلوب بما فيها وفي حديث مجاهد القلب مثل الكف المفتوحة كلما اذنب ذنبا انقبضت اصبع حتى تنقبض الاصابع كلها فيسد على القلب فذلك هو القفل وقال الحسن ان بين الله تعالى وبين العبد حدا من المعاصي معلوما اذا بلغه العبد طبع الله على قلبه فلم يوفقه بعدها للخير والاخبار والاثار في ذم المعاصي ومدح التائبين لا تحصى فينبغي ان يستكثر الواعظ منها ان كان وارث رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ما خلف دينارا ولا درهما وانما خلف العلم والحكمة وورثه كل عالم بقدر ما اصابه **النوع الثاني** حكايات الانبياء والسلف وما جرى من المصائب بسبب ذنوبهم فذلك شديد الوقع ظاهر

النفع في القلوب للخلق مثل احوال ادم عليه الصلاة والسلام في عصيانه وما لقيه من الاخراج من الجنة حتى روي انه لما اكل الشجرة
تطايرت الحلل عن جسده وبدت عورته فاستحيا التاج والاكليل من وجهه ان يرتفعا فجاء جبريل عليه السلام فاخذ
التاج عن راسه وحل الاكليل عن جبينه ونودي من فوق العرش اهبطا من جواري فانه لا يجاورني من عصاني قال
فالتفت ادم الى حواء باكيا وقال هذا اول شوم المعصية اخرجنا من جوار الحبيب وروي ان سليمان
عليه الصلاة والسلام لما عوقب على خطيئته لاجل التمثال الذي عبد في داره اربعين يوما وقيل لان المراة سالته ان
يحكم لابيها على خصمه فكان فسلب ملكه اربعين يوما فهرب تايها على وجهه وكان يسال بكفه فلا يطعم فاذا قال اطعموني
فاني سليمان بن داود شج وضرب وحكي انه استطعم من بيت لامراة فطردته وبزقت في وجهه وفي رواية
فاخرجت عجوز جرة فيها بول فصبته على راسه الى ان اخرج له الخاتم من بطن الحوت فلبسه بعد انقضاء الاربعين ايام
العقوبة قال فجاءت الطيور فعكفت على راسه وجاءت الجن والشياطين والوحوش فاجتمعت حوله واعتذر اليه
بعض من كان جنى عليه فقال لا الومكم فيما فعلتم من قبل ولا احمدكم فيما عذرتم الان هذا امر كان من السماء لا بد منه وروي
في الاسرائيليات ان رجلا تزوج امراة من بلدة اخرى وارسل عبده ليحملها اليه فراودته نفسه وطالبته بان يجامعها
واستعصم قال فنباه الله ببركة تقواه فكان نبيا في بني اسرائيل وفي قصص موسى عليه الصلاة والسلام انه قال
للخضر بم اطلعك الله تعالى على علم الغيب قال بتركي المعاصي لاجل الله تعالى وروي ان الريح كانت تسير بسليمان
فنظر الى قميصه نظرة وكان عليه قميص جديد فكانه اعجبه قال فوضعته الريح فقال لم فعلت ولم آمرك قالت انما
نطيعك اذا اطعت الله ومروي اوحى الله الى يعقوب عليه الصلاة والسلام اتدري لم فرقت بينك وبين ولدك يوسف
قال لا قال لقولك لاخوته اخاف ان ياكله الذيب لم خفت عليه الذيب ولم ترجني ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم تنظر الى حفظي له
وكذلك لما قال يوسف عليه السلام اذكرني عند ربك قال الله تعالى فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع
سنين وامثال هذه الحكايات لا تحصى ولم يرد بها القران والاخبار ورود الاسمار بل الغرض بها الاعتبار
والاستبصار ليعلم ان الانبياء عليهم السلام لم يتجاوز عنهم في الذنوب الصغار فكيف يتجاوز عن غيرهم نعم كانت
سعادتهم في ان عوجلوا بالعقوبة ولم يؤخروا الى الاخرة والاشقياء يمهلون ليزدادوا اثما ولان عذاب الاخرة
اشد واكبر فهذا ايضا مما ينبغي ان يكثر جنسه على سمع المصرين فانه نافع في تحريك دواعي التوبة
النوع الثالث ان يقرر عندهم ان تعجيل العقوبة في الدنيا متوقع على الذنب وان كل ما يصيب العبد من المصايب فهو
بسبب جناياته فرب عبد يتساهل في امر الاخرة ويخاف من عقوبة الله في الدنيا اكثر لفرط جهله فينبغي ان يخوف به
فان الذنوب كلها يتعجل في الدنيا شومها في غالب الامر كما في قصة داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام حتى انه
يضيق على العبد رزقه بسبب ذنوبه وقد يسقط منزلته عند القلوب ويستولي عليه اعداوه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان العبد ليحرم الرزق بسبب ذنب يصيبه وقال ابن مسعود اني لاحسب ان العبد
لينسى العلم بذنب يصيبه وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه
ابدا وقال بعض السلف ليست اللعنة سوادا في الوجه ونقصا في المال انما اللعنة ان لا تخرج من ذنب الا وقعت
في مثله او شر منه وهو كما قال لان اللعنة هي الطرد والابعاد فاذا لم يوفق للخير ويسر له الشر فقد ابعد
والحرمان عن رزق التوفيق اعظم حرمان وكل ذنب فانه يدعو الى ذنب اخر ويتضاعف فيحرم العبد به عن رزقه
النافع في مجالسة العلماء المنكرين للذنوب وعن مجالسة الصالحين بل يمقته الصالحون وحكي عن بعض العارفين
انه كان يمشي في الوحل جامعا ثيابه محترزا حتى زلقت رجله فقام وهو يمشي في وسط الوحل ويبكي ويقول هذا
مثل العبد لا يزال يتوقى الذنوب ويجانبها حتى يقع في ذنب وذنبين فعندها يخوض في الذنوب خوضا وهو اشارة
الى ان الذنب تتعجل عقوبته بالانجرار الى ذنب اخر ولذلك قال الفضيل ما انكرت من تغير الزمان وجفاء
الاخوان فذنوبك ورثتك ذلك وقال بعضهم اني لاعرف عقوبة ذنبي في سوء خلق حماري وقال
اخر اعرف العقوبة حتى في فار بيتي وقال بعض صوفية الشام نظرت الى غلام نصراني حسن الوجه فوقفت انظر

الصورة

اليه فمر بي ابن الجلا الدمشقي فاخذ بيدي فاستحييت منه فقلت يا ابا عبد الله سبحان الله تعجبت من هذه الحسنة
وهذه الصنعة المحكمة كيف خلقت للنار فغمز يدي وقال لتجدن عقوبتها بعد حين قال فعوقبت بعد ثلاثين سنة
وقال ابو سليمان الداراني الاحتلام عقوبة وقال لا يفوت احدا صلاة جماعة الا بذنب يذنبه وفي الخبر
ما انكرتم من زمانكم فبما غيرتم من اعمالكم وفي الخبر يقول الله تعالى ان ادنى ما اصنع بالعبد اذا آثر شهوته
على طاعتي ان احرمه لذيذ مناجاتي وحكي عن ابي عمرو بن علوان في قصة يطول ذكرها قال فيها فكنت قائما
اصلي ذات يوم فخامر قلبي هوى طاولته بفكري حتى تولد منه شهوة الرجال فوقعت الى الارض واسود جسدي كله
واستترت في البيت فلم اخرج ثلاثة ايام وكنت اعالج غسله في الحمام بالصابون فلا يزداد الا سوادا حتى انكشف بعد ثلاث
فلقيت الجنيد وكان قد وجه الي فاشخصني من الرقة فلما اتيته قال لي اما استحييت من الله تعالى كنت قائما بين يديه فسامرت
نفسك بشهوة حتى استولت عليك فاخرجتك من بين يدي الله فلولا اني دعوت الله لك وتبت اليه عنك للقيت
الله تعالى بذلك اللون قال فعجبت منه كيف علم ذلك وهو ببغداد وانا بالرقة واعلم انه لا يذنب العبد ذنبا الا ويسود
وجه قلبه فان كان سعيدا اظهر السواد على ظاهره لينزجر وان كان شقيا اخفي عنه حتى ينهمك ويستوجب النار
والاخبار كثيرة في افات الذنوب في الدنيا من الفقر وغيره بل من شوم الذنب في الدنيا على الجملة ان يكتسب ما بعده صفته فان
ابتلي بشيء كان عقوبة له ويحرم جميل الرزق حتى يتضاعف شقاوة وان اصابته نعمة كان استدراجا له
ويحرم جميل الشكر حتى يعاقب على كفرانه واما المطيع فمن بركة طاعته ان تكون كل نعمة في حقه جزاء على طاعته ويوفق
لشكرها وكل بلية كفارة للذنوب وزيادة في درجاته **النوع الرابع** ذكر ما ورد من العقوبات على احاد الذنوب
كالخمر والزنا والسرقة والقتل والغيبة والكبر والحسد وذلك مما لا يمكن حصره وذكره مع غير اهله وضع للدواء في غير موضعه بل
ينبغي ان يكون العالم كالطبيب الحاذق يستدل اولا بالنبض والسحنة ووجوه الحركات على العلل الباطنة ويشتغل بعلاجها
فيستدل بقرائن الاحوال على خفايا الصفات وليتعرض لها وليقف عليه اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال له
واحد اوصني ولا تكثر علي فقال لا تغضب وقال له اخر اوصني فقال عليك باليأس مما في ايدي الناس فان
ذلك هو الغنى واياك والطمع فانه الفقر الحاضر وصل صلاة مودع واياك وما يعتذر منه وقال رجل لمحمد
بن واسع اوصني فقال اوصيك بان تكون ملكا في الدنيا والاخرة فقال كيف لي بذلك قال الزم الزهد في الدنيا فكانه توسم
في السائل الاول مخايل الغضب فنهاه عنه وفي السائل الاخر مخايل الطمع في الناس وطول الامل وتوسم محمد
بن واسع في السائل مخايل الحرص على الدنيا وقال رجل لمعاذ اوصني فقال كن رحيما اكن لك بالجنة زعيما
فكانه تفرس فيه آثار الفظاظة والغلظة وقال رجل لابراهيم بن ادهم اوصني فقال اياك والناس
وعليك بالناس ولا بد من الناس فان الناس هم الناس وليس كل الناس بالناس ذهب الناس وبقي النسناس
وما اراهم بالناس بل غمسوا في ماء اليأس وكانه تفرس فيه افة المخالطة او اخبر عما كان هو الغالب على حاله
في وقته وكان الغالب الاذاة بالناس والكلام على قدر حال السائل اولى من ان يكون بحسب حال القائل وكتب
معاوية الى عائشة رضي الله عنها ان اكتبي الي كتابا توصيني فيه ولا تكثري فكتبت اليه عائشة الى معاوية سلام عليك
اما بعد فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من التمس رضى الناس بسخط الله وكله الله الى الناس ومن التمس رضى الله
بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس والسلام فانظر الى فقهها كيف تعرضت للافة التي تكون الولاة بصددها
وهو مراعاة الناس وطلب مرضاتهم وكتبت مرة اخرى اما بعد فاتق الله فانك اذا اتقيت الله
كفاك الناس واذا اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئا والسلام فاذا على كل ناصح ان تكون عنايته مصروفة
الى تعرف الصفات الخفية وتوسم الاحوال اللائقة ليكون اشتغاله بالمهم فان حكاية جميع مواعظ الشرع
مع كل واحد غير ممكن والاشتغال بوعظه بما هو مستغن عن الوعظ فيه تضييع زمان فان قلت
فان كان الواعظ يتكلم في جمع او سالمه من لا يدري باطن حاله ان يعظه فكيف يفعل فاعلم ان طريقه في ذلك ان
يعظه بما يشترك كافة الخلق في الحاجة اليه اما على العموم واما على الاكثر فان في علوم الشرع اغذية وادوية الاغذية

للكافة والادوية لارباب العلل ومثاله ما روي ان رجلا قال لابي سعيد الخدري اوصني فقال عليك بتقوى الله تعالى
فانه راس كل شيء وعليك بالجهاد فانه رهبانية الاسلام وعليك بالقران فانه نور لك في اهل الارض وذكر لك في السماء
وعليك بالصمت الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان وقال رجل للحسن اوصني فقال اعز امر الله يعزك الله
وقال لقمان لابنه يا بني زاحم العلماء بركبتيك ولا تجادلهم فيمقتوك وخذ من الدنيا بلاغك وانفق فضول
كسبك لاخرتك ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالا وعلى اعناق الرجال كلا وصم صوما يكسر شهوتك ولا
تصم صوما يضر بصلاتك فان الصلاة افضل من الصوم ولا تجالس السفيه ولا تخالط ذا الوجهين
وقال ايضا لابنه يا بني لا تضحك من غير عجب ولا تمش في غير ارب ولا تسال عما لا يعنيك ولا تضيع مالك
وتصلح مال غيرك فان مالك ما قدمت ومال غيرك ما تركت يا بني انه من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم
ومن يقل الخير يغنم ومن يقل الشر ياثم ومن لا يملك لسانه يندم وقال رجل لابي حازم اوصني فقال كل
ما لو جاءك الموت عليه رايته غنيمة فالزمه وكل ما لو جاءك الموت عليه فرايته مصيبة فاجتنبه وقال
عليه الصلاة والسلام للخضر اوصني فقال كن بساما ولا تكن غضابا وكن نفاعا ولا تكن ضرارا وانزع عن اللجاجة
ولا تمش في غير حاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير الخطائين بخطاياهم وابك على خطيئتك يا ابن عمران وقال
رجل لمحمد بن كرام اوصني فقال اجتهد في رضا خالقك بقدر ما تجتهد في رضا نفسك وقال رجل لحامد اللفاف
اوصني فقال اجعل لدينك غلافا كغلاف المصحف اي لا تدنسه الافات قال وما غلاف الدين قال ترك
طلب الدنيا الا فيما لا بد منه وكثرة الكلام الا فيما لا بد منه وترك مخالطة الناس الا فيما لا بد منه وكتب
الحسن الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فخف ما خوفك الله تعالى واحذر ما حذرك الله تعالى وخذ مما في يديك لما
بين يديك فعند الموت ياتيك الخبر اليقين والسلام وكتب عمر بن عبد العزيز يساله ان يعظه فكتب اليه
اما بعد فان الهول الاعظم والامور المفظعات امامك ولا بد لك من مشاهدة ذلك اما بالنجاة واما بالعطب
واعلم ان من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر ومن نظر في العواقب نجا ومن اطاع هواه ضل ومن حلم غنم
ومن خاف امن ومن امن اعتبر ومن اعتبر ابصر ومن ابصر فهم ومن فهم علم فاذا زللت فارجع واذا
ندمت فاقلع واذا جهلت فسل واذا غضبت فامسك وكتب مطرف بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز
اما بعد فان الدنيا دار عقوبة ولها يجمع من لا عقل له وبها يغتر من لا علم عنده فكن يا امير المؤمنين كالمداوي جرحه
يصبر على شدة الدواء لما يخاف من عاقبة الداء وكتب عمر بن عبد العزيز الى عدي بن ارطاة اما بعد فان الدنيا
عدوة اولياء الله وعدوة اعداء الله تعالى اما اولياؤه فغمتهم واما اعداؤه فغرتهم وكتب ايضا الى بعض
عماله اما بعد فقد امكنتك المقدرة من ظلم العباد فاذا هممت بظلم احد فاذكر قدرة الله عليك واعلم انك لا تاتي
الناس شيئا الا كان زائلا عنهم باقيا عليك واعلم ان الله تعالى اخذ للمظلومين من الظالمين والسلام
فهكذا ينبغي ان يكون وعظ الواعظ للعامة ووعظ من لا يدري خصوص واقعته فهذه المواعظ مثل الاغذية التي يشترك الكافة
في الانتفاع بها ولاجل فقد مثل هذا الوعظ انحسم باب الوعظ وغلبت المعاصي واستشرى الفساد وبلي الخلق بوعاظ
يزخرفون اسجاعا وينشدون ابياتا ويتكلفون ذكر ما ليس في سعة علمهم ويتشبهون بحال غيرهم فسقط عن
قلوب العامة وقارهم ولم يكن كلامهم صادرا من القلب ليصل الى القلب بل القائل متصلف والمستمع متكلف
وكل واحد منهما مدبر ومتخلف واذا كان طب الاطباء هو علاج المرضى فطب العلماء هو علاج العاصين فهذا احد
اركان العلاج واصوله **الاصل الثاني** الصبر ووجه الحاجة اليه ان المريض انما يطول مرضه لتناوله
ما يضره وانما يتناول اما لغفلة واما لشدة غلبة شهوته فله سببان فما ذكرناه من علاج الغفلة فيبقى علاج الشهوة وطريق علاجه
قد ذكرناه في رياضة النفس وحاصله ان المريض اذا اشتدت ضراوته بماكول مضر فطريقه ان يستشعر عظم ضرره ثم
يغيب ذلك عن عينيه فلا يحضره ثم يتسلى عنه بما يقرب منه في صورته ولا يكثر ضرره ثم يصبر بقوة الخوف على الالم الذي
يناله في تركه فلا بد على كل حال من مرارة الصبر فكذلك يعالج الشهوة في المعاصي كالشاب مثلا اذا غلبته الشهوة فصار لا يقدر على حفظ

عينه وحفظ قلبه او حفظ جوارحه في السعي وراء شهوته فينبغي ان يستشعر ضرر ذنبه بان يستقرئ المخوفات التي جاءت فيه من كتاب الله
تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فاذا اشتد خوفه تباعد عن الاسباب المهيجة لشهوته ومهيج الشهوة من خارج هو حضور المشتهى
والنظر اليه وعلاجه الهرب والعزلة ومن داخل تناول لذيذ الاطعمة وعلاجه الجوع والصوم الدائم وكل ذلك لا يتم الا بصبر ولا يصبر
الا عن خوف ولا يخاف الا عن علم ولا يعلم الا عن بصيرة وافتكار او عن سماع وتقليد فاول الامر حضور مجالس الذكر ثم الاستماع من
قلب مجرد عن سائر الشواغل مصروف الى السماع ثم التفكر فيه لتمام الفهم وينبعث من تمامه لا محالة خوفه واذا قوي الخوف
تيسر بمعونته الصبر وانبعثت الدواعي لطلب العلاج وتوفيق الله وتيسيره من وراء ذلك فمن اعطى من قلبه حسن الاصغاء واستشعر
الخوف فاتقى وانتظر الثواب وصدق بالحسنى فسييسره الله لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره
للعسرى فلا يغني عنه ما اشتغل به من ملاذ الدنيا مهما هلك وتردى وما على الانبياء الا شرح طرق الهدى وان لله للاخرة
والاولى **فان قلت** فقد رجع الامر كله الى الايمان لان ترك الدنيا لا يمكن الا بالصبر والصبر لا يمكن الا
بمعرفة الخوف والخوف لا يحصل الا بالعلم بعظم ضرر الذنوب والتصديق بعظم ضرر الذنوب هو تصديق الله ورسوله
فهو الايمان فكان من اصر على الذنب لم يصر الا لانه غير مؤمن فاعلم ان هذا لا يكون لاجل فقد الايمان اذ كل مؤمن مصدق
بان المعصية سبب البعد من الله وسبب العقاب في الاخرة ولكن سبب وقوعه في الذنب امور احدها ان العقاب
الموعود غيب ليس بحاضر والنفس جبلت متاثرة بالحاضر فتاثرها بالموعود ضعيف بالاضافة الى تاثرها بالحاضر
الثاني ان الشهوات الباعثة على الذنوب لذاتها ناجزة وهي في الحال آخذة بالمخنق وقد قوي ذلك واستولى
بسبب الاعتياد والالف والعادة طبيعة خامسة والنزوع عن العاجل لخوف الآجل شديد على النفس ولذلك قال تعالى
كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة وقال بل تؤثرون الحيوة الدنيا وقد عبر عن شدة الامر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق النار فقال لجبريل اذهب فانظر اليها
فذهب فنظر اليها فقال وعزتك لا يسمع بها احد فيدخلها فحفها بالشهوات ثم قال اذهب فانظر اليها فنظر
فقال وعزتك لقد خشيت ان لا يبقى احد الا دخلها وخلق الجنة فقال لجبريل اذهب فانظر اليها فنظر فقال وعزتك
لا يسمع بها احد الا دخلها فحفها بالمكاره ثم قال اذهب فانظر اليها فقال وعزتك لقد خشيت ان لا يدخلها احد
فاذا كون الشهوة مرهقة في الحال وكون العقاب متاخرا الى المآل سببان ظاهران في الاسترسال مع حصول اصل
الايمان فليس كل من شرب في مرضه ماء الثلج لشدة عطشه مكذبا باصل الطب ولا مكذبا بان ذلك مضر في حقه ولكن الشهوة
تغلبه والم الصبر عنه ناجز فيهون عليه الالم المنتظر **الثالث** انه ما من مذنب الا وهو في الغالب
عازم على التوبة وتكفير السيئات بالحسنات وقد وعد بان ذلك يجبره الا ان طول الامل غالب على الطباع فلا يزال يسوف
التوبة والتكفير فمن حيث رجاؤه التوفيق للتوبة ربما يقدم عليه مع الايمان **الرابع** انه ما من مؤمن موقن الا وهو
معتقد ان الذنب لا يوجب العقوبة ايجابا لا يمكن العفو عنه فهو يذنب وينتظر العفو عنه اتكالا على فضل الله تعالى فهذه
اسباب اربعة موجبة للاصرار على الذنب مع بقاء اصل الايمان نعم قد يقدم المذنب بسبب خامس يقدح في اصل
ايمانه وهو كونه شاكا في صدق الرسل وهذا هو الكفر كالذي يحذره الطبيب تناول ما يضره في المرض وكان المحذر ممن لا يعتقد
فيه انه عالم بالطب فيكذبه او يشك فيه فلا يبالي به فهذا هو الكفر **فان قلت** فما علاج الاسباب الخمسة
فاقول هو الفكر وذلك بان يقرر على نفسه في السبب الاول وهو تاخر العقاب ان كل ما هو آت آت وان غدا للناظره
قريب وان الموت اقرب الى كل احد من شراك نعله فما يدريه فلعل الساعة قريب والمتاخر اذا وقع صار ناجزا ويذكر
نفسه انه ابدا في دنياه يتعب في الحال لخوف امر في الاستقبال اذ يركب البحار ويقاسي الاسفار لاجل الربح الذي
يظن انه يحتاج اليه في ثاني الحال بل لو مرض واخبره نصراني طبيب بان شرب الماء يضره ويسوقه الى الموت وكان
الماء البارد الذ الاشياء عنده تركه مع ان الموت الم لحظة اذا لم يخف ما بعده ومفارقته للدنيا لا بد منها
فكم نسبة وجوده في الدنيا الى عدمه ازلا وابدا فلينظر كيف يبادر الى ترك ملاذه بقول ذمي لم يقم معجزة على طبه
ثم كيف لا يليق بعقله ان يكون قول الانبياء المؤيدين بالمعجزات عنده دون قول نصراني يدعي الطب لنفسه بلا معجزة على طبه

ولا يشهد له الا عوام الخلق وكيف يكون عذاب النار اخف عندي من هذا الجوع وكل يوم في الآخرة بمقدار خمسين الف سنة من ايام الدنيا وبهذا التفكر بعينه يعالج اللذة الغالبة عليه ويطالب نفسه بتركها ويقول اذا كنت لا اقدر على ترك اللذات ايام العمر وهي ايام قلائل فكيف اقدر على ذلك ابد الآباد واذا كنت لا اطيق الم الصبر فكيف اطيق الم النار واذا كنت لا اصبر على زخارف الدنيا مع كدورتها وتنغصها وامتزاج صفوها بكدرها فكيف اصبر عن نعيم الآخرة واما تسويف التوبة فيعالجه بالفكر في ان اكثر صياح اهل النار من التسويف لان المسوف يبني الامر على ما ليس اليه وهو البقاء فلعله لا يبقى وان بقي فلا يقدر على الترك غدا كما لا يقدر عليه اليوم فليت شعري هل عجز في الحال الا لغلبة الشهوة والشهوة ليست تفارقه غدا بل تتضاعف اذ تتأكد بالاعتياد فليست الشهوة التي اكدها الانسان بالعادة كالتي لم يؤكدها وعن هذا هلك المسوفون لانهم يظنون الفرق بين المتماثلين ولا يظنون ان الايام متشابهة في ان ترك الشهوات فيها ابدا شاق وما مثال المسوف الا مثال من احتاج الى قلع شجرة فرآها قوية لا تنقلع الا بمشقة شديدة فقال أؤخرها سنة ثم اعود اليها وهو يعلم ان الشجرة كلما بقيت ازداد رسوخها وهو كلما طال عمره ازداد ضعفه فلا حماقة في الدنيا اعظم من حماقته اذ عجز عن مقاومتها مع ضعفها فاخذ ينتظر الغلبة عليها اذا ضعف هو في نفسه وقوي الضعيف واما المعنى

الرابع وهو انتظار عفو الله فعلاجه ما سبق من ينفق جميع ماله ويترك نفسه وعياله فقراء منتظرا من فضل الله ان يرزقه العثور على كنز في ارض خربة فان امكان العفو عن الذنب مثل هذا الامكان وهو مثل من توقع النهب من الظلمة في بلده وذخائر امواله في صحن داره وقدر على دفنها واخفائها فلم يفعل وقال انتظر من فضل الله ان يسلط غفلة على الظالم الناهب حتى لا يتفرغ الى داري او اذا انتهى الى داري مات على باب الدار فان الموت ممكن والغفلة ممكنة وقد حكي في الاسمار ان مثل ذلك وقع فانا انتظر من فضل الله مثله فمنتظر هذا منتظر امر ممكن ولكنه في نهاية الحماقة واما الخامس

وهو الشك فهذا كفر وعلاجه الاسباب التي تعرفه صدق الرسل وذلك يطول ولكن يمكن ان يعالج بعلم قريب يليق بحد عقله فيقال له ما قاله الانبياء المؤيدون بالمعجزات هل صدقه ممكن او يقول اعلم انه محال كما اعلم استحالة كذلك فهو اخرق معتوه وكانه لا وجود لمثل هذا في العقلاء وان قال انا شاك فيه فيقال لو اخبرك شخص واحد مجهول عند تركك طعامك في البيت لحظة انه قد ولغت فيه حية والقت سمها فيه وجوزت صدقه فهل تأكله ام تتركه وان كان الذ الاطعمة فيقول اتركه لا محالة لاني اقول ان كذب فلا يفوتني الا هذا الطعام والصبر عنه وان كان شديدا فهو قريب وان صدق فيفوتني الحياة والموت بالاضافة الى الصبر عن الطعام واضاعته شديد فيقال يا سبحان الله كيف تؤخر صدق الانبياء كلهم مع ما ظهر لهم من المعجزات وصدق كافة العلماء والاولياء والحكماء بل جميع اصناف العقلاء ولست اعني بهم جهال العوام بل ذوي الالباب عن صدق رجل واحد مجهول العدالة وهو فيما يقول فكل العقلاء الا من يصدق باليوم الآخر واثبتوا ثوابا وعقابا وان اختلفوا في كيفيته فان صدقوا فقد اشرفت على عذاب يبقى ابد الآباد وان كذبوا فلا يفوتك الا بعض شهوات هذه الدنيا الفانية المكدرة فلا يبقى له توقف وان كان احمق فلا نسبة مع هذا الفكر اذ لا نسبة لمدة العمر الى ابد الآباد بل لو قدرنا الدنيا مملوءة بالذرة وقدرنا طائرا يلتقط في كل الف الف سنة حبة واحدة منها لفنيت الذرة ولم ينقص ابد الآباد شيئا فكيف يفتر رأي العاقل في الصبر عن الشهوات مائة سنة مثلا لاجل سعادة تبقى ابد الآباد وذلك لا منتهى له

ولذلك قال ابو العلاء المعري

قال المنجم والطبيب كلاهما ... لا تحشر الاموات قلت اليكما
ان صح قولكما فلست بخاسر ... او صح قولي فالخسار عليكما

ولذلك قال علي كرم الله وجهه لبعض من قصر عقله عن فهم تحقيق الامور وكان شاكا ان صح ما قلت فقد تخلصنا جميعا والا فقد تخلصنا وهلكت اي العاقل يسلك طريق الامن في جميع الاحوال فان قلت هذه امور جلية ولكنها ليست تنال الا بالفكر فما بال القلوب هجرت الفكر فيها واستثقلته وما علاج القلوب لردها الى الفكر لا سيما من آمن باصل الشرع وتفصيله فاعلم ان المانع من الفكر امران احدهما ان الفكر النافع هو الفكر في عقاب الآخرة واهوالها وشدائدها وحسرات العاصين والمحرومين عن النعيم المقيم وهذا فكر لذاع مؤلم للقلب فينفر القلب عنه ويتلذذ بالفكر في امور الدنيا على سبيل التفرج والاستراحة والثاني ان الفكر شغل في الحال مانع من لذائذ الدنيا وقضاء الشهوات وما من انسان الا وله في كل حالة من احواله ونفس من انفاسه شهوة قد تسلطت عليه واسترقته فصار عقله مسخرا لشهوته فهو مشغول

تدبير حيلته وصارت لذته في طلب الحيلة فيه او في مباشرة قضاء الشهوة والفكر يمنعه من ذلك واما علاج هذين المانعين فهو ان يقول لقلبه ما اشد غباوتك في الاحتراز من الفكر في الموت وما بعده تألما بذكره مع استحقار الم مواقعته فكيف تصبر على مقاساته اذا وقع وانت عاجز عن الصبر على تقدير الموت وما بعده ومتألم به واما الثاني وهو كون الفكر مفوتا للذات الدنيا فهو ان يتحقق ان فوات لذات الآخرة اشد واعظم فانها لا آخر لها ولا كدورة فيها ولذات الدنيا سريعة الدثور وهي مشوبة بالمكدرات فما فيها لذة صافية عن كدر وكيف وفي التوبة عن المعاصي والاقبال على الطاعة تلذذ بمناجاة الله تعالى واستراحة بمعرفته وطاعته وطول الانس به ولو لم يكن للمطيع جزاء على عمله الا ما يجده من حلاوة الطاعة وروح الانس بمناجاة الله تعالى لكان ذلك كافيا فكيف بما ينضاف اليه من نعيم الآخرة نعم هذه اللذة لا تكون في ابتداء التوبة ولكنه يصبر عليه مدة مديدة وقد صار الخير ديدنا كما كان الشر ديدنا فالنفس قابلة ما عودتها تتعود الخير عادة والشر لجاجة فاذا هذه الافكار هي المهيجة للتوبة المهيجة لقوة الصبر عن اللذات ومهيج هذه الافكار وعظ الوعاظ وتنبيهات تقع للقلب باسباب تتفق لا تدخل في الحصر فيصير الفكر موافقا للطبع فيميل القلب اليه ويعبر عن السبب الذي اوقع الموافقة بين الطبع وبين الفكر الذي هو سبب الخير توفيقا اذ التوفيق هو التأليف بين الارادة وبين المعنى الذي هو طاعة نافعة في الآخرة وقد روي في حديث طويل انه قام عمار بن ياسر فقال لامير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه اخبرنا عن الكفر على ماذا بني فقال على اربع دعائم على الجفا والعمى والغفلة والشك فمن جفا احتقر الحق وجهر بالباطل ومقت العلماء ومن عمي نسي الذكر ومن غفل حاد عن الرشد وغرته الاماني فاخذته الحسرة والندامة وبدا له من الله ما لم يكن يحتسب فما ذكرناه بيان لبعض آفات الغفلة عن التفكر وهذا القدر في التوبة كاف واذا كان الصبر ركنا من اركان دوام التوبة فلا بد من بيان الصبر فنذكره في كتاب مفرد ان شاء الله تعالى آخر كتاب التوبة يتلوه كتاب الصبر

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله اهل الحمد والثناء المتفرد برداء الكبرياء المتوحد بصفات المجد والعلاء المؤيد صفوة الاولياء بقوة الصبر على السراء والضراء والشكر على البلاء والنعماء والصلاة على محمد سيد الانبياء وعلى اصحابه سادة الاصفياء وعلى آله قادة البررة الاتقياء صلاة محروسة بالدوام عن الفناء وموصونة بالتعاقب عن التصرم والانقضاء اما بعد فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر كما وردت به الآثار وشهدت له الاخبار وهما ايضا وصفان من اوصاف الله تعالى واسمان من اسمائه الحسنى اذ سمى نفسه صبورا وشكورا فالجهل بحقيقة الصبر والشكر جهل بكلا شطري الايمان ثم هو غفلة عن وصفين من اوصاف الرحمن ولا سبيل الى الوصول الى القرب من الله تعالى الا بالايمان وكيف يتصور سلوك سبيل الايمان دون معرفة ما به الايمان ومن به الايمان والتقاعد عن معرفة الصبر والشكر تقاعد عن معرفة من به الايمان وعن ادراك ما به الايمان فما احوج كلا الشطرين الى الايضاح والبيان ونحن نوضح كلا الشطرين في كتاب واحد لارتباط احدهما بالآخر ان شاء الله

الشطر الاول في الصبر

وفيه بيان فضيلة الصبر وبيان حده وحقيقته وبيان كونه نصف الايمان وبيان اختلاف اساميه باختلاف متعلقاته وبيان اقسامه بحسب اختلاف القوة والضعف وبيان مظان الحاجة الى الصبر وبيان دواء الصبر وما يستعان به عليه وهو سبعة فصول تشتمل على جميع مقاصده

بيان فضيلة الصبر

قد وصف الله تعالى الصابرين باوصاف وذكر الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعا واضاف اكثر الخيرات والدرجات الى الصبر وجعلها ثمرة له فقال عز من قائل وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وقال وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقال ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وقال اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا وقال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فما من قربة الا واجرها بتقدير وحساب الا الصبر ولاجل كون الصوم من الصبر وانه نصف الصبر قال الله تعالى الصوم لي وانا اجزي به فاضافه الى نفسه من بين سائر العبادات ووعد الصابرين بانه معهم فقال واصبروا ان الله مع الصابرين وعلق النصرة على الصبر فقال بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وجمع للصابرين بين امور لم يجمعها لغيرهم

فقال أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون • فالهدى والصلوات والرحمة مجموعة للصابرين واستقصا جميع الايات في مقام الصبر يطول

وأما الاخبار

فقد قال صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان على ما سياتي وجه كونه نصفا وقال صلى الله عليه وسلم من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطى حظه منهما لم يبال بما فاته من قيام الليل وصيام النهار ولان تصبروا على مثل ما انتم عليه احب الى من ان يوافيني كل امرى منكم بمثل عمل جميعكم ولكني اخاف ان تفتح عليكم الدنيا بعدي فينكر بعضكم بعضا وينكركم اهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه ثم قرأ قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم الآية • وروى جابر انه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقال الصبر والسماحة • وقال ايضا الصبر كنز من كنوز الجنة • وسئل مرة ما الايمان فقال الصبر وهذا يشبه قوله الحج عرفة وقال ايضا افضل الاعمال ما اكرهت عليه النفوس • وقيل اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام تخلق باخلاقي وان من اخلاقي اني انا الصبور • وفي حديث عطاء عن ابن عباس لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الانصار فقال امؤمنون انتم فسكتوا فقال عمر نعم يا رسول الله فقال وما علامة ايمانكم فقالوا نشكر على الرخا ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء فقال صلى الله عليه وسلم مؤمنون ورب الكعبة • وقال صلى الله عليه وسلم في الصبر على ما تكره خير كثير • وقال المسيح عليه السلام انكم لا تدركون ما تحبون الا بصبركم على ما تكرهون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان الصبر رجلا لكان كريما والله يحب الصابرين والاخبار في هذا لا تحصى

وأما الاثار

فقد وجد في رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى ابي موسى الاشعري عليك بالصبر واعلم ان الصبر صبران احدهما افضل من الاخر الصبر في المصيبات حسن وافضل منه الصبر عما حرم الله تعالى واعلم ان الصبر ملاك الايمان وذلك بان التقوى افضل البر والتقوى بالصبر وقال علي كرم الله وجهه بني الايمان على اربع دعائم اليقين والصبر والجهاد والعدل وقال ايضا الصبر من الايمان بمنزلة الراس من الجسد ولا جسد لمن لا راس له ولا ايمان لمن لا صبر له وكان عمر رضي الله عنه يقول نعم العدلان ونعمت العلاوة للصابرين يعني بالعدلين الصلاة والرحمة وبالعلاوة الهدى والعلاوة ما يحمل فوق العدلين على البعير واشار به الى قوله تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وكان حبيب بن ابي حبيب اذا قرا هذه الاية انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب بكى وقال واعجباه اعطى واثنى اي هو المعطي للصبر وهو المثني وقال ابو الدرداء ذروة الايمان الصبر للحكم والرضا بالقدر هذا بيان فضيلة الصبر من حيث النقل فاما من حيث النظر بعين الاعتبار فلا تفهمه الا بعد فهم حقيقة الصبر ومعناه اذ معرفة الفضيلة والرتبة معرفة صفة فلا تحصل قبل معرفة الموصوف فلنذكر حقيقته ومعناه

بيان حقيقة الصبر ومعناه

اعلم ان الصبر مقام من مقامات الدين ومنزل من منازل السالكين وجميع مقامات الدين انما تنتظم من ثلثة امور معارف واحوال واعمال فالمعارف هي الاصول وهي تورث الاحوال والاحوال تثمر الاعمال فالمعارف كالاشجار والاحوال كالاغصان والاعمال كالثمار وهذا مطرد في جميع منازل السالكين الى الله تعالى واسم الايمان تارة يختص بالمعارف وتارة يطلق على الكل كما ذكرناه في اختلاف اسم الايمان والاسلام في كتاب قواعد العقايد وكذلك الصبر لا يتم الا بمعرفة سابقة وبحالة قائمة فالصبر على التحقيق عبارة عنها والعمل هو كالثمرة يصدر عنها ولا يعرف هذا الا بمعرفة كيفية الترتيب بين الملئكة والانس والبهايم فان الصبر خاصية الانس ولا يتصور ذلك في البهايم والملئكة اما في البهايم فلنقصانها واما في الملئكة فلكمالها وبيانه ان البهايم سلطت عليها الشهوات وصارت مسخرة لها فلا باعث لها على الحركة والسكون الا الشهوة وليس فيها قوة تصادم الشهوة وتردها عن مقتضاها حتى يسمى ثبات تلك القوة في مقابلة مقتضى الشهوة صبرا واما الملئكة فانهم جردوا للشوق الى حضرة الربوبية والابتهاج بدرجة القرب منها ولم يسلط عليهم شهوة صارفة صادة عنها حتى يحتاج الى مصادمة ما يصرفها عن حضرة الجلال بجند اخر يغلب الصوارف واما الانسان فانه خلق في ابتداء الصبى ناقصا مثل البهيمة لم يخلق فيه الا شهوة الغذاء الذي هو محتاج اليه ثم يظهر فيه شهوة اللعب والزينة ثم شهوة النكاح على الترتيب وليس له قوة الصبر البتة اذ الصبر عبارة عن ثبات جند في مقابلة جند اخر قام القتال بينهما لتضاد مقتضياتها ومطالبها وليس في الصبي الا جند الهوى كما في البهايم ولكن الله بفضله وسعة جوده اكرم

بني ادم ورفع درجتهم عن درجة البهايم فوكل به عند كمال شخصه بمقاربة البلوغ ملكين احدهما يهديه والاخر يقويه فتميز بمعونة الملكين عن البهايم واختص بصفتين احداهما معرفة الله ومعرفة رسوله ومعرفة المصالح المتعلقة بالعواقب وكل ذلك حاصل من الملك الذي اليه الهداية والتعريف فالبهيمة لا معرفة لها ولا هداية الى مصلحة العواقب بل الى مقتضى شهواتها في الحال فقط فلذلك لا تطلب الا اللذيذ واما الدواء النافع مع كونه مضرا في الحال فلا تطلبه ولا تعرفه فصار الانسان بنور الهداية يعرف ان اتباع الشهوات له مغبات مكروهة في العاقبة ولكن لم تكن هذه الهداية كافية ما لم تكن له قدرة على ترك ما هو مضر فكم من مضر يعرفه الانسان كالمرض النازل به مثلا ولكن لا قدرة له على دفعه فافتقر الى قدرة وقوة يدفع بها في نحر الشهوات فيجاهدها بتلك القوة حتى يقطع عداوتها عن نفسه فوكل الله به ملكا اخر يسدده ويؤيده ويقويه بجنود لم تروها وامر هذا الجند بقتال جند الشهوة فتارة يضعف هذا الجند وتارة يقوى وذلك بحسب امداد الله عبده بالتاييد كما ان نور الهداية ايضا يختلف في الخلق اختلافا لا ينحصر فلنسم هذه الصفة التي بها فارق الانسان البهايم في قمع الشهوات وقهرها باعثا دينيا ولنسم مطالبة الشهوات بمقتضياتها باعث الهوى وليفهم ان القتال قائم بين باعث الدين وباعث الهوى والحرب بينهما سجال ومعركة هذا القتال قلب العبد ومدد باعث الدين من الملئكة الناصرين لحزب الله ومدد باعث الشهوة من الشياطين الناصرين لاعداء الله فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة فان ثبت حتى قهره واستمر على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله والتحق بالصابرين وان تخاذل وضعف حتى غلبته الشهوة ولم يصبر في دفعها التحق باتباع الشياطين فاذا ترك الافعال المشتهاة عمل يثمره حال يسمى الصبر وهو ثبات باعث الدين الذي هو في مقابلة باعث الشهوة وثبات باعث الدين حال تثمرها المعرفة بعداوة الشهوات ومضادتها لاسباب السعادات في الدنيا والاخرة فاذا قوي يقينه اعني المعرفة التي تسمى ايمانا وهو اليقين بكون الشهوة عدوا قاطعا لطريق الله قوي ثبات باعث الدين واذا قوي ثباته تمت الافعال على خلاف ما تتقاضاه الشهوة فلا يتم ترك الشهوة الا بقوة باعث الدين المضاد لباعث الشهوة وقوة المعرفة والايمان تقبح مغبة الشهوات وسوء عاقبتها وهذان الملكان هما المتكفلان بهذين الجندين باذن الله وتسخيره اياهما وهما من الكرام الكاتبين وهما الموكلان بكل شخص من الادميين واذا عرفت ان رتبة الملك الهادي اعلى من رتبة الملك المقوي لم يخف عليك ان جانب اليمين الذي هو اشرف الجانبين من جنبتي الدست ينبغي ان يكون مسلما له فهو اذا صاحب اليمين والاخر صاحب الشمال وللعبد طوران في الغفلة والفكر وفي الاسترسال والمجاهدة فهو بالغفلة معرض عن صاحب اليمين ومسيء اليه فتكتب اعراضه سيئة وبالفكر مقبل اليه ليستفيد منه الهداية فهو به محسن فتكتب له حسنة وكذا بالاسترسال هو معرض عن صاحب اليسار تارك للاستمداد منه فهو به مسيء اليه فتثبت عليه سيئة وبالمجاهدة مستمد من جنوده فتثبت له به حسنة وانما ثبتت هذه الحسنات والسيئات باثباتهما فلذلك سميا كراما كاتبين اما الكرام فلانتفاع العبد بكرمهما ولان الملئكة كلهم كرام بررة واما الكاتبين فلاثباتهما الحسنات والسيئات وانما يكتبان في صحايف مطوية في سر القلب حتى لا يطلع عليه في هذا العالم فانهما وكتبتهما وخطهما وصحايفهما وجملة ما يتعلق بهما في عالم الغيب والملكوت لا من عالم الشهادة وكل شيء من عالم الملكوت لا تدركه الابصار في هذا العالم ثم تنشر هذه الصحايف عند مرتين مرة في القيامة الصغرى ومرة في القيامة الكبرى واعني بالقيامة الصغرى حالة الموت اذ قال صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته وفي هذه القيامة يكون العبد وحده وعندها يقال ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وفيها يقال كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اما في القيامة الكبرى الجامعة للخلائق فلا يكون وحده بل ربما يحاسب على ملأ من الخلق وفيها يساق المتقون الى الجنة والمجرمون الى النار زمرا لا احادا والهول الاول هو هول القيامة الصغرى ولجميع اهوال القيامة الكبرى نظير في القيامة الصغرى مثل زلزلة الارض مثلا فان ارضك الخاصة بك تزلزل في الموت فانك تعلم ان الزلزلة اذا نزلت ببلدة يصدق ان يقال قد زلزلت ارضهم وان لم تزلزل البلاد المحيطة بها بل لو زلزل مسكن الانسان

بيان الاثار الواردة في فضل الصبر والمقامات

ودّ اره فقد حصلت الزلزلة في حقه لانه انما يتضرر عند زلزلة جميع الارض بزلزلة مسكنه لا بزلزلة مسكن غيره فحصته من الزلزلة
قد توفرت من غير نقصان **واعلم** انك ارضي مخلوق من التراب وحظك الخاص من التراب بدنك فقط فاما بدن غيرك
فليس بحظك والارض التي انت جالس عليها بالاضافة الى بدنك ظرف ومكان وانما تخاف من تزلزله ان يتزلزل بدنك
بسببه والا فالهواء ابدا متزلزل وانت لا تخشاه اذ ليس يتزلزل به بدنك فحظك من زلزلة الارض كلها زلزلة بدنك
فقط فهي ارضك وترابك الخاص بك وعظامك جبال ارضك وراسك سماء ارضك وقلبك شمس ارضك
وسمعك وبصرك وساير حواسك نجوم سمائك ومفيض العرق من بدنك بحار ارضك وشعورك نبات
ارضك واطرافك اشجار ارضك وهكذا الى جميع اجزائك فاذا انهدم بالموت اركان بدنك فقد
زلزلت الارض زلزالها فاذا انفصل العظام عن اللحوم فقد حملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فاذا
رمت العظام فقد نسفت الجبال نسفا فاذا اظلم قلبك عند الموت فقد كورت الشمس تكويرا فاذا بطل
سمعك وبصرك وساير حواسك فقد انكدرت النجوم انكدارا فاذا انشق دماغك فقد انشقت السماء
انشقاقا فاذا انفجر من هول الموت عرق جبينك فقد فجرت البحار تفجيرا فاذا التفت احدى ساقيك بالاخرى
وهما مطيتاك فقد عطلت العشار تعطيلا فاذا فارق الروح الجسد فقد حملت الارض ومدت حتى القت ما فيها
وتخلت **ولست** اطول بذكر موازنة جميع الاحوال والاهوال ولكني اقول بمجرد الموت تقوم عليك هذه
القيامة **ولا يفوتك** من القيامة الكبرى شيء مما يخصك بل ما يخص غيرك فان بقاء الكواكب في حق غيرك ماذا
ينفعك وقد انتثرت حواسك التي بها تنتفع بالكواكب والاعمى يستوي عنده الليل والنهار وكسوف الشمس وانجلاؤه
لانه قد كسفت في حقه دفعة واحدة وهو حصته منها والانجلاء بعد ذلك حصة غيرك وقد انشق راسه فقد انشقت سماؤه
اذ السماء عبارة عما يلي جهة الراس فمن لا راس له فمن اين ينفعه بقاء السماء لغيره فهذه هي القيامة الصغرى والخوف
بعد اسفل والهول بعد مدخر وذلك اذا جاءت الطامة الكبرى وارتفع الخصوص وبطلت السموات
والارض ونسفت الجبال وتمت الاهوال **واعلم** ان هذه الصغرى وان طولنا في وصفها فانا لم نذكر
عشر عشير اوصافها وهي بالنسبة الى القيامة الكبرى كالولادة الصغرى بالنسبة الى الولادة الكبرى فان للانسان ولادتين
احداهما الخروج من الصلب والترائب الى مستودع الارحام وهو في الرحم في قرار مكين الى قدر معلوم وله في
سلوكه الى الكمال منازل واطوار من نطفة وعلقة ومضغة وغيرها الى ان يخرج من مضيق الرحم الى فضاء
العالم فنسبة عموم القيامة الكبرى الى خصوص القيامة الصغرى كنسبة فضاء العالم الى سعة فضاء
الرحم ونسبة سعة العالم الذي يقدم عليه العبد بالموت الى سعة فضاء الدنيا كنسبة فضاء الدنيا
ايضا الى الرحم بل اوسع واعظم فقس الاخرة بالاولى فما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وما النشاة
الثانية الا على قياس النشاة الاولى بل اعداد النشات ليست محصورة في اثنتين واليه الاشارة بقوله
وننشئكم فيما لا تعلمون فالمقر بالقيامتين مؤمن بعالم الغيب والشهادة وموقن بالملك والملكوت والمقر
بالقيامة الصغرى دون الكبرى ناظر بالعين العوراء الى احد العالمين وذلك هو الجهل والضلال والاقتدا
بالاعور الدجال فما اغفلك يا مسكين وكلنا ذلك المسكين وبين يديك هذه الاهوال فان كنت
لا تؤمن بالقيامة الكبرى بالجهل والضلال افلا تكفيك القيامة الصغرى اوما سمعت قول سيد الانبياء
كفى بالموت واعظا اوما سمعت بكربه صلى الله عليه وسلم في وقت الموت حتى قال اللهم هون على محمد سكرات
الموت اوما تستحي من استبطائك هجوم الموت اقتداء برعاع الغافلين الذين لا ينظرون الا صيحة واحدة
تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون فياتيهم المرض نذيرا من
الموت فلا ينزجرون وياتيهم الشيب رسولا منه فما يعتبرون فيا حسرة على العباد ما ياتيهم من رسول
الا كانوا به يستهزءون افيظنون انهم في الدنيا خالدون الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون
ام يحسبون ان الموتى سافروا من عندهم فهم معدومون كلا ان كل لما جميع لدينا محضرون ولكن ما ياتيهم

من آية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين وذلك لانا جعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون
وسواء عليهم أانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون فلنرجع الى الغرض فان هذه تلويحات تشير الى امور هي اعلى من علوم المعاملة
فنقول قد ظهر ان الصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى وهذه المقاومة من خاصية الادميين
لما وكل بهم من الكرام الكاتبين ولا يكتبان شيئا عن الصبيان والمجانين اذ ذكرنا ان الحسنة في الاقبال على الاستفادة منهما والسيئة
في الاعراض عنهما وما للصبيان والمجانين سبيل الى الاستفادة فلا يتصور منهما اقبال واعراض وهما لا يكتبان الا الاقبال
والاعراض من القادر على الاقبال والاعراض ولعمري يظهر مبادي اشراق نور الهداية عند سن التمييز وينمو على التدريج
الى سن البلوغ كما ينمو نور الصبح الى ان يطلع قرص الشمس ولكنها هداية قاصرة لا ترشد الى مضار الاخرة بل الى مضار الدنيا
فلذلك يضرب على ترك الصلوات ناجزا ولا يعاقب في الاخرة ولا يكتب عليه من الصحائف ما ينشر في الاخرة بل على القيم العدل
والولي البر الشفيق ان كان من الابرار وكان على سمت الكرام البررة الاخيار ان يكتب على الصبي سيئته وحسنته على صحيفة قلبه
فيكتبه عليه بالحفظ ثم ينشره عليه بالتعريف ثم يعذبه عليه بالضرب فكل ولي هذا سمته في حق الصبي فقد ورث
اخلاق الملائكة واستعملها في حق الصبي فينال بها درجة القرب من رب العالمين كما نالته الملائكة فيكون مع النبيين
والمقربين من الصديقين واليه الاشارة بقوله عليه السلام انا وكافل اليتيم كهاتين

بيان كون الصبر نصف الايمان

اعلم ان الايمان تارة يخص في اطلاقه بالتصديقات باصول الدين وتارة يخص بالاعمال الصالحة الصادرة منها وتارة يطلق عليهما
جميعا وللمعارف ابواب وللاعمال ابواب ولاشتمال لفظ الايمان على جميعها كان الايمان نيفا وسبعين بابا واختلاف
هذه الاطلاقات ذكرناه في كتاب قواعد العقائد من ربع العبادات ولكن الصبر نصف الايمان باعتبارين وعلى
مقتضى اطلاقين احدهما ان يطلق على التصديقات والاعمال جميعا فيكون للايمان ركنان احدهما اليقين
والاخر الصبر والمراد باليقين المعارف القطعية الحاصلة بهداية الله عبده الى اصول الدين والمراد بالصبر العمل بمقتضى
اليقين اذ اليقين يعرفه ان المعصية ضارة والطاعة نافعة ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة الا بالصبر وهو استعمال باعث
الدين في قهر باعث الهوى والكسل فيكون الصبر نصف الايمان بهذا الاعتبار ولهذا جمع رسول الله بينهما فقال من اقل ما اوتيتم
اليقين وعزيمة الصبر الى اخره **الاعتبار الثاني** ان يطلق على الاحوال المثمرة للاعمال لا على المعارف وعند ذلك
ينقسم جميع ما يلاقيه العبد الى ما ينفعه في الدنيا والاخرة او يضره فيهما وله بالاضافة الى ما يضره حال الصبر وبالاضافة
الى ما ينفعه حال الشكر فيكون الشكر احد شطري الايمان بهذا الاعتبار كما ان اليقين احد الشطرين بالاعتبار الاول
وبهذا الاعتبار الاول وبهذا النظر قال ابن مسعود الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وقد يرفع ايضا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما كان الصبر صبرا عن بواعث الهوى بثبات باعث الدين وكان باعث الهوى قسمين
باعث من جهة الشهوة وباعث من جهة الغضب فالشهوة لطلب اللذيذ والغضب للهرب من المولم وكان
الصوم صبرا عن مقتضى الشهوة فقط وهي شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب قال صلى الله عليه وسلم بهذا الاعتبار
الصوم نصف الصبر لان كمال الصبر بالصبر عن داعي الشهوة وداعي الغضب جميعا فيكون الصوم بهذا الاعتبار ربع الايمان
فهكذا ينبغي ان يفهم تقديرات الشرع لحدود الاعمال والاحوال ونسبتها الى الايمان والاصل فيه ان يعرف كثرة ابواب
الايمان وان اسم الايمان يطلق على وجوه مختلفة

بيان الاسامي التي تتجدد للصبر بالاضافة

اعلم ان الصبر ضربان ضرب بدني كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليه وهو اما بالفعل كتعاطي الاعمال الشاقة
اما من العبادات او من غيرها واما بالاحتمال كالصبر على الضرب والمرض العظيم والجراحات الهايلة وذلك قد يكون
محمودا اذا وافق الشرع ولكن المحمود التام هو الضرب الاخر وهو الصبر النفسي عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى
ثم هذا الضرب ان كان صبرا عن شهوة البطن والفرج سمي عفة وان كان على احتمال مكروه اختلفت اساميه عند الناس
باختلاف المكروه الذي غلب عليه الصبر فان كان في مصيبة اقتصر على اسم الصبر ويضاده حالة تسمى الجزع والهلع وهو اطلاق
داعي الهوى ليسترسل في رفع الصوت وضرب الخدود وشق الجيوب وغيرها وان كان في احتمال الغنى سمي ضبط النفس ويضاده
حالة تسمى البطر وان كان في حرب ومقاتلة سمي شجاعة ويضاده الجبن وان كان في كظم الغيظ والغضب سمي حلما ويضاده

وجه كون الصبر نصف الايمان وما مع ذلك

الصوم نصف الصبر

الندم وان كان في نايبة من نوايب الزمان مضجرة سمي سعة الصدر ويضاده الضجر والتبرم وضيق الصدر وان
كان في اخفاء كلام سمي كتمان السر وسمي صاحبه كتوما وان كان عن فضول العيش سمي زهدا ويضاده الحرص وان كان صبرا
على قدر يسير من الحظوظ سمي قناعة ويضاده الشره فاكثر اخلاق الايمان داخلة في الصبر فلذلك لما سئل عليه الصلاة والسلام
عن الايمان قال هو الصبر لانه اكثر اعماله واعزها كما قال عليه الصلاة والسلام الحج عرفة وقد جمع الله تعالى اقسام ذلك وسمى الكل
صبرا فقال تعالى والصابرين في البأساء اي المصيبة والضراء اي الفقر وحين البأس اي المحاربة اولئك الذين صدقوا واولئك
هم المتقون فاذا هذه اقسام الصبر باختلاف متعلقاتها ومن ياخذ المعاني من الاسامي يظن ان هذه احوال مختلفة في
ذواتها وحقايقها من حيث رأى الاسامي مختلفة والذي يسلك الطريق المستقيم وينظر بنور الله يلحظ المعاني اولا
فيطلع على حقايقها ثم يلاحظ الاسامي فانها وضعت دالة على المعاني فالمعاني هي الاصول والالفاظ هي التوابع ومن يطلب الاصول
من التوابع لابد وان يزل والى الفريقين الاشارة بقوله تعالى افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم
فان الكفار لم يغلطوا فيما غلطوا فيه الا بمثل هذه الانعكاسات

بيان انقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف

اعلم ان باعث الدين بالاضافة الى باعث الهوى له ثلثة احوال احداها ان يقهر داعي الهوى فلا يبقى له قوة المنازعة ويتوصل اليه بدوام
الصبر وعند هذا يقال من صبر ظفر والواصلون الى هذه الرتبة هم الاقلون فلا جرم هم الصديقون المقربون الذين قالوا ربنا
الله ثم استقاموا فهؤلاء لازموا الطريق المستقيم واستووا على الصراط القويم واطمأنت نفوسهم على مقتضى باعث
الدين واياهم ينادي المنادي يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية

الحالة الثانية

ان تغلب دواعي الهوى وتسقط بالكلية منازعة باعث الدين فيسلم نفسه الى جند الشياطين ولا يجاهد ليأسه عن
المجاهدة وهؤلاء هم الغافلون وهم الاكثرون وهم الذين استرقتهم شهواتهم وغلبت عليهم شقوتهم فحكموا اعداء الله
في قلوبهم التي هي سر من اسرار الله وامر من امور الله واليهم الاشارة بقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول
مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وهؤلاء هم الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فخسرت صفقتهم وقيل
لمن قصد ارشادهم فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم وهذه الحالة علامتها الياس
والقنوط والغرور بالاماني وهو غاية الحمق كما قال عليه الصلاة والسلام الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق
من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وصاحب هذه الحالة اذا وعظ قال انا مشتاق الى التوبة ولكنها قد تعذرت
علي فلست اطمع فيها او لم يكن مشتاقا الى التوبة ولكن قال ان الله غفور رحيم كريم فلا حاجة به الى توبتي وهذا المسكين قد
صار عقله رقيقا لشهوته فلا يستعمل عقله الا في استنباط دقايق الحيل التي بها يتوصل الى قضاء شهواته فقد صار عقله في يد
شهواته كمسلم اسير في ايدي الكفار فهم يستسخرونه في رعاية الخنازير وحفظ الخمور وحملها ومحله عند الله محل من يقهر مسلما
ويسلمه الى الكفار ويجعله اسيرا عندهم لانه تفاحش جنايته بسبب انه سخر ما كان حقه ان يسخر وسلط ما كان من حقه ان
يتسلط عليه وانما استحق المسلم ان يكون متسلطا لما فيه من معرفة الدين وباعث الدين وانما استحق الكافر ان يكون متسلطا عليه
لما فيه من الجهل بالدين وباعث الشياطين وحق المسلم على نفسه اوجب من حق غيره عليه فمهما سخر المعنى الشريف الذي هو
من حزب الله وجند الملائكة للمعنى الخسيس الذي هو من حزب الشياطين المبعدين عن الله كان كمن ارق مسلما لكافر بل هو
كمن قصد الملك المنعم عليه فاخذ اعز اولاده وسلمه الى ابغض اعدائه فانظر كيف يكون كفرانه لنعمته واستيجابه
لنقمته لان الهوى ابغض اله عبد في الارض عند الله والعقل اعز موجود خلق في الارض

الحالة الثالثة

ان يكون الحرب سجالا بين الجندين فتارة له اليد عليها وتارة لها عليه وهذا من المجاهدين يعد لا من الظافرين
واهل هذه الحالة هم الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم هذا باعتبار القوة والضعف ويتطرق
اليه ثلثة احوال باعتبار عدد ما يصبر عنه فانه اما ان يغلب جميع الشهوات او لا يغلب شيئا منها او يغلب بعضها دون
بعض وتنزيل قوله تعالى خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا على من عجز عن بعض الشهوات دون بعض اولى والتاركون المجاهدة مع
الشهوات مطلقا يشبهون بالانعام بل هم اضل سبيلا اذ البهيمة لم تخلق لها المعرفة والقدرة التي بها تجاهد مقتضى الشهوات وهذا
قد خلق ذلك له وعطله فهو الناقص حقا المدبر يقينا ولذلك قيل
ولم ار في عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على التمام

وينقسم الصبر ايضا باعتبار اليسر والعسر الى ما يشق على النفس فلا يمكن الدوام عليه الا بجهد جهيد وتعب شديد ويسمى ذلك تصبرا
والى ما يكون من غير شدة تعب بل يحصل بادنى تحامل على النفس ويخص ذلك باسم الصبر واذا دام التقوى وقوي التصديق بما في العاقبة
من الحسنى تيسر الصبر ولذلك قال تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ومثال هذه القسمة قدرة المصارع
على غيره فان الرجل القوي يقدر على ان يصرع الضعيف بادنى حملة وايسر قوة بحيث لا يلقاه في مصارعته اعياء ولا لغوب ولا تضطرب فيه
نفس ولا يتبهر ولا يقوى على ان يصرع الشديد الا بتعب ومزيد جهد وعرق جبين فهكذا تكون المصارعة بين باعث الدين وباعث الهوى فانه على التحقيق صراع
بين جنود الملائكة وجنود الشياطين ومهما اذعنت الشهوات وانقمعت وتسلط باعث الدين واستولى وتيسر الصبر بطول المواظبة اورث ذلك
مقام الرضا كما سياتي في كتاب الرضا فالرضا اعلى من الصبر ولذلك قال عليه الصلاة والسلام اعبد الله على الرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير
قال بعض العارفين اهل الصبر على ثلثة مقامات اوله ترك الشكوى وهذه درجة التايبين والثانية الرضا بالمقدور وهذه
درجة الزاهدين والثالثة المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين وسنبين في كتاب المحبة ان مقام المحبة اعلى من مقام الرضا كما ان
مقام الرضا اعلى من مقام الصبر وكان هذا الانقسام يجري في صبر خاص وهو الصبر على المصايب والبلايا واعلم ان الصبر ينقسم ايضا باعتبار
حكمه الى فرض ونفل ومكروه ومحرم فالصبر عن المحظورات فرض وعلى المكاره نفل والصبر على الاذى المحظور محظور كمن تقطع يده او يد ولده وهو
يصبر عليه ساكتا وكمن يقصد بشهوة محظورة فتهيج غيرته فيصبر عن اظهار الغيرة ويسكت على ما يجري على اهله فهذا الصبر محرم والصبر
المكروه هو الصبر على اذى يناله بجهة مكروهة في الشرع فليكن الشرع محك الصبر فكون الصبر نصف الايمان لا ينبغي ان يخيل اليك ان جميعه
محمود بل المراد به انواع من الصبر مخصوصة

بيان مظان الحاجة الى الصبر وان العبد لا يستغني عنه في حال من الاحوال

اعلم ان جميع ما يلقى العبد في هذه الحياة لا يخلو من نوعين احدهما هو الذي يوافق هواه والاخر هو الذي لا يوافقه بل يكرهه وهو محتاج
الى الصبر في كل واحد منهما وهو في جميع الاحوال لا يخلو عن احد هذين النوعين او كليهما فهو اذا لا يستغني قط عن الصبر

النوع الاول

ما يوافق الهوى وهو الصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة العشيرة واتساع الاسباب وكثرة الاتباع والانصار وجميع ملاذ الدنيا
وما احوج العبد الى الصبر على هذه الامور فانه ان لم يضبط نفسه عن الاسترسال والركون اليها والانهماك في ملاذها المباحة منها اخرجه ذلك
الى البطر والطغيان فان الانسان ليطغى ان رآه استغنى حتى قال بعض العارفين البلاء يصبر عليه المؤمن والعوافي لا يصبر عليها الا
صديق وقال سهل الصبر على العافية اشد من الصبر على البلاء ولما فتحت الدنيا ابوابها على الصحابة قالوا ابتلينا بفتنة الضراء
فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر ولذلك حذر الله عباده من فتنة المال والزوج والولد فقال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم
اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله وقال ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال عليه الصلاة والسلام الولد مبخلة مجبنة
محزنة ولما نظر الى ابنه الحسن يتعثر في قميصه نزل عن المنبر ثم قال صدق الله انما اموالكم واولادكم فتنة اني لما رايت ابني
يتعثر لم املك نفسي ان اخذته ففي ذلك عبرة لاولي الابصار فالرجل كل الرجل من يصبر على العافية ومعنى الصبر عليها ان
لا يركن اليها ويعلم ان كل ذلك مستودع عنده وعساه يسترجع على القرب وان لا يرسل نفسه في الفرح بها ولا ينهمك
في التنعم واللذة واللعب واللهو وان يرعى حقوق الله في ماله بالانفاق وفي بدنه ببذل المعونة للخلق وفي لسانه
ببذل الصدق وكذلك في ساير ما انعم الله به عليه وهذا الصبر متصل بالشكر فلا يتم الا بالقيام بحق الشكر كما سياتي
وانما كان الصبر على السراء اشد لانه مقرون بالقدرة ومن العصمة ان لا تقدر والصبر على الحجامة والفصد
اذا تولاه غيرك ايسر من الصبر على فصدك نفسك وحجامتك نفسك والجائع عند غيبة الطعام اقدر على الصبر
منه اذا حضرته الاطعمة الطيبة اللذيذة وقدر عليها فلهذا عظمت فتنة السراء

النوع الثاني

ما لا يوافق الهوى والطبع وذلك لا يخلو اما ان يرتبط باختيار العبد كالطاعات والمعاصي او لا يرتبط باختياره
كالمصايب والنوايب او لا يرتبط اوله باختياره ولكن له اختيار في ازالته كالتشفي من المؤذي بالانتقام منه
فهي ثلثة اقسام

القسم الاول

ما يرتبط باختياره وهو ساير افعاله التي توصف بكونها طاعة او معصية
وهما ضربان الضرب الاول الطاعة والعبد يحتاج الى الصبر عليها فالصبر على الطاعة شديد لان النفس بطبعها تنفر عن
العبودية وتشتهي الربوبية ولذلك قال بعض العارفين ما من نفس الا وهي مضمرة ما اظهره فرعون من قوله انا
ربكم الاعلى ولكن فرعون وجد له مجالا وقبولا فاظهره اذ استخف قومه فاطاعوه وما من احد الا وهو يدعي ذلك مع عبده وخادمه واتباعه

وكل من هو تحت قهره وان كان ممتنعا من اظهاره فان امتهانه وغيظه عند تقصيرهم في حرمته واستبعاده ذلك ليس يصدر الا
عن اضمار الكبر ومنازعة الربوبية في رداء الكبرياء فاذن العبودية شاقة على النفس مطلقا ثم من العبادات ما تكره بسبب الكسل
كالصلاة ومنها ما تكره بسبب البخل كالزكاة ومنها ما تكره بسببهما جميعا كالحج والجهاد فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد ويحتاج
المطيع الى الصبر على طاعته في ثلثة احوال **الاولى** قبل الطاعة وذلك في تصحيح النية والاخلاص والصبر عن شوائب الريا
ودواعي الآفات وعقد العزم على الاخلاص والوفاء وذلك من الصبر الشديد عند من يعرف حقيقة النية والاخلاص وآفات
الريا ومكايد النفس وقد نبه عليه صلوات الله عليه اذ قال انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى وقال الله تعالى
وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ولهذا المعنى قدم الله الصبر على العمل فقال الا الذين صبروا وعملوا الصالحات
الحالة الثانية حالة العمل كي لا يغفل عن الله في اثناء عمله ولا يتكاسل عن تحقيق آدابه وسننه ويدوم على
شروط الادب الى آخر العمل فيلازم الصبر عن دواعي الفتور الى الفراغ وهذا ايضا من شدائد الصبر ولعله المراد بقوله تعالى
نعم اجر العاملين الذين صبروا اي صبروا الى تمام العمل **الحالة الثالثة** بعد الفراغ عن العمل اذ يحتاج الى الصبر عن
افشائه والتظاهر به للسمعة والريا والصبر عن النظر اليه بعين العجب وعن كل ما يبطل عمله ويحبط اثره كما قال تعالى ولا
تبطلوا اعمالكم وكما قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فمن لم يصبر بعد الصدقة عن المن والاذى فقد ابطل عمله والطاعات
تنقسم الى فرض ونفل وهو محتاج الى الصبر عليهما جميعا وقد جمعهما الله تعالى في قوله ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء
ذي القربى فالعدل هو الفرض والاحسان هو النفل وايتاء ذي القربى هو المروة وصلة الرحم وكل ذلك يحتاج الى صبر
الضرب الثاني المعاصي فما احوج الانسان الى الصبر عنها وقد جمع الله انواع المعاصي في قوله تعالى وينهى عن الفحشاء
والمنكر والبغي وقال صلى الله عليه وسلم المهاجر من هجر ما نهاه الله عنه والمجاهد من جاهد هواه والمعاصي مقتضى باعث الهوى واشد
انواع الصبر عن المعاصي الصبر عن المعاصي التي صارت مالوفة بالعادة فان العادة طبيعة خامسة فاذا انضافت العادة الى الشهوة تظاهر
جندان من جنود الشيطان على جند الله تعالى فلا يقوى باعث الدين على قمعها ثم ان كان ذلك الفعل مما يتيسر فعله كان الصبر عنه اثقل على
النفس كالصبر عن معاصي اللسان من الغيبة والكذب والمراء والثناء على النفس تعريضا وتصريحا وانواع المزح المؤذي للقلوب
وضروب الكلمات التي يقصد بها الازراء والاستحقار وذكر الموتى والقدح فيهم وفي علومهم وسيرهم ومناصبهم فان ذلك في ظاهره غيبة
وفي باطنه ثناء على النفس فللنفس فيه شهوتان احداهما نفي الغير والاخرى اثبات نفسه وبها تتم الربوبية التي هي في طبعه
وهي ضد ما امر به من العبودية ولاجتماع الشهوتين وتيسر تحريك اللسان ومصير ذلك معتادا في المحاورات يعسر الصبر عنها
حتى بطل استنكارها واستقباحها من القلوب لكثرة تكررها وعموم الانس بها فترى الانسان يلبس حريرا مثلا فيستبعده غاية الاستبعاد
ويطلق لسانه طول النهار في اعراض الناس فلا يستنكر ذلك مع ما ورد في الخبر من ان الغيبة اشد من الزنا ومن لم يملك لسانه في
المحاورات ولم يقدر على الصبر فيجب عليه العزلة والانفراد فلا ينجيه غيره فالصبر على الانفراد اهون من الصبر على السكوت مع المخالطة
وتختلف شدة الصبر في آحاد المعاصي باختلاف تلك المعصية في قوتها وضعفها وايسر من حركة اللسان حركة الخواطر باختلاج الوساوس
فلا جرم يبقى حديث النفس في العزلة ولا يمكن الصبر عنه اصلا الا بان يغلب على القلب هم آخر في الدين يستغرقه كمن اصبح وهمومه هم واحد والا فان
لم يستعمل الفكر في شيء معين لم يتصور فتور الوسواس عنه **القسم الثاني** ما لا يرتبط هجومه باختياره وله اختيار في دفعه
كما لو اوذي بفعل او قول وجني عليه في نفسه او ماله فالصبر على ذلك بترك المكافاة تارة يكون واجبا وتارة يكون فضيلة قال بعض الصحابة
ما كنا نعد ايمان الرجل ايمانا اذا لم يصبر على الاذى وقال تعالى ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
مالا فقال بعض الاعراب من المسلمين هذه قسمة ما اريد بها وجه الله فاخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحمرت وجنتاه ثم قال يرحم الله اخي
موسى لقد اوذي باكثر من هذا فصبر وقال تعالى ودع اذاهم وتوكل على الله وقال تعالى واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا
وقال تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وقال ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا
اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور اي تصبروا عن المكافاة ولذلك مدح الله تعالى العافين عن حقوقهم في القصاص وغيره
فقال وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وقال صلى الله عليه وسلم صل من قطعك واعط من حرمك واعف
عمن ظلمك ورايت في الانجيل قال عيسى عليه الصلاة والسلام لقد قيل لكم من قبل ان السن بالسن والانف بالانف وانا اقول لكم لا تقاوموا الشر

العبد

بالشر بل من ضرب خدك الايمن فحول اليه الخد الايسر ومن اخذ رداءك فاعطه ازارك ومن سخرك لتسير معه ميلا فسر معه ميلين وكل
ذلك امر بالصبر على الاذى فالصبر على اذى الناس من اعلى مراتب الصبر لانه يتعاون فيه باعث الدين وباعث الشهوة والغضب جميعا
القسم الثالث ما لا يدخل تحت حصر الاختيار اوله وآخره كالمصائب مثل موت الاعزة وهلاك الاموال وزوال
الصحة بالمرض وعمى العين وفساد الاعضاء وبالجملة سائر انواع البلاء فالصبر على ذلك من اعلى مقامات الصبر قال ابن عباس رضي الله عنهما
الصبر في القرآن على ثلثة اوجه صبر على اداء فرائض الله فله ثلثمائة درجة وصبر عن محارم الله فله ستمائة درجة وصبر على
المصيبة عند الصدمة الاولى فله تسعمائة درجة وانما فضلت هذه الرتبة مع انها من الفضائل على ما قبلها وهي من الفرائض لان كل مؤمن
يقدر على الصبر عن المحارم فاما الصبر على بلاء الله تعالى فلا يقدر عليه الا ببضاعة الصديقين فان ذلك شديد على النفس ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم اسالك من اليقين ما تهون به علي مصائب الدنيا فهذا صبر مستنده حسن اليقين قال ابو سليمان والله ما نصبر على
ما نحب فكيف نصبر على ما نكره وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل اذا وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه او ماله او ولده ثم استقبل ذلك بصبر
جميل استحييت منه يوم القيامة ان انصب له ميزانا او انشر له ديوانا وقال صلى الله عليه وسلم انتظار الفرج بالصبر عبادة وقال صلى الله عليه وسلم
ما من عبد مؤمن اصيب بمصيبة فقال كما امر الله انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واعقبني خيرا منها الا فعل الله
ذلك به وقال انس حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قال يا جبريل ما جزاء من سلبت كريمتيه قال سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا قال
جزاؤه الخلود في داري والنظر الى وجهي وقال عليه الصلاة والسلام يقول الله عز وجل اذا ابتليت عبدي ببلاء فصبر ولم يشكني الى عواده ابدلته
لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه فان ابراته ابراته ولا ذنب له وان توفيته فالى رحمتي وقال داود عليه السلام يا رب ما جزاء الحزين الذي يصبر
على المصائب ابتغاء مرضاتك قال جزاؤه ان البسه لباس الايمان فلا انزعه عنه ابدا وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته ما انعم
الله على عبد نعمة فانتزعها منه وعاضه مما انتزع منه الصبر الا كان ما عوضه منها افضل مما انتزع منه وقرا انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
وسئل فضيل عن الصبر فقال هو الرضا بقضاء الله تعالى قيل وكيف ذلك قال الراضي لا يتمنى فوق منزلته وقيل حبس الشبلي رحمه الله في
المارستان فدخل عليه جماعة فقال من انتم قالوا احبابك جاؤك زائرين فاخذ يرميهم بالحجارة فاخذوا يهربون فقال لو كنتم احبابي
لصبرتم على بلائي وكان بعض العارفين في جيبه رقعة يخرجها كل ساعة ويطالعها وكان فيها واصبر لحكم ربك فانك باعيننا ويقال
ان امراة فتح الموصلي عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها اما تجدين الوجع فقالت ان لذة ثوابه ازالت عن قلبي مرارة وجعه وقال
داود لسليمان عليهما السلام يستدل على تقوى المؤمن بثلث حسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضا فيما قد نال وحسن الصبر فيما قد فات وقال
نبينا صلى الله عليه وسلم من اجلال الله ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك **ويروى** عن بعض الصالحين انه خرج يوما
وفي كمه صرة فافتقدها فاذا هي قد اخذت من كمه فقال بارك الله له فيها لعله احوج اليها مني **وروي** عن بعضهم
انه قال مررت على سالم مولى ابي حذيفة في القتلى وبه رمق فقلت له اسقيك ماء فقال جرني قليلا الى العدو واجعل الماء في الترس
فاني صائم فان عشت الى الليل شربته فهكذا كان صبر سالكي طريق الآخرة على بلاء الله **فان قلت** فبماذا تنال
درجة الصبر في المصائب وليس الامر الى اختياره فهو مضطر شاء ام ابى فان كان المراد به ان لا تكون في نفسه كراهية المصيبة فذلك
غير داخل في الاختيار **فاعلم** انه انما يخرج عن مقام الصابرين بالجزع وشق الجيوب وضرب الخدود والمبالغة في الشكوى واظهار
الكآبة وتغيير العادة في الملبس والمطعم والمفرش وهذه الامور داخلة تحت اختياره فينبغي ان يجتنب جميعها ويظهر الرضا بقضاء
الله ويبقى مستمرا على عادته ويعتقد ان ذلك كان وديعة فاسترجعت **كما روي** عن الرميصاء ام سليم انها قالت
توفي ابن لي وزوجي ابو طلحة غائب فقمت فسجيته في ناحية البيت فقدم ابو طلحة فقمت فهيات له افطاره فجعل ياكل فقال كيف
الصبي قلت باحسن حال بحمد الله فانه لم يكن منذ اشتكى باسكن منه الليلة ثم تصنعت له احسن ما كنت اتصنع قبل ذلك حتى اصاب مني
حاجته ثم قلت الا تعجب من جيراننا قال وما لهم قلت اعيروا عارية فلما طلبت منهم جزعوا فقال بئس ما صنعوا فقلت هذا ابنك
كان عارية من الله تعالى وان الله قبضه اليه فحمد الله واسترجع ثم غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال اللهم بارك لهما في ليلتهما قال
الراوي فلقد رايت لهم بعد ذلك في المسجد سبعة كلهم قد قرا القرآن وروى جابر انه عليه السلام قال رايتني دخلت الجنة فاذا انا
بالرميصاء امراة ابي طلحة وقد قيل الصبر الجميل هو ان لا يعرف صاحب المصيبة احد ولا يخرجه عن حد الصابرين توجع
القلب ولا فيضان العين بالدمع على الميت فان ذلك لا يقتضي النزع ولا يفارق الانسان الى الموت ولذلك لما مات ابراهيم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم

ما مات ابراهيم

دامت عيناه فقيل له لما نهيتنا عن هذا فقال ان هذه رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء بل ذلك ايضا لا يخرج عن مقام الرضا فالفصد والحجامة راض به وهو متألم بسببه لا محالة وقد يفيض عيناه اذا عظم الامر وسيأتي ذلك في كتاب الرضا ان شاء الله تعالى وكتب ابن ابي نجيح يعزي بعض الخلفاء ان احق من عرف حق الله تعالى فيما اخذ منه من عظم حق الله تعالى عنده فيما ابقى له واعلم ان الماضي قبلك هو الباقي لك والباقي بعدك هو المأجور فيك واعلم ان اجر الصابرين فيما يصابون به اعظم من النعمة عليهم فيما يعافون فيه فاذن مهما دفع الكراهة بالتفكر في نعمة الله عليه بالثواب نال درجة الصابرين نعم من كمال الصبر كتمان المرض والفقر وسائر المصائب وقد قيل من كنوز البر كتمان المصائب والاوجاع والصدقة فقد ظهر بهذه التقسيمات ان وجوب الصبر عام في جميع الاحوال والافعال فان الذي كفي الشهوات كلها واعتزل وحده لا يستغني عن الصبر على العزلة والانفراد ظاهرا وعن وساوس الشيطان باطنا فان اختلاج الخواطر لا يسكن واكثر جولان الخواطر انما يكون في فائت لا تدارك له او في مستقبل لا بد وان يحصل منه ما هو مقدر فهو كيفما كان تضييع زمان وآلة العبد قلبه وبضاعته عمره فاذا غفل القلب عن نفس واحد عن ذكر يستفيد به انسا بالله او عن فكر يستفيد به معرفة بالله ليستفيد بالمعرفة محبة الله فهو مغبون هذا ان كان فكره ووسواسه في المباحات مقصورا عليه ولا يكون ذلك غالبا بل يتفكر في وجوه الحيل لقضاء الشهوات اذ لا يزال ينازع كل من عرفه على خلاف غرضه في جميع عمره او من يتوهم انه ينازعه ويخالف غرضه بظهور امارة له منه بل يقدر المخالفة من اخلص الناس في حبه حتى في اهله وولده ويتوهم مخالفتهم له ثم يتفكر في كيفية زجرهم وكيفية قهرهم وجوابهم عما يتعللون به في مخالفته ولا يزال في شغل دائم فللشيطان جندان جند يطير وجند يسير والوسواس عبارة عن حركة جنده الطيار والشهوة عبارة عن حركة جنده السيار وهذا لان الشيطان خلق من النار وخلق الانسان من صلصال كالفخار والفخار قد اجتمع فيه مع النار الطين والطين طبعه السكون والنار طبعها الحركة فلا تتصور نار مشتعلة لا تتحرك بل لا تزال تتحرك بطبعها وقد كلف الملعون المخلوق من النار ان يطمئن عن حركته ساجدا لما خلق من الطين فابى واستكبر واستعصى وعبر عن سبب استعصائه بان قال خلقتني من نار وخلقته من طين فاذا حيث لم يسجد الملعون لابينا آدم فلا ينبغي ان يطمع في سجوده لاولاده ومهما كف عن القلب وسواسه وعدوانه وطيرانه وجولانه فقد اظهر انقياده واذعانه وانقياده بالاذعان سجوده فهو روح السجود وانما وضع الجبهة على الارض قالبه وعلامته الدالة عليه بالاصطلاح عليه ولو جعل وضع الجبهة على الارض علامة الاستخفاف بالاصطلاح لتصور ان ينطرح بين يدي المعظم المحترم يرى استخفافا به فلا ينبغي ان ينخدع بصورة الجوهر عن الجوهر وبالقالب عن الروح وبالقشر عن اللب فتكون ممن قيده عالم الشهادة بالكلية عن عالم الغيب وتحقق ان الشيطان من المنظرين فلا يتواضع لك بالكف عن الوسواس الى يوم الدين الا ان تصبح وهمومك هم واحد فتشغل قلبك بالله وحده فلا يجد الملعون مجالا فيك فعند ذلك تكون من عباد الله المخلصين الداخلين في الاستثناء عن سلطنة هذا اللعين ولا تظنن انه يخلو عنه قلب فارغ بل هو سيال يجري من ابن آدم مجرى الدم وسيلانه مثل الهواء في القدح فانك اذا اردت ان يخلو القدح عن الهواء من غير ان تشغله بالماء او بغيره فقد طمعت في غير مطمع بل بقدر ما يخلو من الماء يدخل فيه الهواء لا محالة فكذلك القلب المشغول بفكر مهم في الدين يخلو عن جولان الشياطين والا فمن غفل عن الله ولو في لحظة فليس له في تلك اللحظة قرين الا الشيطان ولذلك قال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض الشاب الفارغ وهذا لان الشاب اذا تعطل عن عمل يشغل باطنه بمباح يستعين به على دينه كان ظاهره فارغا ولم يبق قلبه فارغا بل يعشش فيه الشيطان ويبيض ويفرخ ثم تزدوج افراخه ايضا وتبيض مرة اخرى وتفرخ وهكذا يتوالد نسل الشيطان توالدا اسرع من توالد سائر الحيوانات لان طبعه من النار واذا وجد الحلفاء اليابسة كثر توالده فلا تزال تتولد النار من النار ولا تنقطع البتة بل تسري شيئا فشيئا على الاتصال فالشهوة في نفس الشاب للشيطان كالحلفاء اليابسة للنار وكما لا تبقى النار اذا لم يبق لها قوت وهو الحطب فلا يبقى للشيطان مجال اذا لم يكن شهوة فاذا اذا تأملت علمت ان اعدى عدوك شهوتك وهي صفة نفسك ولذلك قال الحسين بن منصور الحلاج حين كان يصلب وقد سئل عن التصوف ما هو فقال هي نفسك ان لم تشغلها شغلتك فاذا حقيقة الصبر وكماله الصبر عن كل حركة مذمومة وحركة الباطن اولى بالصبر عن ذلك وهذا صبر دائم لا يقطعه الا الموت

بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه

بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه

اعلم ان الذي انزل الداء انزل الدواء ووعد الشفاء فالصبر وان كان شاقا او ممتنعا فتحصيله ممكن بمعجون العلم والعمل فالعلم والعمل هما الاخلاط التي منها تركب الادوية لامراض القلوب كلها ولكن يحتاج كل مرض الى علم آخر وعمل آخر وكما ان اقسام الصبر مختلفة فاقسام العلل المانعة منه مختلفة واذا اختلفت العلل اختلف العلاج اذ معنى العلاج مضادة العلة وقمعها واستيفاء ذلك مما يطول ولكنا نعرف الطريق في بعض الامثلة فنقول

اذا افتقر الى الصبر عن شهوة الوقاع مثلا وقد غلبت عليه بحيث ليس يملك معها فرجه او يملك فرجه ولكن ليس يملك عينه او يملك عينه ولكن ليس يملك قلبه ونفسه اذ لا يزال يحدثه بمقتضيات الشهوة ويصرفه ذلك عن المواظبة على الذكر والفكر والاعمال الصالحة فنقول قد قدمنا ان الصبر عبارة عن مصارعة باعث الدين مع باعث الهوى وكل متصارعين اردنا ان يغلب احدهما الآخر فلا طريق لنا فيه الا تقوية من اردنا ان تكون له اليد العليا وتضعيف الآخر فلزمنا ههنا تقوية باعث الدين وتضعيف باعث الشهوة فاما باعث الشهوة فسبيل تضعيفه ثلاثة امور احدها ان ينظر الى مادة قوتها وهي الاغذية الطيبة المحركة للشهوة من حيث نوعها ومن حيث كثرتها فلا بد من قطعها بالصوم الدائم مع الاقتصار عند الافطار على طعام قليل في نفسه ضعيف في جنسه فيحترز عن اللحم والاطعمة المهيجة للشهوة والثاني قطع اسبابه المهيجة له في الحال فانه انما يهيج بالنظر الى مظان الشهوة اذ النظر يحرك القلب والقلب يحرك الشهوة وهذا يحصل بالعزلة والاحتراز عن مظان وقوع البصر على الصور المشتهاة والفرار منها بالكلية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النظرة سهم مسموم من سهام ابليس وهو سهم يسدده الملعون ولا ترس يمنع منه الا تغميض الاجفان او الهرب من صوب رميه فانه انما يرمي هذا السهم عن قوس الصور فاذا انقلبت عن صوب الصور لم يصبك سهمه الثالث تسلية النفس بالمباح من الجنس الذي تشتهيه وذلك بالنكاح فان كل ما يشتهيه الطبع ففي المباحات من جنسه ما يغني عن المحظورات منه وهذا هو العلاج الانفع في حق الاكثر فان قطع الغذاء يضعف عن سائر الاعمال ثم قد لا يقمع الشهوة في حق اكثر الرجال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء فهذه ثلاثة اسباب فالعلاج الاول وهو قطع الطعام يضاهي قطع العلف عن البهيمة الجموح وعن الكلب الضاري ليضعف فتسقط قوته والثاني يضاهي تغييب اللحم عن الكلب وتغييب الشعير عن البهيمة حتى لا تتحرك بواطنها بسبب مشاهدتها والثالث يضاهي تسليتها بشيء قليل مما يميل اليه طبعها حتى يبقى معها من القوة ما تصبر به على التأديب واما تقوية باعث الدين فانما تكون بطريقين احدهما اطماعه في فوائد المجاهدة وثمراتها في الدين والدنيا وذلك بان يكثر فكره في الاخبار التي اوردناها في فضل الصبر وفي حسن عواقبه في الدنيا والآخرة وفي الخبر ان ثواب الصبر على المصيبة اكثر مما فات وانه بسبب ذلك مغبوط بالمصيبة اذ فاته ما لا يبقى معه الا مدة الحياة وحصل له ما يبقى بعد موته ابد الدهر ومن اسلم خسيسا في نفيس فلا ينبغي ان يحزن لفوات الخسيس في الحال وهذا من باب المعارف وهو من الايمان وتارة يضعف وتارة يقوى فان قوي قوى باعث الدين وهيجه تهييجا شديدا وان ضعف ضعفه وانما قوة الايمان يعبر عنه باليقين وهو المحرك لعزيمة الصبر واقل ما اوتي الناس اليقين وعزيمة الصبر والثاني ان يعود هذا الباعث مصارعة باعث الهوى تدريجا قليلا قليلا حتى يدرك لذة الظفر بها فيستجرئ عليها ويقوى منته في مصارعتها فان الاعتياد والممارسة للاعمال الشاقة تؤكد القوى التي تصدر منها تلك الاعمال ولذلك تزيد قوة الحمالين والفلاحين والمقاتلين وبالجملة الممارسين للاعمال الشاقة على قوة الخياطين والعطارين والفقهاء والصالحين وذلك لان قواهم لم تتأكد بالممارسة فالعلاج الاول يضاهي اطماع المصارع في الخلعة عند الغلبة ووعده بانواع الكرامة كما وعد فرعون سحرته عند اغرائه اياهم بموسى حيث قال وانكم اذا لمن المقربين والثاني يضاهي تعويد الصبي الذي يراد منه المصارعة والمقاتلة مباشرة اسباب ذلك منذ الصبا حتى يأنس به ويستجرئ عليه ويقوى فيه منته فمن ترك بالكلية المجاهدة بالصبر ضعف فيه باعث الدين ولا يقوى على الشهوة وان ضعفت ومن عود نفسه مخالفة الهوى غلبها مهما اراد فهذا منهاج العلاج في جميع انواع الصبر ولا يمكن استيفاؤه وانما اشدها كف الباطن عن حديث النفس وانما يشتد ذلك على من تفرغ له بان قمع الشهوات الظاهرة وآثر العزلة وجلس للمراقبة والذكر والفكر فان الوسواس لا يزال يجاذبه من جانب الى جانب وهذا لا علاج له البتة الا قطع العلائق كلها ظاهرا وباطنا بالفرار عن الاهل والولد والمال والجاه والرفقاء والاصدقاء ثم الاعتزال الى زاوية بعد احراز قدر يسير من القوت وبعد القناعة به ثم كل ذلك لا يكفي ما لم تصر الهموم هما واحدا وهو الله تعالى ثم اذا غلب ذلك على القلب فلا يكفي ذلك ما لم يكن له مجال في الفكر وسير بالباطن في ملكوت السموات والارض وعجائب صنع الله وسائر ابواب معرفة الله حتى اذا استولى ذلك على قلبه دفع اشتغاله به مجاذبة الشيطان ووسواسه وان لم يكن له سير بالباطن فلا ينجيه الا الاوراد المتواصلة المترتبة في كل لحظة من القراءة والاذكار والصلوات ويحتاج مع ذلك الى تكليف القلب الحضور فان الفكر في الباطن هو الذي يستغرق القلب دون الاوراد الظاهرة ثم اذا فعل ذلك كله لم يسلم له من الاوقات الا بعضها اذ لا يخلو في جميع اوقاته عن حوادث تتجدد فتشغله عن الفكر والذكر من مرض وخوف وايذاء من انسان وطغيان من مخالط اذ لا يستغني عن مخالطة من يعينه في بعض اسباب المعيشة فهذا احد انواع الشاغل واما النوع الثاني فهو ضروري اشد ضرورة من الاول وهو اشتغاله بالمطعم والملبس واسباب المعاش فان تهيئة ذلك ايضا يحوج

شغل ان تولاه بنفسه وان تولاه غيره فلا يخلو عن شغل قلب من يتولاه ولكن بعد قطع العلائق كلها يسلم له اكثر الاوقات ان لم
تهجم به ملمة وواقعة وفي تلك الاوقات يصفو القلب ويتيسر الفكر وينكشف فيه من اسرار الله في ملكوت السموات والارض ما لا يقدر على شرح
عشره في زمان طويل لو كان مشغول القلب بالعلائق والانتهاء الى هذا هو اقصى المقامات التي يمكن ان تنال بالاكتساب والاجتهاد فاما مقادير
ما ينكشف ومبالغ ما يرد من لطف الله في الاحوال والاعمال فذلك يجري مجرى الصيد وهو بحسب الرزق فقد يقل الجهد ويجل الصيد وقد
يطول الجهد ويقل الحظ والمعول وراء هذا الاجتهاد على جذبة من جذبات الرحمن فانها توازي اعمال الثقلين وليس ذلك باختيار العبد نعم
اختيار العبد في ان يتعرض لتلك الجذبة بان يقطع عن قلبه جواذب الدنيا فان المجذوب الى اسفل السافلين لا ينجذب الى اعلى عليين وكل مهموم
بالدنيا فانه منجذب اليها فقطع العلائق الجاذبة هو المراد بقوله عليه الصلاة والسلام ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها وذلك لان
تلك النفحات والجذبات لها اسباب سماوية اذ قال الله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون وهذا من اعلى انواع الرزق والامور السماوية غائبة عنا
فلا ندري متى ييسر الله اسباب الرزق فما علينا الا تفريغ المحل والانتظار لنزول الرحمة وبلوغ الكتاب اجله كالذي يصلح الارض وينقيها
من الحشيش ويبث البذر فيها وكل ذلك لا ينفعه الا بالمطر ولا يدري متى يقدر الله اسباب المطر الا انه يثق بفضل الله انه لا يخلي سنة عن مطر
فكذلك قلما تخلو سنة عن مطر وشهر ويوم عن جذبة من الجذبات ونفحة من النفحات فينبغي ان يكون العبد قد طهر القلب عن حشيش الشهوات
وبذر فيه بذر الارادة والاخلاص وعرضه لمهاب رياح الرحمة كما يقوى انتظار الامطار في اوقات الربيع وعند ظهور الغيم فيقوى
انتظار تلك النفحات في الاوقات الشريفة وعند اجتماع الهمم وتساعد القلوب كما في يوم عرفة ويوم الجمعة وايام رمضان فان الهمم والانفاس
اسباب بحكم تقدير الله تعالى لاستدرار رحمته حتى يستدر بها الامطار في اوقات الاستسقاء وهي لاستدرار امطار المكاشفات
ولطائف المعارف من خزائن الملكوت اشد مناسبة منها لاستدرار قطرات الماء واستجرار الغيوم من اقطار الجبال والبحار بل
الاحوال والمكاشفات حاضرة معك في قلبك وانما انت مشغول عنها بعلائقك وشهواتك فصار ذلك حجابا بينك وبينها
فلا تحتاج الا الى ان تكسر الشهوة وترفع الحجاب فتشرق انوار المعارف من باطن القلب واظهار ماء الارض بحفر القني اسهل واقرب
من استنزاله اليها من مكان بعيد منخفض عنها وكونه حاضرا في القلب ومنسيا بالشغل عنه سمى الله تعالى جميع معارف الايمان
تذكرا فقال وليتذكر اولوا الالباب وقال تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر فهذا هو علاج الصبر عن الوساوس
والشواغل وهو آخر درجات الصبر وانما الصبر عن العلائق كلها مقدم على الصبر عن الخواطر قال الجنيد رحمه الله المسير من الدنيا
الى الآخرة سهل على المؤمن وهجران الخلق في جنب الحق شديد والمسير من النفس الى الله صعب شديد والصبر مع الله اشد فذكر
شدة الصبر عن شواغل القلب ثم شدة هجران الخلق واشد علائق النفس علقة الخلق وحب الجاه فان لذة الرياسة والغلبة
والاستعلاء والاستتباع اغلب اللذات في الدنيا على نفوس العقلاء وكيف لا يكون اعلى اللذات ومطلوبها صفة من صفات الله تعالى
والربوبية مطلوبة ومحبوبة بالطبع للقلب لما فيه من المناسبة للامور الربوبية وعنه العبارة بقوله تعالى قل الروح من امر ربي وليس القلب مذموما على حبه ذلك وانما هو
مذموم على غلط وقع له بسبب تغرير الشيطان اللعين المبعد عن عالم الامر لحسده على ... فاضله واغواه وكيف يكون مذموما عليه وهو يطلب
سعادة الآخرة ليس يطلب الا بقاء لا فناء فيه وعزا لا ذل فيه وامنا لا خوف فيه وغنى لا فقر فيه وكمالا لا نقصان فيه وهذه كلها من اوصاف
الربوبية وليس مذموما على طلب ذلك بل حق كل عبد ان يطلب ملكا عظيما لا آخر له وطالب الملك طالب للعلو والعز والكمال لا محالة ولكن الملك
ملكان ملك مشوب بانواع الآلام وملك سريع الانصرام ولكنه عاجل وهو في الدنيا وملك مخلد دائم لا يشوبه كدر ولا الم ولا يقطعه قاطع ولكنه
آجل وقد خلق الانسان عجولا راغبا في العاجلة فجاءه الشيطان وتوسل اليه بواسطة العجلة التي هي في طبعه فاستغواه بالعاجلة وزين له الحاضرة
وتوسل اليه بواسطة الحمق فوعده بالغرور في الآخرة ومناه مع ملك الدنيا ملك الآخرة كما قال عليه الصلاة والسلام الاحمق من اتبع نفسه
هواها وتمنى على الله فانخدع المخذول بغروره واشتغل بطلب عز الدنيا وملكها على قدر امكانه ولم يتدل الموفق بحبل غروره اذ علم مكره
فاعرض عن العاجلة فعبر عن المخذول بقوله تعالى كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقال تعالى ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم
يوما ثقيلا وقال تعالى فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ولما استطار مكر الشيطان في كافة الخلق ارسل الله
الملائكة الى الرسل فاوحوا اليهم ما تم على الخلق من اهلاك العدو واغوائه فاشتغلوا بدعوة الخلق الى الملك الحقيقي عن الملك المجازي الذي لا اصل
له ان سلم ولا دوام له اصلا فنادوا فيهم يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحياة الدنيا
من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل فالتوراة والانجيل والزبور والفرقان وصحف موسى وكل كتاب منزل ما انزل الا لدعوة

الخلق الى الملك الذي لا آخر له والمراد منهم ان يكونوا ملوكا في الدنيا ملوكا في الآخرة اما ملك الدنيا فبالزهد فيها والقناعة باليسير منها واما ملك الآخرة
فبالقرب من الله تعالى بدرك بقاء لا فناء فيه وعز لا ذل فيه وقرة عين اخفيت في هذا العالم لا تعلمها نفس من النفوس والشيطان يدعوهم الى ملك
الدنيا لعلمه بان ملك الآخرة يفوت معه اذ الدنيا والآخرة ضرتان ولعلمه بان الدنيا لا تسلم له ايضا ولو كانت تسلم لكان يحسده ايضا
ولكن ملك الدنيا لا يخلو عن المنازعات والمكدرات وطول الهم في التدبيرات وكذلك سائر اسباب الجاه ثم كلما تم وتم الاسباب فيه الامر
حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس فضرب
لها مثلا فقال واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح والزهد في الدنيا لما
ان كان ملكا حاضرا حسده الشيطان عليه فصده عنه ومعنى الزهد ان يملك العبد شهوته وغضبه فينقادا الى باعث الدين واشارة الايمان
وهذا ملك بالاستحقاق اذ به يصير صاحبه حرا وباستيلاء الشهوة عليه يصير عبدا لبطنه وفرجه وسائر اغراضه فيكون مسخرا مثل البهيمة مملوكا
يجره زمام الشهوة آخذا بمخنقه الى حيث يريد ويهوى فما اعظم اغترار الانسان اذ ظن انه ينال الملك بان يصير مملوكا وينال الربوبية
بان يصير عبدا ومثل هذا هل يكون الا معكوسا في الدنيا منكوسا في الآخرة ولهذا قال بعض الملوك لبعض الزهاد هل من حاجة قال كيف اطلب
منك حاجة وملكي اعظم من ملكك فقال كيف قال من انت عبده فهو عبد لي فقال كيف ذلك فقال انت عبد شهوتك وغضبك وفرجك
وبطنك وقد ملكت هؤلاء كلهم فهم عبيد لي فهذا اذا هو الملك في الدنيا وهو الذي يسوق الى الملك في الآخرة فالمخدوعون بغرور
الشيطان خسروا الدنيا والآخرة جميعا والذين وفقوا للاستقامة على الصراط المستقيم فازوا بالدنيا والآخرة جميعا **فاذا عرفت**
الآن معنى الملك والربوبية ومعنى التسخير والعبودية ومدخل الغلط في ذلك وكيفية تعمية الشيطان وتلبيسه فيسهل عليك النزوع عن الملك والجاه
والاعراض عنه والصبر عند فوته اذ يصير بتركه ملكا في الحال ويرجو به ملكا في الآخرة ومن كوشف بهذه الامور بعد ان الف الجاه وانس به ورسخ فيه
بالعادة ومباشرة اسبابه فلا يكفيه في العلاج مجرد العلم والكشف بل لا بد وان يضيف اليه العمل وعمله في ثلاثة امور احدها الهرب عن
موضع الجاه كي لا يشاهد اسبابه فيعسر عليه الصبر مع الاسباب كما يهرب من غلبته الشهوة عن مشاهدة الصور المحركة ومن لم يفعل هذا فقد
كفر نعمة الله تعالى في سعة الارض اذ قال الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها **الثاني** ان يكلف نفسه في اعماله افعالا تخالف
ما اعتاده فيبدل التكلف بالتبذل وزي الحشمة بزي التواضع وكذلك كل هيئة وحال وفعل في مسكن وملبس ومطعم وقيام وقعود كان يعتاده
وفاء بمقتضى جاهه فينبغي ان يبدلها بنقائضها حتى يترسخ باعتياد ذلك الاضداد ما ترسخ فيه من قبل باعتياد ضده فلا معنى للمعالجة الا المضادة
الثالث ان يراعي في ذلك التلطف والتدريج فلا ينتقل دفعة واحدة الى الطرف الاقصى من التبذل فان الطبع نفور ولا يمكن نقله عن اخلاقه الا
بالتدريج فيترك البعض ويسلي نفسه بالبعض ثم اذا قنعت نفسه بذلك البعض ابتدأ بترك البعض من ذلك البعض الى ان يقنع بالبقية وهكذا
يفعل شيئا فشيئا الى ان تنقمع تلك الصفات التي رسخت فيه والى هذا التدريج الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض
الى نفسك عبادة الله تعالى فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى واليه الاشارة بقوله عليه السلام لا تشادوا هذا الدين فانه من يشاده يغلبه
فاذا ما ذكرناه من علاج الصبر عن الوسواس وعن الشهوة وعن الجاه اضيف الى ما ذكرناه من قوانين طرق المجاهدة في كتاب رياضة النفس من ربع
المهلكات والحزم دستور المتعرف به علاج الصبر في جميع الاقسام التي فصلناها من قبل فان تفصيل الآحاد يطول ومن راعى التدريج ترقى به
الصبر الى حالة يشق عليه الصبر عما كان يشق عليه الصبر معه فتنعكس اموره فيصير ما كان محبوبا عنده ممقوتا وما كان مكروها عنده مشربا
هنيا لا يصبر عنه وهذا لا يعرف الا بالتجربة والذوق وله نظير في العادات فان الصبي يحمل على التعلم في الابتداء قهرا فيشق عليه الصبر عن اللعب
والصبر مع العلم حتى اذا انفتحت بصيرته وانس بالعلم انقلب الامر فصار يشق عليه الصبر عن العلم والصبر على اللعب والى هذا يشير
ما حكي عن بعض العارفين انه سئل الشبلي عن الصبر انه اشد فقال الصبر في الله فقال لا فقال الصبر لله فقال لا قال الصبر مع الله قال لا
قال فأيش قال الصبر عن الله فصرخ الشبلي صرخة كادت روحه تتلف **وقد قيل** في معنى قوله تعالى اصبروا وصابروا ورابطوا
اصبروا في الله وصابروا بالله ورابطوا مع الله **وقيل** الصبر لله غنى والصبر بالله بقاء والصبر مع الله وفاء والصبر عن الله
جفاء **وقد قيل في معناه**
والصبر عنك فمذموم عواقبه ۝ والصبر في سائر الاشياء محمود ۝ **وقيل ايضا**
الصبر يجمل في المواطن كلها ۝ الا عليك فانه لا يجمل ۝ هذا آخر ما اردنا شرحه من علوم الصبر واسراره

الشطر الثاني من الكتاب في الشكر

ولذلك ثلاثة اركان ۝ الركن الاول في فضيلة الشكر وحقيقته
واقسامه واحكامه ۝ الركن الثاني في حقيقة النعمة واقسامها الخاصة والعامة ۝ الركن الثالث في بيان الافضل من الصبر

والشكر • الركن الأول في الشكر

بيان فضيلة الشكر

اعلم أن الله تعالى قرن الشكر بالذكر في كتابه مع أنه قال ولذكر الله أكبر فقال تعالى فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون • وقال تعالى ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم • وقال تعالى وسنجزي الشاكرين • وقال تعالى وسنجزي الشاكرين • وقال تعالى إخبارا عن إبليس اللعين لأقعدن لهم صراطك المستقيم قيل هو طريق الشكر ولعلو رتبة الشكر طعن اللعين في الخلق فقال ولا تجد أكثرهم شاكرين • وقال تعالى وقليل من عبادي الشكور • وقد قطع الله بالمزيد مع الشكر ولم يستثن فقال لئن شكرتم لأزيدنكم واستثنى في خمسة في الإغناء والإجابة والرزق والمغفرة والتوبة • فقال تعالى فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء • وقال فيكشف ما تدعون إليه إن شاء • وقال يرزق من يشاء • ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء • وقال ويتوب الله على من يشاء • وهو خلق من أخلاق الربوبية إذ قال تعالى والله شكور حليم • وقد جعل الله الشكر مفتاح كلام أهل الجنة فقال الحمد لله الذي صدقنا وعده وقال وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين

وأما الأخبار

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر • وروي عن عطاء أنه قال دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت أخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت وأي شأنه لم يكن عجبا أتاني ليلة فدخل معي في فراشي أو قالت في لحافي حتى مس جلده جلدي ثم قال يا ابنة أبي بكر ذريني أتعبد لربي قالت قلت إني أحب قربك فأذنت له فقام إلى قربة ماء فتوضأ فلم يكثر صب الماء ثم قام يصلي فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فآذنه بالصلاة فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا ولم لا أفعل وقد أنزل الله علي إن في خلق السموات والأرض الآية • وهذا يدل على أن البكاء ينبغي أن لا ينقطع وإلى هذا السر يشير ما روي أنه مر بعض الأنبياء بحجر صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب منه فأنطقه الله تعالى فقال منذ سمعت قول الله تعالى وقودها الناس والحجارة فأنا أبكي من خوفه فسأل الله أن يجيره من النار فأجاره ثم رآه بعد مدة على مثل ذلك فقال لم تبكي الآن فقال ذاك بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور • وقلب العبد كالحجارة أو أشد قسوة ولا تزول قسوته إلا بالبكاء في حال الخوف والشكر جميعا • وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ينادى يوم القيامة ليقم الحمادون فيقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة قيل ومن الحمادون قال الذين يشكرون الله على كل حال وفي لفظ آخر الذين يشكرون الله على السراء والضراء • وقال صلى الله عليه وسلم الحمد رداء الرحمن • وأوحى الله إلى أيوب عليه السلام إني رضيت بالشكر مكافأة من أوليائي في كلام طويل • وأوحى الله تعالى أيضا في صفة الصابرين أن دارهم دار السلام إذا دخلوها ألهمتهم الشكر وهو خير الكلام وعند الشكر أستزيدهم وبالنظر إلي أزيدهم • ولما نزل في الكنوز ما نزل قال عمر رضي الله عنه أي المال نتخذ فقال عليه السلام ليتخذ أحدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا فأمر باقتناء القلب الشاكر بدلا عن المال • وقال ابن مسعود رضي الله عنه الشكر نصف الإيمان

بيان حد الشكر وحقيقته

اعلم أن الشكر من جملة مقامات السالكين وهو أيضا ينتظم من علم وحال وعمل فالعلم هو الأصل فيورث الحال والحال يورث العمل فأما العلم فهو معرفة النعمة من المنعم والحال هو الفرح الحاصل بإنعامه والعمل هو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه ويتعلق ذلك العمل بالقلب وبالجوارح وباللسان ولا بد من بيان جميع ذلك ليحصل بمجموعه الإحاطة بحقيقة الشكر فإن كل ما قيل في حد الشكر قاصر عن الإحاطة بكمال معانيه

فالأصل الأول العلم وهو العلم بثلاثة أمور بعين النعمة ووجه كونها نعمة في حقه وبذات المنعم ووجود صفاته التي بها يتم الإنعام ويصدر الإنعام منه عليه فإنه لا بد من نعمة ومنعم ومنعم عليه تصل إليه النعمة من المنعم بقصد وإرادة فهذه الأمور لا بد من معرفتها هذا في حق غير الله فأما في حق الله فلا يتم إلا بأن يعرف أن النعم كلها من الله وهو المنعم والوسائط مسخرون من جهته وهذه المعرفة وراء التقديس والتوحيد إذ دخل التقديس والتوحيد فيها بل الرتبة الأولى في معارف الإيمان التقديس ثم إذا عرف ذاتا مقدسة فيعرف أنه لا مقدس إلا واحد وما عداه غير مقدس وهو التوحيد ثم يعلم أن كل ما في العالم فهو موجود من ذلك الواحد فقط فالكل نعمة منه فتقع هذه المعرفة في الرتبة الثالثة إذ ينطوي فيها مع التقديس والتوحيد كمال القدرة والانفراد بالفعل وعن هذا عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال من قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا إله إلا الله فله عشرون ومن قال الحمد لله فله ثلاثون حسنة وقال عليه السلام أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله وقال ليس شيء من الأذكار يضاعف ما يضاعف الحمد ولا تظنن أن هذه الحسنات بإزاء تحريك اللسان بهذه الكلمات من غير حصول معانيها في القلب فسبحان الله كلمة تدل على التقديس ولا إله إلا الله كلمة تدل على التوحيد والحمد لله تدل على معرفة النعمة من الواحد الحق فالحسنات بإزاء هذه المعارف التي هي من أبواب الإيمان واليقين واعلم أن تمام هذه المعرفة ينفي الشرك في الأفعال فمن أنعم عليه ملك من الملوك بشيء فإن رأى لوزيره أو وكيله دخلا في إيصال ذلك إليه فهو إشراك به في النعمة فلا يرى النعمة من الملك من كل وجه بل منه من وجه ومن غيره من وجه فيتوزع عليهما فرحه فلا يكون موحدا في حق الملك نعم لا يقصر من توحيده في حق الملك وكمال شكره أن يرى النعمة واصلة إليه بتوقيعه الذي كتبه بقلمه وبالكاغد الذي كتبه عليه فإنه لا يفرح بالقلم والكاغد ولا يشكرهما لأنه لا يعتقد لهما دخلا من حيث هما موجودان بل من حيث هما مسخران تحت قدرة الملك وقد يعلم أن الوكيل الموصل والخازن أيضا مضطران من جهة الملك في الإيصال وأنه لو رد الأمر إليهما ولم يكن

من جهة الملك إرهاق وأمر جزم يخاف عاقبته لما سلم فإذا عرف ذلك كان نظره إلى الخازن الموصل كنظره إلى القلم والكاغد فلا يورث ذلك شركا في توحيده من إضافة النعمة إلى الملك فكذلك من عرف الله تعالى وعرف أفعاله علم أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره كالقلم في يد الكاتب وأن الحيوانات التي لها اختيار مسخرات في نفس اختيارها فإن الله هو المسلط للدواعي عليها لتفعل شاءت أم أبت كالخازن المضطر الذي لا يجد سبيلا إلى مخالفة الملك ولو خلي ونفسه لما أعطاك ذرة مما في يده فكل من وصل إليك نعمة من الله تعالى على يده فهو مضطر إذ سلط الله عليه الإرادة وهيج عليه الدواعي وألقى في قلبه أن خيره في الدنيا والآخرة في أن يعطيك ما أعطاك وأن غرضه المقصود عنده في الحال والمآل لا يحصل إلا به وبعد أن خلق الله له هذا الاعتقاد لا يجد سبيلا إلى تركه فهو إذا إنما يعطيك لغرض نفسه لا لغرضك ولو لم يكن غرضه في العطاء لما أعطاك ولو لم يعلم أن منفعته في منفعتك لما نفعك فهو إذا إنما يطلب نفع نفسه بنفعك فليس منعما عليك بل اتخذك وسيلة إلى نعمة أخرى هو يرجوها وإنما الذي أنعم عليك هو الذي سخر لك وألقى في قلبه من الاعتقادات والإرادات ما صار به مضطرا إلى الإيصال إليك فإن عرفت الأمور كذلك فقد عرفت الله وعرفت فعله وكنت موحدا وقدرت على شكره بل كنت بهذه المعرفة بمجردها شاكرا ولذلك قال موسى صلى الله عليه وسلم في مناجاته إلهي خلقت آدم بيدك وفعلت وفعلت فكيف شكرك فقال الله تعالى علم أن ذلك مني فكانت معرفته شكرا فإذا لا تشكر إلا بأن تعرف أن الكل منه فإن خالجك ريب في هذا لم تكن عارفا لا بالنعمة ولا بالمنعم فلا تفرح بالمنعم وحده بل بغيره فبنقصان معرفتك ينقص حالك في الفرح وبنقصان فرحك ينقص عملك فهذا بيان هذا الأصل

الأصل الثاني

الحال المستمدة من أصل المعرفة وهو الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والتواضع وهو أيضا في نفسه شكر ولكن إنما يكون شكرا إذا كان جامعا شروطه وشرطه أن يكون فرحك بالمنعم لا بالنعمة ولا بالإنعام ولعل هذا مما يتعذر عليك فهمه فنضرب لك مثلا فنقول الملك الذي يريد الخروج إلى سفر فأنعم بفرس على إنسان يتصور أن يفرح المنعم عليه بالفرس من ثلاثة أوجه

أحدها أن يفرح بالفرس من حيث إنه فرس وأنه مال ينتفع به ومركوب يوافق غرضه وأنه جواد نفيس وهذا فرح من لا حظ له في الملك بل غرضه الفرس فقط ولو وجده في صحراء فأخذه لكان فرحه مثل ذلك

الوجه الثاني أن يفرح لا من حيث إنه فرس بل من حيث يستدل به على عنايته به واهتمامه بجانبه حتى لو وجد هذا الفرس في صحراء وأعطاه غير الملك لكان لا يفرح به أصلا لاستغنائه عن الفرس أصلا أو استحقاره له بالإضافة إلى مطلوبه من نيل المحل في قلب الملك

الوجه الثالث أن يفرح به ليركبه ويخرج في خدمة الملك ويتحمل مشقة السفر لينال بخدمته رتبة القرب منه وربما يرتقي إلى درجة الوزارة من حيث إنه ليس يقنع بأن يكون محله في قلب الملك أن يعطيه فرسا ويعتني به هذا القدر من العناية بل هو طالب لأن لا ينعم الملك بشيء من ماله على أحد إلا بواسطته ثم إنه ليس يريد من الوزارة الوزارة أيضا بل مشاهدة الملك والقرب منه حتى لو خير بين القرب دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب لاختار القرب فهذه ثلاث درجات فالأولى لا يدخل فيها معنى الشكر أصلا لأن نظر صاحبها مقصور على الفرس ففرحه بالفرس لا بالمعطي وهذا حال كل من فرح بنعمة من حيث إنها لذيذة وموافقة لغرضه فهو بعيد عن معنى الشكر والثاني داخل في معنى الشكر من حيث إنه فرح بالمنعم ولكن لا من حيث ذاته بل من حيث معرفة عنايته التي تستحثه على الإنعام في المستقبل وهذا حال الصالحين الذين يعبدون الله ويشكرونه خوفا من عقابه ورجاء لثوابه وإنما الشكر التام في الفرح الثالث وهو أن يكون فرح العبد بنعمة الله من حيث إنه يقدر بها على التوصل إلى القرب منه والنزول في جواره والنظر إلى وجهه على الدوام فهذا هو الرتبة العليا وأمارتها أن لا يفرح من الدنيا إلا بما هو مزرعة للآخرة ويعينه عليها ويحزن بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله وتصده عن سبيله لأنه ليس يريد النعمة لأنها لذيذة كما لم يرد صاحب الفرس الفرس لأنه جواد ومهملج بل من حيث إنه يحمله في صحبة الملك حتى تدوم مشاهدته له وقربه منه ولذلك قال الشبلي رحمه الله الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة وقال الخواص شكر العامة على المطعم والملبس وشكر الخاصة على واردات القلوب وهذه رتبة لا يدركها كل من انحصرت عنده اللذات في البطن والفرج ومدركات الحواس من الألوان والأصوات وخلا عن لذة القلب فإن القلب لا يلتذ في الصحة إلا بذكر الله ومعرفته ولقائه وإنما يلتذ بغيره إذا مرض بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس بأكل الطين وكما يستبشع بعض المرضى الأشياء الحلوة ويستحلي الأشياء المرة حتى قيل

فإذا هذا شرط الفرح بنعمة الله تعالى فإن لم تكن أهلا لهذا فالدرجة الثانية أما الأولى فبمعزل عن الحساب فكم من فرق بين من يريد الملك للفرس وبين من يريد الفرس للملك وكم من فرق بين من يريد الله لينعم عليه وبين من يريد نعم الله ليصل بها إليه

الأصل الثالث

العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة المنعم وهذا العمل يتعلق بالقلب وباللسان وبالجوارح أما بالقلب فقصد الخير وإضماره لكافة الخلق وأما باللسان فإظهار الشكر لله بالتحميدات الدالة عليه وأما بالجوارح فاستعمال نعم الله في طاعته والتوقي من الاستعانة بها على معصيته حتى إن شكر العينين أن يستر كل عيب يراه لمسلم وشكر الأذنين أن يستر كل عيب يسمعه فيدخل

في هذا جملة شكر نعمة هذه الأعضاء والشكر باللسان لإظهار الرضا عن الله تعالى وهو مأمور به وقد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا كيف أصبحت فقال بخير فأعاد السؤال فأعاد حتى قال في الثالثة بخير أحمد الله وأشكره فقال هذا الذي أردت منك وكان السلف يتساءلون ونيتهم استخراج الشكر لله ليكون الشاكر مطيعا والمستنطق له به مطيعا وما كان قصدهم الرياء بإظهار الشوق وكل عبد سئل عن حال فهو بين أن يشكر أو يشكو أو يسكت فالشكر طاعة والشكوى معصية قبيحة من أهل الدين وكيف لا تقبح الشكوى من ملك الملوك وبيده كل شيء إلى عبد مملوك لا يقدر على شيء فالأحرى بالعبد إن لم يحسن الصبر على البلاء والقضاء وأفضى به الضعف إلى الشكوى أن تكون شكواه إلى الله تعالى فهو المبلي وهو القادر على إزالة البلاء وذل العبد لمولاه عز والشكوى إلى غيره ذل وإظهار الذل للعبيد مع كونه عبدا مثله ذل قبيح قال الله تعالى إن الذين تدعون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق وقال تعالى إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فالشكر باللسان من جملة الشكر وقد روي أن وفدا قدموا على عمر بن عبد العزيز فقام شاب ليتكلم فقال عمر الكبر الكبر فقال يا أمير المؤمنين لو كان الأمر بالسن لكان في المسلمين من هو أسن منك فقال تكلم فقال لسنا وفد الرغبة ولا وفد الرهبة أما الرغبة فقد أوصلها إلينا فضلك وأما الرهبة فقد آمننا منها عدلك وإنما نحن وفد الشكر جئناك نشكرك باللسان وننصرف فهذه هي أصول معاني الشكر المحيط بمجموع حقيقته فأما قول من قال إن الشكر هو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع فنظر إلى فعل اللسان مع بعض أحوال القلب وقول من قال إن الشكر هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه نظر إلى مجرد قول اللسان وقول القائل إن الشكر هو اعتكاف على بساط الشهود بإدامة حفظ الحرمة جامع لأكثر معاني الشكر لا يشذ عنه إلا عمل اللسان وقول حمدون القصار شكر النعمة أن ترى نفسك فيه طفيليا إشارة إلى معنى المعرفة من معاني الشكر فقط وقول الجنيد الشكر أن لا ترى نفسك أهلا للنعمة إشارة إلى حال من أحوال القلب على الخصوص وهؤلاء أقوالهم تعرب عن أحوالهم ولذلك تختلف أجوبتهم ولا تتفق ثم قد تختلف جواب كل واحد في حالين لأنهم لا يتكلمون إلا عن حالتهم الراهنة الغالبة عليهم اشتغالا بما يهمهم عما لا يهمهم أو يتكلمون بما يرونه لائقا بحال السائل اقتصارا على ذكر القدر الذي يحتاج إليه وإعراضا عما لا يحتاج إليه فلا ينبغي أن يظن أن ما ذكرناه طعن عليهم وأنه لو عرض عليهم مجامع المعاني التي شرحناها كانوا ينكرونها بل لا يظن ذلك بعاقل أصلا وأما أن تعرض منازعة من حيث اللفظ في أن اسم الشكر في وضع اللسان هل يشمل جميع المعاني أم يتناول بعضها مقصودا وبقية المعاني تكون من توابعها ولوازمها فلسنا في هذا الكتاب نقصد شرح موضوعات اللغات فليس لذلك من علم طريق الآخرة في شيء

بيان طريق كشف الغطاء عن الشكر في حق الله تعالى

لعلك يخطر ببالك أن الشكر إنما يعقل في حق منعم هو صاحب حظ في الشكر فإنا نشكر الملوك إما بالثناء ليزيد محلهم في القلوب ويظهر كرمهم عند الناس فيزيد به صيتهم وجاههم أو بالخدمة التي هي إعانة لهم على بعض أغراضهم أو بالمثول بين أيديهم في صورة الخدم وذلك تكثير لسوادهم وسبب لزيادة جاههم فلا يكون شكرهم إلا بنوع من ذلك وهذا محال في حق الله تعالى من وجهين أحدهما أن الله تعالى منزه عن الحظوظ والأغراض مقدس عن الحاجة إلى الخدمة والإعانة وعن نشر الجاه والحشمة بالثناء والإطراء وعن تكثير سواد الخدم بالمثول بين يديه ركعا أو سجدا فشكرنا إياه بما لا حظ له فيه يضاهي شكرنا الملك المنعم علينا بأن ننام في بيوتنا أو نسجد أو نركع إذ لا حظ للملك فيه ولا حظ لله تعالى في أفعالنا كلها والوجه الثاني أن جميع ما نتعاطاه باختيارنا نعمة أخرى من نعم الله تعالى إذ جوارحنا وقدرتنا وإرادتنا وداعيتنا وسائر الأمور التي هي أسباب حركتنا ونفس حركتنا من خلق الله تعالى ونعمته فكيف نشكر نعمة بنعمة ولو أعطانا الملك مركوبا فأخذنا مركوبا آخر له وركبناه أو أعطانا مركوبا آخر لم يكن الثاني شكرا للأول منا بل كان الثاني يحتاج إلى شكر كما يحتاج الأول ثم لا يمكن شكر النعمة إلا بنعمة أخرى فيؤدي إلى أن يكون الشكر محالا في حق الله تعالى من هذين الوجهين ولسنا نشك في الأمرين جميعا والشرع قد ورد به فكيف السبيل إلى الجمع فاعلم أن هذا الخاطر قد خطر لداود وكذلك لموسى عليه السلام فقال يا رب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع أن أشكرك إلا بنعمة ثانية من نعمك وفي لفظ آخر وشكري لك نعمة أخرى منك توجب علي الشكر لك فأوحى الله إليه إذا عرفت هذا فقد شكرتني وفي خبر آخر إذا عرفت أن النعم مني رضيت منك بذلك شكرا **فإن قلت** فقد فهمت السؤال وفهمي قاصر عن درك معنى ما أوحي إليه فإني أعلم استحالة الشكر لله فأما كون العلم باستحالة الشكر شكرا فلا أفهمه فإن هذا العلم أيضا نعمة منه فكيف صار شكرا وكأن الحاصل يرجع إلى أن من لم يشكر فقد شكر وإن قبول الخلعة الثانية من الملك شكر للخلعة الأولى والفهم قاصر عن درك السر فيه فإن أمكن تعريف ذلك بمثال فهو مهم في نفسه فاعلم أن هذا قرع باب من المعارف وهي أعلى من علوم المعاملة ولكنا نشير منها إلى ملامح فنقول ههنا نظران نظر بعين التوحيد المحض وهذا النظر يعرفك قطعا أنه الشاكر وأنه المشكور وأنه المحب وأنه المحبوب وهذا نظر من عرف أنه ليس في الوجود غيره وأن كل شيء هالك إلا وجهه وأن ذلك صدق في كل حال أزلا وأبدا لأن الغير هو الذي يتصور أن يكون له بنفسه قوام ومثل هذا الغير لا وجود له بل هو محال أن يوجد إذ الموجود المحقق

الحق هو القائم بنفسه وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود لغيره فإن اعتبر ذاته ولم يلتفت إلى غيره لم يكن له وجود البتة وإنما الموجود هو القائم بنفسه وهو الذي لو قدر عدم غيره بقي موجودا فإن كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو قيوم ولا قيوم إلا واحد ولا يتصور أن يكون غير ذلك فإذن ليس في الوجود غير الحي القيوم وهو الواحد الصمد فإن نظرت في هذا المقام علمت أن الكل منه مصدره وإليه مرجعه فهو الشاكر وهو المشكور وهو المحب وهو المحبوب ومن ههنا نظر حبيب ابن أبي حبيب حيث قرأ قوله تعالى إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب فقال واعجباه أعطى وأثنى أشار إلى أنه إذا أثنى على إعطائه فعلى نفسه أثنى فهو المثني وهو المثنى عليه ومن ههنا نظر الشيخ أبو سعيد الميهني حيث قرئ بين يديه يحبهم ويحبونه فقال لعمري يحبهم وبحق يحبهم فإنه إنما يحب نفسه إشارة إلى أنه المحب وأنه المحبوب وهذه رتبة عالية لا تفهمها إلا بمثال على حد عقلك ولا يخفى أن المصنف إذا أحب تصنيفه فقد أحب نفسه والصانع إذا أحب صنعته فقد أحب نفسه والوالد إذا أحب ولده من حيث إنه ولده فقد أحب نفسه وكل ما في الوجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله وصنعته فإن أحبه فما أحب إلا نفسه وإذا لم يحب إلا نفسه فبحق أحب ما أحب وهذا كله نظر بعين التوحيد ويعبر الصوفية عن هذه الحالة بفناء النفس أي فني عن نفسه وعن غير الله تعالى فمن لا يفهم هذا ينكر عليهم ويقول كيف فني وطول ظله أربع أذرع ولعله يأكل كل يوم أرطالا من الخبز فيضحك الجهال بجهلهم من معاني كلامهم وضرورة العارفين أن يكونوا ضحكة للجاهلين وإليه الإشارة بقوله تعالى إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فاكهين وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون وما أرسلوا عليهم حافظين ثم بين أن ضحك العارفين عليهم أعظم إذ قال تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون وكذلك قال نوح كانوا يضحكون عليه عند اشتغاله بعمل السفينة فقال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون فهذا أحد النظرين **النظر الثاني** نظر من لم يبلغ إلى مقام الفناء عن نفسه وهؤلاء قسمان قسم لم يثبتوا إلا وجود أنفسهم وأنكروا أن يكون لهم رب يعبد وهؤلاء هم العميان المنكوسون وعماهم في كلتا العينين لأنهم نفوا ما هو الثابت تحقيقا وهو القيوم الذي هو قائم بنفسه وقائم على كل نفس بما كسبت وكل قائم فقائم به ولم يقتصروا على هذا حتى أثبتوا أنفسهم ولو عرفوه لعلموا أنهم من حيث هم هم لا ثبات لهم ولا وجود لهم وإنما وجودهم من حيث أوجدوا لا من حيث وجدوا وفرق بين الموجود وبين الموجد وليس في الوجود إلا موجود واحد وموجد فالموجود حق والموجد باطل من حيث هو والموجود قائم وقيوم والموجد هالك وفان وإذا كان كل من عليها فان فلا يبقى إلا وجه ربك ذو الجلال والإكرام **الفريق الثاني** ليس بهم عمى ولكن بهم عور لأنهم يبصرون بإحدى العينين وجود الموجود الحق فلا ينكرونه والعين الأخرى إن تم عماها لم يبصر بها فناء غير الموجود الحق فأثبت موجودا آخر مع الله تعالى وهذا مشرك تحقيقا كما كان الذي قبله جاحدا تحقيقا فإن جاوز حد العمى إلى العمش أدرك تفاوتا بين الموجودين فأثبت عبدا وربا فبهذا القدر من إثبات التفاوت والنقص في الموجود الآخر دخل في حد التوحيد ثم إن كحل بصره بما يزيد في أنواره فيقل عمشه وبقدر ما يزيد في بصره يظهر له من نقصان ما أثبته سوى الله فإن بقي في سلوكه كذلك فلا يزال يفضي به النقصان إلى المحو فينمحي عن رؤيته ما سوى الله فلا يرى إلا الله فيكون قد بلغ كمال التوحيد وحيث أدرك نقصان وجود ما سوى الله دخل في أوائل التوحيد وبينهما درجات لا تحصى فبها تتفاوت درجات الموحدين وكتب الله المنزلة على ألسنة رسله هي الكحل الذي يحصل به أنوار الأبصار والأنبياء هم الكحالون وقد جاءوا داعين إلى التوحيد المحض وترجمته قول لا إله إلا الله ومعناه أن لا يرى إلا الواحد الحق والواصلون إلى كمال التوحيد هم الأقلون والجاحدون والمشركون أيضا قليلون وهم على الطرف الأقصى المقابل لطرف التوحيد إذ عبدة الأوثان قالوا إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى فكانوا داخلين في أوائل أبواب التوحيد دخولا ضعيفا والمتوسطون هم الأكثرون وفيهم من تنفتح بصيرته في بعض الأحوال فتلوح له حقائق التوحيد ولكن كالبرق الخاطف لا يثبت وفيهم من يلوح له ذلك ويثبت زمانا ما ولكن لا يدوم والدوام فيه عزيز

لكل إلى شأو العلى حركات ... ولكن عزيز في الرجال ثبات

ولما أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بطلب القرب فقيل له واسجد واقترب قال في سجوده أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك فقوله أعوذ بعفوك من عقابك كلام عن مشاهدة فعل الله فقط فكأنه لم ير إلا الله وأفعاله فاستعاذ بفعله من فعله ثم اقترب ففني عن مشاهدة الأفعال وترقى إلى مصادر الأفعال وهي الصفات فقال أعوذ برضاك من سخطك وهما صفتان ثم رأى ذلك نقصانا في التوحيد فاقترب ورقي من مقام مشاهدة الصفات إلى مشاهدة الذات فقال أعوذ بك منك وهذا فرار منه إليه من غير رؤية فعل وصفة ولكنه رأى نفسه فارا منه إليه ومستعيذا ومثنيا

نعم عن مشاهدة نفسه اذ رأى ذلك نقصانا واقترب فقال انت كما اثنيت على نفسك لا احصي ثناء عليك فقوله لا احصي خبر عن فناء نفسه
وخروجه عن مشاهدتها وقوله انت كما اثنيت على نفسك بيان انه المثني والمثنى عليه وان الكل منه بدأ واليه يعود وان كل شيء هالك الا وجهه فكان
اول مقامه نهاية مقامات الموحدين وهو ان لا يرى الا الله وافعاله فيستعيذ بفعل من فعل وانظر الى ما ذا انتهت نهايته
اذ انتهى الى الواحد الحق حتى ارتفع من نظره ومشاهدته سوى الذات الحق ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرقى من رتبة الى
اخرى الا ويرى الاولى بعدا بالاضافة الى الثانية فكان يستغفر الله من الاولى ويرى ذلك نقصا في سلوكه وتقصيرا في مقامه واليه الاشارة
بقوله عليه السلام انه ليغان على قلبي حتى استغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة فكان ذلك لترقيه الى سبعين مقاما بعضها بعد البعض واولها
وان كان مجاوزا اقصى غايات الخلق ولكن كان نقصانا بالاضافة الى اخرها فكان استغفاره لذلك ولما قالت عائشة رضي الله عنها قد غفر الله لك
ما تقدم من ذنبك وما تأخر فما هذا البكاء في السجود وما هذا الجهد الشديد قال أفلا اكون عبدا شكورا معناه افلا اكون طالبا للمزيد في
المقامات فان الشكر سبب الزيادة حيث قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم واذ تغلغلنا في بحار المكاشفة فلنقبض العنان ولنرجع
الى ما يليق بعلوم المعاملة فنقول الانبياء بعثوا لدعوة الخلق الى كمال التوحيد الذي وصفناه ولكن بينهم وبين الوصول اليه مسافة
بعيدة وعقبات شديدة وانما الشرع كله تعريف طريق سلوك تلك المسافة وقطع تلك العقبات وعند ذلك يكون النظر عن مشاهدة
اخرى ومقام اخر فيظهر في ذلك المقام وبالاضافة الى الاول مشاهدة الشكر والشاكر والمشكور ولا نعرف ذلك الا بمثال فاقول يمكنك ان تفهم
ان ملكا من الملوك ارسل الى عبد قد بعد منه مركوبا وملبوسا ونقدا لاجل زاده في الطريق حتى يقطع به مسافة البعد ويقرب من حضرة الملك فيكون
له حالتان احداهما ان يكون قصده من وصول العبد الى حضرته ان يقوم ببعض مهماته ويكون له عناية في خدمته والثانية ان لا يكون للملك
حظ في العبد ولا حاجة به اليه بل حضوره لا يزيد في ملكه لانه لا يقوى على القيام بخدمة يغني فيها بالمركوب والزاد الا ليحظى العبد بالقرب منه ويفوز بسعادة حضرته
لينتفع هو في نفسه لا لينتفع الملك به وبانتفاعه فمنزلة العباد من الله تعالى في المنزلة الثانية لا في المنزلة الاولى فان الاولى محال على الله تعالى والثانية
غير محال ثم اعلم ان العبد لا يكون شاكرا في الحالة الاولى بمجرد الركوب والوصول الى حضرته ما لم يقم بخدمته التي ارادها الملك منه واما في الحالة
الثانية فلا يحتاج الى الخدمة اصلا ومع ذلك يتصور ان يكون شاكرا وكافرا ويكون شكره بان يستعمل ما انفذه اليه مولاه فيما احبه لاجله لا لاجل نفسه
وكفره ان لا يستعمل في ذلك بان يعطله او يستعمل فيما يزيد في بعده منه فمهما لبس العبد الثوب وركب المركوب ولم يسلك الا في الطريق فقد
شكر مولاه اذا استعمل نعمته في محبته اي فيما احبه لعبده لا لنفسه وان ركب واستدبر حضرته واخذ يبعد منه فقد كفر نعمته اي استعملها
فيما كرهه مولاه لعبده لا لنفسه وان جلس ولم يركب لا في طلب القرب ولا في طلب البعد فقد كفر ايضا نعمته اذ اهملها وعطلها وان كان هذا
دون ما لو تباعد منه فكذلك خلق الله سبحانه الخلق وهم في ابتداء فطرتهم يحتاجون الى استعمال الشهوات ليكمل بها ابدانهم فيبعدون بها عن حضرته وانما
سعادتهم في القرب منها فاعد لهم من النعم ما يقدرون على استعماله في نيل درجة القرب وعن بعدهم وقربهم عبر الله تعالى اذ قال لقد خلقنا الانسان
في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الآية فاذا نعم الله تعالى آلات يترقى العبد بها عن اسفل السافلين خلقها الله تعالى لاجل العبد حتى ينال بها سعادة
القرب والله تعالى غني عنه قرب العبد او بعد والعبد فيه بين ان يستعملها في الطاعة فيكون قد شكر لموافقته محبة مولاه وبين ان يستعملها في معصيته
فقد كفر لاقتحامه لما يكرهه مولاه ولا يرضاه له فان الله لا يرضى لعباده الكفر والمعصية وان عطلها ولم يستعملها في طاعة ولا معصية فهو ايضا كفران
للنعمة بالتضييع وكل ما خلق في الدنيا انما خلق آلة للعبد ليتوصل به الى سعادة الاخرة ونيل القرب من الله تعالى فكل مطيع فهو بقدر طاعته شاكر لنعم الله تعالى
في الاسباب التي استعملها في الطاعة وكل كسلان عن الاستعمال او عاص استعملها في طريق البعد فهو كافر جار في غير محبة الله فالمعصية والطاعة
تشملها المشيئة ولكن لا تشملها المحبة والكراهة بل رب مراد محبوب ورب مراد مكروه ووراء بيان هذه الدقيقة سر القدر الذي منع من
افشائه وقد انحل بهذا الاشكال الاول وهو انه اذا لم يكن للمشكور حظ فكيف يكون الشكر وبهذا ايضا ينحل الثاني فانا لم نعن بالشكر الا انصراف
نعمة الله الى جهة محبة الله فاذا انصرفت النعمة الى جهة المحبة بفعل الله فقد حصل المراد وفعلك عطاء من الله تعالى ومن حيث انك محل فقد اثنى عليك
وثناؤه نعمة اخرى منه اليك فهو الذي اعطى وهو الذي اثنى وصار احد فعليه سببا لانصراف فعله الثاني الى جهة محبته فله الشكر على كل حال وانت
موصوف بانك الشاكر بمعنى انك محل المعنى الذي الشكر عبارة عنه لا بمعنى انك موجد له كما انك موصوف بانك عارف وعالم لا بمعنى انك خالق
العلم وموجده ولكن بمعنى انك محل له وقد وجد بالقدرة الازلية فيك فوصفك بانك شاكر اثبات شيئية لك وانت شيء اذ جعلك خالق الاشياء شيئا
وانما انت لا شيء اذا كنت انت فلا شيئية لنفسك من ذاتك فاما باعتبار النظر الى الذي جعل الاشياء اشياء فانت شيء اذ جعلك شيئا
فان قطع النظر عن جعله كنت لا شيء تحقيقا والى هذا اشار صلى الله عليه وسلم حيث قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له لما قيل له ففيم العمل اذا كانت

الانبياء قد فرغ منها من قبل فتبين ان الخلق في مجاري قدرة الله تعالى ومحل افعاله وان كانوا هم ايضا من افعاله ولكن بعض افعاله محل البعض وقوله اعملوا
وان كان جاريا على لسان الرسول فهو فعل من افعاله وهو سبب لعلم الخلق بان العمل نافع وعلمهم فعل من افعال الله والعلم سبب لانبعاث داعية جازمة
للحركة والطاعة وانبعاث الداعية ايضا من افعال الله وهو سبب لحركة الاعضاء وهي ايضا من افعال الله ولكن بعض افعاله سبب للبعض اي الاول شرط
للثاني كما كان خلق الجسم سببا لخلق العرض اذ لا يخلق العرض قبله وخلق الحياة شرط لخلق العلم وخلق العلم شرط لخلق الارادة والكل من افعال الله تعالى
وبعضها سبب للبعض بمعنى انه شرط ومعنى كونه شرطا انه لا يستعد لقبول فعل الحياة الا جوهر ولا يستعد لقبول العلم الا ذو حياة ولا لقبول الارادة الا
ذو علم فيكون بعض افعاله سببا للبعض بهذا المعنى لا بمعنى ان بعض افعاله موجد لغيره بل ممهد شرط لحصول الغير وهذا اذا حقق ارتقى الى
درجة التوحيد الذي ذكرناه **فان قلت** فلم قال الله تعالى اعملوا والا فانتم معاقبون ومذمومون على العصيان وما الينا شيء فكيف
نذم وانما الكل الى الله فاعلم ان هذا القول من الله تعالى سبب لحصول اعتقاد فينا والاعتقاد سبب لهيجان الخوف وهيجان الخوف سبب لترك
الشهوات والتجافي عن دار الغرور وذلك سبب للوصول الى جوار الله تعالى والله تعالى مسبب الاسباب ومرتبها فمن سبقت له في الازل السعادة يسر له هذه
الاسباب حتى تقوده بسلسلتها الى الجنة ويعبر عن مثله بان كلا ميسر لما خلق له ومن لم يسبق له من الله الحسنى بعد عن سماع كلام الله وكلام رسوله وكلام
العلماء فاذا لم يسمع لم يعلم فاذا لم يعلم لم يخف واذا لم يخف لم يترك الركون الى الدنيا فاذا لم يترك الركون الى الدنيا بقي في حزب الشيطان وان جهنم لموعدهم
اجمعين **فاذا عرفت** هذا تعجب من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل فما من احد الا وهو مقود الى الجنة بسلاسل الاسباب وهو تسليط العلم
والخوف عليه وما من مخذول الا وهو مقود الى النار بالسلاسل وهو تسليط الغفلة والامن والغرور عليه فالمتقون يساقون الى الجنة قهرا والمجرمون
يقادون الى النار قهرا ولا قاهر الا الله الواحد القهار ولا قادر الا الملك الجبار **واذا انكشف** الغطاء عن اعين الغافلين فشاهدوا
الامر كذلك سمعوا النداء عند ذلك نداء المنادي لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ولقد كان الملك لله الواحد القهار كل يوم لا ذلك
اليوم على الخصوص ولكن الغافلين لا يسمعون هذا النداء الا ذلك اليوم فنعوذ بالله مما يجده من كشف الاحوال حيث لا ينفعهم الكشف فنعوذ بالله
من الجهل فانه اصل اسباب الهلاك **بيان تمييز ما يحبه الله عما يكرهه** اعلم ان فعل الشكر وترك الكفران لا يتم
الا بمعرفة ما يحبه الله اذ معنى الشكر استعمال نعمه في محابه ومعنى الكفر نقيض ذلك اما بترك الاستعمال او باستعماله في مكارهه
ولتمييز ما يحبه الله عما يكرهه مدركان احدهما السمع ومستنده الآيات والاخبار والثاني بصيرة القلب وهو النظر بعين الاعتبار
وهذا الاخير عسير وهو لاجل ذلك عزيز فلذلك ارسل الله الرسل وسهل بهم الطريق على الخلق ومعرفة ذلك تبتني على معرفة جميع احكام الشرع في
جميع افعاله لم يمكنه القيام بحق الشكر اصلا واما الثاني وهو النظر بعين الاعتبار فهو ادراك حكمة الله تعالى في كل موجود خلقه اذ ما خلق شيئا في العالم
الا وفيه حكمة وتحت الحكمة مقصود وذلك المقصود هو المحبوب وتلك الحكمة منقسمة الى جلية وخفية اما الجلية فكالعلم بان الحكمة في خلق الشمس ان يحصل
بها الفرق بين الليل والنهار فيكون النهار معاشا والليل لباسا فتتيسر الحركة عند الابصار والسكون عند الاستتار فهذا من جملة حكم الشمس لا كل الحكم فيها
بل فيها حكم اخرى كثيرة دقيقة وكذلك معرفة الحكمة في الغيم ونزول الامطار وذلك لانشقاق الارض بانواع النبات مطعما للخلق ومرعى للانعام
وقد انطوى القرآن على جملة من الحكم الجلية التي تحتملها افهام الخلق دون الدقيقة التي يقصرون عن فهمها اذ قال تعالى انا صببنا الماء صبا ثم شققنا
الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا واما الحكمة في سائر الكواكب السيارة منها والثوابت فخفية لا يطلع عليها كافة الخلق والقدر الذي يحتمله فهم
الخلق انها زينة للسماء لتستلذ العين بالنظر اليها واشار اليه بقوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب فجميع اجزاء العالم سماؤه وكواكبه ورياحه
وبحاره وجباله ومعادنه ونباته وحيواناته واعضاء حيواناته لا تخلو ذرة من ذراته عن حكم كثيرة من حكمة واحدة الى عشرة الى الف وكذلك
اعضاء الحيوان ينقسم الى ما يعرف حكمتها كالعلم بان العين للابصار لا للبطش واليد للبطش لا للمشي والرجل للمشي لا للشم فاما
الاعضاء الباطنة من الامعاء والمرارة والكلية والكبد وآحاد العروق والاعصاب والعضلات وما فيها من التجاويف والالتفاف
والاشتباك والانحراف والدقة والغلظ وسائر الصفات فلا يعرف الحكمة فيها كافة الناس والذين يعرفونها لا يعرفون منها الا قدرا
يسيرا بالاضافة الى علم الله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا فاذا كل من استعمل شيئا في جهة غير الجهة التي خلق لها ولا على الوجه الذي اريد
به فقد كفر نعمة الله فيه فمن ضرب غيره بيده فقد كفر نعمة اليد اذ خلقت له اليد ليدفع بها عن نفسه ما يهلكه ويأخذ ما ينفعه لا ليهلك
بها غيره ومن نظر الى وجه غير المحرم فقد كفر نعمة العين ونعمة الشمس اذ الابصار يتم بهما وانما خلقتا ليبصر بهما ما ينفعه في دينه
ودنياه ويتقي بهما ما يضره فيهما فقد استعملهما في غير ما اريد به وهذا لان المراد من خلق الخلق وخلق الدنيا واسبابها ان
يستعين الخلق بها على الوصول الى الله تعالى ولا وصول اليه الا بمحبته والانس به في الدنيا والتجافي عن غرور الدنيا ولا انس الا بدوام الذكر ولا محبة

الا بمعرفة لا تحصل الا بدوام الفكر ولا يمكن الدوام على الذكر والفكر الا بدوام البدن ولا يبقى البدن الا بالارض والماء والهواء والغذاء ولا يتم ذلك
الا بخلق السماء والارض وخلق سائر الاعضاء ظاهرا وباطنا فكل ذلك لاجل البدن والبدن مطية النفس والراجع الى الله هي النفس المطمئنة بطول العبادة
والمعرفة ولذلك قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فكل من استعمل شيئا في غير طاعة الله تعالى فقد كفر نعمة الله تعالى في جميع الاسباب التي
لا بد منها لاقدامه على تلك المعصية ولنذكر مثالا واحدا للحكم الخفية التي ليست في غاية الخفاء حتى تعتبر بها وتعلم طريق الشكر والكفران
على النعم **فنقول** من نعم الله تعالى خلق الدراهم والدنانير وبهما قوام الدنيا وهما حجران لا منفعة في اعيانهما ولكن يضطر الخلق اليهما
من حيث ان كل انسان محتاج الى اعيان كثيرة في مطعمه وملبسه وسائر حاجاته وقد يعجز عما يحتاج اليه ويملك ما يستغني عنه كمن يملك الزعفران
مثلا وهو محتاج الى جمل يركبه ومن يملك الجمل ربما يستغني عنه ويحتاج الى الزعفران فلا بد بينهما من معاوضة ولا بد في مقدار العوض من تقدير اذ لا
يبذل صاحب الجمل جمله بكل مقدار من الزعفران ولا مناسبة بين الزعفران والجمل حتى يقال يعطى منه مثله في الوزن والصورة وكذا من يشتري دارا بثياب
او عبدا بخف او دقيقا بحمار فهذه اشياء لا تناسب فيها فلا يدرى ان الجمل كم يسوى بالزعفران فتتعذر المعاملات جدا فافتقرت هذه الاعيان المتنافرة
المتباعدة الى متوسط بينها يحكم فيها بحكم عدل فيعرف من كل واحد رتبته ومنزلته حتى اذا تقررت المنازل وترتبت الرتب علم بعد ذلك المساوي من غير
المساوي **فخلق الله الدراهم** والدنانير حاكمين ومتوسطين بين سائر الاموال حتى تقدر الاموال بهما فيقال هذا الجمل يسوى مائة وهذا القدر
من الزعفران يسوى مائة فهما من حيث انهما مساويان لشيء واحد اذا متساويان وانما امكن التعديل بالنقدين اذ لا غرض في اعيانهما ولو كان في
اعيانهما غرض ربما اقتضى خصوص ذلك الغرض في حق صاحب الغرض ترجيحا ولم يقتض ذلك في حق من لا غرض له فلا ينتظم الامر فاذا خلقهما
الله لتتداولهما الايدي ويكونا حاكمين بين الاموال بالعدل **ولحكمة** اخرى وهي التوسل بهما الى سائر الاشياء لانهما عزيزان في انفسهما ولا غرض
في اعيانهما ونسبتهما الى سائر الاموال نسبة واحدة فمن ملكهما فكأنه ملك كل شيء لا كمن ملك ثوبا فانه لم يملك الا الثوب فلو احتاج الى طعام ربما لم يرغب
صاحب الطعام في الثوب لان غرضه في دابة مثلا فاحتيج الى شيء هو في صورته كأنه ليس بشيء وهو في معناه كأنه كل الاشياء والشيء انما تستوي نسبته
الى المختلفات اذا لم تكن له صورة خاصة يفيدها بخصوصها كالمرآة لا لون لها وتحكي كل لون فكذلك النقد لا غرض فيه وهو وسيلة الى كل غرض
وكالحرف لا معنى له في نفسه وتظهر به المعاني في غيره فهذه هي الحكمة الثانية وفيهما ايضا حكم يطول ذكرها فكل من عمل فيهما عملا لا يليق بالحكم بل يخالف
الغرض المقصود بالحكم فقد كفر نعمة الله فيهما فاذا من كنزهما فقد ظلمهما وابطل الحكمة فيهما وكان كمن حبس حاكم المسلمين في سجن يمتنع عليه الحكم بسببه
لانه اذا كنز فقد ضيع الحكم ولا يحصل الغرض المقصود به **وما خلقت** الدراهم لزيد خاصة ولا لعمرو خاصة اذ لا غرض للآحاد في اعيانهما فانهما حجران
وانما خلقا لتتداولهما الايدي فيكونا حاكمين بين الناس وعلامة معرفة للمقادير مقومة للمراتب فاخبر الله الذين يعجزون عن قراءة الاسطر
الالهية المكتوبة على صفحات الموجودات بخط الهي لا حرف فيه ولا صوت الذي لا يدرك بعين البصر بل بعين البصيرة اخبر هؤلاء العاجزين بكلام
سمعوه من رسوله صلى الله عليه وسلم حتى وصل اليهم بواسطة الحرف والصوت المعنى الذي عجزوا عن ادراكه فقال تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها
في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم **وكل من** اتخذ من الدراهم والدنانير آنية من ذهب وفضة فقد كفر النعمة وكان اسوأ حالا ممن كنز لان مثال
هذا من استسخر حاكم البلد في الحياكة والكنس والاعمال التي يقوم بها اخساء الناس والحبس اهون منه وذلك ان الخزف والحديد والرصاص والنحاس تنوب
مناب الذهب والفضة في حفظ المائعات عن ان تتبدد وانما الاواني لحفظ المائعات ولا يكفي الخزف والحديد في المقصود الذي اريد به النقود فمن لم
ينكشف له هذا انكشف له بالترجمة الالهية وقيل له من شرب في آنية من ذهب او فضة فكأنما يجرجر في بطنه نار جهنم **وكل من** عامل معاملة
الربا على الدنانير والدراهم فقد كفر النعمة وظلم لانهما خلقا لغيرهما لا لنفسهما اذ لا غرض في عينهما فاذا اتجر في عينهما فقد اتخذهما مقصودا
على خلاف وضع الحكمة اذ طلب النقد لغير ما وضع له ظلم ومن معه ثوب ولا نقد معه فقد لا يقدر ان يشتري به طعاما ودابة اذ ربما لا يباع الطعام
والدابة بالثوب فهو معذور في بيعه بنقد آخر ليحصل النقد فيتوصل به الى مقصوده فانهما وسيلتان الى الغير لا غرض في اعيانهما وموقعهما من الاموال كموقع
الحرف من الكلام كما قال النحويون ان الحرف هو الذي جاء لمعنى في غيره وكموقع المرآة من الالوان فاما من معه نقد فلو جاز له ان يبيعه بالنقد
فيتخذ التعامل على النقد غاية التعامل فيبقى النقد مقيدا عنده فينزل منزلة المكنوز وتقييد الحاكم والبريد الموصل الى الغير
ظلم كما ان حبسه ظلم فلا معنى لبيع النقد بالنقد الا اتخاذ النقد مقصودا للادخار وهو ظلم **فان قلت** فلم جاز بيع
النقدين بالآخر ولم جاز بيع الدرهم بمثله فاعلم ان احد النقدين يخالف الآخر في مقصود التوسل اذ قد يتيسر التوصل باحدهما
التوصل باحدهما من حيث كثرته كالدراهم تتفرق في الحاجات قليلا قليلا ففي المنع منه ما يشوش المقصود الخاص به وهو تيسر التوسل
به الى غيره واما بيع الدرهم بدرهم يماثله فجائز من حيث ان ذلك لا يرغب فيه عاقل مهما تساويا ولا يشتغل به تاجر فانه عبث يجري مجرى

وضع الدرهم على الارض واخذه ونحن لا نخاف على العقلاء بان يصرفوا اوقاتهم الى وضع الدرهم على الارض واخذه بعينه فلا يمنع مما لا تتشوف النفوس اليه
الا ان يكون احدهما اجود وذلك ايضا لا يتصور جريانه اذ صاحب الجيد لا يرضى بمثله من الرديء فلا ينتظم العقد وان طلب زيادة في الرديء فذلك
مما قد يقصده فلا جرم نمنعه منه ونحكم بان جيدها ورديئها سواء لان الجودة والرداءة ينبغي ان ينظر اليهما فيما يقصد في عينه وما لا غرض في
عينه فلا ينبغي ان ينظر الى مصارفات دقيقة في صفاته وانما الذي ظلم هو الذي ضرب النقود مختلفة في الجودة والرداءة حتى صارت مقصودة
في اعيانها وحقها ان لا تقصد واما اذا باع درهما بدرهم مثله نسيئة فانما لم يجز لانه لا يقدم على هذا الا مسامح قاصد للاحسان في القرض وهو
مكرمة مندوحة عنه لتبقى صورة المسامحة فيكون له حمد واجر والمعاوضة لا حمد فيها ولا اجر فهو ايضا ظلم لانه اضاع خصوص المسامحة واخرجها في
معرض المعاوضة **وكذلك** الاطعمة خلقت ليتغذى بها او يتداوى بها فلا ينبغي ان تصرف عن جهتها فان فتح باب المعاملة فيها يوجب
تقييدها في الايدي ويؤخر عنها الاكل الذي اريدت له فما خلق الطعام الا ليؤكل والحاجة الى الاطعمة شديدة فينبغي ان تخرج عن يد المستغني عنها
الى المحتاج ولا يعامل على الاطعمة الا مستغن عنها اذ من معه الطعام فلم لا يأكله ان كان محتاجا ولم يجعله بضاعة تجارة وان جعله بضاعة
تجارة فليبعه ممن يطلبه بعوض غير الطعام يكون محتاجا اليه فاما من يطلبه بعين ذلك الطعام فهو ايضا مستغن عنه ولهذا ورد في الشرع لعن المحتكر
وورد فيه من التشديدات ما ذكرناه في كتاب آداب الكسب نعم بائع البر بالتمر معذور اذ احدهما لا يسد مسد الآخر في الغرض
وبائع صاع من البر بصاع منه غير معذور ولكنه عابث فلا يحتاج الى منع لان النفوس لا تسمح به الا عند التفاوت في الجودة ومقابلة
الجيد بمثله من الرديء لا يرضى به صاحب الجيد واما جيد برديئين فقد يقصد ولكن لما كانت الاطعمة من الضروريات والجيد يساوي
الرديء في اصل الفائدة ويخالفه في وجوه التنعم اسقط الشرع غرض التنعم فيما هو القوام فهذه حكمة الشرع في تحريم الربا وقد
انكشف لنا هذا بعد الاعراض عن فن الفقه فليلحق هذا بفن الفقهيات فانه اقوى من جميع ما اوردناه في الخلافيات
وبهذا يتضح رجحان مذهب الشافعي رحمه الله في التخصيص بالاطعمة دون المكيلات اذ لو دخل الجص فيه لكان الثياب والدواب اولى
بالدخول ولولا الملح لكان مذهب مالك اقوم المذاهب فيه اذ خصصه بالاقوات ولكن كل معنى يرعاه الشرع فلا بد وان
ينضبط بحد وتحديد هذا كان ممكنا بالقوت وكان ممكنا بالمطعوم فرأى الشرع التحديد بجنس المطعوم احرى لكل ما هو ضرورة البقاء وتحديدات
الشرع قد يحيط باطراف لا تقوى فيها اصل المعنى الباعث على الحكم ولكن التحديد يقع كذلك بالضرورة ولو لم يحد لتحير الخلق في اتباع جوهر
المعنى مع اختلافه بالاحوال والاشخاص فتعيين المعنى بكل قوته يختلف بالاحوال والاشخاص فيكون الحد ضروريا ولذلك قال الله تعالى ومن يتعد
حدود الله فقد ظلم نفسه ولان اصول هذه المعاني لا تختلف فيها الشرائع وانما تختلف في وجوه التحديد كحد شرع عيسى تحريم الخمر
بالسكر وقد حرمه شرعنا لكونه من جنس المسكر لان قليله يدعو الى كثيره والداعي الى الحدود داخل في التحريم كحكمة الحسم كما دخل
اصل المعنى بالحكمة الاصلية فهذا مثال واحد لحكمة خفية من حكم النقدين فينبغي ان يعتبر شكر النعمة وكفرانها بهذا المثال فكلما
خلق لحكمة فلا ينبغي ان يصرف عنها ولا يعرف هذا الا من عرف الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ولكن لا تبصر دقائق الحكم جواهر
القلوب هي منازل الشهوات وملاعب الشياطين بل لا يتذكر الا اولوا الالباب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على
قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء **واذا عرفت** هذا المثال فقس عليه حركتك وسكونك ونطقك وسكوتك وكل فعل
صادر منك فانه اما شكر واما كفران لا يتصور ان ينفك عنهما وبعض ذلك نصفه في لسان الفقه الذي يتعاطى به عوام الخلق بالكراهة
وبعضه بالحظر وكل ذلك عند ارباب القلوب موصوف بالحظر **فاقول** مثلا لو استنجيت باليمين فقد كفرت نعمة اليدين اذ
خلق الله لك اليدين وجعل احداهما اقوى من الاخرى فاستحقت الاقوى بمزيد رجحانه في الغالب التشريف والتفضيل والتشريف
على الناقص وعدلت عن العدل والله لا يامر الا بالعدل ثم احوجك الى ان تعطي الى اعمال بعضها شريفة كاخذ المصحف باليمين وبعضها
خسيسة كازالة النجاسة فاذا اخذت المصحف باليسار وازلت النجاسة باليمين فقد خصصت الشريف بما هو خسيس فغضضت
من حقه فظلمته وعدلت عن العدل **وكذلك** اذا بزقت مثلا في جهة القبلة واستقبلتها في قضاء الحاجة فقد كفرت
نعمة الله في خلق الجهات وخلق سعة العالم لانه خلق الجهات لتكون متسعك في حركاتك وقسم الجهات الى ما لم يشرفها والى ما
شرفها بان وضع فيها بيتا اضافه الى نفسه استمالة لقلبك ليتقيد به قلبك فيتقيد بسببه بدنك في تلك الجهة على
هيئة الثبات والوقار اذا عبدت ربك وكذلك انقسمت افعالك الى ما هي شريفة كالطاعات والى ما هي خسيسة كقضاء
الحاجة ورمي البزاق فاذا رميت بزاقك الى جهة القبلة فقد ظلمتها وكفرت نعمة الله تعالى عليك بوضع القبلة التي بوضعها

كل عباداتك وكذلك إذا لبست خفك فابتدأت باليسرى فقد ظلمت لأن الخف وقاية للرجل فللرجل فيه حظ والبداية في الحظوظ ينبغي
أن تكون بالأشرف فهو العدل والوفاء بالحكمة ونقيضه ظلم وكفران لنعمة الرجل والخف وهذا عند العارفين كبيرة وإن سماه الفقيه مكروهاً حتى
أن بعضهم كان قد جمع أكراراً من الحنطة وكان يتصدق بها فسئل عن سببه فقال لبست المداس مرة فابتدأت بالرجل اليسرى سهواً فأريد
أن أكفره بالصدقة نعم الفقيه لا يقدر على تفخيم الأمر في هذه الأمور لأنه مسكين بلي بإصلاح العوام الذين تقرب درجتهم من درجة
الأنعام وهم منغمسون في ظلمات أطم وأعظم من أن تظهر أمثال هذه الظلمات بالإضافة إليها فقبيح أن يقال الذي شرب الخمر وأخذ
الكوز باليسار فقد تعدى من وجهين أحدهما الشرب والآخر الأخذ باليسار ومن باع خمراً في وقت النداء يوم الجمعة فقبيح أن يقال قد خالف
من وجهين أحدهما بيع الخمر والآخر البيع في وقت النداء ومن قضى حاجته في محراب المسجد مستدبر القبلة فقبيح أن يذكر تركه الأدب
في قضاء الحاجة من حيث لم يجعل القبلة عن يمينه فالمعاصي كلها ظلمات وبعضها فوق بعض فينمحق بعضها في جنب البعض فالسيد قد يعاقب
عبده إذا استعمل سكينه بغير إذنه ولكن لو قتل بتلك السكين أعز أولاده لم يبق لاستعمال السكين بغير إذنه حكم ونكاية في نفسه
فكل ما راعاه الأنبياء والأولياء من الآداب وتساهلنا به في الفتوى مع العوام فسببه هذه الضرورة وإلا فكل هذه المكاره عدول
عن العدل وكفران للنعمة ونقصان عن الدرجة المبلغة للعبد إلى درجات القرب نعم بعضها يؤثر في البعد بنقصان القرب وانحطاط
المنزلة وبعضها يخرج بالكلية عن حدود القرب إلى عالم البعد الذي هو مستقر الشياطين **وكذلك** من كسر غصناً من شجرة
من غير حاجة ناجزة مهمة ومن غير غرض صحيح فقد كفر نعمة الله في خلق الأشجار وخلق اليد أما اليد فإنها لم تخلق للعبث بل للطاعة والأعمال
المعينة على الطاعة وأما الشجر فإنما خلقه الله تعالى وخلق له العروق وساق إليه الماء وخلق فيه قوة الاغتذاء والنماء ليبلغ منتهى نشوه
فينتفع به عباده فكسره قبل منتهى نشوه لا على وجه ينتفع به عباده مخالفة لمقصود الحكمة وعدول عن العدل فإن كان له غرض
صحيح فله ذلك إذ الشجر والحيوان جعلا فداء لأغراض الإنسان فإنهما جميعاً فانيان هالكان فإفناء الأخس في بقاء الأشرف مدة ما أقرب
إلى العدل من تضييعهما جميعاً وإليه الإشارة بقوله تعالى وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه نعم إن كسر ذلك من ملك غيره فهو ظالم أيضاً
وإن كان محتاجاً لأن كل شجرة بعينها لا تفي بحاجات عباد الله كلهم بل تفي بحاجة واحد ولو خصص واحد بها من غير رجحان واختصاص
كان ظلماً وصاحب الاختصاص هو الذي حصل البذر ووضعه في الأرض وساق إليه الماء وقام بالتعهد فهو أولى من غيره فترجح جانبه بذلك
فإن نبت ذلك في موات لا بسعي آدمي اختص بغرسه أو بغرس موروثه فلا بد من طلب اختصاص آخر وهو السبق إلى أخذه فللسابق خاصية
السبق والعدل أن يكون هو أولى به وعبر الفقهاء عن هذا الترجيح بالملك وهو مجاز محض إذ لا ملك إلا لملك الملوك الذي له ما في السموات
والأرض وكيف يكون العبد مالكاً وهو في نفسه ليس يملك نفسه بل هو ملك غيره نعم الخلق عباد الله **والأرض** مائدة الله وقد
أذن لهم في الأكل منها بقدر حاجتهم كالملك ينصب مائدة لعبيده فمن أخذ لقمة بيمينه واحتوت عليها براجمه فجاء عبد آخر وأراد
انتزاعها من يده لم يمكن منه لا لأن اللقمة صارت ملكاً له بالأخذ باليد فإن اليد وصاحب اليد أيضاً مملوك ولكن إذا كانت
كل لقمة بعينها لا تفي بحاجة كل العبيد فالعدل في التخصيص عند حصول ضرب من الترجيح والاختصاص والأخذ اختصاص ينفرد به العبد
فيمنع من لا يدلي بذلك الاختصاص عن مزاحمته فهكذا ينبغي أن تفهم أمر الله في عباده ولذلك نقول من أخذ من أموال الدنيا أكثر من
حاجته وكنزه وأمسكه وفي عباد الله من يحتاج إليه فهو ظالم وهو من الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله وإنما سبيل الله
طاعته وزاد الخلق في طاعته أموال الدنيا إذ بها تندفع ضروراتهم وترتفع حاجاتهم نعم لا يدخل هذا في حد فتوى الفقه لأن مقادير
الحاجات خفية والنفوس في استشعار الفقر في الاستقبال مختلفة وأواخر الأعمار غير معلومة فتكليف العوام ذلك يجري مجرى تكليف الصبيان
الوقار والتؤدة والسكوت عن كل كلام غير مهم وهم بحكم نقصانهم لا يطيقونه فتركنا الاعتراض عليهم في اللعب واللهو وإباحتنا
إياهم ذلك لا يدل على أن اللهو واللعب حق فكذلك إباحتنا للعوام حفظ الأموال والاقتصار في الإنفاق على قدر الزكوات لضرورة
ما جبلوا عليه من البخل لا يدل على أنه غاية الحق وقد أشار القرآن إليه إذ قال إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا بل الحق الذي لا كدورة فيه
والعدل الذي لا ظلم فيه أن لا يأخذ أحد من مال الله إلا بقدر زاد الراكب **وكل** عباد الله ركاب لمطايا الأبدان إلى حضرة الملك
الديان فمن أخذ زيادة عليه ومنعه عن راكب آخر محتاج إليه فهو ظالم تارك للعدل وخارج عن مقصود الحكمة وكافر نعمة الله عليه
بالقرآن والرسول والعقل وسائر الأسباب التي بها عرف أن ما سوى زاد الراكب وبال عليه في الدنيا والآخرة فمن عرف حكمة الله في
جميع الموجودات قدر على القيام بوظيفة الشكر واستقصاء ذلك يحتاج إلى مجلدات ثم لا يفي إلا بالقليل وإنما أوردنا هذا القدر ليعلم

علة الصدق في قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور وفرح إبليس لعنه الله بقوله ولا تجد أكثرهم شاكرين فلا يعرف معنى هذه الآية من لم يعرف هذه
وأموراً أخر وراءها وهذا يقتضي الإعراض دون استقصاء مباديها فأما تفسير الآية ومعنى لفظها فيعرفه كل من يعرف اللغة وبهذا يتبين لك
الفرق بين المعنى والتفسير **فإن قلت** فقد رجع حاصل الكلام إلى أن لله حكمة في كل شيء وأنه جعل بعض أفعال العباد
سبباً لتمام تلك الحكمة وبلوغها غاية المراد منها وجعل بعض أفعالهم مانعاً من تمام الحكمة فكل فعل وافق مقتضى الحكمة حتى انساقت الحكمة
إلى غايتها فهو شكر وكل ما خالف ومنع الأسباب من أن ينساق إلى الغاية المرادة بها فهو كفران وهذا كله مفهوم ولكن الإشكال باق
وهو أن فعل العبد المنقسم إلى ما يتمم الحكمة وإلى ما يدفعها هو أيضاً من فعل الله فأين العبد حتى يكون شاكراً مرة وكافراً أخرى
فاعلم أن تمام التحقيق في هذا يستمد من تيار بحر عظيم من علوم المكاشفات وقد رمزنا فيما سبق إلى تلويحات بمباديها ونحن الآن
نعبر بعبارة وجيزة عن آخرها وغايتها يفهمها من عرف منطق الطير ويجحدها من عجز عن الإيضاع في السير فضلاً عن أن يجول في جو الملكوت
جولان الطير **فنقول** إن الله سبحانه في جلاله وكبريائه صفة عنها يصدر الخلق والاختراع وتلك الصفة أعلى وأجل من أن
تلمحها عين واضع اللغة حتى يعبر عنها بعبارة تدل على كنه جلالها وخصوص حقيقتها فلم يكن لها في العالم عبارة لعلو شأنها
وانحطاط رتبة واضعي اللغات عن أن يمتد طرف فهمهم إلى مبادي إشراقها فانخفضت عن ذروتها أبصارهم كما تنخفض أبصار الخفافيش
فاضطر الذين فتحت أبصارهم لملاحظة جلالها إلى أن يستعيروا من حضيض عالم المتناطقين باللغات عبارة توهم من مبادي
حقائقها شيئاً ضعيفاً جداً فاستعاروا لها اسم القدرة فتجاسرنا بسبب استعارتهم على النطق فقلنا لله صفة هي القدرة عنها يصدر الخلق
والاختراع ثم الخلق ينقسم في الوجود إلى أقسام وخصوص صفات ومصدر انقسام هذه الأقسام واختصاصها بخصوص
صفاتها صفة أخرى استعير لها بمثل الضرورة التي سبقت عبارة المشيئة فهي توهم منها أمراً مجملاً عند المتناطقين باللغات التي هي حروف
وأصوات المتفاهمين بها وقصور لفظ المشيئة عن الدلالة على كنه تلك الصفة وحقيقتها كقصور لفظ القدرة ثم انقسمت الأفعال
الصادرة من القدرة إلى ما ينساق إلى المنتهى الذي هو غاية حكمتها وإلى ما يقف دون الغاية وكان لكل واحد نسبة إلى الصفة المسماة مشيئة لرجوعها
إلى الاختصاص الذي به تتم القسمة والاختلاف فاستعير للنسبة البالغ غايته عبارة المحبة واستعير للنسبة الواقفة دون غايته عبارة
الكراهة وقيل إنهما جميعاً داخلان في وصف المشيئة ولكن لكل واحد خاصية أخرى في النسبة توهم لفظ المحبة والكراهة منهما أمراً مجملاً عند
طالبي الفهم من الألفاظ واللغات ثم انقسم عباده الذين هم من خلقه واختراعه إلى من سبقت له في المشيئة الأزلية لاستيفاء
حكمته دون غايتها ويكون ذلك قهراً في حقهم بتسليط الدواعي والبواعث عليهم وإلى من سبقت لهم في الأزل أن يستعملهم لسياقة
حكمته إلى غايتها في بعض الأمور فكان لكل واحد من الفريقين نسبة إلى المشيئة خاصة فاستعير لنسبة المستعملين في إتمام الحكمة بهم عبارة
الرضا واستعير للذين استوقف بهم أسباب الحكمة دون غايتها عبارة الغضب وظهر على من غضب عليه في الأزل فعل وقفت الحكمة
دون غايتها فاستعير له الكفران وأردف ذلك بنقمة اللعن والمذمة زيادة في النكال وظهر على من ارتضاه في الأزل فعل انساقت
به الحكمة إلى غايتها فاستعير له عبارة الشكر وأردف بخلعة الثناء والإطراء زيادة في الرضا والقبول والإقبال فكان الحاصل
أنه تعالى أعطى الجمال ثم أثنى وأعطى النكال ثم قبح وأزرى وكان مثاله أن ينظف الملك عبده الوسخ عن أوساخه ثم يلبسه من محاسن
ثيابه فإذا تمم زينته قال يا جميل ما أجملك وأجمل ثيابك وأنظف وجهك فيكون بالحقيقة هو المجمل وهو المثني على الجمال فهو
المثني عليه بكل حال وكأنه لم يثن من حيث المعنى إلا على نفسه وإنما العبد هدف الثناء من حيث الظاهر والصورة فهكذا كانت الأمور في أزل الآزال وهكذا
تسلسلت الأسباب والمسببات بتقدير رب الأرباب ولم يكن ذلك عن اتفاق وبخت بل عن إرادة وحكمة وحكم حق وأمر جزم استعير له لفظ
القضاء وقيل إنه كلمح بالبصر ففاضت بحار المقادير بحكم ذلك القضاء الجزم بما سبق به التقدير فاستعير لترتب آحاد المقدورات
بعضها على بعض لفظ القدر فكان لفظ القضاء بإزاء الأمر الواحد الكلي ولفظ القدر بإزاء التفصيل المتمادي إلى غير نهاية وقيل إن شيئاً من ذلك
ليس خارجاً عن القضاء والقدر فخطر لبعض العباد أن القسمة لماذا اقتضت هذا التفصيل وكيف انتظم العدل مع هذا التفاوت والتفضيل
وكان بعضهم لقصوره لا يطيق ملاحظة كنه هذا الأمر والاحتواء على مجامعه فألجموا عن الخوض فيه بلجام المنع وقيل لهم اسكتوا فما
هذا خلقتم لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وامتلأت مشكاة بعضهم نوراً مقتبساً من نور الله في السموات والأرض وكان زيتهم أولاً صافياً
يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار فمسته نار فاشتعل نوراً على نور فأشرقت أقطار الملكوت بين أيديهم بنور ربها فأدركوا الأمور كما هي
عليها فقيل لهم تأدبوا بآداب الله واسكتوا وإذا ذكر القدر فأمسكوا فإن للجدران آذاناً وحواليكم ضعفاء الأبصار فسيروا بسير

اضعفهم ولا تكشفوا حجاب الشمس لابصار الخفافيش فيكون ذلك سبب هلاكهم فتخلقوا باخلاق الله وانزلوا الى الدنيا من منتهى علوكم ليانس بكم
الضعفاء ويقتبسوا من بقايا انواركم المشرقة من وراء حجابكم كما يقتبس الخفافيش من بقايا نور الشمس والكواكب في جنح الليل فيحيى به حياة
تحتمله وحالته وان كان لا يحيا به حياة المتردد في كمال نور الشمس وكونوا كمن قيل فيهم شربنا شرابا طيبا عند طيب كذاك شراب الطيبين يطيب
شربنا واهرقنا على الارض فضله وللارض من كاس الكرام نصيب فهكذا كان اول هذا الامر وآخره ولا تفهمه الا اذا كنت اهلا
له واذا كنت اهلا له فتحت العين وابصرت فلا تحتاج الى قائد يقودك والاعمى يمكن ان يقاد ولكن الى حد ما فاذا ضاق الطريق وصار
احد من السيف وادق من الشعر قدر الطائر على ان يطير عليه ولم يقدر على ان يستجر وراءه اعمى واذا دق المجال ولطف لطف الماء مثلا ولم يمكن العبور
عليه الا بالسباحة فقد يقدر الماهر بصنعة السباحة ان يعبر بنفسه وربما لا يقدر على ان يستجر الخلق وراءه فهذه امور نسبة السير عليها الى
السير على ما هو مجال جماهير الخلق نسبة المشي على الماء الى المشي على الارض والسباحة يمكن ان تتعلم فاما المشي على الماء فلا يكتسب بالتعلم بل ينال
بقوة اليقين ولذلك قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ان عيسى عليه السلام يقال انه مشى على الماء فقال لو ازداد يقينا لمشى على الهواء فهذه رموز واشارات
الى معنى الكراهة والمحبة والرضا والغضب والشكر والكفران لا يليق بعلم المعاملة اكثر منها وقد ضرب الله تعالى مثلا لذلك تقريبا الى افهام الخلق
اذ عرف انه ما خلق الجن والانس الا ليعبدوه فكانت عبادتهم غاية الحكمة في حقهم ثم اخبر ان له عبدين يحب احدهما واسمه جبريل وروح
القدس والامين وهو عنده ابن محبوب مطاع مكين ويبغض الآخر واسمه ابليس وهو اللعين المنظر الى يوم الدين ثم احال الارشاد الى
جبريل فقال قل نزله روح القدس وقال يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده واحال الاغواء على ابليس فقال ليضلهم عن سبيله والاغواء
هو استيفاق المعبد دون بلوغ غاية الحكمة فانظر كيف نسبه الى العبد الذي غضب عليه والارشاد سياقة لهم الى الغاية فانظر كيف نسبه
الى العبد الذي احبه وعندكم في العادة له مثال **فالملك** اذا كان يحتاج الى من يسقيه الشراب والى من يحجمه وكان له غلامان فلا يحب
لتنظيف المحاجم وتنظيف فنائه عن القاذورات الا اقبحهما واخسهما ولا يفوض امر الشراب الطيب الا احبهما واكملهما واحبهما اليه ولا ينبغي
ان تقول هذا فعلي فلم يكن فعله فانه ذو فعل فان الملاحظات اذا اضفت هذا الى نفسك بل هو الذي صرفه اعتقادا لتخصيص الفعل المكروه
بالشخص المكروه والفعل المحبوب بالشخص المحبوب اتماما للعدل فان عدله تارة يتم بامور لا مدخل لك فيها وتارة يتم بك فانك ايضا من افعاله فداعيتك
وقدرتك وعلمك وسائر اسباب حركتك في التعيين هو فعله الذي رتبه بالعدل ترتيبا تصدر منه الافعال المعتدلة الا انك لا ترى الا نفسك فتظن
ان ما يظهر عليك في عالم الشهادة ليس له سبب من عالم الملكوت والغيب فلذلك تضيفه الى نفسك وانما انت مثل الصبي الذي ينظر ليلا الى
لعب المشعوذ الذي يخرج صورا من وراء حجاب ترقص وتزعق وتقوم وتقعد وهي مؤلفة من خرق لا تتحرك بانفسها انما يحركها خيوط
شعرية دقيقة لا تظهر في ظلام الليل ورؤسها في يد المشعوذ وهو محتجب عن ابصار الصبيان فيفرحون ويتعجبون لظنهم ان تلك
الخرق ترقص وتلعب وتقوم وتقعد واما العقلاء فانهم يعلمون ان ذلك تحريك وليس بتحرك ولكنهم ربما لا يعلمون تفصيل
والذي يعلم بعض تفصيله لا يعلم ما يعلمه المشعوذ لان الذي الامر اليه والجاذبة بيده فكذلك صبيان اهل الدنيا والخلق كلهم صبيان
الا العلماء ينظرون الى هذه الاشخاص فيظنون انها المتحركة فيحيلون عليها والعلماء يعلمون انهم محركون الا انهم لا يعرفون كيفية التحريك وهم
الاكثرون الا العارفون والعلماء الراسخون فانهم ادركوا بحدة ابصارهم خيوطا دقيقة عنكبوتية بل ادق منها بكثير معلقة في السماء متشبثة
الاطراف باشخاص اهل الارض لا تدرك تلك الخيوط لدقتها بهذه الابصار الظاهرة ثم شاهدوا رؤس تلك الخيوط في مناطات لها هي معلقة بها
وشاهدوا لتلك المناطات مقابض هي في ايدي الملائكة المحركين للسموات وشاهدوا ابصار الملائكة مصروفة الى حملة العرش ينتظرون منهم ما ينزل
عليهم من الامر من حضرة الربوبية كيلا يعصوا الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وعبر عن هذه المشاهدات في القرآن فقيل وفي السماء
رزقكم وما توعدون وعبر عن انتظار ملائكة السموات لما ينزل اليهم من الامر والقدر فقيل خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا
ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما وهذه امور لا يعلم تاويلها الا الله والراسخون في العلم وعبر ابن عباس عن اختصاص الراسخين
في العلم بعلوم لا تحتملها افهام الخلق حيث قرأ قوله تعالى يتنزل الامر بينهن فقال لو ذكرت ما عرفته من معنى هذه الآية لرجمتموني وفي لفظ آخر لقلتم
انه كافر ولنقتصر على هذا القدر فقد خرج عنان الكلام عن قبضة الاختيار وامتزج بعلم المعاملة ما ليس منها فلنرجع الى مقصود الشكر
فنقول اذا رجع حقيقة الشكر الى كون العبد مستعملا في اتمام حكمة الله تعالى فاشكر العباد احبهم الى الله واقربهم الى الله تعالى الملائكة ولهم
ايضا ترتيب وما منهم الا له مقام معلوم واعلاهم في رتبة القرب اسرافيل وانما علو درجتهم لانهم في انفسهم كرام بررة وقد اصلح الله
بهم الانبياء وهم اشرف مخلوق على وجه الارض ويلي درجتهم درجة الانبياء لانهم في انفسهم اخيار وقد هدى الله تعالى بهم سائر الخلق وتمم بهم

حكمته واعلاهم رتبة نبينا صلى الله عليه وسلم اذ اكمل الله به الدين وختم به النبيين ويليهم العلماء الذين هم ورثة الانبياء فانهم في انفسهم صالحون وقد اصلح
الله بهم سائر الخلق وفي درجة كل واحد تفاوت بحسب ما اصلح من نفسه ومن غيره ثم يليهم السلاطين بالعدل لانهم اصلحوا دنيا الخلق كما اصلح العلماء دينهم
ولاجل اجتماع الدين والسلطنة لنبينا صلى الله عليه وسلم كان افضل الانبياء فانه اكمل الله به صلاح دينهم ودنياهم ولم يكن السيف والملك لغيره من
من الانبياء ثم يلي العلماء والسلاطين الصالحون الذين اصلحوا انفسهم فقط فلم تتم حكمة الله تعالى بهم وفيهم ومن عدا هؤلاء فهم همج رعاع واعلم ان السلطان به
قوام الدين فلا ينبغي ان يستحقر وان كان ظالما فاسقا قال عمرو بن العاص امام غشوم خير من فتنة تدوم وقال النبي صلى الله عليه وسلم سيكون عليكم امراء
يفسدون وما يصلح الله بهم اكثر فان احسنوا فلهم الاجر وعليكم الشكر وان اساؤا فعليهم الوزر وعليكم الصبر وقال سهل من انكر امامة السلطان
فهو زنديق ومن دعاه السلطان فلم يجب فهو مبتدع ومن اتاه من غير دعوة فهو جاهل وسئل اي الناس خير فقال السلطان فقيل
كنا نظن ان شر الناس السلطان فقال مهلا ان لله تعالى كل يوم نظرتين نظرة الى سلامة اموال المسلمين ونظرة الى سلامة ابدانهم فيطلع
في صحيفته فيغفر له جميع ذنوبه وكان يقول الخشبات السود المعلقة على ابوابهم خير من سبعين قاصا يقصون

الركن الثاني من اركان

الشكر وهو النعمة ولنذكر فيه حقيقة النعمة واقسامها ودرجاتها واصنافها ومجامعها فيما يخص ويعم فان احصاء نعم الله تعالى على عباده خارج عن مقدور
البشر كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فنقدم امورا كلية تجري مجرى القوانين في معرفة النعم ثم نشتغل بذكر الآحاد

بيان حقيقة النعمة

اعلم ان كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر يسمى نعمة ولكن النعمة بالحقيقة هي السعادة الاخروية
وتسمية ما عداها نعمة وسعادة اما غلط واما مجاز كتسمية السعادة الدنيوية التي لا تعين على الآخرة نعمة فان ذلك غلط محض وقد يكون اسم النعمة للشيء
صدقا ولكن يكون اطلاقه على السعادة الاخروية اصدق فكل سبب يوصل الى سعادة الآخرة ويعين عليها اما بواسطة واحدة او بوسائط فان تسميته
نعمة صحيح وصدق لاجل انه يفضي الى النعمة الحقيقية والاسباب المعينة واللذات المسماة نعمة نشرحها بتقسيمات

القسمة الاولى

الامور كلها بالاضافة الينا تنقسم الى ما هو نافع في الدنيا والآخرة جميعا كالعلم وحسن الخلق والى ما هو ضار فيهما جميعا كالجهل وسوء الخلق والى ما ينفع في الحال ويضر في
المآل كالتلذذ باتباع الشهوات والى ما يضر في الحال ويؤلم ولكن ينفع في المآل كقمع الشهوات ومخالفة النفس فالنافع في الحال والمآل هو النعمة تحقيقا كالعلم
وحسن الخلق والضار فيهما هو البلاء تحقيقا وهو ضدهما والنافع في الحال المضر في المآل بلاء محض عند ذوي الابصار وتظنه الجهال نعمة اذا كان جاهلا واذا
علم علم ان ذلك بلاء سيق اليه والضار في الحال النافع في المآل نعمة عند ذوي الالباب بلاء عند الجهال ومثاله الدواء البشع في الحال مذاقه الا انه شاف من
الامراض والاسقام وجالب للصحة والسلامة **فالصبي** الجاهل اذا كلف شربه ظن انه بلاء والعاقل يعده نعمة ويتقلد المنة ممن يهديه
اليه ويهيئ له اسبابه فلذلك تمنع الام ولدها من الحجامة والاب يدعوه اليها فان الاب بكمال عقله يلحظ العاقبة والام بقصورها تلحظ الحال
والصبي بجهله يتقلد منة من امه دون ابيه ويأنس اليها والى شفقتها ويقدر الاب عدوا له ولو عقل لعلم ان الام عدو باطن في صورة صديق
لان منعها اياه من الحجامة يسوقه الى امراض والام اشد من الحجامة ولكن الصديق الجاهل شر من العدو العاقل وكل انسان فانه صديق نفسه ولكنه
جاهل فلذلك يعمل به ما لا يعمل العدو

قسمة ثانية

اعلم ان الاسباب الدنيوية مختلطة قد امتزج خيرها بشرها فقلما
يصفو خيرها كالمال والاهل والولد والاقارب والجاه وسائر الاسباب ولكن تنقسم الى ما نفعه اكثر من ضره كقدر الكفاية من المال والجاه وسائر
الاسباب والى ما ضره اكثر من نفعه في حق اكثر الاشخاص كالمال الكثير والجاه الواسع والى ما يكافئ ضره نفعه وهذه امور تختلف بالاشخاص
فرب انسان صالح ينتفع بالمال وان كثر فينفقه في سبيل الله ويصرفه الى الخيرات فهو مع هذا التوفيق نعمة في حقه ورب انسان يستضر بالقليل
اذ لا يزال مستصغرا له شاكيا من ربه طالبا للزيادة عليه فيكون ذلك مع هذا الخذلان بلاء في حقه

قسمة ثالثة

اعلم ان الخيرات باعتبار آخر تنقسم الى ما هو مؤثر لذاته والى ما هو مؤثر لغيره والى ما هو مؤثر لذاته ولغيره فالاول ما يؤثر لذاته لا
لغيره كلذة النظر الى وجه الله تعالى وسعادة لقائه وبالجملة سعادة الآخرة التي لا انقضاء لها فانها لا تطلب ليتوصل بها الى غاية اخرى مقصودة
وراءها بل تطلب لذاتها **الثاني** ما يقصد لغيره ولا غرض اصلا في ذاته كالدراهم والدنانير فان الحاجات لو كانت لا تنقضي بها لكانت هي
والحصباء بمثابة واحدة ولكن لما كانت وسيلة الى اللذات سريعة الايصال اليها صارت عند الجهال محبوبة في نفسها حتى يجمعونها ويكنزونها
ويتصارفون عليها بالربا ويظنون انها مقصودة ومثال هؤلاء مثال من يحب شخصا فيحب بسببه رسوله الذي يجمع بينه وبينه ثم ينسى في محبة الرسول
محبة الاصل فيعرض عنه طول عمره ولا يزال مشغولا بتعهد الرسول وتفقده وهو غاية الجهل والضلال **الثالث** ما يقصد لذاته ولغيره
كالصحة والسلامة فانها تقصد ليقدر بسببها على الفكر والذكر الموصلين الى لقاء الله تعالى او ليتوصل بها الى استيفاء لذات الدنيا وتقصد ايضا
لذاتها فان الانسان وان استغنى عن المشي الذي يراد سلامة الرجل لاجله فيريد ايضا سلامة الرجل من حيث انها سلامة

فيكون نعمة في حق من يقصد امرا ليس يمكنه ان يتوصل اليه الا بهما فلو كان مقصوده العلم والعبادة ومعه الكفاية التي هي ضرورة حياته لاستوى عنده
الذهب والمدر فكان وجودهما وعدمهما عنده بمثابة واحدة بل ربما شغله وجودهما عن العبادة والفكر فيكون في حقه بلاء ولا يكون نعمة

قسمة رابعة اعلم ان الخيرات باعتبار اخر تنقسم الى نافع وجميل ولذيذ فاللذيذ هو الذي تدرك راحته في الحال والنافع
هو الذي يفيد في المآل والجميل هو الذي يستحسن في سائر الاحوال والشرور ايضا تنقسم الى ضار وقبيح ومؤلم وكل واحد من القسمين ضربان مطلق ومقيد
فالمطلق هو الذي اجتمع فيه الاوصاف الثلثة اما في الخير فكالعلم والحكمة فانها نافعة وجميلة ولذيذة عند اهل العلم والحكمة واما في الشر فكالجهل فانه ضار
وقبيح ومؤلم وانما يحس الجاهل بالم جهله اذا عرف انه جاهل بان يرى غيره عالما ويرى نفسه جاهلا فيدرك الم التقصير فتنبعث منه شهوة العلم
اللذيذة ثم قد يمنعه الحسد والكبر والشهوات البدنية عن التعلم فيتجاذبه متضادان فيعظم المه فانه ان ترك التعلم تألم بالجهل ودرك النقصان وان اشتغل
بالتعلم تألم بترك الشهوات او بترك الكبر وذل التعلم ومثل هذا الشخص لا يزال في عذاب دائم لا محالة والضرب الثاني المقيد وهو الذي جمع بعض هذه الاوصاف
دون بعض فرب نافع مؤلم كقطع الاصبع الزائدة والسلعة الخارجة من البدن ورب نافع قبيح كالحمق فانه بالاضافة الى بعض الاحوال نافع اذ قيل استراح
من لا عقل له فانه لا يهتم بالعاقبة فيستريح في الحال الى ان يجيء وقت هلاكه ورب نافع من وجه ضار من وجه كالقاء المال في البحر عند خوف الغرق
فانه ضار للمال نافع للنفس في نجاتها والنافع قسمان ضروري كالايمان وحسن الخلق في الايصال الى سعادة الاخرة واعني بهما العلم والعمل اذ لا
يقوم مقامهما البتة غيرهما والى ما لا يكون ضروريا كالسكنجبين مثلا في تسكين الصفرا فانه يمكن تسكينها بما يقوم مقامه

قسمة خامسة اعلم ان النعمة يعبر بها عن كل لذيذ واللذات بالاضافة الى الانسان من حيث اختصاصه
بها ومشاركة غيره ثلثة انواع عقلية وبدنية مشتركة مع بعض الحيوانات وبدنية مشتركة مع جميع الحيوانات اما
العقلية فكلذة العلم والحكمة اذ ليس يستلذها السمع والبصر والشم ولا البطن ولا الفرج وانما يستلذها القلب لاختصاصه
بصفة يعبر عنها بالعقل وهذه اقل اللذات وجودا وهي اشرفها اما قلتها فلان العلم لا يستلذه الا حكيم وما اقل اهل العلم
والحكمة وما اكثر المتسمين باسمهم والمترسمين برسومهم واما شرفها فلانها لازمة لا تزول ابدا لا في الدنيا ولا في الدنيا
ولا في الاخرة دائمة لا تمل فالطعام يشبع منه فيمل وشهوة الوقاع يفرغ منها فيستثقل والعلم والحكمة قط لا يتصور
ان يمل ويستثقل ومن قدر على الشريف الباقي ابد الاباد اذا رضي بالخسيس الفاني في اقرب الاماد فهو مصاب
في عقله محروم بشقاوته وادباره واقل امر فيه ان العلم والعقل لا يحتاج الى اعوان وحفظة
بخلاف المال اذ العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم يزيد بالانفاق والمال ينقص بالانفاق والمال يسرق
والولاية تعزل والعلم لا تمتد اليه ايدي السارق بالاخذ ولا ايدي السلاطين بالعزل فيكون صاحبه
في روح الامن ابدا وصاحب المال والجاه في كرب الخوف ابدا ثم العلم نافع ولذيذ وجميل في كل حال
ابدا والمال تارة يجذب الى الهلاك وتارة يجذب الى النجاة ولذلك ذم الله تعالى المال في القران
في مواضع واما قصور اكثر الخلق عن ادراك لذة العلم فاما لعدم الذوق فمن لم يذق لم يعرف ولم
يشتق اذ الشوق تبع الذوق واما لفساد امزجتهم ومرض قلوبهم
بسبب اتباع الشهوات كالمريض الذي لا يدرك حلاوة العسل ويراه مرا واما
لقصور فطنتهم اذ لم يخلق لهم بعد الصفة التي بها يستلذ العلم كالصبي لا يستلذ ولا يدرك لذة
العسل والطيور السمان ولا يستلذ الا اللبن وذلك لا يدل على انها ليست لذيذة ولا
يستلذ استطابته للبن يدل على انه الذ الاشياء فالقاصرون عن درك لذة العلم والحكمة
ثلاثة اما من لم يحي بعد باطنه كالطفل واما من مات بعد الحياة باتباع الشهوات واما
من مرض بسبب اتباع الشهوات وقوله تعالى في قلوبهم مرض اشارة الى مرض العقول وقوله لينذر من كان
حيا اشارة الى من لم يحي حياة باطنة وكل حي بالبدن ميت بالقلب فهو عند الله من الموتى وان كان عند
الجهال من الاحياء ولذلك كان الشهداء احياء عند ربهم يرزقون فرحين وان كانوا موتى بالابدان الثانية لذة يشارك
الانسان فيها بعض الحيوانات كلذة الرياسة والغلبة والاستيلاء وذلك موجود في الاسد والنمر وبعض الحيوانات
والثالثة ما يشارك فيها سائر الحيوانات كلذة البطن والفرج وهذه اكثرها وجودا وهي اخسها ولذلك اشترك فيها كل ما دب ودرج حتى الديدان والحشرات

ومن جاوز هذه الرتبة تشبث بلذة الغلبة وهي اشد التصاقا بالمتغافلين فان جاوز ذلك ارتقى الى الثالثة فصار
اغلب اللذات عليه لذة العلم والحكمة لا سيما لذة معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وافعاله وهذه رتبة الصديقين ولا
ينال تمامها الا بخروج استيلاء حب الرياسة من القلب واخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة واما شره
البطن والفرج فكسره مما يقوى عليه الصالحون وشهوة الرياسة لا يقوى على قمعها الا الصديقون فاما قمعها بالكلية
حتى لا يقع بها الاحساس على الدوام وفي اختلاف الاحوال فيشبه ان يكون خارجا عن مقدور البشر نعم تغلب لذة معرفة الله
في احوال لا يحس معها بلذة الرياسة والغلبة ولكن ذلك لا يدوم طول العمر بل تعتريه الفترات فتعود اليه الصفات
البشرية فتكون موجودة ولكن تكون مقهورة ولكن لا تقوى على حمل النفس على العدول عن العدل وعند هذا ينقسم القلوب الى اربعة
اقسام قلب لا يحب الا الله ولا يستريح الا بزيادة المعرفة به والفكر فيه وقلب لا يدري ما لذة المعرفة وما معنى الانس بالله
وانما لذته بالجاه والرياسة والمال وسائر الشهوات البدنية وقلب اغلب احواله الانس بالله والتلذذ بمعرفته والفكر فيه
ولكن قد يعتريه في بعض الاحوال الرجوع الى الاوصاف البشرية وقلب اغلب احواله التلذذ بالصفات البشرية ويعتريه في
بعض الاحوال التلذذ بالعلم والمعرفة اما الاول فان كان ممكنا في الوجود فهو في غاية البعد واما الثاني فالدنيا طافحة به
واما الثالث والرابع فموجود ولكن على غاية الندور ولا يتصور ان يكون الا نادرا شاذا وهو مع الندور يتفاوت في القلة
والكثرة وانما يكون كثرته في الاعصار القريبة من اعصار الانبياء فلا يزال يزداد العهد طولا وتزداد مثل هذه القلوب قلة الى ان تقرب الساعة
ويقضي الله امرا كان مفعولا وانما وجب ان يكون هذا نادرا لانه مبادي ملك الاخرة والملك عزيز والملوك لا يكثرون فلا يكون الفائق
في الملك والجمال الا نادرا واكثر الناس من دونهم فكذا في ملك الاخرة والاخرة عبارة عن عالم الغيب فان الدنيا مرآة الاخرة فان الملك عالم
الشهادة والاخرة عبارة عن عالم الغيب وعالم الشهادة تابع لعالم الغيب كما ان الصورة في المرآة تابعة لصورة الانسان الناظر في
المرآة والصورة في المرآة وان كانت هي الثانية في رتبة الوجود فانها اولى في حق رؤيتك فانك لا ترى نفسك وترى
صورتك في المرآة اولا فتعرف بها صورتك التي هي قائمة بك ثانيا على سبيل المحاكاة فانقلب التابع في الوجود متبوعا في
حق المعرفة وانقلب المتأخر متقدما وهذا نوع من الانعكاس ولكن الانعكاس والانتكاس ضرورة هذا العالم فكذلك
عالم الملك والشهادة محاك لعالم الغيب والملكوت فمن الناس من تيسر له نظر الاعتبار فلا ينظر في شيء من عالم الملك الا
ويعبر به الى عالم الملكوت فيسمى عبوره عبرة وقد امر الخلق به فقيل فاعتبروا يا اولي الابصار ومنهم من عميت بصيرته
فاحتبس في عالم الملك والشهادة وستنفتح اليه ابواب جهنم وهذا الحبس مملوء نارا شانها ان تطلع على الافئدة
الا ان بينه وبين ادراك المها حجاب فاذا رفع الحجاب بالموت ادرك وعن هذا اظهر الله تعالى الحق على لسان قوم استنطقهم
الحق فقالوا الجنة والنار مخلوقتان ولترون الجحيم ثم لترونها مرة بادراك يسمى علم اليقين • ومرة اخرى تدركه بادراك يسمى عين
اليقين وعين اليقين لا يكون الا في الاخرة • وعلم اليقين قد يكون في الدنيا ولكن للذين وفر حظهم من نور اليقين فلذلك
قال تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم اي في الدنيا • ثم لترونها عين اليقين اي في الاخرة • فاذا قد ظهر ان القلب
الصالح لملك الاخرة لا يكون الا عزيزا كما لا يكثر الصالح لملك الدنيا

قسمة سادسة حاوية لمجامع النعم

اعلم ان النعم تنقسم الى ما هي غاية مطلوبة لذاتها والى ما هي مطلوبة لاجل الغاية اما الغاية فانها سعادة الاخرة
ويرجع حاصلها الى اربع امور بقاء لا فناء له وسرور لا غم فيه وعلم لا جهل معه وغنى لا فقر معه
وهي النعمة الحقيقية ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا عيش الا عيش الاخرة وقال ذلك مرة في الشدة تسلية للنفس وذلك وقت حفر
الخندق في شدة الضر وقال ذلك مرة في السرور منعا للنفس من الركون الى سرور الدنيا وذلك عند احداق الناس به في
حجة الوداع وقال رجل اللهم اني اسالك تمام النعمة فقال عليه الصلاة والسلام هل تعلم ما تمام النعمة قال لا قال دخول الجنة
واما الوسائل فتنقسم الى الاقرب الاخص كفضائل النفس والى ما يليه في القرب كفضائل البدن وهو الثاني والى ما يليه في

وتجاوزه الى غير البدن كالاسباب المطيفة بالبدن من المال والاهل والعشيرة والى ما يجمع بين هذه الاسباب الخارجة من النفس وبين
الحاصلة للنفس كالتوفيق والهداية فهي اذاً اربعة انواع **النوع الاول** وهو الاخص الفضائل النفسية ويرجع حاصلها مع
انشعاب اطرافها الى الايمان وحسن الخلق وينقسم الايمان الى علوم المكاشفة وهو العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته ورسله والى علوم المعاملة
وحسن الخلق ينقسم الى قسمين ترك مقتضى الشهوات والاقدام حتى لا تمنع اصلا ويرجع ايضا الى ترك مقتضى الشهوة والغضب
واسمه العفة ومراعاة العدالة في الكف عن المحارم والاقدام كيف شاء بل يكون اقدامه واحجامه بالعدل والميزان الذي انزله الله تعالى
على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم اذ قال تعالى ألا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان فمن خصى نفسه لترك شهوة
النكاح او ترك النكاح مع القدرة والامن من الآفات او ترك الاكل حتى ضعف عن العبادة والذكر والفكر فقد اخسر الميزان ومن انهمك
في شهوة البطن والفرج فقد طغى في الميزان وانما العدل ان يخلو وزنه وتقديره عن الطغيان والخسران فاذاً الفضائل الخاصة
بالنفس المقربة الى الله عز وجل اربعة علم مكاشفة وعلم معاملة وعفة وعدالة ولا يتم هذا في غالب الامر الا بالنوع الثاني
النوع الثاني وهي الفضائل البدنية وهي اربعة الصحة والقوة والجمال وطول العمر ولا تتهيأ هذه الاربعة الا بالنوع الثالث
النوع الثالث وهي النعم الخارجة المطيفة بالبدن وهي اربعة المال والاهل والجاه وكرم العشيرة ولا ينتفع بشيء
من هذه الاسباب الخارجة والبدنية الا بالنوع الرابع **النوع الرابع** وهي الاسباب التي تجمع بينها وبين ما يناسب الفضائل النفسية
الداخلة وهي اربعة هداية الله تعالى ورشده وتسديده وتأييده فمجموع هذه النعم ستة عشر اذ قسمناها الى اربعة
وقسمنا كل واحد الى اربعة ايضا وهذه الجملة يحتاج البعض منها الى البعض اما حاجة ضرورية او نافعة اما الحاجة الضرورية فكحاجة سعادة الآخرة
الى الايمان وحسن الخلق اذ لا سبيل الى الوصول الى سعادة الآخرة البتة الا بهما فليس للانسان الا ما سعى وليس لاحد في الآخرة الا
ما تزود من الدنيا وكذلك حاجة الفضائل النفسية بكسب العلوم وتهذيب الاخلاق الى صحة البدن ضروري واما الحاجة
النافعة على الجملة فكحاجة النعم النفسية والبدنية الى النعم الخارجة مثل المال والعز والاهل فان ذلك لو عدم ربما تطرق الخلل الى
بعض النعم الداخلة **فان قلت** فما وجه الحاجة لطريق الآخرة الى النعم الخارجة من المال والاهل والجاه والعشيرة فاعلم
ان هذه الاسباب جارية مجرى الجناح المبلغ والآلة المسهلة للمقصود اما المال فالفقير في العلم والكمال وليس له كفاية كساع الى
الهيجاء بغير سلاح وكباز يروم الصيد بلا جناح ولذلك قال صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وقال نعم العون على تقوى
الله تعالى المال وكيف ومن عدم المال صار مستغرق الاوقات في طلب الاقوات وفي تهيئة اللباس والمسكن وضرورات المعيشة
ثم يتعرض لانواع من الاذى تشغله عن الفكر والذكر ولا يندفع الا بسلاح المال ثم مع ذلك يحرم عن فضيلة الحج والزكاة والصدقات
وافاضة الخيرات **وقيل** لبعض الحكماء ما النعم قال الغنى فاني رأيت الفقير لا عيش له قيل زدنا قال العافية فاني رأيت المريض
لا عيش له قيل زدنا قال الامن فاني رأيت الخائف لا عيش له قيل زدنا قال الشباب فاني رأيت الهرم لا عيش له وكان ما ذكرناه
اشارة الى نعيم الدنيا ولكنه من حيث انه معين على الآخرة فهو نعمة ولذلك قال عليه الصلاة والسلام من اصبح معافى في بدنه آمنا
في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها واما الاهل والولد الصالح فلا يخفى وجه الحاجة اليهما **قال** صلى الله عليه وسلم
نعم العون على الدين المرأة الصالحة **وقال** في الولد اذا مات الرجل انقطع عمله الا من ثلاث ولد صالح يدعو له وقد ذكرنا فوائد الاهل
والولد في كتاب النكاح واما الاقارب فمهما كثر اولاد الرجل واقاربه كانوا له مثل الاعين والايدي فيتيسر له بسببهم من الامور الدنيوية المهمة
في دينه ما لو انفرد به لطال شغله وكل ما يفرغ قلبك عن ضرورات الدنيا فهو معين على الدين فهو اذاً نعمة واما العز والجاه فبه يدفع
الانسان عن نفسه الضيم والذل ولا يستغني عنه مسلم فانه لا ينفك عن عدو يؤذيه وظالم يشوش عليه علمه وعمله وفراغه
ويشغل قلبه وقلبه رأس ماله وانما تندفع هذه الشواغل بالعز والجاه فلذلك قيل الدين والسلطان توأمان **قال** الله تعالى
ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولا معنى للجاه الا ملك القلوب كما لا معنى للغنى الا ملك الدراهم ومن ملك القلوب
تسخرت له ارباب القلوب لدفع الاذى عنه فكما يحتاج الانسان الى سقف يدفع عنه المطر وجبة يدفع عنه البرد وكلب يدفع عنه الذئب عن ماشيته فيحتاج

ايضا الى من يدفع الشر به عن نفسه وعلى هذا القصد كان الانبياء الذين لا ملك لهم ولا سلطنة يراعون السلاطين ويطلبون عندهم
الجاه وكذلك علماء الدين لا على قصد التناول من خزائنهم او الاستئثار والاستكثار باتباعهم ولا تظنن ان نعمة الله تعالى
على رسوله حيث نصره واكمل دينه واظهره على جميع اعدائه ومكن له في القلوب حتى اتسع به عزه وجاهه كان اقل من نعمته عليه
حيث كان يؤذى ويضرب حتى افتقر الى الهرب والهجرة **فان قلت** وكرم العشيرة وشرف الاهل هو من
النعم ام لا فاقول نعم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الائمة من قريش ولذلك كان صلى الله عليه وسلم من اكرم ارومة
في نسب آدم عليه الصلاة والسلام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم تخيروا لنطفكم وقال اياكم وخضراء الدمن فقيل وما خضراء
الدمن قال المرأة الحسناء في المنبت السوء فهذا ايضا من النعم ولست اعني به الانتساب الى الظلمة وارباب الدنيا بل
الانتساب الى شجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ائمة العلماء والى الصالحين والابرار المتوسمين بالعلم والعمل **فان قلت**
فما معنى الفضائل البدنية فاقول لا خفاء بشدة الحاجة الى الصحة والى القوة والى طول العمر اذ لا يتم علم ولا عمل الا بها ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم افضل السعادات طول العمر في طاعة الله تعالى وانما يستحقر من جملتها امر الجمال فيقال يكفي ان يكون
البدن صحيحا سليما من الامراض الشاغلة عن تحري الخيرات ولعمري الجمال قليل الغناء ولكنه من الخيرات ايضا اما في الدنيا
فلا يخفى نفعها واما في الآخرة فمن وجهين احدهما ان القبيح مذموم والطباع عنه نافرة وحاجات الجميل الى الاجابة اقرب وجاهه
في الصدور اوسع فكأنه من هذا الوجه جناح مبلغ كالمال والجاه اذ هو نوع قدرة اذ يقدر الجميل الوجه على تنجيز حاجات لا يقدر على
تنجيزها القبيح وكل معين على قضاء حاجات الدنيا فمعين على الآخرة بواسطتها **الثاني** ان الجمال في الاكثر يدل على فضيلة النفس لان
نور النفس اذا تم اشراقه تأدى الى البدن فالمنظر والمخبر كثيرا ما يتلازمان ولذلك عول اصحاب الفراسة في معرفة مكارم
النفس على هيئة البدن وقالوا الوجه والعين مرآة الباطن ولذلك يظهر فيه اثر الغضب والسرور والغم وقيل
ما في الارض قبيح الا ووجهه احسن ما فيه واستعرض المأمون جيشا فعرض عليه رجل قبيح الوجه فاستنطقه فاذا هو الكن فاسقط
اسمه من الديوان **وقال** الروح اذا اشرقت على الظاهر فصباحة او على الباطن ففصاحة وهذا ليس له ظاهر ولا باطن
وقال صلى الله عليه وسلم اطلبوا الخير عند حسان الوجوه وقال عمر رضي الله عنه اذا بعثتم رسولا فاطلبوا حسن الوجه حسن الاسم
وقال الفقهاء اذا تساوت درجات المصلين فاحسنهم وجها اولاهم بالامامة وقال تعالى ممتنا بذلك وزاده بسطة في العلم
والجسم ولسنا نعني بالجمال ما يحرك الشهوة فان ذلك انوثة وانما نعني به ارتفاع القامة مع الاستقامة والاعتدال في
اللحم وتناسب الاعضاء وتناصف خلقة الوجه بحيث لا تنبو الطباع عن النظر اليه **فان قلت**
فقد ادخلت المال والجاه والنسب والاهل والولد في حيز النعم وقد ذم الله تعالى المال والجاه وكذا رسوله صلى الله عليه وسلم
وكذا العلماء **وقال تعالى** ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم وقال انما اموالكم واولادكم فتنة وقال علي رضي الله عنه في ذم النسب
الناس ابناء ما يحسنون وقيمة كل امرئ ما يحسنه وقيل المرء بنفسه لا بابيه فما معنى كونها نعمة مع كونها
مذمومة شرعا فاعلم ان من يأخذ العلوم من الالفاظ المنقولة المؤولة والعمومات المخصصة كان الضلال
عليه اغلب ما لم يهتد بنور الله تعالى الى ادراك الامور على ما هي عليه ثم ينزل النقل على وفق ما ظهر له منها بالتأويل مرة
والتخصيص اخرى فهذه نعم معينة على امر الآخرة لا سبيل الى جحدها الا ان فيها فتنا ومخاوف فمثال المال مثال الحية
التي فيها ترياق نافع وسم ناقع فان اصابها المعزم الذي يعرف وجه الاحتراز عن سمها وطريق استخراج ترياقها
النافع كانت نعمة وان اصابها السوادي الغر فهي عليه بلاء مهلك وهو مثل البحر الذي تحته اصناف الجواهر واللآلئ
فمن ظفر بالبحر فان كان عالما بالسباحة وطريق الغوص وطريق الاحتراز عن مهلكات البحر فقد ظفر بنعمه وان خاضه
جاهلا بذلك فقد هلك ولذلك مدح الله المال وسماه خيرا ومدحه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال نعم العون على التقوى
المال وكذلك مدح الجاه والعز اذ من الله تعالى على رسوله بان اظهره على الدين كله وحببه في قلوب الخلق وهو المعنى بالجاه

ولكن المنقول في مدحهما قليل والمنقول في ذم المال والجاه كثير وحيث ذم الرياء فهو ذم الجاه اذ الرياء مقصوده
اجتلاب القلوب ومعنى الجاه ملك القلوب وانما كثر هذا وقل ذاك لان الناس اكثرهم جهال بطريق الرقية لحية
المال وطريق الغوص في بحر الجاه فوجب تحذيرهم فانهم يهلكون بسم المال قبل الوصول الى ترياقه ويهلكهم تمساح
بحر الجاه قبل العثور على جواهره ولو كانا في اعيانهما مذمومين بالاضافة الى كل احد لما تصور ان ينضاف الى النبوة
الملك كما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ان ينضاف اليه الغنى كما كان لسليمان عليه الصلاة والسلام فالناس كلهم صبيان
والاموال حيات والانبياء والعارفون معزمون وقد يضر الصبي ما لا يضر المعزم نعم المعزم لو كان له ولد يريد بقاءه وصلاحه
وقد وجد حية وعلم انه لو اخذها لاجل ترياقها لاقتدى به ولده واخذ الحية اذا راها ليلعب بها فيهلك فله غرض في الترياق
وله غرض في حفظ ولده فواجب عليه ان يزن غرضه في الترياق بغرضه في حفظ الولد فاذا كان يقدر على الصبر عن الترياق
ولا يستضر به ضررا كثيرا ولو اخذها لاخذها الصبي ويعظم ضرره بهلاكه فواجب عليه ان يهرب عن الحية اذا راها ويشير على
الصبي بالهرب ويقبح صورتها في عينه ويعرفه ان فيها سما قاتلا لا ينجو منه احد ولا يحدثه اصلا بما فيها من نفع الترياق فان ذلك
ربما يغره فيقدم عليها من غير تمام المعرفة وكذلك الغواص لو علم انه لو غاص في البحر بمراى من ولده لاتبعه وهلك فواجب
ان يحذر الصبي ساحل البحر والنهر فان كان لا ينزجر الصبي بمجرد النهي والزجر مهما راى اباه يحوم حول الساحل فواجب
عليه ان يبعد من الساحل مع الصبي ولا يقرب منه بين يديه فكذلك الامة في حجر الانبياء كالصبيان الاغبياء ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم انما انا لكم مثل الوالد لولده وقال انكم تتهافتون على النار تهافت الفراش وانا اخذ بحجزكم وحظهم العظيم في حفظ
اولادهم عن المهالك فانهم لم يبعثوا الا لذلك وليس لهم في الدنيا حظ الا بقدر القوت فلا جرم اقتصروا على القوت وما فضل فلم
يمسكوه بل انفقوه فان الانفاق فيه الترياق والامساك فيه السم ولو فتح للناس باب كسب المال ورغبوا فيه لمالوا الى سم الامساك
ورغبوا عن ترياق الانفاق فلذلك قبحت الاموال والمعني به تقبيح امساكها والحرص عليها للاستكثار منها والتوسع في
نعيمها بما يوجب الركون الى الدنيا ولذاتها فاما اخذها بقدر الكفاية وصرف الفاضل الى الخيرات فليس بمذموم وحق كل مسافر ان لا
يحمل الا بقدر زاده في السفر اذا صمم العزم على ان يختص بما يحمله فاما اذا سخت نفسه باطعام الطعام وتوسيع الزاد على الرفقاء فلا باس
بالاستكثار وقوله صلى الله عليه وسلم لا تاخذوا من الدنيا الا بقدر زاد الراكب معناه ليكن بلاغ احدكم من الدنيا كزاد الراكب لنفسه خاصة
والا فقد كان ممن يروي هذا الحديث ويعمل به ياخذ مائة الف درهم في موضع واحد ويفرقه في موضعه ولا يمسك منه حبة ولما
ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان الاغنياء يدخلون الجنة بشدة استاذنه عبد الرحمن بن عوف في ان يخرج من جميع ما يملكه فاذن له
فنزل جبريل وقال مره بان يطعم المسكين ويكسو العاري ويقري الضيف الحديث. فاذا النعم الدنيوية مشوبة قد
امتزج داؤها بدوائها ومرجوها بمخوفها ونفعها بضرها فمن وثق ببصيرته وكمال معرفته فله ان يقرب منها متقيا داءها
ومستخرجا دواءها ومن لا. فالبعد البعد. والفرار الفرار عن مظان الاخطار. فلا تعدل بالسلامة شيئا في حق هؤلاء
وهم الخلق كلهم الا من عصمه الله تعالى وهداه لطريقه. **فان قلت** فما معنى النعم التوفيقية الراجعة الى الهداية والرشد
والتاييد والتسديد. فاعلم ان التوفيق لا يستغنى عنه احد وهو عبارة عن التاليف والتلفيق بين ارادة العبد
وبين قضاء الله وقدره وهذا يشمل الخير والشر وما هو سعادة وما هو شقاوة ولكن جرت العادة بتخصيص اسم التوفيق بما
يوافق السعادة من جملة قضاء الله وقدره كما ان الالحاد عبارة عن الميل فخصص بمن مال عن الحق الى الباطل وكذا الارتداد
ولا خفاء بالحاجة الى التوفيق **ولذلك قيل** اذا لم يكن عون من الله للفتى فاكثر ما يجني عليه اجتهاده
فاما الهداية فلا سبيل لاحد الى طلب السعادة الا بها لان داعية الانسان قد تكون مائلة الى ما فيه صلاح اخرته ولكن اذا لم يعلم
ما فيه صلاح اخرته حتى يظن الفساد صلاحا فمن اين ينفعه مجرد الارادة والقدرة والاسباب الا بعد الهداية ولذلك قال تعالى ربنا
الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وقال تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ولكن الله يزكي من يشاء وقال صلى الله عليه وسلم

ما من احد يدخل الجنة الا برحمة الله تعالى اي بهدايته فقيل ولا انت يا رسول الله فقال ولا انا وللهداية ثلث منازل
الاولى معرفة طريق الخير والشر المشار اليه بقوله تعالى وهديناه النجدين وقد انعم الله به على كافة عباده بعضه بالعقل
وبعضه على لسان الرسل ولذلك **قال** تعالى واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فاسباب الهدى هي الكتب
والرسل وبصائر العقول وهي مبذولة ولا يمنع منها الا الحسد والكبر وحب الدنيا والاسباب التي تعمي القلوب وان
كانت لا تعمي الابصار ومن جملة المعميات الالف والعادة وحب استصحابها وعنه العبارة بقوله تعالى انا وجدنا اباءنا.
وعن الكبر والحسد العبارة بقوله تعالى وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وقوله تعالى ابشرا منا واحدا
نتبعه فهذه المعميات هي التي منعت الاهتداء. **والهداية الثانية** وراء هذه الهداية العامة وهي التي يمد الله
تعالى بها العبد حالا بعد حال وهي ثمرة المجاهدة حيث **قال** والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وهو المراد بقوله تعالى
والذين اهتدوا زادهم هدى. **والهداية الثالثة** وراء الثانية وهي النور الذي يشرق في عالم النبوة والولاية بعد
كمال المجاهدة فيهتدي بها الى ما لا يهتدى اليه بالعقل الذي يحصل به التكليف وامكان تعلم العلوم وهو الهدى المطلق وما عداه
حجاب له ومقدمات وهو الذي شرفه الله تعالى بتخصيص الاضافة وان كان الكل من جهته تعالى فقال تعالى قل ان هدى الله هو الهدى وهو
المسمى حياة في قوله تعالى او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس وبقوله تعالى افمن شرح الله صدره
للاسلام فهو على نور من ربه. واما الرشد فنعني به العناية الالهية التي تعين الانسان عند توجهه الى مقاصده فتقويه على ما فيه
صلاحه وتفتره عما فيه فساده ويكون ذلك من الباطن كما قال تعالى ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين فالرشد
عبارة عن هداية باعثة الى جهة السعادة محركة اليها فالصبي اذا بلغ خبيرا بحفظ المال وطرق التجارة والاستنماء ولكنه
مع ذلك يبذر ولا يريد الاستنماء لا يسمى رشيدا لا لعدم هدايته بل لقصور هدايته عن تحريك داعيته فكم من شخص يقدم على ما
يعلم انه يضره فقد اعطي الهداية وتميز بها عن الجاهل الذي لا يدري انه يضره ولكن ما اعطي الرشد فالرشد بهذا الاعتبار اكمل من مجرد
الهداية الى وجوه الاعمال وهي نعمة عظيمة. واما التسديد فهو توجيه حركاته الى صوب المطلوب وتيسيرها عليه ليشتد في صوب
الصواب في اسرع وقت فان الهداية بمجردها لا تكفي بل لا بد من هداية محركة للداعية وهي الرشد والرشد لا يكفي بل لا بد من تيسر
الحركات بمساعدة الاعضاء والالات حتى يتم المراد مما انبعثت الداعية اليه فالهداية محض التعريف والرشد هو تنبيه
الداعية لتستيقظ وتتحرك والتسديد اعانة ونصرة بتحريك الاعضاء في صوب السداد. واما التاييد فكانه جامع
للكل وهو عبارة عن تقوية امره بالبصيرة من داخل وبقوة البطش ومساعدة الاسباب من خارج وهو المراد بقوله تعالى
اذ ايدتك بروح القدس ويقرب منه العصمة وهو عبارة عن وجود الهي يسنح في الباطن يقوى به الانسان على تحري
الخير وتجنب الشر حتى يصير كمانع من باطنه غير محسوس واياه عنى بقوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان
ربه فهذه هي مجامع النعم ولن تتيسر الا بما خوله الله تعالى من الفهم الصافي الثاقب والسمع الواعي والقلب البصير المتواضع
المراعي والمعلم الناصح والمال الزائد على ما يقصر عن المهمات بقلته القاصر عما يشغل عن الدين بكثرته والعز الذي يصونه عن
سفه السفهاء وظلم الاعداء ويستدعي كل واحد من هذه الاسباب الستة اسبابا وتستدعي تلك الاسباب اسبابا الى ان تنتهي
بالاخرة الى دليل المتحيرين ومغيث المضطرين وذلك رب الارباب ومسبب الاسباب واذا كانت تلك الاسباب طويلة لا يحتمل مثل
هذا الكتاب استقصاءها فلنذكر منها انموذجا ليحصل به معنى قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ه ه

بيان وجه الانموذج في كثرة نعم الله تعالى وتسلسلها وخروجها عن الحصر والاحصاء

اعلم انا جمعنا النعم في ستة عشر ضربا وجعلنا صحة البدن نعمة من النعم الواقعة في الرتبة المتاخرة فهذه النعمة الواحدة لو اردنا ان
نستقصي الاسباب التي بها تتم هذه النعمة لم نقدر عليه ولكن الاكل هو احد اسباب الصحة فلنذكر نبذة من جملة الاسباب التي بها
تتم نعمة الاكل ولا يخفى ان الاكل فعل وكل فعل من هذا النوع فهو حركة وكل حركة فلا بد لها من جسم متحرك هو آلتها ولا بد لها من

على الاكل ولا بد من ارادة للحركة ولا بد من علم بالمراد وادراك له ولا بد للاكل من آلة ولا بد للآلات من اصل يحصل ولا بد له من موانع يحفظه فلنذكر اسباب الادراك ثم اسباب الارادات ثم اسباب القدرة ثم اسباب الاكل على سبيل التلويح لا على سبيل الاستقصاء

الطرف الاول في نعم الله تعالى في خلق اسباب الادراك

اعلم ان الله تعالى خلق النبات وهو اكمل وجودا من الحجر والمدر والحديد والنحاس وسائر الجواهر التي لا تنمو ولا تغتذي فان النبات خلق فيه قوة بها يجتذب الغذاء الى نفسه من جهة اصله وعروقه التي في الارض وهي له آلات فيها يجتذب الغذاء وهي العروق الدقيقة التي تراها في كل ورقة تغلظ اصولها ثم تتشعب ولا تزال تستدق وتتشعب الى عروق شعرية تنبسط في اجزاء الورقة حتى تغيب عن البصر الا ان النبات مع هذا الكمال ناقص فانه اذا اعوزه غذاء يساق اليه ويماس اصله جف ويبس ولم يمكنه طلب الغذاء من موضع آخر فان الطلب انما يكون بمعرفة المطلوب وبالانتقال اليه والنبات عاجز عنه فلا

فمن نعمة الله عليك ان خلق لك آلة الاحساس وآلة الحركة في طلب الغذاء فانظر الى ترتيب حكمة الله تعالى في خلق الحواس الخمس التي هي آلة الادراك فاولها حاسة اللمس وانما خلقت لك اذا مستك نار محرقة او سيف جارح تحس به فتهرب منه وهذا اول حس يخلق للحيوان ولا يتصور حيوان الا ويكون له هذا الحس لانه ان لم يحس اصلا فليس بحيوان وانقص درجات الحس ان يحس بما يلاصقه ويماسه فان الاحساس بما يبعد منه احساس اتم لا محالة وهذا الحس موجود لكل حيوان حتى الدودة التي في الطين فانها اذا غرز فيها ابرة انقبضت للهرب لا كالنبات فان النبات تقطع فلا ينقبض اذ لا يحس بالقطع الا انك لو لم يخلق لك الا هذا الحس لكنت ناقصا كالدود لا تقدر على طلب الغذاء من حيث يبعد عنك بل ما يمس بدنك فتحس به فتجتذبه الى نفسك فقط فافتقرت الى حس تدرك به ما بعد عنك فخلق لك الشم الا انك تدرك به الرائحة ولا تدري انها جاءت من اي ناحية فتحتاج الى ان تطوف كثيرا من الجوانب فربما تعثر على الغذاء الذي شممت ريحه وربما لم تعثر فتكون في غاية العمى لو لم يخلق لك الا هذا **فخلق لك البصر** لتدرك به ما بعد عنك وتدرك جهته فتقصد تلك الجهة بعينها الا انه لو لم يخلق لك الا هذا لكنت ناقصا اذ لا تدرك بهذا ما وراء الجدران والحجب فتبصر غذاء ليس بينك وبينه حجاب وتبصر عدوا لا حجاب بينك وبينه وقد لا ينكشف الحجاب الا بعد قرب العدو فتعجز عن الهرب فخلق لك السمع حتى تدرك به الاصوات من وراء الجدران عند جريان الحركات واذا كنت لا تدرك بالبصر الا شيئا حاضرا واما الغائب فلا يمكنك معرفته الا بكلام ينتظم من حروف واصوات تدرك بحس السمع فاشتدت اليه حاجتك فخلق لك ذلك وميزت بفهم الكلام عن سائر الحيوانات وكل ذلك ما كان يغنيك لو لم يكن لك حس الذوق اذ يصل الغذاء اليك فلا تدرك انه موافق لك او مخالف فتأكله فتهلك كالشجرة يصب في اصلها كل مائع ولا ذوق لها فتجتذبه وربما يكون ذلك سبب جفافها ثم كل ذلك لا يكفيك لو لم يخلق في مقدمة دماغك ادراك آخر **يسمى حسا مشتركا** تتأدى اليه المحسوسات الخمس وتجتمع فيه ولولاه لطال الامر عليك فانك اذا اكلت شيئا اصفر مثلا فوجدته مرا مخالفا لك فتركته فاذا رأيته مرة اخرى فلا تعرف انه مر ما لم تذقه ثانيا لولا الحس المشترك اذ العين تبصر الصفرة ولا تدرك المرارة فكيف تمتنع عنه والذوق يدرك المرارة ولا يدرك الصفرة فلا بد من حاكم يجتمع عنده الصفرة والمرارة جميعا حتى اذا ادرك الصفرة حكم بانه مر فيمتنع عن تناوله ثانيا وهذا كله يشاركك فيه الحيوانات اذ للشاة هذه الحواس كلها فلو لم يكن لك الا هذا لكنت ناقصا فان البهيمة يحتال عليها فتؤخذ فلا تدري كيف تدفع الحيلة عن نفسها وكيف تتخلص اذا قيدت وقد تلقي نفسها في بئر فلا تدري ان ذلك يهلكها ولذلك قد تأكل البهيمة ما تستلذه في الحال ويضرها في ثاني الحال فتمرض وتموت اذ ليس لها الا الاحساس بالحاضر فاما ادراك العواقب فلا **فميزك** الله تعالى واكرمك بصفة اخرى هي اشرف من الكل وهو العقل فبه تدرك مضرة الاطعمة ومنفعتها وما يضر في المآل وبه تدرك كيفية طبخ الاطعمة وتأليفها واعداد اسبابها فتنتفع بعقلك في الاكل الذي هو سبب صحتك وهو اخس فوائد العقل واقل الحكم فيه بل الحكمة الكبرى فيه معرفة الله ومعرفة افعاله ومعرفة الحكمة في عالمه وعند ذلك تنقلب فائدة الحواس الخمس في حقك فتكون

الحواس الخمس كالجواسيس واصحاب الاخبار الموكلين بنواحي المملكة وقد وكلت واحدة منها باخبار الالوان والاخرى باخبار الطعوم والاخرى باخبار الحر والبرد والخشونة والملاسة واللين والصلابة وغيرها وهذه البرد والجواسيس يقتنصون الاخبار من اقطار المملكة ويسلمونها الى الحس المشترك والحس المشترك قاعد في مقدمة الدماغ مثل صاحب القصص والكتب على باب الملك يجمع القصص والكتب الواردة من نواحي العالم فيأخذها وهي مختومة اذ ليس له الا اخذها وحفظها فاما معرفة حقائق ما فيها فلا ولكن اذا صادف القلب العاقل الذي هو الامير والملك سلم الانهاءات اليه مختومة فيفتشها الملك ويطلع منها على اسرار المملكة ويحكم فيها باحكام عجيبة لا يمكن استقصاؤها في هذا المقام وبحسب ما يلوح له من الاحكام والمصالح يحرك الجنود وهي الاعضاء مرة في الطلب ومرة في الهرب ومرة في اتمام التدبيرات التي تعن له فهذه سياقة نعم الله عليك في الادراكات **ولا تظنن** انا استوفيناها فان الحواس الظاهرة هي بعض الادراكات والبصر واحد من جملة الحواس والعين آلة واحدة له وقد ركبت العين من عشر طبقات مختلفة بعضها رطوبات وبعضها اغشية وبعض الاغشية كأنها نسج العنكبوت وبعضها كالمشيمة وبعض تلك الرطوبات كأنه بياض البيض وبعضها كأنه الجمد ولكل واحدة من هذه الطبقات صفة وصورة وشكل وهيئة وعرض وتدوير وتركيب ولو اختلت طبقة واحدة من جملة العشر او صفة واحدة من صفات كل طبقة لاختل البصر وعجز عنه الاطباء والكحالون كلهم فهذا في حس واحد فقس به حاسة السمع وسائر الحواس بل لا يمكن ان يستوفى حكم الله تعالى وانواع نعمه في جسم البصر وطبقاته في مجلدات كثيرة مع ان جملته لا تزيد على جوزة صغيرة فكيف ظنك بجميع البدن وسائر اعضائه وعجائبه فهذه مرامز الى نعم الله تعالى بخلق الادراكات

الطرف الثاني في اصناف النعم في خلق الارادات

اعلم انه لو خلق لك البصر حتى تدرك به الغذاء من بعد ولم يخلق لك ميل في الطبع وشوق اليه وشهوة له تستحثك على الحركة لكان البصر معطلا فكم من مريض يرى الطعام وهو انفع الاشياء له وقد سقطت شهوته فلا يتناوله فيبقى البصر والادراك معطلا في حقه فاضطررت الى ان يكون لك ميل الى ما يوافقك يسمى شهوة ونفرة عما يخالفك يسمى كراهة لتطلب بالشهوة وتهرب بالكراهة فخلق الله فيك شهوة الطعام وسلطها عليك ووكلها بك كالمتقاضي الذي يضطرك الى التناول حتى تتناول وتغتذي فتبقى بالغذاء وهذا مما يشاركك فيه الحيوان دون النبات ثم هذه الشهوة لو لم تسكن اذا اخذت مقدار الحاجة اسرفت واهلكت نفسك فخلق الله لك الكراهة عند الشبع لتترك الاكل بها لا كالزرع فانه لا يزال يجتذب الماء اذا انصب في اسافله حتى يفسد فيحتاج الى الآدمي يقدر غذاءه بقدر الحاجة فيسقيه مرة ويقطع عنه الماء اخرى وكما خلقت لك هذه الشهوة حتى تأكل فيبقى به بدنك خلق لك شهوة الوقاع حتى تجامع فيبقى به نسلك ولو قصصنا عليك عجائب صنع الله في خلق الرحم وخلق دم الحيض وتأليف الجنين من النطفة ودم الحيض وكيفية خلق الانثيين والعروق السالكة اليهما من الفقار الذي هو مستقر النطفة وكيفية انصباب ماء المرأة من الترائب بواسطة العروق وكيفية انقسام مقعر الرحم الى قوالب تقع النطفة في بعضها فتتشكل بشكل الذكور وتقع في بعضها فتتشكل بشكل الاناث وكيفية ادارتها في اطوار خلقها مضغة وعلقة ثم عظما ولحما ودما وكيفية قسمة اجزائها الى الرأس واليد والرجل والبطن والظهر وسائر الاعضاء لقضيت من انواع نعم الله عليك في مبدأ خلقك كل العجب فضلا عما تراه الآن ولكنا لسنا نريد ان نتعرض الا لنعم الله تعالى في الاكل وحده كي لا يطول الكلام فاذا شهوة الطعام احد ضروب الارادات وذلك لا يكفيك فانه تأتيك المهلكات من الجوانب فلو لم يخلق فيك الغضب الذي به تدفع كل ما يضادك ولا يوافقك لبقيت عرضة للآفات ولاخذ منك كل ما حصلته من الغذاء فان كل احد يشتهي ما في يديك فتحتاج الى داعية في دفعه ومقاتلته وهو داعية الغضب ثم هذا لا يكفيك اذ الشهوة والغضب لا يدعوان الا الى ما يضر وينفع في الحال اما في المآل فلا يكفي فيه هذه الارادة فخلق الله تعالى لك ارادة اخرى مسخرة تحت اشارة العقل المعرف للعواقب كما خلق الشهوة والغضب مسخرة تحت ادراك الحس المدرك للحالة

الحاضر فتم بها استنفاعك بالعقل اذ كان مجرد المعرفة بان هذه الشهوة مثلا تضرك لا يغنيك في الاحتراز عنها ما لم يكن لك
ميل الى العمل بموجب المعرفة وهذه الارادة افردت بها عن البهائم اكراما لبني آدم كما افردت بمعرفة العواقب وقد سميناها هذه
الارادة باعثا دينيا وفصلناه في كتاب الصبر تفصيلا اوفى من هذا **الطرف الثالث في نعم الله تعالى**
في خلق القدرة والات الحركة اعلم ان الحس لا يفيد الا الادراك والارادة لا معنى لها الا الميل الى الطلب او الهرب وهذا لا يكفيه
ما لم يكن الة الطلب والهرب فكم من مريض مشتاق الى شيء بعيد عنه مدرك له لكن لا يمكنه ان يمشي اليه لفقد رجله او لا يمكنه
ان يتناوله لفقد يده او لفلج وخدر فيهما فلا بد من الات للحركة وقدرة في تلك الالات على الحركة لتكون حركتها بمقتضى الشهوة طلبا
وبمقتضى الكراهة هربا فلذلك خلق لك الاعضاء التي تنظر الى ظاهرها ولا تعرف اسرارها فمنها ما هو للطلب كالرجل للانسان والجناح
للطير والقوائم للدواب ومنها ما هو للدفع كالاسلحة للانسان والقرون للحيوانات وفي هذا تختلف الحيوانات اختلافا كثيرا
فمنها ما يكثر اعداؤه ويبعد غذاؤه فيحتاج الى سرعة الحركة فخلق له الجناح ليطير بسرعة ومنها ما خلق له اربع قوائم ومنها
ما له رجلان ومنها ما يدب وذكر ذلك يطول فلنذكر الاعضاء التي بها يتم الاكل فقط ليقاس عليها غيرها فنقول
رؤيتك الطعام من بعد وحركتك اليه لا تكفي ما لم تاخذه فافتقرت الى الة باطشة فانعم الله عليك بخلق اليدين وهما طويلتان
فتمتدان الى الاشياء ومشتملتان على مفاصل كثيرة لتتحرك في الجهات فتمتد وتنثني اليك فلا تكون كخشبة منصوبة ثم جعل
راس اليد عريضا بخلق الكف ثم قسم راس الكف بخمسة اقسام هي الاصابع وجعلها في صفين بحيث يكون الابهام في جانب ويدور
على الاربعة الباقية ولو كانت مجتمعة او متراكمة لم يحصل بها تمام غرضك فوضعها وضعا ان بسطتها كانت لك مجرفة وان ضممتها
وثنيتها كانت لك مغرفة وان جمعتها كانت لك الة للضرب وان نشرتها ثم قبضتها كانت لك الة في التصرف ثم خلق
لها الاظفار واسند اليها رؤوس الاصابع حتى لا تتفتت وحتى تلتقط بها الاشياء الدقيقة التي لا تحويها الاصابع فتاخذها
برؤوس اظفارك **ثم هب** انك اخذت الطعام باليد فمن اين يكفيك هذا ما لم يصل الى المعدة وهي في الباطن فلا
بد وان يكون من الظاهر دهليز اليها حتى يدخل الطعام منه فجعل الفم منفذا الى المعدة مع ما فيه من الحكم الكثيرة سوى كونه منفذا
للطعام الى المعدة ثم ان وضعت الطعام في الفم وهو قطعة واحدة فلا يتيسر ابتلاعه فتحتاج الى طاحونة يطحن بها الطعام فخلق
لك اللحيين من عظمين وركب فيهما الاسنان وطبق الاضراس من العليا على السفلى لتطحن بها الطعام طحنا ثم الطعام تارة يحتاج
الى الكسر وتارة الى القطع ثم يحتاج الى الطحن بعد ذلك فقسم الاسنان الى عريضة طواحن كالاضراس والى حادة قواطع كالرباعيات
والى ما يصلح للكسر كالانياب ثم جعل مفصل اللحيين متخلخلا بحيث يتقدم الفك الاسفل ويتاخر حتى يدور على الفك الاعلى
دوران الرحا ولولا ذلك لما تيسر الا ضرب احدهما على الاخر مثل تصفيق اليدين مثلا وبذلك لا يتم الطحن فجعل اللحي الاسفل متحركا حركة
دورية واللحي الاعلى ثابتا لا يتحرك فانظر الى عجيب صنع الله تعالى فان كل رحا صنعه الخلق يثبت منه الحجر الاسفل ويدور الاعلى الا هذا
الرحا الذي صنعه الله تعالى اذ يدور منه الاسفل على الاعلى فسبحانه ما اعظم شانه واقوى برهانه واوسع امتنانه ثم هب
انك وضعت الطعام في فضاء الفم فكيف يتحرك الطعام الى ما تحت الاسنان اوكيف يستجره الاسنان الى نفسها اوكيف
يتصرف باليد في داخل الفم فانظر كيف انعم الله تعالى عليك بخلق اللسان فانه يطوف في جوانب الفم ويرد الطعام من الوسط
الى الاسنان بحسب الحاجة كالمجرفة التي ترد الطعام الى الرحا هذا مع ما فيه من فائدة الذوق وعجائب قوة النطق التي لسنا نطنب
بذكرها **ثم هب** انك قطعت الطعام وطحنته وهو يابس فلا تقدر على الابتلاع الا بان يتزلق الى الحلق بنوع رطوبة
فانظر كيف خلق الله تعالى تحت اللسان عينا يفيض اللعاب منها وينصب بقدر الحاجة حتى ينعجن به الطعام فانظر كيف سخرها الله لهذا الامر
فانك ترى الطعام من بعد فيثور الحنكان للخدمة وينصب اللعاب حتى تتحلب اشداقك والطعام بعد بعيد منك ثم هذا
الطعام المطحون المعجون من يوصله الى المعدة وهو في الفم ولا تقدر على ان تدفعه باليد ولا في المعدة يد حتى تمتد فتجذب الطعام
فانظر كيف هيا الله المري والحنجرة وجعل على راسها طبقات تنفتح لاخذ الطعام ثم تنطبق وتنضغط حتى ينقلب الطعام

بضغطه فيهوي الى المعدة في دهليز المري فاذا ورد الطعام على المعدة وهو خبز وفاكهة مقطعة فلا يصلح لان يصير لحما ودما
وعظاما على هذه الهيئة بل لا بد وان يطبخ طبخا تاما تتشابه اجزاؤه فخلق الله المعدة على هيئة قدر فيقع فيها الطعام
فتحتوي عليه وتنغلق عليه الابواب فلا يزال لابثا فيها حتى يتم الهضم والنضج بالحرارة التي تحيط بالمعدة من الاعضاء الباطنة
اذ من جانبها الايمن الكبد ومن الايسر الطحال ومن قدام الترائب ومن خلفها لحم الصلب فتتعدى الحرارة اليها من تسخين هذه
الاعضاء من الجوانب حتى ينطبخ الطعام ويصير مائعا متشابها يصلح للنفوذ في تجاويف العروق وعند ذلك يشبه ماء الشعير
في تشابه اجزائه ورقته وهو بعد لا يصلح للتغذية فخلق الله تعالى بينها وبين الكبد مجاري من العروق وجعل لها فوهات كثيرة
حتى ينصب الطعام فيها فينتهي الى الكبد والكبد معجون من طينة الدم حتى كانه دم وفيه عروق كثيرة شعرية منتشرة في اجزاء
الكبد فينصب الطعام الرقيق النافذ فيها وينتشر في اجزائها حتى يستولي عليه قوة الكبد فتصبغه بلون الدم فيستقر فيها ريث
ما يحصل له نضج آخر ويحصل له هيئة الدم الصافي الصالح لغذاء الاعضاء الا ان حرارة الكبد هي التي تنضج هذا الدم فيتولد من هذا
الدم فضلتان لا يتولد من جميع ما يطبخ احداهما شبيهة بالدردي والعكر وهو الخلط السوداوي والاخرى شبيهة بالرغوة
وهي الصفراء ولو لم يفصل عنها الفضلتان لفسد مزاج الاعضاء فخلق الله المرارة والطحال وجعل لكل واحد منهما عنقا ممدودا
الى الكبد داخلا في تجويفه فتجذب المرارة الفضلة الصفراوية ويجذب الطحال العكر السوداوي فيبقى الدم صافيا ليس فيه الا زيادة
رقة ورطوبة لما فيه من المائية ولولا المائية لما انتشر في تلك العروق الشعرية ولا خرج منها متصاعدا الى الاعضاء فخلق الله الكليتين
واخرج من كل واحدة منهما عنقا طويلا الى الكبد ومن عجائب حكمة الله ان عنقهما ليس داخلا في تجويف الكبد بل متصل بالعروق الطالعة
من حدبة الكبد حتى يجذب ما فيها بعد الطلوع من العروق الدقيقة التي في الكبد اذ لو اجتذب قبل ذلك لغلظ ولم يخرج من
العروق فاذا انفصلت منه المائية فقد صار الدم صافيا من الفضلات الثلاث نقيا من كل ما يفسد الغذاء ثم ان الله تعالى
اطلع من الكبد عروقا ثم قسمها بعد الطلوع اقساما وشعب كل قسم بشعب وانتشر ذلك في البدن كله من الفرق الى القدم ظاهرا
وباطنا فيجري الدم الصافي فيها ويصل الى سائر الاعضاء حتى تصير العروق المنقسمة شعرية كعروق الاوراق والاشجار بحيث
لا تدرك بالابصار فيصل منها الغذاء بالرشح الى سائر الاعضاء ولو حلت بالمرارة آفة فلم تجذب الخلط الصفراوي فسد الدم وحصل منه الامراض
الصفراوية كاليرقان والبثور والحمرة وان حلت بالطحال آفة فلم يجذب الخلط السوداوي حدثت الامراض السوداوية كالبهق والجذام
والماليخوليا وغيرها وان لم تندفع المائية نحو الكلى حدث منه الاستسقاء وغيره **ثم انظر الى حكمة خالق الناس كيف**
رتب منافع هذه الفضلات الثلاث الخسيسة اما المرارة فانها تجذب باحد عنقيها وتقذف بالعنق الاخر الى الامعاء
ليحصل به في ثفل الطعام رطوبة مزلقة ويحدث في الامعاء لذع يحركها للدفع فينضغط حتى يندفع الثفل وينزلق ويكون
صفرته لذلك واما الطحال فانه يحيل تلك الفضلة احالة يحصل بها فيها حموضة وقبض ثم يرسل منها في كل يوم شيئا الى فم المعدة
فيحرك الشهوة بحموضته وينبهها ويثيرها ويخرج الباقي مع الثفل واما الكلية فانها تتغذى بما في تلك المائية من دم ويرسل
الباقي الى المثانة ولنقتصر على هذا القدر من بيان نعم الله تعالى في الاسباب التي اعدت للاكل ولو ذكرنا كيفية احتياج الكبد الى
القلب والدماغ واحتياج كل واحد من هذه الاعضاء الرئيسة الى صاحبه وكيفية انشعاب العروق الضوارب من القلب الى سائر
البدن التي بواسطتها يصل الروح وكيفية انشعاب الاعصاب من الدماغ ثم العروق السواكن من الكبد الى سائر البدن وبواسطتها يصل الغذاء
ثم كيفية تركيب الاعضاء وعدد عظامها وعضلاتها وعروقها واوتارها ورباطاتها وغضاريفها ورطوباتها لطال الكلام وكل ذلك
يحتاج اليه للاكل ولامور اخر سواه بل في الادمي الاف من العضلات والعروق والاعصاب مختلفة بالصغر والكبر والدقة والغلظ
وكثرة الانقسام وقلته ولا شيء منها الا وفيه حكمة او حكمتان او ثلاث او اربع الى عشر او زيادة وكل ذلك نعم من الله تعالى
عليك لو سكن من جملتها عرق متحرك او تحرك ساكن لهلكت يا مسكين فانظر الى نعمة الله تعالى عليك اولا لتقوى على الشكر فانك
لا تعرف منها الا انك تجوع فتاكل وللحمار ايضا يعلم انه يجوع فياكل ويتعب فينام ويشتهي فيجامع ويستريح

فيشبع ويرتع فاذا لم تعرف انت من نفسك الا ما يعرفه الحمار فكيف تقوم بشكر نعم الله تعالى وهذا الذي رمزنا
اليه على الايجاز قطرة من بحر واحد من بحار نعم الله تعالى فقط فقس على الاجمال ما اهملناه من جملة ما عرفناه وعرفنا من التطويل
وجملة ما عرفناه وعرفه الخلق كلهم بالاضافة الى ما لم يعرفوه من نعم الله تعالى اقل من قطرة في بحر الا ان من علم شيئا من هذا ادرك شمة من
معاني قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها

ثم انظر كيف ربط الله تعالى قوام هذه الاعضاء وقوام منافعها وادراكاتها
وقواها ببخار لطيف يتصاعد من الاخلاط الاربعة ومستقره القلب ويسري في جميع البدن بواسطة العروق الضوارب فلا
ينتهي الى جزء من اجزاء البدن الا ويحدث عند وصوله في تلك الاجزاء ما يحتاج اليه من قوة حس وادراك وقوة حركة وغيرها كالسراج
الذي يدار في اطراف البيت فلا يصل الى جزء الا ويحصل بسبب وصوله ضوء على اجزاء البيت من خلق الله تعالى واختراعه ولكن
جعل السراج سببا له بحكمته وهذا البخار اللطيف هو الذي تسميه الاطباء الروح ومحله القلب ومثاله جرم نار السراج
والقلب له كالمسرجة والدم الاسود الذي في باطن القلب له كالفتيلة والغذاء له كالزيت والحياة الظاهرة في سائر اعضاء
البدن بسببه كالضوء للسراج في جملة البيت وكما ان السراج اذا انقطع زيته انطفى فسراج الروح ايضا ينطفي مهما انقطع
غذاؤه وكما ان الفتيلة قد تحترق وتصير رمادا بحيث لا تقبل الزيت فينطفي السراج مع كثرة الزيت فكذلك الدم الذي
تشبث به هذا البخار في القلب قد يحترق بفرط حرارة القلب فينطفي مع وجود الغذاء فانه لا يقبل الغذاء الذي يبقى الروح كما
لا يقبل الرماد الزيت قبولا تتشبث النار به وكما ان السراج تارة ينطفي بسبب من داخله كما ذكرناه وتارة بسبب من خارج كريح عاصف
فكذلك الروح تارة ينطفي بسبب من داخل وتارة بسبب من خارج وهو القتل وكما ان انطفاء السراج بفناء الزيت او بفساد
الفتيلة او بريح عاصف او باطفاء انسان لا يكون الا باسباب مقدرة في علم الله مرتبة وكون كل ذلك بقدر فكذلك انطفاء
الروح وكما ان انطفاء السراج هو منتهى وقت وجوده فيكون ذلك اجله الذي اجل له في ام الكتاب فكذلك انطفاء الروح
وكما ان السراج اذا انطفى اظلم البيت كله فالروح اذا انطفى اظلم البدن كله وفارقته انواره التي كان يستفيدها من الروح وهي
انوار الاحساسات والقدر والارادات وسائر ما يجمعها معنى لفظ الحياة فهذا ايضا رمز وجيز الى عالم اخر من عوالم نعم الله وعجائب
صنعه وحكمته ليعلم انه لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلماته فتعسا لمن كفر بالله تعالى وسحقا لمن كفر نعمته

فان قلت فقد وصفت الروح ومثلته ورسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الروح فلم يزد على ان قال الروح من امر
ربي فلم لم يصفه على هذا الوجه فاعلم ان هذه غفلة عن اشتراك الواقع في لفظ الروح فان الروح يطلق لمعان كثيرة
لا نطول بذكرها ونحن انما وصفنا من جملتها جسما لطيفا تسميه الاطباء روحا وقد عرفوا صفته ووجوده وكيفية سريانه في الاعضاء
وكيفية حصول الاحساس والقوى في الاعضاء به حتى اذا خدر بعض الاعضاء علموا ان ذلك لوقوع سدة في مجرى هذا الروح فلا
يعالجون موضع الخدر بل منابت الاعصاب ومواقع السدة فيها ويعالجونها بما يفتح السدة فان هذا الجسم بلطفه ينفذ في
شباك العصب وبواسطته يتادى من القلب الى سائر الاعضاء وما يرتقي الى معرفة الاطباء فامره سهل نازل واما الروح
التي هي الاصل وهي التي اذا فسدت فسد لها سائر البدن فذلك سر من اسرار الله لم نصفه ولا رخصة في وصفه الا بان
يقال هو امر رباني كما قال تعالى قل الروح من امر ربي والامور الربانية لا تحتمل العقول وصفها بل تتحير فيها عقول اكثر الخلق واما
الاوهام والخيالات فقاصرة عنها بالضرورة قصور البصر عن ادراك الاصوات وتتزلزل في ذكر مبادي وصفها معاقد العقول
المقيدة بالجوهر والعرض المحبوسة في مضيقها فلا يدرك بالعقل شيء من وصفه بل بنور اخر اعلى واشرف من العقل يشرق ذلك النور
في عالم الولاية والنبوة نسبته الى العقل نسبة العقل الى الوهم والخيال وقد خلق الله تعالى الخلق اطوارا فكما يدرك الصبي المحسوسات ولا
يدرك المعقولات لان ذلك طور لم يبلغه بعد فكذلك يدرك البالغ المعقولات ولا يدرك ما وراءها لان ذلك طور لم يبلغه بعد
وانه لمقام شريف ومشرب عذب ورتبة عالية فيها يلاحظ جناب الحق بنور الايمان واليقين وذلك المشرب اعز من ان يكون
شريعة لكل وارد بل لا يطلع عليه الا واحد بعد واحد ولجناب الحق صدر وفي مقدمة الصدر مجال وميدان رحب وعلى اول الميدان

عتبة هي مستقر ذلك الامر الرباني فمن لم يكن له على العتبة جواز ولا لحافظ العتبة مشاهدة استحال ان يصل الى الميدان فكيف
بالاستشراف الى ما وراءه من المشاهدات العالية ولذلك قيل من لم يعرف نفسه لم يعرف ربه وانى يصادف هذا في خزانة
الاطباء ومن اين للطبيب ان يلاحظه بل المعنى المسمى روحا عند الطبيب بالاضافة الى هذا الامر الرباني كالكرة التي يحركها
صولجان الملك بالاضافة الى الملك فمن عرف الروح الطبي فظن انه ادرك الامر الرباني كان كمن راى الكرة التي يحركها صولجان الملك
فظن انه راى الملك ولا تشك في ان خطاه فاحش وهذا الخطا الفحش منه جدا ولما كانت العقول التي بها يحصل التكليف
وبها تدرك مصالح الدنيا عقولا قاصرة عن ملاحظة كنه هذا الامر لم ياذن الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ان يتحدث باسراره بل
يكلم الناس على قدر عقولهم ولم يذكر الله تعالى في كتابه من حقيقة هذا الامر شيئا لكن ذكر نسبته وفعله ولم يذكر ذاته اما نسبته ففي قوله
تعالى من امر ربي واما فعله فقد ذكر في قوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك الى قوله تعالى فادخلي جنتي ولنرجع
الان الى الغرض فان المقصود ذكر نعم الله تعالى في الاكل فقد ذكرنا بعض نعم الله تعالى في الات الاكل

في الاصول التي منها تحصل الاطعمة وتصير صالحة لان يصلحها الادمي بعد ذلك بصنعته اعلم ان الاطعمة كثيرة ولله تعالى في
خلقها عجائب كثيرة لا تحصى واسباب متوالية لا تتناهى وذكر ذلك في كل طعام مما يطول فان الاطعمة اما ادوية واما فواكه واما
اغذية فلناخذ الاغذية فانها الاصل ولناخذ من جملتها حبة من البر ولندع سائر الاغذية فنقول اذا وجدت حبة او حبات
فلو اكلتها لفنيت وبقيت جائعا فما احوجك الى ان تنمو الحبة في نفسها وتزيد وتتضاعف حتى تفي بتمام حاجتك فخلق الله
تعالى في حبة الحنطة من القوى ما تغتذي به كما خلق فيك فان النبات انما يفارقك في الحس والحركة ولا يخالفك في الاغتذاء لانه
يغتذي بالماء ويجتذب الى باطنه بواسطة العروق كما تغتذي انت وتجتذب ولسنا نطنب في ذكر الات النبات
في اجتذاب الغذاء الى نفسه ولكن نشير الى غذائه فنقول كما ان الخشب والتراب لا يغذيك بل تحتاج الى طعام
مخصوص فكذلك الحبة لا تغتذي بكل شيء بل تحتاج الى شيء مخصوص بدليل انك لو تركتها في البيت لم تزد لانه ليس يحيط بها الا الهواء
ومجرد الهواء لا يصلح لغذائها ولو تركتها في الماء لم تزد ولو تركتها في ارض لا ماء فيها لم تزد بل لا بد من ارض فيها ماء يمتزج ماؤها
بالارض فيصير طينا واليه الاشارة بقوله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا ثم لا
يكفي الماء والتراب اذ لو تركت في ارض ندية صلبة متراكمة لم تنبت لفقد الهواء فيحتاج الى تركها في ارض رخوة متخلخلة يتغلغل
الهواء اليها ثم الهواء لا يتحرك اليها بنفسه فيحتاج الى ريح يحرك الهواء ويضربه بقهر وعنف على الارض حتى ينفذ فيها واليه
الاشارة بقوله وارسلنا الرياح لواقح وانما القاحها في ايقاع الازدواج بين الهواء والماء والارض ثم كل ذلك لا يغنيك لو كان
في برد مفرط وشتاء شات فيحتاج الى حرارة الربيع والصيف فقد بان احتياج غذائك الى هذه الاربعة فانظر الى ما ذا يحتاج كل
واحد اذ يحتاج الماء ليساق الى ارض الزراعة من البحار والعيون والانهار والسواقي فانظر كيف خلق البحار وفجر العيون واجرى
منها الانهار ثم الارض ربما تكون مرتفعة والمياه لا ترتفع فانظر كيف خلق الغيوم وكيف سلط الرياح عليها لتسوقها باذنه
الى اقطار العالم وهي سحب ثقال حوامل بالماء ثم انظر كيف يرسله مدرارا على الاراضي في وقت الربيع والخريف على حسب الحاجة
وانظر كيف خلق الجبال حافظة للمياه تتفجر منها العيون تدريجا فلو خرجت دفعة لغرقت البلاد وهلك الزرع
والمواشي ونعم الله تعالى في الجبال والسحاب والبحار والامطار لا يمكن احصاؤها واما الحرارة فانها لا تحصل
بين الماء والارض وكلاهما بارد فانظر كيف سخر الشمس وكيف خلقها مع بعدها عن الارض مسخنة للارض في وقت دون
وقت ليحصل البرد عند الحاجة الى البرد والحر عند الحاجة الى الحر فهذه احدى حكم الشمس والحكم فيها اكثر من ان تحصى ثم
النبات اذا ارتفع عن الارض كان في الفواكه انعقاد وصلابة فتفتقر الى رطوبة تنضجها فانظر كيف خلق القمر وجعل من
خاصيته الترطيب كما جعل من خاصية الشمس التسخين فهو ينضج الفواكه ويصبغها بتقدير الفاطر الحكيم ولذلك لو كانت الاشجار في
ظل يمنع شروق الشمس والقمر وسائر الكواكب عليها لكانت فاسدة ناقصة حتى ان الشجرة الصغيرة تفسد اذا اظلتها شجرة كبيرة

وتعرف ترطيب القمر بان يكشف راسك له في الليل فيغلب على راسك الرطوبة التي يعبر عنها بالزكام فكما يرطب راسك يرطب
الفواكه ايضا ولا نطول فما لا مطمع في استقصائه بل ما من كوكب في السماء الا وقد سخر لنوع فائدة كما سخر الشمس للتسخين والقمر
للترطيب فلا يخلو واحد منها عن حكم كثيرة لا تفي قوة البشر باحصائها ولو لم يكن كذلك لكان خلقها عبثا وباطلا
ولم يصح قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا وقوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين وكما انه ليس في اعضاء
بدنك عضو الا لفائدة فليس في اعضاء بدن العالم عضو الا لفائدة والعالم كله كشخص واحد وآحاد اجسامه كالاعضاء وهي
متعاونة تعاون اعضاء بدنك في جملة بدنك وشرح ذلك يطول ولا ينبغي ان تظن ان الايمان بان النجوم والشمس والقمر
مسخرات بامر الله تعالى في امور جعلت اسبابا لها بحكم الحكمة مخالف للشرع لما ورد فيه من الشرع النهي في النجوم امران احدهما
ان تصدق بانها فاعلة لآثارها مستقلة بها وانها ليست مسخرة تحت تدبير مدبر خلقها وقهرها وهذا كفر والثاني
تصديق المنجمين في تفصيل ما يخبرون عنه من الآثار التي لا يشترك كافة الخلق في دركها لانهم يقولون ذلك عن جهل فان علم احكام
النجوم كان معجزة لبعض الانبياء ثم اندرس ذلك العلم فلم يبق الا ما هو مختلط لا يتميز فيه الصواب عن الخطا فاعتقاد كون الكواكب
اسبابا لآثار تحصل بخلق الله تعالى في الارض وفي النبات والحيوان ليس قادحا في الدين بل هو حق ولكن دعوى العلم
بتلك الآثار على التفصيل مع الجهل قادح في الدين ولذلك اذا كان معك ثوب غسلته وتريد تجفيفه فقال لك غيرك اخرج
الثوب وابسطه فان الشمس قد طلعت وحمي الهوا لا يلزمك تكذيبه ولا يلزمك الانكار عليه بحوالته حمي الهوا على طلوع الشمس
واذا سالت عن تغير وجه الانسان فقال قد قرعتني الشمس في الطريق فاسود وجهي لم يلزمك تكذيبه وقس بهذا سائر الآثار
الا ان الآثار بعضها معلوم وبعضها مجهول فالمجهول لا تجوز دعوى العلم فيه والمعلوم بعضه معلوم للناس كافة كحصول الضياء
والحرارة بطلوع الشمس وبعضه لبعض الناس كحصول الزكام بشروق القمر فاذا الكواكب ما خلقت عبثا بل فيها حكم كثيرة لا تحصى
ولهذا نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السماء وقرا قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ثم قال
ويل لمن قرا هذه الآية ثم مسح بها سبلته ومعناه ان يقرا ويترك التامل ويقتصر من فهم ملكوت السموات على ان يعرف
لون السماء وضوء الكواكب وذلك مما تعرفه البهائم ايضا فمن قنع منه بمعرفة ذلك فهو الذي مسح بها سبلته فلله في ملكوت السموات
والآفاق والانفس والحيوانات والنبات عجائب يطلب معرفتها المحبون لله تعالى فان من احب عالما فلا يزال مشغولا بطلب تصانيفه
ليزداد بمزيد الوقوف على عجائب علمه حبا له فكذلك الامر في عجائب صنع الله تعالى فان العالم كله من صنعه بل تصنيف المصنفين
من تصنيفه الذي صنفه بواسطة قلوب عباده فان تعجبت من تصنيف فلا تتعجب من المصنف بل من الذي سخر المصنف لتاليفه
بما انعم عليه من هدايته وتسديده وتعريفه كما اذا رايت لعب المشعوذ ترقص وتتحرك حركات موزونة متناسبة فلا تتعجب من
اللعب فانها خرق محركة لا متحركة ولكن تتعجب من حذق المشعوذ المحرك لها بروابط دقيقة خفية عن الابصار فاذا المقصود
ان غذاء النبات لا يتم الا بالماء والهواء والشمس والقمر والكواكب ولا يتم ذلك الا بالافلاك التي هي مركوزة فيها ولا تتم
الافلاك الا بحركاتها ولا تتم حركاتها الا بملائكة سماوية يحركونها وكذلك يتمادى ذلك الى اسباب بعيدة تركنا ذكرها تنبيها
بما ذكرناه على ما اهملناه ولنقتصر على هذا من ذكر اسباب غذاء النبات

الطرف الخامس في نعم الله في الاسباب الموصلة للاطعمة اليك

اعلم ان هذه الاطعمة كلها لا توجد في كل مكان بل لها شروط مخصوصة لاجلها توجد في بعض الاماكن دون بعض والناس منتشرون
على وجه الارض وقد تبعد عنهم الاطعمة ويحول بينهم وبينها البحار والبراري فانظر كيف سخر الله تعالى التجار وسلط عليهم حرص المال
وشره الربح مع انه لا يغنيهم في غالب الامر شيئا بل يجمعون فاما ان تغرق بهم السفن او ينهبها قطاع الطريق او يموتون في
بعض البلاد فياخذها السلاطين واحسن احوالهم ان ياخذها ورثتهم وهم اشد اعدائهم لو عرفوهم فانظر كيف سلط الله الجهل
والغفلة عليهم حتى يقاسوا الشدائد في طلب الربح ويركبوا الاخطار ويغرروا بالارواح في ركوب البحار فيحملون الاطعمة وانواع الحوائج
من اقصى الغرب والشرق اليك وانظر كيف علمهم الله تعالى صناعة السفن وكيفية الركوب فيها وانظر كيف خلق الله الحيوانات

وسخرها للركوب والحمل في البراري وانظر الى الابل كيف خلقت والى الفرس كيف امده بسرعة الحركة والى الحمار كيف جعل
صبورا على التعب والى الجمال كيف تقطع البراري وتطوي المراحل تحت الاعباء الثقيلة على الجوع والعطش وانظر كيف سخر
الله بواسطة السفن والحيوانات في البر والبحر يحملون اليك الاطعمة وسائر الحوائج وتامل ما تحتاج اليه الحيوانات من اسبابها وادواتها
وعلفها وما تحتاج اليه السفن فقد خلق الله تعالى جميع ذلك الى حد الحاجة وفوق الحاجة واحصاء ذلك غير ممكن ويتمادى ذلك الى امور
خارجة عن الحصر فنترك ذلك طلبا للايجاز

الطرف السادس في اصلاح الاطعمة

اعلم ان الذي ينبت في الارض من النبات وما يخلق من الحيوانات لا يمكن ان يقضم ويؤكل وهو كذلك بل لا بد في كل واحد من اصلاح وطبخ
وتركيب وتنظيف بالقاء البعض وابقاء البعض الى امور اخر لا تحصى واستقصاء ذلك في كل طعام طويل
فلنعين رغيفا واحدا ولننظر الى ما يحتاج اليه الرغيف الواحد حتى يستدير ويصلح للاكل من بعد القاء البذر
في الارض فاول ما يحتاج اليه الحراث ليزرع ويصلح الارض ثم الثور الذي يثير الارض والفدان وجميع اسبابه
ثم بعد ذلك التعهد بسقي الماء مدة ثم تنقية الارض من الحشيش ثم الحصاد ثم الفرك والتنقية ثم الطحن ثم
العجن ثم الخبز فتامل عدد هذه الافعال التي ذكرناها وما لم نذكره وعدد الاشخاص القائمين بها وعدد الآلات
التي يحتاج اليها من الحديد والخشب والحجر وغيره **فانظر الى** اعمال الصناع في اصلاح آلات الحراثة والطحن والخبز من نجار
وحداد وغيرهما وانظر الى حاجة الحداد الى الحديد والرصاص والنحاس وانظر كيف خلق الله الجبال والاحجار والمعادن
وكيف جعل الارض قطعا متجاورات مختلفة فان فتشت علمت ان رغيفا واحدا لا يستدير بحيث يصلح لاكلك
يا مسكين ما لم يعمل عليه اكثر من الف صانع فابتدئ من الملك الذي يزجي السحاب لينزل الماء الى آخر الاعمال من جهة
الملائكة حتى تنتهي النوبة الى عمل الانسان فاذا استدار طلبه قريب من سبعة آلاف صانع كل صانع اصل من اصول الصنائع التي
بها تتم مصلحة الخلق ثم تامل كثرة اعمال الانسان في تلك الآلات حتى ان الابرة التي هي آلة صغيرة فائدتها خياطة اللباس
الذي يمنع البرد عنك لا تكمل صورتها من حديدة تصلح للابرة الا بعد ان تمر على يد الابري خمسا وعشرين مرة
يتعاطى في كل مرة منها عملا فلو لم يجمع الله البلاد ولم يسخر العباد وافتقرت الى عمل المنجل الذي تحصد به البر
مثلا بعد نباته لنفد عمرك وعجزت عنه افلا ترى كيف هدى الله عبده الذي خلقه من نطفة قذرة لان يعمل هذه
الاعمال العجيبة والصنائع الغريبة فانظر الى المقراض مثلا وهما جلمان متطابقان ينطبق احدهما على الآخر
فيتناولان الشيء معا ويقطعانه بسرعة ولو لم يكشف الله طريق اتخاذه بفضله وكرمه لمن قبلنا وافتقرنا الى
استنباط الطريق فيه بفكرنا ثم الى استخراج الحديد من الحجر والى تحصيل الآلات التي بها يعمل المقراض ولو عمر الواحد منا
عمر نوح واوتي اكمل العقول لقصر عمره عن استنباط الطريق في اصلاح هذه الآلة وحدها فضلا عن غيرها **فسبحان**
من الحق ذوي الابصار بالعيان **وسبحان** من منع التبيين مع هذا البيان فانظر الآن لو خلا بلدك عن
الطحان مثلا او عن الحداد او عن الحجام الذي هو اخس العمال او عن الحائك او عن واحد من جملة الصناع ما الذي يصيبك من الاذى
وكيف تضطرب عليك امورك كلها **فسبحان** من سخر بعض العباد لبعض حتى نفذت بهم مشيئته وتمت به حكمته
ولنوجز القول في هذه الطبقة ايضا فان الغرض التنبيه على النعم دون الاستقصاء

الطرف السابع في اصلاح المصلحين

اعلم ان هؤلاء الصناع المصلحين للاطعمة وغيرها لو تفرقت آراؤهم وتنافرت طباعهم تنافر طباع الوحش لتبددوا
وتباعدوا ولم ينتفع بعضهم ببعض بل كانوا كالوحوش لا يحويهم مكان واحد ولا يجمعهم غرض واحد فانظر كيف
الف الله بين قلوبهم وسلط الانس والمحبة عليهم ولو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم فلاجل الالف
وتعارف الارواح اجتمعوا وائتلفوا وبنوا المدن والبلاد ورتبوا المساكن والدور متقاربة متجاورة ورتبوا

المساكن والدور متقاربة متجاورة في الاسواق والخانات وساير اصناف البقاع مما يطول احصاوه ثم هذه المحبة تزول بالاغراض
يتزاحمون عليها ويتنافسون فيها فمن جبلة الانسان الغيظ والحسد والمنافسة وذلك يودي الى التقاتل والتنافر فانظر كيف سلط
الله السلاطين وامدهم بالقوة والعدة والاسباب والقى رعبهم في قلوب الرعايا حتى اذعنوا لهم طوعا وكرها وكيف هدى
السلاطين الى اصلاح طرق البلاد حتى رتبوا اجزاء البلد كانها اجزاء شخص واحد يتعاونون على غرض واحد ينتفع البعض منها بالبعض
فرتبوا الرؤسا والقضاة والسجن وزعماء الاسواق واضطروا الخلق الى قانون العدل والزموهم التساعد والتعاون حتى
صار الحداد ينتفع بالقصاب والخباز وساير اهل البلد وكلهم ينتفعون بالحداد وصار الحجام ينتفع بالحراث والحراث بالحجام
وينتفع كل واحد بكل واحد بسبب ترتبهم واجتماعهم وانضباطهم تحت ترتيب السلاطين وجمعهم كما يتعاون جميع
اعضاء البدن وينتفع بعضها ببعض **وانظر كيف** بعث الانبياء حتى اصلحوا السلاطين المصلحين للرعايا
وعرفوهم قوانين الشرع في حفظ العدل وقوانين السياسة في ضبطهم وكشفوا من احكام الامامة والسلطنة واحكام الفقه
ما اهتدوا به الى صلاح الدنيا فضلا عما ارشدوهم اليه من اصلاح الدين وانظر كيف اصلح الله الانبياء بالملائكة وكيف اصلح الملائكة
بعضهم ببعض الى ان ينتهي الى الملك المقرب الذي لا واسطة بينه وبين الله تعالى **فالخباز** يصلح العجين والطحان
والطحان يصلح الحب بالطحن والحراث يصلحه بالحصاد والحداد يصلح الات الحراثة والنجار يصلح الات الحداد وكذا جميع ارباب
الصناعات المصلحين لالات الاطعمة والسلطان يصلح الصناع **والانبياء** يصلحون العلماء الذين هم ورثتهم
والعلماء يصلحون السلاطين والملائكة يصلحون الانبياء الى ان ينتهي الى الحضرة الربوبية التي هي ينبوع كل نظام ومطلع كل
حسن وجمال ومنشا كل حسن ترتيب وتاليف وكل ذلك نعم من رب الارباب ومسبب الاسباب ولولا فضله وكرمه
اذ قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا لما اهتدينا الى معرفة هذه النبذة اليسيرة من نعم الله تعالى ولولا عزله ايانا
عن ان نطمح بعين الطمع الى الاحاطة بكنه نعمه لتشوفنا الى طلب الاحاطة والاستقصاء ولكنه عزلنا بحكم القهر والقدرة
فقال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فان تكلمنا فباذنه انبسطنا وان سكتنا فبقهره انقبضنا اذ لا معطي لما منع
ولا مانع لما اعطى لانا في كل لحظة من لحظات العمر قبل الموت نسمع بسمع القلوب نداء الملك الجبار لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار والحمد لله الذي ميزنا عن الكفار واسمعنا هذا النداء قبل انقضاء الاعمار
في بيان نعمة الله تعالى في خلق الملائكة ليس يخفى عليك ما سبق من نعمه في الملائكة باصلاح الانبياء وهدايتهم وتبليغ الوحي
اليهم ولا تظنن انهم مقتصرون في افعالهم على ذلك القدر بل طبقات الملائكة مع كثرتها وترتيب مراتبها تنحصر جملة
في ثلث طبقات الملائكة الارضية والسماوية وحملة العرش فانظر كيف وكلهم الله بك فيما يرجع الى الاكل والغذاء
الذي ذكرناه دون ما يجاوز ذلك من الهداية والارشاد وغيرهما واعلم ان كل جزء من اجزاء بدنك بل من اجزاء النبات
لا يتغذى الا بان يوكل به سبعة من الملائكة هو اقله الى عشرة الى ماية الى ما وراء ذلك وبيانه ان معنى الغذاء ان يقوم
جزء من الغذاء مقام جزء قد تلف وذلك الغذاء يصير دما في اخر الامر ثم يصير لحما وعظما فاذا اغتذيت والدم واللحم
اجسام ليس لها قدرة ومعرفة واختيار فهي لا تتحرك بانفسها ولا تتغير بانفسها ومجرد الطبع لا يكفي في ترددها في اطوارها
كما ان البر بنفسه لا يصير طحينا ثم عجينا ثم خبزا مستديرا مطبوخا الا بصناع فكذلك الدم بنفسه لا يصير لحما
وعظما وعرقا وعصبا الا بصناع والصناع في الباطن هم الملائكة كما ان الصناع في الظاهر هم اهل البلد وقد اسبغ تعالى
عليكم نعمه ظاهرة وباطنة فلا ينبغي ان يغفل عن نعمه الباطنة فاقول لا بد من ملك يجذب الغذاء الى جوار اللحم والعظم فان
الغذاء لا يتحرك بنفسه ولا بد من ملك اخر يمسك الغذاء في جواره ولا بد من ثالث يخلع عنه صورة الدم ولا بد من رابع يكسوه
صورة اللحم او العظم او العرق ولا بد من خامس يدفع الفضل الفاضل من حاجة الغذاء ولا بد من سادس يلصق ما

اكتسب صفة العظم بالعظم وما اكتسب صفة اللحم باللحم حتى لا يكون منفصلا ولا بد من سابع يرعى المقادير في الالصاق
فيلحق بالمستدير ما لا يبطل استدارته وبالعريض ما لا يبطل عرضه وبالمجوف ما لا يبطل تجويفه ويحفظ على كل واحد
قدر حاجته فانه لو جمع مثلا من الغذاء على انف الصبي ما يجمع على فخذه لكبر انفه وبطل تجويفه وتشوهت خلقته وصورته
بل ينبغي ان يسوق الى الاجفان مع رقتها والى الحدقة مع صفائها والى الافخاذ مع غلظها والى العظم مع صلابته ما يليق
بكل واحد منها من حيث القدر والشكل والا بطلت الصورة وربما بعض المواضع وضعف بعض المواضع بل لو ابدع هذا
الملك العدل في القسمة والتقسيط فساق الى راس الصبي وساير بدنه من الغذاء ما ينمو به الا الى احدى الرجلين مثلا
لبقيت تلك الرجل كما كانت في حد الصغر وكبر جميع البدن فكنت ترى شخصا في ضخامة رجل وله رجل
واحدة كانها رجل صبي فلا ينتفع بنفسه البتة فمراعاة هذه الهندسة في القسمة مفوضة الى ملك من الملائكة ولا تظنن ان الدم
بطبعه يهندس شكل نفسه فان محيل هذه الامور الى الطبع جاهل لا يدري ما يقول فهذه هي الملائكة الارضية وقد شغلوا بك
وانت مشغول في النوم تستريح وفي الغفلة تتردد وهم يصلحون الغذاء في باطنك ولا خبر لك منهم وذلك في كل جزء من
اجزايك التي لا تتجزى حتى يفتقر بعض الاجزاء كالعين والقلب الى اكثر من ماية تركنا تفصيل ذلك للايجاز والملائكة
الارضية مددهم من الملائكة السماوية على ترتيب معلوم لا يحيط بكنهه الا الله ومدد الملائكة السماوية من حملة العرش
والمنعم على جملتهم بالتاييد والهداية والتسديد المهيمن القدوس المتفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت جبار السموات
والارض مالك الملك ذو الجلال والاكرام والاخبار الواردة في الملائكة الموكلين بالسموات والارضين واجزاء النبات والحيوانات
حتى كل قطرة من المطر وكل سحاب ينجر من جانب الى جانب اكثر من ان تحصى فلذلك تركنا الاستشهاد به
فهلا فوضت هذه الاعمال الى ملك واحد ولم افتقر الى سبعة املاك والحنطة انما تحتاج الى من يطحن اولا
ثم الى من يميز عنه النخالة ويدفع الفضلة ثانيا والى من يصب عليه الماء ثالثا ثم الى من يعجن رابعا ثم الى من يقطعه كرات مدورة خامسا
ثم الى من يرققها رغفانا عريضة سادسا ثم الى من يلصقها بالتنور سابعا ولكن قد يتولى جميع ذلك رجل واحد يستقل
فهلا كانت اعمال الملائكة باطنا كاعمال الانس ظاهرا فاعلم ان خلقة الملائكة يخالف خلقة الانس وما من واحد منهم الا وهو وحداني
الصفة ليس فيه خلط وتركيب البتة فلا يكون لكل واحد منهم الا فعل واحد واليه الاشارة بقوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم
فلذلك ليس بينهم تنافس وتقاتل بل مثالهم في تعين مرتبة كل واحد وفعله عليه مثال الحواس الخمس فان البصر لا يزاحم
السمع في ادراك الاصوات ولا الشم يزاحمهما ولا هما يزاحمان الشم وليس كاليد والرجل فانك قد تبطش باصابع الرجل بطشا
ضعيفا فتزاحم بها اليد وقد تضرب غيرك براسك فتزاحم اليد التي هي الة الضرب ولا كالانسان الواحد الذي يتولى بنفسه
الطحن والعجن والخبز فان هذا نوع من الاعوجاج والعدول عن العدل سببه اختلاف صفات الانسان واختلاف دواعيه
فانه ليس وحداني الصفة فلم يكن وحداني الفعل ولذلك ترى الانسان يطيع الله مرة ويعصيه اخرى لاختلاف دواعيه
وصفاته وذلك غير ممكن في طباع الملائكة بل هم مجبولون على الطاعة لا مجال للمعصية في حقهم فلا جرم لا يعصون الله
ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ويسبحون الليل والنهار لا يفترون والراكع منهم راكع ابدا والساجد ساجد ابدا
والقائم قائم ابدا لا اختلاف في افعالهم ولا فتور ولكل واحد مقام معلوم لا يتعداه وطاعتهم لله تعالى من حيث لا مجال للمخالفة فيهم
يمكن ان تشبه بطاعة اطرافك لك فانك مهما جزمت الارادة بفتح الاجفان لم يكن للجفن الصحيح تردد واختلاف في طاعته مرة
ومعصيته اخرى بل كانه منتظر لامرك ونهيك ينفتح وينطبق متصلا باشارتك فهذا يشبهه من وجه اذ
للجفن لا علم له بما يصدر منه من الحركة فتحا واطباقا والملائكة احياء عالمون بما يعملون فاذا هذه نعمة الله عليك
في الملائكة الارضية والسماوية وحاجتك اليهم في غرض الاكل فقط دون ما عداها من الحركات والحاجات كلها فانا لم نطول بذكره وهذه
طبقة اخرى من طبقات النعم ومجامع النعم لا يمكن احصاوها فكيف احاد ما يدخل تحت مجامع الطبقات فاذا قد اسبغ الله

عليك نعمة ظاهرة وباطنة ثم قال وذروا ظاهر الاثم وباطنه فترك باطن الاثم مما لا يعرفه الخلق من الحسد وسوء الظن والبدعة واضمار
الشر للناس هي عبرة لك من اثام القلوب هو الشكر للنعم الباطنة وترك الاثم الظاهر بالجوارح شكر النعمة الظاهرة فاقول
كل من عصى الله ولو في تطريفة واحدة بان فتح جفنه مثلا حيث يجب غض البصر فقد كفر كل نعمة لله تعالى عليه في السموات والارضين وما
بينهما فان كل ما خلقه الله تعالى حتى الملائكة والسموات والارض والحيوان والنبات بجملته نعمة على كل واحد من العباد قد تم به انتفاعه
وان انتفع غيره ايضا به فان لله تعالى في كل تطريفة نعمتين في نفس الجفن اذ خلق تحت كل جفن عضلات ولها اوتار ورباطات متصلة باعصاب
الدماغ بها يتم انخفاض الجفن الاعلى وارتفاع الجفن الاسفل وعلى الجفن شعور سود ونعمة الله في سوادها انها تجمع ضوء العين اذ البياض
يفرق الضوء والسواد يجمعه ونعمة الله في ترتيبها صفا واحدا ان تكون مانعا للهوام من الدبيب الى باطن العين ومتشبثا بالاقذاء
التي تتناثر في الهواء وله في كل شعرة منها نعمتان من حيث لين اصلها ومع اللين قوام نصبها وله في اشتباك الاهداب
نعمة اعظم من الكل وهو ان غبار الهواء قد يمنع من فتح العين ولو طبق لم يبصر فيجمع الاجفان مقدار ما تشابك الاهداب فينظر من
وراء شباك الشعر فيكون شباك الشعر مانعا من وصول القذى من خارج وغير مانع من امتداد البصر من داخل ثم ان اصاب
الحدقة غبار فقد خلق اطراف الاجفان حادة منطبقة على الحدقة كالمصقلة للمرآة فتطبق مرة او مرتين وقد انصقلت
الحدقة عن الغبار وخرجت الاقذاء الى زوايا العين والاجفان والذباب لما لم تخلق لحدقته جفن خلق له يدين فتراه على الدوام
يمسح بهما حدقته ليصقلها من الغبار ولو ادركنا الاستقصاء لتفاصيل النعم لافتقرنا الى التطويل بزيد على امر هذا الكتاب
ولعلنا نستانف له كتابا مقصودا فيه ان امهل الزمان وساعد التوفيق فنسميه عجائب صنع الله فلنرجع الى غرضنا
فنقول قد كفر نعمة الله في الاجفان ولا تقوم الاجفان الا بالعين ولا العين الا بالراس ولا الراس الا بجميع البدن ولا البدن
الا بالغذاء ولا الغذاء الا بالماء والارض والهواء والمطر والغيم والشمس والقمر ولا يقوم شيء من ذلك الا بالسموات ولا السموات الا بالملائكة
فان الكل كالشيء الواحد يرتبط البعض منه بالبعض ارتباط اعضاء البدن بعضها ببعض فاذا قد كفر كل نعمة لله تعالى في الوجود
من منتهى الثريا الى منتهى الثرى فلم يبق فلك ولا ملك ولا حيوان ولا نبات ولا جماد الا ويلعنه ولذلك ورد في الاخبار ان
البقعة التي يجتمع فيها الناس اما ان تلعنهم اذا تفرقوا او تستغفر لهم وكذلك ورد ان العالم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر وان
الملائكة يلعنون العصاة في الفاظ كثيرة لا يمكن احصاؤها وكل ذلك اشارة الى ان العاصي بطرفة جنى على جميع ما في الملك والملكوت
وقد اهلك نفسه الا ان يتبع السيئة بحسنة تمحوها فيتبدل اللعن استغفارا فعسى الله ان يتوب عليه ويتجاوز عنه واوحى الله
تعالى الى ايوب عليه الصلاة والسلام انه ما من عبد لي من الادميين الا ومعه ملكان فاذا شكرني على نعمائي قال الملكان اللهم زده نعما فانك
اهل الحمد والشكر فكن من الشاكرين قريبا فكفى بالشاكرين علوا مرتبة عندي اني اشكر شكرهم وملائكتي يدعون لهم والبقاع
تحبهم والاثار تبكي عليهم وكما عرفت ان في كل طرفة عين نعما كثيرة فاعلم ان في كل نفس ينبسط وينقبض نعمتين اذ بانبساطه
يخرج الدخان المحترق من القلب ولو لم يخرج لهلك وبانقباضه يجمع روح الهواء الى القلب ولو سد متنفسه لاحترق قلبه
بانقطاع روح الهواء وبرودته عنه وهلك بل اليوم والليلة اربع وعشرون ساعة وفي كل ساعة قريب من الف نفس وكل نفس قريب
من عشر لحظات فعليك في كل لحظة الاف الاف نعمة في كل جزء من اجزائك بل في كل جزء من اجزاء العالم فانظر هل يتصور احصاء ذلك
ام لا ولما انكشف لموسى عليه الصلاة والسلام حقيقة قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال الهي كيف اشكرك
ولك في كل شعرة من جسدي نعمتان ان لينت اصلها وان طمست راسها ولذلك ورد في الاثر من لم يعرف نعم الله تعالى
الا في مطعمه ومشربه فقد قل علمه وحضر عذابه وجميع ما ذكرناه يرجع الى المطعم والمشرب فاعتبر ما سواه من النعم به فان
البصر لا يقع منه في العالم على شيء ولا يلمح خاطره بموجود الا ويتحقق ان لله فيه نعمة عليه فلنترك الاستقصاء والتفصيل
فانه طمع في غير مطمع

بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر

اعلم انه لم يقصر بالخلق عن شكر النعمة الا الجهل
والغفلة فانهم منعوا بالجهل والغفلة عن معرفة النعم ولا يتصور شكر النعمة الا بعد معرفتها ثم ان عرفوا نعمة ظنوا ان الشكر عليها ان

يقول بلسانه الحمد لله الشكر لله ولم يعرفوا ان معنى الشكر ان يستعمل النعمة في اتمام الحكمة التي اريدت بها وهي طاعة الله
فلا يمنع من الشكر بعد حصول هاتين المعرفتين الا غلبة الشهوات واستيلاء الشيطان اما الغفلة عن النعم فلها اسباب
واحد اسبابها ان الناس بجهلهم لا يعدون ما يعم الخلق ويسلم لهم في جميع احوالهم نعمة فلذلك لا يشكرون على جملة
ما ذكرناه من النعم لانها عامة للخلق مبذولة لهم في جميع احوالهم فلا يرى كل واحد لنفسه اختصاصا به فلا يعده نعمة فلا
تراهم يشكرون الله على روح الهواء ولو اخذ بمخنقهم لحظة حتى انقطع الهواء عنهم ماتوا ولو حبسوا في بيت حمام فيه
هواء حار او في بئر فيه هواء ثقيل برطوبة الماء ماتوا غما فان ابتلي واحد منهم بشيء من ذلك ثم نجا ربما قدر ذلك
نعمة وشكر الله عليه وهذا غاية الجهل اذ صار شكرهم موقوفا على ان تسلب عنهم النعمة ثم ترد عليهم في بعض الاحوال والنعمة
في جميع الاحوال اولى بان يشكر من النعمة في بعضها فلا ترى البصير يشكر صحة بصره الا ان يعمى عينه فعند ذلك لو اعيد
عليه احس به وشكره وعده نعمة ولما كانت رحمة الله واسعة عم الخلق وبذلها في جميع الاحوال فلم يعده الجاهلون
نعمة وهذا الجاهل مثل العبد السوء حقه ان يضرب دائما حتى اذا ترك ضربه ساعة تقلد به منة فان ترك
ضربه على الدوام غلبه البطر وترك الشكر فصار الناس لا يشكرون الا المال الذي يتطرق الاختصاص اليه من حيث
الكثرة والقلة وينسون جميع نعم الله تعالى عليهم كما شكا بعضهم فقره الى بعض ارباب البصائر واظهر شدة اغتمامه
به فقال ايسرك انك اعمى ولك عشرة الاف درهم فقال لا فقال ايسرك انك اخرس ولك عشرة الاف درهم
قال لا فقال ايسرك انك اقطع اليدين والرجلين ولك عشرون الفا قال لا فقال ايسرك انك مجنون ولك عشرة
الاف قال لا قال اما تستحي ان تشكو مولاك وله عندك عروض بخمسين الفا وحكي ان بعض القراء
اشتد به الفقر حتى ضاق به ذرعا فرأى في المنام كأن قائلا يقول له تود انا انسيناك سورة الانعام وان لك
الف دينار قال لا قال فسورة هود قال لا قال فسورة يوسف قال لا قال فمعك قيمة مائة الف وانت
تشكو فاصبح وقد سري عنه ودخل ابن السماك على بعض الخلفاء وبيده كوز ماء يشربه فقال عظني فقال
لو لم تعط هذه الشربة الا ببذل جميع اموالك والا بقيت عطشان فهل كنت تعطيه فقال نعم فقال ولو لم
تعط الا بملكك كله فهل كنت تتركه قال نعم قال فلا تفرح بملك لا يساوي شربة ماء عند العطش فبهذا
تبين ان نعمة الله تعالى على العبد في شربة ماء عند العطش اعظم من ملك الارض كلها واذا كانت الطباع
مائلة الى اعتداد النعمة الخاصة نعمة دون العامة وقد ذكرنا النعم العامة فلنذكر اشارة وجيزة الى النعم الخاصة
فنقول ما من عبد الا ولو امعن النظر في احواله رأى من الله نعمة او نعما كثيرة تخصه لا يشاركه فيها الناس
كافة بل يشاركه عدد يسير من الناس وربما لا يشاركه فيه احد وذلك يعترف به كل عبد في ثلاثة امور في
العقل والخلق والعلم اما العقل فما من عبد لله تعالى الا وهو راض عن الله تعالى في عقله يعتقد انه
اعقل الناس وقلما يسأل الله العقل وان من شرف العقل ان يفرح به الخالي عنه كما يفرح به المتصف به فاذا كان
اعتقاده انه اعقل الناس فواجب عليه ان يشكره لانه ان كان كذلك فالشكر واجب وان لم يكن ولكنه يعتقد
انه كذلك فهو نعمة في حقه فمن وضع كنزا تحت الارض فهو يفرح به ويشكر عليه فان اخذ الكنز من حيث لا يدري فيبقى
فرحه بحسب اعتقاده ويبقى شكره لانه في حقه كالباقي واما الخلق فما من عبد الا ويرى من غيره عيوبا يكرهها
واخلاقا يذمها وانما يذمها من حيث انه يرى نفسه بريئا عنها فاذا لم يشتغل بذم الغير فينبغي
ان يشتغل بشكر الله اذ حسن خلقه وابتلى غيره بالخلق السيء واما العلم فما من احد الا ويعرف من بواطن
امور نفسه وخفايا افكاره ما هو منفرد به ولو كشف الغطاء حتى اطلع عليه احد من الخلق لافتضح فكيف لو
اطلع الناس كافة فاذا لكل عبد علم بامر خاص لا يشاركه فيه احد من عباد الله فلم لا يشكر ستر الله الجميل الذي ارسله

على وجه مساويه فاظهر الجميل وستر القبيح واخفى ذلك عن اعين الخلق وخصص علمه به حتى لا يطلع عليه احد فهذه ثلث من النعم
خاصة يعترف بها كل عبد اما مطلقا واما في بعض الامور فلننزل عن هذه الطبقة الى اعم منها قليلا فنقول ما من عبد الا
وقد رزقه الله تعالى في صورته او شخصه او اخلاقه او صفاته او اهله او ولده او مسكنه او بلده او رفيقه او اقاربه
او عزه او جاهه او في سائر محابه امورا لو سلب ذلك منه واعطي ما خصص به غيره لكان لا يرضى به وذلك مثل ان جعله
مؤمنا لا كافرا وحيا لا جمادا وانسانا لا بهيمة وذكرا لا انثى وصحيحا لا مريضا وسليما لا معيبا فان كل هذه خصائص
وان كان فيها عموم ايضا فان هذه الاحوال لو بدلت باضدادها لم يرض بها بل له امور لا يبدلها باحوال الادميين ايضا وذلك
اما ان يكون بحيث لا يبدله بما خص به احد من الخلق او لا يبدله بما خص به الاكثر فاذا كان لا يبدله بحال
غيره فاذا حاله احسن من حال غيره فان كان لا يعرف شخصا يرتضي لنفسه حاله بدلا عن حال نفسه اما على الجملة واما في امر خاص
فاذا لله عليه نعم ليست له على احد من عباده سواه وان كان يبدل لحال نفسه بحال بعضهم دون البعض فلينظر الى
عدد المغبوطين عنده فانه لا محالة يراهم اقل بالاضافة الى غيرهم فيكون من دونه في الحال اكثر بكثير ممن هو فوقه فما باله
ينظر الى من فوقه ليزدري نعم الله تعالى على نفسه ولا ينظر الى من دونه ليستعظم نعم الله تعالى عليه وما باله لا يسوي دنياه بدينه
اليس اذا لامته نفسه على سيئة يقارفها يعتذر اليها بان في الفساق كثرة فينظر ابدا في الدين الى من دونه لا الى من فوقه فلم لا يكون نظره
في الدنيا كذلك فاذا كان حال اكثر الخلق في الدين خيرا منه وحاله في الدنيا خير من حال اكثر الخلق فكيف لا يلزمه الشكر ولهذا قال صلى الله عليه وسلم
من نظر في الدنيا الى من هو دونه ونظر في الدين الى من هو فوقه كتبه الله صابرا شاكرا ومن نظر في الدنيا الى من هو فوقه وفي الدين الى من هو دونه لم يكتبه
الله صابرا ولا شاكرا فاذا كل من اعتبر حال نفسه وفتش عما خص به وجد لله تعالى على نفسه نعما كثيرة لا سيما من خص بالسنة والايمان
والعلم والقران ثم الفراغ والصحة والامن وغير ذلك ولهذا قال صلى الله عليه وسلم من لم يستغن بايات الله فلا اغناه الله وهذا اشارة
الى نعمة العلم وقال صلى الله عليه وسلم ان القران هو الغنى الذي لا غنى بعده ولا فقر معه وقال صلى الله عليه وسلم من اتاه الله القران فظن
ان احدا اغنى منه فقد استهزا بايات الله وقال صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقران • وقال كفى باليقين غنى وقال
بعض السلف يقول الله تعالى ان عبدا اغنيته عن ثلث لقد اتممت عليه نعمتي عن سلطان ياتيه وطبيب يداويه وعما
في يد اخيه وعبر الشاعر عن هذا فقال اذا القوت ياتي لك والصحة والامن واصبحت اخا حزن فلا فارقك الحزن
بارشق العبارات وافصح الكلمات كلام افصح من نطق بالضاد حيث عبر صلى الله عليه وسلم عن هذا المعنى فقال من اصبح امنا
في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها ومهما تاملت الناس كلهم وجدتهم يشكون ويتالمون
من امور وراء هذه الثلث مع انها وبال عليهم ولا يشكرون نعمة الله تعالى في هذه الثلث ولا يشكرون نعمة الله عليهم في الايمان الذي به
وصولهم الى النعيم المقيم والملك العظيم بل البصير ينبغي ان لا يفرح الا بالمعرفة واليقين والايمان بل نحن نعلم من العلماء من لو سلم اليه جميع
ما دخل تحت قدرة ملوك الارض من المشرق الى المغرب من اموال واتباع وانصار وقيل له خذ هذا عوضا عن علمك بل عن عشر عشر
علمك لم ياخذه وذلك لرجائه ان نعمة العلم تفضي به الى قرب الله سبحانه وتعالى في الاخرة بل لو قيل له لك في الاخرة ما ترجوه بكماله
فخذ هذه اللذات في الدنيا بدلا عن التذاذك بالعلم في الدنيا وفرحك به لكان لا ياخذه لعلمه بان لذة العلم دائمة لا تنقطع وثابتة
لا تسرق ولا تغصب ولا تنافس فيها وانها صافية لا كدورة فيها ولذات الدنيا كلها ناقصة ومكدرة ومشوشة ولا يفي
مرجوها بمخوفها ولا لذتها بالمها ولا فرحها بغمها فهكذا كانت الى الان وهكذا يكون ما بقي الزمان اذ ما خلقت لذات الدنيا
الا لتجلب بها العقول الناقصة وتخدع حتى اذا انخدعت وتقيدت بها ابت عليها واستعصت كالمراة الجميلة الظاهر
تتزين للشاب الشبق الغني حتى اذا تقيد بها قلبه استعصت عليه واحتجبت عنه فلا يزال معها في عناء دائم وتعب قائم
وكل ذلك لاغتراره بلذة النظر اليها في لحظة ولو عقل وغض البصر واستهان بتلك اللذة سلم جميع عمره فهكذا وقعت
ارباب الدنيا في شباك الدنيا وحبائلها ولا ينبغي ان يقال ان المعرض عن الدنيا متالم بالصبر عنها فان المقبل عليها متالم ايضا

بالصبر عليها وحفظها وتحصيلها ودفع القواطع عنها والم المعرض يفضي الى لذة في الاخرة والم المقبل يفضي الى الالم في
الاخرة فليتل المعرض عن الدنيا قوله تعالى ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا
يرجون فاذا انما انسد طرق الشكر على الخلق لجهلهم بضروب النعم الظاهرة والباطنة والخاصة والعامة فان قلت
فما علاج هذه القلوب الغافلة حتى تشعر بنعم الله تعالى فعساها تشكر فاقول اما القلوب البصيرة فعلاجها التامل فيما رمزنا اليه
من اصناف نعم الله تعالى العامة واما القلوب البليدة التي لا تعد النعمة نعمة الا اذا خصتها او اشعر بالبلاء معها فسبيله ان
ينظر ابدا الى من دونه ويفعل ما كان يفعله بعض الصوفية اذ كان يحضر كل يوم دار المرضى والمقابر والمواضع التي يقام فيها
الحدود فكان يحضر دار المرضى ليشاهد انواع بلاء الله تعالى عليهم ثم يتامل في صحته وسلامته فيشعر قلبه بنعمة الصحة عند شعوره
ببلاء الامراض ويشاهد الجناة الذين يقتلون ويقطع اطرافهم ويعذبون بانواع العذاب ليشكر الله على عصمته من الجنايات ومن تلك
العقوبات ويشكر الله على نعمة الامن ويحضر المقابر فيعلم ان احب الاشياء الى الموتى ان يردوا الى الدنيا ولو يوما واحدا اما من عصى
فليتدارك واما من اطاع فليزيد في طاعته فان يوم القيامة يوم التغابن فالمطيع مغبون اذ يرى جزاء طاعته فيقول كنت اقدر
على اكثر من هذه الطاعات فما اعظم غبني اذ ضيعت بعض الاوقات في المباحات • واما العاصي فغبنه ظاهر فاذا شاهد المقابر
وعلم ان احب الاشياء اليهم ان يكون قد بقي لهم من العمر ما بقي له فيصرف بقية العمر الى ما اشتهى اهل القبور العود لاجله ليكون ذلك
معرفة لنعم الله في بقية العمر بل في الامهال في كل نفس من الانفاس واذا عرف تلك النعمة شكر بان يصرف العمر الى ما خلق العمر لاجله
وهو التزود من الدنيا للاخرة فهذا علاج هذه القلوب الغافلة لتشعر بنعم الله تعالى فعساها تشكر ولقد كان الربيع بن
خيثم مع تمام استبصاره يستعين بهذا الطريق تاكيدا للمعرفة فكان قد حفر في داره قبرا فكان يضع غلا في عنقه وينام في
لحده ثم يقول رب ارجعون لعلي اعمل صالحا ثم يقوم ويقول يا ربيع قد اعطيت ما سالت فاعمل قبل ان تسال الرجوع فلا
ترد ومما ينبغي ان يعالج به القلوب البعيدة عن الشكر ان يعرف ان النعمة اذا لم تشكر زالت ولم تعد ولذلك كان الفضيل يقول
عليكم بمداومة الشكر على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت اليهم قال بعض السلف النعم وحشية فقيدوها بالشكر
وفي الخبر ما عظمت نعمة الله على عبد الا كثرت حوائج الناس اليه فمن تهاون بهم عرض تلك النعمة للزوال • وقال الله سبحانه ان الله
لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فهذا تمام هذا

الركن الثالث من كتاب الصبر والشكر

فيما يشترك فيه الصبر والشكر ويرتبط احدهما بالاخر بيان وجه اجتماع الصبر والشكر على شيء واحد لعلك تقول
ما ذكرته في النعم اشارة الى ان لله تعالى في كل موجود نعمة وهذا يشير الى ان البلاء لا وجود له اصلا فما معنى الصبر حينئذ وان
كان البلاء موجودا فما معنى الشكر على البلاء وقد ادعى مدعون انا نشكر على البلاء فضلا عن الشكر على النعمة فكيف يتصور الشكر
على البلاء وكيف يشكر على ما يصبر عليه والصبر يستدعي الما والشكر يستدعي فرحا وهما متضادان وما معنى ما ذكرتموه من
ان لله في كل ما اوجده نعمة على عباده فاعلم ان البلاء موجود كما ان النعمة موجودة والقول باثبات النعمة يوجب
القول باثبات البلاء لانهما متضادان ففقد البلاء نعمة وفقد النعمة بلاء ولكن قد سبق ان النعم تنقسم الى نعمة مطلقة
من كل وجه اما في الاخرة فكسعادة العبد بالنزول في جوار الله واما في الدنيا فالايمان وحسن الخلق وما يعين عليهما
والى نعمة مقيدة من وجه دون وجه كالمال الذي يصلح الدين من وجه ويفسده من وجه فكذلك البلاء ينقسم الى مطلق ومقيد
اما المطلق في الاخرة فالبعد من الله تعالى اما مدة او ابدا واما في الدنيا فالكفر والمعصية وسوء الخلق وهي التي تفضي الى البلاء
المطلق واما المقيد فكالفقر والمرض والخوف وسائر انواع البلاء التي لا تكون بلاء في الدين بل في الدنيا فالشكر المطلق للنعمة
المطلقة واما البلاء المطلق في الدنيا فقد لا يؤمر بالصبر عليه لان الكفر بلاء ولا معنى للصبر عليه وكذا المعصية بل حق الكافر ان يترك
كفره وكذا حق العاصي نعم الكافر قد لا يعرف انه كافر فيكون كمن به علة وهو لا يتالم بسبب غشية او غيره فلا صبر عليه والعاصي
يعرف انه عاص فعليه ترك المعصية بل كل بلاء يقدر الانسان على دفعه فلا يؤمر بالصبر عليه فلو ترك الانسان الماء مع طول العطش حتى عظم

الله فلا يؤمر بالصبر بل يؤمر بازالته فالالم واما الصبر على الالم ليس الى العبد الا الله فاذا يرجع الصبر في الدنيا الى ما ليس بلاء مطلقا بل
يجوز ان يكون نعمة من وجه فلذلك يتصور ان يجتمع عليه وظيفة الصبر والشكر فان الغنى مثلا يجوز ان يصير هلاك الانسان حتى يقصد بسبب
ماله فيقتل ويقتل اولاده والصحة ايضا كذلك فما من نعمة من هذه النعم الدنيوية الا ويجوز ان تصير بلاء ولكن بالاضافة الى حاله فرب عبد
تكون الخيرة له في الفقر والمرض ولو صح بدنه وكثر ماله لبطر وبغى قال الله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض وقال تعالى
ان الانسان ليطغى ان راه استغنى وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ليحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما يحمي احدكم مريضه وكذلك الزوجة والولد
والقريب وكل ما ذكرناه من اقسام الستة عشر من النعم سوى الايمان وحسن الخلق فانه يتصور ان يكون بلاء في حق بعض الناس فيكون
اضدادها اذا نعما في حقهم اذ قد سبق ان المعرفة كمال ونعمة فانها صفة من صفات الله تعالى ولكن قد تكون على العبد في بعض
الامور بلاء ويكون فقدها نعمة مثاله جهل الانسان باجله فانه نعمة عليه اذ لو عرفه ربما تنغص عليه العيش وطال بذلك غمه وكذلك
جهله بما يضمره الناس عليه من معارفه واقاربه نعمة عليه اذ لو رفع الستر واطلع عليه لطال المه وحقده وحسده واشتغاله
بالانتقام وكذلك جهله بالصفات المذمومة من غيره نعمة عليه اذ لو عرفه ابغضه واذاه وكان ذلك وبالا عليه في الدنيا والاخرة
بل جهله بالخصال المحمودة في غيره قد تكون نعمة عليه فانه ربما يكون وليا لله وهو يضطر الى ايذائه واهانته ولو عرف واذى كان اثمه
اعظم لا محالة فليس من اذى نبيا او وليا وهو يعرف كمن اذى وهو لا يعرف ومنها ابهام الله تعالى امر القيامة وابهامه
ليلة القدر وساعة يوم الجمعة وابهامه بعض الكبائر فكل ذلك نعمة لان هذا الجهل يوفر دواعيك على الطلب والاجتهاد فهذه
وجوه نعم الله في الجهل فكيف في العلم وحيث قلنا ان لله في كل موجود نعمة فهو حق وذلك مطرد في كل حق احد ولا يستثنى عنه
بالظن الا الالام التي يخلقها في بعض الناس وهي ايضا قد تكون نعمة في حق المتالم بها فان لم تكن نعمة في حقه كالالم الحاصل من المعصية
كقطعه يد نفسه ووشمه بشرته فانه يتالم به وهو عاص به والم الكفار في النار فهو ايضا نعمة ولكن في حق غيرهم من العباد لا في حقهم
فان مصائب قوم عند قوم فوائد ولولا ان الله خلق العذاب وعذب به طائفة لما عرف المتنعمون قدر نعمته ولا كثر فرحهم بها
ففرح اهل الجنة انما يتضاعف اذا تفكروا في الام اهل النار اما ترى اهل الدنيا ليس يشتد فرحهم بنور الشمس مع شدة حاجتهم
اليه من حيث انها عامة مبذولة ولا يشتد فرحهم بالنظر الى زينة السماء وهي احسن من كل بستان لهم في الارض يجتهدون في عمارته
ولكن زينة السماء لما عمت لم يشعروا بها ولم يفرحوا بسببها فاذا قد صح ما ذكرناه من ان الله تعالى لم يخلق شيئا الا وفيه
حكمة ولا خلق شيئا الا وفيه نعمة اما على جميع عباده او على بعضهم فاذا في خلق الله البلاء ايضا نعمة اما على المبتلى واما على غير المبتلى
فاذا كل حالة لا توصف بانها بلاء مطلق ولا نعمة مطلقة فيجتمع فيها على العبد وظيفتان الصبر والشكر جميعا فان قلت
فهما متضادان فكيف يجتمعان اذ لا صبر الا على غم ولا شكر الا على فرح فاعلم ان الشيء الواحد قد يغتم به من وجه ويفرح به من
وجه اخر فيكون الصبر من حيث الاغتمام والشكر من حيث الفرح وفي كل فقر ومرض وخوف وبلاء في الدنيا خمسة امور ينبغي
ان يفرح العاقل بها ويشكر عليها احدها ان كل مصيبة ومرض فيتصور ان يكون اكبر منها اذ مقدورات الله تعالى لا تتناهى
فلو ضاعفها الله تعالى وزادها ماذا كان يرده ويحجزه فليشكر اذ لم تكن اعظم منها في الدنيا والثاني انه كان يمكن ان تكون مصيبته
في دينه قال رجل لسهل رضي الله عنه دخل اللص بيتي واخذ متاعي فقال اشكر الله لو دخل الشيطان قلبك وافسد عليك التوحيد
ماذا كنت تصنع ولذلك استعاذ عيسى عليه الصلاة والسلام في دعائه اذ قال اللهم لا تجعل مصيبتي في ديني قال عمر رضي الله عنه
ما ابتليت ببلاء الا كانت لله تعالى علي فيه اربع نعم اذ لم يكن في ديني واذ لم يكن اعظم منه واذ لم احرم الرضا به واذ ارجو الثواب
عليه وكان لبعض ارباب القلوب صديق فحبسه السلطان فارسل اليه فقال له اشكر الله فضرب فقال اشكر الله فجيء بمجوسي
محبوس مبطون وقيد وجعل حلقة من قيده على رجله وحلقة على رجل المجوسي فارسل اليه فقال اشكر الله فكان يحتاج المجوسي
ان يقوم مرات وهو يحتاج ان يقوم معه ويقف على راسه حتى يقضي حاجته فكتب اليه بذلك فقال اشكر الله فقال الى متى هذا
واي بلاء اعظم من هذا فقال لو جعل الزنار الذي في وسطه على وسطك ماذا كنت تصنع فاذن ما من انسان قد اصيب ببلاء

تصحيحه عجيبه

الا ولو تامل حق التامل في سوء ادبه ظاهرا وباطنا في حق مولاه لكان يرى انه يستحق اكثر مما اصيب به عاجلا وآجلا ومن
استحق عليك ان تضربه مائة سوط فاقتصر على عشرة فهو مستحق للشكر ومن استحق ان يقطع يديك فترك احداهما
فهو مستحق للشكر ولذلك مر بعض الشيوخ في شارع فصب على راسه طشت من رماد فسجد لله تعالى سجدة الشكر فقيل له ما هذه
السجدة فقال كنت انتظر ان يصب علي النار فالاقتصار على الرماد نعمة وقيل لبعضهم الا تخرج للاستسقاء فقد
احتبست الامطار فقال انتم تستبطئون المطر وانا استبطئ الحجر فان قلت كيف افرح وارى
جماعة ممن زادت معصيتهم على معصيتي لم يصابوا بما اصبت به حتى الكفار فاعلم ان الكافر قد خبئ له ما هو
اكثر وانما امهل حتى يستكثر من الاثم ويطول عليه العقاب كما قال تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما واما العاصي فمن
اين تعلم ان في العالم من هو اعصى منك ورب خاطر بسوء ادب في حق الله تعالى وفي صفاته اعظم واطم من شرب الخمر والزنا
وسائر المعاصي بالجوارح ولذلك قال تعالى في مثله وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم فمن اين تعلم ان غيرك اعصى منك ثم
لعله قد اخرت عقوبته الى الاخرة وعجلت عقوبتك في الدنيا فلم لا تشكر الله على ذلك وهذا هو الوجه الثالث في الشكر
وهو انه ما من عقوبة الا وكان يتصور ان تؤخر الى الاخرة ومصائب الدنيا يتسلى عنها باسباب اخر تهون المصيبة فيخف
وقعها ومصيبة الاخرة تدوم وان لم تدم فلا سبيل الى تخفيفها بالتسلي اذ اسباب التسلي مقطوعة بالكلية في الاخرة
عن المعذبين ومن عجلت عقوبته في الدنيا فلا يعاقب ثانيا اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا اذنب ذنبا
فاصابته شدة وبلاء في الدنيا فالله اكرم من ان يعذبه ثانيا الرابع ان هذه المصيبة والبلية كانت مكتوبة عليه في ام الكتاب
وكان لا بد من وصولها اليه وقد وصلت ووقع الفراغ واستراح من بعضها او من جميعها فهذه نعمة الخامس ان
ثوابها اكثر منها فان مصائب الدنيا طرق الى الاخرة من وجهين احدهما الوجه الذي يكون به الدواء الكريه نعمة في حق المريض
ويكون المنع من اسباب اللعب نعمة في حق الصبي فانه لو خلي واللعب كان يمنعه ذلك عن العلم والادب فكان يخسر جميع عمره فكذلك المال
والاهل والاقارب والاعضاء حتى العين التي هي اعز الاشياء قد تكون سبب هلاك الانسان في بعض الاحوال بل العقل الذي هو اعز
الامور قد يكون سبب هلاكه فالملحدة غدا يتمنون لو كانوا مجانين او صبيانا ولم يتصرفوا في دين الله بعقولهم فما من شيء من
هذه الاسباب يوجد من العبد الا ويتصور ان يكون له فيه خيرة دينية فعليه ان يحسن الظن بالله ويقدر فيه الخيرة ويشكره
عليه فان حكمة الله واسعة وهو بمصالح العباد اعلم من العباد وغدا يشكره العباد على البلايا اذا راوا ثواب البلايا كما يشكر الصبي
بعد العقل والبلوغ استاذه واباه على ضربه وتاديبه اذ يدرك ثمرة ما استفاده من التاديب والبلاء تاديب من الله
تعالى وعنايته بعباده اتم واوفر من عناية الاباء بالاولاد فقد روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اوصني فقال لا تتهم الله في شيء قضاه عليك ونظر صلى الله عليه وسلم الى السماء فضحك فسئل فقال عجبت لقضاء
الله تعالى للمؤمن ان قضى له بالسراء رضي وكان خيرا له وان قضى له بالضراء رضي وكان خيرا له والوجه الثاني
ان راس الخطايا المهلكة حب الدنيا وان من اسباب النجاة التجافي بالقلب عن دار الغرور ومواتاة النعم على وفق المراد من غير
امتزاج ببلاء ومصيبة تورث طمانينة القلب الى الدنيا واسبابها حتى تصير كالجنة في حقه فيعظم بلاؤه عند الموت بسبب
مفارقته واذا كثرت عليه المصائب انزعج قلبه عن الدنيا ولم يسكن اليها ولم يانس بها وصارت الدنيا سجنا عليه وكانت
نجاته منها غاية اللذة كالخلاص من السجن ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر والكافر كل من اعرض
عن الله تعالى ولم يرد الا الحياة الدنيا ورضي بها واطمان اليها والمؤمن كل منقطع بقلبه عن الدنيا شديد الحنين الى الخروج
منها والكفر بعضه ظاهر وبعضه خفي وبقدر حب الدنيا في القلب يسري فيه الشرك الخفي بل الموحد المطلق هو الذي لا يحب الا الواحد الحق
فاذا في البلاء نعم من هذا الوجه فيجب الفرح به واما التالم فهو ضروري وذلك يضاهي فرحك عند الحاجة الى الحجامة ممن
يتولى حجامتك مجانا او يسقيك دواء نافعا بشعا وهو مجانا فانك تتالم وتفرح فتصبر على الالم وتشكره على سببه

الشح فكل بلاء في الامور الدنياوية مثاله الدواء الذي يؤلم في الحال وينفع في المآل بل من دخل دار ملك للنظارة وعلم انه
يخرج منها لا محالة فرأى وجها حسنا لا يخرج معه من الدار كان ذلك بلاء عليه لانه يورثه الانس بمنزل لا يمكنه المقام فيه ولو
كان عليه في المقام خطر من ان يطلع عليه الملك فيعذبه فاصابه ما يكره حتى نفره عن المقام كان ذلك نعمة عليه والدنيا منزل
وقد دخلها الناس من باب الرحم وهم خارجون عنها من باب اللحد فكل ما يحقق انسهم بالمنزل فهو بلاء وكل ما يزعج قلوبهم
عنها ويقطع انسهم بها فهو نعمة فهو هذا تصور منه ان يشكر على البلاء ومن لم يعرف هذه النعمة في البلاء لم يتصور منه
الشكر لان الشكر يتبع معرفة النعمة بالضرورة ومن لا يؤمن بان ثواب المصيبة اكبر من المصيبة لم يتصور منه الشكر على
المصيبة **وحكي ان اعرابيا عزى ابن عباس رضي الله عنه فقال**

اصبر نكن بك صابرين فانما ... صبر الرعية بعد صبر الراس
خير من العباس اجرك بعده ... والله خير منك للعباس

فقال ابن عباس ما عزاني احد احسن من تعزيته والاخبار الواردة في الصبر على المصائب كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من يرد الله به خيرا يصب منه وقال صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصبه وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى اذا
وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه او ماله او ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة ان انصب
له ميزانا او انشر له ديوانا وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد اصيب بمصيبة فقال كما امر الله تعالى انا لله وانا اليه راجعون اللهم
آجرني في مصيبتي واعقبني خيرا منها الا فعل الله ذلك وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى من سلبت كريمتيه فجزاؤه الخلود
في داري والنظر الى وجهي **وروي** ان رجلا قال يا رسول الله ذهب مالي وسقم جسمي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا خير في عبد
لا يذهب ماله ولا يسقم جسده ان الله اذا احب عبدا ابتلاه واذا ابتلاه صبره **وقال** صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليكون له
الدرجة عند الله تعالى لا يبلغها بعمل حتى يبتلى ببلاء في جسمه فيبلغها بذلك وعن خباب بن الارت قال اتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو متوسد برداء في ظل الكعبة فشكونا اليه فقلنا يا رسول الله الا تدعو الله الا تستنصر لنا فجلس محمرا لونه ثم قال ان من كان
قبلكم ليؤتى بالرجل فيحفر له في الارض حفيرة ويجاء بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه وعن علي
كرم الله وجهه قال ايما رجل حبسه السلطان ظلما فمات فهو شهيد وان ضربه فمات فهو شهيد وقال ايضا صلى الله عليه وسلم من اجلال الله
ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك **وقال** ابو الدرداء رضي الله عنه تلدون للموت وتعمرون
للخراب وتحرصون على ما يفنى وتذرون ما يبقى الا حبذا المكروهات الثلاث الفقر والمرض والموت وعن انس رضي الله عنه
انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا واراد ان يصافيه صب عليه البلاء صبا وثجه عليه
ثجا فاذا دعاه قالت الملائكة صوت معروف فان دعاه ثانيا فقال يا رب قال الله تعالى لبيك عبدي وسعديك
لا تسألني شيئا الا اعطيتك او دفعت عنك ما هو خير وادخرت لك عندي ما هو افضل منه فاذا كان يوم القيامة
جيء باهل الاعمال فوفوا اعمالهم بالميزان اهل الصلاة والصيام والصدقة والحج ثم يؤتى باهل البلاء فلا ينصب
لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان يصب عليهم الاجر صبا كما كان يصب عليهم البلاء فيود اهل العافية في الدنيا
لو انهم كانت تقرض اجسادهم بالمقاريض لما يرون ما يذهب به اهل البلاء من الثواب وذلك قوله تعالى انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب وعن ابن عباس رضي الله عنه قال شكا نبي من الانبياء عليهم الصلاة والسلام الى ربه فقال يا رب
العبد المؤمن يطيعك ويجتنب معاصيك تزوي عنه الدنيا وتعرض له البلاء ويكون العبد الكافر لا يطيعك ويجترئ على معاصيك وتبسط له الدنيا فاوحى الله تعالى اليه ان
العباد لي والبلاء لي وكل يسبح بحمدي فيكون المؤمن عليه من الذنوب فازوي عنه الدنيا واعرض له البلاء فيكون كفارة لذنوبه
حتى يلقاني فاجزيه حسناته ويكون الكافر له الحسنات فابسط له في الرزق وازوي عنه البلاء فاجزيه حسناته في الدنيا
حتى يلقاني فاجزيه بسيئاته في الدنيا حتى يلقاني وروي انه لما نزل قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به قال ابو بكر الصديق رضي الله

كيف الفرح بعد هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا ابا بكر الست تمرض اليس يصيبك الاذى اليس
تحزن فهذا ما تجزون به يعني ان جميع ما يصيبك يكون كفارة لذنوبك وعن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اذا رأيتم الرجل يعطيه الله ما يحب وهو مقيم على معصيته فاعلموا ان ذلك استدراج ثم قرأ قوله تعالى فلما نسوا
ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة وعن الحسن البصري رحمه الله ان رجلا من الصحابة رأى
امرأة كان يعرفها في الجاهلية فكلمها ثم تركها فجعل الرجل يلتفت اليها وهو يمشي فصدمه حائط فاثر في وجهه فاتى
النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا عجل له عقوبة ذنبه في الدنيا **وقال** علي كرم الله وجهه
الا اخبركم بارجى آية في كتاب الله قالوا بلى فقرأ عليهم وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير فالمصائب
في الدنيا بكسب الاوزار فاذا عاقبه الله في الدنيا فالله اكرم من ان يعذبه ثانيا وان عفا عنه في الدنيا فالله اكرم من ان يعذبه يوم القيامة
وعن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما تجرع عبد قط جرعتين احب الى الله من جرعة غيظ ردها بحلم وجرعة مصيبة
يصبر الرجل لها ولا قطرت قطرة احب الى الله من قطرة دم اهريقت في سبيل الله وما خطا عبد خطوتين احب الى الله
من خطوة الى الصلاة الفريضة وخطوة الى صلة الرحم وعن ابي الدرداء انه قال توفي ابن لسليمان بن داود عليهما الصلاة
والسلام فوجد عليه وجدا شديدا فاتاه ملكان فجلسا بين يديه في زي الخصوم فقال احدهما بذرت بذرا فلما استحصد
مر به هذا فافسده فقال للآخر ما تقول فقال اخذت الجادة فاتيت على زرع فنظرت يمينا وشمالا فاذا الطريق عليه
فقال سليمان عليه الصلاة والسلام ولم بذرت على الطريق اما علمت ان لا بد للناس من الطريق قال فلم تحزن على ولدك اما علمت
ان الموت طريق الآخرة فتاب سليمان عليه الصلاة والسلام الى ربه ولم يجزع على ولده بعد ذلك ودخل عمر بن عبد العزيز على ابن له
مريض فقال يا بني لان تكون في ميزاني احب الي من ان اكون في ميزانك فقال يا ابت لان يكون ما تحب احب الي من ان يكون
ما احب وعن ابن عباس رضي الله عنه انه نعي اليه ابنة له فاسترجع وقال عورة سترها الله ومؤونة كفاها الله
واجر ساقه الله ثم نزل فصلى ركعتين ثم قال قد صنعنا ما امر الله تعالى قال الله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة
الآية وعن ابن المبارك انه مات ابن له فعزاه مجوسي يعرفه فقال له ينبغي للعاقل ان يفعل اليوم ما يفعله الجاهل
بعد خمسة ايام فقال ابن المبارك اكتبوا عنه هذه **وقال** بعض العلماء ان الله تعالى ليبتلي العبد بالبلاء بعد البلاء
حتى يمشي على الارض وما له ذنب وقال الفضيل ان الله تعالى ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل
اهله بالخير **وقال** حاتم الاصم ان الله تعالى يحتج على الخلق يوم القيامة باربعة نفر على اربعة اجناس على الاغنياء
بسليمان وعلى الفقراء بعيسى وعلى العبيد بيوسف وعلى المرضى بايوب صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين
وروي ان زكريا عليه الصلاة والسلام لما هرب من الكفار من بني اسرائيل واختفى في الشجرة فعرفوا ذلك فجيء بالمنشار
فنشرت الشجرة حتى بلغ المنشار الى راس زكريا فان انة فاوحى الله تعالى اليه يا زكريا لئن صعدت منك انة ثانية لامحونك
من ديوان النبوة فعض زكريا عليه الصلاة والسلام على الصبر حتى قطع بشطرين **وقال** ابو مسعود البلخي من اصيب بمصيبة فمزق
ثوبا او ضرب صدرا فكانما اخذ رمحا يريد ان يقاتل به ربه عز وجل وقال لقمان لابنه يا بني ان الذهب يجرب بالنار
والعبد الصالح يجرب بالبلاء واذا احب الله قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط وقال الاحنف بن قيس اصبحت
يوما اشكو ضرسي فقلت لعمي ما نمت البارحة من وجع الضرس حتى قلتها ثلاثا فقال لقد اكثرت من ضرسك في ليلة واحدة
وقد ذهبت عيني هذه منذ ثلاثين سنة ما علم بها احد واوحى الله تعالى الى عزير عليه السلام اذا نزلت بك بلية فلا تشكني
الى خلقي كما لا اشكوك الى ملائكتي اذا صعدت مساويك وفضائحك **بيان فضل النعمة على البلاء** لعلك
تقول هذه الاخبار تدل على ان البلاء خير في الدنيا من النعم فهل لنا ان نسأل الله تعالى البلاء فاقول لا وجه لذلك لما
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يستعيذ في دعائه من بلاء الدنيا وبلاء الآخرة وكان يقول هو والانبياء عليهم الصلاة والسلام

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وكانوا يستعيذون من شماتة الاعداء وغيرها وقال علي كرم الله وجهه اللهم اني اسالك الصبر فقال
صلى الله عليه وسلم لقد سالت الله تعالى البلا فسله العافية وروى الصديق رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال سلوا الله العافية
فما اعطي عبد افضل من العافية الا اليقين واشار باليقين الى عافية القلب عن مرض الجهل والشك فعافية القلب اعلى من عافية
البدن وقال الحسن رحمه الله تعالى الخير الذي لا شر فيه العافية مع الشكر فكم من منعم عليه غير شاكر وقال مطرف بن عبد الله لان اعافى
فاشكر احب الي من ان ابتلى فاصبر وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه وعافيتك احب الي وهذا اظهر من ان يحتاج فيه الى
استشهاد وهذا لان البلا صار نعمة باعتبارين احدهما بالاضافة الى ما هو اكثر منه اما في الدنيا او في الدين والاخر
بالاضافة الى ما يرجى من الثواب فينبغي ان يسال الله تمام النعمة في الدنيا ودفع ما فوقه من البلاء ويساله الثواب في الاخرة على الشكر على نعمته
فانه قادر على ان يعطي على الشكر ما يعطيه على الصبر **فان قلت** فقد قال بعضهم اود ان اكون جسرا على النار يعبر علي الخلق
كلهم فينجون واكون انا في النار **وقال سمنون** وليس لي في سواك حظ فكيفما شئت فاختبرني فهذا من هولاء سوال
البلاء فاعلم انه حكي ان سمنون رحمه الله تعالى بلي بعد هذا البيت بعلة الحصر فكان بعد ذلك يدور على ابواب المكاتب ويقول
للصبيان ادعوا لعمكم الكذاب واما محبة الانسان لان يكون هو في النار دون ساير الخلق فغير ممكن ولكن قد يغلب الحب على القلب
حتى يظن المحب بنفسه حبا لمثل ذلك فمن شرب كاس المحبة سكر ومن سكر توسع في الكلام ولو زايله سكره علم ان ما غلب عليه كان حالة
لا حقيقة لها فما سمعته من هذا الفن فهو من كلام العشاق الذين افرط حبهم وكلام العشاق يستلذ سماعه ولا يعول عليه كما حكي ان
فاختة كان يراودها زوجها فتمنعه فقال ما الذي يمنعك عني ولو اردت ان اقلب لك ملك سليمان ظهرا لبطن لفعلته لاجلك فسمعه
سليمان فاستدعاه وعاتبه فقال يا نبي الله كلام العشاق لا يحكى وهو كما قال **وقول الشاعر**
اريد وصاله ويريد هجري فاترك ما اريد لما يريد وهذا ايضا محال ومعناه اني اريد ما لا اريد لان من اراد الوصال فما اراد
الهجر فكيف اراد الهجر الذي لا يريده بل لا يصدق هذا الكلام الا بتاويلين احدهما ان يكون ذلك في بعض الاحوال حتى يكتسب رضاه
الذي يتوصل به الى مراد الوصال في الاستقبال فيكون الهجران وسيلة الرضا والرضا وسيلة الوصال المحبوب والوسيلة الى المحبوب
محبوب فيكون مثاله مثال محب المال اذا اسلم درهما في درهمين فهو لحب الدرهمين يترك الدرهم في الحال **الثاني** ان يصير
رضاه عنده مطلوبا من حيث انه رضا فقط ويكون له لذة في استشعاره رضا محبوبه تزيد تلك اللذة على لذته في مشاهدته مع كراهته
فعند ذلك يتصور ان يريد ما فيه الرضا فلذلك فقد انتهى حال بعض المحبين الى ان صارت لذتهم في استشعارهم رضا محبوبهم اكثر من لذتهم
في العافية من غير شعور بالرضا فهولاء اذا قدروا رضاه في البلاء صار البلاء احب اليهم من العافية وهذه حالة لا يبعد وقوعها في غلبة
الحب ولكنها لا تثبت وان ثبتت مثلا فهل هي حالة صحيحة ام حالة اقتضتها حالة اخرى وردت على القلب فمالت به عن الاعتدال
هذا فيه نظر وذكر تحقيقه لا يليق بما نحن فيه وقد ظهر بما سبق ان العافية خير من البلاء فنسال الله العفو والعافية في الدنيا والاخرة

بيان الافضل من الصبر والشكر

اعلم ان الناس اختلفوا في ذلك فقال قايلون الصبر افضل من الشكر
وقال اخرون الشكر افضل وقال اخرون هما سيان وقال اخرون يختلف ذلك باختلاف الاحوال واستدل كل فريق بكلام شديد
الاضطراب بعيد عن التحصيل فلا معنى للتطويل بالنقل بل المبادرة الى اظهار الحق اولى فنقول في بيان ذلك مقامان

المقام الاول البيان على سبيل التساهل وهو ان ينظر الى ظاهر الامر ولا يطلب بالتفتيش حقيقته وهو البيان
الذي ينبغي ان يخاطب به عوام الخلق لقصور افهامهم عن درك الحقايق الغامضة وهذا الفن من الكلام هو الذي ينبغي ان يعتمده
الوعاظ اذ مقصود كلامهم مخاطبة العوام واصلاحهم والوالدة المشفقة لا ينبغي ان تصلح الصبي الطفل بالطيور السمان وضروب
الحلاوات بل باللبن اللطيف وعليها ان تؤخر عنه اطايب الاطعمة الى ان يصير محتملا لها بقوته ويفارق الضعف الذي هو عليه
في بنيته فنقول هذا المقام في البيان يابى البحث والتفصيل ومقتضاه النظر الى الظاهر المفهوم من موارد الشرع
وذلك يقتضي تفضيل الصبر فان الشكر وان وردت اخبار في فضله فاذا اضيف اليه ما ورد في فضيلة الصبر كان

فضايل الصبر اكثر بل فيه الفاظ صريحة في التفضيل كقوله عليه الصلاة والسلام من افضل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر وفي
الخبر يوتى باشكر اهل الارض فيجزيه الله جزاء الشاكرين ويوتى باصبر اهل الارض فيقال له اترضى ان نجزيك كما جزينا
هذا الشاكر فيقول نعم يا رب فيقول الله تعالى كلا انعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لاضعفن لك الاجر عليه فيعطى
اضعاف جزاء الشاكرين وقد قال الله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب واما قوله الطاعم الشاكر بمنزلة
الصايم الصابر فهو دليل على ان الفضيلة في الصبر اذ ذكر ذلك في معرض المبالغة لرفع درجة الشكر فالحقه بالصبر فكان هذا منتهى
درجته ولولا انه فهم من الشرع علو درجة الصبر لما كان الحاق الشكر به مبالغة في الشكر وهو كقوله صلى الله عليه وسلم الجمعة حج المساكين
وجهاد المراة حسن التبعل وكقوله شارب الخمر كعابد الوثن وابدا المشبه به ينبغي ان يكون اعلى رتبة فكذلك قوله الصبر
نصف الايمان لا يدل على ان الشكر مثله وهو كقوله عليه الصلاة والسلام الصوم نصف الصبر فان كل ما ينقسم بقسمين يسمى
احدهما نصفا وان كان بينهما تفاوت كما يقال الايمان هو العلم والعمل فالعمل نصف الايمان فلا يدل ذلك على ان العمل يساوي
العلم وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم آخر الانبياء دخولا الجنة سليمان بن داود لمكان ملكه وآخر اصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن
بن عوف لمكان غناه وفي خبر آخر يدخل سليمان بعد الانبياء باربعين خريفا وفي الخبر ابواب الجنة مصراعان الا باب الصبر فانه
مصراع واحد واول من يدخله اهل البلاء امامهم ايوب صلى الله عليه وسلم وكل ما ورد في فضايل الفقر يدل على فضيلة الصبر
لان الصبر حال الفقير والشكر حال الغني فهذا هو المقام الذي يقنع العوام ويكفيهم في الوعظ اللايق بهم والتعريف لما فيه
صلاح دينهم **المقام الثاني** هو البيان الذي يقصد به تعريف اهل العلم والاستبصار بحقايق الامور بطريق
الكشف والايضاح فنقول فيه كل امرين مبهمين لا تمكن الموازنة بينهما مع الابهام ما لم يكشف عن حقيقة كل واحد منهما وكل مكشوف يشتمل
على اقسام لا تمكن الموازنة بين الجملة والجملة بل يجب ان يفرد الاحاد بالموازنة حتى يتبين الرجحان والصبر والشكر اقسامهما وشعبهما
كثيرة فلا يتبين حكمهما في الرجحان والنقصان مع الاجمال فنقول قد ذكرنا ان هذه المقامات تنتظم من ثلاثة امور علوم
واحوال واعمال والشكر والصبر وساير المقامات هي كذلك وهذه الثلاثة اذا وزن البعض منها بالبعض لاح للناظرين
الى الظواهر ان العلوم تراد للاحوال والاحوال تراد للاعمال فالاعمال هي الافضل واما ارباب البصاير فالامر عندهم
بالعكس من ذلك فان الاعمال تراد للاحوال والاحوال تراد للعلوم فالافضل العلوم ثم الاحوال ثم الاعمال لان كل مراد لغيره
فذلك الغير لا محالة افضل منه واما آحاد هذه الثلاثة فالاعمال قد تتساوى وقد تتفاوت اذا اضيف بعضها الى بعض
وكذا آحاد الاحوال اذا اضيف بعضها الى بعض وكذا آحاد المعارف وافضل المعارف علوم المكاشفة وهي ارفع من علوم
المعاملة بل علوم المعاملة دون المعاملة فانها تراد للمعاملة ففايدتها اصلاح العمل وانما فضل العالم بالمعاملة على العابد اذا
كان علمه مما يعم نفعه فيكون بالاضافة الى عمل خاص افضل والا فالعلم القاصر بالعمل اليسير افضل من العمل القاصر فنقول فايدة
اصلاح العمل اصلاح حال القلب ان يكشف له جلال الله في ذاته وصفاته وافعاله فارفع علوم المكاشفة معرفة الله سبحانه
وهي الغاية التي تطلب لذاتها فان السعادة تنال بها بل هي عين السعادة ولكن قد لا يشعر القلب في الدنيا بانها عين السعادة
وانما يشعر بها في الآخرة فهي المعرفة الحرة التي لا قيد عليها فلا تتقيد بغيرها وكل ما عداها من المعارف عبيد وخدم بالاضافة
اليها فانها انما تراد لاجلها ولما كانت مرادة لاجلها كان تفاوتها بحسب نفعها في الافضاء الى معرفة الله تعالى فان بعض المعارف
يفضي الى بعض اما بواسطة واما بوسايط كثيرة فكلما كانت الوسايط بينه وبين معرفة الله تعالى اقل فهو افضل واما
الاحوال فنعني بها احوال القلب في تصفيته وتطهيره عن شوايب الدنيا وشواغل الخلق حتى اذا طهر وصفا اتضح له حقيقة
الحق فاذا فضايل الاحوال بقدر تاثيرها في اصلاح القلب وتطهيره واعداده لان يحصل له علوم المكاشفة وكما ان تصقيل
المراة يحتاج الى ان يتقدم على تمام احوال المراة بعضها اقرب الى الصقالة من بعض فكذلك احوال القلب فالحالة القريبة
او المقربة من احوال القلب هي افضل مما دونها لا محالة بسبب القرب من المقصود وهكذا ترتيب الاعمال فان تاثيرها في تاكيد

صفات القلب وجلب الاحوال اليه وكل عمل فاما ان يجلب اليه حالة مانعة من المكاشفة موجبة لظلمة القلب جاذبة الى زخارف
الدنيا واما ان يجلب اليه حالة مهيأة للمكاشفة موجبة صفاء القلب وقطع علائق الدنيا عنه واسم الاول المعصية
واسم الثاني الطاعة والمعاصي من حيث التاثير في ظلمة القلب وقساوته متفاوتة وكذا الطاعات في تنوير القلب وتصفيته
فدرجاتها بحسب درجات تاثيرها وذلك يختلف باختلاف الاحوال وذلك انا لا نقول بالقول المطلق ربما نقول الصلاة النافلة افضل
من كل عبادة نافلة وان الحج افضل من الصدقة وان قيام الليل افضل من غيره ولكن التحقيق فيه ان الغني الذي معه مال وقد غلبه
البخل وحب المال على امساكه فاخراج درهم له افضل من قيام ليالي لان الصيام يليق بمن غلبته شهوة البطن فاراد كسرها
او منعه الشبع عن صفاء الفكر في علوم المكاشفة فاراد تصفية القلب بالجوع فاما هذا المدبر اذ لم يكن حاله هذا الحال فليس
يستضر بشهوة بطنه ولا هو مشتغل بنوع فكر يمنعه الشبع منه فاشتغاله بالصوم خروج منه عن حاله الذي به الى غيره
وهو كالمريض الذي يشكو وجع البطن اذا استعمل دواء الصداع فلا ينتفع به بل حقه ان ينظر في المهلك الذي استولى عليه والشح
المطاع من جملة المهلكات ولا يزيله صيام مائة سنة وقيام الف ليلة منه ذرة بل لا يزيله الا اخراج المال فعليه ان يتصدق بما
معه وتفصيل هذا ما ذكرناه في ربع المهلكات فليرجع اليه فاذا باعتبار هذه الاحوال تختلف وعند ذلك يعرف البصير
ان الجواب المطلق فيه خطأ اذ لو قال لنا قايل الخبز افضل ام الماء لم يكن فيه جواب حق الا ان الخبز للجائع افضل وللعطشان الماء
فان اجتمعا نظر الى الاغلب فان كان العطش هو الاغلب فالماء افضل فان تساويا فهما متساويان وكذا اذا قيل السكنجبين
افضل ام ماء النيلوفر لم يصح الجواب عنه مطلقا اصلا نعم لو قيل لنا السكنجبين افضل ام عدم الصفراء فنقول عدم الصفراء لان
السكنجبين مراد له وما يراد لغيره فذلك الغير افضل منه لا محالة فاذا في بذل المال لا غرض الا وهو الانفاق وحصول حالة
وهو زوال البخل فخروج حب الدنيا من القلب وتهيئة القلب بسبب خروج حب الدنيا من القلب لمعرفة الله وحبه فالافضل
المعرفة ودونها العمل **فان قلت** فقد حث الشرع على الاعمال وبالغ في ذكر فضلها حتى طلب الصدقات بقوله
من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وقال ويأخذ الصدقات فكيف لا يكون العمل والانفاق هو الافضل فاعلم ان
الطبيب اذا اثنى على الدواء لم يدل على ان الدواء مراد لعينه او على انه افضل من الصحة والشفاء الحاصل به ولكن الاعمال علاج
لمرض القلوب ومرض القلب مما لا يشعر به غالبا فهو كبرص على وجه من لا مرآة معه فانه لا يشعر به غالبا ولو ذكر له لا يصدق
به فالسبيل معه المبالغة في الثناء على غسل الوجه بماء الورد مثلا ان كان ماء الورد يزيل البرص حتى يستحثه فرط الثناء على
المواظبة عليه فيزول مرضه فانه لو ذكر له ان المقصود زوال البرص من وجهه ربما ترك العلاج وزعم ان وجهه لا عيب فيه ولنضرب مثلا
اقرب من هذا فنقول من له ولد علم العلم او القران واراد ان يثبت ذلك في حفظه بحيث لا يزول عنه وعلم انه لو امره بالتكرار
والدراسة ليبقى محفوظا لقال انه محفوظ ولا حاجة بي الى تكرار ودراسة لانه يظن ان ما يحفظه في الحال يبقى كذلك ابدا وكان له
عبيد فامر الولد بتعليم العبيد ووعده على ذلك بالجميل ليتوفر داعيته على كثرة التكرار بالتعليم فربما يظن الصبي المسكين ان المقصود
تعلم العبيد القران وانه قد استخدم لتعليمهم فيشكل عليه الامر فيقول [illegible] ابي قد استخدمت لاجل العبيد وانا احب منهم واعز عند
الوالد واعلم ان ابي لو اراد تعليم العبيد لقدر عليه دون تكليفي واعلم انه لا نقصان على ابي بفقد جملة العبيد فضلا عن جهلهم بالقرآن
وربما يشكل على هذا المسكين فيترك تعليمهم اعتمادا على استغناء ابيه وعلى كرمه في العفو عنه فينسى العلم والقران ويبقى
مدبرا محروما من حيث لا يدري وقد انخدع بمثل هذا الخيال طائفة وسلكوا طريق الاباحة وقالوا ان الله غني عن عبادتنا وعن ان
يستقرض منا فاي معنى لقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ولو شاء الله اطعام المساكين لاطعمهم فلا حاجة بنا
الى صرف اموالنا اليهم كما قال تعالى حكاية عن الكفار واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين امنوا انطعم
من لو يشاء الله اطعمه وقالوا ايضا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا فانظر كيف كانوا صادقين في كلامهم وكيف هلكوا بصدقهم
فسبحان من اذا شاء اهلك بالصدق واذا شاء اسعد بالجهل يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا فهؤلاء لما ظنوا انهم

استخدموا لاجل المساكين والفقراء او لاجل الله تعالى ثم قالوا لا حظ لنا في المساكين ولا حظ لله فينا وفي اموالنا سواء انفقنا او
امسكنا هلكوا كما هلك الصبي اذ ظن ان مقصود الوالد استخدامه لاجل العبيد ولم يشعر بانه كان المقصود ثبات صفة العلم
في نفسه وتاكيده في قلبه حتى يكون ذلك سبب سعادته في الدنيا وانما كان ذلك من الوالد تلطفا به في استجراره الى ما فيه سعادته
فهذا المثال يبين لك ضلال من ضل من هذا الطريق فاذا المسكين آخذ لمالك مستوفي بواسطة المال خبث البخل من
باطنك فانه مهلك لك كالحجام يستخرج الدم منك ليخرج بخروج الدم العلة المهلكة من باطنك فالحجام خادم
لك لا انت خادم للحجام ولا يخرج الحجام عن كونه خادما بان يكون له غرض في ان يصنع شيئا بالدم ولما كانت الصدقات
مطهرة للبواطن ومزكية لها عن خبائث الصفات امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذها ونهى عنها كما نهى عن كسب
الحجام وسماها اوساخ اموال الناس وشرف اهل بيته بالصيانة عنها والمقصود ان الاعمال مؤثرات في القلب كما سبق في ربع
المهلكات والقلب بحسب تاثرها يستعد لقبول الهداية ونور المعرفة فهذا هو القول الكلي والقانون الاصلي الذي
ينبغي ان يرجع اليه في معرفة فضائل الاعمال والاحوال والمعارف فلنرجع الان الى خصوص ما نحن فيه من الشكر والصبر فنقول في
كل واحد منهما معرفة وحال وعمل فلا يجوز ان يقابل المعرفة في احدهما بالحال او العمل في الاخر بل يقابل كل واحد بنظيره حتى يظهر
التناسب وبعد التناسب يظهر الفضل ومهما قوبلت معرفة الشاكر بمعرفة الصابر ربما رجعا الى معرفة واحدة اذ معرفة الشاكر
ان يرى نعمة العينين مثلا من الله ومعرفة الصابر ان يرى العمى من الله وهما معرفتان متلازمتان ومتساويتان هذا اذا اعتبر
في البلايا والمصائب وقد بينا ان الصبر قد يكون على الطاعة وعن المعصية وفيهما يتحد الشكر والصبر لان الصبر على الطاعة
هو عين شكر الطاعة لان الشكر يرجع الى ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى فالصبر والشكر فيه اسمان لمسمى واحد
باعتبارين مختلفين فثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى يسمى صبرا بالاضافة الى باعث الهوى ويسمى شكرا بالاضافة
الى باعث الدين اذ باعث الدين انما خلق لهذه الحكمة وهو ان يصرع به باعث الشهوة فقد صرفه الى مقصود الحكمة فهما عبارتان
عن معنى واحد فكيف يفضل الشيء على نفسه فاذا مجاري الصبر ثلث الطاعة والمعصية والبلايا وقد ظهر حكمهما في الطاعة
والمعصية اما البلايا فهو عبارة عن فقد نعمة والنعم اما ان تقع ضرورية مثلا واما ان تقع في محل الحاجة كالزيادة على قدر
الكفاية من المال اما العينان فصبر الاعمى عنهما بان لا يظهر الشكوى ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ولا يترخص بسبب العمى في
بعض المعاصي وشكر البصير عليهما من حيث العمل بامرين احدهما ان لا يستعين بهما على معصية والاخر ان يستعملهما في الطاعة
وكل واحد من الامرين لا يخلو عن الصبر فان الاعمى كفي الصبر عن الصور الجميلة لانه لا يراها والبصير اذا وقع بصره على جميل فصبر
كان شاكرا لنعمة العينين وان اتبع النظر كفر نعمة العينين فقد دخل الصبر في شكره وكذلك اذا استعان بالعينين على الطاعة
فلا بد فيه ايضا من صبر على الطاعة ثم قد يشكرها بالنظر الى عجائب صنع الله ليتوصل به الى معرفة الله فيكون هذا الشكر افضل
من الصبر ولولا هذا لكانت رتبة شعيب مثلا وقد كان ضريرا من الانبياء فوق رتبة موسى عليهما الصلاة والسلام وغيره
لانه صبر على فقد البصر وموسى عليه السلام لم يصبر ولكان الكمال في ان يسلب الانسان الاطراف كلها ويترك لحما على وضم
وذلك محال جدا لان كل واحد من هذه الاعضاء آلة في الدين فيفوت بفواتها ذلك الركن من الدين وشكرها استعمالها فيما هي آلة
فيه من الدين وذلك لا يكون الا بصبر واما ما تقع في محل الحاجة كالزيادة على الكفاية من المال فانه اذا لم يؤت الا قدر الضرورة
وهو محتاج الى ما وراءه ففي الصبر عنه مجاهدة وهو جهاد الفقراء ووجود الزيادة نعمة وشكرها ان تصرف الى الخيرات او ان لا
تستعمل في المعصية فان اضيف الصبر الى الشكر الذي هو صرف الى الطاعة فالشكر افضل لانه تضمن الصبر ايضا وفيه فرح بنعمة
الله وفيه احتمال الم في صرفه الى الفقراء وترك صرفه الى التنعم المباح وكان الحاصل يرجع الى شيئين افضل من شيء واحد وان الجملة
اعلى رتبة من البعض وهذا فيه خلل اذ لا يصح الموازنة بين الجملة وبين ابعاضها واما اذا كان شكره بان لا يستعين به على
معصية بل يصرفه الى التنعم المباح فالصبر هنا افضل من الشكر والفقير الصابر افضل من الغني الممسك ماله الصارف له الى المباحات

لان الغنى الصادق ماله الى الخيرات لان الفقير قد جاهد نفسه وكسر نهمتها واحسن الرضا على بلاء الله تعالى وهذه الحالة تستدعي لا محالة قوة والغني اتبع نهمته واطاع شهوته ولكنه اقتصر على المباح والمباح مندوحة عن الحرام ولكن لا بد من قوة في الصبر عن الحرام ايضا الا ان القوة التي عنها يصدر صبر الفقير اعلى واتم من القوة التي عنها يصدر اقتصار الشاكر على المباح والشرف لتلك القوة التي يدل عليها فان الاعمال لا تراد الا لاحوال القلب وتلك القوة حالة للقلب تختلف بحسب قوة اليقين والايمان فما دل على زيادة قوة في الايمان فهو افضل لا محالة وجميع ما ورد في تفضيل اجر الصبر على اجر الشكر من الايات والاخبار انما اريد به هذه الرتبة على الخصوص لان السابق الى افهام الناس من النعم الاموال والغنى بها والسابق الى الافهام من الشكر ان يقول الانسان الحمد لله ولا يستعين بالنعمة على المعصية لا ان يصرفها الى الطاعة فاذاً الصبر افضل من الشكر اي الصبر الذي تفهمه العامة افضل من الشكر الذي تفهمه العامة والى هذا النوع الخصوص اشار الجنيد رحمه الله تعالى حيث سئل عن الصبر والشكر ايهما افضل فقال ليس مدح الغني بالوجود ولا مدح الفقير بالعدم وانما المدح في الاثنين قيامهما بشروط ما عليهما فشرط الغني يصحبه فيما عليه اشيا تلايم صفته وتمتعها وتلذها والفقير يصحبه فيما عليه اشيا تولم صفته وتقبضها وتزعجها فاذا كان الاثنان قايمين لله عز وجل بشرط ما عليهما كان الذي آلم صفته وازعجها اتم حالا ممن متع صفته ونعمها وهو كما قال وهو صحيح من جملة اقسام الصبر والشكر في القسم الاخير الذي ذكرناه وهو مراده دون سواه ويقال كان ابو العباس بن عطاء خالفه في ذلك وقال الغني الشاكر افضل من الفقير الصابر فدعا عليه الجنيد فاصابه ما اصابه من البلاء من قتل اولاده وذهاب ماله وزوال عقله اربع عشرة سنة فكان يقول دعوة الجنيد اصابتني ورجع الى تفضيل الفقير الصابر على الغني الشاكر ومهما لاحظت المعاني التي ذكرناها علمت ان لكل واحد من القولين وجها في بعض الاحوال فرب فقير صابر افضل من غني شاكر كما سبق ورب غني شاكر افضل من فقير صابر وذلك هو الغني الذي يرى نفسه مثل الفقير اذ لا يمسك لنفسه من المال الا قدر الضرورة والباقي يصرفه الى الخيرات او يمسكه على اعتقاد انه خازن للمحتاجين والمساكين وانما ينتظر حاجة تسنح حتى يصرف اليها ثم اذا صرف لم يصرف لطلب جاه وصيت ولا لتقلد منة بل اداء لحق الله في تفقد عباده فهذا افضل من الصابر **فان قلت** فهذا لا يثقل على النفس والفقير يثقل عليه الفقر لان هذا يستشعر لذة القدرة وذاك يستشعر الم الصبر فان كان متالما بفراق المال فيجبره ذلك بلذته في القدرة على الانفاق فاعلم ان الذي يرى ان من ينفق ماله عن رغبة وطيب نفس اكمل حالا ممن ينفقه وهو بخيل به وانما يقتطعه عن نفسه قهرا وقد ذكرنا تفصيل هذا فيما سبق من كتاب التوبة فايلام النفس ليس مطلوبا لعينه بل لتاديبها وذلك لا يليق الا بما يشبه تاديب كلب الصيد والكلب المتادب اكمل من الكلب المحتاج الى الضرب وان كان صابرا على الضرب ولذلك يحتاج الى الايلام والمجاهدة في البداية ولا يحتاج اليه في النهاية بل في النهاية يصير ما كان مولما في حقه لذيذا عنده كما يصير التعلم عند الصبي العاقل لذيذا وقد كان مولما له اولا ولكن لما كان الناس كلهم الا الاقلون في البداية بل قبل البداية بكثرة الصبيان اطلق الجنيد القول بان الذي يولم صفته افضل وهو كلام صحيح فيما اراده من عموم الخلق فاذا اذا كشف الغطا فتفصيل الجواب وتفصيل الارادة اكثر فاطلق القول بان الصبر افضل من الشكر فانه صحيح بالمعنى السابق الى الافهام فاما اذا اردت التحقيق فتفصل بان للصبر درجات اقلها ترك الشكوى مع الكراهة ووراءها الرضا اذ الصبر مع التالم والرضا يجري بلا الم فيه والفرح والشكر لا يكون الا على محبوب مفروح به وكذلك للشكر درجات كثيرة ذكرنا اقصاها ويدخل في جملتها ما هو دونها فان حيا العبد من تتابع نعم الله عليه شكر ومعرفته بتقصيره عن الشكر شكر والاعتذار من قلة الشكر شكر والمعرفة بعظم حلم الله وكنف ستره شكر والاعتراف بان النعم ابتدا من الله تعالى من غير استحقاق شكر والعلم بان الشكر ايضا نعمة من نعم الله وموهبة منه شكر وحسن التواضع بالنعم والتذلل فيها شكر وشكر الوسايط شكر اذ قال صلى الله عليه وسلم من لم يشكر الناس لم يشكر الله تعالى وقد ذكرنا حقيقة ذلك في كتاب اسرار الزكاة وقلة الاعتراض وحسن الادب بين يدي المنعم شكر وتلقي النعم بحسن القبول واستعظام صغيرها شكر وما يندرج من الاعمال والاحوال تحت اسم الشكر والصبر لا تنحصر آحادها وهي درجات مختلفة فكيف يمكن اجمال القول بتفضيل احدهما على الاخر الا على سبيل ارادة الخصوص باللفظ العام كما ورد في الاخبار والاثار وقد روي عن بعضهم انه قال رايت في بعض الاسفار شيخا كبيرا قد طعن في السن فسالته عن حاله

فقال اني كنت في ابتدا عمري اهوى ابنة عم لي وهي كذلك كانت تهواني فاتفق انها زوجت مني فليلة زفافها قلت تعالي نحيي هذه الليلة شكرا لله تعالى على ما جمعنا فصلينا تلك الليلة ولم يتفرغ احدنا الى صاحبه فلما كانت الليلة الثانية قلنا مثل ذلك فصلينا طول الليل فمنذ سبعين او ثمانين سنة نحن على تلك الحالة كل ليلة اليس كذلك يا فلانة فقالت العجوز هو كما يقول الشيخ فانظر اليهما لو صبرا على بلاء الفرقة او لو لم يجمع بينهما واضيف صبر الفرقة الى شكر الوصال على هذا الوجه فلا يخفى عليك ان الشكر افضل فاذا لا وقوف في حقايق المفضلات الا بتفصيل كما سبق والله اعلم تم كتاب الصبر والشكر ويتلوه كتاب الرجا والخوف

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المرجو لطفه وثوابه المخوف مكره وعقابه الذي عمر قلوب اوليائه بروح رجائه حتى ساقهم بلطائف آلائه الى النزول بفنائه والعدول عن دار بلائه التي هي مستقر اعدائه وصرف بسياط التخويف وزجره العنيف وجوه المعرضين عن حضرته الى دار ثوابه وكرامته وصدهم عن التعرض لنقمته والتهدف لسخطه ونقمته قودا لاصناف الخلق بسلاسل القهر والعنف وازمة الرفق واللطف الى جنته والصلاة على محمد سيد انبيائه وخير خليقته وعلى آله واصحابه وعترته **اما بعد** فان الرجا والخوف جناحان بهما يطير المقربون الى كل مقام محمود ومطيتان بهما يقطع من طرق الاخرة كل عقبة كؤود فلا يقود الى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيد الارجاء ثقيل الاعباء محفوفا بمكاره القلوب ومشاق الجوارح والاعضاء الا ازمة الرجاء ولا يصد عن نار الجحيم والعذاب الاليم مع كونه محفوفا بلطائف الشهوات وعجائب اللذات الا سياط التخويف وسطوات التعنيف فلا بد اذا من بيان حقيقتهما وفضيلتهما وسبيل التوصل الى الجمع بينهما مع تضادهما وتعاندهما ونحن نجمع ذكرهما في كتاب واحد مشتمل على شطرين الشطر الاول في الرجاء والشطر الثاني في الخوف **اما الشطر الاول** فيشتمل على بيان حقيقة الرجاء وبيان فضيلة الرجاء وبيان دواء الرجاء والطريق الذي به يجتلب الرجاء **بيان حقيقة الرجا** اعلم ان الرجا من جملة مقامات السالكين واحوال الطالبين وانما يسمى الوصف مقاما اذا ثبت واقام وانما يسمى حالا اذا كان عارضا سريع الزوال وكما ان الصفرة تنقسم الى ثابتة كصفرة الذهب والى سريعة الزوال كصفرة الوجل والى ما بينهما كصفرة المريض فكذلك صفات القلب تنقسم بهذه الاقسام فالذي هو غير ثابت يسمى حالا لانه يحول على القرب وهذا جار في كل وصف من اوصاف القلب وغرضنا الان حقيقة الرجا فالرجا ايضا يتم من علم وحال وعمل فالعلم سبب يثمر الحال والحال يقتضي العمل وكان الرجا اسم للحال من جملة الثلثة وبيانه ان كل ما يلاقيك من مكروه ومحبوب فينقسم الى موجود في الحال والى موجود فيما مضى والى منتظر في الاستقبال فاذا خطر ببالك موجود فيما مضى سمي ذكرا وتذكرا وان كان ما خطر بقلبك موجودا في الحال سمي وجدا وذوقا وادراكا وانما سمي وجدا لانها حالة تجدها من نفسك وان كان قد خطر ببالك وجود شي في الاستقبال وغلب ذلك على قلبك سمي انتظارا وتوقعا فان كان المنتظر مكروها حصل منه الم في القلب سمي خوفا واشفاقا وان كان محبوبا حصل من انتظاره وتعلق القلب به واخطار وجوده بالبال لذة في القلب وارتياح يسمى ذلك الارتياح رجاء فالرجا هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده ولكن ذلك المحبوب المتوقع لا بد وان يكون له سبب فان كان انتظاره لاجل حصول اكثر اسبابه فاسم الرجا عليه صادق وان كان ذلك انتظارا مع انخرام اسبابه واضطرابها فاسم الغرور والحمق عليه اصدق من اسم الرجا وان لم تكن الاسباب معلومة الوجود ولا

معلومة الانتفاء فاسم التمني أصدق على انتظاره لانه انتظار من غير سبب وعلى كل حال فلا يطلق اسم الرجاء والخوف الا على ما يتردد
فيه اما ما يقطع به فلا اذ لا يقال ارجو طلوع الشمس وقت الطلوع واخاف غروبها وقت الغروب لان ذلك مقطوع به نعم
يقال ارجو نزول المطر واخاف انقطاعه وقد علم ارباب القلوب ان الدنيا مزرعة الآخرة والقلب كالارض والايمان كالبذر
فيه والطاعات جارية مجرى تقليب الارض وتطهيرها ومجرى حفر الانهار وسياقة الماء اليها والقلب المستهتر بالدنيا المستغرق
بها كالارض السبخة التي لا ينمو فيها البذر ويوم القيامة يوم الحصاد ولا يحصد احد الا ما زرع ولا ينمو زرع الا من بذر الايمان وقلما
ينفع ايمان مع خبث القلب وسوء اخلاقه كما لا ينمو بذر في ارض سبخة فينبغي ان يقاس رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع فكل
من طلب ارضا طيبة والقى فيها بذرا جيدا غير عفن ولا مسوس ثم امده بما يحتاج اليه وهو سوق الماء اليه في اوقاته ثم
نقى الارض عن الشوك والحشيش وكل ما يمنع نبات البذر او يفسده ثم جلس منتظرا من فضل الله دفع الصواعق والآفات المفسدة
الى ان يتم الزرع ويبلغ غايته سمي انتظاره تمنيا لا رجاء فاذا اسم الرجاء انما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع اسبابه الداخلة
تحت اختيار العبد ولم يبق الا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات فالعبد اذا بث بذر الايمان وسقاه
بماء الطاعات وطهر القلب من شوك الاخلاق الرديئة وانتظر من فضل الله تثبيته على ذلك الى الموت وحسن الخاتمة المفضية الى المغفرة كان
انتظاره رجاء حقيقيا محمودا في نفسه باعثا له على المواظبة والقيام بمقتضى الايمان في اتمام اسباب المغفرة الى الموت وان قطع
عن بذر الايمان تعهده بماء الطاعات او ترك القلب مشحونا برذائل الاخلاق وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة فانتظاره
حمق وغرور وقال صلى الله عليه وسلم الاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب
يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وذم الله صاحب البستان اذ دخل جنته وقال ما اظن ان تبيد هذه
ابدا وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا فاذن العبد المجتهد في الطاعات المجتنب للمعاصي حقيق بان
ينتظر من فضل الله تمام النعمة وما تمام النعمة الا بدخول الجنة واما العاصي فاذا تاب وتدارك جميع ما فرط منه من تقصير فحقيق بان يرجو قبول
التوبة واما قبول التوبة اذا كان كارها للمعصية تسوؤه السيئة وتسره الحسنة وهو يذم نفسه ويلومها ويشتهي التوبة ويشتاق
اليها فحقيق بان يرجو من الله التوفيق للتوبة لان كراهته للمعصية وحرصه على التوبة يجري مجرى السبب الذي قد يفضي الى التوبة وانما
الرجاء بعد تأكد الاسباب ولذلك قال تعالى ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله
معناه اولئك يستحقون ان يرجوا وما اراد به تخصيص وجود الرجاء لان غيرهم ايضا قد يرجو ولكن خصص بهم استحقاق الرجاء
فاما من ينهمك فيما يكرهه الله تعالى ولا يذم نفسه عليه ولا يعزم على التوبة والرجوع فرجاؤه المغفرة حمق كرجاء من بث البذر
في ارض سبخة وعزم على ان لا يتعهده بسقي ولا تنقية وقال يحيى بن معاذ من اعظم الاغترار عندي التمادي في الذنوب على رجاء العفو
من غير ندامة وتوقع القرب من الله بغير طاعة وانتظار زرع الجنة ببذر النار وطلب دار المطيعين بالمعاصي وانتظار الجزاء
بغير عمل والتمني على الله عز وجل مع الافراط فاذا عرفت حقيقة الرجاء ومظنته فقد علمت انها حالة اثمرها العلم بجريان اكثر الاسباب
وهذه الحالة تثمر الجهد للقيام ببقية الاسباب بحسب الامكان فان من حسن بذره وطابت ارضه وغزر ماؤه صدق رجاؤه
فلا يزال يحمله صدق الرجاء على تفقد الارض وتعهدها وتنحية كل حشيش ينبت فيها فلا يفتر عن تعهدها اصلا الى وقت الحصاد
وهذا لان الرجاء يضاده اليأس واليأس يمنع من التعهد فمن عرف ان الارض سبخة وان الماء معوز وان البذر لا ينبت فيترك
لا محالة تفقد الارض والتعب في تعهدها والرجاء محمود لانه باعث واليأس مذموم وهو ضده لانه صارف عن العمل والخوف ليس بضد الرجاء
بل هو رفيق له كما سيأتي بيانه بل هو باعث آخر بطريق الرهبة كما ان الرجاء باعث بطريق الرغبة فاذن حال الرجاء يورث طول المجاهدة
بالاعمال والمواظبة على الطاعات كيفما تقلبت الاحوال ومن آثاره التلذذ بدوام الاقبال على الله تعالى والتنعم بمناجاته والتلطف
في التملق له فان هذه الاحوال لا بد وان تظهر على كل من يرجو ملكا من الملوك او شخصا من الاشخاص فكيف لا يظهر ذلك في حق الله تعالى فان كان
ذلك لا يظهر فليستدل به على الحرمان عن مقام الرجاء والنزول في حضيض الغرور والتمني فهذا هو البيان لحال الرجاء ولما اثمره من العلم

ولما اثمره من العلم ولما استثمر منه من العمل ويدل على اثماره لهذه الاعمال حديث زيد الخيل اذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم جئت
لاسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فقال كيف اصبحت فقال اصبحت احب الخير واهله واذا قدرت على شيء منه سارعت اليه وايقنت
بثوابه واذا فاتني منه شيء حزنت عليه وحننت اليه فقال هذه علامة الله فيمن يريد ولو ارادك للاخرى هيأك لها ثم لا يبالي في اي اوديتها
هلكت فقد ذكر صلى الله عليه وسلم علامة من اريد به الخير فمن ارتجى ان يكون مرادا بالخير من غير هذه العلامات

بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه

اعلم ان العمل على الرجاء اعلى منه على الخوف لان اقرب العباد الى الله احبهم
له والحب يغلب بالرجاء واعتبر ذلك بملكين يخدم احدهما خوفا من عقابه والآخر رجاء لثوابه ولذلك ورد في الرجاء وحسن الظن اخبار
لا سيما في وقت الموت قال تعالى لا تقنطوا من رحمة الله فحرم اصل اليأس وفي اخبار يعقوب ان الله تعالى اوحى اليه اتدري لم فرقت
بينك وبين يوسف لقولك اخاف ان يأكله الذئب وانتم عنه غافلون لم خفت الذئب ولم ترجني ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم تنظر الى حفظي
وقال صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما
شاء ودخل صلى الله عليه وسلم على رجل وهو في النزع فقال كيف تجدك فقال اجدني اخاف ذنوبي وارجو رحمة ربي فقال صلى الله عليه وسلم
ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن الا اعطاه الله ما رجا وآمنه مما يخاف وقال علي لرجل اخرجه الخوف الى القنوط لكثرة ذنوبه يا
هذا يأسك من رحمة الله اعظم من ذنوبك وقال سفيان من اذنب ذنبا فعلم ان الله تعالى قدره عليه ورجا غفرانه غفر الله له
ذنبه قال لان الله عز وجل عير قوما فقال وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم وقال تعالى وظننتم ظن السوء وكنتم قوما
بورا وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة ما منعك اذ رأيت المنكر ان تنكره فان لقنه الله حجته
قال يا رب رجوتك وخفت الناس قال فيقول الله تعالى فقد غفرته لك وفي الخبر الصحيح ان رجلا كان يداين الناس
فيسامح الغني ويتجاوز عن المعسر فلقي الله ولم يعمل خيرا قط فقال الله عز وجل من احق بذلك منا فعفا عنه لحسن ظنه ورجائه
انه يعفو عنه مع افلاسه من الطاعات وقال الله تعالى ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية
يرجون تجارة لن تبور ولما قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم الى الصعدات
تلدمون صدوركم وتجأرون الى ربكم فهبط جبريل فقال ان ربك عز وجل يقول لم تقنط عبادي فخرج عليهم ورجاهم وشوقهم
وفي الخبر ان الله تعالى اوحى الى داود عليه الصلاة والسلام احبني واحب من يحبني وحببني الى خلقي فقال يا رب كيف
احببك الى خلقك قال اذكرني بالحسن الجميل واذكر آلائي واحساني وذكرهم ذلك فانهم لا يعرفون مني الا الجميل
ورئي ابان بن ابي عياش في النوم وكان يكثر ذكر ابواب الرجاء فقال اوقفني الله تعالى بين يديه فقال ما الذي حملك
على ذلك فقلت اردت ان احببك الى خلقك فقال قد غفرت لك ورئي يحيى بن اكثم في النوم بعد موته
فقيل له ما فعل الله بك فقال اوقفني بين يديه وقال يا شيخ فعلت وفعلت قال فاخذني من الرعب ما يعلم الله
ثم قلت يا رب ما هكذا حدثت عنك فقال وما حدثت عني فقلت حدثني عبد الرزاق عن معمر عن الزهري
عن انس عن نبيك صلى الله عليه وسلم عن جبرائيل عليه السلام انك قلت انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء وكنت
اظن بك ان لا تعذبني فقال الله عز وجل صدق جبريل وصدق نبيي وصدق انس وصدق الزهري وصدق معمر
وصدق عبد الرزاق وصدقت قال فالبست ومشى بين يدي الولدان الى الجنة فقلت يا لها من فرحة
وفي الخبر ان رجلا من بني اسرائيل كان يقنط الناس ويشدد عليهم قال فيقول الله تعالى يوم القيامة اليوم اويسك
من رحمتي كما كنت تقنط عبادي منها وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا يدخل النار فيمكث فيها الف سنة ينادي
يا حنان يا منان فيقول الله لجبريل اذهب فأتني بعبدي قال فيجيء به فيوقفه على ربه فيقول الله كيف وجدت
مكانك فيقول شر مكان فيقول ردوه الى مكانه قال فيمشي ويتلفت الى ورائه فيقول الله عز وجل الى اي شيء تتلفت
فيقول رجوت ان لا تعيدني اليها بعد اذ اخرجتني منها فيقول الله تعالى اذهبوا به الى الجنة فدل هذا على ان رجاءه كان

بيان دواء الرجاء والسبيل الذي يحصل منه حال الرجاء ويغلب

اعلم ان هذا الدواء يحتاج اليه احد رجلين اما رجل غلب عليه الياس فترك العبادة واما رجل غلب عليه الخوف فاسرف في المواظبة على العبادة حتى اضر بنفسه واهله وهذان رجلان مائلان عن الاعتدال الى طرفي الافراط والتفريط فيحتاجان الى علاج يردهما الى الاعتدال فاما العاصي المغرور المتمني على الله مع الاعراض عن العبادة واقتحام المعاصي فادوية الرجاء تنقلب سموما في حقه مهلكة وتنزل منزلة العسل الذي هو شفاء لمن غلب عليه البرد وهو سم مهلك لمن غلب عليه الحرارة بل المغرور لا يستعمل في حقه الا ادوية الخوف والاسباب المهيجة له فلهذا يجب ان يكون واعظ الخلق متلطفا ناظرا الى مواقع العلل معالجا لكل علة بما يضادها لا بما يزيد فيها فان المطلوب هو العدل والقصد في الصفات والاخلاق كلها وخير الامور اوساطها فاذا جاوز الوسط الى احد الطرفين عولج بما يرده الى الوسط لا بما يزيد في ميله عن الوسط وهذا الزمان زمان لا ينبغي ان يستعمل فيه مع الخلق اسباب الرجاء بل المبالغة في التخويف ايضا لا تكاد تردهم الى جادة الحق وسنن الصواب فاما ذكر اسباب الرجاء فيهلكهم ويرديهم بالكلية ولكنها لما كانت اخف على القلوب والذ عند النفوس ولم يكن غرض الوعاظ الا استمالة القلوب واستنطاق الخلق بالثناء كيفما كان مالوا الى الرجاء حتى ازداد الفساد فسادا وازداد المنهمكون في طغيانهم تماديا قال علي كرم الله وجهه انما العالم الذي لا يقنط الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم من مكر الله ونحن نذكر اسباب الرجاء ليستعمل في حق الآيس او فيمن غلب عليه الخوف اقتداء بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فانهما مشتملان على الخوف والرجاء جميعا لانهما جامعان لاسباب الشفاء في حق اصناف المرضى ليستعمله العلماء الذين هم ورثة الانبياء بحسب الحاجة استعمال الطبيب الحاذق لا استعمال المتطبب الاخرق الذي يظن ان كل شيء فيه شفاء يصلح لكل مريض كيفما كان وحال الرجاء يغلب بشيئين احدهما الاعتبار والآخر استقراء الآيات والاخبار والآثار اما الاعتبار فهو ان يتأمل جميع ما ذكرناه في اصناف النعم من كتاب الشكر حتى اذا علم لطائف نعم الله لعباده في الدنيا وعجائب حكمه التي راعاها في فطرة الانسان حتى اعد له في الدنيا كل ما هو ضروري له في دوام الوجود كآلات الغذاء وما هو محتاج اليه كالاصابع والاظفار وما هو زينة له كاستقواس الحاجبين واختلاف الوان العينين وحمرة الشفتين وغير ذلك مما كان لا ينثلم بفقده غرض مقصود وانما كان يفوت به مزية جمال فالعناية الالهية اذا لم تقصر عن عباده في امثال هذه الدقائق حتى لم يرض لعباده ان تفوتهم المزايد والمزايا في الزينة والحاجة كيف يرضى بسياقهم الى الهلاك المؤبد بل اذا نظر الانسان نظرا شافيا علم ان اكثر الخلق قد هيئ له اسباب السعادة في الدنيا حتى انه يكره الانتقال من الدنيا بالموت وان اخبر بانه لا يعذب بعد الموت مثلا او لا يحشر اصلا فليس كراهتهم للعدم الا لان اسباب النعم اغلب لا محالة وانما الذي يتمنى الموت نادر ثم لا يتمناه الا في حالة نادرة وواقعة هاجمة غريبة فاذا كان حال اكثر الخلق في الدنيا الغالب عليه الخير والسلامة فسنة الله لا تجد لها تبديلا فالغالب ان امر الآخرة هكذا يكون لان مدبر الدنيا والآخرة واحد وهو غفور رحيم لطيف بعباده متعطف عليهم فهذا اذا تؤمل حق التأمل قوي به اسباب الرجاء ومن الاعتبار ايضا النظر في حكمة الشريعة وسنتها في مصالح الدنيا ووجه الرحمة للعباد بها حتى كان بعض العارفين يرى آية المداينة في البقرة من اقوى اسباب الرجاء فقيل له وما فيها من الرجاء فقال الدنيا كلها قليل ورزق الانسان منها قليل والدين قليل من رزقه فانظر كيف انزل الله تعالى فيه اطول آية ليهدي عبده الى طريق الاحتياط في حفظ دينه فكيف لا يحفظ دينه الذي لا عوض له منه

الفن الثاني

استقراء الآيات والاخبار فما ورد في الرجاء خارج عن الحصر اما الآيات فقد قال الله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يبالي انه هو الغفور الرحيم وقال تعالى والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض واخبر تعالى ان النار اعدها لاعدائه وانما خوف بها اولياءه فقال تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده وقال تعالى واتقوا النار التي اعدت للكافرين وقال تعالى فانذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى وقال وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ويقال ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل يسأل في امته حتى قيل له اما ترضى وقد انزلت عليك هذه وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم

وفي تفسير قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال لا يرضى محمد وواحد من امته في النار وكان ابو جعفر محمد بن علي يقول انتم اهل العراق تقولون ارجى آية في كتاب الله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية ونحن اهل البيت نقول ارجى آية في كتاب الله قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى

واما الاخبار

فقد روى ابو موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال امتي امة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة عجل عقابها في الدنيا الزلازل والفتن فاذا كان يوم القيامة دفع الى كل رجل من امتي رجل من اهل الكتاب فقيل هذا فداؤك من النار وفي لفظ آخر يأتي كل رجل من هذه الامة بيهودي او نصراني الى جهنم فيقول هذا فدائي من النار فيلقى فيها وقال النبي صلى الله عليه وسلم الحمى من فيح جهنم وهي حظ المؤمن من النار وروي في تفسير قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه ان الله تعالى اوحى الى نبيه عليه الصلاة والسلام اني اجعل حساب امتك اليك فقال لا يا رب انت خير لهم مني فقال اذا لا اخزيك فيهم وروي عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم سال ربه في ذنوب امته فقال يا رب اجعل حسابهم الي لئلا يطلع على مساويهم غيري فاوحى الله تعالى اليه هم امتك وهم عبادي وانا ارحم بهم منك لا اجعل حسابهم الى غيري لئلا ينظر الى مساويهم انت ولا غيرك وقال صلى الله عليه وسلم حياتي خير لكم وموتي خير لكم اما حياتي فاسن لكم السنن واشرع لكم الشرائع واما موتي فان اعمالكم تعرض علي فما رايت منها حسنا حمدت الله تعالى عليه وما رايت منها سيئا استغفرت الله تعالى لكم وقال صلى الله عليه وسلم يوما يا كريم العفو فقال جبريل عليه السلام تدري ما تفسير يا كريم العفو هو ان عفا عن السيئات برحمته ثم بدلها حسنات بكرمه وسمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يقول اللهم اني اسألك تمام النعمة فقال هل تدري ما تمام النعمة قال لا قال دخول الجنة فقال العلماء قد اتم الله علينا نعمته برضاه الاسلام لنا اذ قال واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وفي الخبر اذا اذنب العبد فاستغفر يقول الله تعالى للملائكة انظروا الى عبدي اذنب ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب اشهدكم اني قد غفرت له وفي الخبر لو اذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه عنان السماء غفرتها له ما استغفرني ورجاني وفي الخبر لو لقيني عبدي بقراب الارض ذنوبا لقيته بقراب الارض مغفرة وفي الحديث ان الملك ليرفع القلم عن العبد اذا اذنب ست ساعات فان تاب واستغفر لم يكتبه عليه وان لم يستغفر كتبها سيئة وفي لفظ آخر فاذا كتبها عليه وعمل حسنة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال وهو امير عليه الق هذه السيئة حتى القي من حسناته واحدة من تضعيف العشر وارفع له تسع حسنات فيلقى عنه هذه السيئة وروي عن انس حديثا انه عليه السلام قال اذا اذنب العبد ذنبا كتب عليه فقال الاعرابي فان تاب عنه قال محي عنه قال فان عاد قال عليه السلام يكتب عليه فقال الاعرابي فان تاب قال محي من صحيفته قال الى متى قال الى ان يستغفر ويتوب الى الله عز وجل ان الله لا يمل من المغفرة حتى يمل العبد من الاستغفار فاذا هم العبد بحسنة كتبها صاحب اليمين حسنة قبل ان يعملها فان عملها كتبت عليه خطيئة واحدة ووراءها حسن عفو الله عز وجل وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني لا اصوم الا الشهر لا ازيد ولا اصلي الا الخمس لا ازيد عليها وليس لله في مالي صدقة ولا حج ولا تطوع اين انا اذا مت فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال نعم معي ان حفظت قلبك من اثنتين الغل والحسد ولسانك من اثنتين الغيبة والكذب وعينيك من اثنتين النظر الى ما حرم الله عز وجل وان تزدري بهما مسلما دخلت معي الجنة على راحتي هاتين وفي الحديث الطويل لانس ان الاعرابي قال يا رسول الله من يلي حساب الخلق فقال الله تعالى هو بنفسه قال نعم فتبسم الاعرابي فقال صلى الله عليه وسلم مم ضحكت يا اعرابي فقال ان الكريم اذا قدر عفا واذا حاسب سامح فقال النبي صدق الاعرابي الا لا كريم اكرم من الله تعالى هو اكرم الاكرمين ثم قال فقه الاعرابي وفيه ايضا ان الله تعالى شرف الكعبة وعظمها ولو ان عبدا هدمها حجرا حجرا ثم احرقها ما بلغ جرم من استخف بولي من اولياء الله تعالى قال الاعرابي ومن اولياء الله قال المؤمنون كلهم اولياء الله اما سمعت قول الله تعالى الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وفي بعض الاخبار المؤمن افضل من الكعبة والمؤمن طيب طاهر والمؤمن اكرم على الله تعالى من الملائكة وفي الخبر خلق الله تعالى جهنم من فضله سوطا يسوق الله به عباده الى الجنة وفي خبر آخر يقول الله عز وجل انما خلقت الخلق ليربحوا علي ولم اخلقهم

لا يدع عليهم وفي حديث ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خلق الله تعالى شيئا الا جعل له ما يغلبه وجعل رحمته
تغلب غضبه وفي الخبر المشهور ان الله تعالى كتب على نفسه قبل ان يخلق الخلق ان رحمتي تغلب غضبي وعن معاذ بن جبل وانس
بن مالك انه صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله دخل الجنة ومن كان آخر كلامه لا اله الا الله لم تمسه النار
ومن لقي الله لا يشرك به شيئا حرمت عليه النار ولا يدخلها من في قلبه مثقال ذرة من ايمان وفي خبر آخر لو علم الكافر
سعة رحمة الله ما ايس من جنته احد ولما تلى صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ان زلزلة الساعة شيء عظيم قال اتدرون اي يوم
هذا يوم يقال لآدم عليه الصلاة والسلام قم فابعث بعث النار من ذريتك فيقول كم فيقال من كل الف تسع مائة
وتسعة وتسعين الى النار وواحدا الى الجنة قال فابلس القوم وجعلوا يبكون وتعطلوا يومهم عن الاشغال والاعمال فخرج
عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما لكم لا تعملون فقالوا ومن يشتغل بعمل بعد ما حدثتنا بهذا فقال كم انتم في الامم اين
تاويل وتاريس ومنسك وياجوج وماجوج امم لا يحصيها الا الله عز وجل انما انتم في سائر الامم كالشعرة البيضاء في جلد
الثور الاسود وكالرقمة في ذراع الدابة فانظر كيف كان يسوق الخلق بسياط الخوف ويقودهم بازمة الرجاء الى الله تعالى اذ ساقهم
بسياط الخوف اولا فلما اخرج ذلك بهم عن حد الاعتدال الى افراط الياس داواهم بدواء الرجاء وردهم الى الاعتدال
والقصد والآخر لم يكن منافيا للاول ولكن ذكر الاول ما راه سببا للشفاء واقتصر عليه فلما احتاجوا الى العلاج بالرجاء ذكر
تمام الامر فعلى الواعظ ان يقتدي بسيد الوعاظ فيتلطف في استعمال اخبار الخوف والرجاء بحسب الحاجة بعد ملاحظة
العلل الباطنة وان لم يراع ذلك كان ما يفسد بوعظه اكثر مما يصلح • وفي الخبر لو لم تذنبوا لخلق الله خلقا يذنبون ليغفر لهم
وفي لفظ آخر لذهب بكم وجاء بخلق آخر يذنبون فيغفر لهم انه هو الغفور الرحيم • وفي الخبر لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو
شر من الذنوب قيل وما هو قال العجب • وقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لله ارحم بعبده المومن من الوالدة الشفيقة بولدها
وفي الخبر ليغفرن الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خطرت قط على قلب احد حتى ان ابليس ليتطاول لها رجاء ان تصيبه
وفي الخبر ان لله تعالى مائة رحمة ادخر عنده منها تسعة وتسعين رحمة واظهر منها في الدنيا رحمة
واحدة فيها يتراحم الخلق فتحن الوالدة الى ولدها وتعطف البهيمة على ولدها فاذا كان يوم القيامة ضم هذه الرحمة الى التسع
وتسعين ثم بسطها على جميع خلقه وكل رحمة منها طباق السموات والارضين قال فلا يهلك على الله يومئذ الا هالك
وفي الخبر ما منكم من احد يدخله عمله الجنة ولا ينجيه من النار قالوا ولا انت قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمة وقال
صلى الله عليه وسلم اعملوا وابشروا واعلموا ان احدا لن ينجيه عمله وقال صلى الله عليه وسلم اني اختبأت شفاعتي لاهل الكبائر من امتي اترونها
للمطيعين المتقين بل هي للمخلطين المتلوثين • وقال عليه الصلاة والسلام بعثت بالحنيفية السمحة السهلة وقال صلى الله عليه وسلم
احب ان يعلم اهل الكتابين ان في ديننا سماحة • ويدل على معناه استجابة الله تعالى للمومنين في قولهم ولا تحمل علينا اصرا وقال تعالى
ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم **وروي** محمد بن الحنفية عن علي كرم الله وجهه انه قال لما نزل قوله تعالى
فاصفح الصفح الجميل قال يا جبريل وما الصفح الجميل قال اذا عفوت عمن ظلمك فلا تعاتبه فقال يا جبريل فالله تعالى اكرم من ان
يعاتب من عفا عنه فبكى جبريل وبكى النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الله اليهما ميكائيل وقال ان ربكما يقرئكما السلام ويقول كيف اعاتب
من عفوت عنه هذا ما لا يشبه كرمي • والاخبار الواردة في اسباب الرجاء اكثر من ان تحصى • **واما الآثار**
فقد قال علي كرم الله وجهه من اذنب ذنبا فستره الله عليه في الدنيا فالله اكرم من ان يكشف ستره في الآخرة ومن
اذنب ذنبا فعوقب عليه في الدنيا فالله تعالى اعدل من ان يثني عقوبته على عبده في الآخرة وقال الثوري ما احب ان
يجعل حسابي الى ابوي لاني اعلم ان الله تعالى ارحم بي منهما وقال بعض السلف المومن اذا عصى الله تعالى ستره الله تعالى
عن ابصار الملائكة كي لا تراه فتشهد عليه • وكتب محمد بن مصعب الى الاسود بن سالم بخط ان العبد اذا كان مسرفا على نفسه
فرفع يديه يدعو يقول يا رب حجبت الملائكة صوته وكذلك الثانية والثالثة حتى اذا قال الرابعة يا رب قال الله تعالى

العمل لا يدخل الجنة

حتى متى تحجبون عني صوت عبدي قد علم عبدي انه ليس له رب يغفر الذنوب غيري اشهدكم اني قد غفرت له وقال
ابراهيم بن ادهم خلا لي الطواف ليلة وكانت ليلة مطيرة فوقفت في الملتزم عند الباب فقلت يا رب اعصمني حتى لا
اعصيك ابدا فهتف بي هاتف من البيت يا ابراهيم انت تسالني العصمة وكل عبادي المومنين يطلبون ذلك فاذا عصمتهم
فعلى من اتفضل ولمن اغفر وكان الحسن يقول لو لم يذنب المومن لكان يطير في ملكوت ولكن الله قمعه بالذنوب
وقال الجنيد ان بدت عين من الكرم الحقت المسيئين بالمحسنين ولقي مالك بن دينار ابانا فقال له الى كم تحدث
الناس بالرخص فقال يا ابا يحيى اني لارجو ان ترى من عفو الله تعالى يوم القيامة ما تخرق له كساءك هذا من الفرح وفي
حديث ربعي بن حراش عن اخيه وكان من خيار التابعين وهو ممن تكلم بعد الموت قال لما مات اخي سجي بثوبه والقيناه
على نعشه فكشف الثوب عن وجهه واستوى قاعدا فقال اني لقيت ربي عز وجل فحياني بروح وريحان ورب غير
غضبان واني رايت الامر ايسر مما تظنون ولا تغتروا وان محمدا صلى الله عليه وسلم ينتظرني واصحابه حتى ارجع اليهم قال
ثم طرح نفسه فكانها كانت حصاة وقعت في طست فحملناه ودفناه وفي الحديث ان رجلين من بني اسرائيل تواخيا
في الله عز وجل فكان احدهما يسرف على نفسه وكان الآخر عابدا وكان يعظه ويزجره فكان يقول دعني وربي ابعثت علي رقيبا
حتى راه ذات يوم على كبيرة فغضب فقال لا يغفر الله لك قال فيقول الله تعالى يوم القيامة ايستطيع احد ان
يحظر رحمتي على عبادي اذهب فقد غفرت لك ثم يقول للعابد وانت فقد اوجبت لك النار قال فوالذي نفسي
بيده لقد تكلم بكلمة اهلكت دنياه وآخرته **وروي** ان لصا كان يقطع الطريق في بني اسرائيل اربعين
سنة فمر عليه عيسى عليه الصلاة والسلام وخلفه عابد من عباد بني اسرائيل من الحواريين فقال اللص في نفسه هذا نبي الله يمر
والى جنبه حواريه لو نزلت فكنت معهما ثالثا قال فنزل فجعل يريد ان يدنو من الحواري ويزدري نفسه تعظيما للحواري
ويقول في نفسه مثلي لا يمشي الى جنب هذا العابد واحس به الحواري فقال في نفسه هذا يمشي الى جانبي فضم نفسه وتقدم
الى عيسى فمشى الى جانبه فبقي اللص خلفه قال فاوحى الله تعالى الى عيسى قل لهما يستانفا العمل فقد احبطت ما سلف من اعمالهما
اما الحواري فقد احبطت حسناته لعجبه بنفسه واما الآخر فقد احبطت سيئاته بما ازرى على نفسه فاخبرهما بذلك وضم
اللص اليه في سياحته وجعله من حوارييه **وروي** عن مسروق ان نبيا من الانبياء كان ساجدا فوطئ بعض العتاة عنقه
حتى الزق الحصا بجبهته قال فرفع النبي عليه الصلاة والسلام راسه مغضبا فقال اذهب فلن يغفر الله لك فاوحى الله تعالى اليه
تتالى علي في عبادي اني قد غفرت له ويقرب من هذا ما روى ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقنت على المشركين ويلعنهم
في صلاته فنزل قوله تعالى ليس لك من الامر شيء الآية فترك الدعاء عليهم وهدى الله عامتهم اولئك الى الاسلام وفي الاثر ان رجلين
كانا من العابدين متساويين في العبادة قال فاذا ادخلا الجنة رفع احدهما في الدرجات العلى على صاحبه فيقول يا رب ما كان هذا في
الدنيا باكثر مني عبادة فرفعته علي في عليين فيقول الله سبحانه انه كان يسالني في الدنيا الدرجات العلى وانت كنت تسالني
النجاة من النار فاعطيت كل عبد سؤله وهذا يدل على ان العبادة على الرجاء افضل لان المحبة اغلب على الراجي منها على الخائف فكم من
فرق في الملوك بين من يخدم اتقاء لعقابه وبين من يخدم ارتجاء لانعامه واكرامه ولذلك امر الله تعالى بحسن الظن ولذلك
وقال صلى الله عليه وسلم سلوا الله الدرجات العلى فانما تسالون كريما وقال اذا سالتم الله فاعظموا الرغبة واسالوا الفردوس
الاعلى فان الله لا يتعاظمه شيء وقال بكر بن سليم الصواف دخلنا على مالك بن انس في العشية التي قبض فيها فقلنا يا ابا عبد الله
كيف تجدك فقال لا ادري ما اقول لكم الا انكم ستعاينون من عفو الله ما لم يكن لكم في حساب ثم ما برحنا حتى اغمضناه •
وقال يحيى بن معاذ في مناجاته يكاد رجائي لك مع الذنوب يغلب رجائي مع الاعمال لاني اعتمد في الاعمال على الاخلاص وكيف
احرزها وانا بالآفة معروف واجدني في الذنوب اعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وانت بالجود موصوف وقيل ان
مجوسيا استضاف ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فقال ان اسلمت اضفتك فمر المجوسي فاوحى الله الى ابراهيم

يا ابرهيم لم تطعمه لاستغيير دينه ونحن من سبعين سنة نطعمه على كفره فلو اضفته ليلة ماذا كان عليك فمر ابرهيم على اثره
يسعى خلف المجوسي فرده واضافه فقال المجوسي ما السبب فيما بدا لك فذكر له فقال المجوسي اهكذا يعاملني ثم قال اعرض علي
الاسلام فاسلم ورأى الاستاذ ابو سهل الصعلوكي ابا سهل الزجاجي في المنام وكان يقول بوعيد الابد فقال له
كيف حالك فقال وجدنا الامر اسهل مما توهمناه ورأى بعضهم ابا سهل الصعلوكي في المنام على هيئة حسنة لا توصف فقال
له يا استاذ بم نلت هذا فقال بحسن ظني بربي وحكي ان ابا العباس بن سريج رحمه الله تعالى رأى في مرض موته في منامه
كان القيامة قد قامت واذا الجبار سبحانه وتعالى يقول اين العلماء قال فجاؤوا ثم قال ماذا عملتم فيما علمتم قال فقلنا يا رب قصرنا
واسأنا قال فاعاد السؤال كانه لم يرض بالجواب واراد جوابا غيره فقلت اما انا فليس في صحيفتي الشرك وقد وعدت ان
تغفر ما دونه فقال اذهبوا فقد غفرت لكم ومات بعد ذلك بثلاث ليال وقيل كان رجل شريب جمع قوما من ندمائه
ودفع الى غلام له اربعة دراهم وامره ان يشتري شيئا من الفواكه للمجلس فمر الغلام بباب مجلس منصور بن عمار وهو يسال الفقير شيئا
ويقول من دفع اليه اربعة دراهم دعوت له اربع دعوات قال فدفع الغلام الدراهم اليه فقال منصور ما الذي تريد ان ادعو لك
فقال لي سيد اريد ان اتخلص منه فدعا منصور وقال الاخرى فقال ان يخلف الله علي دراهمي فدعا ثم قال الاخرى قال ان يتوب الله
على سيدي فدعا ثم قال الاخرى فقال ان يغفر الله لي ولسيدي ولك وللقوم فدعا منصور فرجع الغلام فقال له سيده لم ابطأت
فقص عليه القصة فقال وبم دعا فقال سالت لنفسي العتق فقال اذهب فانت حر واين الثاني فقال ان يخلف الله علي الدراهم فقال
لك اربعة الاف درهم فقال واين الثالث قال ان يتوب الله عليك فقال تبت الى الله تعالى واين الرابع فقال ان يغفر الله
لي ولك وللقوم وللمذكر فقال هذا الواحد ليس الي فلما بات تلك الليلة رأى في المنام كان قائلا يقول له انت فعلت ما كان
اليك افترى اني لا افعل ما الي قد غفرت لك وللغلام ولمنصور بن عمار وللقوم الحاضرين اجمعين وروي عن عبد الوهاب
ابن عبد المجيد الثقفي قال رأيت جنازة يحملها ثلاثة من الرجال وامرأة قال فاخذت مكان المرأة وذهبنا الى المقبرة
وصلينا عليها ودفنا الميت فقلت للمرأة من كان هذا منك قالت ابني قلت ولم يكن لكم جيران قالت بلى ولكن صغروا
امره قلت وايش كان هذا قالت مخنثا قال فرحمتها وذهبت بها الى منزلي واعطيتها دراهم وحنطة وثيابا
قال فنمت تلك الليلة فاتاني آت كانه القمر ليلة البدر وعليه ثياب بيض فجعل يتشكر فقلت من انت قال المخنث
الذي دفنتموني اليوم رحمني ربي باحتقار الناس اياي وقال ابرهيم الاطروش كنا قعودا ببغداد مع معروف الكرخي
على دجلة اذ مر قوم احداث في زورق يضربون بالدف ويشربون ويلعبون فقالوا لمعروف اما تراهم يعصون الله
مجاهرين ادع الله عليهم فرفع يديه وقال الهي كما فرحتهم في الدنيا ففرحهم في الاخرة فقال القوم انما سألناك ان
تدعو عليهم فقال اذا فرحهم في الاخرة تاب عليهم وكان بعض السلف يقول في دعائه يا رب واي اهل دهر لم يعصوك
ثم كانت نعمتك عليهم سابغة ورزقك عليهم دارا سبحانك ما احلمك وعزتك انك لتعصى ثم تسبغ النعمة وتدر
الرزق حتى كانك يا ربنا ما تطاع سبحانك ما احلمك تعصى وتدر الرزق وتسبغ النعمة حتى كانك يا ربنا لا تغضب فهذه
هي الاسباب التي بها تجلب روح الرجاء الى قلوب الخائفين والايسين فاما الحمقى المغرورون فلا ينبغي ان يسمعوا شيئا من ذلك بل
يسمعون ما سنورده في اسباب الخوف فان اكثر الناس لا يصلح الا على الخوف كالعبد السوء والصبي العرم لا يستقيم الا بالسوط
والعصا والاظهار الخشونة في الكلام واما ضد ذلك فيسد عليهم باب الصلاح في الدين والدنيا

الشطر الثاني من الكتاب في الخوف

وفيه بيان حقيقة الخوف وبيان درجات الخوف وبيان اقسام المخاوف وبيان فضيلة الخوف وبيان الافضل من
الخوف والرجاء وبيان دواء الخوف وبيان معنى سوء الخاتمة وبيان احوال الخائفين من الانبياء والصالحين

بيان حقيقة الخوف

اعلم ان الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال وقد ظهر هذا
في بيان حقيقة الرجاء ومن انس بالله وملك الحق قلبه وصار ابن وقته مشاهدا لجمال الحق على الدوام لم يبق له التفات الى المستقبل
فلم يكن له خوف ولا رجاء بل صار حاله اعلى من الخوف والرجاء فانهما زمامان يمنعان النفس عن الخروج الى رعوناتها والى

هذا اشار الواسطي حيث قال الخوف حجاب بين الله وبين العبد وقال ايضا اذا ظهر الحق على السرائر لا
يبقى فيها فضلة لرجاء ولا خوف وبالجملة فالمحب اذا شغل قلبه في مشاهدة المحبوب بخوف الفراق كان
ذلك نقصا في الشهود وانما دوام الشهود غاية المقامات ولكنا الآن انما نتكلم في اوائل المقامات فنقول
حال الخوف ينتظم ايضا من علم وحال وعمل اما العلم فهو العلم بالسبب المفضي الى المكروه وذلك
كمن جنى على ملك ثم وقع في يده فيخاف القتل مثلا ويجوز العفو والافلات ولكن يكون تألم قلبه بالخوف
بحسب قوة علمه بالاسباب المفضية الى قتله وهو تفاحش جنايته وكون الملك في نفسه حقودا غضوبا
منتقما وكونه محفوفا بمن يحثه على الانتقام خاليا عمن يتشفع اليه في حقه وكان هذا الخائف عاطلا عن كل وسيلة
وحسنة تمحو اثر جنايته عند الملك فالعلم بتظاهر هذه الاسباب سبب لقوة الخوف وشدة تألم القلب
وبحسب ضعف هذه الاسباب يضعف الخوف وقد يكون الخوف لا عن سبب جناية قارفها الخائف بل عن
صفة المخوف كالذي وقع في مخالب سبع فانه يخاف السبع لصفة ذات السبع وهي سطوته وحرصه على
الافتراس غالبا وان كان افتراسه بالاختيار وقد يكون من صفة جبلية للمخوف منه كخوف من وقع
في مجرى سيل او جوار حريق فان الماء يخاف لانه بطبعه مجبول على السيلان والاغراق وكذا النار على
الاحراق فالعلم باسباب المكروه هو السبب الباعث المثير لاحتراق القلب وتألمه وذلك الاحتراق هو
الخوف فكذلك الخوف من الله تعالى تارة يكون لمعرفة الله ومعرفة صفاته وانه لو اهلك العالمين لم يبال ولم
يمنعه مانع وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد بمقارفة المعاصي وتارة يكون بهما جميعا وبحسب معرفته
بعيوب نفسه ومعرفته بجلال الله تعالى واستغنائه وانه لا يسال عما يفعل وهم يسالون يكون قوة الخوف
فاخوف الناس لربه اعرفهم بربه وبنفسه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم انا اخوفكم لله وكذلك قال الله
تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ثم اذا كملت المعرفة اورثت حال الخوف واحتراق القلب ثم يفيض اثر الحرقة
من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات اما في البدن فبالنحول والصفار والغشية والزعقة والبكا
وقد تنشق به المرارة فيفضي الى الموت او يصعد الى الدماغ فيفسد العقل او يقوى فيورث القنوط واليأس
واما في الجوارح فيكفها عن المعاصي ويقيدها بالطاعات تلافيا لما فرط واستعدادا للمستقبل ولذلك قيل
ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه بل من يترك ما يخاف ان يعاقب عليه وقال ابو القاسم الحكيم من خاف شيئا
هرب منه ومن خاف الله هرب اليه وقيل لذي النون متى يكون العبد خائفا قال اذا انزل نفسه منزلة
السقيم الذي يحتمي مخافة طول السقم واما في الصفات فبان يقمع الشهوات ويكدر اللذات
فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيه اذا عرف ان فيه سما فتحترق
الشهوات بالخوف وتتادب الجوارح ويحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة ويفارقه
الكبر والحقد والحسد بل يصير مستوعب الهم بخوفه والنظر في خطر عاقبته فلا يتفرغ لغيره ولا يكون له
شغل الا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضنة بالانفاس واللحظات ومؤاخذة النفس
في الخطرات والخطوات والكلمات ويكون حاله حال من وقع في مخالب سبع ضار لا يدري انه يغفل عنه فيفلت او يهجم
عليه فيهلكه فيكون ظاهره وباطنه مشغولا بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره هذا حال من غلبه الخوف واستولى
عليه وهكذا كان حال جماعة من الصحابة والتابعين وقوة المراقبة والمحاسبة والمجاهدة بحسب قوة الخوف الذي هو تألم
القلب واحتراقه وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بجلال الله تعالى وصفاته وافعاله وبعيوب النفس
وما بين يديها من الاخطار والاهوال واقل درجات الخوف مما يظهر اثره في الاعمال ان يمنع عن المحظورات

ويسمى الكف الحاصل عن المحظورات ورعا فان زادت قوته كف عما يتطرق اليه امكان التحريم فيكف عما لا يتيقن ايضا
تحريمه ويسمى ذلك تقوى الله اذ التقوى ان يترك ما يريبه الى ما لا يريبه وقد يحمله الى ان يترك ما لا باس به
مخافة ما به باس وهو الصدق في التقوى فاذا انضم اليه التجرد في الخدمة فصار لا يبني ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا ياكله
ولا يلتفت الى دنيا يعلم انها تفارقه ولا يصرف الى غير الله نفسا من انفاسه فهو الصدق وصاحبه جدير بان
يسمى صديقا ويدخل في الصدق التقوى ويدخل في التقوى الورع ويدخل في الورع العفة فانها عبارة عن الامتناع عن
مقتضى الشهوات خاصة فاذا الخوف يؤثر في الجوارح بالكف والاقدام ويتجدد له بسبب الكف اسم العفة وهو كف
عن مقتضى الشهوة واعلى منه الورع فانه اعم لانه كف عن كل محظور واعلى منه التقوى فانه اسم للكف عن المحظور والشبهة
جميعا ووراءه اسم الصديق والمقرب وتجري الرتبة الاخيرة مما قبلها مجرى الاخص من الاعم فاذا ذكرت الاخص فقد
ذكرت الكل كما انك تقول الانسان اما عربي او عجمي والعربي اما قرشي او غيره والقرشي اما هاشمي او غيره والهاشمي
اما علوي او غيره والعلوي اما حسني او حسيني فاذا ذكرت انه حسني مثلا فقد وصفته بالجميع وان وصفته
بانه علوي وصفته بما فوقه مما هو اعم منه فكذلك اذا قلت صديق فقد قلت انه متقي وورع وعفيف فلا ينبغي ان
تظن ان كثرة هذه الاسامي تدل على معاني كثيرة متباينة فيختلط عليك كما اختلط على كل من طلب المعاني من الالفاظ ولم
يتبع الالفاظ المعاني فهذه اشارة الى مجامع معاني الخوف وما يكتنفه من جانب العلو كالمعرفة الموجبة له ومن جانب السفل كالاعمال
الصادرة منه كفا واقداما

بيان درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف

اعلم ان الخوف محمود وربما يظن ان كل ما هو محمود فكلما كان اقوى واكثر كان احمد وهو غلط بل الخوف سوط الله تعالى
يسوق به عباده الى المواظبة على العلم والعمل لينالوا به رتبة القرب من الله تعالى والاصلح للبهيمة ان لا تخلو عن
سوط وكذا الصبي ولكن ذلك لا يدل على ان المبالغة في الضرب محمود فكذلك الخوف له قصور وله افراط وله اعتدال
والمحمود هو الاعتدال والوسط فاما القاصر منه فهو الذي يجري مجرى رقة النساء يخطر بالبال عند سماع اية من القران
فيورث البكاء وتفيض الدموع وكذلك عند سماع مشاهدة سبب هائل فاذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب
الى الغفلة فهذا خوف قاصر قليل الجدوى ضعيف النفع وهو كالقضيب الضعيف الذي تضرب به دابة قوية لا يؤلمها الما مبرحا
فلا يسوقها الى المقصد ولا يصلح لرياضتها وهكذا خوف الناس كلهم الا العارفين والعلماء ولست اعني بالعلماء المترسمين
برسوم العلماء والمتسمين باسمائهم فانهم ابعد الناس عن الخوف بل اعني العلماء بالله وبايامه وبافعاله وذلك مما
قد عز وجوده الان ولذلك قال الفضيل رحمه الله اذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت
نعم كذبت واشار به الى ان الخوف هو الذي يكف الجوارح عن المعاصي ويقيدها بالطاعات وما لم يؤثر في الجوارح فهو حديث
نفس وحركة خاطر لا يستحق ان يسمى خوفا واما المفرط فهو الذي يقوى ويجاوز حد الاعتدال حتى يخرج الى الياس والقنوط
وهو مذموم ايضا لانه يمنع من العمل والمراد من الخوف ما هو المراد من السوط وهو الحمل على العمل ولولاه لما كان الخوف كمالا
لانه بالحقيقة نقصان لان منشاه الجهل والعجز اما الجهل فانه ليس يدري عاقبة امره ولو عرف لم يكن خائفا لان
المخوف هو الذي يتردد فيه واما العجز فهو انه متعرض لمحذور لا يقدر على دفعه فاذن هو محمود بالاضافة الى نقص الادمي وانما
المحمود في نفسه وذاته هو العلم والقدرة وكل ما يجوز ان يوصف الله تعالى به وما لا يجوز وصف الله تعالى به فليس بكمال في ذاته وانما يصير
محمودا بالاضافة الى نقص اعظم منه كما يكون احتمال الم الدواء محمودا لانه اهون من الم المرض والموت فما يخرج الى القنوط فهو مذموم
وقد يخرج الخوف ايضا الى المرض والضعف والى الوله والدهشة وزوال العقل وقد يخرج الى الموت وكل ذلك مذموم وهو كالضرب
الذي يقتل الصبي والسوط الذي يهلك الدابة او يمرضها او يكسر عضوا من اعضائها وانما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
اسباب الرجاء واكثر منها ليعالج بها صدمة الخوف المفرط المفضي الى القنوط او احد هذه الامور فكل ما يراد لامر فالمحمود منه

ما يفضي الى المراد المقصود منه وما يقصر عنه او يجاوزه فهو مذموم وفائدة الخوف الحذر والورع والتقوى والمجاهدة والعبا
والفكر والذكر وسائر الاسباب الموصلة الى الله وكل ذلك يستدعي الحياة مع صحة البدن وسلامة العقل فكل ما يقدح في هذه
الاسباب فهو مذموم **فان قلت** من خاف فمات من خوفه فهو شهيد فكيف يكون حاله مذموما
فاعلم ان معنى كونه شهيدا ان له رتبة بسبب موته من الخوف كان لا ينالها لو مات في ذلك الوقت لا بسبب الخوف فهو
بالاضافة اليه فضيلة فاما بالاضافة الى تقدير بقائه وطول عمره في طاعة الله وسلوك سبيله فليس بفضيلة بل للسالك الى سبيل
الله بطريق الفكر والمشاهدة والترقي في درجات المعارف في كل لحظة رتبة شهيد وشهداء ولولا هذا لكان رتبة صبي يقتل
او مجنون يفترسه سبع اعلى من رتبة نبي او ولي يموت حتف انفه وهو محال فلا ينبغي ان يظن هذا بل افضل السعادات
طول العمر في طاعة الله فكل ما ابطل العمر او العقل او الصحة التي يتعطل العمر بتعطلها فهو خسران ونقصان بالاضافة الى امور وان كان
بعض اقسامها فضيلة بالاضافة الى امور اخر كما كانت الشهادة فضيلة بالاضافة الى ما دونها لا بالاضافة الى درجة النبيين
والصديقين فاذا الخوف ان لم يؤثر في العمل فوجوده كعدمه مثل السوط الذي لا يزيد في حركة الدابة وان اثر فله درجات
بحسب ظهور اثره فان لم يحمل الا على العفة وهو الكف عن مقتضى الشهوات فله درجة فان اثمر الورع فهو اعلى واقصى درجاته ان
يثمر درجات الصديقين وهو ان يسلب الظاهر والباطن عما سوى الله حتى لا يبقى لغير الله فيه متسع فهذا اقصى ما
يحمد وذلك مع بقاء الصحة والعقل فان جاوز هذا الى ازالة العقل او الصحة فهو مرض يجب علاجه ان قدر عليه ولو كان
محمودا لما وجب علاجه باسباب الرجاء وبغيره حتى يزول ولذلك كان سهل رحمه الله يقول للمريدين الملازمين للجوع اياما كثيرة
احفظوا عقولكم فانه لم يكن لله تعالى ولي ناقص العقل

بيان اقسام الخوف بالاضافة الى ما يخاف منه

اعلم ان الخوف لا يتحقق الا بانتظار مكروه والمكروه اما ان يكون مكروها في ذاته كالنار واما ان يكون مكروها لانه يفضي الى المكروه
كما تكره المعاصي لانها تفضي الى مكروه في الاخرة وكما يكره المريض الفواكه المضرة لادائها الى الموت ولا بد لكل خائف من ان يتمثل في
نفسه مكروها من احد القسمين ويقوى انتظاره في قلبه حتى يحترق قلبه بسبب استشعاره ذلك المكروه ومقام الخائفين يختلف
فيما يغلب على قلوبهم ما ليس مكروها لذاته بل لغيره كالذين يغلب عليهم خوف الموت قبل التوبة او خوف نقض التوبة ونكث
العهد او خوف ضعف القوة عن الوفاء بتمام حقوق الله او خوف زوال الرقة القلب وتبدلها بالقساوة او خوف الميل عن
الاستقامة او خوف استيلاء العادة في اتباع الشهوات المالوفة او خوف ان يكله الله الى حسناته التي اتكل عليها وتعزز بها
في عباد الله او خوف البطر بكثرة نعم الله عليه او خوف الاشتغال عن الله بغير الله او خوف الاستدراج بتواتر النعم او خوف انكشاف
غوائل طاعته حيث يبدو له من الله ما لم يكن يحتسب او خوف تبعات الناس عنده في الغيبة والخيانة والغش واضمار السوء او خوف
ما لا يدري انه يحدث في بقية عمره او خوف تعجيل العقوبة في الدنيا والافتضاح قبل الموت او خوف اطلاع الله على سريرته في
حالة غفلته عنه او خوف الختم له عند الموت بخاتمة السوء او خوف السابقة التي سبقت له في الازل فهذه كلها مخاوف العارفين
ولكل واحد خصوص فائدة وهو سلوك سبيل الحذر عما يفضي الى المخوف فمن يخاف استيلاء العادة عليه فيواظب على الفطام عن العادة
والذي يخاف من اطلاع الله على سريرته يشتغل بتطهير قلبه عن الوساوس وهكذا الى بقية الاقسام واغلب هذه المخاوف على المتقين
خوف الخاتمة فان الامر فيه مخطر واعلى الاقسام وادلها على كمال المعرفة خوف السابقة لان الخاتمة تبع للسابقة وفرع يتفرع عنها بعد تخلل
اسباب كثيرة فالخاتمة تظهر ما سبق به القضاء في ام الكتاب والخائف من الخاتمة بالاضافة الى السابقة كرجلين وقع الملك
في حقهما بتوقيع يحتمل ان يكون فيه حز الرقبة ويحتمل ان يكون فيه تسليم الوزارة اليه ولم يصل التوقيع اليهما بعد فيرتبط
قلب احدهما بحالة خروج ووصول التوقيع ونشره وما عسى ان يظهر منه ويرتبط قلب الاخر بحالة توقيع الملك وكيفيته وانه ما
الذي خطر له في حال التوقيع من رحمة او غضب وهذا التفات الى السبب فهو اعلى من الالتفات الى ما هو فرع فكذلك
الالتفات الى القضاء الازلي الذي جرى بتوقيعه القلم اعلى من الالتفات الى ما يظهر في الابد واليه اشار النبي صلى الله عليه وسلم

حيث كان على المنبر فقبض كفه اليمنى ثم قال هذا كتاب الله كتب فيه اهل الجنة باسمائهم وانسابهم لا يزاد فيه ولا ينقص ثم قبض كفه
اليسرى وقال هذا كتاب الله كتب فيه اهل النار باسمائهم وانسابهم لا يزاد فيهم ولا ينقص وليعملن اهل السعادة بعمل اهل الشقاء
حتى يقال كانه منهم بل هو هم ثم يستنقذهم الله تعالى قبل الموت ولو بفواق ناقة وليعملن اهل الشقاء بعمل اهل السعادة حتى يقال
كانهم منهم بل هم هم ثم يستخرجهم الله تعالى قبل الموت ولو بفواق ناقة السعيد من سعد بقضاء الله والشقي من شقي بقضاء
الله والاعمال بالخواتيم وهذا الانقسام الخائفين الى من يخاف معصيته وجنايته والى من يخاف الله نفسه لصفته وجلاله
واوصافه التي تقتضي الهيبة لا محالة فهذا اعلى رتبة ولذلك لا يبقى خوفه وان كان في طاعة الصديقين واما الاخر فهو في عرضة
الغرور والامن ان واظب على الطاعات فالخوف من المعصية خوف الصالحين والخوف من الله تعالى خوف الموحدين والصديقين
وهو ثمرة المعرفة بالله تعالى وكل من عرفه وعرف صفاته علم من صفاته ما هو جدير بان يخاف من غير جناية بل العاصي لو عرف الله
حق المعرفة خاف الله ولم يخف معصيته ولولا انه يعرف في نفسه ما يجزم المعصية وييسر له سبيلها ويمهد له اسبابها فان تيسر له اسباب
المعصية ابعاد وليس من قبل المعصية معصية استحق بها ان يجر الى المعصية وجرى عليه اسبابها وليس قبل الطاعة وسيلة للاكرام
بها من يسرت له الطاعة ومهد له سبيل القربات فالعاصي قد قضي عليه بالمعصية شاء ام ابى وكذا المطيع فالذي رفع محمدا
صلى الله عليه وسلم الى اعلى عليين من غير وسيلة سبقت منه قبل وجوده ووضع ابا جهل في اسفل السافلين من غير جناية سبقت منه
قبل وجوده جدير بان يخاف لصفة جلاله فان من اطاع الله اطاع بان سلط عليه ارادة الطاعة واتاه القدرة وبعد
وبعد خلق الارادة الجازمة والقدرة التامة يصير الفعل ضروريا والذي عصى عصى لانه سلط عليه ارادة قوية جازمة
واتاه الاسباب والقدرة فكان الفعل بعد الارادة والقدرة ضروريا **فليت شعري** ما الذي اوجب اكرامه هذا
وتخصيصه بتسليط ارادة الطاعة عليه وما الذي اوجب اهانة الاخر وابعاده بتسليط دواعي المعصية عليه
وكيف يحال ذلك على العبد واذا كانت الحوالة ترجع الى القضاء الازلي من غير جناية ولا وسيلة فالخوف ممن يقضي بما يشاء
ويحكم بما يريد حزم عند كل عاقل ووراء هذا المعنى سر القدر الذي لا يجوز افشاؤه ولا يمكن تفهيم خوف من صفات الجلال
لولا اذن الشرع لم يتجاسر على ذكره ذو بصيرة فقد جاء في الخبر ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام يا داود خفني كما
تخاف السبع الضاري فهذا المثال يفهمك حاصل المعنى وان كان لا يقفك على سببه فان الوقوف على سببه وقوف على سر
القدر ولا يكشف ذلك الا لاهله والحاصل ان السبع لا يخاف لجناية سبقت اليه منك بل لصفته وبطشه وسطوته وكبره وهيبته
وانه يفعل ما يفعل ولا يبالي فان قتلك لم يرق قلبه ولم يتألم بقتلك وان خلاك لم يخلك شفقة عليك وابقاء على
روحك بل انت عنده اخس من ان يلتفت اليك حيا كنت او ميتا بل اهلاك الف مثلك واهلاك نملة عنده على وتيرة واحدة
اذ لا يقدح ذلك في عالم سبعيته وما هو موصوف به من قدرته وسطوته ولله المثل الاعلى ولكن من عرفه عرف بالمشاهدة الباطنة
التي هي اقوى واوثق واجلى من المشاهدة الظاهرة انه صادق في قوله هؤلاء في الجنة ولا ابالي وهؤلاء في النار ولا ابالي ويكفيك
من موجبات الهيبة والخوف المعرفة بالاستغناء وعدم المبالاة

الطبقة الثانية من الخائفين

ان يتمثل في انفسهم ما هو المكروه وذلك مثل سكرات الموت وشدته او سؤال منكر ونكير او عذاب القبر او هول المطلع
او هيبة الموقف بين يدي الله تعالى والحياء من كشف الستر والسؤال عن النقير والقطمير او الخوف من الصراط وحدته وكيفية العبور
عليه او الخوف من النار واغلالها واهوالها او الخوف من الحرمان عن الجنة دار النعيم والملك المقيم وعن نقصان الدرجات او الخوف من
الحجاب عن الله تعالى وكل هذه الاسباب مكروهة في انفسها فهي لا محالة مخوفة وتختلف احوال الخائفين فيها واعلاها رتبة هو خوف الفراق
والحجاب عن الله تعالى وهو خوف العارفين وما قبل ذلك هو خوف العابدين والصالحين والزاهدين وكافة العاملين ومن لم
تكمل معرفته ولم تنفتح بصيرته لم يشعر بلذة الوصال ولا بالم البعد والفراق واذا ذكر له ان العارف لا يخاف النار وانما
يخاف الحجاب وجد ذلك منكرا في باطنه وتعجب منه في نفسه وربما انكر لذة النظر الى وجه الله الكريم لولا منع الشرع اياه

من الكلام فيكون اعترافه به باللسان من ضرورة التقليد ولا في باطنه لا يصدق به لانه لا يعرف الا لذة الفرج والبطن والعين في النظر
الى الالوان والوجوه الحسان وبالجملة كل لذة يشاركه البهائم فيها فاما لذة العارفين فلا يدركها غيرهم وتفصيل ذلك وشرحه حرام
مع من ليس اهلا له ومن كان اهلا له استبصر بنفسه واستغنى عن ان يشرحه له غيره فالى هذه الاقسام يرجع خوف الخائفين

بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه

اعلم ان فضيلة الخوف تارة تعرف بالتأمل والاعتبار وتارة بالايات والاخبار اما الاعتبار فسبيله ان فضيلة الشيء بقدر غنائه في الافضاء الى سعادة لقاء الله اذ لا مقصود
سوى السعادة ولا سعادة للعبد الا في لقاء مولاه والقرب منه فكل ما اعان عليه فله فضيلة وفضيلته بقدر اعانته وقد ظهر
انه لا وصول الى سعادة لقاء الله في الاخرة الا بتحصيل محبته والانس به في الدنيا ولا تحصل المحبة الا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة
الا بدوام الفكر ولا يحصل الانس الا بالمحبة ودوام الذكر ولا تتيسر المواظبة على الذكر والفكر الا بانقطاع حب الدنيا من القلب
ولا ينقطع ذلك الا بترك لذات الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك المشتهيات الا بقمع الشهوات ولا تنقمع الشهوة بشيء كما تنقمع
بنار الخوف فالخوف هو النار المحرقة للشهوات فاذا فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوة وبقدر ما يكف عن المعاصي ويحث على الطاعات
ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف كما سبق وكيف لا يكون الخوف ذا فضيلة وبه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة
وهي الاعمال الفاضلة المحمودة التي تقرب الى الله زلفى واما بطريق الاقتباس من الايات والاخبار فما ورد في فضيلة الخوف
خارج عن الحصر ولكن ناهيك دلالة على فضيلته جمع الله تعالى للخائفين الهدى والرحمة والعلم والرضوان وهي مجامع مقامات
اهل الجنان **قال** الله تعالى هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون **وقال** تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فوصفهم بالعلم لخشيتهم
وقال تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وكل ما دل على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف لان الخوف ثمرة العلم ولذلك
جاء في خبر موسى عليه الصلاة والسلام واما الخائفون فان لهم الرفيق الاعلى لا يشاركون فيه فانظر كيف افردهم بمرافقة الرفيق الاعلى
وذلك لانهم العلماء والعلماء لهم رتبة مرافقة الانبياء لانهم ورثة الانبياء ومرافقة الرفيق الاعلى
للانبياء ومن يلحق بهم ولذلك لما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض موته بين البقاء في الدنيا
وبين القدوم على الله تعالى كان يقول اسألك الرفيق الاعلى فاذن اذا نظرت الى ثمرته فهو العلم
وان نظرت الى ثمرته فالورع والتقوى ولا يخفى ما ورد في فضائلهما حتى ان العاقبة صارت
موسومة بالتقوى مخصوصة به كما صار الحمد مخصوصا بالله تعالى والصلاة برسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى يقال الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلاة على محمد وآله اجمعين
وقد خصص الله التقوى بالاضافة الى نفسه فقال تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن
يناله التقوى منكم وانما التقوى عبارة عن كف بمقتضى الخوف كما سبق ولذلك قال الله تعالى ان اكرمكم
عند الله اتقاكم ولذلك وصى الله تعالى الاولين والاخرين بالتقوى فقال تعالى ولقد وصينا
الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وقال تعالى وخافون ان كنتم مؤمنين
فامر بالخوف واوجبه وشرطه في الايمان فلذلك لا يتصور ان ينفك مؤمن عن خوف وان
ضعف ويكون ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته وايمانه وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم في فضيلة التقوى اذا جمع الله تعالى الاولين والاخرين لميقات يوم معلوم
ناداهم بصوت يسمع اقصاهم كما يسمع ادناهم فيقول يا ايها الناس اني قد انصت لكم منذ
خلقتكم الى يومكم هذا فانصتوا الي اليوم انما هي اعمالكم ترد عليكم يا ايها الناس اني جعلت نسبا وجعلتم
نسبا فوضعتم نسبي ورفعتم نسبكم قلت ان اكرمكم عند الله اتقاكم وابيتم الا فلان بن فلان
وفلان اغنى من فلان فاليوم اضع نسبكم وارفع نسبي اين المتقون فينصب للقوم لواء فيتبع

القوم لواءهم الى منازلهم فيدخلون الجنة بغير حساب وقال صلى الله عليه وسلم رأس الحكمة مخافة الله تعالى
وقال صلى الله عليه وسلم لابن مسعود اذا اردت ان تلقاني فأكثر من الخوف بعدي وقال الفضيل من خاف
الله تعالى دله الخوف على كل خير وقال الشبلي ما خفت الله يوما الا رأيت له بابا من الحكمة والعبرة ما رأيته قط
وقال يحيى بن معاذ ما من مؤمن يعمل سيئة الا ويلحقه حسنتان خوف العقاب ورجاء العفو كثعلب بين اسدين
وفي خبر موسى عليه الصلاة والسلام واما الورعون فانه لا يبقى احد الا ناقشته الحساب وفتشت عما في يديه الا الورعين
فاني استحييهم واجلهم وان اوقفهم للحساب والورع والتقوى اسامي اشتقت من معاني شرطها الخوف فان خلا
عن الخوف لم يسم بهذه الاسامي وكذلك ما ورد في فضائل الذكر لا يحصى وقد جعل الله تعالى مخصوصا بالخائفين
فقال تعالى سيذكر من يخشى وقال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقال صلى الله عليه وسلم لا اجمع على عبدي خوفين
ولا اجمع له امنين فاذا امنني في الدنيا اخفته يوم القيامة • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خاف الله تعالى خاف منه كل شيء
ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شيء • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتمكم عقلا اشدكم لله خوفا واحسنكم فيما امر الله
ونهى عنه نظرا وقال يحيى بن معاذ مسكين ابن ادم لو خاف النار كما يخاف الفقر لدخل الجنة وقال ذو النون ينبغي ان يكون
الخوف ابلغ من الرجاء فاذا غلب الرجاء تشوش القلب • وكان ابو الحسن الضرير يقول علامة السعادة خوف الشقاوة لان
الخوف زمام بين الله تعالى وبين عبده فاذا انقطع زمامه هلك مع الهالكين • وقيل ليحيى بن معاذ من آمن الخلق
غدا فقال اشدهم خوفا اليوم وقال سهل لا تجد الخوف حتى تأكل الحلال وقيل للحسن يا ابا سعيد كيف نصنع بمجالس
اقوام يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير فقال انك والله ان تخالط اقواما يخوفونك حتى يدركك امن خير لك من
ان تصحب قوما يؤمنونك حتى يدركك الخوف وقال ابو سليمان الداراني ما فارق الخوف قلبا الا خرب وقالت
عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله الذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة هو الرجل يسرق ويزني قال لا بل الرجل يصوم
ويصلي ويتصدق ويخاف ان لا يقبل منه والتشديدات الواردة في الامن من مكر الله وعذابه لا تنحصر وكل ذلك ثناء على
الخوف لان مذمة الشيء ثناء على ضده الذي ينفيه وضد الخوف الامن كما ان ضد الرجاء اليأس وكما دل مذمة القنوط
على فضيلة الرجاء فكذلك يدل مذمة الامن على فضيلة الخوف المضاد له بل نقول كل ما ورد في فضل الرجاء فهو دليل على فضل
الخوف لانهما متلازمان فان كل من رجا محبوبا فلا بد وان يخاف فوته فان كان لا يخاف فوته فهو اذا لا يحبه فلا يكون بانتظاره
راجيا فالخوف والرجاء متلازمان يستحيل انفكاك احدهما عن الاخر نعم يجوز ان يغلب احدهما على الاخر وهما يجتمعان ويجوز ان
يشتغل القلب باحدهما ولا يلتفت الى الاخر في الحال لغفلته عنه وهذا لان من شرط الرجاء والخوف تعلقهما بما هو مشكوك
فيه اذ المعلوم لا يرجى ولا يخاف فاذا المحبوب الذي يجوز وجوده يجوز عدمه لا محالة فتقدير وجوده يروح القلب وهو
الرجاء وتقدير عدمه يوجع القلب وهو الخوف والتقديران يتقابلان لا محالة اذا كان ذلك الامر المنتظر مشكوكا فيه نعم
احد طرفي الشك قد يترجح على الاخر بحضور بعض الاسباب ويسمى ذلك ظنا فيكون ذلك سبب غلبة احدهما على الاخر فاذا غلب على
الظن وجود المحبوب قوي الرجاء وخفي الخوف بالاضافة اليه وكذا بالعكس وعلى كل حال فهما متلازمان ولذلك قال تعالى ويدعوننا
رغبا ورهبا وقال تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا • ولذلك عبر العرب عن الخوف بالرجاء فقال تعالى ما لكم لا ترجون لله
وقارا اي لا تخافون وكثيرا ما ورد في القرآن الرجاء بمعنى الخوف وذلك لتلازمهما اذ عادة العرب التعبير عن الشيء بما يلازمه
بل اقول كل ما ورد في فضل البكاء من خشية الله تعالى فهو اظهار لفضيلة الخشية فان البكاء ثمرة الخشية وقد قال الله تعالى فليضحكوا
قليلا وليبكوا كثيرا وقال تعالى يبكون ويزيدهم خشوعا وقال تعالى افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم
سامدون وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن يخرج من عينيه دمعة وان كانت مثل رأس الذباب من خشية الله تعالى ثم
تصيب شيئا من حر وجهه الا حرمه الله على النار وقال عليه الصلاة والسلام اذا اقشعر قلب المؤمن من خشية الله تعالى تحاتت عنه

خطاياه كما يتحات من الشجرة ورقها وقال عليه الصلاة والسلام لا يلج النار احد بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع
وقال عقبة بن عامر ما النجاة يا رسول الله قال امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك
وقالت عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله ايدخل احد من امتك الجنة بغير حساب قال نعم من ذكر ذنوبه
فبكى وقال صلى الله عليه وسلم اللهم ارزقني عينين هطالتين تشفيان بذروف الدمع قبل ان يصير
الدموع دما والاضراس جمرا وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله وذكر منهم رجلا
ذكر الله في خلوة ففاضت عيناه • وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه من استطاع ان يبكي فليبك ومن
لم يستطع فليتباك • وكان محمد بن المنكدر اذا بكى مسح وجهه ولحيته من دموعه ويقول بلغني ان النار
لا تأكل موضعا مسته الدموع وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فوالذي
نفسي بيده لو يعلم العلم احدكم لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينكسر صلبه وقال ابو سليمان الداراني
ما تغرغرت عين بمائها الا لم يرهق وجه صاحبها قتر ولا ذلة يوم القيامة فان سالت دموعه اطفأ
باول قطرة منها بحارا من النيران ولو ان رجلا بكى في امة ما عذبت تلك الامة وقال ابو سليمان البكاء من
الخوف والرجاء من الطرب والشوق وقال كعب الاحبار والذي نفسي بيده لان ابكي من خشية الله حتى تسيل
دموعي على وجنتي احب الي من ان اتصدق بجبل ذهب • وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لان ادمع دمعة
من خشية الله احب الي من ان اتصدق بالف دينار • وروي عن حنظلة قال كنا عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا موعظة رقت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا انفسنا فرجعت
الى اهلي فدنت مني المرأة وجرى بيننا من حديث الدنيا فنسيت ما كنا عليه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
واخذنا في الدنيا ثم تذكرت ما كنت فيه فقلت في نفسي قد نافقت حيث تحول عني ما كنت فيه من الخوف
والرقة فخرجت وجعلت انادي نافق حنظلة فاستقبلني ابو بكر الصديق رضي الله عنه فقال كلا لم ينافق حنظلة •
فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اقول نافق حنظلة فقال صلى الله عليه وسلم كلا لم ينافق فقلت
يا رسول الله كنا عندك فوعظتنا موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا انفسنا فرجعت
الى اهلي فاخذنا في حديث الدنيا ونسيت ما كنا عندك عليه فقال يا حنظلة لو انكم كنتم ابدا على تلك الحالة لصافحتكم
الملائكة في الطرق وعلى فرشكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة • فاذا كل ما ورد في فضل الرجاء والبكاء وفضل التقوى
والورع وفضل العلم ومذمة الامن فهو دلالة على فضل الخوف لان جملة ذلك متعلقة به اما تعلق السبب

بيان ان الافضل هو غلبة الخوف او غلبة الرجا او اعتدالهما

اعلم ان الاخبار في فضل الخوف والرجاء قد كثرت وربما ينظر الناظر اليهما فيعتريه شك في ان الافضل ايهما وقول القائل
الخوف افضل ام الرجاء سؤال فاسد يضاهي قول القائل الخبز افضل ام الماء وجوابه ان يقال الخبز افضل للجائع والماء افضل
للعطشان فان اجتمعا نظر الى الاغلب فان كان الجوع اغلب فالخبز افضل وان استويا فهما متساويان وهذا
لان كل ما يراد لمقصود ففضله يظهر بالاضافة الى مقصوده لا الى نفسه والخوف والرجاء دواءان تداوى بهما
القلوب ففضلهما بحسب الداء الموجود فان كان الغالب على القلب داء الامن من مكر الله والاغترار به
فالخوف افضل وان كان الاغلب هو اليأس والقنوط من رحمة الله فالرجاء افضل وكذلك ان كان الغالب على العبد
المعصية فالخوف افضل ويجوز ان يقال مطلقا الخوف افضل على التأويل الذي يقال الخبز افضل من السكنجبين
اذ يعالج بالخبز مرض الجوع وبالسكنجبين مرض الصفراء ومرض الجوع اغلب واكثر فالحاجة الى الخبز اكثر فهو افضل
فبهذا الاعتبار غلبة الخوف افضل لان المعاصي والاغترار على الخلق اغلب وان نظر الى مطلع الخوف والرجاء

فالرجا افضل لانه مستقى من بحر الرحمة ومستقى الخوف من بحر الغضب ومن لاحظ من صفات الله ما يقتضي اللطف
والرحمة كانت المحبة عليه اغلب وليس وراء المحبة مقام واما الخوف فمستنده الالتفات الى الصفات التي
تقتضي العنف فلا تمازجه المحبة ممازجتها للرجا وعلى الجملة فما يراد لغيره فينبغي ان يستعمل فيه لفظ الاصلح لا
لفظ الافضل فنقول اكثر الخلق الخوف لهم اصلح من الرجاء وذلك لاجل غلبة المعاصي فاما التقي الذي ترك
ظاهر الاثم وباطنه وخفيه وجليه فالاصلح ان يعتدل خوفه ورجاؤه ولذلك قيل لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه
لاعتدلا وروي ان عليا رضي الله عنه قال لبعض ولده يا بني خف الله خوفا ترى انك ان اتيته بحسنات اهل
الارض لم يتقبلها منك وارج الله رجاء ترى انك لو اتيته بسيئات اهل الارض غفرها لك ولذلك قال عمر
رضي الله عنه لو نودي ليدخل النار كل الناس الا رجل واحد لرجوت ان اكون انا ذلك الرجل ولو نودي ليدخل الجنة كل
الناس الا رجل واحد لخشيت ان اكون انا ذلك الرجل وهذا عبارة عن غاية الخوف والرجا واعتدالهما مع الغلبة
والاستيلاء ولكن على سبيل التقاوم والتساوي فمثل عمر رضي الله عنه ينبغي ان يساوي خوفه رجاؤه فاما العاصي اذا
ظن انه الرجل الذي استثني من دخول النار كان ذلك دليلا على اغتراره فان قلت مثل عمر رضي الله عنه لم ينبغي
ان يساوي خوفه رجاءه بل ينبغي ان يغلب رجاؤه كما سبق في اول كتاب الرجاء وان قوته ينبغي ان يكون بحسب قوة اسبابه
كالثقة بالبذر والزرع ومعلوم ان من بث البذر الصحيح في ارض نقية وواظب على تعهده وجاء بجميع شروط الزراعة غلب
على قلبه رجاء الادراك ولم يكن خوفه مساويا لرجائه فهكذا ينبغي ان تكون احوال المتقين فاعلم ان من يأخذ
المعارف من الالفاظ والامثلة يكثر زلله وذلك وان اوردناه مثالا فليس مضاهيا لما نحن فيه من كل وجه لان سبب غلبة الرجا
العلم الحاصل بالتجربة اذ علم بالتجربة صحة الارض ونقاها وصحة البذر وصحة الهواء وقلة الصواعق المهلكة في تلك البقاع وغيرها
واما مثال مسئلتنا بذر لم يجرب جنسه وقد بث في ارض غريبة لم يتعهدها الزارع ولم يختبرها ومع ذلك فهي بلاد ليس يدرى
اتكثر الصواعق بها ام لا فمثل هذا الزارع وان ادى كنه مجهوده وجاء بكل مقدوره فلا يغلب رجاؤه على خوفه والبذر في مثالنا
هو الايمان وشروط صحته دقيقة والارض القلب وخفايا خبثه وصفائه من الشرك الخفي والنفاق والرياء وخفايا الاخلاق فيه غامضة
والافات هي الشهوات وزخارف الدنيا والتفات القلب اليها في مستقبل الزمان وان سلم في الحال وذلك مما لا يتحقق ولا يعرف بالتجربة
اذ قد يعرض من الاسباب ما لا يطاق مخالفته ولم يجرب مثله والصواعق هي اهوال سكرات الموت واضطراب الاعتقاد
عنده وذلك مما لم يجرب ثم الحصاد والادراك عند المشرق في القيامة الى الجنة وذلك مما لم يجرب ثم فمن عرف حقائق هذه الامور
فان كان ضعيف القلب جبانا في نفسه غلب خوفه على رجائه لا محالة كما سنحكي من احوال الخائفين من الصحابة والتابعين
وان كان قوي القلب ثابت الجاش تام المعرفة استوى خوفه ورجاؤه فاما ان يغلب رجاؤه فلا ولقد كان عمر رضي الله عنه
بالغا في تفتيش قلبه حتى كان يسأل حذيفة رضي الله عنه انه هل يعرف به من اثار النفاق شيئا اذ كان قد خصه رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعلم المنافقين فمن الذي يقدر على تطهير قلبه من خفايا النفاق والشرك الخفي وان اعتقد نقاء قلبه عن ذلك فمن اين يأمن
مكر الله تعالى بتلبيس حاله عليه واخفاء عيبه منه وان وثق به فمن اين يثق ببقائه على ذلك الى تمام حسن الخاتمة وقد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا شبر وفي رواية الا قدر فواق ناقة
فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل اهل النار وقدر فواق الناقة لا يحتمل عملا بالجوارح انما هو مقدار خاطر يختلج في القلب عند الموت
فيقتضي خاتمة السوء فكيف يؤمن ذلك فاذا اقصى غايات المؤمن ان يعتدل خوفه ورجاؤه وغلبة الرجاء في غالب الناس يكون
مستنده الاغترار وقلة المعرفة ولذلك جمع الله بينهما في وصف من اثنى عليهم فقال يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال ويدعوننا
رغبا ورهبا واين مثل عمر رضي الله عنه والخلق الموجودون في هذا الزمان كلهم الاصلح لهم غلبة الخوف بشرط ان لا يخرجهم الى الياس
وترك العمل وقطع الطمع من المغفرة فيكون سببا للتكاسل عن العمل وداعيا الى الانهماك في المعاصي فان ذلك قنوط وليس بخوف انما

انما الخوف هو الذي يحث على العمل ويكدر جميع الشهوات ويزعج القلب عن الركون الى الدنيا ويدعوه الى التجافي عن دار الغرور
فهو الخوف المحمود دون حديث النفس الذي لا يؤثر في الكف والحث ودون اليأس الموجب للقنوط وقد قال يحيى بن معاذ رحمه الله
من عبد الله بمحض الخوف غرق في بحار الافكار ومن عبده بمحض الرجا تاه في مفازة الاغترار ومن عبده بالخوف والرجا استقام في
محجة الاذكار وقال مكحول الدمشقي من عبد الله بالخوف فهو حروري ومن عبده بالرجا فهو مرجي ومن عبده بالمحبة فهو زنديق
ومن عبده بالخوف والرجا والمحبة فهو موحد فاذا لا بد من الجمع بين هذه الامور وغلبة الخوف هو الاصلح ولكن قبل الاشراف
على الموت اما عند الموت فالاصلح غلبة الرجا وحسن الظن لان الخوف جار مجرى السوط الباعث على العمل وقد انقضى وقت العمل
فالمشرف على الموت لا يقدر على العمل ثم لا يطيق اسباب الخوف فان ذلك يقطع نياط قلبه ويعين على تعجيل موته واما روح
الرجا فانه يقوي قلبه ويحبب اليه ربه الذي اليه رجاؤه ولا ينبغي ان يفارق احد الدنيا الا محبا للقاء الله تعالى
ليكون محبا للقاء الله فان من احب لقاء الله احب الله لقاءه والرجا يقارنه المحبة فمن ارتجى كرمه فهو محبوب والمقصود من
العلوم والاعمال معرفة الله حتى تثمر المعرفة والمحبة فان المصير اليه والقدوم بالموت عليه ومن قدم على محبوبه عظم سروره
بقدر محبته ومن فارق محبوبه اشتدت محنته وعذابه فمهما كان القلب الغالب عليه عند الموت حب الاهل والولد والمال والمسكن
والعقار والرفقاء والاصحاب فهذا رجل محابه كلها في الدنيا فالدنيا جنته اذ الجنة عبارة عن البقعة الجامعة لجميع المحاب فموته خروج
من الجنة وحيلولة بينه وبين ما يشتهيه ولا يخفى حال من يحال بينه وبين ما يشتهيه واما اذا لم يكن له محبوب سوى الله وسوى ذكره
ومعرفته والفكر فيه والدنيا وعلائقها شاغلة له عن المحبوب فالدنيا اذا سجنه لان السجن عبارة عن البقعة المانعة للمحبوس عن الاسترواح
الى محابه فموته قدوم على محبوبه وخلاص من السجن ولا يخفى حال من افلت من السجن وخلي بينه وبين محبوبه بلا مانع ولا مكدر فهذا اول ما يلقاه
كل من فارق الدنيا عقيب موته من الثواب والعقاب فضلا عما اعده الله لعباده الصالحين مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
وفضلا عما اعد للذين استحبوا الحياة الدنيا على الاخرة ورضوا بها واطمأنوا اليها من الانكال والسلاسل والاغلال وضروب الخزي والنكال
فنسأل الله تعالى ان يتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين ولا مطمع في اجابة هذا الدعاء الا باكتساب حب الله ولا سبيل
اليه الا باخراج حب غيره من القلب وقطع العلائق عن كل ما سوى الله من جاه ومال ووطن فالاولى ان ندعو بما دعا به نبينا صلى الله عليه وسلم
اذ قال اللهم ارزقني حبك وحب من احبك وحب ما يقربني الى حبك واجعل حبك احب الي من الماء البارد والغرض ان غلبة
الرجا عند الموت اصلح لانه اجلب للمحبة وغلبة الخوف قبل الموت اصلح لانه احرق لنار الشهوات واقمع لمحبة الدنيا عن القلب ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بربه وقال تعالى انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ولما حضر سليمان
التيمي الوفاة قال لابنه يا بني حدثني بالرخص واذكر لي الرجا حتى القى الله تعالى على حسن الظن به وكذلك لما حضرت الثوري الوفاة
واشتد جزعه جمع العلماء حوله يرجونه وقال احمد بن حنبل عند الموت لابنه اذكر لي الاخبار التي فيها الرجاء وحسن الظن والمقصود
من ذلك كله ان يحبب الله تعالى الى نفسه ولذلك اوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام ان حببني الى عبادي فقال بماذا فقال بان تذكر
لهم الائي ونعمائي فاذا غاية السعادة ان يموت العبد محبا لله تعالى وانما تحصل المحبة بالمعرفة وباخراج حب الدنيا من القلب حتى تصير
الدنيا كالسجن المانع من المحبوب ولذلك رأى بعض الصالحين ابا سليمان الداراني في المنام وهو يطير فسأله فقال الان افلت
فلما اصبح سأل عن حاله فقالوا انه مات البارحة

بيان الدواء الذي به يستجلب حال الخوف

اعلم ان ما ذكرناه
في دواء الصبر وشرحناه في كتاب الصبر والشكر هو كاف في هذا الغرض لان الصبر لا يمكن الا بعد حصول الخوف والرجاء الا ان اول مقامات
الدين اليقين الذي هو عبارة عن قوة الايمان بالله وباليوم الاخر والجنة والنار وهذا اليقين بالضرورة يهيج الخوف من النار والرجاء
للجنة والخوف والرجاء يقويان على الصبر فان الجنة حفت بالمكاره فلا يصبر على تحملها الا بقوة الرجاء والنار قد حفت بالشهوات
فلا يصبر على قمعها الا بقوة الخوف ولذلك قال علي كرم الله وجهه من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن اشفق من النار رجع
عن المحرمات ثم يؤدي مقام الصبر المستفاد من الخوف والرجا الى مقام المجاهدة والتجرد لذكر الله تعالى والفكر فيه على الدوام ويؤدي دوام

مايلقاه

الذكر الى الانس ودوام الفكر الى كمال المعرفة ويؤدي كمال المعرفة والانس الى المحبة ويتبعها مقام الرضا والتوكل وساير المقامات فهذا هو الترتيب في
سلوك منازل الدين فليس بعد اصل اليقين مقام سوى الخوف والرجا ولا بعدهما مقام سوى الصبر وبه المجاهدة والتجرد لله باطنا وظاهرا
ولا مقام بعد المجاهدة لمن فتح له الطريق الا الهداية والمعرفة ولا مقام بعد المعرفة الا المحبة والانس ومن ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب
والثقة بعنايته وهو التوكل فاذا فيما ذكرناه في علاج الصبر كفاية ولكنا نفرد الخوف بكلام جملي فنقول طريق تحصيل الخوف بامرين
احدهما اعلى من الآخر ومثاله ان الصبي اذا كان في بيت فدخل عليه سبع او حية ربما كان لا يخاف وربما مد اليد الى الحية لياخذها ويلعب بها
ولكن اذا كان معه ابوه وهو عاقل خاف من الحية وهرب منها فاذا نظر الصبي الى ابيه وهو يرتعد فرايصه ويحتال في الهرب قام معه وغلب عليه الخوف ووافقه
في الهرب فخوف الاب عن بصيرة ومعرفة بصفة الحية وسمها وخاصيتها وسطوة السبع وبطشه وقلة مبالاته واما خوف الابن فايمان بمجرد التقليد
لانه يحسن الظن بابيه ويعلم انه لا يخاف الا من سبب مخوف في نفسه فيعلم ان السبع مخوف ولا يدري وجهه فاذا عرفت هذا المثال فاعلم ان الخوف من الله
تبارك وتعالى على مقامين احدهما الخوف من عذابه والثاني الخوف منه في ذاته فاما الخوف منه فهو خوف العلماء وارباب القلوب العارفين
من صفاته ما يقتضي الهيبة والخوف والحذر المطلعين على سر قوله تعالى ويحذركم الله نفسه وقوله واتقوا الله حق تقاته واما الاول فهو خوف
عموم الخلق وهو حاصل باصل الايمان بالجنة والنار وكونهما جزاءين على الطاعة والمعصية وضعفه بسبب الغفلة وبسبب ضعف الايمان وانما
تزول الغفلة بالوعظ والتذكير وملازمة الفكر في اهوال القيامة واصناف العذاب في الآخرة ويزيد ايضا بالنظر الى الخائفين ومجالستهم
ومشاهدة احوالهم فان فات المشاهدة فالسماع لا يخلو عن تاثير واما الثاني وهو الاعلى ان يكون الله هو المخوف اعني ان يخاف البعد
والحجاب منه ويرجو القرب منه قال ذو النون خوف النار عند خوف الفراق كقطرة قطرت في بحر لجي وهذه خشية العلماء
حيث قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ولعموم المؤمنين ايضا حظ من هذه الخشية ولكن هو بمجرد التقليد يضاهي خوف الصبي
من الحية تقليدا لابيه وذلك لا يستند الى بصيرة فلا جرم يضعف ويزول على قرب حتى ان الصبي ربما يرى المعزم يقدم على اخذ
الحية فينظر اليه ويغتر به فيتجرأ على اخذها تقليدا له كما احترز من اخذها تقليدا لابيه والعقائد التقليدية ضعيفة في الغالب الا اذا
قويت بمشاهدة اسبابها المؤكدة لها على الدوام والمواظبة على مقتضاها في تكثير الطاعات واجتناب المعاصي مدة طويلة على الاستمرار
فاذا من ارتقى الى ذروة المعرفة وعرف الله تعالى خافه بالضرورة فلا يحتاج الى علاج لجلب الخوف كما ان من عرف السبع ورأى نفسه في مخالبه
لا يحتاج الى علاج يجلب الخوف الى قلبه بل يخافه بالضرورة شاء ام ابى ولذلك اوحى الله الى داود عليه الصلاة والسلام خفني كما تخاف
السبع الضاري والحيلة في جلب الخوف من السبع الضاري الا معرفة السبع ومعرفة الوقوع في مخالبه فلا يحتاج الى حيلة سواه فمن عرف الله تعالى
عرف انه يفعل ما يشاء ولا يبالي ويحكم ما يريد ولا يخاف قرب الملائكة من غير وسيلة سابقة وابعد ابليس من غير جريمة سالفة
بل صفته ترجمة قوله تعالى هؤلاء الى الجنة ولا ابالي وهؤلاء الى النار ولا ابالي وان خطر ببالك انه لا يعاقب الا على معصية ولا يثيب الا على طاعة فتامل
انه لم يسر المطيع بسبب الطاعة حتى يطيع شاء ام ابى ولم يمد العاصي بدواعي المعصية حتى يعصي شاء ام ابى فانه مهما خلق الغفلة والشهوة
والقدرة على قضاء الشهوة كان الفعل واقعا بالضرورة فان كان ابعده لانه عصاه فلم حمله على المعصية عند ارادة المعصية هل لسابقة حتى يتسلسل الى
غير نهاية او يقف لا محالة على اول لا علة له من جهة العبد بل قضى عليه في الازل وعن هذا عبر صلى الله عليه وسلم اذ قال احتج آدم وموسى عند
ربهما فحج آدم موسى قال موسى انت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسجد لك ملائكته واسكنك في جنته ثم اهبطت
الناس بخطيئتك الى الارض فقال آدم انت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه واعطاك الالواح فيها تبيان كل شيء وقربك
نجيا فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل ان اخلق قال موسى باربعين عاما قال آدم فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم
قال افتلومني على ان عملت عملا كتبه الله علي ان اعمله قبل ان يخلقني باربعين سنة قال صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى فمن عرف السبب في هذا
الامر معرفة صادرة عن نور الهداية فهو من خصوص العارفين المطلعين على سر القدر ومن سمع هذا فآمن به وصدق بمجرد السماع فهو من عموم المؤمنين
ويحصل لكل واحد من الفريقين خوف فان كل عبد فهو واقع في قبضة القدرة وقوع الصبي الضعيف في مخالب السبع والسبع قد يغفل بالاتفاق
فيخليه وقد يهجم عليه فيفترسه وذلك بحسب ما يتفق وذلك الاتفاق له اسباب مرتبة بقدر معلوم ولكن اذا اضيف الى من لا يعرفه سمي اتفاقا

بحث لطيف
مخوف بالتعريف

وان اضيف الى علم الله لم يجز ان يسمى اتفاقا والواقع في مخالب السبع لو كملت معرفته لكان لا يخاف السبع لان السبع مسخر ان سلط عليه
الجوع افترس وان سلط عليه الغفلة خلى وترك وانما يخاف من خالق السبع وخالق صفاته فلست اقول لست اخاف السبع بل اخاف خالق
السبع بل اذا كشف الغطاء علم ان الخوف من السبع هو عين الخوف من الله تعالى لان المهلك بواسطة السبع هو الله تعالى فاعلم ان سباع
الآخرة مثل سباع الدنيا وان الله خلق اسباب العذاب واسباب الثواب وخلق لكل واحد اهلا يسوقه القدر المتقن المتفرع عن القضاء الجزم
الازلي الى ما خلق له **خلق الجنة** وخلق لها اهلا سخروا لاسبابها شاءوا ام ابوا وخلق النار وخلق لها اهلا سخروا لاسبابها شاءوا
ام ابوا فلا يرى احد نفسه في متلاطم امواج القدر الا غلب عليه الخوف بالضرورة فهذه مخاوف العارفين بسر القدر ومن قعد به القصور عن
الارتقاء الى يفاع الاستبصار فسبيله ان يعالج نفسه بسماع الاخبار والآثار فيطالع احوال الخائفين واقوالهم ونسبة عقولهم ومناصبهم
الى مناصب الراجين المغرورين فلا يتمارى في ان الاقتداء بهم اولى لانهم الانبياء والاولياء والعلماء واما الآمنون فهم الفراعنة والجهال والاغبياء
اما رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو سيد الاولين والآخرين وكان اشد الناس خوفا حتى روي انه كان يصلي على طفل توفي وانه
سمع في دعائه يقول اللهم قه عذاب القبر وعذاب النار وفي رواية ثانية انه سمع قايلة تقول هنيئا لك عصفور من عصافير الجنة
فقال ما يدريك انه كذلك والله اني رسول الله وما ادري ما يصنع بي ان الله خلق الجنة وخلق لها اهلا لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم
وروي انه قال ذلك ايضا على جنازة عثمان بن مظعون وكان من المهاجرين الاولين لما قالت ام سلمة هنيئا لك الجنة فكانت تقول
ام سلمة بعد ذلك والله لا ازكي احدا بعد عثمان وقال محمد بن خولة الحنفية والله لا ازكي احدا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ابي الذي ولدني
قال فثارت الشيعة عليه فاخذ يذكر من فضائل علي ومناقبه وروي في حديث آخر ان رجلا من اهل الصفة استشهد فقالت
هنيئا لك عصفور من عصافير الجنة هاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلت في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم
بما لا ينفعه ويمنع ما لا يضره وفي حديث آخر انه دخل عليه الصلاة والسلام على بعض اصحابه وهو عليل فسمع امراة تقول هنيئا لك الجنة
فقال صلى الله عليه وسلم من هذه المتالية على الله عز وجل فقال المريض هي امي يا رسول الله فقال وما يدريك لعل فلانا كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل
بما لا يغنيه وكيف لا يخاف المؤمنون كلهم وهو صلى الله عليه وسلم يقول شيبتني سورة هود واخواتها سورة الواقعة واذا الشمس كورت
وعم يتساءلون فقال العلماء لعل ذلك لما في سورة هود من الابعاد كقوله تعالى الا بعدا لعاد قوم هود الا بعدا لثمود الا بعدا لمدين
كما بعدت ثمود مع علمه صلى الله عليه وسلم بانه لو شاء الله ما اشركوا اذ لو شاء لآتى كل نفس هداها وفي سورة الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة
رافعة اي جف القلم بما هو كاين وتمت السابقة حتى نزلت الواقعة اما خافضة قوما كانوا مرتفعين في الدنيا واما رافعة قوما كانوا منخفضين
في الدنيا وفي سورة التكوير اهوال القيامة وانكشاف الخاتمة وهو قوله تعالى واذا الجحيم سعرت واذا الجنة ازلفت علمت نفس ما احضرت وفي
عم يتساءلون يوم ينظر المرء ما قدمت يداه وقوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا والقرآن من اوله الى آخره
مخاوف لمن قرأه بتدبر ولو لم يكن فيه الا قوله تعالى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى لكان كافيا اذ علق المغفرة على اربعة
شروط يعجز العبد عن آحادها واشد منه قوله تعالى فاما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين وقوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم
وقوله تعالى سنفرغ لكم ايها الثقلان وقوله تعالى افأمنوا مكر الله الآية وقوله تعالى وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم
شديد وقوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا الآيتين وقوله تعالى وان منكم الا واردها الآية وقوله تعالى اعملوا ما شئتم الآية وقوله تعالى من كان
يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه الآية وقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل الآية وكذلك قوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الآية فهذه
اربعة شروط للخلاص من الخسران وانما كان خوف الانبياء مع ما فاض عليهم من النعم لانهم لم يأمنوا مكر الله تعالى ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون
حتى روي ان النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام بكيا خوفا من الله عز وجل فاوحى الله اليهما لم تبكيان وقد امنتكما فقالا ومن يأمن
مكرك وكانهما اذ علما ان الله هو علام الغيوب وانهما لا يوقفان على غاية الامور لم يأمنا ان يكون قوله قد امنتكما ابتلاء لهما وامتحانا
ومكرا بهما حتى ان سكن خوفهما ظهر انهما قد امنا من المكر وما وفيا بقولهما كما ان ابراهيم صلى الله عليه وسلم لما وضع في المنجنيق قال حسبي الله
فكانت هذه من الدعاوي العظام فامتحن وعورض بجبريل في الهواء حتى قال الك حاجة فقال اما اليك فلا فكان ذلك وفاء بمقتضى قوله

حسبي الله فاخبره تعالى عنه وقال وابراهيم الذي وفى اي بموجب قوله حسبي الله ومثل هذا اخبر عن موسى عليه الصلاة والسلام حيث قال انا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى فقال تعالى لا تخافا انني معكما اسمع وارى ومع هذا لما القى السحرة سحرهم اوجس موسى في نفسه خيفة اذ لم يأمن مكر الله والتبس الامر عليه حتى جدد عليه الامن وقيل له لا تخف انك انت الاعلى **ولما ضعفت** شوكة المسلمين يوم بدر قال صلى الله عليه وسلم اللهم ان تهلك هذه العصابة لم يبق على وجه الارض احد يعبدك فقال ابو بكر رضي الله عنه دع مناشدتك ربك فانه واف لك بما وعدك فكان مقام الصديق رضي الله عنه مقام الثقة بوعد الله تعالى وكان مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مقام الخوف من مكر الله وهو اتم لانه لا يصدر الا عن كمال المعرفة باسرار الله تعالى وخفايا افعاله ومعاني صفاته التي يعبر عن بعض ما يصدر عنها بالمكر وما لاحد الوقوف على كنه صفات الله ومن عرف حقيقة المعرفة وقصور معرفته عن الاحاطة بكنه الامور عظم خوفه لا محالة ولذلك **قال** المسيح صلى الله عليه وسلم لما قيل له أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله • ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك وقال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم الاية فوض الامر الى المشيئة واخرج نفسه بالكلية من البين لعلمه بانه ليس له من الامر شيء وان الامور مرتبطة بالمشيئة ارتباطا يخرج عن حد المعقولات والمألوفات فلا يمكن الحكم عليها بقياس وحدس وحسبان فضلا عن التحقيق والاستيقان وهذا هو الذي قطع قلوب العارفين • اذ الطامة الكبرى هي ارتباط امرك بمشيئة من لا يبالي بك ان اهلكك فقد اهلك من لا يحصى من امثالك ولم يزل في الدنيا يعذبهم بانواع الآلام والامراض ويمرض مع ذلك قلوبهم بالكفر والنفاق ثم يخلد العقاب عليهم ابد الآباد ثم يخبر عنه ويقول ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني الاية **وقال** تعالى وتمت كلمة ربك لاملأن جهنم الاية فكيف لا يخاف ما حق من القول في الازل ولا يطمع في تداركه ولو كان الامر انفا لكانت الاطماع تمتد الى حيلة فيه ولكن ليس الا التسليم واستقراء حقيقة السابقة من جلي الاسباب الظاهرة على القلب والجوارح فمن يسرت له اسباب الشر وحيل بينه وبين اسباب الخير واحكمت علاقته مع الدنيا فكانه كشف له على التحقيق سر السابقة التي سبقت له بالشقاوة اذ كل ميسر لما خلق له وان كانت الخيرات كلها ميسرة والقلب بالكلية عن الدنيا منقطعا وبظاهره وباطنه على الله مقبلا كان هذا يقتضي تخفيف الخوف لو كان الدوام على ذلك موثوقا به ولكن خطر الخاتمة وعسر الثبات يزيد نيران الخوف اشتعالا ولا يمكنها من الانطفاء وكيف يؤمن تغير الحال وقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وان القلب اشد تقلبا من القدر في غليانها وقد **قال** مقلب القلوب ان عذاب ربهم غير مأمون فاجهل الناس من امن منه وهو ينادي بالتحذير من الامن ولولا ان الله لطف بعباده العارفين اذ روح قلوبهم بروح الرجاء لاحترقت قلوبهم من نار الخوف فاسباب الرجاء رحمة لخواص الله واسباب الغفلة رحمة على عوام الخلق من وجه اذ لو انكشف الغطاء لزهقت النفوس وتقطعت القلوب من خوف مقلب القلوب **قال** بعض العارفين لو حالت بيني وبين من عرفته بالتوحيد خمسين سنة اسطوانة فمات لم اقطع له بالتوحيد لاني لا ادري ما ظهر له من التقلب **وقال** بعضهم لو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الاسلام عند باب الحجرة لاخترت الموت على الاسلام لاني لا ادري ما يعرض لقلبي بين باب الحجرة وباب الدار **وكان** ابو الدرداء يحلف بالله ما احد امن ان يسلب ايمانه عند الموت الا سلبه **وكان** سهل يقول خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة وعند كل حركة وهم الذين وصفهم الله تعالى اذ قال وقلوبهم وجلة **ولما** احتضر سفيان جعل يبكي ويجزع فقيل له يا ابا عبد الله عليك بالرجاء فان عفو الله اعظم من ذنوبك فقال او على ذنوبي ابكي لو علمت اني اموت على التوحيد لم ابال بان القى الله بامثال الجبال من الخطايا **وحكي** عن بعض الخائفين انه اوصى بعض اخوانه فقال اذا حضرتني الوفاة فاقعد عند راسي فان رأيتني مت على التوحيد فخذ جميع ما املكه واشتر به لوزا وسكرا وانثره على صبيان اهل البلد وقل هذا عرس المتخلص وان مت على غير التوحيد فاعلم الناس بذلك حتى لا يغتروا بشهود جنازتي ليحضر جنازتي من احب على بصيرة لئلا يلحقني الرياء بعد الوفاة قال وبم اعلم ذلك فذكر له علامة فرأى علامة التوحيد عند موته فاشترى السكر واللوز وفرقه **وكان** سهل يقول المريد يخاف ان يبتلى بالمعاصي والعارف يخاف ان يبتلى بالكفر **وكان** ابو يزيد يقول اذا توجهت الى المسجد كان في وسطي زنارا اخاف ان يذهب بي الى البيعة وبيت النار حتى ادخل المسجد فينقطع عني الزنار فهذا لي كل يوم خمس مرات **وروي** عن عيسى عليه الصلاة والسلام انه قال يا معشر الحواريين انتم تخافون المعاصي ونحن معاشر الانبياء نخاف الكفر **وروي** في بعض اخبار الانبياء ان نبيا شكا الى الله الجوع والقمل والعري سنين وكان لباسه الصوف فاوحى الله اليه عبدي اما رضيت ان عصمت قلبك ان تكفر بي حتى تسألني الدنيا فاخذ التراب ووضعه على راسه

اسباب سوء الخاتمة

وقال بلى قد رضيت يا رب فاعصمني من الكفر فاذا كان خوف العارفين مع رسوخ اقدامهم وقوة ايمانهم من سوء الخاتمة فكيف لا يخافه الضعفاء **ولسوء الخاتمة اسباب** تتقدم على الموت مثل البدعة والنفاق والكبر وجملة من الصفات المذمومة ولذلك اشتد خوف الصحابة من النفاق حتى قال الحسن لو اعلم اني بريء من النفاق كان احب الي مما طلعت عليه الشمس وما عنوا به النفاق الذي هو ضد اصل الايمان بل المراد به ما يجتمع مع اصل الايمان فيكون مسلما منافقا وله علامات كثيرة قال صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه فهو منافق خالص وان صام وصلى وزعم انه مسلم وان كانت فيه خصلة منهن ففيه شعبة من النفاق حتى يدعها من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان واذا خاصم فجر وفي لفظ آخر واذا عاهد غدر **وقد** فسر الصحابة والتابعون النفاق بتفاسير لا يخلو عن شيء منها الا صديق اذ قال الحسن ان من النفاق اختلاف السر والعلانية واختلاف اللسان والقلب والمدخل والمخرج ومن الذي يخلو عن هذه المعاني بل صارت هذه الامور مألوفة بين الناس معتادة ونسي كونها منكرا بالكلية بل جرى ذلك على قرب عهد بزمان النبوة فكيف الظن بزماننا حتى قال حذيفة ان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير بها منافقا اني لاسمعها من احدكم اليوم عشر مرات **وكان** اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون انكم تعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر • **وقال** بعضهم علامة النفاق ان تكره من الناس ما تأتي مثله وان تحب على شيء من الجور وان تبغض على شيء من الحق • **وقيل** من النفاق انه اذا مدح بشيء ليس فيه اعجبه ذلك **وقال** رجل لابن عمر رضي الله عنهما انا ندخل على هؤلاء الامراء فنصدقهم بما يقولون فاذا خرجنا تكلمنا فيهم فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم **وروي** انه سمع رجلا يذم الحجاج ويقع فيه فقال أرأيت لو كان الحجاج حاضرا أكنت تتكلم بما تكلمت به قال لا قال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم **واشد** من ذلك ما روي ان نفرا قعدوا على باب حذيفة ينتظرونه فكانوا يتكلمون في شيء من شانه فلما خرج عليهم سكتوا حياء منه فقال تكلموا فيما كنتم تقولون فسكتوا فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا حذيفة كان قد خص بعلم المنافقين واسباب النفاق وكان يقول انه ياتي على القلب ساعة يمتلئ بالايمان حتى لا يكون للنفاق فيه مغرز ابرة ويأتي عليه ساعة يمتلئ بالنفاق حتى لا يكون للايمان فيه مغرز ابرة فقد عرفت بهذا ان خوف العارفين من سوء الخاتمة وان سببه امور مقدمة منها البدع ومنها المعاصي ومنها النفاق • ومتى يخلو العبد عن شيء من جملة ذلك وان ظن انه قد خلا عنه فهو النفاق اذ قيل من امن النفاق فهو منافق **قال** بعضهم لبعض العارفين اني اخاف على نفسي النفاق فقال لو كنت منافقا لما خفت النفاق فلا يزال العارف بين الالتفات الى السابقة والخاتمة خائفا منهما ولذلك **قال** صلى الله عليه وسلم العبد المؤمن بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فوالذي نفسي بيده ما بعد الموت مستعتب • ولا بعد الدنيا من دار • الا الجنة او النار

بيان معنى سوء الخاتمة

فان قلت ان اكثر هؤلاء رجع خوفهم الى سوء الخاتمة فما معنى سوء الخاتمة فاعلم ان سوء الخاتمة على رتبتين احداهما اعظم من الاخرى فاما الرتبة العظيمة الهائلة فان يغلب على القلب عند سكرات الموت وظهور اهواله اما الشك واما الجحود فتقبض الروح في حالة غلبة الجحود او الشك فيكون ما غلب على القلب من عقدة الجحود حجابا بينه وبين الله ابدا وذلك يقتضي البعد الدائم والعذاب المخلد **والثانية** وهي دونها ان يغلب على قلبه عند الموت حب امر من امور الدنيا وشهوة من شهواتها فيتمثل ذلك في قلبه ويستغرقه حتى لا يبقى في تلك الحالة متسع لغيره فيتفق قبض روحه في تلك الحال فيكون استغراق قلبه به منكسا راسه الى الدنيا وصارفا وجهه اليها ومهما انصرف الوجه عن الله تعالى حصل الحجاب ومهما حصل الحجاب نزل العذاب اذ نار الله الموقدة لا تأخذ الا المحجوبين فاما المؤمن السليم قلبه عن حب الدنيا المصروف همه الى الله تعالى فتقول له النار جز يا مؤمن فان نورك قد اطفأ لهبي فمهما اتفق قبض الروح في حالة غلبة حب الدنيا فالامر مخطر لان المرء يموت على ما عاش عليه ولا يمكن اكتساب صفة اخرى للقلب بعد الموت تضاد الصفة الغالبة عليه اذ لا تصرف في القلوب الا باعمال الجوارح وقد بطلت

الجوارح بالموت فبطلت الاعمال فلا مطمع في عمل ولا مطمع في رجوع الى الدنيا ليتدارك وعند ذلك تعظم الحسرة الا ان اصل الايمان وحب الله تعالى اذا كان قد رسخ في القلب بمدة طويلة وتأكد ذلك بالاعمال الصالحة فانه يمحو عن القلب هذه الحالة التي عرضت له عند الموت فان كان ايمانه في القوة الى حد مثقال اخرجه من النار في زمان اقرب وان كان اقل من ذلك طال مكثه في النار ولو لم يكن الا مثقال حبة فلا بد وان يخرجه من النار ولو بعد الاف سنين

فان قلت فما ذكرته يقتضي ان تسرع النار اليه عقيب موته فما باله يؤخر الى القيامة ويمهل طول هذه المدة **فاعلم** انه من انكر عذاب القبر فهو مبتدع محجوب عن نور الايمان ونور القران بل الصحيح عند ذوي الابصار ما صحت به الاخبار وهو ان عذاب القبر اما حفرة من حفر النيران او روضة من رياض الجنة وانه قد يفتح الى قبر المعذب سبعون بابا من الجحيم كما وردت به الاخبار فلا تفارقه روحه الا وقد نزل به البلاء ان كان قد شقي بسوء الخاتمة وانما تختلف اصناف العذاب باختلاف الاوقات فيكون سوال منكر ونكير عند الوضع في القبر والتعذيب بعده ثم المناقشة في الحساب والافتضاح على ملأ الاشهاد في القيامة ثم بعده الاخطار الصراط وهول الزبانية الى اخر ما وردت به الاخبار فلا يزال الشقي مترددا في جميع احواله بين اصناف العذاب وهو في جملة الاحوال معذب الا ان يتغمده الله برحمته ولا تظنن ان محل الايمان يأكله التراب بل التراب يأكل جميع الجوارح ويبددها الى ان يبلغ الكتاب اجله فتجمع الاجزاء المتفرقة وتعاد اليها الروح التي هي محل الايمان وقد كانت في وقت الموت الى الاعادة اما في حواصل طير خضر معلقة تحت العرش ان كانت سعيدة واما على حالة تضاد هذه الحال ان كانت والعياذ بالله شقية

فان قلت فما السبب الذي يفضي الى سوء الخاتمة فاعلم ان اسباب هذه الامور لا يمكن احصاؤها على التفصيل ولكن يمكن الاشارة الى مجامعها اما الختم على الشك والجحود فينحصر سببه في شيئين احدهما يتصور مع تمام الورع والزهد وتمام الصلاح في الاعمال كالمبتدع الزاهد فان عاقبته مخطرة جدا وان كانت اعماله صالحة ولست اعني مذهبا واقول انه بدعة فان بيان ذلك يطول القول فيه بل اعني بالبدعة ان يعتقد الرجل في ذات الله وصفاته وافعاله خلاف الحق فيعتقده على خلاف ما هو عليه اما برأيه ومعقوله ونظره الذي به يجادل الخصوم وعليه يعول وبه يغتر واما اخذا بالتقليد ممن هذا حاله فاذا قرب الموت وظهرت له ناصية ملك الموت واضطرب القلب بما فيه ربما ينكشف له في حال سكرات الموت بطلان ما اعتقده جهلا اذ حال الموت حال كشف الغطاء ومبادي سكراته منه فقد ينكشف به بعض الامور فمهما بطل عنده ما كان اعتقده وقد كان قاطعا به متيقنا له عند نفسه لم يظن بنفسه انه اخطأ في هذا الاعتقاد خاصة لانه كان قد اسنده الى رأيه الفاسد وعقله الناقص بل ظن ان كل ما اعتقده لا اصل له اذ لم يكن عنده فرق بين ايمانه بالله ورسوله وسائر اعتقاداته الصحيحة وبين اعتقاده الفاسد فيكون انكشاف بعض اعتقاداته عن الجهل سببا لبطلان بقية اعتقاداته او لشكه فيها فان اتفق زهوق روحه في هذه الخطرة قبل ان يثبت ويعود الى اصل الايمان فقد ختم له بالسوء وخرجت روحه على الشرك والعياذ بالله منه فهؤلاء هم المرادون بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبقوله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وكما انه قد ينكشف في النوم ما سيكون في المستقبل وذلك بسبب خفة اشغال الدنيا عن القلب فلذلك ينكشف في سكرات الموت بعض الامور اذ شواغل الدنيا وشهوات البدن هي المانعة للقلب من ان ينظر الى الملكوت فيطالع ما في اللوح المحفوظ لينكشف له الامور على ما هي عليه فيكون مثل هذه الحالة سبب الكشف ويكون الكشف سببا للشك في بقية الاعتقادات وكل من اعتقد في الله تعالى وفي صفاته وافعاله شيئا على خلاف ما هو به اما تقليدا واما نظرا بالرأي والمعقول فهو في هذا الخطر والزهد والصلاح لا يكفي لدفع هذا الخطر بل لا ينجي منه الا الاعتقاد الحق والبله بمعزل عن هذا الخطر اعني الذين امنوا بالله ورسوله واليوم الاخر ايمانا مجملا راسخا كالاعراب والسوادية وسائر

العوام الذين لم يخوضوا في البحث والنظر ولم يشرعوا في الكلام استقلالا ولا اصغوا الى اصناف المتكلمين في تقليد اقاويلهم المختلفة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله ولذلك منع السلف من البحث والنظر والخوض في الكلام والتفتيش عن هذه الامور وامروا الخلق ان يقتصروا على ان يؤمنوا بما انزل الله جميعا وبكل ما جاء من الظواهر مع اعتقاد نفي التشبيه ومنعوهم عن الخوض في التاويل لان الخطر في البحث عن الصفات عظيم وعقباته كؤودة ومسالكه وعرة والعقول عن درك جلال الله قاصرة وهداية الله بنور اليقين عن القلوب بما جبلت عليه من حب الدنيا محجوبة وما ذكره الباحثون ببضاعة عقولهم مضطرب ومتعارض والقلوب لما القي اليها في مبدأ النشو الفة وبه متعلقة والتعصبات الثائرة بين الخلق مسامير مؤكدة للعقائد الموروثة او الماخوذة بحسن الظن من المعلمين في اول الامر ثم الطباع بحب الدنيا مشغوفة وعليها مقبلة وشهوات الدنيا بمخنقها اخذة وعن تمام الفكر صارفة فاذا فتح باب الكلام في الله وفي صفاته بالرأي والمعقول مع تفاوت الناس في قرائحهم واختلافهم في طباعهم وحرص كل جاهل منهم على ان يدعي الكمال والاحاطة بكنه الحق انطلقت السنتهم بما يقع لكل واحد منهم وتعلق ذلك بقلوب المصغين اليهم وتأكد ذلك بطول الالف فيهم وانسد بالكلية طريق الخلاص عليهم فكانت سلامة الخلق في ان يشتغلوا بالاعمال الصالحة ولا يتعرضوا لما هو خارج عن حد طاقتهم ولكن الان قد استرخى العنان وفشا الهذيان ونزل كل جاهل على ما وافق طبعه بظن وحسبان وهو يعتقد ان ذلك علم واستيقان وانه صفو الايمان وهو يظن ان ما قنع فيه من حدس وتخمين علم اليقين وعين اليقين ولتعلمن نبأه بعد حين ويتمثل ان ينشد في هؤلاء عند كشف الغطاء

احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ولم تخف سوء ما ياتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر

واعلم يقينا ان كل من فارق الايمان الساذج بالله ورسوله وكتبه وخاض في البحث فقد تعرض لهذا الخطر ومثاله من تكسرت سفينته وهو في ملتطم الامواج يرمي به موج الى موج فربما يتفق ان يلقيه الى الساحل وذلك بعيد والهلاك اغلب عليه وكل نازل على عقيدة تلقفها من الباحثين ببضاعة عقولهم اما مع الادلة التي حرروها في تعصباتهم او دون الادلة ان كان شاكا فيه فهو فاسد الدين وان كان واثقا به فهو امن من مكر الله مغتر بعقله الناقص وكل خائض في البحث فلا ينفك عنهما الا الكاملين الا اذا جاوز حدود المعقول الى نور المكاشفة الذي يشرق في عالم الولاية والنبوة وذلك هو الكبريت الاحمر واني يتيسر وانما يسلم عن هذا الخطر البله من العوام او الذين شغلهم خوف النار بطاعة الله فلم يخوضوا في هذا الفضول فهذا احد الاسباب المخطرة في سوء الخاتمة **واما السبب الثاني** فهو ضعف الايمان في الاصل ثم استيلاء حب الدنيا على القلب ومهما ضعف الايمان ضعف حب الله وقوي حب الدنيا فيصير بحيث لا يبقى في القلب موضع لحب الله الا من حيث حديث نفس لا يظهر له اثر في مخالفة النفس والعدول عن طريق الشيطان فيورث ذلك الانهماك في اتباع الشهوات حتى يظلم القلب ويقسو ويسود وتتراكم ظلمة الذنوب على القلب ولا تزال تطفئ ما فيه من نور الايمان على ضعفه حتى يصير طبعا ورينا فاذا جاءت سكرات الموت ازداد ذلك الحب اعني حب الله ضعفا لما يبدو من استشعار فراق الدنيا وهي المحبوب الغالب على القلب فيتألم القلب باستشعار فراق الدنيا ويرى ذلك من الله فيختلج ضميره بانكار ما قدر عليه من الموت وكراهة ذلك من حيث انه من الله فيخشى ان يثور في باطنه بغض الله بدل الحب كما ان الذي يحب ولده حبا ضعيفا اذا اخذ ولده امواله التي هو احب اليه من ولده واحرقها انقلب ذلك الحب الضعيف بغضا فان اتفق زهوق نفسه في تلك اللحظة التي خطرت فيها هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء وهلك هلاكا مؤبدا والسبب الذي يفضي الى مثل هذه الخاتمة هو غلبة حب الدنيا

والركون الى الدنيا والفرح باسبابها مع ضعف الايمان الموجب لضعف حب الله فمن وجد في قلبه حب الله اغلب من حب
الدنيا وان كان يحب الدنيا ايضا فهو ابعد عن هذا الخطر وحب الدنيا راس كل خطيئة وهو الداء العضال وقد عم اصناف
الخلق وذلك كله لقلة المعرفة بالله اذ لا يحبه الا من عرفه ولهذا قال تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم
وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله
وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره فاذا من فارقته روحه في حالة خطرة الانكار على الله تعالى بباله وظهور
بغض فعل الله بقلبه في تفريقه بينه وبين اهله وماله وساير محابه فيكون موته قدوما على ما ابغضه وفراقا لما احبه فيقدم
على الله تعالى قدوم العبد المبغض الابق اذا قدم به على مولاه قهرا فلا يخفى ما يستحقه من الخزي والنكال واما الذي يتوفى
على الحب فيقدم على الله قدوم العبد المحسن المشتاق الى مولاه الذي تحمل مشاق الاعمال ووعثاء الاسفار طمعا في لقائه
فلا يخفى ما يلقاه من الفرح والسرور بمجرد القدوم فضلا عما يستحقه من لطايف الاكرام وبدايع الانعام واما الخاتمة
الثانية التي هي دون الاولى وليست مقتضية للخلود في النار فلها ايضا سببان احدهما كثرة المعاصي وان قوي الايمان والاخر
ضعف الايمان وان قلت المعاصي وذلك لان مقارفة المعاصي سببها غلبة الشهوات ورسوخها في القلب بكثرة الالف والعادة
وجميع ما الفه الانسان في عمره يعود ذكره الى قلبه عند موته فان كان ميله الاكثر الى الطاعات كان اكثر ما يحضره ذكر طاعة الله وان
كان ميله الاكثر الى المعاصي غلب ذكرها على قلبه عند الموت فربما يقبض روحه عند غلبة شهوة من شهوات الدنيا ومعصية من المعاصي
فيتقيد بها قلبه ويصير محجوبا عن الله تعالى فالذي لا يقارف الذنب الا الفينة بعد الفينة فهو ابعد عن هذا الخطر والذي
لم يقارف ذنبا اصلا فهو بعيد جدا عن هذا الخطر والذي غلبت عليه المعاصي وكانت اكثر من طاعاته وقلبه بها افرح منه
بالطاعات فهذا الخطر عظيم في حقه جدا ونعرف هذا بمثال وهو انه لا يخفى عليك ان الانسان يرى في منامه جملة من الاحوال التي عهدها
طول عمره حتى انه لا يرى الا ما يماثل مشاهداته في اليقظة وحتى ان المراهق الذي يحتلم لا يرى صورة الوقاع اذا لم يكن قد واقع
في اليقظة ولو بقي كذلك مدة لما راى عند الاحتلام صورة الوقاع ثم لا يخفى ان الذي قضى عمره في التفقه يرى من الاحوال
المتعلقة بالعلم والعلماء اكثر مما يراه التاجر الذي قضى عمره في التجارة والتاجر يرى من الاحوال المتعلقة باسباب
التجارة اكثر مما يراه الطبيب والفقيه لانه انما يظهر في حالة النوم ما حصل له مناسبة مع القلب بطول الالف
او بسبب اخر من الاسباب والموت شبه النوم ولكنه فوقه ولكن سكرات الموت وما يتقدمه من الغشية قريب
من النوم فيقتضي ذلك تذكر المالوفات وعودها الى القلب واحد الاسباب المرجحة لحصول ذكره في القلب
طول الالف فطول الالف بالمعاصي والطاعات ايضا مرجح ولذلك تخالف ايضا منامات الصالحين ومنامات الفساق
فتكون غلبة الالف سببا لان تتمثل صورة فاحشة في قلبه وتميل اليها نفسه فربما تقبض عليها روحه فيكون ذلك
سوء خاتمته وان كان اصل الايمان باقيا بحيث يرجى له الخلاص منها وكما ان ما يخطر في اليقظة انما يخطر
بسبب خاص يعلمه الله تعالى فكذلك احاد المنامات لها اسباب عند الله نعرف بعضها ولا نعرف بعضها كما انا نعلم
ان الخاطر ينتقل من الشيء الى ما يناسبه اما بالمشابهة واما بالمضادة واما بالمقارنة بان يكون قد ورد على الحس معه
اما المشابهة فبان ينظر الى جميل فيتذكر جميلا اخر واما المضادة فبان ينظر الى قبيح فيتذكر قبيحا ويتامل في شدة التفاوت
بينهما واما المقارنة فبان ينظر الى فرس قد راه من قبل مع انسان فيتذكر ذلك الانسان وقد ينتقل الخاطر
من شيء الى شيء ولا يدري وجه مناسبته له وانما يكون ذلك بواسطة وواسطتين مثل ان ينتقل من شيء الى ثالث
ومن الثالث الى شيء ثاني ولا يكون بين الثالث والاول مناسبة ولكن يكون بينه وبين الثاني مناسبة وبين الثاني والاول
مناسبة فكذلك الانتقالات للخواطر في المنام اسباب من هذا الجنس وكذا عند سكرات الموت فمن اراد ان يكف
خاطره عن الانتقال الى المعاصي والشهوات فلا طريق له الا المجاهدة طول العمر في فطام نفسه عنها وفي قمع الشهوات

من القلب فهذا هو القدر الذي يدخل تحت الاختيار ويكون طول المواظبة على الخير وتخلية الفكر عن الشر عدة وذخيرة
لحالة سكرات الموت فانه يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه ولذلك نقل عن بقال انه كان يلقن
عند الموت كلمتي الشهادة وهو يقول خمسة ستة اربعة وكان مشغول النفس بالحساب الذي طال الفه له قبل الموت
وقال بعض العارفين من السلف ان العرش جوهرة تتلالا نورا فلا يكون العبد على حالة الا انطبع مثالها في العرش على
الصورة التي كان عليها فاذا كان في سكرات الموت كشف له صورته من العرش فربما يرى نفسه على صورة معصية
وكذلك يكشف له يوم القيامة فيرى احوال نفسه فياخذه من الحياء والخوف ما يجل عن الوصف وما ذكره صحيح وسبب
الرؤيا الصادقة قريب من ذلك فان النايم يدرك ما يكون في المستقبل من مطالعة اللوح المحفوظ وهو جزء من اجزاء النبوة
فاذا رجع سوء الخاتمة الى احوال القلب واختلاج الخواطر ومقلب القلوب هو الله تعالى والاتفاقات المقتضية لسوء الخواتم
غير داخلة تحت الاختيار دخولا كليا وان كان لطول الالف فيه تاثير فبهذا عظم خوف العارفين من سوء الخاتمة لانه لو اراد
الانسان ان لا يرى في المنام الا احوال الصالحين واحوال الطاعات والعبادات عسر عليه ذلك وان كانت كثرة الصلاح والمواظبة
عليه مما يؤثر فيه ولكن اضطرابات الخيال لا تدخل بالكلية تحت الضبط وان كان الغالب مناسبة ما يظهر في النوم لما
غلب في اليقظة حتى سمعت الشيخ ابا علي الفارمذي رحمه الله يصف لي وجوب حسن ادب المريد لشيخه وانه لا
يكون في قلبه انكار لكل ما يقوله ولا في لسانه مجادلة عليه فقال حكيت لشيخي ابي القاسم الكركاني مناما لي وقلت
رايتك قلت لي كذا فقلت لم ذلك فهجرني شهرا ولم يكلمني وقال لولا انه كان في باطنك تجويز المطالبة والانكار
ما قلته لما جرى ذلك على لسانك في المنام وهو كما قال اذ قلما يرى الانسان في منامه خلاف ما يغلب في اليقظة
على قلبه فهذا هو القدر الذي يسمح بذكره في علم المعاملة من اسرار امر الخاتمة وما وراء ذلك فهو داخل في علم المكاشفة
وقد ظهر لك بهذا ان الامن من سوء الخاتمة بان ترى الاشياء كما هي عليه من غير جهل وتستوفي جميع العمر في طاعة الله من غير
معصية فان كنت تعلم ان ذلك محال او عسير فلا بد وان يغلب عليك من الخوف ما غلب على العارفين حتى يطول بسببه
بكاؤك ونياحتك ويدوم به حزنك وقلقك كما سنحكيه من احوال الانبياء والاولياء والسلف الصالحين
ليكون ذلك احد الاسباب المهيجة لنار الخوف من قلبك وقد عرفت بهذا ان اعمال العمر كلها ضايعة ان لم يسلم النفس
الاخير الذي عليه خروج الروح وان سلامته مع اضطراب امواج الخواطر مشكل جدا ولذلك كان مطرف بن عبد الله يقول
اني لا اعجب ممن هلك كيف هلك ولكني اعجب ممن نجا كيف نجا ولذلك قال حامد اللفاف اذا صعدت
الملايكة بروح المومن وقد مات على الخير والاسلام تعجبت الملايكة منه وقالوا كيف نجا من دنيا فسد فيها خيارنا وكان
الثوري يوما يبكي فقيل له على م تبكي فقال بكينا على الذنوب زمانا فالان نبكي على الاسلام وبالجملة من وقعت
سفينته في لجة البحر وهجمت عليه الرياح العاصفة واضطربت الامواج كانت النجاة في حقه ابعد من الهلاك
وقلب المومن اشد اضطرابا من السفينة وامواج الخواطر اعظم التطاما من امواج البحر وانما المخوف عند الموت خاطر سوء
يخطر فقط وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين
الجنة الا فواق ناقة فيختم له بما سبق به الكتاب ولا يتسع فواق الناقة لاعمال توجب الشقاوة بل هي الخواطر التي تضطرب
وتخطر خطور البرق الخاطف وقال سهل رايت كاني ادخلت الجنة فرايت ثلثمائة نبي فسالتهم ما اخوف ما كنتم
تخافون في الدنيا فقالوا سوء الخاتمة ولاجل هذا الخطر العظيم كانت الشهادة مغبوطا عليها وكان موت الفجاة مكروها
اما الموت فجاة فلانه ربما يتفق عند غلبة خاطر سوء واستيلايه على القلب والقلب لا يخلو عن امثالها الا ان يدفع
بالكراهة او بنور المعرفة واما الشهادة فلانها عبارة عن قبض الروح في حالة لم يبق في القلب سوى حب الله وخرج حب الدنيا
والاهل والمال والولد وجميع الشهوات عن القلب اذ لا يهجم على صف القتال موطنا نفسه على الموت الا حبا لله وطلبا

لمرضاته وبايعها دنياه بآخرته وبالإضافة الى البيع الذي بايعه الله به اذ قال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم
واموالهم بان لهم الجنة والبايع راغب عن المبيع لا محالة ويخرج حب من القلب ويجرد حب العوض المطلوب فيه ومثل
هذه الحالة قد تغلب على القلب في بعض الاحوال ولكن لا يستقر وهو كالزهوق في الروح فيه فيصعف لقتال سبيل زهوق الروح على
مثل هذه الحالة هذا ليس بقصد الغلبة والغنيمة وحسن الصيت بالشجاعة فان من هذا حاله وان قتل في المعركة
فهو بعيد عن مثل هذه الرتبة كما دلت عليه الاخبار واذا بان لك معنى سوء الخاتمة وما هو مخوف فيها فاشتغل بالاستعداد
لها فواظب على ذكر الله واخرج من قلبك حب الدنيا واحرس عن فعل المعاصي جوارحك وعن الفكر فيها قلبك واحترز
عن مشاهدة المعاصي ومشاهدة اهلها جهدك فان ذلك ايضا يؤثر في قلبك ويصرف اليه فكرك وخواطرك واياك
ان تسوف وتقول سأستعد لها اذا جاءت الخاتمة فان كل نفس من انفاسك خاتمتك اذ يمكن ان تختطف فيه روحك فراقب
قلبك في كل تطريفة واياك ان تهمله لحظة فلعل تلك اللحظة خاتمتك هذا ما دمت في يقظتك واما اذا نمت فاياك
ان تنام الا على طهارة الظاهر والباطن وان يغلبك النوم الا بعد غلبة ذكر الله تعالى على قلبك لست اقول على
لسانك فان حركة اللسان بمجردها ضعيفة الاثر واعلم قطعا انه لا يغلب عند النوم الا ما كان قبل النوم
غالبا عليه وانه لا يغلب في النوم الا ما كان غالبا قبل النوم ولا يبعث من نومك الا على ما غلب على قلبك في نومك
والموت والبعث شبه النوم واليقظة فكما لا ينام العبد الا على ما غلب عليه في يقظته ولا يستيقظ الا على ما كان
عليه في نومه فكذلك لا يموت المرء الا على ما عاش عليه ولا يحشر الا على ما مات عليه وتحقق قطعا ويقينا ان الموت
والبعث حالتان من احوالك كما ان النوم واليقظة حالتان من احوالك وآمن بهذا تصديقا باعتقاد القلب
ان لم تكن اهلا لمشاهدة ذلك بعين اليقين ونور البصيرة وراقب انفاسك ولحظاتك واياك ان تغفل
عن ذكر الله طرفة عين فانك اذا فعلت ذلك كله كنت مع ذلك في خطر عظيم فكيف اذا لم تفعل فالناس
كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على
خطر عظيم واعلم ان ذلك لا يتيسر لك ما لم تقنع من الدنيا بقدر ضرورتك وضرورتك مطعم وملبس
ومسكن والباقي كله فضول والضرورة من المطعم ما يقيم صلبك ويسد رمقك فينبغي ان يكون تناولك تناول
مضطر كاره له ولا تكون رغبتك فيه اكثر من رغبتك في قضاء حاجتك اذ لا فرق بين ادخال الطعام الى
البطن وبين اخراجه فهما ضرورتان في الجبلة وكما لا تكون قضاء الحاجة من همتك التي تشتغل بها قلبك فلا
ينبغي ان تكون تناول الطعام من همتك واعلم انه اذا كان همتك ما يدخل بطنك فقيمتك ما يخرج من بطنك
واذا لم يكن قصدك من الطعام الا التقوي على عبادة الله تعالى كقصدك من قضاء حاجتك فعلامة ذلك تظهر في
ثلاثة امور من مأكولك في وقته وقدره وجنسه اما الوقت فاقله ان تكتفي في اليوم والليلة بمرة واحدة فتواظب على
الصوم واما قدره فان لا تزيد على ثلث البطن واما جنسه فان لا تطلب اللذائذ من الاطعمة بل تقنع بما يتفق
فان قدرت على هذه الثلث وسقطت عنك مؤونة الشهوات اللذائذ قدرت بعد ذلك على ترك الشبهات وامكنك ان
لا تأكل الا من حله فان الحلال يعز ولا يفي بجميع الشهوات واما ملبسك فليكن غرضك منه دفع الحر والبرد وستر
العورة فكل ما دفع البرد عن راسك ولو قلنسوة بدانق فطلبك غيره فضول منك تضييع زمانك ويلزمك
الشغل الدايم والعناء القايم في تحصيله بالكسب مرة والطمع اخرى من الحرام والشبهة وقس بهذا ما يدفع
به الحر والبرد عن بدنك فكل ما حصل مقصود اللباس ان لم تكتف به في خساسة قدره وجنسه لم يكن لك
موقف ومرد بعده بل كنت ممن لا يملأ بطنه الا التراب وكذلك المسكن ان اكتفيت بمقصوده كفاك السماء سقفا
والارض مستقرا فان غلبك حر او برد فعليك بالمساجد فان طلبت مسكنا خاصا طال عليك واضر اليه

اكثر عمرك وعزك هو بضاعتك تسرف فيه فتصرفه من الحائط سوى كونه حائلا بينك وبين الابصار ومن السقف سوى كونه
دافعا للامطار فاخذت ترفع الحيطان وتزين السقوف فقد تورطت في مهواة بعيد رقيك منها وهكذا جميع ضرورات
امورك ان اقتصرت عليها تفرغت لله وقدرت على التزود لآخرتك والاستعداد لخاتمتك وان جاوزت حد الضرورة
الى اودية الاماني تشعبت همومك ولم يبال الله في اي واد اهلكك فاقبل هذه النصيحة ممن هو احوج الى النصيحة
منك واعلم ان متسع التدبير والتزود والاحتياط هو العمر القصير فاذا دفعته يوما بيوم في تسويفك او غفلتك اختطفك
فجاءة في غير وقت ارادتك ولم تفارقك حسرتك وندامتك فان كنت لا تقدر على ملازمة ما ارشدت اليه لضعف خوفك اذ لم
يكن فيما وصفناه من امر الخاتمة كفاية في تخويفك فانا سنورد عليك من احوال الخائفين ما نرجو ان يزيل بعض القساوة عن
قلبك فانك تتحقق ان عقل الانبيا والعلماء والاولياء وعلمهم ومكانتهم عند الله لم يكن دون عقلك وعلمك ومكانتك فتأمل
مع كلال بصيرتك وعمش عين قلبك في احوالهم لم اشتد بهم الخوف وطال بهم الحزن والبكاء حتى كان بعضهم يصعق
وبعضهم يدهش وبعضهم يسقط مغشيا عليه وبعضهم يخر ميتا الى الارض لا غرو ان كان ذلك لا يؤثر في
قلبك فان قلوب الغافلين مثل الحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه
الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون

بيان احوال الانبياء والملئكة

روت عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا تغير الهواء وهبت ريح عاصفة يتغير وجهه ويقوم ويتردد
في الحجرة ويدخل ويخرج كل ذلك خوفا من عذاب الله وقرأ صلى الله عليه وسلم آية في سورة الحاقة فصعق وقال الله تعالى وخر
موسى صعقا وراى رسول الله صلى الله عليه وسلم صورة جبريل بالابطح فصعق وروي انه صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل في الصلاة
يسمع لصدره ازيز كازيز المرجل وقال صلى الله عليه وسلم ما جاءني جبريل قط الا وهو يرعد فرقا من الجبار وقيل لما ظهر على ابليس
ما ظهر طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام يبكيان فاوحى الله تعالى اليهما ما لكما تبكيان كل هذا البكاء فقالا يا رب ما نأمن
مكرك فقال الله تعالى هكذا كونا لا تأمنا مكري وعن محمد بن المنكدر قال لما خلقت النار طارت افئدة الملئكة من اماكنها
فلما خلق بنو آدم عادت وعن انس انه صلى الله عليه وسلم سأل جبريل ما لي لا ارى ميكائيل يضحك فقال جبريل عليه السلام
ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار ويقال ان لله ملئكة لم يضحك احد منهم منذ خلقت النار مخافة ان يغضب الله
عليهم فيعذبهم وقال ابن عمر رضي الله عنه خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان الانصار فجعل يلتقط من
التمر ويأكل قال فقال يا ابن عمر ما لك لا تأكل فقلت يا رسول الله لا اشتهيه فقال لكني اشتهيه وهذا صبح رابعة لم اذق طعاما
ولم اجده ولو سألت ربي لاعطاني ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر اذا بقيت في قوم يخبئون رزق سنتهم ويضعف
اليقين قال فوالله ما برحنا ولا قمنا حتى نزلت وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم قال فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يأمرني بكنز المال ولا باتباع الشهوات من كنز دنيا يريد بها حياة فانية فان الحياة بيد
الله الا واني لا اكنز دينارا ولا درهما ولا اخبأ رزقا لغد وقال ابو الدرداء كان يسمع ازيز قلب ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام
اذا قام الى الصلاة من مسيرة ميل خوفا من ربه وقال مجاهد بكى داود عليه الصلاة والسلام اربعين يوما ساجدا لا يرفع راسه
حتى نبت المرعى من دموعه وحتى غطى راسه فنودي يا داود اجايع انت فتطعم ام ظمآن فتسقى ام عار فتكسى فنحب
بالبكاء والصراخ ثم ياخذ في ذكر الجنة والنار فتموت الهوام وطايفة من الوحوش والسباع والناس ثم ياخذ في اهوال
القيامة وفي النياحة على نفسه فيموت من كل نوع طايفة فاذا راى سليمان كثرة الموتى قال يا ابتاه قد مزقت المستمعين
كل ممزق وماتت طوايف من بني اسرائيل ومن الوحوش والهوام فيأخذ في الدعاء فبينما هو كذلك اذ ناداه بعض عباد بني اسرائيل
يا داود عجلت بطلب الجزاء على ربك قال فيخر داود مغشيا عليه فاذا نظر سليمان الى ما اصابه اتى بسرير فحمله عليه ثم
امر مناديا ينادي الا من كان له مع داود حميم او قريب فليأت بسرير فليحمله فان الذين كانوا معه قد قتلهم

ذكر الجنة والنار فكانت المرأة تأتي بالمرير وتجلس قريبا منها وتقول يا من قتله ذكر النار يا من قتله خوف الله ثم اذا افاق داود قام ووضع
يده على رأسه ودخل بيت عبادته واغلق بابه ويقول يا اله داود اغضبان انت على داود ولا يزال يناجي ربه فيأتي سليمان ويقعد على الباب
ويستأذن ثم يدخل ومعه قرص من شعير فيقول يا ابتاه تقوّ بهذا على ما تريد فيأكل من ذلك القرص ما شاء الله ثم يخرج الى بني اسرائيل فيكون بينهم
وقال يزيد الرقاشي خرج داود ذات يوم بالناس يعظهم ويخوفهم فخرج في اربعين الفا فمات منهم ثلاثون الفا وما رجع الا في عشرة آلاف
قال وكان له جاريتان اتخذهما حتى اذا جاءه الخوف وسقط واضطرب قعدتا على صدره وعلى رجليه مخافة ان تتفرق اعضاؤه ومفاصله فيموت
وقال ابن عمر رضي الله عنهما دخل يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام بيت المقدس وهو ابن ثماني حجج فنظر الى العباد قد لبسوا مدارع
الشعر والصوف ونظر الى مجتهديهم قد خرقوا التراقي وسلكوا فيها السلاسل وشدوا انفسهم الى اطراف بيت المقدس فهاله ذلك فرجع
الى ابويه فمر بصبيان يلعبون فقالوا له يا يحيى هلم بنا نلعب فقال اني لم اخلق للعب قال فأتى ابويه فسألهما ان يدرعاه الشعر
ففعلا ثم رجع الى بيت المقدس فكان يخدمه نهارا ويصبح فيه ليلا حتى اتت عليه خمس عشرة سنة فخرج ولزم اطراف الارض وغيران الشعاب
فخرج ابواه في طلبه فادركاه على بحيرة الاردن وقد انقع رجليه في الماء وقد كاد العطش يذبحه وهو يقول وعزتك وجلالك لا اذوق
بارد الشراب حتى اعلم اين مكاني منك فسأله ابواه ان يفطر على قرص كان معهما من شعير ويشرب من ذلك الماء ففعل وكفّر عن يمينه فمدح
بالبر فرده ابواه الى بيت المقدس فكان اذا قام يصلي بكى حتى يبكي معه الشجر والمدر ويبكي زكريا عليه الصلاة والسلام لبكائه حتى يغمى عليه فلم يزل
يبكي حتى خرقت دموعه لحم خديه وبدت اضراسه للناظرين فقالت له امه يا بني لو اذنت لي ان اتخذ لك شيئا تواري به اضراسك
عن الناظرين فاذن لها فعمدت الى قطعتي لبود فألصقتهما على خديه فكان اذا قام يصلي بكى فاذا استنقعت دموعه في القطعتين
اتت اليه امه فعصرتهما فاذا رأى دموعه تسيل على ذراعي امه قال اللهم هذه دموعي وهذه امي وانا عبدك وانت ارحم الراحمين فقال له
زكريا عليه السلام يوما يا بني انما سألت ربي ان يهبك لي لتقر عيني بك فقال يحيى يا ابت ان جبريل اخبرني ان بين الجنة والنار مفازة
لا يقطعها الا كل بكاء فقال زكريا عليه السلام فابك يا بني وقال عيسى عليه الصلاة والسلام معاشر الحواريين خشية الله وحب الجنة يورثان
الصبر على المشقة ويباعدان من الدنيا وبحق اقول لكم ان اكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب في طلب الفردوس قليل وقيل ان الخليل
عليه الصلاة والسلام اذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا في ميل فيأتيه جبريل فيقول له الجبار يقرئك السلام ويقول
هل رأيت خليلا يخاف خليله فيقول يا جبريل اني اذا ذكرت خطيئتي نسيت خلتي فهذه احوال الانبياء عليهم السلام فدونك والتأمل
فيها فانهم اعرف خلق الله بالله تعالى وبصفاته

بيان أحوال الصحابة والتابعين

والسلف الصالحين في شدة الخوف روي ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه قال لطائر ليتني مثلك يا طائر ولم اخلق بشرا وقال
ابوذر وددت اني شجرة تعضد وكذا قال طلحة وقال عثمان وددت اني اذا مت لم ابعث وقالت عائشة وددت لو كنت نسيا
منسيا وروي ان عمر رضي الله عنه كان يسقط من الخوف اذا سمع آية من القرآن مغشيا عليه فكان يعاد اياما واخذ يوما تبنة من الارض
فقال يا ليتني كنت هذه التبنة يا ليتني لم اك شيئا مذكورا يا ليتني كنت نسيا منسيا يا ليتني لم تلدني امي وكان في وجه عمر رضي الله عنه
خطان اسودان من الدموع وقال عمر رضي الله عنه من خاف الله لم يشف غيظه ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد ولولا يوم القيامة
لكان غير ما ترون ولما قرأ عمر رضي الله عنه اذا الشمس كورت فانتهى الى قوله واذا الصحف نشرت خر مغشيا عليه ومر يوما بدار
انسان وهو يصلي ويقرأ سورة والطور فوقف يستمع فلما بلغ قوله ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع نزل عن حماره واستند الى حائط ومكث زمانا
ورجع الى منزله فمرض شهرا يعوده الناس ولا يدرون ما مرضه وقال علي كرم الله وجهه وقد سلم من صلاة الفجر وقد علاه كآبة وهو
يقلب يده لقد رأيت اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فلم ار اليوم شيئا يشبههم لقد كانوا يصبحون شعثا صفرا غبرا بين اعينهم امثال
ركب المعزى قد باتوا لله سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين جباههم واقدامهم فاذا اصبحوا ذكروا الله مادوا كما يميد
الشجر في يوم الريح وهملت اعينهم بالدموع حتى تبل ثيابهم والله لكأني بالقوم باتوا غافلين ثم قام فما رؤي بعد ذلك ضاحكا حتى ضربه
ابن ملجم وقال عمران بن حصين لوددت اني رماد تسفيني الرياح في يوم عاصف وقال ابو عبيدة بن الجراح وددت اني كبش فيذبحني اهلي فيأكلون

لحمي ويحسون مرقي وكان علي بن الحسين اذا توضأ اصفر لونه فيقول له اهله ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء فيقول اتدرون
بين يدي من اريد ان اقوم وقال موسى بن مسعود كنا اذا جلسنا الى الثوري كأن النار قد احاطت بنا لما نرى من خوفه وجزعه وقرأ حمزة
القاري يوما هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق الآية فنظر عبد الواحد بن زيد حتى غشي عليه ثم افاق وقال وعزتك لا عصيتك جهدي ابدا
فاعني بتوفيقك على طاعتك وكان المسور بن مخرمة لا يقوى ان يسمع القرآن من شدة خوفه ولقد كان يقرأ عنده الحرف او الآية
فيصيح الصيحة فما يعقل اياما حتى اتى عليه رجل من خثعم فقرأ عليه يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا
فقال انا من المجرمين ولست من المتقين اعد علي القول ايها القاري فاعاده عليه فشهق شهقة فلحق بالآخرة وقرئ عند يحيى البكاء
ولو ترى اذ وقفوا على ربهم فصاح صيحة ومكث منها مريضا اربعة اشهر يعاد من اطراف البصرة وقال مالك بن دينار بينا انا
اطوف بالبيت اذا انا بجويرية متعبدة متعلقة باستار الكعبة وهي تقول يا رب ذهبت اللذات وبقيت التبعات يا رب
اما كان لك ادب وعقوبة الا النار وتبكي فما زال ذلك مقامها حتى طلع الفجر قال مالك فلما رأيت ذلك وضعت يدي على
رأسي صارخا اقول ثكلت مالكا امه وروي ان الفضيل رؤي يوم عرفة والناس يدعون وهو يبكي بكاء الثكلى المحترقة
حتى اذا كادت الشمس تغرب قبض على لحيته ثم رفع رأسه الى السماء وقال واسوأتاه منك وان عفوت ثم انقلب مع الناس
وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن الخائفين فقال قلوبهم بالخوف قرحة واعينهم باكية يقولون كيف نفرح والموت من ورائنا والقبر
امامنا والقيامة موعدنا وعلى جهنم طريقنا وبين يدي ربنا موقفنا ومر الحسن بشاب وهو مستغرق في ضحكه وهو جالس
مع قوم في مجلس فقال له الحسن يا فتى هل مررت بالصراط قال لا قال وهل تدري الى الجنة تصير ام الى النار قال لا قال فما هذا الضحك قال
فما رؤي ذلك الفتى بعدها ضاحكا وكان حماد بن عبد ربه اذا جلس جلس مستوفزا على قدميه فيقال له لو اطمأننت فيقول تلك جلسة الآمن
وانا غير آمن اذ عصيت الله عز وجل وقال عمر بن عبد العزيز انما جعل الله هذه الغفلة في قلوب العباد رحمة كي لا يموتوا من خشية الله
وقال مالك بن دينار لقد هممت اذا انا مت ان آمرهم ان يقيدوني ويغلوني ثم ينطلقوا بي الى ربي كما ينطلق بالعبد الآبق الى سيده
وقال حاتم الاصم لا تغتر بموضع صالح فلا مكان اصلح من الجنة وقد لقي آدم عليه الصلاة والسلام فيها ما لقي ولا تغتر بكثرة العبادة فان ابليس
بعد طول العبادة لقي ما لقي ولا تغتر بكثرة العلم فان بلعام كان يحسن اسم الله الاعظم فانظر ماذا لقي ولا تغتر برؤية الصالحين فلا
شخص اكبر منزلة عند الله من المصطفى صلى الله عليه وسلم ولم ينتفع بلقائه اقاربه واعداؤه وقال السري اني لانظر الى انفي كل يوم مرات
مخافة ان يكون قد اسود وقال جعفر منذ اربعين سنة اعتقادي في نفسي ان الله تعالى ينظر الي نظر السخط واعمالي تدل عليه
وخرج ابن المبارك يوما على اصحابه فقال اني اجترأت على الله البارحة سألته الجنة وقالت ام محمد بن كعب القرظي لابنها يا بني اني اعرفك
صغيرا طيبا وكبيرا طيبا وكأنك احدثت حدثا موبقا لما اراك تصنع في ليلك ونهارك فقال يا اماه ما يؤمنني ان يكون الله تعالى قد
اطلع علي وانا في بعض ذنوبي فمقتني وقال وعزتي لا اغفر لك وقال الفضيل اني لا اغبط نبيا مرسلا ولا ملكا مقربا ولا
عبدا صالحا اليس هؤلاء يعاينون يوم القيامة انما اغبط من لم يخلق وروي ان فتى من الانصار دخلته خشية النار فكان
يبكي حتى حبسه ذلك في البيت فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم فدخل عليه واعتنقه فخر ميتا فقال النبي صلى الله عليه وسلم جهزوا صاحبكم فان الفرق
من النار فتت كبده وروي عن ابن ابي ميسرة انه كان اذا اوى الى فراشه قال يا ليت امي لم تلدني فقالت امه يا ميسرة
ان الله تعالى قد احسن اليك هداك للاسلام قال اجل ولكن قد بين لنا انا واردوا النار ولم يبين لنا انا صادرون عنها
وقيل لفرقد السبخي اخبرنا باعجب شيء بلغك عن بني اسرائيل فقال بلغني انه دخل بيت المقدس خمسمائة عذراء لباسهن الصوف
والمسوح فذكرن ثواب الله تعالى وعقابه فمتن جميعا في يوم واحد وكان عطاء السليمي من الخائفين ولم يكن يسأل الله تعالى
الجنة ابدا وكان يسأل العفو وقيل له في مرضه الا تشتهي شيئا فقال ان خوف جهنم لم يدع في قلبي موضعا للشهوة ويقال انه ما رفع رأسه
الى السماء ولا ضحك اربعين سنة وانه رفع رأسه يوما ففزع فسقط فانفتق في بطنه فتق وكان يمس جسده في بعض الليالي مخافة
ان يكون قد مسخ وكان اذا اصابتهم ريح او برق او غلاء الطعام قال هذا من اجلي يصيبكم لو مات عطاء لاستراح الناس وقال عطاء خرجنا

بيان احوال الصحابة والتابعين رضي الله تعالى عنهم

مع عقد الغلام رفقنا الحول وشبان يصلون صلاة الفجر بطهور العشاء قد تورمت اقدامهم من طول القيام وغارت اعينهم في
رؤسهم ولصقت جلودهم على عظامهم وبقيت العروق كانها اوتار يبيسون كان جلودهم قشور البطيخ وكانهم قد خرجوا من القبور *
يخبرون كيف اكرم الله المطيعين * وكيف اهان العاصين * فبينما هم يمشون اذ مر منهم رجل بمكان فخر مغشيا عليه فجلس اصحابه حوله
يبكون في يوم شديد البرد وجبينه يرشح عرقا فجاؤا بماء فمسحوا وجهه فافاق وسألوه عن امره فقال انى ذكرت انى كنت عصيت
الله في ذلك المكان وقال صالح المري قرأت على رجل من المتعبدين يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا
فصعق ثم افاق فقال زدني يا صالح فاني اجد غما فقرأت كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها فخر ميتا * وروي ان زرارة بن اوفى
صلى بالناس الغداة فلما قرأ فاذا نقر في الناقور خر مغشيا عليه فحمل ميتا * ودخل يزيد الرقاشي على عمر بن عبد العزيز فقال عظني يا يزيد فقال
يا امير المؤمنين ليس بينك وبين آدم اب الا ميت فبكى وقال زدني يا يزيد فقال يا امير المؤمنين ليس بينك وبين الجنة والنار منزل
فسقط مغشيا عليه وقال ميمون بن مهران لما نزلت هذه الآية وان جهنم لموعدهم اجمعين صاح سلمان الفارسي
ووضع يده على راسه ثم خرج هاربا ثلاثة ايام لا يقدر عليه ورأى داود الطائي امرأة تبكي على رأس قبر ولدها وهي
تقول يا ابناه ليت شعري اي خديك بدأ به الدود اولا فصعق داود وسقط مكانه وقيل مرض سفيان الثوري
فعرض دليله على طبيب ذمي فقال هذا رجل قطع الخوف كبده ثم جاء وجس عرقه ثم قال ما علمت ان في الحنيفية مثله
وقال احمد بن حنبل رحمه الله سألت الله عز وجل ان يفتح علي بابا من الخوف ففتح فخشيت على عقلي فقلت يا رب على قدر ما اطيق
فسكن قلبي وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم احدكم لصرخ
حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينكسر صلبه وكانه اشار الى معنى قوله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم
قليلا ولبكيتم كثيرا وقال العنبري اجتمع اصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض فاطلع عليهم من كوة وهو
يبكي ولحيته ترجف فقال عليكم بالقرآن عليكم بالصلاة ويحكم ليس هذا زمان حديث انما هذا
زمان بكاء وتضرع واستكانة ودعاء كدعاء الغريق انما هذا زمان احفظ لسانك واخف مكانك وعالج
قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر ورؤي الفضيل يوما وهو يمشي فقيل له الى اين فقال لا ادري وكان يمشي
والهًا من الخوف وقال ذر بن عمر لابيه عمر بن ذر ما بال المتكلمين يتكلمون فلا يبكي احد فاذا تكلمت
سمعت البكاء من كل جانب فقال يا بني ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستاجرة وحكي ان قوما
وقفوا بعابد وهو يبكي فقالوا ما الذي يبكيك يرحمك الله قال روعة يجدها الخائفون في قلوبهم قالوا وما هي
قال روعة النداء بالعرض على الله تعالى وكان الخواص يبكي ويقول في مناجاته قد كبرت وضعف جسمي عن
خدمتك فاعتقني وقال صالح المري قدم علينا ابن السماك مرة فقال ارني شيئا من بعض عجائب
عبادكم فذهبت به الى رجل في بعض الاحياء في خص له يعظ فاستأذنا عليه فاذا رجل يعمل خوصا فقرأت اذ الاغلال
في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون فشهق الرجل شهقة وخر مغشيا عليه فخرجنا من عنده وتركناه
على حاله وذهبنا الى آخر فدخلنا فقرأت هذه الآية فشهق شهقة وخر مغشيا عليه واستأذنا على ثالث فقال
ادخلوا ان لم تشغلونا عن ربنا فقرأت ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد فشهق شهقة فبدا الدم من منخريه وجعل
يتشحط في دمه حتى يبس فتركناه على حاله وخرجنا فادرته على ستة انفس كلا نخرج من عنده ونتركه مغشيا عليه
ثم اتيت به السابع فاستأذنا فاذا امرأة من وراء الخص تقول ادخلوا فدخلنا فاذا شيخ فان جالس في مصلاه
فسلمنا عليه فلم يشعر بسلامنا فقلت بصوت عال ان للخلق غدا مقاما فقال الشيخ بين يدي من ويحك ثم بقي
مبهوتا فاتحا فاه شاخصا بصره يصيح بصوت له ضعيف اوه اوه حتى انقطع ذلك الصوت فقالت
امرأته اخرجوا فانكم لا تنتفعون به الساعة فلما كان بعد ذلك سألت عن القوم فاذا ثلاثة قد افاقوا وثلاثة قد

لحقوا بالله واما الشيخ فانه مكث ثلاثة ايام على حالته مبهوتا متحيرا لا يؤدي فرضا فلما كان بعد ثلاث عقل
وكان يزيد بن الاسود يرى انه من الابدال وكان قد حلف انه لا يضحك ابدا ولا ينام مضطجعا ولا يأكل سمينا ابدا
فما رؤي ضاحكا ولا مضطجعا ولا آكلا سمينا حتى مات رحمه الله وقال الحجاج لسعيد بن جبير بلغني انك
لم تضحك قط فقال كيف اضحك وجهنم قد سعرت والاغلال قد نصبت والزبانية قد اعدت وقال
رجل للحسن يا ابا سعيد كيف اصبحت قال بخير قال كيف حالك فتبسم الحسن وقال تسألني عن حالي ما ظنك
بناس ركبوا سفينة حتى توسطوا البحر فانكسرت سفينتهم فتعلق كل انسان منهم بخشبة على اي حال هم قال
الرجل على حالة شديدة قال الحسن حالي اشد من حالهم ودخلت مولاة لعمر بن عبد العزيز على عمر رحمه الله تعالى
فسلمت عليه ثم قامت الى المسجد في بيته فصلت فيه ركعتين وغلبتها عيناها فرقدت فاستبكت في منامها
فقالت يا امير المؤمنين اني رأيت والله عجبا قال وما ذاك قالت رأيت النار وهي تزفر على اهلها
ثم جيء بالصراط فوضع على متنها فقال هيه قالت فجيء بعبد الملك بن مروان فحمل عليه فما مضى عليه الا يسيرا
حتى انكفأ به الصراط فهوى الى جهنم قال هيه قالت ثم جيء بالوليد بن عبد الملك فحمل عليه فما مضى الا يسيرا
حتى انكفأ به الصراط فهوى فقال هيه قالت ثم جيء بسليمان بن عبد الملك فما مضى عليه الا يسيرا حتى
انكفأ به الصراط فهوى قال عمر هيه قالت ثم جيء بك والله يا امير المؤمنين فصاح عمر رحمه الله صيحة خر مغشيا
عليه فقامت اليه فجعلت تنادي في اذنه يا امير المؤمنين اني رأيتك والله قد نجوت اني رأيتك والله قد
نجوت قال وهي تنادي وهو يصيح ويفحص برجله وحكي ان اويس القرني رحمه الله كان يحضر عند
القاص فيبكي من كلامه فاذا ذكر النار صرخ اويس ثم يقوم منطلقا فيتبعه الناس فيقولون مجنون مجنون وقال معاذ بن جبل
رضي الله عنه ان المؤمن لا تسكن روعته حتى يخلف جسر جهنم وراءه وكان طاووس يفرش له الفراش فيضطجع فيتقلى كما تتقلى الحبة
في المقلى ثم يثب فيدرجه ويستقبل القبلة حتى الصباح ويقول طير ذكر جهنم نوم الخائفين وقال الحسن البصري رحمه الله
يخرج من النار رجل بعد الف عام وليتني كنت ذلك الرجل وانما قال ذلك لخوفه من الخلود وسوء الخاتمة وروي انه ما ضحك اربعين سنة
قال وكنت اذا رأيته قاعدا كانه اسير قد قدم ليضرب عنقه واذا تكلم كانه يعاين الآخرة فيخبر عن مشاهدتها واذا
سكت كان النار تسعر بين عينيه وعوتب في شدة حزنه فقال ما يؤمنني ان يكون الله تعالى قد اطلع علي في بعض ما يكره فمقتني
فقال اذهب فلا غفرت لك فانا اعمل في غير معتمل وعن ابن السماك قال وعظت يوما في مجلس فقام شاب من القوم فقال يا ابا
العباس لقد وعظت اليوم بكلمة ما كنا نبالي ان لا نسمع غيرها قلت وما هي رحمك الله قال قولك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلودين
اما في الجنة او في النار ثم غاب عني فتفقدته في المجلس الثاني فلم اره فسألت عنه فاخبرت انه مريض يعاد فاتيته اعوده فقلت يا اخي ما
الذي ارى بك فقال يا ابا العباس ذلك من قولك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلودين اما في الجنة او في النار قال ثم مات رحمه الله
فرأيته في المنام فقلت له يا اخي ما صنع الله بك قال غفر لي ورحمني وادخلني الجنة قلت بماذا قال بالكلمة فهذه مخاوف الانبياء
والاولياء والعلماء ونحن اجدر بالخوف منهم لكن ليس الخوف بكثرة الذنوب بل بصفاء القلوب وكمال المعرفة والا فليس امننا
لقلة ذنوبنا وكثرة طاعتنا بل قادتنا شهوتنا وغلبت علينا شقوتنا وصدتنا عن ملاحظة احوالنا غفلتنا وقسوتنا فلا
قرب الرحيل ينبهنا ولا كثرة الذنوب تحركنا ولا مشاهدة احوال الخائفين تخوفنا ولا خطر الخاتمة يزعجنا فنسأل الله تعالى
ان يتدارك بفضله وجوده احوالنا فيصلحنا انا لا نحرك اللسان بمجرد السؤال دون الاستعداد ينفعنا ومن
العجائب انا اذا اردنا المال في الدنيا زرعنا وغرسنا واتجرنا وركبنا البحار والبراري وخاطرنا وان اردنا طلب
رتبة العلم تفقهنا وتعبنا في حفظه وتكراره وسهرنا ونجتهد في طلب قوتنا ولا نثق بضمان الله لنا ولا
نجلس في بيوتنا فنقول اللهم ارزقنا ثم اذا طمحت اعيننا نحو الملك الدائم المقيم قنعنا بان نقول اللهم اغفر لنا

وارحمنا والذي اليه رجاؤنا وبه اغترارنا ينادينا ويقول وان ليس للانسان الا ما سعى ولا يغرنكم بالله الغرور ويا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم ثم كل ذلك لا ينبهنا ولا يحركنا عن اودية غرورنا وامانينا فما هذه الا محنة هائلة ان لم يتفضل الله علينا بتوبة نصوح يتداركنا بها ويجبرنا فنسال الله تعالى ان يتوب علينا بل نساله ان يشوق الى التوبة سرائر قلوبنا وان لا يجعل حركة اللسان بسؤال التوبة غاية حظنا فنكون ممن يقول ولا يعمل ويسمع ولا يقبل اذا سمعنا الوعظ بكينا واذا جاء وقت العمل بما سمعناه عصينا فلا علامة للخذلان اعظم من هذا فنسال الله تعالى ان يمن بالتوفيق والرشد علينا بمنه وفضله ولنقتصر من حكاية احوال الخائفين على ما اوردنا فان القليل من هذا يصادف القلب القابل فيكفي والكثير منه وان افيض على القلب الغافل فلا يغني ولقد **صدق الراهب** الذي حكى عنه عيسى بن مالك الخولاني وكان من خيار العباد انه راه على باب بيت المقدس واقفا كهيئة المحزون من شدة الوله ما يكاد يرقى دمعه من كثرة البكاء وقال عيسى فلما رايته هالني منظره فقلت ايها الراهب اوصني بوصية احفظها عنك فقال يا اخي بماذا اوصيك ان استطعت ان تكون بمنزلة رجل قد احتوشته السباع والهوام فهو خائف حذر يخاف ان يغفل فتفترسه السباع او يسهو فتنهشه الهوام فهو مذعور القلب وجل القلب في المخافة في ليله وان امن المغترون وفي الحزن في نهاره وان فرح البطالون ثم ولى وتركني فقلت لو زدتني شيئا عسى ان ينفعني فقال الظمآن يجزيه من الماء ايسره وقد صدق فان القلب الصافي يحركه ادنى مخافة والقلب الجامد تنبو عنه كل المواعظ وما ذكره من تقديره انه احتوشته السباع والهوام فلا ينبغي ان تظن انه تقدير بل هو تحقيق فانك لو شاهدت بنور البصيرة باطنك لرايته مشحونا باصناف السباع وانواع الهوام مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب والرياء وغيرها وهي التي لا تزال تفترسك وتنهشك ان سهوت عنها في لحظة الا انك محجوب العين عن مشاهدتها فاذا انكشف الغطاء ووضعت في قبرك عاينتها وقد تمثلت لك بصورها واشكالها الموافقة لمعانيها فترى بعينك العقارب والحيات قد احدقت بك في قبرك وانما هي صفاتك الحاضرة الآن قد انكشفت لك صورها فان اردت ان تقتلها وتقهرها وانت قادر عليها قبل الموت فافعل والا فوطن نفسك على لدغها ونهشها لصميم قلبك فضلا عن ظاهر بشرتك وجسدك والسلام تم كتاب الرجاء والخوف تلوه كتاب الفقر والزهد

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي تسبح له الرمال وتسجد له الظلال وتندكدك من هيبته الجبال خلق الانسان من الطين اللازب والصلصال وزين صورته باحسن تقويم واتم اعتدال وعطر قلبه بنور الهداية من ورطات الضلال واذن له في قرع باب الخدمة بالغدو والآصال ثم كحل بصيرته بنور البصيرة حتى لاحظ بمناشئ حضرة الجلال فلاح له من البهجة والبهاء والجمال ما استقبح دونه مبادي اشراقه كل جمال فاستثقل ما صرفه عن مشاهدته وملازمته غاية الاستثقال وتمثل له ظاهر الدنيا في صورة امراة جميلة تميس وتختال وانكشف له باطنها عن عجوز شوهاء محنكة من طينة الخزي وضربت في قالب النكال وهي متلفعة بجلبابها تخفي قبائح اسرارها بلطائف السحر والاحتيال وقد نصبت حبائلها في مدارج الرجال لتقتنصهم بضروب المكر والاغتيال ثم لا تجري معهم بالخلف في مواعيد الوصال بل تقيدهم مع قطع الوصال بالسلاسل والاغلال وتبليهم بانواع البلايا والاهوال فلما انكشف للعارفين قبائح منها الاسرار والافعال زهدوا فيها زهد المبغض لها فتركوا التفاخر والتكاثر بالاموال واقبلوا بكنه هممهم على حضرة الجلال واكتفوا منها بوصال ليس له انفصال ومشاهدة ابدية لا يعتريها فناء ولا زوال والصلاة على سيد الانبياء وعلى آله خير آل **اما بعد** فان الدنيا عدوة لله تعالى

بغروره ضل من ضل وبمكره زل من زل فحبها راس الخطايا والسيئات وبغضها ام الطاعات واس الحسنات وقد استقصينا ما يتعلق بوصفها وذم الحب لها في كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات ونحن الآن نذكر فضل البغض لها والزهد فيها فانه راس المنجيات فلا مطمع في النجاة الا بالانقطاع عن الدنيا والبعد منها ولكن مقاطعتها اما ان يكون بانزوائها عن العبد ويسمى ذلك فقرا واما بانزواء العبد عنها ويسمى ذلك زهدا ولكل واحد منهما درجة في نيل السعادات وحظ في الاعانة على الفوز والنجاة ونحن الآن نذكر حقيقة الفقر والزهد ودرجاتهما واقسامهما وشروطهما واحكامهما ونذكر الفقر في شطر من الكتاب والزهد في شطر آخر منه ونبدا بذكر الفقر

الشطر الاول من الكتاب في الفقر

وفيه بيان حقيقة الفقر وبيان فضيلة الفقر مطلقا وبيان فضيلة خصوص الفقراء وبيان فضل الفقر على الغنى وبيان ادب الفقير في فقره وبيان ادبه في قبول العطاء وبيان تحريم السؤال بغير ضرورة وبيان مقدار الغنى المحرم للسؤال وبيان احوال السائلين

بيان حقيقة الفقر واختلاف احوال الفقير واساميه

اعلم ان الفقر عبارة عن فقد ما هو محتاج اليه فاما فقد ما لا حاجة اليه فلا يسمى فقرا وان كان المحتاج اليه موجودا مقدورا عليه لم يكن المحتاج فقيرا واذا فهمت هذا لم تشك في ان كل موجود سوى الله تعالى فهو فقير لانه محتاج الى دوام الوجود في ثاني الحال ودوام وجوده مستفاد من فضل الله وجوده فان كان في الوجود موجود ليس وجوده مستفادا له من غيره فهو الغني المطلق ولا يتصور ان يكون مثل هذا الموجود الا واحدا فليس في الوجود الا غني واحد وكل من عداه فانهم محتاجون اليه ليمد وجودهم بالدوام والى هذا الحصر اشار بقوله تعالى والله الغني وانتم الفقراء هذا معنى الفقر مطلقا ولكنا لسنا نقصد بيان الفقر المطلق بل الفقر من المال على الخصوص والا ففقر العبد بالاضافة الى اصناف حاجاته لا ينحصر لان حاجاته لا حصر لها ومن جملة حاجاته ما يتوصل اليها بالمال وهو الذي نريد الآن بيانه فقط فنقول كل فاقد للمال فانا نسميه فقيرا بالاضافة الى المال الذي فقده اذا كان ذلك المفقود محتاجا اليه في حقه ثم يتصور ان يكون له خمسة احوال عند الفقد ونحن نميزها ونخص كل حالة باسم ليتوصل بالتمييز الى ذكر احكامها **الحالة الاولى** وهي العليا ان يكون بحيث لو اتاه المال لكرهه وتاذى به وهرب من اخذه مبغضا له ومحترزا من شره وشغله وهو الزهد واسم صاحبه الزاهد **الحالة الثانية** ان يكون بحيث لا يرغب فيه رغبة يفرح بحصوله ولا يكرهه كراهة يتاذى بها ويزهد فيه لو اتاه وصاحب هذه الحالة يسمى راضيا **الثالثة** ان يكون وجود المال احب اليه من عدمه لرغبة له فيه ولكن لم يبلغ من رغبته ان ينهض لطلبه بل ان اتاه صفوا عفوا اخذه وفرح به وان افتقر الى تعب في طلبه لم يشتغل به وصاحب هذه الحالة نسميه قانعا اذ قنع نفسه بالموجود حتى ترك الطلب مع ما فيه من الرغبة الضعيفة **الرابعة** ان يكون تركه الطلب لعجزه والا فهو راغب فيه رغبة لو وجد سبيلا الى طلبه ولو بالتعب لطلبه وهو مشغول بالطلب وصاحب هذه الحالة نسميه بالحريص **الخامسة** ان يكون ما فقده من المال مضطرا اليه كالجائع الفاقد للخبز والعاري الفاقد للثوب ويسمى صاحب هذه الحالة مضطرا كيف ما كانت رغبته في الطلب اما ضعيفة واما قوية وقلما تنفك هذه الحالة عن الرغبة فهذه خمسة احوال اعلاها الزهد والاضطرار ان انضم اليه الزهد وتصور ذلك فهو اقصى درجات الزهد كما سياتي ووراء هذه الاحوال الخمس حالة هي اعلى من الزهد وهو ان يستوي عنده وجود المال وفقده فان وجده لم يفرح به ولم يتاذ وان فقده فكذلك بل حاله مثل حال عائشة رضي الله عنها اذ اتاها مائة الف درهم من العطاء فاخذتها وفرقتها في يومها فقالت خادمتها لو اشتريت لنا بدرهم لحما فقالت لو ذكرتني لفعلت فمن هذا حاله فلو كانت الدنيا بحذافيرها في يده وخزائنه لم تضره اذ هو يرى الاموال في خزانة الله تعالى لا في يد نفسه فلا يفرق بين ان يكون في يده او في يد غيره وينبغي ان يسمى صاحب هذه الحالة المستغني لانه غني عن فقد المال ووجوده جميعا وليفهم من هذا الاسم معنى يفارق اسم الغني المطلق

على الله تعالى وعلى من كثر ماله من العباد فان من كثر ماله من العباد وهو يفرح به فهو فقير الى بقاء المال في يده وانما هو
غني عن دخول المال في يده لا عن بقائه فهو اذاً فقير من وجه واما هذا الشخص فهو غني عن دخول المال في يده وعن
بقائه في يده وخروجه من يده ايضا فانه ليس يتأذى به ليحتاج الى اخراجه وليس يفرح به ليحتاج الى ابقائه وليس
فاقدا له ليحتاج الى الدخول في يده فغناه اذاً اعم فهو اقرب الى الغني الذي هو وصف الله تعالى وانما قرب العبد من الله
بقرب الصفات لا بقرب المكان ولكنا لا نسمي صاحب هذه الحالة غنيا بل مستغنيا ليبقى الغني اسما لمن له الغنى المطلق
عن كل شيء وهو الله تعالى واما هذا العبد فانه استغنى عن المال وجودا وعدما فلم يستغن عن اشياء سواه ولم يستغن
عن مدد توفيق الله له ليبقى استغناؤه الذي زين الله به قلبه فان القلب المقيد بحب المال رقيق والمستغني عنه حر والله
تعالى هو الذي اعتقه عن هذا الرق فهو محتاج الى دوام هذا العتق والقلوب متقلبة بين الرق والحرية في اوقات
متقاربة لانها بين اصبعين من اصابع الرحمن فلذلك لم يكن اسم الغني مطلقا عليه مع هذا الكمال الا مجازا **واعلم**
ان الزهد درجة هي كمال الابرار وصاحب هذه الحالة من المقربين فلا جرم صار الزهد في حقه نقصانا اذ حسنات
الابرار سيئات المقربين وهذا لان الكاره للدنيا مشغول بالدنيا كما ان الراغب فيها مشغول بها والشغل بما سوى الله حجاب
عن الله تعالى اذ لا بعد بينك وبين الله تعالى حتى يكون البعد حجابا فانه اقرب اليك من حبل الوريد وليس هو في مكان
حتى تكون السموات والارض حجابا بينك وبينه فلا حجاب بينك وبينه الا شغلك بغيره وشغلك بنفسك وشهواتك
شغل بغيره وانت لا تزال مشغولا بنفسك وبشهوات نفسك فلذلك لا تزال محجوبا عنه فالمشغول بحب نفسه مشغول
عن الله والمشغول ببغض نفسه ايضا مشغول عن الله بل كل ما سوى الله مثاله مثال الرقيب الحاضر في مجلس يجمع العاشق والمعشوق
فان التفت قلب العاشق الى الرقيب والى بغضه واستثقاله وكراهة حضوره فهو في حالة اشتغال قلبه ببغضه
مصروف عن التلذذ بمشاهدة معشوقه ولو استغرقه العشق لغفل عن غير المعشوق ولم يلتفت اليه كما ان النظر الى غير المعشوق
لحبه عند حضور المعشوق شرك في العشق ونقص فيه فكذلك النظر الى غيره لبغضه شرك فيه ونقص ولكن احدهما اخف من الاخر بل الكمال
في ان لا يلتفت القلب الى غير المحبوب بغضا وحبا فانه كما لا يجتمع في القلب حبان في حالة واحدة فلا يجتمع ايضا بغض
وحب في حالة واحدة فالمشغول ببغض الدنيا غافل عن الله وهو في غفلته سالك في طريق القرب اذ يرجى له ان ينتهي حاله
الى ان تزول هذه الغفلة وتتبدل بالشهود فالكمال له مرتقب لان بغض الدنيا مطية توصل الى الله فالمحب والمبغض مثالهما مثال رجلين
في طريق الحج مشغولين بركوب الناقة وعلفها وتسييرها ولكن احدهما مستدبر الكعبة والاخر مستقبل لها فهما سيان بالاضافة
الى الحال في ان كل واحد منهما محجوب عن الكعبة ومشغول عنها ولكن حال المستقبل محمود بالاضافة الى المستدبر اذ يرجى له الوصول
اليها وليس محمودا بالاضافة الى المعتكف في الكعبة والملازم لها الذي لا يخرج منها حتى يفتقر الى الاشتغال بالدابة في الوصول
اليها فلا ينبغي ان تظن ان بغض الدنيا مقصود في عينه بل الدنيا عائق عن الله تعالى ولا وصول اليه
الا بدفع العائق ولذلك **قال** ابو سليمان الداراني من زهد في الدنيا واقتصر عليه فقد استعجل الراحة بل ينبغي
ان يشتغل بالاخرة فتبين ان سلوك طريق الاخرة وراء الزهد كما ان سلوك طريق الحج وراء دفع الغريم الصاد عن الحج فاذاً
قد ظهر ان الزهد في الدنيا ان اريد به عدم الرغبة في وجودها وعدمها فهو غاية الكمال وان اريد به الرغبة في عدمها فهو
كمال بالاضافة الى درجة الراضي والقانع والحريص ونقصان بالاضافة الى درجة المستغني بل الكمال في حق المال ان يستوي
عندك الماء والمال وكثرة الماء في جوارك لا تؤذيك بان تكون على شاطئ البحر ولا قلته تؤذيك الا في قدر الضرورة مع ان
الماء محتاج اليه كما ان المال محتاج اليه فلا يكون قلبك مشغولا بالفرار من جوار الماء الكثير ولا ببغض الماء الكثير بل تقول
اشرب منه بقدر الحاجة واسقي منه عباد الله بقدر الحاجة ولا ابخل به على احد فهكذا ينبغي ان يكون المال لان الخبز والماء
واحد في الحاجة انما الفرق بينهما في قلة احدهما وكثرة الاخر واذا عرفت الله ووثقت بتدبيره الذي دبر به العالم

علمت ان قدر حاجتك من الخبز يأتيك لا محالة ما دمت حيا كما يأتيك قدر حاجتك من الماء على ما سبق بيانه في كتاب
التوكل **قال** احمد بن ابي الحواري قلت لابي سليمان الداراني ان مالك بن دينار قال للمغيرة اذهب الى البيت فخذ
الركوة التي اهديتها لي فان العدو يوسوس الي ان اللص قد اخذها فقال ابو سليمان هذا من ضعف قلوب
الصوفية قد زهد في الدنيا ما عليه من اخذها فبين ان كراهة كون الركوة في بيته التفات اليها بسبب الضعف
والنقصان **فان قلت** فما بال الانبياء والاولياء هربوا من المال ونفروا عنه وراه
ولم يجمعوه في القرب والروايا يديرونه مع انفسهم بل تركوه في الانهار والبراري للمحتاجين اليه لا انهم كانت
قلوبهم مشغولة بحبه او بغضه وقد حملت خزائن الارض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ابي بكر وعمر فاخذوها
ووضعوها في مواضعها وما هربوا منها اذ كان قد استوى عندهم الماء والمال والذهب والحجر وما نقل عنهم
من الامتناع فانما كان ينقل عمن خاف ان لو اخذه ان يخدعه المال ويقيد قلبه فيدعوه الى الشهوات
وهذا حال الضعفاء فلا جرم البغض والهرب منه في حقهم كمال وهذا حكم جميع الخلق لانهم كلهم ضعفاء الا
الانبياء والاولياء والعلماء وانما ان كان ينقل عن قوي بلغ الكمال ولكن اظهر الفرار والنفار نزولا الى درجة
الضعفاء ليقتدوا به في الترك اذ لو اقتدوا به في الاخذ لهلكوا كما يفر الرجل المعزم بين يدي اولاده من الحية لا لضعفه
عن اخذها ولكن لعلمه بانه لو اخذها لاخذها اولاده اذا راوها فيهلكوا واتباع سير الضعفاء ضرورة الاولياء
والعلماء فقد عرفت اذاً ان المراتب ست وان اعلاها رتبة المستغني ثم الزاهد ثم الراضي ثم القانع ثم الحريص
واما المضطر فيتصور في حقه ايضا الزهد والرضا والقناعة ودرجته تختلف بحسب اختلاف هذه الاحوال
واسم الفقير يطلق على هذه الخمسة اما تسمية المستغني فقيرا فلا وجه له بهذا المعنى بل ان سمي فقيرا فبمعنى آخر وهو
معرفته بكونه محتاجا الى الله تعالى في جميع اموره عامة وفي بقاء استغنائه عن المال خاصة فيكون اسم الفقير له كاسم
العبد لمن عرف نفسه بالعبودية واقر بها فانه احق باسم العبد من الغافلين وان كان اسم العبد عاما للخلق
فكذلك اسم الفقير عام ولكن من عرف نفسه بالفقر الى الله فهو احق باسم الفقير فاسم الفقير مشترك بين معنيين
واذا عرفت هذا الاشتراك فهمت ان قوله صلى الله عليه وسلم اعوذ بك من الفقر وقوله كاد الفقر ان يكون
كفرا لا يناقض قوله احيني مسكينا وامتني مسكينا اذ فقر المضطر هو الذي استعاذ منه والفقر هو الذي
استعاذ منه والفقر الذي هو الاعتراف بالمسكنة والذلة والافتقار الى الله هو الذي سأله في دعائه

بيان فضيلة الفقر مطلقا اما من الآيات فيدل عليه قوله تعالى للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم
وقال تعالى للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف ساق
الكلام في معرض المدح ثم قدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالهجرة والاحصار وفيه دلالة ظاهرة على مدح الفقر
واما الاخبار في مدح الفقر فاكثر من ان تحصى فقد روى ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه اي الناس
خير فقالوا موسر من المال يعطي حق الله تعالى في نفسه وماله فقال نعم الرجل هذا وليس به قالوا فمن خير الناس
يا رسول الله قال فقير يعطي جهده **وقال** صلى الله عليه وسلم لبلال الق الله تعالى فقيرا ولا تلقه غنيا **وقال**
صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال وفي الخبر المشهور يدخل فقراء امتي الجنة قبل اغنيائها بخمسمائة
عام وفي حديث آخر باربعين خريفا اي اربعين سنة فيكون المراد به تقدير تقدم الفقير الحريص على الغني الحريص
وتقدير خمسمائة سنة تقدير تقدم الفقير الزاهد على الغني الراغب وما ذكرناه من اختلاف درجات الفقر يعرفك
بالضرورة تفاوتا بين الفقراء في درجاتهم فكان الفقير الحريص على درجة من خمس وعشرين درجة من الفقير الزاهد
اذ هذه نسبة الاربعين الى خمسمائة ولا تظنن ان تقدير رسول الله صلى الله عليه وسلم يجري على لسانه جزافا وبلا اتفاق

بل لا يستحق صلى الله عليه وسلم الا لحقيقة الحق فانه لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة
جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة فانه تقدير تحقيق لا محالة ولكن ليس في قوة غيره ان يعرف علة تلك النسبة الا بتخمين فاما
بالتحقيق فلا اذ نعلم ان النبوة عبارة عما يختص به النبي ويفارق به غيره وهو يختص بانواع من الخواص احدها انه يعرف حقائق الامور المتعلقة
بالله وصفاته وملائكته والدار الاخرة لا كما يعلمه غيره بل مخالفا لهم بكثرة المعلومات وبزيادة اليقين والتحقيق والكشف والثاني
ان له في نفسه صفة بها يتم له الافعال الخارقة للعادات كما ان لنا صفة بها يتم الحركات المقرونة بارادتنا واختيارنا وهي القدرة
وان كانت القدرة والمقدور جميعا من فعل الله والثالث ان له صفة بها يبصر الملائكة ويشاهدهم كما ان للبصير صفة بها
يفارق الاعمى حتى يدرك بها المبصرات والرابع ان له صفة بها يدرك ما سيكون في الغيب اما في اليقظة واما في المنام اذ بها
يطالع اللوح المحفوظ فيرى ما فيه من الغيب فهذه كمالات وصفات نعلم ثبوتها للانبياء ونعلم انقسام كل واحد منها الى اقسام
وربما يمكننا ان نقسمها الى اربعين والى خمسين والى ستين ويمكننا ايضا ان نتكلف تقسيمها الى ست واربعين بحيث
تقع الرؤيا الصحيحة جزءا واحدا من جملتها ولكن تعيين طريق واحد من التقسيمات الممكنة لا يكون الا بظن وتخمين لا انه يدرى
تحقيقا انه الذي اراده رسول الله صلى الله عليه وسلم ام لا وانما المعلوم بجامع الصفات التي بها يتم النبوة واصل انقسامها
وذلك لا يرشدنا الى معرفة علة التقدير فكذلك نعلم ان الفقراء لهم درجات كما سبق فاما لم كان هذا الفقير الحريص على
على نصف سدس من درجة الفقير الزاهد حتى لم يقتض له التقدير باكثر من اربعين سنة الى الجنة واقتضى ذلك التقدم
بخمسمائة عام فليس في قوة غير الانبياء الوقوف على ذلك الا بنوع تخمين ولا وثوق به والغرض التنبيه على منهاج التقدير
في امثال هذه الامور فان الضعيف الايمان قد يظن ان ذلك يجري من رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الاتفاق وحاشا
منصب النبوة من ذلك ولنرجع الى نقل الاخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم خير هذه الامة فقراؤها واسرعها
تضجعا في الجنة ضعفاؤها وقال صلى الله عليه وسلم ان لي حرفتين اثنتين فمن احبهما فقد احبني ومن ابغضهما فقد
ابغضني الفقر والجهاد وروي ان جبريل نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله يقرئك
السلام ويقول اتحب ان اجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيثما كنت فاطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم
قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له فقال له جبريل يا محمد ثبتك
الله بالقول الثابت وروي ان عيسى عليه الصلاة والسلام مر في سياحته برجل نائم ملتف بعباءة فايقظه
وقال يا نائم قم فاذكر الله فقال ما تريد مني اني قد تركت الدنيا لاهلها فقال له فنم اذا يا حبيبي ثم ومر موسى عليه السلام
برجل نائم على التراب وتحت رأسه لبنة ووجهه ولحيته في التراب وهو متزر بعباءة فقال يا رب عبدك هذا في الدنيا
ضائع فاوحى الله اليه يا موسى اما علمت اني اذا نظرت الى عبدي بوجهي كله زويت عنه الدنيا كلها وعن ابي رافع قال ورد
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عنده ما يصلحه فارسلني الى رجل من يهود خيبر وقال قل له يقول لك محمد اسلفني
او بعني دقيقا الى هلال رجب قال فاتيته فقال لا والله الا برهن فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال
اما والله اني لامين في اهل السماء امين في اهل الارض ولو باعني او اسلفني لاديت اليه اذهب بدرعي هذا اليه فارهنه
فلما خرجت نزلت هذه الآية ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا الآية تعزية له صلى الله عليه وسلم
عن الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم الفقر ازين للمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس وقال صلى الله عليه وسلم من اصبح منكم آمنا في
سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها وقال كعب الاحبار قال الله تعالى لموسى عليه السلام
يا موسى اذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته وقال
عطاء الخراساني مر نبي من الانبياء بساحل البحر فاذا هو برجل يصطاد حيتانا فقال بسم الله والقى شبكته فلم يخرج منها حوت
واحد ثم مر باخر فقال بسم الشيطان والقى شبكته فخرج فيها من الحيتان ما كان يتقاعس من كثرتها فقال النبي عليه السلام

يا رب ما هذا وقد علمت ان كل ذلك بيدك فقال الله تعالى للملائكة اكشفوا لعبدي عن منزلتيهما فلما راى ما اعد الله تعالى
لهذا من الكرامة ولهذا من الهوان قال رضيت يا رب • وقال نبينا صلى الله عليه وسلم اطلعت في الجنة فرايت اكثر اهلها
الفقراء واطلعت في النار فرايت اكثر اهلها الاغنياء • وفي لفظ اخر فقلت اين الاغنياء فقال حبسهم الجد وفي
حديث اخر فرايت اكثر اهلها النساء فقلت ما شانهن فقيل شغلهن الاحمران الذهب والزعفران • وقال صلى الله عليه وسلم
تحفة المؤمن في الدنيا الفقر • وفي الخبر اخر الانبياء دخولا الجنة سليمان بن داود لمكان ملكه • واخر اصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن
بن عوف لاجل غناه • وفي حديث اخر رايته دخل الجنة زحفا وقال عيسى عليه الصلاة والسلام بشدة يدخل الجنة الغني وفي
خبر عن اهل البيت انه عليه الصلاة والسلام انه عليه الصلاة والسلام قال اذا احب الله عبدا ابتلاه فاذا احبه الحب البالغ اقتناه
قيل وما اقتناه قال لم يترك له اهلا ولا مالا وفي الخبر اذا رايت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين
واذا رايت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته وقال موسى صلى الله عليه وسلم يا رب من احباؤك من خلقك حتى احبهم
لاجلك فقال كل فقير فقير فيمكن ان يكون الثاني للتأكيد ويمكن ان يكون المراد به شديد الفقر وقال عيسى عليه السلام
اني لاحب المسكنة وابغض النعماء وكان احب الاسامي اليه ان يقال يا مسكين ولما قالت سادات العرب والاغنياء للنبي
صلى الله عليه وسلم اجعل لنا يوما لا يجيئون اليك ولا نجيء ونجيء اليك ولا يجيئون يعنون بذلك الفقراء مثل سلمان وبلال وصهيب
وابي ذر وخباب بن الارت وعمار بن ياسر وابي هريرة واصحاب الصفة من الفقراء فاجابهم النبي صلى الله عليه وسلم الى ذلك وذلك
لانهم شكوا اليه التاذي برائحتهم وكان لباس القوم الصوف من شدة الحر فاذا عرقوا فاحت الروائح من ثيابهم فاشتد
على الاغنياء ذلك منهم الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن بدر الفزاري وعباس بن مرداس السلمي وغيرهم فاجابهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان لا يجمعهم واياهم مجلس فنزل عليه قوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا يعني الاغنياء ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا يعني الاغنياء
وقل الحق من ربكم مع الفقراء فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر الآية ولما استاذن ابن ام مكتوم حين استاذن على
النبي صلى الله عليه وسلم وعنده رجل من اشراف قريش فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى عبس وتولى ان جاءه الاعمى وما
يدريك لعله يزكى يعني ابن ام مكتوم اما من استغنى فانت له تصدى يعني هذا الشريف وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال يؤتى بالعبد يوم القيامة فيعتذر الله اليه كما يعتذر الرجل الى الرجل في الدنيا فيقول وعزتي وجلالي ما زويت الدنيا عنك
لهوانك علي ولكن لما اعددت لك من الكرامة والفضيلة اخرج يا عبدي الى هذه الصفوف فمن اطعمك في او كساك في
يريد بذلك وجهي فخذ بيده فهو لك والناس يومئذ قد الجمهم العرق فيتخلل الصفوف وينظر من فعل ذلك به فياخذ بيده
ويدخله الجنة وقال صلى الله عليه وسلم اكثروا معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الايادي فان لهم دولة فقالوا يا رسول الله وما دولتهم
قال اذا كان يوم القيامة قيل لهم انظروا من اطعمكم كسرة او سقاكم شربة او كساكم ثوبا فخذوا بيده ثم امضوا به الى الجنة وقال
دخلت الجنة فسمعت حركة امامي فنظرت فاذا بلال ونظرت في اعلاها فاذا فقراء امتي واولادهم ونظرت في اسفلها
فاذا فيها من الاغنياء والنساء قليل فقلت يا رب ما شانهم قال اما النساء فاضر بهن الاحمران الذهب والحرير
واما الاغنياء فاشتغلوا بطول الحساب وتفقدت اصحابي فلم ار عبد الرحمن بن عوف ثم جاءني بعد ذلك وهو
يبكي فقلت ما خلفك عني فقال اما والله يا رسول الله ما وصلت اليك حتى لقيت المشيبات وظننت اني لا
اراك فقلت ولم قال كنت احاسب بمالي فانظر الى هذا وعبد الرحمن صاحب السابقة العظيمة مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومن العشرة المخصوصين بانهم من اهل الجنة وهو من الاغنياء الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا من
قال بالمال هكذا وهكذا ومع هذا فقد استضر بالغنى الى هذا الحد ودخل صلى الله عليه وسلم على رجل فقير فلم ير له شيئا
فقال لو قسم نور هذا على اهل الارض لوسعهم وقال صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بملوك اهل الارض قالوا بلى يا رسول الله

قال لكم منهم مستضعف أغبر أشعث ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره وقال عمران بن حصين كانت لي من رسول
الله منزلة وجاه فقال يا عمران إن لك عندنا منزلة وجاهاً فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت نعم
بأبي أنت وأمي يا رسول الله فقام وقمت معه حتى وقف بباب فاطمة فقرع الباب وقال السلام عليكم أأدخل فقالت
ادخل بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال أنا ومن معي قالت ومن معك يا رسول الله قال عمران فقالت فاطمة والذي بعثك بالحق
نبياً ما علي إلا عباءة قال اصنعي بها هكذا وهكذا وأشار بيده فقالت هذا جسدي قد واريته فكيف برأسي فألقى إليها ملاءة
كانت عليه خلقة فقال شدي بها على رأسك ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليكم يا ابنتاه كيف أصبحت فقالت أصبحت والله
وجعة وزادني وجعاً على ما بي أني لست أقدر على طعام آكله فقد أضر بي الجوع فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تجزعي يا ابنتاه
فوالله ما ذقت طعاماً منذ ثلاث وإني لأكرم على الله منك ولو سألت ربي لأطعمني ولكن آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده
على منكبها وقال لها أبشري فوالله إنك لسيدة نساء أهل الجنة قالت فأين آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران قال آسية سيدة
نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وخديجة سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك إنكن في بيوت من
قصب لا أذى فيها ولا صخب ولا نصب ثم قال لها اقنعي بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيداً في الدنيا سيداً في الآخرة
وروى عن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا أبغض الناس فقراءهم وأظهروا عمارة الدنيا وتكالبوا
على جمع الدراهم رماهم الله بأربع خصال بالقحط من الزمان والجور من السلطان والخيانة من ولاة الأحكام والشوكة من
الأعداء **وأما الآثار** فقد قال أبو الدرداء ذو الدرهمين أشد حبساً أو حساباً من ذي الدرهم
وأرسل عمر رضي الله عنه إلى سعيد بن عامر بألف دينار فجاء كئيباً حزيناً فقالت امرأته أحدث أمر قال أشد من ذلك
ثم قال أريني درعك الخلق فشقه وجعله صرراً وفرقه ثم قام يصلي ويبكي إلى الغداة ثم قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام حتى أن الرجل من الأغنياء يدخل في غمارهم فيؤخذ
بيده فيستخرج وقال أبو هريرة ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل يريد أن يغسل ثوبه فلم يكن له خلق يلبسه ورجل
لم ينصب على مستوقد قدرين ورجل دعا بشرابه فلا يقال له أيها تريد **وقيل** جاء فقير إلى مجلس الثوري فقال له
تخط لو كنت غنياً ما قربتك وكان الأغنياء من أصحابه يودون أنهم فقراء لكثرة تقريبه الفقراء وإعراضه عن الأغنياء وقال
المؤمل ما رأيت الغني أذل منه في مجلس الثوري ولا رأيت الفقير أعز منه في مجلس الثوري **وقال** بعض الحكماء مسكين ابن
آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعاً ولو رغب في الجنة كما يرغب في الغنى لفاز بهما جميعاً ولو خاف الله في الباطن كما
يخاف خلقه في الظاهر لسعد في الدارين جميعاً وقال ابن عباس رضي الله عنه ملعون من أكرم بالغنى وأهان بالفقر وقال
لقمان لابنه لا تحقرن أحداً لخلقان ثيابه فإن ربك وربه واحد وقال يحيى بن معاذ حبك الفقراء من أخلاق
المرسلين وإيثارك مجالستهم من علامة الصالحين وفرارك من صحبتهم علامة المنافقين **وفي الأخبار** من
الكتب السالفة أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه احذر أن أمقتك فتسقط من عيني فأصب عليك الدنيا صباً وكانت عائشة
رضي الله عنها تفرق مائة ألف درهم في يومها وجههما إليها معاوية وابن عامر وغيرهما وإن درعها لمرقع وتقول لها الجارية
لو اشتريت لك بدرهم لحماً تفطرين عليه وكانت صائمة فقالت لو ذكرتني لفعلت وكان قد أوصاها رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال إن أردت اللحوق بي فعليك بعيش الفقراء وإياك ومجالسة الأغنياء ولا تنزعي درعك حتى ترقعيه وجاء
رجل إلى إبراهيم بن أدهم بعشرة آلاف درهم فأبى عليه أن يقبلها فألح عليه الرجل فقال إبراهيم تريد أن أمحو اسمي
من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم لا أفعل

بيان فضيلة الفقراء من الراضين والقانعين والصادقين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدي إلى الإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر الفقراء
أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم وإلا فلا فالأول القانع والثاني الراضي ويكاد يشعر هذا بأن الحريص
لا ثواب له على فقره ولكن العمومات الواردة في فضل الفقر تدل على أن له ثواباً كما سيأتي تحقيقه فلعل المراد بعدم الرضا
الكراهة لفعل الله تعالى في حبس الدنيا عنه ورب راغب في المال لا يخطر بقلبه إنكار على الله ولا كراهة في فعله فتلك الكراهة
هي التي تحبط ثواب الفقر **وروى** عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن لكل شيء مفتاحاً ومفتاح الجنة حب
المساكين والفقراء الصبر هم جلساء الله تعالى يوم القيامة **وروى** عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه
قال أحب العباد إلى الله تعالى الفقير القانع برزقه الراضي عن الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت آل
محمد كفافاً وقال صلى الله عليه وسلم ما من أحد غني ولا فقير إلا ود يوم القيامة أنه كان أوتي قوتاً في الدنيا وأوحى الله
إلى إسماعيل عليه السلام اطلبني عند المنكسرة قلوبهم قال ومن هم قال الفقراء الصادقون وقال صلى الله عليه وسلم لا أحد
أفضل من الفقير إذا كان راضياً **وقال** صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يوم القيامة أين صفوتي من خلقي فتقول الملائكة
من هم يا ربنا فيقول فقراء المسلمين القانعين بعطائي الراضين بقدري أدخلوهم الجنة فيدخلونها ويأكلون ويشربون
والناس في الحساب يترددون هذا في القانع والراضي فأما الزاهد فسنذكر فضله في الشطر الثاني من الكتاب **وأما**
الآثار في القناعة والرضا فكثيرة ولا يخفى أن القناعة يضادها الطمع وقد قال عمر رضي الله عنه إن الطمع فقر واليأس غنى
وإنه من يئس عما في أيدي الناس وقنع استغنى عنهم وقال ابن مسعود رضي الله عنه ما من يوم إلا وملك ينادي تحت
العرش يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال أبو الدرداء ما من أحد إلا وفي عقله نقص وذلك أنه إذا أتته الدنيا
بالزيادة ظل فرحاً مسروراً والليل والنهار دائبان في هدم عمره ثم لا يحزنه ذلك ويح ابن آدم ما ينفع مال يزيد وعمر ينقص
وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك وقيل كان إبراهيم بن أدهم من أهل النعم بخراسان
فبينما هو يشرف من قصره ذات يوم إذ نظر إلى رجل في فناء القصر وبيده رغيف يأكله فلما أكل نام فقال لبعض غلمانه
إذا قام فجئني به فلما قام جاء به إليه فقال إبراهيم أيها الرجل أكلت الرغيف وأنت جائع قال نعم قال فشبعت قال
نعم قال ثم نمت طيباً قال نعم فقال إبراهيم في نفسه فما أصنع أنا بالدنيا والنفس تقنع بهذا القدر **ومر** رجل
بعامر بن عبد قيس وهو يأكل ملحاً وبقلاً فقال له يا عبد الله أرضيت من الدنيا بهذا فقال ألا أدلك على من رضي بشر
من هذا قال بلى قال من رضي بالدنيا عوضاً عن الآخرة وكان محمد بن واسع يخرج خبزاً يابساً فيبله بالماء ويأكله بالملح ويقول
من رضي من الدنيا بهذا لم يحتج إلى أحد وقال الحسن لعن الله أقواماً أقسم الله تعالى لهم ثم لم يصدقوه ثم قرأ وفي السماء رزقكم وما
توعدون فورب السماء والأرض إنه لحق وكان أبو ذر يوماً جالساً في الناس فأتته امرأة فقالت له أتجلس بين هؤلاء
والله ما في البيت هفة ولا سفة من دقيق فقال يا هذه إن بين أيدينا عقبة كؤوداً لا ينجو منها إلا كل مخف فرجعت
وهي راضية وقال ذو النون أقرب الناس إلى الكفر ذو فاقة لا صبر له وقيل لبعض الحكماء ما مالك
فقال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في أيدي الناس **وروى** أن الله سبحانه قال في بعض
الكتب المنزلة يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت فإذا أعطيتك منها القوت وجعلت
حسابها على غيرك فأنا إليك محسن

وقيل في القناعة

اضرع إلى الله لا تضرع إلى الناس ... واقنع بيأس فإن العز في الياس
واستغن عن كل ذي قربى وذي رحم ... إن الغني من استغنى عن الناس

وقيل أيضاً

يا جامعاً مانعاً والدهر يرمقه ... مقدراً أي باب منه يغلقه
مفكراً كيف تأتيه منيته ... أغادياً أم بها يسري فتطرقه
جمعت مالاً فقل لي هل جمعت له ... يا جامع المال أياماً تفرقه
المال عندك مخزون لوارثه ... ما المال مالك إلا يوم تنفقه
أرفه ببال فتى يغدو على ثقة ... إن الذي قسم الأرزاق يرزقه
فالعرض منه مصون ما يدنسه ... والوجه منه جديد ليس يخلقه

بيان فضيلة الفقر على الغنى

اعلم ان الناس قد اختلفوا في هذا فذهب الجنيد والخواص والاكثرون
الى تفضيل الفقر وقال ابن عطاء الغني الشاكر القائم بحقه افضل من الفقير الصابر ويقال ان الجنيد دعا على ابن عطاء لمخالفته
اياه فيه فاصابته محنة وقد ذكرنا في كتاب الصبر وجه التفاوت بين الصبر والشكر ومهدنا سبيل طلب الفضيلة
في الاعمال والاحوال وان ذلك لا يمكن الا بتفصيل واما الفقر والغنى اذا اخذ مطلقا لم يسترب من قرأ الاخبار
والآثار في تفضيل الفقر فلا بد من تفصيل فنقول انما يتصور الشك في مقامين احدهما فقير صابر ليس حريصا على الطلب
بل هو قانع او راض بالاضافة الى غني منفق ماله في الخيرات ليس حريصا على امساك المال والثاني فقير حريص مع غني حريص اذ لا يخفى
ان الفقير القانع افضل من الغني الحريص الممسك وان الغني المنفق ماله في الخيرات افضل من الفقير الحريص اما الاول فربما
يظن ان الغني افضل من الفقير لانهما تساويا في ضعف الحرص على المال والغني متقرب بالصدقات والخيرات والفقير
عاجز عنها وهذا هو الذي ظنه ابن عطاء فيما نحسب فاما الغني المتمتع بالمال وان كان في مباح فلا يتصور ان يفضل على الفقير
القانع وقد يشهد له ما روي في الخبر ان الفقراء شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا سبق الاغنياء بالخيرات والصدقات
والحج والجهاد فعلمهم كلمات في التسبيح وذكر لهم انهم ينالون بها فوق ما ناله الاغنياء فتعلم الاغنياء ذلك وكانوا يقولون
مثل ما يقولون فعادوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقد استشهد ابن عطاء
ايضا لما سئل عن ذلك فقال الغني لانه صفة الحق اما دليله الاول ففيه نظر لان الخبر قد روي مفصلا تفصيلا
يدل على خلاف ذلك وهو ان ثواب الفقير في التسبيح يزيد على ثواب الغني وان نيلهم بذلك الثواب فضل الله يؤتيه من يشاء
فقد روى زيد بن اسلم عن انس بن مالك قال بعث الفقراء رسولا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني رسول الفقراء اليك
فقال مرحبا بك وبمن جئت من عندهم قوم احبهم قال قالوا يا رسول الله ان الاغنياء ذهبوا بالجنة يحجون ولا نقدر
عليه ويعتمرون ولا نقدر عليه واذا مرضوا بعثوا بفضل اموالهم ذخيرة لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلغ عني الفقراء
ان لمن صبر واحتسب منكم ثلاث خصال ليست للاغنياء اما خصلة واحدة فان في الجنة غرفا ينظر اليها اهل الجنة
كما ينظر اهل الارض الى نجوم السماء لا يدخلها الا نبي فقير او شهيد فقير او مؤمن فقير والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل
الاغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام والثالثة اذا قال الغني سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغني بالفقير وان انفق فيها عشرة آلاف درهم وكذلك اعمال البر كلها فرجع اليهم
فقالوا رضينا رضينا فهذا يدل على ان قوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء اي يزيد ثواب الفقراء على ذكرهم واما قوله
ان الغني صفة الحق فقد اجابه بعض الشيوخ فقال افترى ان الحق غني بالاسباب والاعراض فانقطع ولم ينطق واجاب
آخرون فقالوا التكبر من صفات الحق فينبغي ان يكون افضل من التواضع ثم قالوا بل هذا يدل على ان الفقر افضل لان صفات
العبودية افضل للعبد كالخوف والرجاء وصفات الربوبية لا ينبغي ان ينازع فيها ولذلك قال تعالى الكبرياء ردائي
والعظمة ازاري فمن نازعني فيهما قصمته وقال سهل حب العز والبقاء شرك في الربوبية ومنازعة فيها لانهما من صفات
الرب تعالى فمن هذا الجنس يطول في تفضيل الغنى والفقر وحاصلها تعلق بعمومات تقبل التأويل وبكلمات قاصرة لا
بعد مناقضتها اذ كما يناقض قول من فضل الغني بانه صفة الحق بالتكبر فكذلك يناقض قول من فضل الفقر لانه وصف العبد بالجهل
والغفلة لان العلم والمعرفة وصف الرب والجهل والغفلة وصف العبد وليس لاحد ان يفضل الغفلة على العلم فكشف الغطاء
في هذا هو ما ذكرناه في كتاب الصبر وهو ان ما لا يراد لعينه بل يراد لغيره فينبغي ان يضاف الى مقصوده اذ به يظهر فضله
والدنيا ليست محذورة لعينها ولكن لكونها عائقة عن الوصول الى الله والفقر مطلوب لعينه ولكن لان فيه فقد العائق عن الله
وعدم التشاغل عنه وكم من غني لم يشغله الغنى مثل سليمان عليه الصلاة والسلام وعثمان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم
وكم من فقير شغله الفقر وصرفه عن المقصد وغاية المقصد في الدنيا هو حب الله والانس به ولا يكون ذلك الا بعد معرفته وسلوك سبيل

المعرفة مع الشواغل غير ممكن والفقر قد يكون من الشواغل كما ان الغنى قد يكون من الشواغل وانما الشاغل على التحقيق حب الدنيا
اذ لا يجتمع معه حب الله في القلب والمحب للشيء مشغول به سواء كان في فراقه او في وصاله وربما يكون في الفراق اكثر وربما يكون
في الوصال اكثر والدنيا معشوقة الغافلين المحروم عنها مشغول بطلبها والقادر عليها مشغول بحفظها والتمتع بها
فاذا ان فرضت فارغين عن حب المال بحيث صار المال في حقهما كالماء استوى الفاقد والواجد اذ كل واحد غير متمتع بها
الا بقدر الحاجة ووجود قدر الحاجة افضل من فقده اذ الجائع يسلك سبيل الموت لا سبيل المعرفة وان اخذت الامر باعتبار
الاكثر فالفقير عن الخطر ابعد اذ فتنة السراء اشد من فتنة الضراء ومن العصمة ان لا تقدر ولذلك قال الصحابة رضي الله عنهم بلينا
بفتنة الضراء فصبرنا وبلينا بفتنة السراء فلم نصبر وهذه خلقة الآدميين كلهم الا الشاذ الفذ الذي لا يوجد
في الاعصار الكثيرة الا نادرا ولما كان خطاب الشرع مع الكل لا مع ذلك النادر والضراء اصلح للكل دون ذلك النادر زجر
الشرع عن الغنى وذمه وفضل الفقر ومدحه حتى قال عيسى عليه الصلاة والسلام لا تنظروا الى اموال اهل الدنيا فان
بريق اموالهم يذهب بنور ايمانكم وقال بعض العلماء تقليب الاموال يمص حلاوة الايمان وفي الخبر ان لكل امة عجلا وعجل
هذه الامة الدينار والدرهم وكان اصل عجل قوم موسى من حلية الذهب والفضة ايضا فاستواء المال والماء والذهب
والحجر انما يتصور للانبياء والاولياء ثم يتم لهم ذلك بعد فضل الله تعالى بطول المجاهدة اذ كان صلى الله عليه وسلم يقول للدنيا
اليك عني اليك عني اذ كانت الدنيا تتمثل له بزينتها وكان علي يقول يا صفراء غري غيري ويا بيضاء غري غيري
وذلك لاستشعاره في نفسه ظهور مبادي الاغترار بها لولا ان رأى برهان ربه وذلك هو الغنى المطلق اذ قال صلى الله عليه وسلم
ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس واذا كان ذلك بعيدا فاذا الاصلح لكافة الخلق فقد المال وان تصدقوا به
وصرفوه الى الخيرات لانهم لا ينفكون في القدرة على المال عن انس بالدنيا وتمتع بالقدرة عليها واستشعار راحة في بذلها وكل
ذلك يورث الانس بهذا العالم وبقدر ما يانس العبد بالدنيا يستوحش من الآخرة وبقدر ما يانس بصفة من صفاته سوى
المعرفة بالله تعالى يستوحش من الله ومن حبه ومهما انقطعت اسباب الانس بالدنيا تجافى القلب عن الدنيا وزهرتها والقلب اذا
تجافى عما سوى الله وكان مؤمنا بالله انصرف لا محالة الى الله تعالى اذ لا يتصور قلب فارغ وليس في الوجود الا الله وغيره
فمن اقبل على غيره فقد تجافى عنه ومن اقبل عليه تجافى عن غيره ويكون اقباله على احدهما بقدر تجافيه عن الآخر وقربه من احدهما
بقدر بعده عن الآخر ومثالهما مثال المشرق والمغرب فانهما جهتان فالمتردد بينهما بقدر ما يقرب من احدهما يبعد
من الآخر بل عين القرب من احدهما هو عين البعد من الآخر فعين حب الدنيا هو عين بغض حب الله فينبغي ان تكون
مطمح نظر العارف قلبه في عزوفه عن الدنيا او انسه بها فاذا افضل الفقير والغني بحسب تعلق قلبهما بالمال فقط
فان تساويا فيه تساوت درجتهما الا ان هذا مزلة القدم وموضع الغرور فان الغني ربما يظن انه منقطع القلب
عن المال ويكون حبه دفينا في باطنه وهو لا يشعر به وانما يشعر به اذا فقده فليجرب نفسه بتفرقته او اذا سرق منه
فان وجد لقلبه اليه التفاتا فليعلم انه كان مغرورا فكم من رجل باع سرية له لظنه انه منقطع القلب عنها
فبعد لزوم البيع وتسليم الجارية اشتعلت من قلبه النار التي كانت مستكنة فيه فتحقق انه كان مغرورا وان العشق
كان مستكنا في الفؤاد استكنان النار تحت الرماد وهذا حال كل الاغنياء الا الانبياء والاولياء واذا كان ذلك محالا او بعيدا
فلنطلق القول بان الفقر اصلح لكافة الخلق وافضل لان علاقة الفقير وانسه بالدنيا اضعف وبقدر ضعف علاقته تتضاعف
ثواب تسبيحاته وعباداته فان حركات اللسان ليست مرادة لاعيانها بل ليتأكد بها الانس بالمذكور فلا يكون تاثيره
في اثارة الانس في قلب فارغ من غير المذكور كتاثيره في قلب مشغول ولذلك قال بعض السلف مثل من تعبد وهو في
طلب الدنيا مثل من يطفئ النار بالحلفاء ومثل من يغسل يده من الغمر بالسمك وقال ابو سليمان الداراني تنفس فقير
دون شهوة لا يقدر عليها افضل من عبادة غني الف عام وعن الضحاك قال من دخل السوق فرأى شيئا يشتهيه فصبر

واحتسب كان خيرا له من الغنى يسار ينفقه كله في سبيل الله. وقال رجل لبشر بن الحارث ادع الله لي فقد اضر بي العيال فقال اذا قال لك عيالك ليس عندنا دقيق ولا خبز فادع الله لي في ذلك الوقت فان دعاءك افضل من دعائي وكان يقول مثل الغني المتعبد مثل روضة على مزبلة ومثل الفقير المتعبد مثل عقد الجوهر في جيد الحسناء وكانوا يكرهون سماع علم المعرفة من الاغنياء وقد قال الصديق رضي الله عنه اللهم اني اسالك الذل عند النصف من نفسي والزهد فيما جاوز الكفاف واذا كان مثله في كمال الحال يحذر من الدنيا ووجودها فكيف يشك في ان فقد المال اصلح من وجوده هذا مع ان احسن احوال الغني ان ياخذ حلالا وينفق طيبا ومع ذلك فيطول حسابه في عرصات القيامة ويطول انتظاره ومن نوقش الحساب فقد عذب ولهذا تاخر عبد الرحمن بن عوف عن الجنة اذ كان مشغولا بالحساب كما راه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال ابو الدرداء ما احب ان لي حانوتا على باب المسجد لا تخطئني فيه صلاة وذكر واربح كل يوم اربعين دينارا واتصدق بها كلها في سبيل الله قيل وما تكره قال سوء الحساب ولذلك قال سفيان اختار الفقراء ثلاثة اشياء والاغنياء ثلاثة اشياء اختار الفقراء راحة النفس وفراغ القلب وخفة الحساب واختار الاغنياء تعب النفس وشغل القلب وشدة الحساب وما ذكره ابن عطاء من ان الغنى وصف الحق فهو افضل صحيح ولكن اذا كان العبد غنيا عن وجود المال وعدمه بان يستوي عنده كلاهما فاما اذا كان غنيا بوجوده مفتقرا الى بقائه فلا يضاهي غناه غنى الله تعالى لان الله تعالى غني بذاته لا بما يتصور زواله والمال يتصور ان يسرق وما ذكره في الرد على من قال ان الله تعالى ليس غنيا بالاعراض والاسباب صحيح في ذم غني يريد بقاء المال وما ذكره من ان صفات الحق لا يليق بالعبد غير صحيح بل العلم من صفاته وهو افضل شيء للعبد بل منتهى العبد ان يتخلق باخلاق الله وقد سمعت بعض المشايخ يقول ان سالك الطريق الى الله قبل ان يقطع الطريق تصير الاسماء التسعة والتسعون اوصافا له اي يكون له من كل واحد نصيب واما التكبر فلا يليق بالعبد فان التكبر على من لا يستحق التكبر عليه ليس من صفات الله واما التكبر على من يستحقه كتكبر المؤمن على الكافر وتكبر العالم على الجاهل والمطيع على العاصي فيليق به نعم قد يراد بالتكبر الزهو والصلف والايذاء وليس ذلك من وصف الله وانما وصف الله انه اكبر من كل شيء وانه يعلم انه كذلك والعبد مأمور بان يطلب اعلى المراتب ان قدر عليها ولكن بالاستحقاق لا بالباطل والتلبيس فعلى العبد ان يعلم ان المؤمن اكبر من الكافر والمطيع اكبر من العاصي والعالم اكبر من الجاهل والانسان اكبر من البهيمة والجماد والنبات واقرب الى الله منها فلو راى نفسه بهذه الصفة رؤية محققة لا شك فيها لكانت صفة الكبرياء حاصلة له ولائقة به وفضيلة في حقه الا انه لا سبيل الى معرفته فان ذلك موقوف على الخاتمة وليس يدري انه كيف يكون وكيف تتفق فلجهله بذلك وجب ان لا يعتقد لنفسه رتبة فوق رتبة الكافر اذ ربما يختم للكافر بالايمان ويختم له بالكفر فلم يكن ذلك لائقا به لقصور علمه عن معرفة العاقبة ولما تصور ان يعلم الشيء على ما هو به كان العلم كمالا في حقه لانه من صفات الله تعالى ولما كان معرفة بعض الاشياء قد تضر صارت معرفة بعض العلم نقصا في حقه اذ ليس من اوصاف الله علم يضره فمعرفة الامور التي لا ضرر فيها هي التي يتصور في العبد من صفات الله فلا جرم هو منتهى الفضيلة وبه فضل الانبياء والاولياء والعلماء فاذا لو استوى عنده وجود المال وعدمه فهذا نوع من الغنى يضاهي بوجه من الوجوه الغنى الذي يوصف به الله سبحانه فهو فضيلة اما الغنى بوجود المال فلا فضيلة فيه اصلا فهذا بيان نسبة حال الفقير القانع الى حال الغني الشاكر

المقام الثاني

في نسبة حال الفقير الحريص الى الغني الحريص ولنفرض هذا في شخص واحد هو طالب للمال وساع فيه وفاقد له ثم وجده فله حالة الفقد وحالة الوجود فاي حالتيه افضل فنقول ينظر فان كان مطلوبه ما لا بد منه في المعيشة وكان قصده ان يسلك سبيل الدين ويستعين به عليه فالوجود افضل لان الفقد يشغله بالطلب وطالب القوت لا يقدر على الذكر والفكر الا قدرة مدخولة بشغل والمكفي هو القادر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا وقال صلى الله عليه وسلم كاد الفقر ان يكون كفرا اي الفقر مع الاضطرار فيما لا بد منه وان كان المطلوب فوق الحاجة او كان المطلوب قدر الحاجة ولكن لم يكن المقصود الاستعانة به على سلوك سبيل الدين فحالة الفقر اصلح وافضل لانهما

استويا في الحرص وحب المال واستويا في ان كل واحد ليس يقصد به الاستعانة على طريق الدين واستويا في ان كل واحد ليس يتعرض لمعصية بسبب الفقر والغنى ولكن افترقا في ان الواجد يانس بما وجده فيتاكد حبه في قلبه ويطمئن الى الدنيا والفاقد المضطر يتجافى قلبه عن الدنيا وتكون الدنيا عنده مثل السجن الذي يبغي الخلاص منه ومهما استوت الامور كلها وخرج من الدنيا رجلان احدهما اشد ركونا الى الدنيا فحاله اشد لا محالة اذ يلتفت قلبه الى الدنيا ويستوحش من الآخرة بقدر تاكد انسه بالدنيا وقد قال صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي احبب من احببت فانك مفارقه وهذا تنبيه على ان فراق المحبوب شديد فينبغي ان تحب من لا يفارقك وهو الله فانك اذا احببت الدنيا كرهت لقاء الله فيكون قدومك بالموت على ما تكرهه وفراقك لما تحبه وكل من فارق محبوبا فيكون اذاه في فراقه بقدر حبه وبقدر انسه وانس الواجد للدنيا بالدنيا اكثر من انس الفاقد لها وان كان حريصا عليها فاذا قد انكشف بهذا التحقيق ان الفقر هو الاشرف والافضل والاصلح لكافة الخلق الا في موضعين احدهما غنى مثل غنى عائشة رضي الله عنها يستوي عنده الوجود والعدم فيكون الوجود مزيدا له اذ يستفيد به ادعية الفقراء والمساكين وهممهم والثاني الفقر عن مقدار الضرورة فان ذلك يكاد ان يكون كفرا ولا خير فيه بوجه من الوجوه الا اذا كان وجوده يبقي حياته ثم يستعين بقوته وحياته على الكفر والمعاصي ولو مات جوعا كانت معاصيه اقل فالاصلح له ان يموت جوعا ولا يجد ما يضطر اليه ايضا فهذا تفصيل القول في الغنى والفقير ويبقى النظر في فقير حريص متكالب على طلب المال ليس له هم سواه وفي غني هو دونه في الحرص على حفظ المال ولم يكن تفجعه بفقد المال لو فقده كتفجع الفقير بفقره فهذا في محل النظر ان بعدهما عن الله بقدر قوة تفجعهما بفقد المال وقربهما بقدر ضعف تفجعهما بفقده والعلم عند الله تعالى

بيان آداب الفقير في فقره

اعلم ان للفقير آدابا في باطنه وظاهره ومخالطته وافعاله ينبغي ان يراعيها فاما ادبه في باطنه فان لا يكون فيه كراهية لما ابتلاه الله به من الفقر اعني انه لا يكون كارها فعل الله من حيث انه فعله وان كان كارها للفقر كالمحتجم يكون كارها للحجامة لتألمه بها ولا يكون كارها فعل الحجام بل ربما يتقلد منه منة فهذا اقل درجاته وهو واجب ونقيضه حرام ومحبط ثواب الفقر وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا وارفع من هذا ان لا يكون كارها للفقر بل يكون راضيا به وارفع منه ان يكون طالبا له وفرحا به لعلمه بغوائل الغنى ويكون متوكلا في باطنه على الله واثقا به في قدر ضرورته انه ياتيه لا محالة ويكون كارها للزيادة على الكفاف وقد قال علي رضي الله عنه ان لله تعالى عقوبات بالفقر ومثوبات بالفقر فمن علامة الفقر اذا كان مثوبة ان يحسن عليه خلقه ويطيع به ربه ولا يشكو حاله ويطيع الله ويشكر على فقره ومن علامته اذا كان عقوبة ان يسوء عليه خلقه ويعصي ربه ويكثر الشكاية ويتسخط القضاء وهذا يدل على ان كل فقير فليس بمحمود بل المحمود الذي لا يتسخط او يرضى او يفرح بالفقر لعلمه بثمرته في الخبر ما اعطي عبد شيئا من الدنيا الا قيل له خذه على ثلاثة اثلاث شغل وهم وطول حساب واما ادبه في ظاهره فان يظهر التعفف والتجمل ولا يظهر الشكوى والفقر بل يستر فقره ويستر انه يستره ففي الحديث ان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال وقال الله تعالى يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف وقال سفيان افضل الاعمال التجمل عند المحنة وقال بعضهم ستر الفقر من كنوز البر واما في اعماله فادبه ان لا يتواضع لغني لاجل غناه بل يتكبر عليه قال علي كرم الله وجهه ما احسن تواضع الغني للفقير رغبة في ثواب الله تعالى واحسن منه تيه الفقير على الغني ثقة بالله عز وجل فهذه رتبة واقل منها ان لا يخالط الاغنياء ولا يرغب في مجالستهم لان ذلك من مبادي الطمع قال الثوري اذا خالط الفقير الاغنياء فاعلم انه مراء واذا خالط السلطان فاعلم انه لص قال بعض العارفين اذا مال الفقير الى الاغنياء انحلت عروته فاذا طمع فيهم انقطعت عصمته فاذا سكن اليهم ضل وينبغي ان لا يسكت عن ذكر الحق مداهنة للاغنياء وطمعا في العطاء واما ادبه في افعاله فان لا يفتر بسبب الفقر عن عبادته ولا يمنع بذل قليل ما يفضل عنه فان ذلك جهد المقل وفضله اكثر من اموال كثيرة تبذل عن ظهر غنى روى زيد بن اسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم درهم من الصدقة افضل عند الله من مائة الف درهم قيل

قيل وكيف ذلك يا رسول الله قال اخرج رجل من عرض ماله مائة الف فتصدق بها واخرج رجل درهما من درهمين لا يملك غيرهما طيبة
من نفسه فصار صاحب الدرهم افضل من صاحب مائة الف وينبغي ان لا يدخر مالا بل ياخذ قدر الحاجة ويخرج الباقي وفي الادخار
ثلث درجات احداها ان لا يدخر الا ليومه وليلته وهي درجة الصديقين والثانية ان يدخر لاربعين يوما فان ما زاد عليه
داخل في طول الامل وقد فهم العلماء من ميعاد الله تعالى لموسى عليه السلام فهم منه الرخصة في امل الحياة اربعين وهذه درجة
المتقين والثالثة ان يدخر لسنة وهي اقصى المراتب وهي رتبة الصالحين ومن زاد في الادخار على هذا فهو واقع في غمار
العموم خارج عن حيز الخصوص بالكلية فغنى الصالح الضعيف في طمانينة قلبه في قوت سنة وغنى الخصوص في اربعين
يوما وغنى خصوص الخصوص في يوم وليلة

بيان آداب الفقير في قبول العطايا

اذا جاءته بغير سؤال ينبغي ان يلاحظ الفقير فيما جاءه ثلثة امور نفس المال وغرض المعطي وغرضه في الاخذ
اما نفس المال فينبغي ان يكون حلالا خاليا عن الشبهات كلها فان كان فيه شبهة فليحترز من اخذه وقد ذكرنا في كتاب الحلال
والحرام درجات الشبهة وما يجب اجتنابه وما يستحب واما غرض المعطي فلا يخلو اما ان يكون غرضه تطييب قلبه وطلب
محبته وهو الهدية او الثواب وهو الصدقة والزكاة او الذكر والرياء والسمعة اما على التجرد واما ممزوجا ببقية الاغراض
اما الاول وهو الهدية فلا باس بقبولها فان قبولها سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن ينبغي ان لا يكون فيها منة فان كان
فيها منة فالاولى تركها فان علم ان بعضها مما تعظم فيه المنة فليرد البعض دون البعض اهدي الى النبي صلى الله عليه وسلم سمن واقط
وكبش فقبل السمن والاقط ورد الكبش وكان صلى الله عليه وسلم يقبل من بعض الناس ويرد على البعض وقال لقد هممت ان لا
اتهب الا من قرشي او ثقفي او دوسي وفعل هذا جماعة من التابعين وجاءت صرة الى فتح الموصلي فيها خمسون درهما
فقال حدثنا عطاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من اتاه رزق من غير مسألة فرده فانما يرده على الله ثم فتح الصرة فاخذ منها درهما ورد سايرها
وكان الحسن يروي هذا الحديث ايضا ولكن حمل اليه رجل كيسا ورزمة من رقيق ثياب خراسان فرد ذلك وقال من جلس مجلسي
هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله تعالى يوم القيامة وليس له خلاق وهذا يدل على ان امر الواعظ والعالم اشد في قبول العطا
وقد كان الحسن يقبل من اصحابه وكان ابراهيم التيمي يسأل اصحابه الدرهم والدرهمين ونحوه ويعرض عليه غيرهم المائتين فلا
ياخذ وكان بعضهم اذا اعطاه صديقه شيئا يقول اتركه عندك وانظر ان كنت بعد قبوله في قلبك افضل مني قبل القبول
فاخبرني حتى اخذه والا فلا وامارة هذا ان يشق عليه الرد لو رده ويفرح بالقبول ويرى المنة في نفسه في قبول صديقه
هديته فان علم انه يمازجه منة فاخذه مباح ولكنه مكروه عند الفقراء الصادقين وقال بشر ما سالت احدا
قط شيئا الا سريا السقطي لانه قد صح عندي زهده في الدنيا فهو يفرح بخروج الشيء من يده ويتبرم ببقائه عنده فاكون
عونا له على ما يحب وجاء خراساني الى الجنيد بمال وسأله ان ياكله فقال افرقه على الفقراء فقال ما اريد هذا فقال ومتى
اعيش حتى اكل هذا فقال ما اريد ان تنفقه في الخل والبقل بل في الحلاوات والطيبات فقبل ذلك منه فقال الخراساني ما
احد ببغداد امن علي منك فقال الجنيد ولا ينبغي ان يقبل الا من مثلك الثاني ان يكون للثواب المجرد وذلك صدقة
او زكاة فعليه ان ينظر في صفات نفسه انه هل هو مستحق للزكاة فان اشتبه عليه فهو محل شبهة وقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتاب الزكاة
وان كان صدقة وكان يعطيه لدينه فلينظر الى باطنه فان كان مقارفا لمعصية في السر يعلم ان المعطي لو علم ذلك لنفر طبعه وما
تقرب الى الله بالتصدق عليه فهذا حرام اخذه كما لو اعطاه لظنه انه عالم او علوي ولم يكن فان اخذه حرام محض لا شبهة فيه والثالث
ان يكون غرضه الشهرة والرياء والسمعة فينبغي ان يرد عليه قصده الفاسد ولا يقبله اذ يكون معينا له على غرضه الفاسد وكان سفيان
الثوري يرد ما يعطى ويقول لو علمت انهم لا يذكرون ذلك افتخارا به لاخذت وعوتب بعضهم في رده ما كان ياتيه من
صلة فقال انما ارد عليهم اشفاقا ونصحا لهم لانهم يذكرون ذلك ويحبون ان يعلم به فتذهب اموالهم
وتحبط اجورهم واما غرضه في الاخذ فينبغي ان ينظر اهو محتاج اليه فيما لا بد له منه او مستغن عنه فان كان محتاجا اليه وقد

سلم من الشبهات والآفات التي ذكرناها في المعطي فالافضل له الاخذ وقال صلى الله عليه وسلم ما المعطي من سعة باعظم اجرا من الاخذ اذا
كان محتاجا وقال صلى الله عليه وسلم من اتاه شيء من هذا المال من غير مسألة ولا استشراف فانما هو رزق ساقه الله اليه وفي لفظ
اخر فلا يرده قال بعض العلماء من اعطي ولم ياخذ سال ولم يعط وقد كان سري السقطي يوصل الى احمد بن حنبل شيئا فيرده
فقال له السري يا احمد احذر آفة الرد فانها اشد من آفة الاخذ فقال له احمد اعد علي ما قلت فاعاده فقال ما رددت عليك الا لان عندي قوت شهر فاحبسه
لي عندك فاذا كان بعد شهر فانفذه الي وقد قال بعض العلماء يخاف في الرد مع الحاجة عقوبة من ابتلاء بطمع او دخول في شبهة
وغيره فاما اذا كان ما اتاه زائدا على حاجته فلا يخلو اما ان كان حاله الاشتغال بنفسه او التكفل بامور الفقراء والانفاق
عليهم لما في طبعه من الرفق والسخاء فان كان مشغولا بنفسه فلا وجه لاخذه وامساكه ان كان طالبا طريق الآخرة فان ذلك
محض اتباع الهوى وكل عمل ليس لله فهو في سبيل الشيطان او داع اليه ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه ثم له مقامان
احدهما ان ياخذ في العلانية ويرد في السر او ياخذ في العلانية ويفرق في السر وهذا مقام الصديقين وهو شاق على النفس لا يطيقه
الا من اطمأنت نفسه بالرياضة والثاني ان لا ياخذ ليصرفه صاحبه الى من هو احوج منه او ياخذ ويوصل الى من هو احوج
فيفعل كليهما في السر وقد ذكرنا ان الافضل اظهار الاخذ او اخفاؤه في كتاب اسرار الزكوة مع جملة من احكام الفقر فليطلب من ثم
واما امتناع احمد عن قبول عطاء سري السقطي فانما كان لاستغنائه عنه اذ كان عنده قوت شهر ولم يرض لنفسه ان يشتغل باخذه
وصرفه الى غيره فان في ذلك آفات واخطارا والورع يكون حذرا من مظان الآفات اذ لم يامن مكيدة الشيطان على نفسه
وقال بعض المجاورين بمكة كانت عندي دراهم اعددتها للانفاق في سبيل الله فسمعت فقيرا وقد فرغ من طوافه وهو يقول
بصوت خفي • انا جائع كما ترى • عريان كما ترى • فما ترى فيما ترى • يا من يرى ولا يرى • فنظرت وعليه خلقان لا تكاد
تواريه فقلت في نفسي لا اجد لدراهمي موضعا احسن من هذا فحملتها اليه فنظر اليها فاخذ منها خمسة دراهم فقال
اربعة ثمن مئزرين ودرهم انفقه ثلثا فلا حاجة بي الى الباقي فرده قال فرايته الليلة الثانية وعليه مئزران جديدان
فهجس في نفسي منه شيء فالتفت الي فاخذ بيدي فاطاف بي معه اسبوعا كل شوط منها في جوهر من معادن الارض يتخشخش تحت
اقدامنا الى الكعبين منه ذهب وفضة وياقوت ولؤلؤ وجوهر ولم يظهر ذلك للناس فقال هذا كله قد اعطانيه
فزهدت فيه واخذ من ايدي الخلق لان هذا اثقال وفتنة وذاك للعباد فيه رحمة ونعمة والمقصود من ذكر هذا ان الزيادة
على قدر الحاجة انما تاتيك ابتلاء وفتنة لينظر الله اليك ماذا تعمل فيه وقدر الحاجة ياتيك رفقا بك فلا تغفل عن الفرق
بين الرفق والابتلاء قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وقد قال صلى الله عليه وسلم لا حق
لابن ادم الا في ثلث طعام يقيم به صلبه وثوب يواري عورته وبيت يكنه فما زاد فهو حساب فاذا انت في
اخذ قدر الحاجة من هذه الثلث مثاب وفيما زاد عليها ان لم تعص الله متعرض للحساب وان عصيت الله فمتعرض للعقاب
ومن الاختبار ان تعزم على ترك لذة من لذات الدنيا تقربا الى الله وكسرا لصفة النفس فتاتيك عفوا صفوا لتمتحن بها
قوة عقدك فالاولى الامتناع عنه فان النفس اذا رخص لها في نقض العزم الفت نقض العهد وعادت لعادتها
ولا يمكن قهرها قط فرد ذلك مهم فهو الزهد فان اخذته وصرفته الى محتاج فهو غاية الزهد ولا يقدر عليه الا الصديقون
واما اذا كان حالك السخاء والبذل والتكفل بحقوق الفقراء وتعهد جماعة من الصلحاء فخذ ما زاد على حاجتك فانه
غير زائد على حاجة الفقراء وبادر به الى الصرف اليهم ولا تدخره فان امساكه ولو ليلة واحدة فيه فتنة واختبار
فربما يحلو في قلبك فتمسكه ويكون فتنة عليك فقد تصدى لخدمة الفقراء جماعة تجردوا وسيلة الى التوسع في المال
والتنعم في المطعم والمشرب وذلك هو الهلاك ومن غرضه الرفق وطلب الثواب به فله ان يستقرض على حسن الظن بالله
لا على اعتماد السلاطين الظلمة فان رزقه الله من حلال قضاه وان مات قبل القضاء قضى الله عنه وارضى غرماءه وذلك
بشرط ان يكون مكشوف الحال عند من يقرضه فلا يغر المقرض ولا يخدعه بالمواعيد بل يكشف حاله عنده ليقدم على اقراضه

على بصيرة ودين مثل هذا الرجل واجب ان يقضى من مال بيت المال ومن الزكوات وقد قال الله تعالى ومن قدر عليه رزقه فلينفق
مما آتاه الله قيل معناه ليبع احد ثوبيه وقيل معناه فليستقرض بجاهه فذلك مما آتاه الله وقال بعضهم لله عباد ينفقون
على قدر بضائعهم ولله عباد ينفقون على قدر حسن الظن بالله تعالى فمات بعضهم فاوصى بماله لثلث طوائف الاقوياء والاسخياء
والاغنياء فقيل من هؤلاء فقال الاقوياء فهم اهل التوكل على الله واما الاسخياء فهم اهل حسن الظن بالله واما الاغنياء فهم اهل
الانقطاع الى الله فاذا ما وجدت هذه الشروط في الآخذ وفي المال وفي المعطي فلياخذه وينبغي ان يرى ما ياخذه من الله لا من المعطي لانما
المعطي واسطة قد سخر للعطاء وهو مضطر اليه بما سلط عليه من الدواعي والارادات والاعتقادات **وقد حكى** ان بعض
الناس دعا شقيقا في خمسين من اصحابه فوضع الرجل مائدة حسنة فلما قعد قال لاصحابه ان هذا الرجل يقول من لم ير اني صنعت
هذا الطعام وقدمته فطعامي عليه حرام فقاموا كلهم الا شابا كان دونهم في الدرجة فقال صاحب المنزل للشقيق ماذا قصدك
بهذا فقال اردت ان اختبر توحيد اصحابي كلهم **وقال** موسى يا رب جعلت رزقي هكذا على ايدي بني اسرائيل يغديني هذا
يوما ويعشيني هذا ليلة فاوحى الله اليه هكذا اصنع باوليائي اجري ارزاقهم على ايدي البطالين من عبادي ليوجروا فيهم فلا
ينبغي ان يرى المعطي الا من حيث انه مسخر ماجور

بيان تحريم السؤال من غير ضرورة وآداب الفقير المضطر

اعلم انه قد وردت مناه كثيرة في السؤال وتشديدات وورد فيه ايضا ما يدل على الرخصة اذ قال صلى الله عليه وسلم للسائل حق وان جاء على فرس
وفي الحديث ردوا السائل ولو بظلف محرق ولو كان السؤال حراما مطلقا لما جاز اعانة المعتدي على عدوانه والاعطاء اعانة فالكاشف
للغطاء فيه ان السؤال حرام في الاصل وانما يباح بضرورة او حاجة مهمة قريبة من الضرورة فان كان عنها بد فهو حرام وانما قلنا ان
الاصل فيه التحريم لانه لا ينفك عن ثلثة امور محرمة **الاول** اظهار الشكوى من الله اذ السؤال اظهار للفقر وذكر لقصور نعمة الله عنه وهو
عين الشكوى وكما ان العبد المملوك لو سال لكان سؤاله تشنيعا على سيده فكذلك سؤال العباد تشنيع على الله وهذا ينبغي ان يحرم ولا
يحل الا لضرورة كما تحل الميتة **والثاني** ان فيه اذلال السائل نفسه لغير الله وليس للمومن ان يذل نفسه لغير الله بل عليه ان يذل
نفسه لمولاه فان فيه عزه فاما سائر الخلق فانهم عباد امثاله فلا ينبغي ان يذل لهم الا لضرورة وفي السؤال ذل للسائل بالاضافة الى المسؤل
والثالث انه لا ينفك عن ايذاء المسؤل غالبا لانه ربما لا تسمح نفسه بالبذل عن طيب قلب منه فان بذل حياء من
السائل ورياء فهو حرام على الآخذ وان منع ربما استحيى وتأذى في نفسه بالمنع اذ يرى نفسه في صورة البخلاء ففي البذل نقصان
ماله وفي المنع نقصان جاهه وكلاهما مؤذيان والسائل هو السبب في الايذاء والايذاء حرام الا بضرورة ومهما فهمت هذه المحذورات
الثلث فهمت قوله صلى الله عليه وسلم حيث قال مسئلة الناس من الفواحش ما احل من الفواحش غيرها فانظر كيف سماها فاحشة ولا يخفى
ان الفاحشة لا تباح الا بضرورة كما يباح شرب الخمر لمن غص بلقمة وهو لا يجد غيره وقال صلى الله عليه وسلم من سأل عن غنى فانما يستكثر
من جمر جهنم ومن سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ووجهه عظم يتقعقع وليس عليه لحم وفي لفظ آخر كانت مسئلته خدوشا
وكدوحا في وجهه وهذه الالفاظ صريحة في التحريم والتشديد وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما على الاسلام فاشترط عليهم
السمع والطاعة ثم قال كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيئا وكان يأمر كثيرا بالتعفف عن السؤال ويقول من سألنا اعطيناه ومن
استغنى اغناه الله وقال من لم يسألنا فهو احب الينا وقال استغنوا عن الناس وما قل من السؤال فهو خير قالوا ومنك
يا رسول الله قال ومني وسمع عمر رضي الله عنه سائلا يسأل بعد المغرب فقال لواحد من قومه عش الرجل فعشاه ثم سمعه ثانيا يسأل
فقال الم اقل لك عش الرجل فقال قد عشيته فنظر عمر فاذا تحت يده مخلاة مملوءة خبزا فقال لست سائلا ولكنك تاجر ثم اخذ
المخلاة ونثرها بين يدي ابل الصدقة وضربه بالدرة وقال لا تعد ولولا ان سؤاله كان حراما لما ضربه ولا اخذ مخلاته ولعل الفقيه
الضعيف المنة الضيق الحوصلة يستبعد هذا من فعل عمر رضي الله عنه ويقول اما ضربه فهو تاديب وقد ورد الشرع بالتعزير
واما اخذ ماله فهو مصادرة والشرع لم يرد بالعقوبة بالمال فكيف استجازه وهذا استبعاد مصدره القصور في الفقه فاين
يظهر فقه الفقهاء كلهم في حوصلة عمر بن الخطاب رضي الله عنه واطلاعه على اسرار دين الله ومصالح عباده افترى انه لم يعلم ان المصادرة

بالمال غير جائز او يعلم ذلك ولكنه اقدم عليه غضبا في معصية الله وحاشاه او اراد الزجر بالمصلحة بغير طريق شرعها
نبي الله صلى الله عليه وسلم وهيهات فان ذلك ايضا معصية بل الفقه الذي لاح له فيه انه راه مستغنيا عن السؤال وعلم
ان من اعطاه شيئا فانما اعطاه على اعتقاد انه محتاج وقد كان كاذبا فلم يدخل في ملكه باخذه مع التلبيس وعسر
تمييز ذلك ورده الى اصحابه اذ لا يعرف اصحابه باعيانهم فبقي مالا لا مالك له فوجب صرفه الى المصالح وابل الصدقة وعلفها
من المصالح ويتنزل اخذ السائل مع اظهار الحاجة كاذبا كاخذ العلوي بقوله اني علوي وهو كاذب فانه لا يملك ما ياخذه وكاخذ الصوفي
الصالح الذي يعطى لصلاحه وهو في الباطن مقارف لمعصية لو عرفها المعطي لما اعطاه وقد ذكرنا في مواضع ان ما اخذوه
على هذا الوجه لا يملكونه وهو حرام عليهم ويجب عليهم الرد على المالك فاستدل بفعل عمر رضي الله عنه على جلاء هذا المعنى الذي
يغفل عنه كثير من الفقهاء وقد قررناه في مواضع **ولا تستدل** بغفلتك عن هذا الفقه على بطلان فعل عمر فاذا عرفت
ان السؤال يباح بضرورة فاعلم ان الشيء اما ان يكون مضطرا اليه او محتاجا اليه حاجة مهمة او حاجة خفيفة
او مستغنى عنه فهذه اربعة احوال اما المضطر اليه فهو سؤال الجائع عند خوفه على نفسه موتا او مرضا وسؤال العاري
وبدنه مكشوف ليس معه ما يواريه وهو مباح مهما وجدت بقية الشروط في المسؤل بكونه مباحا والمسؤل منه بكونه راضيا في
الباطن والسائل بكونه عاجزا عن الكسب فان القادر على الكسب وهو بطال ليس له السؤال الا اذا استغرق طلب العلم اوقاته وكل
من له خط فهو قادر على الكسب بالوراقة واما المستغنى فهو الذي يطلب شيئا وعنده مثله وامثاله فسؤاله حرام قطعا وهذان
طرفان واضحان واما المحتاج حاجة مهمة فهو كالمريض الذي يحتاج الى دواء ليس يظهر خوفه لو لم يستعمله ولكن لا
يخلو عن خوف وكمن له جبة لا قميص تحتها في الشتاء وهو يتأذى بالبرد تأذيا لا ينتهي الى حد الضرورة وكذا من يسأل
لاجل الكرى وهو قادر على المشي بمشقة فهذا ايضا ينبغي ان تسترسل عليه الاباحة لانها ايضا حاجة محققة ولكن
الصبر عنه اولى وهو بترك السؤال تارك للاولى ولا يسمى سؤاله مكروها مهما صدق في السؤال وقال ليس تحت جبتي قميص
والبرد يؤذيني اذى اطيقه ولكن يشق علي فاذا صدق فصدقه يكون كفارة لسؤاله ان شاء الله واما الحاجة الخفيفة
فمثل سؤاله قميصا ليلبسه فوق ثيابه عند خروجه ليستر به الخروق من ثيابه عن اعين الناس وكمن يسأل لاجل الادم
وهو واجد للخبز وكمن يسأل لكراء الفرس في الطريق وهو واجد كراء الحمار او يسأل لكراء المحمل وهو قادر على الراحلة
فهذا ان كان فيه تلبيس حال باظهار حاجة غير هذه فهو حرام فان لم يكن وكان فيه شيء من المحذورات وان لم يكن فيها
شيء من ذلك فهو مباح مع الكراهة **فان قلت** فكيف يمكن اخلاء السؤال عن هذه المحذورات
فاعلم ان الشكوى تندفع بان يظهر الشكر لله والاستغناء عن الخلق ولا يسأل سؤال المحتاج لكن يقول انا مستغن
بما املكه ولكن تطالبني رعونة النفس بثوب فوق ثيابي وهي فضلة عن الحاجة وفضول من النفس فيخرج به
عن حد الشكوى واما الذل فبان يسأل اباه او قريبه او صديقه الذي يعلم انه لا ينقصه ذلك في عينه ولا يزدريه
بسبب سؤاله او الرجل السخي الذي قد اعد ماله لمثل هذه المكارم فيفرح بوجود مثله ويتقلد منه منة
بقبوله فيسقط عنه الذل بذلك فان الذل لازم للمنة لا محالة واما الايذاء فسبيل الخلاص عنه ان لا يعين شخصا
بالسؤال بعينه بل يلقي الكلام عرضا بحيث لا يقدم على البذل الا متبرع بصدق الرغبة فان كان في القوم شخص مرموق
لو لم يبذل لكان يلام فهذا ايضا ايذاء فانه ربما يبذل كرها خوفا من الملامة ويكون الاحب اليه في الباطن
الخلاص لو قدر عليه من غير ملامة واما اذا كان يسأل معينا فينبغي ان لا يصرح بل يعرض تعريضا يبقى له سبيل
الى التغافل ان اراد فاذا لم يتغافل مع القدرة عليه فذلك لرغبته وانه غير متأذ به وينبغي ان يسأل من لا يستحيي
منه لو رده او تغافل فان الحياء من السائل يؤذي كما ان الرياء مع غير السائل يؤذي **فان قلت**
فاذا اخذ مع العلم بان باعث المعطي هو الحياء منه او من الحاضرين ولولاه لما ابتدأه به فهو حلال او شبهة فاقول

ذلك حرام محض لا خلاف فيه بين الامة وحكمه حكم اخذ مال الغير بالضرب والمصادرة اذ لا فرق بين ان يضرب ظاهر جلده
بسياط الخشب او يضرب باطن قلبه بسوط الحياء وخوف الملام وسياط الباطن اشد نكاية في قلوب العقلاء ولا يجوز
ان يقال هو في الظاهر قد رضي به وقد قال صلى الله عليه وسلم نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر فان هذه ضرورة
القضاة في فصل الخصومات اذ لا يمكن ردهم الى البواطن وقرائن الاحوال فاضطروا الى الحكم بظاهر اللسان مع انه
ترجمان كثير الكذب ولكن الضرورة دعت اليه وهذا سؤال عما بين العبد وبين الله تعالى والحاكم فيه احكم الحاكمين والقلوب
عنده كالالسنة عند سائر الحكام فلا تنظر في مثل هذا الا الى قلبك وان افتوك وافتوك فان المفتي معلم القاضي والسلطان
ليحكموا في عالم الشهادة ومفتي القلوب هم علماء الآخرة وبفتواهم النجاة عن سطوة سلطان الآخرة كما ان بفتوى الفقيه
النجاة عن سطوة سلطان الدنيا فاذا ما يأخذه مع الكراهة لا يملكه بينه وبين الله ويجب عليه الرد على صاحبه فان كان
يستحيي من ان يسترده ولم يسترده فعليه ان يثيبه على ذلك بما يساوي قيمته مع عرف الهدية والمقابلة ليتفصى عن عهدته
فان لم يقبل هديته فعليه ان يرد ذلك الى ورثته فان تلف في يده فهو مضمون عليه بينه وبين الله وهو عاص بالتصرف فيه وبالسؤال
الذي حصل به الاذى **فان قلت** فهذا امر باطن يعسر الاطلاع عليه فكيف السبيل اليه فربما يظن السائل
انه راض ولا يكون هو في الباطن راضيا فاقول لهذا ترك المتقون السؤال راسا فما كانوا يأخذون من احد شيئا اصلا فكان
بشر لا يأخذ من احد شيئا اصلا الا من السري وقال لاني علمت انه يفرح بخروج المال من يده فانا اعينه على ما يحب وانما عظم
النكير في السؤال والامر بالتعفف لهذا لان هذا الاذى انما يحل بضرورة وهو ان يكون مشرفا على الهلاك ولم يبق له سبيل
الى الخلاص ولم يجد من يعطيه من غير كراهة واذى فيباح له ذلك كما يباح له اكل لحم الخنزير واكل الميتة فكان الامتناع طريق الورعين
ومن ارباب القلوب من كان واثقا ببصيرته في الاطلاع على قرائن الاحوال فكانوا يأخذون من بعض الناس دون البعض
ومنهم من كان لا يأخذ الا من اصدقائه ومنهم من كان يأخذ بعض ما يعطى ويرد بعضا كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكبش
والاقط وكان هذا فيما يأتيهم من غير سؤال فانه لا يكون الا عن رغبة ولكن قد تكون رغبته طمعا في جاه او طلبا لرياء وسمعة
فكانوا يحترزون من ذلك فاما السؤال فقد امتنعوا عنه راسا الا في موضعين احدهما الضرورة فقد سأل ثلاثة من الانبياء
في مقام الضرورة سليمان وموسى والخضر صلوات الله وسلامه عليهم ولا شك انهم ما سألوا الا من علموا انه يرغب فيهم
والثاني السؤال من الاصدقاء والاخوان وفي حق الاخوان فقد كانوا يأخذون مالهم بغير سؤال واستئذان
لان ارباب القلوب علموا ان المطلوب رضا القلب لا نطق اللسان وكانوا قد وثقوا باخوانهم انهم كانوا يفرحون بمباسطتهم
فاذا كانوا يسألون الاخوان عند شكهم في اقتدار اخوانهم على ما يريدونه والا فكانوا يستغنون عن السؤال وحد اباحة
السؤال ان تعلم ان المسؤول بصفة لو علم ما بك من الحاجة لابتداك دون السؤال فلا يكون لسؤالك تاثير الا في تعريف حاجتك
فاما في تحريكه بالحياء واثارة داعيته بالحيل فلا وتتصدى للسائل حالة لا يشك فيها في الرضا بالباطن وحالة لا يشك في الكراهة
ويعلم ذلك بقرينة الاحوال فالاخذ في الحالة الاولى حلال طلق وفي الثانية حرام سحت ويتردد بين حالتين يشك
فيها فليستفت فيها قلبه وليترك حزاز القلب فانه الاثم وليدع ما يريبه الى ما لا يريبه وادراك ذلك بقرائن الاحوال
سهل على من قويت فطنته وضعف حرصه وشهوته فان قوي الحرص وضعف الفطنة تراءى له ما يوافق غرضه فلا يتفطن للقرائن
الدالة على الكراهة وبمثل هذه الدقائق يطلع على سر قوله صلى الله عليه وسلم حيث قال ان اطيب ما اكل الرجل من كسبه وقد
اوتي جوامع الكلم لان من لا كسب له ولا مال ورثه من ابيه فيأكل من ايدي الناس فان اعطي بغير سؤال فانما يعطى بدينه
ومتى يكون باطنه بحيث لو انكشف لما اعطي لدينه فيكون ما يأخذه حراما وان اعطي بسؤال فاين من يطيب قلبه بالعطاء اذا
سئل واين من يقتصر في السؤال على حد الضرورة فاذا فتشت احوال من يأكل من ايدي الناس علمت ان جميع ما يأكلونه او اكثره
سحت وان الطيب هو الذي اكتسبته انت او ورثته فاذا بعيد ان يجتمع الورع مع الاكل من ايدي الناس

ان يقطع طمعنا عن غيره وان يغنينا بحلاله عن حرامه بمنه وسعة جوده

بيان مقدار الغنى المحرم للسؤال

اعلم ان قوله صلى الله عليه وسلم من سأل عن ظهر غنى فانما يسأل جمرا فليستقل منه او ليستكثر صريح في التحريم ولكن حد الغنى مشكل
وتقديره عسير وليس الينا وضع المقادير بل يستدرك ذلك بالتوقيف وقد ورد في الحديث استغنوا بغنى الله تعالى قالوا
وما هو قال غداء يوم او عشاء ليلة وفي حديث آخر من سأل وله خمسون درهما او عدلها من ذهب فقد سأل
الحافا وورد في لفظ آخر اربعون درهما ومهما اختلفت التقديرات وصحت الاخبار فينبغي ان يقطع بورودها على
احوال مختلفة فان الحق في نفسه لا يكون الا واحدا والتقدير ممتنع وغاية الممكن فيه تقريب ولا يتم ذلك الا بتقسيم محيط
باحوال المحتاجين فنقول قال صلى الله عليه وسلم لا حق لابن آدم الا في ثلاث طعام يقيم به صلبه وثوب يواري عورته
وبيت يكنه فما زاد فهو حساب فلنجعل هذه الثلاث اصلا في الحاجات لبيان اجناسها والنظر في الاجناس والاقدار والاوقات
فاما الاجناس فهي هذه الثلاث ويلحق بها ما في معناها حتى يلحق به الكراء للمسافر اذا كان لا يقدر على المشي وكذا كل ما يجري مجراه من
المهمات ويلحق بنفسه عياله وولده وكل من تحت كفالته كالدابة ايضا واما الاقدار فالثوب يراعى فيه ما يليق بذوي الدين
وهو ثوب واحد وقميص ومنديل وسراويل ومداس واما الثاني من كل جنس فهو مستغن عنه وليقس على هذا اثاث البيت
جميعه ولا ينبغي ان يطلب رقة الثياب وكون الاواني من النحاس والصفر فيما يكفي فيه الخزف فان ذلك مستغنى عنه
فليقتصر من العدد على واحد ومن النوع على اخس اجناسه ما لم يكن في غاية البعد عن العادة والطعام تقديره في اليوم
مد وهو ما قدره الشرع ونوعه ما يقتات ولو كان الشعير والادم على الدوام فضلة وقطعه بالكلية اضرار ففي طلبه
في بعض الاحوال رخصة واما المسكن فاقله ما يجزي من حيث المقدار وذلك من غير زينة فاما السؤال للزينة
والتوسع فهو سؤال عن ظهر غنى واما بالاضافة الى الاوقات فما يحتاج اليه في الحال من طعام يوم وليلة وثوب يلبسه
ومأوى يكنه فلا شك فيه فاما سؤاله للمستقبل فهذا له ثلاث درجات احداها ما يحتاج اليه في غد والثانية ما يحتاج
اليه بعد اربعين يوما او خمسين يوما والثالثة ما يحتاج اليه في السنة ولنقطع بان من معه ما يكفيه له ولعياله
ان كان له عيال لسنة فسؤاله حرام فان ذلك غاية الغنى وعليه ينزل التقدير بخمسين درهما في الحديث فان خمسة دنانير
تكفي المنفرد في السنة اذا اقتصد اما المعيل فربما لا يكفيه ذلك وان كان يحتاج اليه قبل السنة فان كان قادرا على السؤال
ولا تفوته فرصته فلا يحل له السؤال لانه مستغن في الحال وربما لا يعيش الى الغد فيكون قد سأل ما لا يحتاج اليه فيكفيه غداء
يوم وعشاء ليلة وعليه ينزل الخبر الذي جاء في التقدير بهذا القدر وان كانت تفوته فرصة السؤال ولا يجد من يعطيه لو اخر
فيباح له السؤال لان امل البقاء سنة غير بعيد فهو بتأخير السؤال خائف ان يبقى مضطرا عاجزا عما يعينه وان
كان خوف العجز عن السؤال في المستقبل ضعيفا وكان ما لاجله السؤال خارجا عن محل الضرورة لم يخل سؤاله عن كراهة
ولكن كراهته بحسب ضعف الاضطرار وخوف الفوت وتراخي المدة التي فيها يحتاج الى السؤال وكل ذلك لا يقبل
الضبط وهو منوط باجتهاد العبد ونظره لنفسه بينه وبين الله تعالى فيستفتي فيه قلبه ويعمل به ان كان سالكا
طريق الآخرة وكلما كان يقينه اقوى وثقته بمجيء الرزق في المستقبل اتم وقناعته بقوت الوقت اظهر فدرجته
عند الله اعلى فلا يكون خوف الاستقبال وقد اتاك الله قوت يومك لك ولعيالك الا من ضعف اليقين والاصغاء
الى تخويف الشيطان وقد قال الله تعالى فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين وقال تعالى الشيطان يعدكم
الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والسؤال من الفحشاء الذي ابيح بالضرورة وحال
من يسأل لحاجة متراخية عن يومه وان كان مما يحتاج اليه في السنة اشد من حال من يملك مالا
موروثا وادخره لحاجة وراء السنة وكلاهما مباحان في فتوى الظاهر ولكنهما صادران عن حب الدنيا وطول
الامل وعدم الثقة بفضل الله وهذه الخصلة من امهات المهلكات

كان بشر

يقول الفقراء ثلثة فقير لا يسال وان اعطى لم ياخذ فهذا مع الروحانيين في عليين وفقير لا يسال وان
اعطى اخذ فهذا مع المقربين في جنات الفردوس وفقير يسال عند الفاقة فهذا مع الصادقين من اصحاب
اليمين فاذا قد اتفق كلهم على ذم السؤال وعلى انه مع الفاقة يحط المرتبة والدرجة وقال ابرهيم بن ادهم
لشقيق بن ابرهيم حين قدم عليه من خراسان كيف تركت الفقراء من اصحابك قال تركتهم ان اعطوا شكروا
وان منعوا صبروا وظن انه لما وصفهم بترك السوال فقد اثنى عليهم غاية الثناء فقال هكذا تركت كلاب
بلخ عندنا فقال له شقيق كيف الفقراء عندك يا ابا اسحق فقال الفقراء عندنا ان منعوا شكروا وان اعطوا
اثروا فقبل راسه وقال صدقت يا استاذ فاذا درجات ارباب الاحوال في الرضا والصبر والشكر والسوال
كثيرة فلا بد لسالك الطريق الاخرة من معرفتها ومعرفة انقسامها واختلاف درجاتها فانه اذا لم يعلم لم يقدر على الرقي
من حضيضها الى ارتفاعها ومن اسفل السافلين الى اعلى العليين وقد خلق الانسان في احسن تقويم ثم رد الى اسفل
السافلين ثم امر بان يترقى الى اعلى العليين ومن لا يميز بين السفل والعلو لا يقدر على الترقي قطعا وانما الشك
فيمن عرف ذلك فانه ربما يقدر عليه وارباب الاحوال قد تغلبهم حالة تقتضي ان يكون السوال مزيدا لهم في درجاتهم ولكن
بالاضافة الى حالهم فان مثل هذه الاعمال بالنيات وذلك كما روي ان بعضهم راى ابا الحسين النوري يمد
يده ويسال الناس في بعض المواطن قال فاستعظمت ذلك واستقبحته له فاتيت الجنيد فاخبرته فقال لا يعظم هذا عليك
فان النوري لم يسال الناس الا ليعطيهم انما سالهم ليثيبهم من الاخرة فيوجرون من حيث لا يضرو وكانه اشار به الى
قوله صلى الله عليه وسلم يد المعطي هي العليا فقال بعضهم يد المعطي هي يد الاخذ المال لانه يعطي الثواب والقدر له لا لما ياخذه
ثم قال الجنيد هات الميزان فوزن مائة درهم ثم قبض قبضة فالقاها على المائة ثم قال احملها اليه فقلت في
نفسي انما يوزن الشي ليعرف مقداره فكيف خلط به مجهولا وهو رجل حكيم واستحييت ان اساله فذهبت بالصرة
الى النوري فقال هات الميزان فوزن مائة وقال ردها عليه وقل له انا لا اقبل منك بالوزن شيئا واخذ ما زاد على المائة
قال فزاد تعجبي فسالته فقال الجنيد رجل حكيم يريد ان ياخذ الحبل بطرفيه وزن المائة لنفسه طلبا للثواب الاخرة وطرح
عليها قبضة بلا وزن لله تعالى فاخذت ما كان لله تعالى ورددت ما فعله لنفسه قال فرددتها الى الجنيد فبكى وقال
اخذ ماله ورد مالنا الله المستعان فانظر الان كيف صفت قلوبهم واحوالهم وكيف خلصت لله اعمالهم
حتى كان يشاهد كل واحد قلب صاحبه من غير مناطقة باللسان ولكن بتشاهد القلوب وتناجي الاسرار وذلك نتيجة
اكل الحلال وخلو القلب عن حب الدنيا والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى فمن انكر ذلك قبل التجربة لطريقه فهو جاهل كمن ينكر
مثلا كون الدواء مسهلا قبل شربه ومن انكره بعد ان طال اجتهاده حتى بذل كنه مجهوده ولم يصل فانكره لغيره كان
كمن شرب المسهل فلم يوثر فيه لخاصية في باطنه فاخذ ينكر كون الدواء مسهلا وهذا وان كان في الجهل دون الاول
ولكنه ليس خاليا عن حظ وافر من الجهل بل البصير احد الرجلين اما رجل سلك الطريق فظهر له مثل ما ظهر لهم فهو صاحب
الذوق والمعرفة حتى وصل الى عين اليقين واما رجل لم يسلك الطريق او سلك ولم يصل ولكنه امن بذلك وصدق به
فهو صاحب علم اليقين وان لم يكن واصلا الى عين اليقين ولعلم اليقين ايضا رتبة وان كان دون عين اليقين
ومن خلا عن علم اليقين وعين اليقين فهو خارج عن زمرة المؤمنين ويحشر يوم القيامة في زمرة الجاحدين المستكبرين
الذين هم قتلى العقول الضعيفة واتباع الشياطين فنسال الله تعالى ان يجعلنا من الراسخين في العلم القائلين امنا به كل
من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب

وفيه بيان حقيقة الزهد
وبيان فضيلة الزهد وبيان درجات الزهد واقسامه وبيان تفصيل الزهد في المطعم والملبس والمسكن
والاثاث وضروريات المعيشة وبيان علامة الزهد

بيان حقيقة الزهد اعلم ان الزهد في الدنيا
مقام شريف من مقامات السالكين وينتظم هذا المقام من علم وحال وعمل كسائر المقامات لان ابواب
الايمان كلها كما قال السلف ترجع الى عقد وقول وعمل وكان القول لظهوره اقيم مقام الحال اذ به يظهر الحال الباطن
فليس القول مرادا لعينه وان لم يكن صادرا عن حال سمي اسلاما ولم يسم ايمانا والعلم هو السبب في الحال يجري مجرى المثمر
والعمل يجري من الحال مجرى الثمرة فلنذكر الحال مع كلا طرفيه من العلم والعمل اما الحال فنعني بها ما يسمى زهدا وهو عبارة
عن انصراف الرغبة عن الشي الى ما هو خير منه وكل من عدل عن شي الى غيره بمعاوضة وبيع وغيره فانما عدل عنه لرغبته
عنه وانما عدل الى غيره لرغبته فيه فحاله بالاضافة الى المعدول عنه يسمى زهدا وبالاضافة الى المعدول اليه يسمى رغبة وحبا
فاذا يستدعي حال الزهد مرغوبا عنه ومرغوبا فيه هو خير من المرغوب عنه وشرط المرغوب عنه ان يكون ايضا
هو مرغوبا فيه بوجه من الوجوه فمن رغب عما ليس مطلوبا في نفسه لا يسمى زاهدا فتارك التراب والحجر والقاذورات
لا يسمى زاهدا وانما يسمى تارك الدراهم والدنانير زاهدا لان التراب والحجر ليسا في مظنة الرغبة وشرط المرغوب فيه
ان يكون خيرا عنده من المرغوب عنه حتى تغلب هذه الرغبة فالبايع لا يقدم على البيع الا والمشتري عنده خير من المبيع فيكون
حاله بالاضافة الى المبيع زهدا فيه وبالاضافة الى العوض رغبة فيه وحبا ولذلك قال الله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة
وكانوا فيه من الزاهدين معناه باعوه فقد يطلق الشرى بمعنى البيع ووصف اخوة يوسف بالزهد في يوسف اذ طمعوا
في ان يخلو لهم وجه ابيهم وكان ذلك عندهم احب اليهم من يوسف فباعوه طمعا في العوض فاذا كل من باع الدنيا بالاخرة فهو
زاهد في الدنيا وكل من باع الاخرة بالدنيا فهو ايضا زاهد ولكن في الاخرة ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الزاهد بمن يزهد
في الدنيا كما خصص اسم الالحاد بمن يميل الى الباطل خاصة وان كان هو الميل في وضع اللسان ولما كان الزهد رغبة عن محبوب
بالجملة لم يتصور الا بالعدول الى شي هو احب منه والا فترك المحبوب بغير الاحب محال والذي يرغب عن كل ما سوى
الله حتى الفراديس ولا يحب الا الله فهو الزاهد المطلق والذي يرغب عن كل حظ ينال في الدنيا ولم يزهد في مثل تلك الحظوظ
في الاخرة بل طمع في الحور والقصور والفواكه والانهار فهو ايضا زاهد ولكنه دون الاول والذي يترك المال دون الجاه او يترك
التوسع في الاكل ولا يترك التجمل في الزينة فلا يستحق اسم الزهد مطلقا ودرجته في الزهاد درجة من يتوب عن بعض المعاصي
في التائبين وهو زهد صحيح كما ان التوبة عن بعض المعاصي صحيحة فان التوبة عبارة عن ترك المحظورات والزهد عبارة عن ترك
المباحات دون بعض كما لا يبعد ذلك في المحظورات والمقتصر على ترك المحظورات لا يسمى زاهدا وان كان قد زهد في المحظورات
وانصرف عنها ولكن العادة تخصص هذا الاسم بترك المباحات فاذا الزهد عبارة عن رغبة عن الدنيا عدولا الى الاخرة او
عن غير الله عدولا الى الله وهي الدرجة العليا وكما يشترط في المرغوب فيه ان يكون خيرا عنده فيشترط في المرغوب عنه ان يكون
مقدورا عليه فان ترك ما لا يقدر عليه محال وبالترك يتبين زوال الرغبة ولذلك قيل لابن المبارك يا زاهد فقال الزاهد عمر
ابن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها فاما انا ففيما ذا زهدت واما العلم الذي هو مثمر هذا الحال فهو العلم
بكون المتروك حقيرا بالاضافة الى الماخوذ كعلم التاجر بان العوض خير من المبيع فيرغب فيه وما لم يتحقق هذا العلم لا يتصور
ان تزول الرغبة عن المبيع فكذلك من عرف ان ما عند الله باق وان الاخرة خير وابقى اي لذاتها خير في انفسها وابقى
كما يكون الجوهر خيرا من الثلج وابقى من الثلج ولا يعسر على مالك الثلج بيعه بالجواهر واللالي فهكذا مثل الدنيا والاخرة فالدنيا كالثلج
الموضوع في الشمس لا يزال في الذوبان الى الانقراض والاخرة كالجواهر التي لا فناء لها فبقدر قوة اليقين والمعرفة
بالتفاوت بين الدنيا والاخرة تقوى الرغبة في البيع والمعاملة حتى ان قوي يقينه يبيع نفسه وماله كما قال الله تعالى ان الله
اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ثم بين ان صفقتهم رابحة فقال فاستبشروا ببيعكم الذي
بايعتم به فليس يحتاج من العلم في الزهد الا الى هذا القدر وهو ان الاخرة خير وابقى وقد يعلم ذلك من لا يقدر على ترك
الدنيا اما لضعف علمه ويقينه واما لاستيلاء الشهوة في الحال عليه وكونه مقهورا في يد الشيطان واما لاغترار

بمواعيد الشيطان في التسويف يوما فيوما الى ان تختطفه الموت ولا يبقى بعده الا الحسرة والندامة بعد الموت والى تعريف خساسة
الدنيا الاشارة بقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل والى تعريف نفاسة العوض الاشارة بقوله تعالى قال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب
الله خير فنبه على ان العلم بنفاسة الجوهر هو المرغب عن عوضه ولما لم يتصور الزهد الا لمعاوضة ورغبة عن محبوب في احب منه
قال رجل في دعائه اللهم ارني الدنيا كما تراها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تقل هكذا ولكن قل ارني الدنيا كما اريتها الصالحين من عبادك وهذا
لان الله تعالى يراها حقيرة كما هي وكل مخلوق فهو بالاضافة الى جلاله حقير والعبد يراها حقيرة في حق نفسه بالاضافة الى ما هو خير له ولا
يتصور ان يرى بايع الفرس والا رغب عن فرسه كما يرى حشرات الارض مثلا لانه مستغن عن الحشرات وليس مستغنيا عن الفرس والله
تعالى غني بذاته عن كل ما سواه فيرى الكل في درجة واحدة بالاضافة الى جلاله ويراه متفاوتا بالاضافة الى غيره والزاهد هو الذي
يرى تفاوته بالاضافة الى نفسه لا الى غيره واما العمل الصادر عن حال الزهد فهو ترك واحد لانه بيع ومعاملة واستبدال
للذي هو خير بالذي هو ادنى فكما ان العمل الصادر عن عقد البيع هو ترك المبيع واخراجه عن اليد واخذ العوض فكذلك الزهد
يوجب ترك المزهود فيه بالكلية وهي الدنيا باسرها مع اسبابها ومقدماتها وعلائقها فيخرج من القلب حبها ويدخل حب
الطاعات ويخرج من اليد والعين ما اخرجه من القلب ويوظف على اليد والعين وسائر الجوارح وظائف الطاعات والا كان كمن
سلم المبيع ولم ياخذ الثمن فاذا وفى بشرط الجانبين في الاخذ والترك فليستبشر ببيعه الذي بايع به فان الذي
بايعه بهذا البيع وفي بالعهد فمن اسلم حاضرا في غائب وسلم الحاضر واخذ يسعى في طلب الغائب حين فراغه من سعيه
ان كان العاقد ممن يوثق بصدقه وقدرته ووفائه بالعهد ومادام ممسكا للدنيا لا يصح زهده اصلا ولذلك لم يصف
الله اخوة يوسف بالزهد في بنيامين وان كانوا قد قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا وعزموا على ابعاده كما
عزموا على يوسف حتى تشفع فيه احدهم فترك ولا وصفهم ايضا بالزهد في يوسف عند العزم على اخراجه بل عند
التسليم والبيع فعلامة الرغبة الامساك وعلامة الزهد الاخراج فان اخرجت عن اليد بعض الدنيا فانت زاهد فيما
اخرجت فقط ولست زاهدا مطلقا وان لم يكن لك مال ولم تساعدك الدنيا لم يتصور منك الزهد لان ما لا
تقدر عليه لا تقدر على تركه وربما يستهويك الشيطان بغروره ويخيل اليك انه وان اتاك فانت زاهد فلا ينبغي ان تتدلى
بحبل غروره دون ان تستظهر بموثق غليظ من الله فانك اذا لم تجرب حال القدرة فلا تثق بالقدرة على الترك عند القدرة فكم من
ظان بنفسه كراهة المعاصي عند تعذرها فلما تيسرت له اسبابها من غير مكدر ولا خوف من الخلق وقع فيها واذا كان
هذا غرور النفس في المحظورات فاياك وان تثق بوعدها في المباحات والموثق الغليظ ان تجربها مرة بعد مرة في حال القدرة
فاذا وفت بما وعدت على الدوام مع انتفاء الصوارف والاعذار ظاهرا وباطنا فلا باس ان تثق بها وثوقا ما ولكن تكون
من تغيرها ايضا على حذر فانها سريعة النقض للعهد قريبة الرجوع الى مقتضى الطبع وبالجملة فلا امان منها الا عند الترك
بالاضافة الى ما ترك فقط وذلك عند القدرة قال ابن ابي ليلى لابن شبرمة الا ترى الى هذا ابن الحائك لا يفتي في مسئلة
الا رد علينا يعني ابا حنيفة فقال ابن شبرمة لا ادري اهو ابن الحائك ام ما هو ولكن اعلم ان الدنيا غدت اليه فهرب
منها وهربت منا فطلبناها ولذلك قال جميع المسلمين لمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم انا نحب ربنا ولو علمنا
في اي شيء محبته لفعلنا حتى نزل قوله تعالى ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل
منهم قال ابن مسعود قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انت منهم اي من القليل قال وما عرفت ان فينا من يحب الدنيا حتى نزل
قوله تعالى منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة واعلم انه ليس من الزهد ترك المال وبذله على سبيل السخاء والفتوة وعلى
سبيل استمالة القلوب وعلى سبيل الطمع فذلك كله من محاسن العادات ولكن لا مدخل لها في العبادات انما الزهد ان تترك
الدنيا لعلمك بحقارتها بالاضافة الى نفاسة الآخرة فاما كل نوع من الترك فانه يتصور ممن لا يؤمن بالآخرة فذلك قد يكون مروة
وفتوة وسخاء وحسن خلق ولكن لا يكون زهدا اذ حسن الذكر وميل القلوب من حظوظ العاجلة وهي الذ واهنى واشهى

من المال وكذا ان ترك المال على سبيل السلم طمعا في العوض ليس من الزهد فكذلك ان تركه طمعا في الذكر والثناء والاشتهار
بالفتوة والسخاء او استثقالا له لما في حفظ الاموال من المشقة والعناء والحاجة الى التذلل للسلاطين والاغنياء ليس من الزهد
اصلا بل هو استعجال حظ آخر للنفس بل الزاهد من اتته الدنيا راغمة عفوا صفوا وهو قادر على التنعم بها من غير نقصان جاه وقبح
اسم ولا فوات حظ للنفس فتركها خوفا من ان يانس بها فيكون آنسا بغير الله ومحبا لما سوى الله ويكون مشركا في حب الله غير الله
او تركها طمعا في ثواب الله في الآخرة فترك التمتع باشربة الدنيا طمعا في اشربة الجنة وترك التمتع بالسراري والنسوان طمعا في الحور العين
وترك التفرج في البساتين طمعا في بساتين الجنة واشجارها وترك التزين والتجمل بزينة الدنيا طمعا في زينة الجنة وترك المطاعم
اللذيذة طمعا في فواكه الجنة وخوفا من ان يقال له اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فآثر جميع ذلك مما وعد به
في الجنة على ما تيسر له في الدنيا عفوا صفوا لعلمه بان ما في الآخرة خير وابقى وما سوى هذا فمعاملات دنيوية لا جدوى لها في الآخرة

بيان فضيلة الزهد

قال الله تعالى فخرج على قومه في زينته الى قوله تعالى وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله
خير فنسب الزهد الى العلماء ووصف اهله بالعلم وهو غاية الثناء وقال تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين
بما صبروا جاء في التفسير على الزهد في الدنيا وقال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا قيل معناه ايهم ازهد فيها
فوصف الزهد بانه من احسن الاعمال وقال تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها
وما له في الآخرة من نصيب وقال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه
ورزق ربك خير وابقى وقال تعالى الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة فوصف الكفار بذلك فمفهومه ان المؤمن هو الذي
يتصف بنقيضه وهو ان يستحب الآخرة على الحياة الدنيا واما الاخبار فما ورد منها في ذم الدنيا كثير وقد اوردنا بعضها
في كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات اذ حب الدنيا من المهلكات ونحن الآن نقتصر على فضيلة بغض الدنيا فانه من المنجيات
وهو المعني بالزهد وقد قال صلى الله عليه وسلم من اصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه امره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين
عينيه ولم ياته من الدنيا الا ما كتب له منها ومن اصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه
واتته الدنيا وهي راغمة وقال صلى الله عليه وسلم اذا رايتم العبد قد اعطي صمتا وزهدا في الدنيا فاقتربوا منه فانه يلقى الحكمة
وقد قال الله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ولذلك قيل من زهد في الدنيا اربعين يوما اجرى الله تعالى ينابيع الحكمة
في قلبه وانطق بها لسانه وعن بعض الصحابة انه قال قلنا يا رسول الله اي الناس خير قال كل مخموم القلب صدوق اللسان
قلنا يا رسول الله وما مخموم القلب قال التقي النقي الذي لا غل فيه ولا غش ولا بغي ولا حسد قلنا يا رسول الله فمن على اثره قال الذي يشنأ
الدنيا ويحب الآخرة ومفهومه ان شر الناس الذي يحب الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ان اردت ان يحبك الله فازهد
في الدنيا فجعل الزهد سببا للمحبة فمن احبه الله تعالى فهو في اعلى الدرجات فينبغي ان يكون الزهد من افضل المقامات ومفهومه ايضا ان
محب الدنيا متعرض لبغض الله ومن خبر من طريق اهل البيت الزهد والورع يجولان في القلوب كل ليلة فان صادفا قلبا فيه الايمان
والحياء اقاما فيه والا ارتحلا ولما قال حارثة لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا مؤمن حقا قال وما حقيقة ايمانك فقال عزفت
نفسي عن الدنيا فاستوى عندي حجرها وذهبها وكاني بالجنة والنار وكاني بعرش ربي بارزا فقال صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم
عبد نور الله الايمان قلبه فانظر كيف بدا في اظهار حقيقة الايمان بعزوف النفس عن الدنيا وقرنه باليقين وكيف زكاه رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذ قال عبد نور الله الايمان قلبه ولما سئل صلى الله عليه وسلم عن معنى الشرح في قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح
صدره للاسلام وقيل له ما هذا الشرح قال ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل يا رسول الله وهل لذلك
علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فانظر كيف جعل الزهد شرطا للاسلام
وهو التجافي عن دار الغرور وقال صلى الله عليه وسلم استحيوا من الله حق الحياء قالوا انا نستحيي منه فقال تبنون ما لا تسكنون وتجمعون
ما لا تاكلون فبين ان ذلك يناقض الحياء من الله ولما قدم عليه وفد قالوا انا مؤمنون قال وما علامة ايمانكم فذكروا

الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بمواقع القضاء وترك الشماتة بالمصيبة اذا نزلت بالاعداء فقال
ان كنتم كذلك فلا تجمعوا ما لا تاكلون ولا تبنوا ما لا تسكنون ولا تنافسوا فيما عنه ترحلون فجعل الزهد تكملة
لايمانكم وقال جابر خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من جاء بلا اله الا الله لا يخلط معها غيرها
وجبت له الجنة فقام اليه علي رضي الله عنه فقال بابي انت وامي يا رسول الله ما لا يخلط بها غيرها صفه لنا
وفسره لنا فقال حب الدنيا طلبا لها واتباعا لها وقوم يقولون قول الانبياء ويعملون اعمال الجبابرة فمن جاء
بلا اله الا الله ليس فيها شيء من هذا وجبت له الجنة وفي الخبر السخاء من اليقين ولا يدخل النار موقن والبخل
من الشك ولا يدخل الجنة من شك وقال ايضا السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس والبخيل
بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار والبخل ثمرة الرغبة في الدنيا والسخاء ثمرة الزهد والثناء على الثمرة ثناء
على المثمر لا محالة وروى ابن المسيب عن ابي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من زهد في الدنيا ادخل الله الحكمة
قلبه فانطق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها واخرجه منها سالما الى دار السلام وروي انه صلى الله عليه وسلم
مر في اصحابه بعشار من النوق الحفل وهي الحوامل وكانت من احب اموالهم اليهم وانفسها عندهم لانها تجمع الظهر
واللحم واللبن والوبر ولعظمها في قلوبهم قال الله تعالى واذا العشار عطلت قال فاعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وغض بصره فقيل له يا رسول الله هذه انفس اموالنا لم لا تنظر اليها فقال قد نهاني الله تعالى عن ذلك ثم تلا قوله
تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا وروى مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله
الا تستطعم الله فيطعمك قالت وبكيت لما رايت به من الجوع فقال يا عائشة والذي نفسي بيده لو سالت ان
تجري معي جبال الدنيا ذهبا لاجراها حيث شئت من الارض ولكني اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا
على غناها وحزن الدنيا على فرحها يا عائشة ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله لم يرض
لاولي العزم من الرسل الا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها ثم لم يرض مني الا ان يكلفني ما كلفهم فقال
تعالى فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل والله ما لي بد من طاعته واني والله لاصبرن كما صبروا بجهدي ولا
قوة الا بالله وروي عن عمر رضي الله عنه انه قالت له ابنته حفصة حين فتح عليه الفتوحات البس الين الثياب
اذا وردت عليك الوفود من الآفاق ومر بصنعة طعام تطعمه من حضرك فقال يا حفصة الست تعلمين ان اعلم
الناس بحال الرجل اهل بيته فقالت نعم قال ناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث في النبوة
كذا وكذا سنة لم يشبع هو واهل بيته غدوة الا جاعوا عشية ولا شبعوا عشية الا جاعوا غدوة وناشدتك
الله هل تعلمين ان النبي صلى الله عليه وسلم في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع من التمر هو واهله حتى فتح الله عليهم خيبر
ناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قربتم اليه يوما طعاما على مائدة فيها ارتفاع فشق ذلك عليه حتى تغير
لونه ثم امر بالمائدة فرفعت ووضع الطعام على دون ذلك او وضع على الارض ناشدتك الله هل تعلمين ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينام على عباءة مثنية فثنيت له ليلة باربع طاقات فنام عليها فلما استيقظ قال
منعتموني قيام الليلة بهذه العباءة اثنوها باثنتين كما كنتم تثنونها وناشدتك الله هل تعلمين ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يضع ثيابه لتغسل فياتيه بلال فيؤذنه بالصلاة فما يجد ثوبا يخرج به الى الصلاة حتى تجف ثيابه
فيخرج بها الى الصلاة وناشدتك الله هل تعلمين ان امراة من بني ظفر صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كساءين
ازارا ورداء وبعثت اليه باحدهما قبل ان يبلغ الآخر فخرج الى الصلاة وهو مشتمل به ليس عليه غيره قد عقد طرفيه
الى عنقه فصلى كذلك فما زال يقول حتى ابكاها وبكى عمر وانتحب حتى ظننا ان نفسه ستخرج وفي بعض الروايات زيادة من
قول عمر رضي الله عنه وهو انه قال كان لي صاحبان سلكا طريقا فان سلكت غير طريقهما سلك بي طريق غير طريقهما

واني والله سأصبر على عيشهما الشديد لعلي ادرك معهما عيشهما الرغيد وعن ابي سعيد الخدري عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال لقد كان الانبياء قبلي يبتلى احدهم بالفقر فلا يجد الا العباءة وان كان احدهم ليبتلى
بالقمل حتى يقتله القمل وكان ذلك احب اليهم من العطاء اليكم وعن ابن عباس قال لما ورد موسى ماء مدين كانت خضرة
البقل ترى في بطنه من الهزال فهذا ما اختاره انبياء الله والمرسلون وهم اعرف خلق الله بالله تعالى
وبطريق الفوز في الآخرة وفي حديث عمر رضي الله عنه انه لما نزل قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة قال
عليه الصلاة والسلام تبا للدنيا وتبا للدينار والدرهم فقلنا نهانا الله عن كنز الذهب والفضة فاي شيء ندخر
فقال صلى الله عليه وسلم ليتخذ احدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة صالحة تعينه على امر آخرته وفي حديث
حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من آثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله بثلاث هما لا يفارق قلبه ابدا وفقرا
لا يستغني ابدا وحرصا لا يشبع ابدا وقال صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون ان لا يعرف احب
اليه من ان يعرف وحتى يكون قلة الشيء احب اليه من كثرته وقال عيسى عليه الصلاة والسلام الدنيا قنطرة فاعبروها ولا
تعمروها وقيل له يا نبي الله لو امرتنا ان نبني بيتا نعبد الله فيه فقال اذهبوا فابنوا بيتا على الماء فقالوا كيف يستقيم بنيان على
الماء فقال فكيف يستقيم عبادة مع حب الدنيا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم ان ربي عرض علي ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا
فقلت لا يا رب اجوع يوما واشبع يوما فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذي اشبع فيه
فاحمدك واثني عليك وعن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وجبريل معه فصعد على الصفا فقال
له يا جبريل والذي بعثك بالحق ما امسى لآل محمد كف سويق ولا سفة دقيق فلم يكن كلامه باسرع من ان سمع هدة من السماء افظعته
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الله القيامة ان تقوم فقال لا ولكن هذا اسرافيل قد نزل اليك حين سمع كلامك فاتاه اسرافيل
فقال ان الله عز وجل سمع ما ذكرت فبعثني بمفاتيح الارض وامرني ان اعرض عليك ان احببت ان اسير معك جبال تهامة
زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت وان شئت نبيا ملكا وان شئت نبيا عبدا فاومى اليه جبريل ان تواضع لله فقال
بل نبيا عبدا ثلاثا وقال صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا زهده في الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره بعيوب نفسه
وقال صلى الله عليه وسلم ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس وقال صلى الله عليه وسلم
من اراد ان يؤتيه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم من اشتاق الى الجنة سارع
في الخيرات ومن خاف من النار نهى عن الشهوات ومن ترقب الموت ترك اللذات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات
وعن عيسى وعن نبينا عليهما الصلاة والسلام انهما قالا اربع لا يدركن الا بعجب الصمت وهو اول العبادة والتواضع وكثرة الذكر
وقلة الشيء وجميع الاخبار الواردة في بغض الدنيا وذمها لا يمكن فان الانبياء ما بعثوا الا لصرف الناس عن الدنيا الى الآخرة
واليه يرجع اكثر كلامهم مع الخلق فيما اوردناه كفاية **واما الآثار** فقد جاء في الاثر لا تزال لا اله الا الله
تدفع عن العباد سخط الله تعالى ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم وفي لفظ آخر ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على دينهم فاذا فعلوا
ذلك وقالوا لا اله الا الله قال الله تعالى كذبتم لستم بها صادقين وعن بعض الصحابة قال تتبعنا الاعمال كلها فلم نر في امر الآخرة
ابلغ من زهد في الدنيا وقال بعض الصحابة لصدر التابعين انتم اكثر اعمالا واجتهادا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهم كانوا خيرا منكم قيل ولم ذلك قال كانوا ازهد في الدنيا منكم وقال عمر رضي الله عنه الزهادة في الدنيا راحة للقلب
والجسد وقال بلال بن سعد كفى به ذنبا ان الله تعالى يزهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها وقال رجل لسفيان اشتهي ان ارى
عالما زاهدا فقال ويحك تلك ضالة لا توجد وقال وهب بن منبه ان للجنة ثمانية ابواب فاذا صار اهل الجنة اليها
جعل البوابون يقولون وعزة ربنا لا يدخلها احد قبل الزاهدين في الدنيا العاشقين للجنة وقال يوسف بن اسباط اني
لاشتهي من الله ثلاث خصال ان اموت حين اموت وليس في ملكي درهم ولا يكون علي دين ولا على عظمي لحم فاعطي ذلك كله

ويروى ان بعض الخلفاء ارسل الى الفقهاء بجوائز فقبلوها وارسل الى الفضيل بعشرة آلاف درهم فلم يقبلها فقال له بنوه قد قبل الفقهاء وانت ترده على حالتك هذه فبكى الفضيل وقال اتدرون ما مثلي ومثلكم الا كمثل قوم كان لهم بقرة يحرثون عليها فلما هرمت ذبحوها لان ينتفعوا بجلدها وكذلك انتم اردتم ذبحي على كبر سني موتوا يا اهلي جوعا خير لكم من ان تذبحوا فضيلا وقال عبيد بن عمير كان عيسى عليه الصلاة والسلام يلبس الشعر ويأكل الشجر وليس له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يدخر لغد اينما ادركه المسا نام وقالت امرأة ابي حازم لابي حازم هذا الشتاء قد هجم علينا ولا بد لنا من الطعام والثياب والحطب فقال ابو حازم من هذا كله بد ولكن لا بد لنا من الموت ثم البعث ثم الوقوف بين يدي الله ثم الجنة او النار وقيل للحسن لم لا تغسل قميصك قال الامر اعجل من ذلك وقال ابرهيم بن ادهم قد حجبت قلوبنا بثلثة اغطية فلن يكشف للعبد اليقين حتى ترفع هذه الحجب الفرح بالموجود والحزن على المفقود والسرور بالمدح فاذا فرحت بالموجود فانت حريص واذا حزنت على المفقود فانت ساخط والساخط معذب واذا سررت بالمدح فانت معجب والعجب يحبط العمل وقال ابن مسعود ركعتان من زاهد قلبه خير له واحب الى الله من عبادة المتعبدين المجتهدين الى آخر الدهر ابدا سرمدا وقال بعض السلف نعمة الله علينا فيما صرف عنا اكثر من نعمته فيما صرف الينا وكأنه التفت الى معنى قوله عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى يحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه واذا فهم هذا علم ان النعمة في المنع المؤدي الى الصحة اكثر منها في العطاء المؤدي الى السقم وكان الثوري يقول الدنيا دار التواء لا دار استواء ودار ترح لا دار فرح من عرفها لم يفرح برخاء ولم يحزن على شقاء وقال سهل لا يخلص العمل المتعبد حتى لا يفزع عن اربعة اشياء الجوع والعري والفقر والذل وقال الحسن ادركت اقواما وصحبت طوائف ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا اقبل ولا يأسفون على شيء منها ادبر ولهي كانت في اعينهم اهون من التراب كان احدهم يعيش خمسين سنة وستين سنة لم يطو له ثوب ولا نصب له قدر ولم يجعل بينه وبين الارض شيئا ولا امر من في بيته بصنعة طعام فاذا كان الليل فقيام على اطرافهم يفترشون وجوههم يناجون ربهم في فكاك رقابهم كانوا اذا عملوا حسنة دأبوا في شكرها وسألوا الله ان يقبلها واذا عملوا سيئة احزنتهم وسألوا الله ان يغفرها لهم فلم يزالوا على ذلك فوالله ما سلموا من الذنب ولا نجوا الا بالمغفرة والعفو

بيان درجات الزهد واقسامه بالاضافة الى نفسه والى المرغوب عنه والى المرغوب فيه

اعلم ان الزهد في نفسه يتفاوت بحسب تفاوت قوته على ثلث درجات • **الدرجة السفلى** منها ان يزهد في الدنيا وهو لها مشته • وقلبه اليها مائل • ونفسه اليها ملتفتة • ولكنه يجاهدها ويكفها وهذا يسمى المتزهد وهو مبدأ الزهد في حق من يصل الى درجة الزهد بالكسب والاجتهاد والمتزهد يذيب اولا نفسه ثم كيسه والزاهد يذيب اولا كيسه ثم يذيب نفسه في الطاعة لا في الصبر على ما فارقه والمتزهد على خطر فانه ربما تغلبه نفسه وتجذبه شهوته فيعود الى الدنيا والى الاستراحة بها في قليل او كثير • **الدرجة الثانية** الذي يترك الدنيا طوعا لاستحقاره اياها بالاضافة الى ما طمع فيه كالذي يترك درهما لاجل درهمين فانه لا يشق عليه ذلك وان كان يحتاج الى انتظار قليل ولكن هذا الزاهد يرى لا محالة زهده ويلتفت اليه كما يرى البائع المبيع ويلتفت اليه فيكاد يكون معجبا بنفسه وبزهده ويظن في نفسه انه ترك شيئا له قدر لما هو اعظم قدرا منه وهذا ايضا نقصان **الدرجة الثالثة** • وهي العليا ان يزهد طوعا ويزهد في زهده فلا يرى زهده اذ لا يرى انه ترك شيئا اذ عرف ان الدنيا لا شيء فيكون كمن ترك خزفة واخذ جوهرة فلا يرى ذلك معاوضة ولا يرى نفسه تاركا شيئا والدنيا بالاضافة الى الله ونعيم الآخرة اخس من خزفة بالاضافة الى جوهرة فهذا هو الكمال في الزهد وسببه كمال المعرفة ومثل هذا الزاهد آمن من خطر الالتفات الى الدنيا كما ان تارك الخزفة بالجوهرة آمن من طلب الاقالة في البيع قال ابو يزيد لابي موسى عبد الرحيم في اي شيء تتكلم قال في الزهد قال في اي شيء قال في الدنيا فنفض يده وقال ظننت انه يتكلم في شيء الدنيا لا شيء ايش يزهد فيها ومثل من ترك الدنيا للآخرة عند اهل المعرفة وارباب القلوب المعمورة بالمشاهدات والمكاشفات مثل من منعه عن باب الملك كلب على بابه فالقى اليه لقمة من خبز فشغله بنفسه ودخل الباب ونال القرب عند الملك حتى نفذ امره في جميع مملكته افترى انه يرى لنفسه يدا عند الملك بلقمة خبز القاها الى كلب في مقابلة ما قد ناله فالشيطان كلب على باب الله يمنع الناس من الدخول مع ان الباب مفتوح والحجاب مرفوع والدنيا كلقمة خبز ان اكلت فلذتها في حال المضغ وتنقضي على القرب بالابتلاع ثم يبقى ثقلها في المعدة ثم تنتهي الى النتن والقذر ويحتاج بعد ذلك الى اخراج ذلك الثقل فمن تركها لينال عز الملك فكيف يلتفت اليها ونسبة الدنيا كلها اعني ما يسلم لكل شخص منها وان عمر الف سنة بالاضافة الى نعيم الآخرة اقل من لقمة بالاضافة الى ملك الدنيا اذ لا نسبة للمتناهي الى ما لا نهاية له والدنيا متناهية على القرب ولو كانت تتمادى الف الف سنة صافية عن كل كدورة لما كان لها نسبة الى الابد فكيف ومدة العمر قصير ولذات الدنيا مكدرة غير صافية فاي نسبة لها الى نعيم الابد فاذا لا يلتفت الزاهد الى زهده الا اذا التفت الى ما زهد فيه ولا يلتفت الى ما زهد فيه الا اذا رآه شيئا معتدا به ولا يراه شيئا معتدا به الا لقصور معرفته فسبب نقصان الزهد نقصان المعرفة فهذا تفاوت نقصان الزهد وكل درجة من هذا ايضا لها درجات اذ صبر المتزهد يختلف ويتفاوت ايضا باختلاف قدر المشقة في الصبر وكذا درجة المعجب بزهده في قدر التفاته الى زهده **واما انقسام الزهد** بالاضافة الى المرغوب فيه فهو ايضا على ثلث درجات **الدرجة السفلى** ان يكون المرغوب فيه النجاة من النار ومن سائر الآلام كعذاب القبر ومناقشة الحساب وخطر الصراط وسائر ما بين يدي العبد من الاهوال كما وردت به الاخبار اذ فيها ان الرجل ليوقف في الحساب حتى لو وردت مائة بعير عطاشا على عرقه لصدرت رواء فهذا زهد الخائفين وكأنهم رضوا بالعدم لو اعدموا فان الخلاص من الالم يحصل بمجرد العدم **الدرجة الثانية** ان يزهد رغبة في ثواب الله ونعيمه واللذات الموعودة في جنته من الحور والقصور وغيرها وهذا زهد الراجين فان هؤلاء ما تركوا الدنيا قناعة بالعدم والخلاص من الالم بل طمعوا في وجود دائم ونعيم قائم سرمد لا آخر له **الدرجة الثالثة** وهي العليا ان لا يكون له رغبة الا في الله وفي لقائه فلا يلتفت قلبه الى الالام ليقصد الخلاص منها ولا الى اللذات ليقصد نيلها والظفر بها بل هو مستغرق الهم بالله تعالى وهو الذي اصبح وهمومه هم واحد وهو الموحد الحقيقي الذي لا يطلب غير الله لان من طلب غير الله فقد عبده وكل مطلوب معبود وكل طالب عبد بالاضافة الى مطلبه وطلب غير الله من الشرك الخفي وهذا زهد المحبين وهم العارفون لانه لا يحب الله خاصة الا من عرفه وكما ان من عرف الدينار والدرهم وعلم انه لا يقدر على الجمع بينهما لم يحب الا الدينار فكذلك من عرف الله وعرف لذة النظر الى وجهه الكريم وعرف ان الجمع بين تلك اللذة وبين لذة التنعم بالحور العين والنظر الى نقش القصور وخضرة الاشجار غير ممكن فلا يحب الا لذة النظر ولا يؤثر غيره ولا تظنن ان اهل الجنة عند النظر الى وجه الله تعالى يبقى للذة الحور والقصور متسع في قلوبهم بل تلك اللذة بالاضافة الى لذة نعيم الجنة كلذة ملك الدنيا والاستيلاء على اطراف الارض ورقاب الخلق بالاضافة الى لذة الاستيلاء على عصفور واللعب به والطالبون لنعيم الجنة عند اهل المعرفة وارباب القلوب كالصبي الطالب اللعب بالعصفور التارك للذة الملك وذلك لقصوره عن ادراك لذة الملك لا لان اللعب بالعصفور في نفسه اعلى والذ من الاستيلاء بطريق الملك على كافة الخلق **واما انقسامه** بالاضافة الى المرغوب عنه فقد كثرت فيه الاقاويل ولعل المذكور فيه يزيد على مائة قول فلا نشتغل بنقل الاقاويل ولكن نشير الى كلام محيط بالتفاصيل حتى يتضح ان اكثر ما ذكر فيه قاصر عن الاحاطة بالكل فنقول المرغوب عنه بالزهد له اجمال وتفصيل وللتفصيل مراتب بعضها اشرح لآحاد الاقسام وبعضها اجمع للجمل اما الاجمال في الدرجة الاولى فهو كل ما سوى الله فينبغي ان يزهد فيه حتى يزهد في نفسه ايضا والاجمال في الدرجة الثانية ان يزهد في كل صفة للنفس فيها متعة وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرياسة والمال والجاه وغيرها وفي الدرجة الثالثة ان يزهد في العلم والقدرة والدينار والدرهم اذ الاموال وان كثرت اصنافها فيجمعها الدينار والدرهم والجاه وان كثرت اسبابه فيرجع الى العلم والقدرة واعني بكل علم وقدرة مقصودها

ملك القلوب اذ معنى الجاه هو ملك القلوب والقدرة عليها كما ان معنى المال ملك الاعيان والقدرة عليها فان جاوزت هذا
التفصيل الى شرح وتفصيل هو ابلغ منه فيكاد يخرج ما فيه الزهد عن الحصر وقد ذكر الله تعالى في اية واحدة سبعة منها فقال
زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة
الدنيا • ثم رده في اية اخرى الى خمسة فقال اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد
ثم رده في موضع اخر الى واحد فقال ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى • فالهوى لفظ يجمع جميع حظوظ النفس في الدنيا فينبغي ان
يكون الزهد فيه واذا فهمت طريق الاجمال والتفصيل عرفت ان البعض من هذا لا يخالف البعض وانما يفارقه في الشرح مرة والاجمال
اخرى والحاصل ان الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها ومهما رغب عن حظوظ النفس كلها ومهما رغب عن حظوظ النفس رغب
عن البقاء في الدنيا فقصر امله لا محالة لانه انما يريد البقاء ليتمتع ويريد التمتع الدائم بارادة البقاء في الدنيا فان من اراد
شيئا اراد دوامه ولا معنى لحب الحياة الا حب دوام ما هو موجود وممكن في هذه الحيوة فاذا رغب عنها لم يردها ولذلك
لما كتب عليهم القتال قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب فقال تعالى قل متاع الدنيا قليل اي لستم
تريدون البقاء الا لمتاع الدنيا فظهر عند ذلك الزاهدون وانكشف حال المنافقين اما الزاهدون المحبون لله فقاتلوا
في سبيل الله كانهم بنيان مرصوص وانتظروا احدى الحسنيين وكانوا اذا دعوا الى القتال يستنشقون رائحة الجنة ويبادرون اليه
مبادرة الظمآن الى الماء البارد حرصا على نصرة دين الله او نيل رتبة الشهادة وكان من مات منهم على فراشه يتحسر على فوت الشهادة
حتى ان خالد بن الوليد لما احتضر للموت على فراشه كان يقول كم غررت بروحي وهجمت على الصفوف طمعا في الشهادة وانا الان اموت موت
العجائز فلما مات عد على جسده ثمانمائة ثقب من اثار الجراحات فهكذا كان حال الصادقين في الايمان رضي الله عنهم واما المنافقون
ففروا من الزحف خوفا من الموت فقيل لهم ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم فايثارهم البقاء على الشهادة استبدال
للذي هو ادنى بالذي هو خير • فاولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين واما المخلصون فان
الله تعالى اشترى منهم انفسهم واموالهم بان لهم الجنة فلما راوا انهم تركوا تمتع عشرين سنة مثلا او ثلثين بتمتع الابد استبشروا
ببيعهم الذي بايعوا به فهذا بيان المزهود فيه واذا فهمت هذا علمت ان ما ذكره المتكلمون في حد الزهد لم يشيروا به الا الى بعض اقسامه
فذكر كل واحد ما رآه غالبا على نفسه او على من كان يخاطبه فقال بشر الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس وهذه اشارة الى
الزهد في الجاه خاصة وقال القاسم الجوعي الزهد في الدنيا هو الزهد في الجوف فبقدر ما تملك من بطنك كذلك تملك من الزهد
وهذه اشارة الى الزهد في شهوة واحدة ولعمري هي اغلب الشهوات على الاكثر وهي المهيجة لاكثر الشهوات وقال الفضيل
الزهد هو القناعة وهو اشارة الى المال خاصة وقال الثوري الزهد هو قصر الامل وهذا جامع لجميع الشهوات فان من يميل الى
الشهوات يحدث نفسه بالبقاء فيطول امله ومن قصر امله فكانه رغب عن الشهوات كلها وقال اويس اذا خرج يطلب
ذهب الزهد وما قصد بهذا حد الزهد ولكن جعل التوكل شرطا في الزهد وقال ايضا الزهد هو ترك الطلب للمضمون وهو
اشارة الى الرزق وقال اهل الحديث الدنيا هو العمل بالراي والمعقول • والزهد انما هو اتباع العلم ولزوم السنة وهذا ان
اريد به الراي الفاسد والمعقول الذي يطلب به الجاه في الدنيا فهو صحيح ولكنه اشارة الى بعض اسباب الجاه خاصة والى ما هو من فضول الشهوات
فان من العلوم ما لا فائدة فيه في الاخرة وقد طولوها حتى ينقضي عمر الانسان في الاشتغال بواحد منها فشرط الزاهد ان يكون الفضول
اول مرغوب عنه وقال الحسن الزاهد الذي اذا راى احدا قال هذا افضل مني فذهب الى ان الزهد هو التواضع وهذا اشارة الى نفي
الجاه والعجب وهو بعض اقسام الزهد وقال بعضهم الزهد هو طلب الحلال واين هذا ممن يقول الزهد هو ترك الطلب
كما قاله اويس ولا شك في انه اراد به طلب الحلال • وكان يوسف بن اسباط يقول من صبر على الاذى وترك الشهوات واكل الخبز من حلال
فقد اخذ باصل الزهد • وفي الزهد اقاويل وراء ما نقلناه فلم نر في نقلها فائدة فان من طلب كشف الحقائق من اقاويل الناس
رآها مختلفة فلا يستفيد الا الحيرة واما من انكشف له الحق في نفسه وادركه بمشاهدة من قلبه لا بتلقف من سمع فقد وثق

انظر ١١ تعريف الزهد

بالحق واطلع على قصور من قصر لقصور بصيرته وعلى اقتصار من اقتصر مع الاطلاع لاقتصار حاجته وهؤلاء كلهم اقتصروا لا لقصور في بصيرتهم
ولكنهم ذكروا ما ذكروه عند الحاجة فلا جرم ذكروه بقدر الحاجة والحاجات تختلف فلا جرم الكلمات تختلف وقد يكون سبب الاقتصار الاخبار
عن الحالة الراهنة التي هي مقام العبد في نفسه والاحوال تختلف فلا جرم اقوال المخبر عنها تختلف • واما الحق في نفسه فلا يكون الا واحدا
ولا يتصور ان يختلف وانما الجامع من هذه الاقاويل الكامل في نفسه وان لم يكن فيه تفصيل ما قاله ابو سليمان الداراني اذ قال قد سمعنا
في الزهد كلاما كثيرا والزهد عندنا ترك كل شيء يشغلك عن الله تعالى وقد فصله مرة وقال من تزوج او سافر في طلب المعيشة او كتب
الحديث فقد ركن الى الدنيا فجعل جميع ذلك ضد الزهد وقرأ ابو سليمان قوله الا من اتى الله بقلب سليم قال هو القلب الذي ليس فيه
غيره وقال انما زهدوا في الدنيا لتتفرغ قلوبهم من همومها للاخرة فهذا بيان انقسام الزهد بالاضافة الى المزهود فيه فاما بالاضافة الى
احكامه فينقسم الى فرض ونفل وسلامة كما قال ابراهيم بن ادهم فالفرض هو الزهد في الحرام والنفل هو الزهد في الحلال
والسلامة هو الزهد في الشبهات وقد ذكرنا تفاصيل درجات الورع في كتاب الحلال والحرام وذلك من الزهد اذ قيل لمالك بن انس
ما الزهد قال التقوى واما بالاضافة الى خفايا ما يترك فلا نهاية للزهد فيه اذ لا نهاية لما تتمتع به النفس في الخطرات وسائر الحالات
لا سيما خفايا الرياء فان ذلك لا يطلع عليه الا سماسرة العلماء • بل الاموال الظاهرة ايضا درجات الزهد فيها لا تتناهى
فمن اقصى درجاتها زهد عيسى عليه السلام اذ توسد حجرا في نومه فقال له الشيطان اما كنت تركت الدنيا فما الذي بدا لك فقال
وما الذي تجدد قال توسدك الحجر اي تنعمت برفع راسك عن الارض في النوم فرمى الحجر وقال خذه مع ما تركته لك وروي عن
يحيى بن زكريا انه لبس المسوح حتى ثقب جلده تركا للتنعم بلين اللباس فسألته امه ان يلبس مكان المسح جبة من صوف ففعل
فاوحى الله تعالى اليه يا يحيى آثرت علي الدنيا فبكى ونزع الصوف وعاد الى ما كان وقال احمد الزهد زهد اويس بلغ من
العري ان جلس في قوصرة وجلس عيسى في ظل حائط فاقامه صاحبه فقال ما انت اقمتني انما اقامني الذي لم يرض لي ان اتنعم
بظل الحائط فاذا درجات الزهد ظاهرا وباطنا لا حصر لها واقل درجات الزهد في كل شبهة ومحظور وقال قوم الزهد
هو الزهد في الحلال لا في الشبهة والمحظور فليس ذلك من درجاته في شيء ثم راوا انه لم يبق حلال في اموال الدنيا فلا يتصور الزهد
الآن فان قلت مهما كان الصحيح هو ان الزهد ترك ما سوى الله تعالى فكيف يتصور ذلك مع الاكل والشرب واللبس
ومخالطة الناس ومكالمتهم فكل ذلك اشتغال بما سوى الله تعالى فاعلم ان معنى الانصراف عن الدنيا الى الله هو الاقبال بكل القلب
عليه ذكرا وفكرا ولا يتصور ذلك الا مع البقاء ولا بقاء الا بضرورة النفس فمهما اقتصرت من الدنيا على دفع المهلكات عن البدن
وكان غرضك الاستعانة بالبدن على العبادة لم تكن مشتغلا بغير الله فان ما لا يتوصل الى الشيء الا به فهو منه فالمشتغل
بعلف الناقة وسقيها في طريق الحج ليس معرضا عن الحج ولكن ينبغي ان تكون بدنك في طريق الله تعالى مثل ناقتك في طريق
الحج ولا غرض لك في تنعيمها فتنعم باللذات بل غرضك مقصور على دفع المهلكات حتى تسير بك الى مقصدك فكذلك
ينبغي ان تكون في صيانة بدنك عن الجوع والعطش المهلك بالاكل والشرب وعن الحر والبرد المهلك باللباس
والمسكن فتقتصر على قدر الضرورة ولا تقصد التلذذ بل التقوي على طاعة الله فذلك لا يناقض الزهد بل هو شرط
الزهد فان قلت لا بد وان اتلذذ بالاكل عند الجوع فاعلم ان ذلك لا يضرك اذا لم يكن
قصدك التلذذ فان شارب الماء البارد قد يتلذذ بالشرب فيرجع حاصله الى زوال الم العطش ومن
يقضي حاجته قد يستريح به ولكن لا يكون ذلك مقصودا عنده ومطلوبا بالقصد فلا يكون القلب منصرفا اليه فالانسان
قد يستريح في قيام الليل بتنسم الاسحار واصوات الاطيار ولكن اذا لم يقصد طلب موضع لهذه الاستراحة
فما يصيبه من ذلك بغير قصد لا يضره ولقد كان في الخائفين من طلب موضعا لا يصيبه نسيم الاسحار خيفة من
الاستراحة به وانس القلب معه فيكون فيه انس الى الدنيا ونقصان الانس بالله بقدر وقوع الانس بغير الله
ولذلك كان لداود الطائي حب مكسور فيه ماؤه فكان لا يرفعه من الشمس ويشرب الماء الحار ويقول من وجد

زهد يحيى بن زكريا وعيسى صلى [illegible] عليهما

لذة الماء البارد يشق عليه مفارقة الدنيا فهذه مخاوف المحتاطين والحزم في جميع ذلك الاحتياط فانه وان كان شاقا
فمدته قريبة والاحتماء مدة يسيرة للتنعم على التأبيد لا يشق على اهل المعرفة القاهرين انفسهم بسياسة الشرع المعتصمين
بعروة اليقين في معرفة المضادة التي هي بين الدنيا والدين **بيان تفصيل الزهد فيما هو من ضروريات** اعلم ان الذي
الناس منهمكون فيه ينقسم الى فضول والى مهم فالفضول كالخيل المسومة مثلا ان يقتنيها الانسان ليركب وهو قادر
على المشي والمهم كالاكل والشرب ولسنا نقدر على تفصيل اصناف الفضول لان ذلك لا ينحصر وانما ينحصر المهم الضروري
والمهم ايضا يتطرق اليه فضول في مقداره وجنسه واوقاته فلا بد من بيان وجه الزهد فيه والمهمات ستة امور
المطعم والملبس والمسكن والجاه وسبب حب الخلق له وكيفية الاحتراز منه في كتاب ذم الرياء من ربع المهلكات ونحن
الان نقتصر على بيان هذه المهمات الستة **المهم الاول** المطعم ولا بد للانسان من قوت حلال يقيم صلبه
ولكن له طول وعرض فلا بد من قبض طوله وعرضه حتى يتم به الزهد فاما طوله فبالاضافة الى جملة العمر فان من يملك طعام
يومه فلا يقنع به واما عرضه ففي مقدار الطعام وجنسه ووقت تناوله اما طوله فلا يقتصر الا بقصر الامل واقل
درجات الزهد فيه الاقتصار على قدر دفع الجوع عند شدة الجوع وخوف المرض ومن هذا حاله فاذا استقل بما تناوله لم
يدخر من غدائه لعشائه وهذه هي الدرجة العليا **الدرجة الثانية** ان يدخر لشهر او لاربعين يوما والثالثة
ان يدخر لسنة فقط وهذه رتبة الضعفاء من الزهاد ومن ادخر لاكثر من ذلك فتسميته زاهدا محال لان من امل اكثر
من سنة فهو طويل الامل جدا فلا يتم منه الزهد الا اذا لم يكن له كسب ولم يرض لنفسه الاخذ من الايدي كداود
الطائي فانه ورث عشرين دينارا فامسكها وانفقها في عشرين سنة فهذا لا يضاد اصل الزهد الا عند من جعل التوكل شرط الزهد
واما عرضه فبالاضافة الى المقدار فاقل درجاته في اليوم والليلة نصف رطل واوسطه رطل واعلاه مد واحد وهو ما قدره
الله تعالى في اطعام المساكين في الكفارة وما وراء ذلك فهو من اتساع البطن والاشتغال به ومن لم يقدر على الاقتصار على مد لم يكن
له من الزهد في البطن نصيب واما بالاضافة الى الجنس فاقله كل ما يقوت ولو كان الخبز من النخالة واوسطه خبز الشعير
والذرة واعلاه خبز البر غير منخول فاذا ميزت النخالة او صار حواري فقد دخل في التنعم وخرج عن اخر ابواب الزهد
فضلا عن اوائله واما الادم فاقله الملح او البقل او الخل واوسطه الزيت ويسير من الادهان اي دهن كان واعلاه
اللحم اي لحم كان وذلك في الاسبوع مرة او مرتين فان صار دائما او اكثر من مرتين في الاسبوع خرج عن اخر ابواب الزهد فلم يكن صاحبه
زاهدا في البطن اصلا واما بالاضافة الى الوقت فاقله في اليوم والليلة مرة وهو ان يكون صائما واوسطه ان يصوم ويشرب
ليلة ولا ياكل وياكل ليلة ولا يشرب واعلاه ان ينتهي الى ان يطوي ثلاثة ايام او اسبوعا وما زاد عليه وقد ذكرنا طريق تقليل
الطعام وكسر شرهه في ربع المهلكات ولينظر الى احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيفية زهدهم في الطعام وتركهم الادم
قالت عائشة رضي الله عنها كانت تاتي اربعون ليلة وما يوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مصباح ولا نار قيل
فبم كنتم تعيشون قالت بالاسودين التمر والماء وهذا ترك اللحم والمرقة والادم **وقال** الحسن كان صلى الله عليه وسلم
يركب الحمار ويلبس الصوف وينتعل المخصوف ويلعق اصابعه وياكل على الارض ويقول انما انا عبد آكل كما تاكل العبيد وقال عيسى عم
بحق اقول لكم انه من طلب الفردوس فخبز الشعير له والنوم في المزابل مع الكلاب كثير وقال الفضيل ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ قدم
المدينة ثلاثة ايام من خبز البر وكان عيسى صلى الله عليه وسلم يقول يا بني اسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل البري وخبز الشعير واياكم
وخبز البر فانكم لن تقوموا بشكره وقد ذكرنا سيرة الانبياء والسلف في المطعم في ربع المهلكات فلا نعيده ولما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قباء
اتي بشربة من لبن مشوبة بعسل فوضع القدح من يده وقال اما اني لست احرمه ولكني اتركه تواضعا
لله تعالى واوتي عمر رضي الله عنه بشربة من ماء بارد وعسل في يوم صائف فقال اعزلوا عني حسابها وقال يحيى بن معاذ
الرازي الصادق قوته ما وجد ولباسه ما ستر ومسكنه حيث ادركه المساء الدنيا سجنه والقبر مضجعه والخلوة

مجلسه والاعتبار فكرته والقرآن حديثه والرب انيسه والذكر رفيقه والزهد قرينه والحزن شانه والحياء شعاره
والجوع ادامه والحكمة كلامه والتراب فراشه والتقوى زاده والصمت غنيمته والصبر معتمده والتوكل حسبه والعقل
دليله والعبادة حرفته والجنة مبلغه ان شاء الله تعالى **المهم الثاني** الملبس واقل درجاته ما يدفع
الحر والبرد ويستر العورة وهو كساء يتغطى به واوسطه قميص وقلنسوة ونعلان واعلاه ان يكون معه منديل
وسراويل وما جاوز هذا من حيث المقدار فهو مجاوز حد الزهد وشرط الزاهد ان لا يكون له ثوب يلبسه اذا
غسل ثوبه بل يلزمه القعود في البيت فاذا صار صاحب قميصين وسراويلين ومنديلين فقد خرج عن جميع ابواب الزهد
هذا من حيث المقدار واما الجنس فاقله المسوح الخشنة واوسطه الصوف الخشن واعلاه القطن الغليظ واما
من حيث الوقت فاقصاه ما يستره سنة واقله ما يبقى يوما حتى رقع بعضهم ثوبه بورق الشجر وان كان يتسارع
الجفاف اليه واوسطه ما يتماسك عليه شهرا وما يقاربه فطلب ما يبقى اكثر من سنة خروج الى طول الامل
وهو مضاد للزهد الا اذا كان المطلوب خشونته ثم قد يتبع ذلك قوته ودوامه فمن وجد زيادة من ذلك فينبغي ان
يتصدق به فان امسكه لم يكن زاهدا بل كان محبا للدنيا ولينظر فيه الى احوال الانبياء والصحابة كيف تركوا الملابس
قال ابو بردة اخرجت لنا عائشة كساء ملبدا وازارا غليظا فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين وقال
صلى الله عليه وسلم ان الله يحب المتبذل الذي لا يبالي ما لبس وقال عمرو بن الاسود العنسي لا البس مشهورا ابدا ولا انام
بليل على دثار ابدا ولا اركب على مأثور ابدا ولا املأ بطني من الطعام ابدا فقال عمر رضي الله عنه من سره ان ينظر الى هدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر الى عمرو بن الاسود وفي الخبر ما من عبد لبس ثوب شهرة الا اعرض الله تعالى عنه حتى ينزعه وان كان
عنده حبيبا واشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا باربعة دراهم وكان قيمة ثوبيه عشرة وكان ازاره اربعة اذرع
ونصفا واشترى سراويل بثلاثة دراهم وكان يلبس شملتين بيضاوين من صوف وكانت تسمى حلة لانهما ثوبان من جنس
واحد وربما لبس بردين يمانيين او سحوليين من هذه الغلاظ وفي الخبر كان قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قميص
زيات ولبس صلى الله عليه وسلم يوما واحدا ثوبا سيراء من سندس قيمته مائتا درهم فكان اصحابه يلمسونه ويقولون يا رسول الله
انزل هذا عليك من الجنة تعجبا وكان قد اهداه اليه المقوقس ملك الاسكندرية فاراد ان يكرمه بلبسه ثم نزعه وارسل به الى رجل
من المشركين وصله به ثم حرم لبس الحرير والديباج وكانه انما لبسه اولا تاكيدا للتحريم كما لبس خاتما من ذهب يوما ثم نزعه وحرم
لبسه على الرجال وكما قال لعائشة رضي الله عنها في شان بريرة اشترطي لاهلها الولاء فلما اشترطت صعد المنبر فحرمه وكما
اباح المتعة ثلاثا ثم حرمها لتاكيد امر النكاح وقد صلى صلى الله عليه وسلم في خميصة لها علم فلما سلم قال شغلني النظر الى هذه
اذهبوا بها الى ابي جهم وائتوني بانبجانيته يعني كساء فاختار لبس الكساء على الثوب الناعم وكان شراك نعله قد اخلق فابدل بسير
جديد فصلى فيه فلما سلم قال اعيدوا الشراك الخلق وانزعوا هذا الجديد فاني نظرت اليه في الصلاة ولبس صلى الله عليه وسلم خاتما فنظر
اليه على المنبر نظرة فرمى به وقال شغلني هذا عنكم نظرة اليه ونظرة اليكم وكان صلى الله عليه وسلم قد احتذى نعلين جديدين فاعجبه
حسنهما فخر ساجدا وقال اعجبني حسنهما فتواضعت لربي خشية ان يمقتني ثم خرج بهما فدفعهما الى اول مسكين راه وعن سنان
بن سعد قال حكت للنبي صلى الله عليه وسلم جبة صوف من صوف انمار وجعلت حاشيتها سوداء فلما لبسها قال انظروا ما احسنها
ما الينها قال فقام اليه اعرابي فقال يا رسول الله هبها لي قال وكان صلى الله عليه وسلم اذا سئل شيئا لم يبخل به قال فدفعها اليه
وامر ان تحاك له واحدة اخرى فمات صلى الله عليه وسلم وهي في المحاكة وعن جابر قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على فاطمة
وهي تطحن بالرحى وعليها كساء من اجلة الابل فلما نظر اليها بكى وقال يا فاطمة تجرعي مرارة الدنيا لنعيم الابد فانزل عليه
ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال صلى الله عليه وسلم ان من خيار امتي فيما انباني الملأ الاعلى قوما يضحكون جهرا من سعة
رحمة ربهم ويبكون سرا من خوف عذابه مؤونتهم على الناس خفيفة وعلى انفسهم ثقيلة يلبسون الخلقان ويتبعون

الرهبان اجسامهم في الارض وافئدتهم عند العرش فهذه سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الملابس وقد اوصى امته عامة
باتباعه اذ قال من احبني فليستن بسنتي وقال عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين بعدي عضوا عليها
بالنواجذ وقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله واوصى عايشة خاصة وقال لها ان اردت
اللحوق بي فاياك ومجالسة الاغنياء ولا تنزعي ثوبا حتى ترقعيه وعد على قميص عمر رضي الله عنه اثنتا عشرة رقعة
بعضها من ادم واشترى علي رضي الله عنه ثوبا بثلثة دراهم فلبسه وهو في الخلافة وقطع كميه من الرسغين وقال الحمد لله
الذي هذا من رياشه وقال الثوري وغيره البس من الثياب ما لا يشهرك عند العلماء ولا يحقرك عند الجهال وكان
يقول ان الفقير ليمر بي وانا اصلي فادعه يجوز ويمر بي واحد من ابناء الدنيا وعليه هذه البزة فامقته ولا ادعه
يجوز وقال بعضهم قومت ثوبي سفيان ونعليه بدرهم واربعة دوانيق وقال ابن شبرمة خير ثيابي
ما خدمني وشرها ما خدمته وقال بعض السلف البس من الثياب ما يخلطك بالسوقة ولا تلبس منها ما يشهرك فينظر
اليك وقال ابو سليمان الثياب ثلثة ثوب لله وهو ما يستر العورة وثوب للنفس وهو ما يطلب لينه
وثوب للناس وهو ما طلب جوهره وحسنه وقال بعضهم من رق ثوبه رق دينه وكان جمهور العلماء من التابعين
قيمة ثيابهم ما بين العشرين الى الثلثين وكان الخواص لا يلبس اكثر من قطعتين قميص ومئزر تحته ويعطف ذيل قميصه على راسه
وقال بعض السلف اول النسك الزي وفي الخبر البذاذة من الايمان وفي الخبر من ترك ثوب جمال وهو يقدر عليه
تواضعا لله تعالى وابتغاء وجهه كان حقا على الله ان يدخر له من عبقري الجنة في تخات الياقوت واوحى الله تعالى الى بعض
انبيائه قل لاوليائي لا يلبسوا ملابس اعدائي ولا يدخلوا مداخل اعدائي فيكونوا اعدائي كما هم اعدائي ونظر رافع بن خديج
الى بشر بن مروان على منبر الكوفة وهو يعظ فقال انظروا الى اميركم يعظ الناس وعليه ثياب الفساق وكان عليه ثياب
رقاق وجاء عبد الله بن عامر بن ربيعة الى ابي ذر في بزته فجعل يتكلم في الزهد فوضع ابو ذر راحته على فيه وجعل
يضرطه فغضب ابن عامر وشكاه الى عمر فقال انت صنعت بنفسك تتكلم في الزهد بين يديه بهذه البزة وقال علي رضي الله عنه
ان الله اخذ على ائمة الهدى ان يكونوا في مثل ادنى احوال الناس ليقتدي بهم الغني ولا يزري بالفقير فقره ولما عوتب في خشونة لباسه
قال هو اقرب الى التواضع واجدر ان يقتدي به المسلم ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التنعم وقال ان لله عبادا ليسوا بالمتنعمين
وروي ان فضالة بن عبيد وهو والي مصر رئي اشعث حافيا فقيل له انت الامير وتفعل هذا فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
نهانا عن الارفاه وامرنا ان نحتفي احيانا وقال علي لعمر رضي الله عنهما ان اردت ان تلحق بصاحبيك فارقع القميص ونكس الازار
واخصف النعل وكل دون الشبع وقال عمر رضي الله عنه اخلولقوا واخشوشنوا واياكم وزي العجم كسرى وقيصر وقال
علي رضي الله عنه من تزيا بزي قوم فهو منهم وقال عليه الصلاة والسلام ان من شرار امتي الذين غذوا بالنعيم يطلبون الوان
الطعام والوان الثياب ويتشدقون في الكلام وقال عليه الصلاة والسلام ازرة المومن الى انصاف ساقيه ولا جناح عليه
فيما بينه وبين الكعبين وما اسفل من ذلك ففي النار ولا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ازاره بطرا وقال ابو سليمان
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلبس الشعر من امتي الا مرائي او احمق وقال الاوزاعي لباس الصوف في السفر سنة وفي الحضر بدعة
ودخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم وعليه جبة صوف فقال له قتيبة ما دعاك الى مدرعة الصوف فسكت فقال اكلمك ولا
تجيبني فقال اكره ان اقول زهدا فازكي نفسي او فقرا فاشكو ربي وقال ابو سليمان لما اتخذ الله ابراهيم خليلا اوحى اليه
وار عورتك من الارض فكان لا يتخذ من كل شيء الا واحدا سوى السراويل فانه كان يتخذ سروالين فاذا غسل احدهما لبس
الآخر حتى لا ياتي عليه حال الا وعورته مستورة وقيل لسلمان الفارسي ما لك لا تلبس الجيد من الثياب فقال وما للعبد والثوب
الحسن فاذا اعتق فله والله ثياب لا تبلى ابدا ويروى عن عمر بن عبد العزيز انه كان له جبة شعر وكساء شعر يلبسهما من
الليل اذا قام يصلي وقال الحسن لفرقد السبخي تحسب ان لك فضلا على الناس بكسائك بلغني ان اكثر اهل النار اصحاب الاكسية

الاكسية وقال يحيى بن معين رايت ابا معاوية الاسود وهو يلتقط الخرق من المزابل ويغسلها ويلفقها ويلبسها
فقلت انك تكسى خيرا من هذا فقال ما ضرهم ما اصابهم في الدنيا جبر الله لهم بالجنة كل مصيبة فجعل يحيى بن معين يحدث بها
ويبكي **المهم الثالث** المسكن والزهد فيه ايضا ثلث درجات اعلاها ان لا يطلب موضعا خاصا
لنفسه فيقنع بزوايا المسجد كاصحاب الصفة واوسطها ان يطلب موضعا خاصا مثل كوخ مبني من سعف او خص او
ما يشبهه وادناها ان يطلب حجرة مبنية اما بشراء او اجارة فان كان قدر سعته على قدر حاجته من غير زيادة ولم يكن فيه
زينة لم يخرجه هذا القدر عن اخر درجات الزهد فان طلب التشييد والتجصيص والسعة وارتفاع السقف اكثر من ستة
اذرع فقد جاوز بالكلية حد الزهد في المسكن واختلاف جنس البناء بان يكون من الجص والقصب او بالطين او بالاجر
واختلاف قدره بالسعة والضيق واختلاف طوله بالاضافة الى الاوقات بان يكون مملوكا او مستاجرا او مستعارا والزهد
مدخل في جميع ذلك وبالجملة فكل ما يراد للضرورة فلا ينبغي ان يجاوز حد الضرورة وقدر الضرورة من الدنيا آلة الدين ووسيلة
وما جاوز ذلك فهو مضاد للدين والغرض من المسكن دفع المطر والبرد ودفع الاعين والاذى واقل الدرجات فيه معلوم وما
زاد عليه فهو من الفضول والفضول كله من الدنيا وطالب الفضول والساعي له بعيد من الزهد جدا وقد قيل اول
شيء ظهر من طول الامل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم التدريز والتشييد يعني بالتدريز كف دروز الثياب فانها كانت تشل شلا
والبنيان بالجص والآجر هو التشييد وانما كانوا يبنون بالسعف والجريد وقد جاء في الخبر ياتي على الناس
زمان يوشون بنيانهم كما توشى البرود اليمانية وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس ان يهدم علية كان قد علاها
ومر صلى الله عليه وسلم بقبة معلاة فقال لمن هذه فقالوا لفلان فلما جاءه اعرض عنه فلم يكن يقبل عليه كما كان فسال الرجل اصحابه
عن تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه فذهب فهدمها فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالموضع فلم يرها فاخبر بانه
قد هدمها فدعا له بخير وقال الحسن مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وقال
صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد شرا اهلك ماله في الماء والطين وقال عبد الله بن عمر مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونحن نعالج خصا فقال ما هذا قلنا خص لنا قد وهى فقال ارى الامر اعجل من ذلك واتخذ نوح عليه الصلاة والسلام
بيتا من قصب فقيل له لو بنيت فقال هذا كثير لمن يموت وقال الحسن دخلنا على صفوان بن محرز وهو في بيت من قصب
قد مال عليه فقيل له لو اصلحته فقال كم من رجل قد مات وهذا قائم على حاله وقال صلى الله عليه وسلم من بنى فوق ما يكفيه
كلف ان يحمله يوم القيامة وفي الخبر كل نفقة يوجر عليها العبد الا ما انفقه في الماء والطين وفي قوله تعالى تلك الدار
الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا انه الرياسة والتطاول في البنيان وقال صلى الله عليه وسلم للرجل الذي
شكا اليه ضيق منزله اتسع في السماء اي في الجنة ونظر عمر رضي الله عنه في طريق الشام الى صرح قد بني بجص وآجر فكبر وقال
ما كنت اظن ان يكون في هذه الامة من يبني بنيان هامان لفرعون يعني قول فرعون فاوقد لي يا هامان على الطين يعني
الآجر ويقال انه اول من بني له بالجص والآجر واول من عمله هامان ثم تبعها الجبابرة وهذا هو الزخرف وذكر
بعض السلف جامعا في بعض الامصار فقال ادركت هذا المسجد مبنيا من الجريد والسعف ثم رايته مبنيا من رهوص
ثم رايته الآن مبنيا باللبن فكان اصحاب السعف خيرا من اصحاب الرهوص وكان اصحاب الرهوص خيرا
من اصحاب اللبن وكان في السلف من يبني داره مرارا في مدة عمره لضعف بنائه وقصر امله وزهده في احكام
البنيان وكان منهم من اذا حج او غزا نزع بيته او وهبه لجيرانه فاذا رجع اعاده وكانت بيوتهم من
الحشيش والجلود وهي عادة العرب الآن ببلاد اليمن وكان ارتفاع بناء السلف قامة وبسطة
قال الحسن كنت اذا دخلت بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربت بيدي الى السقف وقال
عمرو بن دينار اذا اعلى العبد البناء فوق ستة اذرع ناداه ملك الى اين يا افسق الفاسقين ونهى سفيان

من النظر الى بناء مشيد وقال لولا نظر الناس لما شيدوه فالناظر معين عليه وقال الفضيل اني لا اعجب
ممن بنى وترك ولكن اعجب ممن نظر اليه ولم يعتبر وقال ابن مسعود يأتي قوم يرفعون الطين ويضعون
الدين ويستعملون البراذين يصلون الى قبلتكم ويموتون على غير دينكم

المهم الرابع

اثاث البيت وللزهد فيه ايضا درجات واعلاها حال عيسى صلى الله عليه وسلم اذ كان لا يصحبه الا مشط وكوز فرأى
انسانا يمشط لحيته باصابعه فرمى المشط ورأى اخر يشرب من النهر بكفيه فرمى الكوز وهذا حكم كل اثاث
فانه يراد لمقصود فاذا استغنى عنه فيقتصر فيه على اقل الدرجات وهو خزف فيما يكفي فيه الخزف ولا يبالي بان يكون مكسور الطرف
اذا كان المقصود يحصل به واوسطها ان يكون له اثاث بقدر الحاجة صحيح في نفسه لكن يستعمل الالة الواحدة في مقاصد
كالذي معه قصعة يشرب منها ويأكل الثريد فيها ويحفظ المتاع فيها وكان السلف يستحبون استعمال الة واحدة في اشيا
للتخفيف واعلاها ان يكون له بعدد كل حاجة آلة من الجنس النازل الخسيس فان زاد في العدد او في نفاسة الجنس خرج من
جميع ابواب الزهد وركن الى طلب الفضول ولينظر الى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسير اصحابه فقد
قالت عائشة رضي الله عنها كان ضجاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسادة من ادم حشوها ليف وقال الفضيل ما كان فراش
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عباءة مثنية ووسادة من ادم حشوها ليف وروى ان عمر رضي الله عنه دخل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو نائم على سرير مرمول بالشريط فجلس فرأى اثر الشريط في جنبه صلى الله عليه وسلم فتدمعت عيناه فقال له
صلى الله عليه وسلم ما الذي ابكاك يا ابن الخطاب فقال ذكرت كسرى وقيصر وما هما فيه من الملك وذكرتك وانت رسول الله
وحبيبه وصفيه نائم على سرير مرمول بالشريط فقال صلى الله عليه وسلم اما ترضى يا عمر ان تكون لهما الدنيا ولنا الاخرة
قال بلى يا رسول الله قال فذلك كذلك ودخل رجل على ابي ذر فجعل يقلب بصره في بيته فقال يا ابا ذر ما ارى في بيتك
متاعا ولا غير ذلك من الاثاث فقال ان لنا بيتا نوجه اليه صالح متاعنا فقال انه لا بد لك من متاع ما دمت
هاهنا فقال ان صاحب المنزل لا يدعنا فيه ولما قدم عمير بن سعد امير حمص على عمر قال له ما معك من الدنيا
قال معي عصاي اتوكأ عليها واقتل بها حية ان لقيتها ومعي جرابي احمل فيه طعامي ومعي قصعتي آكل فيها
واغسل فيها رأسي وثوبي ومعي مطهرتي احمل فيها شرابي ووضوئي للصلاة فما كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما معي
فقال عمر صدقت رحمك الله وجاء صلى الله عليه وسلم من سفر فدخل على فاطمة رضي الله عنها فرأى على باب منزلها سترا
وفي يديها قلبين من فضة فرجع فدخل عليها ابو رافع وهي تبكي فاخبرته برجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فقال من اجل
الستر والسوارين فارسلت بهما بلالا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت قد تصدقت بهما فليضعهما حيث يرى فقال
اذهب فبعه وادفعه الى اهل الصفة فباع القلبين بدرهمين ونصف درهم وتصدق به عليهم فدخل عليها فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بابي انت وامي قد احسنت ورأى صلى الله عليه وسلم على باب منزل عائشة رضي الله عنها سترا
فهتكه وقال كلما رأيته ذكرت الدنيا ارسلي به الى آل فلان وفرشت له عائشة رضي الله عنها ذات ليلة فراشا جديدا
وقد كان صلى الله عليه وسلم ينام على عباءة مثنية فما زال يتقلب ليلته فلما اصبح قال لها اعيدي العباءة الخلقة ونحي هذا
الفراش عني قد اسهرني الليلة وكذلك اتته دنانير خمسة او ستة فبيتها فسهر ليله حتى اخرجها من اخر الليل قالت
عائشة رضي الله عنها فنام حينئذ حتى سمعت غطيطه ثم قال ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهذه عنده وقال الحسن ادركت
سبعين من الاخيار ما لاحدهم الا ثوبه وما وضع احدهم بينه وبين الارض ثوبا قط كان اذا اراد النوم باشر الارض بجسمه
وجعل ثوبه فوقه

المهم الخامس

المنكح وقد قال قايلون لا معنى للزهد في اصل النكاح ولا في كثرته واليه
ذهب سهل بن عبد الله قال قد حبب الى سيد الزاهدين النساء فكيف نزهد فيهن ووافق ابن عيينة وقال
كان ازهد الصحابة علي بن ابي طالب وكان له اربع نسوة وبضع عشرة سرية والصحيح ما قاله ابو سليمان الداراني اذ

قال كل ما شغلك عن الله من اهل ومال وولد فهو عليك مشؤوم والمرأة قد تكون شاغلة عن الله وكشف الحق فيه
انه قد تكون العزوبة افضل في بعض الاحوال كما سبق في كتاب النكاح فيكون ترك النكاح من الزهد وحيث يكون
النكاح افضل لدفع الشهوة الغالبة فهو واجب فكيف يكون من الزهد تركه وان لم يكن آفة في تركه ولا في فعله ولكن
ترك النكاح احترازا من ميل القلب اليهن والانس بهن بحيث يشتغل عن ذكر الله فترك ذلك من الزهد وان
علم ان المرأة لا تشغله عن ذكر الله ولكن ترك ذلك احترازا من لذة النظر والمضاجعة والمواقعة فليس هذا من
الزهد اصلا فان الولد مقصود لبقاء نسله وتكثير امة رسول الله صلى الله عليه وسلم من القربات واللذة التي تلحق الانسان
فيما هو ضرورة الوجود لا تضره اذا لم يكن هو المطلب والمقصد وهذا كمن ترك اكل الخبز وشرب الماء احترازا من لذة الاكل
والشرب وليس ذلك من الزهد في شيء لان في تركهما فوات بدنه وفي ترك النكاح انقطاع نسله فلا يجوز ان يترك النكاح زهدا في
لذة من خوف لذة اخرى وهذا ما عناه سهل لا محالة ولاجله نكح رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا ثبت هذا فمن حاله حال
رسول الله في انه لا يشغله كثرة النساء ولا يشتغل القلب باصلاحهن والانفاق عليهن فلا معنى لزهده فيهن حذرا
من مجرد لذة الوقاع والنظر ولكن اين من يتصور له ذلك فان الانبياء والاولياء واكثر الناس يشغلهم كثرة النسوان فينبغي
ان يترك الاصل ان كان يشغله وان لم يشغله وكان يشغله الكثرة منهن او جمال المرأة فلينكح واحدة غير جميلة وليراع
قلبه في ذلك قال ابو سليمان الزهد في النساء ان يختار المرأة الدون او اليتيمة على المرأة الجميلة والشريفة وقال الجنيد احب
للمريد المبتدي ان لا يشغل قلبه بثلاث والا تغير حاله التكسب وطلب الحديث والتزوج وقال احب للصوفي ان لا يقرأ
ولا يكتب لانه اجمع لهمه فاذا ظهر ان لذة النكاح كلذة الاكل فما شغل عن الله فهو محذور فيهما جميعا

المهم السادس

ما يكون وسيلة الى هذه الخمسة وهو المال والجاه اما الجاه فمعناه ملك القلوب بطلب محل فيها ليتوصل به الى الاستعانة
في الاغراض والاعمال وكل من لا يقدر على القيام بنفسه في جميع حاجاته وافتقر الى من يخدمه افتقر الى جاه لا محالة في قلب خادمه
لانه ان لم يكن له عنده محل وقدر لم يقم بخدمته وقيام القدر والمحل في القلوب هو الجاه وهذا له اول قريب ولكنه
يتمادى الى هاوية لا عمق لها ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه وانما احتاج الى المحل في القلوب اما لجلب نفع او
لدفع ضرر او لخلاص من ظلم واما النفع فيغني عنه المال فان من يخدم باجرة يخدم وان لم يكن للمستاجر عنده قدر وانما يحتاج الى
الجاه في قلب من يخدم بغير اجرة واما دفع الضرر فيحتاج لاجله الى الجاه في بلد لا يكمل العدل فيها او يكون بين
جيران يظلمونه ولا يقدر على دفع شرهم الا بمحل له في القلوب او محل له عند السلطان وقدر الحاجة فيه لا ينضبط لا
سيما اذا انضم اليه الخوف وسوء الظن بالعواقب والخائض في طلب الجاه سالك طريق الهلاك بل حق الزاهد
ان لا يسعى لطلب المحل في القلوب فان اشتغاله بالدين والعبادة يمهد له من المحل في القلوب ما يدفع به عنه الاذى
ولو كان بين الكفار فكيف بين المسلمين واما التوهمات والتقديرات التي تحوج الى زيادة في الجاه على الحاصل بغير
كسب فهي اوهام كاذبة اذ من طلب الجاه ايضا لم يخل عن اذى في بعض الاحوال فعلاج ذلك بالاحتمال والصبر اولى
من علاجه بطلب الجاه فاذا طلب المحل في القلوب لا رخصة فيه واليسير منه داع الى الكثير وضراوته اشد من ضراوة
الخمر فليحترز من قليله وكثيره واما المال فهو ضروري في المعيشة اعني القليل منه فان كان كسوبا فاذا اكتسب حاجة
يومه فينبغي ان يترك الكسب كان بعضهم اذا اكتسب حبتين رفع سفطه وقام الى العبادة هذا شرط الزهاد
فان جاوز ذلك الى ما يكفيه اكثر من سنة فقد خرج من حد ضعفاء الزهاد واقويائهم جميعا وان كانت له ضيعة ولم
تكن له قوة يقين في التوكل فامسك منها مقدار ما يكفي ريعها لسنة واحدة فلا يخرج بهذا القدر من الزهد بشرط ان يتصدق
بكل ما يفضل من كفاية سنته ولكن يكون من ضعفاء الزهاد وان شرط التوكل في الزهد كما شرطه اويس فلا يكون هذا
من الزهاد وقولنا انه خرج من حد الزهاد نعني به ان ما وعد للزاهدين في الدار الاخرة من المقامات المحمودة لا يناله

ولا ماالم الزهد قد لا يفارقه بالاضافة الى ما زهد فيه من الفضول والكثرة وامر المنفرد في جميع ذلك اخف من امر
المعيل وقد قال ابو سليمان لا ينبغي ان يرهق الرجل اهله الى الزهد بل يدعوهم اليه فان اجابوا والا تركهم وفعل بنفسه
ما شاء معناه ان التضييق المشروط على الزاهد يخصه ولا يلزمه كل التضييق على عياله نعم لا ينبغي ان يجيبهم ايضا فيما يخرج
عن حد الاعتدال وليتعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انصرف من بيت فاطمة رضي الله عنها بسبب ستر وقلبين
لان ذلك من الزينة لا من الحاجة فاذا ما يضطر الانسان اليه من جاه ومال ليس بمحذور بل الزائد على الحاجة سم
قاتل والمقتصر على الضرورة دواء نافع وما بينهما درجات متشابهة فما يقرب من الزيادة وان لم يكن سما
قاتلا فهو مضر وما يقرب من الضرورة فهو وان لم يكن دواء نافعا ولكنه قليل الضرر والسم محظور شربه والدواء
فرض تناوله وما بينهما مشتبه امره فمن احتاط فانما يحتاط لنفسه ومن تساهل فانما يتساهل على نفسه ومن
استبرأ لدينه وترك ما يريبه الى ما لا يريبه ورد نفسه الى مضيق الضرورة فهو الآخذ بالحزم وهو من الفرقة الناجية
لا محالة والمقتصر على الضرورة والمهم لا يجوز ان ينسب الى الدنيا بل ذلك القدر من الدنيا هو عين الدين لانه شرط الدين والشرط
من جملة المشروط ويدل عليه ما روى ان ابراهيم صلى الله عليه وسلم اصابته حاجة فذهب الى صديق له يستقرض منه
شيئا فلم يقرضه فرجع مهموما فاوحى الله تعالى اليه لو سألت خليلك لاعطاك فقال يا رب عرفت مقتك للدنيا فخفت
ان اسألك منها شيئا فاوحى الله اليه ليس الحاجة من الدنيا فاذا قدر الحاجة من الدين وما وراء ذلك وبال في الآخرة وهو في الدنيا
ايضا كذلك يعرفه من خبر احوال الاغنياء وما عليهم من المحنة في كسب المال وجمعه وحفظه واحتمال الذل فيه وغاية سعادته
به ان يسلم لورثته فيأكلونه وربما كانوا اعداء له وربما يستعينون به على المعصية فيكون هو معينا لهم عليها ولذلك شبه جامع
الدنيا ومتبع الشهوات بدود القز لا يزال ينسج على نفسه حتى يقتلها ثم يروم الخروج فلا يجد مخلصا فيموت
ويهلك بسبب عمله الذي عمله بنفسه فكذلك كل من اتبع شهوات الدنيا فانما يحكم على قلبه سلاسل تقيده بما يشتهيه
حتى تتظاهر عليه السلاسل فتقيده بالمال والجاه والاهل والولد وشماتة الاعداء ومراءاة الاصدقاء وسائر حظوظ
الدنيا فلو خطر له انه قد اخطأ فيه وقصد الخروج من الدنيا لم يقدر ورأى قلبه مقيدا بسلاسل واغلال لا يقدر على قطعها ولو ترك
محبوبا من محابه باختياره كاد ان يكون قاتلا لنفسه وساعيا في هلاكها الى ان يفرق ملك الموت بينه وبين دفعة واحدة
فتبقى السلاسل من قلبه معلقة بالدنيا التي فاتته وخلفها فهي تجاذبه الى الدنيا ومخالب ملك الموت قد تعلقت بعروق
قلبه تجذبه الى الآخرة فيكون اهون احواله عند الموت ان يكون مثل شخص ينشر بمنشار ويفصل احد جانبيه عن الآخر
بالمجاذبة من الجانبين والذي ينشر بالمنشار انما ينزل الالم ببدنه ويتألم من حيث يسري اثره الى قلبه فكيف الظن بالم
يتمكن اولا بصميم القلب مخصوصا به لا بطريق السراية اليه من غيره فهذا اول عذاب يلقاه قبل ما يراه من حسرة فوات
النزول في اعلى عليين وجوار رب العالمين فبالنزوع الى الدنيا يحجب عن لقاء الله وعند الحجاب يتسلط عليه
نار جهنم اذ النار غير مسلطة الا على محجوب قال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم فرتب العذاب
بالنار على الم الحجاب والم الحجاب كاف من غير علاوة النار فكيف اذا اضيفت العلاوة اليه فنسأل الله تعالى ان يقرر في
اسماعنا ما نفث في روع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قيل له احبب ما احببت فانك مفارقه ولذلك قال الشاعر
كدود كدود القز ينسج دائما ويهلك غما وسط ما هو ناسجه ولما انكشف لاولياء الله ان العبد مهلك
نفسه باعماله واتباعه هوى نفسه اهلاك دود القز نفسه رفضوا الدنيا بالكلية حتى قال الحسن رأيت سبعين
بدريا كانوا فيما احل الله لهم ازهد منكم فيما حرم الله عليكم وفي لفظ آخر كانوا بالبلاء اشد فرحا منكم بالخصب
والرخاء لو رأيتموهم قلتم مجانين ولو رأوا خياركم قالوا ما لهؤلاء من خلاق ولو رأوا اشراركم قالوا ما يؤمن هؤلاء
بيوم الحساب وكان احدهم يعرض له المال الحلال فلا يأخذه ويقول اخاف ان يفسد علي قلبي فمن كان له قلب فهو

لا محالة خائف من فساده والذين امات حب الدنيا قلوبهم فقد اخبر الله تعالى عنهم ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين
هم عن آياتنا غافلون وقال تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا وقال فاعرض عمن تولى
عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا وقال فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم
احال ذلك الى الغفلة وعدم العلم ولذلك قال رجل لعيسى صلى الله عليه وسلم احملني معك في سياحتك فقال اخرج مالك والحقني
فقال لا استطيع فقال عليه الصلاة والسلام بعجب يدخل الغني الجنة او ما قال بشدة وقال بعضهم ما من يوم ذر شارقه الا واربعة
املاك ينادون في الآفاق باربعة اصوات ملكان بالمشرق وملكان بالمغرب يقول احدهم من المشرق يا باغي الخير
هلم ويا باغي الشر اقصر ويقول الآخر اللهم اعط منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا ويقول اللذان في المغرب احدهما لدوا
للموت وابنوا للخراب ويقول الآخر كلوا وتمتعوا اليوم لطول الحساب

بيان علامات الزهد

اعلم انه قد يظن ان
تارك المال زاهد وليس كذلك فان ترك المال واظهار الخشونة سهل على من احب المدح بالزهد فكم من الرهابين ردوا انفسهم
كل يوم الى قدر يسير من الطعام ولازموا ديرا لا باب له وانما مسرة احدهم معرفة الناس حاله ونظرهم اليه ومدحهم وذلك
لا يدل على الزهد دلالة قاطعة بل لا بد من الزهد في المال والجاه جميعا حتى يكمل الزهد في جميع حظوظ النفس من الدنيا بل قد
يدعي جماعة الزهد مع لبس الاصواف الفاخرة والثياب الرفيعة كما قال الخواص في وصف المدعين اذ قال وقوم ادعوا الزهد
ولبسوا الفاخر من اللباس يموهون بذلك على الناس ليهدى اليهم مثل لباسهم لئلا ينظر اليهم بالعين التي ينظر بها الى الفقراء فيحتقروا
فيعطوا كما يعطى المساكين ويحتجون لانفسهم باتباع العلم وانهم على السنة وان الاشياء داخلة عليهم وهم خارجون منها
وانما يأخذون بعلة غيرهم ولا تهذيب اخلاق نفوسهم فظهرت عليهم صفاتهم فغلبتهم فادعوها حالا لهم مالت قلوبهم الى الدنيا
متبعون للهوى فهذا كلام الخواص فاذا معرفة الزهد مشكل بل حال الزاهد على الزاهد مشكل وينبغي ان يعول في باطنه على
ثلاث علامات الاولى ان لا يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود كما قال تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم بل
ينبغي ان يكون بالضد من ذلك وهو ان يحزن بوجود المال ويفرح بفقده العلامة الثانية ان يستوي عنده ذامه ومادحه
فالاولى علامة الزهد في المال والثانية علامة الزهد في الجاه والثالثة ان يكون انسه بالله تعالى والغالب على قلبه حلاوة الطاعة اذ
لا يخلو القلب عن حلاوة المحبة اما محبة الدنيا واما محبة الله تعالى وهما في القلب كالماء والهواء في القدح فالماء اذا دخل خرج الهواء ولا
يجتمعان وكل من انس بالله اشتغل به ولم يشتغل بغيره ولذلك قيل لبعضهم الى ماذا افضى بهم الزهد قال الى الانس
بالله تعالى فاما الانس بالدنيا وبالله جميعا فلا يجتمعان وقد قال اهل المعرفة اذا تعلق الايمان بظاهر القلب احب الآخرة والدنيا
والدنيا جميعا وعمل لهما واذا بطن الايمان في سويداء القلب وباشره ابغض الدنيا ولم ينظر اليها ولم يعمل لها ولهذا ورد
في دعاء آدم عليه الصلاة والسلام اللهم اني اسالك ايمانا يباشر قلبي وقال ابو سليمان من شغل بنفسه شغل عن الناس وهذا
مقام العاملين ومن شغل بربه شغل عن نفسه وهذا مقام العارفين والزاهد لا بد وان يكون في احد هذين المقامين ومقام
الاول ان يشغل نفسه وعند ذلك يستوي عنده الذام والمادح والوجود والعدم ولا يستدل بامساكه قليلا من المال على فقد
زهده اصلا قال ابن ابي الحواري قلت لابي سليمان اكان داود الطائي زاهدا قال نعم قلت بلغني انه ورث عن ابيه
عشرين دينارا فانفقها في عشرين سنة فكيف كان زاهدا وهو يمسك الدنانير فقال اردت منه ان يبلغ حقيقة الزهد
واراد بالحقيقة الغاية فان الزهد ليس له غاية لكثرة صفات النفس ولا يتم الزهد الا بالزهد في جميعها فكل من ترك من الدنيا شيئا
مع القدرة عليه خوفا على قلبه وعلى دينه فله مدخل في هذا الزهد بقدر ما تركه وآخره ان يترك كل ما سوى الله حتى لا يتوسد حجرا
كما فعل عيسى عليه الصلاة والسلام فنسأل الله تعالى ان يرزقنا من مباديه نصيبا وان قل فان امثالنا لا يستجرئ على الطمع في
غاياته وان كان لا ينقطع الرجاء عن فضل الله تعالى بحر ما ذكرنا فيه واذا لاحظنا عجائب نعم الله تعالى علينا علمنا ان الله لا يتعاظمه
امر فلا نبعد في ان لا يعظم السؤال اعتمادا على الجود المجاوز لكل كمال فاذا علامة الزهد استواء الفقر والغنى والعز والذل والمدح

والزم لاجل ذلك الانس بالله ويتفرع عن هذه العلامات علامات اخر لا محالة مثل ان يترك الدنيا ولا يبالي من اخذها وقيل علامته
ان يترك الدنيا كما هي فلا يقول ابني رباطا او اعمر مسجدا وقال يحيى بن معاذ علامة الزهد السخا بالموجود وقال ابن خفيف
علامته وجود الراحة في الخروج من الملك وقال ايضا الزهد هو عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف وقال ابو سليمان الصوف علم
من اعلام الزهد فلا ينبغي ان يلبس صوفا بثلثة دراهم وفي قلبه رغبة خمسة دراهم وقال احمد بن حنبل وسفيان علامة الزهد
قصر الامل وقال السري لا يطيب عيش الزاهد اذا اشتغل عن نفسه ولا يطيب عيش العارف اذا اشتغل بنفسه وقال
النصرابادي الزاهد غريب في الدنيا والعارف غريب في الاخرة وقال يحيى بن معاذ علامة الزهد ثلث عمل بلا علاقة وقول
بلا طمع وعز بلا رياسة وقال ايضا الزاهد يسعطك الخل والخردل والعارف يشمك المسك والعنبر وقال
له رجل متى ادخل حانوت التوكل والبس رداء الزهد واقعد مع الزاهدين فقال اذا صرت من رياضتك لنفسك في السر
الى حد لو قطع الله عنك الرزق ثلثة ايام لم تضعف في نفسك فاما ما لم تبلغ هذه الدرجة فجلوسك على بساط الزاهدين
جهل ثم لا امن ان تفتضح وقال ايضا الدنيا كالعروس ومن يطلبها ماشطتها والزاهد فيها يسخم وجهها وينتف شعرها
ويخرق ثوبها والعارف يشتغل بالله لا يلتفت اليها وقال السري مارست كل شيء من امر الزهد فنلت منه ما اريد الا
الزهد في الناس فاني لم ابلغه ولم اطقه وقال الفضيل جعل الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل
الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد فهذا ما اردنا ان نذكره من حقيقة الزهد واحكامه واذا كان لا يتم الا بالتوكل
فلنشرع في بيانه اخر كتاب الفقر والزهد يتلوه ان شاء الله كتاب التوحيد والتوكل

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المدبر للملك والملكوت المتفرد بالعز والجبروت الرافع السماء بغير
عماد المقدر فيها ارزاق العباد الذي صرف اعين ذوي القلوب والالباب عن ملاحظة الوسائط والاسباب
الى مسبب الاسباب ورفع هممهم عن الالتفات الى ما عداه والاعتماد على مدبر سواه فلم يعبدوا الا اياه علما بانه
الواحد الفرد الصمد الاله وتحقيقا بان جميع اصناف الخلق عباد امثالهم لا يبتغى عندهم الرزق وانه ما من ذرة الا الى الله
خلقها وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فلما تحققوا انه لرزق عباده ضامن وبه كفيل توكلوا عليه وقالوا حسبنا
الله ونعم الوكيل والصلاة على محمد قامع الاباطيل الهادي الى سواء السبيل وعلى اله واصحابه خير جيل وقبيل وسلم
كثيرا **اما بعد** فان التوكل منزل من منازل الدين ومقام من مقامات الموقنين بل هو من معالي درجات
المقربين وهو في نفسه غامض من حيث العلم ثم هو شاق من حيث العمل ووجه غموضه من حيث الفهم ان ملاحظة الاسباب
والاعتماد عليها شرك في التوحيد والتثاقل عنها بالكلية طعن في السنة وقدح في الشرع والاعتماد على الاسباب من غير
ان يرى اسبابا تغيير في وجه العقل وانغماس في غمرة الجهل وتحقيق معنى التوكل على وجه يتوافق فيه مقتضى التوحيد والنقل
والشرع في غاية الغموض والعسر ولا يقوى على كشف هذا الغطاء مع شدة الخفاء الا سماسرة العلماء الذين اكتحلوا
من فضل الله تعالى بانوار الحقائق فابصروا وتحققوا ثم شاهدوا ونطقوا بالاعراب عما شاهدوه من حيث استنطقوا
ونحن الان نبدأ بذكر فضيلة التوكل على سبيل التقدمة ثم نردفه بالتوحيد في الشطر الاول من الكتاب ونذكر حال التوكل
وعمله في الشطر الثاني

بيان فضيلة التوكل

فقد قال الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقال تعالى
وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال تعالى ان الله يحب المتوكلين واعظم بمقام موسوم بمحبة الله صاحبه
ومضمون بكفاية الله ملابسه فمن كان الله حسبه وكافيه ومحبه ومراعيه فقد فاز الفوز العظيم فان المحبوب لا يعذب
ولا يبعد ولا يحجب وقال تعالى اليس الله بكاف عبده فطالب الكفاية من غيره هو التارك للتوكل وهو المكذب بهذه الاية

فانه سؤال في معرض استنطاق بالحق كقوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا وقال تعالى ومن يتوكل على الله فهو
حسبه ان الله عزيز حكيم اي عزيز لا يذل من استجار به ولا يضيع من لاذ بجنابه والتجأ الى ذمامه وهو حكيم لا يقصر
عن تدبير من توكل على تدبيره وقال تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فبين ان كل ما سوى الله عبد مسخر
حاجته مثل حاجتكم فكيف يتوكل عليه وقال ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه وقال تعالى
ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون وقال تعالى يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه وكل ما ذكر في القران من التوحيد
فهو تنبيه على قطع الملاحظة عن الاغيار والتوكل على الواحد القهار **واما الاخبار** فقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن مسعود
اريت الامم بالموسم فرايت امتي قد ملأوا السهل والجبل فاعجبتني كثرتهم وهيئتهم فقيل لي ارضيت قلت نعم قال ومع هؤلاء سبعون
الفا يدخلون الجنة بغير حساب قيل من هم يا رسول الله قال الذين لا يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة فقال
يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال اللهم اجعله منهم فقام اخر فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة
وقال صلى الله عليه وسلم لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقال صلى الله عليه وسلم من انقطع الى الله كفاه
كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها وقال صلى الله عليه وسلم من سره ان يكون اغنى الناس فليكن بما عند الله
اوثق منه بما في يديه ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا اصاب اهله خصاصة قال قوموا الى الصلاة ويقول بهذا امرني
ربي قال تعالى وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا وقال صلى الله عليه وسلم لم يتوكل من استرقى واكتوى وروي انه لما
قال جبريل لابراهيم عليهما السلام وقد رمي في النار بالمنجنيق الك حاجة فقال اما اليك فلا وفاء بقوله حسبي الله ونعم الوكيل
اذ قال حين اخذ ليرمى واوحى الله الى داود يا داود ما من عبد يعتصم بي دون خلقي فتكيده اهل السموات والارض الا
جعلت له مخرجا **واما الاثار** فقد قال سعيد بن جبير لدغتني عقرب فاقسمت امي ان استرقي فناولت
الراقي يدي التي لم تلدغ وقرأ الخواص قوله وتوكل على الحي الذي لا يموت الى اخرها فقال ما ينبغي للعبد بعد هذه الاية ان
يلجأ الى غير الله وقيل لبعض العلماء في منامه من وثق بالله فقد احرز قوته وقال بعض العلماء لا يشغلنك
المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل فتضيع امر اخرتك ولا تنال من الدنيا الا ما كتبه الله لك وقال يحيى بن معاذ
في وجود العبد الرزق من غير طلب دلالة على ان الرزق مامور بطلب العبد وقال ابراهيم بن ادهم سالت
بعض الرهبان من اين تاكل فقال ليس هذا العلم عندي ولكن سل ربي من اين يطعمني وقال هرم بن حيان
لاويس القرني اين تامرني ان اكون فاوما الى الشام فقال هرم كيف المعيشة بها فقال اويس اف لهذه القلوب
قد خالطها الشك فما تنفعها الموعظة وقال بعضهم متى رضيت بالله وكيلا وجدت الى كل خير سبيلا
اعلم ان التوكل من ابواب الايمان وجميع ابواب الايمان لا تنتظم الا
بعلم وحال وعمل والتوكل كذلك ينتظم من علم هو الاصل وعمل هو الثمرة وحال هو المراد باسم التوكل فلنبدأ
ببيان العلم الذي هو الاصل وهو المسمى ايمانا في اصل اللسان اذ الايمان هو التصديق وكل تصديق بالقلب
فهو علم واذا قوي سمي يقينا ولكن ابواب اليقين كثيرة ونحن انما نحتاج منها الى ما نبني عليه التوكل وهو التوحيد الذي يترجمه
قولك لا اله الا الله وحده لا شريك له والايمان بالقدرة التي يترجم عنها قولك له الملك والايمان بالجود والحكمة الذي يدل
عليها قولك وله الحمد فمن قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير تم له
الايمان الذي هو اصل التوكل اعني ان يصير معنى هذا القول وصفا لازما لقلبه غالبا عليه فاما التوحيد فهو
الاصل والقول فيه طويل وهو من علم المكاشفة ولكن بعض علوم المكاشفات يتعلق بالاعمال بواسطة الاحوال
ولا يتم علم المعاملة الا بها فاذا لا نتعرض الا للقدر الذي يتعلق بالمعاملة والا فالتوحيد هو البحر الخضم الذي لا ساحل له
فنقول للتوحيد اربع مراتب وهو ينقسم الى لب والى لب اللب والى قشر والى قشر القشر ولنمثل ذلك تقريبا

الى الاوهام الضعيفة بالجوز في قشرته العليا فان له قشرتين وله لب وللب دهن هو لب اللب فالمرتبة
الاولى من التوحيد ان يقول الانسان بلسانه لا اله الا الله وقلبه غافل عنه او منكر له كتوحيد المنافق والثانية
ان يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما صدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام والثالثة ان يشاهد ذلك بطريق الكشف
بواسطة نور الحق وهو مقام المقربين وذلك بان يرى اشياء كثيرة ولكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار
والرابعة ان لا يرى في الوجود الا واحدا وهو مشاهدة الصديقين وتسميه الصوفية الفناء في التوحيد لانه من
حيث لا يرى الا واحدا فلا يرى نفسه ايضا واذا لم ير نفسه لكونه مستغرقا بالواحد كان فانيا عن نفسه في توحيده
بمعنى انه فني عن رؤية نفسه فالاول موحد بمجرد اللسان ويعصم ذلك صاحبه في الدنيا عن السيف والسنان
والثاني موحد بمعنى انه معتقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال عن التكذيب بما انعقد عليه قلبه وهو عقدة على القلب
ليس فيه انشراح وانفتاح ولكنه يحفظ صاحبه من العذاب في الاخرة ان توفي عليها ولم تضعف بالمعاصي عقدتها ولهذا
العقد حيل يقصد بها تضعيفه وتحليله وتسمى بدعة وله حيل يقصد بها دفع حيلة التحليل والتضعيف ويقصد
بها ايضا احكام هذه العقدة وشدها على القلب وتسمى كلاما والعارف به يسمى متكلما وهو في مقابلة المبتدع ومقصده
دفع المبتدع عن تحليل هذه العقدة عن قلوب العوام وقد يخص المتكلم باسم الموحد انه يحمي بكلامه مفهوم لفظ التوحيد
على قلوب العوام حتى لا تنحل عقدته والثالث موحد بمعنى انه لم يشاهد الا فاعلا واحدا اذ انكشف له الحق كما هو
عليه ولا يرى فاعلا بالحقيقة الا واحدا وقد انكشفت له الحقيقة كما هي عليه لا انه كلف قلبه ان يعقد على مفهوم لفظ الحقيقة فان ذلك
رتبة العوام والمتكلمين اذ لم يفارق المتكلم العامي في الاعتقاد بل في صنعة تلفيق الكلام الذي به يدفع حيل المبتدع في
تحليل هذه العقدة والرابع موحد بمعنى انه لم يحضر في شهوده غير الواحد فلا يرى الكل من حيث انه كثير بل من حيث
انه واحد وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد فالاول كالقشرة العليا من الجوز والثاني كالقشرة السفلى والثالث
كاللب والرابع كالدهن المستخرج من اللب وكما ان القشرة العليا من الجوز لا خير فيه بل ان اكل فهو مر المذاق وان نظر الى
باطنها فهو كريه المنظر وان اتخذ حطبا اطفأ النار واكثر الدخان وان ترك في البيت ضيق المكان
فلا يصلح الا ان يترك مدة على الجوز للصوان ثم يرمى به عنه فكذلك التوحيد بمجرد اللسان دون التصديق بالقلب عديم
الجدوى كثير الضرر مذموم الظاهر والباطن لكنه ينفع مدة في حفظ القشرة السفلى الى وقت الموت والقشرة السفلى
هي القلب والبدن وتوحيد المنافق يصون بدنه عن سيف الغزاة فانهم لم يؤمروا بشق القلوب والسيف انما يصيب
جسم البدن وهو القشرة وانما يتجرد عنه بالموت فلا يبقى لتوحيده فائدة بعده وكما ان القشرة السفلى ظاهرة النفع
بالاضافة الى القشرة العليا فانها تصون اللب وتحرسه عن الفساد عند الادخار واذا انفصلت امكن ان ينتفع بها
حطبا لكنه نازل القدر بالاضافة الى اللب فكذلك مجرد الاعتقاد من غير كشف كثير النفع بالاضافة الى مجرد نطق اللسان
ناقص القدر بالاضافة الى الكشف والمشاهدة التي تحصل بانشراح الصدر وانفساحه واشراق نور الحق فيه اذ ذلك
الشرح هو المراد بقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وقوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره
للاسلام وكما ان اللب نفيس في نفسه بالاضافة الى القشر وكله المقصود ولكنه لا يخلو عن شوب عصارة
بالاضافة الى الدهن المستخرج منه فكذلك توحيد الفعل مقصد عال للسالكين لكنه لا يخلو عن شوب ملاحظة الغير والالتفات
الى الكثرة بالاضافة الى من لا يشاهد سوى الواحد الحق فان قلت كيف يتصور ان لا يشاهد الا واحدا
وهو يشاهد السماء والارض وسائر الاجسام المحسوسة وهي كثيرة فكيف يكون الكثير واحدا فاعلم ان هذه غاية
علوم المكاشفة واسرار هذا العلم لا يجوز ان تسطر في كتاب وقد قال العارفون افشاء سر الربوبية كفر ثم هو غير متعلق
بعلم المعاملة نعم ذكر ما يكسر سورة استبعادك ممكن وهو ان الشيء قد يكون كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار ويكون

واحدا بنوع اخر من المشاهدة والاعتبار وهذا كما ان الانسان كثير ان التفت الى روحه وجسده واطرافه وعروقه وعظامه واحشائه
وهو باعتبار اخر ومشاهدة اخرى واحد اذ نقول انه انسان واحد فهو بالاضافة الى الانسانية واحد وكم من شخص يشاهد انسانا
ولا يخطر بباله كثرة امعائه وعروقه واطرافه وتفصيل روحه وجسده والفرق بينهما انه في حالة الاستغراق والاستهتار به
مستغرق بواحد ليس فيه تفرق وكانه في عين الجمع والملتفت الى الكثرة في تفرقة فكذلك كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق له
اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة وهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد وباعتبار اخر سواه كثير بعضها اشد
كثرة من بعض ومثال الانسان وان كان لا يطابق الغرض ولكن ينبه في الجملة على كيفية مصير الكثرة في حكم المشاهدة واحدا
ويستفيد بهذا الكلام ترك الانكار والجحود لمقام لم تبلغه وتؤمن به ايمان تصديق فيكون لك من حيث انك مؤمن بهذا
التوحيد نصيب وان لم يكن ما امنت به صفتك كما انك اذا امنت بالنبوة وان لم تكن نبيا كان لك نصيب منها
بقدر قوة ايمانك وهذه المشاهدة التي لا يظهر فيها الا الواحد الحق تارة تدوم وتارة تطرأ كالبرق الخاطف وهو الاكثر والدوام
نادر عزيز والى هذا اشار الحسين بن منصور الحلاج حيث رأى الخواص يدور في الاسفار فقال فيماذا انت فقال ادور في
الاسفار لاصحح حالتي في التوكل وقد كان من المتوكلين فقال له الحسين قد افنيت عمرك في عمران باطنك فاين الفناء في
التوحيد فكان الخواص كان في تصحيح المقام الثالث من التوحيد فطالبه بالمقام الرابع فهذه مقامات الموحدين في التوحيد
على سبيل الاجمال فان قلت فلا بد لها من شرح بمقدار ما يفهم كيفية ابتناء التوكل عليه فاقول اما الرابع فلا يجوز
الخوض في بيانه وليس التوكل ايضا مبنيا عليه بل يحصل حال التوكل بالتوحيد الثالث واما الاول وهو النفاق فواضح واما
الثاني وهو الاعتقاد فهو موجود في عموم المسلمين وطرق تاكيده بالكلام ودفع حيل المبتدع فيه مذكور في علم الكلام وقد ذكرنا في كتاب
الاقتصاد في الاعتقاد القدر المهم منه واما الثالث فهو الذي يبنى التوكل عليه اذ مجرد التوكيل بالاعتقاد لا يورث حال التوكل فلنذكر منه القدر
الذي يرتبط التوكل به دون تفصيله الذي لا يحتمل امثال هذا الكتاب وحاصله ان ينكشف لك ان لا فاعل الا الله تعالى وان
كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وحياة وموت وغنى وفقر الى غير ذلك مما ينطلق عليه اسم فالمنفرد بابداعه واختراعه
هو الله تعالى لا شريك له فيه واذا انكشف لك هذا لم تنظر الى غيره بل كان منه خوفك واليه رجاؤك وبه ثقتك وعليه اتكالك
فانه الفاعل بالانفراد دون غيره وما سواه مسخرون لا استقلال لهم بتحريك ذرة من ملكوت السموات والارض واذا انفتحت لك
ابواب المكاشفة اتضح لك هذا اتضاحا اتم من المشاهدة بالبصر وانما يصدك الشيطان عن هذا التوحيد في مقامين
يبتغي ان يطرق الى قلبك شائبة الشرك بسببين احدهما الالتفات الى اختيار الحيوانات والثاني الالتفات الى الجمادات
اما الالتفات الى الجمادات فكاعتمادك على المطر في خروج الزرع ونباته ونمائه وعلى الغيم في نزول المطر وعلى البرد في اجتماع
الغيم وعلى الريح في استواء السفينة وسيرها وهذا كله شرك في التوحيد وجهل بحقائق الامور ولذلك قال تعالى فاذا ركبوا في
الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون قيل معناه انهم يقولون لولا استواء الريح لما نجونا
ومن انكشف له امر العالم كما هو عليه علم ان الريح هو الهواء لا يتحرك بنفسه ما لم يحرك وكذا محركه وهكذا الى ان ينتهي الى
المحرك الاول ولا هو متحرك في نفسه فالتفات العبد في النجاة الى الريح يضاهي التفات من اخذ لتجز رقبته فكتب الملك توقيعا
بالعفو عنه وتخليته فاخذ يشتغل بذكر الحبر والكاغد والقلم الذي به كتب التوقيع ويقول لولا القلم لما تخلصت فيرى نجاته من
القلم لا من محرك القلم وهو غاية الجهل ومن علم ان القلم لا حكم له في نفسه وانما هو مسخر في يد الكاتب لم يلتفت اليه ولم يشكر الا
الكاتب بل ربما يدهشه فرح النجاة وشكر الملك الكاتب عن ان يخطر بباله القلم والحبر والدواة والشمس والقمر والنجوم
والمطر والغيم والارض وكل حيوان وجماد مسخرات في قبضة القدرة كتسخير القلم في يد الكاتب بل هذا تمثيل لاعتقادك ان
الملك الموقع هو الكاتب للتوقيع والحق ان الله هو الكاتب كما قال الله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فاذا انكشف لك
ان جميع ما في السموات والارض مسخرات على هذا الوجه انصرف عنك الشيطان خائبا وايس عن مزج توحيدك بهذا الشرك

فاتك في المملكة الثانية وهي التفات الى اختيار الحيوانات في الافعال الاختيارية ويقول كيف ترى الامراء وهذا
الانسان يعطيك رزقك باختياره فان شاء اعطاك وان شاء قطع عنك وهذا الشخص هو الذي يحز رقبتك بسيفه
وهو قادر عليك ان شاء حز رقبتك وان شاء عفا عنك فكيف لا تخافه ولا ترجوه وامرك بيده وانت تشاهد ذلك
ولا تشك فيه فيقول له ايضا نعم ان كنت لا ترى القلم انه مسخر فكيف لا ترى الكاتب بالقلم وهو المسخر له وعند هذا زل اقدام
الاكثرين الا عباد الله المخلصين الذين لا سلطان عليهم للشياطين فشاهدوا بنور البصائر كون الكاتب مسخرا مضطرا كما شاهد
جميع الضعفاء كون القلم مسخرا وعرفوا ان غلط الضعفاء في ذلك كغلط النملة مثلا لو كانت تدب على الكاغد فترى راس
القلم يسود ولم يمتد بصرها الى اليد والاصابع فضلا عن صاحب اليد فغلطت وظنت ان القلم هو المسود للبياض وذلك لقصور
بصرها عن مجاوزة راس القلم لضيق حدقتها فكذلك من لم ينشرح بنور الله صدره قصرت بصيرته عن ملاحظة جبار السموات
والارض ومشاهدة كونه قاهرا وراء الكل فوقف في الطريق على الكاتب وهو جهل محض بل ارباب القلوب والمشاهدات قد انطق
الله في حقهم كل ذرة في الارض والسموات بقدرته التي بها انطق كل شيء حتى سمعوا تقديسها وتسبيحها وشهادتها على نفسها بالعجز بلسان
ذلق ينطق بلا حرف ولا صوت لا يسمعه الذين هم عن السمع معزولون ولست اعني به السمع الظاهر الذي لا يجاوز الاصوات فان الحمار
شريك فيه ولا قدر لما تشارك فيه البهايم وانما اريد به سمعا يدرك به كلام ليس بحرف ولا صوت ولا هو عربي ولا عجمي فان قلت
فهذه اعجوبة لا يقبلها العقل فصف لي كيفية نطقها وانها كيف نطقت وبماذا نطقت وكيف سبحت وقدست وكيف شهدت
على نفسها بالعجز فاعلم ان كل ذرة في السموات والارض مع ارباب القلوب مناجاة في السر وذلك مما لا ينحصر ولا يتناهى
فانها كلمات تستمد من بحر كلام الله الذي لا نهاية له ولو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا
بمثله مددا ثم انها تناجي باسرار الملك والملكوت وافشاء السر لوم بل صدور الاحرار قبور الاسرار وهل رايت
قط امينا على اسرار الملك قد نوجي بخفاياه فنادى به على ملا من الناس ولو جاز افشاء كل سر لما قال صلى الله عليه وسلم
لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا بل كان يذكر لهم حتى يبكوا ولا يضحكوا ولما نهى عن افشاء سر القدر ولما
قال اذا ذكرت النجوم فامسكوا واذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر اصحابي فامسكوا ولما خص حذيفة رضي الله عنه ببعض الاسرار
فاذا عن حكاية مناجاة ذرات الملك والملكوت لقلوب ارباب المشاهدات مانعان احدهما استحالة افشاء السر والثاني
خروج كلماتها عن الحصر والنهاية ولكنا في المثال الذي كنا فيه وهو حركة القلم نحكي من مناجاتها قدرا يسيرا يفهم به على الاجمال
كيفية ابتناء التوكل عليه ونرد كلماتها الى الحروف والاصوات وان لم تكن هي حروفا واصواتا ولكن هذه ضرورة التفهيم فنقول
قال بعض الناظرين عن مشكاة نور الله تعالى للكاغد وقد راه اسود وجهه بالحبر ما بال وجهك كان ابيض مشرقا والان
قد ظهر عليه السواد فلم سودت وجهك وما السبب فيه فقال الكاغد ما انصفتني في هذه المقالة فاني ما سودت وجهي بنفسي
لكن سل الحبر فانه كان مجموعا في المحبرة التي هي مستقره ووطنه فسافر عن الوطن ونزل بساحة وجهي ظلما وعدوانا فقال صدقت
فسال الحبر عن ذلك فقال ما انصفتني فاني كنت في المحبرة وادعا ساكنا عازما على ان لا ابرح منها فاعتدى علي القلم بطمعه الفاسد
واختطفني من وطني واجلاني عن بلادي وفرق جمعي وبددني كما ترى على ساحة بيضاء فالسؤال عليه لا علي فقال صدقت ثم
سال القلم عن السبب في ظلمه وعدوانه واخراج الحبر من اوطانه فقال سل اليد والاصابع فاني كنت قصبا نابتا على شط الانهار
متنزها بين خضرة الاشجار فجاءتني اليد بالسكين فنحت عني قشري ومزقت عني ثيابي واقتلعتني من اصلي وفصلت بين انابيبي ثم برتني
وشقت راسي ثم غمستني في سواد الحبر ومرارته وهو يستخدمني ويمشيني على قمة راسي فلقد نثرت الملح على جرحي بسؤالك وعتابك
فتنح عني وسل من قهرني فقال صدقت ثم سال اليد عن ظلمها وعدوانها على القلم واستخدامها له فقالت اليد ما انا الا لحم وعظم
ودم وهل رايت لحما يظلم او جسما يتحرك بنفسه وانما انا مركب مسخر ركبني فارس يقال له القدرة والعزة فهي التي ترددني
وتجول بي في نواحي الارض اما ترى المدر والحجر والشجر لا يتعدى شيء منها مكانه ولا يتحرك بنفسه اذ لم يركبها مثل هذا الفارس القوي

القاهر اما ترى ايدي الموتى تساويني في صورة اللحم والعظم والدم ثم لا معاملة بينها وبين القلم فانا ايضا من حيث انا
لا معاملة بيني وبين القلم فسل القدرة عن شاني فاني مركب ازعجني من ركبني فقال صدقت ثم سال القدرة عن شانها
في استعمالها اليد واستخدامها وكثرة ترديدها فقالت دع عنك لومي ومعاتبتي فكم من لائم ملوم وكم من ملوم لا ذنب
له وكيف خفي عليك امري او كيف ظننت اني ظلمت اليد لما ركبتها وقد كنت لها راكبة قبل التحريك وما كنت احركها ولا استسخرها بل
كنت نائمة ساكنة نوما ظن الظانون بي اني ميتة او معدومة لاني ما كنت اتحرك ولا احرك حتى جاءني موكل ازعجني وارهقني الى
ما تراه مني فكانت لي قوة على مساعدته ولم تكن لي قوة على مخالفته وهذا الموكل يسمى الارادة ولا اعرفه الا باسمه وبهجومه وصياله
اذ ازعجني من غمرة النوم وارهقني الى ما كان لي مندوحة عنه لو خلاني ورايي فقال صدقت ثم سال الارادة ما الذي جراك
على هذه القدرة الساكنة المطمئنة حتى صرفتها الى التحريك وارهقتها اليه ارهاقا لم تجد عنه مخلصا ولا مناصا فقالت الارادة لا تعجل
علي فلعل لنا عذرا وانت تلوم فاني ما انتهضت بنفسي ولكني انهضت وما انبعثت ولكن بعثت بحكم قاهر وامر جازم
وقد كنت ساكنة قبل مجيئه ولكن ورد علي من حضرة القلب رسول العلم على لسان العقل بالاشخاص للقدرة فاشخصتها باضطرار
فاني مسكينة مسخرة تحت قهر العلم والعقل ولا ادري باي جرم وقفت عليه وسخرت له والزمت طاعته لكني ادري اني كنت وادعة ساكنة ما
لم يرد علي هذا الوارد القاهر وهذا الحاكم العادل او الظالم وقد وقفت عليه وقفا والزمت طاعته الزاما بل لا يبقى لي معه
مهما جزم حكمه طاقة على المخالفة لعمري ما دام هو في التردد مع نفسه والتحير في حكمه فانا ساكنة لكن مع استشعار وانتظار
لحكمه فاذا انجزم حكمه انزعجت بطبع وقهر تحت طاعته واشخصت القدرة لتقوم بموجب حكمه فسل العلم عن شاني
ودع عني عتابك

شعر

متى ترحلت عن قوم وقد قدروا ان لا تفارقهم فالراحلون هم

فقال صدقت
واقبل على العقل والعلم والقلب مطالبا لهم ومعاتبا اياهم على استنهاض الارادة وتسخيرها لاشخاص القدرة فقال العقل
اما انا فسراج ما اشتعلت بنفسي ولكني اشعلت وقال القلب اما انا فلوح ما انبسطت بنفسي ولكني بسطت وقال
العلم اما انا فنقش نقشت في بياض لوح القلب لما اشرق سراج العقل وما انخططت بنفسي فكم كان هذا
اللوح قبل خاليا عني فسل القلم عني فان الخط لا يكون الا بالقلم فعند هذا يتتعتع السائل ولم يقنعه جوابه وقال قد
طال تعبي في هذا الطريق وكثرت منازلي ولا يزال يحيلني من طمعت فيه على غيره ولكني كنت اطيب نفسا بكثرة الترداد
لما كنت اسمع كلاما مقبولا في الفؤاد وعذرا ظاهرا في دفع السؤال فاما قولك اني خط ونقش وانما خطني قلم فلست افهم فاني
لا اعلم قلما الا من القصب ولا لوحا الا من الحديد او الخشب ولا خطا الا بالحبر ولا سراجا الا من النار واني لاسمع في هذا المنزل
حديث اللوح والسراج والخط والقلم ولا اشاهد من ذلك شيئا اسمع جعجعة ولا ارى طحنا فقال له القلم صدقت فيما قلت
فبضاعتك مزجاة وزادك قليل ومركبك ضعيف واعلم ان المهالك في الطريق الذي توجهت اليه كثيرة فالصواب
لك ان تنصرف وتدع ما انت فيه فما هذا بعشك فادرج عنه فكل ميسر لما خلق له وان كنت راغبا في استتمام الطريق
الى المقصد فالق سمعك وانت شهيد واعلم ان العوالم في طريقك هذا ثلثة عالم الملك والشهادة اولها ولقد كان
الكاغد والحبر والقلم واليد من هذا العالم وقد جاوزت تلك المنازل على سهولة والثاني عالم الملكوت وهو وراءي فاذا
جاوزتني انتهيت الى منازله وفيها المهامه الفيح والجبال الشاهقة والبحار المغرقة ولا ادري كيف تسلم فيها والثالث
عالم الجبروت وهو بين عالم الملك وعالم الملكوت ولقد قطعت منه ثلث منازل اذ اوايلها منزل القدرة والارادة
والعلم وهو واسطة بين الملك والملكوت لان عالم الملك اسهل منه وعالم الملكوت اوعر منه منهجا وانما عالم الجبروت
بين عالم الملك وعالم الملكوت يشبه السفينة التي هي في الحركة بين الارض والماء فلا هي في حد اضطراب الماء ولا هي
في حد سكون الارض وثباتها وكل من يمشي على الارض يمشي في عالم الملك والشهادة فان جاوزت قوته الى حد يقوى على ركوب السفينة
كان كمن يمشي في عالم الجبروت فان انتهى الى ان يمشي على الماء من غير سفينة مشى في عالم الملكوت من غير تتعتع فان كنت

لا تقدر على المشي على الماء فانصرف فقد جاوزت الارض وخلفت السفينة ولم يبق بين يديك الا الماء الصافي واول عالم الملكوت
مشاهدة القلم الذي يكتب به العلم وحصول اليقين الذي يمشي به على الماء اما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى لو ازداد
يقينا لمشى على الهوى لما ان قيل له انه كان يمشي على الماء فقال السالك السائل قد تحيرت في امري واشتمر قلبي خوفا
مما وصفته من خطر الطريق ولست ادري اطيق هذه المهامه التي وصفتها ام لا فهل لذلك من علامة فقال نعم افتح بصرك واجمع
ضوء عينيك وحدقه نحوي فان ظهر لك القلم الذي به اكتب في لوح القلب فيشبه ان تكون اهلا لهذا الطريق فان كل من
جاوز عالم الجبروت وقرع بابا من ابواب الملكوت كوشف بالقلم اما ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم في اول امره كوشف
بالقلم اذ نزل عليه قوله تعالى اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فقال السالك لقد فتحت بصري وحدقته
فوالله ما ارى قصبا ولا خشبا ولا اعلم قلما الا كذلك فقال العلم لقد ابعدت النجعة اما سمعت ان متاع البيت يشبه
رب البيت اما علمت ان الله تعالى لا تشبه ذاته سائر الذوات فكذلك لا تشبه يده الايدي ولا قلمه الاقلام ولا كلامه
سائر الكلام ولا خطه سائر الخطوط وهذه امور الهية من عالم الملكوت فليس الله في ذاته بجسم ولا هو في مكان بخلاف
غيره ولا يده لحم وعظم ودم بخلاف الايدي ولا قلمه من قصب ولا لوحه من خشب ولا كلامه بصوت وحرف ولا خطه
رقم ورسم ولا حبره زاج وعفص فان كنت لا تشاهد هذا هكذا فما اراك الا مخنثا بين فحولة التنزيه وانوثة
التشبيه مذبذبا بين هذا وذاك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء فكيف نزهت ذاته تعالى وصفاته عن الاجسام وصفاتها
ونزهت كلامه عن معاني الحروف والاصوات واخذت تتوقف في يده وقلمه ولوحه وخطه فان كنت قد فهمت من قوله
عليه الصلاة والسلام ان الله خلق ادم على صورته الصورة الظاهرة المدركة بالبصر فكن مشبها مطلقا كما يقال كن
يهوديا صرفا والا فلا تلعب بالتوراة وان فهمت منه الصورة الباطنة التي تدرك بالبصائر لا بالابصار فكن منزها
صرفا ومقدسا فحلا واطو الطريق فانك بالوادي المقدس طوى واستمع بسر قلبك لما يوحى فلعلك تجد على النار هدى
ولعلك من سرادقات العرش تنادى بما نودي به موسى اني انا ربك الاعلى **فلما سمع** السالك ذلك من العلم استشعر
قصور نفسه وانه مخنث بين التشبيه والتنزيه فاشتعل قلبه نارا من حدة غضبه على نفسه لما راها بعين النقص ولقد
كان زيته الذي في مشكاة قلبه يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار فلما نفخ فيه العلم بحدته اشتعل زيته فاصبح نورا على
نور فقال له العلم اغتنم الان هذه الفرصة وافتح بصرك فلعلك تجد على النار هدى ففتح بصره فانكشف له القلم الالهي
فاذا هو كما وصفه العلم في التنزيه ما هو من خشب ولا قصب ولا له راس ولا ذنب وهو يكتب على الدوام في قلوب البشر كلهم
اصناف العلوم وكان له في كل قلب راسا ولا راس له فقضى منه العجب وقال نعم الرفيق العلم جزاه الله عني خيرا اذ الان ظهر
لي صدق انبائه عن اوصاف القلم فاني اراه قلما لا كالاقلام فعند هذا ودع العلم وشكره وقال قد طال مقامي عندك ومرادي
فانا عازم على ان اسافر الى حضرة القلم واسأله عن شأنه فسافر اليه وقال له ما بالك ايها القلم تخط على الدوام في القلوب من العلوم ما تبعث
به الارادات الى اشخاص القدرة وصرفها الى المقدورات فقال او قد نسيت ما رايت في عالم الملك والشهادة وسمعت من جواب
القلم اذ سألته فاحالك على اليد قال لا قال فجوابي مثل جوابه قال كيف وانت لا تشبهه قال القلم اما سمعت ان الله خلق ادم على
صورته قال نعم قال فسل عن شأني الملقب بيمين الملك فاني في قبضته وهو الذي يرددني وانا مقهور مسخر فلا فرق بين القلم
الالهي وقلم الادمي في معنى التسخير وانما الفرق في ظاهر الصورة قال ومن يمين الملك فقال القلم اما سمعت قوله تعالى
والسموات مطويات بيمينه قال نعم قال والاقلام ايضا في قبضته يمينه هو الذي يرددها فسافر السالك من عنده الى اليمين حتى
شاهده وراى من عجائبه ما يزيد على عجائب القلم ولا يجوز وصف شيء منه ولا شرحه بل لا تحوي مجلدات كثيرة عشر عشير وصفه
والجملة فيه انه يمين لا كالايمان ويد لا كالايدي واصبع لا كالاصابع فراى القلم محركا في قبضته فظهر له عذر القلم فسال
اليمين عن شأنه وتحريكه القلم فقال جوابي ما سمعته من اليمين التي رايتها في عالم الشهادة وهو الحوالة على القدرة اذ اليد لا

حكم لها في نفسها وانما محركها القدرة لا محالة فسافر السالك الى عالم القدرة وراى فيه من العجائب ما استحقر عندها ما قبله
وسالها عن تحريك اليمين فقالت انما انا صفة فاسأل القادر اذ العهدة على الموصوفات لا على الصفات وعند هذا
كاد ان يزيغ وينطلق بالجرأة لسان السؤال فثبت بالقول الثابت ونودي من وراء حجاب سرادقات الحضرة لا يسأل
عما يفعل وهم يسألون فغشيه هيبة الحضرة فخر صعقا يضطرب في غشيته مدة فلما افاق قال سبحانك ما اعظم
شأنك تبت اليك وتوكلت عليك وامنت بانك الملك الجبار الواحد القهار فلا اخاف غيرك ولا ارجو سواك
ولا اعوذ الا بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك ومالي الا ان اسألك واتضرع اليك وابتهل بين يديك
فاقول اشرح لي صدري لاعرفك واحلل عقدة من لساني لاثني عليك فنودي من وراء الحجاب اياك ان تطمع في الثناء
وتزيد على سيد الانبياء بل ارجع اليه فما اتاك فخذه وما نهاك عنه فانته عنه وما قاله لك فقله فانه ما زاد في هذه الحضرة
على ان قال سبحانك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فقال الهي ان لم يكن للسان جراءة على الثناء عليك
فهل للقلب مطمع في معرفتك فنودي اياك ان تتخطى رقاب الصديقين فارجع الى الصديق الاكبر واقتد به فان
اصحاب سيد الانبياء كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم اما سمعته يقول العجز عن درك الادراك ادراك فيكفيك نصيبا
من حضرتنا ان تعرف انك محروم من حضرتنا عاجز عن ملاحظة جمالنا وجلالنا فعند هذا رجع السالك واعتذر عن
اسولته ومعاتباته وقال لليمين والقلم والعلم والارادة والقدرة وما بعدها اقبلوا عذري فاني كنت غريبا حديث
العهد بالدخول في هذه البلاد ولكل داخل دهشة فما كان انكاري عليكم الا عن قصور وجهل والان قد صح عندي عذركم
وانكشف لي ان المنفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت هو الواحد القهار فما انتم الا مسخرون تحت قهره وقدرته
مرددون في قبضته وهو الاول والاخر وهو الظاهر والباطن فلما ذكر ذلك في عالم الشهادة استبعد منه ذلك وقيل كيف يكون
هو الاول والاخر وهما صفتان متناقضتان وكيف يكون هو الظاهر والباطن فالاول ليس باخر والظاهر ليس بباطن فقال هو
الاول بالاضافة الى الوجود اذ صدر منه الكل على ترتيبه واحدا بعد واحد وهو الاخر بالاضافة الى سير المسافرين اليه فانهم
لا يزالون مترقين من منزل الى منزل الى ان يقع الانتهاء الى تلك الحضرة فيكون ذلك اخر السفر فهو اخر في المشاهدة اول في
الوجود وهو باطن بالاضافة الى العاكفين في عالم الشهادة الطالبين لادراكه بالحواس الخمس ظاهر بالاضافة الى من يطلبه في السراج
الذي اشتعل في قلبه بالبصيرة الباطنة النافذة في عالم الملكوت فهكذا كان توحيد السالكين لطريق التوحيد في الفعل اعني
من انكشف له ان الفاعل واحد **فان قلت** فقد انتهى هذا التوحيد الى انه مبني على الايمان بعالم
الملكوت فمن لا يفهم ذلك او يجحده فما طريقه قلت اما الجاحد فلا علاج له الا ان يقال له انكارك لعالم الملكوت كانكار
السمنية لعالم الجبروت وهم الذين حصروا العلوم في الحواس الخمس فانكروا القدرة والارادة والعلم لانها لا تدرك بالحواس
الخمس فلازموا حضيض عالم الشهادة فان قال وانا منهم فاني لا اهتدي الا الى عالم الشهادة بالحواس الخمس ولا اعلم شيئا سواه
فيقال انكارك لما شاهدناه فاوراء الحواس الخمس كانكار السوفسطائية للحواس الخمس فانهم قالوا ما نراه لا نثق به فلعلنا نراه
في المنام فان قال وانا من جملتهم فاني شاك ايضا في المحسوسات فيقال هذا شخص فسد مزاجه وامتنع علاجه فيترك
فما كل مريض يقوى على علاجه الاطباء هذا حكم الجاحد واما الذي لا يجحد ولكن لا يفهم فطريق السالكين فيه ان ينظروا الى عينه
التي بها يشاهد عالم الملكوت فان وجدوها صحيحة في الاصل وقد نزل فيها ماء اسود يقبل الازالة والتنقية اشتغلوا بتنقيتها
اشتغال الكحال بالابصار الظاهرة فاذا استوى بصره ارشده الى الطريق ليسلكه كما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بخواص
اصحابه وان كان غير قابل للعلاج ولم يمكنه ان يسلك السبيل الذي ذكرناه في التوحيد ولم يمكن ان يسمع كلام ذوات الملك
والملكوت بمشاهدة التوحيد كلموه بحرف وصوت وردوا ذوقة التوحيد الى حضيض فهمه فان في عالم الشهادة ايضا
توحيدا اذ يعلم كل احد ان المنزل يفسد بصاحبين والبلد يفسد باميرين فيقال له على حد عقله اله العالم واحد

والمدبر واحد اذ لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فيكون ذلك على ذوق ما رآه في عالم الشهادة فيغرس اعتقاد التوحيد
في قلبه بهذا الطريق اللائق بقدر عقله وقد كلف الانبياء ان يكلموا الناس على قدر عقولهم ولذلك انزل القرآن بلسان العرب
وعلى حد عاداتهم في المحاورة **فان قلت** فمثل هذا التوحيد الاعتقادي هل يصلح ان يكون عمادا للتوكل
واصلا فيه فاقول نعم فان الاعتقاد اذا قوي عمل عمل الكشف في اثارة الاحوال الا انه في الغالب يضعف ويتسارع اليه الاضطراب والتزلزل
غالبا ولذلك يحتاج صاحبه الى متكلم يحرسه بكلامه او الى ان يتعلم هو الكلام ليحرس به العقيدة التي تلقفها من استاذه او من ابيه
او من اهل بلده واما الذي شاهد الطريق وسلكه بنفسه فلا يخاف عليه شيء من ذلك بل لو كشف الغطاء لما ازداد يقينا وان
كان يزداد وضوحا كما ان الذي يرى انسانا في وقت الاسفار فلا يزداد يقينا عند طلوع الشمس بانه انسان ولكن يزداد وضوحا
في تفصيل خلقته وما مثال المكاشفين والمعتقدين الا كسحرة فرعون مع اصحاب السامري فان سحرة فرعون لما كانوا
مطلعين على منتهى تأثير السحر لطول مشاهدتهم وتجربتهم رأوا من موسى ما جاوز حدود السحر وانكشف لهم حقيقة الامر فلم يكترثوا
بقول فرعون لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف بل قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما انت قاض
انما تقضي هذه الحياة الدنيا فان البيان والكشف يمنع التغير واما اصحاب السامري لما كان ايمانهم من النظر الى ظاهر الثعبان
فلما نظروا الى عجل السامري وسمعوا خواره تغيروا وسمعوا قوله هذا الهكم واله موسى ونسوا انه لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم
ضرا ولا نفعا فكل من آمن بالنظر الى ثعبان فيكفر لا محالة اذا نظر الى عجل لان كليهما من عالم الشهادة والاختلاف والتضاد
في عالم الشهادة كثير واما عالم الملكوت فمن عند الله فلذلك لا تجد فيه اختلافا وتناقضا اصلا **فان قلت**
ما ذكرته من التوحيد ظاهر مهما ثبت ان الوسائط والاسباب مسخرات وكل ذلك ظاهر الا في حركات الانسان فانه يتحرك ان
شاء ويسكن ان شاء فكيف يكون مسخرا **فاعلم** انه لو كان مع هذا يشاء ان شاء ولا يشاء ان لم يرد ان يشاء فليست
المشية اليه اذ لو كانت اليه لافتقرت الى مشية اخرى وتسلسل الى غير نهاية واذا لم تكن المشية اليه فمهما وجدت المشية التي
تصرف القدرة الى مقدورها انصرفت القدرة لا محالة ولم يكن لها سبيل الى المخالفة فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة والقدرة محركة
ضرورة عند انجزام المشية والمشية تحدث ضرورة لا محالة في القلب فهذه ضرورات مترتب بعضها على البعض وليس للعبد ان
يدفع وجود المشية ولا انصراف القدرة الى المقدور بعدها ولا وجود الحركة بعد بعث المشية للقدرة فهو مضطر في الجميع
فان قلت فهذا جبر محض والجبر يناقض الاختيار وانت لا تنكر الاختيار فكيف يكون مجبورا مختارا
فاقول لو انكشف لك الغطاء لعرفت انه في عين الاختيار مجبور فهو اذا مجبور على الاختيار فكيف يفهم هذا من لم يفهم الاختيار
فلنشرح الاختيار بلسان المتكلمين شرحا وجيزا يليق بما ذكر متطفلا وتابعا فان هذا الكتاب لم نقصد به الا علم
المعاملة ولكني اقول لفظ الفعل في الانسان يطلق على ثلاثة اوجه اذ يقال الانسان يكتب بالاصبع ويتنفس
بالرئة والحنجرة ويخرق الماء اذا وقع عليه بجسمه فينسب اليه الخرق في الماء والتنفس والكتابة وهذه الثلاثة في حقيقة
الاضطرار والجبر واحد ولكنها تختلف وراء ذلك في امور فاعرب لك عنها بثلث عبارات فنسمي خرقه للماء عند وقوعه على
وجه الماء فعلا طبيعيا ونسمي تنفسه فعلا اراديا ونسمي كتبته فعلا اختياريا والجبر ظاهر في الفعل الطبيعي لانه مهما
وقف على وجه الماء او تخطى من السطح الى الهوى انخرق لا محالة فيكون الخرق بعد التخطي ضروريا والتنفس في معناه فان
نسبة حركة الحنجرة الى ارادة التنفس كنسبة انخراق الماء الى ثقل البدن فمهما كان الثقل موجودا وجد الانخراق بعده وليس
الثقل اليه فكذلك الارادة ليست اليه ولذلك لو قصد عين الانسان بابرة طبق الاجفان اضطرارا ولو اراد ان يتركها
مفتوحة لا يقدر عليه مع ان تغميض الاجفان فعل ارادي ولكنه اذا تمثلت صورة الابرة في مشاهدته بالادراك حدثت الارادة بالتغميض
ضروريا وحدثت الحركة بها ولو اراد ان يتركه لم يقدر عليه مع انه فعل بالقدرة والارادة فقد التحق هذا بالفعل الطبيعي في كونه
ضروريا فاما الثالث وهو الاختياري فهو مظنة الالتباس كالكتابة والنطق وهو الذي يقال فيه ان شاء فعل وان

شاء لم يفعل وتارة يشاء وتارة لا يشاء فيظن من هذا ان الامر اليه وهو للجهل بمعنى الاختيار فلنكشف عنه وبيانه ان الارادة
تبع العلم الذي يحكم بان الشيء موافق لك والاشياء تنقسم الى ما تحكم مشاهدتك الظاهرة والباطنة بانه يوافقك من غير تحير وتردد
والى ما قد يتردد العقل فيه فالذي تقطع به من غير تردد ان تقصد عينك بابرة او بدنك بسيف فلا يكون في حكمك تردد في ان
دفع ذلك خير وموافق فلا جرم تنبعث الارادة بالعلم والقدرة بالارادة وتحصل حركة الاجفان بالدفع وحركة اليد بدفع السيف
ولكن من غير روية وفكرة ويكون ذلك بالارادة ومن الاشياء ما يتوقف العقل والتمييز فيه فلا يدرى انه موافق ام لا فيحتاج
الى روية وفكرة حتى يتبين ان الخير في الفعل او الترك فاذا حصل بالفكر والروية العلم بان احدهما خير التحق ذلك بالذي يقطع
به من غير روية وفكرة وانبعثت الارادة ههنا كما تنبعث لدفع السيف والسنان فاذا انبعثت لفعل ما ظهر للعقل انه خير
سميت هذه الارادة اختيارا مشتقا من الخير اي هو انبعاث الى ما ظهر للعقل انه خير وهو عين تلك الارادة ولم ينتظر في
انبعاثها الا ما انتظرت تلك الارادة وهو ظهور خيرية الفعل في حقه الا ان الخيرية في دفع السيف ظهرت من غير روية بل على
البديهة وهذا افتقر الى الروية فالاختيار عبارة عن ارادة خاصة وهي التي تنبعث باشارة العقل فيما له في ادراكه توقف
ومن هذا قيل ان العقل يحتاج اليه للتمييز بين خير الخيرين وشر الشرين ولا يتصور ان تنبعث الارادة الا بحكم الحس والتخيل
او بحكم جزم من العقل ولهذا لو اراد الانسان ان يحز رقبة نفسه مثلا لم يمكنه لا لعدم القدرة في اليد ولا لعدم السكين ولكن
لفقد الارادة الداعية المشخصة للقدرة وانما فقدت الارادة لانها تنبعث بحكم العقل او الحس بكون الفعل موافقا له
وقتله نفسه ليس موافقا له فلا يمكنه مع قوة الاعضاء ان يقتل نفسه الا اذا كان في عقوبة مؤلمة لا تطاق فان العقل ههنا يتوقف في
الحكم ويتردد لانه تردد بين الشرين فان ترجح له بعد الروية ان ترك القتل اقل شرا لم يمكنه قتل نفسه وان حكم بان القتل اقل
شرا وكان حكما جزما لا ميل فيه ولا صارف منه انبعثت الارادة والقدرة واهلك نفسه كالذي يتبع بالسيف ليقتل فانه يرمي
نفسه من السطح وان كان مهلكا ولا يبالي ولا يمكنه ان لا يرمي نفسه وان كان يتبع بضرب خفيف فاذا انتهى الى طرف
السطح حكم العقل بان الضرب اهون من الرمي فوقفت اعضاؤه فلا يمكنه ان يرمي نفسه ولا تنبعث له داعية البتة لان
داعية الارادة مسخرة بحكم العقل والحس والقدرة مسخرة للداعية والحركة مسخرة للقدرة والكل مقدر بالضرورة فيه من حيث
لا يدري فانما هو محل ومجرى لهذه الامور فاما ان يكون منه فكلا فاذا معنى كونه مجبورا ان جميع ذلك حاصل فيه من غيره
لا منه ومعنى كونه مختارا انه محل لارادة حدثت فيه جبرا بعد حكم العقل بكون الفعل خيرا وحدث الحكم ايضا جبرا فاذا
هو مجبور على الاختيار ففعل النار في الاحراق مثلا جبر محض وفعل الله تعالى اختيار محض وفعل الانسان على منزلة بين المنزلتين
فانه جبر على الاختيار فطلب اهل الحق لهذا عبارة ثالثة لما انه كان فنا ثالثا واتبعوا فيه كتاب الله فسموه كسبا
وليس مناقضا للجبر ولا للاختيار بل هو جامع بينهما عند من فهمه وفعل الله يسمى اختيارا بشرط ان لا يفهم من الاختيار
ارادة بعد تحير وتردد فان ذلك في حقه محال وجميع الالفاظ المذكورة في اللغات لا يمكن ان تستعمل في حق الله تعالى الا على نوع من
الاستعارة والتجوز وذكر ذلك لا يليق بهذا العلم ويطول القول فيه **فان قلت** فهل تقول ان العلم
ولد الارادة والارادة ولدت القدرة والقدرة ولدت الحركة وان كل متأخر حدث من المتقدم فان قلت ذلك فقد حكمت
بحدوث شيء لا من قدرة الله وان ابيت ذلك فما معنى ترتب البعض من هذا على البعض **فاعلم** ان القول بان بعض ذلك
حدث من بعض جهل محض سواء عبر عنه بالتولد او بغيره بل حوالة جميع ذلك على المعنى الذي يعبر عنه بالقدرة الازلية وهو الاصل
الذي لم يقف عليه كافة الخلق الا الراسخون في العلم فانهم وقفوا على كنه معناه والاكثرون وقفوا على مجرد لفظه مع نوع تشبيه بقدرتنا
وهو بعيد عن الحق وبيان ذلك يطول ولكن بعض المقدورات مترتبة على البعض في الحدوث ترتب المشروط على الشرط فلا يصدر
من القدرة الازلية ارادة الا بعد علم ولا علم الا بعد حياة ولا حياة الا بعد محل الحياة وكما لا يجوز ان يقول الحياة حصلت
من الجسم الذي هو شرط الحياة فكذلك في سائر درجات الترتيب ولكن بعض الشروط مما ظهر للعامة وبعضها لم يظهر الا

يحتوى على الملكاشفين بنور الحق ولهذا لا يتقدم متقدم ولا يتأخر متأخر إلا بالحق واللزوم وكذلك جميع أفعال الله تعالى ولولا ذلك لكان التقدم والتأخير عبثا يضاهي فعل المجانين تعالى الله عن قول الجاهلين علوا كبيرا وإلى هذا أشار قوله تعالى وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق فكل ما بين السماء والأرض حادث على ترتيب واجب وحق لازم لا يتصور أن يكون إلا كما حدث وعلى الترتيب الذي وجد فما تأخر متأخر إلا لانتظار شرطه والمشروط قبل الشرط محال والمحال لا يوصف بكونه مقدورا فلا يتأخر العلم عن النطفة إلا لفقد شرط الحياة ولا يتأخر بعدها الإرادة إلا لفقد شرط العلم وكل ذلك على منهاج الواجب وترتيب الحق ليس شيء من ذلك لعبا واتفاقا بل كل ذلك بحكمة وتدبير وتفهيم ذلك عسير ولكنا نضرب لتوقف المقدور مع وجود القدرة على وجود الشرط مثالا يقرب مبادي الحق من الأفهام الضعيفة وذلك بأن نقدر إنسانا محدثا قد انغمس في ماء إلى رقبته فالحدث لا يرتفع عن أعضائه وإن كان الماء هو الرافع وهو ملاق له فتقدر القدرة الأزلية حاضرة ملاقية للمقدورات متعلقة بها ملاقاة الماء للأعضاء ولكن لا يحصل هذا المقدور كما لا يحصل رفع الحدث بالماء انتظارا للشرط وهو غسل الوجه فإذا وضع الواقف في الماء وجهه على الماء عمل الماء في سائر الأعضاء وارتفع الحدث فربما يظن الجاهل أن الحدث ارتفع عن اليد برفعه عن الوجه لأنه حدث عقيبه إذ يقول كان الماء ملاقيا ولم يكن رافعا والماء لم يتغير عما كان فكيف حصل منه ما لم يحصل قبل بل حصل ارتفاع الحدث من اليد عند غسل الوجه فإذا غسل الوجه هو الرافع للحدث عن اليد وهو جهل يضاهي ظن من يظن أن الحركة تحصل بالقدرة والقدرة بالإرادة والإرادة بالعلم وكل ذلك خطأ بل عند ارتفاع الحدث عن الوجه ارتفع الحدث عن اليد بالماء الملاقي له لا بغسل الوجه والماء لم يتغير واليد لم تتغير ولم يحدث فيهما شيء ولكن حدث وجود الشرط فظهر أثر العلة فهكذا ينبغي أن يفهم صدور المقدورات من القدرة الأزلية مع أن القدرة قديمة والمقدورات حادثة وهذا قرع باب لعالم آخر من عوالم المكاشفات فلنترك جميع ذلك فإن مقصودنا التنبيه على طريق التوحيد في الفعل وأن الفاعل بالحقيقة واحد فهو المخوف والمرجو وعليه التوكل والاعتماد ولم نقدر على أن نذكر من بحار التوحيد إلا قطرة من بحر المقام الثالث من مقامات التوحيد واستيفاء ذلك في عمر نوح محال كاستيفاء ماء البحر بأخذ القطرات منه وكل ذلك ينطوي تحت قول لا إله إلا الله وما أخف مؤونتها على اللسان وما أسهل اعتقاد مفهوم لفظها على القلب وما أعز حقيقتها ولبها عند العلماء الراسخين فكيف عند غيرهم **فإن قلت** كيف الجمع بين التوحيد والشرع ومعنى التوحيد أنه لا فاعل إلا الله ومعنى الشرع إثبات الأفعال للعباد فإن كان العبد فاعلا فكيف يكون الله فاعلا وإن كان الله فاعلا فكيف يكون العبد فاعلا ومفعول بين فاعلين غير مفهوم **فأقول** نعم ذلك غير مفهوم إذا كان للفاعل معنى واحد وإن كان له معنيان ويكون الاسم مجملا مرددا بينهما لم يتناقض كما يقال قتل الأمير فلانا وقتله الجلاد ولكن الأمير قاتل بمعنى والجلاد بمعنى آخر فكذلك العبد فاعل بمعنى والله تعالى فاعل بمعنى آخر فمعنى كون الله فاعلا أنه المخترع الموجد ومعنى كون العبد فاعلا أنه المحل الذي خلقت فيه القدرة بعد أن خلقت فيه الإرادة بعد أن خلق فيه العلم فارتبطت القدرة بالإرادة والحركة بالقدرة ارتباط الشرط بالمشروط وارتبط بقدرة الله ارتباط المعلول بالعلة وارتباط المخترع بالمخترع وكل ما له ارتباط بقدرة فإن محل القدرة يسمى فاعلا له كيف ما كان ارتباطه كما يسمى الجلاد قاتلا والأمير قاتلا لأن القتل ارتبط بقدرتهما ولكن على وجهين مختلفين فلذلك سمي فعلا لهما فكذلك ارتباط المقدورات بالقدرتين ولأجل توافق ذلك وتطابقه نسب الله تعالى الأفعال في القرآن مرة إلى الملائكة ومرة إلى العباد ونسبها بعينها مرة أخرى إلى نفسه فقال تعالى في الموت قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم قال تعالى الله يتوفى الأنفس حين موتها وقال تعالى أفرأيتم ما تحرثون أضاف إلينا ثم قال تعالى أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقال تعالى فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ثم قال تعالى فنفخنا فيها من روحنا وكان النافخ جبريل وكما قال فإذا قرأناه فاتبع قرآنه قيل في التفسير معناه إذا قرأه عليك جبريل وقال تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم فأضاف القتل إليهم والتعذيب إلى نفسه والتعذيب هو

عين القتل بل صرح وقال فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وقال تعالى وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وهو جمع بين النفي والإثبات ظاهرا ولكن معناه وما رميت بالمعنى الذي يكون العبد به راميا إذ رميت بالمعنى الذي يكون به العبد راميا إذ هما معنيان مختلفان وقال تعالى الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ثم قال تعالى الرحمن علم القرآن وقال تعالى إن علينا بيانه وقال تعالى أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ثم وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف ملك الأرحام أنه يدخل الرحم فيأخذ النطفة في يده ثم يصورها جسدا فيقول يا رب أذكر أم أنثى أسوي أم معوج فيقول الله ما شاء ويخلق الملك وفي لفظ آخر ويصور الملك ثم ينفخ فيه الروح بالسعادة أو بالشقاوة وقد قال بعض السلف إن الملك الذي يقال له الروح هو الذي يولج الأرواح في الأجسام وإنه يتنفس بوصفه فيكون كل نفس من أنفاسه روحا يلج في جسم ولذلك سمي روحا وما ذكره من مثل هذا الملك وصفته هو حق يشاهده أرباب القلوب ببصائرهم فأما كون الروح عبارة عنه فلا يمكن أن يعلم إلا بالنقل والحكم به دون النقل تخمين مجرد وكذلك ذكر الله الأدلة والآيات في الأرض والسموات ثم قال تعالى أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد وقال تعالى شهد الله أنه لا إله إلا هو فبين أنه الدليل على نفسه وذلك ليس متناقضا بل طرق الاستدلال مختلفة فكم من طالب عرف الله بالنظر إلى الموجودات وكم من طالب عرف كل الموجودات بالله كما قال بعضهم عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي وهو معنى قوله أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد وقد وصف الله نفسه بأنه المحيي والمميت ثم فوض الموت والحياة إلى ملكين ففي الخبر أن ملك الموت وملك الحياة تناظرا فقال ملك الموت أنا أميت الأحياء وقال ملك الحياة أنا أحيي الأموات فأوحى الله إليهما كونا على عملكما وما سخرتكما له من الصنع وأنا المميت والمحيي لا مميت ولا محيي سواي فإذا الفعل يستعمل على وجوه مختلفة فلا تتناقض هذه المعاني إذا فهمت ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم للذي ناوله التمرة خذها لو لم تأتها لأتتك أضاف الإتيان إليه وإلى التمرة ومعلوم أن التمرة لا تأتي على الوجه الذي يأتي الإنسان إليها ولذلك لما قال التائب أتوب إلى الله ولا أتوب إلى محمد قال صلى الله عليه وسلم عرف الحق لأهله فمن أضاف الكل إلى الله فهو المحقق الذي عرف الحق والحقيقة لأهله ومن أضاف إلى غيره فهو المتجوز والمستعير في كلامه وللتجوز وجه كما أن للحقيقة وجها واسم الفاعل وضعه واضع اللغة للمخترع ولكن ظن أن الإنسان مخترع بقدرته فسماه فاعلا بحركته وظن أنه تحقيق وتوهم أن نسبته إلى الله تعالى على سبيل المجاز مثل نسبة القتل إلى الأمير فإنه مجاز بالإضافة إلى نسبته إلى الجلاد فلما انكشف الحق لأهله عرفوا أن الأمر بالعكس وقالوا إن كان الفاعل قد وضعته اللغة للمخترع فلا فاعل إلا الله فالاسم له بالحقيقة ولغيره بالمجاز ولما جرى حقيقة المعنى في لسان بعض الأعراب قصدا واتفاقا فأصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام أصدق بيت قاله الشاعر قول لبيد ألا كل شيء ما خلا الله باطل أي كل ما لا قوام له بنفسه وإنما قوامه بغيره فهو باعتبار نفسه باطل وإنما حقيقته بغيره لا بنفسه فإذا لا حق بالحقيقة إلا الحي القيوم الذي ليس كمثله شيء فإنه قائم بذاته وكل ما سواه قائم بقدرته فهو الحق وما سواه باطل ولذلك قال سهل يا مسكين كان ولم تكن ويكون ولا تكون فلما كنت اليوم صرت تقول أنا وأنا كن الآن كما لم تكن فإنه اليوم كما كان **فإن قلت** فقد ظهر أن الكل جبر فما معنى الثواب والعقاب والغضب والرضا وكيف غضب على فعل نفسه فاعلم أن معنى ذلك قد أشرنا إليه في كتاب الشكر فلا نطول بإعادته فهذا هو القدر الذي رأينا الرمز إليه من التوحيد الذي يورث حال التوكل ولا يتم هذا إلا بالإيمان بالرحمة والحكمة فإن التوحيد يورث النظر إلى مسبب الأسباب والإيمان بالرحمة وسعتها هو الذي يورث الثقة بمسبب الأسباب ولا يتم حال التوكل كما سيأتي إلا بالثقة بالوكيل وطمأنينة القلب إلى حسن نظر الكفيل وهذا الإيمان باب عظيم من أبواب الإيمان وحكاية طرق المكاشفين فيه تطول فلنذكر حاصله ليعتقده الطالب لمقام التوكل اعتقادا قاطعا لا يسترب فيه وهو أن يصدق تصديقا يقينيا لا ضعف فيه ولا ريب أن الله تعالى لو خلق الخلائق كلهم على عقل أعقلهم وعلم أعلمهم وخلق لهم من العلم ما تحتمله نفوسهم وأفاض عليهم من الحكمة ما لا منتهى لوصفها ثم زاد مثل عدد جميعهم علما وحكمة وعقلا ثم كشف

عواقب الامور واطلعهم على اسرار الملكوت وعرفهم دقائق اللطف وخفايا العقوبات حتى اطلعوا به على الخير والشر والنفع والضر
ثم امرهم ان يدبروا الملك والملكوت بما اعطوا من العلوم والحكم لما اقتضى تدبير جميعهم مع التعاون والتظاهر عليه ان يزاد فيما
دبر الله سبحانه الخلق به في الدنيا والآخرة جناح بعوضة ولا ان يرفع منها ذرة ولا ان يخفض منها ذرة ولا ان يدفع مرض او عيب
او نقص او فقر او ضر عمن بلي به ولا ان يزال صحة او كمال او غنى او نفع عمن انعم الله به عليه بل كل ما خلقه الله تعالى من السموات والارض
ان رجعوا فيها البصر وطولوا فيها النظر ما رأوا فيها من تفاوت ولا فطور وكل ما قسم الله تعالى بين عباده من رزق
واجل وسرور وحزن وعجز وقدرة وايمان وكفر وطاعة ومعصية فكله عدل محض لا جور فيه وحق صرف لا ظلم فيه
بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي وكما ينبغي وبالقدر الذي ينبغي وليس في الامكان اصلا احسن منه ولا اتم ولا اكمل ولو
كان وادخره مع القدرة ولم يتفضل به لكان بخلا يناقض الجود وظلما يناقض العدل ولو لم يكن قادرا لكان عجزا يناقض الالهية
بل كل فقر وضر في الدنيا فهو نقصان في الدنيا وزيادة في الآخرة وكل نقص في الآخرة بالاضافة الى شخص فهو نعيم بالاضافة الى غيره اذ
لولا الليل لما عرف قدر النهار ولولا المرض لما تنعم الاصحاء بالصحة ولولا النار لما عرف اهل الجنة قدر النعمة وكما ان فداء ارواح
الانس بارواح البهائم وتسليطهم على ذبحها ليس بظلم بل تقديم الكامل على الناقص عين العدل فكذلك تفخيم النعم على سكان الجنان بتعظيم
العقوبة على اهل النيران وفداء اهل الايمان باهل الكفران عين العدل وما لم يخلق الناقص لا يعرف الكامل ولولا خلق البهائم
لما ظهر شرف الانس فان الكمال والنقص يظهر بالاضافة فمقتضى الجود والحكمة خلق الكامل والناقص جميعا وكما ان قطع اليد اذا تآكلت
ابقاء على الروح عدل لانه فداء كامل بناقص فكذلك الامر في التفاوت الذي بين الخلق في القسمة في الدنيا والآخرة فكل ذلك عدل لا جور فيه
وحق لا لعب فيه وهذا الآن بحر آخر واسع الاطراف مضطرب الامواج قريب في السعة من بحر التوحيد فيه غرق طوائف من
القاصرين ولم يعلموا ان ذلك غامض لا يعقله الا العالمون ووراء هذا البحر سر القدر الذي تحير فيه الاكثرون ومنع من
افشائه المكاشفون والحاصل ان الخير والشر مقضي به وقد صار ما قضى الله به واجب الحصول بعد سبق المشية فلا راد
لحكمه ولا معقب لقضائه بل كل صغير وكبير مستطر وحصوله بقدر معلوم منتظر وما اصابك لم يكن ليخطئك وما اخطأك
لم يكن ليصيبك ولنقتصر على هذه المرامز من علوم المكاشفة التي هي اصول مقام التوكل ولنرجع الى علم المعاملة

الشطر الثاني من الكتاب في بيان احوال التوكل واعماله وفيه بيان

حال التوكل وبيان ما قاله الشيوخ في حد التوكل وبيان التوكل في الكسب للمنفرد والمعيل وبيان التوكل بترك الادخار
وبيان التوكل في دفع المضار وبيان التوكل في ازالة الضرر بالتداوي

بيان حال التوكل

قد ذكرنا ان مقام التوكل ينتظم
من علم وحال وعمل وذكرنا العلم فاما الحال فالتوكل بالتحقيق عبارة عنه وانما العلم اصله والعمل ثمرته وقد اكثر الخائضون
في بيان حد التوكل واختلفت عباراتهم وتكلم كل واحد عن مقام نفسه واخبر عن حده كما جرت عادة اهل التصوف به ولا
فائدة في النقل والاكثار ولنكشف الغطاء عنه فنقول التوكل مشتق من الوكالة يقال وكل امره الى فلان اي فوضه اليه واعتمد
عليه ويسمى الموكول اليه وكيلا ويسمى المفوض اليه متكلا عليه ومتوكلا عليه مهما اطمأنت اليه نفسه ووثق به ولم يتهمه فيه
بتقصير ولم يعتقد فيه عجزا وقصورا فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده ولنضرب للوكيل في الخصومة مثلا
فنقول من ادعي عليه دعوى باطلة بتلبيس فوكل للخصومة من يكشف ذلك التلبيس لم يكن متوكلا عليه ولا واثق القلب مطمئن النفس
بوكيله الا اذا اعتقد فيه اربعة امور منتهى الهداية ومنتهى القوة ومنتهى الفصاحة ومنتهى الشفقة
اما الهداية فليعرف بها مواقع التلبيس حتى لا يخفى عليه من غوامض الحيل شيء اصلا واما القدرة والقوة فليستجرئ على التصريح
بالحق فلا يداهن ولا يخاف ولا يستحيي ولا يجبن فانه ربما يطلع على وجه تلبيس خصمه فيمنعه الخوف او الجبن او الحياء او صارف
آخر من الصوارف المضعفة للقلب عن التصريح به واما الفصاحة فهي ايضا من القدرة الا انها قدرة في اللسان على الافصاح
عن كل ما يتجه القلب عليه واشار اليه فلا كل عالم بمواقع التلبيس قادر بذلاقة لسانه على حل عقدة التلبيس واما منتهى الشفقة

فيكون باعثا له على بذل كل ما يقدر عليه في حقه فان قدرته لا تغني دون العناية اذا كان لا يهمه امره ولا يبالي به ظفر خصمه او لم
يظفر هلك به حقه او لم يهلك فان كان شاكا في هذه الاربعة او في واحد منها او جوز ان يكون خصمه اكمل في هذه الاربعة منه
لم تطمئن نفسه الى وكيله بل بقي منزعج القلب مستغرق الهم بالحيلة والتدبير ليدفع ما يحذره من قصور وكيله وسطوة
خصمه ويكون تفاوت احواله في شدة الثقة والطمأنينة بحسب تفاوت قوة اعتقاده لهذه الخصال فيه والاعتقادات
والظنون في القوة والضعف تتفاوت تفاوتا لا ينحصر فلا جرم احوال المتوكلين في قوة الطمأنينة والثقة تتفاوت تفاوتا لا ينحصر الى
ان ينتهي الى اليقين الذي لا ضعف فيه كما لو كان الوكيل والد الموكل وهو الذي يسعى في جمع الحلال والحرام لاجله فانه يحصل
له يقين بمنتهى الشفقة والعناية فتصير خصلة واحدة من الخصال الاربعة قطعية وكذلك سائر الخصال يتصور ان يحصل
القطع بها وذلك بطول الممارسة والتجربة وتواتر الاخبار بانه افصح الناس لسانا واقواهم بيانا واقدرهم على نصرة الحق
بل على تصوير الحق بالباطل والباطل بالحق فاذا عرفت التوكل في هذا المثال فقس عليه التوكل على الله فان ثبت في نفسك بكشف او باعتقاد
جازم انه لا فاعل الا الله كما سبق واعتقدت مع ذلك تمام العلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام العطف والعناية والرحمة بجملة العباد
والآحاد وانه ليس وراء منتهى قدرته قدرة ولا وراء منتهى علمه علم ولا وراء منتهى عنايته بك ورحمته لك عناية ورحمة اتكل لا محالة قلبك
عليه وحده ولم يلتفت الى غيره بوجه ولا الى نفسك وحولك وقوتك فانه لا حول ولا قوة الا بالله كما سبق في التوحيد عند ذكر الحركة والقوة
فان الحول عبارة عن الحركة والقوة عبارة عن القدرة فان كنت لا تجد هذه الحالة من نفسك فسببها احد امرين اما ضعف اليقين باحد
هذه الخصال الاربع واما ضعف القلب ومرضه باستيلاء الجبن عليه وانزعاجه بسبب الاوهام الغالبة عليه فان القلب قد ينزعج
تبعا للوهم وطاعة له من غير نقصان في اليقين فان من كان يتناول عسلا فشبه بين يديه بالعذرة ربما نفر طبعه وتعذر عليه
تناوله ولو كلف العاقل ان يبيت مع الميت في قبر او فراش او بيت نفر طبعه وان كان متيقنا بكونه ميتا وانه جماد في الحال
وان سنة الله تعالى مطردة بانه لا يحشره الآن ولا يحييه وان كان قادرا عليه كما انها مطردة بان لا يقلب القلم الذي في يده
حية ولا يقلب السنور اسدا وان كان قادرا عليه ومع انه لا يشك في هذا اليقين نفر طبعه عن مضاجعة الميت في البيت
ولا ينفر عن سائر الجمادات وذلك جبن في القلب وهو نوع ضعف قلما يخلو الانسان عن شيء منه وان قل وقد يقوى
فيصير مرضا حتى يخاف ان يبيت في البيت وحده مع اغلاق الباب واحكامه فاذا لا يتم التوكل الا بقوة القلب
وقوة اليقين جميعا اذ بهما يحصل سكون القلب وطمأنينته فالسكون في القلب شيء واليقين شيء آخر فكم من
يقين لا طمأنينة معه كما قال تعالى او لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فالتمس ان يكون مشاهدا احياء الميت
بعينه ليثبت في خياله فان النفس تتبع الخيال وتطمئن به ولا تطمئن باليقين في ابتداء امرها الى ان تبلغ
بالآخرة الى درجة النفس المطمئنة وذلك لا يكون في البداية اصلا وكم من مطمئن لا يقين له كسائر ارباب الملل والمذاهب
فان اليهودي مطمئن القلب الى تهوده وكذا النصراني ولا يقين لهم اصلا وانما يتبعون الظن وما تهوى الانفس ولقد
جاءهم من ربهم الهدى وهو سبب اليقين الا انهم معرضون عنه فاذا الجبن والجراءة غرائز ولا ينفع اليقين معها
فهي احد الاسباب التي تضاد حال التوكل كما ان ضعف اليقين بالخصال الاربع احد الاسباب واذا اجتمعت هذه الاسباب
حصلت الثقة بالله وقد قيل مكتوب في التوراة ملعون من ثقته انسان مثله وقد قال صلى الله عليه وسلم
من اعتز بالعبيد اذله الله واذا انكشف معنى التوكل وعلمت الحالة التي سميت توكلا فاعلم ان تلك الحالة لها في القوة
والضعف ثلاث درجات **الدرجة الاولى** ما ذكرناه وهو ان يكون حاله في حق الله تعالى والثقة بكفالته وعنايته
كحاله في الثقة بالوكيل **الثانية** وهو ان يكون حاله مع الله كحال الطفل في حق امه فانه لا يعرف غيرها ولا يفزع
الى سواها ولا يعتمد الا عليها فان رآها تعلق في كل حال بذيلها ولم يخلها وان نابه امر في غيبتها كان اول سابق
الى لسانه يا اماه واول خاطر يخطر على قلبه امه فانها مفزعه لانه قد وثق بكفالتها وكفايتها وشفقتها ثقة

ليست خالية عن نوع ادراك بالتمييز الذي له ويظن انه طبع من حيث ان الصبي لو طولب بتفصيل هذه الخصال لم يقدر على
تلفيق لفظه ولا على احضاره مفصلا في ذهنه ولكن كل ذلك وراء الادراك فمن كان تالهه الى الله ونظره اليه واعتماده
عليه كلف به كما يكلف الصبي بامه فيكون متوكلا حقا فان الطفل متوكل على امه والفرق بين هذا وبين الاول ان هذا
متوكل وقد فني في توكله عن توكله اذ ليس يلتفت قلبه الى التوكل وحقيقته بل الى المتوكل عليه فقط فلا مجال في قلبه لغير
المتوكل عليه واما الاول فيتوكل بالتكلف والكسب وليس فانيا عن توكله اي له التفات الى توكله وشعور به وذلك شغل
صارف عن ملاحظة المتوكل عليه وحده والى هذه الدرجة اشار سهل حيث سئل عن التوكل ما ادناه فقال ترك الاماني
قيل واوسطه قال ترك الاختيار وهو اشارة الى الدرجة الثانية وسئل عن اعلاه فلم يذكره وقال لا يعرفه الا من بلغ
اوسطه الثالثة وهي اعلاها ان يكون بين يدي الله في حركاته وسكناته مثل الميت بين يدي الغاسل يفارقه
الا في انه يرى نفسه ميتا تحركه القدرة الازلية كما تحرك يد الغاسل الميت وهو الذي قوي يقينه بانه مجرى للحركة والقدرة
والارادة والعلم وساير الصفات وان كلا يحدث جبرا فيكون بعين الانتظار لما يجري عليه ويفارق الصبي فان الصبي يفزع الى
امه ويصيح ويتعلق بذيلها ويعدو خلفها بل مثاله مثال صبي علم انه وان لم يزعق بامه فالام تطلبه وانه وان
لم يتعلق بذيل امه فالام تحمله وانه لم يسئلها اللبن فالام تفاتحه وتسقيه وهذا المقام في التوكل يثمر ترك الدعاء والسؤال
منه ثقة بكرمه وعنايته وانه يعطي ابتداء افضل عن ان يسال فكم من نعمة ابتداها قبل الدعاء وقبل الاستحقاق والمقام
الثاني لا يقتضي ترك الدعاء والسؤال منه وانما يقتضي ترك السؤال من غيره فقط **فان قلت** فهذه الاحوال
هل يتصور وجودها فاعلم ان ذلك ليس بمحال ولكنه عزيز نادر والمقام الثاني والثالث اعزها والاول اقرب الى الامكان
ثم اذا وجد الاول والثاني فدوامه ابعد منه بل يكاد لا يكون المقام الثالث في دوامه كصفرة الوجل فان انبساط القلب
الى ملاحظة الحول والقوة والاسباب طبع وانقباضه عارض كما ان انبساط الدم الى جميع الاطراف طبع وانقباضه عارض والوجل
عبارة عن انقباض الدم عن ظاهر البشرة الى الباطن حتى يزول عن ظاهر البشرة الحمرة التي كانت تتراءى من وراء الرقيق من
ستر البشرة ستر رقيق يتراءى من ورائه حمرة الدم فانقباضه يوجب الصفرة وذلك لا يدوم فكذلك انقباض القلب بالكلية
عن ملاحظة الحول والقوة وساير الاسباب الظاهرة لا يدوم واما المقام الثاني فيشبه صفرة المحموم فانه قد يدوم يوما ويومين
والثالث يشبه صفرة مريض استحكم مرضه ولا يبعد ان يدوم ولا يبعد ان يزول **فان قلت**
فهل يبقى مع العبد تدبير وتعلق بالاسباب في هذه الاحوال فاعلم ان المقام الثالث ينفي التدبير راسا ما دامت الحالة باقية
بل يكون صاحبها كالمبهوت والمقام الثاني ينفي كل تدبير الا من حيث الفزع الى الله بالدعاء والابتهال كتدبير الطفل في
التعلق بامه فقط والمقام الاول لا ينفي اصل التدبير والاختيار ولكن ينفي بعض التدبيرات كالمتوكل على وكيله في خصومة فانه
يترك تدبيره من جهة غير الوكيل ولكن لا يترك التدبير الذي اشار اليه وكيله به او التدبير الذي عرفه من عادته وسنته دون
صريح اشارته فانه يقول له لست اتكلم الا في حضورك فيشتغل لا محالة بالتدبير للحضور ولا يكون هذا مناقضا لتوكله عليه
اذ ليس هو فزعا منه الى حول نفسه وقوته في اظهار الحجة الى حول غيره بل من تمام توكله عليه ان يفعل ما رسمه اذ لو لم يكن متوكلا
عليه ولا معتقدا له في قوله لما حضر بقوله واما المعلوم بعادته واطراد سنته فهو ان يعلم من عادته انه لا يحتاج الخصم الا مع
السجل فتمام توكله ان كان متوكلا عليه ان يكون معولا على سنته وعادته ووافيا بمقتضاها وهو ان يحمل السجل مع نفسه الى
مخاصمه فاذا لا يستغني عن التدبير في الحضور وعن التدبير في احضار السجل ولو ترك شيئا من ذلك كان نقصانا في توكله فكيف
يكون فعله نقصانا فيه نعم بعد ان احضر وفاء بالاشارة واحضر السجل وفاء بسنته وعادته وقعد ناظرا الى محاجته فقد ينتهي
الى المقام الثاني والثالث في حضوره حتى يبقى كالمبهوت المنتظر لا يفزع الى حوله وقوته اذ لم يبق له حاجة في نفسه وثقته بالوكيل
والانتظار لما يجري واذا تاملت هذا اندفع عنك كل اشكال في التوكل وفهمت انه ليس من شرط التوكل ترك كل تدبير وعمل وان كل

تدبير وعمل لا يجوز ايضا مع التوكل بل هو على الانقسام وسيأتي تفصيله في الاعمال فاذا فزع المتوكل الى حوله وقوته في الحضور
والاحضار لا يناقض التوكل لانه يعلم انه لولا الوكيل لكان حضوره واحضاره باطلا وتعبا محضا بلا جدوى فاذا لم يره مفيدا
من حيث انه حوله وقوته بل من حيث ان الوكيل جعله مفيدا لمحاجته وعرفه ذلك باشارته وسنته فاذا لا حول ولا قوة الا
بالوكيل الا ان هذه الكلمة لا تكون صادقة في حق الوكيل لانه ليس خالق الحول والقوة بل هو جاعلهما مفيدا في انفسهما ولم يكونا
مفيدين لولا فعله وانما يصدق ذلك في حق الوكيل الحق وهو الله تعالى اذ هو خالق الحول والقوة كما سبق في التوحيد وهو الذي
جعلهما مفيدين اذ جعلهما شرطا لما يخلقه بعدهما من الفوايد والمقاصد فاذا لا حول ولا قوة الا بالله وذلك حقا
صدقا فمن شاهد هذا كذلك كان له الثواب العظيم الذي وردت به الاخبار فيمن قال لا حول ولا قوة الا بالله فلعلك
قد تستبعد فتقول كيف يعطى هذا الثواب كله بهذه الكلمة مع سهولتها على اللسان وسهولة اعتقاد القلب لمفهوم لفظها
وهيهات فانما ذلك جزاء على هذه المشاهدة التي ذكرناها في التوحيد ونسبة هذه الكلمة وثوابها الى كلمة لا اله الا الله وثوابها
كنسبة معنى احدهما الى الاخر فان هذه الكلمة اضافة شيئين الى الله تعالى فقط الحول والقوة واما كلمة لا اله الا الله فهو نسبة الكل
اليه فانظر الى التفاوت بين الكل وبين شيئين لتعرف به ثواب لا اله الا الله بالاضافة الى هذا ولما ذكرناه من قران التوحيد كرتين
ولبين فكذلك لهذه الكلمات وساير الكلمات واكثر الخلق قنعوا بالقشرين وما عرفوا اللبين واليه الاشارة بقوله
صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله صادقا مخلصا وجبت له الجنة وحيث اطلق ولم يذكر الصدق والاخلاص اراد بالمطلق المقيد
كما اضاف المغفرة الى الايمان والعمل الصالح في بعض المواضع واضاف الى مجرد الايمان في بعض المواضع والمراد به المقيد بالعمل الصالح
فالملك لا ينال بالحديث وحركة اللسان حديث وعقد القلب ايضا حديث ولكنه حديث نفس وانما الصدق والاخلاص
وراءهما ولا ينصب سرير الملك الا للمقربين وهم المخلصون ثم لمن يقرب منهم في الرتبة من اصحاب اليمين لهم درجات عند الله
وان كان لا ينتهي الى الملك اما ترى ان الله تعالى لما ذكر في سورة الواقعة المقربين السابقين عرض لهم سرير الملك
فقال على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين ولما انتهى الى اصحاب اليمين ما زاد على ذكر الماء والظل والفواكه
والاشجار والحور العين وكل ذلك لذات المشروب والمنظور والماكول والمنكوح ويتصور ان تنالها البهائم على الدوام
واين لذات البهائم من لذة الملك والنزول في اعلى عليين في جوار رب العالمين ولو كان لهذه اللذات قدر لما وقع
على البهائم ولما رفع عنها درجة الملائكة افترى ان احوال البهائم وهي مسيبة في الرياض متنعمة بالمياه والاشجار
واصناف الماكولات متنعمة بالنزوان والسفاد اعلى والذ واشرف واجدر بان تكون عند ذوي الالباب مغبوطا من
من احوال الملائكة في سرورهم بالقرب من جوار الله في اعلى عليين فهيهات هيهات ما ابعد من التحصيل من اختار ان
حاله او يكون قدر جبريل الحمار درجة الحمار في درجة جبريل وليس يخفى ان شبه كل شيء يتحد بما يليه فان الشيء اللايق
نزوعها الى صنعة الاساكفة اكثر من نزوعها الى صنعة الكتابة فهو بالاساكفة اشبه في جوهره منه بالكتاب فكذلك من كان
نزوع نفسه الى نيل لذات البهائم اكثر من الملائكة فهو بالبهائم اشبه منه بالملائكة لا محالة وهؤلاء الذين قال فيهم اولئك
كالانعام بل هم اضل وانما كانوا اضل لان الانعام ليس في قوتها طلب درجات الملائكة فتركها العجز واما الانسان ففي
قوته ذلك والقادر على نيل الكمال احرى بالذم واجدر بالنسبة الى الضلال لتقاعده عن طلب الكمال واذا كان هذا كلاما
معترضا فلنرجع الى المقصود فقد بينا معنى قوله لا اله الا الله ومعنى قول لا حول ولا قوة الا بالله وليس فيهما الا ابهام عن
مشاهدة فلا يتصور منه حال التوكل **فان قلت** ليس قولك لا حول ولا قوة الا بالله انسب بشيء من
الله فلو قال قائل السماء والارض خلق الله فهل يكون ثوابه مثل ثوابه فاقول لا لان الثواب على قدر درجة المثاب ولا
مساواة بين الدرجتين ولا تنظر الى عظم السماء والارض وصغر الحول والقوة مجازا وصفهما بالصغر تجوزا فليست
الامور بعظم الاشخاص بل كل عامي يفهم ان الارض والسماء ليس من جهة الادميين فهو من الله فاما الحول والقوة فقد اشكل

امرها على العقلاء والاذكياء وهم طوايف كثيرة ممن يدعي قوة الراي والمعقول حتى تنق الشعر بحدة نظره وفي محل الحظوة ومنزلة عظيمة عند كل من في العالمين اذ لا يشتغل لا يستبقي اصلا وهو شرك في التوحيد واثبات خالق سوى الله فمن جاوز هذه العقبة بتوفيق الله اياه فقد علت رتبته وعظمت درجته فهو الذي يصدق قوله لا حول ولا قوة الا بالله وقد ذكرنا انه ليس في التوحيد الا عقبتان احداهما النظر الى السماء والارض والشمس والقمر والغيم والمطر وسائر الجمادات والثانية النظر الى اختيار الحيوانات وهي اعظم العقبتين واخطرهما وكماله كمال سر التوحيد فلذلك عظم ثواب هذه الكلمة اعني ثواب المشاهدة التي هذه الكلمة ترجمتها فاذا رجع حال التوكل الى التبري من الحول والقوة والتوكل على الواحد الحق يتضح ذلك بعد ذكر تفصيل اعمال التوكل

بيان ما قاله الشيوخ في احوال التوكل

ليتبين ان شيئا من اقواله لا يخرج عما ذكرناه ولكن كل واحد يشير الى بعض الاحوال فقد قال ابو موسى الديبلي قلت لابي يزيد ما التوكل فقال ما تقول انت قلت ان اصحابنا يقولون لو ان السباع والافاعي عن يمينك ويسارك ما تحرك لذلك سرك فقال ابو يزيد نعم هذا قريب ولكن لو ان اهل الجنة في الجنة يتنعمون واهل النار في النار يعذبون ثم وقع بك تمييز بينهما خرجت من جملة التوكل فما ذكره ابو موسى فهو خبر عن اعلى احوال التوكل وهو المقام الثالث وما ذكره ابو يزيد عبارة عن اعز انواع العلم الذي هو من اصول التوكل وهو العلم بالحكمة وانما فعله الله تعالى فعله بالواجب فلا تمييز بين اهل النار واهل الجنة بالاضافة الى اصل العدل والحكمة وهذا اغمض انواع العلم ووراءه سر القدر وابو يزيد قلما يتكلم الا عن اعلى المقامات واقصى الدرجات وليس ترك الاحتراز عن الحيات شرطا في المقام الاول من التوكل فقد احترز ابو بكر الصديق رضي الله عنه في الغار اذ سد منافذ الحيات الا ان يقال فعل ذلك لا بيده ولم يتعوذ به الا بسره او يقال فعل ذلك شفقة في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم لا في حق نفسه واما يزول التوكل بكسر وبغيره لاجل من يرجع الى نفسه فلا تنظر في هذا الى من لكن سياق ان امثال ذلك واكثر منه لا ينافي التوكل فان حركة السر من الحيات هو خوف وحق المتوكل ان يخاف مسلط الحيات لا الحيات ولا قوة لها الا بالله وان احترز لم يكن اتكاله على تدبيره وحوله وقوته في الاحتراز بل على خالق الحول والقوة والتدبير وسئل ذو النون المصري عن التوكل فقال خلع الارباب وقطع الاسباب وخلع الارباب اشارة الى علم التوحيد وقطع الاسباب اشارة الى الاعمال وليس فيه تعرض صريح للحال وان كان اللفظ يتضمنه فسئل الله زدنا فقال القاء النفس في العبودية واخراجها من الربوبية وهذه اشارة الى التبري من الحول والقوة فقط وسئل حمدون عن التوكل فقال اذا كان لك عشرة الاف درهم وعليك دانق دين لم تامن ان تموت ويبقى في عنقك ولو كان عليك عشرة الاف درهم من غير ان تترك لها وفاء لا تياس من الله ان يقضيها عنك وهذا اشارة الى مجرد الايمان بسعة القدرة وان في المقدورات اسبابا خفية سوى هذه الاسباب الظاهرة وسئل ابو عبد الله القرشي عن التوكل فقال التعلق بالله في كل حال فقال السائل زدني فقال ترك كل سبب يوصل الى سبب حتى يكون الحق هو المتولي لذلك والاول عام للمقامات الثلث والثاني اشارة الى المقام الثالث خاصة وهو مثل توكل ابرهيم عليه الصلاة والسلام اذ قال له جبريل الك حاجة فقال اما اليك فلا اذ كان سؤاله سببا يفضي الى سبب وهو حفظ جبريل له فترك ذلك ثقة بان الله ان اراد سخر جبريل له فلا يكون هو المتولي لذلك وهذا حال مبهوت غائب عن نفسه بالله فلم ير معه غيره وهو حال عزيز في نفسه ودوامه ان وجد ابعد منه واعز وقال ابو سعيد الخراز التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب ولعله يشير الى المقام الثاني فسكونه بلا اضطراب اشارة الى سكون القلب الى الوكيل وثقته به واضطرابه بلا سكون اشارة الى فزعه اليه وابتهاله وتضرعه بين يديه كاضطراب الطفل بيديه الى امه وسكون قلبه الى تمام شفقتها وقال ابو علي الدقاق التوكل ثلث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض فالمتوكل يسكن الى وعده والمسلم يكتفي بعلمه وصاحب التفويض يرضى بحكمه وهذه اشارة الى تفاوت درجات نظره بالاضافة الى المنظور اليه فان العلم هو الاصل والوعد يتبعه والحكم يتبع الوعد ولا يبعد ان يكون الغالب على قلب المتوكل ملاحظة شيء منها وكلام الشيوخ في التوكل اقاويل سوى ما ذكرناه فلا نطول به فان الكشف انفع من الرواية والنقل فهذا ما يتعلق بحال التوكل

بيان اعمال المتوكلين

اعلم ان العلم يورث الحال والحال يثمر الاعمال وقد يظن ان معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط على الارض كالخرقة الملقاة وكاللحم على الوضم وهذا ظن الجهال فان ذلك حرام في الشرع والشرع قد اثنى على المتوكلين فكيف ينال مقام من مقامات الدين بمحظورات الدين بل نكشف الغطاء عنه ونقول انما يظهر تاثير التوكل في حركة العبد وسعيه بعلمه الى مقاصده وسعي العبد باختياره اما ان يكون لاجل جلب نافع هو مفقود عنده كالكسب او لحفظ نافع هو موجود عنده كالادخار او لدفع ضار لم ينزل به كدفع الصايل والسارق والسباع او لازالة ضار قد نزل به كالتداوي من المرض فمقصود حركات العبد لا تعدو هذه الفنون الاربعة وهو جلب النافع او حفظه او دفع الضار او قطعه فلنذكر شروط التوكل ودرجاته في كل واحد منها مقرونا بشواهد الشرع

الفن الاول

في جلب النافع فنقول الاسباب التي بها يجلب النافع على ثلث درجات مقطوع به ومظنون ظنا يوثق به وموهوم وهما لا تثق به النفس ثقة تامة ولا تطمئن اليه

الدرجة الاولى

المقطوع به وذلك مثل الاسباب التي ارتبطت المسببات بها بتقدير الله ومشيته ارتباطا مطردا لا يختلف كما اذا كان الطعام موضوعا بين يديك وانت جايع محتاج ولكنك لست تمد اليه اليد وتقول انا متوكل وشرط التوكل ترك السعي ومد اليد اليه سعي وحركة وكذلك مضغه بالاسنان وابتلاعه باطباق اعالي الحنك على اسافله فهذا جنون محض وليس من التوكل في شيء فانك ان انتظرت ان يخلق الله تعالى فيك شبعا دون الخبز او يخلق في الخبز حركة اليك او يسخر ملكا ليمضغه ويوصله الى معدتك فقد جهلت سنة الله تعالى وكذلك لو لم تزرع الارض وطمعت في ان يخلق الله نباتا من غير بذر او تلد زوجتك من غير وقاع كما ولدت مريم عليها السلام فجنون وامثال هذا مما يكثر ولا يمكن احصاؤه فليس التوكل في هذا المقام بالعمل بل بالحال والعلم اما العلم فهو ان تعلم ان الله خالق الطعام واليد والاسنان وقوة الحركة وانه الذي يطعمك ويسقيك واما الحال فهو ان يكون سكون قلبك واعتمادك على فضل الله تعالى لا على اليد والطعام وكيف تعتمد على صحة يديك وربما تجف في الحال وتفلج وكيف تعول على قدرتك وربما يطرا عليك في الحال ما يزيل عقلك ويبطل قوة حركتك وكيف تعول على حضور الطعام وربما يسلط الله عليك من يغلبك عليه او يبعث حية تزعجك عن مكانك وتفرق بينك وبين طعامك واذا احتمل امثال ذلك ولم يكن لها علاج الا بفضل الله فبذلك فليفرح وعليه فليعول واذا كان هذا حاله وعلمه فليمد اليد فانه متوكل

الثانية

الاسباب التي ليست متيقنة لكن الغالب ان المسببات لا تحصل دونها وكان احتمال حصولها دونها بعيدا كالذي يفارق الامصار والقوافل ويسافر في البوادي التي لا يطرقها الناس الا نادرا ويكون سفره من غير استصحاب زاد فهذا ليس شرطا في التوكل بل استصحاب الزاد في البوادي سنة الاولين ولا يزول التوكل به بعد ان يكون الاعتماد على فضل الله لا على الزاد كما سبق ولكن فعل ذلك جائز وهو من اعلى مقامات التوكل ولذلك كان يفعله الخواص

فان قلت فهذا سعي في الهلاك والقاء النفس في التهلكة **فاعلم** ان ذلك يخرج عن كونه حراما بشرطين احدهما ان يكون الرجل قد راض نفسه وجاهدها وسواها على الصبر عن الطعام اسبوعا او ما يقاربه بحيث يصبر عنه من غير ضيق قلب وتشوش خاطر وتعذر في ذكر الله تعالى **والثاني** ان يكون بحيث يتقوى بالحشيش وما يتفق من الاشياء الخسيسة فبعد هذين الشرطين لا يخلو في غالب الامر في البوادي في كل اسبوع عن ان يلقاه ادمي او ينتهي الى حلة او قرية او حشيش يتزجى به وقته فيحيى به مجاهدا نفسه والمجاهدة عماد التوكل وعلى هذا كان يعول الخواص ونظراؤه من المتوكلين والدليل عليه ان الخواص كان لا تفارقه الابرة والمقراض والحبل والركوة ويقول هذا لا يقدح في التوكل وسببه انه علم ان البوادي لا يكون الماء فيها على وجه الارض وما جرت سنة الله تعالى بصعود الماء من البئر بغير دلو ولا حبل ولا يغلب وجود الحبل والدلو في البراري كما يغلب وجود الحشيش بها والماء يحتاج اليه لوضوئه كل يوم مرات ولعطشه في يوم او يومين مرة فان المسافر مع حرارة الحركة لا يصبر عن الماء وان صبر عن الطعام وكذلك يكون له ثوب واحد فربما يتخرق فتنكشف

بوربه ولا يوجد المخايط والابرة في البوادي عند كل صلاة ولا يقوم مقامها في الخياطة والقطع شيء مما يوجد في البراري فكل ما في معنى
هذه الاربعة ايضا يلتحق بالدرجة الاولى لانه مظنون ظنا ليس مقطوعا به لانه يحتمل ان لا يتخرق الثوب او يعطيه انسان
ثوبا او يجد على راسه ابرة من غير مسعى ولا يحتمل ان يتحرك الطعام ممنوعا الى فيه فبين الدرجتين فرق ولكن الثاني في معنى الاول
ولهذا نقول لو انحاز الانسان الى شعب من شعاب الجبال حيث لا ماء ولا حشيش ولا يطرقه طارق فيه وجلس متوكلا فهذا اثم به
ساع في هلاك نفسه كما روي ان زاهدا من الزهاد فارق الامصار واقام في سفح جبل سبعا وقال لا اسال احدا شيئا حتى
ياتيني ربي برزقي فقعد سبعا فكاد يموت ولم ياته رزق فقال يا رب ان احييتني فاتني برزقي الذي قسمت لي والا
فاقبضني اليك فاوحى الله تعالى وعزتي وجلالي لا ارزقنك حتى تدخل الامصار وتقعد بين الناس فدخل المصر واقام
في سفح جبل سبعا وقال لا اسال احدا شيئا حتى ياتيني ربي برزقي فقعد سبعا فكاد يموت ولم ياته رزق فقال يا رب ان احييتني فاتني
برزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني اليك فاوحى الله تعالى وعزتي وجلالي لا ارزقنك حتى تدخل الامصار وتقعد بين الناس فدخل
المصر واقام فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فاكل وشرب فاوجس في نفسه من ذلك فاوحى الله اليه اردت ان تذهب حكمتي
بزهدك في الدنيا اما علمت اني ان ارزق عبدي بايدي عبادي احب الي من ان ارزقه بيد قدرتي فاذا التباعد عن الاسباب
كلها مراغمة للحكمة وجهل بسنة الله تعالى والعمل بموجب سنة الله تعالى مع الاتكال على الله تعالى دون الاسباب لا يناقض التوكل كما ضربناه
مثلا في الوكيل بالخصومة من قبل ولكن الاسباب تنقسم الى ظاهرة والى خفية فمعنى التوكل الاكتفاء بالاسباب الخفية عن الاسباب
الظاهرة مع سكون النفس الى مسبب السبب لا الى السبب **فان قلت** فما قولك في القاعد في البلد بغير كسب
اهو حرام او مباح او مندوب **فاعلم** ان ذلك ليس بحرام لان صاحب السياحة في البادية اذا لم يكن مهلكا نفسه فكيف كان هذا مهلكا نفسه
حتى يكون فعله حراما بل لا يبعد ان ياتيه الرزق من حيث لا يحتسب ولكن قد يتاخر عنه والصبر ممكن الى ان يتفق ولكن لو اغلق
باب البيت على نفسه بحيث لا طريق لاحد اليه فعله ذلك حرام وان فتح باب البيت وهو بطال غير مشغول بعبادة فالكسب
والخروج له اولى ولكن ليس فعله حراما الا ان يشرف على الموت فعند ذلك يلزمه الخروج والسؤال والكسب وان كان مشغول القلب بالله تعالى
غير مستشرف الى الناس ولا متطلع الى من يدخل من الباب فياتيه برزقه بل تطلعه الى فضل الله واشتغاله بالله فهو افضل وهو
من مقامات التوكل وهو ان يشتغل بالله ولا يهتم برزقه فان الرزق ياتيه لا محالة وعند هذا يصح ما قاله بعض العلماء وهو
ان العبد لو هرب من رزقه لطلبه كما لو هرب من الموت لادركه وانه لو سال الله تعالى ان لا يرزقه لما استجاب له وكان عاصيا ولقال
له يا جاهل كيف اخلقك ولا ارزقك ولذلك **قال** ابن عباس رضي الله عنه اختلف الناس في كل شيء الا في الرزق والاجل فانهم اجمعوا ان
لا رازق ولا مميت الا الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ولزالت
بدعائكم الجبال وقال عيسى صلى الله عليه وسلم انظروا الى الطير لا تزرع ولا تحصد ولا تدخر والله تعالى يرزقها يوما بيوم فان قلتم نحن اكبر
بطونا فانظروا الى الانعام كيف قيض الله لها هذا الخلق وقال ابو يعقوب السوسي المتوكلون تجري ارزاقهم على ايدي العباد بلا
تعب منهم وغيرهم مشغولون مكدودون وقال بعضهم العبيد كلهم في رزق الله تعالى لكن بعضهم ياكل بذل كالسؤال
وبعضهم بتعب وانتظار كالتجار وبعضهم بامتهان كالصناع وبعضهم بعز كالصوفية يشهدون العزيز فياخذون
رزقهم من يده ولا يرون الواسطة **الدرجة الثالثة** ملابسة الاسباب التي يتوهم افضاؤها الى المسببات من غير ثقة
ظاهرة كالذي يستقصي في التدبيرات الدقيقة في تفصيل الاكتساب ووجوهه فذلك يخرج بالكلية عن درجات التوكل كلها
وهو الذي الناس فيه كلهم اعني من يكتسب بالحيل الدقيقة اكتسابا مباحا لمال مباح فاما اخذ الشبهة او الاكتساب بطريق فيه شبهة
فذلك غاية الحرص على الدنيا والاتكال على الاسباب فلا يخفى ان ذلك مبطل للتوكل وهو مثل الاسباب التي نسبتها الى جلب النافع مثل نسبة الرقية
والطيرة والكي بالاضافة الى ازالة الضار فان النبي صلى الله عليه وسلم وصف المتوكلين بذلك ولم يصفهم بانهم لا يكتسبون ولا يسكنون الامصار
ولا ياخذون من يد احد شيئا بل وصفهم بذلك واشار الى الاسباب التي يوثق بها في المسببات ما اكثر فلا يمكن احصاؤها وقد سئل

في التوكل الى ترك التدبير وقال ان الله خلق الخلق ولم يحجبهم عن نفسه وانما حجبهم بتدبيرهم ولعله اراد باستنباط
الاسباب الجيدة بالفكر دون التي تحتاج الى التدبير دون الاسباب الجلية **فاذا قد ظهر** ان الاسباب منقسمة الى ما يخرج التعلق
بها عن التوكل والى ما لا يخرج وان الذي لا يخرج ينقسم الى مقطوع به والى مظنون وان المقطوع لا يخرج عن التوكل عند
وجود حال التوكل وعلمه وهو الاتكال على مسبب الاسباب فالتوكل فيه بالحال والعلم لا بالعمل فاما المظنون فالتوكل فيه بالحال والعلم
والعمل جميعا والمتوكلون في ملابسة هذه الاسباب على ثلاث مقامات **الاول** مقام الخواص ونظرائه وهو الذي يدور في
البوادي بغير زاد ثقة بفضل الله عليه في تقويته على الصبر اسبوعا وما فوقه او تيسير حشيش له او قوت او تثبيته على الرضا
بالموت ان لم يتيسر شيء من ذلك فان الذي يحمل الزاد يجوز ان يؤخذ زاده او يضل بعيره فيموت جوعا فذلك ممكن مع الزاد كما
انه ممكن مع فقده **المقام الثاني** ان يقعد في بيته او في مسجد ولكن في القرى والامصار وهذا اضعف من الاول ولكنه ايضا
متوكل لانه تارك للكسب والاسباب الظاهرة معول على فضل الله في تدبير امره من جهة الاسباب الخفية ولكنه بالقعود في الامصار
متعرض لاسباب الرزق فان ذلك من الاسباب الجالبة الا ان ذلك لا يبطل توكله اذا كان نظره الى الذي يسخر سكان البلد لايصال
ان يشغل قلوبهم عنه ويضيعوه لولا فضل الله تعالى بتعريفهم وتحريك دواعيهم **المقام الثالث** ان يخرج
ويكتسب اكتسابا على الوجه الذي ذكرناه في الباب الثالث والرابع من آداب الكسب وهذا السعي ايضا لا يخرجه عن مقامات التوكل
اذا لم يكن طمأنينة نفسه الى كفايته وقوته وجاهه وبضاعته فان ذلك ربما يهلكه الله جميعه في لحظة بل يكون نظره الى الكفيل الحق بحفظ
جميع ذلك وتيسير اسبابه له بل يرى كسبه وبضاعته وكفايته بالاضافة الى قدرة الله تعالى كما يرى القلم في يد الملك الموقع فلا يكون نظره
الى القلم بل الى قلب الملك انه بماذا يتحرك والى ماذا يميل وبم يحكم ثم ان كان هذا المكتسب مكتسبا لعياله او ليفرق على المساكين فهو
ببدنه مكتسب وبقلبه عنه منقطع فحال هذا اشرف من حال القاعد في بيته والدليل على ان الكسب لا ينافي حال المتوكل اذا روعي
فيه الشروط وانضاف اليه الحال والمعرفة كما سبق ان الصديق رضي الله عنه لما بويع بالخلافة اخذ الاثواب تحت حضنه ودخل السوق ينادي
حتى كره المسلمون ذلك وقالوا كيف تفعل ذلك وقد اقمت لخلافة النبوة فقال لا تشغلوني عن عيالي فاني ان اضعتهم كنت
لما سواهم اضيع حتى فرضوا له قوت اهل بيت من المسلمين فلما رضوا بذلك راى مساعدتهم وتطييب قلوبهم واستغراق
الوقت بمصالح المسلمين اولى ويستحيل ان يقال لم يكن الصديق في مقام التوكل فمن اولى بهذا المقام منه فدل على انه كان متوكلا
لا باعتبار ترك الكسب والسعي بل باعتبار قطع الالتفات الى قوته وكفايته والعلم بان الله هو ميسر الكسب ومدبر الاسباب
وبشروط كان يراعيها في طريق الكسب من الاكتفاء بقدر الحاجة من غير استكثار وتفاخر وادخار ومن غير ان يكون درهمه احب
اليه من درهم غيره فمن دخل السوق ودرهمه احب اليه من درهم غيره فهو حريص على الدنيا ومحب لها ولا يصح التوكل الا مع الزهد في الدنيا
نعم يصح الزهد دون التوكل فان التوكل مقام وراء الزهد **قال** ابو جعفر الحداد وهو شيخ الجنيد وكان من المتوكلين اخفيت
التوكل عشرين سنة وما فارقت السوق كنت اكتسب كل يوم دينارا ولا ابيت منه دانقا ولا استريح منه الى قيراط ادخل به الحمام بل
اخرجه كله قبل الليل وكان الجنيد لا يتكلم في التوكل بحضرته وكان يقول استحي ان اتكلم في مقامه وهو حاضر عندي **واعلم**
ان الجلوس في رباطات الصوفية مع معلوم بعيد من التوكل وان لم يكن له معلوم ووقف واستسروا الخادم بالخروج للطلب لم يصح معه
التوكل الا على ضعف ولكن يقوى بالحال والعلم كتوكل المكتسب وان لم يسالوا بل قنعوا بما يحمل اليهم فهذا اقوى في توكلهم بعد اشتهار القوم
بذلك فقد صار سوقا لهم وهو كدخول السوق ولا يكون داخل السوق متوكلا الا بشروط كثيرة كما سبق **فان قلت**
فالافضل ان يقعد في بيته او يخرج ويكتسب **فاعلم** انه ان كان يتفرغ بترك الكسب لفكر وذكر واخلاص واستغراق وقت
بالعبادة وكان الكسب يشوش عليه وهو مع هذا لا تستشرف نفسه الى الناس في انتظار من يدخل عليه فيحمل اليه شيئا بل يكون قوي
القلب في الصبر والاتكال على الله فالقعود له اولى وان كان يضطرب قلبه في البيت ويستشرف الى الناس فالكسب اولى لان الاستشراف
الى الناس سؤال بالقلب وتركه اهم من ترك الكسب وما كان المتوكلون ياخذون ما يستشرف اليه نفوسهم كان احدهم

قد امر ابا بكر المروزي ان يعطي بعض الفقراء شيئا فضلا عما كان استاجره عليه فرده فلما ولى قال له احمد الحقه واعطه فانه يقبل
فلحقه واعطاه فاخذه فسال احمد عن ذلك فقال كان قد استشرف نفسه فرده فلما خرج انقطع طمعه وايس فاخذ وكان الخواص اذا
نظر الى عبد في العطاء او خاف اعتياد النفس له لم يقبل منه شيئا وقال الخواص بعد شيء من عجيب ما راه في اسفاره رايت الخضر و
بصحبته للمواخاة ففارقته خيفة ان تسكن نفسي اليه فيكون نقصا في توكلي فاذا المكتسب اذا راعى اداب الكسب وشروطه كما سبق في كتاب
الكسب ولم يقصد الاستكثار ولم يكن اعتماده على بضاعته وكفايته كان متوكلا **فان قلت** فما علامة عدم اتكاله
على البضاعة والكفاية فاقول علامته انه لو سرقت بضاعته او خسرت تجارته او تعوق امر من اموره كان راضيا ولم تبطل طمانينته
ولم يضطرب قلبه بل كان حال قلبه في السكون قبله وبعده واحدا فان من لم يسكن الى شيء لم يضطرب بفقده ومن اضطرب بفقد شيء
فقد سكن اليه وكان بشر يعمل المغازل فتركها وذلك لان العكبري كاتبه بلغني انك استعنت على رزقك بالمغازل ارايت ان
اخذ الله سمعك وبصرك فالرزق على من فوقع ذلك في قلبه فاخرج آلة المغازل من يده وتركها لما بين عتابه وقصد لاجلها
وقيل تركه ذلك لانه مات عياله كما كان لسفيان خمسين دينار يتجر فيها فلما مات عياله فرقها **فان قلت** فكيف
يتصور ان يكون له بضاعة ولا يسكن اليها وهو يعلم ان الكسب بغير بضاعة لا يمكن فاقول بان يعلم بان الذين يرزقهم الله بغير
بضاعة فيهم كثرة وان الذين كثرت بضاعتهم فسرقت وهلكت فيهم كثرة وان يوطن نفسه على ان الله تعالى لا يفعل به الا ما فيه صلاحه
فان اهلك بضاعته فهو خير له فلعله لو تركها كانت سببا لفساد دينه وقد لطف الله تعالى به وغايته ان يموت جوعا خير له في الاخرة مهما
قضى الله تعالى به ذلك من غير تقصير من جهته فاذا اعتقد جميع ذلك استوى عنده وجود البضاعة وعدمها ففي الخبر ان العبد ليهم من الليل
بامر من امور التجارة مما لو فعله لكان فيه هلاكه فينظر الله تعالى اليه من فوق عرشه فيصرفه عنه فيصبح كئيبا حزينا يتطير بجاره وابن
عمه من سبقني من دهاني وما هو الا رحمة رحمه الله بها ولذلك **قال** عمر رضي الله عنه لا ابالي اصبحت غنيا او فقيرا فاني لا ادري ايهما
خير لي ومن لم يتكامل يقينه بهذه الامور لم يتصور منه التوكل ولذلك قال ابو سليمان الداراني لاحمد بن ابي الحواري لي من كل مقام
الا من هذا التوكل المبارك فاني ما شممت منه رائحة هذا كلامه مع علو قدره ولم ينكر كونه من المقامات الممكنة ولكن قال ادركه ولعله
اراد ادراك اقصاه وما لم يكمل الايمان بان لا فاعل الا الله ولا رازق سواه وان كل ما يقدره على العبد من فقر وغنى وموت وحياة
فهو خير له مما يتمناه العبد لم يكمل له حال التوكل فبناء التوكل على قوة الايمان بهذه الامور كما سبق وكذا سائر مقامات الدين من
الاحوال والاعمال تبنى على اصولها من الايمان وبالجملة التوكل مقام مفهوم ولكن يستدعي قوة القلب وقوة اليقين ولذلك
قال سهل من طعن على الكسب فقد طعن في السنة ومن طعن في ترك الكسب فقد طعن في التوحيد • **فان قلت**
فهل من دواء ينتفع به في صرف القلب عن الركون الى الاسباب الظاهرة وحسن الظن بالله تعالى في تيسير الاسباب الخفية فاقول نعم هو ان
تعرف ان سوء الظن تلقين الشيطان وحسن الظن تلقين الله تعالى قال الله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء
والله يعدكم مغفرة منه وفضلا • فالانسان بالطبع مشغوف بسماع تخويف الشيطان • ولذلك قيل الشفيق بسوء
الظن مولع واذا انضم اليه الجبن وضعف القلب ومشاهدة المتكلين على الاسباب الظاهرة والباعثين عليها
غلب سوء الظن وبطل التوكل بالكلية بل رؤية الرزق من الاسباب الخفية ايضا تبطل التوكل • فقد حكي عن عابد انه عكف
في مسجد ولم يكن له معلوم فقال له الامام لو اكتسبت لكان افضل لك فلم يجبه حتى اعاد ثلاثا فقال في الرابعة يهودي في
جوار المسجد قد ضمن لي كل يوم رغيفين فقال ان كان صادقا في ضمانه فعكوفك في المسجد خير لك فقال يا هذا لو لم تكن اماما
تقف بين يدي الله وبين العباد مع هذا النقص في التوحيد كان خيرا لك اذ فضلت وعد يهودي على ضمان الله تعالى بالرزق وقال
امام مسجد لبعض المصلين من اين تاكل فقال يا شيخ اصبر حتى اعيد الصلاة التي صليتها خلفك ثم اجيبك وينفع في
حسن الظن بمجيء الله تعالى بواسطة الاسباب الخفية ان يسمع الحكايات التي فيها عجائب صنع الله في وصول الرزق الى صاحبه وفيها
قهر الله تعالى في اهلاك اموال التجار والاغنياء وقتلهم جوعا كما روي عن حذيفة المرعشي وكان قد خدم ابراهيم بن ادهم

دخول

فقيل له ما اعجب ما رايت منه فقال بقينا في طريق مكة اياما لم نجد طعاما ثم دخلنا الكوفة فاوينا الى مسجد خراب فنظر الي ابراهيم
وقال يا حذيفة ارى بك الجوع فقلت هو ما راى الشيخ فقال علي بدواة وقرطاس فجئت به فكتب بسم الله الرحمن الرحيم • انت المقصود اليه
بكل حال والمشار اليه بكل معنى **شعر** انا حامد انا شاكر انا ذاكر انا جائع انا ضائع انا عاري هي ستة وانا
الضمين لنصفها • فكن الضمين لنصفها يا باري • مدحي لغيرك لهب نار خضتها • فاجر عبيدك من لهيب النار
ثم دفع الي الرقعة وقال اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله وادفع الرقعة الى اول من يلقاك فخرجت فاول من لقيني كان
رجلا على بغلة فناولته الرقعة فاخذها فلما قراها بكى وقال ما فعل صاحب هذه الرقعة فقلت هو في المسجد الفلاني فدفع الي صرة
فيها ستمائة دينار ثم لقيت رجلا اخر فسالته عنه فقال هذا نصراني فجئت الى ابراهيم فاخبرته بالقصة فقال لا تمسها فانه
يجيء الساعة فلما كان بعد ساعة دخل النصراني واكب على راس ابراهيم يقبله واسلم **وقال** ابو يعقوب الاقطع البصري جعت
مرة بالحرم عشرة ايام فوجدت ضعفا فحدثتني نفسي بالخروج فخرجت الى الوادي لعلي اجد شيئا يسكن ضعفي فرايت سلجمة مطروحة
فاخذتها فوجدت في قلبي وحشة منها وكان قائلا يقول لي جعت عشرة ايام واخره يكون حظك سلجمة متغيرة فرميت بها ودخلت
المسجد فقعدت فاذا انا برجل اعجمي قد اقبل فجاء حتى جلس بين يدي ووضع قمطرة وقال هذه لك قلت كيف خصصتني بها
قال اعلم انا كنا في البحر منذ عشرة ايام واشرفت السفينة على الغرق فنذرت ان خلصني الله منه ان اتصدق بهذه على اول من يقع
عليه بصري من المجاورين وانت اول من لقيته فقلت افتحها ففتحها فاذا فيها سميد مصري ولوز مقشر وسكر وكعاب فقبضت
قبضة من هذا وقبضة من هذا وقلت رد الباقي الى صبيانك هدية مني اليهم وقد قبلتها ثم قلت في نفسي رزقك
يسير اليك من عشرة ايام وانت تطلبه من الوادي **وقال** ممشاد الدينوري كان علي دين فاشتغل قلبي بسببه فرايت
في النوم كان قائلا يقول لي يا بخيل اخذت علينا هذا المقدار من الدين خذ عليك الاخذ وعلينا العطاء فما حاسبت بعد ذلك
بقالا ولا قصابا ولا غيرهم وحكي عن بنان الحمال قال كنت بطريق مكة اجيء من مصر ومعي زاد فجاءتني امراة وقالت
لي يا بنان انت حمال تحمل على ظهرك الزاد وتتوهم انه لا يرزقك قال فرميت بزادي ثم اتى علي ثلث لم اكل فوجدت خلخالا في
الطريق فقلت في نفسي احمله حتى يجيء صاحبه فربما يعطيني شيئا فارده عليه فاذا انا بتلك المراة فقالت لي انت تاجر تقول حتى يجيء
صاحبه فاخذ منه شيئا ثم رمت الي شيئا من الدراهم وقالت انفقها فاكتفيت به الى قريب من مصر ويحكى ان بنانا
احتاج الى جارية تخدمه فانبسط الى اخوانه فجمعوا له ثمنها وقالوا هو ذا يجيء النفير فتشتري ما يوافق فلما ورد النفير
اجتمع رايهم على واحدة وقالوا انها تصلح له فقالوا لصاحبها بكم هذه الجارية فقال انها ليست للبيع فالحوا عليه
فقال انها لبنان الحمال اهدتها اليه امراة من سمرقند فحملت الى بنان وذكرت له القصة وقيل كان في الزمن الاول
رجل في سفر ومعه قرص فقال ان اكلته مت فوكل الله به ملكا وقال ان اكله فارزقه وان لم ياكله فلا تعطه غيره فلم
يزل القرص معه الى ان مات ولم ياكله وبقي القرص عنده **وقال** ابو سعيد الخراز دخلت البادية بغير زاد فاصابتني
فاقة فرايت المرحلة من بعيد فسررت بان وصلت ثم فكرت في نفسي اني سكنت واتكلت على غيره فاليت ان لا
ادخل المرحلة الا ان احمل اليها فحفرت لنفسي في الرمل حفيرة وواريت جسدي فيها الى صدري فسمعت صوتا عاليا
في نصف الليل يا اهل المرحلة ان لله وليا حبس نفسه في هذا الرمل فالحقوه فجاء جماعة فاخرجوني وحملوني الى القرية
وروى ان رجلا لازم باب عمر رضي الله عنه فقال له عمر رضي الله عنه يا هذا هاجرت الى عمر او الى الله اذهب وتعلم
القران فانه سيغنيك عن باب عمر فذهب الرجل وغاب حتى افتقده عمر فاذا هو قد اعتزل واشتغل بالعبادة فقال له
عمر اني اشتقت اليك فما الذي شغلك عنا فقال اني قرات القران فاغناني عن عمر وعن ال عمر فقال عمر رحمك الله فما وجدت
فيه فقال وجدت فيه وفي السماء رزقكم وما توعدون فقلت رزقي في السماء وانا اطلبه من الارض فبكى عمر وقال صدقت وكان عمر رضي الله عنه
بعد ذلك ينتابه ويجلس اليه وقال ابو حمزة الخراساني حججت سنة من السنين فبينا انا امشي في الطريق اذ وقعت في بئر

فنازعتني نفسي ان استغيث فما استتممت هذا الخاطر حتى مر على راس البير رجلان فقال احدهما للآخر تعال حتى نسد راس هذا البير لئلا يقع فيه احد فاتوا بقصب وبارية فطموا راس البير فهممت ان اصيح ثم قلت في نفسي الى من هو اقرب منهما فسكت فبينا انا بعد ساعة اذا انا بشئ قد جاء وكشف عن راس البير وادلى رجله وكانه يقول تعلق بي في همهمة له كنت اعرف ذلك فتعلقت فاخرجني فاذا هو سبع فمر وهتف بي هاتف يا ابا حمزة اليس هذا احسن نجيناك من التلف بالتلف **فمشيت وانا اقول**

نهاني حيائي منك ان اكتم الهوى — واغنيتني بالفهم منك عن الكشف

تلطفت في امري فابديت شاهدي — الى غائبي واللطف يدرك باللطف

تراءيت لي بالغيب حتى كانما — تبشرني بالغيب انك في الكف

اراك وبي من هيبتي لك وحشة — فتؤنسني باللطف منك وبالعطف

وتحيي محبا انت في الحب حتفه — وذا عجب كون الحياة مع الحتف

وامثال هذه الوقائع مما يكثر واذا قوي الايمان وانضم اليه القوة على الجوع قدر اسبوع من غير ضيق صدر وقوي الايمان بانه ان لم يسق اليه رزقه في اسبوع فالموت خير له عند الله ولذلك حبسه عنه تم التوكل بهذه الاحوال والمشاهدات والا فلا يتم اصلا

بيان توكل المعيل

اعلم ان من له عيال فحكمه فارق حكم المنفرد لان المنفرد لا يصح توكله الا بامرين احدهما قدرة على الجوع اسبوعا من غير استشراف وضيق صدر والآخر ابواب من الايمان ذكرناها من جملتها ان يطيب نفسا بالموت ان لم يأته رزقه علما بان رزقه الموت والجوع وهو وان كان نقصانا فهو زيادة في الآخرة فيرى انه سيق اليه خير الرزقين وهو رزق الآخرة فبهذا يتم التوكل والمعيل لا يكلف العيال الصبر على الجوع ولا يمكن ان يقرر عندهم الايمان بالتوحيد وبان الموت على الجوع رزق مغبوط عليه في نفسه ان اتفق ذلك نادرا وكذا سائر ابواب الايمان فاذا لا يمكن في حقهم الا التوكل المكتسب وهو المقام الثالث كتوكل ابي بكر رضي الله عنه اذ خرج للكسب فاما دخول البوادي وترك العيال توكلا في حقهم والقعود عن الاهتمام بامرهم توكلا في حقهم فهذا حرام وقد يفضي الى هلاكهم ويكون مؤاخذا بهم بل التحقيق انه لا فرق بينه وبين عياله فانه ان ساعده العيال على الصبر على الجوع مدة وعلى الاعتداد بالجوع رزقا وغنيمة في الآخرة فله ان يتوكل في حقهم ونفسه ايضا عيال عنده لا يجوز له ان يضيعها الا ان تساعده على الصبر على الجوع مدة فان كان لا يطيقه ويضطرب عليه ويتشوش عبادته لم يجز له التوكل ولذلك روي ان ابا تراب النخشبي نظر الى صوفي قد مد يده الى قشر بطيخ ليأكله بعد ثلثة ايام فقال له لا يصلح لك التصوف الزم السوق اي لا تصوف الا مع التوكل ولا يصح التوكل لمن لا يصبر على الطعام اكثر من ثلثة ايام وقال ابو علي الروذباري اذا قال الفقير بعد خمسة ايام انا جائع فالزموه بالسوق ومروه بالعمل والكسب فاذا بدنه عياله وتوكله فيما يضر ببدنه كتوكله في عياله وانما يفارقه في شئ وهو ان له ان يكلف نفسه الصبر على الجوع وليس له ذلك في عياله وقد انكشف لك من هذا ان التوكل ليس انقطاعا عن الاسباب بل الاعتماد على الصبر على الجوع مدة والرضا بالموت ان تأخر الرزق نادرا وملازمة الامصار والبلاد وملازمة البوادي التي لا تخلو عن حشيش وما يجري مجراه فهذه كلها اسباب للبقاء ولكن مع نوع من الاذى لا يمكن الاستمرار عليه الا بالصبر والتوكل في الامصار اقرب الى الاسباب من التوكل في البوادي وكل ذلك من الاسباب الا ان الناس عدلوا الى اسباب اظهر منها فلم يعدوا ذلك اسبابا وذلك لضعف ايمانهم وشدة حرصهم وقلة صبرهم على الاذى في الدنيا لاجل الآخرة واستيلاء الجبن على قلوبهم باساءة الظن وطول الامل ومن نظر في ملكوت السموات والارض انكشف له تحقيقا ان الله تعالى دبر الملك والملكوت تدبيرا لا يجاوز العبد رزقه وان ترك الاضطراب فان العاجز عن الاضطراب لم يجاوزه رزقه اما ترى الجنين في بطن امه لما كان عاجزا عن الاضطراب كيف وصل سرته بالام حتى تنتهي اليه فضلات غذاء الام بواسطة السرة ولم يكن ذلك بحيلة الجنين ثم لما انفصل سلط الحب والشفقة على الام شاءت ام ابت اضطرارا اليه بما اشعل في قلبها من نار الحب ثم لما لم يكن له سن يمضغ به الطعام جعل رزقه من اللبن الذي لا يحتاج الى

المضغ ولانه لرخاوة مزاجه كان لا يحتمل الغذاء الكثيف فدبر له اللبن اللطيف في ثدي امه عند انفصاله على حسب حاجته افكان هذا بحيلة الطفل او بحيلة الام فاذا صار بحيث يوافقه الغذاء الكثيف انبت له اسنانا قواطع وطواحن لاجل المضغ فاذا كبر واستقل يسر له اسباب التعلم وسلوك سبيل الآخرة فالجبن بعد البلوغ جهل محض لانه ما نقصت اسباب معيشته ببلوغه بل زادت فانه لم يكن قادرا على الاكتساب والآن قد قدر فزادت له قدرته نعم كان المشفق عليه شخصا واحدا وهو الام او الاب وكانت شفقته مفرطة جدا فكانت تسقيه وتطعمه في اليوم مرة او مرتين وكان اطعامه بتسليط الله الشفقة والحب على قلبه فكذلك قد سلط الله الشفقة والمودة والرقة والرحمة على قلوب المسلمين واهل البلد كافة حتى ان كل واحد منهم اذا احس بمحتاج تألم قلبه ورق عليه وانبعثت له داعية الى ازالة حاجته فقد كان المشفق عليه واحدا والآن المشفق عليه الف وزيادة ولقد كانوا لا يشفقون عليه لانهم راوه في كفالة الام والاب وهو مشفق خاص فلو راوه يتيما لسلط الله داعية الرحمة على واحد من المسلمين او على جماعة حتى يأخذه ويكفله فما رئي الى الآن في سني الخصب يتيم قد مات جوعا مع انه عاجز عن الاضطراب وليس له كافل خاص والله كافله بواسطة الشفقة التي خلقها في قلوب عباده فلماذا ينبغي ان يشتغل قلبه بعد البلوغ ولم يشتغل به في الصبي وقد كان المشفق واحدا والمشفق الآن الف نعم كانت شفقة الام اقوى واحظى ولكنها واحدة وشفقة آحاد الناس وان ضعفت فيخرج من مجموعها ما يفيد الغرض فكم من يتيم قد يسر الله حاله هو احسن حالا ممن له ام واب فينجبر ضعف شفقة الآحاد بكثرة المشفقين وبترك التنعم والاقتصار على قدر الضرورة ولقد احسن الشاعر حيث **قال**

جرى قلم القضاء بما يكون — فسيان التحرك والسكون

جنون منك ان تسعى لرزق — ويرزق في غشاوته الجنين

فان قلت الناس يكفلون اليتيم لانه عاجز بالصباء واما هذا فبالغ قادر على الكسب فلا يلتفتون اليه ويقولون هو مثلنا فليجتهد لنفسه فاقول ان كان هذا القادر بطالا فقد صدقوا فعليه الكسب ولا معنى للتوكل في حقه فان التوكل مقام من مقامات الدين يستعان به على التفرغ لله فما للبطال والتوكل وان كان مشتغلا بالله ملازما لمسجد او لبيت وهو مواظب على العلم والعبادة فالناس لا يلومونه في ترك الكسب ولا يكلفونه ذلك بل اشتغاله بالله يقرر حبه في قلوب الناس حتى يحملون اليه فوق كفايته وانما عليه ان لا يغلق الباب ولا يهرب الى جبل من بين الناس وما رؤي الى الآن عالم او عابد استغرق الاوقات بالله وهو في الامصار فمات جوعا ولا يرى قط بل لو اراد ان يطعم جماعة من الناس بقوله لقدر عليه فان من كان لله كان الله له ومن اشتغل بالله القى الله حبه في قلوب الناس وسخر له القلوب كما سخر قلب الام لولدها فقد دبر الله الملك والملكوت تدبيرا كافيا لاهل الملك والملكوت فمن شاهد هذا التدبير وثق بالمدبر واشتغل به وآمن ونظر الى مدبر الاسباب لا الى الاسباب نعم ما دبره تدبيرا يصل الى المشتغل به الحلواء والطيور والثياب الرقيقة والخيول النفيسة على الدوام لا محالة وقد يتفق ذلك ايضا في بعض الاحوال لكن دبره تدبيرا يصل الى المشتغل بعباده في كل اسبوع قرص شعير او حشيش يتناوله لا محالة والغالب انه يصل اكثر منه بل يصل ما يزيد على الحاجة والكفاية فلا سبب لترك التوكل الا رغبة النفس في التنعم على الدوام ولبس الثياب الناعمة وتناول الاطعمة اللطيفة وليس ذلك من طريق الآخرة وذلك قد لا يحصل من غير اضطراب وهو ايضا في الغالب ليس يحصل مع الاضطراب وانما يحصل نادرا وفي النادر ايضا قد يحصل بغير اضطراب فاذن الاضطراب ضعيف عند من انفتحت بصيرته فلذلك لا يطمئن الى اضطرابه وانما يحصل ذلك نادرا بل الى مدبر الملك تدبيرا لا يجاوز بعبد من عباده رزقه وان سكن الا نادرا ندورا يحتمل بتصور مثله في حق المضطرب فاذا انكشف هذا الامر وكان معه قوة في القلب وشجاعة اثمر ذلك ما قال الحسن البصري اذ قال وددت ان اهل البصرة في عيالي وان حبة بدينار وقال وهيب بن الورد لو كانت السماء نحاسا والارض رصاصا واهتممت برزقي لظننت اني مشرك

فاذا فهمت هذه الامور فهمت ان التوكل مقام مفهوم في نفسه ويمكن الوصول اليه لمن قهر نفسه وعلمت ان من انكر اصل التوكل وامكانه انكره عن جهل فاياك ان تجمع بين افلاسين الافلاس عن وجود المقام ذوقا والافلاس من الايمان به علما فاذا عليك بالقناعة بالنزر القليل والرضا بالقوت فانه ياتيك لا محالة وان فررت منه فعند ذلك يسخر الله من يبعث اليك رزقك على يد من لا تحتسب فان اشتغلت بالتقوى والتوكل شاهدت بالتجربة مصداق قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب الا انه لم يتكفل ان يرزقه لحم الطير ولذائذ الاطعمة فما ضمن الا الرزق الذي تدوم به حياته وهذا المضمون مبذول لكل من اشتغل بالضامن واطمأن الى ضمانه فان الذي احاط به تدبير الله من الاسباب المجلبة للرزق اعظم مما ظهر للخلق بل مداخل الرزق لا تحصى ومجاريه لا يهتدى اليها وذلك لان ظهوره على الارض وسببه في السماء قال الله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون واسرار السماء لا يطلع عليها ولهذا دخل جماعة على الجنيد فقالوا نطلب الرزق فقال ان علمتم في اي موضع هو فاطلبوه قالوا فنسأل الله ذلك قال ان علمتم انه ينساكم فذكروه فقالوا ندخل البيت فنتوكل وننتظر ما يكون فقال التوكل على التجربة شك قالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة وقال احمد بن عيسى الخراز كنت في البادية فنالني جوع شديد فغلبتني نفسي ان اسأل الله تعالى طعاما فقلت ليس هذا من فعال المتوكلين فطالبتني ان اسأل الله عز وجل صبرا فلما هممت بذلك سمعت هاتفا يقول

ويزعم انه منا قريب ... وانا لا نضيع من اتانا
ويسألنا القوي عجزا وضعفا ... كانا لا نراه ولا يرانا

فقد فهمت ان من انكسرت نفسه وقوي قلبه ولم يضعف بالجبن وقوي ايمانه بتدبير الله تعالى كان مطمئن النفس ابدا واثقا بالله تعالى فان اسوأ احواله ان يموت ولا بد وان ياتيه الموت كما ياتي من ليس بمطمئن النفس فاذا تمام التوكل بقناعة من جانب ووفاء المضمون من جانب والذي ضمن رزق القانعين بحفظ الاسباب التي هو بها صادق فاقنع وجرب تشاهد صدق الوعد تحقيقا بما يرد عليك من الارزاق العجيبة التي لم تكن في ظنك وحسابك ولا تكن في توكلك منتظرا للاسباب بل لمسبب الاسباب كما لا تكون منتظرا القلم الكاتب بل الكاتب فان اصل حركة القلم والكاتب الاول واحد فلا ينبغي ان يكون النظر الا اليه وهذا شرط توكل من يخرج من العمران بلا زاد او يقعد في الامصار وهو خامل فاما الذي له ذكر بالعبادة والعلم فاذا قنع في اليوم والليلة بالطعام مرة واحدة كيف كان وان لم يكن من اللذائذ وبثوب خشن يليق باهل الدين فهذا ياتيه من حيث لا يحتسب على الدوام بل ياتيه اضعافه فتركه التوكل واهتمامه بالرزق غاية الضعف والقصور فان اشتهاره بسبب ظاهر يجلب الرزق اليه اقوى من دخول الامصار في حق مستتر خامل مع الاكتساب فالاهتمام بالرزق قبيح بذوي الدين وهو بالعلماء اقبح لان شرطهم القناعة والعالم القانع ياتيه رزقه ورزق جماعة كثيرة ان كانوا معه الا اذا اراد ان لا ياخذ من ايدي الناس شيئا وياكل من كسبه فذلك له وجه لائق بالعالم العامل الذي سلوكه بظاهر العلم والعمل ولم يكن له سير بالباطن فاما من له سير بالباطن فان الكسب يمنعه من السير بالفكر الباطن فاشتغاله بالسلوك مع الاخذ من يد من يتقرب الى الله بما يعطيه اولى لانه تفرغ لله واعانة للمعطي على نيل الثواب ومن نظر الى مجاري سنة الله علم ان الرزق ليس على قدر الاسباب ولذلك سأل بعض الاكاسرة حكيما عن الاحمق المرزوق والعالم المحروم فقال اراد الصانع ان يدل على نفسه اذ لو رزق كل عاقل وحرم كل احمق لظن ان العقل رزق صاحبه فلما راوا خلافه علموا ان الرازق غيرهم ولا ثقة بالاسباب الظاهرة لهم

بيان احوال المتوكلين في التعلق بالاسباب بضرب مثال

مثال الخلق مع الله مثال طائفة من السؤال وقفوا في ميدان على باب قصر الملك وهم محتاجون الى الطعام فاخرج اليهم غلمانا كثيرة ومعهم ارغفة كثيرة وامرهم ان يعطوا بعضهم رغيفين وبعضهم رغيفا رغيفا ويجتهدوا في ان لا يغفلوا عن واحد منهم وامر مناديا حتى نادى فيهم ان اسكنوا ولا تتعلقوا بغلماني اذا خرجوا اليكم بل ينبغي ان يطمئن كل واحد في موضعه فان الغلمان مسخرون وهم مامورون بان يوصلوا اليكم طعامكم فمن تعلق بالغلمان واذاهم واخذ رغيفين فاذا فتح باب الميدان وخرج اتبعته بغلام يكون موكلا به الى ان اقدم بعقوبته في ميعاد معلوم عندي ولكني اخفيه ومن لم يؤذ الغلمان وقنع برغيف واحد اتاه من يد الغلمان وهو ساكن فاني اخصه بخلعة سنية في الميعاد المذكور لعقوبة الاخر ومن ثبت في مكانه ولكن اخذ رغيفين فلا عقوبة ولا خلعة له ومن اخطاه غلماني فما اوصلوا اليه شيئا فبات الليلة جائعا غير متسخط على الغلمان ولا قائل ليته اوصل الي رغيفا فاني غدا استوزره وافوض ملكي اليه فانقسم السؤال الى اربعة اقسام قسم غلبت عليهم بطونهم فلم يلتفتوا الى العقوبة الموعودة وقالوا من اليوم الى غد فرج ونحن الان جائعون فبادروا الغلمان واذوهم واخذوا الرغيفين فسبقت العقوبة اليهم في الميعاد المذكور فندموا ولم ينفعهم الندم وقسم تركوا التعلق بالغلمان خوفا العقوبة ولكنهم اخذوا الرغيفين لغلبة الجوع فسلموا من العقوبة وما فازوا بالخلعة وقسم قالوا انا نجلس بمرأى من الغلمان حتى لا يخطئونا ولكن لا ناخذ اذا اعطونا الا رغيفا واحدا ونقنع به فلعلنا نفوز بالخلعة ففازوا وقسم رابع اختفوا في زوايا الميدان وانحرفوا عن مرأى اعين الغلمان وقالوا ان تبعونا واعطونا قنعنا برغيف واحد وان اخطأونا قاسينا شدة الجوع الليلة فلعلنا نقوى على ترك التسخط فننال رتبة الوزارة ودرجة القرب عند الملك فما نفعهم ذلك اذ تبعهم الغلمان في كل زاوية من الزوايا واعطوا كل واحد رغيفا واحدا وجرى مثل ذلك اياما حتى اتفق على الندور ان اختفى ثلثة ايام في زاوية ولم يقع ابصار الغلمان وشغلهم شغل صارف عن طول التفتيش فباتوا في جوع شديد فقال اثنان منهم ليتنا تعرضنا للغلمان واخذنا طعامنا فلسنا نطيق الصبر وسكت الثالث الى الصباح فنال درجة القرب والوزارة فهذا مثال الخلق فالميدان هو الحياة الدنيا وباب الميدان الموت والميعاد المجهول القيامة والوعد بالوزارة هو الوعد بالشهادة للمتوكل اذا مات جوعا راضيا من غير تاخير الى ميعاد القيامة لان الشهداء احياء عند ربهم يرزقون والمتعلق بالغلمان هو المتعدي للاسباب والغلمان المسخرون هي الاسباب والجالس في ظاهر الميدان بمرأى من الغلمان هم المقيمون في الامصار في الرباطات والمساجد على هيئة السكون والمختفون في الزوايا هم السائحون في البوادي على هيئة التوكل والاسباب تتبعهم والرزق ياتيهم الا على سبيل الندور فان مات واحد منهم جائعا راضيا فله الشهادة والقرب من الله تعالى وقد انقسم الخلق الى هذه الاقسام الاربعة فلعل من كل مائة تعلق بالاسباب تسعون واقام سبعة من العشرة الباقية في الامصار متعرضين للاسباب بمجرد حضورهم واشتهارهم وساح في البوادي ثلثة فتسخط منهم اثنان وفاز منهم بالقرب واحد ولعل مثل ذلك كان في الاعصار السالفة واما الان فالتارك للاسباب لا ينتهي الى واحد من عشرة الاف

الفن الثاني في التعرض للاسباب بالادخار

فمن حصل له مال بارث او كسب او سؤال او بسبب من الاسباب فله في الادخار ثلثة احوال الاولى ان ياخذ قدر حاجته في الوقت فياكل ان كان جائعا ويلبس ان كان عاريا ويشتري مسكنا مختصرا ان كان محتاجا ويفرق الباقي في الحال ولا ياخذه ولا يدخره الا القدر الذي يدرك به من يستحقه ويحتاج اليه فيدخر على هذه النية فهذا هو الوفاء بموجب التوكل تحقيقا وهي الدرجة العليا **الحالة الثانية** المقابلة لهذه المخرجة له عن حدود التوكل ان يدخر لسنة فما فوقها فهذا ليس من المتوكلين اصلا وقد قيل لا يدخر من الحيوانات الا ثلثة الفارة والنمل وابن ادم **الثالثة** ان يدخر لاربعين يوما فما دونه فهل هذا يوجب حرمانه عن المقام المحمود الموعود في الاخرة للمتوكلين اختلفوا فيه فذهب سهل الى انه يخرج عن التوكل وذهب الخواص الى انه لا يخرج باربعين يوما ويخرج بما يزيد على الاربعين وقال ابو طالب المكي لا يخرج عن حدود التوكل بالزيادة على الاربعين ايضا وهذا الاختلاف لا معنى له بعد تجويز اصل الادخار نعم يجوز ان يظن ان اصل الادخار يناقض التوكل فاما التقدير بعد التوكل فلا معنى له وكل ثواب موعود على رتبة فانه يتوزع على تلك الرتبة وتلك الرتبة لها بداية ونهاية ويسمى اصحاب النهايات السابقون واصحاب البدايات اصحاب اليمين ثم اصحاب اليمين

ايضا في درجات وكذا السابقون واعلى درجات اصحاب اليمين تلاحق اسافل درجات السابقين فلا معنى للتقدير في مثل هذا بل التحقيق ان التوكل بترك الادخار لا يتم الا بقصر الامل واما عدم الامل اصلا فبعيد اشتراطه ولو في نفس فان ذلك كالممتنع وجوده واما الناس فيتفاوتون في طول الامل وقصره واقل درجات الامل يوم وليلة فما دونه من الساعات واقصاه ما يتصور ان يكون عمر الانسان وبينهما درجات لا تحصر فمن لم يامل اكثر من شهر كان اقرب الى المقصود ممن يامل سنة ومن يامل اربعين لاجل ميعاد موسى عليه الصلاة والسلام بعيد فان تلك الواقعة ما قصد بها بيان مقدار ما يرخص الامل فيه ولكن استحق موسى ع لنيل الموعود لانه لا يتم الا بعد اربعين يوما لسر جرت به سنة الله تعالى في تدريج الامور كما قال صلى الله عليه وسلم خمر طينة ادم بيده اربعين صباحا لان استحقاق تلك الطينة للتخمير كان موقوفا على مدة مبلغها ما ذكر فاذا ما وراء السنة لا يدخر لها الا بحكم ضعف القلب والركون الى ظاهر الاسباب فهو خارج عن مقام التوكل غير واثق بالطاف التدبير من خفي الاسباب فان اسباب الدخل في الارتفاعات والزكوات تتكرر بتكرر السنين غالبا ومن ادخر لاقل من سنة فله درجة على قدر امله ومن امل شهرين ليس كمن امل درجة من امل شهر ولا درجة من امل ثلاثة اشهر بل هو بينهما في الرتبة ولا يمنع من الادخار الا قصر الامل والافضل ان لا يدخر اصلا فان ضعف قلبه فكلما قل ادخاره كان فضله اكثر وقد روي في الفقير الذي امر صلى الله عليه وسلم عليا واسامة بغسله وكفنه ببردة فلما دفن قال لاصحابه انه يبعث يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولولا خصلة كانت فيه لبعث ووجهه كالشمس الضاحية فقلنا وما هي يا رسول الله قال كان صواما قواما كثير الذكر لله تعالى غير انه كان اذا جاء الشتاء ادخر حلة الصيف لصيفه الاخر واذا جاء الصيف ادخر حلة الشتاء لشتائه الاخر ثم قال صلى الله عليه وسلم من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث وليس الكوز والسفرة وما يحتاج اليه على الدوام في معنى ذلك فان ادخاره لا ينقص الدرجة وثوب الشتاء لا يحتاج اليه في الصيف وهذا في حق من لا يتزعزع قلبه بترك الادخار ولا تستشرف نفسه الى ايدي الخلق بل لا يلتفت قلبه الا الى الوكيل الحق فان كان يستشعر في نفسه اضطرابا يشغل قلبه عن العبادة والذكر والفكر فالادخار له اولى بل لو امسك ضيعة يكون دخلها وافيا بقدر كفايته وكان لا يتفرغ قلبه الا به فذلك له اولى لان المقصود اصلاح القلوب لتتجرد لذكر الله تعالى ورب شخص يشغله وجود المال ورب شخص يشغله عدمه والمحذور ما يشغل عن الله والا فالدنيا في عينها غير محذورة لا وجودها ولا عدمها ولذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اصناف الخلق وفيهم التجار والمحترفون واهل الحرف والصناعات فلم يامر التاجر بترك تجارته ولا المحترف بترك حرفته ولا امر التارك لهما بالاشتغال بهما بل دعا الكل الى الله تعالى وارشدهم الى ان فوزهم ونجاتهم في انصراف قلوبهم عن الدنيا الى الله وعمدة الاشتغال بالله القلب فصواب الضعيف ادخار قدر حاجته كما ان صواب القوي ترك الادخار وهذا كله حكم المنفرد فاما المعيل فلا يخرج عن حد التوكل بادخار قوت سنة لعياله جبرا لضعفهم وتسكينا لقلوبهم وادخار اكثر من ذلك مبطل للتوكل لان الاسباب تتكرر عند تكرر السنين فادخار ما يزيد عليه انما سببه ضعف قلبه وذلك يناقض قوة التوكل فالمتوكل عبارة عن موحد قوي القلب مطمئن النفس الى فضل الله واثق بتدبيره دون وجود الاسباب الظاهرة وقد ادخر رسول الله صلى الله عليه وسلم لعياله قوت سنة ونهى ام ايمن وغيرها ان تدخر له شيئا لغد ونهى بلالا عن الادخار في كسرة خبز ادخرها ليفطر عليها فقال انفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش اقلالا وقال له اذا سئلت فلا تمنع واذا اعطيت فلا تخبأ فالاقتداء بسيد المتوكلين عليه الصلاة والسلام وقد كان قصر امله بحيث كان اذا بال يتيمم مع قرب الماء يقول ما يدريني لعلي لا ابلغه وكان صلى الله عليه وسلم لو ادخر لم ينقص ذلك من توكله اذ كان لا يثق بما ادخره ولكنه تركه تعليما للاقوياء من امته فان اقوياء امته ضعفاء بالاضافة الى قوته وادخر لعياله سنة لا لضعف قلبه وقلب عياله ولكن ليسن ذلك للضعفاء من امته فقد اخبر ان الله يحب ان يؤتى رخصه كما يحب ان تؤتى عزائمه تطييبا لقلوب الضعفاء حتى لا ينتهي بهم الضعف الى الياس والقنوط فيتركون الميسور من الخير عليهم لعجزهم عن منتهى الدرجات فما ارسل صلى الله عليه وسلم الا رحمة للعالمين كلهم على اختلاف اصنافهم ودرجاتهم وان فهمت هذا علمت ان الادخار قد يضر بعض الناس

وقد لا يضر ويدل عليه ما روي عن ابي امامة الباهلي ان بعض اهل الصفة توفي فما وجد له كفن فقال عليه الصلاة والسلام فتشوا ثوبه فوجدوا فيه دينارين في داخل ازاره فقال عليه الصلاة والسلام كيتان وقد كان غيره من المسلمين يموت ويخلف اموالا ولا يقول ذلك في حقه وهذا يحتمل وجهين لانه كان يحتمل حالين احدهما انه اراد كيتان من النار كما قال الله تعالى فتكوى بها جباههم وجنوبهم وذلك اذا كان حاله اظهار الزهد والفقر والتوكل مع الافلاس عنه فهو نوع تلبيس والثاني ان لا يكون ذلك عن تلبيس فيكون المعنى به النقصان عن درجة كماله كما ينقص من كمال الوجه اثر الكيتين في الوجه وذلك ان لا يكون عن تلبيس فان كل ما يخلفه الرجل فهو نقصان عن درجته في الاخرة اذ لا يؤتى احد من الدنيا شيئا الا ان ينقص بقدره من الاخرة واما بيان ان الادخار مع فراغ القلب عن المدخر ليس من ضرورته بطلان التوكل ويشهد له ما روي عن بشر قال الحسن المغازلي من اصحابه كنت عنده ضحوة من النهار فدخل عليه رجل كهل اسمر خفيف العارضين فقام اليه بشر قال وما رايته قام لاحد غيره قال فدفع الي كفا من دراهم فقال اشتر لنا من اطيب ما تقدر من الطعام الطيب وما قال لي قط مثل ذلك قال فجئت بالطعام فوضعته فاكل معه وما رايته اكل مع غيره قال فاكلنا حاجتنا وبقي من الطعام شيء كثير فاخذه الرجل وجمعه في ثوبه وحمله وانصرف فعجبت من ذلك وكرهته له فقال لي بشر لعلك انكرت فعله قلت نعم اخذ بقية الطعام من غير اذن فقال هذا اخونا فتح الموصلي زارنا اليوم من الموصل وانما اراد ان يعلمنا ان التوكل اذا صح لم يضر معه الادخار

الفن الثالث في مباشرة الاسباب

الدافعة للضرر المعرض للخوف اعلم ان الضرر قد يعرض للخوف في نفس او مال وليس من شرط التوكل ترك الاسباب الدافعة راسا اما في النفس فكالنوم في الارض المسبعة او في مجرى السيل من الوادي او تحت الجدار المائل والسقف المنكسر فكل ذلك منهي عنه وصاحبه قد عرض نفسه للهلاك بغير فائدة ثم تنقسم هذه الاسباب الى مقطوع بها والى مظنونة والى موهومة فترك الموهوم منها من شرط التوكل وهي التي نسبتها الى دفع الضرر نسبة الكي والرقية فان الكي قد يقدم على المحذور دفعا لما يتوقع وقد يستعمل بعد نزول المحذور للازالة ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصف المتوكلين الا بترك الكي والرقية والطيرة ولم يصفهم بانهم اذا خرجوا الى موضع بارد لم يلبسوا جبة والجبة تدفع بها البرد المتوقع وكذلك كل ما في معناها من الاسباب ثم الاستظهار باكل الثوم مثلا عند الخروج الى السفر في الشتاء تهييجا لقوة الحرارة من الباطن ربما يكون من قبيل التعمق في الاسباب والتعويل عليها فيكاد يقرب من الكي بخلاف الجبة ولا ترك الاسباب الدافعة وان كانت مقطوعة وجه اذا نال الضرر من انسان فانه اذا امكنه الصبر وامكنه الدفع والتشفي فشرط التوكل الاحتمال والصبر قال الله تعالى فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون وقال تعالى ولنصبرن على ما اذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال تعالى ودع اذاهم وتوكل على الله وقال تعالى فاصبر كما صبر اولو العزم وقال تعالى نعم اجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وهذا في اذى الناس اما الصبر على اذى السباع والعقارب والحيات وترك دفعها فليس من التوكل في شيء اذ لا فائدة فيه ولا يراد السعي ولا ترك السعي لعينه بل لاعانته على الدين وترتيب الاسباب هاهنا كترتيبها في الكسب وجلب النافع فلا نطول بالاعادة وكذلك في الاسباب الدافعة عن المال فلا ينقص التوكل باغلاق باب البيت عند الخروج ولا بان يعقل البعير لان هذه اسباب عرفت بسنة الله تعالى اما قطعا واما ظنا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للاعرابي لما ان اهمل البعير وقال توكلت على الله فقال عليه الصلاة والسلام اعقلها وتوكل وقال الله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وقال لموسى عليه الصلاة والسلام فاسر بعبادي ليلا والتحصن بالليل اختفاء عن اعين العدو نوع تسبب واختفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار اختفاء عن اعين الاعداء دفعا للضرار واخذ السلاح في الصلاة ليس دافعا قطعا كقتل الحية والعقرب فانه دافع قطعا ولكن اخذ السلاح سبب مظنون وقد بينا ان المظنون كالمقطوع وانما الموهوم هو الذي تقتضي التوكل تركه فان

فقد حكي عن جماعة ان الاسد وضع يده على كتفه ولم يتحرك فاقول وقد حكي عن جماعة انهم ركبوا الاسد وسخروه ولا ينبغي
ان يغرك ذلك فانه وان كان صحيحا في نفسه فلا يصلح للاقتداء بطريق التعلم من الغير بل ذلك مقام رفيع في الكرامات وليس
ذلك شرطا في التوكل وفيه اسرار لا تقف عليها ما لم تنته اليه **فان قلت** وهل من علامة اعرف بها اني
قد وصلت اليه فاقول الواصل لا يحتاج الى الطلب لعلامات ولكن من العلامات السابقة على ذلك المقام ان يسخر لك كلب
هو معك في اهابك يسمى الغضب فلا يزال يعضك ويعض غيرك فان سخر لك هذا الكلب بحيث اذا هيج واشلي لم
يسترسل الا باشارتك وكان مسخرا لك فربما ترتفع درجتك الى ان يسخر لك الاسد الذي هو ملك السباع وكلبك الذي في دارك
اولى بان يكون مسخرا لك من كلب البوادي وكلب اهابك اولى بان يسخر لك من الكلب الخارج عن دارك فاذا لم يسخر لك الكلب الباطن
فلا تطمع في استسخار الكلب الظاهر **فان قلت** فاذا اخذ المتوكل سلاحه حذرا من العدو واغلق بابه حذرا
من اللص وعقل بعيره حذرا من ان ينطلق فباي اعتبار يكون متوكلا فاقول يكون متوكلا بالعلم والحال فاما العلم
فهو ان يعلم ان اللص ان اندفع لم يندفع بكفايته في اغلاق الباب بل بدفع الله اياه فكم من باب يغلق ولا ينفع وكم من بعير
يعقل فيموت او ينفلت وكم من آخذ سلاحه فيقتل ولا يتكل على هذه الاسباب بل على مسبب الاسباب كما ضربنا المثل في الوكيل
بالخصومة فانه وان حضر واحضر السجل لم يتكل على نفسه وعلى سجله بل على كفاية الوكيل وقوته واما الحال فهو ان يكون راضيا بما يقضي الله
تعالى به في نفسه وبيته ويقول اللهم ان سلطت على ما في البيت من يأخذه فهو في سبيلك وانا راض بحكمك فاني لا ادري ان ما اعطيتني
هبة فلا تسترجعها او عارية ووديعة فتستردها ولا ادري اهو رزقي او سبقت مشيئتك في الازل بانه رزق غيري وكيف
ما قضيت فانا راض وما اغلقت الباب تحصنا من قضائك ولا تسخطا له بل جريا على مقتضى سنتك في ترتيب الاسباب
فلا ثقة الا بك يا مسبب الاسباب فاذا كان هذا حاله وذلك الذي ذكرناه لم يخرج عن حد التوكل بعقل البعير
واخذ السلاح واغلاق الباب ثم اذا عاد ووجده في البيت فينبغي ان يكون ذلك عنده نعمة جديدة من الله وان لم يجده
بل وجده مسروقا نظر الى قلبه فان وجده راضيا او فرحا بذلك عالما بانه ما اخذه الله تعالى منه الا ليزيد رزقه
في الآخرة فقد صح مقامه في التوكل وظهر له صدقه وان تألم قلبه به ووجد قوة الصبر فقد بان له انه ما كان صادقا
في دعوى التوكل لان التوكل مقام بعد الزهد ولا يصح الا ممن لا يأسف على ما فات من الدنيا ولا يفرح بما يأتي بل يكون على العكس
منه فكيف يصح له التوكل نعم قد يصح له مقام الصبر ان اخفاه ولم يظهر شكواه ولم يكثر سعيه في الطلب والتجسس فان لم يقدر
على ذلك حتى تأذى بقلبه واظهر الشكوى بلسانه واستقصى الطلب ببدنه فقد كانت السرقة مزيدا له في ذنبه من حيث انها
اظهرت له قصوره عن جميع المقامات وكذبه في جميع الدعاوى فبعد هذا ينبغي ان يجتهد حتى لا يصدق نفسه في دعاويها ولا يتدلى
بحبل غرورها فانها خداعة امارة بالسوء مدعية للخير **فان قلت** فكيف يكون للمتوكل مال حتى يؤخذ
فاقول المتوكل لا يخلو بيته من متاع كقصعة يأكل فيها وكوز يشرب منه واناء يتوضأ منه وجراب يحفظ به زاده وعصا يدفع بها عدوه
وغير ذلك من ضرورات المعيشة من اثاث البيت وقد يدخل في يده مال وهو يمسكه ليجد محتاجا فيصرفه اليه فلا يكون ادخاره
على هذه النية مبطلا لتوكله وليس من شرط التوكل اخراج الكوز الذي يشرب منه او الجراب الذي فيه زاده وانما ذلك في الماكول وفي
كل مال زائد على قدر الضرورة لان سنة الله جارية بوصول خبز الفقراء المتوكلين في زوايا المساجد وما جرت السنة بتفرقة
الكيزان والامتعة في كل يوم ولا في كل اسبوع والخروج عن سنة الله ليس شرطا في التوكل ولذلك كان الخواص يأخذ في السفر الحبل والركوة
والمقراض والابرة دون الزاد لان سنة الله جارية بالفرق بين الامرين **فان قلت** فكيف يتصور ان لا يحزن
اذا اخذ متاعه الذي هو محتاج اليه ولا يأسف عليه فان كان لا يشتهيه فلم امسكه واغلق الباب عليه وان
امسكه لانه يشتهيه لحاجته اليه فكيف لا يتأذى ولا يحزن وقد حيل بينه وبين ما يشتهيه فاقول انما كان يحفظه
ليستعين به على دينه اذ كان يظن ان الخيرة له في ان يكون له ذلك المتاع ولولا ان الخيرة له فيه لما رزقه الله ولما اعطاه

فاستدل على ذلك بتيسير الله وحسن الظن بالله مع اعتقاده ان ذلك معين له على اسباب دينه ولم يكن ذلك
عنده مقصودا لعينه اذ يحتمل ان لا يكون خيرة له ان يبتلى بفقده ذلك حتى يتعب في طلبه ويكون اجره في التعب
والنصب اكثر فلما اخذه الله تعالى منه بتسليط اللص تغير ظنه لانه في جميع الاحوال واثق بالله حسن الظن به
فيقول لولا ان الله علم ان الخيرة لي كانت في وجوده الى الان والخيرة الان لي في عدمه لما اخذه مني فبمثل هذا الظن
يتصور ان يندفع عنه الحزن اذ به يخرج عن ان يكون فرحه بالاسباب من حيث انها اسباب بل من حيث ان ميسرها
مسبب الاسباب عناية ولطفا وهو كالمريض بين يدي الطبيب الشفيق يرضى بما يفعل فان قدم اليه الغذاء فرح
به وقال لولا انه عرف ان الغذاء ينفعني وقد قويت على احتماله لما قدمه الي وان اخر عنه الغذاء ايضا فرح به
وقال لولا ان الغذاء يضرني ويسوقني الى الموت لما حال بيني وبينه وكل من لا يعتقد في لطف الله تعالى ما يعتقده المريض
في الوالد الشفيق الحاذق بعلم الطب فلا يصح منه التوكل اصلا ومن عرف الله تعالى وعرف سنته في اصلاح عباده لم يكن فرحه
بالاسباب فانه لا يدري اي الاسباب خير له **قال** عمر رضي الله عنه لا ابالي اصبحت غنيا او فقيرا فاني لا ادري ايهما خير
لي فكذلك ينبغي ان لا يبالي المتوكل يسرق متاعه او لا يسرق متاعه فانه لا يدري ايهما خير له في الدنيا ولا في الآخرة فكم
من متاع في الدنيا يكون سبب هلاك الانسان وكم من غني يبتلى بواقعة لاجل غناه حتى يقول ليتني كنت فقيرا

بيان اداب المتوكلين اذا سرق متاعهم

للمتوكل اداب في متاع بيته اذا خرج عنه **الاول**
ان يغلق بابه ولا يستقصي في اسباب الحفظ كالتماسه من جيرانه الحفظ مع الغلق وكجمعه اغلاقا كثيرة فقد
كان مالك بن دينار لا يغلق بابه ولكن يشده بشريطة ويقول لولا الكلاب ما شددته ايضا **الثاني** ان لا
يترك في البيت متاعا يحرص عليه السراق فيكون هو سبب معصيتهم او امساكه يكون سبب هيجان رغبتهم
ولذلك لما اهدى المغيرة الى مالك بن دينار ركوة قال له خذها فلا حاجة لي اليها قال لم قال يوسوس الي العدو ان
اللص قد اخذها فكانه احترز من ان يعصي السارق ومن شغل قلبه بوسواس الشيطان بسرقتها ولذلك قال ابو سليمان
هذا من ضعف قلوب الصوفية هو قد زهد في الدنيا فما عليه من اخذها **الثالث** انه اذا اضطر الى ترك في البيت
ينبغي ان ينوي عند خروجه الرضا بما يقضي الله فيه من تسليط سارق عليه ويقول ما يأخذه السارق فهو منه في حل او هو في
سبيل الله وان كان فقيرا فهو عليه صدقة وان لم يشترط الفقر فهو اولى فيكون له نيتان اخذه غني او فقير احداهما
ان يكون ماله مانعا له عن المعصية فانه ربما اخذه فيستغني به فيتوانى عن سرقة بعده وقد زال عصيانه باكل الحرام لانه
جعله في حل والثانية ان لا يظلم مسلما آخر فيكون ماله فداء لمال مسلم آخر ومهما نوى حراسة مال غيره بمال نفسه او نوى
دفع المعصية عن السارق او تخفيفها عليه فقد نصح للمسلمين وامتثل قوله عليه السلام انصر اخاك ظالما او مظلوما ونصرة
الظالم بمنعه عن الظلم وعفوه عنه اعدام للظلم ومنع له وليتحقق ان هذه النية لا تضره بوجه من الوجوه اذ ليس فيها ما يسلط
السارق ويغير القضاء الازلي ولكنه يتحقق بالزهد بنيته فان اخذ ماله كان له بكل درهم سبعمائة درهم لانه نواه
وقصده وان لم يؤخذ حصل له الاجر ايضا كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن ترك العزل واقر النطفة قرارها
ان له اجر غلام ولد له من ذلك الجماع وعاش فقتل في سبيل الله وان كان لم يولد له لانه ليس اليه من امر الولد الا الوقاع فاما
الخلق والحياة والرزق والبقاء فليس اليه فلو خلق لكان ثوابه على فعله وفعله لم ينعدم فكذلك امر السرقة **الرابع** انه
اذا وجد المال مسروقا فينبغي ان لا يحزن بل يفرح اذا امكنه ويقول لولا ان الخيرة كانت في ذلك لما سلبه الله تعالى ثم ان لم يكن قد
جعله في سبيل الله فلا يبالغ في طلبه واساءة الظن بالمسلمين وان كان قد جعله في سبيل الله فيترك طلبه فانه قدمه ذخيرة
لنفسه الى الآخرة فان اعيد عليه فالاولى ان لا يقبله بعد ان كان قد جعله في سبيل الله وان قبله فهو في ملكه في ظاهر العلم لان
الملك لا يزول بمجرد تلك النية ولكنه غير مستحب عند المتوكلين وقد روي ان ابن عمر سرقت ناقته فطلبها حتى اعيي ثم

في سبيل الله تعالى فدخل المسجد فصلى ركعتين فجاءه رجل فقال يا أبا عبد الرحمن إن ناقتك في مكان كذا فلبس نعله ثم قال أستغفر الله وجلس فقيل له ألا تذهب فتأخذها فقال إني كنت قد قلت في سبيل الله. وقال بعض الشيوخ رأيت بعض إخواني في النوم بعد موته فقلت ما فعل الله بك قال غفر لي وأدخلني الجنة وعرض علي منازلي فيها فرأيتها قال وهو مع ذلك كئيب حزين فقلت قد غفر لك وأدخلت الجنة وأنت حزين فتنفس الصعداء ثم قال نعم إني لا أزال حزينا إلى يوم القيامة قلت ولم قال إني لما رأيت منازلي في الجنة رفعت لي مقامات في عليين ما رأيت مثلها ففرحت بها فلما هممت بدخولها نادى مناد من فوقها اصرفوه عنها فليست هذه له إنما هي لمن أمضى السبيل قلت وما إمضاء السبيل فقيل لي إنك كنت تقول للشيء إنه في سبيل الله ثم ترجع فيه فلو كنت أمضيت السبيل لأمضينا لك. **وحكي** عن بعض العباد بمكة أنه كان نائما إلى جنب رجل معه هميان فانتبه الرجل ففقد هميانه فاتهمه به فقال كم كان فيه فذكر مقدارا فحمله إلى البيت ووزن من عنده ثم أعلمه أصحابه أنهم كانوا أخذوا الهميان مزاحا معه فجاء هو وأصحابه ورد الذهب فأبى وقال خذه حلالا فما كنت لأعود في مال أخرجته في سبيل الله فلم يقبله فألحوا عليه فدعا ابنا له فجعل يصره صررا ويبعث به إلى الفقراء حتى لم يبق منه شيء فهكذا كانت أخلاق السلف **وكذلك** من أخذ رغيفا ليعطيه فقيرا فضاع منه كره أن يرده إلى البيت بعد إخراجه فيعطيه فقيرا آخر **وكذلك** يفعل في الدراهم **وسائر** الصدقات. **الخامس** وهو أقل الدرجات أن لا يدعو على السارق الذي ظلمه بالأخذ فإن فعل بطل توكله **ودل** على كراهته وتأسفه على ما فات وبطل زهده ولو بالغ فيه بطل أيضا أجره فيما أصيب به فقد قال في الخبر من دعا على ظالمه فقد انتصر **وحكي** أن الربيع بن خثيم سرق فرس له وكان ثمنه عشرين ألفا وكان قائما يصلي فلم يقطع صلاته ولم ينزعج لطلبه فجاءه قوم يعزونه فقال أما إني قد كنت رأيته وهو يحله قيل وما منعك أن تزجره قال كنت فيما هو أحب إلي منه يعني الصلاة فجعلوا يدعون عليه فقال لا تفعلوا وقولوا خيرا فإني قد جعلتها صدقة عليه **وقيل** لبعضهم في شيء كان سرق له ألا تدعو على ظالمك قال ما أحب أن أكون عونا للشيطان عليه قيل أرأيت لو رد عليك قال لا آخذه ولا أنظر إليه لأني كنت قد أحللته له **وقيل** لآخر ادع الله على ظالمك فقال ما ظلمني أحد ثم قال إنما ظلم نفسه ألا يكفيه المسكين ظلم نفسه حتى أزيده شرا وأكثر بعضهم شتم الحجاج عند بعض السلف فقال لا تغرق في شتمه فإن الله تعالى ينتصف للحجاج ممن انتهك عرضه كما ينتصف منه لمن أخذ ماله ودمه وفي الخبر إن العبد ليظلم المظلمة فلا يزال يشتم ظالمه ويسبه حتى يكون بمقدار ما ظلمه ثم يبقى للظالم عليه مطالبة بما زاد عليه يقتص له من المظلوم. **السادس** أن يغتم لأجل السارق وعصيانه وتعرضه لعذاب الله تعالى ويشكر الله تعالى إذ جعله مظلوما ولم يجعله ظالما وجعل ذلك نقصا في دنياه لا نقصا في دينه **فقد شكا** بعض الناس إلى عالم أنه قطع عليه الطريق وأخذ ماله فقال إن لم يكن غمك أنه قد صار في المسلمين من يستحل هذا أكثر من غمك بمالك فما نصحت للمسلمين **وسرق** من علي بن الفضيل دنانير وهو يطوف بالبيت فرآه أبوه وهو يبكي ويحزن فقال أعلى الدنانير تبكي فقال لا والله ولكن على المسكين أن يسأل يوم القيامة ولا تكون له حجة **وقيل** لبعضهم ادع على من ظلمك فقال إني مشغول بالحزن عليه عن الدعاء عليه.

الفن الرابع

السعي في إزالة الضرر كمداواة المريض وأمثاله. **اعلم** أن الأسباب المزيلة للضرر أيضا تنقسم إلى مقطوع به كالماء المزيل لضرر العطش والخبز المزيل لضرر الجوع **وإلى مظنون** كالفصد والحجامة وشرب المسهل وسائر أبواب الطب أعني معالجة البرودة بالحرارة والحرارة بالبرودة وهي الأسباب الظاهرة في الطب **وإلى موهوم** كالكي والرقية **أما المقطوع** فليس من التوكل تركه بل تركه حرام عند خوف الموت **وأما الموهوم** فشرط التوكل تركه إذ به وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المتوكلين وأقواها الكي ويليه الرقية والطيرة آخر درجاتها والاعتماد عليها والاتكال إليها غاية التعمق في ملاحظة الأسباب **وأما** الدرجة المتوسطة وهي المظنونة كالمداواة بالأسباب الظاهرة عند الأطباء ففعله ليس مناقضا للتوكل بخلاف الموهوم وتركه ليس محظورا بخلاف المقطوع بل قد يكون أفضل من فعله في بعض الأحوال وفي بعض الأشخاص فهو على درجة بين الدرجتين ويدل على أن التداوي غير مناقض للتوكل فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله وأمره به **أما قوله** فقد قال صلى الله عليه وسلم

ما من داء إلا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله إلا السام يعني الموت **وقال** صلى الله عليه وسلم تداووا عباد الله **وسئل** عن الدواء والرقى هل يرد من قدر الله تعالى **وفي** الخبر المشهور ما مررت بملأ من الملائكة إلا قالوا مر أمتك بالحجامة **وفي** الحديث أنه أمر بها **وقال** احتجموا لسبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين لا يتبيغ بكم الدم فيقتلكم فذكر أن تبيغ الدم سبب الموت وأنه قاتل بإذن الله وبين أن إخراج الدم خلاص منه إذ لا فرق بين إخراج الدم المهلك من تحت الجلد وبين إخراج العقرب من تحت الثياب وإخراج الحية من البيت **وليس** من شرط التوكل ترك ذلك بل هو كصب الماء على النار لإطفائها ودفع ضررها عند وقوعها في البيت وليس من التوكل الخروج عن سنة الوكيل أصلا **وفي** خبر مقطوع من احتجم يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر كان له دواء من داء سنة **وأما أمره** فقد أمر صلى الله عليه وسلم غير واحد من الصحابة بالتداوي وبالحمية وقطع لسعد بن معاذ عرقا أي فصده **وكوى** سعد بن زرارة **وقال** لعلي رضي الله عنه وكان رمد العين لا تأكل من هذا يعني من الرطب وكل من هذا يعني سلقا قد طبخ بدقيق شعير **وقال** لصهيب وقد رآه يأكل التمر وهو وجع العين أتأكل التمر وأنت رمد فقال إنما آكل بالشق الآخر فتبسم صلى الله عليه وسلم **وأما فعله** فقد روي في حديث من طريق أهل البيت أنه كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر ويشرب الدواء كل سنة **وتداوى** عليه الصلاة والسلام غير مرة من العقرب وغيرها **وروي** أنه كان إذا نزل عليه الوحي صدع رأسه فكان يغلفه بالحناء وفي خبر أنه كان إذا خرجت به قرحة جعل عليها حناء وقد جعل على قرحة خرجت به ترابا **وما روي** في تداويه وأمره به بذلك خارج عن الحصر وقد صنف في ذلك كتاب سمي طب النبي صلى الله عليه وسلم **وذكر** بعض العلماء في الإسرائيليات أن موسى عليه الصلاة والسلام اعتل بعلة فدخل عليه بنو إسرائيل فعرفوا علته فقالوا له لو تداويت بكذا لبرئت فقال لا أتداوى حتى يعافيني هو من غير دواء فطالت علته فقالوا له إن دواء هذه العلة معروف مجرب وإنا نتداوى به فنبرأ فقال لا أتداوى فأقامت علته فأوحى الله إليه وعزتي وجلالي لا أبرأتك حتى تتداوى بما ذكروه لك فقال لهم داووني بما ذكرتم فداووه فبرأ فأوجس في نفسه من ذلك فأوحى الله إليه أردت أن تبطل حكمتي بتوكلك علي من أودع العقاقير منافع الأشياء غيري **وروي** في خبر أن نبيا من الأنبياء شكى علة يجدها فأوحى الله تعالى إليه كل البيض وشكى نبي آخر الضعف فأوحى الله تعالى إليه كل اللحم باللبن فإن فيهما القوة **قيل** هو الضعف عن الجماع **وقد روي** أن قوما شكوا إلى نبيهم قبح أولادهم فأوحى الله تعالى إليه مرهم أن يطعموا نساءهم الحبالى السفرجل فإنه يحسن الولد فيطعمون ذلك في الشهر الثالث والرابع إذ فيه يصور الله تعالى الولد **وقد كانوا** يطعمون الحبلى السفرجل والنفساء الرطب **فبهذا** تبين أن مسبب الأسباب أجرى سنته بربط المسببات بالأسباب إظهارا للحكمة والأدوية أسباب مسخرة بحكم الله تعالى كسائر الأسباب فكما أن الخبز دواء الجوع والماء دواء العطش فالسكنجبين دواء الصفراء والسقمونيا دواء الإسهال لا يفارقه إلا في أمرين أحدهما أن معالجة الجوع والعطش بالماء والخبز جلية واضحة يدركها كافة الناس ومعالجة الصفراء بالسكنجبين يدركها بعض الخواص فمن أدركه بالتجربة التحق في حقه بالأول **والثاني** أن الدواء يسهل والسكنجبين يسكن الصفراء بشروط أخرى في الباطن وأسباب في المزاج ربما يتعذر الوقوف على جميع شروطها وربما يفوت بعض الشروط فيتقاعد الدواء عن الإسهال وأما زوال العطش فلا يستدعي سوى الماء شروطا كثيرة وقد يتفق من العوارض ما يوجب دوام العطش مع كثرة شرب الماء ولكنه نادر واختلاف الأسباب أبدا ينحصر في هذين الفنين وإلا فالمسبب هو المسبب وكل ذلك بتدبير مسبب الأسباب وتسخيره وترتيبه بحكم حكمته وكمال قدرته فلا يضر المتوكل استعماله مع النظر إلى مسبب الأسباب دون الطبيب والدواء **فقد روي** عن موسى عليه الصلاة والسلام أنه قال يا رب ممن الداء والشفاء فقال تعالى مني قال فما يصنع الأطباء قال يأكلون أرزاقهم ويطيبون نفوس عبادي حتى

بأن شفاني او قبضني فاذاً معنى التوكل مع التداوي التوكل بالعلم والحال كما سبق في فنون الاعمال الدافعة للضرر والجالبة
للنفع فاما ترك التداوي راسا فليس شرطا فيه **فان قلت** فالكي ايضا من الاسباب الظاهرة
النفع فاقول ليس كذلك اذ الاسباب الظاهرة مثل الفصد والحجامة وشرب المسهل وسقي المبردات للمحرور
واما الكي فلو كان مثلها في الظهور لما خلت البلاد الكثيرة عنه وقلما يعتاد الكي في اكثر البلاد وانما ذلك عادة بعض
الاتراك والاعراب فهو من الاسباب الموهومة كالرقى الا انه يتميز عنها بامر وهو انه احراق بالنار في الحال مع الاستغنا
عنه فانه ما من وجع يعالج بالكي الا وله دواء يغني عنه ليس فيه احراق فالاحراق بالنار جرح مخرب للبنية محذور
السراية مع الاستغناء عنه بخلاف الفصد والحجامة فان سرايتهما بعيد ولا يسد مسدهما غيرهما ولذلك نهى
صلى الله عليه وسلم عن الكي دون الرقى وكل واحد منهما بعيد عن التوكل **وروي** ان عمران بن حصين اعتل فاشاروا
عليه بالكي فامتنع فلم يزالوا به وعزم عليه الامير حتى اكتوى فكان يقول كنت ارى نورا واسمع صوتا وتسلم علي الملائكة
فلما اكتويت انقطع ذلك عني وكان يقول اكتوينا كيات فوالله ما افلحن ولا انجحن ثم تاب من ذلك واناب
الى الله تعالى فرد الله عليه ما كان يجد من امر الملائكة **وقال** لمطرف بن عبد الله الم تر الى الكرامة التي اكرمني الله بها
فردها علي بعد ان كان اخبره بفقدها فاذاً الكي وما يجري مجراه هو الذي لا يليق بالمتوكل لانه يحتاج في استنباطه
الى تدبير ثم هو موهوم فيدل ذلك على شدة ملاحظة الاسباب وعلى التعمق فيها **بيان ان ترك التداوي قد يحمد**
ويدل على قوة التوكل وان ذلك لا يناقض فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم ان الذين تداووا من السلف رحمهم الله كثيرون
ولكن قد ترك التداوي ايضا جماعة من الاكابر فربما يظن ان ذلك نقصان لانه لو كان كمالا لتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ لا يكون حال غيره في التوكل اكمل من حاله **وقد روي** عن ابي بكر رضي الله عنه انه قيل له لو دعونا لك طبيبا فقال
قد راني الطبيب وقال اني فعال لما اريد **وقيل** لابي الدرداء في مرضه ما تشتكي قال ذنوبي قيل فما تشتهي قال مغفرة ربي
قالوا الا ندعو لك طبيبا قال الطبيب امرضني **وقيل** لابي ذر وقد رمدت عيناه لو داويتهما قال اني عنهما مشغول قيل
لو سالت الله ان يعافيك فقال اساله فيما هو اهم علي منها وكان قد اصاب الربيع بن خيثم فالج فقيل له لو تداويت فقال قد
هممت ثم ذكرت عادا وثمود وقرونا بين ذلك كثيرا وكان فيهم الاطباء فهلك المداوي والمداوى ولم تغن الرقى شيئا **وكان**
احمد بن حنبل يقول احب لمن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق ترك التداوي من شرب الدواء وغيره **وكان** به علل فلا يخبر
الطبيب بها اذا ساله **وقيل** لسهل متى يصح للعبد التوكل قال اذا دخل عليه الضرر في جسمه والنقص في ماله فلم يلتفت اليه شغلا
بحاله وينظر الى قيام الله تعالى عليه فاذاً من ترك التداوي وراه فيهم كثرة ولا ينحسم وجه الجمع بين فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وافعال هؤلاء الاكابر الصارفين عن التداوي فنقول ان لترك التداوي اسبابا **الاول** ان يكون المريض من المكاشفين
وقد كوشف بانه انتهى اجله وان الدواء لا ينفعه ويكون ذلك معلوما عنده تارة برؤيا صادقة وتارة بحدس وظن
وتارة بكشف محقق ويشبه ان يكون ترك الصديق رضي الله عنه التداوي من هذا السبب فانه كان من المكاشفين فانه
قال لعائشة في امر الميراث انما هن اخواتك وانما كان لها اخت واحدة ولكن كانت امراته حاملا فولدت انثى فعلم انه كان
قد كوشف بانها حامل ببنت فلا يبعد ان يكون قد كوشف ايضا بانتهاء اجله والا فلا يظن به انكار التداوي **وقد**
شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تداوى وامر به **السبب الثاني** ان يكون المريض مشغولا بحاله وبخوف
عاقبته واطلاع الله تعالى عليه فينسيه ذلك الم المرض فلا يتفرغ قلبه للتداوي اشتغالا بحاله وعليه يدل كلام ابي ذر اذ قال
اني عنهما مشغول وكلام ابي الدرداء اذ قال انما اشتكي ذنوبي فكان تالم قلبه خوفا من ذنوبه اكثر من تالم بدنه بالمرض ويكون
هذا كالمصاب بموت عزيز من اعزته او كالخائف الذي يحمل الى ملك من الملوك ليقتل اذا قيل له الا تاكل وانت جائع
فيقول انا مشغول عن الم الجوع فلا يكون ذلك انكارا لكون الخبز نافعا من الجوع ولا طعنا فيمن اكل ويقرب من هذا اشتغال

سهل رضي الله عنه حيث قيل له ما القوت قال هو ذكر الحي القيوم فقيل انما سالناك عن القوام فقال القوام هو العلم قيل
سالناك عن الغذاء قال الغذاء هو الذكر قيل سالناك عن طعمة الجسد قال مالك وللجسد دع من تولاه اولا يتولاه اخرا
اذا دخل عليه علة فرده الى صانعه اما رايت الصنعة اذا عابت ردوها الى صانعها حتى يصلحها **السبب الثالث**
ان تكون العلة مزمنة والدواء الذي يومر به بالاضافة الى علته موهوم النفع جار مجرى الكي والرقية فيتركه المتوكل واليه
يشير قول الربيع بن خيثم اذ قال ذكرت عادا وثمود وفيهم الاطباء فهلك المداوي والمداوى اي ان الدواء غير موثوق به وهذا
قد يكون كذلك في نفسه وقد يكون عند المريض كذلك لقلة ممارسته للطب وقلة تجربته له فلا يغلب على ظنه كونه نافعا
ولا شك في ان الطبيب المجرب اشد اعتقادا في الادوية من غيره فتكون الثقة والظن بحسب الاعتقاد والاعتقاد
بحسب التجربة واكثر من ترك التداوي من العباد والزهاد هذا مستندهم لانه يبقى الدواء عندهم شيئا موهوما لا اصل له
وذلك صحيح في بعض الادوية عند من عرف صناعة الطب غير صحيح في البعض ولكن غير الطبيب قد ينظر الى الكل نظرا واحدا فيرى
التداوي تعمقا في الاسباب كالكي والرقى فيتركه توكلا **السبب الرابع** ان يقصد العبد بترك التداوي استبقاء
المرض لينال ثواب المرض بحسن الصبر على بلاء الله تعالى او ليجرب نفسه في القدرة على الصبر فقد
ورد في ثواب المرض ما يكثر ذكره فقد **قال** صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء اشد بلاء ثم الامثل فالامثل يبتلى العبد على
قدر ايمانه فان كان صلب الايمان شدد عليه البلاء وان كان في ايمانه ضعف خفف عنه البلاء **وفي الخبر** ان الله ليجرب
عبده بالبلاء كما يجرب احدكم ذهبه بالنار فمنهم من يخرج كالذهب الابريز ومنهم من دون ذلك ومنهم من يخرج اسود
محترقا **وفي حديث** اخر من طريق اهل البيت ان الله تعالى اذا احب عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه فان رضي اصطفاه
وقال صلى الله عليه وسلم اتحبون ان تكونوا كالحمر الضالة لا تمرضون ولا تسقمون **وقال** ابن مسعود تجد المومن اصح شيء قلبا
وامرضه جسما وتجد المنافق اصح شيء جسما وامرضه قلبا فلما عظم الثناء على المرض والبلاء احب قوم المرض واغتنموه
لينالوا ثواب الصبر عليه وكان فيهم من له علة فيخفيها ولا يذكرها للطبيب ويقاسي العلة ويرضى بحكم الله تعالى ويعلم ان
الحق اغلب على قلبه من ان يشغله المرض عنه وانما يمنع المرض جوارحه وعلموا ان صلاتهم قاعدا مع الصبر على قضاء
الله افضل من الصلاة قياما مع العافية والصحة **ففي الخبر** ان الله تعالى يقول للملائكة اكتبوا لعبدي صالح ما كان يعمله
فانه في وثاقي ان اطلقته ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان توفيته توفيته الى رحمتي **وقد قال** صلى الله عليه وسلم
افضل الاعمال ما اكرهت عليه النفوس فقيل معناه ما دخل عليها من الامراض والمصائب **واليه الاشارة** بقوله تعالى
وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم **وكان** سهل يقول ترك التداوي وان ضعف عن الطاعات وكانت به علة عظيمة
فلم يكن يتداوى منها وكان يداوي الناس منها **وكان** اذا راى العبد يصلي من قعود ولا يستطيع اعمال البر من الامراض فيتداوى
للقيام في الصلاة والنهوض الى الطاعة تعجب من ذلك ويقول صلاته من قعود مع الرضا بحاله افضل من التداوي للقوة
والصلاة قائما **وسئل** عن شرب الدواء فقال كل من دخل في شيء من الدواء فانما هو سعة من الله تعالى لاهل الضعف
ومن لم يدخل في شيء منه فهو افضل لانه ان اخذ شيئا من الدواء ولو كان هذا الماء البارد يسال عنه لم اخذت ومن لم
ياخذ فلا سوال عليه **وكان** مذهبه ومذهب البصريين تضعيف النفس بالجوع وكسر الشهوات لعلمهم بان ذرة من اعمال القلوب
مثل الصبر والرضا والتوكل افضل من امثال الجبال من اعمال الجوارح والمرض لا يمنع من اعمال القلوب الا اذا كان المه غالبا
مدهشا **وقال** سهل علل الاجسام رحمة وعلل القلوب عقوبة **السبب الخامس** ان يكون العبد
قد سبقت له ذنوب وهو خائف منها عاجز عن تكفيرها فيرى المرض اذا طال تكفيرا فيترك التداوي خوفا من ان يسرع
زوال المرض فقد قال صلى الله عليه وسلم لا تزال الحمى والمليلة بالعبد حتى يمشي على الارض كالبردة ما عليه ذنب ولا خطيئة
وفي الخبر حمى يوم كفارة سنة فقيل لانها تهد قوة سنة وقيل للانسان ثلثمائة وستون مفصلا فتدخل الحمى جميعها ويجد

من كل واحد الما فيكون كل الم كفارة يوم ولما ذكر صلى الله عليه وسلم كفارة الذنوب بالحمى سال زيد بن ثابت ربه عز وجل
ان لا يزال محموما فلم تكن الحمى تفارقه حتى مات رحمه الله تعالى و سال ذلك طائفة من الانصار فكانت الحمى لا تزايلهم ولما
قال صلى الله عليه وسلم من اذهب الله تعالى كريمتيه لم يرض له ثوابا دون الجنة قال فلقد كان في الانصار من يتمنى العمى وقال
عيسى عليه السلام لا يكون عالما من لم يفرح بدخول المصائب والامراض على جسده وماله لما يرجوه في ذلك من كفارة
خطاياه وروى ان موسى عليه الصلاة والسلام نظر الى عبد عظيم البلاء فقال يا رب ارحمه فقال تعالى كيف ارحمه
مما به ارحمه اي به اكفر ذنوبه وازيده درجاته

السبب السادس

ان يستشعر العبد من نفسه
مبادي البطر والطغيان بطول مدة الصحة فيترك التداوي خوفا من ان يعاجله زوال المرض فتعاوده الغفلة
والبطر والطغيان او طول الامل والتسويف في تدارك الفائت وتاخير الخيرات فان الصحة عبارة عن قوة الصفات
وبها ينبعث الهوى وتتحرك الشهوات وتدعو الى المعاصي واقلها ان تدعو الى التنعم في المباحات وهو تضييع الاوقات واهمال
الربح العظيم في مخالفة النفس وملازمة الطاعات واذا اراد الله بعبد خيرا لم يخله عن التنبيه بالامراض والمصائب
ولذلك قيل لا يخلو المؤمن من علة او قلة او ذلة وقد روي ان الله تعالى يقول الفقر سجني والمرض قيدي احبس به
من احب من خلقي فاذا كان في المرض حبس عن الطغيان وركوب المعاصي فاي خير يزيد عليه ولم ينبغ ان يشتغل بعلاجه
من يخاف ذلك على نفسه فالعافية في ترك المعاصي فقد قال بعض العارفين لانسان كيف كنت بعدي قال في
عافية قال ان كنت لم تعص الله تعالى فانت في عافية وان كنت قد عصيته فاي داء ادوى من المعصية ما عوفي من عصى الله
وقال علي رضي الله عنه لما راى زينة النبط بالعراق في يوم عيدهم ما هذا الذي اظهروه قالوا يا امير المؤمنين هذا يوم عيد
لهم فقال كل يوم لا يعصى الله تعالى فيه فهو لنا عيد وقال تعالى وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون قيل العوافي وان
الانسان ليطغى ان رآه استغنى بالعافية وقال بعضهم انما قال فرعون انا ربكم الاعلى لطول العافية لانه لبث اربعمائة
سنة لم يصدع له راس ولم يحم له جسم ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية ولو اخذته الشقيقة كل يوم لشغلته
عن الفضول فضلا عن دعوى الربوبية وقد قال صلى الله عليه وسلم اكثروا ذكر هاذم اللذات وقد قيل الحمى
بريد الموت فهي مذكرة له ودافعة للتسويف وقال تعالى اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين
ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون وقيل يفتنون بالامراض يختبرون بها ويقال ان العبد اذا مرض مرضتين
ثم لم يتب قال ملك الموت يا غافل جاءك مني رسول بعد رسول فلم تجب وقد كان السلف لذلك
يستوحشون اذا خرج عام لم يصابوا فيه بنقص في نفس او مال وقالوا لا يخلو المؤمن في كل اربعين يوما ان
يروع روعة او يصاب بنكبة حتى روى ان عمار بن ياسر تزوج امراة فلم تكن تمرض فطلقها وان النبي صلى
الله عليه وسلم عرض عليه امراة فذكر من وصفها حتى هم ان يتزوج بها فقيل وانها ما مرضت قط فقال لا حاجة لي فيها
وذكر صلى الله عليه وسلم الامراض والاوجاع كالصداع وغيره فقال رجل وما الصداع ما اعرفه فقال صلى الله عليه وسلم
اليك عني من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر الى هذا لانه ورد في الخبر ان الحمى حظ المؤمن من نار جهنم
وفي حديث انس وعائشة يا رسول الله هل يكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم فقال نعم من ذكر الموت في كل
يوم عشرين مرة وفي لفظ اخر الذي يذكر ذنوبه فتحزنه ولا شك في ان ذكر الموت على المريض اغلب فلما ان
كثرت فوائد المرض راى جماعة ترك الحيلة في زوالها اذ راوا انفسهم مزيدا فيها لا من حيث راوا التداوي نقصانا
وكيف يكون نقصانا وقد فعله صلى الله عليه وسلم

بيان ترك التداوي افضل بكل حال

فلو قال قائل انما فعله
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسن لغيره والا فهو حال الضعفاء ودرجة الاقوياء توجب التوكل بترك التداوي فيقال له
فينبغي ان يكون من شرط التوكل ترك الحجامة والفصد عند تبيغ الدم فان قيل ان ذلك ايضا شرط فيمكن من شرطه

ان تلدغه العقرب والحية فلا ينحيهما عن نفسه اذ الدم يلدغ الباطن والعقرب تلدغ الظاهر فاي فرق
بينهما فان قال وذلك ايضا شرط التوكل فيقال فينبغي ان لا يزيل لدغ العطش بالماء ولدغ الجوع بالخبز ولدغ
البرد بالجبة وهذا لا قائل به ولا فرق بين هذه الدرجات فان جميع ذلك اسباب رتبها مسبب الاسباب فاجرى
بها سنة الله ويدل على ان ذلك ليس من شرط التوكل ما روي عن عمر رضي الله عنه وعن الصحابة في قصة الطاعون
فانهم لما قصدوا الشام وانتهوا الى الجابية بلغهم الخبر ان موتا ذريعا ووباء عظيما فافترق فرقتين الناس
فقال بعضهم لا ندخل على الوباء فنلقي بايدينا الى التهلكة وقالت الطائفة الاخرى بل ندخل ونتوكل ولا نهرب
من قدر الله ولا نفر من الموت فنكون كمن قال تعالى الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت
فارجعوا الى عمر رضي الله عنه فسالوه عن رايه فقال نرجع ولا ندخل على الوباء فقال له المخالفون في رايه افنفر من قدر
الله فقال عمر نعم نفر من قدر الله الى قدر الله تعالى ثم ضرب لهم مثلا وقال ارايتم لو كان لاحدكم غنم وله شعبتان
احداهما مخصبة والاخرى مجدبة اليس ان رعى المخصبة رعاها بقدر الله تعالى وان رعى المجدبة رعاها بقدر الله تعالى
فقالوا نعم ثم طلب عبد الرحمن بن عوف ليساله عن رايه وكان غائبا فلما اصبحوا جاء عبد الرحمن فساله عمر عنه فقال عندي فيه
يا امير المؤمنين شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر الله اكبر فقال عبد الرحمن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اذا سمعتم بالوباء في ارض فلا تقدموا عليه واذا وقع في ارض وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه ففرح عمر بذلك
وحمد الله تعالى اذ وافق رايه ورجع بالناس من الجابية فاذا كيف اتفق الصحابة كلهم على ترك التوكل وهو من اعلى
المقامات ان كان امثال هذا من شروط التوكل **فان قلت** فلم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الخروج من البلد الذي فيه الوباء وسبب الوباء في الطب تغير الهواء واظهر طرق التداوي الفرار من المضر والهواء هو
المضر الذي لم يرخص فيه فاعلم انه لا خلاف في ان الفرار غير منهي عنه اذ الحجامة فرار من المضر فترك التوكل في امثال هذا
مباح فهذا لا يدل على المقصود ولكن الذي ينقدح فيه والعلم عند الله ان الهواء لا يضر من حيث يلاقي ظاهر البدن بل من حيث
دوام الاستنشاق له فانه اذا كان فيه عفونة ووصل الى الرئة والقلب وباطن الاحشاء اثر فيها بطول الاستنشاق فلا يظهر
الوباء على الظاهر الا بعد طول التاثير في الباطن فالخروج من البلد لا يخلص غالبا من الاثر الذي استحكم من قبل ولكن يتوهم الخلاص
فيصير هذا من جنس الموهومات كالرقى والطيرة وغيرهما ولو تجرد هذا المعنى لكان مناقضا للتوكل ولم يكن منهيا عنه ولكن صار
منهيا عنه لانه انضاف اليه امر اخر وهو انه لو رخص للاصحاء في الخروج لما بقي في البلد الا المرضى الذين اقعدهم الطاعون وانكسرت
قلوبهم وفقدوا المتعهدين ولم يبق في البلد من يسقيهم الماء ويطعمهم الطعام وهم يعجزون عن مباشرته بانفسهم فيكون ذلك سعيا
في اهلاكهم تحقيقا وخلاصهم منتظر كما ان خلاص الاصحاء منتظر فلو اقاموا لم تكن الاقامة قاطعة بالموت ولو خرجوا لم يكن الخروج
قاطعا بالخلاص وهو قاطع في اهلاك الباقين والمسلمون كالبنيان يشد بعضه بعضا والمؤمنون كالجسد الواحد اذا اشتكى
منه عضو تداعى الى الاشتكاء سائر اعضائه فهذا هو الذي ينقدح عندنا في تعليل النهي وينعكس هذا فيمن لم يقدم بعد على البلد فانه لم يؤثر
الهواء في باطنهم ولا باهل البلد حاجة اليهم نعم لو لم يبق في البلد الا مطعونون وافتقروا الى المتعهدين وقدم عليهم قوم ربما
كان ينقدح استحباب الدخول ههنا لاجل الاعانة ولا ينهى عن الدخول لانه تعرض لضرر موهوم على رجاء دفع ضرر عن
بقية المسلمين ولهذا شبه الفرار من الطاعون في بعض الاخبار بالفرار من الزحف لان فيه كسر قلوب بقية
المسلمين وسعيا في اهلاكهم فهذه امور دقيقة فمن لا يلاحظها وينظر الى ظواهر الاخبار والاثار يتناقض عنده اكثر ما
يسمعه وغلط الزهاد والعباد في مثل هذا يكثر وانما شرف العلم وفضيلته لاجل ذلك **فان قلت**
فترك التداوي فضل كما ذكرت فلم لم يترك رسول الله صلى الله عليه وسلم التداوي لينال الفضل فنقول فيه فضل
بالاضافة الى من كثرت ذنوبه ليكفرها او خاف على نفسه طغيان العافية وغلبة الشهوات او احتاج الى من

يذكر الموت لغلبة الغفلة او احتاج الى نيل ثواب الصابرين لقصوره عن مقامات الراضين والمتوكلين او قصرت بصيرته عن الاطلاع على ما اودع الله تعالى في الادوية من لطائف المنافع حتى صار في حقه موهوما كالرقى او كان شغله بحاله يمنعه عن التداوي وكان التداوي يشغله عن حاله لضعفه عن الجمع فالى هذه المعاني رجعت الصوارف عن ترك التداوي وكل ذلك كمالات بالاضافة الى بعض الخلق ونقصان بالاضافة الى درجة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل كان مقامه اعلى من هذه المقامات كلها اذ كان حاله يقتضي ان تكون مشاهدته على وتيرة واحدة عند وجود الاسباب وفقدها فانه لم يكن له نظر في الاحوال الا الى مسبب الاسباب ومن كان هذا مقامه لم تضره الاسباب كما ذكرنا ان الرغبة في المال نقص والرغبة عن المال كمال وان كان كمالا فهو ايضا نقص بالاضافة الى من يستوي عنده وجود المال وعدمه فاستواء الحجر والذهب اكمل من الهرب من الذهب دون الحجر وكان حاله صلى الله عليه وسلم استواء الذهب عنده وكان لا يمسكه لتعليم الخلق مقام الزهد فانه منتهى قوتهم لا لخوف على نفسه من امساكه فانه اعلى رتبة من ان تغره الدنيا وقد عرضت عليه خزائن الارض فابى ان يقبلها فكذلك يستوي عنده مباشرة الاسباب وتركها لمثل هذه المشاهدة وانما ترك استعمالا استعمال الدواء جريا على سنة الله وترخيصا لامته فيما تمس اليه حاجتهم مع انه لا ضرر فيه بخلاف ادخار الاموال فان ذلك يعظم ضرره نعم التداوي لا يضر الا من حيث رؤية الدواء نافعا دون خالق الدواء وهذا قد نهي عنه وان قدر يقصد به الصحة ليستعان بها على المعاصي وذلك مذموم والمؤمن في غالب الامر لا يقصد ذلك واحد من المؤمنين لا يرى الدواء نافعا في نفسه بل من حيث انه جعله الله سببا للنفع كما لا يرى الماء مرويا ولا الخبز مشبعا فحكم التداوي في مقصوده حكم الكسب فانه ان اكتسب للاستعانة على الطاعة او على المعصية كان له حكمها وان اكتسب ليتنعم المباح فله حكمه فقد ظهر بالمعاني التي اوردناها ان ترك التداوي قد يكون افضل في بعض الاحوال وان التداوي قد يكون افضل في بعض وان ذلك يختلف باختلاف الاحوال والاشخاص والنيات وان واحدا من الفعل والترك ليس شرطا في التوكل الا ترك الموهومات كالكي والرقى فان ذلك تعمق في التدبيرات لا يليق بالمتوكلين

بيان حكم التوكل في اظهار المرض وكتمانه

اعلم ان كتمان المرض واخفاء الفقر وانواع البلاء من كنوز البر وهو من اعلى المقامات لان الرضا بحكم الله والصبر على بلائه معاملة بين العبد وبين الله تعالى فكتمانه اسلم من الآفات ومع هذا فالاظهار لا بأس به اذا صحت فيه النية والقصد ومقاصد الاظهار ثلث الاول ان يكون غرضه التداوي فيحتاج الى ذكره للطبيب فيذكره لا في معرض الشكاية بل في معرض الحكاية لما ظهر عليه من قدرة الله تعالى فقد كان بشر يصف لعبد الرحمن المتطبب اوجاعه وكان احمد بن حنبل يخبر بامراض يجدها ويقول انما اصف قدرة الله تعالى في الثاني ان يصف لغير الطبيب وكان ممن يقتدى به وكان مكينا في المعرفة فاراد من ذكره ان يتعلم منه حسن الصبر في المرض بل حسن الشكر بان يظهر انه يرى المرض نعمة فيشكر عليها فيتحدث به كما يتحدث بالنعم قال الحسن البصري اذا حمد الله المريض وشكره ثم ذكر اوجاعه لم يكن ذلك شكوى الثالث ان يظهر بذلك عجزه وافتقاره الى الله تعالى وذلك يحسن ممن يليق به القوة والشجاعة ويستبعد منه العجز كما روي انه قيل لعلي رضي الله عنه في مرضه كيف انت قال بشر فنظر بعضهم الى بعض كانهم كرهوا ذلك وظنوا انه شكاية فقال اتجلد على الله فاحب ان يظهر عجزه وافتقاره مع ما علم به من القوة والصرامة وتادب فيه بتاديب النبي صلى الله عليه وسلم اياه حيث مرض علي فسمعه صلى الله عليه وسلم وهو يقول اللهم صبرني على البلاء فقال لقد سألت الله تعالى البلاء فسل الله العافية فبهذه النيات يرخص في ذكر المرض وانما يشترط ذلك لان ذكره شكاية والشكوى من الله حرام كما ذكرناه في تحريم السؤال على الفقراء الا بضرورة ويصير الاظهار شكاية بقرينة السخط واظهار الكراهة لفعل الله فان خلا عن قرينة السخط وعن النيات التي ذكرناها فلا يوصف بالتحريم ولكن يحكم فيه بان الاولى تركه لانه ربما يوهم الشكاية ولانه ربما يكون فيه تصنع وتزيد في الوصف على الموجود من العلة ومن يترك التداوي توكلا فلا وجه في حقه للاظهار لان الاستراحة الى الدواء احسن من الاستراحة الى الافشاء وقد قال بعضهم من بث لم يصبر وقيل في معنى قوله تعالى

فصبر جميل لا شكوى فيه وقيل ليعقوب عليه الصلاة والسلام ما الذي اذهب بصرك قال مر الزمان وطول الاحزان فاوحى الله اليه تفرغت لشكواي الى عبادي فقال يا رب اتوب اليك وروي عن طاوس ومجاهد انهما قالا يكتب على المريض انينه في مرضه وكانوا يكرهون انين المريض لانه اظهار معنى يقتضي الشكوى حتى قيل انما اصاب ابليس من ايوب عليه الصلاة والسلام الا انينه في مرضه فجعل الانين حظه منه وفي الخبر اذا مرض العبد اوحى الله تعالى الى الملكين انظروا ما يقول لعواده فان حمد الله واثنى عليه بخير دعوا له وان شكا وذكر شرا قالا كذلك تكون وانما كره بعض العباد العيادة خشية الشكاية وخوف الزيادة في الكلام فكان بعضهم اذا مرض اغلق بابه فلم يدخل عليه احد حتى يبرأ فيخرج اليهم منهم الفضيل بن عياض ووهيب بن الورد وبشر بن الحارث وكان الفضيل يقول اشتهي ان امرض بلا عواد وقال لا اكره العلة الا لاجل العواد تم كتاب التوحيد والتوكل يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب المحبة والشوق والانس والرضا

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي نزه قلوب اوليائه عن الالتفات الى متاع الدنيا ونضرتها وصفى اسرارهم عن ملاحظة غير حضرته ثم استخلصها للعكوف على بساط عزته ثم تجلى لها باسمائه وصفاته حتى اشرقت بنار معرفته ثم احتجب عنها بكنه جلاله حتى تاهت في بيداء كبريائه وعظمته فكلما اهتزت لملاحظة كنه الجلال غشيها من الدهش ما يغبر في وجه العقل وبصيرته وكلما همت بالانصراف آيسة نوديت من سرادقات الجمال صبرا ايها الآيس عن نيل الحق بجهله وعجلته فبقيت بين الرد والقبول والصد والوصول غرقى في بحر معرفته ومحترقة بنار محبته والصلوة على محمد خاتم الانبياء بكمال نبوته وعلى آله واصحابه سادات الخلق وائمته وقادة الحق وازمته وسلم كثيرا

اما بعد فان المحبة لله تعالى هي الغاية القصوى من المقامات والذروة العليا من الدرجات فما بعد ادراك المحبة مقام الا وهو ثمرة من ثمارها وتابع من توابعها كالشوق والانس والرضا واخواتها ولا قبل المحبة مقام الا وهو مقدمة من مقدماتها كالتوبة والصبر والزهد وغيرها وساير المقامات ان عز وجودها فلم تخل القلوب عن الايمان بامكانها واما محبة الله تعالى فقد عز الايمان بها حتى انكر بعض العلماء امكانها وقال لا معنى لها الا المواظبة على طاعة الله تعالى واما حقيقة المحبة فمحال الا مع الجنس والمثل ولما انكروا المحبة انكروا الانس والشوق ولذة المناجاة وساير لوازم الحب وتوابعه ولا بد من كشف الغطاء عن هذا الامر ونحن نذكر في هذا الكتاب بيان شواهد الشرع في المحبة ثم بيان حقيقتها واسبابها ثم بيان ان لا مستحق للمحبة الا الله تعالى ثم بيان ان اعظم اللذات لذة النظر الى وجه الله تعالى ثم بيان سبب زيادة لذة النظر في الآخرة على المعرفة في الدنيا ثم بيان الاسباب المقوية لحب الله تعالى ثم بيان السبب في تفاوت الناس في الحب ثم بيان السبب في قصور الافهام عن معرفة الله تعالى ثم بيان معنى الشوق ثم بيان محبة الله للعبد ثم القول في علامات محبة العبد لله تعالى ثم بيان معنى الانس بالله ثم بيان معنى الانبساط في الانس ثم القول في معنى الرضا وبيان فضيلته ثم بيان حكايات وكلمات للمحبين متفرقة

بيان شواهد الشرع في حب العبد لله تعالى

اعلم ان الامة مجمعة على ان الحب لله تعالى ولرسوله فرض وكيف يفرض ما لا وجود له وكيف يفسر الحب بالطاعة والطاعة تبع الحب وثمرته فلا بد وان يتقدم الحب ثم بعد ذلك يطيع من احب ويدل على اثبات الحب لله قوله تعالى يحبهم ويحبونه وقوله تعالى والذين آمنوا اشد حبا لله وهو دليل على اثبات الحب واثبات التفاوت فيه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحب لله من شرط الايمان في اخبار كثيرة اذ قال ابو رزين العقيلي يا رسول الله ما الايمان قال ان يكون الله ورسوله احب اليك مما سواهما وفي حديث آخر لا يؤمن احدكم حتى يكون الله ورسوله احب اليه من اهله وماله والناس اجمعين وفي رواية ومن نفسه كيف وقد قال تعالى قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم الى قوله احب اليكم من الله ورسوله الآية فانه انما اجرى ذلك في معرض التهديد والانكار وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمحبة فقال احبوا الله لما

يعودكم به من بعد واحوف لحب الله تعالى ويروى ان رجلا قال يا رسول الله اني احبك فقال استعد للفقر فقال اني احب الله قال
استعد للبلاء وعن عمر رضي الله عنه قال نظر النبي صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير مقبلا وعليه اهاب كبش قد تنطق به
فقال النبي صلى الله عليه وسلم انظروا الى هذا الرجل الذي قد نور الله قلبه لقد رايته بين ابويه يغذوانه باطيب الطعام والشراب فدعاه
حب الله ورسوله الى ما ترون وفي الخبر المشهور ان ابرهيم عليه الصلاة والسلام قال لملك الموت اذ جاءه لقبض روحه هل رايت خليلا
يميت خليله فاوحى الله اليه هل رايت محبا يكره لقاء حبيبه فقال يا ملك الموت الآن فاقبض وهذا لا يجده الا عبد يحب الله
بكل قلبه فاذا علم ان الموت سبب اللقاء انزعج قلبه اليه ولم يكن له محبوب غيره حتى يلتفت اليه وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم في دعائه
اللهم ارزقني حبك وحب من احبك وحب ما يقربني الى حبك واجعل حبك احب الي من الماء البارد وجاء اعرابي الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى الساعة فقال ما اعددت لها فقال ما اعددت كثير صلاة ولا صيام الا اني احب الله
ورسوله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب قال انس فما رايت المسلمين فرحوا بشيء بعد الاسلام فرحهم بذلك
وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه من ذاق من خالص محبة الله شغله ذلك عن طلب الدنيا واوحشه عن جميع البشر وقال الحسن من عرف
ربه احبه ومن عرف الدنيا زهد فيها والمؤمن لا يلهو حتى يغفل فاذا تفكر حزن وقال ابو سليمان الداراني ان من خلق الله
خلقا ما يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه فكيف يشتغلون بالدنيا ويروى ان عيسى عليه الصلاة والسلام مر بثلاثة نفر
قد نحلت ابدانهم وتغيرت الوانهم فقال لهم ما الذي بلغ بكم ما ارى فقالوا الخوف من النار فقال حق على الله ان يؤمن الخائف ثم
جاوزهم الى ثلاثة اخرى فاذا هم اشد نحولا وتغيرا فقال لهم ما الذي بلغ بكم ما ارى قالوا الشوق الى الجنة فقال حق على الله ان يعطيكم
ما ترجون ثم جاوزهم الى ثلاثة اخرى فاذا هم اشد نحولا وتغيرا كان على وجوههم المرائي من النور فقال ما الذي بلغ بكم ما ارى
قالوا حب الله تعالى فقال انتم المقربون وقال عبد الواحد بن زيد مررت برجل قائم في الثلج فقلت اما تجد البرد فقال من
شغله حب الله لم يجد البرد وعن سري السقطي قال تدعى الامم يوم القيامة بانبيائها عليهم الصلاة والسلام فيقال يا امة
موسى ويا امة عيسى ويا امة محمد غير المحبين لله تعالى فانهم ينادون يا اولياء الله هلموا الى الله تعالى فتكاد قلوبهم تنخلع فرحا
وقال هرم بن حيان المؤمن اذا عرف ربه عز وجل احبه واذا احبه اقبل اليه واذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا
بعين الشهوة ولم ينظر الى الآخرة بعين الفترة وهي تحسره في الدنيا وتروحه في الآخرة وقال يحيى بن معاذ عفوه يستغرق الذنوب
فكيف رضوانه ورضوانه يستغرق الآمال فكيف حبه وحبه يدهش العقول فكيف وده ووده ينسي ما دونه فكيف لطفه
وفي بعض الكتب عبدي انا وحقك لك محب فبحقي عليك كن لي محبا وقال يحيى بن معاذ مثقال خردلة من الحب
احب الي من عبادة سبعين سنة بلا حب وقال ايضا الهي اني مقيم بفنائك مشغول بثنائك صغيرا اخذتني اليك
وسربلتني بمعرفتك وامكنتني من لطفك ونقلتني في الاحوال وقلبتني في الاعمال سترا وتوبة وزهدا وشوقا
ورضا وحبا تسقيني من حياضك وتهملني في رياضك ملازما لامرك ومشغوفا بقولك ولما طر شاربي
ولاح طائري فكيف انصرف اليوم عنك كبيرا وقد اعتدت هذا منك صغيرا فلي ما بقيت حولك دندنة وبالضراعة
اليك همهمة لاني احبك وكل محب بحبيبه مشغوف وعن غير حبيبه مصروف وقد ورد في حب الله تعالى من الاخبار والآثار
ما لا يدخل في حصر حاصر وذلك امر ظاهر وانما الغموض في تحقيق معناه فلنشتغل به

بيان حقيقة المحبة واسبابها

وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى اعلم ان المطلب من هذا الفصل لا ينكشف الا بمعرفة حقيقة المحبة في نفسها ثم معرفة شروطها
واسبابها ثم النظر بعد ذلك في تحقيق معناها في حق الله تعالى فاول ما ينبغي ان يتحقق انه لا يتصور محبة الا بعد معرفة وادراك
اذ لا يحب الانسان الا ما يعرفه ولذلك لم يتصور ان يتصف بالحب جماد بل هو من خاصية الحي المدرك ثم المدركات في انقسامها
تنقسم الى ما يوافق طبع المدرك ويلائمه ويلذه والى ما ينافيه وينافره ويؤلمه والى ما لا يؤثر فيه بايلام والتذاذ فكل ما في ادراكه
لذة وراحة فهو محبوب عند المدرك وما في ادراكه الم فهو مبغوض عند المدرك وما يخلو عن استعقاب الم ولذة فلا

يوصف بكونه محبوبا ولا مكروها فاذا كل لذيذ محبوب عند الملتذ به ومعنى كونه محبوبا ان في الطبع ميلا اليه ومعنى كونه
مبغوضا ان في الطبع عنه نفرة فالحب عبارة عن ميل الطبع الى الشيء الملذ فان تاكد ذلك الميل وقوي سمي عشقا والبغض
عبارة عن نفرة الطبع عن المؤلم المتعب فاذا قوي سمي مقتا فهذا اصل في حقيقة معنى الحب لا بد من معرفته

الاصل الثاني

ان الحب لما كان تابعا للادراك والمعرفة انقسم لا محالة بحسب انقسام المدركات والحواس فلكل حاسة ادراك لنوع من المدركات
ولكل واحد منها لذة في بعض المدركات وللطبع بسبب تلك اللذة ميل اليها فكانت محبوبات عند الطبع السليم فلذة العين
في الابصار وادراك المبصرات والصور الجميلة الحسنة المستلذة ولذة الاذن في النغمات الطيبة الموزونة ولذة الشم
في الروائح الطيبة ولذة الذوق في الطعوم ولذة اللمس في اللين والنعومة ولما كانت هذه المدركات بالحواس ملذة كانت
محبوبة اي كان للطبع السليم ميل اليها حتى قال صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في
الصلاة فسمى الطيب محبوبا ومعلوم انه لا حظ للعين والسمع فيه بل للشم فقط وسمى النساء محبوبات ولا حظ فيهن الا للبصر واللمس
دون الشم والذوق والسمع وسمى الصلاة قرة عين وجعلها ابلغ المحبوبات ومعلوم انه ليس يحظى بها الحواس الخمس بل حس
سادس مظنته القلب لا يدركه الا من كان له قلب ولذات الحواس الخمس تشارك فيها البهائم والانسان فان كان الحب مقصورا
على مدركات الحواس الخمس حتى يقال ان الله لا يدرك بالحواس ولا يتمثل في الخيال فلا يحب فاذا قد بطلت خاصية الانسان وما
تميز به من الحس السادس الذي يعبر عنه اما بالعقل او بالنور او بالقلب او بما شئت من العبارات فلا مشاحة فيها وهيهات
فالبصيرة الباطنة اقوى من البصر الظاهر والقلب اشد ادراكا من العين وجمال المعاني المدركة بالعقل اعظم من جمال الصور
الظاهرة للابصار فتكون لا محالة لذة القلب بما يدركه من الامور الشريفة الالهية التي تجل عن ان تدركها الحواس اتم وابلغ فيكون
ميل الطبع السليم والعقل الصحيح اليه اقوى ولا معنى للحب الا الميل الى ما في ادراكه لذة كما سياتي تفصيله فلا ينكر اذا
حب الله الا من قعد به القصور في درجة البهائم فلم يجاوز ادراك الحواس اصلا

الاصل الثالث

ان الانسان
لا يخفى انه قد يحب غيره لاجل نفسه وهل يتصور ان يحب غيره لذاته لا لاجل نفسه هذا مما قد يشكل على الضعفاء حتى يظنون انه لا
يتصور ان يحب الانسان غيره لذاته ما لم يرجع منه حظ الى المحب سوى ادراك ذاته والحق ان ذلك متصور وموجود فلنبين
اقسام المحبة واسبابها وبيانه ان المحبوب الاول عند كل حي نفسه وذاته ومعنى حبه لنفسه ان في طبعه ميلا الى دوام وجوده
ونفرة عن عدمه وهلاكه لان المحبوب بالطبع هو الملائم للمحب واي شيء اتم ملايمة من نفسه ودوام وجوده
واي شيء اعظم مضادة ومنافرة من عدمه وهلاكه فلذلك يحب الانسان دوام الوجود ويكره الموت والقتل لا لمجرد
ما يخافه بعد الموت ولا لمجرد الحذر من سكرات الموت بل لو اختطف من غير الم واميت من غير ثواب ولا عقاب لم يرض
به وكان كارها لذلك ولا يحب الموت والعدم المحض الا لمقاساة الم في الحياة ومهما كان مبتلى ببلاء فمحبوبه زوال البلاء فان
احب العدم لم يحبه لانه عدم بل لان فيه زوال البلاء فالهلاك والعدم ممقوت ودوام الوجود محبوب وكما ان دوام الوجود
محبوب فكمال الوجود ايضا محبوب لان الناقص فاقد للكمال والنقص عدم بالاضافة الى القدر المفقود وهو هلاك بالنسبة
اليه والهلاك والعدم ممقوت في الصفات وكمال الوجود كما انه ممقوت في اصل الذات ووجود صفات الكمال محبوب كما ان
دوام اصل الوجود محبوب وهذه غريزة في الطباع بحكم سنة الله تعالى ولن تجد لسنة الله تبديلا فاذا المحبوب الاول
للانسان ذاته ثم سلامة اعضائه ثم ماله وولده وعشيرته واصدقاؤه فالاعضاء محبوبة وسلامتها مطلوبة لان
كمال الوجود ودوام الوجود موقوف عليها والمال محبوب لانه ايضا آلة في دوام الوجود وكماله وكذا سائر الاسباب فالانسان
يحب هذه الاشياء لا لاعيانها بل لارتباط حظه في دوام الوجود وكماله بها حتى انه ليحب ولده وان كان لا يناله منه حظ بل يتحمل
المشاق لاجله لانه يخلفه في الوجود بعد عدمه فيكون في بقاء نسله نوع بقاء له فلفرط حبه لبقاء نفسه يحب بقاء من هو
قائم مقامه وكانه جزء منه لما عجز عن الطمع في بقاء نفسه ابدا نعم لو خير بين قتله وقتل ولده وكان طبعه باقيا على اعتداله آثر

بقاء نفسه على بقائه ولولا ان بقاء ولده يشبه بقاءه من وجه وليس هو بقاءه المحقق وكذلك الحب للاقارب والعشيرة يرجع الى حب كمال نفسه فانه يرى نفسه كثيرا بهم قويا بسببهم متجملا بكمالهم فان العشيرة والمال والاسباب الخارجة كالجناح المكمل للانسان وكمال الوجود ودوامه محبوب بالطبع لا محالة فان المحبوب الاول عند كل حي ذاته وكمال ذاته ودوام ذلك كله والمكروه عنده ضد ذلك فهذا هو اول الاسباب **السبب الثاني** الاحسان فان الانسان عبد الاحسان وقد جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل لفاجر علي يدا فيحبه قلبي اشار الى ان حب القلب للمحسن اضطرار لا يستطاع دفعه وهو جبلة وفطرة لا سبيل الى تغييرها وبهذا السبب يحب الانسان الاجنبي الذي لا قرابة بينه وبينه ولا علاقة وهذا اذا حقق رجع الى السبب الاول فان المحسن من امد بالمال والمعونة وسائر الاسباب الموصلة الى دوام الوجود وحصول الحظوظ التي بها يتهيأ الوجود الا ان الفرق ان اعضاء الانسان محبوبة لان بها كمال وجوده وهي عين الكمال المطلوب فاما المحسن فليس هو عين الكمال المطلوب ولكن قد يكون سببا له كالطبيب الذي قد يكون سببا في دوام صحة الاعضاء ففرق بين حب الصحة وبين حب الطبيب الذي هو سبب الصحة اذ الصحة مطلوبة لذاتها والطبيب محبوب لا لذاته بل لانه سبب للصحة وكذلك العلم محبوب والاستاذ محبوب ولكن العلم محبوب لذاته والاستاذ محبوب لكونه سبب العلم المحبوب وكذلك الطعام والشراب محبوب والدنانير محبوبة لانها وسيلة الى الطعام فاذا يرجع الفرق الى تفاوت الرتبة والا فكل واحد يرجع الى محبة الانسان نفسه فكل من احب المحسن لاحسانه فما احب ذاته تحقيقا بل احسانه وهو فعل من افعاله لو زال زال الحب مع بقاء ذاته ولو نقص نقص الحب ولو زاد زاد ويتطرق اليه الزيادة والنقصان بحسب زيادة الاحسان ونقصانه **السبب الثالث** ان يحب الشيء لذاته لا لحظ ينال منه وراء ذاته بل يكون ذاته عين حظه وهذا هو الحب الحقيقي البالغ الذي يوثق بدوامه وذلك كحب الجمال والحسن فان كل جمال وحسن فهو محبوب عند مدرك الجمال وذلك لعين الجمال لان ادراك الجمال فيه عين اللذة واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها **ولا تظنن** ان حب الصور الجميلة لا يتصور الا لاجل قضاء الشهوة فان قضاء الشهوة لذة اخرى وقد تحب الصور الجميلة لاجلها وادراك نفس الجمال ايضا لذيذ فيجوز ان يكون محبوبا لذاته وكيف ينكر ذلك والخضرة والماء الجاري محبوب لا ليشرب الماء او تؤكل الخضرة او ينال منها حظ سوى نفس الرؤية وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الخضرة والماء الجاري والطباع السليمة قاضية باستلذاذ النظر الى الانوار والازهار والطيور المليحة الالوان الحسنة النقش المتناسبة الشكل حتى ان الانسان لينفرج عنه الغم بالنظر اليها لا لطلب حظ وراء النظر فهذه الاسباب ملذة وكل لذيذ محبوب وكل حسن وجمال فلا يخلو ادراكه عن لذة ولا احد ينكر كون الجمال محبوبا بالطبع فان ثبت ان الله جميل كان لا محالة محبوبا عند من انكشف له جماله وجلاله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال

الاصل الرابع في بيان معنى الحسن والجمال اعلم ان المحبوس في مضيق الخيالات والمحسوسات ربما يظن انه لا معنى للحسن والجمال الا تناسب الخلقة والشكل وحسن اللون وكون البياض مشربا بالحمرة وامتداد القامة الى غير ذلك مما يوصف من جمال شخص الانسان فان الحسن الاغلب على الخلق حسن الابصار واكثر التفاتهم الى صور الاشخاص فيظن ان ما ليس مبصرا ولا متخيلا ولا متشكلا ولا متلونا مقدرا فلا يتصور حسنه واذا لم يتصور حسنه لم يكن في ادراكه لذة فلم يكن محبوبا وهذا خطأ ظاهر فان الحسن ليس مقصورا على مدركات البصر ولا على تناسب الخلقة وامتزاج البياض بالحمرة فانا نقول هذا خط حسن وهذا صوت حسن وهذا ثوب حسن وهذا كوز حسن فاي معنى لحسن الصوت والخط وسائر الاشياء ان لم يكن الحسن الا في الصورة ومعلوم ان العين تستلذ النظر الى الخط الحسن والاذن تستلذ استماع النغمات الحسنة الطيبة وما من شيء من المدركات الا وهو منقسم الى حسن وقبيح فما معنى الحسن الذي يشترك فيه هذه الاشياء فلا بد من البحث عنه وهذا بحث يطول ولا يليق بعلم المعاملة فلا فائدة في الاطناب فيه فنصرح بالحق ونقول كل شيء فجماله وحسنه في ان يحضر كماله الممكن له اللائق به فاذا كانت جميع كمالاته حاضرة فهو في غاية الجمال وان كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر فالفرس الحسن هو الذي جمع كل ما يليق بالفرس من هيئة وشكل ولون وحسن عدو وتيسر كر وفر عليه والخط الحسن ما جمع ما يليق بالخط من تناسب الحروف وتوازيها واستقامة ترتيبها وحسن انتظامها ولكل شيء كمال يليق به وقد يليق بغيره ضده فحسن كل شيء في كماله الذي يليق به فلا يحسن الانسان بما يحسن به الفرس ولا يحسن الخط بما يحسن به الصوت ولا تحسن الاواني بما تحسن به الثياب وكذلك سائر الاشياء **فان قلت** فهذه الاشياء وان لم يدرك جميعها بحس البصر مثل الاصوات والطعوم فانها لا تنفك عن ادراك الحواس لها فهي محسوسات وليس ينكر الحسن والجمال للمحسوسات ولا ينكر حصول اللذة بادراك حسنها وانما ينكر ذلك في غير المدرك بالحواس فاعلم ان الحسن والجمال موجود في غير المحسوسات اذ يقال هذا خلق حسن وهذا علم حسن وهذه سيرة حسنة وهذه اخلاق جميلة وانما الاخلاق الجميلة يراد بها العلم والعقل والعفة والشجاعة والتقوى والكرم والمروة وسائر خلال الخير وشيء من هذه الصفات لا يدرك بالحواس الخمس بل يدرك بنور البصيرة الباطنة وكل هذه الخصال الجميلة محبوبة والموصوف بها محبوب بالطبع عند من عرف صفاته وآية ان الامر كذلك ان الطباع مجبولة على حب الانبياء وعلى حب الصحابة مع انهم لم يشاهدوا بل على حب ارباب المذاهب مثل الشافعي وابي حنيفة ومالك وغيرهم حتى ان الرجل قد يجاوز به حبه لصاحب مذهبه حد العشق فيحمله ذلك على ان ينفق جميع ماله في نصرة مذهبه والذب عنه ويخاطر بروحه في قتال من يطعن في امامه ومتبوعه فكم من دم اهريق في نصرة ارباب المذاهب وليت شعري من يحب الامام الشافعي مثلا فلم يحبه ولم يشاهد قط صورته ولو شاهده ربما لم يستحسن صورته فاستحسانه الذي حمله على افراط الحب هو لصورته الباطنة لا لصورته الظاهرة فان صورته الظاهرة قد انقلبت ترابا مع التراب وانما يحبه لصفاته الباطنة من الدين والتقوى وغزارة العلم والاحاطة بمدارك الدين وانتهاضه لافادة علم الشرع ولنشره هذه الخيرات في العالم وهذه امور جميلة لا يدرك جمالها الا بنور البصيرة فاما الحواس فقاصرة عنها وكذلك من يحب ابا بكر الصديق ويفضله على غيره او يحب عليا ويفضله على غيره ويتعصب له فلا يحبهم الا لاستحسان صورتهم الباطنة من العلم والدين والتقوى والشجاعة والكرم وغيره فمعلوم ان من يحب الصديق مثلا لا يحب لحمه وعظمه وجلده واطرافه وشكله اذ كل ذلك قد زال وانعدم وتبدل ولكن بقي ما كان الصديق به صديقا وهي الصفات المحمودة التي هي مصادر السيرة الجميلة فكان الحب باقيا ببقاء تلك الصفات مع زوال جميع الصور وتلك الصفات ترجع جملتها الى العلم والقدرة اذ علم حقائق الامور وقدر على حمل نفسه عليها بقهر شهواته فجميع خلال الخير تتشعب عن هذين الوصفين وهما غير مدركين بالحس ومحلهما من جملة البدن جزء لا يتجزأ فهو المحبوب بالحقيقة وليس للجزء الذي لا يتجزأ صورة وشكل ولون يظهر للبصر حتى يكون محبوبا لاجله فاذا الجمال موجود في السير ولو صدرت السيرة الجميلة من غير علم وبصيرة لم يوجب ذلك حبا فالمحبوب مصدر السيرة الجميلة وهي الاخلاق الحميدة والفضائل الشريفة وترجع جملتها الى كمال العلم والقدرة وهو محبوب بالطبع غير مدرك بالحواس حتى ان الصبي المخلى وطبعه اذا اردنا ان نحبب اليه غائبا او حاضرا حيا او ميتا لم يكن لنا سبيل الا بالاطناب في وصفه بالشجاعة والكرم والعلم وسائر الخصال الجميلة فمهما اعتقد ذلك لم يتمالك في نفسه ولم يقدر على ان لا يحبه فهل غلب حب الصحابة وبغض ابي جهل الا بالاطناب في وصف المحاسن والمقابح التي لا تدرك بالحواس بل لما وصف الناس حاتما بالسخاوة ووصفوا خالدا بالشجاعة احبتهم القلوب حبا ضروريا وليس ذلك عن نظر الى صورة محسوسة ولا عن حظ يناله المحب منهم بل اذا حكي من سيرة بعض الملوك في بعض اقطار الارض العدل والاحسان وافاضة الخير غلب حبه على القلوب مع الياس من انتشار احسانه الى المحبين لبعد المزار وتنائي الدار فاذا ليس حب الانسان مقصورا على من احسن اليه بل المحسن في نفسه محبوب وان كان لا ينتهي قط احسانه الى المحب لان كل جمال وحسن فهو محبوب والصورة ظاهرة

والحسن والباطنة وللجمال الخفي لها وتدرك الصور الظاهرة بالبصر الظاهر والصور الباطنة بالبصيرة الباطنة فمن
حرم البصيرة الباطنة لا يدركها ولا يلتذ بها فلا يحبها ولا يميل اليها ومن كانت البصيرة الباطنة اغلب عليه من الحواس
الظاهرة كان حبه للمعاني الباطنة اكثر من حبه للمعاني الظاهرة فشتان بين من يحب نقشا مصورا على الحائط لجمال صورته
الظاهرة وبين من يحب نبيا من الانبياء لجمال صورته الباطنة **السبب الخامس** المناسبة
الخفية بين المحب والمحبوب اذ رب شخصين تتاكد المحبة بينهما لا بسبب جمال او حظ ولكن بمجرد تناسب الارواح
كما قال صلى الله عليه وسلم فما تعارف منها ائتلف وقد حققنا في كتاب اداب الصحبة عند ذكر الحب في الله فليطلب
منه لانه ايضا من عجائب اسباب الحب فاذا ترجع اقسام الحب الى خمسة اسباب وهو حب الانسان وجود نفسه
وكماله وبقائه وحبه من احسن اليه فيما يرجع الى دوام وجوده ويعين على بقائه ودفع المهلكات عنه وحبه من كان
محسنا اليه وحبه لكل ما هو جميل في ذاته سوا كانت من الصور الظاهرة او الباطنة وحبه لمن بينه وبينه مناسبة
خفية في الباطن فلو اجتمعت هذه الاسباب في شخص واحد تضاعف الحب لا محالة كما لو كان للانسان ولد جميل الصورة
حسن الخلق كامل العلم حسن التدبير محسن الى الخلق ومحسن الى الوالد كان محبوبا لا محالة غاية الحب وتكون قوة الحب بعد
اجتماع هذه الخصال بحسب قوة هذه الخلال في نفسها كانت هذه الصفات في اقصى درجات الكمال كان الحب لا محالة
في اعلى الدرجات فلنبين الان ان هذه الاسباب كلها لا تتصور كمالها واجتماعها الا في حق الله تعالى فلا يستحق المحبة بالحقيقة

بيان ان المستحق للمحبة هو الله

وان من احب غير الله تعالى لا من حيث نسبته الى الله تعالى فذلك لجهله وقصوره
في معرفة الله تعالى وحب الرسول محمود لانه عين حب الله وكذلك حب العلماء والاتقياء لان محبوب المحبوب
محبوب ورسول المحبوب محبوب ومحب المحبوب محبوب وكل ذلك يرجع الى حب الاصل فلا يتجاوزه الى غيره
فلا محبوب بالحقيقة عند ذوي البصائر الا الله تعالى ولا مستحق للمحبة سواه وايضاحه بان يرجع الى الاسباب الخمسة التي
ذكرناها ونبين انها مجتمعة في حق الله تعالى بجملتها ولا توجد في غيره الا احادها وانها حقيقة في حق الله ووجودها
في حق غيره وهم وتخيل وهو مجاز محض لا حقيقة لها ومهما ثبت ذلك انكشف لكل ذي بصيرة ضد ما تخيله
ضعفاء العقول من استحالة حب الله تعالى تحقيقا وبان ان التحقيق يقتضي ان لا تحب احدا غير الله فاما السبب
الاول وهو حب الانسان نفسه وبقاءه وكماله ودوام وجوده وبغضه لهلاكه وعدمه ونقصانه وقواطع
جبلة كل حي ولا يتصور ان ينفك عنها وهذا يقتضي نهاية المحبة لله تعالى فان من عرف نفسه وعرف ربه عرف
قطعا انه لا وجود له من ذاته وانما وجود ذاته ودوام وجوده وكمال وجوده من الله وبالله والى الله فهو المخترع الموجد
له وهو المبقي له وهو المكمل لوجوده بخلق صفات الكمال وخلق الاسباب الموصلة اليه وخلق الهداية الى الاسباب [illegible]
والا فالعبد من حيث هو لا وجود له من ذاته بل هو محو محض وعدم صرف لولا فضل الله تعالى عليه بالايجاد وهو
هالك عقيب وجوده لولا فضل الله تعالى عليه بالابقاء وهو ناقص بعد الوجود لولا فضل الله تعالى عليه بالتكميل لخلقته
وبالجملة فليس في الوجود شي له بنفسه قوام الا القيوم الحي الذي هو قائم بذاته وكل ما سواه قائم به فان احب العارف
ذاته ووجود ذاته مستفاد من غيره فبالضرورة يحب المفيد لوجوده والمديم له ان عرفه خالقا موجدا ومخترعا
ومبقيا وقيوما بنفسه ومقوما لغيره فانه كان لا يحبه فهو لجهله بنفسه وبربه والمحبة ثمرة المعرفة تنعدم بانعدامها
وتضعف بضعفها وتقوى بقوتها ولذلك قال الحسن البصري من عرف ربه احبه ومن عرف الدنيا زهد فيها وكيف يتصور
ان يحب الانسان نفسه ولا يحب ربه الذي به قوام نفسه ومعلوم ان المبتلى بحر الشمس لما كان يحب الظل فيحب بالضرورة
الاشجار التي بها قوام الظل وكلما في الوجود بالاضافة الى قدرة الله تعالى فهو كالظل بالاضافة الى الشجر والنور بالاضافة
الى الشمس فان الكل من اثار قدرته ووجود الكل تابع لوجوده كما ان وجود النور تابع للشمس ووجود الظل تابع للشجر بل هذا

المثال صحيح بالاضافة الى اوهام العوام اذ تخيلوا ان النور اثر الشمس وفائض منها وموجود بها وهو خطا محض
اذ انكشف لارباب القلوب انكشافا اظهر من مشاهدة الابصار ان النور حاصل من قدرة الله تعالى اختراعا
عند وقوع المقابلة بين الشمس وبين الاجسام الكثيفة كما ان نور الشمس وعينها وشكلها وصورتها ايضا حاصل
من قدرة الله تعالى ولكن الغرض من الامثلة التفهيم فلا يطلب فيها الحقائق فاذا ان كان حب الانسان نفسه
ضروريا فحب من به قوامه اولا ودوامه ثانيا في اصله وصفاته وظاهره وباطنه واعراضه ايضا ضروري ان عرف
ذلك كذلك ومن خلى عن هذا الحب فلانه اشتغل بنفسه وشهواته وذهل عن ربه وخالقه فلم يعرفه حق معرفته
واقتصر نظره على شهواته ومحسوساته وهو عالم الشهادة الذي يشاركه البهائم في التنعم بها والاتساع فيها دون
عالم الملكوت الذي لا يطاها الا من يقترب الى شبه الملائكة فينظر فيه بقدر قربه في الصفات من الملائكة
ويقصر عنه بقدر انحطاطه الى حضيض عالم البهائم **واما السبب الثاني** وهو حب من احسن اليه فواساه
بماله ولاطفه بكلامه وامده بمعونته وانتدب لنصرته وقمع اعداءه وقام بدفع شر الاشرار عنه وانتهض وسيلة الى جميع
حظوظه واغراضه في نفسه واولاده واقاربه فانه محبوب لا محالة عنده وهذا بعينه يقتضي ان لا يحب الا الله فانه لو عرف
حق المعرفة لعلم ان المحسن اليه هو الله تعالى فقط فاما انواع احسانه الى كل عبيده فلست اعدها اذ ليس يحيط بحصرها
حاصر كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقد اشرنا الى طرف منه في كتاب الشكر ولكنا نقتصر الان على بيان
ان الاحسان من الناس غير متصور الا بالمجاز وانما المحسن هو الله تعالى ولنفرض ذلك فيمن انعم عليك بجميع خزائنه
ومكنك منها لتتصرف فيها كيف تشاء فانك تظن ان هذا الاحسان منه وهو غلط فانه انما تم احسانه به وبماله
وبقدرته على المال وبداعيته الباعثة على صرف المال اليك فمن الذي انعم بخلقه وخلق ماله وخلق ارادته وداعيته ومن
الذي حببك اليه وصرف وجهه اليك والقى في نفسه ان صلاح دينه ودنياه في الاحسان اليك ولولا كل ذلك لما اعطاك
حبة من ماله ومهما سلط عليه الدواعي وقرر في نفسه ان صلاح دينه او دنياه في ان يسلم اليك ماله كان مقهورا
مضطرا في التسليم لا يستطيع مخالفته فالمحسن هو الذي اضطره وسخره لك وسلط عليه الدواعي الباعثة والمرهقة
الى الفعل واما يده فواسطة يصل بها احسان الله اليك وصاحب اليد مضطر في ذلك اضطرار مجرى الماء
في جريان الماء فيه فان اعتقدته محسنا او شكرته من حيث هو بنفسه محسن لا من حيث هو واسطة كنت جاهلا
بحقيقة الامر فانه لا يتصور الاحسان من الانسان الا الى نفسه اما الاحسان الى غيره فمحال من المخلوقين لانه
لا يبذل ماله الا لغرض له في البذل اما اجل وهو الثواب واما عاجل وهو المنة والاستسخار والثنا
والصيت والاشتهار بالسخا والكرم او جذب قلوب الخلق الى الطاعة والمحبة كما ان الانسان لا يلقي ماله في البحر اذ لا
غرض له فيه فلا يلقيه ايضا في يد انسان الا لغرض له فيه وذلك الغرض هو مطلوبه ومقصده واما انت فلست
مقصودا بل يدك آلة له في القبض حتى يحصل غرضه من الذكر والثناء والنيل او الثواب بسبب قبضك المال فقد
استسخرك في القبض للتوصل الى غرض نفسه فهو اذا محسن الى نفسه ومعتاض عما بذله من ماله عوضا هو ارجح عنده من
ماله ولولا رجحان ذلك الحظ عنده لما نزل عن ماله لاجلك اصلا البتة فاذا هو غير مستحق للشكر والحب من وجهين احدهما
انه مضطر بتسليط الله تعالى الدواعي عليه فلا قدرة له على المخالفة فهو جار مجرى خازن الامير فانه لا يرى محسنا بتسليم
خلعة الامير الى من خلع عليه لانه من جهة الامير مضطر الى الطاعة والامتثال لما يرسمه ولا يقدر على مخالفته ولو خلاه الامير ونفسه
لما سلم ذلك اليك فكذلك كل محسن لو خلاه الله تعالى ونفسه لم يبذل حبة من ماله حتى سلط الله الدواعي عليه والقى في نفسه ان
حظه دينا ودنيا في بذله فبذله لذلك والثاني انه معتاض عما بذله حظا هو اوفى عنده واحب مما بذله فكما لا يعد
البايع محسنا لانه بذل بعوض هو احب عنده مما بذله فكذلك الواهب اعتاض الثواب او الحمد والثناء او عوضا اخر وليس

من شرط العوض ان يكون عينا متمولا بل الحظوظ كلها اعواض تستحقر الاموال والاعيان بالاضافة اليها فالاحسان في الجود والجود هو بذل
المال من غير عوض وحظ يرجع الى الباذل وذلك محال من غير الله تعالى فهو الذي انعم على العالمين احسانا اليهم ولاجلهم لا لحظ وغرض
يرجع اليه فانه يتعالى عن الاغراض فلفظ الجود والاحسان في حق غيره كذب او مجاز ومعناه في حق غيره محال وممتنع امتناع الجمع
بين السواد والبياض فهو المنفرد بالجود والاحسان والطول والامتنان فان كان في الطبع حب المحسن فينبغي ان لا يحب العارف الا الله تعالى
اذ الاحسان من غيره محال فهو المستحق لهذه المحبة وحده واما غيره فيستحق المحبة على الاحسان بشرط الجهل بمعنى الاحسان وحقيقته
واما السبب الثالث وهو حبك المحسن في نفسه وان لم يصل اليك احسانه وهذا ايضا موجود في الطباع فانه اذا بلغك
خبر ملك عالم عابد عادل رفيق بالناس متلطف بهم متواضع لهم وهو في قطر من اقطار الارض بعيد عنك وبلغك خبر ملك اخر
ظالم متكبر فاسق متهتك شرير وهو ايضا بعيد عنك فانك تجد في قلبك تفرقة بينهما اذ تجد في القلب ميلا الى الاول وهو الحب
ونفرة عن الثاني وهو البغض مع انك ايس من خير الاول وامن من شر الثاني لانقطاع طمعك عن التوغل الى بلادهما فهذا حب المحسن
من حيث انه محسن فقط لا من حيث انه محسن اليك وهذا ايضا يقتضي حب الله تعالى بل يقتضي ان لا يحب غيره اصلا الا من حيث يتعلق منه
بسبب فان الله هو المحسن الى الكافة والمتفضل على جميع اصناف الخلائق اولا بايجادهم وثانيا بتكميلهم بالاعضاء والاسباب التي هي من ضروراتهم
وثالثا بترفيههم وتنعيمهم بخلق الاسباب التي هي في مظان حاجاتهم وان لم تكن في مظان الضرورة ورابعا بتجميلهم
بالمزايا والزوايد التي هي في مظنة زينتهم وهي خارجة عن ضروراتهم وحاجاتهم ومثال الضروري من الاعضاء الراس والقلب والكبد ومثال
المحتاج اليه العين واليد والرجل ومثال الزينة تقويس الحاجبين وحمرة الشفتين وتلون العينين الى غير ذلك مما لو فات
لم تنخرم به حاجة ولا ضرورة ومثال الضرورة من النعم الخارجة عن بدن الانسان الماء والغذاء ومثال الحاجة الدواء واللحم والفواكه
ومثال المزايا والزوايد خضرة الاشجار وحسن اشكال الانوار والازهار ولذايذ الفواكه والاطعمة التي لا تنخرم بعدمها حاجة ولا
ضرورة وهذه الاقسام الثلثة موجودة لكل حيوان بل لكل نبات بل لكل صنف من اصناف الخلق من ذروة العرش الى منتهى الثرى
فاذا هو المحسن فكيف يكون غيره محسنا وذلك المحسن حسنة من حسنات قدرته فانه خالق الحسن وخالق المحسن وخالق الاحسان
وخالق اسباب الاحسان فالحب بهذه العلة لغيره ايضا جهل محض ومن عرف ذلك لم يحب بهذه العلة الا الله تعالى واما السبب الرابع
وهو حب كل جميل لذات الجمال لا لحظ ينال منه وراء ادراك الجمال فقد بينا ان ذلك مجبول في الطباع وان الجمال ينقسم الى جمال
الصور الظاهرة المدركة بعين الراس والى جمال الصور الباطنة المدركة بعين القلب ونور البصيرة والاول يدركه الصبيان
والبهايم والثاني يختص بدركه ارباب القلوب ولا يشاركهم فيه من لا يعلم الا ظاهرا من الحياة الدنيا وكل جمال فهو محبوب عند
مدرك الجمال فان كان مدركا بالقلب فهو محبوب القلب ومثال هذا في المشاهدة حب الانبياء والعلماء وذوي المكارم المرضية
والاخلاق المرضية فان ذلك متصور مع تشوش صورة الوجه وساير الاعضاء وهو المراد بحسن الصورة الباطنة والحس لا يدركه نعم يدرك
الحس اثاره الصادرة منه الدالة عليه حتى اذا دل العقل عليه مال القلب اليه فاحب فمن يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم والصديق رضي الله عنه
او الشافعي وابا حنيفة رحمهما الله فلا يحبهم الا لحسن ما ظهر له منهم وليس ذلك لحسن صورهم ولكن لحسن افعالهم يدل لحسن الصفات
التي هي مصدر الافعال اذ الافعال اثار صادرة عنها ودالة عليها فمن راى حسن تصنيف المصنف وحسن شعر الشاعر
بل حسن نقش النقاش وبناء البناء انكشف له من هذه الافعال صفاتها الجميلة الباطنة التي يرجع حاصلها عند البحث الى العلم
والقدرة وكلما كان المعلوم اشرف واتم جمالا وعظمة كان العلم اشرف واجل وكذا المقدور وكلما كان اعظم رتبة واجل منزلة كانت
القدرة عليه اجل رتبة واشرف قدرا واجل المعلومات هو الله فلا جرم احسن العلوم واشرفها معرفة الله وكذلك ما يقاربه ويختص
به فشرفه على قدر تعلقه به فاذا جمال صفات الصديقين الذين تحبهم القلوب طبعا يرجع الى ثلثة امور احدها علمهم بالله
وملائكته وكتبه ورسله وشرايع انبيائه والثاني قدرتهم على اصلاح انفسهم واصلاح عباد الله بالارشاد والسياسة
والثالث تنزههم عن الرذايل والخبايث والشهوات الغالبة الصارفة عن سنن الخير الجاذبة الى طريق الشر ومثل هذا

يحب الانبياء والخلفاء والعلماء والملوك الذين هم اهل العدل والكرم فانسب هذه الصفات الى صفات الله تعالى اما
العلم فاين علم الاولين والاخرين من علم الله الذي يحيط بالكل احاطة خارجة عن النهاية حتى لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات
ولا في الارض وقد خاطب الخلق كلهم فقال وما اوتيتم من العلم الا قليلا بل لو اجتمع اهل الارض والسماء على ان يحيطوا بعلمه وحكمته
في تفصيل خلق نملة او بعوضة لم يطلعوا على عشر عشيره ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء والقدر اليسير الذي علمه
الخلائق كلهم فبتعليمه علموه كما قال تعالى خلق الانسان علمه البيان فان كان جمال العلم وشرفه امرا محبوبا وكان هو في نفسه
زينة وكمالا للموصوف به فلا ينبغي ان يحب بهذا السبب الا الله تعالى فعلوم العلماء جهل بالاضافة الى علمه بل من عرف اعلم اهل زمانه
واجهل اهل زمانه استحال ان يحب بسبب العلم الاجهل ويترك الاعلم وان كان الاجهل لا يخلو عن علم ما تتقاضاه معيشته
والتفاوت بين علم الله تعالى وبين علم الخلائق اكثر من التفاوت بين علم اعلم الخلائق واجهلهم لان الاعلم لا يفضل الاجهل الا
بعلوم معدودة متناهية يتصور في الامكان ان ينالها الاجهل بالكسب والاجتهاد وفضل علم الله تعالى على علوم الخلائق
كلهم خارج عن النهاية اذ معلوماته لا نهاية لها ومعلومات الخلق متناهية واما صفة القدرة فهي ايضا كمال والعجز نقص فكل
كمال وبهاء وعظمة ومجد واستيلاء فانه محبوب وادراكه لذيذ حتى ان الانسان ليسمع في الحكاية شجاعة علي وخالد رضي الله عنهما
وغيرهما من الشجعان وقدرتهم واستيلاءهم على الاقران فيصادف في قلبه اهتزازا وفرحا وارتياحا ضروريا بمجرد لذة
السماع فضلا عن المشاهدة ويورث ذلك حبا في القلب ضروريا للمتصف به فانه نوع كمال فانسب الان قدرة الخلق كلهم
الى قدرة الله تعالى فاعظم الاشخاص قوة واوسعهم ملكا واقواهم بطشا واقهرهم للشهوات واقمعهم لخبايث النفس
واجمعهم للقدرة على سياسة نفسه وسياسة غيره ما منتهى قدرته وانما غايته ان يقدر على بعض صفات نفسه وعلى
بعض اشخاص الانس في بعض الامور وهو مع ذلك لا يملك لنفسه موتا ولا حياة ولا نشورا ولا نفعا ولا ضرا بل لا يقدر على
حفظ عينه من العمى ولسانه من الخرس واذنه من الصمم وبدنه من المرض ولا يحتاج الى عد ما يعجز عنه في نفسه وغيره مما هو على
الجملة متعلق بقدرته فضلا عما لا يتعلق به قدرته من ملكوت السموات وافلاكها وكواكبها والارض وجبالها وبحارها ورياحها
وصواعقها ومعادنها ونباتها وحيواناتها وجميع اجزائها فلا قدرة له على ذرة منها وما هو قادر عليه من نفسه وغيره
فليست قدرته من نفسه وبنفسه بل الله خالقه وخالق قدرته وخالق اسبابه والممكن له من ذلك ولو سلط بعوضة على اعظم
ملك واقوى شخص من الحيوانات لاهلكته فليس للعبد قدرة الا بتمكين مولاه كما قال في اعظم ملوك الارض ذي القرنين
انا مكنا له في الارض فلم يكن جميع ملكه وسلطنته الا بتمكين الله تعالى اياه في جزء من الارض والارض كلها مدرة بالاضافة
الى اجسام العالم وجميع الولايات التي يحظى بها الناس من الارض غبرة من تلك المدرة ثم تلك الغبرة ايضا من فضل الله وتمكينه
فيستحيل ان يحب عبدا من عباد الله لكمال قدرته وسياسته وتمكينه واستيلائه وكمال قوته ولا يحبه تعالى لذلك فلا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم فهو الجبار القاهر والعليم القادر السموات مطويات بيمينه والارض وما عليها في
قبضته وناصية جميع المخلوقات في قبضة قدرته ان اهلكهم من عند اخرهم لم ينقص من سلطانه وملكه ذرة وان خلق
امثالهم الف مرة لم يعي بخلقهم ولا يمسه لغوب ولا فتور في اختراعه فلا قدرة ولا قادر الا وهو اثر من اثار قدرته
فله الجمال والبهاء والعظمة والكبرياء والقهر والاستيلاء فان كان يتصور ان يحب قادر لكمال قدرته فلا يستحق الحب
بكمال القدرة سواه اصلا واما صفة التنزه عن العيوب والنقايص والتقدس عن الرذايل والخبايث فهو احد
موجبات الحب ومقتضيات الحسن والجمال في الصور الباطنة والانبياء والصديقون وان كانوا منزهين عن العيوب
والخبايث فلا يتصور كمال التقدس والتنزيه الا للواحد الحق الملك القدوس ذي الجلال والاكرام واما كل مخلوق فلا
يخلو عن نقص وعن نقايص بل كونه عاجزا مخلوقا مسخرا مضطرا هو عين العيب والنقص فالكمال لله وحده وليس لغيره
كمال الا بقدر ما اعطاه الله وليس في المقدور ان ينعم بمنتهى الكمال على غيره فان منتهى الكمال اقل درجاته ان يكون عبدا مسخرا

لغيره وقايما بغيره وذلك محال في حق غيره فهو المتفرد بالكمال المنزه عن النقص المقدس عن العيوب وشرح وجوه
التقديس والتنزيه في حقه عن النقايص يطول وهو من اسرار علوم المكاشفات فلا نطول به فهذا الوصف ايضا ان كان كمالا
وجمالا محبوبا فلا يتم حقيقته الا له وكمال غيره وتنزيهه لا يكون مطلقا بل بالاضافة الى ما هو اشد نقصانا منه كما ان للفرس
كمالا بالاضافة الى الحمار وللانسان كمالا بالاضافة الى الفرس واصل النقص شامل للكل وانما يتفاوتون في درجات النقصان
فاذا الجميل محبوب والجميل المطلق هو الواحد القهار الذي لا ند له الفرد الذي لا ضد له الصمد الذي لا منازع له الغني
الذي لا حاجة له القادر الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه العالم الذي لا يعزب عن علمه مثقال
ذرة في السموات والارض القاهر الذي لا يخرج عن قبضة قدرته اعناق الجبابرة ولا ينفلت عن سطوته وبطشه رقاب القياصرة
الازلي الذي لا اول لوجوده الابدي الذي لا اخر لبقائه الضروري الوجود الذي لا يحوم امكان العدم حول حضرته القيوم
الذي يقوم بنفسه ويقوم كل موجود به جبار السموات والارض خالق الجماد والحيوان والنبات المتفرد بالعزة والجبروت المتوحد
بالملك والملكوت ذو الفضل والجلال والبهاء والجمال والقدرة والكمال الذي تتحير في جلاله العقول وتخرس في وصفه الالسنة
الذي كمال معرفة العارفين الاعتراف بالعجز عن معرفته ومنتهى نبوة الانبياء الاقرار بالقصور عن وصفه كما قال سيد الانبياء انت كما
اثنيت على نفسك لا احصي ثناء عليك قال سيد الصديقين سبحان من لم يجعل للخلق طريقا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته
العجز عن درك الادراك ادراك فليت شعري من ينكر امكان حب الله تعالى تحقيقا ويجعله مجازا اينكر ان هذه الاوصاف من اوصاف
الجمال والمحامد ونعوت الكمال والمحاسن او ينكر كون الله موصوفا بها او ينكر كون الجمال والجلال والكمال والبهاء والعظمة
محبوبا بالطبع عند من ادركه **فسبحان** من احتجب عن بصاير العميان غيرة على جماله وجلاله ان يطلع عليه الا من سبقت
له منه الحسنى الذين هم عن نار الحجاب مبعدون وترك الخاسرين في ظلمات العمى يتيهون وفي مسارح المحسوسات
وشهوات البهايم يترددون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون الحمد لله بل اكثرهم
لا يعلمون والحب بهذا السبب اقوى من الحب بالاحسان لان الاحسان يزيد وينقص ولذلك اوحى الله تعالى
الى داود عليه الصلاة والسلام ان اود الاوداء الي من عبدني بغير نوال ولكن ليعطي الربوبية حقها وفي الزبور من
اظلم ممن عبدني لجنة او نار لو لم اخلق جنة ولا نارا الم اكن اهلا ان اطاع ومر عيسى عليه الصلاة والسلام على طايفة
من العباد قد نحلوا فقالوا نخاف النار ونرجو الجنة فقال لهم مخلوقا خفتم ومخلوقا رجوتم ومر بقوم اخرين كذلك
فقالوا نعبده حبا له وتعظيما لجلاله فقال انتم اولياء الله حقا معكم امرت ان اقيم وقال ابو حازم اني
لاستحيي ان اعبده للعقاب والثواب فاكون كالعبد السوء ان لم يخف لم يعمل وكالاجير السوء ان لم يعط اجرا لم يعمل وفي
الخبر لا يكونن احدكم كالاجير السوء ان لم يعط اجرا لم يعمل ولا كالعبد السوء ان لم يخف لم يعمل **واما السبب الخامس للحب**
فهو المناسبة والمشاكلة لان شبه الشيء منجذب اليه والشكل الى الشكل اميل ولذلك ترى الصبي يالف الصبي والكبير
يالف الكبير ويالف الطير نوعه وينفر عن غير نوعه وانس العالم بالعالم اكثر منه بالمحترف وانس النجار بالنجار اكثر من انسه
بالفلاح وهذا امر تشهد به التجربة وتشهد له الاخبار والاثار كما استقصيناه في باب الاخوة في الله من كتاب اداب الصحبة
فليطلب منه واذا كانت المناسبة سبب المحبة فالمناسبة قد تكون في معنى ظاهر كمناسبة الصبي للصبي في معنى الصبا وقد
تكون خفية حتى لا يطلع عليها كما ترى من الاتحاد الذي يتفق بين شخصين من غير ملاحظة جمال وطمع في مال او غيره كما اشار
اليه عليه الصلاة والسلام اذ قال الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فالتعارف
هو التناسب والتناكر هو التباين وهذا السبب ايضا يقتضي حب الله تعالى لمناسبة باطنة لا ترجع الى المشابهة
في الصور والاشكال بل الى معان باطنة يجوز ان يذكر بعضها في الكتب وبعضها لا يجوز ان يسطر بل يترك تحت غطاء
الغيرة حتى يعثر عليها السالكون للطريق اذا استكملوا شرط السلوك فالذي يذكر هو قرب العبد من ربه في الصفات التي

امر فيها بالاقتداء والتخلق باخلاق الربوبية حتى قيل تخلقوا باخلاق الله وذلك في اكتساب محامد الصفات
التي هي من صفات الالهية من العلم والبر والاحسان واللطف وافاضة الخير والرحمة على الخلق والنصيحة لهم وارشادهم
الى الحق ومنعهم من الباطل الى غير ذلك من مكارم الشريعة فكل ذلك يقرب من الله سبحانه لا بمعنى طلب القرب بالمكان بل
بالصفات **واما** ما لا يجوز ان يسطر في الكتب من المناسبة الخاصة التي اختص بها الادمي فهي التي يومي اليها قوله تعالى
ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي اذ بين انه امر رباني خارج عن حد عقول الخلق واوضح من ذلك قوله تعالى
انا جعلناك خليفة في الارض اذ لم يستحق ادم خلافة الله تعالى الا بتلك المناسبة واليه يرمز قوله صلى الله عليه وسلم ان الله
خلق ادم على صورته حتى ظن القاصرون ان لا صورة الا الصورة الظاهرة المدركة بالحواس فشبهوا وجسموا وصوروا تعالى رب
العالمين كما يقول الجاهلون علوا كبيرا واليه الاشارة بقوله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام مرضت فلم تعدني
فقال وكيف ذلك فقال مرض عبدي فلان ولو عدته لوجدتني وهذه المناسبة لا تظهر الا بالمواظبة على النوافل بعد
احكام الفرايض كما **قال** الله تعالى لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به
وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به **وهذا** موضع يجب قبض عنان القلم فيه فقد تحزب الناس فيه
الى قاصرين مالوا الى التشبيه الظاهر والى غالين مسرفين جاوزوا حد المناسبة الى الاتحاد وقالوا بالحلول
حتى قال بعضهم انا الحق وضل النصارى في عيسى عليه الصلاة والسلام فقالوا هو الاله وقال اخرون تدرع الناسوت
باللاهوت وقال اخرون اتحد به واما الذين انكشف لهم استحالة التشبيه والتمثيل واستحالة الحلول والاتحاد
واتضح لهم مع ذلك حقيقة ذلك السر فهم الاقلون ولعل ابا الحسين النوري عن هذا المقام كان ينظر اذ غلبه الوجد
في قول القائل لا زلت انزل في ودادك منزلا تتحير الالباب عند نزوله فلم يزل يعدو في وجده على اجمة
قصب قد قطعت وبقيت اصوله مثل السيوف حتى تشققت قدماه وتورمتا ومات منه وهذا هو اعظم
اسباب الحب واقواها ومرامه وابعدها واقلها وجودا فهذه هي المعلوم من اسباب الحب وجملة ذلك متظاهرة
في حق الله تعالى تحقيقا لا مجازا وفي اعلى الدرجات لا في ادناها فكان المعقول المقبول عند ذوي البصاير حب الله تعالى فقط
كما كان المعقول المنكر عند العميان حب غير الله فقط ثم كل من يحب من الخلق بسبب من هذه الاسباب يتصور ان يحب غيره
لمشاركته اياه في السبب والشركة نقصان في الحب وغض من كماله ولا يتفرد احد بوصف محبوب الا وقد يوجد له شريك
فيه فان لم يوجد فيمكن ان يوجد الا الله تعالى فانه موصوف بهذه الاوصاف التي هي نهاية الجلال والكمال ولا شريك له فيه
وجودا ولا يتصور ان يكون ذلك امكانا فلا جرم لا يكون في حبه شركة فلا يتطرق النقصان الى حبه كما لا يتطرق الشركة الى صفاته
فهو المستحق اذا لاصل المحبة ولكمال المحبة استحقاقا لا يساهم فيه اصلا

بيان ان اجل اللذات واعلاها

اعلم ان اللذات تابعة للادراكات والانسان جامع جملة من القوى والغرايز ولكل قوة وغريزة لذة ولذتها في نيلها لمقتضى طبعها
الذي خلقت له فان هذه الغرايز ما ركبت في الانسان عبثا بل ركبت كل قوة وغريزة لامر من الامور هو مقتضاها بالطبع
فغريزة الغضب خلقت للتشفي والانتقام فلا جرم لذتها في الغلبة والانتقام الذي هو مقتضى طبعها وغريزة شهوة الطعام
مثلا خلقت لتحصيل الغذاء الذي به القوام فلا جرم لذتها في نيل الغذاء الذي هو مقتضى طبعها وكذلك لذة السمع والبصر
والشم في الابصار والاستماع والاشمام فلا تخلو غريزة من هذه الغرايز عن الم ولذة بالاضافة الى مدركاتها فكذلك في القلب غريزة
تسمى النور الالهي لقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وقد تسمى العقل وقد تسمى البصيرة الباطنة
وقد تسمى نور الايمان واليقين فلا معنى للاشتغال بالاسامي فان الاصطلاحات مختلفة والضعيف يظن ان الاختلاف
واقع في المعاني لان الضعيف يطلب المعاني من الالفاظ وهو عكس الواجب فالقلب مفارق لساير اجزاء البدن بصفة
بها يدرك المعاني التي ليست متخيلة ولا محسوسة كادراكه خلق العالم وافتقاره الى خالق مدبر حكيم موصوف بصفات الهية

واسم تلك الغريزة عقل بشرط ان لا يفهم من لفظ العقل ما يدرك به طرق المجادلة والمناظرة فقد اشتهر لفظ العقل بهذا
ولهذا ذمه بعض الصوفية والا فالصفة التي بها فارق الانسان البهايم وبها يدرك معرفة الله تعالى اعز الصفات فلا ينبغي ان
تذم وهذه الغريزة خلقت ليعلم بها حقايق الامور كلها فمقتضى طبعها المعرفة والعلم وهي لذتها كما ان مقتضى جميع ساير الغرايز
هي لذتها وليس يخفى ان في العلم والمعرفة لذة حتى ان الذي ينسب الى العلم ولو في شي خسيس يفرح به والذي ينسب الى الجهل ولو في شي حقير يغتم
به وحتى ان الانسان لا يكاد يصبر عن التحدي بالعلم والتمدح به في الاشياء الحقيرة فالعالم باللعب بالشطرنج على خسته لا يطيق
السكوت عن التعليم وينطلق لسانه بذكر ما يعلمه وكل ذلك لفرط لذة العلم وما يستشعره من كمال ذاته به فان العلم من اخص صفات
الربوبية وهي منتهى الكمال ولذلك يرتاح الطبع اذا اثني عليه بالذكاء وغزارة العلم فانه يستشعر عند سماع الثناء كمال ذاته وكمال
علمه فيعجب بنفسه ويتلذذ به ثم ليس لذة العلم بالحراثة والخياطة كلذة العلم بسياسة الملك وتدبير امر الخلق ولا لذة العلم بالنحو والشعر
كلذة العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وملكوت السموات والارض بل لذة العلم بقدر شرف العلوم حتى ان الذي يعرف بواطن احوال
الناس ويخبر بذلك يجد له لذة وان جهله تقاضاه طبعه ان يتفحص عنه فان علم بواطن احوال رئيس البلد واسرار تدبيره في رياسته
كان ذلك الذ عنده واطيب من علمه بباطن حال فلاح او حايك فان اطلع على اسرار الوزير وتدبيره وما هو عازم عليه من
امر الوزارة فهو اشهى عنده والذ من علمه باسرار الرئيس فان كان خبيرا بباطن احوال الملك والسلطان الذي هو المستولي على
الوزير كان ذلك اطيب عنده والذ من علمه بباطن امور الوزير وكان تمدحه بذلك وحرصه على البحث عنه اشد وحبه له اكثر لان لذته فيه
اعظم فبهذا استبان ان الذ المعارف اشرفها وشرفها بحسب شرف العلوم فان كان في المعلومات ما هو الاجل والاكمل والاشرف والاعظم
فالعلم به الذ العلوم لا محالة واشرفها واطيبها وليت شعري هل في الوجود شي اجل واعلى واشرف واجل واعظم من خالق الاشيا
كلها ومكملها ومرتبها ومبديها ومعيدها ومدبرها ومربيها وهل يتصور ان تكون حضرة في الملك والكمال والجمال والبهاء والجلال
اعظم من الحضرة الربوبية التي لا يحيط بمبادي جلالها وعجايب احوالها وصف الواصفين فان كنت لا تشك في ذلك
فلا ينبغي ان تشك في ان الاطلاع على اسرار الربوبية والعلم بترتيب الامور الالهية المحيطة بكل الموجودات هو اعلى انواع
المعارف والاطلاعات والذها واطيبها واشهاها واحرى ما تستشعر النفوس عند الاتصاف به كمالها وجمالها
واجدر بان يعظم به الفرح والارتياح والاستبشار وبهذا يتبين ان العلم لذيذ وان الذ العلوم العلم بالله تعالى وصفاته
وافعاله وتدبيره في مملكته من منتهى عرشه الى تخوم الارضين فينبغي ان تعلم ان لذة المعرفة اقوى من ساير اللذات اعني
لذة الشهوة والغضب ولذة ساير الحواس الخمس فان اللذات مختلفة اولا بالنوع كمخالفة لذة الوقاع للذة السماع ولذة المعرفة
ولذة الرياسة وهي مختلفة بالضعف والقوة كمخالفة لذة الشبق المغتلم من الجماع بالاضافة الى لذة الفاتر الشهوة وكمخالفة لذة
النظر الى الوجه الجميل البالغ الفايق في الجمال للذة النظر بالاضافة الى ما دونه في الجمال وانما تعرف اقوى اللذات بان تكون موثرة
على غيرها فان المخير بين النظر الى صورة جميلة والتمتع بمشاهدتها وبين استنشاق روايح طيبة اذا اختار النظر الى الصورة علم به
ان الصورة الجميلة عنده الذ من الروايح الطيبة وكذلك اذا احضر الطعام في وقت الاكل واستمر اللاعب بالشطرنج على
اللعب وترك الاكل فيعلم به ان لذة الغلبة في الشطرنج اقوى عنده من لذة الاكل فهذا معيار صادق في الكشف عن ترجيح اللذات
فنعود ونقول اللذات تنقسم الى ظاهرة كلذات الحواس الخمس والى باطنة كلذة الرياسة والغلبة والكرامة والعلم وغيره
اذ ليست هذه اللذات للعين ولا للانف ولا للاذن ولا للمس ولا للذوق والمعاني الباطنة اغلب على ذوي الكمال من اللذات
الظاهرة فلو خير الرجل بين لذة الهريسة والدجاج المسمن واللوزينج وبين لذة الرياسة وقهر الاعداء ونيل درجة
الاستيلاء فان كان المخير خسيس الهمة ميت القلب شديد البهيمية اختار لذة الهريسة والحلاوة وان كان علي الهمة
كامل العقل اختار الرياسة وهان عليه الجوع والصبر عن ضرورة القوت اياما كثيرة فاختيار الرياسة يدل على انها الذ
عنده من الهريسة والمطعومات نعم الناقص الذي لم تكمل معانيه الباطنة بعد كالصبي او الذي ماتت قواه الباطنة

كالمعتوه لا يبعد ان يوثر لذة المطعومات على لذة الرياسة وكما ان لذة الرياسة والكرامة اغلب اللذات على من جاوز نقصان
الصبي والعته فلذة معرفة الله ومطالعة جمال الحضرة الربوبية والنظر الى اسرار الامور الالهية الذ من الرياسة التي
هي اعلى اللذات الغالبة على الخلق وغاية العبارة عنه ان يقال فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وانه اعد لهم
ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهذا الان لا يعرفه الا من ذاق اللذتين جميعا فانه
لا محالة يوثر التبتل والتفرد والتفكر والذكر وينغمس في بحار المعرفة ويترك الرياسة ويستحقر الخلق الذين يرأسهم
لعلمه بفناء رياسته وفناء من عليه رياسته وكونه مشوبا بالكدورات التي لا يتصور الخلو عنها وكونه مقطوعا بالموت الذي
لا بد من اتيانه مهما اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها فيستعظم بالاضافة اليه لذة معرفة
الله تعالى ومطالعة صفاته وافعاله ونظام مملكته من اعلى عليين الى اسفل السافلين فانها خالية عن المزاحمات
والمكدرات متسعة للمتواردين عليها لا تضيق عنهم بكثرتهم وانما عرضها من حيث التقدير السموات والارض
فاذا خرج النظر الى المقدورات فلا نهاية لعرضها فلا يزال العارف بمطالعتها في جنة عرضها السموات والارض يرتع
في رياضها ويقطف من ثمارها ويكرع في حياضها وهو آمن من انقطاعها اذ ثمار هذه الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة
ثم هي ابدية سرمدية لا يقطعها الموت اذ الموت لا يهدم محل معرفة الله تعالى ومحلها الروح الذي هو امر رباني سماوي
وانما الموت يغير احوالها ويقطع شواغلها وعوايقها ويخليها من حبسها فاما ان يعدمها فلا ولا تحسبن الذين قتلوا
في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم
الاية ولا تظنن ان هذا مخصوص بالمقتول في المعركة فان للعارف بكل نفس درجة الف شهيد وفي الخبر
ان الشهيد يتمنى في الاخرة ان يرد الى الدنيا فيقتل مرة اخرى لعظم ما يراه من ثواب الشهادة وان الشهداء
يتمنون لو كانوا علماء لما يرونه من علو درجة العلماء فاذا جميع اقطار السموات والارض ميدان العارف
يتبوأ منها حيث يشاء من غير حاجة الى ان يحرك اليها جسمه وشخصه فهو من مطالعة جمال الملكوت في جنة عرضها
السموات والارض وكل عارف فله مثلها من غير ان يضيق بعضهم على بعض اصلا الا انهم يتفاوتون في سعة منتزهاتهم
بقدر تفاوتهم في اتساع نظرهم وسعة معارفهم وهم درجات عند الله ولا يدخل في الحصر تفاوت درجاتهم
فقد ظهر ان لذة الرياسة وهي باطنة اقوى في ذوي الكمال من لذة الحواس كلها وان هذه اللذة لا تكون للبهيمة
والصبي والمعتوه وان لذة المحسوسات والشهوات تكون لذوي الكمال مع لذة الرياسة ولكن يوثرون الرياسة
فاما كون معرفة الله وصفاته وافعاله وملكوت سماواته واسرار ملكه اعظم لذة من الرياسة فهذا يختص بمعرفته من نال
رتبة المعرفة وذاقها ولا يمكن اثبات ذلك عند من لا قلب له لان القلب معدن هذه القوة كما لا يمكن اثبات رجحان لذة
الوقاع على لذة اللعب بالصولجان عند الصبيان ولا رجحانه على لذة البنفسج عند الاخشم كما لا تدرك لذة الوقاع عند العنين
لانه فقد الصفة التي بها تدرك هذه اللذات ولكن من سلم من آفة العنة وسلم حاسة شمه ادرك التفاوت
بين اللذتين وعند هذا لا يبقى الا ان يقال من ذاق عرف ولعمري طلاب العلوم وان لم يشتغلوا
بطلب الامور الالهية فقد استنشقوا رائحة هذه اللذة عند انكشاف المشكلات وانحلال الشبهات التي قوي
حرصهم على طلبها فانها ايضا معارف وعلوم وان كانت معلوماتها غير شريفة شرف المعلومات الالهية فاما
من طال فكره في معرفة الله سبحانه وقد انكشف له من اسرار ملك الله تعالى ولو الشي اليسير فانه يصادف في قلبه عند حصول
الكشف من الفرح ما يكاد يطير به ويتعجب من نفسه في ثباته واحتماله لقوة فرحه وسروره وهذا مما لا يدرك الا
بالذوق والحكاية فيه قليلة الجدوى فهذا القدر ينبهك على ان معرفة الله سبحانه الذ الاشيا وانه لا لذة فوقها
ولهذا قال ابو سليمان الداراني ان لله عبادا ليس يشغلهم عن الله خوف النار ولا رجاء الجنة فكيف تشغلهم الدنيا

عن الله ولذلك قال بعض اخوان معروف لمعروف اخبرني يا ابا محفوظ اي شيء هاجك الى العبادة والانقطاع عن الخلق فسكت
وقال ذكر الموت فقال واي شيء الموت فقال ذكر القبر والبرزخ فقال واي شيء القبر فقال
خوف النار ورجاء الجنة فقال واي شيء هذا ان ملكا بيده هذا كله ان احببته انساك جميع ذلك وان كانت
بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا وفي اخبار عيسى عليه الصلاة والسلام اذا رايت الفتى مشغوفا في طلب الرب
تعالى فقد الهاه ذلك عما سواه ورأى بعض الشيوخ بشر بن الحارث في المنام فقال ما فعل ابو نصر التمار وعبد
الوهاب الوراق قال تركتهما الساعة بين يدي الله تعالى يأكلان ويشربان قلت فانت قال علم الله قلة رغبتي
في الاكل والشرب فاعطاني النظر اليه وعن علي بن الموفق انه قال رايت في المنام كاني ادخلت الجنة فرايت رجلا
قاعدا على مائدة وملكان عن يمينه وشماله يلقمانه من جميع الطيبات وهو ياكل ورايت رجلا قائما على باب الجنة يتصفح وجوه
قوم فيدخل بعضا ويرد بعضا قال ثم جاوزتهما الى حضيرة القدس فرايت في سرادق العرش رجلا قد شخص ببصره
ينظر الى الله تعالى لا يطرف فقلت لرضوان من هذا فقال معروف الكرخي عبد الله لا خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته بل
حبا له فاباحه الله تعالى النظر اليه الى يوم القيامة وذكر ان الاخرين بشر بن الحارث واحمد بن حنبل ولذلك قال ابو سليمان
من كان اليوم مشغولا بنفسه فهو غدا مشغول بنفسه ومن كان اليوم مشغولا بربه فهو غدا مشغول بربه وقال الثوري لرابعة
ما حقيقة ايمانك قالت ما عبدته خوفا من ناره ولا حبا لجنته فاكون كالاجير السوء بل عبدته حبا له وشوقا اليه وقالت في معنى

احبك حبين حب الهوى ❊ وحبا لانك اهل لذاكا
فاما الذي هو حب الهوى ❊ فشغلي بذكرك عمن سواكا
واما الذي انت اهل له ❊ فكشفك لي الحجب حتى اراكا
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ❊ ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

ولعلها ارادت بحب الهوى حب الله لاحسانه اليها وانعامه عليها بحظوظ العاجلة وبحبه لما هو اهل له الحب لجماله وجلاله
الذي انكشف لها وهو اعلى الحبين واقواهما ولذة مطالعة جمال الربوبية هي التي عبر عنها عليه الصلاة والسلام حيث قال
حاكيا عن ربه اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقد تعجل بعض هذه اللذات في الدنيا
لمن انتهى صفاء قلبه الى الغاية ولذلك قال بعضهم اني لاقول يا الله يا رب فاجد ذلك اثقل على قلبي من الجبال لان النداء يكون من وراء
حجاب وهل رايت جليسا ينادي جليسه وقال اذا بلغ الرجل في هذا العلم الغاية رماه الخلق بالحجارة اي يخرج كلامه عن حد
عقولهم فيرون ما يقوله جنونا او كفرا فمقصد العارفين كلهم وصله ولقاؤه فقط فهي قرة العين التي لا تعلم نفس ما اخفي
لهم منها واذا حصلت انمحقت الهموم والشهوات كلها وصار القلب مستغرقا بنعيمها فلو القي في النار لم يحس بها لاستغراقه
ولو عرض عليه نعيم الجنة لم يلتفت اليه لكمال نعمه وبلوغه الغاية التي ليس فوقها غاية وليت شعري من لم يفهم الا حب المحسوسات
كيف يؤمن بلذة النظر الى وجه الله تعالى وما له صورة ولا شكل واي معنى لوعد الله تعالى به عباده وذكره انه اعظم النعم بل من عرف
الله عرف ان اللذات المفرقة بالشهوات المختلفة كلها تنطوي تحت هذه اللذة كما قال بعضهم

كانت لقلبي اهواء مفرقة ❊ فاستجمعت مذ راتك العين اهوائي
فصار يحسدني من كنت احسده ❊ وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي
تركت للناس دنياهم ودينهم ❊ شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي

وكذلك قال بعضهم

وهجره اعظم من ناره ❊ ووصله اطيب من جنته

وما ارادوا بهذا الا ايثار لذة القلب في معرفة الله تعالى على لذة الاكل والشرب والنكاح فان الجنة معدن تمتع الحواس فاما
القلب فلذته في لقاء الله فقط ومثال اطوار الخلق في لذاتهم ما نذكره وهو ان الصبي في اول حركته وتمييزه تظهر فيه
غريزة بها يستلذ اللعب واللهو حتى يكون ذلك عنده الذ من سائر الاشياء ثم تظهر من بعده لذة الزينة ولبس الثياب

وركوب الدواب فيستحقر معها اللعب ثم تظهر بعده لذة الوقاع وشهوة النساء فيترك بها جميع ما قبلها في الوصول اليها
ثم تظهر لذة الرياسة والعلو والتكاثر وهي اخر لذات الدنيا واعلاها واقواها كما قال تعالى انما الحيوة الدنيا لعب ولهو
وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد ❊ ثم بعد هذا تظهر غريزة اخرى يدرك بها لذة معرفة الله ومعرفة افعاله
فيستحقر معها جميع ما قبلها وكل متاخر فهو اقوى وهذا هو الاخير اذ يظهر حب اللعب في سن التمييز وحب النساء والزينة
في سن البلوغ وحب الرياسة بعد العشرين وحب العلوم بعد الاربعين وهي الغاية العليا وكما ان الصبي يضحك على من يترك
اللعب ويشتغل بملاعبة النساء وطلب الرياسة فكذلك الرؤساء يضحكون على من يترك الرياسة ويشتغل بمعرفة الله تعالى
والعارفون يقولون ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون

بيان السبب في زيادة لذة

اعلم ان المدركات تنقسم الى ما يدخل في الخيال كالصور المتخيلة والاجسام المتلونة المتشكلة في اشخاص الحيوان والنبات
والى ما لا يدخل في الخيال كذات الله تعالى وكل ما ليس بجسم كالعلم والقدرة والارادة وغيرها ومن راى انسانا ثم غض بصره
وجد صورته حاضرة في خياله كانه ينظر اليها ولكن اذا فتح العين وابصره ادرك تفرقة بينهما ولا ترجع التفرقة الى
اختلاف بين الصورتين لان الصورة المرئية تكون موافقة للمتخيلة وانما الافتراق بمزيد الوضوح والكشف فان
صورة المرئي صارت بالرؤية اتم انكشافا ووضوحا وهو كشخص يرى في وقت الاسفار قبل انتشار ضوء النهار ثم
يرى عند تمام الضوء فانه لا يفارق احدى الحالتين الاخرى الا في مزيد الانكشاف فاذا الخيال اول الادراك والرؤية
هو استكمال لادراك الخيال وهو غاية الكشف ويسمى ذلك رؤية لانه غاية الكشف لا لانه في العين بل لو خلق هذا
الادراك الكامل المكشوف في الجبهة او الصدر مثلا لاستحق ان يسمى رؤية واذا فهمت هذا في المتخيلات فاعلم ان المعلومات
التي لا تتشكل في الخيال ايضا لمعرفتها وادراكها درجتان احداهما اولى والثانية استكمال لها وبين الثانية والاولى
من التفاوت في مزيد الكشف والايضاح ما بين المتخيل والمرئي فيسمى الثانية بالاضافة الى الاولى مشاهدة
ولقاء ورؤية وهذه التسمية حق لان الرؤية سميت رؤية لانها غاية الكشف وكما ان سنة الله جارية بان تطبيق
الاجفان يمنع من تمام الكشف بالرؤية ويكون حجابا بين البصر والمرئي ولا بد من ارتفاع الحجاب لحصول الرؤية وما لم
يرتفع كان الادراك الحاصل مجرد التخيل فكذلك مقتضى سنة الله تعالى ان النفس ما دامت محجوبة بعوارض البدن
ومقتضى الشهوات وما غلب عليها من الصفات البشرية فانها لا تنتهي الى المشاهدة واللقاء في المعلومات
الخارجة عن الخيال بل هذه الحياة حجاب عنها بالضرورة كحجاب الاجفان عن رؤية الابصار والقول في سبب كونها حجابا
يطول ولا يليق بهذا العلم ولذلك قال تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام لن تراني وقال تعالى لا تدركه الابصار اي في الدنيا
والصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما راى الله تعالى ليلة المعراج فاذا ارتفع الحجاب بالموت بقيت النفس ملوثة
بكدورات الدنيا غير منفكة عنها بالكلية وان كانت متفاوتة فمنها ما تراكم عليه الخبث والصدأ فصار كالمرآة
التي فسد بطول تراكم الخبث جوهرها فلا تقبل الاصلاح والتصقيل وهؤلاء هم المحجوبون عن ربهم ابد الاباد
نعوذ بالله منه ومنها ما لم ينته الى حد الرين والطبع ولم يخرج عن قبول التزكية والتصقيل فيعرض على النار عرضا
يقمع منه الخبث الذي هو متدنس به ويكون العرض على النار بقدر الحاجة الى التزكية واقلها لحظة خفيفة واقصاها في حق
المؤمنين كما وردت به الاخبار سبعة الاف سنة ولن ترتحل نفس عن هذا العالم الا ويصحبها غبرة وكدورة وان قلت
ولذلك قال تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فكل
نفس مستيقنة للورود على النار وغير مستيقنة للصدر عنها فاذا اكمل الله تطهيرها وتزكيتها وبلغ الكتاب اجله
ووقع الفراغ عن جملة ما وعد به الشرع من العرض والحساب وغيره ورأى استحقاق الجنة وذلك وقت مبهم لم يطلع عليه
احدا من خلقه فانه واقع بعد القيامة ووقت القيامة مجهول تجرد لا يستعبد بصفائه ونقائه عن الكدورات حيث لا

بل هو وجه غيرة ولا فترة لان تجلى الحق سبحانه وتعالى يتجلى له تجليا يكون انكشاف تجليه بالاضافة الى ما علمه
كانكشاف تجلى المرئيات الى ما تخيله وهذه المشاهدة والتجلي هي التي تسمى رؤية فاذا الرؤية حق بشرط ان لا يفهم
من الرؤية استكمال الخيال في متخيل متصور مخصوص بجهة ومكان فان ذلك مما يتعالى عنه رب الارباب علوا كبيرا بل كما عرفته في الدنيا معرفة
حقيقية تامة من غير تخيل وتصور وتقدير شكل وصورة فتراه في الآخرة كذلك بل اقول المعرفة الحاصلة في الدنيا بعينها هي
التي تستكمل فتبلغ كمال الكشف والوضوح وتنقلب مشاهدة ولا يكون بين المشاهدة في الآخرة والمعلوم في الدنيا اختلاف الا من
حيث زيادة الكشف والوضوح كما ضربنا في المثال من استكمال الخيال بالرؤية واذا لم يكن في معرفة الله تعالى اثبات صورة
وجهة فلا تكون في استكمال تلك المعرفة بعينها وترقيها في الوضوح الى غاية الكشف ايضا جهة وصورة لانها هي بعينها لا تفترق الا في زيادة
الكشف كما ان الصورة المرئية هي المتخيلة بعينها الا في زيادة الكشف واليه الاشارة بقوله تعالى نورهم يسعى بين
ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا اذ تمام النور لا يؤثر الا في زيادة الكشف ولهذا لا يفوز بدرجة النظر
والرؤية الا العارفون في الدنيا لان المعرفة هي البذر الذي ينقلب في الآخرة مشاهدة كما تنقلب النواة شجرة والحب زرعا
ومن لا نواة في ارضه كيف يحصل له نخل ومن لم يزرع الحب كيف يحصد الزرع فكذلك من لم يعرف الله في الدنيا فكيف
يراه في الآخرة ولما كانت المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلي ايضا على درجات متفاوتة فاختلاف التجلي بالاضافة الى اختلاف
المعارف كاختلاف النبات بالاضافة الى اختلاف البذر اذ تختلف لا محالة بكثرتها وقلتها وحسنها وقوتها وضعفها
ولذلك **قال** النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يتجلى للناس عامة ولابي بكر خاصة فلا ينبغي ان يظن ان غير ابي بكر ممن هو دونه
يجد من لذة النظر والمشاهدة ما يجده ابو بكر بل لا يجد الا عشر عشيره ان كانت معرفته في الدنيا عشر عشيره
ولما فضل الناس بسر وقر في صدره فضل لا محالة بتجل انفرد به وكما انك ترى في الدنيا من يؤثر لذة الرياسة
على لذة المنكوح والمطعوم وترى من يؤثر لذة العلم والانكشاف في مشكلات ملكوت السموات والارض وسائر الامور الالهية
على الرياسة وعلى المنكوح والمطعوم والمشروب جميعا فكذلك يكون في الآخرة قوم يؤثرون لذة النظر الى وجه الله تعالى
على نعيم الجنة اذ يرجع نعيمها الى المنكوح والمطعوم وهؤلاء بعينهم هم الذين حالهم في الدنيا ما وصفناه من ايثار
لذة العلم والمعرفة والاطلاع على اسرار الربوبية على لذة المنكوح والمطعوم والمشروب وسائر الخلق مشغولون
به ولذلك لما قيل لرابعة ما تقولين في الجنة فقالت الجار ثم الدار فبينت انه ليس في قلبها التفات الى الجنة بل الى رب
الجنة وكل من لم يعرف الله في الدنيا فلا يراه في الآخرة وكذلك كل من لم يجد لذة المعرفة في الدنيا فلا يجد لذة النظر
في الآخرة اذ ليس يستأنف لاحد في الآخرة ما لم يصحبه من الدنيا ولا يحصد احد الا ما زرع ولا يحشر المرء الا على
ما مات عليه ولا يموت الا على ما عاش عليه فما صحبه من المعرفة هو الذي يتنعم به بعينه فقط الا انه ينقلب مشاهدة
بكشف الغطاء فتتضاعف اللذة به كما تتضاعف لذة العاشق اذا استبدل بخيال صورة المعشوق رؤية
صورته فان ذلك منتهى لذته وانما طيبة الجنة ان لكل احد فيها ما يشتهي فمن لا يشتهي الا لقاء الله
تعالى فلا لذة له في غيره بل ربما يتأذى به فاذا نعيم الجنة بقدر حب الله تعالى وحب الله تعالى بقدر معرفته فاصل السعادات
هي المعرفة التي عبر عنها الشرع بالايمان **فان قلت** فلذة الرؤية ان كانت لها نسبة الى لذة المعرفة فهي
قليلة وان كانت اضعافها لان لذة المعرفة في الدنيا ضعيفة فتضاعفها الى حد قريب لا ينتهي في القوة الى ان يستحقر سائر
لذات الجنة فيها **فاعلم** ان هذا الاستحقار للذة المعرفة صدر من الخلو عن المعرفة فمن خلا عن المعرفة كيف يدرك لذتها وان
انطوى على معرفة ضعيفة وقلبه مشحون بعلائق الدنيا فكيف يدرك لذتها فللعارفين في معرفتهم وفكرهم ومناجاتهم
لله تعالى لذات لو عرضت عليهم الجنة في الدنيا بدلا عنها لم يستبدلوا بها ثم هذه اللذات مع كمالها لا نسبة لها اصلا
الى لذة اللقاء والمشاهدة كما لا نسبة للذة خيال المعشوق الى رؤيته ولا للذة استنشاق روائح الاطعمة الشهية

الى ذوقها ولا للذة اللمس باليد الى لذة الوقاع واظهار عظم التفاوت بينهما لا يمكن الا بضرب مثال فنقول
لذة النظر الى وجه المعشوق في الدنيا تتفاوت باسباب احدها كمال جمال المعشوق ونقصانه فان اللذة
في النظر الى الاجمل اكمل لا محالة والثاني كمال قوة الحب والشهوة والعشق فليس التذاذ من اشتد عشقه كالتذاذ من ضعف
شهوته وحبه والثالث كمال الادراك فليس التذاذه برؤية المعشوق في ظلمة او من وراء ستر رقيق او من بعد
كالتذاذه بادراكه على قرب من غير ستر وعند كمال الضوء ولا ادراك لذة المضاجعة مع ثوب حائل كادراكه
مع التجرد والرابع اندفاع العوائق المشوشة والآلام الشاغلة للقلب فليس التذاذ الصحيح الفارغ المتجرد
للنظر الى المعشوق كالتذاذ الخائف المذعور او المريض المتألم او المشغول قلبه بمهم من المهمات فقدر عاشقا
ضعيف العشق ينظر الى وجه معشوقه من وراء ستر رقيق على بعد بحيث يمنع انكشاف كنه صورته في حالة اجتمع عليه
عقارب وزنابير تؤذيه وتلدغه وتشغل قلبه فهو في هذه الحالة لا يخلو عن لذة ما من مشاهدة معشوقه
فلو طرأت على الفجاءة حالة انهتك بها الستر واشرق بها الضوء واندفع عنه المؤذيات وبقي سليما فارغا وهجمت
عليه الشهوة القوية والعشق المفرط حتى بلغ اقصى الغايات فانظر كيف تتضاعف اللذة حتى لا يبقى للاولى اليها نسبة
يعتد بها فكذلك فافهم نسبة لذة النظر الى لذة المعرفة فالستر الرقيق مثال البدن والاشتغال به والعقارب والزنابير
مثال الشهوات المتسلطة على الانسان من الجوع والعطش والغضب والغم والحزن وضعف الشهوة والحب مثال
لقصور النفس في الدنيا ونقصانها عن الشوق الى الملأ الاعلى والتفاتها الى اسفل السافلين وهذا مثل قصور الصبي
عن ملاحظة لذة الرياسة والتفاته الى اللعب بالعصفور والعارف وان قويت في الدنيا معرفته فلا يخلو عن
هذه المشوشات ولا يتصور ان يخلو عنها البتة نعم قد يضعف هذه العوائق في بعض الاحوال ولا تدوم فلا جرم
يلوح من جمال المعرفة ما يبهت العقل وتعظم لذته بحيث يكاد القلب يتفطر لعظمته ولكن يكون ذلك كالبرق الخاطف
وقلما يدوم بل يعرض من الشواغل والافكار والخواطر ما يشوشه وينغصه وهذه ضرورة قائمة في هذه الحياة الفانية فلا
تزال هذه اللذة منغصة الى الموت وانما الحياة الطيبة بعد الموت وانما العيش عيش الآخرة وان الدار الآخرة
لهي الحيوان لو كانوا يعلمون فكل من انتهى الى هذه الرتبة فانه يحب لقاء الله تعالى فيحب الموت ولا يكرهه الا من حيث
ينتظر زيادة استكمال في المعرفة فان المعرفة كالبذر وبحر المعرفة لا ساحل له ولا احاطة بكنه جلال الله
تعالى وكلما كثرت المعرفة بالله وبصفاته وبافعاله وباسرار مملكته وقويت كثرت النعم في الآخرة
وعظمت كما انه كلما كثر البذر وحسن كثر الزرع وحسن ولا يمكن تحصيل هذا البذر الا في الدنيا ولا يزرع
الا في صعيد القلب ولا حصاد الا في الآخرة ولهذا قال عليه الصلاة والسلام افضل السعادات طول
العمر في طاعة الله لان المعرفة انما تكمل وتكثر وتتسع في العمر الطويل بمداومة الفكر والمواظبة على المجاهدة
والانقطاع عن علائق الدنيا والتجرد للطلب ويستدعي ذلك زمانا لا محالة فمن احب الموت احبه لا محالة
لانه رأى نفسه واقفا في المعرفة بالغا الى منتهى ما يسر له ومن كره الموت كرهه لانه كان يؤمل مزيد معرفة
تحصل له بطول العمر ورأى نفسه مقصرا عما تحتمله قوته لو عمر فهذا سبب كراهة الموت وحبه
عند اهل المعرفة واما سائر الخلق فنظرهم مقصور على شهوات الدنيا ان اتسعت احبوا البقاء وان
ضاقت تمنوا الموت وكل ذلك حرمان وخسران مصدره الجهل والغفلة والجهل والغفلة مغرس كل
شقاوة والعلم والمعرفة اساس كل سعادة فقد عرفت بما ذكرناه معنى الحب ومعنى العشق فانه المحبة
المفرطة القوية ومعنى لذة المعرفة ومعنى الرؤية ومعنى لذة الرؤية ومعنى كونها الذ من سائر اللذات عند
ذوي الكمال وان لم يكن كذلك عند اهل النقصان كما لم تكن الرياسة الذ من المطعومات عند الصبيان

فان قلت فهذه الرؤيا محلها القلب او العين في الآخرة فاعلم ان الناس قد اختلفوا فيه وارباب البصاير لا يلتفتون الى ذلك ولا ينظرون فيه بل العاقل ياكل البقل ولا يسال عن المبقلة ومن يشتهي رؤية معشوقه يشغله عشقه عن ان يلتفت الى ان رؤيته تخلق في عينه او في جبهته بل يقصد الرؤية ولذتها سواء كانت بالعين او بغيره فان العين محل وظرف لا نظر اليه ولا حكم له والحق فيه ان القدرة الازلية واسعة فلا يجوز ان يحكم عليها بالقصور عن احد الامرين هذا في حكم الجواز فاما الواقع في الآخرة من الجايزين فلا يدرك الا بالسمع والحق ما ظهر لاهل السنة والجماعة من شواهد الشرع ان ذلك يخلق في العين ليكون لفظ الرؤية والنظر وساير الالفاظ الواردة في الشرع مجرى على ظاهره اذ لا يجوز ازالة الظاهر الا بضرورة ۞

بيان الاسباب المقوية لحب الله تعالى

اعلم ان اسعد الخلق حالا في الآخرة اقواهم حبا لله تعالى فان الآخرة معناها القدوم على الله ودرك سعادة لقائه وما اعظم نعيم المحب اذا قدم على محبوبه بعد طول شوقه وتمكن من دوام مشاهدته ابد الآباد من غير منغص ومكدر ومن غير رقيب ومزاحم ومن غير خوف انقطاع الا ان هذا النعيم على قدر قوة الحب فكلما ازداد الحب ازدادت اللذة وانما يكتسب العبد حب الله تعالى في الدنيا واصل الحب لا ينفك عنه مومن لانه لا ينفك عن اصل المعرفة واما قوة الحب واستيلاؤه حتى ينتهي الى الاستهتار الذي يسمى عشقا فذلك ينفك عنه الاكثرون وانما يحصل ذلك بسببين • احدهما قطع علايق الدنيا واخراج حب غير الله من القلب فان القلب مثل الاناء الذي لا يتسع للخل مثلا ما لم يخرج منه الماء وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وكمال الحب ان يحب الله بكل قلبه فما دام يلتفت الى غيره فزاوية من قلبه مشغولة بغيره فبقدر ما يشتغل بغير الله ينقص منه حب الله وبقدر ما يبقى من الماء في الاناء ينقص من الخل المصبوب فيه والى هذا التفريد والتجريد الاشارة بقوله تعالى قل الله ثم ذرهم وبقوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا بل هو معنى قولك لا اله الا الله اي لا معبود ولا محبوب سواه • وكل محبوب فانه معبود • فان العبد هو المقيد • والمعبود هو المقيد به وكل محب فهو مقيد بما يحبه ولذلك قال الله تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه وقال صلى الله عليه وسلم ابغض اله عبد في الارض الهوى ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة ومعنى الاخلاص ان يخلص قلبه لله فلا يبقى فيه شرك لغير الله • فيكون الله محبوب قلبه • ومعبود قلبه • ومقصود قلبه فقط ومن هذا حاله فالدنيا سجنه لانها مانعة له عن مشاهدة محبوبه وموته خلاص من السجن وقدوم على المحبوب • فما حال من ليس له الا محبوب واحد وقد طال اليه شوقه وتمادى عنه حبسه وخلي عن السجن ومكن من المحبوب وروح بالامن ابد الآباد فاحد اسباب ضعف حب الله في القلوب قوة حب الدنيا ومنه حب الاهل والمال والولد والاقارب والعقار والدواب والبساتين والمنتزهات حتى ان المتفرج بطيب اصوات الطيور وروح نسيم الاسحار ملتفت الى نعيم الدنيا ومتعرض لنقصان حب الله بسببه فبقدر ما انس بالدنيا فينقص انسه بالله • ولا يوتى احد من الدنيا شيا الا وينقص بقدره من الآخرة بالضرورة كما انه لا يقرب الانسان من المشرق الا ويبعد بالضرورة من المغرب بقدره ولا يطيب قلب امراة الا ويضيق قلب ضرتها فالدنيا والآخرة ضرتان وهما كالمشرق والمغرب وقد انكشف ذلك لذوي القلوب انكشافا اوضح من الابصار بالعين وسبيل قلع حب الدنيا من القلب سلوك طريق الزهد وملازمة الصبر والانقياد اليهما بزمام الخوف والرجا فما ذكرناه من المقامات كالتوبة والصبر والزهد والخوف والرجا هي مقدمات ليكتسب بها احد ركني المحبة وهي تخلية القلب عن غير الله واوله الايمان بالله واليوم الآخر والجنة والنار ثم يتشعب منه الخوف والرجا ويتشعب منهما التوبة والصبر عليها ثم يجر ذلك الى الزهد في الدنيا وفي المال والجاه وكل حظوظ الدنيا حتى يحصل من جميعه طهارة القلب عن غير الله فقط حتى يتسع بعده لنزول معرفة الله وحبه فيه فكل ذلك مقدمات تطهير القلب وهو احد ركني المحبة واليه الاشارة بقوله عليه الصلاة والسلام الطهور شطر الايمان كما ذكرناه في اول كتاب الطهارة

السبب الثاني

لقوة المحبة قوة معرفة الله تعالى واتساعها واستيلاؤها على القلب وذلك بعد تطهير القلب من جميع شواغل الدنيا وعلايقها يجري مجرى

وضع البذر في الارض بعد تطهيرها من الحشيش وهو الشطر الثاني ثم يتولد من هذا البذر شجرة المحبة والمعرفة وهي الكلمة الطيبة التي ضرب الله بها مثلا حيث قال ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السما واليه الاشارة بقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فالعمل الصالح كالحمال لهذه المعرفة وكالخادم وانما العمل الصالح كله في تطهير القلب اولا من الدنيا ثم ادامة طهارته فلا يراد العمل الا لهذه المعرفة واما العلم بكيفية العمل فلا يراد الا للعمل فالعلم هو الاول وهو الآخر وانما الاول علم المعاملة وغرضه العمل وغرض المعاملة صفاء القلب وطهارته ليتضح فيه جلية الحق ويتزين بعلم المعرفة وهو علم المكاشفة ومهما حصلت هذه المعرفة تبعتها المحبة بالضرورة كما ان من كان معتدل المزاج اذا ابصر الجميل وادركه بالعين الظاهرة احبه ومال اليه ومهما احبه حصلت اللذة فاللذة تبع المحبة بالضرورة والمحبة تبع المعرفة بالضرورة ولا يوصل الى هذه المعرفة بعد انقطاع شواغل الدنيا من القلب الا بالفكر الصافي والذكر الدائم والجد البالغ في الطلب والنظر المستمر في الله وفي صفاته وفي ملكوت سماواته وساير مخلوقاته والواصلون الى هذه الرتبة ينقسمون الى اقوياء ويكون اول معرفتهم لله تعالى ثم به يعرفون غيره والى ضعفاء فيكون اول معرفتهم بالافعال ثم يترقون منها الى الفاعل والى الاول الاشارة بقوله تعالى اولم يكف بربك انه على كل شي شهيد وبقوله شهد الله انه لا اله الا هو ومنه نظر بعضهم حيث قيل له بم عرفت ربك فقال عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي والى الثاني الاشارة بقوله تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم وبقوله تعالى اولم ينظروا في ملكوت السماوات والارض وبقوله قل انظروا ماذا في السماوات والارض وبقوله الذي خلق سبع سماوات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر [illegible] وهذا الطريق هو الاسهل على الاكثرين وهو الاوسع على السالكين واليه اكثر دعوة القرآن عند الامر بالتدبر والتفكر والاعتبار والنظر في آيات خارجة عن الحصر

فان قلت كلا الطريقين مشكل فاوضح لنا منهما ما يستعان به على تحصيل المعرفة والتوصل به الى المحبة فاعلم ان الطريق الاعلى هو الاستشهاد بالحق سبحانه على ساير الخلق فهو غامض والكلام فيه خارج عن حد فهم اكثر الخلق فلا فايدة في ايراده في الكتب واما الطريق الاسهل الادنى فاكثره غير خارج عن حد الافهام وانما قصرت الافهام عنه لاعراضها عن التدبر واشتغالها بشهوات الدنيا وحظوظ النفس والمانع من ذكر هذا اتساعه وكثرته وانشعاب ابوابه الخارجة عن الحصر والنهاية اذ ما من ذرة في اعلى السماوات الى تخوم الارضين الا وفيها عجايب آيات تدل على كمال قدرة الله تعالى وكمال حكمته ومنتهى جلاله وعظمته وذلك مما لا يتناهى بل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي فالخوض فيه انغماس في بحار علوم المكاشفة ولا يمكن ان يتطفل به على علوم المعاملة ولكن يمكن الرمز الى مثال واحد على الايجاز ليقع التنبيه لجنسه فنقول اسهل الطريقين النظر الى الافعال فلنتكلم فيها ولنترك الاعلى ثم الافعال الالهية كثيرة فلنطلب اقلها واحقرها واصغرها ولننظر في عجايبها فاقل المخلوقات هو الارض وما عليها اعني بالاضافة الى الملائكة وملكوت السماوات فانك ان نظرت فيها من حيث الجسم والعظم في الشخص فالشمس على ما ترى من صغر حجمها هي مثل الارض مائة ونيفا وستين مرة فانظر الى صغر الارض بالاضافة اليها ثم انظر الى صغر الشمس بالاضافة الى فلكها الذي هو مركوز فيه فانه لا نسبة لها اليه وهي في السماء الرابعة وهي صغيرة بالاضافة الى ما فوقها من السماوات ثم السماوات السبع في الكرسي كحلقة في فلاة والكرسي في العرش كذلك فهذا نظر الى ظاهر الاشخاص من حيث المقادير وما احقر الارض كلها بالاضافة اليها بل ما احقر الارض بالاضافة الى البحار فقد قال عليه الصلاة والسلام الارض في البحر كالاصطبل في الارض ومصداق هذا عرف بالمشاهدة والتجربة واعلم ان المكشوف من الارض عن الماء كجزيرة صغيرة بالاضافة الى كل الارض ثم انظر الى الآدمي المخلوق من التراب الذي هو جزء من الارض والى ساير الحيوانات والى صغره بالاضافة الى الارض ودع عنك جميع ذلك فاصغر ما تعرفه من الحيوانات البعوض والنحل وما يجري مجراه فانظر الى البعوض على قدر صغره

وتأمله بعقلك الحاضر وقلبك الصافي وانظر كيف خلقه الله تعالى على شكل الفيل الذي هو اعظم الحيوانات اذ خلق له خرطوما مثل خرطومه
وخلق له على شكله الصغير سائر الاعضاء كما خلقه للفيل بزيادة جناحين وانظر كيف قسم اعضاءه الظاهرة فانبت
جناحه واخرج يده ورجله وشق سمعه وبصره ودبر في باطنه من اعضاء الغذاء والاته ما دبره في سائر الحيوانات وركب فيها
من القوى الغاذية والجاذبة والدافعة والماسكة والهاضمة ما ركبه في سائر الحيوانات وهذا في شكله وصفاته ثم انظر الى هدايته
كيف هداه الله تعالى الى غذائه وعرفه ان غذاءه دم الانسان ثم كيف انبت له الة الطيران الى الانسان وكيف خلق له
الخرطوم الطويل وهو محدد الراس وكيف هداه الى مسام بشرة الانسان حتى يضع خرطومه في واحد منها ثم كيف قواه حتى يغرز
فيه الخرطوم وكيف علمه المص والتجرع للدم وكيف خلق الخرطوم مع دقته مجوفا حتى يجري فيه الدم الرقيق وينتهي الى باطنه وينتشر
في سائر اعضائه ويغذيه ثم كيف عرفه ان الانسان يقصده بيده فعلمه حيلة الهرب واستعداد الاته وخلق له السمع
الذي يسمع به خفيف حركة اليد وهي بعد بعيدة منه فيترك المص ويهرب ثم اذا سكنت اليد يعود ثم انظر كيف
خلق له حدقتين حتى يبصر مواضع غذائه فيقصده مع صغر حجم وجهه وانظر الى حدقة كل حيوان صغير لما لم
يحتمل حدقته الاجفان لصغرها وكانت الاجفان مصقلة لمرآة الحدقة عن القذى والغبرات خلق للبعوض
والذباب يدين فتنظر الى الذباب فتراه على الدوام يمسح حدقتيه بيديه واما الانسان والحيوان الكبير فخلق لحدقتيه
الاجفان حتى ينطبق احدهما على الاخر واطرافها حادة فيجمع الغبار الذي يلحق الحدقة ويرميه الى اطراف الاهداب وخلق
الاهداب السود لتجمع ضوء العين وتعين على الابصار وتحسن صورة العين وتشبكها عند هيجان الغبار فينظر من وراء
شباك الاهداب واشتباكها يمنع دخول الغبار ولا يمنع الابصار واما البعوض فخلق لها حدقتين مصقلتين من غير
اجفان وعلمها كيفية التصقيل باليدين ولاجل ضعف ابصارها تراها تتهافت على السراج لان بصرها ضعيف فهي تطلب ضوء النهار
فاذا راى المسكين ضوء السراج بالليل ظن انه في بيت مظلم وان السراج كوة من البيت المظلم الى الموضع المضي فلا يزال
يطلب الضوء ويرمي نفسه الى الكوة فاذا جاوزه وراى الظلام ظن انه لم يصب الكوة ولم يقصدها على السداد
فيعود اليه مرة اخرى الى ان يحترق ولعلك تظن ان هذا لنقصانها وجهلها فاعلم ان جهل الادمي اعظم من جهلها
بل صورة الادمي في الاكباب على شهوات الدنيا صورة الفراش في التهافت على النار اذ يلوح للادمي انوار الشهوات من حيث
ظاهر صورتها ولا يدري ان تحتها السم الناقع القاتل فلا يزال يرمي نفسه اليها الى ان ينغمس فيها ويتقيد بها
ويهلك هلاكا مؤبدا فليت كان جهل الادمي كجهل الفراش فانها باغترارها بظاهر الضوء ان احترقت تخلصت في
الحال والادمي يبقى في النار ابد الاباد او مدة مديدة ولذلك كان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول انكم
تتهافتون على النار تهافت الفراش وانا اخذ بحجزكم فهذه لمعة من عجائب صنع الله تعالى في اصغر الحيوانات
وفيها من العجائب ما لو اجتمع الاولون والاخرون على الاحاطة بكنهه عجزوا عن حقيقته ولم يطلعوا على امور جلية من ظاهر
صورته فاما خفايا معانيه فلا يطلع عليها الا الله ثم في كل حيوان ونبات اعجوبة واعاجيب تخصه لا يشاركه فيها غيره
فانظر الى النحل وعجائبها وكيف اوحى الله اليها حتى اتخذت من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون وكيف استخرج
من لعابها الشمع والعسل وجعل احدهما ضياء وجعل الاخر شفاء ثم لو تاملت عجائب امرها في تناولها
الازهار والانوار واحترازها عن النجاسات والاقذار وطاعتها لواحد من جملتها هو اكبرها شخصا وهو اميرها ثم ما
سخر الله لها اميرها من العدل والانصاف بينها حتى انه ليقتل على باب المنفذ كل ما وقع منها على نجاسة لقضيت منها
اخر العجب ان كنت بصيرا في نفسك وفارغا من هم بطنك وفرجك وشهوات نفسك في معاداة اقرانك
وموالاة اخوانك ثم دع عنك جميع ذلك وانظر الى بنائها بيوتها من الشمع واختيارها من جملة الاشكال الشكل المسدس
فلا تبني بيتها مستديرا ولا مربعا ولا مخمسا بل مسدسا لخاصية في شكل المسدس يقصر فهم المهندسين عن دركها

وهو ان اوسع الاشكال واحواها المستديرة وما يقرب منها فان المربع يخرج منه زوايا ضائعة وشكل النحل مستدير
مستطيل فترك المربع حتى لا تضيع الزوايا فتبقى فارغة ثم لو بناها مستديرة لبقيت خارج البيوت فرج ضائعة
فان الاشكال المستديرة اذا جمعت لم تجتمع متراصة ولا شكل في الاشكال ذوات الزوايا يقرب في الاحتواء من المستدير
ثم تتراص الجملة منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة الا المسدس وهذه خاصية هذا الشكل فانظر كيف الهم الله تعالى
النحل على صغر جرمه لطفا به وعناية بوجوده وما هو محتاج اليه ليتهنا عيشه **فسبحانه** ما اعظم شانه واوسع
لطفه وامتنانه • فاعتبر بهذه اللمعة اليسيرة من محقرات الحيوانات • ودع عنك عجائب ملكوت الارض
والسموات • فان القدر الذي بلغه فهمنا القاصر منه تنقضي الاعمار دون ايضاحه فلا نسبة لما احاط به علمنا الى ما
احاط به علم العلماء والانبياء ولا نسبة لما احاط به علم الخلائق كلهم الى ما استاثر الله تعالى بالاحاطة به بل كل ما عرفه الخلق لا يستحق ان
يسمى علما في جنب علم الله تعالى فبالنظر في هذا وامثاله تزداد المعرفة الحاصلة باسهل الطريقين وبزيادة المعرفة تزداد المحبة
فان كنت طالبا سعادة لقاء الله فانبذ الدنيا وراء ظهرك واستغرق العمر في الذكر الدائم • والفكر الملازم • فعساك
تحظى منها بقدر يسير • ولكن تنال بذلك اليسير ملكا عظيما لا اخر له

بيان السبب في تفاوت الناس في الحب

اعلم ان المؤمنين مشتركون في اصل الحب لاشتراكهم في اصل الايمان ولكنهم متفاوتون لتفاوتهم في المعرفة وفي حب الدنيا
اذ الاشياء انما تتفاوت بتفاوت اسبابها واكثر الناس ليس لهم من الله تعالى الا الصفات والاسماء التي قرعت سمعهم فتلقنوها
وحفظوها وربما تخيلوا لها معنى فاسدا بل امنوا بها ايمان تسليم وتصديق واشتغلوا بالعمل وتركوا البحث وهؤلاء هم
اهل السلامة من اصحاب اليمين والمتخيلون هم الضالون والعارفون بالحقائق هم المقربون وقد ذكر الله تعالى حال
الاصناف الثلثة في قوله فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واذا كنت لا تفهم الامر الا بالامثلة
فلنضرب لتفاوت الحب مثالا فنقول اصحاب الشافعي مثلا يشتركون في حب الشافعي عوامهم
والفقهاء لانهم يشتركون في معرفة فضله ودينه وحسن سيرته ومحامد خصاله ولكن العامي يعرف علمه مجملا والفقيه
يعرفه مفصلا فتكون معرفة الفقيه به اتم واعجابه به وحبه له اشد فان من راى تصنيف مصنف فاستحسنه وعرف
به فضله احبه لا محالة ومال اليه قلبه فان راى تصنيفا اخر احسن منه واعجب تضاعف لا محالة حبه لانه تضاعفت
معرفته بعلمه وكذلك يعتقد الرجل في الشاعر انه حسن الشعر فيحبه فاذا سمع من غرائب شعره ما عظم فيه حذقه وصنعته
ازداد به معرفة وازداد له حبا وكذلك سائر الصناعات والفضائل فالعامي قد يسمع ان فلانا مصنف وانه حسن التصنيف
فتكون له معرفة مجملة ويكون له بحسبه ميل مجمل والبصير اذا فتش عن التصانيف واطلع على ما فيها من العجائب تضاعف
حبه لا محالة لان عجائب الصنعة والشعر والتصنيف يدل على كمال صفات الفاعل والمصنف والعالم بجملته
صنع الله تعالى وتصنيفه والعامي يعلم ذلك ويعتقده واما البصير فانه يطالع تفصيل صنع الله فيه حتى يرى في
البعوض مثلا من عجائب صنعه ما يبهر عقله ويحير فيه لبه فيزداد بسببه لا محالة عظمة الله وجلاله وكمال صفاته في قلبه
فيزداد له حبا وكلما ازداد على اعاجيب صنع الله اطلاعا استدل بذلك على عظمة الصانع وجلاله وازداد به معرفة وله
حبا وبحر هذه المعرفة اعني معرفة عجائب صنع الله لا ساحل له فلا جرم تفاوت اهل المعرفة في الحب لا حصر له
ومما يتفاوت بسببه الحب اختلاف الاسباب الخمسة التي ذكرناها للحب فان من يحب الله تعالى مثلا لكونه محسنا اليه
منعما عليه ولم يحبه لذاته ضعفت محبته اذ تتغير بتغير الاحسان فلا يكون حبه في حالة البلاء كحبه في حالة
الرخاء والنعماء واما من يحبه لذاته ولانه مستحق للحب بسبب كماله وجماله ومجده وعظمته فانه لا يتفاوت حبه
بتفاوت الاحسان اليه فهذا وامثاله هو سبب تفاوت الناس في المحبة والتفاوت في المحبة هو سبب
التفاوت في سعادة الاخرة ولذلك قال تعالى وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا •

بيان السبب في قصور

أفهام الخلق عن معرفة الله سبحانه

اعلم ان اظهر الموجودات واجلاها هو الله تعالى وكان هذا يقتضي ان تكون معرفته اول المعارف واسبقها الى الافهام واسهلها
على العقول ونرى الامر بالضد من ذلك فلا بد من بيان السبب فيه وانما قلنا انه اظهر الموجودات واجلاها لمعنى لا تفهمه
الا بمثال وهو انا اذا راينا انسانا يكتب او يخيط مثلا لان كونه حيا عندنا من اظهر الموجودات فحياته وعلمه وقدرته وارادته
للخياطة اجلى عندنا من سائر صفاته الظاهرة والباطنة اذ صفاته الباطنة كشهوته وغضبه وخلقه وصحته ومرضه
وكل ذلك لا نعرفه وصفاته الظاهرة لا نعرف بعضها وبعضها نشك فيه كمقدار طوله واختلاف لون بشرته وغير
ذلك من صفاته اما حياته وقدرته وارادته وعلمه وكونه حيوانا فانه جلي عندنا من غير ان يتعلق حس البصر بحياته وقدرته
وارادته فان هذه الصفات لا تحس بشيء من الحواس الخمس ثم لا يمكن ان نعرف حياته وقدرته وارادته الا بخياطته وحركته
فلو نظرنا الى كل ما في العالم سواه لم نعرف به صفته فما عليه الا دليل واحد وهو مع ذلك جلي واضح ووجود الله تعالى وقدرته
وعلمه وسائر صفاته تشهد له بالضرورة كلما نشاهده وندركه بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر ومدر ونبات وشجر
وحيوان وسماء وارض وكوكب وبر وبحر ونار وهواء وجوهر وعرض بل اول شاهد عليه انفسنا واجسامنا
واوصافنا وتقلب احوالنا وتغير قلوبنا وجميع اطوارنا في حركاتنا وسكناتنا واظهر الاشياء في علمنا انفسنا ثم محسوساتنا
بالحواس الخمس ثم مدركاتنا بالعقل والبصيرة وكل واحد من هذه المدركات له مدرك واحد وشاهد واحد ودليل واحد وجميع
ما في العالم شواهد ناطقة وادلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها ومصرفها ومحركها ودالة على علمه وقدرته
ولطفه وحكمته والموجودات المدركة لا حصر لها فان كانت حياة الكاتب ظاهرة عندنا وليس يشهد له
الا شاهد واحد وهو ما احسسنا به من حركة يده فكيف لا يظهر عندنا ما لا يتصور في الوجود شيء داخل
نفوسنا وخارجها الا وهو شاهد عليه وعلى عظمته وجلاله اذ كل ذرة فانها تنادي بلسان حالها
انه ليس وجودها بنفسها ولا حركتها بذاتها وانها تحتاج الى موجد ومحرك لها يشهد بذلك اولا تركيب
تركيب اعضائنا وائتلاف عظامنا ولحومنا واعصابنا ومنابت شعورنا وتشكيل اطرافنا وسائر
اجزائنا الظاهرة والباطنة فانا نعلم انها لم تأتلف بنفسها كما نعلم ان يد الكاتب لم تتحرك بنفسها
ولكن لما لم يبق في الوجود مدرك ومحسوس ومعقول وحاضر وغائب الا وهو شاهد ومعرف عظم ظهوره فانبهرت
العقول ودهشت عن ادراكه فان ما يقصر عن فهمه عقولنا فله سببان احدهما خفاؤه في نفسه
وغموضه وذلك لا يخفى مثاله والاخر ما يتناهى وضوحه وهذا كما ان الخفاش يبصر بالليل ولا يبصر
بالنهار لا لخفاء النهار واستتار الليل ولكن لشدة ظهوره فان بصر الخفاش ضعيف يبهره نور الشمس
اذا اشرقت فيكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سببا لامتناع ابصاره فلا يرى شيئا الا اذا امتزج الظلام
بالضوء وضعف ظهوره فكذلك عقولنا ضعيفة وجمال الحضرة الالهية في نهاية الاشراق والاستنارة وفي غاية الاستغراق
والشمول حتى لم يشذ عن ظهوره ذرة من ملكوت السموات والارض فصار ظهوره سبب خفائه فسبحان
من احتجب باشراق نوره واختفى عن البصائر والابصار بظهوره ولا تتعجب من اختفاء ذلك بسبب الظهور
فان الاشياء تستبان باضدادها وما عم وجوده حتى انه لا ضد له عسر ادراكه فلو اختلفت الاشياء فدل
بعضها دون البعض ادركت التفرقة على قرب ولما اشتركت في الدلالة على نسق واحد اشكل الامر ومثاله
نور الشمس المشرق على الارض فانا نعلم انه عرض من الاعراض يحدث في الارض ويزول عند غيبة الشمس فلو كانت الشمس
دائمة الاشراق ولا غروب لها لكنا نظن انه لا هيئة في الاجسام الا الوانها وهي السواد والبياض وغيرهما فانا
لا نشاهد في الاسود الا السواد وفي الابيض الا البياض فاما الضوء فلا ندركه وحده ولكن لما غابت الشمس واظلمت
المواضع ادركنا تفرقة بين الحالين فعلمنا ان الاجسام كانت قد استضاءت بضوء واتصفت بصفة فارقتها

عند الغروب فعرفنا وجود النور بعدمه وما كنا نطلع عليه لولا عدمه الا بعسر شديد وذلك لمشاهدتنا الاجسام متشابهة
غير مختلفة في الظلام والنور هذا مع ان النور اظهر المحسوسات اذ به تدرك سائر المحسوسات فما هو ظاهر في نفسه وهو
مظهر لغيره انظر كيف تصور استبهام امره بسبب ظهوره لولا طريان ضده فالله تعالى هو اظهر الامور وبه ظهرت
الاشياء كلها ولو كان له عدم او غيبة او تغير لانهدت السموات والارض وبطل الملك والملكوت ولادرك التفرقة
بين الحالين ولو كان بعض الاشياء موجودا به وبعضها موجودا بغيره لادرك التفرقة بين الشيئين في الدلالة ولكن دلالته
عامة في الاشياء على نسق واحد ووجوده دائم في الاحوال يستحيل خلافه فلا جرم اورث شدة الظهور خفاء فهذا هو
السبب في قصور الافهام واما من قويت بصيرته ولم تضعف منته فانه في حال اعتدال امره لا يرى الا الله ولا
يعرف غيره ويعلم انه ليس في الوجود الا الله وافعاله وافعاله اثر من اثار قدرته فهي تابعة له فلا وجود لها بالحقيقة دونه
وانما الوجود للواحد الحق الذي به وجود الافعال كلها ومن هذا حاله فلا ينظر شيء من الافعال الا ويرى فيه الفاعل
ويذهل عن الفعل من حيث انه سماء وارض وحيوان وشجر بل ينظر فيه من حيث انه صنع فلا يكون نظره مجاوزا
الى غيره كمن نظر في شعر انسان او خطه او تصنيفه فرأى فيه الشاعر والمصنف ورأى اثاره من حيث انه
اثره لا من حيث انه حبر وعفص وزاج مرقوم على بياض فلا يكون قد نظر الى غير المصنف وكل العالم تصنيف
الله فمن نظر اليه من حيث انه فعل الله وعرفه من حيث انه فعل الله واحبه من حيث انه فعل الله لم يكن ناظرا الا
في الله ولا عارفا الا بالله ولا محبا الا لله وكان هو الموحد الحق الذي لا يرى الا الله بل لا ينظر الى نفسه من حيث
نفسه بل من حيث انه عبد الله فهذا هو الذي يقال فيه انه فني في التوحيد وانه فني عن نفسه واليه الاشارة
بقول من قال كنا بنا ففنينا عنا فبقينا بلا نحن فهذه امور معلومة عند ذوي البصائر اشكلت
لضعف الافهام عن دركها وقصور قدرة العلماء بها عن ايضاحها وبيانها بعبارة مفهمة موصلة للغرض الى
الافهام او باشتغالهم بانفسهم واعتقادهم ان بيان ذلك لغيرهم مما لا يعنيهم فهذا هو السبب في قصور
الافهام عن معرفة الله وانضم اليه ان المدركات كلها التي هي شاهدة على الله انما يدركها الانسان في الصبى عند
فقد العقل ثم تبدو فيه غريزة العقل قليلا قليلا وهو مستغرق الهم بشهواته وقد انس بمدركاته ومحسوساته
والفها فسقط وقعها عن قلبه بطول الانس ولذلك اذا راى على سبيل الفجاءة حيوانا غريبا او فعلا من افعال
الله خارقا للعادة عجيبا انطلق لسانه بالمعرفة طبعا فقال سبحان الله وهو يرى طول النهار نفسه واعضاءه
وسائر الحيوانات المالوفة وكلها شواهد قاطعة ولا يحس بشهادتها لطول الانس بها ولو فرض اكمه بلغ عاقلا
ثم انقشعت غشاوة عن عينيه فامتد بصره الى السماء والارض والاشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة
على سبيل الفجاءة لخيف على عقله ان ينبهر لعظم تعجبه من شهادة هذه العجائب لخالقها فهذا وامثاله
من الاسباب مع الانهماك في الشهوات هو الذي سد على الخلق سبيل الاستضاءة بانوار المعرفة والسباحة في بحارها
الواسعة فالناس في طلبهم معرفة الله كالمدهوش الذي يضرب به المثل اذ كان راكبا لحماره وهو يطلب حماره
والجليات اذا صارت مطلوبة صارت معتاصة فهذا سر هذا الامر فليتحقق **ولذلك قيل**
لقد ظهرت فلا تخفى على احد ۞ الا على اكمه لا يعرف القمرا ۞ لكن بطنت بما اظهرت محتجبا ۞ فكيف يعرف من بالعرف استترا

بيان معنى الشوق الى الله تعالى

اعلم ان من انكر حقيقة المحبة لله تعالى فلا بد وان ينكر حقيقة الشوق
اذ لا يتصور الشوق الا الى محبوب ونحن نثبت وجود الشوق الى الله تعالى وكون العارف مضطرا اليه بطريق الاعتبار
والنظر بانوار البصائر وبطريق الاخبار والاثار اما الاعتبار فيكفي في اثباته ما سبق في اثبات الحب فكل محبوب يشتاق اليه
في غيبته لا محالة فاما الحاضر الحاصل فلا يشتاق اليه فان الشوق طلب وتشوف الى امر والموجود لا يطلب ولكن

بيان ان الشوق لا يتصور الا في شيء ادرك من وجه ولم يدرك من وجه فاما ما لا يدرك اصلا فلا يشتاق اليه فمن لم
ير شخصا ولم يسمع وصفه لا يتصور ان يشتاق اليه وما ادرك بكماله لا يشتاق اليه وكمال الادراك بالرؤية
فمن كان في مشاهدة محبوبه مداوما للنظر اليه لا يتصور ان يكون له شوق ولكن الشوق انما يتعلق بما ادرك
من وجه ولم يدرك من وجه وهو من وجهين ولا ينكشف الا بمثال من المشاهدات
فنقول مثلا من غاب عنه معشوقه وبقي في قلبه خياله فيشتاق الى استكمال خياله بالرؤية فلو امحى عن
قلبه ذكره وخياله ومعرفته حتى نسيه لم يتصور ان يشتاق اليه ولو رآه لم يتصور ان يشتاق
في وقت الرؤية فمعنى شوقه تشوق نفسه الى استكمال خياله وكذلك قد يراه في ظلمة بحيث لا ينكشف له حقيقة صورته فيشتاق
الى استكمال رؤيته وتمام الانكشاف في صورته باشراق الضوء عليه والثاني ان يرى وجه محبوبه ولا يرى شعره مثلا ولا سائر محاسنه
فيشتاق لرؤيته وان لم يره قط ولم يثبت في نفسه خياله صادر عن الرؤية ولكنه يعلم ان له عضوا واعضاء جميلة ولم يدرك
تفصيل جمالها بالرؤية فيشتاق الى ان ينكشف له ما لم يره قط والوجهان جميعا متصوران في حق الله تعالى بل هما لازمان
بالضرورة لكل العارفين فان ما اتضح للعارفين من الامور الالهية وان كان في غاية الوضوح فكانه من وراء ستر رقيق
فلا يكون متضحا غاية الاتضاح بل يكون مشوبا بشوائب التخيلات فان الخيالات لا تفتر في هذا العالم عن التمثيل والمحاكاة لجميع
المعلومات وهي مكدرات للمعارف ومنغصات وكذلك ينضاف اليها شواغل الدنيا فانما كمال الوضوح بالمشاهدة وتمام اشراق
التجلي ولا يكون ذلك الا في الآخرة وذلك بالضرورة يوجب الشوق فانه منتهى محبوب العارفين فهذا احد نوعي الشوق وهو استكمال
الوضوح فيما اتضح اتضاحا ما الثاني ان الامور الالهية لا نهاية لها وانما ينكشف لكل عبد من العباد بعضها وتبقى امور لا
نهاية لها غامضة والعارف يعلم وجودها وكونها معلومة لله تعالى ويعلم ان ما غاب عن علمه من المعلومات اكثر مما حضر فلا يزال
متشوقا الى ان يحصل له اصل المعرفة فيما لم يحصل مما بقي من المعلومات التي لم يعرفها اصلا لا معرفة واضحة ولا معرفة غامضة والشوق الاول
ينتهي في الدار الآخرة بالمعنى الذي يسمى رؤية ولقاء ومشاهدة ولا يتصور ان يسكن في الدنيا وقد كان ابرهيم بن ادهم من المشتاقين
فقال قلت ذات يوم يا رب ان اعطيت احدا من المحبين لك ما تسكن به قلوبهم قبل لقائك فاعطني ذلك فقد اضر بي القلق
قال فرايت في المنام انه اوقفني بين يديه وقال يا ابرهيم اما استحييت مني ان تسالني ان اعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقائي
وهل يسكن المشتاق قبل لقاء حبيبه فقلت يا رب تهت في حبك فلم ادر ما اقول فاغفر لي وعلمني ما اقول فقال قل اللهم رضني
بقضائك وصبرني على بلائك واوزعني شكر نعمائك فاذا هذا الشوق يسكن في الآخرة واما الشوق الثاني فيشبه ان
لا يكون له نهاية لا في الدنيا ولا في الآخرة اذ نهايته ان ينكشف للعبد في الآخرة من جلال الله تعالى وصفاته وحكمته وافعاله
ما هو معلوم لله وهو محال لان ذلك لا نهاية له ولا يزال العبد عالما بانه بقي من الجلال والجمال ما لم يتضح له فلا يسكن
قط شوقه لا سيما من يرى فوق درجته درجات كثيرة الا انه تشوق الى استكمال الوصال مع حصول اصل الوصال
فهو لذلك شوق لذيذ لا يظهر فيه الم ولا يبعد ان تكون الطاف الكشف والنظر متوالية الى غير نهاية فلا يزال النعيم واللذة
يتزايد ابد الآباد وتكون لذة ما يتجدد من لطائف النعيم شاغلا عن الاحساس بالشوق الى ما لم يحصل وهذا
بشرط ان يمكن حصول الكشف فيما لم يحصل فيه كشف في الدنيا اصلا فان كان ذلك غير مبذول فيكون النعيم واقفا على
حد لا يتضاعف ولكن يكون مستمرا على الدوام وقوله سبحانه وتعالى نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا
اتمم لنا نورنا محتمل لهذا المعنى وهو ان ينعم عليهم باتمام النور مهما تزودوا من الدنيا اصل النور ويحتمل ان يكون المراد به
اتمام النور في غير ما استنار في الدنيا استنارة محتاجة الى مزيد الاستكمال والاشراق فيكون هو المراد بتمامه وقوله تعالى
انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا يدل على ان الانوار لا بد وان يتزود اصلها في الدنيا ثم تزداد في الآخرة
اشراقا فاما ان يتجدد نور فلا والحكم في هذا برجم الظنون مخطر ولم ينكشف لنا بعد فيه ما نوثق به فنسال الله تعالى ان

يزيدنا عطشا وشوقا وربنا الحق حقا فهذا القدر من انوار البصائر كاشف لحقائق الشوق ومعانيه واما شواهد
الاخبار والآثار فاكثر من ان تحصى فمما اشتهر من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم اني اسالك الرضا بعد
القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك الكريم والشوق الى لقائك وقال ابو الدرداء لكعب
اخبرني عن اخص آية يعني في التورية فقال يقول الله تعالى طال شوق الابرار الى لقائي واني الى لقائهم لاشد شوقا قال
ومكتوب الى جانبها من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فقال ابو الدرداء اشهد لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول هذا وفي اخبار داود ان الله تعالى قال يا داود ابلغ اهل ارضي اني حبيب لمن احبني وجليس لمن جالسني
ومونس لمن انس بذكري وصاحب لمن صاحبني ومختار لمن اختارني ومطيع لمن اطاعني ما احبني عبد اعلم ذلك
يقينا من قلبه الا قبلته لنفسي واحببته حبا لا يتقدمه احد من خلقي من طلبني بالحق وجدني ومن طلب غيري
لم يجدني فارفضوا يا اهل الدنيا ما انتم عليه من غرورها وهلموا الى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي وانسوا بي اونسكم
واسارع الى محبتكم فاني خلقت طينة احبائي من طينة ابرهيم خليلي وموسى نجيي ومحمد صفيي وخلقت
قلوب المشتاقين من نوري ونعمتها بجلالي وروي عن بعض السلف ان الله تعالى اوحى الى بعض الصديقين
ان لي عبادا من عبادي يحبوني واحبهم ويشتاقون الي واشتاق اليهم ويذكروني واذكرهم وينظرون الي وانظر
اليهم فان حذوت طريقهم احببتك وان عدلت عنهم مقتك قال يا رب وما علامتهم قال يراعون الظلال
بالنهار كما يراعي الراعي الشفيق غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما يحن الطير الى اوكارها عند الغروب فاذا جنهم الليل
واختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الاسرة وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الي اقدامهم وافترشوا
الي وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوا الي بانعامي فبين صارخ وباك وبين متاوه متباك وبين قائم وقاعد
وبين راكع وساجد بعيني ما يتحملون من اجلي وبسمعي ما يشكون من حبي اول ما اعطيهم ثلث اقذف من
نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم والثاني لو كانت السموات والارض وما فيها في موازينهم لاستقللتها
لهم والثالث اقبل بوجهي عليهم فترى من اقبلت بوجهي عليه يعلم احد ما اريد ان اعطيه وفي اخبار داود عم
ان الله اوحى اليه يا داود الى كم تذكر الجنة ولا تسالني الشوق الي قال يا رب من المشتاقون اليك قال ان المشتاقين
الي الذين صفيتهم من كل كدر ونبهتهم بالحذر وخرقت من قلوبهم الي خرقا ينظرون الي واني لاحمل
قلوبهم بيدي فاضعها على سمائي ثم ادعو نجباء ملئكتي فاذا اجتمعوا سجدوا لي فاقول اني لم ادعكم لتسجدوا
لي ولكني دعوتكم لاعرض عليكم قلوب المشتاقين الي واباهي بكم اهل الشوق الي فان قلوبهم لتضيء في سمائي لملئكتي
كما تضيء الشمس لاهل الارض يا داود اني خلقت قلوب المشتاقين من رضواني ونعمتها بنور وجهي
واتخذتهم لنفسي محدثين وجعلت ابدانهم موضع نظري الى الارض وقطعت من قلوبهم طريقا ينظرون
به الي يزدادون في كل يوم شوقا قال داود يا رب ارني اهل محبتك فقال يا داود ائت جبل لبنان
فان فيه اربعة عشر نفسا فيهم شبان وفيهم كهول وفيهم مشايخ فاذا اتيتهم فاقرئهم مني السلام وقل
لهم ان ربكم يقرئكم السلام ويقول لكم الا تسالون حاجة فانكم احبائي واصفيائي واوليائي افرح لفرحكم
واسارع الى محبتكم فاتاهم داود عليه الصلاة والسلام فوجدهم عند عين من العيون يتفكرون في عظمة الله
عز وجل فلما نظروا الى داود نهضوا ليتفرقوا عنه فقال داود اني رسول الله اليكم جئتكم لابلغكم رسالة
ربكم فاقبلوا نحوه والقوا اسماعهم نحو قوله والقوا ابصارهم الى الارض فقال داود عليه الصلاة والسلام
اني رسول الله اليكم ان الله يقرئكم السلام ويقول لكم الا تسالون حاجة الا تنادوني اسمع صوتكم وكلامكم
فانكم احبائي واصفيائي واوليائي افرح لفرحكم واسارع الى محبتكم وانظر اليكم في كل ساعة نظر الوالدة

الشفيقة الرفيقة قال فجرت الدموع على خدودهم فقال شيخهم سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك
فاغفر لنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك فيما مضى من عمرنا وقال الاخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك
فامنن علينا بحسن النظر فيما بيننا وبينك وقال الاخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك
انجترئ على الدعاء وقد علمت انه لا حاجة لنا في شئ من امورنا فادم لنا لزوم الطريق اليك واتمم بذلك المنة علينا
وقال الاخر نحن مقصرون في طلب رضاك فاعنا عليه بجودك وقال الاخر من نطفة خلقتنا ومننت علينا
بالتفكر في عظمتك ايجترئ على الكلام من هو مشتغل بعظمتك متفكر في جلالك وطلبنا الدنو من نورك وقال الاخر كلت
السنتنا عن دعائك لعظم شانك وقربك من اوليائك وكثرة منتك على اهل محبتك وقال الاخر انت
هديت قلوبنا لذكرك وفرغتنا للاشتغال بك فاغفر لنا تقصيرنا في شكرك وقال الاخر قد عرفت
حاجتنا انما هي النظر الى وجهك وقال الاخر كيف يجترئ العبد على سيده اذ امرتنا بالدعاء بجودك فهب لنا نورا
نهتدي به في الظلمات بين اطباق السموات وقال الاخر ندعوك ان تقبل علينا وتديمه عندنا وقال
الاخر نسألك تمام نعمتك فيما وهبت لنا وتفضلت به علينا وقال الاخر لا حاجة لنا في شئ من خلقك
فامنن علينا بالنظر الى جمالك وقال الاخر اسألك من بينهم ان تعمي عيني عن النظر الى الدنيا واهلها وقلبي
عن الاشتغال بغيرك وقال الاخر قد عرفت تباركت انك تحب اولياءك فامنن علينا باشتغال القلب بك عن كل
شئ دونك فاوحى الله تعالى الى داود قل لهم قد سمعت كلامكم واجبتكم الى ما احببتم فليفارق كل واحد منكم صاحبه وليتخذ
لنفسه سربا فاني كاشف الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا الى نوري وجلالي فقال داود يا رب بم نالوا منك هذا
قال بحسن الظن والكف عن الدنيا واهلها والخلوات بي ومناجاتهم لي وان هذا منزل لا يناله الا من رفض الدنيا واهلها
ولم يشتغل بشئ من ذكرها وفرغ قلبه لي واختارني على جميع خلقي فعند ذلك اعطف عليه وافرغ نفسه واكشف الحجاب
فيما بيني وبينه حتى ينظر الى نظر الناظر بعينه الى الشئ واريه كرامتي في كل ساعة واقربه من نور وجهي ان مرض مرضته كما تمرض
الوالدة الشفيقة ولدها وان عطش اروته واذيقه طعم ذكري فاذا فعلت به ذلك يا داود اعميت نفسه
عن الدنيا واهلها ولم احببها اليه لا يفتر عن الاشتغال بي يستعجلني القدوم وانا اكره ان اميته لانه موضع
نظري من بين خلقي لا يرى غيري ولا ارى غيره فلو رايته يا داود وقد ذابت نفسه ونحل جسمه وتهشمت اعضاؤه
وانخلع قلبه اذا سمع بذكري اباهي به ملائكتي واهل سماواتي يزداد خوفا وعبادة وعزتي وجلالي يا داود لاقعدنه في
الفردوس ولاشفين صدره من النظر الي حتى يرضى وفوق الرضا وفي اخبار داود ايضا قل لعبادي المتوجهين الي
محبتي ما ضركم اذا احتجبت عن خلقي ورفعت الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا الي بعيون قلوبكم وما ضركم ما زويت
عنكم من الدنيا اذا بسطت ديني لكم وما ضركم مسخطة الخلق اذا التمستم رضائي وفي اخبار داود ايضا
ان الله تعالى اوحى اليه تزعم انك تحبني فان كنت تحبني فاخرج حب الدنيا من قلبك فان حبي وحبها لا يجتمعان في قلب
يا داود خالص محبتي مخالصة وخالط اهل الدنيا مخالطة ودينك فقلدنيه ولا تقلد دينك الرجال اما ما
استبان لك مما وافق محبتي فتمسك به واما ما اشكل عليك فقلدنيه حقا علي ان ابادر الى سياستك وتقويمك
واكون قائدك ودليلك اعطيك من غير ان تسالني واعينك على الشدائد فاني قد اليت على نفسي اني لا اثيب الا
عبدا قد عرفت من طلبته وارادته القاءه كنفه بين يدي فانه لا غناء به عني فاذا كنت كذلك نزعت الذلة والوحشة
عنك واسكنت الغنى قلبك فاني قد حلفت على نفسي انه لا يطمئن عبد لي الى نفسه ينظر الى فعالها الا وكلته اليها
اضف الاشياء الي لا تنازع عملك فتصير معجبا ولا تنتفع بل من بصحبك ولا تجد لمعرفتي حدا فليس لها غاية ومتى طلبت
مني الزيادة اعطك ولا تجد للزيادة مني حدا ثم اعلم بني اسرائيل انه ليس بيني وبين احد من خلقي نسب فلتعظم رغبتهم

والادتهم عندي ابيح لهم ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ضعني بين عينيك وانظر الي ببصر
قلبك ولا تنظر بعينيك اللتين في راسك الى الذين حجبت عقولهم عني
لا يحم ثوابي لعبد دخرته طاعتي بالتجربة والتسويف تواضع لمن تعلمه ولا تطاول على المريدين فلو علم اهل محبتي
منزلة المريدين عندي لكانوا لهم ارضا يمشون عليها يا داود لان تخرج مريدا من سكرة هو فيها تستنقذه
فاكتبك عندي جهبذا ومن كتبته جهبذا لا يكون عليه وحشة ولا فاقة الى المخلوقين يا داود تمسك
بكلامي وخذ من نفسك لنفسك لا تؤتين منها فاحجب عنك محبتي لا تؤيس عبادي من رحمتي اقطع شهوتك
لي فانما ابحت الشهوات لضعفة خلقي ما بال الاقوياء ان ينالوا الشهوات فانها تنقص حلاوة مناجاتي فانما
عقوبة الاقوياء عندي في موضع التناول ادنى ما يصل اليهم ان احجب عقولهم عني فاني لم ارض الدنيا لحبيبي ونزهته
عنها يا داود لا تجعل بيني وبينك عالما يحجبك بسكره عن محبتي اولئك قطاع الطريق على عبادي المريدين استعن
على ترك الشهوات بادمان الصوم واياك والتجربة بالافطار فان محبتي الصوم ادمانه يا داود تحبب الي بمعاداة
نفسك امنعها الشهوات انظر اليك وترى الحجب بيني وبينك مرفوعة انما اداريك مداراة لتقوى على ثوابي اذا منت به عليك واني احبسه عنك وانت متمسك بطاعتي واوحى الله تعالى الى داود يا داود لو يعلم
المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا الي وتقطعت اوصالهم من محبتي
يا داود هذه ارادتي في المدبرين عني فكيف ارادتي في المقبلين علي يا داود احوج ما يكون العبد الي اذا استغنى
عني وارحم ما اكون بعبدي اذا ادبر عني واجل ما يكون عبدي اذا رجع الي فهذه الاخبار ونظائرها
مما لا يحصى تدل على اثبات المحبة والشوق والانس واما تحقيق معانيها فسينكشف بما سبق

بيان محبة الله تعالى

اعلم ان شواهد القران متظاهرة على ان الله يحب عبده فلا بد من معرفة معناه ولنقدم الشواهد على محبته فقد قال الله تعالى
يحبهم ويحبونه وقال تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص وقال تعالى ان الله يحب التوابين
ويحب المتطهرين ولذلك رد تعالى على من ادعى انه حبيب الله فقال قل فلم يعذبكم بذنوبكم وقد روى انس عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال اذا احب الله عبدا لم يضره ذنب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ثم تلا ان الله يحب التوابين
ويحب المتطهرين ومعناه انه اذا احبه تاب عليه قبل الموت فلم تضره الذنوب الماضية وان كثرت كما لا يضر الكفر
الماضي بعد الاسلام وقد اشترط الله للمحبة غفران الذنب فقال قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم
ذنوبكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الايمان الا من يحب
وقال صلى الله عليه وسلم من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن اكثر ذكر الله احبه الله وقال صلى الله عليه وسلم
قال الله تعالى لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به الحديث وقال
زيد بن اسلم ان الله ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له ان يقول اعمل ما شئت فقد غفرت لك وما ورد من
الفاظ المحبة خارج عن الحصر وقد ذكرنا ان محبة العبد لله حقيقة وليست بمجاز اذ المحبة في وضع اللسان عبارة
عن ميل النفس الى الشئ الموافق والعشق عبارة عن الميل الغالب المفرط وقد بينا ان الاحسان موافق للنفس والجمال
موافق ايضا وان الجمال والاحسان تارة يدرك بالبصر وتارة بالبصيرة والحب يتبع كل واحد منهما فلا
يختص بالبصر فاما حب الله تعالى للعبد فلا يمكن ان يكون بهذا المعنى اصلا بل الاسامي كلها اذا اطلقت على الله تعالى وعلى
غير الله لم ينطلق عليهما بمعنى واحد اصلا حتى ان اسم الوجود الذي هو اعم الاسماء اشتراكا لا يشمل الخالق والمخلوق على وجه
واحد بل كل ما سوى الله فوجوده مستفاد من وجود الله فالوجود التابع لا يكون مساويا للوجود المتبوع وانما
الاستواء في اطلاق الاسم نظيره اشتراك الفرس والشجر في اسم الجسم اذ معنى الجسمية وحقيقتها متشابه فيهما

نتعهد ونتغشاها

من غير استحقاق احدهما لان يكون فيه اصلا فليست المحبة لاحدهما مستفادة من الاخر وليس كذلك اسم الوجود له
ولخلقه وهذا التساهل في سائر الاسامي الظاهرة كالعلم والارادة والقدرة وغيرها فكل ذلك لا يشبه الخالق فيه الخلق واستعمالها
في حق الخالق بطريق الاستعارة والتجوز والنقل والمحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس الى الموافق الملائم وهذا انما
يتصور في نفس ناقصة فاتها ما يوافقها فتستفيد بنيله كمالا فتلتذ بنيله وهذا محال على الله تعالى فان كل
كمال وجمال وبهاء وجلال ممكن في حق الالهية فهو حاضر وحاصل وواجب الحصول ابدا وازلا ولا يتصور تجدده ولا
زواله فلا يكون له الى غيره نظر من حيث انه غير بل نظره الى ذاته والى افعاله فقط وليس في الوجود الا ذاته وافعاله
ولذلك قال الشيخ ابو سعيد الميهني لما قرئ عليه قوله تعالى يحبهم ويحبونه فقال بحق يحبهم فانه ليس يحب الا
نفسه ومعنى ما ورد من الالفاظ في حبه لعباده فهو مؤول ويرجع معناه الى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه
والى تمكينه اياه من القرب منه والى ارادته ذلك به في الازل فحبه لمن احبه ازلي مهما اضيف الى الارادة الازلية التي اقتضت تمكين
هذا العبد من سلوك طرق القرب والا اضيف الى فعله الذي يكشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث يحدث بحدوث
السبب المقتضي له كما قال لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فيكون تقربه بالنوافل سببا لصفاء باطنه وارتفاع
الحجاب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه فكل ذلك فعل الله تعالى ولطفه به فهو معنى حبه ولا يفهم هذا الا بمثال وهو
ان الملك قد يقرب عبده من نفسه ويأذن له في كل وقت في حضور بساطه لميل الملك اليه اما لينصره بقوته او ليستريح الى
مشاهدته او ليستشيره في رأيه او ليهيئ اسباب شرابه وطعامه فيقال ان الملك يحبه ويكون معناه ميله اليه لما فيه من المعنى
الموافق الملائم له وقد يقرب عبدا ولا يمنعه من الدخول عليه لا للانتفاع به ولا للاستنجاد به ولكن لكون العبد في نفسه
موصوفا من الاخلاق الرضية والخصال الحميدة بما يليق به ان يكون قريبا من حضرة الملك وافر الحظ من قربه مع ان
الملك لا غرض له فيه اصلا فاذا رفع الملك الحجاب بينه وبينه يقال قد احبه واذا اكتسب من الخصال الحميدة ما اقتضى رفع
الحجاب يقال قد توصل وحبب نفسه الى الملك فحب الله للعبد انما يكون بالمعنى الثاني لا بالمعنى الاول وانما يصح تمثيله
بالمعنى الثاني بشرط ان لا يسبق الى فهمك دخول تغير عليه عند تجدد القرب فان الحبيب هو القريب من الله تعالى
والقرب من الله في البعد من صفات البهائم والسباع والشياطين والتخلق بمكارم الاخلاق التي هي الاخلاق الالهية فهو قرب
بالصفة لا بالمكان ومن لم يكن قريبا فصار قريبا فقد تغير فربما يظن ان هذا القرب لما تجدد فقد تغير وصف العبد
والرب جميعا اذ صار قريبا بعد ان لم يكن وهو محال في حق الله تعالى اذ التغير عليه محال بل لا يزال نعوت الكمال والجلال
على ما كان عليه في ازل الازال ولا ينكشف هذا الا بمثال القرب بين الاشخاص فان الشخصين قد يتقاربان بتحركهما جميعا
وقد يكون احدهما ثابتا فيتحرك الاخر فيحصل القرب بتغير في احدهما من غير تغير في الاخر بل القرب في الصفات ايضا كذلك فان التلميذ
يطلب القرب من درجة استاذه في كمال العلم وجماله والاستاذ واقف في كمال علمه غير متحرك بالنزول الى درجة تلميذه
والتلميذ متحرك مترق من حضيض الجهل الى يفاع العلم فلا يزال دائبا في التغير والترقي الى ان يقرب من استاذه والاستاذ
ثابت غير متغير فكذلك ينبغي ان يفهم ترقي العبد في درجات القرب فكلما صار اكمل صفة واتم علما واحاطة بحقائق
الامور واثبت قوة في قهر الشيطان وقمع الشهوات واظهر نزاهة عن الرذائل صار اقرب من درجة الكمال ومنتهى الكمال
لله وقرب كل واحد من الله بقدر كماله نعم قد يقدر التلميذ على القرب من الاستاذ وعلى مساواته وعلى مجاوزته وذلك في حق الله
محال فانه لا نهاية لكماله وسلوك العبد في درجات الكمال متناه ولا ينتهي الا الى حد محدود فلا مطمع له في المساواة ثم
درجات القرب تتفاوت تفاوتا لا نهاية له ايضا لاجل انتفاء النهاية عن ذلك الكمال فاذا محبة الله تعالى للعبد تقريبه
من نفسه بدفع الشواغل والمعاصي عنه وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كانه يراه
بقلبه واما محبة العبد لله فهو ميله الى درك هذا الكمال الذي هو مفلس عنه فاقد له فلا جرم يشتاق الى ما فاته واذا

ادرك منه شيئا يلتذ به والشوق والمحبة بهذا المعنى محال على الله تعالى فان قلت فمحبة الله للعبد امر ملتبس
فبم يعرف العبد انه حبيب الله فاقول يستدل عليه بعلاماته فقد قال صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا ابتلاه
فان احبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك له اهلا ولا مالا فعلامة محبة الله للعبد ان يوحشه
عن غيره ويحول بينه وبين غيره قيل لعيسى عليه الصلاة والسلام لم لا تشتري حمارا فتركبه فقال انا اعز على الله تعالى
من ان يشغلني عن نفسه بحمار وفي الخبر اذا احب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه فان رضي اصطفاه
قال بعض العلماء اذا رأيته يحبك ورأيته يبتليك فاعلم انه يريد ان يصافيك وقال بعض المريدين
لاستاذه قد طولعت بشيء من المحبة فقال يا بني هل ابتلاك بمحبوب سواه فآثرت عليه اياه قال لا قال فلا تطمع
في المحبة فانه لا يعطيها عبدا حتى يبلوه وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا جعل له واعظا من نفسه وزاجرا
من قلبه يأمره وينهاه وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فاخص علاماته حبه لله فان
ذلك يدل على حب الله واما الفعل الدال على كونه محبوبا فهو ان يتولى الله امره ظاهره وباطنه سره وجهره
فيكون هو المشير عليه والمدبر لامره والمزين لاخلاقه والمستعمل لجوارحه والمسدد لظاهره وباطنه والجاعل
همومه هما واحدا والمبغض للدنيا في قلبه والموحش له من غيره والمؤنس له بلذة المناجاة في خلواته والكاشف له
عن الحجب بينه وبين معرفته فهذا وامثاله هو علامة حب الله للعبد فلنذكر الان علامات محبة العبد لله تعالى
فانها ايضا علامات حب الله للعبد — اعلم ان المحبة يدعيها كل احد
وما اسهل الدعوى وما اعز المعنى فلا ينبغي ان يغتر الانسان بتلبيس الشيطان وخدع النفس مهما ادعت محبة الله
ما لم يمتحنها بالعلامات وما لم يطالبها بالبراهين والادلة والمحبة شجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء وثمارها تظهر
في القلب واللسان والجوارح وتدل تلك الاثار الفائضة منها على القلب والجوارح على المحبة دلالة الدخان على النار ودلالة
الثمار على الاشجار وهي كثيرة فمنها حب لقاء الحبيب بطريق الكشف والمشاهدة في دار السلام فلا يتصور ان يحب
القلب محبوبا الا ويحب مشاهدته ولقاءه واذا علم انه لا وصول الا بالارتحال من الدنيا ومفارقتها بالموت فينبغي
ان يكون محبا للموت غير فار منه فان المحب لا يثقل عليه السفر عن وطنه الى مستقر محبوبه ليتنعم بمشاهدته والموت
مفتاح اللقاء وباب الدخول الى المشاهدة قال عليه الصلاة والسلام من احب لقاء الله احب الله لقاءه وقال
حذيفة عند الموت حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم وقال بعض السلف ما من خصلة احب الى الله
ان تكون في العبد بعد حب لقائه من كثرة السجود فقدم حب لقاء الله على السجود وقد شرط الله تعالى لحقيقة الصدق
في الحب القتل في سبيل الله حيث قالوا انا نحب الله فجعل القتل في سبيل الله وطلب الشهادة علامته فقال ان الله
يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وقال يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وفي وصية ابي بكر لعمر
رضي الله عنهما الحق ثقيل وهو مع ثقله مريء والباطل خفيف وهو مع خفته وبيء فان حفظت وصيتي لم يكن
غائب احب اليك من الموت وهو مدركك وان ضيعت وصيتي لم يكن غائب ابغض اليك من الموت ولن تعجزه
وروى ان اسحاق بن سعيد بن ابي وقاص قال حدثني ابي ان عبد الله بن جحش قال له يوم احد الا ندعو الله
فخلوا في ناحية فدعا عبد الله بن جحش فقال يا رب اني اقسم عليك اذا لقيت العدو غدا فلقني رجلا شديدا بأسه
شديدا حرده اقاتله فيك ويقاتلني ثم يأخذني فيجدع انفي واذني ويبقر بطني فاذا لقيتك غدا قلت يا عبد
الله من جدع انفك واذنك فاقول فيك وفي رسولك فتقول صدقت قال سعد فلقد رأيته اخر النهار وان
انفه واذنه لمعلقتان في خيط وقال سعيد بن المسيب ارجو ان يبر الله اخر قسمه كما ابر اوله وقد كان
الثوري وبشر الحافي يقولان لا يكره الموت الا مريب لان الحبيب على كل حال لا يكره لقاء الحبيب وقال البويطي لبعض

لبعض الزهاد اتحب الموت وكانه توقف فقال لو كنت صادقا لاحببته وتلا قوله تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فقال
الرجل قد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يتمنين احدكم الموت فقال انما قاله لضر نزل به لان الرضا بقضاء الله افضل من طلب
الفرار منه **فان قلت** من لا يحب الموت فهل يتصور ان يكون محبا لله **فاقول** كراهة الموت
قد تكون لحب الدنيا والتاسف على فراق الاهل والمال والولد وهذا ينافي كمال حب الله تعالى لان الحب الكامل هو الذي يستغرق
كل القلب ولكن لا يبعد ان يكون له مع حب الاهل والولد شائبة لحب الله تعالى ضعيفة فان الناس متفاوتون في الحب
ويدل على التفاوت **ما روى** ان ابا حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس لما زوج اخته فاطمة من سالم مولاه
عاتبته قريش في ذلك وقالوا انكحت عقيلة من عقائل قريش لمولى فقال والله لقد انكحته اياها واني لاعلم انه خير منها فكان قوله
عليهم اشد من فعله فقالوا وكيف وهي اختك وهو مولاك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من اراد ان ينظر الى رجل يحب الله بكل قلبه
فلينظر الى سالم فهذا يدل على ان من الناس من لا يحب الله بكل قلبه فيحبه ويحب ايضا غيره فلا جرم يكون نعيمه بلقاء الله عند القدوم عليه
على قدر حبه وعذابه بفراق الدنيا عند الموت على قدر حبه لها **واما السبب الثاني** للكراهة فهو ان يكون
العبد في ابتداء مقام المحبة وليس يكره الموت وانما يكره عجلته قبل ان يستعد للقاء الله فذلك لا يدل على ضعف الحب وهو كالمحب الذي
وصله الخبر بقدوم حبيبه عليه فاحب ان يتاخر قدومه ساعة ليهيئ له داره ويعد له اسبابه فيلقاه كما يهواه فارغ القلب
عن الشواغل خفيف الظهر عن العوائق فالكراهة بهذا السبب لا تنافي كمال الحب اصلا وعلامته الدؤب في العمل واستغراق
الهم في الاستعداد **ومنها** ان يكون مؤثرا ما احبه الله تعالى على ما يحبه في ظاهره وباطنه فيجتنب اتباع الهوى ويعرض عن دعة
الكسل ولا يزال مواظبا على طاعة الله تعالى ومتقربا اليه بالنوافل وطالبا عنده مزايا الدرجات كما يطلب المحب مزيد القرب في قلب
محبوبه **وقد** وصف الله تعالى المحبين بالايثار فقال يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على
انفسهم ومن بقي مستمرا على متابعة الهوى فمحبوبه ما يهواه بل يترك المحب هوى نفسه لهوى محبوبه **كما قيل**

اريد وصاله ويريد هجري ۞ فاترك ما اريد لما يريد

بل الحب اذا غلب قمع الهوى فلم يبق له تنعم بغير المحبوب كما روى ان زليخا لما امنت وتزوج بها يوسف عليه الصلاة والسلام انفردت عنه
وتخلت للعبادة وانقطعت الى الله تعالى فكان يدعوها الى فراشه نهارا فتدافعه الى الليل فاذا دعاها ليلا سوفت به الى النهار فقالت يا يوسف
انما كنت احبك قبل ان اعرفه فاما اذا عرفته فما ابقت محبته محبة لسواه وما اريد به بدلا حتى قال لها ان الله جل ذكره امرني
بذلك واخبرني انه مخرج منك ولدين وجاعلهما نبيين فقالت اما اذا كان الله تعالى امرك بذلك وجعلني طريقا اليه فطاعة
لامر الله تعالى فعند ذلك سكنت اليه فاذا من احب الله لا يعصيه ولذلك **قال** ابن المبارك فيه

تعصي الاله وانت تظهر حبه ۞ هذا لعمري في الفعال بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته ۞ ان المحب لمن يحب مطيع

وقيل في هذا المعنى ايضا

واترك ما اهوى لما قد هويته ۞ وارضى بما ترضى وان سخطت نفسي

وقال سهل علامة الحب ايثاره على نفسك وليس كل من عمل بطاعة الله صار حبيبا وانما الحبيب من اجتنب المناهي وهو كما قال
لان محبته لله سبب محبة الله له كما قال يحبهم ويحبونه واذا احبه الله تعالى تولاه ونصره على اعدائه وانما عدوه نفسه وشهواته فلا يخذله
الله ولا يكله الى هواه وشهواته ولذلك قال الله تعالى والله اعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا **فان قلت**
فالعصيان هل يضاد اصل المحبة **فاقول** انه يضاد كمالها ولا يضاد اصلها فكم من انسان يحب نفسه وهو مريض ويحب الصحة ويأكل
ما يضره مع العلم بانه يضره وذلك لا يدل على عدم حبه لنفسه ولكن المعرفة قد تضعف والشهوة قد تغلب فيعجز عن القيام بحق المحبة ويدل عليه
ما روى ان نعيمان كان يؤتى به الى رسول الله في كل قليل فيحده في معصية يرتكبها الى ان اتي به يوما فحده فلعنه رجل وقال ما اكثر ما يؤتى به

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله فلم يخرجه بالمعصية عن المحبة نعم تخرجه
المعصية عن كمال الحب **وقد قال** بعض العارفين اذا كان الايمان في ظاهر القلب احب الله تعالى حبا متوسطا فاذا
دخل سويداء القلب احبه الحب البالغ وترك المعاصي وبالجملة في دعوى المحبة خطر ولذلك **قال** الفضيل اذا قيل
لك اتحب الله تعالى فاسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم فليس وصفك وصف المحبين فاحذر المقت ولقد
قال بعض العلماء ليس في الجنة نعيم اعلى من نعيم اهل المعرفة والمحبة ولا في جهنم عذاب اشد من عذاب من ادعى المعرفة والمحبة ولم
يتحقق بشيء من ذلك **ومنها** ان يكون مستهترا بذكر الله تعالى لا يفتر عنه لسانه ولا يخلو عنه قلبه فمن احب شيئا اكثر
بالضرورة من ذكره وذكر ما يتعلق به فعلامة حب الله تعالى حب ذكره وحب القران الذي هو كلامه وحب رسوله عليه السلام
وحب كل من ينسب اليه فان من يحب انسانا يحب كلب محلته فالمحبة اذا قويت تعدت من المحبوب الى كل ما يكتنف
بالمحبوب ويحيط به ويتعلق باسبابه وذلك ليس شركة في الحب فان من احب رسول المحبوب لانه رسوله وكلامه
لانه كلامه فلم يجاوز حبه الى غيره بل هو دليل على كمال حبه ومن غلب حب الله على قلبه احب جميع خلق الله لانهم خلقه فكيف لا يحب القران
والرسول وعباد الله الصالحين وقد ذكرنا تحقيق هذا في كتاب اداب الاخوة والصحبة ولذلك **قال** تعالى قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله **وقال** رسول الله صلى الله عليه وسلم احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني لله تعالى وقال سفيان من
احب من يحب الله تعالى فانما احب الله تعالى ومن اكرم من يكرم الله تعالى فقد اكرم الله تعالى **وحكي** عن بعض المريدين قال
كنت قد وجدت حلاوة المناجاة في سن الارادة فادمنت قراءة القران ليلا ونهارا ثم لحقتني فترة فانقطعت عن التلاوة
قال فسمعت قائلا يقول لي في المنام ان كنت تزعم انك تحبني فلم جفوت كتابي ۞ اما تدبرت ما فيه من لطيف عتابي ۞
قال فانتبهت وقد اشرب في قلبي محبة القران فعاودت الى حالي **وقال** ابن مسعود لا ينبغي ان يسأل احدكم عن نفسه
الا القران فان كان يحب القران فهو يحب الله تعالى وان لم يحب القران فليس يحب الله تعالى وقال سهل علامة حب الله حب القران
وعلامة حب الله وحب القران حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبي حب السنة وعلامة حب السنة حب الاخرة وعلامة حب
الاخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا ان لا ياخذ منها الا زادا وبلغة الى الاخرة **ومنها** ان يكون انسه بالخلوة ومناجاة
الله تعالى وتلاوة كتابه فيواظب على التهجد ويغتنم هدو الليل وصفاء الوقت بانقطاع العوائق واقل درجات
الحب التلذذ بالخلوة بالحبيب والتنعم بمناجاته فمن كان النوم والاشتغال بالحديث الذ عنده واطيب من مناجاة الله كيف تصح
محبته **قيل** لابراهيم بن ادهم وقد نزل من الجبل من اين اقبلت فقال من الانس بالله عز وجل **وفي** اخبار داود عليه السلام
لا تستانس الى احد من خلقي فاني انما اقطع عني رجلين رجلا استبطا ثوابي فانقطع ورجلا نسيني فرضي بحاله وعلامة ذلك
ان اكله الى نفسه وان ادعه في الدنيا حيران ومهما انس بغير الله كان بقدر انسه بغير الله مستوحشا من الله ساقطا عن درجة
محبته **وفي قصة** برخ وهو العبد الاسود الذي استسقى به موسى عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى قال لموسى
ان برخا نعم العبد هو لي الا ان فيه عيبا قال يا رب وما عيبه قال يعجبه نسيم الاسحار فيسكن اليه ومن احبني لا يسكن الى شيء وروي
ان عابدا عبد الله تعالى في غيضة دهرا فنظر الى طائر قد عشش في شجرة يأوي اليها ويصفر عندها فقال لو حولت مسجدي
الى تلك الشجرة فكنت انس بصوت هذا ففعل فاوحى الله تعالى الى نبي ذلك الزمان قل لفلان العابد استانست بمخلوق لاحطنك درجة
لا تنالها بشيء من عملك ابدا فاذا علامة المحبة كمال الانس بمناجاة المحبوب وكمال التنعم بالخلوة به وكمال الاستيحاش من كل ما ينغص عليه
الخلوة ويعوق عن لذة المناجاة وعلامة الانس ان يصير العقل والفهم كله مستغرقا بلذة المناجاة كالذي يخاطب معشوقه ويناجيه
وقد انتهت هذه اللذة ببعضهم حتى كان في صلاته ووقع الحريق في داره فلم يشعر به **وقطعت** رجل بعضهم بسبب علة
اصابته وهو في الصلاة فلم يشعر به ومهما غلب الحب والانس صارت الخلوة والمناجاة قرة عين تدفع جميع الهموم بل يستغرق
الانس والحب قلبه حتى لا يفهم امور الدنيا ما لم تكرر على سمعه مرارا مثل العاشق الولهان فانه يكلم الناس بلسانه وانسه

في الباطن بذكر حبيبه فالمحبين لا يطمئن الا بمحبوبه وقال قتادة في قوله تعالى الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله
الا بذكر الله تطمئن القلوب قال هشت اليه واستانست به وقال الصديق من ذاق من خالص محبته شغله
ذلك عن طلب الدنيا واوحشه عن جميع البشر • وقال مطرف بن ابي بكر المحب لا يسام من حديث حبيبه واوحى
الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام قد كذب من ادعى محبتي اذا جنه الليل نام عني اليس كل محب يحب لقاء حبيبه
فها انا موجود لمن طلبني وقال موسى يا رب اين انت فاقصدك فقال اذا قصدت فقد وصلت •
وقال يحيى بن معاذ من احب الله ابغض نفسه وقال ايضا من لم تكن فيه ثلث خصال فليس بمحب يوثر كلام الله
على كلام الخلق • ولقاء الله على لقاء الخلق والعبادة على خدمة الخلق ومنها ان لا يأسف على ما يفوته مما سوى
الله تعالى ويعظم تأسفه على فوت كل ساعة خلت من ذكر الله تعالى وطاعته فيكثر رجوعه عند الغفلات بالاستعطاف
والاستغفار والتوبة قال بعض العارفين ان لله عبادا احبوه فاطمانوا اليه فذهب عنهم التاسف على
الفايت فلم يتشاغلوا بحظ انفسهم اذ كان ملك مليكهم تاما وما شاء كان فما كان لهم فهو واصل اليهم وما فاتهم فبحسن تدبيره
لهم وحق المحب اذا رجع من غفلته في لحظته ان يقبل على محبوبه ويشتغل بالعتاب ويساله ويقول رب باي ذنب قطعت
برك عني • وابعدتني عن حضرتك • وشغلتني بنفسي وبمتابعة الشيطان فيستخرج ذلك منه صفاء ذكر ورقة قلب يكفر عنه
ما سبق من الغفلة • وتكون هفوته سببا لتجديد ذكره وصفاء قلبه ومهما لم ير المحب الا المحبوب ولم ير شيا الا منه لم
يأسف ولم يشك واستقبل الكل بالرضا علما ان المحبوب لم يقدر له الا خيرا ما فيه خيرته ويذكر قوله تعالى عسى ان تكرهوا شيا
وهو خير لكم • ومنها ان يتنعم بالطاعة ولا يستثقلها ويسقط عنه تعبها كما قال بعضهم كابدت الليل عشرين سنة
ثم تنعمت به عشرين سنة وقال الجنيد علامة المحبة دوام النشاط والدؤب بشهوة تفتر بدنه ولا تفتر قلبه وقال بعضهم
العمل على المحبة لا يدخله الفتور • وقال بعض العلماء والله ان المشتاق يحب تعبه من طاعته ولو جاء يعظم الوسايل وكل هذا مشاهد
موجود في المشاهدات فان العاشق لا يستثقل السعي في هوى معشوقه ويستلذ خدمته بقلبه وان كان شاقا على بدنه
ومهما عجز بدنه كان احب الاشياء اليه ان تعاوده القدرة وان يفارقه العجز حتى يشتغل به فهكذا يكون حب الله تعالى فان
كل حب صار غالبا قهر لا محالة ما هو دونه فمن كان محبوبه احب اليه من الكسل ترك الكسل في خدمته وان كان احب اليه من المال ترك
المال في حبه وقيل لبعض المحبين وقد كان بذل ماله ونفسه حتى لم يبق له شي ما كان سبب حالك هذه في المحبة فقال
سمعت يوما محبا وقد خلا بمحبوبه وهو يقول انا والله احبك بقلبي كله وانت معرض عني بوجهك كله فقال له المحبوب
ان كنت تحبني فاي شي تنفق علي فقال يا سيدي املكك ما املك ثم انفق عليك روحي حتى تهلك فقلت هذا خلق لخلق
وعبد لعبد فكيف بعبد لمعبود فكان هذا سببه ومنها ان يكون مشفقا على جميع عباد الله رحيما بهم شديدا على جميع اعداء
الله • وعلى كل من يقارف شيا مما يكرهه الله كما قال تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم ولا تاخذه في الله لومة لايم
ولا يصرفه عن الغضب لله صارف وبه وصف الله تعالى اولياءه اذ قال الذين يكلفون بحبي كما يكلف الصبي بالشي ويأوون
الى ذكري كما ياوي النسر الى وكره ويغضبون لمحارمي كما يغضب النمر اذا حرد فانه لا يبالي قل الناس او كثروا فانظر الى
هذا المثال فان الصبي اذا كلف بالشي لم يفارقه اصلا وان اخذ منه لم يكن له شغل الا البكاء والصياح حتى يرد اليه
فان نام اخذه معه في ثيابه فاذا عاد وتمسك به ومهما فارقه بكى • ومهما وجده ضحك ومن نازعه فيه ابغضه ومن اعطاه
احبه واما النمر فانه لا يملك نفسه عند الغضب حتى يبلغ من شدة غضبه ان يهلك نفسه فهذه علامات المحبة فمن
تمت له العلامات فقد تمت محبته وخلص حبه وصفا في الاخرة شرابه وعذب مشربه ومن امتزج بحبه غير حب الله تنعم في الاخرة
بقدر حبه اذ يمزج شرابه بقدر من شراب المقربين كما قال تعالى في الابرار ان الابرار لفي نعيم ثم قال يسقون من رحيق مختوم ختامه
مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون فانما طابت شراب الابرار بشرب الشراب

الصرف الذي هو للمقربين والشراب عبارة عن جملة نعيم الجنات كما ان الكتاب عبر به عن جميع الاعمال فقال ان كتاب الابرار
ثم قال يشهده المقربون فكان امارة علو كتابهم انه ارتفع الى حيث يشهده المقربون وكما كان الابرار
يجدون المزيد في حالهم ومعرفتهم ويقربهم من المقربين ومشاهدتهم لهم فكذلك يكون حالهم في الاخرة
ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وكما بدانا اول خلق نعيده • وكما قال تعالى جزاء وفاقا اي وافق الجزاء
اعمالهم فقوبل الخالص بالصرف من الصراف • وقوبل المشوب بالمشوب • وشرب كل شراب على قدر ما سبق من
حبه واعماله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وان الله لا يظلم مثقال ذرة
وان تك حسنة يضاعفها وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين • فمن كان حبه في الدنيا
ورجاؤه لنعيم الاخرة والحور والقصور مكن من الجنة ليتبوأ منها حيث يشاء فيلعب مع الولدان • ويتمتع بالنسوان
ومن كان مقصده رب الدار • ومالك الملك لم يغلب عليه الا حبه بالاخلاص والصدق انزل في مقعد صدق عند
مليك مقتدر فالابرار يرتعون في البستان ويتنعمون في الجنات مع الحور والولدان والمقربون
ملازمون للحضرة عاكفون بطرفهم عليها يستحقرون نعيم الجنات بالاضافة الى ذرة منها فهم بقضاء شهوة
البطن والفرج مشغولون وللمجالسة قوم اخرون ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله وعليون
لذوي الالباب ولما قصرت الافهام عن درك معنى عليين عظم امره فقال وما ادراك ما عليون كما قال
القارعة ما القارعة وما ادراك ما القارعة ومنها ان يكون في حبه خايفا متضائلا تحت الهيبة والتعظيم
وقد يظن ان الخوف يضاد الحب وليس كذلك بل ادراك العظمة يوجب الهيبة كما ان ادراك الجمال يوجب الحب وللخصوص
المحبوبين مخاوف في مقام المحبة ليست لغيرهم وبعض مخاوفهم اشد من بعض فاولها خوف الاعراض واشد منه خوف
الحجاب واشد منه خوف الابعاد وهذا المعنى من سورة هود هو الذي شيب سيد المحبين اذ سمع قوله تعالى الا بعدا
لثمود الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود وانما يعظم هيبة البعد وخوفه في قلب من الف القرب وذاقه وتنعم به فحديث
البعد في حق المبعدين يشيب سامعه اهل القرب ولا يحن الى القرب من الف البعد ولا يبكي لخوف البعد من لم يمكن
بساط القرب ثم خوف الوقوف وسلب المزيد فانا قدمنا ان درجات القرب لا نهاية لها وحق العبد ان
يجتهد في كل نفس حتى يزداد فيه قربا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه
شرا من امسه فهو ملعون ولذلك قال صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي في اليوم والليلة سبعين مرة فاستغفر الله
وانما كان ذلك استغفارا من القدم الاول فانه كان بعدا بالاضافة الى القدم الثاني ويكون ذلك عقوبة لهم على الفتور في
الطريق والالتفات الى غير المحبوب كما روي عنه تعالى انه قال ان ادنى ما اصنع بالعالم اذا اثر شهوات الدنيا على
طاعتي ان اسلبه لذيذ مناجاتي فسلب المزيد يسلب لذة الشهوات عقوبة العموم واما الخصوص فحجبهم
عن المزيد بمجرد الدعوى والعجب والركون الى ما ظهر من مبادي اللطف وذلك هو المكر الخفي الذي لا يقدر على الاحتراز منه
الا ذوو الاقدام الراسخة ثم خوف فوت ما لا يدرك بعد فوته سمع ابرهيم بن ادهم قايلا يقول في سياحته
كل ذنب لك مغفور سوى الاعراض عنا قد وهبنا لك ما فات بقي ما فات منا فاضطرب وغشي
عليه فلم يفق يوما وليلة وطرات عليه احوال ثم قال سمعت النداء من الجبل يا ابرهيم كن عبدا فكنت عبدا
فاسترحت ثم خوف السلو عنه فان المحب يلازمه الشوق والطلب الحثيث فلا يفتر عن طلب المزيد ولا
يتسلى الا بلطف جديد فان تسلى عنه كان ذلك سبب وقوفه او سبب رجعته والسلو يدخل عليه من حيث لا يشعر
كما قد يدخل الحب عليه من حيث لا يشعر فان هذه التقلبات في القلب لها اسباب خفية سماوية ليس في قوة البشر الاطلاع
عليها واذا اراد الله المكر به واستدراجه اخفى عنه ما ورد عليه من السلو فيقف مع الرجاء ويغتر بحسن الظن او

يتم جبل

وغلبة الغفلة والهوى والنسيان وكل ذلك من جنود الشيطان الذي يغلب جنود الملائكة من العلم والعقل والذكر والبيان وكان من اوصاف الله تعالى ما يظهر فيقتضي هيجان الحب وهو اوصاف اللطف والرحمة والحكمة ومنها ما يلوح فيورث السلو كاوصاف الجبرية والعزة والاستغناء وذلك من مخوفات المكر والشقاء والحرمان ثم خوف الاستبدال به باشتغال القلب من حبه الى حب غيره وذلك هو المقت والسلو مقدمة هذا المقام والاعراض والحجاب مقدمة السلو وضيق الصدر بالبر وانقباضه عن دوام الذكر وملال الوظايف الاوراد اسباب هذه المعاني ومقدماتها فظهور هذه الاسباب دليل على النقل عن مقام الحب الى مقام المقت نعوذ بالله وملازمة الخوف لهذه الامور وشدة الحذر منها بصفاء المراقبة دليل صدق الحب فان من احب شيئا خاف لا محالة فقده فلا يخلو المحب عن خوف اذا كان المحبوب مما يمكن فواته وقد قال بعض العارفين من عبد الله تعالى بمحض المحبة من غير خوف هلك بالبسط والادلال ومن عبده من طريق الخوف من غير محبة انقطع عنه بالبعد والاستيحاش ومن عبده من طريق المحبة والخوف احبه الله تعالى فقربه ومكنه وعلمه فالمحب لا يخلو عن خوف والخايف لا يخلو عن محبة ولكن الذي غلب عليه المحبة حتى اتسع فيها ولم يكن له من الخوف الا يسير يقال هو في مقام المحبة ويعد من المحبين وكان شوب الخوف يسكن قليلا من سكر الحب فلو غلب الحب واستولت المعرفة لم تثبت لها طاقة البشر فانما الخوف يعدله ويخفف وقعه على القلب فقد روي في الاخبار ان بعض الصديقين ساله بعض الابدال ان يسال الله تعالى ان يرزقه ذرة من معرفته ففعل ذلك فهام في الجبال وحار عقله ووله قلبه وبقي شاخصا سبعة ايام لا ينتفع بشيء ولا ينتفع به شيء فسال له الصديق ربه تعالى فقال يا رب انقصه من الذرة بعضها فاوحى الله اليه انما اعطيناه جزءا من ماية الف جزء من ذرة من المعرفة وذلك ان ماية الف عبد سالوني شيئا من المحبة في الوقت الذي سالني هذا فاخرت اجابتهم الى ان شفعت انت لهذا فلما اجبتك فيما سالت اعطيتهم كما اعطيته فقسمت ذرة من المعرفة بين ماية الف عبد فهذا ما اصابه من ذلك فقال سبحانك يا احكم الحاكمين انقصه مما اعطيته فاذهب الله تعالى عنه جملة الجزء وبقي معه عشر معشاره وهو جزء من عشرة الاف جزء من ذرة فاعتدل خوفه وحبه ورجاؤه وسكن وصار كساير العارفين وقد قيل في

قريب الوجد ذو مرمى بعيد • عن الاحرار منهم والعبيد
غريب الوصف ذو علم غريب • كان فؤاده زبر الحديد
لقد عزت معانيه فغابت • عن الابصار الا للشهيد
يرى الاعياد في الاوقات تجري • له في كل يوم الف عيد
وللاحباب افراح بعيد • ولا يجد السرور له بعيد

وقد كان الجنيد ينشد ابياتا يشير بها الى احوال اسرار العارفين وان ذلك لا يجوز اظهاره وهي

سرت بأناس في الغيوب قلوبهم • فحلوا بقرب الماجد المتفضل
عراصا بقرب الله في ظل قدسه • تجول بها ارواحهم وتنقل
مواردهم فيها على العز والنهى • ومصدرهم عنها لما هو اكمل
تروح بعز مفرد من صفاته • وما كتمه اولى لديه واعدل
سأكتم من علمي به ما يصونه • وابذل منه ما ارى الحق يبذل
واعطي عباد الله منه حقوقهم • وامنع منه ما ارى المنع افضل
على ان للرحمن سرا يصونه • الى اهله في السر والصون اجمل

واما هذه المعارف التي اليها الاشارة لا يجوز ان يشترك الناس فيها ولا يجوز ان يظهره من انكشف له شيء منها لمن لم يكشف له بل لو اشترك الناس فيها لخربت الدنيا فالحكمة تقتضي شمول الغفلة لعمارة الدنيا بل لو اكل الناس كلهم الحلال اربعين يوما لخربت الدنيا لزهدهم فيها وبطلت الاسواق والمعايش بل لو اكل العلماء الحلال لاشتغلوا بانفسهم ولوقفت الالسنة والاقلام عن كثير مما انتشر من العلوم ولكن لله فيما هو شر في الظاهر اسرار وحكم كما ان له في الخير اسرارا وحكما ولا منتهى لحكمته كما لا غاية لقدرته ومنها كتمان الحب واجتناب الدعوى والتوقي من اظهار الوجد والمحبة تعظيما للمحبوب واجلالا له وهيبة منه وغيرة على سره فان الحب سر من اسرار الحبيب ولانه قد يدخل في الدعوى ما يتجاوز حد المعنى ويزيد عليه فيكون ذلك من الافتراء وتعظم العقوبة عليه ويتعجل عليه البلوى في الدنيا نعم قد تكون للمحب سكرة في حبه حتى يدهش فيه وتضطرب احواله فيظهر عليه حبه فان وقع ذلك عن غير تمحل واكتساب فهو معذور لانه مقهور وربما تشتعل من الحب نيرانه فلا يطاق سلطانه وقد يفيض القلب به فلا يندفع فيضانه فالقادر على الكتمان يقول

وقالوا قريب قلت ما انا صانع • بقرب شعاع الشمس لو كان في حجري
فما لي منه غير ذكر بخاطر • يهيج

والعاجز عنه يقول

يخفي فيبدي الدمع اسراره • ويظهر الوجد عليه النفس

ويقول ايضا

ومن قلبه مع غيره كيف حاله • ومن سره في جفنه كيف يكتم

وقد قال بعض العارفين اكثر الناس من الله تعالى بعدا اكثرهم اشارة به كانه اراد من يكثر التعريض به في كل شيء ويظهر التصنع بذكره عند كل احد فهو ممقوت عند المحبين والعلماء بالله ودخل ذو النون المصري على بعض اخوانه ممن كان يذكر المحبة فراه مبتلى ببلاء فقال لا يحبه من وجد الم ضربه فقال الرجل لكني اقول لا يحبه من لم يتنعم بضربه فقال ذو النون ولكني اقول لا يحبه من شهر نفسه بحبه فقال الرجل استغفر الله واتوب اليه فان قلت المحبة منتهى المقامات واظهارها اظهار للخير فلماذا يستنكر فاعلم ان المحبة محمودة وظهورها ايضا محمود وانما المذموم التظاهر بها لما يدخل فيها من الدعوى والاستكبار وحق المحب ان يتم على حبه الخفي افعاله واحواله دون اقواله وافعاله وينبغي ان تظهر حبه من غير قصد منه الى اظهار الحب ولا الى اظهار الفعل الدال على الحب بل ينبغي ان يكون قصد المحب اطلاع الحبيب فقط واما ارادته اطلاع غيره فشرك في الحب وقادح فيه كما ورد في الانجيل اذا تصدقت فتصدق بحيث لا تعلم شمالك ما صنعت يمينك فالذي يرى الخفيات يجزيك به علانية واذا صمت فاغسل وجهك وادهن راسك لئلا يعلم بذلك غير ربك فاظهار القول والفعل كله مذموم الا اذا غلب سكر الحب فانطلق اللسان واضطربت الاعضاء فلا يلام فيه صاحبه حكي ان رجلا راى من بعض المجانين ما استجهله فيه فاخبر بذلك معروف الكرخي فتبسم وقال يا اخي له محبون صغار وكبار وعقلاء ومجانين فهذا الذي رايته من مجانينهم ومما يكره التظاهر بالحب بسببه ان المحب ان كان عارفا وعرف احوال الملائكة في حبهم الدائم وشوقهم اللازم الذي به يسبحون الليل والنهار لا يفترون ولا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون لاستنكف من نفسه ومن اظهار حبه وعلم قطعا انه اخس المحبين في مملكته وان حبه انقص من حب كل محب لله تعالى قال بعض المكاشفين من المحبين عبدت الله تعالى ثلثين سنة باعمال القلوب والجوارح على بذل المجهود واستفراغ الطاقة حتى ظننت ان لي عند الله شيئا فذكر اشياء من مكاشفات ايات السموات في قصة طويلة قال في اخرها فبلغت صفا من الملائكة بعدد جميع ما خلق الله من شيء فقلت ما انتم فقالوا نحن المحبون لله تعالى نعبده ها هنا منذ ثلثماية الف سنة ما خطر على قلوبنا قط سواه ولا ذكرنا غيره قال فاستحييت من اعمالي فوهبتها لمن حق عليه الوعيد تخفيفا في جهنم فاذا من عرف نفسه وعرف ربه فاستحيى منه حق الحياء وخرس لسانه عن التظاهر بالدعوى نعم يشهد على حبه حركاته وسكناته واقدامه واحجامه وترددانه كما حكي عن الجنيد انه قال مرض استاذنا السري فلم نعرف لعلته

دواء ولا عرفنا لها سببا فوصف لنا طبيب حاذق فأخذنا قارورة مائه فنظر اليه الطبيب وجعل ينظر اليها مليا
ثم قال أراه بول عاشق قال الجنيد فصعقت وغشي علي ووقعت القارورة من يدي ثم رجعت
الى السري فأخبرته فتبسم ثم قال قاتله الله ما أبصره قلت يا استاذ وتبين المحبة في البول قال نعم
وقد قال السري مرة لو شئت أقول ما أيبس جلدي على عظمي وما أنحل جسمي الا حبه ثم غشي عليه وتدل الغشية
على أنه غاب في غلبته الوجد ومقدمات الغشية فهذه مجامع علامات الحب لله تعالى وثمراته ومنها
الأنس والرضا كما سيأتي وبالجملة جميع محاسن الدين ومكارم الأخلاق ثمرة الحب وما لا يثمره الحب فهو اتباع الهوى
وهو رذائل الأخلاق نعم قد يحب الله لإحسانه اليه وقد يحبه لجلاله وجماله وان لم يحسن اليه والمحبون لا يخرجون
عن هذين القسمين ولذلك قال الجنيد الناس في محبة الله عام وخاص فالعوام نالوا ذلك بمعرفتهم في دوام
احسانه وكثرة نعمه فلم يتمالكوا ان ارضوه الا انهم تقل محبتهم وتكثر على قدر النعم والاحسان فاما الخاصة
فنالوا المحبة بعظم القدر والقدرة والعلم والحكمة والتفرد بالملك فلما عرفوا صفاته الكاملة وأسماءه الحسنى
لم يمتنعوا ان احبوه اذ استحق عندهم المحبة بذلك لانه اهل له ولو أزال عنهم جميع النعم نعم من الناس من يحب
هواه وعدو الله ابليس وهو مع ذلك يلبس على نفسه بحكم الغرور والجهل ويظن انه محب لله وهو الذي تفقد
فيه هذه العلامات أو تلبيس بها نفاقا ورياء وسمعة وغرضه عاجل حظ الدنيا وهو يظهر من نفسه خلاف
ذلك كالعلماء السوء والقراء السوء أولئك بغضاء الله في أرضه وكان سهل اذا تكلم مع انسان قال
يا دوست أي يا حبيب فقيل له قد لا يكون حبيبا فكيف تقول هذا فقال في أذن القائل سرا لا يخلو اما ان
يكون مؤمنا فهو حبيب لله وان كان منافقا فهو حبيب ابليس وقد قال أبو تراب النخشبي في علامات المحبة ابياتا شعر

لا تخدعن فللحبيب دلائل ... ولديه من تحف الحبيب وسائل
منها تنعمه بمر بلائه ... وسروره في كل ما هو فاعل
فالمنع منه عطية مقبولة ... والفقر اكرام وبر عاجل
ومن الدلائل ان يرى من عزمه ... طوع الحبيب وان ألح العاذل
ومن الدلائل ان يرى متبسما ... والقلب فيه من الحبيب بلابل
ومن الدلائل ان يرى متفهما ... لكلام من يحظى لديه السائل
ومن الدلائل ان يرى متقشفا ... متحفظا من كل ما هو قائل
ومن الدلائل ان تراه مشمرا ... في خرقتين على شطوط الساحل
ومن الدلائل حزنه ونحيبه ... جوف الظلام فما له من عاذل
ومن الدلائل ان تراه مسافرا ... نحو الجهاد وكل فعل فاضل
ومن الدلائل زهده فيما يرى ... من دار ذل والنعيم الزائل
ومن الدلائل ان تراه باكيا ... ان قد رآه على قبيح فاعل
ومن الدلائل ان تراه مسلما ... كل الامور الى المليك العادل
ومن الدلائل ضحكه بين الورى ... والقلب محزون كقلب الثاكل
ومن الدلائل ان تراه راضيا ... بمليكه في كل حكم نازل

قد ذكرنا ان الأنس والخوف والشوق من آثار المحبة الا ان هذه آثار مختلفة تختلف على المحب

بسبب نظره وما يغلب عليه في وقته فاذا غلب عليه التطلع من وراء حجاب الغيب الى منتهى الجمال واستشعر قصوره عن الاطلاع
على كنه الجلال انبعث القلب الى الطلب وانزعج له وهاج اليه وتسمى هذه الحالة في الانزعاج شوقا وهو بالاضافة الى
أمر غائب واذا غلب عليه الفرح بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف وكان نظره مقصورا على
مطالعة الجمال الحاضر المكشوف غير ملتفت الى ما لم يدركه بعد استبشر القلب بما يلاحظه فيسمى استبشاره انسا
وان كان نظره الى صفات العز والاستغناء وعدم المبالاة وخطر امكان الزوال والبعد تألم قلبه بهذا الاستشعار
فيسمى ألمه خوفا وهذه الاحوال تابعة لهذه الملاحظات والملاحظات تابعة لاسباب تقتضيها
لا يمكن حصرها فالانس معناه استبشار القلب وفرحه بمطالعة الجمال حتى انه اذا غاب وتجرد عن ملاحظة
ما غاب عنه وما يتطرق اليه من خطر الزوال عظم نعيمه ولذته ومن هاهنا نظر بعضهم حيث قيل له انت
مشتاق فقال لا انما الشوق الى غائب فاذا كان الغائب حاضرا فالى من يشتاق وهذا كلام مستغرق
بالفرح بما ناله غير ملتفت الى ما بقي في الامكان من مزايا الالطاف ومن غلب عليه حال الانس لم تكن شهوته الا في الانفراد
والخلوة كما حكي ان ابراهيم بن أدهم نزل من الجبل فقيل له من أين أقبلت فقال من الانس بالله وذلك لان الانس بالله يلازمه
التوحش من غير الله بل كل ما يعوق عن الخلوة فيكون من أثقل الاشياء على القلب كما روي عن موسى عليه السلام لما كلمه ربه
مكث دهرا لا يسمع كلام احد من الناس الا أخذه الغشيان لان الحب يوجب عذوبة كلام المحبوب وعذوبة ذكره فيخرج
من القلب عذوبة ما سواه ولذلك قال بعض الحكماء في دعائه يا من آنسني بذكره وأوحشني من خلقه وقال الله تعالى
لداود عليه الصلاة والسلام كن لي مستأنسا ومن سواي مستوحشا وقيل لرابعة بم نلت هذه المنزلة قالت
بتركي ما لا يعنيني وأنسي بمن لم يزل وقال عبد الواحد بن زيد مررت براهب فقلت له يا راهب لقد أعجبتك
الوحدة فقال يا هذا لو ذقت حلاوة الوحدة لاستوحشت اليها من نفسك الوحدة رأس العبادة قلت
يا راهب ما أقل ما تجده في الوحدة قال الراحة من مداراة الناس والسلامة من شرهم قلت يا راهب متى يذوق
العبد حلاوة الانس بالله تعالى قال اذا صفا الود وخلصت المعاملة قلت متى يصفو الود قال اذا اجتمع
الهم فصار هما واحدا في الطاعة وقال بعض الحكماء عجبا للخلائق كيف أرادوا بك بدلا عجبا للقلوب كيف
استأنست بسواك عنك فان قلت فما علامة الانس فاعلم ان علامته الخاصة ضيق
الصدر من معاشرة الخلق والتبرم بهم واستهتاره بعذوبة الذكر فان خالط فهو كمنفرد في جماعة ومجتمع في خلوة وغريب
في حضر وحاضر في سفر وشاهد في غيبة وغائب في حضور مخالط بالبدن منفرد بالقلب المستغرق بعذوبة
الذكر كما قال علي رضي الله عنه في وصفهم هم قوم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين واستلانوا ما
استوعره المترفون وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الاعلى أولئك
خلفاء الله في ارضه والدعاة الى دينه فهذا معنى الانس بالله وهذه علامته وهذه شواهده وقد ذهب بعض المتكلمين الى انكار
الانس والشوق والحب لظنه ان ذلك يدل على التشبيه وجهله بأن جمال المدركات بالبصائر أكمل من جمال المبصرات
ولذة معرفتها أغلب على ذوي القلوب ومنهم أحمد بن غالب يعرف بغلام الخليل أنكر على الجنيد وعلى أبي الحسن النوري
وجماعة حديث الحب والشوق والعشق حتى أنكر بعضهم مقام الرضا وقال ليس الا الصبر فاما الرضا فغير متصور
وهذا كله كلام ناقص قاصر لم يطلع من مقامات الدين الا على القشور فظن انه لا وجود الا للقشر فان المحسوسات وكل ما
يدخل في الخيال من طريق الدين قشر مجرد ووراءه اللب المطلوب فمن لم يصل من الجوز الا الى قشره ظن ان الجوز خشب
واستحال عنده خروج الدهن منه لا محالة وهو معذور ولكن عذره غير مقبول وقد قيل
الانس بالله لا يحويه بطال وليس يدركه بالحول محتال والآنسون رجال كلهم نجب وكلهم صفوة لله عمال

بيان معنى الانبساط والادلال الذي يثمره غلبة الانس

اعلم ان الانس اذا دام وغلب واستحكم ولم يشوشه قلق الشوق ولم ينغصه خوف التغير والحجاب فانه يثمر نوعا من الانبساط في الاقوال والافعال والمناجاة مع الله تعالى وقد يكون منكر الصورة لما فيه من الجراءة وقلة الهيبة ولكنه محتمل ممن اقيم مقام الانس ومن لم يقم في ذلك المقام وتشبه بهم في الفعل والكلام هلك به واشرف على الكفر ومثاله مناجاة برخ الاسود الذي امر الله تعالى كليمه موسى ان يساله ليستسقي لبني اسرائيل بعد ان قحطوا سبع سنين وخرج موسى ليستسقي لهم في سبعين الفا فاوحى الله اليه كيف استجيب لهم وقد اظلمت عليهم ذنوبهم سرايرهم خبيثة يدعونني على غير يقين ويامنون مكري ارجع الى عبد من عبادي يقال له برخ فقل له يخرج حتى استجيب له فسال عنه موسى عليه السلام فلم يعرف فبينا موسى عليه الصلاة والسلام ذات يوم يمشي في طريق اذا بعبد اسود قد استقبله بين عينيه تراب من اثر السجود في شملة قد عقدها على عنقه فعرفه موسى بنور الله فسلم عليه وقال له ما اسمك فقال اسمي برخ قال فانت طلبتنا منذ حين اخرج فاستسق لنا فخرج فقال في كلامه ما هذا من فعالك ولا هذا من حلمك وما الذي بدا لك انقصت عليك عيونك ام عاندت الرياح عن طاعتك ام نفد ما عندك ام اشتد غضبك على المذنبين الست كنت غفارا قبل خلق الخطائين خلقت الرحمة وامرت بالعطف ام ترينا انك ممتنع ام تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة قال فما برح حتى اخضلت بنو اسرائيل بالقطر وانبت الله العشب في نصف يوم حتى بلغ الركب قال فرجع برخ فاستقبله موسى فقال كيف رايت حين خاصمت ربي كيف انصفني فهم موسى عليه الصلاة والسلام فاوحى الله تعالى اليه ان برخا يضحكني كل يوم ثلث مرات وعن الحسن قال احترقت اخصاص البصرة فبقي في وسطها خص لم يحترق وابو موسى يومئذ امير البصرة فاخبر بذلك فبعث الى صاحب الخص قال فاتي بشيخ فقال يا شيخ ما بال خصك لم يحترق قال اني اقسمت على ربي عز وجل ان لا يحرقه فقال ابو موسى اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكون في امتي قوم شعثة رؤوسهم دنسة ثيابهم لو اقسموا على الله تعالى لابرهم قال ووقع حريق بالبصرة فجاء ابو عبيدة الخواص فجعل يتخطى النار فقال له امير البصرة انظر لا تحترق بالنار فقال اني اقسمت على ربي ان لا يحرقني بالنار قال فاعزم عليها ان تطفى قال فعزم عليها فطفيت وكان ابو حفص الحداد يمشي ذات يوم فاستقبله رستاقي مدهوش فقال له ابو حفص ما لك قال ضل حماري ولا املك غيره قال فوقف ابو حفص وقال وعزتك لا اخطو خطوة ما لم ترد عليه حماره فظهر حماره في الوقت ومضى ابو حفص رحمه الله فهذا وامثاله يجري لذوي الانس

قال الجنيد رحمه الله اهل الانس يقولون في كلامهم ومناجاتهم في خلواتهم اشياء هي كفر عند العامة وقال مرة لو سمعها العوام لكفروهم وهم يجدون المزيد في احوالهم بذلك وذلك يحتمل منهم ويليق بهم

واليه اشار القايل

قوم تخالجهم زهو بسيدهم — والعبد يزهو على مقدار مولاه

تاهوا برؤيته عما سواه له — يا حسن رؤيتهم في عز ما تاهوا

ولا تستبعدن رضاه عن العبد بما يغضب به على غيره مهما اختلف مقامهما ففي القرآن تنبيهات على هذه المعاني لو فطنت وفهمت فجميع قصص القرآن تنبيهات لاولي البصائر والابصار حتى ينظروا اليها بعين الاعتبار وانما هي عند ذوي الاغترار من الاسمار فاول القصص قصة ادم وابليس اما تراهما كيف اشتركا في اسم المعصية والمخالفة ثم تباينا في الاجتباء والعصمة اما ابليس فابلس عن رحمته وقيل انه من المبعدين واما ادم فقيل فيه وعصى ادم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وقد عاتب الله نبيه عليه الصلاة والسلام في الاعراض عن عبد والاقبال على عبد وهما في العبودية سيان ولكن في الحال مختلفان فقال واما من جاءك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى وقال في الاخر اما من استغنى فانت له تصدى وكذلك امره بالقعود مع طايفة فقال واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم وامره بالاعراض عن غيرهم فقال واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى قال فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وقال واصبر

نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغدوة والعشي فكذا الانبساط والادلال يحتمل من بعض العباد دون بعض فمن انبساط الانس قول موسى عليه الصلاة والسلام ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء وقوله في التعلل والاعتذار لما قيل له اذهب الى فرعون فقال ولهم علي ذنب وقوله اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري وقوله اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى وهذا من غير موسى من سوء الادب لان الذي اقيم مقام الانس يلاطف ويحتمل ولم يحتمل ليونس ما دون هذا لما ان اقيم مقام القبض والهيبة فعوقب بالسجن في بطن الحوت في ظلمات ثلث ونودي عليه الى يوم الحشر لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم قال الحسن العراء هو القيامة ونهي نبينا صلى الله عليه وسلم ان يقتدي به وقيل فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم وهذه الاختلافات بعضها لاختلاف الاحوال والمقامات وبعضها لما سبق في الازل من التفاضل والتفاوت في القسمة بين العباد وقد قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وقال منهم من كلم الله ورفع بعضهم فوق بعض درجات فكان عيسى عليه السلام من المفضلين ولادلاله سلم على نفسه فقال والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا وهذا انبساط منه لما شاهد من اللطف في مقام الانس واما يحيى بن زكريا فانه اقيم مقام الهيبة فلم ينطق حتى اثنى عليه خالقه فقال وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا وانظر كيف احتمل لاخوة يوسف ما فعلوه بيوسف وقد قال بعض العلماء قد عددت من اول قوله تعالى اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا الى راس العشرين من اخباره تعالى عن زهدهم فيه نيفا واربعين خطيئة بعضها اكبر من بعض وقد يجتمع في الكلمة الواحدة الثلث والاربع فغفر لهم وعفا عنهم ولم يحتمل للعزير مسئلة واحدة سال عنها في القدر حتى قيل محي من ديوان النبوة وكذلك كان بلعام بن باعورا من اكابر العلماء فاكل الدنيا بالدين فلم يحتمل له ذلك وكان اصف من المسرفين وكانت معصيته في الجوارح فعفا عنه روي ان الله تعالى اوحى الى سليمان عليه الصلاة والسلام يا راس العابدين ويا ابن محجة الزاهدين الى كم يعصيني ابن خالتك اصف وانا احلم عنه مرة بعد مرة فوعزتي وجلالي لئن اخذته عطفة من عطفاتي عليه لاتركنه مثلة لمن معه ونكالا لمن بعده فلما دخل اصف على سليمان اخبره بما اوحى الله اليه فخرج حتى علا كثيبا من رمل ثم رفع راسه ويديه نحو السماء وقال الهي وسيدي انت انت وانا انا فكيف اتوب ان لم تتب علي وكيف استعصم ان لم تعصمني لاعودن فاوحى الله اليه صدقت يا اصف انت انت وانا انا استقبل التوبة فقد تبت عليك وانا التواب الرحيم وهذا كلام مدل به عليه وهارب منه اليه وناظر به اليه وفي الخبر ان الله تعالى اوحى الى عبد تداركه بعد ان كان اشفى على الهلكة كم من ذنب واجهتني به غفرته لك قد اهلكت في دونه امة من الامم فهذه سنة الله تعالى في عباده بالتفضيل والتقديم والتاخير على ما سبقت به المشية الازلية وهذه القصص اوردت في القرآن لتعرف بها سنة الله في عباده الذين خلوا من قبل فما في القرآن شي الا وهو هدى ونور وتعرف من الله الى خلقه فتارة يتعرف اليهم بالتقديس فيقول قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد وتارة يتعرف اليهم بصفات جلاله فيقول الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر وتارة يتعرف اليهم في افعاله المخوفة والمرجوة فيتلو عليهم سنته في اعدائه وانبيائه فيقول الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد ولا يعدو القرآن هذه الاقسام الثلثة وهي الارشاد الى معرفة ذات الله تعالى وتقديسه او معرفة صفاته واسمائه او معرفة افعاله وسنته مع عباده ولما اشتملت سورة الاخلاص على احد هذه الاقسام الثلثة وهو التقديس وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث القرآن فقال من قرا سورة الاخلاص فقد قرا ثلث القرآن لان منتهى التقديس ان يكون واحدا في ثلثة امور لا يكون حاصلا منه من هو من نوعه وشبهه ودل عليه قوله لم يلد ولا يكون هو حاصلا ممن هو نظيره وشبهه ودل عليه قوله ولم يولد ولا يكون في درجته وان لم يكن اصلا له ولا فرعا من هو مثله ودل عليه قوله ولم يكن له كفوا احد ويجمع جميع ذلك قوله قل هو الله احد وجملته تفصيل قولك لا اله الا الله

فهذه اسرار القرآن ولا يتناهى امثال هذه الاسرار في القرآن ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين ولذلك قال ابن مسعود
ثوروا القرآن والتمسوا غرائبه ففيه علم الاولين والآخرين وهو كما قال ولا يعرفه الا من طال في آحاد كلماته فكره وصفا له
فهمه حتى يشهد له كل كلمة منه بانه كلام جبار قاهر مليك وانه خارج عن حد استطاعة البشر واكثر اسرار القرآن معباة في طي
القصص والاخبار فكن حريصا على استنباطها لينكشف لك فيها من العجائب ما تستحقر معها العلوم المزخرفة الخارجة
عنها فهذا ما اردنا ذكره من معنى الانس والانبساط الذي هو ثمرته وبيان تفاوت عباد الله فيه القول في معنى الرضا
بقضاء الله تعالى وحقيقته وما ورد في فضيلته اعلم ان الرضا ثمرة من ثمار المحبة وهو من اعلى مقامات المقربين وحقيقته
غامضة على الاكثرين وما يدخل عليه من التشابه والابهام غير منكشف الا لمن علمه الله التاويل وفقهه في الدين فقد انكر منكر
تصور الرضا بما يخالف الهوى ثم قالوا ان امكن الرضا بكل شيء لانه فعل الله فينبغي ان يرضى بالكفر والمعاصي وانخدع به قوم
فراوا الرضا بالفجور والفسق وترك الاعتراض والانكار من باب التسليم لقضاء الله ولو انكشفت هذه الاسرار لمن اقتصر على
سماع ظواهر الشرع لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس حيث قال اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فلنبدأ ببيان فضيلة
الرضا ثم بحكايات احوال الراضين ثم نذكر حقيقة الرضا وكيفية تصوره فيما يخالف الهوى
ثم نذكر ما يظن انه من تمام الرضا وليس منه كترك الدعاء والسكوت على المعاصي

بيان فضيلة الرضا

اما من الآيات فقوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه وقد قال تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان ومنتهى
الاحسان رضا الله عن عبده وهو ثواب رضا العبد عنه وقال تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من
الله اكبر فقد رفع الله الرضا فوق جنات عدن كما رفع ذكره فوق الصلاة حيث قال ان الصلاة تنهى عن الفحشاء
والمنكر ولذكر الله اكبر فكما ان مشاهدة المذكور في الصلاة اكبر من الصلاة فرضوان رب الجنة اعلى من الجنة بل
هو غاية مطالب سكان الجنان ففي الحديث ان الله سبحانه يتجلى للمؤمنين فيقول سلوني فيقولون رضاك
فسؤالهم الرضا بعد النظر نهاية التفضيل واما رضا العبد فسنذكر حقيقته واما رضوان الله عن العبد فهو
بمعنى آخر يقرب مما ذكرناه في حب الله للعبد ولا يجوز ان ينكشف عن حقيقته اذ تقصر افهام الخلق عن دركه
ومن يقوى عليه فيستقل بادراكه من نفسه وعلى الجملة فلا رتبة فوق النظر اليه وانما سالوا الرضا لانه سبب
دوام النظر فكانهم راوه غاية الغايات واقصى الاماني لما ظفروا بنعيم النظر فلما امروا بالسؤال لم يسالوا الا دوامه
وعلموا ان الرضا هو سبب دوام رفع الحجاب. قال تعالى ولدينا مزيد قال بعض المفسرين فيه ياتي اهل الجنة
في وقت المزيد ثلاث تحف من عند رب العالمين. احداها هدية من الله تعالى ليس عندهم في الجنان مثلها
فذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين والثانية السلام عليهم من ربهم فيزيد ذلك على الهدية
فضلا وهو قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم. والثالثة يقول الله تعالى اني عنكم راض فيكون ذلك افضل من الهدية والتسليم
فذلك قوله تعالى ورضوان من الله اكبر اي من النعيم الذي هم فيه فهذا فضل رضا الله وهو ثمرة رضا
العبد. واما من الاخبار فقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سال طائفة من اصحابه ما انتم فقالوا مؤمنون
فقال ما علامة ايمانكم. فقالوا نصبر على البلاء. ونشكر عند الرخاء. ونرضى بمواقع القضاء. فقال مؤمنون ورب
الكعبة. وفي خبر آخر انه قال حكماء علماء كادوا من فقههم ان يكونوا انبياء. وفي الخبر طوبى لمن هدي
للاسلام وكان رزقه كفافا ورضي به. وقال صلى الله عليه وسلم من رضي من الله تعالى بالقليل من الرزق رضي الله
منه بالقليل من العمل. وقال ايضا اذا احب الله عبدا ابتلاه. فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه. وقال
ايضا اذا كان يوم القيامة انبت الله تعالى لطائفة من امتي اجنحة فيطيرون من قبورهم الى الجنان
يسرحون فيها ويتنعمون كيف شاؤوا فتقول لهم الملائكة هل رأيتم الحساب فيقولون ما رأينا حسابا فيقولون

هل جزتم الصراط فيقولون ما رأينا صراطا فيقولون هل رأيتم جهنم فيقولون ما رأينا شيئا فتقول الملائكة من امة
من انتم فيقولون من امة محمد صلى الله عليه وسلم فيقولون نشدناكم الله حدثونا ما كانت اعمالكم في الدنيا فيقولون خصلتان كانتا
فينا فبلغنا الله تعالى هذه المنزلة بفضل رحمته فيقولون وما هما فيقولون كنا اذا خلونا نستحيي ان نعصيه ونرضى باليسير
مما قسم لنا فتقول الملائكة يحق لكم هذا وقال صلى الله عليه وسلم اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا
وفي اخبار موسى عليه الصلاة والسلام ان بني اسرائيل قالوا له سل لنا ربك امرا اذا نحن فعلناه يرضى به عنا فقال موسى
عليه الصلاة والسلام الهي قد سمعت ما قالوا فقال تعالى يا موسى قل لهم يرضون عني حتى ارضى عنهم ويشهد لهذا ما روي
عن نبينا عليه الصلاة والسلام انه قال من احب ان يعلم ما له عند الله تعالى فلينظر ما لله عنده فان الله تعالى ينزل العبد منه
حيث انزله العبد من نفسه وفي اخبار داود عليه الصلاة والسلام ما لاوليائي والهم بالدنيا ان الهم يذهب
حلاوة مناجاتي من قلوبهم يا داود ان محبتي من اوليائي ان يكونوا روحانيين لا يغتمون وروي ان موسى عليه الصلاة والسلام
قال يا رب دلني على امر فيه رضاك حتى اعمله فاوحى الله تعالى اليه ان رضاي في كرهك وانت لا تصبر على ما تكره قال يا رب دلني عليه قال
فان رضاي في رضاك بقضائي وفي مناجاة موسى عليه الصلاة والسلام اي رب اي خلقك احب اليك قال من اذا اخذت
منه المحبوب سالمني قال فاي خلقك انت عليه ساخط قال من يستخيرني في الامر فاذا قضيت له سخط قضائي وقد
روي ما هو اشد من ذلك وهو ان الله تعالى قال انا الله الذي لا اله الا انا من لم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي ولم يرض
بقضائي فليتخذ ربا سوائي ومثله في الشدة قوله تعالى فيما اخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم قدرت المقادير ودبرت
التدبير واحكمت الصنع فمن رضي فله الرضا مني حتى يلقاني ومن سخط فله السخط مني حتى يلقاني وفي الخبر المشهور يقول الله تعالى
خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير واجريت الخير على يديه وويل لمن خلقته للشر واجريت الشر على يديه وويل ثم ويل لمن قال
لم وكيف وفي الاخبار السالفة ان نبيا من الانبياء شكا الى الله تعالى الجوع والفقر والقمل عشر سنين فما اجيب الى ما اراد
ثم اوحى الله تعالى اليه كم تشكو هكذا كان بدؤك عندي في ام الكتاب قبل ان اخلق السموات والارض وهكذا سبق لك مني وهكذا
قضيت عليك قبل ان اخلق الدنيا افتريد ان اعيد خلق الدنيا من اجلك ام تريد ان ابدل ما قدرت عليك فيكون ما
تحب فوق ما احب ويكون ما تريد فوق ما اريد وعزتي وجلالي لئن تلجلج هذا في صدرك مرة اخرى لامحونك من ديوان
النبوة وروي ان آدم عليه الصلاة والسلام كان بعض اولاده الصغار يصعدون على بدنه وينزلون يجعل احدهم رجله على اضلاعه
كهيئة الدرج فيصعد الى راسه ثم ينزل على اضلاعه كذلك قال وهو مطرق الى الارض لا ينطق ولا يرفع راسه فقال له بعض
ولده يا ابت اما ترى ما يصنع هذا بك لو نهيته عن هذا فقال يا بني اني رأيت ما لم تروا وعلمت ما لم تعلموا اني تحركت حركة
واحدة فاهبطت من دار الكرامة الى دار الهوان ومن دار النعيم الى دار الشقاء فاخاف ان اتحرك حركة اخرى فيصيبني ما
لا اعلم وقال انس بن مالك خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء كان
ليته لم يكن ولا لشيء لم يكن ليته كان وكان اذا خاصمني مخاصم من اهله يقول دعوه لو قضي شيء لكان. وروي ان الله تعالى
اوحى الى داود يا داود انك تريد واريد. وانما يكون ما اريد. فان سلمت لما اريد كفيتك ما تريد. وان لم تسلم لما اريد اتعبتك
فيما تريد ثم لا يكون الا ما اريد.

واما الآثار

فقد قال ابن عباس اول من يدعى الى الجنة يوم القيامة
الذين يحمدون الله تعالى على كل حال وقال عمر بن عبد العزيز ما بقي لي سرور الا في مواقع القدر وقيل له ما تشتهي فقال ما يقضي الله
وقال ميمون بن مهران من لم يرض بالقضاء فليس لحمقه دواء وقال الفضيل ان لم تصبر على تقدير الله لم تصبر على تقدير نفسك
وقال عبد العزيز بن ابي داود ليس الشأن في اكل خبز الشعير والخل ولا في لبس الصوف والشعر ولكن الشأن في الرضا عن الله
وقال عبد الله بن مسعود لان الحس جمرة احرقت ما احرقت وابقت ما ابقت احب الي من ان اقول لشيء كان
ليته لم يكن او لشيء لم يكن ليته كان ونظر رجل الى قرحة في رجل محمد بن واسع فقال اني لارحمك من هذه القرحة

فقال اني لا اشكره منذ جرحت اذ لم تجرح في عيني ويروى في الاسرائيليات ان عابدا عبد الله تعالى دهرا طويلا فاري في المنام فلانة الراعية رفيقتك في الجنة فسال عنها الى ان وجدها فاستضافها ثلاثا لينظر الى عملها فكان يبيت قائما وتبيت نائمة ويظل صائما وتظل مفطرة فقال اما لك عمل غير ما رايت فقالت ما هو والله الا ما رايت لا اعرف غيره فلم يزل يقول تذكري حتى قالت خصيلة واحدة هي فيّ ان كنت في شدة لم اتمن ان اكون في رخاء وان كنت في مرض لم اتمن ان اكون في صحة وان كنت في الشمس لم اتمن ان اكون في الظل فوضع العابد يده على راسه وقال اهذه خصيلة هذه والله خصلة عظيمة يعجز عنها العباد وعن بعض السلف ان الله تعالى اذا قضى في السماء قضاء احب من اهل الارض ان يرضوا بقضائه وقال ابو الدرداء ذروة الايمان الصبر للحكم والرضا بالقدر **وقال** عمر رضي الله عنه ما ابالي على اي حال اصبحت وامسيت من شدة او رخاء وقال الثوري يوما عند رابعة اللهم ارض عنا فقالت اما تستحي من الله ان تسأله الرضا وانت عنه غير راض فقال استغفر الله فقال جعفر بن سليمان الضبعي فمتى يكون العبد راضيا عن الله فقالت اذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة وكان الفضيل يقول اذا استوى عنده المنع والعطا فقد رضي عن الله تعالى **وقال** احمد بن ابي الحواري قال ابو سليمان الداراني ان الله من كرمه قد رضي من عبيده بما رضي العبيد من مواليهم قلت وكيف ذلك قال اليس مراد العبد من الخلق ان يرضى عنه مولاه قلت نعم قال فان محبة الله من عبيده ان يرضوا عنه **وقال** سهل حظ العبيد من اليقين على قدر حظهم من الرضا وحظهم من الرضا على قدر عيشهم مع الله وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله بحكمته وجلاله جعل الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الغم والحزن في الشك والسخط

بيان حقيقة الرضا وتصوره فيما يخالف الهوى

اعلم ان من قال ليس فيما يخالف الهوى وانواع البلاء الا الصبر فاما الرضا فلا يتصور فانما اتى من ناحية انكار المحبة فاما اذا ثبت تصور الحب لله تعالى واستغراق الهم به فلا يخفى ان الحب يورث الرضا بافعال الحبيب ويكون ذلك من وجهين احدهما ان يبطل الاحساس بالالم حتى يجري عليه المؤلم ولا يحس وتصيبه جراحة ولا يدرك المها ومثاله الرجل المحارب فانه في حال غضبه او حال خوفه قد تصيبه جراحة وهو لا يحس بها فاذا راى الدم استدل به على الجراحة بل الذي يعدو في شغل قريب قد تصيبه شوكة في قدمه ولا يحس بالمها لشغل قلبه بل الذي يحجم او يحلق راسه بحديدة كالة يتألم به فان كان مشغول القلب بمهم من مهماته فرغ المزين والحجام وهو لا يشعر به وكل ذلك لان القلب اذا صار مستغرقا بامر من الامور مستوفى به لم يدرك ما عداه فكذلك العاشق المستغرق الهم بمشاهدة معشوقه او بحبه قد يصيبه ما كان يتالم به او يغتم له لولا عشقه ثم لا يدرك غمه والمه لفرط استيلاء الحب على قلبه هذا اذا اصابه من غير حبيبه وشغل القلب بالحب والعشق من اعظم الشواغل واذا تصور هذا في الم يسير بسبب حب خفيف تصور في الالم العظيم بالحب العظيم فان الحب ايضا يتصور تضاعفه في القوة كما يتصور تضاعف الالم وكما يقوى حب الصور الجميلة المدركة بحاسة البصر فكذا يقوى حب الصور الجميلة الباطنة المدركة بنور البصيرة وجمال الحضرة الربوبية وجلالها لا يقاس به جمال ولا جلال فمن ينكشف له شيء منه فقد يبهره بحيث يدهش ويغشى عليه فلا يحس بما يجري عليه فقد روي ان امراة فتح الموصلي عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها اما تجدين الوجع فقالت ان لذة ثوابه ازالت عن قلبي مرارة وجعه وكان سهل به علة يعالج غيره منها ولا يعالج نفسه فقيل له في ذلك فقال يا دوست ضرب الحبيب لا يوجع **واما الوجه الثاني** فهو ان يحس به ويدرك الم ولكن يكون راضيا به بل راغبا فيه مريدا له اعني بعقله وان كان كارها بطبعه كالذي يلتمس من الفصاد الفصد والحجامة فانه يدرك الم ذلك الا انه راض به وراغب فيه ومتقلد من الفصاد منة بفعله فهذا حال الراضي بما يجري عليه من الالم وكذلك كل من يسافر في طلب الربح يدرك مشقة السفر ولكن حبه لثمرة سفره طيب عنده مشقة السفر وجعله راضيا بها ومهما اصابه بلية من الله تعالى وكان له يقين بان ثوابه الذي ادخر له فوق ما فاته رضي به ورغب فيه واحبه وشكر الله عليه هذا ان كان يلاحظ الثواب والاحسان الذي يجازى به ويجوز ان يغلب الحب بحيث يكون حظ المحب في مراد حبيبه ورضاه لا لمعنى اخر وراءه فيكون مراد حبيبه ورضاه محبوبا عنده ومطلوبا وكل ذلك موجود في المشاهدات في حب الخلق وقد تواصفها المتواصفون في نظمهم ونثرهم ولا معنى له الا ملاحظة جمال الصورة الظاهرة بالبصر فان نظر الى الجمال فما هو الا جلد ولحم ودم مشحون بالاقذار والاخباث بدايته من نطفة مذرة ونهايته جيفة قذرة وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة وان نظر الى المدرك للجمال فهو العين الخسيسة التي تغلط فيما ترى كثيرا فترى الصغير كبيرا والكبير صغيرا والبعيد قريبا والقبيح جميلا فاذا تصور استيلاء هذا الحب فمن اين يستحيل ذلك في حب الجمال الازلي الابدي الذي لا منتهى لجماله المدرك بعين البصيرة التي لا يعتريها الغلط ولا يدورها الموت بل تبقى بعد الموت حية عند الله فرحة برزق الله مستفيدة بالموت مزيد تنبيه واستكشاف فهذا امر واضح من حيث النظر بعين الاعتبار ويشهد لذلك الوجود وحكايات احوال المحبين واقوالهم فقد قال شقيق من يرى ثواب الشدة لا يشتهي المخرج منها **وقد قال** الجنيد سالت السري السقطي هل يجد المحب الم البلاء قال لا قلت وان ضرب بالسيف قال نعم وان ضرب بالسيف سبعين ضربة ضربة على ضربة **وقال** بعضهم احببت كل شيء يحبه حتى لو احب النار احببت دخول النار **وقال** بشر بن الحارث مررت برجل وقد ضرب الف سوط في شرقية بغداد ولم يتكلم ثم حمل الى الحبس فتبعته فقلت له لم ضربت فقال لاني عاشق فقلت له ولم سكت قال لان معشوقي كان بحذائي ينظر الي فقلت ولو نظرت الى المعشوق الاكبر قال فزعق زعقة خر ميتا **وقال** يحيى بن معاذ الرازي اذا نظر اهل الجنة الى الله تعالى ذهبت عيونهم في قلوبهم من لذة النظر الى الله تعالى ثمانمائة سنة لا ترجع اليهم فما ظنك بقلوب وقعت بين جماله وجلاله اذا لاحظت جلاله هابت واذا لاحظت جماله تاهت **وقال** بشر قصدت عبادان في بدايتي فاذا انا برجل اعمى مجذوم مجنون قد صرع والنمل ياكل لحمه فرفعت راسه فوضعته في حجري وانا اردد الكلام فلما افاق قال من هذا الفضولي الذي يدخل بيني وبين ربي لو قطعني اربا اربا ما ازددت له الا حبا قال بشر فما رايت بعد ذلك نقمة بين عبد وبين رب فانكرتها **وقال** ابو عمرو محمد بن الاشعث ان اهل مصر مكثوا اربعة اشهر لم يكن لهم غذاء الا النظر الى وجه يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام كانوا اذا جاعوا نظروا الى وجهه فشغلهم جماله عن الاحساس بالم الجوع بل في القرآن ما هو ابلغ من ذلك وهو قطع النسوة ايديهن لاستهتارهن بملاحظة جماله حتى ما احسسن بذلك **وقال** سعيد بن يحيى رايت بالبصرة في خان عطاء بن مسلم شابا وفي يده مدية وهو ينادي باعلى صوته والناس حوله **وهو يقول**

يوم الفراق من القيامة اطول ... والموت من الم التفرق اجمل

ثم شق بها بطنه وخر ميتا فسالت عنه وعن امره فقيل انه كان يهوى فتى لبعض الملوك حجب عنه يوما واحدا **ويروى** ان يونس عليه الصلاة والسلام قال لجبرائيل عليه السلام دلني على اعبد اهل الارض فدله على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب ببصره وسمعه وهو يقول الهي متعتني بهما ما شئت انت وسلبتني ما شئت انت وابقيت لي فيك الامل يا بر يا وصول **ويروى** عن عبد الله بن عمر انه اشتكى ابن له فاشتد وجده عليه حتى قال بعض القوم لقد خشينا على هذا الشيخ ان حدث بهذا الغلام حدث فمات الغلام فخرج ابن عمر في جنازته وما رجل ابدى سرورا منه فقيل له في ذلك فقال ابن عمر انما كان حزني رحمة له فلما وقع امر الله رضينا به **وقال** مسروق كان رجل بالبادية له كلب وحمار وديك فالديك يوقظهم للصلاة والحمار ينقلون عليه الماء ويحمل لهم خباءهم والكلب يحرسهم فجاء الثعلب فاخذ الديك فحزنوا له وكان الرجل صالحا فقال عسى ان يكون خيرا ثم جاء ذئب فخرق بطن الحمار فقتله فحزنوا له فقال الرجل عسى ان يكون خيرا ثم اصيب الكلب بعد ذلك فقال عسى ان يكون خيرا ثم اصبحوا ذات يوم فنظروا فاذا قد سبي من حولهم وبقوا هم قال وانما اخذ اولئك لما كان عندهم من اصوات الكلاب والحمير والديكة فكانت الخيرة لهؤلاء في هلاك هذه الحيوانات كما قدره الله تعالى فاذا من عرف خفي لطف الله رضي بفعله على كل حال **ويروى** ان عيسى عليه الصلاة والسلام مر برجل اعمى ابرص مقعد مضروب الجنبين بفالج وقد تناثر لحمه من الجذام وهو يقول الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرا من خلقه فقال له عيسى يا هذا اي شيء من البلاء اراه مصروفا عنك فقال يا روح الله انا خير ممن لم يجعل الله في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته فقال له صدقت هات يدك فناوله يده فاذا هو احسن الناس وجها وافضلهم هيئة قد اذهب الله عنه ما كان به فصحب عيسى عليه السلام وتعبد معه **وقطع** عروة بن الزبير رجله من ركبته من اكلة خرجت بها ثم قال الحمد لله الذي اخذ مني واحدة وايم الله لئن

قالوا الرحيل فقلت لست براحل ... لكن مهجتي التي سترحل

كنت ابليت لقد عافيت ثم لم يدع ورده تلك الليلة وكان ابن مسعود يقول الفقر والغنى مطيتان ما ابالي ايهما
ركبت ان كان الفقر فان فيه الصبر وان كان الغنى فان فيه البذل وقال ابو سليمان الداراني لقد نلت من كل مقام
حالا الا الرضا فما لي منه الا مشام الريح وعلى ذلك لو ادخل الخلائق كلهم الجنة وادخلني النار كنت بذلك راضيا وقيل
لعارف آخر نلت غاية الرضا عنه فقال اما الغاية فلا ولكن مقاما من الرضا قد نلته لو جعلني جسرا على جهنم يعبر الخلائق
علي الى الجنة ثم ملأ بي جهنم تحلة لقسمه وبدلا من خليقته لاحببت ذلك من حكمه ورضيت به من قسمه وهذا كلام من علم ان الحب
قد استغرق همه حتى منعه الاحساس بالم النار وان بقي احساس فيغمره ما يحصل من لذة في استشعار حصول رضا محبوبه
بالقائه اياه في النار واستيلاء هذه الحالة غير محال في نفسه وان كان بعيدا من احوالنا الضعيفة ولكن لا ينبغي ان يستنكر
الضعيف المحروم احوال الاقوياء ويظن ان ما هو عاجز عنه يعجز عنه الاولياء وقال الروذباري قلت لابي عبد الله
ابن الجلاء الدمشقي قول فلان وددت ان جسدي قرض بالمقاريض وان هذا الخلق اطاعوه ما معناه فقال يا هذا ان
كان هذا من طريق الاشفاق والنصح للخلق فاعرف وان كان من طريق الاجلال والتعظيم فلا اعرف قال ثم غشي عليه وقد
كان عمران بن حصين قد استسقى بطنه فبقي ملقى على ظهره ثلثين سنة لا يقوم ولا يقعد قد نقب له في سرير من جريد كان عليه موضع
لقضاء حاجته فدخل عليه مطرف واخوه العلاء فجعل يبكي فقال لم تبكي قال لاني اراك على هذه الحالة العظيمة قال لا تبك فان احبه
الي الى الله احبه الي ثم قال احدثك شيئا لعل الله ان ينفعك به واكتم علي حتى اموت ان الملائكة تزورني فآنس بها وتسلم علي
فاسمع تسليمها فاعلم بذلك ان هذا البلاء ليس بعقوبة اذ هو سبب هذه النعمة الجسيمة فمن يشاهد هذا في بلائه كيف
لا يكون راضيا به قال ودخلنا على سويد بن مثعبة نعوده فرأينا ثوبا ملقى فما ظننا ان تحته شيئا حتى كشف فقالت
له امرأته اهلي فداؤك ما نطعمك ما نسقيك فقال طالت الضجعة ودبرت الحراقيف واصبحت نضوا لا اطعم طعاما
ولا اسيغ شرابا منذ كذا فذكر اياما وما يسرني اني نقصت من هذا قلامة ظفر ولما قدم سعد بن ابي وقاص الى مكة وقد
كان كف بصره جاءه الناس يهرعون اليه كل واحد يسأله ان يدعو له فيدعو لهذا ولهذا وكان مجاب الدعوة قال عبد الله بن
السائب فاتيته وانا غلام فتعرفت اليه فعرفني وقال انت قارئ اهل مكة قلت نعم فذكر قصة قال في آخرها فقلت له يا عم انت
تدعو للناس فلو دعوت لنفسك فرد الله عليك بصرك فتبسم وقال يا بني قضاء الله عندي احسن من بصري وضاع
لبعض الصوفية ولد صغير ثلاثة ايام لم يعرف له خبر فقيل له لو سألت الله ان يرده عليك فقال اعتراضي عليه فيما قضى
اشد علي من ذهاب ولدي وعن بعض العباد انه قال اني اذنبت ذنبا عظيما فانا ابكي عليه منذ ستين سنة وكان
قد اجتهد في العبادة لاجل التوبة من ذلك الذنب قيل له وما هو قال قلت مرة لشيء كان ليته لم يكن وقال
بعض السلف لو قرض جسمي بالمقاريض كان احب الي من ان اقول لشيء قضاه الله ليته لم يقضه وقيل لعبد الواحد
ابن زيد ها هنا رجل قد تعبد خمسين سنة فقصده فقال له حبيبي اخبرني عنك هل قنعت به قال لا قال فهل انست به
قال لا قال فهل رضيت عنه قال لا قال فانما مزيدك منه الصوم والصلاة قال نعم قال لولا اني استحيي منك لاخبرتك
بان معاملتك خمسين سنة مدخولة ومعناه انه لم يفتح لك باب القلب فتترقى الى درجات القرب باعمال القلوب وانما
انت تعد في طبقة اصحاب اليمين لان مزيدك منه اعمال الجوارح التي هي مزيد اهل العموم ودخل جماعة من الناس على الشبلي في
مارستان قد حبس فيه وقد جمع بين يديه حجارة فقال من انتم فقالوا محبوك فاقبل عليهم يرميهم بالحجارة فتهاربوا فقال لو كنتم
ادعيتم محبتي ان صدقتم فاصبروا على بلائي وللشبلي ان المحبة للرحمن اسكرني وهل رأيت محبا غير سكران
وقال بعض عباد الشام كلكم يلقى الله ولعله قد كذبه وذلك ان احدكم لو كانت له اصبع من ذهب ظل يشير بها ولو كان بها شلل
ظل يواريها يعني بذلك ان الذهب مذموم عند الله والناس يتفاخرون به والبلاء زينة اهل الآخرة وهم يستنكفون منه وقيل
انه وقع الحريق في السوق فقيل للسري احترق السوق وما احترق دكانك فقال الحمد لله ثم قال كيف قلت الحمد لله على سلامتي

دون المسلمين فتاب من التجارة وترك الحانوت بقية عمره توبة واستغفارا من قوله الحمد لله فاذا تاملت هذه الحكايات
عرفت قطعا ان الرضا بما يخالف الهوى ليس مستحيلا بل هو مقام عظيم من مقامات اهل الدين ومهما كان ذلك ممكنا في حب
الخلق وحظوظهم كان ممكنا في حب الله تعالى وحظوظ الآخرة قطعا وامكانه من وجهين احدهما الرضا بالالم لما يتوقع من الثواب الموعود
كالرضا بالحجامة والفصد وشرب الدواء انتظارا للشفاء والثاني الرضا به لا لحظ وراءه بل لكونه مراد المحبوب ورضا
له فقد يغلب الحب بحيث ينغمر مراد المحب في مراد المحبوب فيكون الذ الاشياء عنده سرور قلب محبوبه ورضاه ونفوذ ارادته ولو في هلاك
روحه كما قيل فما لجرح اذا ارضاكم الم وهذا ممكن مع الاحساس بالالم وقد يستولي الحب بحيث يدهش عن ادراك
الالم فالقياس والتجربة والمشاهدة دالة على وجوده فلا ينبغي ان ينكره من فقده من نفسه لانه انما فقده لفقد سببه
وهو فرط حبه ومن لم يذق طعم الحب لم يعرف عجائبه فللمحبين عجائب اعظم مما وصفناه وقد روي عن عمرو بن الحارث
الرافقي قال كنت في مجلس بالرقة عند صديق لي وكان معنا فتى يتعشق جارية مغنية وكانت معنا في المجلس فضربت بالقضيب وغنت
علامة ذل الهوى على العاشقين البكا ولا سيما عاشق اذا لم يجد مشتكى فقال لها الفتى احسنت والله يا سيدتي
افتاذنين لي ان اموت فقالت مت راشدا قال فوضع راسه على الوسادة واطبق فمه وغمض عينيه فحركناه فاذا هو ميت
وقال الجنيد رأيت رجلا متعلقا بكم صبي وهو يتضرع اليه ويظهر له المحبة فالتفت اليه الصبي وقال الى متى هذا النفاق الذي
تظهر لي فقال قد علم الله اني صادق فيما اورده حتى لو قلت لي مت لمت فقال ان كنت صادقا فمت قال فتنحى الرجل وغمض عينيه
فوجد ميتا وقال سمنون المحب كان في جيراننا رجل وله جارية يحبها غاية الحب فاعتلت الجارية فجلس الرجل ليصلح لها حيسا
فبينا هو يحرك القدر اذ قالت الجارية آه فدهش الرجل وسقطت الملعقة من يده وجعل يحرك ما في القدر بيده حتى سقطت
اصابعه فقالت له الجارية ما هذا فقال هذا مكان قولك آه وحكي عن محمد بن عبد الله البغدادي قال رأيت
بالبصرة شابا على سطح مرتفع وقد اشرف على الناس وهو يقول من مات عشقا فليمت هكذا لا خير في عشق بلا موت
ثم رمى بنفسه الى الارض فحملوه ميتا فهذا وامثاله قد يصدق به في حب المخلوقين والتصديق به في حب الخالق اولى لان البصيرة
الباطنة اصدق من البصر الظاهر وجمال الحضرة الربوبية اوفى من كل جمال والعالم فهو حسنة من حسنات ذلك الجمال نعم الذي
فقد البصر ينكر جمال الصور والذي فقد السمع ينكر لذة الالحان والنغمات الموزونة فالذي فقد القلب لا بد وان
ينكر ايضا هذه اللذات التي لا مظنة لها سوى القلب

بيان ان الدعاء غير مناقض للرضا

ولا يخرج صاحبه عن مقام الرضا وكذا الكراهة للمعاصي ومقت اهلها ومقت اسبابها والسعي في ازالتها بالامر بالمعروف
والنهي عن المنكر لا يناقضه ايضا وقد غلط في ذلك بعض البطالين المغترين وزعموا ان المعاصي والفجور والكفر من قضاء الله
وقدره فيجب الرضا به وهذا جهل بالتاويل وغفلة عن اسرار الشرع فاما الدعاء فقد تعبدنا به وكثرة دعوات رسول
دعوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء على ما نقلناه في كتاب الدعوات تدل عليه ولقد كان صلى الله عليه وسلم في اعلى
المقامات من الرضا وقد اثنى الله تعالى على بعض عباده بقوله يدعوننا رغبا ورهبا واما انكار المعاصي وكراهتها وعدم
الرضا بها فقد تعبد الله به عباده وذمهم على الرضا به فقال رضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها وقال رضوا بان
يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم وفي الخبر المشهور من شهد منكرا ورضي به فكانه قد فعله وفي الحديث
الدال على الخير كفاعله وعن ابن مسعود ان العبد ليغيب عن المنكر ويكون عليه مثل وزر صاحبه قيل وكيف
ذلك قال يبلغه فيرضى به وفي الخبر لو ان عبدا قتل بالمشرق ورضي بقتله آخر بالمغرب كان شريكه في قتله وقد
امر الله تعالى بالحسد والمنافسة في الخيرات وتوقي الشرور فقال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وقال صلى الله عليه وسلم لا حسد
الا في اثنتين رجل آتاه الله حكمة فهو يبثها في الناس ورجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق وفي لفظ آخر
ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار فيقول الرجل لو آتاني الله مثل ما آتى هذا لفعلت مثل ما يفعل

واما بغض الكفار والفجار والانكار عليهم ومقتهم فما ورد فيه من شواهد القرآن والاخبار لا يحصى مثل قوله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين
اولياء وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء وقال تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا وفي الخبر
ان الله اخذ الميثاق على كل مؤمن ان يبغض كل منافق وعلى كل منافق ان يبغض كل مؤمن وقال عليه السلام المرء مع من احب وقال
من احب قوما ووالاهم حشر معهم يوم القيامة وقال عليه الصلاة والسلام اوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله
وشواهد هذا قد ذكرناها في باب الحب والبغض في الله من كتاب آداب الصحبة وفي كتاب الامر بالمعروف فلا نعيده فان قلت
فقد وردت الآيات والاخبار بالرضا بقضاء الله تعالى فان كانت المعاصي بغير قضاء الله فهو محال وهو قادح في التوحيد وان كانت
بقضاء الله فكراهتها ومقتها كراهة لقضاء الله فكيف السبيل الى الجمع وهو متناقض على هذا الوجه وكيف يمكن الجمع بين الرضا والكراهة
في شيء واحد فاعلم ان هذا مما يلتبس على الضعفاء القاصرين عن الوقوف على اسرار العلوم وقد التبس على قوم حتى رأوا السكوت
على المنكرات مقاما من مقامات الرضا وسموه حسن الخلق وهو جهل محض بل نقول الرضا والكراهة يتضادان اذا تواردا على شيء
واحد من جهة واحدة على وجه واحد وليس من التضاد في شيء واحد ان تكرهه من وجه وترضى به من وجه اذ قد يموت عدوك الذي
هو ايضا عدو بعض اعدائك وساع في اهلاكه فتكره موته من حيث انه مات عدو عدوك وترضاه من حيث انه مات عدوك
فكذلك المعصية لها وجهان وجه الى الله تعالى من حيث انه فعله واختياره وارادته فترضى به من هذا الوجه تسليما للملك الى مالك الملك ورضى
بما يفعله فيه ووجه الى العبد من حيث انه كسبه ووصفه وعلامة كونه ممقوتا عند الله وبغيضا عنده حيث سلط عليه اسباب البعد
والمقت فهو من هذا الوجه منكر ومذموم ولا ينكشف لك هذا الا بمثال فلنفرض محبوبا من الخلق قال بين يدي محبيه اني اريد ان
اميز بين من يحبني ويبغضني وانصب فيه معيارا صادقا وميزانا ناطقا وهو اني اقصد الى فلان واوذيه واضربه ضربا يضطره
ذلك الى الشتم لي حتى اذا شتمني ابغضته واتخذته عدوا لي فكل من احبه اعلم انه ايضا عدوي وكل من ابغضه اعلم انه صديقي ومحبي
ثم فعل ذلك وحصل مراده من الشتم الذي هو سبب البغض الذي هو سبب العداوة فحق على كل من هو صادق في محبته وعالم بشروط
المحبة ان يقول اما تدبيرك في ايذاء هذا الشخص وضربه وابعاده وتعريضك اياه للبغض والعداوة فانا محب له وراض به فانه رأيك
وتدبيرك وارادتك واما شتمه اياك فانه عدوان من جهته اذ كان حقه ان يصبر ولا يشتم ولكنه كان مرادك منه فانك قصدت
بضربه استنطاقه بالشتم الموجب للمقت فهو من حيث انه حصل على وفق مرادك وتدبيرك الذي دبرته فانا راض به ولو لم يحصل
لكان ذلك نقصانا في تدبيرك وتعويقا في مرادك وانا كاره لفوات مرادك ولكنه من حيث انه وصف لهذا الشخص وكسب له وعدوان
وتهجم منه عليك على خلاف ما يقتضيه جمالك اذ كان ذلك يقتضي ان يحتمل منك الضرب ولا يقابل بالشتم فانا كاره له من حيث نسبته
اليه ومن حيث هو وصف له لا من حيث هو مرادك ومقتضى تدبيرك واما بغضك له بسبب شتمه فانا راض به ومحب له لانه
مرادك وانا على موافقتك ايضا مبغض له لان شرط المحب ان يكون لحبيب المحبوب حبيبا ولعدوه عدوا واما بغضه لك
فاني ارضاه من حيث انك اردت ان يبغضك اذا ابعدته عن نفسك وسلطت عليه دواعي البغض ولكني ابغضه من حيث انه
وصف ذلك المبغوض وكسبه وفعله وامقته لذلك فهو ممقوت عندي لمقتك اياه وبغضه ومقته ايضا مكروه عندي
من حيث انه وصفه وكل ذلك من حيث انه مرادك فهو مرضي وانما التناقض ان يقول هو من حيث انه مرادك مكروه ولما
اذا كان مكروها لا من حيث انه فعله ومراده بل من حيث انه وصف غيره وكسبه فهذا لا تناقض فيه ويشهد لذلك كل ما
يكره من وجه ويرضى من وجه ونظائر ذلك لا تحصى فاذا تسليط الله دواعي الشهوة والمعصية عليه حتى يجره ذلك الى حب المعصية
ويجره الحب الى فعل المعصية يضاهي ضرب المحبوب للشخص الذي ضربناه مثلا ليجره الضرب الى الغضب والغضب الى الشتم
ومقت الله لمن عصاه وان كانت معصيته بتدبيره يشبه بغض المشتوم لمن شتمه وان كان شتمه انما حصل بتدبيره
واختياره لاسبابه وفعل الله ذلك بكل عبد من عبيده اعني تسليط دواعي المعصية عليه يدل على انه سبقت مشيئته بابعاده
ومقته فواجب على كل عبد محب لله ان يبغض من ابغضه الله ويمقت من مقته الله ويعادي من ابعده الله عن حضرته وان

اضطره بقهره وقدرته الى معاداته ومخالفته فانه بعيد مطرود ملعون عن الحضرة وان كان بعيدا بابعاده قهرا ومطرودا
بطرده اضطرارا والمبعد عن درجات القرب ينبغي ان يكون مقيتا بغيضا الى جميع المحبين موافقة للمحبوب باظهار الغضب على
من اظهر المحبوب الغضب عليه بابعاده وبهذا تتقرر جميع ما وردت به الاخبار من البغض في الله والحب في الله والتشديد
على الكفار والتغليظ عليهم والمبالغة في مقتهم مع الرضا بقضاء الله تعالى من حيث انه قضاء الله وهذا كله يستمد من سر القدر
الذي لا رخصة في افشائه وهو ان الشر والخير كلاهما داخلان في المشيئة والارادة ولكن الشر مراد مكروه والخير مراد مرضي به
فمن قال ليس الشر من الله فهو جاهل وكذا من قال انهما جميعا من الله من غير افتراق في الرضا والكراهة فهو ايضا مقصر وكشف
الغطاء عنه غير مأذون فيه فالاولى السكوت والتأدب بادب الشرع فقد قال صلى الله عليه وسلم القدر سر الله فلا تفشوه
وذلك يتعلق بعلم المكاشفة وغرضنا الآن بيان الامكان فيما تعبد به الخلق من الجمع بين الرضا بقضاء الله ومقت
المعاصي مع انها من قضاء الله وقد ظهر الغرض من غير حاجة الى كشف السر فيه وبهذا يعرف ايضا ان الدعاء بالمغفرة
والعصمة من المعاصي وسائر الاسباب المعينة على الدين غير مناقض للرضا بقضاء الله فان الله تعبد العباد بالدعاء ليستخرج الدعاء منهم
صفاء الذكر وخشوع القلب ورقة التضرع ويكون ذلك جلاء للقلب ومفتاحا للكشف وسببا لتواتر مزايا اللطف
كما ان حمل الكوز وشرب الماء ليس مناقضا للرضا بقضاء الله في العطش وشرب الماء طلبا لازالة العطش مباشرة سبب
رتبه مسبب الاسباب فكذلك الدعاء سبب رتبه الله تعالى وامر به وقد ذكرنا ان التمسك بالاسباب جريا على سنة الله تعالى
لا يناقض التوكل واستقصيناه في كتاب التوكل فهو ايضا لا يناقض الرضا لان الرضا مقام ملاصق للتوكل ويتصل به نعم
اظهار البلاء على سبيل الشكوى والكشف عن قدرة الله تعالى لا يناقض وقد قال بعض السلف من حسن الرضا بقضاء الله
ان لا تقول هذا يوم حار اي في معرض الشكاية وذلك في الصيف فاما في الشتاء فهو شكر والشكوى تناقض الرضا بكل حال
وذم الاطعمة وعيبها يناقض الرضا بقضاء الله تعالى لان مذمة الصنعة مذمة للصانع والكل من صنع الله وقول القائل
الفقر بلاء ومحنة والعيال هم وتعب والاحتراف كد ومشقة كل ذلك قادح في الرضا بل ينبغي ان يسلم التدبير لمدبره
والمملكة لمالكها ويقول ما قاله عمر رضي الله عنه لا ابالي اصبحت غنيا او فقيرا فاني لا ادري ايهما خير لي

بيان ان الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ومذمتها لا يقدح في الرضا

اعلم ان الضعيف قد يظن ان نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخروج من بلد ظهر فيه الطاعون يدل على النهي عن الخروج
من بلد ظهرت فيه المعاصي لان كل واحد منهما فرار من قضاء الله وذلك محال بل العلة في النهي عن مفارقة البلد بعد ظهور الطاعون
انه لو فتح هذا الباب لارتحل عنه الاصحاء وبقي المطعونون مهملين لا متعهد لهم فيهلكون هزالا وضرا ولذلك
شبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاخبار بالفرار من الزحف ولو كان ذلك للفرار من القضاء لما اذن لمن قارب البلدة في
الانصراف وقد ذكرنا حكم ذلك في كتاب التوكل واذا عرفت المعنى ظهر ان الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ليس فرارا من
القضاء بل من القضاء الفرار مما لا بد من الفرار منه وكذلك مذمة المواضع التي تدعو الى المعاصي والاسباب التي تدعو اليها لاجل
التنفير عن المعصية ليس مذموما فما زال السلف الصالحون والائمة المأمونون يعتادون ذلك حتى اتفقت جماعة على ذم
بغداد واظهروا ذلك وطلبوا الفرار منها فقال ابن المبارك قد طفت الشرق والغرب فما رأيت بلدا شرا من
بغداد قيل وكيف قال هو بلد تزدرى فيه نعمة الله وتستصغر فيه معصية الله ولما قدم خراسان قيل له كيف
رأيت بغداد فقال ما رأيت بها الا شرطيا غضبان او تاجرا لهفان او قارئا حيران ولا ينبغي ان يظن ان ذلك
من الغيبة لانه لم يتعرض لشخص بعينه حتى يستضر ذلك الشخص به وانما قصد بذلك تحذير الناس وكان يخرج الى مكة وكان مقامه
ببغداد يترصد استعداد القافلة ستة عشر يوما فكان يتصدق فيها بستة عشر دينارا لكل يوم دينار كفارة لمقامه
وقد ذم العراق جماعة كعمر بن عبد العزيز وكعب الاحبار وقال ابن عمر لمولى له اين تسكن فقال العراق فقال فما تصنع

بالعقوبة ما من احد يسكن العراق الا قيض الله له قرينا من البلاء وذكر كعب الاحبار يوما العراق فقال فيه تسعة اعشار
الشر وفيه الداء العضال وقد قيل قسم الخير عشرة اجزاء فتسعة اعشاره بالشام وعشر بالعراق وقسم الشر
بالعكس وقال بعض اصحاب الحديث كنا يوما عند الفضيل بن عياض فجاءه صوفي متدرع بعباءة فاجلسه الى جانبه
واقبل عليه ثم قال اين تسكن فقال بغداد فاعرض عنه وقال يأتينا احدكم في زي الرهبان فاذا سألناه اين
تسكن قال في عش الظلمة وكان بشر بن الحارث يقول مثل المتعبد ببغداد مثل المتعبد في الحش وكان يقول لا
تقتدوا بي في المقام بها من اراد الخروج فليخرج وكان احمد بن حنبل يقول لولا تعلق هؤلاء الصبيان بنا كان الخروج
من هذا البلد اخف على نفسي قيل واين تختار السكنى قال بالثغور وقال بعضهم وقد سئل عن اهل بغداد زاهدهم
زاهد وشريرهم شرير فهذا يدل على ان من بلي ببلدة يكثر فيها المعاصي ويقل فيها الخير فلا عذر له في المقام بها بل
ينبغي ان يهاجر قال الله تعالى الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فان منعه عن ذلك عيال او علاقة فلا ينبغي ان يكون
راضيا بحاله مطمئن النفس اليه بل ينبغي ان يكون منزعج القلب منها قائلا على الدوام ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم
اهلها وذلك لان الظلم اذا عم نزل البلاء ودمر على الجميع وشمل المطيعين والعاصين قال الله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن
الذين ظلموا منكم خاصة فاذا ليس في شيء من اسباب نقصان الدين البتة رضا مطلقا الا من حيث اضافتها الى فعل الله تعالى
فاما هي في نفسها فلا وجه للرضا بها بحال وقد اختلف العلماء في الافضل من اهل المقامات ثلثة رجل يحب الموت
شوقا الى لقاء الله تعالى ورجل يحب البقاء لخدمة المولى ورجل قال لا اختار شيئا بل ارضى بما اختاره الله تعالى لي ورفعت هذه
المسألة الى بعض العارفين فقال صاحب الرضا افضلهم لانه اقلهم فضولا واجتمع ذات يوم وهيب بن الورد
وسفيان الثوري ويوسف بن اسباط فقال الثوري كنت اكره موت الفجاءة قبل اليوم واما اليوم فوددت اني ميت
فقال له يوسف لم قال لما اتخوف من الفتنة فقال يوسف لكني لا اكره طول البقاء فقال سفيان لم قال لعلي
اصادف يوما اتوب فيه واعمل صالحا فقيل لوهيب اي شيء تقول انت فقال انا لا اختار شيئا احب ذلك الى
احبه الى الله فقبل الثوري بين عينيه وقال روحانية ورب الكعبة

بيان جملة من حكايات المحبين

واقوالهم ومكاشفاتهم قيل لبعض العارفين انك محب فقال لست محبا انما انا محبوب والمحب متعوب وقيل
له ايضا الناس يقولون انك واحد من السبعة فقال انا كل السبعة وكان يقول اذا رأيتموني فقد رأيتم اربعين بدلا فقيل
له كيف وانت شخص واحد قال لاني رأيت اربعين بدلا واخذت من كل بدل خلقا من اخلاقه وقيل له بلغنا انك ترى
الخضر عليه السلام فتبسم وقال ليس العجب ممن يرى الخضر ولكن العجب ممن يريد الخضر ان يراه فيحتجب عنه وحكي عن الخضر عليه السلام
انه قال ما حدثت نفسي يوما قط انه لم يبق ولي لله تعالى الا عرفته الا ورأيت في ذلك اليوم وليا لم اعرفه وقيل لابي يزيد البسطامي
مرة حدثنا عن مشاهدتك من الله تعالى فصاح ثم قال ويلكم لا يصلح لكم ان تعلموا ذلك قيل فحدثنا باشد مجاهدتك لنفسك في الله
تعالى فقال وهذا ايضا لا يجوز ان اطلعكم عليه قيل فحدثنا عن رياضة نفسك في بدايتك قال نعم دعوت نفسي الى الله فجمحت علي
فعزمت عليها ان لا اشرب الماء سنة ولا اذوق النوم سنة فوفت لي بذلك وحكي عن يحيى بن معاذ انه رأى ابا يزيد في
بعض مشاهداته من بعد صلاة العشاء الى طلوع الفجر مستوفزا على صدور قدميه رافعا اخمصيه مع عقبيه عن الارض ضاربا بذقنه
على صدره شاخصا بعينيه لا يطرف قال ثم سجد عند طلوع الفجر فاطاله ثم قعد فقال اللهم ان قوما طلبوك فاعطيتهم المشي
في الهوى او على الماء فرضوا بذلك واني اعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فاعطيتهم طي الارض فرضوا بذلك
واني اعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فاعطيتهم كنوز الارض فرضوا بذلك واني اعوذ بك من ذلك حتى عد
نيفا وعشرين مقاما من كرامات الاولياء ثم التفت فرآني فقال يحيى فقلت نعم يا سيدي قال مذ متى انت ههنا
قلت منذ حين فسكت فقلت يا سيدي حدثني بشيء قال احدثك بما يصلح لك ادخلني في الفلك الاسفل فدورني

السحر

في الملكوت السفلى واراني الارضين وما تحتها الى الثرى ثم ادخلني في الفلك العلوي فطوف بي في السموات واراني ما فيها من الجنان
الى العرش ثم اوقفني بين يديه فقال سلني اي شيء رأيت حتى اهبه لك فقلت يا سيدي ما رأيت شيئا استحسنته فاسألك
اياه فقال انت عبدي حقا تعبدني لاجلي صدقا لافعلن بك ولافعلن فذكر اشياء قال يحيى فهالني ذلك
وامتلأت به وعجبت منه فقلت يا سيدي لم لا سألته المعرفة به وقد قال لك ملك الملوك سلني ما شئت
قال فصاح بي صيحة وقال اسكت ويلك غرت عليه مني لا احب ان يعرفه سواه ويحكى ان ابا تراب
النخشبي كان معجبا ببعض المريدين فكان يدنيه ويقوم بمصالحه والمريد مشغول بعبادته ومواجيده فقال له
ابو تراب يوما لو رأيت ابا يزيد فقال المريد اني عنه مشغول فلما اكثر عليه ابو تراب من قوله لو رأيت ابا يزيد هاج وجد
المريد فقال ويحك ما اصنع بابي يزيد قد رأيت الله تعالى فاغناني عن ابي يزيد قال ابو تراب فهاج طبعي ولم املك
نفسي فقلت ويلك تغتر بالله لو رأيت ابا يزيد مرة واحدة كان انفع لك من ان ترى الله سبعين مرة قال فبهت الفتى
من قولي وانكره قال وكيف ذلك قال له ويلك اما ترى الله تعالى عندك فيظهر لك على مقدارك وترى ابا يزيد عند الله
قد ظهر له على مقداره فعرف ما قلت فقال احملني اليه فذكر قصة قال في آخرها فوقفنا على تل ننتظره ليخرج الينا من
الغيضة وكان يأوي الى غيضة فيها سباع قال فمر بنا وقد قلب فروة على ظهره فقلت للفتى هذا ابو يزيد فانظر اليه فنظر
اليه الفتى فصعق فحركناه فاذا هو ميت فتعاونا على دفنه فقلت لابي يزيد يا سيدي نظره اليك قتله قال لا ولكن كان
صاحبكم صادقا واستكن في قلبه سر لم ينكشف له بوصفه فلما رآنا انكشف له سر قلبه فضاق عن حمله لانه في مقام الضعفاء
المريدين فقتله ذلك ولما دخل الزنج البصرة فقتلوا الانفس ونهبوا الاموال اجتمع الى سهل اخوانه فقالوا لو سألت الله تعالى
دفعهم فسكت ثم قال ان لله عبادا في هذه البلدة لو دعوا على الظالمين لم يصبح على وجه الارض ظالم الا مات في ليلة واحدة ولكن لا
يفعلون قيل لم قال لانهم لا يحبون ما لا يحب ثم ذكر من اجابة الله اشياء لا يستطاع ذكرها حتى قال ولو سألوه ان لا يقيم
الساعة لم يقمها وهذه امور ممكنة في انفسها فمن لم يحظ بشيء منها فلا ينبغي ان يخلو عن التصديق والايمان بامكانها فان
القدرة واسعة والفضل عميم وعجائب الملك والملكوت كثيرة ومقدورات الله تعالى لا نهاية لها وفضله على عباده
الذين اصطفى لا غاية له ولذلك كان ابو يزيد يقول ان اعطاك مناجاة موسى وروحانية عيسى وخلة ابراهيم
فاطلب ما وراء ذلك فان عنده فوق ذلك اضعافا مضاعفة فان سكنت الى ذلك حجبك به وهذا بلاء مثلهم ومن
هو في مثل حالهم لانهم الامثل وقد قال بعض العارفين كوشفت باربعين حوراء رأيتهن يتساعين في
الهواء عليهن ثياب من ذهب وفضة وجوهر يتخشخش ويتثنى معهن فنظرت اليهن نظرة فعوقبت اربعين يوما
ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حوراء فوقهن في الحسن والجمال وقيل لي انظر اليهن قال فسجدت فغمضت حتى صرفن
عني فامثال هذه المكاشفات لا ينبغي ان ينكرها المؤمن لافلاسه عن مثلها فلو لم يؤمن كل واحد الا بما شاهده من نفسه
المظلمة وقلبه القاسي لضاق مجال الايمان عليه بل هذه احوال تظهر بعد مجاوزة عقبات ونيل مقامات
كثيرة ادناها الاخلاص واخراج حظوظ النفس وملاحظة الخلق عن جميع الاعمال ظاهرا وباطنا ثم مكاتمة ذلك عن الخلق بستر
الحال حتى يبقى متحصنا بحصن الخمول فهذه اوائل سلوكهم واقل مقاماتهم وهي اعز موجود في الاتقياء من الناس وبعد تصفية
القلب عن كدورة الالتفات الى الخلق يفيض عليه نور اليقين وينكشف له مبادي الحق وانكار ذلك دون التجربة وسلوك
الطريق يجري مجرى انكار من انكر امكان انكشاف الصورة في الحديدة اذا شكلت ونقيت وصقلت وصورت
بصورة المرآة فنظر المنكر الى ما في يده من زبرة حديد مظلم قد استولى عليه الصدأ والخبث وهو لا يحكي صورة من الصور
فانكر امكان انكشاف المرئي فيها عند ظهور جوهرها وانكار ذلك غاية الجهل والضلال فهذا حكم كل من انكر كرامات
الاولياء اذ لا مستند له الا قصوره عنه وقصور من رآه وبئس المستند ذلك في انكار قدرة الله تعالى بل انما يستنشق روائح المكاشفة

من سلك شيئا ولو من مبادي الطريق كما قيل لبشر بأي شيء بلغت هذه المنزلة فقال كنت اكتم الله تعالى حالي معناه اسأله
ان يكتم علي ويخفي امري وروي انه رأى الخضر عليه السلام فقال ادع الله لي فقال يسر الله عليك طاعته قلت زدني
فقال وسترها عليك فقيل معناه يسترها عن الخلق وقيل يسترها عليك حتى لا تلتفت انت اليها وعن بعضهم انه
قال اقلقني الشوق الى الخضر عليه السلام فسألت الله تعالى مرة ان يريني اياه ليعلمني شيئا كان اهم الاشياء علي قال فرأيته فما غلب على
همي ولا همتي الا ان قلت له يا ابا العباس علمني شيئا اذا قلته حجبت عن قلوب الخليقة فلم يكن لي فيها قدر ولا يعرفني احد
بصلاح ولا ديانة فقال قل اللهم اسبل علي كثيف سترك وحط علي سرادقات حجبك واجعلني في مكنون
غيبك واحجبني عن قلوب خلقك قال ثم غاب فلم اره ولم اشتق اليه بعد ذلك فما تركت ان اقول هذه الكلمات
في كل يوم فحكي انه صار بحيث كان يستذل ويمتهن حتى كان اهل الذمة يسخرون به ويستسخرونه في الطرق يحمل
لهم الاشياء لسقوطه عندهم وكان الصبيان يولعون به فكانت راحته وجود قلبه واستقامة حاله في ذله وخموله
فهكذا حال اولياء الله ففي امثال هؤلاء ينبغي ان يطلبوا والمغرورون انما يطلبونهم تحت المرقعات والطيالسة وفي المشهورين
بين الخلق بالعلم والورع والرياسة وغيرة الله على اوليائه تأبى الا اخفاءهم كما قال تعالى اوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري
وقال عليه الصلاة والسلام رب اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره وبالجملة فابعد القلوب عن مشام
هذه المعاني القلوب المتكبرة المعجبة بانفسها المستبشرة بعلمها وعملها واقرب القلوب اليها القلوب المنكسرة
المستشعرة ذل انفسها استشعارا اذا اهتضم لم يحس بالذل كما لا يحس العبد بالذل مهما ترفع عليه مولاه فاذا لم يحس بالذل
واذا لم يشعر ايضا بعدم التفاته الى الذل بل كان عند نفسه اخس منزلة من ان يرى جميع انواع الذل ذلا في حقه بل يرى نفسه
دون ذلك حتى صار التواضع بالطبع صفة ذاته فمثل هذا القلب يرجى له ان يستنشق مبادي هذه الروائح فان
فقدنا مثل هذه الروائح فلا ينبغي ان نطرح الايمان بامكان ذلك لاهله فمن لا يقدر ان يكون من اولياء الله فليكن محبا
لاولياء الله مؤمنا بهم فعسى ان يحشر مع من احب ويشهد لهذا ما روي ان عيسى عليه الصلاة والسلام قال لبني اسرائيل
اين ينبت الزرع قالوا في التراب فقال بحق اقول لكم لا تنبت الحكمة الا في قلب مثل التراب ولقد انتهى المريدون لولاية
الله تعالى في طلبها شروطها باذلال النفس الى منتهى الضعة والخسة حتى روي عن استاد الجنيد وهو ابن الكريني ان
رجلا دعاه ثلث مرات الى طعامه ثم كان يرده ثم يستدعيه فيرجع اليه بعد ذلك حتى ادخله في المرة الرابعة فسأله
عن ذلك فقال قد رضت نفسي على الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب يطرد فينطرد ثم يدعى فيرمى له عظم فيعود ولو
رددتني خمسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك لاجبت وعنه ايضا انه قال نزلت في محلة فعرفت فيها بالصلاح فتشتت قلبي
فدخلت الحمام وعينت على ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها ثم لبست مرقعتي فوقها وخرجت وجعلت امشي قليلا قليلا
فلحقوني فنزعوا مرقعتي واخذوا الثياب وصفعوني واوجعوني ضربا فصرت بعد ذلك اعرف بلص الحمام فسكنت نفسي فهكذا
كانوا يروضون انفسهم حتى يخلصهم الله من النظر الى الخلق ثم من النظر الى النفس فان الملتفت الى نفسه محجوب
عن الله تعالى وشغله بنفسه حجاب له فليس بين القلب وبين الله حجاب بعد وتخلل حائل وانما بعد القلوب شغلها
بغيره او بنفسها واعظم الحجب شغل النفس ولذلك حكي ان شاهدا عظيم القدر من اعيان اهل بسطام كان لا يفارق
مجلس ابي يزيد فقال له يوما يا ابا يزيد انا منذ ثلثين سنة اصوم الدهر لا افطر واقوم الليل لا انام ولا اجد في قلبي من هذا
العلم الذي تذكر شيئا وانا اصدق به واحبه فقال ابو يزيد ولو صمت ثلثمائة سنة وقمت لياليها ما وجدت من هذا ذرة قال ولم
قال لانك محجوب بنفسك قال فلهذا دواء قال نعم قال قل لي حتى اعمله قال لا تقبله قال فاذكره لي حتى اعمل قال اذهب الساعة
الى المزين فاحلق رأسك ولحيتك وانزع هذا اللباس واتزر بعباءة وعلق في عنقك مخلاة مملوة جوزا واجمع الصبيان حولك
وقل كل من صفعني صفعة اعطيته جوزة وادخل السوق وطف الاسواق كلها عند الشهود وعند من يعرفك وانت على ذلك فقال

الرجل سبحان الله تقول لي مثل هذا فقال ابو يزيد قولك سبحان الله شرك قال وكيف قال لانك عظمت نفسك فسبحتها
وما سبحت ربك فقال هذا لا افعله ولكن دلني على غيره فقال ابتدئ بهذا قبل كل شيء فقال لا اطيقه قال قد قلت لك انك لا تقبل فهذا
الذي ذكره ابو يزيد هو دواء من اعتل بنظره الى نفسه ومرض بنظر الناس اليه ولا ينجي من هذا المرض دواء سوى هذا
وامثاله فمن لا يطيق الدواء فلا ينبغي ان ينكر امكان الشفاء في حق من داوى نفسه بعد المرض او لم يمرض بمثل هذا المرض
اصلا فاقل درجات الصحة الايمان بامكانها فويل لمن حرم هذا القدر القليل ايضا وهذه امور جلية في الشرع واضحة
وهي مع ذلك مستبعدة عند من يعد نفسه من علماء الشرع فقد قال عليه الصلاة والسلام لا يستكمل العبد الايمان
حتى يكون قلة الشيء احب اليه من كثرة الشيء وحتى يكون ان لا يعرف احب اليه من ان يعرف وقال ايضا ثلث من كن فيه
استكمل ايمانه لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرائي بشيء من عمله واذا عرض له امران احدهما للدنيا والاخر للاخرة اثر امر
الاخرة على امر الدنيا وقال عليه الصلاة والسلام لا يكمل ايمان العبد حتى يكون فيه ثلث خصال اذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق
واذا رضي لم يدخله رضاه في باطل واذا قدر لم يتناول ما ليس له وفي حديث اخر ثلث من اوتيهن فقد اوتي مثل ما اوتي
آل داود العدل في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر وخشية الله في السر والعلانية فهذه شروط ذكرها رسول الله
لاهل الايمان فالعجب ممن يدعي علم الدين ولا يصادف في نفسه ذرة من هذه الشروط ثم يكون نصيبه من علمه وعقله ان يجحد ان
يكون العبد مجاوزة مقامات علية وراء الايمان وفي الاخبار ان الله اوحى الى بعض انبيائه انما اتخذ لخلتي من لا
يفتر عن ذكري ولا يكون له هم غيري ولا يؤثر علي شيئا من خلقي وان احرق بالنار لم يجد لحرق النار وجعا وان قطع بالمناشير لم
يجد لمس الحديد الما فمن لم يبلغ الى ان يغلبه الحب الى هذا الحد فمن اين يعرف ما وراء الحب من الكرامات والمكاشفات
وكل ذلك وراء الحب والحب وراء كمال الايمان ومقامات الايمان وتفاوته في الزيادة والنقصان لا حصر له
ولذلك قال عليه الصلاة والسلام للصديق رضي الله عنه ان الله تعالى قد اعطاك مثل ايمان كل من امن بي من امتي واعطاني مثل ايمان
كل من امن به من ولد ادم وفي حديث اخر ان لله ثلثمائة خلق من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة فقال ابو بكر
يا رسول الله هل في خلق منها فقال كلها فيك يا ابا بكر واحبها الى الله السخاء وقال عليه الصلاة والسلام رايت ميزانا دلي
من السماء فوضعت في كفة ووضعت امتي في كفة فرجحت بهم ووضع ابو بكر في كفة وجيء بامتي فوضعت في كفة فرجح
بهم ومع هذا كله فقد كان استغراق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالله تعالى بحيث لم يتسع قلبه للخلة مع غيره قال لو كنت
متخذا من الناس خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله يعني نفسه خاتمة الكتاب
بكلمات متفرقة تتعلق بالمحبة ينتفع بها قال سفيان المحبة اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام وقال غيره دوام الذكر
وقال غيره ايثار المحبوب وقال بعضهم كراهية البقاء في الدنيا وهذا كله اشارة الى ثمرات المحبة فاما نفس المحبة
فلم يتعرضوا لها وقال بعضهم المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب يعجز القلوب عن ادراكه وتمتنع الالسن عن عبارته
وقال الجنيد حرم الله تعالى المحبة على صاحب العلاقة وقال كل محبة تكون بعوض فاذا زال العوض زالت المحبة وقال ذو النون
قل لمن اظهر حب الله احذر ان تذل لغير الله وقيل للشبلي صف لنا العارف والمحب فقال العارف ان تكلم هلك
والمحب ان سكت هلك وقال الشبلي يا ايها السيد الكريم * حبك بين الحشا مقيم * يا رافع النوم عن جفوني * انت بما مر بي عليم *
ولغيره * عجبت لمن يقول ذكرت ربي * وهل انسى فاذكر ما نسيت * اموت اذا ذكرتك ثم احيى * ولولا حسن ظني ما حييت
فاحيى بالمنى واموت شوقا * فكم احيى عليك وكم اموت * شربت الحب كاسا بعد كاس * فما نفد الشراب وما رويت
فليت خياله نصب لعيني * فان قصرت في نظري عميت * وقالت رابعة العدوية يوما من يدلنا على حبيبنا *
فقالت خادمة لها حبيبنا معنا ولكن الدنيا قطعتنا عنه * وقال ابن الجلا اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام
اني اذا اطلعت على سر عبد فلم اجد فيه حب الدنيا والاخرة ملأته من حبي وتوليته بحفظي وقيل تكلم

في الجنة فاذا بطاير نزل بين يديه فلم يزل ينقر بمنقاره الارض حتى سال منه الدم فمات وقال ابرهيم بن ادهم
الهي انك تعلم ان الجنة لا تزن عندي جناح بعوضة في جنب ما اكرمتني من محبتك وانستني بذكرك وفرغتني للتفكر
في عظمتك وقال سري السقطي من احب الله تعالى عاش ومن مال الى الدنيا طاش والاحمق يغدو ويروح في لاش
وقيل لرابعة كيف حبك لرسول الله عليه الصلاة والسلام فقالت اني والله لاحبه حبا شديدا ولكن حب الخالق شغلني عن
حب المخلوقين وسئل عيسى عليه الصلاة والسلام عن افضل الاعمال فقال الرضا عن الله تعالى والحب له وقال ابو يزيد
المحب لا يحب الدنيا ولا الاخرة انما يحب من مولاه مولاه وقال الشبلي الحب دهشة في لذة وحيرة في تعظيم وقيل المحبة
ان تمحو اثرك عنك حتى لا يبقى فيك شيء راجع منك اليك وقيل المحبة قرب القلب من المحبوب بالاستبشار
والفرح وقال الخواص المحبة محو الارادات واحتراق جميع الصفات والحاجات وسئل سهل عن المحبة فقال عطف
الله بقلبه على عبده لمشاهدته بعد الفهم للمراد منه وقيل معاملة المحب على اربع منازل على المحبة والهيبة والحياء والتعظيم
وافضلها التعظيم والمحبة لان هاتين المنزلتين تبقيان في الجنة مع اهل الجنة ويرفع عنهم غيرهما وقال ابو هرم بن
حيان المومن اذا عرف ربه عز وجل احبه واذا احبه اقبل اليه واذا ذاق حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا بعين
الشهوة ولم ينظر الى الاخرة بعين الفترة وهي تحسره في الدنيا وتروحه في الاخرة وقال عبد الله بن محمد سمعت امراة من
المتعبدات تقول وهي تبكي والدموع على خدها جارية والله لقد سئمت من الحياة حتى لو وجدت الموت يباع لاشتريته
شوقا الى الله تعالى وحبا للقائه قال فقلت لها افعلى ثقة انت من عملك قالت لا ولكني لحبي اياه وحسن ظني به افتراه
يعذبني وانا احبه واوحى الله تعالى الى داود لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي الى ترك
معاصيهم لماتوا شوقا الي وتقطعت اوصالهم من محبتي يا داود هذه ارادتي في المدبرين عني فكيف ارادتي
في المقبلين علي يا داود احوج ما يكون العبد الي اذا استغنى عني وارحم ما اكون بعبدي اذا ادبر عني واجل
ما يكون عبدي اذا رجع الي وقال ابو خالد الصفار لقي نبي من الانبياء عابدا من العباد فقال له انكم معاشر العباد
تعملون على امر لسنا معاشر الانبياء نعمل عليه انتم تعملون على الخوف والرجاء ونحن نعمل على المحبة والشوق وقال الشبلي
اوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام ذكري للذاكرين وجنتي للمطيعين وزيارتي للمشتاقين وانا خاصة للمحبين
واوحى الله تعالى الى ادم عليه الصلاة والسلام يا ادم من احب حبيبا صدق قوله ومن انس بحبيبه رضي فعله ومن
اشتاق اليه جد في مسيره وكان الخواص يضرب على صدره ويقول واشوقاه الى من يراني ولا اراه وقال
الجنيد بكى يونس عليه الصلاة والسلام حتى عمي وقام حتى انحنى وصلى حتى اقعد وقال وعزتك وجلالك
لو كان بيني وبينك بحر من نار لخضته اليك شوقا مني اليك وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال سالت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة راس مالي والعقل اصل ديني والحب اساسي والشوق مركبي
وذكر الله تعالى انيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضا غنيمتي والعجز
فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في
الصلاة وقال ذو النون سبحان من جعل الارواح جنودا مجندة فارواح العارفين جلالية قدسية فلذلك اشتاقوا
الى الله تعالى وارواح المومنين روحانية فلذلك حنوا الى الجنة وارواح الغافلين هوائية فلذلك مالوا الى الدنيا
وقال بعض المشايخ رايت في جبل لكام رجلا اسمر اللون ضعيف البدن وهو يقفز من حجر الى حجر ويقول
الشوق والهوى صيراني كما ترى ويقال الشوق نار الله تعالى اشعلها في قلوب اوليائه حتى يحرق بها ما في قلوبهم
من الخواطر والارادات والعوارض والحاجات فهذا القدر كاف في شرح المحبة والانس والشوق والرضا
فلنقتصر عليه والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب تم كتاب المحبة يتلوه كتاب النية والاخلاص

في الاخلاص وحقائقه

بسم الله الرحمن الرحيم نحمد الله حمد الشاكرين ونؤمن به ايمان الموقنين ونقر بوحدانيته اقرار الصادقين
ونشهد ان لا اله الا الله هو رب العالمين وخالق السموات والارضين ومكلف الجن والانس والملائكة المقربين
ان يعبدوه عبادة المخلصين فقال وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقال تعالى الا لله الدين
الخالص المتين فانه اغنى الاغنياء عن شركة المشاركين والصلوة على نبيه محمد سيد المرسلين وعلى جميع النبيين
وعلى اله واصحابه الطيبين الطاهرين

اما بعد

فقد انكشف لارباب القلوب ببصيرة الايمان وانوار
القران ان لا وصول الى السعادة الا بالعلم والعبادة فالناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى
الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم فالعمل بغير نية عناء والنية
بغير اخلاص رياء وهو للنفاق كفاء ومع العصيان سواء والاخلاص من غير صدق وتحقيق هباء وقد قال الله تعالى
في كل عمل كان بارادة غير الله مشوبا مغمورا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وليت شعري كيف
يصحح نيته من لا يعرف حقيقة النية وكيف يخلص من صحح النية اذا لم يعرف حقيقة الاخلاص او كيف يطالب
المخلص نفسه بالصدق اذا لم يتحقق معناه فالوظيفة الاولى على كل عبد اراد طاعة الله تعالى ان يتعلم النية لتحصيل
المعرفة ثم يصححها بالعمل بعد فهم حقيقة الصدق والاخلاص اللذان هما وسيلتا العبد الى النجاة والخلاص ونحن نذكر
معاني النية والصدق والاخلاص في ثلثة ابواب

الباب الاول في حقيقة النية ومعناها **الباب الثاني** في الاخلاص وحقائقه **الباب الثالث** في الصدق وحقيقته

الباب الاول

في النية وفيه بيان فضيلة النية وبيان حقيقة النية وبيان كون النية خيرا من العمل وبيان تفصيل الاعمال المتعلقة بالنية
وبيان خروج النية عن الاختيار

بيان فضيلة النية

قال الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشي يريدون وجهه والمراد بتلك الارادة هو النية وقال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ
ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة يتزوجها
فهجرته الى ما هاجر اليه وقال صلى الله عليه وسلم اكثر شهداء امتي اصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفين الله
اعلم بنيته وقال الله تعالى ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فجعل النية سبب التوفيق وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد
ليعمل اعمالا حسنة فتصعد بها الملائكة في صحف مختمة فتلقى بين يدي الله تعالى فيقول القوا هذه الصحيفة فانه لم يرد بما فيها وجهي
ثم ينادي الملائكة اكتبوا له كذا وكذا اكتبوا له كذا وكذا فيقولون يا ربنا انه لم يعمل شيئا من ذلك فيقول الله تعالى انه نواه انه
نواه وقال صلى الله عليه وسلم الناس اربعة رجل اتاه الله علما ومالا فهو يعمل بعلمه في ماله فيقول رجل لو اتاني الله تعالى مثل ما اتاه
لعملت كما يعمل فهما في الاجر سواء ورجل اتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يتخبط بجهله في ماله فيقول رجل لو اتاني الله
مثل ما اتاه عملت كما يعمل فهما في الوزر سواء الا ترى كيف شركه بالنية في محاسن عمله ومساويه وكذلك في حديث انس
بن مالك لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قال ان بالمدينة اقواما ما قطعنا واديا ولا
وطئنا موطئا يغيظ الكفار ولا انفقنا نفقة ولا اصابتنا مخمصة الا شركونا في ذلك وهم بالمدينة قالوا
وكيف ذلك يا رسول الله وليسوا معنا قال حبسهم العذر فشاركونا بحسن النية وفي حديث ابن مسعود من
يبتغي شيئا فهو له فهاجر رجل فتزوج امراة منا فكان يسمى مهاجر ام قيس ولذلك جاء في الخبر ان رجلا قتل في
سبيل الله فكان يدعى قتيل الحمار لانه قاتل ليأخذ سلبه وحماره فقتل على ذلك فاضيف الى نيته وفي حديث
عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم من غزى وهو لا ينوي الا عقالا فله ما نوى وقال ابي استعنت رجلا

يغزو معي فقال لا حتى تجعل لي جعلا فجعلت له فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ليس له من دنياه وآخرته الا ما جعلت له. وروي في الاسرائيليات ان رجلا مر بكثبان من رمل في مجاعة فقال في نفسه لو كان هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس فأوحى الله تعالى الى نبيهم ان قل له ان الله تعالى قد قبل صدقتك وقد شكر حسن نيتك واعطاك ثواب ما لو كان طعاما فتصدقت به. وقد ورد في اخبار كثيرة من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة. وفي حديث عبد الله بن عمرو ومن كانت الدنيا نيته جعل الله فقره بين عينيه وفارقها ارغب ما يكون فيها ومن تكن الآخرة نيته جعل الله غناه في قلبه وجمع عليه ضيعته وفارقها ازهد ما يكون فيها. وفي حديث ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر جيشا يخسف بهم في البيداء فقلت يا رسول الله وفيهم المكره والاجير فقال يحشرون على نياتهم. وقال عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما يقتتل المقتتلون على النيات. وقال عليه الصلاة والسلام اذا التقى الصفان نزلت الملائكة تكتب الخلق على مراتبهم فلان يقاتل للدنيا فلان يقاتل حمية فلان يقاتل عصبية الا فلا تقولوا فلان قتل في سبيل الله فمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله. وعن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يبعث كل عبد على ما مات عليه. وفي حديث الاحنف بن قيس عن ابي بكرة اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه اراد قتل صاحبه. وفي حديث ابي هريرة من تزوج امرأة على صداق وهو لا ينوي اداءه فهو زان ومن ادان دينا وهو لا ينوي قضاءه فهو سارق. وقال صلى الله عليه وسلم من تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه اطيب من المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه انتن من الجيفة. **وأما الآثار**

فقد قال عمر رضي الله عنه افضل الاعمال اداء ما افترض الله تعالى والورع عما حرم الله تعالى وصدق النية فيما عند الله. وكتب سالم بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز اعلم ان عون الله تعالى للعبد على قدر النية فمن تمت نيته تم عون الله له وان نقصت نقص بقدره. وقال بعض السلف رب عمل صغير تعظمه النية. وقال داود الطائي من كان البر همته التقوى فلو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا لردته نيته يوما الى نية صالحة وكذلك الجاهل بعكس ذلك. وقال الثوري كانوا يتعلمون النية للعمل كما يتعلمون العمل. وقال بعض العلماء اطلب النية للعمل قبل العمل وما دمت تنوي الخير فانت بخير. وكان بعض المريدين يطوف على العلماء يقول من يدلني على عمل لا ازال فيه عاملا لله تعالى فاني لا احب ان تأتي علي ساعة من ليل او نهار الا وانا عامل من عمال الله فقيل له قد وجدت حاجتك فاعمل الخير ما استطعت فاذا فترت او تركته فهم بعمله فان الهام بعمل الخير كعامله. وكذلك قال بعض السلف ان نعمة الله عليكم اكثر من ان تحصوها وان ذنوبكم اخفى من ان تعلموها ولكن اصبحوا تائبين وامسوا تائبين يغفر لكم ما بين ذلك. وقال عيسى عليه الصلاة والسلام طوبى لعين نامت ولم تهم بمعصية وانتبهت الى غير اثم. وقال ابو هريرة يبعثون يوم القيامة على قدر نياتهم. وكان الفضيل بن عياض اذا قرأ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم يبكي ويرددها ويقول انك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا. وقال الحسن انما خلد اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار بالنيات. وقال ابو هريرة مكتوب في التوراة ما اريد به وجهي فقليله كثير وما اريد به غير وجهي فكثيره قليل. وقال بلال بن سعد ان العبد ليقول قول مؤمن فلا يدعه الله تعالى وقوله حتى ينظر في عمله فاذا عمل لم يدعه حتى ينظر فماذا نوى فاذا صلحت نيته فاحرى ان يصلح ما دون ذلك. فاذا عماد الاعمال النيات فالعمل مفتقر الى النية ليصير بها خيرا والنية في نفسها خير وان تعذر العمل بعائق.

بيان حقيقة النية

اعلم ان النية والارادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد وهو حالة وصفة للقلب يكتنفها امران علم وعمل العلم يقدمه لانه اصله وشرطه والعمل يتبعه لانه ثمرته وفرعه وذلك لان كل عمل اعني كل حركة وسكون اختياري فانه لا يتم الا بثلاثة امور علم وارادة وقدرة لانه لا يريد الانسان ما لا يعلمه فلا بد وان يعلم ولا يعمل ما لم يرد فلا بد من ارادة ومعنى الارادة

انبعاث القلب الى ما يراه موافقا للغرض اما في الحال واما في المآل فقد خلق الانسان بحيث يوافقه بعض الامور ويلائم غرضه ويخالفه بعض الامور فاحتاج الى جلب الملائم الموافق الى نفسه ودفع الضار المنافي عن نفسه فافتقر بالضرورة الى معرفة وادراك للشيء المضر والنافع حتى يجلب هذا ويهرب من هذا فان من لا يبصر الغذاء ولا يعرفه لا يمكنه ان يتناوله ومن لا يبصر النار لا يمكنه الهرب منها فخلق الله الهداية والمعرفة وجعل لها اسبابا وهي الحواس الظاهرة والباطنة وليس ذلك من غرضنا ثم لو ابصر الغذاء وعرف انه موافق له فلا يكفيه ذلك للتناول ما لم يكن فيه ميل اليه ورغبة فيه وشهوة له باعثة عليه اذ المريض يرى الغذاء ويعلم انه موافق ولا يمكنه التناول لعدم الرغبة والميل ولفقد الداعية المحركة اليه فخلق الله تعالى له الميل والرغبة والارادة واعني به نزوعا في نفسه اليه وتوجها في قلبه اليه ثم ذلك لا يكفيه فكم من مشاهد طعاما راغب فيه مريد تناوله عاجز عنه لكونه زمنا فخلقت له القدرة والاعضاء المحركة حتى يتم به التناول والعضو لا يتحرك الا بالقدرة والقدرة تنتظر الداعية الباعثة والداعية تنتظر العلم والمعرفة او الظن والاعتقاد وهو ان يقوى في نفسه كون الشيء موافقا له فاذا جزمت المعرفة بان الشيء موافق ولا بد وان يفعل وسلمت عن معارضة باعث آخر صارف عنه انبعثت الارادة وتحقق الميل فاذا انبعثت الارادة انتهضت القدرة لتحريك الاعضاء فالقدرة خادمة للارادة والارادة تابعة لحكم الاعتقاد والمعرفة فالنية عبارة عن الصفة المتوسطة وهي الارادة وانبعاث النفس بحكم الرغبة والميل الى ما هو موافق للغرض اما في الحال واما في المآل فالمحرك الاول هو الغرض المطلوب وهو الباعث والغرض الباعث هو المقصد المنوي والانبعاث هو القصد والنية وانتهاض القدرة لخدمة الارادة بتحريك الاعضاء هو العمل الا ان انتهاض القدرة للعمل قد يكون بباعث واحد وقد يكون بباعثين اجتمعا في فعل واحد واذا كان بباعثين فقد يكون كل واحد بحيث لو انفرد لكان مليا بانهاض القدرة والمعرفة وقد يكون كل واحد قاصرا عنه الا بالاجتماع وقد يكون احدهما كافيا لولا الآخر لكن الآخر انتهض عاضدا له ومعاونا فيخرج من هذا التقسيم اربعة اقسام فلنذكر لكل واحد منها مثالا واسما. **اما الاول** فهو ان ينفرد الباعث الواحد ويتجرد كما اذا هجم على الانسان سبع فلما رآه قام من موضعه فلا مزعج له الا غرض الهرب من السبع فانه اذا رأى السبع وعرفه ضاريا انبعثت نفسه الى الهرب ورغبت فيه فانتهضت القدرة عاملة بمقتضى الانبعاث فيقال نيته الفرار من السبع لا نية له في القيام لغيره وهذه النية تسمى خالصة ويسمى العمل بموجبها اخلاصا بالاضافة الى الغرض الباعث ومعناه انه خلص عن مشاركة غيره وممازجته. **واما الثاني** فهو ان يجتمع باعثان كل واحد مستقل بالانهاض لو انفرد ومثاله من المحسوسات ان يتعاون رجلان على حمل شيء بمقدار من القوة كانت كافية في الحمل لو انفرد به ومثاله في غرضنا ان يسأله قريبه الفقير حاجة فيقضيها لفقره ولقرابته وعلم انه لولا فقره لكان يقضيها بمجرد القرابة وانه لولا قرابته لكان يقضيها لمجرد الفقر وعلم ذلك من نفسه بان يحضره قريب غني فيرغب في قضاء حاجته وفقير اجنبي فيرغب ايضا فيه وكذا من امره الطبيب بترك الطعام ودخل عليه يوم عرفة فصام وهو يعلم لولا يوم عرفة لكان يترك الطعام حمية ولولا الحمية لكان يتركه لاجل انه يوم عرفة وقد اجتمعا فاقدم على الفعل فكان الباعث الثاني رفيقا الاول فلنسم هذا موافقة البواعث. **الثالث** ان لا يستقل كل واحد لو انفرد ولكن قوي مجموعها على انهاض القدرة ومثاله من المحسوسات ان يتعاون ضعيفان على حمل ما لا ينفرد احدهما به ومثاله من غرضنا ان يقصده قريبه الغني فيطلب درهما فلا يعطيه ويقصده الاجنبي الفقير فيطلب درهما فلا يعطيه ثم يقصده الفقير القريب فيعطيه فيكون انبعاث داعيته بمجموع الباعثين وهو القرابة والفقر وكذلك الرجل يتصدق بين يدي الناس لغرض الثواب ولغرض الثناء ويكون بحيث لو كان منفردا لكان لا يبعثه مجرد قصد الثواب على العطاء ولو كان الطالب فاسقا لا ثواب في التصدق عليه لكان لا يبعثه مجرد الرياء على العطاء ولما اجتمعا اورثا بمجموعهما تحريك القلب ولنسم هذا الجنس مشاركة. **الرابع** ان يكون احد الباعثين مستقلا لو انفرد بنفسه والثاني لا يستقل ولكن لما انضاف اليه لم ينفك عن تأثير بالاعانة والتسهيل ومثاله في المحسوسات

يعاون الضعيف الرجل القوي على الحمل ولو انفرد الرجل القوي لاستقل ولو انفرد الضعيف لم يستقل فاذا اجتمعا جميعا سهل العمل وبرز مثاله خفيفه • ومثاله في عرضنا ان يكون للانسان ورد في الصلوات • وعادة في الصدقات • فاتفق ان حضر في وقتها جماعة من الناس فصار الفعل اخف عليه بسبب مشاهدتهم وعلم من نفسه انه لو كان منفردا خاليا لم يفتر عن عمله وعلم ان عمله لو لم يكن طاعة لم يكن مجرد الريا يحمله عليه فهو متطرق الى النية • ولنسم هذا الجنس المعاونة • والباعث الثاني اما ان يكون رفيقا • او شريكا • او معينا • وسنذكر حكمها في كتاب الاخلاص والغرض الان بيان اقسام النيات فان العمل تابع للباعث عليه فيكتسب الحكم منه • ولذلك قيل انما الاعمال بالنيات لانها تابعة لا حكم لها في نفسها وانما الحكم للمتبوع

بيان سر قوله صلى الله عليه وسلم نية المؤمن خير من عمله

اعلم انه قد يظن ان سبب هذا الترجيح ان النية سر لا يطلع عليه الا الله والعمل ظاهر وعمل السر افضل وهذا صحيح ولكن ليس هو المراد لانه لو نوى ان يذكر الله بقلبه او يتفكر في مصالح المسلمين فيقتضي عموم الحديث ان تكون نية التفكر خيرا من التفكر وقد يظن ان سبب الترجيح ان النية تدوم الى اخر العمل والاعمال لا تدوم وهو ضعيف لان ذلك يرجع معناه الى ان العمل الكثير خير من القليل وليس كذلك فان نية اعمال الصلاة قد لا تدوم الا في لحظات معدودة والاعمال تدوم والعموم يقتضي ان تكون نيته خيرا من عمله وقد يقال معناه ان النية بمجردها خير من العمل بمجرده دون النية وهو كذلك ولكنه بعيد ان يكون هو المراد اذ العمل بلا نية او على الغفلة لا خير فيه اصلا والنية بمجردها خير وظاهر الترجيح للمشتركين في اصل الخير بل المعنى به ان كل طاعة تنتظم بنية وعمل وكانت النية من جملة الخيرات وكان العمل من جملة الخيرات ولكن النية من جملة الطاعات خير من عمله الذي هو من جملة طاعته والغرض ان للعبد اختيارا في النية وفي العمل فهما عملان والنية من الجملة خيرهما فهذا معناه واما سبب كونها خيرا ومترجحا على العمل فلا يفهمه الا من فهم مقصد الدين وطريقه ومبلغ اثر الطريق في الايصال الى المقصد وقاس بعض الاثار بالبعض حتى يظهر له بعد ذلك الارجح بالاضافة الى المقصود فمن قال الخبز خير من الفاكهة فانما يعني به انه خير بالاضافة الى مقصود القوت والاغتذاء ولا يفهم ذلك الا من فهم ان للغذاء مقصدا وهو الصحة والبقاء وان الاغذية مختلفة الاثار فيها وفهم اثر كل واحد وقاس بعضها بالبعض فالطاعات غذاء للقلوب والمقصود شفاؤها وبقاؤها وسلامتها في الاخرة وسعادتها وتنعمها بلقاء الله تعالى والمقصد لذة السعادة بلقاء الله تعالى فقط ولن يتنعم بلقاء الله الا من مات محبا لله عارفا بالله ولن يحبه الا من عرفه ولن يانس بربه الا من طال ذكره له فالانس يحصل بدوام الذكر والمعرفة بدوام الفكر والمحبة تتبع المعرفة بالضرورة ولن يتفرغ القلب لدوام الذكر والفكر الا اذا فرغ من شواغل الدنيا ولن يتفرغ من شواغلها الا اذا انقطعت عنه شهواتها حتى يصير مائلا الى الخير مريدا له نافرا عن الشر مبغضا له وانما يميل الى الخيرات والطاعات اذا علم ان سعادته في الاخرة منوطة بها كما يميل العاقل الى الفصد والحجامة لعلمه بان السلامة فيهما واذا حصل اصل الميل بالمعرفة فانما يقوى بالعمل بمقتضى الميل والمواظبة عليه فان المواظبة على مقتضى صفات القلب وارادتها بالعمل تجري مجرى الغذاء والقوت لتلك الصفة حتى تترسخ الصفة وتقوى بسببها فالمائل الى طلب العلم وطلب الرياسة لا يكون ميله في الابتداء الا ضعيفا فان اتبع مقتضى الميل واشتغل بالعلم وتربية الرياسة والاعمال المطلوبة بذلك تاكد ميله ورسخ وعسر عليه النزوع وان خالف مقتضى ميله ضعف ميله وانكسر وربما زال وامحى بل الذي ينظر الى وجه حسن مثلا فيميل اليه طبعه ميلا ضعيفا ولو اتبعه وعمل بمقتضاه فداوم على النظر والمجالسة والمخالطة والمحاورة تاكد ميله حتى يخرج امره عن اختياره فلا يقدر على النزوع عنه ولو فطم نفسه ابتداء وخالف مقتضى ميله لكان ذلك كقطع القوت والغذاء عن صفة الميل ويكون ذلك زبرا ودفعا في وجهه حتى يضعف وينكسر بسببه او ينقمع وينمحي وهكذا جميع الصفات والخيرات والطاعات كلها هي التي يراد بها الاخرة والشرور كلها هي التي يراد بها الدنيا لا الاخرة وميل النفس الى الخيرات الاخروية وانصرافها عن الدنيوية هو الذي يفرغها للذكر

والفكر ولن يتاكد ذلك الا بالمواظبة على اعمال الطاعات وترك المعاصي بالجوارح لان بين الجوارح والقلب علاقة حتى انه يتاثر كل واحد منهما بالاخر فترى العضو اذا اصابته جراحة تالم القلب وترى القلب اذا تالم بعلمه بموت عزيز من اعزته او بهجوم امر مخوف تاثرت به الاعضاء وارتعدت الفرائص وتغير اللون الا ان القلب هو الاصل المتبوع وكانه الامير والراعي والجوارح كالخدم والرعايا والاتباع فالجوارح خادمة للقلب بتاكيد صفاتها فيه فالقلب هو المقصود والاعضاء الات موصلة الى المقصود ولذلك قال عليه الصلاة والسلام ان في الجسد لمضغة اذا صلحت صلح لها الجسد وقال اللهم اصلح الراعي والرعية واراد بالراعي القلب وقال تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم • وهو صفة القلب فمن هذا الوجه يجب لا محالة ان تكون اعمال القلب على الجملة افضل من حركات الجوارح ثم يجب ان تكون النية من جملتها افضل لانها عبارة عن ميل القلب الى الخير وارادته له وغرضنا من الاعمال بالجوارح ان يعود القلب ارادة الخير ويؤكد فيه الميل اليه ليتفرغ من شهوات الدنيا ويكب على الذكر والفكر فبالضرورة يكون خيرا بالاضافة الى الغرض المطلوب منه لانه متمكن من نفس المقصود وهذا كما ان المعدة اذا تالمت فقد تداوى بان يوضع الطلاء على الصدر وتداوى بالشرب والدواء الواصل الى المعدة بالشرب خير من طلاء الصدر لان طلاء الصدر ايضا انما اريد به ان يسري منه الاثر الى المعدة فما يلاقي عين المعدة فهو خير وانفع فهكذا ينبغي ان تفهم تاثير الطاعات كلها اذ المطلوب منها تغيير القلوب وتبديل صفاتها فقط دون الجوارح فلا تظنن ان في وضع الجبهة على الارض غرضا من حيث انه جمع بين الجبهة والارض بل من حيث انه بحكم العادة يؤكد صفة التواضع في القلب فان من يجد في نفسه تواضعا فاذا استعان باعضائه وصورها بصورة التواضع تاكد تواضعه ومن وجد في قلبه رقة على يتيم فاذا مسح راسه وقبله تاكدت الرقة في قلبه ولهذا لم يكن العمل بغير نية مفيدا اصلا لان من يمسح راس يتيم وهو غافل بقلبه او ظان انه يمسح ثوبا لم ينتشر من اعضائه اثر الى قلبه لتاكيد الرقة وكذلك من يسجد غافلا وهو مشغول الهم باغراض الدنيا لم ينتشر من جبهته ووضعها على الارض اثر الى قلبه يتاكد به التواضع فكان وجود ذلك كعدمه وما ساوى وجوده عدمه بالاضافة الى الغرض المطلوب منه يسمى باطلا فيقال العبادة بغير نية باطلة وهذا معناه هذا اذا فعل عن غفلة فان قصد به رياء او تعظيم شخص اخر لم يكن وجوده كعدمه بل زاده شرا فانه لم يؤكد الصفة المطلوب تاكيدها حتى اكد الصفة المطلوب قمعها وهي صفة الرياء التي هي من الميل الى الدنيا فهذا وجه كون النية خيرا من العمل وبهذا ايضا يعرف معنى قوله صلى الله عليه وسلم من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة لان هم القلب هو ميله الى الخيرات وانصرافه عن الهوى وحب الدنيا وهي غاية الحسنات وانما الاتمام بالعمل يزيدها تاكيدا فليس المقصود من اراقة دم القربان اللحم والدم بل ميل القلب عن حب الدنيا وبذلها ايثارا لوجه الله وهذه الصفة قد حصلت عند جزم النية والهمة فان عاق عن العمل عائق فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم والتقوى هاهنا اعني القلب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان بالمدينة قوما شركونا في جهادنا كما روينا لان قلوبهم في صدق ارادة الخير وبذل المال والنفس والرغبة في طلب الشهادة واعلاء كلمة الله كقلوب الخارجين في الجهاد وانما فارقوهم بالابدان لعوائق تخص الاسباب الخارجة عن القلب وذلك غير مطلوب الا لتاكيد هذه الصفات وبهذه المعاني تفهم جميع الاحاديث التي اوردناها في فضيلة النية فاعرضها عليه لتنكشف لك اسرارها فلا نطول بالاعادة

بيان تفصيل الاعمال المتعلقة بالنية

اعلم ان الاعمال وان انقسمت اقساما كثيرة من فعل وقول وحركة وسكون وجلب ودفع وفكر وذكر وغير ذلك مما لا يتصور احصاؤه واستقصاؤه فهي ثلاثة اقسام طاعات ومعاصي ومباحات. القسم الاول المعاصي وهي لا تتغير عن موضوعاتها بالنية فلا ينبغي ان يفهم الجاهل ذلك عن عموم قوله عليه الصلاة والسلام انما الاعمال بالنيات فيظن ان المعصية تنقلب طاعة بالنية كالذي يغتاب انسانا مراعاة لقلب غيره او يطعم فقيرا من مال غيره او يبني مدرسة او مسجدا او رباطا

بمال حرام وقصده الخير وهذا كله جهل والنية لا تؤثر في اخراجه عن كونه ظلما ومعصية وعدوانا بل قصده الخير
بالشر على خلاف الشرع شر اخر فان عرفه فهو معاند للشرع وان جهله فهو عاص بجهله اذ طلب العلم فريضة على كل مسلم والخيرات
انما عرف كونها خيرات بالشرع فكيف يمكن ان يكون الشر خيرا هيهات بل المروج لذلك على القلب خفي الشهوة وباطن
الهوى فان القلب اذا كان مائلا الى طلب الجاه واستمالة قلوب الناس وساير حظوظ النفس توسل الشيطان به الى
التلبيس على الجاهل ولذلك قال سهل ما عصي الله تعالى بمعصية اعظم من الجهل قيل يا ابا محمد تعرف شيئا اشد
من الجهل قال نعم الجهل بالجهل وهو كما قال لان الجهل بالجهل يسد بالكلية باب التعلم فمن يظن بنفسه انه عالم فكيف
يتعلم وكذلك افضل ما اطيع الله به العلم وراس العلم العلم بالعلم كما ان راس الجهل الجهل بالجهل فان من لا يعلم
العلم النافع من الضار اشتغل بما اكب الناس عليه من العلوم المزخرفة التي هي وسايلهم الى الدنيا وذلك هو مادة
الجهل ومنبع فساد العالم والمقصود ان من قصد الخير بمعصية عن جهل فهو غير معذور الا اذا كان قريب العهد بالاسلام
ولم يجد بعد مهلة التعلم **وقد** قال الله سبحانه فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال صلى الله عليه وسلم
لا يعذر الجاهل على الجهل ولا يحل للجاهل ان يسكت على جهله ولا للعالم ان يسكت على علمه وتقرب السلاطين ببناء
المساجد والمدارس بالمال الحرام وتقرب علماء السوء بتعليم العلم للسفهاء والاشرار المشغولين بالفسق والفجور
القاصرين هممهم على مماراة العلماء ومباراة السفهاء واستمالة وجوه الناس وجمع حطام الدنيا واخذ اموال
السلاطين والمساكين واليتامى فان هؤلاء اذا تعلموا كانوا قطاع طريق الله تعالى وانتهض كل واحد في بلدة نائبا عن
الدجال يتكالب على الدنيا ويتبع الهوى ويتباعد عن التقوى ويستجرئ بسبب مشاهدته على معاصي الله تعالى ثم قد ينتشر
ذلك العلم الى مثله وامثاله ويتخذونه الة ايضا ووسيلة في الشر واتباع الهوى ويتسلسل ذلك ووباله جميعه
يرجع الى المعلم الذي علمه العلم مع علمه بفساد نيته وقصده ومشاهدته انواع المعاصي من اقواله وافعاله
وفي مطعمه وملبسه ومسكنه ومكسبه فيموت هذا العالم وتبقى اثار شره منتشرة في العالم الف سنة مثلا والفي
سنة فطوبى لمن مات وماتت معه ذنوبه ثم العجب من جهله حيث يقول انما الاعمال بالنيات وقد قصدت
بذلك نشر علم الدين فان استعمله هو في الفساد فالمعصية منه لا مني وما قصدت به الا ان يستعين به
على الخير وانما حب الرياسة والاستتباع والتفاخر بعلو العلم يحسن ذلك في قلبه والشيطان بواسطة حب الرياسة
يلبس عليه وليت شعري ما جوابه عمن وهب سيفا من قاطع طريق واعد له خيلا واسبابا يستعين بها على مقصوده
ويقول انما اردت البذل والسخاء والتخلق باخلاق الله وقصدت به ان يغزو بهذا السيف والخيل فان اعداد الخيل
والرباط والقوة للغزاة من افضل القربات فان هو صرفه الى قطع الطريق فهو العاصي وقد اجمع الفقهاء على ان ذلك
حرام مع ان السخاء هو احب الاخلاق الى الله تعالى حتى قال صلى الله عليه وسلم ان لله ثلثمائة خلق من تقرب اليه
بواحد منها دخل الجنة واحبها اليه السخاء فليت شعري لم حرم هذا السخاء ولم وجب عليه ان ينظر الى قرينة الحال فاذا
لاح له من عادته انه يستعين بالسلاح على الشر فينبغي ان يسعى في سلب سلاحه لا في ان يمده بغيره والعلم
سلاح يقاتل به الشيطان واعداء الله تعالى وقد يعاون به اعداء الله وهو الهوى فمن لا يزال مؤثرا لدنياه على
دينه ولهواه على اخرته وهو عاجز عنها لقلة فضله فكيف يجوز امداده بنوع علم يتمكن به من الوصول الى شهواته
بل لم يزل علماء السلف يتفقدون احوال من يتردد اليهم فاذا راوا منهم تقصيرا في نفل من النوافل انكروه
وتركوا اكرامه واذا راوا منه فجورا او استحلالا لحرام هجروه ونفوه عن مجالسهم وتركوا تكليمه فضلا عن تعليمه
لعلمهم بان من تعلم مسئلة ولم يعمل بها وجاوزها الى غيرها فليس يطلب الا الة الشر وقد تعوذ جميع السلف بالله
من الفاجر العليم بالسنة وما تعوذوا من الفاجر الجاهل وحكي عن بعض اصحاب احمد انه كان يتردد اليه سنين ثم اتفق

ان اعرض عنه احمد وهجره وصار لا يكلمه فلم يزل يسأله عن تغيره وهو لا يذكره حتى قال بلغني انك طينت حائط دارك من
جانب الشارع وقد اخذت قدر سمك الطين وهو انملة من شارع المسلمين فلا تصلح لنقل العلم فهكذا كان
مراقبة السلف لاحوال طلبة العلم فهذا وامثاله مما تلبس على الاغنياء واتباع الشياطين وان ارباب الطيالسة
والاكمام الواسعة واصحاب الالسنة الطويلة والفضل الكثير اعني الفضل من العلوم التي لا تشتمل على التحذير من الدنيا
والزجر عنها والترغيب في الاخرة والدعاء اليها بل هي العلوم التي تتعلق بالخلق ويتوصل بها الى جمع الحطام واستتباع
الناس والتقدم على الاقران فاذا قوله عليه الصلاة والسلام الاعمال بالنيات يختص من الاقسام الثلاثة بالطاعات
والمباحات دون المعاصي اذ الطاعة تنقلب معصية بالقصد والمباح ينقلب معصية وطاعة بالقصد اصلا للنية
دخل فيها وهو انه اذا انضاف اليها قصود خبيثة تضاعف وزرها وعظم وبالها كما ذكرنا ذلك في كتاب التوبة
القسم الثاني الطاعات وهي مرتبطة بالنيات في اصل صحتها وفي تضاعف فضلها اما الاصل فهو ان ينوي بها
عبادة الله تعالى لا غير فان نوى الرياء صارت معصية واما تضاعف الفضل فبكثرة النيات الحسنة فان الطاعة الواحدة
يمكن ان ينوي بها خيرات كثيرة فيكون له بكل نية ثواب اذ كل واحدة منها حسنة ثم تضاعف كل حسنة عشر امثالها كما
ورد به الخبر ومثاله القعود في المسجد فانه طاعة ويمكن ان ينوي فيه نيات كثيرة حتى يصير من فضائل اعمال المتقين ويبلغ
به درجات المقربين اولها ان يعتقد انه بيت الله وان داخله زائر الله فيقصد به زيارة مولاه رجاء لما وعده به
رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال من قعد في المسجد فقد زار الله وحق على المزور اكرام زائره وثانيها ان
ينتظر الصلوة بعد الصلاة فيكون في جملة المرابطين لانتظاره للصلاة وهو معنى قوله تعالى ورابطوا وثالثها الترهب
بكف السمع والبصر والاعضاء عن الحركات والترددات فان الاعتكاف كف وهو في معنى الصوم وهو نوع ترهب ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم رهبانية امتي القعود في المساجد ورابعها عكوف الهم على الله ولزوم السر للفكر في الاخرة
ودفع الشواغل الصارفة عنه بالاعتزال الى المسجد وخامسها التجرد لذكر الله او لاستماع ذكره او للتذكر به كما
روي في الخبر من غدا الى المسجد ليذكر الله تعالى او يذكر به كان كالمجاهد في سبيل الله وسادسها ان يقصد افادة العلم
بامر بمعروف ونهي عن منكر اذ المسجد لا يخلو عمن يسيء في صلاته او يتعاطى ما لا يحل له فيامره بالمعروف ويرشده الى الدين
فيكون شريكا معه في خيره الذي يعلم منه فتتضاعف خيراته وسابعها ان يستفيد اخا في الله فان ذلك غنيمة وذخيرة
للدار الاخرة والمسجد معشش اهل الدين المحبين لله وفي الله وثامنها ان يترك الذنوب حياء من الله تعالى ويتحاشى
من ان يتعاطى في بيت الله ما يقتضي هتك الحرمة وقد قال الحسن بن علي رضي الله عنهما من ادمن الاختلاف الى المسجد
رزقه الله تعالى احدى سبع خصال اخا مستفادا في الله او رحمة مستنزلة او علما مستطرفا او كلمة تدله على هدى او تصرفه
عن ردى او يترك الذنوب خشية او حياء فهذا طريق تكثير النيات وقس به ساير الطاعات والمباحات اذ ما
من طاعة الا وتحتمل نيات كثيرة وانما تحضر في قلب العبد بقدر جده في طلب الخير وتشمره له وتفكره فيه فبهذا تزكو الاعمال
وتتضاعف الحسنات **القسم الثالث** المباحات وما من شيء من المباحات الا ويحتمل نية او نيات يصير بها من محاسن
القربات وينال بها معالي الدرجات فما اعظم خسران من يغفل عنها ويتعاطاها تعاطي البهائم المهملة عن سهو وغفلة ولا
ينبغي ان يستحقر العبد شيئا من الخطرات والخطوات واللحظات فكل ذلك يسئل عنه في القيامة انه لم فعله وما الذي قصد به هذا
في مباح محض لا يشوبه كراهة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم حلالها حساب وحرامها عذاب وفي حديث معاذ بن جبل
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان العبد ليسأل يوم القيامة عن كل شيء حتى عن كحل عينيه وعن فتات الطينة باصبعيه وعن لمسه
ثوب اخيه وفي خبر اخر من تطيب لله جاء يوم القيامة وريحه اطيب من المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة
وريحه انتن من الجيفة فاستعمال الطيب مباح ولكن لا بد فيه من نية **فان قلت** فما الذي يمكن ان ينوي بالطيب

وهو حظ من حظوظ النفس وكيف يتطيب لله تعالى فاعلم ان من تطيب مثلا يوم الجمعة وفي ساير الاوقات يتصور ان يقصد
التنعم بلذات الدنيا او يقصد به اظهار التفاخر بكثرة المال ليحسده الاقران او يقصد به رياء الخلق ليقوم له الجاه في
قلوبهم ويذكر بطيب الرايحة او ليتودد به الى قلوب النساء الاجنبيات اذا كان مستحلا للنظر اليهن ولامور اخر لا تحصى وكل هذا
يجعل التطيب معصية فيكون انتن من الجيفة في القيامة الا القصد الاول وهو التلذذ والتنعم فان ذلك ليس بمعصية الا انه
يسال عنه ومن نوقش الحساب عذب ومن اوتي شيا من مباح الدنيا لم يعذب عليه في الاخرة ولكن ينقص من نعيم الاخرة له
بقدره وناهيك خسرانا بان تستعجل ما يفنى وتخسر زيادة نعيم لا يفنى واما النية الحسنة فان ينوي به اتباع
سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وان ينوي به تعظيم المسجد الذي هو بيت الله فلا يرى ان يدخله زايرا لله الا طيب
الرايحة وان يقصد به ترويح جيرانه ليستريحوا في المسجد عند مجاورته بروايحه وان يقصد به دفع الروايح الكريهة عن
نفسه التي تؤدي الى ايذاء مخالطيه وان يقصد حسم باب الغيبة عن المغتابين اذا اغتابوه بالروايح الكريهة فيعصون الله
بسببه فمن تعرض للغيبة وهو قادر على الاحتراز منها فهو شريك في تلك المعصية **كما قيل**
اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ان لا تفارقهم فالراحلون هم وقال تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله
فيسبوا الله عدوا بغير علم اشار به الى ان التسبب الى الشر شر وان يقصد به معالجة دماغه لتزيد فطنته
وذكاؤه ويسهل عليه درك مهمات دينه بالفكر فقد قال الشافعي رحمه الله تعالى من طاب ريحه زاد عقله فهذا وامثاله
من النيات لا يعجز الفقيه عنها اذا كانت تجارة الاخرة وطلب الخير غالبا على قلبه واذا لم يغلب على قلبه الا نعيم الدنيا لم تحضره
هذه النيات وان ذكرت له لم ينبعث لها قلبه فلا يكون معه منها الا حديث النفس وليس ذلك من النية في شي والمباحات
كثيرة ولا يمكن احصاء النيات فيها فقس بهذا الواحد غيره ولهذا قال بعض السلف اني لاستحب ان تكون لي في كل شي
نية حتى في اكلي وشربي ونومي ودخولي الى الخلاء وكل ذلك مما يمكن ان يقصد به وجه الله تعالى لان كل ما هو سبب لبقاء البدن
وفراغ القلب من مهمات البدن فهو معين على الدين فمن قصده من الاكل التقوي على العبادة ومن الوقاع تحصين دينه وتطييب
قلب اهله والتوصل به الى ولد يعبد الله تعالى بعده فيكثر به امة محمد صلى الله عليه وسلم كان مطيعا باكله ونكاحه واغلب حظوظ النفس
الاكل والوقاع وقصد الخير بهما غير ممتنع لمن غلب على قلبه هم الاخرة ولذلك ينبغي ان يحسن نيته مهما ضاع له مال ويقول
هو في سبيل الله واذا بلغه اغتياب غيره له فليطيب قلبه بانه سيحمل سيئاته وستنقل الى ديوانه حسناته ولينو ذلك
بسكوته عن الجواب ففي الخبر ان العبد ليحاسب فتبطل اعماله لدخول الافة فيها حتى يستوجب النار ثم ينشر له من
الاعمال الحسنة ما يستوجب به الجنة فيتعجب ويقول يا رب هذه اعمال ما عملتها قط فيقال هذه اعمال الذين اغتابوك واذوك
وظلموك وفي الخبر ان العبد ليوافي القيامة بحسنات امثال الجبال لو خلصت له لدخل الجنة فياتي وقد ظلم هذا وشتم
هذا وضرب هذا فيقتص لهذا من حسناته حتى لا تبقى له حسنة فتقول الملائكة قد فنيت حسناته وبقي طالبون
فيقول الله تعالى القوا عليه من سيئاتهم ثم صكوا له صكا الى النار وبالجملة فاياك ثم اياك ان تستحقر شيا من
حركاتك فلا تحترز من غرورها وشرورها ولا تعد جوابها يوم السوال والحساب فان الله مطلع عليك وشهيد
وما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقد قال بعض السلف كتبت كتابا واردت ان اتربه من حايط جار
لي فتحرجت ثم قلت تراب وما تراب فاتربته فهتف بي هاتف سيعلم من استخف بتراب ما يلقى غدا من
سوء الحساب وصلى رجل مع الثوري فراه مقلوب الثوب فعرفه فمد يده ليصلحه ثم قبضها فلم يسوه فساله عن
ذلك فقال اني لبسته لله تعالى ولا اريد ان اسويه لغير الله تعالى وقد قال الحسن ان الرجل ليتعلق بالرجل يوم القيامة فيقول بيني وبينك
الله فيقول والله ما اعرفك فيقول بلى انت اخذت لبنة من حايطي واخذت خيطا من ثوبي فهذا وامثاله
من الاخبار قطع قلوب الخائفين فان كنت من اولي الحزم والنهى ولم تكن من المغترين فانظر لنفسك الآن

يشتركوا

ودقق الحساب على نفسك قبل ان يدقق عليك وراقب احوالك في السكون والحركة ما الغرض منها اولا لم تتحرك وما
تقصد وما الذي تناله به من الدنيا وما الذي يفوتك به من الاخرة وبماذا ترجح الدنيا على الاخرة فاذا علمت انه لا باعث لك الا
الدين فامض عزمك وما خطر ببالك والا فامسك ثم راقب ايضا قلبك في امساكك وامتناعك فان ترك الفعل
فعل ولا بد له من نية صحيحة فلا ينبغي ان تكون لداعي هوى خفي لا تطلع عليه ولا تغرنك ظواهر الامور ومشهورات
الخيرات وافطن للاغوار والاسرار تخرج من حيز اهل الاغترار **فقد روي** عن زكريا عليه الصلاة والسلام
انه كان يعمل في حايط بالطين وكان اجيرا لقوم فقدموا اليه رغيفه اذ كان لا ياكل الا من كسب يده فدخل عليه قوم فلم
يدعهم الى طعامه حتى فرغ فتعجبوا منه لما علموا من سخائه وزهده وظنوا ان الخير في طلب المساعدة في الطعام فقال اني
اعمل لقوم باجرة وقدموا الي الرغيف لاتقوى به على عملهم فلو اكلتم معي لم يكفكم ولم يكفني وضعفت عن عملهم
فالبصير هكذا ينظر الى البواطن بنور الله تعالى فان ضعفه عن العمل نقص في فرض وترك الدعوة الى الطعام نقص في
فضل ولا حكم للفضايل مع الفرايض وقال بعضهم دخلت على سفيان الثوري وهو ياكل فما كلمني حتى لعق اصابعه ثم
قال لولا اني اخذته بالدين لاحببت ان تاكل منه وقال سفيان من دعا رجلا الى طعامه وليس له رغبة وان
ياكل فان اجابه فاكل فعليه وزران وان لم ياكل فعليه وزر واحد واراد باحد الوزرين النفاق وبالثاني تعريض اخيه
لما يكره لو علمه وهكذا ينبغي ان يتفقد العبد نيته في سائر الاعمال فلا يقدم ولا يحجم الا بنية فان لم تحضره النية
توقف فان النية لا تدخل تحت الاختيار

بيان ان النية غير داخلة تحت الاختيار

اعلم ان الجاهل يسمع ما ذكرناه من الوصية بتحسين النية وتكثيرها مع قوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات فيقول في نفسه عند
تدريسه او تجارته او اكله نويت ان ادرس لله او اتجر لله او اكل لله ويظن ان ذلك نية وهيهات فذلك
حديث نفس او حديث لسان او فكر او انتقال من خاطر الى خاطر والنية بمعزل عن جميع ذلك وانما النية انبعاث
النفس وتوجهها وميلها الى ما ظهر لها ان فيه غرضها اما عاجلا واما آجلا والميل اذا لم يكن لا يمكن اختراعه واكتسابه
بمجرد الارادة بل ذلك كقول الشبعان نويت ان اشتهي الطعام واميل اليه او كقول الفارغ نويت ان اعشق فلانا واحبه
واعظمه بقلبي وذلك محال بل لا طريق الى اكتساب صرف القلب الى الشيء وميله اليه وتوجهه نحوه الا باكتساب اسبابه وذلك
مما قد يقدر عليه وقد لا يقدر عليه وانما تنبعث النفس الى الفعل اجابة للغرض الباعث الموافق للنفس الملايم لها وما لم يعتقد
الانسان ان غرضه منوط بفعل من الافعال فلا يتوجه نحوه قصده وذلك مما لا يقدر على اعتقاده في كل حين واذا اعتقد
فانما يتوجه القلب اذا كان فارغا غير مصروف عنه بغرض شاغل اقوى منه وذلك لا يمكن في كل وقت والدواعي والصوارف
لها اسباب كثيرة بها تجتمع ويختلف ذلك بالاشخاص وبالاحوال وبالاعمال فاذا غلبت شهوة النكاح مثلا ولم يعتقد غرضا
صحيحا في الولد دينا ولا دنيا لا يمكنه ان يواقع على نية الولد بل لا يمكن الا على نية قضاء الشهوة اذ النية هي اجابة الباعث ولا باعث الا
الشهوة فكيف ينوي الولد واذا لم يغلب على قلبه ان اقامة سنة النكاح اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعظم فضله لا يمكن
ان ينوي بالنكاح اتباع السنة الا ان يقول ذلك بلسانه وقلبه وهو حديث محض ليس بنية نعم طريق اكتساب هذه
النية مثلا ان يقوي ايمانه اولا بالشرع ويقوي ايمانه بعظم ثواب من سعى في تكثير امة محمد صلى الله عليه وسلم ويدفع عن نفسه
جميع المنفرات عن الولد من ثقل المؤنة وطول التعب وغيره فاذا فعل ذلك ربما انبعث من قلبه رغبة الى تحصيل
الولد للثواب فتحركه تلك الرغبة وتتحرك اعضاؤه لمباشرة العقد فاذا انتهضت القدرة المحركة للسان بقبول العقد طاعة
لهذا الباعث الغالب على القلب كان ناويا فان لم يكن كذلك فما يقدره في نفسه ويردده في قلبه من قصد الولد وسواس
وهذيان ولهذا امتنع جماعة من السلف من جملة من الطاعات اذ لم تحضرهم النية فكانوا يقولون ليس تحضرنا فيه
نية حتى ان ابن سيرين لم يصل على جنازة الحسن البصري وقال ليس تحضرني نية ونادى بعضهم امراته وكان

يسرح شعره ان هاتي المدرى فقالت اجيء بالمرآة فسكت ساعة ثم قال نعم فقيل له في ذلك فقال كان لي نية في المدرى فلم
تحضرني في المرآة فتوقفت حتى هيأها الله تعالى ومات حماد بن ابي سليمان وكان احد علماء اهل الكوفة فقيل للثوري الا
تشهد جنازته فقال لو كان لي نية لفعلت وكانوا اذا سئلوا عملا من اعمال البر قالوا ان رزقنا الله نية فعلنا وكان
طاوس لا يحدث الا بنية فكان يسال ان يحدث فلا يحدث ولا يسال فيبتدئ فقيل له في ذلك فقال افتحبون ان
احدث بغير نية الا اذا حضرتني نية فعلت وحكي ان داود بن المحبر لما صنف كتاب العقل جاءه احمد بن
حنبل فطلبه منه فنظر فيه احمد صفحا ورده فقال ما لك قال فيه اسانيد ضعاف فقال له داود انا لم اخرجه
للاسانيد فانظر فيه بعين الخبير انما نظرت فيه بعين العمل فانتفعت قال احمد فرده علي حتى انظر فيه بالعين
الذي نظرت فاخذه ومكث عنده طويلا ثم قال جزاك الله خيرا فقد انتفعت به وقيل لطاوس ادع لنا
فقال حتى اجد لي نية وقال بعضهم انا في طلب نية لعيادة رجل منذ شهر فما صحت لي بعد وقال عيسى بن
كثير مشيت مع ميمون بن مهران فلما انتهى الى باب داره انصرفت فقال له ابنه الا تعرض عليه العشاء قال
ليس من نيتي وهذا لان النية تتبع النظر فاذا تغير النظر تغيرت النية وكانوا لا يرون ان يعملوا عملا الا بالنية
لعلمهم بان النية روح العمل وان العمل بغير نية صادقة رياء وتكلف وهو سبب مقت لا سبب قرب وعلموا ان النية
ليست هي قول القائل بلسانه نويت بل هي انبعاث القلب يجري مجرى الفتوح من الله تعالى فقد تتيسر في بعض الاوقات
وقد تتعذر في بعضها نعم من كان الغالب على قلبه امر الدين تيسر عليه في اكثر الاحوال احضار النية للخيرات
فان قلبه مائل بالجملة الى اصل الخير فينبعث الى التفاصيل غالبا ومن مال قلبه الى الدنيا وغلبت عليه لم يتيسر له ذلك
بل لا يتيسر له في الفرائض الا بجهد جهيد وغايته ان يتذكر النار ويحذر نفسه عقابها او نعيم الجنة ويرغب
نفسه فيها فربما تنبعث له داعية ضعيفة فيكون ثوابه بقدر رغبته ونيته واما الطاعة على نية اجلال الله تعالى لاستحقاقه
الطاعة والعبودية فلا تتيسر للراغب في الدنيا وهذه اعز النيات واعلاها ويعز على بسيط الارض من يفهمها فضلا عن من يتعاطاها ونيات الناس
في الطاعات اقسام اذ منهم من يكون عمله اجابة لباعث الخوف فانه يتقي النار ومنهم من يعمل اجابة لباعث الرجاء
وهو الرغبة في الجنة وهذا وان كان نازلا بالاضافة الى قصد طاعة الله وتعظيمه لذاته ولجلاله لا لامر سواه فهو من جملة
النيات الصحيحة لانه ميل الى الموعود في الآخرة وان كان من جنس المألوفات في الدنيا واغلب البواعث باعث الفرج
والبطن وموضع قضاء وطرهما الجنة فالعامل لاجل الجنة عامل لبطنه وفرجه كالاجير السوء ودرجته درجة البله
وانه لينالها بعمله اذ اكثر اهل الجنة البله واما عبادة ذوي الالباب فلا تجاوز ذكر الله تعالى والفكر فيه حبا لجلاله
وجلاله وسائر الاعمال تكون مؤكدات وروادف وهؤلاء ارفع درجة من الالتفات الى المنكوح والمطعوم في الجنة فانهم
لم يقصدوها بل هم الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه فقط وثواب الناس بقدر نياتهم فلا جرم
يتنعمون بالنظر الى وجهه الكريم ويسخرون ممن يلتفت الى وجه الحور العين كما يسخر المتنعم بالنظر الى الحور العين
ممن يتنعم بالنظر الى وجه الصور المصنوعة من الطين بل اشد فان التفاوت بين جمال الحضرة الربوبية وجمال الحور العين
اشد واعظم كثيرا من التفاوت بين جمال الحور العين والصور المصنوعة من الطين بل استعظام
النفوس البهيمية الشهوانية لقضاء الوطر من مخالطة الحسان واعراضها عن جمال وجه الله الكريم يضاهي استعظام
الخنفساء لصاحبتها والفها لها واعراضها عن النظر الى جمال وجوه النساء فعمى اكثر القلوب عن ابصار جمال الله
وجلاله يضاهي عمى الخنفساء عن ادراك جمال النساء فانه لا تشعر به اصلا ولا تلتفت اليه ولو كان لها عقل وذكر
لاستحقرت عقل من يلتفت اليهن وكل حزب بما لديهم فرحون ولذلك خلقهم وحكي
ان احمد بن خضرويه رأى ربه في المنام فقال له كل الناس يطلبون مني الا ابا يزيد فانه يطلبني ورأى ابو يزيد ربه

في المنام فقال يا رب كيف الطريق اليك فقال اترك نفسك وتعال ورؤي الشبلي بعد موته في المنام فقيل
له ما فعل الله بك فقال لم يطالبني على الدعاوى بالبرهان الا على قول واحد قلت يوما اي خسارة اعظم من خسارة
الجنة فقال اي خسارة اعظم من خسران لقائي والغرض ان هذه النيات متفاوتة الدرجات ومن غلب على
قلبه واحدة منها ربما لم يتيسر له العدول الى غيرها ومعرفة هذه الحقائق تورث اعمالا وافعالا لا يستنكرها الظاهريون
من الفقهاء فانا نقول من حضرت له نية في مباح ولم تحضره في فضيلة فالمباح اولى وانتقلت الفضيلة
اليه وصارت الفضيلة في حقه نقيصة لان الاعمال بالنيات وذلك مثل العفو فانه افضل من الانتصار من
الظالم وربما تحضره نية في الانتصار دون العفو فيكون ذلك افضل ومثل ان تكون له نية في الاكل والشرب
والنوم ليريح نفسه ويتقوى على العبادة في المستقبل وليس تنبعث نيته في الحال الى الصوم والصلاة فالاكل والنوم
افضل له بل لو مل العبادة لمواظبته عليها وسكن نشاطه وضعفت رغبته وعلم انه لو ترفه ساعة بلهو وحديث
عاد نشاطه فاللهو افضل له من الصلاة قال ابو الدرداء اني لاستجم نفسي بشيء من اللهو فيكون ذلك عونا لي على
الحق وقال علي رضي الله عنه روحوا القلوب فانها اذا اكرهت عميت وهذه دقائق لا يدركها الا سماسرة العلماء
دون الحشوية منهم بل الحاذق بالطب قد يعالج المحرور باللحم مع حرارته ويستبعده القاصر في الطب وانما يبغي به ان يعيد
اولا قوته ليحتمل المعالجة بالضد والحاذق في لعب الشطرنج مثلا قد ينزل عن الرخ والفرس مجانا ليتوصل به الى الغلبة
والضعيف البصيرة قد يضحك به ويتعجب منه وكذلك البصير بالقتال قد يفر بين يدي قرنه ويوليه دبره حيلة
منه ليستجره الى مضيق فيكر عليه ويقهره فكذلك سلوك طريق الله كله قتال مع الشيطان ومعالجة للقلب والبصير
الموفق يقف فيها على لطائف من الحيل يستبعدها الضعفاء فلا ينبغي للمريد ان يضمر انكارا على ما يراه من شيخه ولا
للمتعلم ان يعترض على استاذه بل ينبغي ان يقف عند حد بصيرته وما لا يفهمه من احوالهما يسلمه لهما الى ان ينكشف له اسرار
ذلك بان يبلغ رتبتهما وينال درجتهما

الباب الثاني

في الاخلاص وفضيلته وحقيقته

فضيلة الاخلاص

قال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقال الا لله الدين
الخالص وقال تعالى الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه
فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا نزلت فيمن يعمل لله ويحب ان يحمد عليه وقال صلى الله عليه وسلم
ثلاث لا يغل عليهن قلب رجل مسلم اخلاص العمل لله الخبر وعن مصعب بن سعد عن ابيه قال ظن ابي ان له فضلا
على من دونه من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انما نصر الله هذه الامة بضعفائها ودعوتهم واخلاصهم وصلاتهم وعن
الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى الاخلاص سر من سري استودعته قلب من احببته من عبادي
وقال علي رضي الله عنه لا تهتموا لقلة العمل واهتموا للقبول فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ اخلص العمل يجزك منه
القليل وقال عليه الصلاة والسلام ما من عبد يخلص العمل لله اربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وقال
صلى الله عليه وسلم اول من يسال يوم القيامة ثلاثة رجل آتاه الله العلم فيقول الله تعالى ما صنعت فيما علمت فقال
يا رب كنت اقوم به آناء الليل والنهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت بل اردت ان يقال فلان عالم
الا فقد قيل ذلك ورجل آتاه الله تعالى مالا فيقول الله لقد انعمت عليك فماذا صنعت فيقول يا رب كنت اتصدق به آناء
الليل والنهار فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت بل اردت ان يقال فلان جواد الا فقد قيل ذلك ورجل قتل
في سبيل الله فيقول الله ماذا صنعت فيقول يا رب امرت بالجهاد فقاتلت حتى قتلت فيقول الله كذبت وتقول
الملائكة كذبت بل اردت ان يقال فلان شجاع الا فقد قيل ذلك قال ابو هريرة ثم خط رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي
وقال يا ابا هريرة اولئك اول خلق تسعر بهم نار جهنم يوم القيامة فدخل راوي الحديث على معاوية وروى له

ودرجاتهم

في الحديث

هذا الحديث فبكى معاوية حتى كادت تخرج نفسه ثم افاق ثم قال صدق الله اذ قال من كان يريد الحيوة وزينتها
نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما
كانوا يعملون الآية وفي الاسرائيليات ان عابدا كان يعبد الله دهرا طويلا فجاءه قوم فقالوا ان ههنا قوما
يعبدون شجرة من دون الله تعالى فغضب لذلك فاخذ فاسه على عاتقه وقصد الشجرة ليقطعها فاستقبله ابليس
في صورة شيخ فقال اين تريد رحمك الله قال اريد ان اقطع هذه الشجرة فقال وما انت وذاك تركت عبادتك
واشتغالك بنفسك وتفرغت لغير ذلك فقال ان هذا من عبادتي قال فاني لا اتركك ان تقطعها فقاتله
فاخذه العابد فطرحه على الارض وقعد على صدره فقال له ابليس اطلقني حتى اكلمك فقام عنه فقال له ابليس يا هذا
ان الله قد اسقط عنك هذا ولم يفرضه عليك وما تعبدها انت وما عليك من غيرك ولله تعالى انبياء في الارض ولو شاء
لبعثهم الى اهلها وامرهم بقطعها قال العابد لا بد لي من قطعها فنابذه للقتال فغلبه العابد وصرعه وقعد على
صدره فعجز ابليس فقال له هل لك في امر فصل بيني وبينك وهو خير لك وانفع قال وما هو قال اطلقني حتى اقول لك
فاطلقه فقال ابليس انت رجل فقير لا شيء لك انما انت كل على الناس يعولونك ولعلك تحب ان تتفضل على اخوانك
وتواسي جيرانك وتشبع وتستغني عن الناس قال نعم قال فارجع عن هذا الامر ولك علي ان اجعل عند راسك كل ليلة
دينارين اذا اصبحت فاخذتهما وانفقت على نفسك وعيالك وتصدقت على اخوانك فيكون ذلك انفع لك وللمسلمين
من قطع هذه الشجرة التي يغرس مكانها اخرى ولا يضرهم قطعها شيئا ولا ينفع اخوانك المؤمنين قطعك اياها فتفكر
العابد فيما قال وقال صدق الشيخ لست بنبي فيلزمني قطع هذه الشجرة ولا امرني الله ان اقطعها فاكون عاصيا بتركها وما
ذكره اكثر منفعة فعاهده على الوفاء بذلك وحلف له فرجع العابد الى متعبده فبات فلما اصبح راى دينارين عند راسه
فاخذهما وكذلك الغد ثم اصبح اليوم الثالث وما بعده فلم ير شيئا فغضب واخذ فاسه على عاتقه فاستقبله ابليس
في صورة شيخ فقال له الى اين قال اقطع تلك الشجرة فقال كذبت والله ما انت بقادر على ذلك ولا سبيل لك اليها فتناوله
العابد لياخذه كما فعل اول مرة فقال هيهات فاخذه ابليس وصرعه فاذا هو كالعصفور بين رجليه وقعد ابليس على
صدره وقال لتنتهين عن هذا الامر او لاذبحنك فنظر العابد فاذا لا طاقة له به قال يا هذا غلبتني فخل عني واخبرني كيف
غلبتك اولا وغلبتني الان فقال لانك غضبت اول مرة لله وكانت نيتك الاخرة فسخرني الله لك وهذه المرة
فقد غضبت لنفسك وللدنيا فصرعتك وهذه الحكاية تصديق قوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين اذ لا يتخلص العبد
من الشيطان الا بالاخلاص ولذلك كان معروف الكرخي يضرب نفسه ويقول يا نفس اخلصي تتخلصي وقال يعقوب
المكفوف المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته وقال ابو سليمان طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها الا الله تعالى
وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى ابي موسى الاشعري من خلصت نيته كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس
وكتب بعض الاولياء الى اخ له اخلص النية في اعمالك يكفك القليل من العمل وقال ايوب السختياني تخليص النيات
على العمال اشد عليهم من جميع الاعمال وكان مطرف يقول من صفا صفي له ومن خلط خلط عليه ورئي
بعضهم في المنام فقيل له كيف وجدت اعمالك قال كل شيء عملته لله وجدته حتى حبة رمان التقطتها من طريق وحتى
هرة ماتت لنا رايتها في كفة الحسنات وكان في قلنسوتي خيط من حرير فرايته في كفة السيئات وكان قد
نفق حمار لي قيمته مائة دينار فما رايت له ثوابا فقلت موت سنور في الحسنات وموت حمار ليس فيها فقيل لي
انه قد وجه حيث بعثته فانه لما مات قلت في لعنة الله فبطل اجرك ولو قلت في سبيل الله لوجدته في حسناتك
وفي رواية وتصدقت بصدقة بين الناس فاعجبني نظرهم الي فوجدته لا علي ولا لي فقال سفيان ما اسعد هذا ما
احسن حاله اذ لم يكن عليه فقد احسن اليه وقال يحيى بن معاذ الاخلاص يميز العمل من العيوب كتمييز اللبن من الفرث

لطيفة عجيبة واحدوثة غريبة

والدم وقيل كان رجل يخرج في زي النساء ويحضر كل موضع فيه عرس او مأتم يجتمع فيه النساء فاتفق ان حضر يوما
موضعا فيه عرس مجمع النساء فسرقت درة فصاحوا ان اغلقوا الباب حتى نفتش فكانوا يفتشون واحدة واحدة
حتى بلغ النوبة اليه والى امرأة معه فدعا الله تعالى بالاخلاص وقال ان نجوت من هذه الفضيحة لا اعود الى مثل هذا فوجدت
الدرة مع تلك المرأة فصاحوا ان اطلقوا الحرة فقد وجدنا الدرة وقال بعض الصوفية كنت قائما مع ابي عبيد التستري
وهو يحرث ارضه بعد العصر من يوم عرفة فمر به بعض اخوانه من الابدال فساره بشيء فقال ابو عبيد لا فمر كالسحاب
يمسح الارض حتى غاب عن عيني فقلت لابي عبيد ما قال لك فقال سالني ان احج معه فقلت لا قال فهلا فعلت قال
ليس لي في الحج نية وقد نويت ان اتمم هذه الارض العشية فاخاف ان حججت معه لاجله اتعرض لمقت الله تعالى لاني ادخل
في عمل الله تعالى شيئا غيره فيكون ما انا فيه اعظم عندي من سبعين حجة وعن بعضهم قال غزوت في البحر فعرض بعضنا مخلاة
فقلت اشتريها فانتفع بها في غزوي فاذا دخلت مدينة كذا بعتها فربحت فيها فاشتريتها فرايت تلك الليلة في النوم كان شخصين نزلا
من السماء فقال احدهما لصاحبه اكتب الغزاة فاملى عليه خرج فلان متنزها وفلان مرائيا وفلان تاجرا وفلان
في سبيل الله ثم نظر الي وقال اكتب خرج فلان تاجرا فقلت الله الله في امري ما خرجت اتجر ولا معي تجارة اتجر
ما خرجت الا للغزو قال يا شيخ قد اشتريت امس مخلاة تريد ان تربح فيها فبكيت وقلت لا تكتبوني تاجرا
فنظر الى صاحبه وقال ما ترى فقال اكتب خرج فلان غازيا الا انه اشترى في طريقه مخلاة ليربح فيها حتى يحكم الله تعالى
فيه ما يرى وقال سري السقطي لان تصلي ركعتين في خلوة تخلصهما خير لك من ان تكتب سبعين حديثا او سبعمائة بعلو
اسناد وقال بعضهم في اخلاص ساعة نجاة الابد ولكن الاخلاص عزيز ويقال العلم بذر والعمل زرع وماؤه
الاخلاص وقال بعضهم اذا ابغض الله عبدا اعطاه ثلاثا ومنعه ثلاثا اعطاه صحبة الصالحين ومنعه القبول منهم
واعطاه الاعمال الصالحة ومنعه الاخلاص فيها واعطاه الحكمة ومنعه الصدق فيها وقال السوسي مراد الله من عمل الخلق
الاخلاص فقط وقال الجنيد ان لله عبادا عقلوا فلما عقلوا عملوا فلما عملوا اخلصوا فاستدعاهم الاخلاص الى ابواب
البر اجمع وقال محمد بن سعيد المروزي الامر كله يرجع الى اصلين فعل منه بك وفعل منك له فترضى ما فعل
وتخلص فيما تعمل فاذا انت قد سعدت بهذين وفزت في الدارين

بيان حقيقة الاخلاص

اعلم ان كل شيء يتصور ان يشوبه غيره فاذا صفا عن شوبه وخلص عنه سمي خالصا ويسمى الفعل المصفى المخلص
اخلاصا قال تعالى من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين فانما خلوص اللبن ان لا يكون فيه شوب من الدم والفرث
ومن كل ما يمكن ان يمتزج به والاخلاص يضاده الاشراك فمن ليس مخلصا فهو مشرك الا ان الشرك درجات فالاخلاص في
التوحيد يضاده التشريك في الالهية والشرك منه خفي ومنه جلي وكذا الاخلاص والاخلاص وضده
يتواردان على القلب فمحله القلب وانما يكون ذلك في القصود والنيات وقد ذكرنا حقيقة النية وانها ترجع
الى اجابة البواعث فمهما كان الباعث واحدا على التجرد سمي الفعل الصادر عنه اخلاصا بالاضافة الى المنوي فمن تصدق وغرضه
محض الرياء فهو مخلص ومن كان غرضه التقرب الى الله فهو مخلص ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الاخلاص بتجريد قصد التقرب
الى الله عن جميع الشوائب كما ان الالحاد عبارة عن الميل ولكن خصصته العادة بالميل عن الحق ومن كان باعثه مجرد الرياء
فهو معرض للهلاك ولسنا نتكلم فيه اذ ذكرنا ما يتعلق به في كتاب الرياء من ربع المهلكات واقل امره ما ورد في الخبر
من ان المرائي يدعى يوم القيامة باربعة اسامي يا مرائي يا مخادع يا مشرك يا كافر وانما نتكلم الان فيمن انبعث
لقصد التقرب ولكن امتزج بهذا الباعث باعث اخر اما من الرياء او من غيره من حظوظ النفس ومثال ذلك ان
يصوم لينتفع بالحمية الحاصلة بالصوم مع قصد التقرب او يعتق عبدا ليتخلص من مؤنته وسوء خلقه او يحج ليصح مزاجه
بحركة السفر او يتخلص من شر يعرض له في بلده او ليهرب عن عدو له في منزله او يتبرم باهله وولده او بشغل هو فيه

فاراد ان يستريح عنها اياما او يغزو ليمارس الحرب ويتعلم اسبابه ويقدر به على تهيئة العساكر وجرها او يصلي بالليل وله غرض في دفع النعاس عن نفسه به ليراقب رحله واهله او يتعلم العلم ليسهل عليه طلب ما يكفيه من المال او ليكون عزيزا بين العشيرة او ليكون عقاره وامواله محروسا بعز العلم عن الاطماع او اشتغل بالدرس والوعظ ليتخلص من كرب الصمت ويتفرج بلذة الحديث او تكفل بخدمة العلماء والصوفية لتكون حرمته وافرة عندهم وعند الناس او لينال به رفقا في الدنيا او كتب مصحفا ليجود خطه بالمواظبة على الكتابة او حج ماشيا ليخفف عن نفسه الكرا او توضا ليتنظف ويتبرد او اغتسل لتطيب رايحته او روى الحديث ليعرف بعلو الاسناد او اعتكف في المسجد ليخف عليه كرا المسكن او صام ليخفف عن نفسه التردد في طبخ الطعام او ليتفرغ لاشغاله فلا يشغله الاكل عنها او تصدق على السايل ليقطع ابرامه في السوال عن نفسه او يعود مريضا او يشيع جنازة ليعاد اذا مرض ويشيع جنايز اهله او يفعل شيا من ذلك ليعرف بالخير ويذكر به وينظر اليه بعين الصلاح والوقار فمهما كان باعثه هو التقرب الى الله تعالى ولكن انضاف اليه خطرة من هذه الخطرات حتى صار العمل اخف عليه بهذه الامور فقد خرج عمله عن حد الاخلاص وخرج عن ان يكون خالصا لوجه الله تعالى وتطرق الشرك اليه وقد قال تعالى انا اغنى الشركا عن الشركة وبالجملة كل حظ من حظوظ الدنيا تستريح اليه النفس ويميل اليه القلب قل او كثر اذا تطرق الى العمل تكدر به صفوه وزال به اخلاصه والانسان مرتبط في حظوظه منغمس في شهواته قلما ينفك فعل من افعاله وعبادة من عباداته عن حظوظ واغراض عاجلة من هذه الاجناس ولذلك قيل من سلم له من عمره خطوة واحدة خالصة لوجه الله نجا وذلك لعزة الاخلاص وعسر تنقية القلب عن هذه الشوايب بل الخالص هو الذي لا باعث عليه الا طلب القرب من الله تعالى وهذه الحظوظ ان كانت هي الباعثة وحدها فلا يخفى شدة الامر على صاحبه فيها وانما نظرنا فيما اذا كان القصد الاصلي هو التقرب وانضافت هذه الامور اليه ثم هذه الشوايب اما ان تكون في رتبة الموافقة او في رتبة المشاركة او في رتبة المعاونة كما سبق في بيان النية وبالجملة فاما ان يكون الباعث النفسي مثل الباعث الديني او اقوى منه او اضعف ولكل واحد حكم اخر كما سنذكره وانما الاخلاص تخليص العمل عن هذه الشوايب كلها قليلها وكثيرها حتى يتجرد فيه قصد التقرب فلا يكون باعث سواه وهذا لا يتصور الا من محب لله مستهتر به مستغرق الهم بالاخرة بحيث لم يبق لحب الدنيا في قلبه قرار حتى لا يحب الاكل والشرب ايضا بل يكون رغبته فيه كرغبته في قضاء الحاجة من حيث انه ضرورة الجبلة فلا يشتهي الطعام لانه طعام بل لانه يقويه على عبادة الله تعالى وكان يتمنى ان لو كفي شر الجوع حتى لا يحتاج الى الاكل فلا يبقى في قلبه حظ في الفضول الزايدة على الضرورة ويكون قدر الضرورة مطلوبا عنده لانه ضرورة دينه فلا يكون له هم الا الله تعالى فمثل هذا الشخص لو اكل او شرب او قضى حاجته كان خالص العمل صحيح النية في جميع حركاته وسكناته فلو نام مثلا ليريح نفسه فيتقوى على العبادة بعده كان نومه عبادة وكان له درجة المخلصين فيه ومن ليس كذلك فباب الاخلاص في الاعمال كالمسدود عليه الا على الندور وكما ان من غلب عليه حب الله تعالى وحب الاخرة فاكتسبت حركاته الاعتيادية صفة همه وصارت اخلاصا فالذي يغلب على نفسه الدنيا والعلو والرياسة وبالجملة غير الله فقد اكتسبت جميع حركاته تلك الصفة فلا تسلم له عباداته من صوم وصلاة الا نادرا فاذن علاج الاخلاص كسر حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للاخرة بحيث يغلب ذلك على القلب فاذ ذاك يتيسر الاخلاص وكم من اعمال يتعب الانسان فيها ويظن انها خالصة لوجه الله ويكون فيها مغرورا لانه لا يرى وجه الافة فيها كما حكي عن بعضهم انه قال قضيت صلاة ثلثين سنة كنت صليتها في المسجد في الصف الاول لاني تاخرت يوما لعذر فصليت في الصف الثاني فاعترتني خجلة من الناس حيث راوني في الصف الثاني فعرفت ان نظر الناس الي في الصف الاول كان يسرني وسبب استراحة قلبي من حيث لا اشعر وهذا دقيق غامض وقلما تسلم الاعمال عن امثاله وقل من يتنبه له الا من وفقه الله والغافلون عنه يرون حسناتهم كلها في الاخرة سيئات وهم المرادون بقوله تعالى وبدا لهم سيئات

ما عملوا وبقوله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا والاستتباع والاستبشار بالحمد والثنا والشيطان يلبس عليهم ويقول غرضكم نشر دين الله والنضال عن الشرع الذي شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وترى الواعظ يمن على الله بنصيحة الخلق ووعظه للسلاطين ويفرح بقبول الناس قوله واقبالهم عليه وهو يدعي انه يفرح بما يسر له من نصرة الدين ولو ظهر من اقرانه من هو احسن منه وعظا وانصرف الناس عنه واقبلوا عليه ساءه ذلك وغمه ولو كان باعثه الدين لشكر الله تعالى اذ كفاه الله تعالى هذا المهم بغيره ثم الشيطان مع هذا لا يخليه ويقول انما غمك لانقطاع الثواب عنك لا لانصراف وجوه الناس عنك اذ لو اتعظوا بقولك لكنت انت المثاب واغتمامك بفوت الثواب محمود ولا يدري المسكين ان انقياده للحق وتسليمه الامر للافضل اجزل ثوابا واعود عليه في الاخرة من انفراده وليت شعري لو اغتم عمر رضي الله عنه بتصدي ابي بكر للامامة اكان غمه محمودا او مذموما ولا يستريب ذو دين ان لو كان ذلك لكان مذموما لان انقياده للحق وتسليمه الامر الى من هو اصلح اعود عليه في الدين من تكفله بمصالح الخلق مع ما فيه من الثواب الجزيل بل فرح عمر رضي الله عنه باستقلال من هو اولى منه بالامر فما بال العلماء لا يفرحون بمثل ذلك وقد ينخدع بعض اهل العلم بغرور الشيطان فيحدث نفسه بانه لو ظهر من هو اولى منه بالامر لفرح به واخباره بذلك عن نفسه قبل التجربة والامتحان محض الجهل والغرور فان النفس سهلة القياد في الوعد بامثال ذلك قبل نزول الامر ثم اذا دهاه الامر تغير ورجع ولم يف بالوعد وذلك لا يعرفه الا من عرف مكايد النفس وطال اشتغاله بامتحانها فمعرفة حقيقة الاخلاص والعمل به بحر عميق يغرق فيه الجميع الا الشاذ النادر والفرد الفذ وهو المستثنى في قوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين فليكن العبد شديد التفقد والمراقبة لهذه الدقايق والا التحق باتباع الشيطان وهو لا يشعر

بيان اقاويل الشيوخ في الاخلاص

قال السوسي الاخلاص فقد روية الاخلاص لان من شاهد في اخلاصه الاخلاص فقد احتاج اخلاصه الى اخلاص وما ذكره اشارة الى تصفية العمل عن العجب بالفعل فان الالتفات الى الاخلاص والنظر اليه عجب وهو من جملة الافات والخالص ما صفا عن جميع الافات فهذا تعرض لافة واحدة وقال سهل الاخلاص ان يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى خاصة وهذه كلمة جامعة محيطة بالغرض وفي معناه قول ابرهيم بن ادهم الاخلاص صدق النية مع الله تعالى وقيل لسهل اي شي اشد على النفس فقال الاخلاص اذ ليس لها فيه نصيب وقال رويم الاخلاص في العمل هو ان لا يريد صاحبه عليه عوضا في الدارين وهذا اشارة الى ان حظوظ النفس افة اجلا وعاجلا والعابد لاجل تنعم النفس بالشهوات في الجنة معلول بل الحقيقة ان لا يراد بالعمل الا وجه الله تعالى وهو اشارة الى اخلاص الصديقين وهو الاخلاص المطلق فاما من يعمل لرجاء الجنة وخوف النار فهو مخلص بالاضافة الى الحظوظ العاجلة والا فهو في طلب حظ البطن والفرج وانما المطلوب الحق لذوي الالباب وجه الله تعالى فقط وقول القايل لا يتحرك الانسان الا لحظ والبراءة من الحظوظ صفة الالهية ومن ادعى ذلك فهو كافر وقد قضى القاضي ابو بكر الباقلاني بتكفير من يدعي البراءة من الحظوظ وقال هذا من صفات الالهية وما ذكره حق ولكن القوم انما ارادوا به البراءة عما يسميه الناس حظوظا وهو الشهوات الموصوفة في الجنة فقط فاما التلذذ بمجرد المعرفة والمناجاة والنظر الى وجه الله تعالى فهذا حظ هولاء وهذا لا يعده الناس حظا بل يتعجبون منه وهولاء لو عوضوا عما هم فيه من لذة الطاعة والمناجاة وملازمة الشهود للحضرة الالهية سرا وجهرا جميع نعيم الجنة لاستحقروه ولم يلتفتوا اليه فحركتهم لحظ وطاعتهم لحظ ولكن حظهم معبودهم فقط دون غيره وقال ابو عثمان الاخلاص نسيان روية الخلق بدوام النظر الى الخالق وهو اشارة الى افة الريا فقط ولذلك قال بعضهم الاخلاص في العمل ان لا يطلع عليه شيطان فيفسده ولا ملك فيكتبه فانه اشارة الى مجرد الاخفا وقد قيل الاخلاص ما استتر عن الخلايق وصفا عن العلايق وهذا اجمع للمقاصد وقال المحاسبي هو اخراج الخلق من معاملة الرب وهو اشارة الى مجرد نفي الريا وكذلك قول الخواص من شرب من كاس الرياسة فقد خرج عن اخلاص العبودية وقال الحواريون لعيسى عليه السلام ما الخالص من الاعمال قال الذي يعمل لله تعالى لا يحب ان يحمده عليه احد وهذا ايضا تعرض لترك الريا وانما خصه

بالذكر لأنه أقوى الأسباب المشوشة للإخلاص وقال الجنيد الإخلاص تصفية الأعمال عن الكدورات وقال الفضيل ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله عنهما وقيل الإخلاص دوام المراقبة ونسيان الحظوظ كلها وهذا هو البيان الكامل والأقاويل في هذا كثيرة ولا فائدة في تكثير النقل بعد انكشاف الحقيقة وإنما البيان الشافي في بيان سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم إذ سئل عن الإخلاص فقال أن تقول ربي الله ثم تستقيم كما أمرت أي لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد إلا ربك وتستقيم في عبادتك كما أمرت وهذه إشارة إلى قطع كل ما سوى الله عن مجرى النظر وهو الإخلاص حقا

بيان درجات الشوائب والآفات المكدرة للإخلاص

اعلم أن الآفات المشوشة للإخلاص بعضها جلي وبعضها خفي وبعضها ضعيف مع الجلاء وبعضها قوي مع الخفاء ولا يفهم اختلاف درجاتها في الخفاء والجلاء إلا بمثال وأظهر مشوشات الإخلاص الرياء فلنذكر منه مثالا فنقول الشيطان يدخل الآفة على المصلي مهما كان مخلصا في صلاته ثم نظر إليه جماعة أو دخل داخل عليه فيقول له حسن صلاتك حتى ينظر إليك هذا الحاضر بعين الوقار والصلاح ولا يزدريك ولا يغتابك فتخشع جوارحه ويسكن أطرافه ويحسن صلاته وهذا هو الرياء الظاهر ولا يخفى ذلك على المبتدئين من المريدين الدرجة الثانية أن يكون المريد قد فهم هذه الآفة وأخذ منها حذره فصار لا يطيع الشيطان فيها ولا يلتفت إليه ويستمر في صلاته كما كان فيأتيه في معرض الخير ويقول أنت متبوع ومقتدى بك ومنظور إليك وما تفعله يؤثر عنك ويتأسى بك غيرك فيكون لك ثواب أعمالهم إن أحسنت وعليك الوزر إن أسأت فأحسن عملك بين يديه فعساه يقتدي بك في الخشوع وتحسين العبادة وهذا أغمض من الأول وقد ينخدع به من لا ينخدع بالأول وهو أيضا عين الرياء ومبطل للإخلاص فإنه إن كان يرى الخشوع وحسن العبادة خيرا لا يرضى لغيره تركه فلم لم يرتض لنفسه ذلك في الخلوة ولا يمكن أن تكون نفس غيره أعز عليه من نفسه فهذا محض التلبيس بل المقتدى به هو الذي استقام في نفسه واستنار قلبه وانتشر نوره إلى غيره فيكون له ثواب عليه وأما هذا فمحض النفاق والتلبيس فمن اقتدى به أثيب عليه وأما هو فيطالب بتلبيسه ويعاقب على إظهاره من نفسه ما ليس متصفا به

الدرجة الثالثة وهي أدق مما قبلها أن يجرب العبد نفسه في ذلك ويتنبه لكيد الشيطان ويعلم أن مخالفته بين الخلوة والمشاهدة للغير محض الرياء ويعلم أن الإخلاص في أن تكون صلاته في الخلوة مثل صلاته في الملأ ويستحيي من نفسه ومن ربه أن يتخشع لمشاهدة خلقه تخشعا زائدا على عادته فيقبل على نفسه في الخلوة ويحسن صلاته على الوجه الذي يرتضيه في الملأ ويصلي في الملأ أيضا كذلك فهذا أيضا من الرياء الغامض لأنه حسن صلاته في الخلوة لتحسن في الملأ فلا يكون قد فرق بينهما فالتفاته في الخلوة والملأ إلى الخلق بل الإخلاص أن تكون مشاهدة البهائم لصلاته ومشاهدة الخلق على وتيرة واحدة فكأن نفس هذا ليس تسمح بإساءة الصلاة بين أظهر الناس ثم يستحيي من نفسه أن يكون في صورة المرائين ويظن أن ذلك يزول بأن تستوي صلاته في الخلاء والملأ وهيهات بل زوال ذلك بأن لا يلتفت إلى الخلق كما لا يلتفت إلى الجمادات في الخلاء والملأ جميعا وهذا من شخص مشغول الهم بالخلق في الملأ والخلاء جميعا وهذا من المكايد الخفية للشيطان

الدرجة الرابعة وهي أدق وأخفى أن ينظر إليه الناس وهو في صلاته فيعجز الشيطان عن أن يقول له اخشع لأجلهم فإنه قد عرف أنه يتفطن لذلك فيقول له الشيطان تفكر في عظمة الله وجلاله ومن أنت واقف بين يديه واستحي من أن ينظر الله إلى قلبك وهو غافل عنه فيحضر بذلك قلبه وتخشع جوارحه ويظن أن ذلك عين الإخلاص وهو عين المكر والخداع فإن خشوعه لو كان لنظره إلى جلاله لكانت هذه الخطرة تلازمه في الخلوة ولكان لا يختص حضورها بحالة حضور غيره وعلامة الأمن من هذه الآفة أن يكون هذا الخاطر مما يألفه في الخلوة كما يألفه في الملأ ولا يكون حضور الغير هو السبب في حضور الخاطر كما لا يكون حضور البهيمة سببا فما دام يفرق في أحواله بين مشاهدة إنسان ومشاهدة بهيمة فهو بعد خارج عن صفو الإخلاص مدنس الباطن بالشرك الخفي من الرياء وهذا الشرك أخفى في قلب ابن آدم من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء كما ورد به الخبر ولا يسلم من الشيطان إلا من دق نظره وسعد بعصمة الله وتوفيقه وهدايته وإلا فالشيطان ملازم للمتشمرين لعبادة الله تعالى لا يغفل عنهم لحظة حتى يحملهم على الرياء في كل حركة من الحركات حتى في

كحل العين وقص الشارب وطيب يوم الجمعة ولبس الثياب فإن هذه سنن في أوقات مخصوصة وللنفس فيها حظ خفي لارتباط نظر الخلق بها ولاستئناس الطبع بها فيدعو الشيطان إلى فعل ذلك ويقول هذه سنة لا ينبغي أن تتركها ويكون انبعاث القلب باطنا لها لأجل تلك الشهوة الخفية أو مشوبة بها شوبا يخرج عن حد الإخلاص بسببه وما لا يسلم عن هذه الآفات كلها فليس بخالص بل من يعتكف في مسجد معمور نظيف حسن العمارة يأنس الطبع به فالشيطان يرغبه فيه ويكثر عليه من فضائل الاعتكاف وقد يكون المحرك الخفي في سره هو الأنس بحسن صورة المسجد واستراحة الطبع إليه ويتبين ذلك في ميله إلى أحد المسجدين أو أحد الموضعين إذا كان أحسن من الآخر وكل ذلك امتزاج بشوائب الطبع وكدورات النفس ومبطل حقيقة الإخلاص لعمري والغش الذي يمزج بخالص الذهب له درجات متفاوتة فمنها ما يغلب ومنها ما يقل ولكن يسهل دركه ومنها ما يدق بحيث لا يدركه إلا الناقد البصير وغش القلب ودغل الشيطان وخبث النفس أغمض من ذلك وأدق كثيرا ولهذا قيل ركعتان من عالم أفضل عند الله من عبادة سنة من جاهل وأريد به العالم البصير بدقائق آفات الأعمال حتى يخلص عنها فإن الجاهل نظره إلى ظاهر العبادة واغتراره بها كنظر السوادي إلى حمرة الدينار المموه واستدارته وهو مغشوش زائف في نفسه وقيراط من الخالص الذي يرتضيه الناقد خير من دينار يرتضيه الغبي الجاهل فهكذا تتفاوت أمر العبادات بل أشد وأعظم ومداخل الآفات المتطرقة إلى فنون الأعمال لا يمكن حصرها فلينتفع بما ذكرناه مثالا والفطن يغنيه القليل عن الكثير والبليد لا يغنيه التطويل أيضا فلا فائدة في التفصيل

بيان حكم العمل المشوب

اعلم أن العمل إذا لم يكن خالصا لوجه الله بل امتزج به شوب من الرياء وحظوظ النفس فقد اختلف في أن ذلك هل يقتضي ثوابا أم يقتضي عقابا أم لا يقتضي شيئا أصلا فلا يكون لا له ولا عليه أما الذي لم يرد به إلا الرياء فهو عليه قطعا وهو سبب المقت والعقاب وأما الخالص لوجه الله فهو سبب الثواب وإنما النظر في المشوب وظاهر الأخبار تدل على أنه لا ثواب له وليس تخلو الأخبار عن تعارض فيه والذي ينقدح لنا فيه والعلم عند الله أن ينظر إلى قدر قوة البواعث فإن كان الباعث الديني مساويا للباعث النفسي تقاوما وتساقطا وصار العمل لا له ولا عليه وإن كان باعث الرياء أغلب وأقوى فهو ليس بنافع بل هو مع ذلك مضر ومقتض للعقاب نعم عقاب العمل الذي فيه أخف من عقاب العمل الذي تجرد للرياء ولم يمتزج به شائبة التقرب وإن كان قصد التقرب أغلب بالإضافة إلى الباعث الديني وهذا لقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وقوله إن الله لا يظلم مثقال ذرة فلا ينبغي أن يضيع قصد الخير بل إن كان غالبا على قصد الرياء حبط منه القدر الذي يساويه وبقيت زيادة وإن كان مغلوبا سقط بسببه شيء من عقوبة القصد الفاسد وكشف الغطاء عن هذا أن الأعمال تأثيرها في القلوب بتأكيد صفاتها فداعية الرياء من المهلكات وإنما غذاء هذا المهلك وقوته العمل على وفقه وداعية الخير من المنجيات وإنما قوتها بالعمل على وفقها فإذا اجتمعت الصفتان في القلب فهما متضادتان فإذا عمل على وفق مقتضى الرياء فقد قوى تلك الصفة وإذا كان العمل على وفق مقتضى التقرب فقد قوى أيضا تلك الصفة وأحدهما مهلك والآخر منج فإن كان تقوية هذا بقدر تقوية الآخر فقد تقاوما فكان كالمستضر بالحرارة إذا تناول من المبردات ما يقاوم قدر قوته فيكون بعد تناولهما كأنه لم يتناولهما وإن كان أحدهما غالبا لم يخل الغالب عن أثر فكما لا يضيع مثقال ذرة من الخير والشر ولا ينفك عن تأثير في إنارة القلب أو تسويده وفي تقريبه من الله أو إبعاده فإذا جاء بما يقربه شبرا مع ما يبعده شبرا فقد عاد إلى ما كان فلم يكن له ولا عليه وإن كان الفعل مما يقربه شبرين والآخر يبعده شبرا واحدا فضل له لا محالة شبر وقد قال صلى الله عليه وسلم أتبع السيئة الحسنة تمحها فإذا كان الرياء المحض يمحوه الإخلاص المحض عقيبه فإذا اجتمعا جميعا فلا بد وأن يتدافعا بالضرورة ويشهد لهذا إجماع الأمة على أن من خرج حاجا ومعه تجارة صح حجه وأثيب عليه وقد امتزج به حظوظ النفس نعم يمكن أن يقال

انما يثاب على اعمال الحج عند انتهائه الى مكة وتجارته غير موقوفة عليه فهو خالص وانما المشترك طول المسافة ولا ثواب فيه
مهما قصد التجارة ولكن الصواب ان يقال مهما كان الحج هو المحرك الاصلي وكان غرض التجارة كالمعين والتابع فلا ينفك نفس
السفر عن ثواب وما عندي ان الغزاة لا يدركون في انفسهم تفرقة بين غزو الكفار في جهة تكثر فيها الغنايم
وبين جهة لا غنيمة فيها ويبعد ان يقال ادراك هذه التفرقة يحبط بالكلية ثواب جهادهم بل العدل ان يقال اذا كان
الباعث الاصلي والمزعج القوي هو اعلاء كلمة الله وانما الرغبة في الغنيمة على سبيل التبعية فلا يحبط به الثواب نعم لا يساوي ثوابه
ثواب من لا يلتفت قلبه الى الغنيمة اصلا فان هذا الالتفات نقصان لا محالة **فان قلت** فالآيات
والاخبار تدل على ان شوب الرياء محبط للثواب وفي معناه شوب طلب الغنيمة والتجارة وساير الحظوظ فقد روى طاوس
وغيره من التابعين ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم عمن يصطنع المعروف او قال يتصدق فيحب ان يحمد ويوجر فلم يدر ما يقول
له حتى نزل قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وقد قصد الاجر والحمد
جميعا **وروى** معاذ انه عليه الصلاة والسلام قال ادنى الرياء شرك **وقال** ابو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم يقال
لمن اشرك في عمله خذ اجرك ممن عملت له وعن عبادة ان الله يقول انا اغنى الاغنياء عن الشرك من عمل لي عملا فاشرك معي غيري ودعت
نصيبي لشريكي **وروى** ابو موسى ان اعرابيا اتاه فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل شجاعة والرجل
يقاتل ليرى مكانه في سبيل الله فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وقال عمر تقولون فلان شهيد
ولعله ان يكون قد ملأ دفتي راحلته ورقا وقال ابن مسعود قال عليه الصلاة والسلام من هاجر يبتغي شيئا من الدنيا فهو له
فنقول هذه الاحاديث لا تناقض ما ذكرناه بل المراد بها من لم يرد بذلك الا الدنيا كقوله من هاجر يبتغي شيئا من
الدنيا او كان ذلك هو الاغلب على همه وقد ذكرنا ان ذلك عصيان لا لان طلب الدنيا حرام ولكن طلبها باعمال الدين حرام
لما فيه من الرياء وتغيير العبادة عن وضعها واما لفظ الشركة حيث ورد الخبر فمطلق للتساوي وقد بينا انه اذا تساوى
القصدان تقاوما ولم يكن له ولا عليه فلا ينبغي ان يرجى عليه ثواب ثم ان الانسان عند الشركة ابدا في خطر فانه لا يدري اي الامرين
اغلب على قصده فربما يكون عليه وبالا ولذلك قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا
اي لا يرجى اللقاء مع الشركة التي احسن احوالها التساقط ويجوز ان يقال ايضا منصب الشهادة لا ينال الا بالاخلاص في الغزو وبعيد
ان يقال من كانت داعيته الدينية بحيث تزعجه الى مجرد الغزو وان لم يكن غنيمة وقدر على غزو طايفتين من الكفار احداهما
اغنياء والاخرى فقراء فمال الى جهة الاغنياء لاعلاء كلمة الله وللغنيمة انه لا ثواب له على غزوه البتة ونعوذ بالله ان يكون
الامر كذلك فان هذا حرج في الدين ومدخل لليأس على المسلمين لان امثال هذه الشوايب التابعة قط لا ينفك الانسان عنها
الا على الندور فيكون تاثير هذا في نقصان الثواب فاما ان يكون في احباطه فلا نعم الانسان فيه على خطر عظيم لانه ربما يظن
ان الباعث الاقوى هو قصد التقرب ويكون الاغلب على سره الحظ النفسي وذلك مما يخفى غاية الخفاء فلا يحصل الاجر الا
بالاخلاص والاخلاص قلما يستيقنه العبد من نفسه وان بالغ في الاحتياط فلذلك ينبغي ان يكون ابدا بعد كمال الاجتهاد مترددا بين
الرد والقبول خايفا ان تكون في عبادته آفة يكون وبالها اكثر من ثوابها وهكذا كان الخايفون من ذوي البصاير وهكذا ينبغي
ان يكون كل ذي بصيرة ولذلك قال سفيان لا اعتد بما ظهر من عملي وقال عبد العزيز بن ابي رواد جاورت هذا
البيت ستين سنة وحججت ستين حجة فما دخلت في شيء من اعمال الله الا وحاسبت نفسي فوجدت نصيب الشيطان
اوفر من نصيب الله ليته لا لي ولا علي ومع هذا فلا ينبغي ان يترك العمل عند خوف الآفة والرياء فان ذلك منتهى بغية الشيطان
منه اذ المقصود ان لا يفوت الاخلاص ومهما ترك العمل فقد ضيع العمل والاخلاص جميعا **وقد حكي** ان بعض الفقراء
كان يخدم ابا سعيد الخراز ويخف في اعماله فتكلم ابو سعيد يوما في الاخلاص في الحركات فاخذ الفقير يتفقد قلبه عند كل حركة
ويطالبه بالاخلاص فتعذر عليه قضاء الحوائج واستضر الشيخ بذلك فساله عن امره فاخبره بمطالبته نفسه بحقيقة

الاخلاص وانه يعجز عنها في اكثر اعماله فيتركها فقال ابو سعيد لا تفعل فان الاخلاص لا يقطع المعاملة فواظب على العمل واجتهد في
تحصيل الاخلاص فما قلت لك اترك العمل وانما قلت لك اخلص العمل وقد قال الفضيل ترك العمل بسبب الخلق رياء وفعله

لاجل الخلق شرك

الباب الثالث في الصدق وفضيلته وحقيقته

فضيلة الصدق

قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة وان
الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب
عند الله كذابا ويكفي في فضيلة الصدق ان الصديق مشتق منه والله تعالى وصف به الانبياء في معرض المدح والثناء فقال
واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا وقال واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا وقال ابن عباس اربع
من كن فيه فقد ربح الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر وقال بشر بن الحارث من عامل الله بالصدق استوحش من
الناس وقال ابو عبد الله الرملي رايت منصور الدينوري في المنام فقلت له ما فعل الله بك فقال غفر
لي ورحمني واعطاني ما لم اؤمل فقلت له احسن ما توجه به العبد الى الله ماذا فقال الصدق واقبح ما توجه به الكذب
وقال ابو سليمان اجعل الصدق مطيتك والحق سيفك والله تعالى غاية طلبتك وقال رجل لحكيم ما رايت
صادقا فقال لو كنت صادقا لعرفت الصادقين وعن محمد بن علي الكتاني قال وجدنا دين الله تعالى مبنيا على ثلثة اركان
على الحق والصدق والعدل فالحق على الجوارح والعدل على القلوب والصدق على العقول وقال الثوري في قوله تعالى
ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة قال هم الذين ادعوا محبة الله ولم يكونوا بها صادقين واوحى
الله الى داود يا داود من صدقني في سريرته صدقته عند المخلوقين في علانيته وصاح رجل في مجلس الشبلي ورمى نفسه
في دجلة فقال الشبلي ان كان صادقا فالله ينجيه كما انجى موسى عليه الصلاة والسلام وان كان كاذبا فالله يغرقه كما غرق فرعون
وقال بعضهم اجمع الفقهاء والعلماء على ثلث خصال انها اذا صحت ففيها النجاة ولا يتم بعضها الا ببعض الاسلام الخالص عن البدعة
والهوى والصدق لله تعالى في الاعمال وطيب المطعم وقال وهب بن منبه وجدت على حاشية التورية اثنين وعشرين حرفا
كان صلحاء بني اسرائيل يجتمعون فيقرؤنها ويتدارسونها لا كنز انفع من العلم ولا مال اربح من الحلم ولا حسب اوضع من الغضب
ولا قرين ازين من العمل الصالح ولا رفيق اشين من الجهل ولا شرف اعز من التقوى ولا كرم اوفى من ترك الهوى ولا عمل افضل من الفكر
ولا حسنة اعلى من الصبر ولا سيئة اخزى من الكبر ولا دواء الين من الرفق ولا داء اوجع من الخرق ولا رسول اعدل من الحق
ولا دليل انصح من الصدق ولا فقر اذل من الطمع ولا غنى اشقى من الجمع ولا حياة اطيب من الصحة ولا معيشة اهنى من العفة
ولا عبادة احسن من الخشوع ولا زهد خير من القنوع ولا حارس احفظ من الصمت ولا غايب اقرب من الموت وقال محمد بن سعيد
المروزي اذا طلبت الله بالصدق اعطاك مرآة بيدك حتى تبصر كل شيء من عجايب الدنيا والآخرة وقال ابو بكر الوراق احفظ
الصدق فيما بينك وبين الله تعالى والرفق فيما بينك وبين الخلق وقيل لذي النون هل للعبد الى صلاح اموره سبيل فقال

قد بقينا مذبذبين حيارى نطلب الصدق ما اليه سبيل
فدواعي الهوى تخف علينا وخلاف الهوى علينا ثقيل

وقيل لسهل ما اصل هذا الامر الذي نحن عليه فقال الصدق والسخاء والشجاعة فقيل زدنا فقال التقى والحياء وطيب
الغذاء وعن ابن عباس رضي الله عنه انه سئل عن الكمال فقال قول الحق والعمل بالصدق وعن الجنيد في قوله
تعالى ليسال الصادقين عن صدقهم قال يسال الصادقين عند انفسهم عن صدقهم عند ربهم وهذا امر على خطر

بيان حقيقة الصدق ومعناه ومراتبه

اعلم ان لفظ الصدق يستعمل في ستة معان
صدق في القول وصدق في النية والارادة وصدق في العزم وصدق في الوفاء بالعزم وصدق في العمل وصدق في تحقيق مقامات
الدين كلها فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو صديق لانه مبالغة في الصدق ثم هم ايضا على درجات ومن كان له حظ
من الصدق في شيء من الجملة فهو صادق بالاضافة الى ما فيه صدقه **الصدق الاول** صدق اللسان وذلك لا يكون

لا في الاخبار او فيما يتضمن الاخبار وينبه عليه والخبر اما ان يتعلق بالماضي او بالمستقبل وفيه يدخل الوفاء بالوعد والخلف فيه وحق على كل عبد ان يحفظ الفاظه فلا يتكلم الا بالصدق وهذا هو اشهر انواع الصدق واظهرها فمن حفظ لسانه عن الاخبار عن الاشياء على خلاف ما هي عليه فهو صادق ولكن لهذا الصدق كمالان احدهما الاحتراز عن المعاريض فقد قيل في المعاريض مندوحة عن الكذب وذلك لانها تقوم مقام الكذب اذ المحذور من الكذب تفهيم الشي على خلاف ما هو عليه في نفسه الا ان ذلك مما تمس اليه الحاجة وتقتضيه المصلحة في بعض الاحوال والاوقات وفي تاديب الصبيان والنسوان ومن يجري مجراهم ومن الحذر من الظلمة وفي قتال الاعداء والاحتراز عن اطلاعهم على اسرار الملك فمن اضطر الى شي من ذلك فصدقه فيه ان يكون نطقه فيه لله فيما يامره الحق به ويقتضيه الدين فاذا نطق به فهو صادق وان كان كلامه مفهما غير ما هو عليه لان الصدق ما اريد لذاته بل للدلالة على الحق والدعاء اليه فلا ينظر الى صورته بل الى معناه نعم في مثل هذا الموضع ينبغي ان يعدل الى المعاريض ما وجد اليه سبيلا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا توجه الى سفر ورى بغيره وذلك كيلا ينتهي الخبر الى الاعداء فيقصد وليس هذا من الكذب في شي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا او نمى خيرا ورخص في النطق على وفق المصلحة في ثلث مواضع من اصلح بين اثنين ومن كان له زوجتان ومن كان في مصالح الحرب والصدق ههنا يتحول الى النية فلا يراعى فيه الا صدق النية وارادة الخير فمهما صح قصده وصدقت نيته وتجردت للخير ارادته كان صادقا وصديقا كيف ما كان لفظه ثم التعريض فيه اولى وطريقه ما حكي عن بعضهم انه كان يطلبه بعض الظلمة وهو في داره فقال لزوجته خطي باصبعك دائرة وضعي الاصبع عليها وقولي ليس هو ههنا فاحترز بذلك عن الكذب ودفع الظلم عن نفسه فكان قوله صدقا وافهم الظالم انه ليس في الدار فالكمال الاول في اللفظ ان يحترز عن صريح اللفظ وعن المعاريض ايضا الا عند الضرورة والكمال الثاني ان يراعي معنى الصدق في الفاظه التي يناجي بها ربه كقوله وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا فان قلبه ان كان منصرفا عن الله مشغولا باماني الدنيا وشهواتها فهو كاذب وكقوله اياك نعبد وقوله انا عبد الله فانه اذا لم يتصف بحقيقة العبودية وكان له مطلب سوى الله لم يكن كلامه صدقا ولو طولب يوم القيامة بالصدق في قوله انا عبد الله لعجز عن تحقيقه فانه ان كان عبدا لنفسه او عبدا للدنيا او عبدا لشهواته لم يكن صادقا في قوله وكل ما تقيد العبد به فهو عبد له كما قال عيسى عليه الصلاة والسلام يا عبيد الدنيا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدنيا وتعس عبد الدرهم وعبد الحلة وعبد الخميصة فسمى كل من تقيد قلبه بشي عبدا له وانما العبد الحق لله من اعتق اولا من غير الله فصار حرا مطلقا فاذا تقدمت هذه الحرية صار القلب فارغا فحلت فيه العبودية لله فتشغله بالله وبمحبته وتقيد باطنه وظاهره بطاعته فلا يكون له مراد الا الله ثم قد يجاوز هذا الى مقام اسنى منه يسمى الحرية وهو ان يعتق ايضا عن ارادته لله من حيث هو بل يقنع بما يريد الله له من تقريب او ابعاد فتفنى ارادته في ارادة الله تعالى وهذا عبد عتق عن غير الله فصار حرا ثم عاد وعتق عن نفسه فصار حرا وصار مفقودا لنفسه موجودا لسيده ومولاه ان حركه تحرك وان سكنه سكن وان ابتلاه رضي لم يبق فيه متسع لطلب والتماس واعتراض بل هو بين يدي الله كالميت بين يدي الغاسل وهذا منتهى الصدق في العبودية فالعبد الحق هو الذي وجوده لمولاه لا لنفسه وهذه درجة الصديقين واما الحرية عن غير الله فهي درجة الصادقين وبعدها تتحقق العبودية لله تعالى وما قبل هذا فلا يستحق صاحبه ان يسمى صادقا ولا صديقا فهذا هو معنى الصدق في القول

الصدق الثاني

في النية والارادة ويرجع ذلك الى الاخلاص وهو ان لا يكون له باعث في الحركات والسكنات الا الله تعالى فان مازجه شوب من حظوظ النفس بطل صدق النية وصاحبه يجوز ان يسمى كاذبا كما روينا في فضيلة الاخلاص من حديث الثلثة حين يسال العالم ما عملت فيما علمت فقال فعلت كذا وكذا فقال الله كذبت بل اردت ان يقال فلان عالم فانه لم يكذبه ولم يقل له لم تعمل ولكن كذبه في ارادته ونيته وقد قال بعضهم الصدق صحة التوجه في القصد وكذلك قول الله تعالى والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وقد قالوا انك لرسول الله وهذا صدق ولكن كذبهم لا من حيث نطق اللسان بل من حيث ضمير القلب وكان التكذيب يتطرق الى الخبر وهذا القول يتضمن اخبارا

بقرينة الحال ان صاحبه يظهر من نفسه انه يعتقد ما يقوله فكذب في دلالته بقرينة الحال على ما في قلبه فانه كذب في ذلك ولم يكذب فيما يلفظ به فيرجع احد معاني الصدق الى خلوص النية وهو الاخلاص فكل صادق فلا بد وان يكون مخلصا

الصدق الثالث

صدق العزم فان الانسان قد يقدم العزم على العمل فيقول في نفسه ان رزقني الله مالا تصدقت بجميعه او بشطره وان لقيت عدوا في سبيل الله قاتلت ولم ابال وان قتلت وان اعطاني الله ولاية عدلت فيها ولم اعص الله بظلم وميل الى خلق فهذه العزيمة قد يصادفها من نفسه وهي عزيمة جازمة صادقة وقد يكون في عزمه نوع ميل وتردد وضعف يضاد الصدق في العزيمة وكان الصدق ههنا عبارة عن التمام والقوة كما يقال لفلان شهوة صادقة ويقال هذا المريض شهوته كاذبة مهما لم تكن عن سبب ثابت قوي او كانت ضعيفة فقد يطلق الصدق ويراد به هذا المعنى فالصادق والصديق هو الذي تصادف عزيمته في الخيرات كلها قوة تامة ليس فيها ميل ولا ضعف ولا تردد بل تسخو نفسه ابدا بالعزم المصمم الجازم على الخيرات وهو كما قال عمر رضي الله عنه لان اقدم فيضرب عنقي احب الي من ان اتامر على قوم فيهم ابو بكر فانه قد وجد من نفسه العزم الجازم والمحبة الصادقة بانه لا يتامر مع وجود ابي بكر رضي الله عنه واكد ذلك بما ذكره من القتل ومراتب الصديقين في العزائم تختلف فقد يصادف العزم ولا ينتهي به الى ان يرضى بالقتل فيه ولكن اذا خلي ورايه لم يقدم ولو ذكر له حديث القتل لم ينقض عزمه بل في الصادقين والمؤمنين من لو خير بين ان يقتل هو او ابو بكر كانت حياة ابي بكر احب اليه من حياة نفسه

الصدق الرابع

في الوفاء بالعزم فان النفس قد تسخو بالعزم في الحال اذ لا مشقة في الوعد والعزم والمؤنة فيه خفيفة فاذا حقت الحقائق وحصل التمكن وهاجت الشهوات انحلت العزيمة وغلبت الشهوة ولم يتفق الوفاء بالعزم وهذا يضاد الصدق فيه ولذلك قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فقد روي عن انس ان عمه انس بن النضر لم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق ذلك على قلبه وقال اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه اما والله لئن اراني الله مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما اصنع قال فشهد احدا من العام القابل فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا ابا عمرو الى اين فقال واها لريح الجنة اني لاجد ريحها دون احد فقاتل حتى قتل فوجد في جسده بضع وثمانون من بين ضربة ورمية وطعنة فقالت اخته بنت النضر ما عرفت اخي الا ببنانه ونزلت هذه الاية رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مصعب بن عمير وقد سقط على وجهه يوم احد شهيدا وكان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وقال فضالة بن عبيد سمعت عمر بن الخطاب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الشهداء اربعة رجل مؤمن جيد الايمان لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك الذي يرفع الناس اليه اعينهم يوم القيامة هكذا ورفع راسه حتى وقعت قلنسوته قال الراوي فلا ادري قلنسوة عمر او قلنسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجل مؤمن جيد الايمان اذا لقي العدو فكانما يضرب وجهه بشوك الطلح اتاه سهم غرب فقتله فهو في الدرجة الثانية ورجل مؤمن خلط عملا صالحا واخر سيئا لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الثالثة وقال مجاهد رجلان خرجا على ملأ من الناس قعود فقالا ان رزقنا الله مالا لنصدقن فبخلوا به فنزلت ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين وقال بعضهم انما هو شي نووه في انفسهم لم يتكلموا به فقال فلما اتاهم من فضله بخلوا به فجعل العزم عهدا وجعل الخلف فيه كذبا والوفاء به صدقا وهذا الصدق اشد من الصدق الثالث فان النفس قد تسخو بالعزم ثم تنكع عند الوفاء لشدته عليها ولهيجان الشهوات عند التمكن وحصول الاسباب ولذلك استثنى عمر رضي الله عنه فقال لان اقدم فيضرب عنقي احب الي من ان اتامر على قوم فيهم ابو بكر اللهم الا ان تسول لي نفسي عند القتل شيئا لا اجده الان لاني لا امن ان يثقل عليها ذلك فتتغير عن عزمها اشار بذلك الى شدة الوفاء بالعزم وقال ابو سعيد الخراز رايت في المنام كان ملكين نزلا من السماء فقالا لي ما الصدق قلت الوفاء بالعهد

فقال له صدقت وعجبا له يسأله

الصدق الخامس في الاعمال

وهو ان يجتهد حتى لا تدل اعماله الظاهرة على امر في باطنه لا يتصف هو به لا بان يترك الاعمال ولكن بان يجتهد يستجر الباطن الى تصديق الظاهر وهذا مخالف ما ذكرناه من ترك الرياء لان المرائي هو الذي يقصد ذلك لاجل الخلق فرب واقف على هيئة الخشوع في صلاته ليس يقصد به مشاهدة غيره ولكن قلبه غافل عن الصلاة فمن ينظر اليه يراه قائما بين يدي الله تعالى وهو بالباطن قائم في السوق بين يدي شهوة من شهواته فهذه اعمال تعرب بلسان الحال عن الباطن اعرابا هو فيه كاذب وهو مطالب بالصدق في الاعمال وكذلك قد يمشي على هيئة السكون والوقار وليس باطنه موصوفا بذلك الوقار فهذا غير صادق في عمله وان لم يكن ملتفتا الى الخلق ولا مرائيا اياهم ولا ينجو من هذا الا باستواء السريرة والعلانية بان يكون باطنه مثل ظاهره او خيرا من ظاهره ومن خيفة ذلك اختار بعضهم تشويش الظاهر ولبس ثياب الاشرار كيلا يظن به الخير بسبب ظاهره فيكون كاذبا في دلالة الظاهر على الباطن فاذا مخالفة الظاهر للباطن ان كانت عن قصد سمي رياء ويفوت به الاخلاص وان كانت عن غير قصد فيفوت به الصدق ولذلك قال عليه الصلاة والسلام اللهم اجعل سريرتي خيرا من علانيتي واجعل علانيتي صالحة وقال يزيد بن الحارث اذا استوت سريرة العبد وعلانيته فذلك النصف وان كانت سريرته افضل من علانيته فذلك الفضل وان كانت علانيته افضل من سريرته فذلك الجور وانشدوا

اذا السر والاعلان في المؤمن استوى ... فقد عز في الدارين واستوجب الثنا
وان خالف الاعلان سرا فما له ... على سعيه فضل سوى الكد والعنا
كما خالص الدينار في السوق نافق ... ومغشوشه المردود لا يقتضي المنى

وقال عطية بن عبد الغافر اذا وافقت سريرة المؤمن علانيته باهى الله به الملائكة يقول هذا عبدي حقا وقال معاوية بن قرة من يدلني على بكاء بالليل بسام بالنهار وقال عبد الواحد كان الحسن اذا امر بشيء كان من اعمل الناس به واذا نهى عن شيء كان من اترك الناس له ولم ار احدا اشبه الناس سريرة بعلانية منه وكان ابو عبد الرحمن الزاهد يقول الهي عاملت الناس فيما بيني وبينهم بالامانة وعاملتك فيما بيني وبينك بالخيانة ويبكي وقال ابو يعقوب النهرجوري الصدق موافقة الحق في السر والعلانية فاذا مساواة السريرة للعلانية احد انواع الصدق

الصدق السادس

وهو على الدرجات واعزها الصدق في مقامات الدين كالصدق في الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والحب والتوكل وسائر هذه الامور فان لها مبادي ينطلق الاسم بظهورها ثم لها غايات وحقائق والصادق المحقق من نال حقيقتها واذا غلب الشيء وتمت حقيقته سمي صاحبه صادقا فيه كما يقال فلان صدق القتال ويقال هذا هو الخوف الصادق وهذه الشهوة الصادقة وقال تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر الى قوله والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا وسئل ابو ذر عن الايمان فقرأ هذه الآية ولنضرب للخوف مثلا فما من عبد يؤمن بالله واليوم الآخر الا وهو خائف من الله خوفا ينطلق عليه الاسم ولكنه خوف غير صادق اي غير بالغ درجة الحقيقة اما تراه اذا خاف سلطانا او قاطع طريق في سفره كيف يصفر لونه وترتعد فرائصه ويتنغص عليه عيشه ويتعذر عليه اكله ونومه ويتشتت فكره عليه حتى لا ينتفع به اهله وولده وقد ينزعج عن الوطن فيستبدل بالانس الوحشة وبالراحة التعب والمشقة والتعرض للاخطار كل ذلك خوفا من درك المحذور ثم انه يخاف النار ولا يظهر عليه شيء من ذلك عند جريان معصية عليه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لم ار مثل النار نام هاربها ولا مثل الجنة نام طالبها فالتحقيق في هذه الامور عزيز جدا ولا غاية لهذه المقامات حتى ينال تمامها ولكن لكل عبد منه حظ بحسب حاله اما ضعيف واما قوي فاذا قوي سمي صادقا فيه فمعرفة الله وتعظيمه والخوف منه لا نهاية له

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام احب ان اراك في صورتك التي هي صورتك فقال لا تطيق ذلك قال بلى ارني فواعده بالبقيع في ليلة مقمرة فاتاه فنظر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا هو قد سد الافق يعني جوانب السماء فوقع النبي صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فافاق وقد عاد جبريل عليه السلام لصورته الاولى فقال عليه الصلاة والسلام ما ظننت ان احدا من خلق الله هكذا فقال وكيف لو رايت اسرافيل ان العرش لعلى كاهله وان رجليه قد مرقتا تخوم الارضين السفلى وانه ليتصاغر من عظمة الله حتى يصير كالوصع يعني كالعصفور الصغير فانظر ما الذي يغشاه من العظمة والهيبة حتى يرجع الى ذلك الحد وسائر الملائكة ليسوا كذلك لتفاوتهم في المعرفة فهذا هو الصدق في التعظيم وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي بالملأ الاعلى وجبريل كالحلس البالي من خشية الله تعالى يعني الكساء الذي يلقى على ظهر البعير وكذلك الصحابة كانوا خائفين وما كانوا بلغوا خوف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك قال ابن عمر رضي الله عنهما لن تبلغ حقيقة الايمان حتى تنظر الى الناس كلهم حمقى في دين الله تعالى وقال مطرف ما من الناس احد الا وهو احمق فيما بينه وبين ربه الا ان بعض الحمق اهون من بعض وقال صلى الله عليه وسلم لا يبلغ احد حقيقة الايمان حتى ينظر الى الناس كالاباعر في جنب الله ثم يرجع الى نفسه فيراها احقر حقير فالصادق اذا في جميع هذه المقامات عزيز ثم درجات الصدق لا نهاية لها وقد يكون للعبد صدق في بعض الامور دون بعض فان كان صادقا في الجميع فهو الصديق حقا قال سعد بن معاذ ثلاثة انا فيهن قوي وما سواهن ضعيف ما صليت صلاة منذ اسلمت فحدثت نفسي حتى افرغ منها ولا تبعت جنازة فحدثت نفسي بغير ما هي قائلة وما هو مقول لها حتى تفرغ من دفنها وما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قولا الا علمت انه حق فقال ابن المسيب ما ظننت ان هذه الخصال تجتمع الا في النبي صلى الله عليه وسلم فهذا صدق في هذه الامور وكم من جلة الصحابة قد ادوا الصلاة واتبعوا الجنائز ولم يبلغوا هذا المبلغ فهذه درجات الصدق ومعانيه والكلمات الماثورة عن المشايخ في حقيقة الصدق في الاغلب لا تتعرض الا لآحاد هذه المعاني قال ابو بكر الوراق الصدق ثلاثة صدق التوحيد وصدق الطاعة وصدق المعرفة فصدق التوحيد لعامة المؤمنين قال الله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون وصدق الطاعة لاهل العلم والورع وصدق المعرفة لاهل الولاية الذين هم اوتاد الارض وكل ذلك يدور على ما ذكرناه في الصدق السادس وكذا ذكر ما فيه الصدق وهو ايضا غير محيط بجميع الاقسام وقال جعفر الصادق الصدق هو المجاهدة وان لا تختار على الله غيره كما لم يختر عليك غيرك فقال تعالى هو اجتباكم وقيل اوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام اني اذا احببت عبدا ابتليته ببلايا لا تقوم لها الجبال لانظر كيف صدقه فان وجدته صابرا اتخذته وليا حبيبا وان وجدته جزوعا يشكوني الى خلقي خذلته ولا ابالي وان من علامات الصدق كتمان المصائب والطاعات جميعا وكراهة اطلاع الخلق عليها والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت الرقيب على كل جارحة بما اجترحت المطلع على ضمائر القلوب اذا هجست الحسيب على خواطر عباده اذا اختلجت لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات والارض تحركت او سكنت المحاسب على النقير والقطمير والقليل والكثير من الاعمال وان خفيت المتفضل بقبول طاعات العباد وان صغرت المتطول بالعفو عن معاصيهم وان كثرت وانما يحاسبهم لتعلم كل نفس بما احضرت وتنظر فيما قدمت واخرت فتعلم انه لولا لزومها المراقبة والمحاسبة في الدنيا لشقيت في صعيد القيامة وهلكت وبعد المجاهدة والمحاسبة والمراقبة لولا فضله بقبول بضاعتها المزجاة لخابت وخسرت فسبحان من عمت نعمته كافة العباد وشملت واستغرقت رحمته الخلائق في الدنيا والآخرة

وغمرت نفحات فضله اتسعت القلوب للايمان وانشرحت وبيمن توفيقه تقيدت الجوارح بالعبادات
وتأدبت وبحسن هدايته انجلت عن القلوب ظلمات الجهل وانقشعت وبتأييده ونصرته انقطعت مكايد
الشيطان واندفعت وبلطف عنايته ترجح كفة الحسنات اذا ثقلت وبتيسيره تيسرت من الطاعات ما تيسرت
فمنه العطا والجزاء والابعاد والادناء والاسعاد والاشقاء والصلوة على محمد سيد الانبياء وعلى آله سادات
الاصفياء وعلى اصحابه قادة الاتقياء وسلم كثيرا **اما بعد** فقد قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم
القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين وقال تعالى ووضع الكتاب
فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها
ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا وقال تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه
والله على كل شيء شهيد وقال تعالى يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا
يره وقال تعالى ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون وقال تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء
تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه وقال تعالى واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه فعرف ارباب البصائر
من جملة العباد ان الله لهم بالمرصاد وانهم سيناقشون في الحساب ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات وتحققوا
انه لا ينجيهم من هذه الاخطار الا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة ومطالبة النفس في الانفاس والحركات ومحاسبتها في الخطرات
واللحظات فمن حاسب نفسه قبل ان يحاسب خف في القيامة حسابه وحضر عند السؤال جوابه وحسن منقلبه ومآبه
ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت في عرصات القيامة وقفاته وقادته الى الخزي والمقت سيئاته
فلما انكشف لهم ذلك علموا انه لا ينجيهم منه الا طاعة الله وقد امرهم بالصبر والمرابطة فقال يا ايها الذين آمنوا اصبروا
وصابروا ورابطوا فرابطوا انفسهم اولا بالمشارطة ثم بالمراقبة ثم بالمحاسبة ثم بالمعاقبة ثم بالمجاهدة ثم بالمعاتبة
فكانت لهم في المرابطة ست مقامات ولا بد من شرحها وبيان حقيقتها وفضيلتها وتفصيل الاعمال فيها واصل ذلك
المحاسبة ولكن كل حساب فبعد مشارطة ومراقبة ويتبعه عند الخسران المعاتبة والمعاقبة فلنذكر شرح هذه المقامات

المقام الاول من المرابطة المشارطة

اعلم ان مطلب المتعاملين في التجارات المشتركين
في البضائع عند المحاسبة سلامة الربح وكما ان التاجر يستعين بشريكه فيسلم المال اليه حتى يتجر ثم يحاسبه فكذلك العقل
هو التاجر في طريق الآخرة وانما مطلبه وربحه تزكية النفس اذ بها فلاحها قال تعالى قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها
وانما فلاحها بالاعمال الصالحة والعقل يستعين بالنفس في هذه التجارة اذ يستعملها ويستسخرها فيما يزكيها كما يستعين التاجر
بشريكه وغلامه الذي يتجر في ماله وكما ان الشريك يصير خصما منازعا يجاذبه في الربح فيحتاج الى ان يشارطه اولا ويراقبه
ثانيا ويحاسبه ثالثا ويعاتبه او يعاقبه رابعا فكذلك العقل يحتاج الى مشارطة النفس اولا فيوظف عليها الوظائف ويشرط
عليها الشروط ويرشدها الى طرق الفلاح ويجزم عليها الامر بسلوك تلك الطرق ثم لا يغفل عن مراقبتها لحظة فانه لو
اهملها لم ير منها الا الخيانة وتضييع رأس المال كالعبد الخائن اذا خلا له الجو وانفرد بالمال ثم بعد الفراغ ينبغي ان يحاسبها
ويطالبها بالوفاء بما شرط فان هذه تجارة ربحها الفردوس الاعلى وبلوغ سدرة المنتهى مع الانبياء والشهداء
فتدقيق الحساب في هذا مع النفس اهم كثيرا من تدقيقه في ارباح الدنيا مع انها محتقرة بالاضافة الى نعيم العقبى ثم كيف ما كانت
فمصيرها الى التصرم والانقضاء ولا خير في خير لا يدوم بل شر لا يدوم خير من خير لا يدوم لان الشر الذي لا يدوم اذا انقطع
بقي الفرح بانقطاعه دائما وقد انقضى الشر والخير الذي لا يدوم يبقى الاسف على انقطاعه دائما وقد انقضى الخير ولذلك قال
اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا فحتم على كل ذي حزم آمن بالله واليوم الآخر ان لا يغفل عن
محاسبة نفسه والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها وخطراتها وخطواتها فان كل نفس من انفاس العمر جوهرة نفيسة

لا عوض لها يمكن ان يشترى بها كنز من الكنوز لا يتناهى نعيمه ابد الآباد فانقضاء هذه ضائعة او مصروفة الى ما يجلب الهلاك
خسران عظيم هائل لا تسمح به نفس عاقل فاذا اصبح العبد وفرغ من فريضة الصبح ينبغي ان يفرغ قلبه ساعة
لمشارطة النفس كما ان التاجر عند تسليم البضاعة الى الشريك العامل يفرغ المجلس لمشارطته فيقول للنفس ما لي بضاعة
الا العمر ومهما فني فقد فني رأس المال ووقع اليأس عن التجارة وطلب الربح وهذا اليوم الجديد قد امهلني الله تعالى
فيه وانسأ في اجلي وانعم علي به ولو توفاني لكنت اتمنى ان يرجعني الى الدنيا يوما واحدا حتى اعمل فيه صالحا فاحسبي انك
توفيت ثم رددت فاياك ثم اياك ان تضيعي هذا اليوم فان كل نفس من الانفاس جوهرة لا قيمة لها واعلمي يا نفس
ان اليوم والليلة اربع وعشرون ساعة **وقد ورد** في الخبر انه ينشر للعبد بكل يوم وليلة اربع وعشرون خزانة
مصفوفة فيفتح له منها خزانة فيراها مملوءة نورا من حسناته التي عملها في تلك الساعة فيناله من الفرح والسرور والاستبشار بمشاهدة
تلك الانوار التي هي وسيلة عند الملك الجبار ما لو وزع على اهل النار لادهشهم ذلك الفرح عن الاحساس بألم النار ويفتح له
خزانة اخرى سوداء مظلمة يفوح نتنها ويتغشاه ظلامها وهي الساعة التي عصى الله فيها فيناله من الهول والفزع ما لو قسم على
اهل الجنة لتنغص عليهم نعيمها ويفتح له خزانة اخرى فارغة ليس فيها ما يسره ولا ما يسوءه وهي الساعة التي نام فيها او
غفل او اشتغل بشيء من مباحات الدنيا فيتحسر على خلوها ويناله من غبن ذلك ما ينال القادر على الربح الكثير والملك
الكبير اذا اهمله وتساهل فيه حتى فاته وناهيك به حسرة وغبنا وهكذا تعرض عليه خزائن اوقاته طول عمره فيقول لنفسه
اجتهدي اليوم في ان تعمري خزانتك ولا تدعيها فارغة عن كنوزك التي هي اسباب ملكك ولا تميلي الى الكسل والدعة والاستراحة
فيفوتك من درجات عليين ما يدركه غيرك ويبقى عندك حسرة لا تفارقك وان دخلت الجنة فألم الغبن والحسرة لا يطاق
وان كان دون ألم النار وقد قال بعضهم هب ان المسيء قد عفي عنه اليس قد فاته ثواب المحسنين اشار به
الى الغبن والحسرة وقد قال تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن فهذه وصية النفس في اوقاته ثم ليستأنف
لها وصية في اعضائه السبعة وهي العين والاذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل ويسلمها اليها فانها رعايا خادمة
لنفسه في هذه التجارة وبها تتم اعمال هذه التجارة وان لجهنم سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم وانما تتعين
تلك الابواب لمن عصى الله تعالى بتلك الاعضاء فيوصيها بحفظها عن معاصيها اما العين فيحفظها عن النظر الى عورة مسلم
او وجه من ليس بمحرم او النظر الى مسلم بعين الاحتقار بل عن كل فضول مستغنى عنه فان الله يسأل عبده عن فضول
النظر كما يسأل عن فضول الكلام ثم اذا صرفها عن هذا لم يقنع به حتى يشغلها بما فيه تجارتها وربحها وهي التي خلقت لها
من النظر الى عجائب صنع الله بعين الاعتبار والنظر الى اعمال الخير للاقتداء والنظر في كتاب الله وسنة رسوله ومطالعة
كتب الحكمة للاتعاظ والاستفادة وهكذا ينبغي ان يفصل عليها الامر في عضو عضو لا سيما اللسان والبطن اما
اللسان فلانه منطلق بالطبع ولا مؤنة عليه في الحركة وجنايته عظيمة بالغيبة والكذب والنميمة وتزكية النفس
ومذمة الخلق والطعن واللعن والدعاء على الاعداء والمماراة في الكلام وغير ذلك مما ذكرناه في آفات اللسان فهو بصدد
ذلك كله مع انه خلق للذكر والتذكير وتكرار العلم والتعليم وارشاد عباد الله الى طريق الله واصلاح ذات البين وسائر
خيراته فليشرط على نفسه ان لا يحرك اللسان طول نهاره الا في الذكر فنطق المؤمن ذكر ونظره عبرة وصمته فكرة
وما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد **واما** البطن فيكلفه ترك الشره وتقليل الاكل من الحلال واجتناب
الشبهات ويمنعه من الشهوات ويقتصر على قدر الضرورة ويشترط على نفسه ان خالف شيئا من ذلك عاقبها
بالمنع عن شهوات البطن ليفوتها اكثر مما نالته بشهوتها وهكذا يشترط عليها في جميع الاعضاء واستقصاء ذلك
يطول ولا تخفى معاصي الاعضاء وطاعاتها ثم يستأنف وصيتها في وظائف الطاعات التي يتكرر عليه في اليوم والليلة
ثم في النوافل التي يقدر عليها ويقدر على الاستكثار منها ويرتب تفصيلها وكيفيتها وكيفية الاستعداد لها

يا سيا بها وهذه شروط يفتقر اليها كل يوم ولكن اذا تعود الانسان شرط ذلك على نفسه اياما وطاوعته نفسه الوفا
بجميعها استغنى عن المشارطة فيها وان اطاع في بعضها بقيت الحاجة الى تجديد المشارطة فيما بقي ولكن لا يخلو كل يوم عن
مهم جديد وواقعة حادثة لها حكم جديد ولله عليه فيه حق ويكثر هذا على من اشتغل بشي من اعمال الدنيا من ولاية او تجارة
او تدريس اذ قل ما يخلو يوم من واقعة جديدة يحتاج الى ان يقضي حق الله فيها فعليه ان يشترط على نفسه الاستقامة فيها والانقياد
للحق في مجاريها ويحذرها مغبة الاهمال ويعظها كما يعظ العبد المتمرد الابق فان النفس بالطبع متمردة عن الطاعات مستعصية
عن العبودية ولكن الوعظ والتاديب يوثر فيها وذكر فان الذكرى تنفع المومنين فهذا وما يجري مجراه هو اول مقام
المرابطة مع النفس وهي المحاسبة قبل العمل والمحاسبة تارة تكون بعد العمل وتارة قبله للتحذير قال تعالى واعلموا ان الله يعلم ما في
انفسكم فاحذروه وهذا للمستقبل وكل نظر في كثرة ومقدار لمعرفة زيادة ونقصان فانه يسمى محاسبة فالنظر
فيما بين العبد في نهاره ليعرف زيادته من نقصانه من المحاسبة وقد قال تعالى يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا
وقال تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا وقال ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ذكر ذلك
تحذيرا وتنبيها للاحتراز منه في المستقبل وروى عبادة بن الصامت انه عليه الصلاة والسلام قال لرجل سال ان يوصيه ويعظه
اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان غيا فانته عنه وقال بعض الحكماء اذا اردت ان يكون العقل
غالبا للهوى فلا تعمل بمقتضى الشهوة حتى تنظر العاقبة فان مكث الندامة في القلب اكثر من مكث خفة الشهوة وقال لقمان ان المومن
اذا ابصر العاقبة امن الندامة وروى شداد بن اوس عنه عليه الصلاة والسلام انه قال الكيس من دان نفسه وعمل
لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله دان نفسه اي حاسب نفسه ويوم الدين هو يوم الحساب
وقوله انا لمدينون اي لمحاسبون وقال عمر رضي الله عنه حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وتهيوا
للعرض الاكبر وكتب الى ابي موسى الاشعري حاسب نفسك في الرخا قبل حساب الشدة وقال عمر لكعب كيف تجدها
في كتاب الله قال ويل لديان الارض من ديان السماء فعلاه بالدرة وقال الا من حاسب نفسه فقال كعب والله يا امير
المومنين انها الى جنبها في التورية ما بينهما حرف الا من حاسب نفسه وهذا كله اشارة الى المحاسبة للمستقبل اذ قال
دان نفسه وعمل لما بعد الموت ومعناه وزن الامور اولا وقدرها ونظر فيها وتدبرها ثم اقدم عليها فباشرها

المرابطة الثانية المراقبة اذا اوصى الانسان نفسه واشترط عليها ما ذكرناه فلا يبقى الا المراقبة
لها عند الخوض في الاعمال وملاحظتها بالعين الكالية فانها ان تركت طغت وفسدت ولنذكر فضيلة المراقبة
ثم درجاتها اما الفضيلة فقد سال جبريل النبي عليه الصلاة والسلام عن الاحسان فقال ان تعبد الله كانك تراه
وقال ايضا اعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وقال تعالى افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وقال تعالى
الم يعلم بان الله يرى وقال تعالى ان الله كان عليكم رقيبا وقال تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم
قائمون وقال ابن المبارك لرجل راقب الله تعالى فساله عن تفسيره فقال كن ابدا كانك ترى الله تعالى وقال عبد الواحد
ابن زيد اذا كان سيدي رقيبا علي فلا ابالي بغيره وقال ابو عثمان المغربي افضل ما يلزم الانسان نفسه في هذه الطريقة
المحاسبة والمراقبة وسياسة عمله بالعلم وقال ابن عطاء افضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الاوقات وقال
الجريري امرنا هذا مبني على اصلين ان تلزم نفسك المراقبة لله تعالى ويكون العلم على ظاهرك قائما وقال ابو عثمان المغربي
قال لي ابو حفص اذا جلست للناس فكن واعظا لنفسك وقلبك ولا يغرنك اجتماعهم عليك فانهم يراقبون ظاهرك
والله رقيب على باطنك وحكي انه كان لبعض المشايخ من هذه الطائفة تلميذ شاب وكان يكرمه ويقدمه فقال له بعض
اصحابه كيف تكرم هذا وهو شاب ونحن شيوخ فدعا بعدة طيور وناول كل واحد منهم طيرا وسكينا وقال ليذبح كل واحد
منكم طيره في موضع لا يراه احد ودفع الى الشاب مثل ذلك وقال له اذبحه حيث لا يراك احد فرجع كل واحد بطيره مذبوحا

ورجع الشاب والطاير حي في يده فقال ما لك لم تذبح وقد ذبح اصحابك فقال لم اجد موضعا لا يراني فيه احد اذ الله
مطلع علي في كل مكان فاستحسنوا منه هذه المراقبة وقالوا حق لك ان تكرمه وحكي ان زليخا لما خلت
بيوسف عليه الصلاة والسلام فقامت فغطت وجه صنمها فقال يوسف ما لك اتستحيين من مراقبة
جماد ولا استحيي من مراقبة الملك الجبار وحكي عن بعض الاحداث انه راود جارية عن نفسها فقالت
الا تستحي فقال ممن استحي وما يرانا الا الكواكب فقالت فاين مكوكبها وقال رجل للجنيد بم استعين على غض
البصر فقال بعلمك ان نظر الناظر اليك اسبق من نظرك الى المنظور اليه وقال الجنيد انما يتحقق بالمراقبة
من يخاف على فوت حظه من ربه عز وجل وعن مالك بن دينار قال جنات عدن من جنات الفردوس وفيها
حور خلقن من ورد الجنة قيل له ومن يسكنها قال يقول الله تعالى انما يسكن جنات عدن الذين اذا هموا بالمعاصي
ذكروا عظمتي فراقبوني والذين انثنت اصلابهم من خشيتي وعزتي وجلالي اني لاهم بعذاب اهل الارض فاذا
نظرت الى اهل الجوع والعطش من مخافتي صرفت عنهم العذاب وسئل المحاسبي عن المراقبة فقال اولها علم القلب
بقرب الرب تعالى وقال المرتعش المراقبة مراعاة السر لملاحظة الغيب مع كل لحظة ولفظة ويروى
ان الله تعالى قال لملائكته انتم موكلون بالظاهر وانا الرقيب على الباطن وقال محمد بن علي اجعل مراقبتك لمن لا
تغيب عن نظره اليك واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمه عنك واجعل طاعتك لمن لا تستغني عنه واجعل خضوعك
لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه وقال سهل لم يتزين القلب بشي اشرف ولا افضل من علم العبد بان الله تعالى
شاهده حيث كان وسئل بعضهم عن قوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه قال معناه ذلك لمن راقب ربه
وحاسب نفسه وتزود لمعاده وسئل ذو النون بم ينال العبد الجنة فقال بخمس استقامة ليس فيها روغان
واجتهاد ليس معه سهو ومراقبة الله تعالى في السر والعلانية وانتظار الموت بالتاهب له ومحاسبة
نفسك قبل ان تحاسب وقيل اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا ان ما يخفى عليه يغيب الم تر ان اليوم اسرع ذاهب وان غدا
وقال حميد الطويل لسليمان بن علي عظني فقال لئن كنت اذا عصيت الله خاليا ظننت انه يراك لقد
اجترات على امر عظيم ولئن كنت تظن انه لا يراك فلقد كفرت وقال سفيان الثوري عليك بالمراقبة
ممن لا تخفى عليه خافية وعليك بالرجا ممن يملك الوفا وعليك بالحذر ممن يملك العقوبة وقال فرقد السبخي
ان المنافق ينظر فاذا لم ير احدا دخل مدخل السوء وانما يراقب الناس ولا يراقب الله تعالى وقال عبد الله بن دينار
خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى مكة فعرسنا في بعض الطريق فانحدر علينا راع من الجبل فقال له يا راعي بعني شاة
من هذه الغنم فقال اني مملوك فقال قل لسيدك اكلها الذيب قال فاين الله قال فبكى عمر ثم غدا الى المملوك فاشتراه
من مولاه واعتقه وقال اعتقتك هذه الكلمة فارجوا ان تعتقك في الاخرة

بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها

اعلم ان حقيقة المراقبة هي ملاحظة الرقيب وانصراف الهم اليه فمن احترز من امر من الامور بسبب غيره يقال
انه يراقب فلانا ويراعي جانبه ونعني بهذه المراقبة حالة للقلب يثمرها نوع من المعرفة وتثمر تلك الحالة اعمالا في
الجوارح وفي القلب اما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتفاته اليه وملاحظته اياه وانصرافه اليه
واما المعرفة التي تثمر هذه الحالة فهو العلم بان الله مطلع على الضماير عالم بالسراير رقيب على اعمال العباد
قائم على كل نفس بما كسبت وان سر القلب في حقه مكشوف كما ان ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل اشد من ذلك
فهذه المعرفة اذا صارت يقينا اعني انها خلت عن الشك ثم استولت على القلب كالعلم بالموت فاذا استولت على
القلب استجرت القلب الى مراعاة جانب الرقيب وصرفت همه اليه والموقنون بهذه المعرفة هم المقربون وهم

ينقسمون الى صديقين والى اصحاب اليمين فمراقبتهم على درجتين الدرجة الاولى مراقبة المقربين من الصديقين
وهي مراقبة التعظيم والاجلال وهو ان يصير القلب مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومنكسرا تحت الهيبة فلا
يبقى فيه متسع للالتفات الى الغير اصلا وهذه مراقبة لا نطول النظر في تفصيل اعمالها فانها مقصورة على
القلب اما الجوارح فانها تتعطل عن الالتفات الى المباحات فضلا عن المحظورات واذا تحركت بالطاعات
كانت كالمستعملة بها فلا تحتاج الى تدبير وتثبيت في حفظها على سنن السداد بل يسدد الرعية من ملك
كلية الراعي والقلب الراعي فاذا صار مستوفى بالمعبود صارت الجوارح مستعملة على سنن السداد
والاستقامة من غير تكلف وهذا الذي صار همه هما واحدا فكفاه الله سائر الهموم ومن نال هذه
الدرجة فقد يغفل عن الخلق حتى لا يبصر من يحضر عنده وهو فاتح عينيه ولا يسمع ما يقال له مع انه
لا صمم به وقد يمر عليه ابنه مثلا فلا يكلمه حتى كان بعضهم يجري عليه ذلك فقال لمن عاتبه
اذا مررت بي فحركني ولا تستبعد هذا فانك تجد نظير هذا في القلوب المعظمة للملوك الارض حتى ان خدم
الملوك قد لا يحسون بما يجري عليهم في مجالس الملوك لشدة استغراقهم بهم بل قد يشتغل القلب بحقير
من مهمات الدنيا فيغوص الرجل في الفكر فيه ويمشي فربما يتجاوز الموضع الذي قصده وينسى الشغل الذي نهض له وقد
قيل لعبد الواحد بن زيد هل تعرف في زمانك هذا رجلا قد اشتغل بحاله عن الخلق فقال ما اعرف الا رجلا سيدخل عليكم الساعة
فما كان الا سريعا حتى دخل عتبة الغلام فقال له عبد الواحد بن زيد من اين جئت يا عتبة فقال من موضع كذا وكان طريقه على السوق
فقال من لقيت في الطريق فقال ما رايت احدا وروي عن يحيى بن زكريا انه مر بامراة فوقعت فقيل له لم فعلت
هذا فقال ما ظننتها الا جدارا وحكي عن بعضهم انه قال مررت بجماعة يترامون وواحد جالس بعيدا عنهم فتقدمت
اليه فاردت ان اكلمه فقال ذكر الله اشهى الي فقلت انت وحدك فقال معي ربي وملكاي فقلت من سبق من هؤلاء فقال
من غفر الله تعالى له فقلت اين الطريق فاشار الى السماء وقام ومشى وقال اكثر خلقك شاغل عنك فهذا كلام
مستغرق بمشاهدة الله لا يتكلم الا منه ولا يسمع الا فيه فهذا لا يحتاج الى مراقبة لسانه وجوارحه فانها
لا تتحرك الا بما هو فيه ودخل الشبلي على ابي الحسين النوري وهو معتكف فوجده ساكنا حسن الاجتماع لا يتحرك
من ظاهره شيء فقال له من اين هذه المراقبة والسكون فقال من سنور كانت لنا فكانت اذا ارادت الصيد رابطت
راس الجحر لا يتحرك لها شعرة وقال ابو عبد الله بن خفيف خرجت من مصر اريد الرملة للقاء ابي علي الروذباري
فقال لي عيسى بن يونس المصري المعروف بالزاهد ان في صور شابا وكهلا قد اجتمعا على حال المراقبة فلو نظرت اليهما نظرة
لعلك تستفيد منهما فدخلت صور وانا جائع عطشان وفي وسطي خرقة وليس على عاتقي شيء فدخلت المسجد فاذا شخصان قاعدان
مستقبلا القبلة فسلمت عليهما فما اجاباني فسلمت ثانية وثالثة فلم اسمع الجواب فقلت نشدتكما الله الا رددتما علي
السلام فرفع الشاب راسه من مرقعته فنظر الي وقال يا ابن خفيف الدنيا قليل وما بقي من القليل الا قليل فخذ من
القليل الكثير يا ابن خفيف ما اقل شغلك حتى تتفرغ الى لقائنا قال فاخذ بكليتي ثم طاطا راسه في المكان
فبقيت عندهما حتى صلينا الظهر والعصر فذهب جوعي وعطشي وعنائي فلما كان وقت العصر قلت عظني فرفع
راسه الي وقال يا ابن خفيف نحن اصحاب المصائب ليس لنا لسان العظة فبقيت عندهما ثلاثة ايام لا
اكل ولا اشرب ولا انام ولا رايتهما اكلا ولا شربا ولا ناما فلما كان في اليوم الثالث قلت في سري احلفهما ان يعظاني
لعلي انتفع بعظتهما فرفع الشاب راسه وقال يا ابن خفيف عليك بصحبة من يذكرك الله رؤيته وتقع هيبته
على قلبك يعظك بلسان فعله ولا يعظك بلسان قوله والسلام قم عنا فهذه درجة المراقبين
الذين غلب على قلوبهم الاجلال والتعظيم فلم يبق فيهم متسع لغير ذلك الدرجة الثانية مراقبة الورعين

موعظة عظيمة

من اصحاب اليمين وهم قوم غلب يقين اطلاع الله على ظاهرهم وباطنهم على قلوبهم ولكن لم تدهشهم ملاحظة الجلال
بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة للتلفت الى الاحوال والاعمال الا انها مع ممارسة الاعمال لا تخلو عن المراقبة
نعم غلب عليهم الحياء من الله تعالى فلا يقدمون ولا يحجمون الا بعد التثبت فيه ويمتنعون عن كل ما يفتضحون به في
القيامة فانهم يرون الله في الدنيا مطلعا عليهم فلا يحتاجون الى انتظار القيامة وتعرف اختلاف الدرجتين بالمشاهدات
فانك في خلوتك قد تتعاطى عملا فيحضرك صبي او امراة فتعلم انه مطلع عليك فتحسن جلوسك وتراعي احوالك لا عن اجلال
وتعظيم بل عن حياء فان مشاهدته وان كانت لا تدهشك ولا تستغرقك فانه تهيج الحياء منك وقد يدخل عليك
ملك من الملوك او كبير من الاكابر فيستغرقك التعظيم حتى تترك كل ما انت فيه شغلا به لا حياء منه فهكذا تختلف
مراقبة العباد في مراقبة الله تعالى ومن كان في هذه الدرجة فيحتاج الى ان يراقب جميع حركاته وسكناته وخطراته ولحظاته
وبالجملة جميع اختياراته وله فيها نظرتان نظر قبل العمل ونظر في العمل اما قبل العمل فلينظر الى ما ظهر له وتحرك
بفعله خاطره اهو لله تعالى خاصة او هو في هوى النفس ومتابعة الشيطان فيتوقف فيه ويتثبت حتى ينكشف
له ذلك بنور الحق فان كان لله امضاه وان كان لغير الله استحيى من الله وانكف عنه ولام نفسه على رغبته فيه
وهمه به وميله اليه وعرفها سوء فعلها وسعيها في فضيحتها فانها عدوة نفسها ان لم يتداركها الله بعصمته وهذا
التوقف في بداية الامور الى حد البيان واجب محتوم لا محيص لاحد عنه فان في الخبر انه ينشر للعبد في كل حركة من
حركاته وان صغرت ثلثة دواوين الديوان الاول لم والثاني كيف والثالث لمن ومعنى لم اي لم
فعلت هذا اكان عليك ان تفعله لمولاك او ملت اليه بشهوتك وهواك فان سلم منه بان كان عليه ان يعمله لله
لمولاه سئل عن الديوان الثاني فقيل له كيف فعلت هذا فان لله في كل عمل شرطا وحكما لا يدرك قدره ووقته وصفته الا
بعلم فيقال كيف فعلت ابعلم محقق ام بجهل وظن فان سلم من هذا نشر الديوان الثالث وهو المطالبة بالاخلاص
فيقال لمن عملت الوجه الله خالصا وفاء بقولك لا اله الا الله فيكون اجرك على الله تعالى ام لمراءاة خلق مثلك فخذ اجرك
منه ام عملته لتنال عاجل دنياك فقد وفيناك نصيبك من الدنيا ام عملت بسهو وغفلة فقد سقط اجرك
وحبط عملك وخاب سعيك وان عملت لغيري فقد استوجبت مقتي وعقابي اذ كنت عبدا لي تاكل رزقي
وتترفه بنعمتي ثم تعمل لغيري اما سمعتني اقول ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم ان الذين تعبدون
من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له ويحك اما سمعتني اقول
الا لله الدين الخالص فاذا عرف العبد انه بصدد هذه المطالبات والتوبيخات طالب نفسه قبل ان يطالب
واعد للسؤال جوابا وليكن الجواب صوابا فلا يبدي ولا يعيد الا بعد التثبت ولا يحرك جفنا ولا انملة الا بعد التامل
فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل ان الرجل ليسال عن كحل عينيه وعن فتات الطين باصبعيه وعن
لمسه ثوب اخيه قال الحسن كان احدهم اذا اراد ان يتصدق بصدقة نظر وتثبت فان كان لله امضاه
وقال الحسن رحم الله عبدا وقف عند همه فان كان لله امضى وان كان عليه تاخر وقال في حديث سعد
حين اوصاه سلمان اتق الله عند همك اذا هممت وقال محمد بن علي ان المؤمن وقاف متان يقف عند
كل همه ليس كحاطب ليل فهذا هو النظر الاول في هذه المراقبة ولا يخلص من هذا الا العلم المتين والمعرفة الحقيقية باسرار
الاعمال واغوار النفس ومكايد الشيطان ومتى لم يعرف نفسه وربه وعدوه وهو الشيطان ولم يعرف ما يوافق
هواه ولم يميز بينه وبين ما يحبه ويرضاه في نيته وهمته وفكرته وسكونه وحركته فلا يسلم في هذه
المراقبة بل الاكثرون يرتكبون بالجهل فيما يكرهه الله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فلا تظنن
ان الجاهل بما يقدر على التعلم فيه يعذر هيهات بل طلب العلم فريضة على كل مسلم ولهذا كانت ركعتان من عالم افضل من الف

انظر هذه الدواوين الثلثة

لانه يعلم آفات النفس ومكايد الشيطان ومواضع الغرور فيتقيه والجاهل لا يعرفه فكيف يحترز منه فلا يزال الجاهل
في تعب والشيطان منه في فرح وشماتة فنعوذ بالله من الجهل والغفلة فهو رأس كل شقاوة واساس كل خسران
فحكم الله على كل عبد ان يراقب نفسه عند همه بالفعل وسعيه بالجارحة فيتوقف عن الهم وعن السعي حتى ينكشف له
بنور العلم انه لله تعالى فيمضيه • او هو هوى النفس فيتقيه • ويزجر القلب عن الفكر فيه • وعن الهم به فان الخطرة
الاولى في الباطل اذا لم تدفع اورثت الرغبة والرغبة تورث الفعل والفعل يورث البوار • والمقت فينبغي ان يحسم مادة
الشر من منبعه الاول وهو الخاطر فان جميع ما وراءه يتبعه ومهما اشكل على العبد ذلك واظلمت الواقعة فلم ينكشف له
فيتفكر فيه بنور العلم ويستعيذ بالله من مكر الشيطان بواسطة الهوى فان عجز عن الاجتهاد والفكر بنفسه فيستضيئ
بنور علماء الدين وليفر من العلماء المضلين المقبلين على الدنيا فراره من الشيطان بل اشد فقد اوحى الله تعالى الى
داود لا تسأل عني عالما اسكره حب الدنيا فيقطعك عن محبتي اولئك قطاع الطريق على عبادي • فالقلوب المظلمة
بحب الدنيا وشدة الشره والتكالب عليها محجوبة عن نور الله تعالى • فان مستقى انوار القلوب حضرة الربوبية فكيف
يستضيئ بها من استدبرها واقبل على عدوها وعشق ضرة وهي شهوات الدنيا فليكن همة المريد اولا في احكام العلم
او في طلب عالم معرض عن الدنيا او ضعيف الرغبة فيها ان لم يجد من هو عديم الرغبة فيها وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله
يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات والعقل الكامل عند هجوم الشهوات جمع بين الامرين وهما متلازمان حقا فمن لم يكن له
عقل وازع عن الشهوات فليس له بصر نافذ في الشبهات ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه
ابدا فما قدر العقل الضعيف الذي سعد الادمي به حتى يعيد الى محوه ومحقه بمقارفة الذنوب • ومعرفة آفات الاعمال
قد اندرست في هذه الاعصار فان الناس كلهم هجروا هذه العلوم واشتغلوا بتوسط الخلق في الخصومات الثائرة من اتباع
الشهوات وقالوا هذا هو الفقه اخرجوا هذا العلم الذي هو علم الدين عن جملة العلوم • وتجردوا الفقه الدنيا
الذي ما قصد به الا دفع الشواغل عن القلوب ليتفرغ لفقه الدين فكان فقه الدنيا من الدين بواسطة هذا
الفقه وفي الخبر انتم اليوم في زمان خيركم فيه المسارع وسيأتي عليكم زمان خيركم فيه المتثبت ولهذا توقف
طائفة من الصحابة رضي الله عنهم في قتال اهل العراق واهل الشام لما اشكل عليهم الامر كسعد بن ابي وقاص وابن عمر واسامة
ومحمد بن مسلمة وغيرهم فمن لم يتوقف عند الاشتباه كان متبعا لهواه • معجبا برايه • وكان ممن وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ قال اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بخاصة نفسك وكل من خاض في
شبهة بغير تحقيق فقد خالف قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم وقوله عليه الصلاة والسلام اياكم والظن فان
الظن اكذب الحديث • واراد به ظنا من غير دليل كما يستفتي بعض العوام قلبه فيما اشكل عليه ويتبع ظنه
ولصعوبة هذا الامر وعظمه كان دعاء الصديق رضي الله عنه اللهم ارني الحق حقا وارزقني اتباعه وارني الباطل
وارزقني اجتنابه ولا تجعله علي متشابها فاتبع الهوى وقال عيسى عليه الصلاة والسلام الامور ثلاثة • امر استبان
رشده فاتبعه وامر استبان غيه فاجتنبه وامر اشكل عليك فكله الى عالمه • وقد كان من دعاء رسول الله
صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك ان اقول في الدين بغير علم فاعظم نعم الله تعالى على عباده هو العلم وكشف الحق والايمان
عبارة عن نوع كشف وعلم ولذلك قال تعالى امتنانا على عبده ونبيه وكان فضل الله عليك عظيما • واراد به العلم وقال تعالى
فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون • وقال ان علينا للهدى • وقال ثم ان علينا بيانه • وقال وعلى الله قصد السبيل •
وقال علي كرم الله وجهه الهوى شريك العمى • ومن التوفيق التوقف عند الحيرة • ونعم طارد الهم اليقين وعاقبة
الكذب الندم • وفي الصدق السلامة • رب بعيد اقرب من قريب • وغريب من لم يكن له حبيب • والصديق
من صدق غيبته • ولا يعدمك من حبيب سوء ظن • نعم الخلق التكرم والحياء سبب الى كل جميل واوثق العرى

التقوى واوثق سبب اخذت به سبب بينك وبين الله تعالى انما لك من دنياك فلا تكثرن به فرحا وما
فاتك فلا تتبعه نفسك اسفا • وليكن سرورك بما قدمت • واسفك على ما خلفت • وشغلك لاخرتك •
وهمك فيما بعد الموت • وغرضنا من نقل هذا كله قوله رضي الله عنه ومن التوفيق الوقوف عند الحيرة
فاذا النظر الاول للمراقب نظره في الهم والحركة اهي لله ام للهوى وقد قال صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن
فيه فقد استكمل ايمانه لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرائي بشيء من عمله واذا عرض له امران احدهما
للدنيا والاخر للاخرة اثر الاخرة على الدنيا والاكثر ما ينكشف له في حركة تدان تكون مباحا ولكن لا يعنيه
فيتركه لقوله صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه

النظر الثاني للمراقبة

عند الشروع في العمل وذلك بتفقد كيفية العمل ليقضي حق الله فيه ويحسن النية في اتمامه ويكمل صورته
ويتعاطاه على اكمل ما يمكنه وهذا ملازم له في جميع احواله فانه لا يخلو في جميع احواله عن حركة وسكون فاذا
راقب الله في جميع ذلك قدر على عبادة الله فيها بالنية وحسن الفعل ومراعاة الادب فان كان قاعدا مثلا
فينبغي ان يقعد مستقبل القبلة لقوله عليه الصلاة والسلام خير المجالس ما استقبل به القبلة ولا يجلس
متربعا اذ لا يجالس الملوك كذلك وملك الملوك مطلع عليه قال ابراهيم بن ادهم جلست مرة متربعا
فسمعت هاتفا يقول هكذا تجالس الملوك فلم اجلس بعد ذلك كذلك وان كان ينام فينام على
اليد اليمنى مستقبل القبلة مع سائر الاداب التي ذكرناها في مواضعها فكل ذلك داخل في المراقبة بل لو
كان في قضاء الحاجة فمراعاته لادابها وفاء بالمراقبة فاذ لا يخلو العبد اما ان يكون في طاعة او معصية او
مباح فمراقبته في الطاعة بالاخلاص والاكمال ومراعاة الادب وحراستها عن الافات وان كان في معصية
فمراقبته بالتوبة والندم والاقلاع والحياء والاشتغال بالتفكر وان كان في مباح فمراقبته بمراعاة الادب
ثم بشهود المنعم في النعمة وبالشكر عليها ولا يخلو العبد في جملة احواله عن بلية لا بد له من الصبر عليها وكل ذلك
من المراقبة بل لا ينفك العبد في كل حال من فرض لله عليه اما فعل يلزمه مباشرته او محظور يلزمه تركه او ندب
حث عليه ليسارع الى مغفرة الله تعالى ويسابق به عباد الله او مباح فيه صلاح جسمه وقلبه وفيه عون له
على طاعته ولكل واحد من ذلك حدود لا بد من مراعاتها بدوام المراقبة ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه
في جميع اوقاته في هذه الاقسام الثلاثة فاذا كان فارغا من الفرائض وقدر على الفضائل فينبغي ان يلتمس افضل
الاعمال ليشتغل بها فان من فاته مزيد ربح وهو قادر على دركه فهو مغبون والارباح تنال بمزايا الفضائل
فبذلك ياخذ العبد من دنياه لاخرته كما قال تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا وكل ذلك انما يمكن بصبر ساعة
واحدة فان الساعات ثلث ساعة مضت لا تعب على العبد فيها كيف ما انقضت في مشقة او في
رفاهية وساعة مستقبلة لم تات بعد لا يدري العبد ايعيش اليها ام لا ولا يدري ما يقضي الله فيها
وساعة راهنة ينبغي ان يجاهد فيها نفسه ويراقب فيها ربه فان لم تاته الساعة الثانية لم يتحسر على فوات
هذه الساعة وان اتته الساعة الثانية استوفى حقه منها كما استوفى من الاولى ولا يطول امله خمسين
فيطول عليه العزم على المراقبة بل يكون ابن وقته كانه في اخر انفاسه فلعله اخر انفاسه وهو لا يدري واذا امكن
ان يكون اخر انفاسه فينبغي ان يكون على وجه لا يكره ان يدركه الموت وهو على تلك الحالة وتكون جميع احواله مقصورة
على ما رواه ابو ذر من قوله عليه الصلاة والسلام لا يكون المؤمن ظاعنا الا في ثلث تزود لمعاد او مرمة لمعاش
او لذة في غير محرم وما روى عنه ايضا في معناه وعلى العاقل ان يكون له اربع ساعات ساعة
يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر في صنع الله تعالى اليه وساعة يخلو فيها

بالمطعم والمشرب فان في هذه الساعة عونا له على بقية الساعات ثم هذه الساعة التي هو فيها مشغول الجوارح بالمطعم والمشرب لا ينبغي ان يخلو عن عمل هو افضل الاعمال وهو الذكر والفكر فان الطعام الذي يتناوله مثلا فيه من العجايب ما لو تفكر فيه وفطن له كان ذلك الفكر افضل من كثير من اعمال الجوارح والناس فيه اقسام قسم ينظرون فيه بعين التبصرة والاعتبار فينظرون في عجايب صنعه وكيفية ارتباط قوام الحيوانات به وكيفية تقدير الله لاسبابه وخلق الشهوة الباعثة عليه وخلق الالات المسخرة للشهوة فيه كما فصلنا بعضه في كتاب الشكر • وهذا مقام ذوي الالباب • وقسم ينظرون فيه بعين المقت والكراهة يلاحظون وجه الاضطرار اليه ويودون لو استغنوا عنه ولكن يرون انفسهم مقهورين فيه مسخرين لشهواته وهذا مقام الزاهدين • وقوم يرون في الصنعة الصانع • ويترقون منها الى صفات الخالق فيكون مشاهدة ذلك سببا لتذكر ابواب من الفكر ينفتح عليهم بسببه وهو اعلى المقامات وهو من مقامات العارفين وعلامات المحبين اذ المحب اذا راى صنعة حبيبه وكتابه وتصنيفه نسي الصنعة واشتغل قلبه بالصانع وكل ما يتردد العبد فيه من صنع الله تعالى فله في النظر منه الى الصانع مجال رحب ان فتحت له ابواب الملكوت وذلك عزيز جدا وقسم رابع ينظرون اليه بعين الرغبة والحرص فيتاسفون على ما فاتهم منه ويفرحون بما حضرهم من جملته ويذمون منه ما لا يوافق هواهم ويعيبونه ويذمون فاعله فيذمون الطبيخ والطباخ ولا يعلمون ان الفاعل للطبيخ والطباخ وللقدرة وللعلم هو الله تعالى وان من ذم شيئا من خلق الله بغير اذن الله فقد ذم الله تعالى ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر فهذه هي المرابطة الثانية مراقبة الاعمال على الدوام والاتصال وشرح ذلك يطول وفيما ذكرناه تنبيه على المنهاج لمن احكم الاصل

المرابطة الثالثة محاسبة النفس بعد العمل

ولنذكر فضيلة المحاسبة ثم حقيقتها اما الفضيلة فقد قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد وهذه اشارة الى المحاسبة على ما مضى من الاعمال • ولذلك قال عمر رضي الله عنه حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وفي الخبر انه صلى الله عليه وسلم جاءه رجل فقال يا رسول الله اوصني فقال امستوص انت قال نعم قال اذا هممت بامر فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان غيا فانته عنه • وفي الخبر ينبغي ان يكون للعاقل اربع ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يناجي فيها ربه • وساعة يتفكر في صنع الله • وساعة للمطعم والمشرب • فان في هذه عونا له على الساعات الثلث • وقال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المومنون والتوبة نظر في الفعل بعد الفراغ منه بالندم عليه وقال صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر الله تعالى واتوب اليه في اليوم مائة مرة وقال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طايف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وعن عمر رضي الله عنه انه كان يضرب قدميه بالدرة اذا جنه الليل ويقول لنفسه ماذا عملت اليوم وعن ميمون بن مهران انه قال لا يكون من المتقين حتى يحاسب نفسه اشد من محاسبته شريكه والشريكان يتحاسبان بعد العمل وروي عن عايشة ان ابا بكر رضي الله عنهما قال لها عند الموت ما احد من الناس احب الي من عمر ثم قال لها كيف قلت فاعادت عليه فقالت قلت ما احد من الناس احب الي من عمر فقال لا احد من الناس اعز علي من عمر فانظر كيف نظر بعد الفراغ من الكلمة فتدبرها وابدلها بكلمة غيرها وفي حديث ابي طلحة حين شغله الطاير في صلاته فتدبر فجعل حايطه صدقة لله ندما ورجاء للعوض مما فاته وفي حديث ابن سلام انه حمل حزمة من حطب فقيل له يا ابا يوسف قد كان في بنيك وغلمانك ما يكفونك هذا فقال اردت ان اجرب نفسي هل تنكره وقال الحسن المومن قوام على نفسه يحاسبها لله وانما خف الحساب على قوم حاسبوا انفسهم في الدنيا وانما شق الحساب يوم القيامة على قوم اخذوا هذا الامر من غير محاسبة ثم فسر المحاسبة فقال ان المومن يفجاه الشيء يعجبه فيقول والله انك لتعجبني وانك لمن حاجتي ولكن هيهات حيل بيني وبينك وهذا حساب قبل العمل ثم قال ويفرط منه الشيء فيرجع الى نفسه فيقول ما اردت

تقسيمات نافعات

بحث عجيب وتوحيد غريب

بهذا والله لا اعود لهذا والله لا اعود بهذا ان شاء الله تعالى وقال انس بن مالك سمعت عمر بن الخطاب يوما وقد خرجت معه حتى دخل حايطا فسمعته يقول وبيني وبينه جدار وهو في الحايط عمر بن الخطاب امير المومنين بخ بخ والله لتتقين الله او ليعذبنك وقال الحسن في قوله تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة قال لا يلقى المومن الا يعاتب نفسه ماذا اردت بكلمتي ماذا اردت بشربتي ماذا باكلتي والفاجر يمضي قدما لا يعاتب نفسه وقال مالك بن دينار رحم الله عبدا قال لنفسه الست صاحبة كذا الست صاحبة كذا ثم ذمها ثم خطمها ثم الزمها كتاب الله تعالى فكان لها قايدا وهذا من معاتبة النفس كما سياتي في موضعه وقال ميمون بن مهران التقي اشد محاسبة لنفسه من سلطان عاص ومن شريك شحيح وقال ابراهيم التيمي مثلت نفسي في الجنة اكل من ثمارها واشرب من انهارها واعانق ابكارها ثم مثلت نفسي في النار اكل من زقومها واشرب من صديدها واعالج سلاسلها واغلالها فقلت لنفسي يا نفسي اي شيء تريدين فقالت اريد ان ارد الى الدنيا فاعمل صالحا قلت فانت في الامنية فاعملي وقال مالك بن دينار سمعت الحجاج يخطب وهو يقول رحم الله امرا حاسب نفسه قبل ان يصير الحساب الى غيره رحم الله امرا اخذ بعنان عمله فنظر ماذا يريد به رحم الله امرا نظر في مكياله رحم الله امرا نظر في ميزانه فما زال يقول حتى ابكاني وحكى صاحب للاحنف بن قيس قال كنت اصحبه فكان عامة صلاته بالليل الدعاء وكان يجيء الى المصباح فيضع اصبعه فيه حتى يحس بالنار ثم يقول لنفسه يا حنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا ما حملك على ما صنعت يوم كذا

بيان حقيقة المحاسبة بعد العمل

اعلم ان العبد كما يكون له وقت في اول النهار يشارط فيه نفسه على سبيل التوصية بالحق فينبغي ان يكون له في اخر النهار ساعة يطالب فيها النفس ويحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها كما يفعل التجار في الدنيا مع الشركاء في اخر كل سنة او شهر او يوم حرصا منهم على الدنيا وخوفا من ان يفوتهم منها ما لو فاتهم لكانت الخيرة لهم في فواته ولو حصل ذلك لهم فلا يبقى الا اياما قلايل فكيف لا يحاسب العاقل نفسه فيما يتعلق به خطر الشقاوة والسعادة ابد الاباد ما هذه المساهلة الا عن الغفلة والخذلان وقلة التوفيق نعوذ بالله من ذلك ومعنى المحاسبة مع الشريك ان ينظر في راس المال وفي الربح والخسران ليتبين له الزيادة من النقصان فان كان من فضل حاصل استوفاه وشكره وان كان من خسران طالبه بضمانه وكلفه تداركه في المستقبل فكذلك راس مال العبد في دينه الفرايض وربحه النوافل والفضايل وخسرانه المعاصي وموسم هذه التجارة جملة النهار ومعامله نفسه الامارة بالسوء فليحاسبها على الفرايض اولا فان اداها على وجهها شكر الله تعالى عليه ورغبها في مثلها وان فوتها من اصلها طالبها بالقضاء وان اداها ناقصة كلفها الجبران بالنوافل وان ارتكب معصية اشتغل بعقابها وتعذيبها ومعاتبتها ليستوفي منها ما يتدارك به ما فرط كما يصنع التاجر بشريكه وكما انه يفتش في حساب الدنيا عن الحبة والقيراط • فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان حتى لا يغبن في شيء منها فينبغي ان يتقي غبينة النفس ومكرها فانها خداعة ملبسة مكارة فليطالبها اولا بتصحيح الجواب عن جميع ما تكلم به طول نهاره • وليتكفل بنفسه من الحساب ما سيتولاه غيره في صعيد القيامة وهكذا عن نظره بل عن خواطره وافكاره وقيامه وقعوده واكله وشربه ونومه حتى عن سكوته انه لم سكت فاذا عرف مجموع الواجب على النفس وصح عنده قدر اداء الواجب فيه كان ذلك القدر محسوبا له فيظهر له الباقي على نفسه فليثبته عليها وليكتبه على صحيفة قلبه كما يكتب الباقي الذي على شريكه على قلبه وفي جريدة حسابه ثم النفس غريم يمكن ان يستوفي منه الديون اما بعضها فبالغرامة والضمان وبعضها برد عينها وبعضها بالعقوبة لها على ذلك ولا يمكن شيء من ذلك الا بعد تحقيق الحساب وتمييز الباقي من الحق الواجب عليه فاذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبة والاستيفاء ثم ينبغي ان يحاسب النفس على جميع

العمر يوما يوما وساعة ساعة في جميع الاعضاء الظاهرة والباطنة كما نقل عن توبة بن الصمة وكان بالرقة وكان محاسبا لنفسه فحسب يوما السنين فاذا هو ابن الستين سنة فحسب ايامها فاذا هي احد وعشرون الف يوم وخمسمائة يوم فصرخ وقال يا ويلتى القى المليك باحد وعشرين الف ذنب وخمسمائة ذنب كيف وفي كل يوم عشرة الاف ذنب ثم خر مغشيا عليه فاذا هو ميت فسمعوا قائلا يقول له ركضة الى الفردوس الاعلى فهكذا ينبغي ان يحاسب نفسه على الانفاس وعلى معصيته بالقلب والجوارح في كل ساعة ولو رمى العبد بكل معصية حجرا في داره لامتلأت داره في مدة قريبة من عمره ولكنه يتساهل في حفظ المعاصي والملكان يحفظان عليه احصاه الله ونسوه

المرابطة الرابعة في معاقبة النفس على تقصيرها

مهما حاسب نفسه فلم تسلم عن مقارفة معصية وارتكاب تقصير في حق الله تعالى فلا ينبغي ان يهملها فانه ان اهملها سهل عليه مقارفة المعاصي وانست بها نفسه وعسر عليه فطامها وكان ذلك سبب هلاكها بل ينبغي ان يعاقبها فاذا اكل لقمة شبهة بشهوة نفس ينبغي ان يعاقب البطن بالجوع واذا نظر الى غير محرم فينبغي ان يعاقب العين بمنع النظر وكذلك يعاقب كل طرف من اطراف بدنه بمنعه عن شهواته هكذا كانت عادة سالكي طريق الاخرة فقد روي عن منصور بن ابراهيم ان رجلا من العباد كلم امراة فلم يزل حتى وضع يده على فخذها ثم ندم فوضع يده في النار حتى نشفت وروي انه كان في بني اسرائيل رجل يتعبد في صومعة فمكث بذلك زمانا طويلا فاشرف ذات يوم فاذا هو بامراة فافتتن بها وهم بها فاخرج رجليه لينزل اليها فادركه الله بسابقة فقال ما هذا الذي اريد ان اصنع فرجعت اليه نفسه وعصمه الله فندم فلما اراد ان يعيد رجله الى الصومعة قال هيهات هيهات رجل خرجت تريد ان تعصي الله تعالى تعود معي في صومعتي لا يكون ذلك والله ابدا فتركها معلقة في الصومعة يصيبها الامطار والرياح والثلج والشمس حتى تقطعت فسقطت فشكر الله تعالى له ذلك وانزل في بعض الكتب ذكره ويحكى عن الجنيد قال سمعت ابن الكريني يقول اصابتني ليلة جنابة فاحتجت ان اغتسل وكانت ليلة باردة فوجدت في نفسي تأخرا وتقصيرا فحدثتني نفسي بالتأخير حتى اصبح واسخن الماء وادخل الحمام ولا اعنى على نفسي فقلت واعجباه انا اعامل الله في طول عمري يجب له علي حق فلا اجد له المسارعة واجد الوقوف والتأخر واليت ان لا اغتسل الا في مرقعتي هذه وان لا انزعها ولا اعصرها ولا اجففها في الشمس ويحكى ان غزوان وابا موسى كانا في بعض مغازيهم فتكشفت جارية فنظر اليها غزوان فرفع يده فلطم عينه حتى نفرت وقال انك للحاظة الى ما يضرك ونظر بعضهم نظرة واحدة الى امراة فجعل على نفسه ان لا يشرب الماء البارد طول حياته فكان يشرب الماء الحار لينغص على نفسه العيش ويحكى ان حسان بن ابي سنان مر بغرفة فقال متى بنيت هذه ثم اقبل على نفسه فقال تسألين عما لا يعنيك لاعاقبنك بصوم سنة فصامها وقال مالك بن ضيغم جاء رباح القيسي يسأل عن ابي بعد العصر فقلنا انه نائم فقال انوم هذه الساعة هذا وقت نوم ثم ولى منصرفا فاتبعناه رسولا وقلنا الا نوقظه لك فجاء الرسول وقال هو اشغل من ان يفهم عني شيئا ادركته وهو يدخل المقابر وهو يعاتب نفسه اقلت نوم هذه الساعة افكان هذا عليك ينام الرجل متى شاء وما يدريك ان هذا ليس وقت نوم تكلمين بما لا يعنيك اما ان لله علي عهدا لا انقضه ابدا لا وسدتك الارض لنوم حولا الا لمرض حائل او لعقل زائل سوءة لك اما تستحيين كم توبخين وعن غيك لا تنتهين قال وجعل يبكي وهو لا يشعر بمكاني فلما رايت ذلك انصرفت وتركته ويحكى ان تميم الداري نام ليلة لم يقم فيها يتهجد فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذي صنع وعن طلحة قال انطلق رجل ذات ليلة فنزع ثيابه وتمرغ في الرمضاء وكان يقول لنفسه ذوقي ونار جهنم اشد حرا اجيفة بالليل بطالة بالنهار قال فبينا هو كذلك اذ ابصر النبي صلى الله عليه وسلم في ظل شجرة فاتاه فقال غلبتني نفسي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الم يكن لك بد من الذي صنعت اما لقد فتحت لك ابواب السماء ولقد باهى الله بك الملائكة ثم قال لاصحابه تزودوا من اخيكم فجعل الرجل يقول له يا فلان ادع لي يا فلان

ادع لي فقال النبي صلى الله عليه وسلم عمهم فقال اللهم اجعل التقوى زادهم واجمع على الهدى امرهم فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم سدده فقال الرجل اللهم اجعل الجنة مآبهم وقال حذيفة بن قتادة قيل لرجل كيف تصنع بنفسك في شهواتها فقال ما على وجه الارض نفس ابغض الي منها فكيف اعطيها شهوتها ودخل ابن السماك على داود الطائي حين مات وهو في بيته على التراب فقال يا داود سجنت نفسك قبل ان تسجن وعذبت نفسك قبل ان تعذب فاليوم ترى ثواب من كنت له تعمل وعن وهب بن منبه ان رجلا تعبد زمانا ثم بدت له الى الله حاجة فقام سبعين سبتا يأكل في كل سبت احدى عشرة تمرة ثم سأل حاجته فلم يعطها فرجع الى نفسه وقال منك اتيت لو كان فيك خير لاعطيت حاجتك فنزل اليه ملك فقال يا ابن آدم ساعتك هذه خير من عبادتك التي مضت وقد قضى الله حاجتك وقال عبد الله بن قيس كنا في غزوة لنا فحضر العدو فصيح في الناس فقاموا الى المصاف في يوم شديد الريح فاذا رجل امامي وهو يخاطب نفسه ويقول اي نفس الم اشهد مشهد كذا وكذا فقلت لي اهلك وعيالك فاطعتك ورجعت الم اشهد مشهد كذا وكذا فقلت لي اهلك وعيالك فاطعتك ورجعت ثم قال والله لاعرضنك اليوم على الله اخذك او تركك فقلت لارمقنه اليوم فرمقته فحمل الناس على عدوهم فكان في اوائلهم ثم ان العدو حمل على الناس فانكشفوا فكان في موضعه حتى انكشفوا مرات وهو ثابت يقاتل فوالله ما زال ذلك دابه حتى رايته صريعا فعددت به وبدابته ستين او اكثر من ستين طعنة وقد ذكرنا حديث ابي طلحة وانه لما اشتغل قلبه في الصلاة بطير في حائطه فتصدق بالحائط كفارة وكان عمر يضرب قدميه بالدرة كل ليلة ويقول ماذا عملت اليوم وعن مجمع انه رفع راسه الى السطح فوقع بصره على امراة فجعل على نفسه ان لا يرفع راسه الى السماء ما دام في الدنيا وكان الاحنف بن قيس لا يفارقه المصباح بالليل فكان يضع اصبعه عليه ويقول لنفسه ما حملك على ان صنعت يوم كذا وكذا وانكر وهيب بن الورد شيئا على نفسه فنتف شعرات على صدره حتى عظم المه ثم جعل يقول لنفسه ويحك انما اريد بك الخير وراى محمد بن بشر داود الطائي وهو ياكل عند افطاره خبزا بغير ملح فقال له لو اكلته بملح فقال ان نفسي لتدعوني الى الملح منذ سنة ولا ذاق داود ملحا ما دام في الدنيا فهكذا كان عقوبة اولي الحزم لانفسهم والعجب انك تعاقب عبدك وامتك واهلك وولدك على ما يصدر منهم من سوء خلق وتقصير في امر وتخاف انك لو تجاوزت عنهم لخرج امرهم عن الاختيار وبغوا عليك ثم تهمل نفسك وهي اعظم عدو لك واشد طغيانا عليك وضررك من طغيانها اشد واعظم من ضررك من طغيان اهلك فان غايتهم ان يشوشوا عليك معيشة الدنيا ولو عقلت لعلمت ان العيش عيش الآخرة وان فيه النعيم المقيم الذي لا آخر له ونفسك هي التي تنغص عليك عيش الآخرة فهي بالمعاقبة اولى من غيرها

المرابطة الخامسة المجاهدة

وهو انه اذا حاسب نفسه فرآها قد قارفت معصية فينبغي ان يعاقبها بالعقوبات التي مضت وان رآها تتوانى بحكم الكسل في شيء من الفضائل او ورد من الاوراد فينبغي ان يؤدبها بتثقيل الاوراد عليها ويلزمها فنونا من الوظائف جبرا لما فات وتداركا لما فرط فهكذا كان يعمل عمال الله تعالى فقد عاقب عمر رضي الله عنه نفسه حين فاتته صلاة العصر في جماعة باحياء تلك الليلة وتصدق بارض له قيمتها مائتا الف درهم وكان ابن عمر رضي الله عنه اذا فاتته صلاة في جماعة احيا تلك الليلة واخر ليلة صلاة المغرب حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين وكان بعضهم يجعل على نفسه صوم سنة او الحج ماشيا او التصدق بجميع ماله كل ذلك مرابطة للنفس ومؤاخذة لها بما فيه نجاتها فان قلت ان كانت نفسي لا تطاوعني على المجاهدة والمواظبة على الاوراد فما سبيل معالجتها فاقول علاجها ان تسمعها ما ورد في الاخبار من فضل المجتهدين ومن انفع العلاج ان تطلب صحبة عبد من عباد الله مجتهد في العبادة فتلاحظ احواله وتقتدي به وكان بعضهم يقول كنت اذا اعترتني فترة في العبادة نظرت الى محمد بن واسع والى اجتهاده فعملت على ذلك اسبوعا الا ان هذا العلاج قد تعذر اذ قد فقد في هذا الزمان في عباد الله من يجتهد في العبادة اجتهاد الاولين فينبغي ان يعدل من المشاهدة الى السماع فلا شيء انفع من سماع احوالهم ومطالعة اخبارهم وما كانوا فيه من الجهد

الجنة وقد اقتضى تعبهم دبق ثوابهم ونعيمهم ابد الاباد لا ينقطع فما اعظم ملكهم وما اشد حسرة من لا يقتدي بهم فيمتع نفسه

اياما قلايل بشهوات مكدرة ثم ياتيه الموت ويحال بينه وبين كل ما يشتهيه ابد الاباد نعوذ بالله من ذلك وعن نور

من اوصاف المجتهدين وفضايلهم ما يحرك رغبة المريد في الاجتهاد اقتداء بهم فقد **قال** صلى الله عليه وسلم رحم الله اقواما يحسبهم الناس

مرضى وما هم بمرضى **قال** الحسن اجهدتهم العبادة قال الله تعالى والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة قال الحسن

يعملون ما عملوا من اعمال البر ويخافون ان لا ينجيهم ذلك من عذاب الله وقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن طال

عمره وحسن عمله ويروى ان الله تعالى يقول للملائكة ما بال عبادي مجتهدين فيقولون الهنا خوفتهم شيئا فخافوه

وشوقتهم الى شيء فاشتاقوا اليه فيقول تبارك وتعالى فكيف لو راوني فعبادي لكانوا اشد اجتهادا وقال الحسن لقد ادركت

اقواما وصحبت طوايف منهم ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا اقبل ولا يتاسفون على شيء منها ادبر ولهي كانت اهون في اعينهم

من هذا التراب الذي تطؤونه بارجلكم ان كان احدهم ليعيش عمره كله ما طوي له ثوب ولا امر اهله بصنعة طعام

قط ولا جعل بينه وبين الارض شيئا قط وادركتهم عاملين بكتاب ربهم وسنة نبيهم اذا جنهم الليل فقيام على اقدامهم

يفترشون وجوههم تجري دموعهم على خدودهم يناجون ربهم في فكاك رقابهم ◦ اذا عملوا الحسنة فرحوا بها ودابوا في

شكرها وسالوا الله ان يتقبلها واذا عملوا السيئة احزنتهم وسالوا الله ان يغفرها لهم والله ما زالوا كذلك وعلى ذلك والله

ما سلموا من الذنوب ولا نجوا الا بالمغفرة **ويحكى** ان قوما دخلوا على عمر بن عبد العزيز يعودونه في مرضه واذا فيهم شاب

ناحل الجسم فقال له عمر يا فتى ما الذي بلغ بك ما ارى فقال يا امير المؤمنين اسقام وامراض فقال سالتك بالله الا صدقتني

فقال يا امير المؤمنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة فصغرت عندي زهرتها وحلاوتها ◦ واستوى عندي ذهبها

وحجرها وكاني انظر الى عرش ربي والناس يساقون الى الجنة والنار فاظمات لذلك نهاري واسهرت ليلي وقليل

كل ما انا فيه في جنب ثواب الله وعقابه **وقال** ابو نعيم كان داود الطائي يشرب الفتيت ولا ياكل الخبز فقيل له في

ذلك فقال بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين اية ودخل رجل عليه يوما فقال ان في سقف بيتك جذعا

مكسورا فقال يا ابن اخي اني في البيت منذ عشرين سنة ما نظرت الى السقف وكانوا يكرهون فضول النظر

كما يكرهون فضول الكلام **وقال** محمد بن عبد العزيز جلسنا الى احمد بن رزين من غدوة الى العصر فما التفت لمتكلا

يسرة فقيل له في ذلك فقال ان الله تعالى خلق العينين لينظر بهما العبد في عظمة الله تعالى فكل من نظر بغير اعتبار كتبت عليه

خطيئة وقالت امراة مسروق ما كان يوجد مسروق الا وساقاه منتفختان من طول الصلاة وقالت والله ان

كنت لاجلس خلفه فابكي له رحمة عليه **وقال** ابو الدرداء لولا ثلاث ما احببت العيش يوما واحدا ◦ الظما لله تعالى

بالهواجر ◦ والسجود في جوف الليل ◦ ومجالسة اقوام ينتقون اطايب الكلام كما ينتقى اطايب الثمر وكان الاسود بن يزيد

يجتهد في العبادة ويصوم في الحر حتى يخضر جسده ويصفر لونه فكان علقمة بن قيس يقول له لم تعذب نفسك فيقول

كرامتها اريد وكان يصوم حتى يخضر جسده ويصلي حتى يسقط فدخل عليه انس بن مالك والحسن فقالا له ان الله تعالى

لم يامرك بكل هذا فقال انما انا عبد مملوك لا ادع من الاستكانة شيئا الا جئت به وكان بعض المجتهدين يصلي كل يوم الف

ركعة حتى اقعد من رجليه فكان يصلي جالسا الف ركعة فاذا صلى العصر احتبى ثم قال عجبت للخليقة كيف ارادت بدلا

بل لا منك عجبت للخليقة كيف انست بسواك ◦ بل عجبت للخليقة كيف استنارت قلوبها بذكر سواك وكان ثابت

البناني قد حبب اليه الصلاة فكان يقول اللهم ان كنت اذنت لاحد ان يصلي لك في قبره فاذن لي ان اصلي في قبري

وقال الجنيد ما رايت اعبد من السري اتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رئي مضطجعا الا في علة الموت وقال

الحرث بن سعد مر قوم براهب فراوا ما يصنع بنفسه من شدة اجتهاده فكلموه في ذلك فقال وما هذا عند

ما يراد بالخلق من ملاقاة الاهوال وهم غافلون ◦ قد اعتكفوا على حظوظ انفسهم ونسوا حظهم الاكبر من ربهم فبكى القوم

انظر الى حال من مكث ثمانين سنة ما رئي مضطجعا

وعن محمد المغازلي قال جاور ابو محمد الجريري بمكة سنة فلم ينم ولم يتكلم ولم يستند الى عمود ولا الى حايط ولم يمد رجله فعبر عليه

ابو بكر الكتاني فسلم عليه وقال له يا ابا محمد بم قدرت على اعتكافك هذا فقال علم صدق باطني فاعانني على ظاهري فاطرق الكتاني ومشى متفكرا

وعن بعضهم قال دخلت على فتح الموصلي فرايته وقد بسط كفيه يبكي حتى رايت الدموع تتحدر من بين اصابعه فدنوت منه

واذا دموعه قد خالطها صفرة فقلت له بالله يا فتح بكيت الدم فقال لولا انك استحلفتني بالله ما اخبرتك نعم بكيت دما

فقلت له على ماذا بكيت الدموع فقال على تخلفي عن واجب حق الله وبكيت الدم على الدموع لئلا يكون ما صحت لي الدموع قال

فرايته بعد موته في المنام فقلت له ما صنع الله بك قال غفر لي قلت له فما صنع دموعك فقال قربني ربي تعالى وقال

يا فتح الدمع على ماذا قلت يا رب على تخلفي عن واجب حقك فقال والدم على ماذا قلت على دموعي ان لا تصح لي فقال يا فتح

ما اردت بهذا كله وعزتي لقد صعد الي حافظاك اربعين سنة بصحيفتك ما فيها خطيئة وقيل ان قوما ارادوا سفرا

فحادوا عن الطريق فانتهوا الى راهب منفرد عن الناس فنادوه فاشرف عليهم من صومعته فقالوا يا راهب انا قد اخطانا

الطريق فكيف هو فاومى براسه الى السماء فعلم القوم ما اراد فقالوا يا راهب انا سايلوك فهل انت مجيبنا فقال سلوا

ولا تكثروا فان النهار لن يرجع والعمر لا يعود والطالب حثيث فعجب القوم من كلامه فقالوا يا راهب على ما الخلق

غدا عند مليكهم فقال على نياتهم فقالوا اوصنا فقال تزودوا على قدر سفركم فان خير الزاد ما بلغ البغية ثم ارشدهم

الى الطريق وادخل راسه في صومعته **وقال** عبد الواحد بن زيد مررت بصومعة راهب من رهبان الصين فناديته

فلم يجبني فناديته الثانية فلم يجبني فناديته الثالثة فاشرف علي وقال يا هذا ما انا براهب انما الراهب من رهب

في سمائه وعظمه في كبريائه وصبر على بلائه ورضي بقضائه وحمده على الائه وشكره على نعمائه وتواضع لعظمته وذل

لعزته واستسلم لقدرته وخضع لمهابته وفكر في حسابه وعقابه فنهاره صايم وليله قايم قد اسهره ذكر

النار ومسالة الجبار فذلك هو الراهب واما انا فكلب عقور حبست نفسي في هذه الصومعة عن الناس

لئلا اعقرهم فقلت يا راهب فما الذي قطع الخلق عن الله بعد اذ عرفوه فقال يا اخي لم يقطع الخلق عن الله الا حب الدنيا

وزينتها لانها محل المعاصي والذنوب والعاقل من رمى بها عن قلبه ◦ وتاب الى الله من ذنبه ◦ واقبل على ما يقربه من ربه

وقيل لداود الطائي لو سرحت لحيتك فقال اني اذا لفارغ وكان اويس القرني يقول هذه ليلة

الركوع فيحيي الليل كله في ركعة واذا كانت الليلة الاتية قال هذه ليلة السجود فيحيي الليل كله في سجدة **وقيل** لما

تاب عتبة الغلام كان لا يتهنا بالطعام والشراب فقالت له امه لو رفقت بنفسك قال الرفق اطلب دعيني

اتعب قليلا واتنعم كثيرا **وقيل** حج مسروق فما نام قط الا ساجدا على وجهه **وقال** سفيان الثوري رحمه الله

عند الصباح يحمد القوم السرى ◦ وعند الممات يحمد القوم التقى ◦ **وقال** عمر بن اخت بشر بن الحارث سمعت

خالي بشرا يقول لامي يا اختي جوفي وخواصري تضطرب علي فقالت له امي يا اخي تاذن لي حتى اصلح لك قليل حسو

بكف دقيق عندي تتحساه يرم جوفك فقال لها ويحك اخاف ان يقول لي من اين لك هذا الدقيق فلا ادري

ايش اقول له فبكت امي وبكى معها وبكيت معهم قال عمر ورات امي ما به من شدة الجوع وجعل يتنفس نفسا

ضعيفا فقالت له امي يا اخي ليت امك لم تلدني فقد والله تقطع كبدي مما ارى بك فسمعته يقول لها وانا فليت

امك لم تلدني واذا ولدتني لم يدر ثديها علي قال عمر وكانت امي تبكي عليه الليل والنهار **وقال** عبد الله

ابن داود كان احدهم اذا بلغ اربعين سنة طوى فراشه اي كان لا ينام طول الليل وكان كهمس بن الحسن يصلي كل يوم

الف ركعة ثم يقول لنفسه قومي يا ماوى كل شر فلما ضعف اقتصر على خمسمائة وكان يبكي ويقول ذهب نصف عملي وكانت

ابنة الربيع بن خثيم تقول له يا ابة ما لي ارى الناس ينامون وانت لا تنام فيقول يا بنتاه ان اباك

يخاف النار ولما رات ام الربيع ما يلقى الربيع من البكاء والسهر نادته يا بني لعلك قتلت قتيلا قال نعم يا والدة

موعظة عظيمة من هذا الراهب

انظر الى من كان يصلي كل يوم الف ركعة

قالت من هو مني تطلب من اهله فيعفوا عنك ثم والله لو يعلمون ما انت فيه لرحموك وعفوا عنك فيقول يا والدتي
هي نفسي وقال الربيع اتيت اويسا فوجدته جالسا قد صلى الفجر ثم جلس فجلست فقلت لا اشغله عن
التسبيح فمكث مكانه حتى صلى الظهر ثم قام الى الصلاة حتى صلى العصر ثم جلس موضعه حتى صلى المغرب ثم ثبت
مكانه حتى صلى العشاء ثم ثبت مكانه حتى صلى الصبح ثم جلس فغلبته عيناه فقال اللهم اني اعوذ بك من عين نوامة
ومن بطن لا يشبع فقلت حسبي هذا منه ثم رجعت ونظر رجل الى اويس فقال يا عبد الله ما لي اراك كانك
مريض فقال وما لاويس لا يكون مريضا ايطعم المريض واويس غير طاعم وينام المريض واويس غير نائم
وقيل كان ورد سميون في كل يوم وليلة خمسمائة ركعة وعن ابي بكر المطوعي قال كان وردي في شبيبتي كل يوم
وليلة اقرأ فيه قل هو الله احد احدا وثلثين الف مرة او اربعين الف مرة شك الراوي وكان منصور
ابن المعتمر اذا رأيته قلت رجل اصيب بمصيبة منكسر الطرف منخفض الصوت رطب العينين ان حركته جاءت عيناه
باربع ولقد قالت له امه ما هذا الذي تصنع بنفسك تبكي عامة الليل لا تسكت لعلك يا بني اصبت نفسا
لعلك قتلت قتيلا فيقول يا اماه انا اعلم بما صنعت بنفسي وقال احمد بن حرب يا عجبا لمن يعرف ان
الجنة تزين فوقه وان النار تسعر تحته كيف ينام بينهما وقال رجل من النساك اتيت ابرهيم بن ادهم فوجدته
قد صلى العشاء فقعدت ارقبه فلف نفسه بعباءة ثم رمى بنفسه فلم ينقلب من جنب الى جنب الليل كله
حتى طلع الفجر واذن المؤذن فوثب الى الصلاة ولم يحدث وضوءا فحاك ذلك في صدري فقلت له رحمك الله قد
نمت الليل كله مضطجعا ثم لم تجدد الوضوء فقال كنت الليل كله جائلا في رياض الجنة احيانا وفي اودية النار احيانا
فهل في ذلك نوم وقال ثابت البناني ادركت رجالا كان احدهم يصلي فيعجز حتى ما يأتي فراشه الا حبوا وقيل
مكث ابو بكر بن عياش اربعين سنة لا يضع جنبه على فراش ونزل في احدى عينيه الماء فمكث عشرين سنة
لا يعرف اهله وقيل لعامر بن عبد الله كيف صبرك على سهر الليل وظمأ النهار فقال هل هو الا اني صرفت
طعام النهار الى الليل ونوم الليل الى النهار وليس في ذلك كثير خطر وكان يقول ما رأيت مثل الجنة نام
طالبها وما رأيت مثل النار نام هاربها وكان اذا جاء الليل قال اذهب حر النار النوم فما ينام حتى يصبح
فاذا جاء النهار قال من خاف ادلج عند الصباح يحمد القوم السرى وقال بعضهم صحبت عامر بن قيس
اربعة اشهر فما رأيته نام بليل ولا نهار ويروى عن رجل من اصحاب علي بن ابي طالب انه قال صليت خلف
علي الفجر فلما سلم انفتل عن يمينه وعليه كآبة فمكث حتى طلعت الشمس ثم قلب يده وقال والله لقد رأيت
اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وما ارى اليوم شيئا يشبههم كانوا يصبحون شعثا غبرا صفرا قد باتوا لله تعالى
سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين اقدامهم وجباههم وكانوا اذا ذكروا الله تعالى مادوا كما
يميد الشجر في يوم الريح وهملت اعينهم حتى تبتل ثيابهم وكان القوم باتوا غافلين يعني من كان حوله وكان
ابو مسلم الخولاني قد علق سوطا في مسجد بيته يخوف به نفسه وكان يقول لنفسه قومي فوالله لازحفن بك زحفا حتى
يكون الكلال منك لا مني فاذا دخلته الفترة تناول سوطه وضرب به ساقه ويقول انت اولى بالضرب
من دابتي وكان يقول ايظن اصحاب محمد عليه الصلاة والسلام ان يستأثروا به دوننا كلا والله لنزاحمنهم
زحاما حتى يعلموا انهم قد خلفوا وراءهم رجالا وكان صفوان بن سليم قد تعقدت ساقاه من طول القيام
وبلغ من الاجتهاد ما لو قيل له القيامة غدا ما وجد مستزيدا وكان اذا جاء الشتاء اضطجع على السطح
ليضربه البرد واذا كان الصيف اضطجع داخل البيت ليجد الحر والغم فلا ينام ومات وهو ساجد
وكان يقول اللهم اني احب لقاءك فاحب لقائي وقال القاسم بن محمد غدوت يوما وكنت اذا غدوت

بدأت بعائشة رضي الله عنها اسلم عليها فغدوت يوما اليها فاذا هي تصلي صلاة الضحى وهي تقرأ فمن الله علينا
ووقانا عذاب السموم وتبكي وتدعو وتردد الاية فقمت حتى مللت وهي كما هي فلما رأيت ذلك ذهبت الى
السوق فقلت افرغ من حاجتي ثم ارجع ففرغت من حاجتي ثم رجعت وهي كما هي تردد الاية
تردد الاية وتدعو وتبكي وقال محمد بن اسحق لما ورد علينا عبد الرحمن بن الاسود حاجا اعتلت احدى قدميه
فكان يصلي على قدم واحدة حتى صلى الصبح بوضوء العشاء وقال بعضهم ما اخاف من الموت الا من حيث انه
يحول بيني وبين قيام الليل وقال علي رضي الله عنه سيما الصالحين صفرة الالوان من السهر وعمش العيون من
البكاء وذبول الشفاه من الصوم عليهم غبرة الخاشعين وقيل للحسن ما بال المتهجدين احسن الناس وجوها فقال
انهم خلوا بالرحمن فالبسهم نورا من نوره وكان عامر بن قيس يقول الهي خلقتني ولم تؤامرني وتميتني ولا تعلمني
وخلقت معي عدوا وجعلته يجري مني مجرى الدم وجعلته يراني ولا اراه ثم قلت لي استمسك الهي كيف استمسك
ان لم تمسكني الهي في الدنيا الهموم والاحزان وفي الاخرة العقاب والحساب فاين الراحة والفرح وقال جعفر
ابن محمد كان عتبة الغلام يقطع الليل بثلاث صيحات كان اذا صلى العتمة وضع راسه بين ركبتيه يتفكر فاذا مضى
ثلث الليل صاح صيحة ثم يضع راسه بين ركبتيه يتفكر فاذا كان السحر صاح صيحة قال جعفر فحدثت به بعض البصريين
فقال لا تنظر الى صياحه وانظر الى ما بين الصيحتين حتى صاح وعن القاسم بن راشد الشيباني قال كان زمعة
نازلا عندنا بالمحصب وكان له اهل وبنات وكان يقوم فيصلي ليلا طويلا فاذا كان السحر نادى باعلى صوته ايها الركب المعرسون اكل
هذا الليل تنامون الا تقومون فترحلون فيتواثبون فتسمع من ههنا باك ومن ههنا داع ومن ههنا
قارئ ومن ههنا متوضئ فاذا طلع الفجر نادى باعلى صوته عند الصباح يحمد القوم السرى وقال بعض الحكماء ان لله تعالى
عبادا انعم عليهم فعرفوه وشرح صدورهم فاطاعوه وتوكلوا عليه فسلموا الخلق والامر اليه فصارت قلوبهم معادن لصفاء
اليقين وبيوتا للحكمة وتوابيت للعظمة وخزائن للقدرة فهم بين الخلائق مقبلون ومدبرون وقلوبهم تجول في الملكوت
وتلوذ بمحجوب الغيوب ثم ترجع ومعها طرائف من لطيف الفوائد ما لا يمكن واصفا ان يصفه فهم في باطن امورهم
كالديباج حسنا وهم في الظاهر مناديل مبذولون لمن ارادهم تواضعا وهذه طريقة لا يبلغ اليها بالتكلف وانما
هو فضل الله يؤتيه من يشاء وقال بعض الصالحين بينما انا اسير في بعض جبال بيت المقدس اذ هبطت
الى واد هناك فاذا انا بصوت قد علا واذا لتلك الجبال دوي عال فاتبعت الصوت فاذا انا بروضة
عليها شجر ملتف فاذا انا برجل قائم فيها يردد هذه الاية يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الى قوله ويحذركم الله نفسه
قال فجلست خلفه اسمع كلامه وهو يردد هذه الاية اذ صاح صيحة خر بها مغشيا عليه فقلت وا اسفاه هذا لشقائي ثم
انتظرت افاقته فافاق بعد ساعة فسمعته وهو يقول اعوذ بك من اعمال البطالين اعوذ بك من اعراض الغافلين
ثم قال لك خشعت قلوب الخائفين واليك فزعت آمال المقصرين ولعظمتك ذلت قلوب العارفين ثم
نفض يديه وقال ما لي وللدنيا وما للدنيا ولي عليك يا دنيا بابناء جنسك والاف نعيمك الى محبيك فاذهبي
واياهم فاخدعي ثم قال اين القرون الماضية واهل الدهور السالفة في التراب يبلون وعلى مر الزمان يفنون
فناديته يا عبد الله انا منذ اليوم خلفك انتظر فراغك قال وكيف يفرغ من يبادر الاوقات وتبادره يخاف
سبقها بالموت الى نفسه ام كيف يفرغ من ذهبت ايامه وبقيت آثامه ثم قال انت لها ولكل شدة
اتوقع نزولها ثم لهى عني ساعة وقرأ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ثم صاح صيحة اخرى اشد من الاولى وخر
مغشيا عليه فقلت قد خرجت نفسه فدنوت منه فاذا هو يضطرب ثم افاق وهو يقول من انا ما خطري
هب لي اساءتي بفضلك وجللني بسترك واعف عني وعن ذنوبي بكرم وجهك اذا وقفت بين يديك فقلت له

بالذي ترجوه لنفسك وثق به الا كلمتني فقال عليك بكلام من ينفعك كلامه ودع كلام من اوبقته ذنوبه انا في
هذا الموضع منذ شاء الله اجاهد ابليس وهو يجاهدني فلم يجد عونا علي ليخرجني مما انا فيه غيرك فاليك عني يا مخادع
فقد عطلت علي لساني وملت الى حديثك شعبة من قلبي وانا اعوذ بالله من شرك ثم ارجو ان يعيذني من
سخطه ويتفضل علي برحمته • قال فقلت هذا ولي الله اخاف ان اشغله فاعاقب في موضعي هذا فانصرفت وتركته
وقال بعض الصالحين بينما انا اسير في بعض سيري اذ ملت الى شجرة لاستريح تحتها فاذا بشيخ قد اشرف علي فقلت يا هذا
قم فان الموت لم يمت ثم هام على وجهه فاتبعته فسمعته وهو يقول كل نفس ذائقة الموت اللهم بارك لي في الموت
فقلت وفيما بعد الموت فقال من ايقن بما بعد الموت شمر مئزر الحذر ولم يكن له في الدنيا مستقر ثم قال يا من
لوجهه عنت الوجوه بيض وجهي بالنظر اليك واملا قلبي من المحبة لك • واجرني من ذلة التوبيخ غدا عندك فقد
آن لي الحياء منك • وحان لي الرجوع من الاعراض عنك • ثم قال لولا حلمك لم يسعني اجلي • ولولا عفوك لم ينبسط فيما عندك
املي ثم مضى وتركني • **وقد انشدوا فيه**

نحيل الجسم مكتئب الفواد • تراه بقنة او بطن وادي
ينوح على معاصي فادحات • تكدر ثقلها صفو الرقاد
فان هاجت مخاوفه وزادت • فدعوته اغثني يا عمادي
فانت بما الاقيه عليم • كثير الصفح عن زلل العباد

وقيل من كان وكان

الآمن التلذذ بالغواني • اذا اقبلن في حلل حسان
منيب فر من اهل ومال • يسيح الى مكان من مكان
ليخمل ذكره ويعيش فردا • ويظفر في العبادة بالأمان
يلذذه التلاوة اين ولى • وذكر بالفواد وباللسان
وعند الموت ياتيه بشير • يبشر بالنجاة من الهوان
فيدرك ما اراد وما تمنى • من الراحات في غرف الجنان

وكان كرز بن وبرة يختم القران في كل يوم ثلث مرات ويجاهد نفسه في العبادات غاية المجاهدة فقيل له قد اجهدت
نفسك فقال كم عمر الدنيا فقيل سبعة الاف سنة فقال كم مقدار يوم القيامة فقيل خمسون الف سنة قال فكيف يعجز احدكم
ان يعمل سبع يوم حتى يامن ذلك اليوم يعني انك لو عشت عمر الدنيا واجتهدت سبعة الاف سنة وتخلصت من يوم واحد
كان مقداره خمسين الف سنة لكان ربحك كثيرا وانت بالرغبة فيه جديرا فكيف وعمرك قصير والاخرة لا غاية لها فهكذا
كانت سيرة السلف الصالحين في مرابطة النفس ومراقبتها فمهما تمردت نفسك عليك وامتنعت من المواظبة على العبادة
فطالع احوال هولاء فانه قد عز الان وجود مثلهم ولو قدرت على مشاهدة من اقتدى بهم فهو انجع في القلب وابعث على الاقتداء
فليس الخبر كالمعاينة واذا عجزت عن هذا فلا تغفل عن سماع احوال هولاء فان لم تكن ابل فمعزى وخير نفسك بين الاقتداء
بهم والكون في زمرتهم وهم العقلاء والحكماء وذوو البصائر في الدين وبين الاقتداء بالجهلة الغافلين من اهل
عصرك ولا ترض لها ان تنخرط في سلك الحمقى وتقنع بالتشبه بالاغبياء وتوثر مخالفة العقلاء وان حدثتك نفسك
بان هولاء رجال اقوياء لا يطاق الاقتداء بهم فطالع احوال النساء المجتهدات وقل لها يا نفس لا تستنكفي ان تكوني
اقل من امراة فاخسس برجل يقصر عن امراة في امر دينها ودنياها ولنذكر الان نبذة من احوال المجتهدات
فقد روي عن حبيبة العدوية انها كانت اذا صلت العتمة قامت على سطح لها وشدت عليها درعها وخمارها ثم قالت الهي

هذا ذكر حكايات العابدات العارفات

قد غارت النجوم • ونامت العيون • وغلقت الملوك ابوابها • وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامي بين يديك
ثم تقبل على صلاتها فاذا كان السحر قالت الهي هذا الليل قد ادبر • وهذا النهار قد اسفر فليت شعري اقبلت
مني ليلتي فاهنا • ام رددتها علي فاعزى • وعزتك لهذا دابي ودابك ما ابقيتني وعزتك لو انتهرتني
من بابك ما برحته لما وقع في نفسي من جودك وكرمك • ويروى عن عجردة انها كانت تحيي الليل وكانت
مكفوفة البصر فاذا كانت في السحر نادت بصوت لها محزون اليك قطع العابدون دجى الليالي يستبقون
الى رحمتك وفضل مغفرتك • فبك يا الهي اسالك لا بغيرك ان تجعلني في اول زمرة السابقين وان ترفعني
لديك في عليين في درجة المقربين • وان تلحقني بعبادك الصالحين • فانت ارحم الرحماء واعظم العظماء
واكرم الكرماء يا كريم ثم تخر ساجدة فيسمع لها وجبة ثم لا تزال تدعو وتبكي الى الفجر وقال يحيى بن بسطام
كنت اشهد مجلس شعوانة فكنت ارى ما تصنع من النياحة والبكاء فقلت لصاحب لي لو اتيناها اذا خلت
فامرناها بالرفق بنفسها فقال انت وذاك قال فاتيناها فقلت لها لو رفقت بنفسك واقصرت
عن هذا البكاء شيئا فكان اقوى لك على ما تريدين قال فبكت ثم قالت والله اني لوددت ان ابكي
حتى تنفد دموعي ثم ابكي دما حتى لا تبقى قطرة من دم في جارحة من جوارحي واني لي بالبكاء فلم تزل
تردد واني لي بالبكاء حتى غشي عليها وقال محمد بن معاذ حدثتني امراة من المتعبدات قالت رايت في
منامي كاني ادخلت الجنة فاذا اهل الجنة قيام على ابوابهم فقلت ما شان اهل الجنة قيام فقال لي قائل
خرجوا ينظرون الى هذه المراة التي زخرفت الجنان لقدومها قلت ومن هذه المراة فقيل امة سوداء
من اهل الابلة يقال لها شعوانة قالت فقلت اختي والله قالت فبينا انا كذلك اذ اقبل بها على نجيبة
تطير في الهوى فلما رايتها ناديتها يا اختي اما ترين مكاني من مكانك فلو دعوت لي مولاك فالحقني بك قالت
فتبسمت الي وقالت لم يات لك وقت قدومك ولكن احفظي عني اثنتين الزمي الحزن قلبك وقدمي محبة الله
على هواك ولا يضرك متى مت وقال عبد الله بن الحسن كانت لي جارية رومية وكنت بها معجبا وكانت في بعض
الليالي نائمة الى جانبي فانتبهت فلمستها فلم اجدها فقمت اطلبها فاذا هي ساجدة وهي تقول بحبك لي الا
ما غفرت لي ذنوبي فقلت لها لا تقولي بحبك لي ولكن قولي بحبي لك فقالت لا يا مولاي بحبه لي اخرجني
من الشرك الى الاسلام وبحبه لي ايقظ عيني وكثير من خلقه نيام وقال ابو هاشم القرشي قدمت علينا امراة
من اهل اليمن يقال لها سرية فنزلت في بعض ديارنا قال فكنت اسمع لها من الليل انينا وشهيقا فقلت يوما
لخادم لي اشرف على هذه المراة فانظر ماذا تصنع قال فاشرف عليها فما راها تصنع شيئا غير انها لا ترد طرفها عن
السماء وهي مستقبلة القبلة تقول خلقت سرية ثم غذيتها بنعمك من حال الى حال وكل احوالها حسنة
وكل بلائك عندها جميل وهي مع ذلك متعرضة لسخطك بالتوثب على معاصيك • فلتة بعد فلتة اتراها
تظن انك لا ترى سوء فعالها وانت عليم خبير • وانت على كل شيء قدير وقال ذو النون المصري
خرجت ليلة من وادي كنعان فلما علوت الوادي اذا سواد مقبل علي وهو يقول وبدا لهم من الله ما لم يكونوا
يحتسبون • ويبكي فلما قرب مني السواد اذا هي امراة عليها جبة صوف وبيدها ركوة فقالت لي من انت غير
فازعة مني قلت رجل غريب فقالت يا هذا وهل يوجد مع الله غربة قال فبكيت لقولها فقالت لي
ما الذي ابكاك قلت وقع الدواء على داء قد قرح فاسرع في نجاحه قالت فان كنت صادقا فلم بكيت
قلت يرحمك الله والصادق لا يبكي قالت لا قلت ولم ذلك قالت لان البكاء راحة للقلب فسكت
متعجبا من قولها وقال احمد بن علي استاذنا على عفيرة فحجبتنا فلازمنا الباب فلما علمت ذلك

قامت لتفتح الباب لنا فسمعناها وهي تقول اللهم اني اعوذ بك ممن جاء يشغلني عن ذكرك ثم فتحت الابواب
ودخلنا عليها فقلنا لها يا امة الله ادعي لنا فقالت جعل الله قراكم في بيتي المغفرة ثم قالت لنا
مكث عطاء السلمي اربعين سنة لا ينظر الى السماء فحانت منه نظرة فخر مغشيا عليه فاصابه فتق في بطنه
فيا ليت عنيزة اذ رفعت راسها لم تعص • ويا ليتها اذ عصت لم تعد **وقال** بعض الصالحين خرجت
يوما الى السوق ومعي جارية حبشية فاحتبستها في موضع بناحية السوق وذهبت في بعض حوائجي وقلت
لا تبرحي حتى انصرف اليك قال فانصرفت فلم اجدها في الموضع فانصرفت الى منزلي وانا شديد الغضب عليها
فلما راتني عرفت الغضب في وجهي فقالت يا مولاي لا تعجل علي انك اجلستني في موضع لم ار فيه ذاكرا لله تعالى
فخفت ان يخسف بذلك الموضع فعجبت لقولها وقلت لها انت حرة لوجه الله تعالى فقالت ساء ما صنعت
كنت اخدمك فيكون لي اجران واما الآن فقد ذهب عني احدهما **وقال** ابن العلا السعدي كانت لي ابنة
عم يقال لها بريرة تعبدت وكانت تكثر القراءة في المصحف فكلما اتت على اية فيها ذكر النار بكت فلم تزل
تبكي حتى ذهبت عيناها من البكاء فقال بنو عمها انطلقوا بنا الى هذه المراة حتى نعذلها في كثرة البكاء قال
فدخلنا عليها فقلنا لها يا بريرة كيف اصبحت فقالت اصبحنا اضيافا منتجعين بارض غربة ننتظر متى
ندعى فنجيب فقلنا لها كم هذا البكاء فقد ذهبت عيناك منه فقالت ان يكن لعيني عند الله خير
فما يضرهما ما ذهب منهما في الدنيا وان كان لهما عند الله شر فسيزيدهما بكاء اطول من هذا ثم اعرضت عنا فقال
القوم قوموا بنا فهي والله في شيء غير ما نحن فيه **وكانت** معاذة العدوية اذا جاء النهار تقول هذا يومي
الذي اموت فيه فما تطعم حتى تمسي فاذا جاء الليل تقول هذه الليلة التي اموت فيها فتصلي حتى تصبح
وقال ابو سليمان الداراني بت ليلة عند رابعة فقامت الى محراب لها وقمت انا الى جانب من البيت فلم تزل
قائمة الى السحر فلما كان السحر قلت ما جزاء من قوانا على قيام هذه الليلة قالت جزاؤه ان تصوم له غدا **وكانت**
شعوانة تقول في دعائها الهي ما اشوقني الى لقائك واعظم رجائي لجزائك وانت الكريم الذي لا يخيب لديك
امل الاملين ولا يبطل عندك شوق المشتاقين • الهي ان كان دنا اجلي ولم يقربني منك عملي فقد جعلت
الاعتراف بالذنب وسائل عللي • فان عفوت فمن اولى منك بذلك وان عدلت فمن اعدل منك هنالك •
الهي قد جرت على نفسي في النظر لها وبقي لها حسن نظرك فالويل لها ان لم تسعدها • الهي انك لم تزل برا ايام حياتي فلا
تقطع عني برك بعد مماتي • ولقد رجوت ممن تولاني في حياتي باحسانه ان تشفعه بعد مماتي بغفرانه الهي كيف
ايس من حسن نظرك بعد مماتي ولم تولني الا الجميل في حياتي • الهي ان كانت ذنوبي قد اخافتني فان محبتي لك قد اجارتني
فتول من امري ما انت اهله وعد بفضلك على من غره جهله • الهي لو اردت اهانتي لما هديتني ولو اردت
فضيحتي لم تسترني فمتعني بما له هديتني وادم لي ما به سترتني • الهي ما اظنك تردني في حاجة افنيت
فيها عمري • الهي لولا ما قارفت من الذنوب ما خفت عقابك • ولولا ما عرفت من كرمك ما رجوت
ثوابك **وقال** الخواص دخلنا على رحلة العابدة • وكانت قد صامت حتى اسودت • وبكت حتى عميت
وصلت حتى اقعدت • وكانت تصلي قاعدة فسلمنا عليها ثم ذكرناها شيئا من العفو ليهون عليها الامر قال فشهقت
ثم قالت علمي بنفسي قرح فؤادي • وكلم كبدي • والله لوددت ان الله لم يخلقني ولم اك شيئا مذكورا ثم
اقبلت على صلاتها فعليك ان تكون من المرابطين المراقبين لنفسك ان تطالع احوال الرجال والنساء
من المجتهدين والمجتهدات لينبعث نشاطك • ويزيد حرصك • واياك ان تنظر الى اهل عصرك • فانك ان
تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله وحكايات المجتهدين غير محصورة وفيما ذكرناه كفاية للمعتبر وان اردت

مزيدا فعليك بالمواظبة على مطالعة كتاب حلية الاولياء فهو مشتمل على شرح احوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم
والوقوف عليه يستبين لك بعدك وبعد اهل عصرك من اهل الدين فان حدثتك نفسك بالنظر الى اهل زمانك
وقالت انما تيسر الخير في ذلك الزمان لكثرة الاعوان والآن فان خالفت اهل زمانك راوك مجنونا وسخروا بك
فوافقهم فيما هم عليه فلا يجري عليك الا ما يجري عليهم والمصيبة اذا عمت طابت فاياك ان تنخدع بخدعها
وتنخدع بتزويرها وقل لها ارايت لو هجم سيل جارف يغرق اهل البلد وثبتوا على مواضعهم ولم ياخذوا
حذرهم لجهلهم بحقيقة الحال وقدرت انت على ان تفارقهم وتركب في سفينة تخلص بها من الغرق فهل تختلج في
نفسك ان المصيبة اذا عمت طابت ام تترك موافقتهم وتستجهلهم في صنيعهم وتاخذ حذرك مما عاينت
فاذا كنت تترك موافقتهم خوفا من الغرق لا تتمادى الا ساعة فكيف لا تهرب من عذاب الابد وانت متعرض له في كل
حال ومن اين تطيب المصيبة اذا عمت ولاهل النار شغل شاغل عن الالتفات الى العموم والخصوص ولم يهلك
الكفار الا بموافقة اهل زمانهم حيث قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون فعليك
اذا اشتغلت بمعاتبة نفسك او حملها على الاجتهاد فاستعصت ان لا تترك معاتبتها وتوبيخها وتقريعها
وتعريفها سوء نظرها لنفسها فعساها تنزجر عن طغيانها •

المرابطة السادسة في توبيخ النفس ومعاتبتها

اعلم ان اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك • وقد خلقت امارة بالسوء ميالة الى الشر • فرارة عن الخير
وامرت بتزكيتها وتقويمها وقودها بسلاسل القهر الى عبادة ربها وخالقها ومنعها عن شهواتها وفطامها
عن لذاتها فان اهملتها جمحت وشردت ولم تظفر بها بعد ذلك وان لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والعذل والملامة
كانت نفسك هي النفس اللوامة التي اقسم الله تعالى بها ورجوت ان تصير النفس المطمئنة المدعوة الى ان تدخل في
زمرة عباد الله راضية مرضية فلا تغفلن ساعة عن تذكيرها ومعاتبتها • ولا تشتغلن بوعظ غيرك ما لم تشتغل
اولا بوعظ نفسك اوحى الله تعالى الى عيسى عليه الصلاة والسلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ
الناس والا فاستحي مني **وقال** الله تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين • وسبيلك ان تقبل عليها فتقرر عندها
جهلها وغباوتها وحماقتها فانها ابدا تتعزز بفطنتها وهدايتها ويشتد انفها واستنكافها اذا نسبت الى الحماقة
وتقول لها يا نفس ما اعظم جهلك تدعين الحكمة والذكاء والفطنة وانت اشد الناس غباوة وحمقا اما
تعرفين ما بين يديك من الجنة والنار وانك صائرة الى احداهما على القرب فما لك تفرحين وتضحكين
وتشتغلين باللهو وانت مطلوبة لهذا الخطب الجسيم وعساك اليوم تختطفين او غدا فاراك ترين الموت
بعيدا ويراه الله قريبا اما تعلمين ان كل ما هو ات قريب وان البعيد ما ليس بات اما تعلمين ان الموت
ياتي بغتة من غير تقديم رسول ومن غير مواعدة ومواطاة وانه لا ياتي في شيء دون شيء ولا في صيف دون
شتاء ولا في نهار دون ليل ولا في ليل دون نهار ولا في الصبي دون الشباب ولا في الشباب دون الصبي
بل كل نفس من الانفاس يمكن ان يكون فيه الموت فجاة فان لم يكن الموت فجاة فيكون المرض فجاة ثم يفضي الى
الموت فما لك لا تستعدين للموت وهو اقرب اليك من كل قريب اما تتدبرين قوله تعالى اقترب
للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم
ويحك يا نفس ان كانت جراءتك على معصية الله لاعتقادك ان الله لا يراك فما اعظم كفرك وان
كانت مع علمك باطلاعه عليك فما اشد وقاحتك واقل حياءك **ويحك** يا نفس لو واجهك عبد من
عبيدك بل اخ من اخوانك بما تكرهينه كيف كان غضبك عليه ومقتك له فباي جسارة تتعرضين لمقت
الله وغضبه وشديد عقابه افتظنين انك تطيقين عذابه هيهات هيهات جربي نفسك ان الهاك

البطوش أليم عذابه فاحتبسي ساعة في الشمس أو في بيت الحمام أو قربي أصبعك من النار ليتبين لك قدر طاقتك
أم تغترين بكرم الله تعالى وفضله واستغنائه عن طاعتك وعبادتك فمالك لا تعولين على كرم الله تعالى في مهمات
دنياك فإذا قصدك عدو فلم تستنبطين الحيل في دفعه ولا تكلينه إلى كرم الله تعالى وإذا أرهقتك حاجة
إلى شهوة من شهوات الدنيا مما لا تنقضي إلا بالدينار والدرهم فمالك تنزعين الروح في طلب تحصيله من وجوه
الحيل فلم لا تعولين على كرم الله تعالى حتى يعثر بك على كنز أو يسلط عبدا من عبيده يحمل إليك حاجتك من غير سعيك
وطلبك أفتحسبين أن الله تعالى كريم في الآخرة لا في الدنيا وقد عرفت أن سنة الله لا تبديل لها وأن رب
الدنيا والآخرة واحد وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ويحك يا نفس ما أعجب نفاقك ودعاويك الباطلة
فإنك تدعين الإيمان بلسانك وأثر النفاق ظاهر عليك ألم يقل لك سيدك ومولاك وما من دابة في الأرض
إلا على الله رزقها وقال في أمر الآخرة وأن ليس للإنسان إلا ما سعى فقد تكفل لك بأمر الدنيا خاصة وصرفك عن السعي فيها
فكذبتيه بأفعالك وأصبحت تتكالبين على طلبها تكالب المدهوش المستهتر ووكل أمر الآخرة إلى سعيك فأعرضت
عنها إعراض المغرور المستحقر ما هذا من علامات الإيمان لو كان الإيمان باللسان فلماذا كان المنافقون في الدرك الأسفل من النار
ويحك كأنك لا تؤمنين بيوم الحساب وتظنين أنك إذا مت انفلت وتخلصت وهيهات أتحسبين
أنك إذا مت انفلت وتخلصت وهيهات وتحسبين أن تتركي سدى ألم تكوني نطفة من مني يمنى ثم كنت
علقة فخلق فسوى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى فإن كان هذا من إضمارك فما أكفرك وأجهلك أما
تتفكرين أنه مماذا خلقك من نطفة خلقك فقدرك ثم السبيل يسرك ثم أماتك فأقبرك أفتكذبينه في قوله ثم
إذا شاء أنشرك فإن لم تكوني مكذبة فما لك لا تأخذين حذرك ولو أن يهوديا أخبرك في ألذ أطعمتك بأنه يضرك
في مرضك لصبرت عنه وتركتيه وجاهدت نفسك فيه أفكان قول الأنبياء المؤيدين بالمعجزات وقول الله
في كتبه المنزلة أقل عندك تأثيرا من قول يهودي يخبرك عن حدس وتخمين وظن مع نقصان عقل وقصور علم
والعجب أنه لو أخبرك طفل أن في ثوبك عقربا لرميت ثوبك في الحال من غير مطالبة له ببرهان ودليل أفكان قول
الأنبياء والعلماء والحكماء وكافة الأولياء أقل عندك من قول صبي من جملة الأغبياء أو صار حر جهنم وأغلالها وأنكالها
وزقومها ومقامعها وصديدها وسمومها وأفاعيها وعقاربها أحقر عندك من عقرب لا تحسين بألمها إلا يوما أو أقل
منه ما هذا أفعال العقلاء بل لو انكشف للبهائم حالك لضحكت منك وسخرت من عقلك فإن كنت قد عرفت جميع
ذلك وآمنت به فما لك تسوفين العمل والموت لك بالمرصاد ولعله يختطفك من غير مهلة فبما أمنت
استعجال الأجل وهب أنك وعدت بالإمهال مائة سنة أفتظنين أن من يطعم الدابة في حضيض العقبة
يفلح ويقدر على قطع العقبة بها إن ظننت ذلك فما أعظم جهلك أرأيت لو سافر رجل ليتفقه في الغربة
فأقام فيها سنين متعطلا بطالا يعد نفسه بالتفقه في السنة الأخيرة من رجوعه إلى وطنه هل كنت تضحكين
من عقله وظنه أن تفقه النفس مما يطمع فيه بمدة قريبة أو حسبانه أن مناصب الفقهاء تنال من غير تفقه اعتمادا
على كرم الله تعالى ثم هبي أن الجهد في آخر الزمان وآخر العمر نافع وأنه موصل إلى الدرجات العلى فلعل اليوم آخر عمرك
فلم لا تشتغلين فيه بذلك فإن أوحي إليك بالإمهال فما المانع من المبادرة وما الباعث لك على التسويف هل له
سبب إلا عجزك عن مخالفة شهواتك لما فيها من التعب والمشقة أفتنتظرين يوما يأتيك لا يعسر فيه مخالفة الشهوات
هذا يوم لم يخلقه الله تعالى قط ولا يخلقه فلا تكون الجنة قط إلا محفوفة بالمكاره ولا تكون المكاره قط خفيفة على النفوس
هذا محال وجوده أما تتأملين منذ كم تعدين نفسك وتقولين غدا وغدا فقد جاء الغد وصار يوما فكيف وجدته
أوما علمت أن الغد الذي جاء وصار يوما كان له حكم الأمس لا بل ما تعجزين عنه اليوم فأنت غدا عنه أعجز لأن الشهوة

كالشجرة الراسخة التي تعبد العبد بقلعها فإذا عجز عن قلعها للضعف وأخرها كان كمن عجز عن قلع شجرة وهو شاب
قوي فأخرها إلى سنة أخرى مع العلم بأن طول المدة يزيد في الشجرة قوة ورسوخا ويزيد القالع ضعفا
ووهنا فما لا يقدر عليه الشاب فلا يقدر عليه قط في المشيب بل من العناء رياضة الهرم ومن التعذيب
والقضيب الرطب يقبل الانحناء فإذا جف وطال عليه الزمان لم يقبله فإن كنت لا تفهمين هذه الأمور
الجلية وتركنين إلى التسويف فما بالك تدعين الحكمة وأية حماقة تزيد على هذه الحماقة ولعلك تقولين ما
يمنعني عن الاستقامة إلا حرصي على لذة الشهوات وقلة صبري على الآلام والمشقات فما أحمقك وأقبح
اعتذارك إن كنت صادقا في ذلك فاطلبي التنعم بالشهوات الصافية عن الكدورات الدائمة
أبد الآباد ولا مطمع في ذلك إلا في الجنة فإن كنت ناظرة لشهوتك فالنظر لها في مخالفتها فرب أكلة تمنع
أكلات وما قولك في عقل مريض أشار عليه الطبيب بترك الماء البارد ثلاثة أيام ليصح ويتهنأ بشربه طول
العمر وأخبره أنه إن شرب ذلك مرض مرضا مزمنا وامتنع عليه طول العمر فما مقتضى العقل في قضاء حق
الشهوة أيصبر ثلاثة أيام ليتنعم طول العمر أم يقضي شهوته في الحال خوفا من ألم المخالفة ثلثمائة يوم وثلثة
آلاف يوم وجميع عمرك بالإضافة إلى الأبد الذي هو مدة نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار أقل من ثلثة
أيام بالإضافة إلى جميع العمر وإن طالت مدته وليت شعري ألم الصبر عن الشهوات أعظم
شدة وأطول مدة أم ألم النار في دركات جهنم فمن لا يطيق الصبر على ألم المجاهدة كيف يطيق ألم
عذاب الله ويحك جسم على البرد ليس يقوى ولا على أيسر الحرارة فكيف تقوى على جهنم
ما أراك تتوانين عن النظر لنفسك إلا لكفر خفي أو حمق جلي أما الكفر الخفي فهو ضعف إيمانك بيوم الحساب
وقلة معرفتك بعظم قدر الثواب والعقاب وأما الحمق الجلي فاعتمادك على كرم الله تعالى وعفوه من غير
التفات إلى مكره واستدراجه واستغنائه عن عبادتك مع أنك لا تعتمدين على كرمه في لقمة من الخبز أو حبة
من المال أو كلمة واحدة تسمعينها من الخلق بل تتوصلين إلى غرضك فيها بجميع الحيل وبهذا الجهل تستحقين
لقب الحماقة من رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق
من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله ويحك لا ينبغي أن تغرك الحياة الدنيا ولا يغرنك بالله الغرور
فانظري لنفسك فما أمرك بمهم لغيرك ولا تضيعي أوقاتك فالأنفاس معدودة وإذا مضى
منك نفس فقد ذهب منك بعضك واغتنمي الصحة قبل السقم والفراغ قبل الشغل والغنى
قبل الفقر والشباب قبل الهرم والحياة قبل الموت واستعدي للآخرة على قدر بقائك فيها كما
تستعدين للشتاء بقدر طول مدته فتجمعين الحطب واللبد والجبة ولا تتكلين على فضل الله وكرمه حتى يدفع
عنك البرد من غير جبة ولبد وحطب فإنه قادر على ذلك أفتظنين أن زمهرير جهنم أخف بردا
وأقصر مدة من زمهرير الشتاء أم تظنين أن العبد ينجو منها بغير سعي هيهات كما لا يندفع برد الشتاء إلا
بالجبة والنار وسائر الأسباب فلا يندفع حر النار وبردها إلا بحصن التوحيد وخندق الطاعات
وإنما كرم الله تعالى في أن عرفك طريق التحصن ويسر لك أسبابه لا في أن يدفع عنك العذاب دون حصنه
كما أن كرم الله تعالى في دفع برد الشتاء أن خلق النار وهداك إلى طريق استخراجها من بين حديد وحجر حتى
تدفعي بها برد الشتاء عن نفسك كما أن شراء الحطب والجبة مما تستغنين به ويستغني عنه خالقك وإنما
تشترينه لنفسك إذ خلقه سببا لاستراحتك فطاعاتك ومجاهداتك أيضا هو مستغن عنها وإنما
هي طريقك إلى نجاتك فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها والله غني عن العالمين ويحك

تهذيب الذيب

وقودها الناس والحجارة

اتزعمين جهلك وتبجحين بدنياك فما خلقك ولا بعثك الا كنفس واحدة ولقد براناكم اول خلق نعيده وكما
بدأكم تعودون وسنة الله لن تجد لها تبديلا ولا تحويلا **ويحك** ما اراك الا الفت الدنيا وانست بها
فعسر عليك مفارقتها وانت مقبلة على مقاربتها وتوكدين في نفسك مودتها فاحسبي انك غافلة
عن عقاب الله وثوابه وعن اهوال القيامة واحوالها فانت بموتك بالموت المفرق بينك وبين محابك
افترى ان من يدخل دار ملك ليخرج من الجانب الاخر فمد بصره الى وجه مليح يعلم انه يستغرق ذلك قلبه ثم يضطر
لا محالة الى مفارقته اهو معدود من العقلاء ام من الحمقى اما تعلمين ان الدنيا دار الملك الملوك وما لك منها الا مجاز
وكل ما فيها لا يصحب المجتاز بها بعد الموت ولذلك قال سيد البشر صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في
روعي احبب من احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به اما
تعلمين ان كل من يلتفت الى ملاذ الدنيا ويانس بها مع ان الموت من ورائه فانما يستكثر من الحسرة عند المفارقة
وانما يتزود من السم المهلك وهو لا يدري اوما تنظرين الى الذين مضوا كيف بنوا وعلوا ثم ذهبوا وخلوا
وكيف اورث الله ارضهم وديارهم اعداءهم اوما تراهم كيف يجمعون ما لا ياكلون ويبنون ما لا يسكنون
ويأملون ما لا يدركون يبني كل واحد قصرا مرفوعا الى السماء جهته ومقره قبر محفور تحت الارض فهل في الدنيا
حمق وانتكاس اعظم من هذا يعمر الواحد دنياه وهو مرتحل عنها يقينا ويخرب اخرته وهو صائر اليها قطعا اما
تستحيين يا نفس من مساعدة هؤلاء الحمقى على حماقتهم واحسبي انك لست ذات بصيرة تهتدي الى هذه الامور
وانما تميلين بالطبع الى التشبه والاقتداء فقيسي عقل الانبياء والحكماء والعلماء بعقل هؤلاء المكبين على الدنيا واقتدي
من الفريقين بمن هو اعقل عندك ان كنت تعتقدين في نفسك العقل والذكاء **يا نفس** ما اعجب امرك واشد
جهلك واظهر طغيانك عجبا لك كيف تعمين عن هذه الامور الواضحة الجلية ولعلك اسكرك حب الجاه وادهشك
عن فهم الصواب اوما تتفكرين ان الجاه لا معنى له الا ميل قلوب الناس اليك فاحسبي ان كل من على وجه الارض سجد
لك واطاعوك افما تعرفين انه بعد خمسين سنة لا تبقين انت ولا احد ممن على وجه الارض ممن عبدك وسجد لك
وسياتي زمان لا يبقى ذكرك وذكر من ذكرك كما قد اتى على الملوك الذين من قبلك فهل تحس منهم من احد او تسمع لهم
ركزا فكيف تبيعين يا نفس ما يبقى ابد الاباد بما لا يبقى اكثر من خمسين سنة ان بقي هبي انك كنت
ملكا من ملوك الارض سلم لك الشرق والغرب حتى اذعنت لك الرقاب وانتظمت لك الاسباب وكيف
ويابى ادبارك وشقاوتك ان يسلم لك امر محلتك بل امر دارك فضلا عن محلتك فان كنت لا تتركين الدنيا
رغبة في الاخرة لجهلك وعمى بصيرتك فما لك لا تتركينها ترفعا عن خسة شركائها وتنزها عن كثرة عنائها
وتوقيا من سرعة فنائها ام ما لك لا تزهدين في قليلها بعد ان زهد فيك كثيرها وما لك تفرحين بدنيا ان
ساعدتك فلا يخلو بلدك عن جماعة من اليهود والمجوس يسبقونك بها ويزيدون عليك في نعيمها وزينتها فاف
لدنيا يسبقك بها هؤلاء الاخساء فما اجهلك واخس همتك واسقط رايك اذ رغبت عن ان تكوني في زمرة
المقربين من الصديقين والنبيين في جوار رب العالمين ابد الابدين لتكوني في صف النعال من جملة
الحمقى الجاهلين اياما قلائل فيا حسرة عليك اذ خسرت الدنيا والدين فبادري **ويحك** فقد اشرفت
على الهلاك واقترب الموت وورد النذير فمن ذا يصلي عنك بعد الموت ومن ذا يصوم عنك بعد الموت ومن
ذا يرضي عنك ربك بعد الموت **ويحك** يا نفس ما لك الا ايام معدودة هي بضاعتك ان اتجرت فيها وقد
ضيعت اكثرها فلو بكيت بقية عمرك على ما ضيعت منها لكنت مقصرة في حق نفسك فكيف اذا ضيعت البقية واصررت على عادتك اما تعلمين ان الموت موعدك والقبر بيتك والتراب
فراشك والدود انيسك والفزع الاكبر بين يديك اما علمت يا نفس ان عسكر الموتى على باب البلد

ينتظرونك وقد آلوا كلهم على انفسهم بالايمان المغلظة انهم لا يبرحون من مكانهم ما لم ياخذوك الا انفسهم
اما تعلمين انهم يتمنون الرجعة الى الدنيا ليشتغلوا بتدارك ما فات منهم وانت في امنيتهم ويوم من عمرك
لو بيع منهم بالدنيا بحذافيرها لاشتروه لو قدروا عليه وانت تضيعين ايامك في الغفلة والبطالة **ويحك**
اما تستحيين تزينين ظاهرك للخلق وتبارزين الله في السر بالعظايم فتستحيين من الخلق ولا تستحيين من الخالق
ويحك اهو اهون الناظرين عليك **ويحك** اتامرين الناس بالخير وانت ملطخة بالرذائل تدعين
الى الله وانت منه فارة وتذكرين بالله وانت له ناسية اما تعلمين يا نفس ان المذنب انتن من العذرة
وان العذرة لا تطهر غيرها فلم تطمعين في تطهير غيرك وانت غير طيبة في نفسك لو عرفت نفسك حق المعرفة
لظننت ان الناس ما يصيبهم بلاء الا بشومك **ويحك** قد جعلت نفسك حمارا لابليس يقودك
الى حيث يريد ويسخر بك ومع هذا فتعجبين بعملك وفيه من الافات ما لو نجوت منها راسا براس لكان الربح في يديك وكيف
تعجبين بعملك مع كثرة خطاياك وقد لعن الله ابليس بخطيئة واحدة بعد ان عبد الله تعالى مائتي الف سنة واخرج
ادم من الجنة بخطيئة واحدة مع كونه نبيه وصفيه **ويحك** يا نفس ما اغدرك **ويحك** يا نفس ما اوقحك
ويحك يا نفس ما اجهلك وما اجراك على المعاصي **ويحك** كم تعقدين فتنقضين **ويحك** كم
تعهدين كم تعهدين فتغدرين **ويحك** يا نفس اتشتغلين مع هذه الخطايا بعمارة دنياك كانك غير
مرتحلة عنها اما تنظرين الى اهل القبور كيف كانوا قد جمعوا كثيرا وبنوا مشيدا واملوا بعيدا فاصبح جمعهم
بورا وبنيانهم قبورا واملهم غرورا **ويحك** يا نفس اما لك بهم عبرة اما لك اليهم نظرة اتظنين انهم
دعوا الى الاخرة وانت من المخلدين هيهات هيهات ساء ما تتوهمين ما انت الا في هدم عمرك منذ سقطت
من بطن امك فابني على وجه الارض قصرك فان بطنها عن قريب يكون قبرك اما تخافين اذا بلغت النفس منك
التراقي ان تبدو رسل ربك منحدرة بسواد الالوان وكلوح الوجوه وبشرى العذاب فهل ينفعك حينئذ الندم او
يقبل منك الحزن او يرحم منك البكاء والعجب كل العجب منك يا نفس انك مع هذا تدعين البصيرة والفطنة ومن
فطنتك انك تفرحين كل يوم بزيادة مالك ولا تحزنين بنقصان عمرك وما نفع مال يزيد وعمر ينقص **ويحك**
يا نفس تعرضين عن الاخرة وهي مقبلة عليك وتقبلين على الدنيا وهي معرضة عنك فكم من مستقبل يوما لم
يستكمله ومؤمل لغد لم يبلغه وانت تشاهدين ذلك في اخوانك واقاربك وجيرانك وترين تحسرهم
عند الموت ثم لا ترجعين عن جهالتك فاحذري يا مسكينة يوما الى الله فيه على نفسه لا يترك فيه عبدا امره في الدنيا
ونهاه حتى يساله عن عمله دقيقه وجليله سره وعلانيته فانظري باي بدن تقفين بين يديه وباي لسان
تجيبين واعدي للسؤال جوابا وللجواب صوابا واعملي بقية عمرك في ايام قصار لايام طوال وفي دار زوال
لدار مقامة وفي دار حزن ونصب لدار نعيم وخلود واعملي قبل ان لا تعملي واخرجي من الدنيا اختيارا خروج
الاحرار قبل ان تخرجي منها على الاضطرار ولا تفرحي بما يساعدك من زهرات الدنيا فرب مسرور مغبون ورب مغبون لا يشعر
فويل لمن له الويل ثم لا يشعر يضحك ويفرح ويلهو ويمرح وياكل ويشرب وقد حق له في كتاب الله انه من وقود
النار فليكن نظرك يا نفس الى الدنيا اعتبارا وسعيك لها اضطرارا ورفضك لها اختيارا وطلبك
للاخرة ابتدارا ولا تكوني ممن يعجز عن شكر ما اوتي ويبتغي الزيادة فيما بقي وتنهى الناس ولا تنتهي واعلمي انه
ليس للدين عوض ولا للايمان بدل ولا للجسد خلف ومن كانت مطيته الليل والنهار فانه يسار به وان
لم يسر فاتعظي يا نفس بهذه الموعظة واقبلي هذه النصيحة فان من اعرض عن الموعظة فقد رضي بالنار
وما اراك بها راضية ولا لهذه الموعظة واعية فان كانت القساوة تمنعك عن قبول الموعظة فاستعيني

الموعظة

بدوام التهجد والقيام فان لم تزل فبالمواظبة على الصيام فان لم تزل فبقلة المخالطة والكلام فان لم تزل فبصلة
الارحام واللطف بالايتام فان لم تزل فاعلمي ان الله قد طبع على قلبك واقفل عليه وانه قد تراكمت ظلمة الذنوب
على ظاهره وباطنه فوطني نفسك على النار فقد خلق الله الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا وكل ميسر
لما خلق له فان لم يبق فيك مجال للوعظ فاقنطي من نفسك والقنوط كبيرة من الكبائر نعوذ بالله منها فلا
سبيل لك الى القنوط ولا سبيل لك الى الرجا مع انسداد طرق الخير عليك فان ذلك اغترار وليس برجاء فانظري
الان هل ياخذك حزن على هذه المصيبة التي ابتليت بها وهل تسمح عينك بدمعة رحمة منك على نفسك فان
سمحت فستقى الدمع من بحر الرحمة فقد بقي فيك موضع للرجا فواظبي على النياحة والبكاء واقتدي بابيك ادم عليه السلام
واستغيثي بارحم الراحمين واشتكي الى اكرم الاكرمين وادمني الاستغاثة ولا تملي طول الشكاية لعله ان يرحم ضعفك
ويغيثك فان مصيبتك قد عظمت وبليتك قد تفاقمت وتماديك قد طال وقد انقطعت منك الحيل
وراحت عنك العلل فلا مذهب ولا مطلب ولا مستغاث ولا مهرب ولا منجا ولا ملجا الا الى مولاك فافزعي
اليه بالتضرع واخشعي في تضرعك على قدر عظم جهلك وجرمك وكثرة ذنوبك لانه يرحم المتضرع الذليل
ويغيث الطالب المتلهف ويجيب دعوة المضطر الذليل وقد اصبحت والله مضطرة والى رحمته محتاجة
وقد ضاقت بك السبل واستدت عليك الطرق وانقطعت منك الحيل ولم تنجع فيك العظات ولم
يكسرك التوبيخ فالمطلوب منه كريم والمسؤل جواد والمستغاث به برؤف والرحمة واسعة والكرم فايض والعفو
شامل وقولي يا ارحم الراحمين يا رحمن يا رحيم يا حليم يا عظيم يا كريم انا المذنب المصر انا الجريء الذي لا اقلع انا
المتمادي الذي لا استحي هذا مقام المتضرع المسكين والبايس الفقير والضعيف الحقير والهالك
الغريق فعجل اغاثتي وفرجي وارني اثار رحمتك واذقني برد عفوك ومغفرتك وارزقني قوة عصمتك يا ارحم
الراحمين اقتداء بابيك ادم عليه الصلاة والسلام **وقد قال** وهب بن منبه لما اهبط الله تعالى ادم عليه الصلاة والسلام
الى الارض من الجنة مكث لا ترقا دموعه فاطلع الله تعالى عليه في اليوم السابع وهو محزون كئيب كظيم منكس راسه فاوحى الله اليه
يا ادم ما هذا الجهد الذي ارى بك قال يا رب عظمت مصيبتي واحاطت بي خطيئتي واخرجت من ملكوت ربي
فصرت في دار الهوان بعد الكرامة وفي دار الشقا بعد السعادة وفي دار النصب بعد الراحة وفي دار البلا بعد العافية
وفي دار الزوال بعد القرار وفي دار الموت والفنا بعد الخلود والبقا فكيف لا ابكي على خطيئتي فاوحى الله تعالى
اليه يا ادم الم اصطفك لنفسي واحللتك داري وخصصتك بكرامتي وحذرتك سخطي الم اخلقك بيدي
ونفخت فيك من روحي واسجدت لك ملائكتي فعصيت امري ونسيت عهدي وتعرضت لسخطي فوعزتي
لو ملات الارض رجالا كلهم مثلك يعبدوني ويسبحوني ثم عصوني لانزلتهم منازل العاصين فبكى ادم عند ذلك
ثلثمائة عام **وكان** عبيد الله البجلي كثير البكاء يقول في بكائه طول الليل الهي انا الذي كلما طال عمري زادت ذنوبي
انا الذي كلما هممت بترك خطيئة عرضت لي شهوة اخرى واعبيداه خطيئة لم تبل وصاحبها في طلب اخرى
واعبيداه ان كانت المقامع لراسك تهيا واعبيداه قضيت حاجة الطالبين ولعل حاجتك لا تقضى **وقال**
منصور بن عمار سمعت في بعض الليالي بالكوفة عابدا يناجي ربه وهو يقول يا رب وعزتك ما اردت بمعصيتي
مخالفتك ولا عصيتك اذ عصيتك وانا بمكانك جاهل ولا لعقوبتك متعرض ولا لنظرك
مستخف ولكن سولت لي نفسي واعانني على ذلك شقوتي وغرني سترك المرخي علي فعصيتك
بجهلي وخالفتك بفعلي فمن عذابك الان من يستنقذني او بحبل من اعتصم ان قطعت حبلك عني
واسوءتاه من الوقوف بين يديك غدا اذا قيل للمخفين جوزوا وللمثقلين حطوا امع المخفين اجوز ام مع المثقلين احط

ويلي كلما كبر سني كثرت ذنوبي ويلي كلما طال عمري كثرت معاصي فكم اتوب وكم اعود اما ان لي ان استحي
من ربي فهذه طرق القوم في مناجاة مولاهم وفي معاتبة نفوسهم وانما مطلبهم من المناجاة الاسترضاء
ومقصودهم من المعاتبة التنبيه والاسترعاء فمن اهمل المعاتبة والمناجاة لم يكن لنفسه مراعيا ويوشك ان لا

يكون الله عنه راضيا

كتاب التفكر وهو التاسع من المنجيات

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي لم يقدر لانتهاء عزته نحوا ولا قطرا ولم يجعل لمرقى اقدام الاوهام
ومرمى سهام الافهام الى حمى عظمته مجرى بل ترك قلوب الطالبين في بيدا كبريائه والهة حيرى كلما اهتزت
لنيل مطلوبها ردتها سبحات الجلال قسرا واذا همت بالانصراف ايسة نوديت من سرادقات الجمال
صبرا صبرا ثم قيل لها اجيلي في ذل العبودية منك فكرا لانك لو تفكرت في جلال الربوبية لم تقدري
له قدرا وان طلبت وراء الفكر في صفاتك امرا فانظري في نعم الله واياديه كيف توالت عليك
تترى وجددي لكل نعمة منها ذكرا وشكرا وتاملي في بحار المقادير كيف فاضت على العالمين خيرا وشرا
ونفعا وضرا وعسرا ويسرا وفوزا وخسرا وجبرا وكسرا وطيا ونشرا وايمانا وكفرا وعرفانا
ونكرا وان جاوزت النظر في الافعال الى النظر في الذات فقد حاولت امرا امرا وخاطرت بنفسك
مجاوزة حد طاقة البشرية ظلما وجورا فقد انبهرت العقول دون مبادي اشراقه وانتكصت على اعقابها
اضطرارا وقهرا والصلاة على محمد وان كان سيد ولد ادم ولم يعد سيادته فخرا صلاة تبقى لنا في عرصات
القيامة عدة وذخرا وعلى اله واصحابه الذين اصبح كل واحد منهم في سماء الدين بدرا ولطوايف المسلمين
صدرا وسلم كثيرا **اما بعد** فقد وردت السنة بان تفكر ساعة خير من عبادة سنة
وكثر الحث على التدبر والاعتبار والنظر والافتكار ولا يخفى ان الفكر هو مفتاح الانوار ومبدا الاستبصار
وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم واكثر الناس قد عرفوا فضله ورتبته لكن جهلوا
حقيقته وثمرته ومصدره ومورده ومجراه ومسيره ومسرحه وطريقه وكيفيته ولم يعلموا انه
كيف يتفكر وفيماذا يتفكر ولماذا يتفكر وما الذي يطلب به اهو مراد لعينه او لثمرة تستفاد منه
فان كان لثمرة فما تلك الثمرة اهي من العلوم او من الاحوال او منهما جميعا وكشف جميع ذلك مهم ونحن نذكر
اولا فضيلة التفكر ثم حقيقة التفكر وثمرته ثم مجاري الفكر ومسارحه ان شاء الله تعالى

فضيلة التفكر

قد امر الله تعالى بالتفكر والتدبر في كتابه العزيز في مواضع لا تحصى واثنى على المتفكرين
فقال تعالى الذين يتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا وقد قال ابن عباس ان قوما تفكروا
في الله تعالى فقال النبي صلى الله عليه وسلم تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله فانكم لن تقدروا قدره وعن النبي
انه خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال ما لكم لا تتكلمون فقالوا نتفكر في خلق الله تعالى قال فكذلك
فافعلوا تفكروا في خلقه ولا تتفكروا فيه فان بهذا المغرب ارضا بيضاء نورها بياضها وبياضها نورها
مسيرة الشمس اربعين يوما بها خلق من خلق الله تعالى لم يعصوا الله تعالى طرفة عين قالوا يا رسول الله فاين
الشيطان عنهم قال ما يدرون خلق الشيطان ام لا قالوا امن ولد ادم قال لا يدرون خلق ادم ام لا
وعن عطاء قال انطلقت انا وعبيد بن عمير الى عايشة وبيننا وبينها حجاب فقالت يا عبيد
ما يمنعك من زيارتنا قلت قول النبي صلى الله عليه وسلم زر غبا تزدد حبا قلت فاخبرينا باعجب شي
رايتيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكت وقالت كل امره كان عجبا اتاني في ليلتي حتى مس جلده

جلدي ثم قال ذريني أتعبد لربي تعالى فقام إلى القربة فتوضأ منها ثم قام يصلي فبكى حتى بل لحيته ثم سجد حتى بل الأرض ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح فقال يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال ويحك يا بلال وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله تعالى علي في هذه الليلة إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها فقيل للأوزاعي ما غاية التفكر فيهن قال يقرؤهن ويعقلهن وعن محمد بن واسع أن رجلا من أهل البصرة ركب إلى أم ذر بعد موت أبي ذر فسألها عن عبادة أبي ذر فقالت كان نهاره أجمع في ناحية يتفكر. وعن الحسن قال تفكر ساعة خير من قيام ليلة وعن الفضيل قال الفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك. وقيل لإبراهيم إنك تطيل الفكرة فقال الفكرة مخ العقل وكان الفضيل بن عيينة كثيرا ما يتمثل ويقول

إذا المرء كانت له فكرة ففي كل شيء له عبرة

وعن طاوس قال قال الحواريون لعيسى عليه الصلاة والسلام يا روح الله هل على الأرض اليوم مثلك فقال نعم من كان منطقه ذكرا وصمته فكرا ونظره عبرة فإنه مثلي وقال الحسن من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو ومن لم يكن نظره اعتبارا فهو لهو وفي قوله تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق قال أمنع قلوبهم التفكر في أمري وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطوا أعينكم حظها من العبادة قالوا يا رسول الله وما حظها من العبادة قال النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه وعن امرأة كانت تسكن البادية قريبا من مكة أنها قالت لو تطالعت قلوب المتقين بفكرها إلى ما قد ادخر لها في حجب الغيوب من خير الآخرة لم يصف لهم في الدنيا عيش ولم تقر لهم في الدنيا عين وكان لقمان يطيل الجلوس وحده فكان يمر به مولاه فيقول يا لقمان إنك تديم الجلوس وحدك فلو جلست مع الناس كان آنس لك فيقول لقمان إن طول الوحدة أفهم للفكر وطول الفكر دليل على طريق الجنة وقال عمر بن عبد العزيز الفكرة في نعم الله من أفضل العبادة وقال وهب بن منبه ما طالت فكرة امرئ قط إلا علم وما علم امرؤ قط إلا عمل. وقال عبد الله بن المبارك يوما لسهل بن علي ورآه متفكرا أين بلغت قال الصراط. وقال بشر لو تفكر الناس في عظمة الله تعالى ما عصوا الله تعالى وعن ابن عباس ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة بلا قلب وبينا أبو شريح يمشي إذ جلس فتقنع بكسائه فجعل يبكي فقيل له ما يبكيك قال تفكرت في ذهاب عمري وقلة عملي واقتراب أجلي وقال أبو سليمان عودوا أعينكم البكاء وقلوبكم التفكر وقال حاتم الفكرة في الدنيا حجاب عن الآخرة وعقوبة لأهل الولاية والفكرة في الآخرة يورث الحكمة ويحيي القلوب. وقال حاتم من العبرة يزيد العلم ومن الذكر يزيد الحب ومن التفكر يزيد الخوف وقال ابن عباس التفكر في الخير يدعو إلى العمل به والندم على الشر يدعو إلى تركه ويروى أن الله تعالى قال في بعض كتبه إني لست أقبل كلام كل حكيم ولكن أنظر إلى همه وهواه فإذا كان همه وهواه لي جعلت صمته تفكرا وكلامه حمدا وإن لم يتكلم وقال الحسن إن أهل العقل لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر وبالفكر على الذكر حتى استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة. وقال أبو إسحق بن خلف كان داود الطائي على سطح في ليلة قمراء فتفكر في ملكوت السموات والأرض وهو ينظر إلى السماء ويبكي حتى وقع في دار جار له قال فوثب صاحب الدار من فراشه عريانا وبيده سيف وظن أنه لص فلما نظر إلى داود رجع ووضع السيف وقال من ذا الذي طرحك من السطح قال ما شعرت بذلك وقال الجنيد أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد والتنسم بنسيم المعرفة والشرب بكأس المحبة من بحر الوداد والنظر بحسن الظن بالله تعالى ثم قال يا لها من مجالس ما أجلها ومن شراب ما ألذه طوبى لمن رزقه وقال الشافعي استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكر وقال أيضا صحة النظر في الأمور نجاة من الغرور والعزم في الرأي سلامة من التفريط والندم والروية والفكر يكشفان عن الحزم والفطنة

وشاوروا الحكماء ثبات في النفس وقوة في البصيرة ففكر قبل أن تعزم وتدبر قبل أن تهجم وشاور قبل أن تقدم وقال أيضا الفضائل أربع إحداها الحكمة وقوامها الفكرة والثانية العفة وقوامها في ترك الشهوة والثالثة القوة وقوامها في ترك الغضب والرابعة العدل وقوامه في اعتدال قوى النفس فهذه أقاويل العلماء في الفكرة وما شرع أحد منهم في ذكر حقيقتها وبيان مجاريها

بيان حقيقة التفكر وثمرته

اعلم أن معنى الفكر هو إحضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة ومثاله أن من مال إلى العاجلة وآثر الحياة الدنيا وأراد أن يعرف أن الآخرة أولى بالإيثار فله طريقان أحدهما أن يسمع من غيره أن الآخرة أولى بالإيثار فيقلده ويصدقه من غير بصيرة بحقيقة الأمر فيميل بعمله إلى إيثار الآخرة اعتمادا على مجرد قوله وهذا يسمى تقليدا ولا يسمى معرفة والطريق الثاني أن يعرف أن الأبقى أولى بالإيثار ثم يعرف أن الآخرة أبقى فيحصل له من هاتين المعرفتين معرفة ثالثة وهو أن الآخرة أولى بالإيثار ولا يمكن تحقق المعرفة بأن الآخرة أولى بالإيثار إلا بالمعرفتين السابقتين فإحضار المعرفتين السابقتين في القلب للتوصل به إلى المعرفة الثالثة يسمى تفكرا واعتبارا وتذكرا ونظرا وتأملا وتدبرا أما التأمل والتدبر والتفكر فعبارات مترادفة على معنى واحد ليس تحتها معان مختلفة وأما اسم التذكر والاعتبار والنظر فهي مختلفة المعاني وإن كان أصل المسمى واحدا كما أن اسم الصارم والمهند والسيف يتوارد على شيء واحد ولكن باعتبارات مختلفة فالصارم يدل على السيف من حيث هو قاطع والمهند يدل عليه من حيث نسبته إلى موضعه والسيف يدل دلالة مطلقة من غير إشعار بهذه الزوائد فكذلك الاعتبار ينطلق على إحضار المعرفتين من حيث إنه يعبر منهما إلى معرفة ثالثة فإن لم يقع العبور ولم يكن إلا الوقوف على المعرفتين فينطلق عليه اسم التذكر لا اسم الاعتبار وأما النظر والتفكر فيقع عليه من حيث إن فيه طلب معرفة ثالثة فمن ليس يطلب المعرفة الثالثة لا يسمى ناظرا فكل متفكر فهو متذكر وليس كل متذكر متفكرا وفائدة التذكار تكرار المعارف على القلب لترسخ وتثبت ولا تنمحي عن القلب وفائدة التفكر تكثير العلم واستجلاب معرفة ليست حاصلة فهذا هو الفرق بين التفكر والتذكر والمعارف إذا اجتمعت في القلب وازدوجت على ترتيب مخصوص أثمرت معرفة أخرى فالمعرفة نتاج المعرفة فإذا حصلت معرفة أخرى وازدوجت مع معرفة أخرى حصل من ذلك نتاج آخر وهكذا يتمادى النتاج وتتمادى العلوم ويتمادى الفكر إلى غير نهاية وإنما ينسد طريق زيادة المعارف بالموت أو بالعوائق هذا لمن لا يقدر على استثمار العلوم ويهتدي إلى طريق التفكر وأما أكثر الناس فإنما منعوا الزيادة في العلوم لفقدهم رأس المال وهو المعارف التي بها تستثمر العلوم كالذي لا بضاعة له فإنه لا يقدر على الربح وقد يملك البضاعة ولكن لا يحسن صناعة التجارة فلا يربح شيئا فكذلك قد يكون معه من المعارف ما هو رأس مال العلوم ولكنه ليس يحسن استعمالها وتأليفها وإيقاع الازدواج المفضي إلى النتاج فيها ومعرفة طريق الاستعمال والاستثمار تارة تكون بنور إلهي في القلب يحصل بالفطرة كما كان للأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه وذلك عزيز جدا وقد تكون بالتعلم والممارسة وهو الأكثر ثم المتفكر قد تحضره هذه المعارف وتحصل له الثمرة وهو لا يشعر بكيفية حصولها ولا يقدر على التعبير عنها لقلة ممارسته لصناعة التعبير في الإيراد فكم من إنسان يعلم أن الآخرة أولى بالإيثار علما حقيقيا ولو سئل عن سبب معرفته لم يقدر على إيراده والتعبير عنه مع أنه لم تحصل معرفته إلا عن المعرفتين السابقتين وهو أن الأبقى أولى بالإيثار وأن الآخرة أبقى من الدنيا فيحصل له معرفة ثالثة وهو أن الآخرة أولى بالإيثار فرجع حاصل حقيقة الفكر إلى إحضار معرفتين للتوصل بهما إلى معرفة ثالثة وأما ثمرة الفكر فهي العلوم والأحوال والأعمال ولكن ثمرته الخاصة العلم لا غير نعم إذا حصل العلم في القلب تغير حال القلب وإذا تغير حال القلب تغيرت أعمال الجوارح فالعمل تابع الحال والحال تابع العلم والعلم تابع الفكر فالفكر إذا هو المبدأ والمفتاح للخيرات كلها وهذا هو الذي يكشف لك عن فضيلة التفكر وأنه خير من الذكر والتذكر لأن في الفكر ذكرا وزيادة وذكر القلب خير من عمل الجوارح بل شرف العمل لما فيه من الذكر فإذا التفكر أفضل من جملة الأعمال ولذلك قيل تفكر ساعة خير من عبادة سنة فقيل هو الذي ينقل من المكاره إلى المحاب ومن الرغبة والحرص إلى الزهد والقناعة وقيل هو الذي يحدث مشاهدة وتقوى ولذلك قال تعالى لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا

وان اردت ان تفهم كيفية تغير الحال بالفكر فمثاله ما ذكرناه من امر الآخرة فان الفكر فيه يعرفنا ان الآخرة اولى بالايثار فاذا رسخت هذه المعرفة يقينا في قلوبنا تغيرت القلوب الى الرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا وهذا ما عنيناه بالحال اذ كان حال القلب قبل هذه المعرفة حب العاجلة والميل اليها والنفرة عن الآخرة وقلة الرغبة فيها وبهذه المعرفة تغير حال القلب وتبدلت ارادته ورغبته ثم اثمر تغير الارادة اعمال الجوارح في اطراح الدنيا والاقبال على اعمال الآخرة فههنا خمس درجات اولها التذكر واحضار المعرفتين في القلب وثانيها التفكر وهو طلب المعرفة المقصودة منهما والثالثة حصول المعرفة المطلوبة واستنارة القلب بها والرابعة تغير حال القلب عما كان بسبب حصول نور المعرفة والخامسة خدمة الجوارح للقلب بحسب ما يتجدد له من الحال فكما يضرب الحجر على الحديد فيخرج منه نار يستضيء بها الموضع فتصير العين مبصرة بعد ان لم تكن مبصرة وتنتهض الاعضاء للعمل فكذلك زناد نور المعرفة هو الفكر فيجمع بين المعرفتين كما يجمع بين الحجر والحديد ويؤلف بينهما تأليفا مخصوصا كما يضرب الحجر على الحديد ضربا مخصوصا فتنبعث نور المعرفة كما تنبعث النار من الحديد ويتغير القلب بسبب هذا النور حتى يميل الى ما لم يكن يميل اليه كما يتغير البصر بنور النار فيرى ما لم يكن يراه ثم تنتهض الاعضاء للعمل بمقتضى حال القلب كما ينتهض العاجز عن العمل بسبب الظلمة للعمل عند ادراك البصر ما لم يكن يبصره فاذا ثمرة الفكر العلوم والاحوال والعلوم لا نهاية لها والاحوال التي يتصور ان تتغير على القلب لا يمكن حصرها فلهذا لو اراد مريد ان يحصر فنون الفكر ومجاريه وانه فيماذا يتفكر لم يقدر عليه لان مجاري الفكر غير محصورة وثمراته غير متناهية نعم نجتهد في ضبط مجاريه بالاضافة الى مهمات العلوم الدينية وبالاضافة الى الاحوال التي هي مقامات السالكين ويكون ذلك ايضا جمليا فان تفصيل ذلك يستدعي شرح العلوم كلها وجملة هذه الكتب كالشرح لبعضها فانها مشتملة على علوم تلك العلوم تستفاد من افكار مخصوصة فلنشر الى الضبط الجامع فيها ليحصل الوقوف على مجاري الفكر

بيان مجاري الفكر

اعلم ان الفكر قد يجري في امر يتعلق بالدين وقد يجري فيما يتعلق بغير الدين وانما غرضنا فيما يتعلق بالدين فلنترك القسم الآخر ونعني بالدين المعاملة التي بين العبد وبين الرب تعالى فجميع افكار العبد اما ان تتعلق بالعبد وصفاته واما ان تتعلق بالمعبود وصفاته وافعاله لا يمكن ان يخرج عن هذين القسمين وما يتعلق بالعبد اما ان يكون نظرا فيما هو محبوب عند الرب تعالى او فيما هو مكروه ولا حاجة الى الفكر في غير هذين القسمين وما يتعلق بالرب تعالى اما ان يكون نظرا في ذاته وصفاته واسمائه الحسنى واما ان يكون نظرا في افعاله وملكه وملكوته وجميع ما في السموات والارض وما بينهما وينكشف لك انحصار الفكر في هذه الاقسام بمثال وهو ان حال السائرين الى الله تعالى والمشتاقين الى لقائه يضاهي حال العشاق فلنتخذ العاشق المستهتر مثالنا

فنقول العاشق المستغرق الهم بعشقه لا يعدو فكره عن ان يتعلق بمعشوقه او بنفسه فان تفكر في معشوقه فاما ان يتفكر في جماله وحسن صورته في ذاته ليتنعم بالفكر ومشاهدته واما ان يتفكر في افعاله اللطيفة الحسنة الدالة على اخلاقه وصفاته ليكون ذلك مضعفا للذته ومقويا لمحبته وان تفكر في نفسه فيكون فكره اما في صفاته التي تسقطه من عين محبوبه حتى يتنزه عنها او في الصفات التي تقربه منه وتحببه اليه حتى يتصف بها فان تفكر في شيء خارج من هذه الاقسام فذلك خارج من حد العشق وهو نقصان فيه لان العشق التام الكامل ما يستغرق العاشق ويستوفي القلب حتى لا يترك فيه متسعا لغيره فمحب الله تعالى ينبغي ان يكون كذلك فلا يعدو نظره وتفكره محبوبه ومهما كان تفكره محصورا في هذه الاقسام الاربعة لم يكن خارجا عن مقتضى المحبة اصلا فلنبدأ بالقسم الاول وهو تفكره في صفات نفسه ليميز المحبوب منها عن المكروه فان هذا الفكر هو الذي يتعلق بعلم المعاملة الذي هو مقصود هذا الكتاب واما القسم الآخر فيتعلق بعلم المكاشفة ثم كل واحد مما هو مكروه او محبوب عند الله ينقسم الى ظاهر كالطاعات والمعاصي والى باطن كالصفات المنجيات والمهلكات التي محلها القلب وقد ذكرنا تفصيلها في ربع المهلكات والمنجيات والطاعات والمعاصي تنقسم الى ما يتعلق بالاعضاء السبعة والى ما ينسب الى جميع البدن كالفرار من الزحف وعقوق الوالدين والسكون في المسكن الحرام ويجب في كل واحد من المكاره التفكر في ثلاثة امور الاول التفكر في انه هل هو مكروه عند الله ام لا فرب شيء لا يظهر كونه مكروها بل يدرك بدقيق الفكر والثاني التفكر في انه ان كان مكروها فما طريق الاحتراز عنه والثالث ان هذا المكروه هل هو متصف به في الحال فيتركه او يتعرض له في الاستقبال فيحترز عنه او قارفه فيما مضى من الاحوال فيحتاج الى تداركه وكذلك كل واحد من المحبوبات ينقسم هذه الانقسامات فاذا جمعت هذه الاقسام زادت مجاري الفكر في هذه الاقسام على مائة والعبد مدفوع الى التفكر اما في جميعها او في اكثرها وشرح آحاد هذه الاقسام يطول ولكن انحصر هذه الاقسام في اربعة انواع الطاعات والمعاصي والصفات المهلكات والصفات المنجيات فلنذكر في كل نوع مثالا

يستبين به المريد سائرها وينفتح له باب التفكر فيتسع عليه طريقه

النوع الاول

المعاصي ينبغي ان يفتش العبد صبيحة كل يوم جميع اعضائه السبعة تفصيلا ثم بدنه على الجملة هل هو في الحال ملابس لمعصية بها فيتركها او لابسها بالامس فيتداركها بالترك والندم او هو متعرض لها في نهاره فيستعد للاحتراز والتباعد عنها فينظر في اللسان ويقول انه متعرض للغيبة والكذب وتزكية النفس والاستهزاء بالغير والمماراة والممازحة والخوض فيما لا يعني الى غير ذلك من المكاره فيقرر اولا في نفسه انها مكروهة عند الله تعالى ويتفكر في شواهد القرآن والسنة على شدة العذاب فيها ثم يتفكر في احواله انه كيف يتعرض لها من حيث لا يشعر ثم يتفكر انه كيف يحترز منها ويعلم انه لا يتم له ذلك الا بالعزلة والانفراد او بان لا يجالس الا صالحا تقيا ينكر عليه مهما تكلم بما يكرهه الله تعالى او يضع حجرا في فيه اذا جالس غيره حتى يكون ذلك مذكرا له فهكذا يكون الفكر في حيلة الاحتراز ويتفكر في سمعه انه يصغي به الى الغيبة والكذب وفضول الكلام والى اللهو والبدعة وان ذلك انما يسمعه من زيد ومن عمرو وانه كيف ينبغي ان يحترز عنهم بالاعتزال او بالنهي عن المنكر مهما سمع ذلك ويتفكر في بطنه انه انما يعصي الله تعالى فيه بالاكل والشرب اما بكثرة الاكل من الحلال فان ذلك مكروه عند الله تعالى ومقو للشهوة التي هي سلاح الشيطان عدو الله تعالى واما باكل الحرام والشبهة فينظر من اين مطعمه وملبسه ومسكنه ومكسبه وما مكسبه ويتفكر في طرق الحلال ومداخله ويتفكر في وجوه الحيلة في الاكتساب منه والاحتراز من الحرام ويقرر على نفسه ان العبادات كلها ضائعة مع اكل الحرام وان اكل الحلال هو اساس العبادات كلها وان الله تعالى لا يقبل صلاة عبد في ثمن ثوبه درهم من حرام كما ورد به الخبر فهكذا يتفكر في اعضائه ففي هذا القدر كفاية عن الاستقصاء فمهما حصل بالتفكر حقيقة المعرفة بهذه الاحوال اشتغل بالمراقبة طول النهار حتى يحفظ الاعضاء عنها

واما النوع الثاني

وهو الطاعات فينظر اولا في الفرائض المكتوبة عليه انه كيف يؤديها وكيف يحرسها عن النقصان والتقصير او كيف يجبر نقصانها بكثرة النوافل ثم يرجع الى عضو عضو فيتفكر في الافعال التي تتعلق بها مما يحبه الله تعالى فيقول مثلا ان العين خلقت للنظر في ملكوت السموات والارض عبرة ولتستعمل في طاعة الله تعالى وتنظر في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وانا قادر على ان اشغل العين بمطالعة القرآن والسنة فلم لا افعله وانا قادر على ان انظر الى فلان المطيع بعين التعظيم فادخل السرور على قلبه وانظر الى فلان الفاسق بعين الازدراء فازجره بذلك عن معصية الله فلم لا افعله وكذلك يقول في سمعه اني قادر على استماع كلام ملهوف او استماع حكمة وعلم او استماع قرآن وذكر فما لي اعطله وقد انعم الله علي به واودعنيه لاشكره فما لي اكفر نعمة الله فيه بتضييعه وتعطيله وكذلك يتفكر في اللسان ويقول اني قادر على ان اتقرب الى الله تعالى بالتعليم والوعظ والتودد الى قلوب اهل الصلاح وبالسؤال عن احوال الفقراء وادخال السرور على قلب زيد الصالح وعمرو العالم بكلمة طيبة وكل كلمة طيبة فانها صدقة وكذلك يتفكر في ماله فيقول انا قادر على ان اتصدق بالمال الفلاني فاني مستغن عنه ومهما احتجت اليه رزقني الله تعالى مثله وان كنت محتاجا الآن فانا الى ثواب الايثار احوج مني الى ذلك المال وهكذا يفتش عن جميع اعضائه وجملة بدنه وامواله بل عن دوابه وغلمانه واولاده فان كل ذلك ادواته واسبابه ويقدر على ان يطيع الله تعالى بها فيستنبط بدقيق الفكر وجوه الطاعات الممكنة بها ويتفكر فيما يرغبه في البدار الى تلك الطاعات ويتفكر في اخلاص النية فيها ويطلب لها مظان الاستحقاق حتى يزكو بها عمله وقس على هذا سائر الطاعات

واما النوع الثالث

وهو الصفات المهلكات التي محلها القلب فيعرفها مما ذكرناه في ربع المهلكات وهي استيلاء الشهوة والغضب والبخل والكبر والعجب والرياء والحسد وسوء الظن والغفلة والغرور وغير ذلك ويتفقد من قلبه هذه الصفات فان ظن ان قلبه منزه عنها فيتفكر في كيفية امتحانه والاستشهاد بالعلامات عليه فان النفس ابدا تعد بالخير من نفسها وتخلف فاذا ادعت البراءة والتواضع من الكبر فينبغي ان تجرب نفسه بحمل حزمة حطب في السوق كما كان الاولون يجربون به انفسهم واذا ادعت الحلم تعرض لغضب يناله من غيره ثم يجربها في كظم الغيظ وكذلك في سائر الصفات وهذا تفكر في انه هل هو موصوف بالصفة المكروهة ام لا ولها علامات ذكرناها في ربع المهلكات فاذا دلت العلامة على وجوده فيتفكر في الاسباب التي تقبح تلك الصفات عنده وتبين له ان منشأها من الجهل والغفلة وخبث الدخلة كما لو رأى في نفسه عجبا بالعمل فيتفكر ويقول انما عملي ببدني وجارحتي وبقدرتي وارادتي وكل ذلك ليس مني ولا الي وانما هو من خلق الله وفضله علي فهو الذي خلقني وخلق جارحتي وخلق قدرتي وارادتي وهو الذي حرك اعضائي بقدرته فكيف اعجب بعملي او بنفسي ولا قوام لنفسي بنفسي واذا احس في نفسه بالكبر قرر على نفسه ما فيه من الحماقة ويقول لها لم ترين نفسك اكبر والكبير من هو كبير عند الله تعالى وذلك ينكشف بعد الموت وكم من كافر في الحال يموت مقربا الى الله تعالى بنزوعه عن الكفر وكم من مسلم

يوجب شيئا بتغير حاله عند سوء الخاتمة فاذا عرف ان الكبر مهلك وان اصله الحماقة فيتفكر في علاج ازالته بان يتعاطى افعال المتواضعين
واذا وجد في نفسه شهوة الطعام وشرهه فليتفكر في ان هذه صفة البهائم ولو كان في شهوة الطعام والوقاع كمال لكان ذلك من صفات الله
تعالى وصفات الملائكة كالعلم والقدرة ولما اتصف به البهائم ومهما كان الشره عليه اغلب كان بالبهائم اشبه وعن الملائكة المقربين ابعد
وكذلك يقرر في نفسه في الغضب ثم يتفكر في طريق العلاج وكل ذلك قد ذكرناه في هذه الكتب فمن يريد ان يتسع له طريق الفكر فلا بد له من تحصيل
ما في هذه الكتب واما النوع الرابع وهو المنجيات فهو التوبة والندم على الذنوب والصبر على البلاء والشكر على النعماء والخوف
والرجاء والزهد في الدنيا والاخلاص والصدق في الطاعات ومحبة الله تعالى وتعظيمه والرضا بافعاله والشوق اليه والخشوع والتواضع له
وكل ذلك ذكرناه في هذا الربع وذكرنا اسبابه وعلاماته فليتفكر العبد كل يوم في قلبه ما الذي يعوزه من هذه الصفات التي هي المقربة الى الله تعالى
فاذا افتقر الى شيء منها فليعلم انها احوال لا يثمرها الا علوم وان العلوم لا يثمرها الا افكار فاذا اراد ان يكتسب لنفسه حالة التوبة والندم
فليفتش ذنوبه اولا وليتفكر فيها وليجمعها على نفسه وليعظمها في قلبه ثم لينظر في الوعيد والتشديد الذي ورد في الشرع فيه وليتحقق عند
نفسه انه متعرض لمقت الله تعالى حتى ينبعث له حال الندم واذا اراد ان يستثير من قلبه حال الشكر فلينظر في احسان الله اليه واياديه عليه في ارسال
جميل ستره عليه على ما شرحنا بعضه في كتاب الشكر وليطالع ذلك واذا اراد حال المحبة والشوق فليتفكر في جلال الله وجماله وعظمته وكبريائه
وذلك بالنظر في عجائب حكمته وبدائع صنعه كما سنرمز الى طرف منه في القسم الثاني من الفكر واذا اراد حال الخوف فلينظر اولا في ذنوبه الظاهرة
والباطنة ثم لينظر في الموت وسكراته ثم فيما بعده من سؤال منكر ونكير وعذاب القبر وحياته وعقاربه وديدانه ثم في هول النداء عند نفخة
الصور ثم في هول المحشر عند جمع الخلائق على صعيد واحد ثم في المناقشة في الحساب والمضايقة في النقير والقطمير ثم في الصراط ودقته وحدته
ثم في خطر الامر عنده انه يصرف الى الشمال فيكون من اصحاب النار او يصرف الى اليمين وينزل دار القرار ثم ليحضر بعد هول القيامة في قلبه صورة جهنم
ومقامعها واهوالها وسلاسلها واغلالها وزقومها وصديدها وانواع العذاب فيها وقبح صور الزبانية الموكلين بها وانه كلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا
غيرها وانهم كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وانهم اذا رأوها من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وهلم جرا الى جميع ما ورد
في القرآن من شرحها واذا اراد ان يستجلب حال الرجا فلينظر الى الجنة ونعيمها واشجارها وانهارها وحورها وولدانها ونعيمها المقيم وملكها الدائم فهكذا
طريق الفكر الذي يطلب به العلوم التي تثمر اجتلاب احوال محبوبة او التنزه عن صفات مذمومة وقد ذكرنا في كل واحد من هذه الاحوال كتابا مفردا
يستعان به على تفصيل الفكر واما تذكيره بمجامعه فلا يوجد فيه انفع من قراءة القرآن بالتفكر فانه جامع لجميع المقامات والاحوال وفيه شفاء
للعالمين فيه ما يورث الخوف والرجاء والصبر والشكر والمحبة والشوق وسائر الاحوال وفيه ما يزجر عن سائر الصفات المذمومة
فينبغي ان يقرأه العبد ويردد الآية التي هو محتاج الى التفكر فيها مرة بعد اخرى ولو مائة مرة فقراءة آية بتفكر وفهم خير
من ختمة بغير تدبر وفهم وليتوقف في التأمل فيها ولو ليلة واحدة فان تحت كل كلمة منها اسرارا لا تنحصر ولا يوقف عليها الا بدقيق
الفكر عن صفاء القلب بعد صدق المعاملة وكذلك مطالعة اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه قد اوتي جوامع الكلم وكل كلمة من كلماته
بحر من بحور الحكمة لو تأمله العالم حق تأمله لم ينقطع فيه نظره طول عمره وشرح احاد الآيات والاخبار يطول فانظر الى قوله
صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي احبب من احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت
فانك مجزي به فان هذه الكلمات جامعة حكم الاولين والآخرين وهي كافية للمتأملين فيها طول العمر ولو وقفوا على معانيها وغلبت على قلوبهم
غلبة يقين لاستغرقتهم ولحال ذلك بينهم وبين التلفت الى الدنيا بالكلية فهذا هو طريق الفكر في علوم المعاملة وصفات العبد
من حيث هي محبوبة عند الله تعالى او مكروهة والمبتدئ ينبغي ان يكون مستغرق الوقت في هذه الافكار حتى يعمر قلبه بالاخلاق المحمودة
والمقامات الشريفة وينزه باطنه وظاهره من المكاره وليعلم ان هذا مع انه افضل من سائر العبادات فليس هو غاية المطلب بل
المشغول به محجوب عن مطلب الصديقين وهو التنعم بالفكر في جلال الله تعالى وجماله واستغراق القلب بحيث يفنى عن نفسه اي ينسى نفسه واحواله
ومقاماته وصفاته فيكون مستغرق الهم بالمحبوب كالعاشق المستهتر عند لقاء الحبيب فانه لا يتفرغ للنظر في احوال نفسه واوصافه
بل يبقى كالمبهوت الغافل عن نفسه وهو منتهى لذة العشاق فاما ما ذكرناه فهو نظر في عمارة الباطن ليصلح للقرب والوصال فاذا ضيع

جميع عمره في اصلاح نفسه فمتى يتنعم بالقرب ولذلك كان الخواص يدور في البوادي فلقيه الحسين بن منصور فقال فيم انت
فقال ادور في البوادي اصحح حالي في التوكل فقال الحسين قد افنيت عمرك في عمران باطنك فاين الفناء في التوحيد والفناء في الواحد
الحق هو غاية مقصد الطالبين ومنتهى نعيم الصديقين واما التنزه عن الصفات المهلكات فيجري مجرى الخروج
عن العدة في النكاح واما الاتصاف بالصفات المنجيات وسائر الطاعات فيجري مجرى تهيئة المرأة جهازها وتنظيفها
وجهها ومشطها شعرها لتصلح بذلك للقاء زوجها فان استغرقت جميع عمرها في تبرئة الرحم وتزيين الوجه كان ذلك حجابا
لها عن لقاء المحبوب فهكذا ينبغي ان تفهم طريق الدين ان كنت من اهل المجالسة وان كنت كالعبد السوء لا يتحرك الا خوفا من الضرب
وطمعا في الاجرة فدونك واتعاب البدن بالاعمال الظاهرة فان بينك وبين القلب حجابا كثيفا فاذا قضيت حق الاعمال
كنت من اهل الجنة ولكن للمجالسة اقوام آخرون واذا عرفت مجال الفكر في علوم المعاملة التي بين العبد وبين ربه فينبغي ان تتخذ ذلك
عادتك وديدنك صباحا ومساء فلا تغفل عن نفسك وعن صفاتك المبعدة من الله تعالى واحوالك المقربة اليه تعالى بل كل مريد
فينبغي ان يكون له جريدة يثبت فيها جملة الصفات المهلكات وجميع الصفات المنجيات وجملة المعاصي والطاعات ويعرض
نفسه عليها كل يوم ويكفيه من المهلكات النظر في عشرة فانه اذا سلم منها سلم من غيرها وهي البخل والكبر والعجب والرياء
والحسد وشدة الغضب وشره الطعام وحب المال وحب الجاه ومن المنجيات عشرة وهي الندم على الذنوب
والصبر على البلاء والرضا بالقضاء والشكر على النعماء واعتدال الخوف والرجاء والزهد في الدنيا والاخلاص في الاعمال وحسن الخلق
مع الخلق وحب الله تعالى والخشوع له فهذه عشرون خصلة عشرة مذمومة وعشرة محمودة فمهما كفي من المذمومات واحدة
منها فيخط عليها في جريدته ويدع الفكر فيها ويشكر الله تعالى على كفايته اياها وتنزيه قلبه عنها وليعلم ان ذلك لم يتم الا بتوفيق الله وعونه
ولو وكله الى نفسه لم يقدر على محو اقل الرذائل عن نفسه فيقبل على التسعة الباقية وهكذا يفعل حتى يخط على الجميع وكذا يطالب نفسه
بالاتصاف بالمنجيات فاذا اتصف بواحدة كالتوبة والندم مثلا خط عليها واشتغل بالباقي وهذا يحتاج اليه المريد المشمر
واما اكثر الناس المعدودين من الصالحين فينبغي ان يثبتوا في جريدتهم المعاصي الظاهرة كاكل الشبهة واطلاق اللسان بالغيبة
والنميمة والمراء والثناء على النفس والافراط في معاداة الاعداء وموالاة الاولياء والمداهنة مع الخلق في ترك الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر فان اكثر من يعد نفسه من وجوه الصالحين لا ينفك عن جملة من هذه المعاصي في جوارحه وما لم يطهر الجوارح
عن الآثام لا يمكن الاشتغال بعمارة القلب وتطهيره بل كل فريق من الناس يغلب عليهم نوع من المعصية فينبغي ان يكون تفقدهم
لها وتفكرهم فيها لا في معاص هم بمعزل عنها مثاله العالم الورع فانه لا يخلو في غالب الامر من اظهار نفسه بالعلم
وطلب الشهرة وانتشار الصيت اما بالتدريس او بالوعظ ومن فعل ذلك فقد تصدى لفتنة عظيمة لا ينجو منها الا الصديقون
فانه ان كان كلامه مقبولا حسن الوقع في القلوب لم ينفك عن الاعجاب والخيلاء والتزين والتصنع وذلك من المهلكات وان رد كلامه
لم يخل عن الغيظ والانفة والحقد على من يرده وهو اكثر من غيظه على من يرد كلام غيره وقد يلبس الشيطان عليه ويقول ان
غيظك من حيث انه رد الحق وانكره فان وجد تفرقة بين ان يرد عليه كلامه وبين ان يرد كلام عالم آخر فهو مغرور وضحكة للشيطان
ثم مهما كان له ارتياح بالقبول وفرح بالثناء واستنكاف من الرد والاعراض لم يخل عن تكلف وتصنع لتحسين اللفظ والايراد
حرصا على استجلاب الثناء والله لا يحب المتكلفين والشيطان قد يلبس عليه ويقول انما حرصك على تحسين الالفاظ والتكلف
فيها لينتشر الحق ويحسن موقعه في القلوب اعلاء لدين الله فان كان فرحه بحسن الفاظه وثناء الناس عليه اكثر من فرحه بثناء الناس
على واحد من اقرانه فهو مخدوع وانما يدندن حول طلب الجاه وهو يظن ان طلبه الدين ومهما اختلج ضميره بهذه الصفات ظهر
على ظاهره حتى يكون للموقر له والمعتقد لفضله اكثر احتراما ويكون بلقائه اشد استبشارا ممن يغلو في موالاة غيره
وان كان ذلك الغير مستحقا للموالاة وربما ينتهي الامر باهل العلم الى ان يتغايروا تغاير النساء فيشق على احدهم ان يختلف
بعض تلامذتهم الى غيرهم وان كان يعلم انه منتفع بغيره ومستفيد منه في دينه وكل هذا رشح الصفات المهلكات المستكنة

في سر القلب التي قد يظن العالم النجاة منها وهو مغرور فيها وانما يكشف ذلك بهذه العلامات فتنة العالم عظيمة وهو اما مالك واما هالك ولا مطمع له في سلامة العوام فمن احس في نفسه بهذه الصفات فالواجب عليه الانفراد والعزلة وطلب الخمول والدفع للفتاوى مهما سئل فقد كان المسجد يحوي في زمن الصحابة جماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم مفتون وكانوا يتدافعون الفتوى وكل من كان يفتي كان يود ان يكفيه غيره وعند هذا ينبغي ان يتقي شياطين الانس اذ قالوا لا تفعل هذا فان هذا الباب لو فتح لاندرست العلوم من بين الخلق وليقل لهم ان دين الاسلام مستغن عني فقد كان معمورا قبلي وكذلك يكون بعدي ولو مت لم تنهدم اركان الاسلام فالدين مستغن عني واما انا فلست مستغنيا عن اصلاح قلبي واما اداؤه الى اندراس العلم فخيال يدل على غاية الجهل فان الناس لو حبسوا في السجن وقيدوا بالقيود وتوعدوا بالنار على طلب العلم لكان حب العلو والرياسة يحملهم على كسر القيود وهدم حيطان الحصون والخروج منها والاشتغال بطلب العلم فالعلم لا يندرس ما دام الشيطان يحبب الى الخلق الرياسة والشيطان لا يفتر عن عمله الى يوم القيامة بل ينتهض لنشره اقوام لا نصيب لهم في الآخرة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم في الآخرة وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر فلا ينبغي ان يغتر العالم بهذه التلبيسات فيشتغل بمخالطة الخلق حتى يتربى في قلبه حب الجاه والثناء والتعظيم فان ذلك بذر النفاق قال صلى الله عليه وسلم حب الجاه والمال ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا من حب الجاه والمال في دين الرجل المسلم ولا ينقلع حب الجاه من القلب الا باعتزال الناس والهرب من مخالطتهم وترك كل ما يزيد جاهه في قلوبهم فليكن فكر العالم في التفطن لخفايا هذه الصفات من قلبه وفي استنباط طريق الخلاص منه وهذه وظيفة العالم التقي فاما امثالنا فينبغي ان يكون تفكرنا فيما يقوي ايماننا بيوم الحساب اذ لو رآنا السلف الصالحون لقالوا قطعا ان هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب فما اعمالنا اعمال من يؤمن بالجنة والنار فان من خاف شيئا هرب منه ومن رجا شيئا طلبه وقد علمنا ان الهرب من النار بترك الشبهات والحرام والمعاصي ونحن منهمكون فيها وان طلب الجنة بتكثير نوافل الطاعات ونحن مقصرون في الفرائض منها فلم يحصل لنا من ثمرة العلم الا انه يقتدى بنا في الحرص على الدنيا والتكالب عليها ويقال لو كان هذا مذموما لكان العلماء اولى باجتنابه منا فليتنا كنا كالعوام اذا متنا ماتت معنا ذنوبنا فما اعظم الفتنة التي تعرضنا لها لو تفكرنا فنسأل الله تعالى ان يصلحنا ويصلح بنا ويوفقنا للتوبة قبل ان يتوفانا انه الكريم اللطيف بنا المنعم علينا فهذه مجاري افكار العلماء والصالحين في علم المعاملة فان فرغوا منها انقطع التفاتهم عن انفسهم وارتقوا منها الى التفكر في جلال الله وعظمته والتنعم بمشاهدته بعين القلب ولا يتم ذلك الا بعد الانفكاك من جميع المهلكات والاتصاف بجميع المنجيات وان ظهر شيء منه قبل ذلك كان مدخولا معلولا مكدرا مقطوعا وكان ضعيفا كالبرق الخاطف لا يثبت ولا يدوم ويكون كالعاشق الذي خلا بمعشوقه ولكن تحت ثيابه عقارب تلدغه مرة بعد اخرى فتنغص عليه لذة المشاهدة ولا طريق له في كمال التنعم الا باخراج العقارب من ثيابه وهذه الصفات المذمومة عقارب وزنابير وهي مؤذيات ومشوشات وفي القبر يزيد المها على لدغ العقارب والحيات فهذا القدر كاف في التنبيه على مجاري فكر العبد في صفات نفسه المحبوبة والمكروهة عند ربه

القسم الثاني من الفكر في جلال الله وعظمته وكبريائه وفيه مقامان

المقام الاعلى الفكر في ذاته وصفاته ومعاني اسمائه وهذا مما منع منه حيث قيل تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله وذلك لان العقول تتحير فيه فلا يطيق مد البصر اليه الا الصديقون ثم لا يطيقون دوام النظر بل سائر الخلق احوال ابصارهم بالاضافة الى جلال الله كحال بصر الخفاش بالاضافة الى نور الشمس فانه لا يطيقه البتة بل يختفي نهارا وانما يتردد ليلا ينظر في بقية نور الشمس اذا وقع على الارض واحوال الصديقين كحال الانسان في النظر الى الشمس فانه يقدر على النظر اليها ولكن لا يطيق دوامه ويخشى على بصره لو دام النظر ونظره المختطف اليها يورث العمش ويفرق البصر فكذلك النظر الى ذات الله يورث الحيرة والدهش واضطراب العقل فالصواب اذن ان لا يتعرض لمجاري الفكر في ذات الله سبحانه وصفاته فان اكثر العقول لا تحتمله بل القدر اليسير الذي صرح به بعض العلماء وهو ان الله تعالى مقدس عن المكان ومنزه عن الاقطار والجهات وانه ليس داخل العالم ولا خارجه ولا هو متصل بالعالم ولا هو منفصل عنه قد حير عقول اقوام حتى انكروه اذ لم يطيقوا سماعه ومعرفته بل ضعفت طائفة عن احتمال اقل من هذا اذ قيل لهم ان الله تعالى

هو ان يكون له رأس ورجلان ويد وعين وعضو وان يكون جسما متشخصا له مقدار وحجم فانكروا هذا وظنوا ان ذلك قدح في عظمة الله تعالى وجلاله حتى قال بعض الحمقى من العوام ان هذا وصف بطيخ هندي لا وصف الاله لظن المسكين ان الجلالة في هذه الاعضاء وهذا لان الانسان لا يعرف الا نفسه فلا يستعظم الا نفسه فكل ما لا يساويه في صفاته فلا يفهم العظمة فيه نعم غايته ان يقدر نفسه جميل الصورة جالسا على سرير وبين يديه غلمان يمتثلون امره فلا جرم غايته ان يقدر ذلك في حق الله تعالى وتقدس حتى يفهم العظمة بل لو كان للذباب عقل وقيل له ليس لخالقك جناحان ولا يد ولا رجل ولا له طيران لانكر ذلك وقال كيف يكون خالقي انقص مني افيكون مقصوص الجناح او يكون زمنا لا يقدر على الطيران او يكون لي آلة وقدرة لا يكون له مثلها وهو خالقي ومصوري وعقول اكثر الخلق من هذا العقل وان الانسان لظلوم جهول كفار ولذلك اوحى الله تعالى الى بعض انبيائه لا تخبر عبادي بصفاتي فينكروني ولكن اخبرهم عني بما يفهمون ولما كان النظر في ذات الله وصفاته خطرا من هذا الوجه اقتضى ادب الشرع وصلاح الخلق ان لا يتعرض لمجاري الفكر فيه لكنا نعدل الى المقام الثاني وهو النظر في افعاله ومجاري قدره وعجائب صنعه وبدائع امره في خلقه فانها تدل على جلاله وكبريائه وتقدسه وتعاليه وتدل على كمال علمه وحكمته وعلى نفاذ مشيئته وقدرته فينظر الى صفاته من آثار صفاته فانا لا نطيق النظر الى الصفات كما انا نطيق النظر الى الارض مهما استنارت بنور الشمس بالاضافة الى نور القمر وسائر الكواكب لان نور الارض من آثار نور الشمس والنظر الى الاثر يدل على المؤثر دلالة ما وان كان لا يقوم مقام النظر في نفس المؤثر وجميع موجودات الدنيا اثر من آثار قدرة الله ونور من انواره بل لا ظلمة اشد من العدم ولا نور اظهر من الوجود ووجود الاشياء كلها نور من انوار ذاته تعالى وتقدس اذ قوام وجود الاشياء بذاته القيوم بنفسه كما ان قوام نور الاجسام بنور الشمس المضيئة ومهما انكسف بعض الشمس فقد جرت العادة بان يوضع طست ماء حتى ترى الشمس فيه ويمكن النظر اليها فيكون الماء واسطة يغض قليلا من نور الشمس حتى يطاق النظر اليها فكذلك الافعال واسطة نشاهد فيها صفات الفاعل ولا نبهر بانوار الذات بعد ان تباعدنا عنها بواسطة الافعال فهذا سر قوله عليه السلام تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله

بيان كيفية التفكر في خلق الله تعالى

اعلم ان كل ما في الوجود مما سوى الله فهو فعل الله وخلقه وكل ذرة من الذرات من جوهر وعرض وصفة وموصوف ففيها عجائب وغرائب تظهر بها حكمة الله وقدرته وجلاله وعظمته واحصاء ذلك غير ممكن لانه لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان ينفد عشر عشيره ولكنا نشير الى جمل منه ليكون ذلك كالمثال لما عداه فنقول الموجودات المخلوقة منقسمة الى ما لا يعرف اصلها فلا يمكننا التفكر فيها وكم من الموجودات التي لا نعلمها كما قال الله تعالى سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون وقال وننشئكم فيما لا تعلمون والى ما يعرف اصلها وجملتها ولا يعرف تفصيلها فيمكننا ان نتفكر في تفصيلها وهي منقسمة الى ما ادركناه بحس البصر والى ما لا ندركه بالبصر اما الذي لا ندركه بالبصر فكالملائكة والجن والشياطين والعرش والكرسي وغيرها ومجال الفكر فيها مما يضيق ويغمض فلنعدل الى الاقرب الى الافهام وهي المدركات بحس البصر وذلك هو السموات السبع والارض وما بينهما فالسموات مشاهدة بكواكبها وشمسها وقمرها وحركتها ودورانها في طلوعها وغروبها والارض مشاهدة بما فيها من جبالها ومعادنها وانهارها وبحارها وحيوانها ونباتها وما بين السماء والارض وهو الجو مدرك بغيومه وامطاره وثلوجه ورعده وبرقه وصواعقه وشهبه وعواصف رياحه فهذه هي الاجناس المشاهدة من السموات والارض وما بينهما وكل جنس منها ينقسم الى انواع وكل نوع ينقسم الى اقسام ويتشعب كل قسم الى اصناف ولا نهاية لانشعاب ذلك وانقسامه في اختلاف صفاته وهيئاته ومعانيه الظاهرة والباطنة وجميع ذلك مجال الفكر فلا تتحرك ذرة في السموات والارض من جماد ونبات وحيوان وفلك وكوكب الا والله هو محركها وفي حركتها حكمة او حكمتان او عشر او الف حكمة كل ذلك شاهد لله بالوحدانية ودال على جلاله وكبريائه وهي الآيات الدالة عليه وقد ورد القرآن بالحث على التفكر في هذه الآيات كما قال تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات وكما قال ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر من اول القرآن الى آخره فلنذكر كيفية الفكر في بعض الآيات

فمن آياته الانسان المخلوق من النطفة واقرب شيء اليك نفسك وفيك من العجائب الدالة على عظمة الله ما تنقضي الاعمار في الوقوف على عشر عشيره وانت غافل عنه فيا من هو غافل عن نفسه وجاهل بها كيف تطمع في معرفة غيرك وقد امرك الله تعالى بالتدبر في نفسك في كتابه العزيز فقال وفي انفسكم افلا تبصرون وذكر انك

علوق من نطفة قذرة فقال تعالى قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا
شاء انشره وقال تعالى ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون وقال تعالى الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى
وقال تعالى الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين الى قدر معلوم وقال تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين
وقال تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج ثم ذكر كيف جعل النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة عظاما فقال تعالى ولقد
خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة الاية فتكرير ذكر النطفة في الكتاب العزيز
ليس ليسمع لفظه ويترك التفكر في معناه فانظر الان الى النطفة وهي قطرة من الماء قذرة لو تركت ساعة ليضربها الهواء فسدت وانتنت
كيف اخرجها رب الارباب من الصلب والترائب وكيف جمع بين الذكر والانثى والقى الالفة والمحبة في قلوبهم وكيف قادهم بسلسلة
المحبة والشهوة الى الاجتماع وكيف استخرج النطفة من الرجل بحركة الوقاع وكيف استجلب دم الحيض من اعماق العروق وجمعه في الرحم
ثم كيف خلق المولود من النطفة وسقاه بماء الحيض وغذاه حتى نما وربا وكبر وكيف جعل النطفة وهي بيضاء مشرقة علقة حمراء ثم كيف
جعلها مضغة ثم كيف قسم اجزاء النطفة وهي متشابهة متساوية الى العظام والاعصاب والعروق والاوتار واللحم ثم كيف ركب من اللحم
والاعصاب والعروق الاعضاء الظاهرة فدور الراس وشق السمع والبصر والانف والفم وساير المنافذ ثم مد
اليد والرجل وقسم رؤسها بالاصابع وقسم الاصابع بالانامل ثم كيف ركب الاعضاء الباطنة من القلب والمعدة والكبد والطحال
والرية والرحم والمثانة والامعاء كل واحد على شكل مخصوص ومقدار مخصوص لعمل مخصوص ثم كيف قسم كل عضو من هذه
الاعضاء باقسام اخر فركب العين من سبع طبقات لكل طبقة وصف مخصوص وهيئة مخصوصة لو فقدت طبقة
منها او زالت صفة من صفاتها تعطلت العين عن الابصار ولو ذهبنا نصف ما في آحاد هذه الاعضاء من العجائب والآيات
لانقضت فيه الاعمار فانظر الان الى العظام وهي اجسام قوية صلبة كيف خلقها من نطفة سخيفة رقيقة ثم جعلها قواما للبدن وعمادا له
ثم قدرها بمقادير مختلفة واشكال مختلفة فمنها صغير وكبير ومستدير ومجوف ومصمت وعريض ودقيق ولما كان الانسان محتاجا الى الحركة
بجملة بدنه وببعض اعضائه للتردد في حاجاته لم يجعل عظمه عظما واحدا بل عظاما كثيرة بينها مفاصل حتى تتيسر بها الحركة وقدر شكل كل واحدة منها
على وفق الحركة المطلوبة بها ثم وصل مفاصلها وربط بعضها ببعض باوتار انبتها من احد طرفي العظم والصقه بالطرف الاخر كالرباط
له ثم خلق في احد طرفي العظم زوايد خارجة منه وفي الاخر حفرا غايصة فيه موافقة لشكل الزوايد لتدخل فيها وتنطبق عليها فصار العبد
ان اراد ان يحرك جزءا من بدنه لم يمتنع عليه ولولا المفاصل لتعذر عليه ذلك ثم انظر كيف خلق عظام الراس وكيف جمعها وركبها
وقد ركبها من خمسة وخمسين عظما مختلفة الاشكال والصور فالف بعضها الى بعض بحيث استوت به كرة الراس كما تراه فمنها ستة تخص القحف واربعة
عشر للحي الاعلى واثنان للحي الاسفل والبقية هي الاسنان بعضها عريضة تصلح للطحن وبعضها حادة تصلح للقطع وهي الانياب والاضراس والثنايا ثم جعل الرقبة
مركبا للراس وركبها من سبع خرزات مجوفات مستديرات فيها تحريفات وزيادات ونقصانات لينطبق بعضها على بعض ويطول
ذكر وجه الحكمة فيها ثم ركب الرقبة على الظهر من اسفل الرقبة الى منتهى عظم العجز من اربع وعشرين خرزة وركب عظم العجز من ثلثة
اجزاء مختلفة فيتصل به من اسفله عظم العصعص وهو ايضا مولف من ثلثة اجزاء ثم وصل عظام الظهر بعظام الصدر
وعظام الكتف وعظام اليدين وعظام العانة وعظام العجز ثم عظام الفخذين والساقين واصابع الرجلين ولا نطول بذكر
عددها ومجموع عدد العظام في بدن الانسان مائتا عظم وثمانية واربعون عظما سوى العظام الصغيرة التي حشي بها خلل المفاصل فانظر
كيف خلق جميع ذلك من نطفة سخيفة رقيقة وليس المقصود من ذكر اعداد العظام ان يعرف عددها فان هذا علم قريب يعرفه الاطباء
والمشرحون وانما الغرض ان ينظر منها في مدبرها وخالقها انه كيف قدرها ودبرها وخالف بين اشكالها واقدارها وخصصها بهذا العدد
المخصوص لانه لو زاد عليها واحدا لكان وبالا على الانسان يحتاج الى قلعه ولو نقص منها واحدا لكان نقصانا يحتاج الى جبره فالطبيب ينظر
فيها ليعرف وجه العلاج في جبرها واهل البصائر ينظرون فيها ليستدلوا بها على جلالة خالقها ومصورها فشتان بين النظرين ثم انظر
كيف خلق الله تعالى الالات لتحريك العظام وهي العضلات فخلق في بدن الانسان خمسمائة عضلة وتسعا وعشرين عضلة والعضلة مركبة من لحم

وعصب وربط واغشية وهي مختلفة المقادير والاشكال بحسب اختلاف مواضعها وحاجاتها فاربع وعشرون عضلة منها هي لتحريك
حدقة العين واجفانها لو نقصت منها واحدة من جملتها اختل امر العين وهكذا لكل عضو عضلات بعدد مخصوص وقدر مخصوص وامر
الاعصاب والعروق والاوردة والشرايين وعددها ومنابتها وانشعاباتها اعجب من هذا كله وشرحه يطول فللتفكر مجال في آحاد
هذه الاجزاء ثم في آحاد الاعضاء ثم في جملة البدن وكل ذلك نظر الى عجائب اجسام البدن وعجائب المعاني والصفات التي لا تدرك بالحواس
اعظم فانظر الان الى ظاهر الانسان وباطنه والى بدنه وصفاته لترى فيه من العجائب والصنعة ما يقضي به العجب وكل ذلك صنع الله في قطرة ماء
قذرة فترى من هذا صنعه في قطرة ماء قذرة فما صنعه في ملكوت السموات وكواكبها وما حكمته في اوضاعها واشكالها ومقاديرها واعدادها
واجتماع بعضها وتفرق بعضها واختلاف صورها وتفاوت مشارقها ومغاربها فلا تظنن ان ذرة من ملكوت السموات تنفك
عن حكمة وحكم بل هي احكم خلقا واتقن صنعا واجمع للعجائب من بدن الانسان بل لا نسبة لجميع ما في الارض الى عجائب السموات ولذلك
قال تعالى أأنتم اشد خلقا ام السماء بناها فارجع الان الى النطفة وتأمل حالها اولا وما صارت اليه ثانيا وتأمل انه لو اجتمع الجن
والانس على ان يخلقوا للنطفة سمعا او بصرا او عقلا او قدرة او علما او روحا او يخلقوا فيها عظما او عرقا او عصبا او جلدا او شعرا هل
يقدرون على ذلك بل لو ارادوا ان يعرفوا كنه حقيقته وكيفية خلقته بعد ان خلق الله تعالى ذلك لعجزوا عنه فالعجب منك لو نظرت الى صورة انسان
مصور على حايط تأنق النقاش في تصويرها حتى قرب ذلك من صورة الانسان وقال الناظر اليها كأنه انسان عظم تعجبك من صنعة النقاش
وحذقه وخفة يده وتمام فطنته وعظم في قلبك محله مع انك تعلم ان تلك الصورة انما تمت بالصبغ والقلم والحايط واليد وبالقدرة
والعلم والارادة وشيء من ذلك ليس من فعل النقاش ولا خلقه بل هو من خلق غيره وانما منتهى فعله الجمع بين الصبغ والحايط على ترتيب مخصوص
فيكثر تعجبك منه وتستعظمه وانت ترى النطفة القذرة كانت معدومة فخلقها خالقها في الاصلاب والترائب ثم اخرجها
منها وشكلها فاحسن تشكيلها وقدرها فاحسن تقديرها وتصويرها وقسم اجزاءها المتشابهة الى اجزاء مختلفة فاحكم العظام في
ارجائها واحسن اشكال اعضائها وزين ظاهرها وباطنها ورتب عروقها واعصابها وجعلها مجرى لغذائها ليكون ذلك سبب بقائها
وجعلها سميعة بصيرة عالمة ناطقة فخلق لها الظهر اساسا لبدنها والبطن حاويا لآلات غذائها والراس جامعا لحواسها
ففتح العينين ورتب طبقاتها واحسن شكلها ولونها وهيئاتها ثم حماها بالاجفان لتسترها وتحفظها وتصقلها وتدفع الاقذاء
عنها ثم اظهر في مقدار عدسة منها صورة السموات مع اتساع اكنافها وتباعد اقطارها فهو ينظر اليها ثم شق اذنيه واودعهما
ماء مرا ليحفظ سمعها ويدفع الهوام عنها وحوطها بصدفة الاذن لتجمع الصوت فترده الى صماخها ولتحس بدبيب الهوام اليها وجعل
فيها تحريفات واعوجاجات لتكثر حركة ما يدب فيها ويطول طريقه فيتنبه من النوم صاحبها اذا قصدتها دابة في حال النوم ثم رفع الانف
من وسط الوجه واحسن شكله وفتح منخريه واودع فيه حاسة الشم ليستدل باستنشاق الروايح على مطاعمه واغذيته
وليستنشق بمنفذ المنخرين روح الهواء غذاء لقلبه وترويحا لحرارة باطنه وفتح الفم واودعه اللسان ناطقا وترجمانا
ومعربا عما في القلب وزين الفم بالاسنان لتكون آلة للطحن والكسر والقطع فاحكم اصولها وحدد رؤسها وبيض الوانها
ورتب صفوفها متساوية الرؤس متناسقة الترتيب كأنها الدر المنظوم وخلق الشفتين وحسن لونهما
وشكلهما لتنطبق على الفم فتسد منفذه وليتم بهما حروف الكلام ثم خلق الحنجرة وهيأها لخروج الاصوات وخلق
اللسان قدرة للحركات والتقطيعات ليقطع الصوت في مخارج مختلفة تختلف بها الحروف ليتسع طريق النطق بكثرتها ثم خلق
الحناجر مختلفة الاشكال في الضيق والسعة والخشونة والملاسة وصلابة الجوهر ورخاوته والطول والقصر حتى اختلفت بسببها الاصوات
فلا يتشابه صوتان بل يظهر بين كل صوتين فرقان حتى يميز السامع بعض الناس عن بعض بمجرد الصوت في الظلمة ثم زين الراس
بالشعر والاصداغ وزين الوجه باللحية والحاجبين وزين الحاجب برقة الشعر وتقويس الشكل وزين العينين بالاهداب ثم خلق الاعضاء
الباطنة وسخر كل واحد لفعل مخصوص فسخر المعدة لنضج الغذاء الى الدم والطحال والمرارة والكلية لخدمة الكبد والطحال يخدمها بجذب
السوداء عنها والمرارة تخدمها بجذب الصفراء عنها والكلية تخدمها بجذب المائية عنها والمثانة تخدم الكلية بقبول الماء عنها ثم تخرجه في طريق الاحليل

عظام الراس
٢٥

الرقبة
سبع خرزات

جميع عظام بدن
الانسان
٢٤٨

والعروق تخدم الكبد في ايصال الدم الى سائر اطراف البدن ثم خلق اليدين وطولهما لتمتد الى المقاصد وعرض الكف وقسم
الاصابع الخمس وقسم كل اصبع بثلاث انامل ووضع الاربع في جانب والابهام في جانب لتدور الابهام على الجميع ولو اجتمع الاولون
والاخرون على ان يستنبطوا بدقيق الفكر وجها اخر في وضع الاصابع سوى ما وضعت عليه من بعد الابهام عن الاربعة وتفاوت
الاربعة في الطول وترتيبها في صف واحد لم يقدروا عليه اذ بهذا الترتيب صلحت للقبض والاعطاء فان بسطها كانت له طبقا يضع عليها
ما يريد وان جمعها كانت له آلة للضرب وان ضمها ضما غير تام كانت مغرفة له وان بسطها وضم اصابعها كانت مجرفة له ثم
خلق الاظفار على رؤسها زينة للانامل وعمادا لها من ورائها حتى لا تنقطع وليلتقط بها الاشياء الدقيقة التي لا تتناولها
الانامل وليحك بها بدنه عند الحاجة فالظفر الذي هو اخس الاعضاء لو عدمه الانسان وظهرت به حكة لكان اعجز الخلق
واضعفهم ولم يقم احد مقامه في حك بدنه ثم هدى اليد الى موضع الحك حتى تمتد اليه ولو في النوم والغفلة من غير حاجة
الى طلب ولو استعان بغيره لم يعثر على موضع الحك الا بعد تعب طويل ثم خلق هذا كله من النطفة وهي في جوف الرحم في ظلمات
ثلاث ولو كشف الغطاء والغشاء وامتد البصر اليه لكان يرى التخطيط والتصوير يظهر عليها شيئا فشيئا ولا يرى المصور ولا
آلته فهل رأيت مصورا وفاعلا لا تمس آلته مصنوعه ولا تلاقيه وهو يتصرف فيها فسبحانه ما اعظم شانه واظهر برهانه
ثم انظر مع كمال قدرته الى تمام رحمته فانه لما ضاق الرحم عن الصبي لما كبر كيف هداه السبيل حتى تنكس وتحرك وخرج من
ذلك المضيق وطلب المنفذ كانه عاقل بصير بما يحتاج اليه ثم لما خرج واحتاج الى الغذاء كيف هداه الى التقام الثدي ثم لما كان بدنه
سخيفا لا يحتمل الاغذية الكثيفة كيف دبر له في خلق اللبن اللطيف واستخرجه من بين الفرث والدم سائغا خالصا **وكيف خلق**
الثديين وجمع فيهما اللبن وانبت لهما حلمتين على قدر ما ينطبق عليها فم الصبي ثم فتح في حلمة الثدي ثقبا ضيقا جدا حتى لا يخرج منه اللبن
الا بعد المص تدريجا فان الطفل لا يطيق منه الا القليل **ثم كيف هداه** للامتصاص حتى يستخرج من ذلك المضيق اللبن الكثير
عند شدة الجوع به **ثم انظر** الى عطفه ورأفته كيف اخر خلق الاسنان الى تمام الحولين لانه في الحولين لا يتغذى الا باللبن فيستغني عن
السن واذا كبر لم يوافقه اللبن السخيف ويحتاج الى طعام غليظ ويحتاج الى المضغ والطحن فانبت له الاسنان عند الحاجة لا قبلها ولا بعدها
فسبحانه كيف اخرج تلك العظام الصلبة من تلك اللثات اللينة **ثم حنن** قلوب الوالدين عليه للقيام بتدبيره
في الوقت الذي كان عاجزا عن تدبير نفسه فلو لم يسلط الله الرحمة على قلبيهما لكان الطفل اعجز الخلق عن تدبير نفسه ثم انظر
كيف رزقه القدرة والتمييز والعقل والهداية تدريجا حتى بلغ وتكامل فصار مراهقا ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا اما كفورا
او شكورا مطيعا او عاصيا مؤمنا او كافرا تصديقا لقوله هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا انا خلقنا
الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا **فانظر** الى اللطف والكرم ثم
الى القدرة والحكمة تبهرك عجائب الحضرة الربوبية **فالعجب كل العجب** ممن يرى خطا حسنا او نقشا على حائط فيستحسنه
فيصرف جميع همه الى التفكر في النقاش والخطاط وانه كيف نقشه وخطه وكيف قدر عليه ولا يزال يستعظمه ويقول ما احذقه
وما اكمل صنعته واحسن قدرته ثم ينظر الى هذه العجائب في نفسه وفي غيره ثم يغفل عن صانعه ومصوره فلا تدهشه عظمته
ولا يحيره جلاله وحكمته **فهذه** نبذة من عجائب بدنك التي لا يمكن استقصاؤها فهذا اقرب مجال لفكرك واجلى
شاهد على عظمة خالقك وانت غافل عن ذلك مشغول ببطنك وفرجك لا تعرف من نفسك الا ان تجوع فتاكل وتشبع فتنام
وتشتهي فتجامع وتغضب فتقاتل ويشاركك في معرفة ذلك البهائم والسباع كلها واما خاصية الانسان التي حجبت البهائم عنها
معرفة الله تعالى بالنظر في ملكوت السموات والارض وعجائب الافاق والانفس اذ بها يدخل العبد في زمرة الملائكة المقربين ويحشر
في زمرة النبيين والصديقين مقربا من حضرة رب العالمين وليس هذه الرتبة للبهائم ولا لانسان رضي من الدنيا بشهوات
البهائم فانه شر من البهائم بكثير اذ لا قدرة للبهيمة على ذلك واما هو فقد خلق له القدرة ثم عطلها وكفر نعمة الله فيها فاولئك
كالانعام بل هم اضل سبيلا واذا عرفت طريق الفكر في نفسك فتفكر في الارض التي هي مقرك ثم في انهارها وبحارها وجبالها

ومعادنها ثم ارتفع منها الى ملكوت السموات اما الارض فمن اياته ان خلق الارض فراشا ومهادا وسلك فيها سبلا فجاجا وجعلها
ذلولا لتمشوا في مناكبها وجعلها قارة وقرارا لا تتحرك وارسى فيها الجبال اوتادا لها مانعة من ان تميد ثم وسع اكنافها حتى
عجز الادميون عن بلوغ جميع جوانبها وان طالت اعمارهم وكثر تطوافهم فقال تعالى والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون والارض
فرشناها فنعم الماهدون وقال تعالى هو الذي جعل الارض فراشا وقد اكثر الله في كتابه ذكر الارض ليتفكر في عجائبها فظهرها
مقر للاحياء وبطنها مرقد للاموات قال الله تعالى الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا **فانظر** الى الارض وهي ميتة
فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت واخضرت وانبتت عجائب النبات وخرجت منها اصناف الحيوانات **ثم انظر**
كيف احكم جوانب الارض بالجبال الراسيات الشوامخ الصم الصلاب وكيف اودع المياه تحتها ففجر العيون واسال الانهار
تجري على وجهها واخرج من الحجارة اليابسة ومن التراب الكدر ماء رقيقا عذبا صافيا زلالا وجعل به كل شيء حيا فاخرج به
فنون الاشجار والنبات من حب وعنب وقضب وزيتون ونخل ورمان وفواكه كثيرة لا تحصى مختلفة الاشكال والالوان والطعوم
والصفات والروائح يفضل بعضها على بعض في الاكل تسقى بماء واحد وتخرج من ارض واحدة **وان قلت**
ان اختلافها لاختلاف بذورها واصولها فمتى كان في النواة نخلة مطوقة بعناقيد الرطب ومتى كانت في حبة واحدة سبع سنابل
في كل سنبلة مائة حبة **ثم انظر** الى ارض البوادي وفتش ظاهرها وباطنها فتراها ترابا متشابها فاذا انزل
عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج الوانا مختلفة ونباتا متشابها وغير متشابه لكل واحد طعم وريح ولون
وشكل يخالف الاخر **فانظر** الى كثرتها واختلاف اصنافها وكثرة اشكالها ثم اختلاف طبائع النبات وكثرة منافعها وكيف
اودع الله تعالى العقاقير المنافع الغريبة فهذا النبات يغذي وهذا يقوي وهذا يحيي وهذا يقتل وهذا يبرد وهذا يسخن وهذا اذا حصل
في المعدة قمع الصفراء من اعماق العروق وهذا يستحيل الى الصفراء وهذا يقمع البلغم والسوداء وهذا يستحيل اليها وهذا يستحيل دما وهذا
يصفي الدم وهذا ينوم وهذا يفرح وهذا يقوي وهذا يضعف فلم تنبت من الارض ورقة ولا نبتة الا وفيها منافع لا يقوى
البشر على الوقوف على كنهها وكل واحد من هذا النبات يحتاج الفلاح في تربيته الى عمل مخصوص فالنخل تؤبر والكرم يقطع والزرع ينقى
من الحشيش والدغل وبعضها يستنبت ببث البذر في الارض وبعضها بغرس الاغصان وبعضها يركب في الشجر ولو اردنا
ان نذكر اختلاف النبات ومنافعه واحواله وعجائبه لانقضت الايام في وصفه فيكفيك من كل جنس نبذة يسيرة تدلك
على طريق الفكر فهذه عجائب النبات **ومن اياته الجواهر** المودعة تحت الجبال والمعادن الحاصلة من الارض ففي
الارض قطع متجاورات مختلفة فانظر الى الجبال كيف يخرج منها الجواهر النفيسة من الذهب والفضة والفيروزج واللعل
وغيرها وبعضها منطبع تحت المطارق كالذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد وبعضها لا ينطبع كالفيروزج واللعل
وكيف هدى الله الناس لاستخراجها وتنقيتها واتخاذ الاواني والالات والنقود والحلي منها
ثم انظر الى معادن الارض من النفط والكبريت والقار وغيرها واقلها الملح ولا يحتاج اليه الا لتطييب الطعام ولو
خلت منه بلدة لتسارع الهلاك اليها **فانظر** الى رحمة الله تعالى كيف خلق بعض الاراضي سبخة بجوهرها بحيث يجتمع فيها الماء
الصافي من المطر فيستحيل ملحا مالحا محرقا لا يمكن تناول مثقال منه ليكون ذلك تطييبا لطعامك اذا اكلته فيتهنا عيشك
وما من جماد وحيوان ونبات الا وفيه حكمة وحكم من هذا الجنس ما خلق شيء منها عبثا ولا لعبا ولا هزلا بل خلق الكل بالحق كما
ينبغي وعلى ما ينبغي وكما يليق بجلاله وكرمه ولطفه ولذلك قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقال وما خلقنا
السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق **ومن اياته اصناف الحيوانات**
وانقسامها الى ما يطير والى ما يمشي وانقسام ما يمشي الى ما يمشي على رجلين والى ما يمشي على اربع وعلى عشر وعلى مائة كما
يشاهد في بعض الحشرات ثم انقسامها في المنافع والصور والاشكال والاخلاق والطبائع فانظر الى طيور الجو والى وحوش البر والى
البهائم الاهلية ترى فيها من العجائب ما لا تشك معه في عظمة خالقها وقدرة مقدرها وحكمة مصورها وكيف يمكن ان يستقصى

ذلك بل لو اردنا ان نذكر عجايب البقة او النملة او النحلة او العنكبوت وهي من صغار الحيوانات في بنايها بيتها وفي جمعها غذاءها
وفي الفها لزوجها وفي ادخارها لنفسها وفي حذقها في هندسة بيتها وفي هدايتها الى حاجاتها لم نقدر على ذلك فترى العنكبوت يبني بيته
على طرف نهر فيطلب اولا موضعين متقاربين بينهما فرجة بمقدار ذراع فما دونه حتى يمكنه ان يصل بالخيط بين طرفيه ثم يبتدي
فيلقي اللعاب الذي هو خيطه على جانب ليلتصق به ثم يغدو الى الجانب الاخر فيحكم الطرف الاخر من الخيط **ثم يحكم** كذلك ثانيا وثالثا
ويجعل بعد ما بينهما متناسبا تناسبا هندسيا حتى اذا احكم معاقد القمط ورتب الخيوط كالسدى اشتغل باللحمة فيضع اللحمة على السدى
الى اللحمة ويحكم العقد على مواضع التقاء السدى باللحمة ويراعي في جميع ذلك تناسب الهندسة ويجعل ذلك شبكة يقع فيها البق والذباب
ويقعد في زاوية مترصدا لوقوع الصيد في الشبكة فاذا وقع الصيد فيها بادر الى اخذه واكله فان عجز عن الصيد كذلك طلب لنفسه زاوية
من حايط ووصل بين طرفي الزاوية بخيط ثم علق نفسه منها بخيط اخر وبقي منكسا في الهوا ينتظر ذبابة تطير فاذا طارت ذبابة رمى بنفسه
اليه فاخذه ولف خيطه على رجله واحكمه ثم اكله وما من حيوان صغير ولا كبير الا وفيه من هذه العجايب ما لا يحصى افترى انه تعلم هذه الصنعة
من نفسه او تكون بنفسه او كونه ادمي او علمه او لا هادي له ولا معلم افيشك ذو بصيرة في انه مسكين عاجز ضعيف بل الفيل
العظيم شخصه الظاهرة قوته عاجز عن امر نفسه فكيف هذا الحيوان الضعيف افلا يشهد هو بشكله وصورته وحركته وهدايته وعجايب
صنعته لفاطره الحكيم وخالقه القادر العليم فالبصير يرى في هذا الحيوان الصغير من عظمة الخالق المدبر وجلاله وكمال قدرته وحكمته ما تتحير فيه
الالباب والعقول فضلا عن ساير الحيوانات وهذا الباب ايضا لا حصر له فان الحيوانات واشكالها واخلاقها وطباعها غير محصورة وانما
سقط تعجب القلوب منها لانسها بكثرة المشاهدة نعم اذا راى حيوانا غريبا ولو دودا تجدد تعجبه وقال سبحان الله ما اعجبه والانسان اعجب
الحيوانات وليس يتعجب من نفسه بل لو نظر الى الانعام التي الفها ونظر الى اشكالها وصورها ثم الى منافعها وفوايدها من جلودها واصوافها
واوبارها واشعارها التي جعلها لباسا لخلقه واكنانا لهم في ظعنهم واقامتهم وانية لاشربتهم واوعية لاغذيتهم وصوانا لاقدامهم وجعل
البانها ولحومها اغذية لهم ثم جعل بعضها زينة للركوب وبعضها حاملة للاثقال قاطعة للبوادي والمفازات لاكثر الناظر التعجب من حكمة
خالقها ومصورها فانه ما خلقها الا بعلم محيط بجميع منافعها سابق على خلقه اياها فسبحان من الامور مكشوفة في علمه من غير تفكر ومن غير
تامل وتدبر ومن غير استعانة بوزير او مشير فهو العليم الخبير الحكيم القدير فلقد استخرج باقل القليل مما خلقه صدق الشهادة من قلوب
العارفين بتوحيده فما للخلق الا الاذعان لقهره وقدرته والاعتراف بربوبيته والاقرار بالعجز عن معرفته فنسال الله ان يكرمنا بهدايته بمنه

ومن اياته البحار العميقة المكتنفة لاقطار الارض التي هي قطع من البحر الاعظم المحيط بجميع الارض حتى ان جميع المكشوف من البوادي
والجبال من الماء بالاضافة الى الماء كجزيرة صغيرة في بحر عظيم وبقية الارض مستورة بالماء **قال** النبي صلى الله عليه وسلم الارض في البحر كالاصطبل
في الارض فانسب اصطبلا الى جميع الارض واعلم ان الارض بالاضافة الى البحر مثله وقد شاهدت عجايب الارض وما فيها فتامل عجايب
البحر فان عجايب ما فيه من الحيوان والجواهر اضعاف عجايب ما تشاهده على وجه الارض كما ان سعته اضعاف سعة الارض ولعظم البحر كان فيه من
الحيوانات العظام ما ترى ظهورها فيظن انها جزيرة فينزل الركاب عليها فربما يحس بالنيران اذا اشتعلت فيتحرك فيعلم انه حيوان وما
من صنف من اصناف حيوان البر من فرس وطير وبقر وانسان الا وفي البحر امثالها واضعافها وفيه اجناس لا يعرف لها نظير في البر وقد
ذكرت اوصافها في مجلدات وجمعها اقوام عنوا بركوب البحر وجمع عجايبه **ثم انظر** كيف خلق الله اللؤلؤ والدرة في صدفه تحت الماء
وانظر كيف انبت المرجان من صم الصخور تحت الماء وانما هو نبات على هيئة شجر ينبت من الحجر ثم تامل ما عداه من العنبر
واصناف النفايس التي يقذفها البحر وتستخرج منه **ثم انظر** الى عجايب السفن كيف امسكها الله على وجه الارض الماء وسير فيها
التجار وطلاب الاموال وسخر لهم الفلك لتحمل اثقالهم ثم ارسل الرياح لتسوق السفن ثم عرف الملاحين موارد الرياح ومهابها
ومواقيتها ولا يستقصى على الجملة عجايب صنع الله في البحر في مجلدات واعجب من ذلك كله ما هو اظهر من كل ظاهر وهو
كيفية قطرة الماء وهو جسم رقيق لطيف سيال مشف متصل الاجزاء كانه شي واحد لطيف التركيب سريع القبول للتقطيع كانه
منفصل مسخر للتصرف قابل للانفصال والاتصال به حياة كل ما على وجه الارض من حيوان ونبات فلو احتاج العبد الى شربة

عجايب البحار وما فيها من الاسرار

ماء ومنع منها لبذل جميع الدنيا في تحصيلها لو ملكه واذا شربها ومنع من اخراجها فيبذل جميع خزاين الارض وملك الدنيا في اخراجه
فالعجب من الادمي يستعظم الدينار والدرهم ونفايس الجواهر ويغفل عن نعمة الله في شربة ماء اذا احتاج الى شربها او الاستفراغ منها
بذل جميع الدنيا فيها **فتامل** في عجايب المياه والانهار والابار والبحار ففيها متسع للفكر ومجال وكل ذلك شواهد
متظاهرة وايات متناصرة ناطقة بلسان حالها مفصحة عن جلال باريها معربة عن كمال حكمته فيها منادية ارباب
القلوب بنغماتها قايلة لكل ذي لب اما تراني وما ترى صورتي وتركيبي وصفاتي ومنافعي واختلاف حالاتي وكثرة فوايدي
اتظن اني كونت بنفسي او خلقني احد من جنسي او ما تستحي ان تنظر الى كلمة مرقومة من ثلثة احرف فتقطع بانها من صنعة ادمي
عالم قادر مريد متكلم ثم تنظر الى عجايب الخطوط الالهية المرقومة على صفحات وجهي بالقلم الالهي الذي لا تدرك الابصار ذاته ولا حركته
ولا اتصاله بمحل الخط ثم ينفك قلبك عن جلالة صانعه وتقول النطفة لارباب السمع والقلب لا للذين هم عن السمع معزولون توهمني في ظلمة
الاحشاء مغموسة في دم الحيض في الوقت الذي يظهر التخطيط والتصوير على وجهي فينقش النقاش حدقتي واجفاني وجبهتي
فترى التنقيش يظهر شيا فشيا على التدريج ولا ترى داخل النطفة نقاشا ولا خارجها ولا داخل الرحم ولا خارجه ولا خبر منها للام
ولا للاب ولا للنطفة ولا للرحم **افما** هذا النقاش باعجب مما تشاهده ينقش بالقلم صورة عجيبة لو نظرت اليها مرة او
مرتين لتعلمته فهل تقدر على ان تتعلم هذا الجنس من النقش والتصوير الذي يعم ظاهر النطفة وباطنها وجميع اجزايها من غير ملامسة للنطفة
ومن غير اتصال بها لا من داخل ولا من خارج **فان كنت** لا تتعجب من هذه العجايب ولا تفهم بها ان الذي صور ونقش
وقدر لا نظير له ولا يساويه نقاش ومصور كما ان نقشه وصنعته لا يساويه نقش وصنعة فبين الفاعلين من المباينة
والتباعد ما بين الفعلين **وان كنت** لا تتعجب من هذا فتعجب من عدم تعجبك فانه اعجب من كل عجب فان الذي
اعمى بصيرتك مع هذا الوضوح ومنعك التبين مع هذا البيان جدير بان تتعجب منه فسبحان من هدى واضل واغوى
وارشد واشقى واسعد وفتح بصاير احبابه فشاهدوه في ذرات العالم واجزايه واعمى قلوب اعدايه واحتجب عنهم بعزه وعلايه
فله الخلق والامر والامتنان والفضل واللطف والقهر لا راد لحكمه ولا معقب لقضايه **ومن اياته الهواء**
اللطيف المحبوس بين مقعر السماء ومحدب الارض لا يدرك بحس اللمس عند هبوب الريح جسمه ولا يرى بالعين شخصه
وجملته مثل البحر الواحد والطير محلقة في جو السماء ومستقلة سباحة فيه باجنحتها كما تسبح حيوانات البحر في الماء وتضطرب جوانبه وامواجه
عند هبوب الرياح كما تضطرب امواج البحر فاذا حرك الله الهواء وجعله ريحا هابة فان شاء جعله نشرا بين يدي رحمته كما قال تعالى وارسلنا
الرياح لواقح فيصل بحركته روح الهواء الى الحيوانات والنبات فتستعد للنما وان شاء جعله عذابا على العصاة من خليقته كما قال
انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر تنزع الناس كانهم اعجاز نخل منقعر **ثم انظر** الى لطف الهواء ثم شدته وقوته
مهما ضغط في الماء فالزق المنفوخ يتحامل عليه الرجل القوي ليغمسه في الماء فيعجز عنه والحديد الصلب يضعه على وجه الماء فيرسب فيه
فانظر كيف ينقبض الهواء من الماء بقوته مع لطافته وبهذه الحكمة امسك السفن على وجه الماء وكذلك كل مجوف فيه هواء لا يغوص
في الماء لان الهواء ينقبض عن الغوص في الماء فلا ينفصل عن السطح الداخل من السفينة فتبقى السفينة الثقيلة مع قوتها وصلابتها معلقة في الهواء الخفيف
كالذي يقع في بير فيتعلق بذيل رجل قوي ممتنع عن الهوي في البير فالسفينة بمقعرها متشبثة باذيال الهواء القوي حتى تمتنع من الهوي والغوص
في الماء فسبحان من علق المركب الثقيل في هواء لطيف من غير علاقة تشاهد وعقدة تشد **ثم انظر** الى عجايب الجو وما يظهر فيه من
الغيوم والرعود والبروق والامطار والثلوج والشهب والصواعق فهي عجايب ما بين السماء والارض وقد اشار القران الى جملته في قوله تعالى
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين وهذا هو الذي بينهما واشار الى تفصيله في مواضع شتى حيث قال والسحاب المسخر
بين السماء والارض وحيث تعرض للرعد والبرق والسحاب والمطر فاذا لم يكن لك حظ من هذه الجملة الا ان ترى المطر بعينك وتسمع الرعد
باذنك فالبهيمة تشاركك في هذه المعرفة فارتفع من حضيض عالم البهايم الى عالم الملكوت فقد فتحت عينيك فادركت ظاهره فغمض عينك
الظاهرة وانظر ببصيرتك الباطنة لترى عجايب باطنها وغرايب اسرارها وهذا ايضا باب يطول الفكر فيه ولا مطمع في احصائه فتامل

السحاب الكثيف تراه يجتمع في جو صاف لا كدورة فيه وكيف يخلقه الله تعالى إذا شاء ومتى شاء وهو مع رخاوته حامل للماء الثقيل وممسك
له في جو السماء إلى أن يأذن الله تعالى في إرسال الماء وتقطير القطرات كل قطرة بالقدر الذي أراده الله تعالى وعلى الشكل الذي شاءه فترى السحاب يرش الماء
على الأرض ويرسله قطرات متفاصلة لا تدرك قطرة منها قطرة ولا يتصل واحدة بأخرى بل تنزل كل واحدة من الطريق الذي رسم لها لا تعدل عنه ولا
يتقدم المتأخر ولا يتأخر المتقدم حتى يصيب الأرض قطرة قطرة فلو اجتمع الأولون والآخرون على أن يخلقوا منها قطرة أو يعرفوا عدد ما ينزل منها
في بلدة واحدة أو قرية واحدة لعجز حساب الجن والإنس عن ذلك فلا يعلم عددها إلا الذي أوجدها ثم كل قطرة منها عينت لكل جزء من الأرض ولكل
حيوان فيها من طير ووحش وجميع الحشرات والدواب مكتوب على تلك القطرة بخط إلهي لا يدرك بالبصر الظاهر أنه رزق الدودة الفلانية التي
هي في ناحية الجبل الفلاني يصل إليه عند عطشه في الوقت الفلاني هذا مع ما في انعقاد البرد الصلب من الماء اللطيف وفي تناثر الثلوج
كالقطن المندوف من العجائب التي لا تحصى كل ذلك فضل من الجبار القادر وقهر من الخلاق القاهر ما لأحد من الخلق فيه شرك ولا مدخل بل ليس
للمؤمنين من خلقه إلا الاستكانة والخضوع تحت جلاله وعظمته ولا للعميان الجاحدين إلا الجهل بكيفيته ورجم الظن بذكر سببه وعلته فيقول
الجاهل المغرور إنما ينزل الماء لأنه ثقيل بطبعه إنما هذا سبب نزوله ويظن أن هذه معرفة انكشفت له ويفرح بها ولو قيل له ما معنى
الطبع وما الذي خلقه ومن الذي خلق الماء الذي طبعه الثقل وما الذي رقى الماء المصبوب في أسفل الأشجار إلى أعالي الأغصان وهو ثقيل بطبعه فكيف
هوى إلى أسفل ثم ارتفع إلى فوق في داخل تجاويف الأشجار شيئا فشيئا بحيث لا يرى ولا يشاهد حتى ينتشر في جميع أطراف الأوراق فيغذي
كل جزء من كل ورقة ويجري إليه في تجاويف عروق شعرية صغار يجري منه العرق الذي هو أصل الورق ثم ينتشر من ذلك العرق الكبير الممدود
في طول الورق عروق صغار فكأن الكبير نهر وما انشعبت عنه جداول ثم ينشعب من الجداول سواق أصغر منها ثم ينتشر منها خيوط عنكبوتية
دقيقة تخرج عن إدراك البصر حتى تنبسط في جميع عرض الورق فيصل الماء في أجوافها إلى سائر الورق ليغذيه وينميه ويزينه ويبقي طراوته ونضارته
وكذلك إلى سائر أجزاء الفواكه فإن كان الماء يتحرك بطبعه إلى أسفل فكيف تحرك إلى فوق وإن كان ذلك بجذب جاذب فما الذي سخر ذلك الجاذب
فإن كان ينتهي بالآخرة إلى خالق السموات والأرض وجبار الملك والملكوت فلم لا يحال عليه من أول الأمر فنهاية الجاهل بداية العاقل **ومن آياته**
ملكوت السموات وما فيها من الكواكب وهو الأمر كله ومن أدرك الكل وفاته عجائب السموات فقد فاته الكل حقيقة والأرض والبحار والهواء
وكل جسم سوى السموات بالإضافة إلى السموات كقطرة في بحر وأصغر **فانظر** كيف عظم الله أمر السموات والنجوم في كتابه فما من سورة في
كتابه إلا وتشتمل على تفخيمها في مواضع وكم من قسم في القرآن بها كقوله والسماء ذات البروج والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب
والسماء ذات الحبك والسماء وما بناها وقوله تعالى والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها وقوله تعالى فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس وقوله تعالى والنجم إذا هوى
وقوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم فقد علمت أن عجائب النطفة القذرة عجز عنها الأولون والآخرون وما أقسم الله تعالى
بها فما ظنك بما أقسم الله به وأحال الأرزاق عليه وأضافها إليه فقال وفي السماء رزقكم وما توعدون وأثنى على المتفكرين فيه فقال ويتفكرون في خلق السموات
والأرض **وقال** رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته أي تجاوزها من غير تفكر وذم المعرضين عنه فقال وجعلنا
السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون فأي نسبة لجميع البحار والأرض إلى السماء وهذه متغيرات على القرب والسموات صلاب شداد
محفوظات عن التغير إلى أن يبلغ الكتاب أجله ولذلك سماه الله تعالى محفوظا فقال وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقال وبنينا فوقكم سبعا
شدادا وقال أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها **فانظر** إلى الملكوت لترى عجائب العز والجبروت ولا تظنن أن
معنى النظر إلى الملكوت بأن تمد البصر إليه فترى زرقة السماء وضوء الكواكب وتفرقها فإن البهائم تشاركك في هذا النظر فإن كان
هذا هو المراد فلم مدح الله تعالى إبراهيم بقوله وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض لا بل كل ما يدرك بحاسة البصر فالقرآن
يعبر عنه بالملك والشهادة وما غاب عن الأبصار فيعبر عنه بالغيب والملكوت والله تعالى عالم الغيب والشهادة وجبار الملك والملكوت
ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وهو عالم الغيب والشهادة فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول **فأطل أيها الغافل**
فكرك في الملكوت فعسى أن تفتح لك أبواب السماء فتجول بقلبك في أقطارها إلى أن يقوم قلبك بين يدي عرش الرحمن فعند ذلك ربما يرجى
لك أن تبلغ رتبة عمر رضي الله تعالى عنه حيث قال رأى قلبي ربي وهذا لأن بلوغ الأقصى لا يكون إلا بعد مجاوزة الأدنى وأدنى شيء إليك

نفسك ثم الأرض التي هي مقرك ثم الهواء المكتنف بك ثم النبات والحيوان وما على وجه الأرض ثم عجائب الجو وهو ما بين السماء والأرض
ثم السموات السبع بكواكبها ثم الكرسي ثم العرش ثم الملائكة الذين هم حملة العرش وخزان السموات ثم منه تجاوز إلى رب العرش والكرسي
والسموات والأرض وما بينهما فبينك وبينه هذه المفاوز العظيمة والمسافات الشاسعة والعقبات الشاهقة وأنت بعد لم تفرغ من العقبة
القريبة النازلة وهي معرفة ظاهر نفسك ثم صرت تطلق اللسان بوقاحتك وتدعي معرفة ربك وتقول قد عرفته وعرفت خلقه ففيما
ذا أتفكر وإلى ماذا أتطلع **فارفع الآن رأسك** إلى السماء وانظر فيها وفي كواكبها وفي دورانها وطلوعها وغروبها وشمسها
وقمرها واختلاف مشارقها ومغاربها ودؤوبها في الحركة على الدوام من غير فتور في حركتها ومن غير تغير في سيرها بل تجري جميعا في منازل مرتبة
بحساب مقدر لا يزيد ولا ينقص إلى أن يطويها الله تعالى طي السجل للكتاب **وتدبر** عدد كواكبها وكثرتها واختلاف ألوانها فبعضها يميل
إلى الحمرة وبعضها إلى البياض وبعضها إلى اللون الرصاصي ثم انظر كيفية أشكالها فبعضها على صورة العقرب وبعضها على صورة الحمل والثور
والأسد والإنسان **وما من صورة** في الأرض إلا ولها مثال في السماء ثم انظر إلى مسير الشمس في فلكها في مدة سنة ثم هي تطلع كل يوم
وتغرب بسير آخر سخرها له خالقها ولولا طلوعها وغروبها لما اختلف الليل والنهار ولم تعرف المواقيت ولأطبق الظلام على الدوام أو الضياء
على الدوام وكان لا يتميز وقت المعاش عن وقت الاستراحة **فانظر** كيف جعل الله تعالى الليل لباسا والنوم سباتا والنهار معاشا وانظر
إلى إيلاجه الليل في النهار والنهار في الليل وإدخاله الزيادة والنقصان عليهما على ترتيب مخصوص **فانظر** إلى إمالة مسير الشمس عن
وسط السماء حتى اختلف بسببه الصيف والشتاء والربيع والخريف فإذا انخفضت الشمس من وسط السماء في مسيرها برد الهواء وظهر الشتاء وإذا
استوت في وسط السماء اشتد القيظ وإذا كانت فيما بينهما اعتدل الزمان وعجائب السموات لا مطمع في إحصاء عشر عشير جزء من أجزائها وإنما
هذا تنبيه على طريق الفكر واعتقد على الجملة أنه ما من كوكب من الكواكب إلا ولله تعالى حكم كثيرة في خلقه ثم في مقداره ثم في شكله ثم في لونه ثم في
وضعه من السماء وقربه من وسط السماء وقربه وبعده من الكواكب التي بجنبه وقس ذلك بما ذكرناه من أعضاء بدنك إذ ما من جزء
إلا وفيه حكمة بل حكم كثيرة وأمر السماء أعظم بل لا نسبة لعالم الأرض إلى عالم السماء لا في كبر جسمه ولا في كثرة معانيه وقس التفاوت الذي بينهما
من التفاوت في كبر الأرض فأنت تعرف من كبر الأرض واتساع أطرافها أنه لا يقدر آدمي على أن يدركها ويدور في جوانبها **وقد اتفق**
الناظرون على أن الشمس مثل الأرض مائة ونيف وستون مرة وفي الأخبار ما يدل على عظمها **والكواكب** التي تراها أصغرها
هو مثل الأرض ثماني مرات وأكبرها ينتهي إلى قريب من مائة وعشرين مثل الأرض وبهذا تعرف ارتفاعها وبعدها إذ للبعد صار
يرى صغيرا ولذلك أشار الله تعالى إلى بعدها فقال رفع سمكها فسواها وفي الأخبار إن بين كل سماء إلى أخرى مسيرة خمسمائة عام فإذا
كان هذا مقدار كوكب واحد من الأرض **فانظر** إلى كثرة الكواكب ثم انظر إلى السماء التي الكواكب مركوزة فيها وإلى عظمها
ثم انظر إلى سرعة حركتها وأنت لا تحس بحركتها فضلا عن أن تدرك سرعتها لكن لا تشك في أنها في لحظة تسير مقدار عرض كوكب لأن الزمان
من طلوع أول جزء من كوكب إلى تمامه يسير وذلك الكوكب هو مثل الأرض مائة مرة وزيادة فقد دار الفلك في هذه اللحظة مثل الأرض مائة
مرة وهكذا يدور على الدوام وأنت غافل عنه **وانظر** كيف عبر جبريل عليه السلام عن سرعة حركتها إذ قال النبي صلى الله عليه وسلم هل زالت
الشمس فقال لا نعم فقال كيف تقول لا نعم فقال جبريل من حيث قلت لا إلى أن قلت نعم سارت الشمس مسيرة خمسمائة عام فانظر إلى
عظم شخصها ثم إلى خفة حركتها ثم انظر إلى قدرة الفاطر الحكيم كيف أثبت صورتها مع اتساع أكنافها في حدقة العين مع صغرها حتى تجلس
على الأرض وتفتح عينيك نحوها فترى جميعها فهذه السماء بعظمها وكثرة كواكبها لا تنظر إليها بل انظر إلى بارئها كيف خلقها ثم أمسكها من
غير عمد ترونها ومن غير علاقة تدلى بها **وكل العالم** كبيت واحد والسماء سقفه فالعجب منك أنك تدخل بيت غني فتراه
مزوقا بالصبغ مموها بالذهب فلا ينقطع تعجبك منه ولا تزال تذكره وتصف حسنه طول عمرك وأنت أبدا تنظر إلى هذا البيت العظيم
إلى أرضه وإلى سقفه وإلى هوائه وإلى عجائب أمتعته وغرائب حيواناته وبدائع نقوشه ثم لا تتحدث فيه ولا تلتفت بقلبك إليه
فما هذا البيت دون البيت الذي تصفه بل ذلك البيت هو أيضا جزء من الأرض التي هي أخس أجزاء هذا البيت ومع هذا لا تنظر إليه
ليس له سبب إلا أنه بيت ربك هو الذي انفرد ببنائه وترتيبه وأنت قد نسيت نفسك وربك وبيت ربك واشتغلت ببطنك

ولم يكن همك الا شهوتك او حشمتك وغاية شهوتك ان تملأ بطنك ولا تقدر على ان تأكل عشر ما تأكله بهيمة فتكون البهيمة فوقك بعشر درجات وغاية حشمتك ان تقبل عليك عشرة او مائة من معارفك فينافقون بالسنتهم بين يديك ويضمرون خبائث الاعتقادات عليك وان صدقوك في مودتهم اياك فلا يملكون لك ولا لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا **وقد يكون** في بلدك من اغنياء اليهود والنصارى من يزيد جاهه على جاهك وقد اشتغلت بهذا الغرور وغفلت عن النظر في جمال ملكوت السموات والارض ثم عن التنعم بالنظر الى جلال مالك الملكوت والملك وما مثلك ومثل عقلك الا كمثل النملة تخرج من جحرها الذي حفرته في قصر مشيد من قصور الملك رفيع البنيان حصين الاركان مزين بالجواري والغلمان وانواع الذخائر والنفائس فانها اذا خرجت من جحرها ولقيت صاحبتها لم تتحدث لو قدرت على النطق الا عن بيتها وغذائها وكيفية ادخاره فاما حال القصر والملك الذي في القصر فهي بمعزل عنه وعن التفكر فيه بل لا قدرة لها على المجاوزة بالنظر عن نفسها وغذائها وبيتها الى غيره وكما غفلت النملة عن القصر وعن ارضه وسقفه وحيطانه وسائر بنيانه وغفلت ايضا عن سكانه فانت ايضا غافل عن بيت الله وعن ملائكته الذين هم سكان سمواته فلا تعرف من السماء الا ما تعرفه النملة من سقف بيتك ولا تعرف من ملائكة السموات الا ما تعرفه النملة منك ومن سكان بيتك نعم ليس للنملة طريق الى ان تعرفك وتعرف عجائب قصرك وبدائع صنعة الصانع فيه واما انت فلك قدرة على ان تجول في الملكوت وتعرف من عجائبه ما الخلق غافلون عنه **ولنقبض عنان الكلام** عن هذا النمط فانه مجال لا آخر له ولو استقصينا اعمارا طويلة لم نقدر على شرح ما تفضل الله علينا بمعرفته وكل ما عرفناه نزر قليل حقير بالاضافة الى ما عرفه جملة العلماء والاولياء وما عرفوه قليل نزر بالاضافة الى ما عرفه الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه وجملة ما عرفوه قليل بالاضافة الى ما عرفه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وما عرفه الانبياء بالاضافة الى ما عرفه الملائكة المقربون كاسرافيل وجبرائيل وغيرهما ثم جميع علوم الملائكة والجن والانس اذا اضيف الى علم الله تعالى لم يستحق ان يسمى علما بل هو الى ان يسمى دهشا وحيرة وقصورا وعجزا اقرب **فسبحان** من عرف عباده ما عرف ثم خاطب جميعهم فقال وما اوتيتم من العلم الا قليلا فهذا بيان معاقد الجمل التي يجول فيها فكر المتفكرين في خلق الله وليس فيها فكر في ذات الله تعالى ولكن يستفاد من الفكر في الخلق لا محالة معرفة الخالق وعظمته وجلاله وقدرته وكلما استكثرت من معرفة عجيب صنع الله تعالى كانت معرفتك بجلاله وعظمته اتم كما انك تعظم عالما بسبب معرفتك بعلمه فلا تزال تطلع على غريبة من تصنيفه او شعره فتزداد به معرفة وتزداد بحسبه توقيرا وتعظيما له فهكذا تأمل في خلق الله وتصنيفه وتأليفه وكل ما في الوجود من خلق الله وتصنيفه والنظر والفكر فيه لا يتناهى ابدا وانما لكل عبد منه بقدر ما رزق فلنقتصر على ما ذكرناه ولنضف اليه ما فصلناه في كتاب الشكر فانا نظرنا في ذلك الكتاب في افعال الله تعالى من حيث هو احسان الينا وانعام علينا وفي هذا الكتاب نظرنا فيه من حيث انه فعل الله تعالى فقط وكل ما نظرنا فيه فان الطبيعي ينظر فيه ويكون نظره سبب ضلاله وشقاوته والموفق ينظر فيه فيكون سبب هدايته وسعادته وما من ذرة في السماء والارض الا والله تعالى يضل بها من يشاء ويهدي بها من يشاء فمن نظر في هذه الامور من حيث انها فعل الله تعالى وصنعه استفاد منه المعرفة بجلال الله وعظمته واهتدى ومن نظر فيها قاصرا للنظر عليها من حيث تأثير بعضها في بعض لا من حيث ارتباطها بمسبب الاسباب فقد شقي وتردى فنعوذ بالله من الضلال ونسأله ان يجنبنا مزلة اقدام الجهال بمنه وفضله وكرمه والحمد وحده اخر كتاب التفكر يتلوه كتاب ذكر الموت وما بعده

كتاب ذكر الموت وما بعده وهو العاشر

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي قصم بالموت رقاب الجبابرة وكسر به ظهور الاكاسرة وقصر به آمال القياصرة الذين لم تزل قلوبهم عن ذكر الموت نافرة حتى جاءهم الوعد الحق فارداهم في الحافرة فنقلوا من القصور الى القبور ومن ضياء المهود الى ظلمة اللحود ومن ملاعبة الجواري والغلمان الى مقاساة الهوام والديدان ومن التنعم بالشراب الى التمرغ في التراب ومن انس العشرة الى وحشة الوحدة ومن المضجع الوثير الى المصرع الوبيل فانظر هل وجدوا من الموت حصنا او اتخذوا من دونه حجابا وحرزا وانظر هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا فسبحان من تفرد بالقهر والاستيلاء واستأثر باستحقاق البقاء واذل اصناف الخلق بما كتب عليهم من الفناء ثم جعل الموت مخلصا للاتقياء وموعدا في حقهم للقاء وجعل القبر سجنا للاشقياء وحبسا ضيقا عليهم الى يوم الفصل والقضاء فله الانعام بالنعم المتظاهرة وله الانتقام بالنقم القاهرة وله الشكر في السموات والارض وله الحمد في الاولى والاخرة والصلاة على محمد ذي المعجزات الظاهرة والايات الباهرة وعلى آله واصحابه وسلم كثيرا **اما بعد** فجدير بمن الموت مصرعه والتراب مضجعه والدود انيسه ومنكر ونكير جليسه والقبر مقره وبطن الارض مستقره والقيامة موعده والجنة او النار مورده ان لا يكون له فكر الا في الموت ولا ذكر الا له ولا استعداد الا لاجله ولا تدبير الا فيه ولا تطلع الا اليه ولا تعريج الا عليه ولا اهتمام الا به ولا حوم الا حوله ولا انتظار وتربص الا له وحقيق بان يعد نفسه من الموتى ويراها من اصحاب القبور فان كل ما هو آت قريب والبعيد ما ليس بآت وقد قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ولن يتيسر الاستعداد للشيء الا عند تجدد ذكره على القلب ولا يتجدد ذكره الا عند التذكر بالاصغاء الى المذكرات له والنظر في المنبهات عليه ونحن نذكر من امر الموت ومقدماته ولواحقه واحوال الاخرة والقيامة والجنة والنار ما لا بد للعبد من تذكاره على التكرار وملازمته بالافتكار والاستبصار ليكون ذلك مستحثا على الاستعداد بعد قرب الرحيل فما بقي من العمر الا القليل والخلق عن الموت غافلون اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ونحن نذكر ما يتعلق بالموت في شطرين الشطر الاول في مقدماته وتوابعه الى نفخة الصور وفيه ثمانية ابواب

- **الباب الاول** في فضل ذكر الموت والترغيب فيه
- **الباب الثاني** في ذكر طول الامل وقصره
- **الباب الثالث** في سكرات الموت وشدته
- **الباب الرابع** في وفات رسول الله صلى الله عليه وسلم
- **الباب الخامس** في كلام المحتضرين
- **الباب السادس** في اقاويل العارفين
- **الباب السابع** في حقيقة الموت وما يلقاه الميت
- **الباب الثامن** فيما عرف من احوال الموتى بالمكاشفة في المنام

الباب الاول في ذكر الموت والترغيب في الاكثار من ذكره

اعلم ان المنهمك في الدنيا المكب على غرورها المحب لشهواتها يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره واذا ذكر به كرهه ونفر منه واولئك هم الذين قال الله فيهم قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون **والناس** اما منهمك او تائب مبتدئ او عارف منته اما المنهمك فلا يذكر الموت وان ذكره فيذكره للتأسف على دنياه ويشتغل بمذمته وهذا يزيده ذكر الموت من الله بعدا واما التائب فانه يكثر ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية فيفي بتمام التوبة وربما يكره الموت خيفة من ان يختطفه قبل تمام التوبة وقبل اصلاح الزاد وهو معذور في كراهة الموت ولا يدخل هذا تحت قوله صلى الله عليه وسلم من كره لقاء الله كره الله لقاءه فان هذا ليس يكره الموت ولقاء الله وانما يخاف فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره وهو كالذي يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلا بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه فلا يعد كارها للقائه وعلامة هذا ان يكون دائم الاستعداد له لا شغل له سواه والا التحق بالمنهمك في الدنيا واما العارف فانه يذكر الموت دائما لانه موعد لقائه لحبيبه والمحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب وهذا في غالب الامر يستبطئ مجيء الموت ويحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين وينتقل الى جوار رب العالمين كما روي عن حذيفة انه لما حضرته الوفاة قال حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم اللهم ان كنت تعلم ان الفقر احب الي من الغنى والسقم احب الي من الصحة والموت احب الي من الحياة فسهل علي الموت حتى القاك **فاذن** التائب معذور في كراهة الموت وهذا معذور في حب الموت وتمنيه واعلى منهما رتبة من فوض امره الى الله تعالى فصار لا يختار لنفسه موتا ولا حياة بل يكون احب الاشياء اليه احبها الى مولاه فهذا قد انتهى بفرط الحب والولاء الى مقام التسليم والرضا وهو الغاية والمنتهى وعلى كل حال ففي ذكر الموت ثواب وفضل فان المنهمك في الدنيا ايضا يستفيد بذكر الموت التجافي عن الدنيا اذ ينغص عليه نعيمه ويكدر عليه صفو لذاته وكل ما يكدر على الانسان اللذات والشهوات فهو من اسباب النجاة

بيان فضل ذكر الموت

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا ذكر هاذم اللذات اي نغصوا به اللذات حتى ينقطع ركونكم اليها فتقبلوا على الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم

لو ان البهائم تعلم من الموت ما تعلمون ما اكلتم منها سمينا وقالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله هل يحشر مع الشهداء احد قال نعم من يذكر
الموت في اليوم والليلة عشرين مرة وانما سبب هذه الفضيلة كلها ان ذكر الموت يوجب التجافي عن دار الغرور ويتقاضى الاستعداد للآخرة
والغفلة عن الموت تدعو الى الانهماك في شهوات الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم تحفة المؤمن الموت وانما قال هذا لان الدنيا سجن المؤمن
اذ لا يزال فيها في عناء من مقاساة نفسه ورياضة شهواته ومدافعة شيطانه فالموت اطلاق له من هذا العذاب والاطلاق تحفة في
حقه وقال صلى الله عليه وسلم الموت كفارة لكل مسلم واراد بهذا المسلم حقا المؤمن صدقا الذي يسلم المسلمون من لسانه ويده
ويتحقق فيه اخلاق المؤمنين ولم يتدنس من المعاصي الا باللمم والصغائر فالموت يطهره منها ويكفرها بعد اجتنابه الكبائر واقامته الفرائض
وقال عطاء الخراساني مر صلى الله عليه وسلم بمجلس قد استعلاه الضحك فقال شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات قالوا وما مكدر اللذات
قال الموت وقال انس قال صلى الله عليه وسلم اكثروا من ذكر الموت فانه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم كفى بالموت مفرقا
وقال كفى بالموت واعظا وخرج صلى الله عليه وسلم الى المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال اذكروا الموت اما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما اعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وذكر عنده صلى الله عليه وسلم رجل فاحسنوا الثناء عليه فقال كيف كان ذكر صاحبكم للموت فقالوا ما كنا نكاد نسمعه
يذكر الموت قال فان صاحبكم ليس هنالك وقال ابن عمر رضي الله عنهما اتيت النبي صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة فقال رجل من الانصار من اكيس الناس واكرم
الناس يا رسول الله فقال اكثرهم للموت ذكرا واشدهم استعدادا له اولئك هم الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة واما
الآثار فقد قال الحسن رحمه الله فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لب فرحا وقال الربيع بن خثيم ما غائب ينتظره المؤمن خيرا
له من الموت وكان يقول لا تشعروا بي احدا وسلوني الى ربي سلا وكتب بعض الحكماء الى رجل من اخوانه يا اخي احذر الموت
في هذه الدار قبل ان تصير الى دار تتمنى فيها الموت فلا تجده وكان ابن سيرين اذا ذكر عنده الموت مات كل عضو منه وكان
عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة ثم يبكون حتى كان بين ايديهم جنازة وقال ابراهيم
التيمي شيئان قطعا عني لذة الدنيا ذكر الموت والوقوف بين يدي الله وقال كعب من عرف الموت هانت عليه مصائب
الدنيا وهمومها وقال مطرف رايت فيما يرى النائم كان قائلا يقول في وسط مسجد البصرة قطع ذكر الموت قلوب الخائفين فوالله
ما تراهم الا والهين وقال اشعث كنا ندخل على الحسن البصري فانما هو ذكر النار وامر الآخرة وذكر الموت وقالت صفية ان امراة
شكت الى عائشة قساوة قلبها فقالت اكثري ذكر الموت يرق قلبك ففعلت فرق قلبها فجاءت تشكر عائشة رضي الله عنها وكان عيسى عليه السلام
اذا ذكر عنده الموت يقطر جلده دما وكان داود عليه السلام اذا ذكر الموت والقيامة يبكي حتى تنخلع اوصاله فاذا ذكر الرحمة رجعت اليه
نفسه وقال الحسن ما رايت عاقلا قط الا اصبته من الموت حذرا وعليه حزينا وقال عمر بن عبد العزيز لبعض العلماء عظني فقال
انت اول خليفة تموت قال زدني قال ليس من ابائك احد الى آدم الا ذاق الموت وقد جاءت نوبتك فبكى عمر لذلك
وكان الربيع بن خثيم قد حفر في داره قبرا وكان ينام في اللحد كل يوم مرات يستديم بذلك ذكر الموت وكان يقول لو فارق ذكر الموت
قلبي ساعة لفسد وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير ان هذا الموت قد نغص على اهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيما لا موت فيه وقال
عمر بن عبد العزيز لعنبسة اكثر ذكر الموت فان كنت واسع العيش ضيقه عليك وان كنت ضيق العيش وسعه عليك وقال
ابو سليمان الداراني قلت لام هارون اتحبين الموت قالت لا قلت لم قالت لو عصيت آدميا ما اشتهيت لقاءه
فكيف احب لقاءه وقد عصيته

بيان الطريق في تحقيق ذكر الموت في القلب

اعلم ان الموت
هائل وخطره عظيم وغفلة الناس عنه لقلة فكرهم فيه وذكرهم له ومن يذكره ليس يذكره بقلب فارغ بل بقلب مشغول بشهوات
الدنيا فلا ينجع ذكر الموت في قلبه فالطريق فيه ان يفرغ العبد قلبه عن كل شيء الا عن ذكر الموت الذي هو بين يديه كالذي يريد
ان يسافر الى مفازة مخطرة او يركب البحر فانه لا يتفكر الا فيه فاذا باشر ذكر الموت قلبه فيوشك ان يؤثر فيه وعند ذلك يقل فرحه
وسروره بالدنيا وينكسر قلبه واوقع طريق فيه ان يكثر ذكر اشكاله واقرانه الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصرعهم تحت التراب
ويتذكر صورهم في مناصبهم واحوالهم ويتامل كيف محى التراب الآن حسن صورهم وكيف تبددت اجزاؤهم في قبورهم
وكيف ارملوا نساءهم وايتموا اولادهم وضيعوا اموالهم وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم
وانقطعت آثارهم فمهما تذكر رجلا رجلا وفصل في قلبه حاله وكيفية موته وتوهم صورته وتذكر نشاطه وتردده وامله
للعيش والبقاء ونسيانه للموت وانخداعه بمواتاة الاسباب وركونه الى القوة والشباب وميله الى الضحك واللهو وغفلته عما
بين يديه من الموت الذريع والهلاك السريع وانه كيف كان يتردد والآن قد تهدمت رجلاه ومفاصله وكيف كان ينطق وقد
اكل الدود لسانه وكيف كان يضحك وقد اكل التراب اسنانه وانه كيف يدبر لنفسه ما لا يحتاج اليه الى عشر سنين في وقت لم
يكن بينه وبين الموت الا شهر واحد وهو غافل عما يراد به حتى جاءه الموت في وقت لم يحتسبه فانكشف له صورة الملك وقرع سمعه
النداء اما بالجنة او بالنار فعند ذلك ينظر في نفسه انه مثلهم وغفلته كغفلتهم وستكون عاقبته كعاقبتهم وقال ابو الدرداء
اذا ذكرت الموتى فعد نفسك كاحدهم وقال ابن مسعود السعيد من وعظ بغيره وقال عمر بن عبد العزيز الا ترون انكم
تجهزون كل يوم غاديا او رائحا الى الله تعالى تضعونه في صدع من الارض قد توسد التراب وخلف الاحباب وقطع الاسباب فملازمة
هذه الافكار وامثالها مع دخول المقابر ومشاهدة المرضى هو الذي يجدد ذكر الموت في القلب حتى يغلب عليه بحيث يصير نصب عينيه
فعند ذلك يوشك ان يستعد له ويتجافى عن دار الغرور والا فالذكر بظاهر القلب وعذبة اللسان قليل الجدوى في التحذير والتنبيه
ومهما طاب قلبه بشيء من الدنيا ينبغي ان يتذكر في الحال انه لا بد من مفارقته نظر ابن مطيع ذات يوم الى داره فاعجبه حسنها فبكى
ثم قال والله لولا الموت لكنت بك مسرورا ولولا ما نصير اليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا اعيننا ثم بكى بكاء شديدا حتى
ارتفع صوته

فضيلة قصر الامل

الباب الثاني في طول الامل وفضيلة قصر الامل وسبب طوله وكيفية معالجته

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من حياتك
لموتك ومن صحتك لسقمك فانك يا عبد الله لا تدري ما اسمك غدا وروى علي كرم الله وجهه انه صلى الله عليه وسلم قال ان اشد ما اخاف عليكم
خصلتان اتباع الهوى وطول الامل فاما اتباع الهوى فانه يصد عن الحق واما طول الامل فانه الحب للدنيا ثم قال الا ان الله تعالى يعطي الدنيا
من يحب ويبغض واذا احب عبدا اعطاه الايمان الا ان للدين ابناء وللدنيا ابناء فكونوا من ابناء الدين ولا تكونوا من ابناء الدنيا
الا ان الدنيا قد ارتحلت مولية الا ان الآخرة قد ارتحلت مقبلة الا وانكم في يوم عمل ليس فيه حساب الا وانكم توشكون ان تكونوا في
يوم حساب ليس فيه عمل وقالت ام المنذر اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات عشية الى الناس فقال ايها الناس اما تستحيون من الله
قالوا وما ذاك يا رسول الله قال تجمعون ما لا تاكلون وتاملون ما لا تدركون وتبنون ما لا تسكنون وقال ابو سعيد الخدري اشترى
اسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار الى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا تعجبون من اسامة المشتري الى
شهر ان اسامة لطويل الامل والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي الا ظننت ان شفري لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي ولا رفعت
طرفي فظننت اني واضعه حتى اقبض ولا لقمت لقمة الا ظننت اني لا اسيغها حتى اغص بها من الموت ثم قال يا بني آدم ان كنتم تعقلون
فعدوا انفسكم من الموتى والذي نفسي بيده انما توعدون لآت وما انتم بمعجزين وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله عليه السلام
كان يخرج يهريق الماء فيتمسح بالتراب فاقول له يا رسول الله ان الماء منك قريب فيقول ما يدريني لعلي لا ابلغه وروي انه عليه السلام
اخذ ثلاثة اعواد فغرز عودا بين يديه والآخر الى جنبه واما الثالث فابعده فقال هل تدرون ما هذا قالوا الله ورسوله اعلم
قال هذا الانسان وهذا الاجل وذاك الامل يتعاطاه ابن آدم ويختلجه الاجل دون الامل وقال صلى الله عليه وسلم مثل ابن آدم والى جنبه
تسع وتسعون منية ان اخطاته المنايا وقع في الهرم قال ابن مسعود هذا المرء وهذه الحتوف حوله شوارع اليه والهرم وراء الحتوف
والامل وراء الهرم فهو يامل وهذه الحتوف شوارع اليه فايها امر به اخذه فان اخطاته الحتوف قتله الهرم وهو ينتظر الامل
وقال عبد الله خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا مربعا وخط وسطه خطا وخط خطوطا الى جنب الخط وخط خطا خارجا فقال
اتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله اعلم قال هذا الانسان للخط الذي في وسطه وهذا الاجل محيط به وهذه الاعراض للخطوط
التي حوله تنهشه ان اخطاه هذا نهشه هذا وذاك الامل يعني الخط الخارج وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يهرم

ابن آدم ويبقى معه اثنتان الحرص والامل وفي رواية وتشب معه اثنتان الحرص على المال والحرص على العمر وقال صلى الله عليه وسلم نجا اول
هذه الامة باليقين والزهد ويهلك آخر هذه الامة بالبخل والامل وقيل بينما عيسى صلى الله عليه وسلم جالس وشيخ يعمل بمسحاة يثير
بها الارض فقال عيسى اللهم انزع منه الامل فوضع الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة فقال عيسى اللهم اردد اليه الامل فقام فجعل يعمل فسأله
عيسى عن ذلك فقال بينما انا اعمل اذ قالت لي نفسي الى متى تعمل وانت شيخ كبير فالقيت المسحاة واضطجعت ثم قالت لي نفسي والله لا بد لك من عيش
ما بقيت فقمت الى مسحاتي وقال الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلكم يحب ان يدخل الجنة قالوا نعم يا رسول الله قال قصروا من الامل وثبتوا آجالكم
بين ابصاركم واستحيوا من الله حق الحياء وكان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم اني اعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة واعوذ بك من حياة
تمنع خير الممات واعوذ بك من امل يمنع خير العمل

الآثار

قال مطرف بن عبد الله لو علمت متى اجلي لخشيت على ذهاب
عقلي ولكن الله تعالى من على عباده بالغفلة عن الموت ولولا الغفلة ما تهنوا بعيش ولا قامت بينهم الاسواق وقال الحسن السهو والامل نعمتان
عظيمتان على بني آدم ولولاهما ما مشى المسلمون في الطرق وقال الثوري بلغني ان الانسان خلق احمق ولولا ذلك لم يهنه العيش وقال ابو سعيد بن عبد
الرحمن انما عمرت الدنيا بقلة عقول اهلها وقال سلمان الفارسي ثلاث اعجبتني حتى اضحكتني مؤمل الدنيا والموت يطلبه وغافل ليس بمغفول
عنه وضاحك ملء فيه لا يدري اساخط رب العالمين عليه ام راض وثلاث احزنتني حتى ابكتني فراق محمد وحزبه والاحبة وهول المطلع والوقوف
بين يدي الله لا ادري الى الجنة يؤمر بي ام الى النار وقال بعضهم رأيت زرارة بن ابي اوفى بعد موته في المنام فقلت اي الاعمال افضل عندكم قال
التوكل وقصر الامل وقال الثوري الزهد في الدنيا قصر الامل ليس باكل الغليظ ولبس العباء وسأل المفضل بن فضالة ربه ان يرفع عنه الامل فذهب
عنه شهوة الطعام والشراب ثم دعا ربه فرد عليه الامل فرجع الى الطعام والشراب وقيل للحسن يا ابا سعيد الا تغسل قميصك فقال الامر اعجل
من ذلك وقال الحسن الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من ورائكم وقال بعضهم انا كرجل ماد عنقه والسيف عليه ينتظر متى تضرب
عنقه وقال داود الطائي لو املت ان اعيش شهرا لرأيتني قد اتيت عظيما وكيف اؤمل ذلك وارى الفجائع تغشى الخلائق في ساعات الليل والنهار
وحكي ان شقيقا البلخي دخل على استاذ له يقال له ابو هاشم الرماني وفي طرف كسائه شيء مصرور فقال له استاذه ايش هذا معك قال لوزات
دفعها الي اخ لي وقال احب ان تفطر عليها فقال يا شقيق وانت تحدث نفسك انك تبقى الى الليل لا كلمتك ابدا قال فاغلق في وجهي الباب
ودخل وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته ان لكل سفر زادا لا محالة فتزودوا لسفركم من الدنيا الى الآخرة التقوى وكونوا كمن عاين ما اعد الله
من ثوابه وعقابه ترغبوا وترهبوا ولا يطولن عليكم الامل فتقسو قلوبكم وتنقادوا لعدوكم فانه والله ما بسط امل من لا يدري لعله لا يصبح
بعد مسائه ولا يمسي بعد صباحه وربما كانت بين ذلك خطفات المنايا وكم رأيتم ورأينا من كان بالدنيا مغترا وانما تقر عين من وثق بالنجاة
من عذاب الله وانما يفرح من امن من اهوال يوم القيامة فاما من لا يداوي كلما الا اصابه جارح من ناحية اخرى فكيف يفرح اعوذ بالله ان
آمركم بما لا انهى نفسي عنه فتخسر صفقتي وتظهر عيلتي وتبدو مسكنتي في يوم يبدو فيه الغنى والفقر والموازين فيه منصوبة لقد عنيتم بامر
لو عنيت به النجوم لانكدرت ولو عنيت به الجبال لذابت ولو عنيت به الارض لتشققت اما تعلمون انه ليس بين الجنة والنار منزلة وانكم
صائرون الى احداهما وكتب رجل الى اخ له اما بعد فان الدنيا حلم والآخرة يقظة والمتوسط بينهما الموت ونحن في اضغاث احلام
والسلام وكتب آخر الى اخ له ان الحزن على الدنيا طويل والموت من الانسان قريب وللنقص في كل يوم منه نصيب وللبلى في
جسمه دبيب فبادر قبل ان تنادى بالرحيل والسلام وقال الحسن كان آدم عليه السلام قبل ان يخطئ امله خلف ظهره واجله
بين عينيه فلما اصاب الخطيئة حول فجعل امله بين عينيه واجله خلف ظهره وقال عبد الله بن شميط سمعت ابي يقول ايها
المغتر بطول صحته اما رأيت ميتا قط من غير سقم ايها المغتر بطول المهلة اما رأيت مأخوذا قط من غير عدة انك لو فكرت في طول
عمرك لنسيت ما قد تقدم من لذاتك ابالصحة تغترون ام بطول العافية تمرحون ام الموت تأمنون ام على ملك الموت تجترئون ان ملك
الموت اذا جاء لا يمنعه منك ثروة مالك ولا كثرة احتشادك اما علمت ان ساعة الموت ذات كرب وغصص وندامة على
التفريط ثم يقول رحم الله عبدا عمل لما بعد الموت رحم الله عبدا نظر لنفسه قبل نزول الموت وقال ابو زكريا التيمي بينما سليمان
ابن عبد الملك في المسجد الحرام اذ اتي بحجر منقور فطلب من يقرأه فاتي بوهب بن منبه فاذا فيه ابن آدم انك لو رأيت قرب

ما بقي من اجلك لزهدت في طول املك ولرغبت في الزيادة من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك وانما يلقاك غدا ندمك لو
قد زلت بك قدمك واسلمك اهلك وحشمك وفارقك الولد والقريب ورفضك الوالد والنسيب فلا انت الى دنياك
عائد ولا في حسناتك زائد فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة فبكى سليمان بكاء شديدا وقال بعضهم رأيت
رأيت كتابا من محمد بن يوسف الى عبد الرحمن بن يوسف سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فاني احذرك
متحولك من دار مهلتك الى دار اقامتك وجزاء اعمالك فتصير في قرار باطن الارض بعد ظاهرها فيأتيك منكر ونكير فيقعدانك
فان يكن الله معك فلا بأس ولا وحشة ولا فاقة وان يكن غير ذلك فاعاذني الله واياك من سوء مصرع وضيق مضجع ثم تبلغك صيحة
الحشر ونفخ الصور وقيام الجبار لفصل قضاء الخلائق وخلاء الارض من اهلها والسموات من سكانها فباحت الاسرار وسعرت
النار ووضعت الموازين وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين فكم من مفتضح ومستور وكم
من هالك وناج وكم من معذب ومرحوم فيا ليت شعري ما حالي وحالك يومئذ ففي هذا ما هدم اللذات واسلى عن الشهوات وقصر عن الامل
وايقظ النائمين وحذر الغافلين اعاننا الله واياك على هذا الخطر العظيم واوقع الدنيا والآخرة في قلبي وقلبك موقعهما
من قلوب المتقين فانما نحن به وله والسلام وخطب عمر بن عبد العزيز فحمد الله واثنى عليه وقال انكم لم تخلقوا عبثا
ولن تتركوا سدى وان لكم معادا يجمعكم الله فيه للحكم والفصل فيما بينكم فخاب وشقي عبد اخرجه الله من رحمته التي
وسعت كل شيء وجنته التي عرضها السموات والارض وانما يكون الامان غدا لمن خاف واتقى وباع قليلا بكثير وفانيا
بباق وشقوة بسعادة الا ترون انكم في اسلاب الهالكين وسيخلف بعدكم الباقون الا ترون انكم في كل يوم تشيعون
غاديا ورائحا الى الله تعالى قد قضى نحبه وانقطع امله فتضعونه في بطن صدع من الارض غير موسد ولا ممهد قد خلع الاسباب
وفارق الاحباب وواجه الحساب وايم الله اني لاقول لكم مقالتي هذه ولا اعلم عند احد منكم من الذنوب اكثر مما اعلم من نفسي ولكنها سنن
من الله عادلة امر فيها بطاعته ونهى فيها عن معصيته واستغفر الله لي ولكم ووضع كمه على وجهه وجعل يبكي حتى بلت دموعه لحيته
وما عاد الى مجلسه حتى مات وقال القعقاع بن حكيم قد استعددت للموت منذ ثلاثين سنة فلو اتاني ما احببت تأخير
شيء عن شيء وقال الثوري رأيت شيخا في مسجد الكوفة يقول انا في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة انتظر الموت ان ينزل بي ولو اتاني ما امرته
بشيء ولا نهيته عن شيء ولا لي على احد شيء ولا لاحد عندي شيء وقال عبد الله بن ثعلبة تضحك ولعل اكفانك قد خرجت من عند
القصار وقال ابو محمد الزاهد خرجنا في جنازة بالكوفة وخرج فيها داود الطائي فانتبذ فقعد ناحية وهي تدفن فجئت
فقعدت قريبا منه فتكلم فقال من خاف الوعيد قصر عليه البعيد ومن طال امله ضعف عمله وكل ما هو آت قريب
واعلم يا اخي ان كل شيء يشغلك عن ربك فهو عليك مشؤوم واعلم ان اهل الدنيا جميعا من اهل القبور انما يندمون على ما يخلفون ويفرحون
بما يقدمون فما ندم عليه اهل القبور اهل الدنيا عليه يقتتلون وفيه يتنافسون وعليه عند القضاة يختصمون وقال محمد
ابن ابي توبة اقام معروف الكرخي الصلاة ثم قال لي تقدم فقلت اني ان صليت بكم هذه الصلاة لم اصل بكم غيرها فقال معروف وانت تحدث نفسك
ان تصلي صلاة اخرى نعوذ بالله من طول الامل فانه يمنع خير العمل وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته ان الدنيا ليست بدار قراركم دار
كتب الله عليها الفناء وكتب على اهلها منها الظعن فكم من عامر موثق عما قليل يخرب وكم من مقيم مغتبط عما قليل يظعن فاحسنوا رحمكم الله
منها الرحلة باحسن ما بحضرتكم من النقلة وتزودوا فان خير الزاد التقوى انما الدنيا كفيء ظلال قلص فذهب بينا ابن آدم
في الدنيا ينافس وهو بها قرير عين اذ دعاه الله بقدره ورماه بيوم حتفه فسلبه آثاره ودنياه وصير لقوم آخرين مصانعه
ومغناه ان الدنيا لا تسر بقدر ما تضر انها تسر قليلا وتحزن طويلا وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه كان يقول في خطبته اين
الوضاءة الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم اين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحيطان اين الذين كانوا يعطون الغلبة
في مواطن الحرب قد تضعضع بهم الدهر فاصبحوا في ظلمات القبور الوحا الوحا ثم النجا النجا

بيان السبب في طول الامل وعلاجه

اعلم ان طول الامل له سببان احدهما الجهل والآخر حب الدنيا اما حب الدنيا فهو انه اذا انس بشهواتها ولذاتها وعلائقها ثقل على قلبه

مفارقتها ولا من كونه شاء فهو عن نفسه والانسان مشغوف بالاماني الباطلة فيمني نفسه ابدا بما يوافق مراده وانما يوافق مراده البقاء
في الدنيا فلا يزال يتوهمه ويقدره في نفسه ويقدر توابع البقاء وما يحتاج اليه من مال واهل ودار واصدقاء ودواب وساير اسباب
الدنيا فيصير قلبه عاكفا على هذا الفكر موقوفا عليه فيلهو عن ذكر الموت ولا يقدر قربه فان خطر له في بعض الاحوال امر الموت والحاجة
الى الاستعداد له سوف ووعد نفسه وقال الايام بين يديك فالى ان تكبر ثم تتوب واذا كبر فيقول الى ان تصير شيخا فاذا صار شيخا
قال الى ان تفرغ من بناء هذه الدار وعمارة هذه الضيعة او ترجع من هذه السفرة او تفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكن له
او تفرغ من قهر هذا العدو الذي يشمت بك فلا يزال يسوف ويؤخر ولا يخوض في شغل الا ويتعلق باتمام ذلك الشغل عشرة اشغال اخر
وهكذا على التدريج يؤخر يوما بعد يوم ويفضي به شغل الى شغل بل الى اشغال الى ان تخطفه المنية في وقت لا يحتسبه فتطول عند ذلك
حسرته واكثر اهل النار صياحهم من سوف يقولون واحزناه من سوف والمسوف المسكين لا يدري ان الذي يدعوه الى التسويف
اليوم هو معه غدا وانما يزداد بطول المدة قوة ورسوخا ويظن انه يتصور ان يكون للخائض في الدنيا والحافظ لها فراغ قط وهيهات فما يفرغ منها
الا من اطرحها **وقيل** فما قضى احد منها لبانته ولا انتهى ارب منها الى ارب واصل هذه الاماني كلها حب الدنيا والانس بها
والغفلة عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم احبب من احببت فانك مفارقه **واما الجهل** فان الانسان قد يعول على شبابه فيستبعد قرب
الموت مع الشباب وليس يتفكر المسكين ان مشايخ بلده لو عدوا لكانوا اقل من عشر رجال البلد وانما قلوا لان الموت في الشباب
اكثر فالى ان يموت شيخ يموت الف صبي وشاب وقد يستبعد الموت لصحته ويستبعد الموت فجاة ولا يدري ان ذلك غير بعيد وان كان
ذلك بعيدا فالمرض فجاة غير بعيد وكل مرض فانما يقع فجاة واذا مرض لم يكن الموت بعيدا ولو تفكر هذا الغافل وعلم ان الموت
ليس له وقت مخصوص من شباب وشيب وكهولة ومن صيف وشتاء وخريف وربيع ومن ليل ونهار لعظم استشعاره واشتغل بالاستعداد
له ولكن الجهل بهذه الامور وحب الدنيا دعواه الى طول الامل والى الغفلة عن تقدير الموت القريب فهو ابدا يظن ان الموت يكون بين يديه
ولا يقدر نزوله به ووقوعه فيه وهو ابدا يظن انه يشيع الجنائز ولا يقدر ان تشيع جنازته لان هذا قد تكرر عليه والفه وهو مشاهدة
موت غيره واما موت نفسه فلم يالفه ولا يتصور ان يالفه واذا وقع لم يقع اخرى بعده فهو الاول وهو الاخر وسبيله ان يقيس نفسه بغيره
ويعلم انه لابد ان تحمل جنازته ويدفن في قبره ولعل اللبن الذي يغطى به لحده قد ضرب وفرغ منه وهو لا يدري فتسويفه جهل محض واذا عرفت
ان سببه الجهل وحب الدنيا فعلاجه دفع سببه اما الجهل فيدفع بالفكر الصافي من القلب الحاضر وبسماع الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة
واما حب الدنيا فالعلاج في اخراجه من القلب شديد وهو الداء العضال الذي اعيا الاولين والاخرين علاجه ولا علاج له الا الايمان باليوم الاخر وبما
فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب ومهما حصل له اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حب الدنيا فان حب الخطير هو الذي يمحو عن القلب حب الحقير فاذا
راى حقارة الدنيا ونفاسة الاخرة استنكف ان يلتفت الى الدنيا كلها وان اعطي ملك الارض من المشرق الى المغرب فكيف وليس عنده من الدنيا
الا قدر يسير مكدر منغص فكيف يفرح بها او يترسخ في القلب حبها مع الايمان بالاخرة فنسال الله تعالى ان يرينا الدنيا كما اراها الصالحين من عباده
ولا علاج في تقرير الموت في القلب مثل النظر الى من مات من الاقران والاشكال وانهم كيف جاءهم الموت في وقت لم يحتسبوا اما من
مات مستعدا فقد فاز فوزا عظيما واما من كان مغرورا بطول الامل فقد خسر خسرانا مبينا ولينظر الانسان كل ساعة في اطرافه واعضائه
وليتدبر انه كيف تاكلها الديدان لا محالة وكيف تتفتت عظامها وليتفكر في ان الدود يبتدئ بحدقته اليمنى اولا او اليسرى فما على بدنه
شيء الا وهو طعمة الدود وما له من نفسه الا العلم والعمل الخالص لوجه الله تعالى وكذلك يتفكر فيما سنورده من عذاب القبر وسؤال
منكر ونكير ومن الحشر والنشر واهوال القيامة وقرع النداء يوم العرض الاكبر فامثال هذه الافكار هي التي تجدد ذكر الموت على قلبه
وتدعوه الى الاستعداد

بيان مراتب الناس في طول الامل وقصره

اعلم ان الخلق في ذلك يتفاوتون فمنهم من يامل البقاء
الى الهرم وهو اقصى العمر الذي شاهده وراه وهو الذي يحب الدنيا حبا شديدا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشيخ شاب في حب طلب
الدنيا وان التفت ترقوتاه من الكبر الا الذين اتقوا وقليل ما هم ومنهم من يامل الى سنة فلا يشتغل بتدبير ما وراءها ولا يقدر لنفسه
وجودا في عام قابل ولكن هذا يستعد في الصيف للشتاء وفي الشتاء للصيف فاذا جمع ما يكفيه لسنته اشتغل بالعبادة ومنهم من يامل
مدة الصيف او الشتاء فلا يدخر في الصيف ثياب الشتاء ولا في الشتاء ثياب الصيف ومنهم من يرجع امله الى يوم
وليلة فلا يستعد الا لنهاره واما للغد فلا قال عيسى عليه الصلاة والسلام لا تهتموا برزق غد فان يكن غد من اجالكم فسياتي فيه
ارزاقكم مع اجالكم فلا تهتموا لاجال غيركم ومنهم من لا يجاوز امله ساعة كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم يا عبد الله اذا اصبحت
فلا تحدث نفسك بالمساء واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح ومنهم من لا يقدر البقاء ايضا ساعة كما
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتيمم مع القدرة على الماء قبل مضي ساعة ويقول لعلي لا ابلغه ومنهم من يكون الموت نصب
عينيه كانه واقع به وهو ينتظره وهذا الانسان هو الذي يصلي صلاة مودع وفيه ورد ما نقل عن معاذ بن جبل لما ساله
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حقيقة ايمانه قال ما خطوت خطوة الا ظننت اني لا اتبعها اخرى وكما نقل عن الاسود وهو حبشي انه كان
يصلي ليلا ويلتفت يمينا وشمالا فقال له قائل ما هذا قال انتظر ملك الموت من اي جهة ياتيني فهذه مراتب الناس ولكل
درجات عند الله وليس من امله مقصور على شهر كمن امله شهر ويوم بل بينهما تفاوت في الدرجة عند الله فان الله لا يظلم
مثقال ذرة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون
ثم يظهر اثر قصر الامل في المبادرة الى العمل وكل انسان يدعي انه قصير الامل وهو كاذب وانما يظهر ذلك باعماله فانه
يعتني باسباب ربما لا يحتاج اليها في سنة فيدل ذلك على طول امله وانما علامة التوفيق ان يكون الموت نصب العين لا يغفل
عنه ساعة فيستعد للموت الذي يرد عليه في الوقت فان عاش الى المساء شكر الله تعالى على طاعته وفرح بانه لم يضيع نهاره
بل استوفى منه حظه وادخره لنفسه ثم يستانف مثله الى الصباح وهكذا اذا اصبح ولا يتيسر هذا الا لمن فرغ القلب عن الغد وما
يكون فيه فمثل هذا اذا مات سعد وان عاش سر بحسن استعداده ولذة المناجاة فالموت له سعادة والحياة له مزيد فليكن
الموت على بالك يا مسكين فان السير حاث بك وانت غافل عن نفسك ولعلك قد قاربت المنزل وقطعت
المسافة ولا يكون كذلك الا بمبادرة العمل اغتناما لكل نفس امهلت فيه

بيان وجوب المبادرة الى العمل وحذر آفة التاخير

اعلم ان من له اخوان غائبان ينتظر قدوم احدهما في غد وينتظر قدوم الاخر بعد شهر او سنة فلا يستعد للذي يقدم
الى شهر او سنة وانما يستعد للمنتظر قدومه غدا فالاستعداد نتيجة قرب الانتظار فمن انتظر مجيء الموت بعد سنة اشتغل
قلبه بالمدة ونسي ما وراء المدة ثم يصبح كل يوم وهو منتظر للسنة بكمالها لا ينقص منها اليوم الذي مضى وذلك يمنعه من مبادرة
العمل ابدا فانه ابدا يرى لنفسه متسعا في تلك السنة فيؤخر العمل كما **قال** النبي صلى الله عليه وسلم ما ينتظر احدكم من الدنيا
الا غنى مطغيا او فقرا منسيا او مرضا مفسدا او هرما مفندا او موتا مجهزا او الدجال فالدجال شر غائب ينتظر
او الساعة والساعة ادهى وامر وقال ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك
قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك وقال صلى الله عليه وسلم
نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ اي انه لا يغتنمهما ثم يعرف قدرهما عند زوالهما وقال صلى الله عليه وسلم
من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية الا ان سلعة الله الجنة وقال صلى الله عليه وسلم جاءت الراجفة
تتبعها الرادفة وجاء الموت بما فيه وكان صلى الله عليه وسلم اذا انس من اصحابه غفلة او غرة نادى فيهم بصوت رفيع اتتكم المنية
راتبة لازمة اما بشقاوة واما بسعادة **وقال** ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا النذير والموت المغير
والساعة الموعد وقال ابن عمر خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس على اطراف السعف فقال ما بقي من الدنيا الا مثل ما بقي
من يومنا هذا في مثل ما مضى منه **وقال** صلى الله عليه وسلم مثل الدنيا مثل ثوب شق من اوله الى اخره فبقي معلقا بخيط
في اخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع **وقال** جابر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب فذكر الساعة رفع
صوته واحمرت وجنتاه كانه منذر جيش يقول صبحتكم ومسيتكم بعثت انا والساعة كهاتين وقرن بين اصبعيه
وقال ابن مسعود تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان النور اذا دخل الصدر انفسح فقيل يا رسول الله هل لذلك من علامة تعرف قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار
الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله وقال السدي في قوله تعالى خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا اي ايكم اكثر للموت ذكرا
واحسن له استعدادا واشد منه خوفا وحذرا وقال حذيفة ما من صباح ولا مساء الا ومناد ينادي ايها الرحيل الرحيل
الرحيل وتصديق ذلك قوله تعالى انها لاحدى الكبر نذيرا للبشر لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر في الموت وقال سليم مولى
بني تميم جلست الى عامر بن عبد الله وهو يصلي فاوجز في صلاته ثم اقبل علي فقال ارحني بحاجتك فاني ابادر قلت وما تبادر
قال ملك الموت رحمك الله قال فقمت عنه وقام الى الصلاة ومر داود الطائي فسأله رجل عن حديث فقال دعني انما
ابادر خروج نفسي وقال عمر التؤدة في كل شيء خير الا في اعمال الخير للآخرة وقال المنذر سمعت مالك بن دينار يقول لنفسه ويحك
بادري قبل ان ياتيك الامر ويحك بادري قبل ان ياتيك الامر حتى كرر ذلك ستين مرة اسمعه ولا يراني وكان الحسن يقول في موعظته المبادرة المبادرة فانما هي
الانفاس لو حبست انقطعت عنكم اعمالكم التي تتقربون بها الى الله رحم الله امرأ نظر لنفسه وبكى على ذنوبه ثم قرأ هذه الآية انما نعد لهم عدا
يعني الانفاس آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق اهلك آخر العدد دخولك في قبرك واجتهد ابو موسى الاشعري قبل موته اجتهادا شديدا
فقيل له لو امسكت ورفقت بنفسك بعض الرفق فقال ان الخيل اذا ارسلت فقاربت راس مجراها اخرجت جميع ما عندها والذي
بقي من اجلي اقل من ذلك قال فلم يزل على ذلك حتى مات وكان يقول لامرأته شدي رحلك فليس على جهنم معبر وقال بعض الخلفاء
على منبره عباد الله اتقوا الله ما استطعتم وكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا وعلموا ان الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا واستعدوا
للموت فقد اظلكم وترحلوا فقد جد بكم وان غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدة وان غائبا يحدوه
الجديدان الليل والنهار لحري بسرعة الاوبة وان قادما يحل بالفوز او الشقوة لمستحق لافضل العدة فرحم الله عبدا اتقى ربه ونصح نفسه
وقدم توبته وغلب شهوته فان اجله مستور عنه وامله خادع له والشيطان موكل به يمنيه التوبة ليسوفها ويزين له المعصية ليرتكبها
حتى تهجم منيته عليه اغفل ما يكون عنها وانه ما بين احدكم وبين الجنة والنار الا الموت ان ينزل به فيا لها حسرة على ذي غفلة ان يكون عمره
عليه حجة وان ترديه ايامه الى الشقوة جعلنا الله واياكم ممن لا تبطره نعمة ولا تقصر به عن طاعة الله معصية ولا يحل به بعد الموت حسرة انه
سميع الدعاء وانه بيده الخير دائما وانه فعال لما يشاء وقال بعض المفسرين في قوله تعالى فتنتم انفسكم قال بالشهوات واللذات
وتربصتم قال بالتوبة وارتبتم قال شككتم حتى جاء امر الله قال الموت وغركم بالله الغرور قال طول الامل وقال الحسن تصبروا
وتشددوا فانما هي ايام قليلة وانما انتم ركب وقوف ويوشك ان يدعى الرجل منكم فيجيب ولا يلتفت فانتقلوا بصالح ما بحضرتكم وقال
ابن مسعود ما منكم من احد الا وهو ضيف وماله عارية والضيف مرتحل والعارية مؤداة وقال ابو عبيدة الباجي دخلنا على الحسن في مرضه
الذي مات فيه فقال مرحبا بكم واهلا وحياكم الله بالسلام واحلنا واياكم دار المقام هذه علانية حسنة ان صبرتم وصدقتم واتقيتم
فلا يكون حظكم من هذا الخبر رحمكم الله ان تسمعوه بهذه الاذن وتخرجوه من هذه الاذن فانه من رأى محمدا صلى الله عليه وسلم فقد رآه غاديا ورائحا لم يضع لبنة على لبنة ولا
قصبة على قصبة ولكن رفع له علم فشمر اليه الوحا الوحا النجا النجا علام تعرجون اتيتم ورب الكعبة كأنكم والامر معا رحم الله
عبدا جعل العيش عيشا واحدا فاكل كسرة ولبس خلقا ولزق بالارض واجتهد في العبادة وبكى على الخطيئة وهرب من العقوبة وابتغى
الرحمة حتى ياتيه اجله وهو على ذلك وقال عاصم الاحول قال لي فضيل الرقاشي وانا سائله يا هذا لا يشغلنك كثرة الناس عن نفسك فان
الامر يخلص اليك دونهم ولا تقل اذهب ههنا وههنا فينقطع عنك النهار في لا شيء فان الامر محفوظ عليك ولم تر شيئا قط احسن طلبا ولا
اسرع ادراكا من حسنة حديثة لذنب قديم

الباب الثالث في سكرات الموت وشدته

وما يستحب من الاحوال عند الموت اعلم انه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت
بمجردها لكان جديرا بان يتنغص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره ويفارقه سهوه وغفلته وحقيقا بان يطول فيه فكره ويعظم
له استعداده لا سيما وهو في كل نفس بصدده كما قال بعض الحكماء كرب بيد سواك لا تدري متى يغشاك وقال لقمان لابنه يا بني امر
لا تدري متى يلقاك استعد له قبل ان يفجاك والعجب ان الانسان لو كان في اعظم اللذات واطيب مجالس اللهو فانتظر ان يدخل عليه

جندي فيضربه خمس خشبات لتكدرت عليه لذته وفسد عليه عيشه وهو في كل نفس بصدد ان يدخل عليه ملك الموت بسكرات
النزع وهو عنه غافل فما لهذا سبب الا الجهل والغرور واعلم ان شدة الالم في سكرات الموت لا يعرفها بالحقيقة
الا من ذاقها ومن لم يذقها فانما يعرفها اما بالقياس الى الآلام التي ادركها واما بالاستدلال باحوال الناس في النزع على شدة
ما هم فيه فاما القياس الذي يشهد له فهو ان كل عضو لا روح فيه فلا يحس بالالم فاذا كان فيه الروح فالمدرك للالم هو الروح
فمهما اصاب العضو جرح او حريق سرى الاثر الى الروح فبقدر ما يسري الى الروح يتألم والمؤلم يتفرق على اللحم والدم وسائر
الاجزاء فلا يصيب الروح الا بعض الالم فان كان في الآلام ما يباشر نفس الروح ولا يلاقي غيره فما اعظم ذلك الالم وما اشده والنزع
عبارة عن مؤلم نزل بنفس الروح فاستغرق جميع اجزائه حتى لم يبق جزء من اجزاء الروح المنتشر في اعماق البدن الا وقد حل به
الالم فلو اصابته شوكة فالالم الذي يجده انما يجري في جزء من الروح يلاقي ذلك الموضع الذي اصابته الشوكة وانما يعظم اثر الاحتراق
لان اجزاء النار تغوص في سائر اجزاء البدن فلا يبقى جزء من العضو المحترق ظاهرا وباطنا الا ويصيبه النار فتحسه الاجزاء الروحانية
المنتشرة في سائر اجزاء اللحم واما الجراحة فانما تصيب الموضع الذي مسه الحديد فقط فلذلك كان الم الجرح دون الم النار فالم
النزع يهجم على نفس الروح ويستغرق جميع اجزائه فانه المنزوع المجذوب من كل عرق من العروق وعصب من الاعصاب وجزء من الاجزاء
ومفصل من المفاصل ومن اصل كل شعرة وبشرة من الفرق الى القدم فلا تسأل عن كربه والمه حتى قالوا ان الموت لاشد من ضرب بالسيف
ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض لان قطع البدن بالسيف انما يؤلم لتعلقه بالروح فكيف اذا كان المتناول
المباشر نفس الروح وانما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوته في قلبه وفي لسانه وانما انقطع صوت الميت وصياحه
مع شدة المه لان الكرب قد بالغ فيه وتصاعد على قلبه وغلب على كل موضع منه فهد كل قوة وضعف كل جارحة فلم يترك له قوة الاستغاثة
اما العقل فقد غشيه وشوشه واما اللسان فقد ابكمه واما الاطراف فقد ضعفها ويود لو قدر على الاستراحة بالانين والصياح
والاستغاثة ولكنه لا يقدر على ذلك فان بقيت فيه قوة سمعت له عند نزع الروح وجذبها خوارا وغرغرة من حلقه وصدره وقد تغير
لونه واربد حتى كأنه ظهر منه التراب الذي هو اصل فطرته وقد جذب منه كل عرق على حياله فالالم منتشر في داخله وخارجه حتى
ترتفع الحدقتان الى اعالي اجفانه وتتقلص الشفتان الى اصلهما ويرتفع الانثيان الى اعالي موضعهما وتخضر انامله فلا تسأل
عن بدن يجذب منه كل عرق من عروقه ولو كان المجذوب عرقا واحدا لكان المه عظيما فكيف والمجذوب نفس الروح المتألم لا من
عرق واحد بل من جميع العروق ثم يموت كل عضو من اعضائه تدريجا فتبرد اولا قدماه ثم ساقاه ثم فخذاه ولكل عضو سكرة
بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى يبلغ بها الى الحلقوم فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا واهلها ويغلق دونه باب التوبة ويحيط به
الحسرة والندامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقبل توبة العبد ما لم يغرغر وقال مجاهد في قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون
السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن قال اذا عاين الرسل فعند ذلك تبدو له صفحة وجه ملك الموت فلا تسأل
عن طعم مرارة الموت وكربه عند ترادف سكراته ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم هون على محمد سكرات الموت والناس
انما لا يستعيذون منه ولا يستعظمونه لجهلهم به فان الاشياء قبل وقوعها انما تدرك بنور النبوة والولاية ولذلك عظم خوف الانبياء والاولياء
من الموت حتى قال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين ادعوا الله ان يهون علي هذه السكرة يعني الموت فقد خفت الموت مخافة اوقفني خوفي من الموت
على الموت وروي ان نفرا من بني اسرائيل مروا بمقبرة فقال بعضهم لبعض لو دعوتم الله ان يخرج لكم من هذه المقبرة ميتا
تسائلونه فدعوا الله تعالى فاذا هم برجل قد قام وبين عينيه اثر السجود قد خرج من قبر من القبور فقال يا قوم ما اردتم مني لقد ذقت الموت منذ
خمسين عاما ما سكنت مرارة الموت من قلبي وقالت عائشة رضي الله عنها لا اغبط احدا يهون عليه الموت بعد الذي رأيت من شدة موت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وروي انه عليه السلام كان يقول اللهم انك تاخذ الروح من بين العصب والقصب والانامل اللهم فاعني على الموت وهونه
علي وعن الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الموت وغصته والمه فقال هو قدر ثلاثمائة ضربة بالسيف وسئل عليه السلام عن الموت وشدته فقال ان
اهون الموت بمنزلة حسكة في صوف فهل تخرج الحسكة من الصوف الا ومعها صوف ودخل صلى الله عليه وسلم على مريض ثم قال اني اعلم ما يلقى فانه

عرق ما وبالموت على حدته وكان علي رضه يحض على القتال ويقول ان لم تقتلوا تموتوا والذي نفسي بيده لالف ضربة بالسيف اهون من موت
على فراش وقال الاوزاعي بلغنا ان الميت يجد الم الموت ما لم يبعث من قبره وقال شداد بن اوس الموت افظع هول في الدنيا
والاخرة على المؤمن وهو اشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلي في القدور ولو ان الميت نشر فاخبر اهل الدنيا بالم الموت ما انتفعوا
بعيش ولا لذوا بنوم وعن زيد بن اسلم عن ابيه قال اذا بقي على المؤمن من درجاته شيء لم يبلغها بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بكرب الموت وكربه
درجته في الجنة واذا كان للكافر معروف لم يجز به في الدنيا هون عليه الموت ليستكمل ثواب معروفه فيصير الى النار وعن بعضهم انه كان يسال
كثيرا من المرضى كيف تجدون الموت فلما مرض قيل له فانت كيف تجده فقال كان السموات مطبقة على الارض وكان نفسي يخرج من ثقب ابرة وقال
صلى الله عليه وسلم موت الفجاة راحة للمؤمن واسف على الفاجر وروي عن مكحول عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان شعرة من شعر الميت وضعت
على اهل السموات والارض لماتوا باذن الله لان في كل شعرة الموت ولا يقع الموت بشيء الا مات وروي لو ان قطرة من الم الموت وضعت
على جبال الارض كلها لذابت وروي ان ابراهيم عم لما مات قال الله تعالى له كيف وجدت الموت يا خليلي فقال كسفود جعل في صوف
رطب ثم جذب فقال اما انا قد هونا عليك وروي عن موسى عم انه لما صارت روحه الى الله تعالى قال له ربه يا موسى كيف وجدت الموت
قال وجدت نفسي كالعصفور حين يقلى على المقلى لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير وروي عنه انه قال وجدت نفسي كشاة حية تسلخ
بيد القصاب وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان عنده قدح من ماء عند الموت فجعل يدخل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول
اللهم هون علي سكرات الموت وفاطمة رضها تقول واكرباه لكربك يا ابتاه وهو يقول لا كرب على ابيك بعد اليوم وقال عمر رضه لكعب الاحبار حدثنا
عن الموت فقال نعم يا امير المؤمنين ان الموت كغصن كثير الشوك ادخل في جوف رجل فاخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب
فاخذ ما اخذ وابقى ما ابقى وقال عم ان العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وان مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول عليك السلام
تفارقني وافارقك الى يوم القيامة فهذه سكرات الموت على اولياء الله واحبائه فما حالنا ونحن المنهمكون في المعاصي وتتوالى علينا مع سكرات
الموت بقية الدواهي **فان دواهي الموت** ثلثة الاولى شدة النزع كما ذكرناه الداهية الثانية مشاهدة
صورة ملك الموت ودخول الروع والخوف منه على القلب فلو راى الصورة التي يقبض عليها روح العبد المذنب اعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته
فقد روي عن ابراهيم الخليل عم انه قال لملك الموت هل تستطيع ان تريني الصورة التي تقبض فيها روح الفاجر قال لا تطيق ذلك
قال بلى قال فاعرض عني فاعرض عنه ثم التفت فاذا هو برجل اسود قائم الشعر منتن الريح اسود الثياب يخرج من فيه ومن مناخره لهيب
النار والدخان فغشي على ابراهيم ثم افاق وقد عاد ملك الموت الى صورته الاولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند موته الا صورة
وجهك لكان حسبه **وروي** ابو هريرة عن النبي عم ان داود كان رجلا غيورا وكان اذا خرج اغلق الابواب فاغلق ذات يوم وخرج
فاشرفت امراته فاذا هي برجل في الدار فقالت من ادخل هذا الرجل لئن جاء داود ليلقين منه عنتا فجاء داود فرآه فقال من انت
قال انا الذي لا اهاب الملوك ولا امنع من الحجاب فقال فانت والله اذا ملك الموت وزمل داود عم مكانه **وروي** ان عيسى عم مر
بجمجمة فضربها برجله فقال تكلمي باذن الله فقالت يا روح الله انا ملك زمان كذا وكذا بينا انا جالس في ملكي على تاجي وحولي جنودي وحشمي
على سرير ملكي اذ بدا لي ملك الموت فزال مني كل عضو على حياله ثم خرجت نفسي اليه فياليت ما كان من تلك الجموع كان فرقة وياليت
ما كان من تلك الانس كان وحشة فهذه داهية يلقاها العصاة ويكفاها المطيعون **فقد حكي** عن الانبياء مجرد سكرة النزع دون
الروعة التي يدركها من يشاهد صورة ملك الموت كذلك ولو راها في منامه ليلة لتنغص عليه بقية عمره فكيف برؤيته على مثل تلك الحالة اما
المطيع فانه يراه في احسن صورة واجملها **فقد روى** عكرمة عن ابن عباس ان ابراهيم عم كان رجلا غيورا وكان له بيت يتعبد
فيه فاذا خرج اغلقه فرجع ذات يوم فاذا برجل في جوف البيت فقال من ادخلك داري فقال ادخلنيها ربها فقال انا ربها فقال
ادخلنيها من هو املك بها مني ومنك فقال فمن انت من الملائكة فقال انا ملك الموت قال هل تستطيع ان تريني
الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن قال نعم فاعرض عني فاعرض عنه ثم التفت فاذا هو بشاب فذكر من حسن
وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه فقال يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت الا صورتك كان حسبه ومنها مشاهدة

الملكين

الملكين قال وهيب بلغنا انه ما من ميت يموت حتى يتراءى له ملكاه الكاتبان عمله فان كان مطيعا قالا له جزاك الله عنا خيرا
فرب مجلس صدق اجلستنا وعمل صالح احضرتنا وان كان فاجرا قالا لا جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس سوء قد اجلستنا وعمل غير صالح
قد احضرتنا وكلام قبيح قد اسمعتنا فلا جزاك الله عنا خيرا فذلك شخوص بصر الميت اليهما ولا يرجع الى الدنيا ابدا **الداهية** الثالثة مشاهدة العصاة مواضعهم من النار صح
وخوفهم قبل المشاهدة فانهم في حال السكرات وقد تخاذلت قواهم واستسلمت للخروج ارواحهم ولن تخرج ارواحهم ما لم يسمعوا
نغمة ملك الموت باحدى البشريين اما ابشر يا عدو الله بالنار او ابشر يا ولي الله بالجنة ومن هذا كان خوف ارباب الالباب
وقال النبي صلى الله عليه وسلم لن يخرج احدكم من الدنيا حتى يعلم اين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة او النار وقال صلى الله عليه وسلم
من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالوا كلنا نكره الموت قال ليس ذاك بذاك ان المؤمن اذا
فرج له عما هو قادم عليه احب لقاء الله واحب الله لقاءه **وروي** ان حذيفة بن اليمان قال لابن مسعود وهو لما به من اخر الليل
قم فانظر اي ساعة هي فقام ابن مسعود ثم جاءه فقال قد طلعت الحمراء فقال حذيفة اعوذ بالله من صباح الى النار ودخل
مروان على ابي هريرة فقال مروان اللهم خفف عنه فقال ابو هريرة اللهم اشدد ثم بكى ابو هريرة وقال والله ما ابكي حزنا على الدنيا
ولا جزعا على فراقكم ولكن انتظر احدى البشريين من ربي بجنة ام بنار **وروي** في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله
رضي عن عبد قال يا ملك الموت اذهب الى فلان فاتني بروحه لاريحه حسبي من عمله قد بلوته فوجدته حيث احب فينزل ملك
الموت ومعه خمسمائة من الملائكة معهم قضبان الريحان واصول الزعفران كل واحد منهم يبشره ببشارة سوى بشارة صاحبه وتقوم
الملائكة صفين لخروج روحه معهم الريحان فاذا نظر اليهم ابليس وضع يده على راسه ثم صرخ قال فيقول له جنوده ما لك
يا سيدنا فيقول اما ترون ما اعطي هذا العبد من الكرامة اين كنتم من هذا قالوا قد جهدنا به فكان معصوما وقال الحسن لا راحة
للمؤمن الا في لقاء الله ومن كانت راحته في لقاء الله تعالى فيوم الموت يوم سروره وفرحه وامنه وعزه وشرفه وقيل لجابر بن زيد
عند الموت ما تشتهي قال نظرة الى الحسن فلما دخل عليه الحسن قيل له هذا الحسن فرفع طرفه اليه ثم قال يا اخوتاه الساعة والله
افارقكم الى النار او الى الجنة وقال محمد بن واسع عند الموت يا اخوتاه عليكم السلام الى النار او يعفو الله وتمنى بعضهم
ان يبقى في النزع ابدا ولا يبعث لثواب ولا عقاب فخوف سوء الخاتمة قطع قلوب العارفين وهي من الدواهي العظيمة
عند الموت وقد ذكرنا معنى سوء الخاتمة وشدة خوف العارفين منه في كتاب الخوف والرجا وهو لائق بهذا الموضع ولكنا
لا نطول بذكره واعادته

بيان ما يستحب من احوال المحتضر عند الموت

اعلم ان المحبوب عند الموت من صورة المحتضر ان يكون هو الهدو والسكون ومن لسانه ان يكون ناطقا بالشهادة
ومن قلبه ان يكون حسن الظن بالله تعالى اما الصورة **فقد روي** عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ارقبوا الميت عند ثلث اذا
رشح جبينه وذرفت عيناه ويبست شفتاه فهو من رحمة الله قد نزلت به واذا غط غطيط المخنوق واحمر لونه
واربدت شفتاه فهو من عذاب الله قد نزل به واما انطلاق لسانه بكلمة الشهادة فهي علامة الخير قال ابو سعيد الخدري
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقنوا موتاكم لا اله الا الله وفي رواية حذيفة فانها تهدم ما قبلها من الخطايا وقال عثمان رضه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات وهو يعلم ان لا اله الا الله دخل الجنة وقال عبيد الله وهو يشهد وقال عثمان اذا احتضر الميت
فلقنوه لا اله الا الله فانه ما من عبد يختم له بها عند موته الا كانت زاده الى الجنة وقال عمر رضه احضروا موتاكم وذكروهم فانهم
يرون ما لا ترون ولقنوهم لا اله الا الله وقال ابو هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حضر ملك الموت رجلا
يموت فنظر في قلبه فلم يجد فيه شيئا ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول لا اله الا الله فغفر له بكلمة الاخلاص
وينبغي للملقن ان لا يلح في التلقين ولكن يتلطف فربما لا ينطق لسان المريض فيشق ذلك عليه ويؤدي الى
استثقاله التلقين وكراهيته للكلمة ويخشى ان يكون ذلك سبب سوء الخاتمة وانما معنى هذه الكلمة ان يموت الرجل
وليس في قلبه غير الله تعالى فاذا لم يبق له مطلوب سوى الواحد كان قدومه بالموت على محبوبه غاية النعيم في حقه وان كان

القلب مشغولا بالدنيا ملتفتا اليها متأسفا على لذاتها وكانت الكلمة على رأس اللسان ولم يسطو القلب على تحقيقها وقع الامر في خطر
المشيئة فان مجرد حركة اللسان قليل الجدوى الا ان يتفضل الله بالقبول واما حسن الظن فهو مستحب في هذا الوقت وقد ذكرنا ذلك في كتاب
الرجا وقد وردت الاخبار بفضل حسن الظن فهو مستحب دخل واثلة بن الاسقع على مريض فقال اخبرني كيف ظنك بالله
فقال اغرقتني ذنوب لي واشفيت على الهلكة ولكني ارجو رحمة الله فكبر واثلة تكبيرا وكبر اهل البيت بتكبيره فقال الله اكبر
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على شاب
وهو يموت فقال كيف تجدك فقال ارجو الله واخاف ذنوبي فقال صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن الا
اعطاه الله تعالى الذي يرجو وامنه من الذي يخاف وقال ثابت البناني كان شاب به حدة وكانت امه تعظه كثيرا وتقول
يا بني ان لك يوما فاذكر يومك فلما نزل به امر الله تعالى اكبت عليه امه فجعلت تقول يا بني قد كنت احذرك مصرعك هذا واقول لك ان لك
يوما فقال يا امه ان لي ربا كثير المعروف واني لارجو ان لا يعدمني اليوم بعض معروفه وقال ثابت فرحمه الله بحسن ظنه بربه وقال جابر
ابن وداعة كان شاب به زهو فاحتضر فقالت له امه يا بني توصي بشيء قال نعم خاتمي لا تسلبينه فان فيه ذكر الله فلعل الله يرحمني فلما
دفن رؤي في المنام فقال اخبروا امي ان الكلمة قد نفعتني وان الله قد غفر لي ومرض اعرابي فقيل له انك تموت قال اين يذهب بي قالوا الى
الله قال فما كراهتي ان اذهب الى من لا ارى الخير الا منه وقال المعتمر بن سليمان قال ابي لما حضرته الوفاة يا معتمر حدثني بالرخص
لعلي القى الله وانا حسن الظن به وكانوا يستحبون ان يذكر للعبد محاسن عمله عند الموت

بيان الحسرة عند لقاء

قال الاشعث بن اسلم سأل ابراهيم عليه الصلاة والسلام ملك الموت واسمه عزرائيل وله عينان عين في وجهه وعين في قفاه فقال يا ملك الموت ما تصنع اذا
كانت نفس بالمشرق ونفس بالمغرب ووقع الوباء بارض والتقى الزحفان كيف تصنع قال ادعو الارواح باذن الله فتكون بين
اصبعي هاتين قال ودحيت له الارض فتركت مثل الطست بين يديه يتناول منها حيث يشاء قال وهو يبشره بانه خليل الله تعالى وقال سليمان
ابن داود عليهما السلام لملك الموت ما لي لا اراك تعدل بين الناس تاخذ هذا وتدع هذا قال ما انا بذلك باعلم منك انما هي صحف
وكتب تلقى الي فيها اسماء وقال وهب بن منبه كان ملك من الملوك اراد ان يركب الى ارض فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها
حتى لبس ما اعجبه بعد مرات وكذلك طلب دابة فلم تعجبه حتى اتي بدواب فركب احسنها فجاء ابليس فنفخ في منخره نفخة فملأه كبرا ثم سار
وسارت معه الخيول وهو لا ينظر الى الناس كبرا فجاءه رجل رث الهيئة فسلم فلم يرد السلام عليه فاخذ بلجام دابته فقال ارسل اللجام فقد
تعاطيت امرا عظيما فقال ان لي اليك حاجة قال اصبر حتى انزل قال لا الآن فقهره على لجام دابته فقال اذكرها قال هو سر فادنى
له راسه فساره وقال انا ملك الموت فتغير لون الملك واضطرب لسانه ثم قال دعني حتى ارجع الى اهلي واقضي حاجتي واودعهم
قال لا والله لا ترى اهلك وثقلك ابدا فقبض روحه فخر كانه خشبة ثم مضى فلقي عبدا مؤمنا في تلك الحال فسلم عليه فرد عليه السلام
فقال ان لي اليك حاجة اذكرها في اذنك فقال هات فساره وقال انا ملك الموت فقال مرحبا واهلا بمن طالت غيبته علي فوالله
ما كان في الارض غائب احب الي ان القاه منك فقال ملك الموت اقض حاجتك التي خرجت لها فقال ما لي حاجة اكبر عندي ولا احب
الي من لقاء الله تعالى قال فاختر على اي حال شئت ان اقبض روحك فقال تقدر على ذلك قال نعم اني امرت بذلك قال فدعني حتى
اتوضأ واصلي فاقبض روحي وانا ساجد فقبض روحه وهو ساجد وقال ابو بكر بن عبد الله المزني جمع رجل من بني اسرائيل مالا فلما
اشرف على الموت قال لبنيه اروني اصناف اموالي فاتي بشيء كثير من الخيل والابل والرقيق وغيره فلما نظر اليه بكى تحسرا عليه فرآه ملك الموت
وهو يبكي فقال له ما يبكيك فوالذي خولك ما انا بخارج من منزلك حتى افرق بين روحك وبدنك قال فالمهلة حتى افرقه قال هيهات انقطعت
عنك المهلة فهلا كان ذلك قبل حضور اجلك فقبض روحه وروي ان رجلا جمع مالا فاوعى فلم يدع صنفا من المال الا اتخذه
وابتنى قصرا وجعل عليه بابين وثيقين وجمع عليه حرسا من غلمانه ثم جمع اهله وصنع لهم طعاما وقعد على سريره ورفع احدى رجليه
على الاخرى وهم ياكلون فلما فرغوا قال يا نفس انعمي لسنين فقد جمعت لك ما يكفيك فلم يفرغ من كلامه حتى اقبل اليه ملك الموت في هيئة
رجل عليه خلقان من الثياب في عنقه مخلاة يتشبه بالمساكين فقرع الباب بشدة عظيمة قرعة افزعته وهو على فراشه فوثب اليه الغلمان

وقالوا ما شانك فقال ادعوا لي مولاكم قالوا والى مثلك يخرج مولانا قال نعم فاخبروه بذلك فقال هلا فعلتم به وفعلتم فقرع الباب
قرعة هي اشد من الاولى فوثب اليه الحرس فقال اخبروه اني ملك الموت فلما سمعوه القي عليهم الرعب ووقع على مولاهم الذل
والتخشع فقال قولوا له قولا لينا وقولوا هل تاخذ به احدا فدخل عليه وقال اصنع في مالك ما انت صانع فاني لست بخارج منها
حتى اخرج نفسك فامر بماله فوضع بين يديه فقال حين رآه لعنك الله من مال انت شغلتني عن عبادة ربي ومنعتني ان
اتخلى لربي فانطق الله المال فقال لم تسبني وقد كنت تدخل على السلاطين بي ويرد المتقون عن بابهم وكنت تنكح المتنعمات
بي وتجلس مجالس الملوك بي وترد المتقون وتنفقني في سبيل الشر فلا امتنع ولو انفقتني في سبيل الخير نفعتك خلقت
وابن ادم من تراب فمنطلق بالاثم ثم قبض ملك الموت روحه فسقط وقال وهب بن منبه قبض ملك الموت روح
جبار من الجبابرة ما في الارض مثله ثم عرج الى السماء فقالت الملائكة لمن كنت اشد رحمة ممن قبضت روحه قال امرت
بقبض روح امرأة في فلاة من الارض فاتيتها وقد ولدت مولودا فرحمتها لغربتها ورحمت ولدها لصغره وكونه في فلاة لا
متعهد له فقالت الملائكة الجبار الذي قبضت روحه الان هو ذلك المولود الذي رحمته فقال ملك الموت سبحان
اللطيف لما يشاء وقال عطاء بن يسار اذا كان ليلة النصف من شعبان دفع الى ملك الموت صحيفة فيقال
اقبض في هذه السنة من في هذه الصحيفة قال فان العبد ليغرس الغراس وينكح الازواج ويبني البنيان وان اسمه
في تلك الصحيفة وهو لا يدري وقال الحسن ما من يوم الا وملك الموت يتصفح كل بيت ثلاث مرات فمن وجده منهم قد
استوفى رزقه وانقضى اجله قبض روحه فاذا قبض روحه اقبل اهله برنة وبكاء فياخذ ملك الموت بعضادتي الباب فيقول
والله ما اكلت له رزقا ولا افنيت له عمرا ولا انتقصت له اجلا وان لي فيكم لعودة ثم عودة حتى لا ابقي منكم احدا
قال الحسن والله لو يرون مقامه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على انفسهم وقال يزيد الرقاشي بينما
جبار من الجبابرة من بني اسرائيل جالسا في منزله قد خلا ببعض اهله اذ نظر الى شخص قد دخل من باب بيته فثار اليه فزعا مغضبا
فقال من انت ومن ادخلك علي داري فقال اما الذي ادخلني الدار فربها واما انا فالذي لا يمنع مني الحجاب ولا استاذن
على الملوك ولا اخاف من صولة المتسلطين ولا يمتنع مني كل جبار عنيد ولا شيطان مريد قال فسقط في يدي الجبار وارعد حتى
سقط منكبا على وجهه ثم رفع اليه راسه مستجديا متذللا له فقال له انت اذا ملك الموت قال انا هو قال فهل انت ممهلي حتى
احدث عهدا قال هيهات انقطعت مدتك وانقضت انفاسك ونفدت ساعاتك فليس الى تاخيرك سبيل قال فالى اين تذهب بي
قال الى عملك الذي قدمته والى بيتك الذي مهدته قال فاني لم اقدم عملا صالحا ولم امهد بيتا حسنا قال فالى لظى
نزاعة للشوى تدعو من ادبر وتولى ثم قبض روحه فسقط ميتا بين اهله فمن بين صارخ وباك قال يزيد الرقاشي لو
يعلمون سوء المنقلب كان العويل على ذلك اكثر وعن الاعمش عن خيثمة قال دخل ملك الموت على سليمان بن داود فجعل ينظر الى رجل من جلسائه
يديم النظر اليه فلما خرج قال الرجل من هذا قال هذا ملك الموت قال لقد رايته ينظر الي كانه يريدني قال فما تريد قال
اريد ان تخلصني منه فتامر الريح حتى تحملني الى اقصى الهند فامر الريح فحملته ثم قال سليمان لملك الموت بعد ان اتاه
رايناك تديم النظر الى واحد من جلسائي قال نعم كنت اتعجب منه لاني كنت امرت ان اقبضه باقصى الهند في ساعة

الباب الرابع في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين

اعلم ان في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة حيا وميتا وفعلا وقولا وجميع احواله عبرة للناظرين وتبصرة للمستبصرين اذ لم يكن احد
اكرم على الله منه اذ كان خليل الله وحبيبه ونجيه وكان صفيه ورسوله ونبيه فانظر هل امهله ساعة عند انقضاء مدته
وهل اخره لحظة بعد حضور منيته لا بل ارسل اليه الملائكة الكرام الموكلين بقبض ارواح الانام فجدوا بروحه الزكية الكريمة
لينقلوها وعالجوها لترحل عن جسده الطاهر الى رحمة ورضوان وخيرات حسان بل الى مقعد صدق في جوار الرحمن فاشتد
مع ذلك في النزع كربه وظهر انينه وترادف قلقه وارتفع حنينه وتغير لونه وعرق جبينه واضطربت في الانقباض

موعظة بليغة

والانبساط بشاشته وبينه حتى بكى لمعرفته من حضره واتحف لبشرة حاله من شاهد منظره فهل رايت منصب النبوة دافعا عنه مقدورا او هل
راقب الملك فيه اهلا وعشيرا وهل ساعده اذ كان للحق نصيرا وللخلق بشيرا ونذيرا هيهات بل امتثل ما كان به مامورا واتبع ما
وجده في اللوح مسطورا فهذا كان حاله وهو عند الله ذو المقام المحمود والحوض المورود وهو اول من تنشق عنه الارض وهو صاحب
الشفاعة يوم العرض فالعجب انا لا نعتبر به ولسنا على ثقة فيما نلقاه بل نحن اسراء الشهوات وقرناء المعاصي والسيئات فما
بالنا لا نتعظ بمصرع محمد سيد المرسلين وامام المتقين وحبيب رب العالمين لعلنا نظن انا مخلدون او نتوهم انا مع
سوء افعالنا عند الله مكرمون هيهات هيهات بل نتيقن انا جميعا على النار واردون ثم لا ينجو منها الا المتقون فنحن للورود
مستيقنون وللصدر عنها متوهمون لا بل ظلمنا انفسنا ان كنا كذلك لا بغالب الظن منتظرين فما نحن والله من المتقين
وقد قال الله رب العالمين وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فلينظر كل عبد
الى نفسه انه الى الظالمين اقرب ام الى المتقين وانظر الى نفسك بعد ان تنظر الى سيرة السلف الصالحين فلقد كانوا مع ما
وفقوا له من الخائفين ثم انظر الى سيد المرسلين فانه كان من امره على يقين اذ كان سيد النبيين وقائد المتقين
واعتبر كيف كان كربه عند فراق الدنيا وكيف اشتد امره عند الانقلاب الى جنة الماوى قال ابن مسعود دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
في بيت امنا عائشة حين دنا الفراق فنظر الينا فدمعت عيناه عليه الصلاة والسلام ثم قال مرحبا بكم حياكم الله اواكم
الله نصركم الله اوصيكم بتقوى الله واوصي بكم الله اني لكم منه نذير مبين الا تعلوا على الله في عباده وبلاده وقد دنا الاجل والمنقلب
الى الله والى سدرة المنتهى والى جنة الماوى والى الكاس الاوفى فاقرأوا على انفسكم وعلى من دخل في دينكم بعدي مني السلام ورحمة الله وروى
انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عند موته من لامتي بعدي فاوحى الله تعالى الى جبريل ان بشر حبيبي اني لا اخذله في امته وبشره بانه اسرع
الناس خروجا من الارض اذا بعثوا وسيدهم اذا جمعوا وان الجنة محرمة على الامم حتى تدخلها امته فقال الان قرت عيني وقالت
عائشة رض امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نغسله بسبع قرب من سبع ابار ففعلنا ذلك فوجد راحة فخرج فصلى بالناس
واستغفر لاهل احد ودعا لهم واوصى بالانصار فقال اما بعد يا معشر المهاجرين فانكم اصبحتم تزيدون واصبحت الانصار لا
تزيد على هيئتها التي هي عليها اليوم وان الانصار عيبتي التي اويت اليها فاكرموا كريمهم يعني محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم قال
ان عبدا خير بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله فبكى ابو بكر رض وظن انه يريد نفسه فقال النبي صلى الله عليه وسلم على رسلك يا ابا بكر
سدوا هذه الابواب الشوارع في المسجد الا باب ابي بكر فاني لا اعلم امرا افضل عندي في الصحبة من ابي بكر وقالت عائشة رض قبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري وجمع الله بين ريقي وريقه عند الموت فدخل علي اخي عبد الرحمن وبيده سواك
فجعل ينظر اليه فعرفت انه يعجبه فقلت آخذه لك فاومى براسه اي نعم فناولته اياه فادخله في فيه فاشتد عليه فقلت الينه لك فاومى براسه
اي نعم فلينته وكان بين يديه ركوة ماء فجعل يدخل يده فيها ويقول لا اله الا الله ان للموت لسكرات ثم نصب يده وهو يقول الرفيق
الرفيق الاعلى فقلت اذا والله لا يختارنا وروى سعيد بن عبد الله عن ابيه قال لما رات الانصار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يزداد ثقلا اطافوا بالمسجد فدخل العباس رض على النبي صلى الله عليه وسلم فاعلمه بمكانهم واشفاقهم ثم دخل عليه الفضل فاعلمه بمثل ذلك ثم
دخل عليه علي رض بمثله فمد يده وقال ها فتناولوه فقال ما تقولون قالوا نقول نخشى ان تموت وتصايح نساؤهم لاجتماع رجالهم
الى النبي صلى الله عليه وسلم فثار رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج متكئا على علي والفضل والعباس امامه ورسول الله صلى الله عليه وسلم معصوب الراس
يخط برجليه حتى جلس على اسفل مرقاة من المنبر وثاب الناس اليه فحمد الله واثنى عليه وقال ايها الناس انه بلغني انكم تخافون علي الموت
كانه استنكار منكم للموت وما تنكرون من موت نبيكم الم انع اليكم وتنعى اليكم انفسكم هل خلد نبي قبلي فيمن بعث فاخلد فيكم
الا اني لاحق بربي وانكم لاحقون به واني اوصيكم بالمهاجرين الاولين خيرا واوصي المهاجرين فيما بينهم فان الله عز وجل قال والعصر ان الانسان
لفي خسر الى اخره وان الامور تجري باذن الله فلا يحملنكم استبطاء امر على استعجاله فان الله تعالى لا يعجل لعجلة احد ومن غالب الله غلبه
ومن خادع الله خدعه فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم واوصيكم بالانصار خيرا فانهم الذين تبوءوا الدار

والايمان من قبلكم ان تحسنوا اليهم الم يشاطروكم الثمار الم يوسعوا عليكم في الديار الم يؤثروكم على انفسهم وبهم الخصاصة الا فمن ولي ان
يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم الا ولا تستاثروا عليهم الا واني فرط لكم وانتم لاحقون بي الا وان موعدكم
الحوض حوضي اعرض مما بين بصرى الشام وصنعاء اليمن يصب فيه ميزاب الكوثر ماؤه اشد بياضا من اللبن والين من الزبد
واحلى من الشهد من شرب منه لم يظما ابدا حصباؤه اللؤلؤ وبطحاؤه من مسك من حرمه في الموقف غدا حرم الخير كله الا فمن احب
ان يرده غدا فليكفف لسانه ويده الا مما ينبغي فقال العباس يا نبي الله اوص بقريش فقال انما اوصي بهذا الامر قريشا والناس
تبع لقريش برهم لبرهم وفاجرهم لفاجرهم فاستوصوا بالناس خيرا يا ايها الناس ان الذنوب تغير النعم وتبدل القسم فاذا بر
الناس برهم ائمتهم واذا فجر الناس عقوهم قال الله تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وروى ابن مسعود رض
انه صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر رض سل يا ابا بكر فقال يا رسول الله دنا الاجل فقال قد دنا الاجل وتدلى فقال ليهنك يا نبي الله ما
عند الله فليت شعري ما منقلبنا فقال الى الله والى سدرة المنتهى ثم الى جنة الماوى والفردوس الاعلى والكاس الاوفى والرفيق الاعلى
والحظ والعيش المهنا فقال يا رسول الله من يلي غسلك قال رجال من اهل بيتي الادنى فالادنى فقال ففيم نكفنك فقال
في ثيابي هذه وفي حلة يمنية وفي بياض مصر فقال كيف الصلاة عليك منا قال وبكينا وبكى ثم قال مهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيرا اذا
غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري ثم اخرجوا عني ساعة فان اول من يصلي علي الله عز وجل هو الذي يصلي عليكم
وملائكته ثم ياذن للملائكة في الصلاة علي فاول من يدخل علي من خلق الله ويصلي علي جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت
مع جنود كثيرة من الملائكة باجمعها صلى الله عليهم اجمعين ثم انتم فادخلوا علي افواجا زمرة زمرة فصلوا علي وسلموا تسليما ولا تؤذوني بتزكية ولا
صيحة ولا رنة وليبدا منكم الامام واهل بيتي الادنى فالادنى ثم زمر النساء ثم زمر الصبيان قال فمن يدخلك القبر قال
زمر من اهل بيتي الادنى فالادنى مع ملائكة كثيرة لا ترونهم وهم يرونكم قوموا فادوا عني الى من بعدي وقال عبد الله بن زمعة جاء بلال في اول شهر
ربيع الاول فاذن بالصلاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مروا ابا بكر فليصل بالناس فخرجت فلم ار بالباب الا عمر في رجال ليس فيهم ابو بكر
فقلت قم يا عمر فصل بالناس فقام فلما كبر وكان رجلا صيتا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته بالتكبير فقال اين ابو بكر يابى الله ذلك والمسلمون
قالها ثلث مرات مروا ابا بكر فليصل بالناس فقالت عائشة يا رسول الله ان ابا بكر رجل اسيف رقيق اذا قام مقامك غلبه البكاء
فقال انكن صواحبات يوسف مروا ابا بكر فليصل بالناس قال فصلى ابو بكر بعد الصلاة التي صلى عمر فكان عمر يقول لعبد الله
ابن زمعة ويحك ماذا صنعت بي والله لولا اني ظننت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرك ما فعلت فقال عبد الله بن زمعة اني لم ار احدا اولى بذلك
منك قالت عائشة وما قلت له ذلك ولا صرفته عن ابي بكر الا رغبة به عن الدنيا ولما في الولاية من المخاطرة والهلكة الا من سلم الله وخشيت ايضا
ان لا يكون الناس يحبون رجلا صلى في مقام النبي صلى الله عليه وسلم وهو حي ابدا الا ان يشاء الله ويحسدونه ويبغون عليه ويتشاءمون به فاذا
الامر امر الله والقضاء قضاؤه وعصمه الله من كل ما تخوفت عليه من امر الدنيا والدين وقالت عائشة فلما كان اليوم الذي مات فيه النبي صلى الله عليه وسلم
راوا منه خفة في اول النهار فتفرق عنه الرجال الى منازلهم وحوائجهم مستبشرين واخلوا رسول الله بالنساء فبينما نحن على ذلك لم نكن على مثل حالنا
في الرجاء والفرح قبل ذلك قال صلى الله عليه وسلم اخرجن عني هذا الملك يستاذن علي فخرج من في البيت غيري وراسه في حجري فجلس
وتنحيت في جانب البيت فناجى الملك طويلا ثم دعاني فاعاد راسه في حجري وقال للنسوة ادخلن فقلت ما هذا بحس جبريل عليه السلام فقال صلى الله عليه وسلم اجل
يا عائشة هذا ملك الموت جاءني فقال ان الله تعالى ارسلني وامرني ان لا ادخل عليك الا باذن فان لم تاذن لي ارجع وان اذنت
دخلت وامرني ان لا اقبضك حتى تامرني فماذا امرك فقلت اكفف عني حتى ياتيني جبريل فهذه ساعة جبريل قالت فاستقبلنا
بامر لم يكن له عندنا جواب ولا راي فوجمنا وكانما ضربنا بصاخة ما نحير اليه شيئا وما يتكلم احد من اهل البيت اعظاما لذلك الامر
وهيبة ملأت اجوافنا قالت وجاء جبريل في ساعته فسلم فعرفت حسه وخرج اهل البيت فدخل فقال ان الله عز وجل يقرأ
عليك السلام ويقول كيف تجدك وهو اعلم بالذي تجد منك ولكن اراد ان يزيدك كرامة وشرفا وان يتم كرامتك وشرفك على الخلق وان تكون سنة
في امتك فقال اجدني وجعا فقال ابشر فان الله اراد ان يبلغك ما اعد لك فقال يا جبريل ان ملك الموت استاذن علي واخبره الخبر

فقال جبريل يا محمد ان ربك اليك مشتاق الم اعلمك الذي يريد بك لا والله ما استاذن ملك الموت على احد قط ولا يستاذن عليه
ابدا الا ان ربك متمم شرفك وهو اليك مشتاق قال فلا تبرح اذا حتى يجيء واذن للنساء فقال ادني مني يا فاطمة فاكبت عليه فناجاها
فرفعت راسها وعيناها تدمع بادمع وما تطيق الكلام وكان الذي راينا منها عجبا فسالناها بعد ذلك فقالت اخبرني وقال اني ميت اليوم
فبكيت ثم قال اني دعوت الله ان يجعلك اول اهلي لحوقا بي وان يجعلك معي فاضحكني وادنت ابنيها منه فشمهما قالت وجاء ملك
الموت فسلم واستاذن فاذن له فقال الملك ما تامرني يا محمد قال الحقني بربي الان فقال بلى من يومك هذا اما ان ربك اليك مشتاق
ولم يتردد من احد تردده عنك ولم ينهني عن الدخول على احد بغير اذن غيرك ولكن ساعتك امامك وخرج قالت وجاء جبريل فقال السلام
يا رسول الله هذا اخر ما انزل فيه الى الارض ابدا طوي الوحي وطويت الدنيا وما كانت لي في الارض حاجة غيرك وما لي فيها حاجة الا حضورك ثم لزوم
موقفي ولا والذي بعث محمدا بالحق ما في البيت احد يستطيع ان يحير اليه في ذلك كلمة ولا يبعث الى احد من رجاله لعظم ما يسمع من حديثه
ووجدنا واشفاقنا قالت فقمت الى النبي صلى الله عليه وسلم حتى اضع راسه بين ثديي وامسكت بصدره وجعل يغمى عليه حتى يغلب وجبهته ترشح رشحا
ما رايته من انسان قط فجعلت اسلت ذلك العرق وما وجدت رائحة شيء قط اطيب منه فكنت اقول له اذا افاق بابي وامي ونفسي
واهلي ما تلقى جبهتك من الرشح فقال يا عائشة ان نفس المؤمن تخرج بالرشح ونفس الكافر تخرج من شدقيه كنفس الحمار فعند ذلك ارتعنا
وبعثنا الى اهلنا فكان اول رجل جاءنا ولم يشهده اخي بعثه ابي فقبض صلى الله عليه وسلم قبل ان يجيء احد وانما صدهم الله تعالى
عنه لانه ولاه جبريل وميكائيل وجعل اذا اغمي عليه قال بل الرفيق الاعلى كان الخيرة تعاد عليه فاذا اطاق الكلام قال الصلاة الصلاة
انكم لا تزالون متماسكين ما صليتم جميعا الصلاة الصلاة كان يوصي بها حتى قبض وهو يقول الصلاة الصلاة قالت عائشة رض
قبض صلى الله عليه وسلم بين ارتفاع الضحى وانتصاف النهار يوم الاثنين والله لا ازال لا نقاب يعني بعظمه وقالت ام كلثوم يوم
علي رض بالكوفة مثلها ما لقيت من يوم الاثنين مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه قتل عثمان وفيه قتل ابي فما لقيت من يوم الاثنين
وقالت عائشة لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتحم الناس حين ارتفعت الرنة وسجى رسول الله صلى الله عليه وسلم الملائكة بثوبه فاختلفوا فكذب بعضهم
بموته واخرس بعضهم فما تكلم الا بعد البعد وخلط اخرون فلاثوا الكلام بغير بيان وبقي اخرون معهم عقولهم واقعد اخرون فكان
عمر رض ممن كذب بموته وعلي ممن اقعد وعثمان ممن اخرس فخرج عمر على الناس فقال ان رسول الله لم يمت وليرجعنه الله تعالى وليقطعن ايدي
وارجلا من المنافقين يتمنون لرسول الله صلى الله عليه وسلم الموت انما واعده ربه تعالى كما واعد موسى ع وهو اتيكم وفي رواية انه قال ايها الناس كفوا السنتكم
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لم يمت والله لا اسمع احدا يذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات الا علوته بسيفي هذا واما علي فانه اقعد
فلم يبرح البيت واما عثمان فجعل لا يكلم احدا يوخذ بيده فيجاء به ويذهب به ولم يكن احد من المسلمين في مثل حال ابي بكر
والعباس فان الله تعالى عزم لهما على التوفيق والسداد وان كان الناس لم يرعووا الا بقول ابي بكر حتى جاء العباس فقال والله الذي لا اله
الا هو لقد ذاق رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت ولقد قال وهو بين اظهركم انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون
وبلغ ابا بكر رض الخبر وهو في بني الحارث بن الخزرج فجاء فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر اليه ثم اكب عليه فقبله ثم قال بابي انت
وامي ما كان الله ليذيقك الموت مرتين فقد والله توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج الى الناس فقال ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا
قد مات ومن كان يعبد رب محمد فانه حي لا يموت قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم
على اعقابكم الاية فكان الناس لم يسمعوا هذه الاية الا يومئذ وفي رواية ان ابا بكر رض لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يصلي على النبي وعيناه تهملان وغصصه ترتفع كقصع الجرة وهو مع ذلك جلد الفعل والمقال فاكب عليه فكشف عن وجهه
وقبل جبينه وخديه ومسح وجهه وجعل يبكي ويقول بابي وامي ونفسي واهلي طبت حيا وميتا انقطع بموتك ما لم
ينقطع بموت احد من الانبياء والنبوة فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء وخصصت حتى صرت مسلاة وعممت حتى صرنا
فيك سواء ولولا ان موتك كان اختيارا منك لجدنا لحزنك بالنفوس ولولا انك نهيت عن البكاء لانفدنا عليك ماء الشؤون فاما
ما لا نستطيع نفيه عنا فكمد وادكار محالفان لا يبرحان اللهم فابلغه عنا اذكرنا يا محمد صلى الله عليك عند ربك ولنكن

من بالك ولولا ما خلفت من السكينة لم نقم لما خلفت من الوحشة اللهم ابلغ نبيك عنا واحفظه فينا وعن عمر رض انه لما
دخل ابو بكر البيت وصلى واثنى عج اهل البيت عجيجا سمعه اهل المصلى كلما ذكر شيئا ازدادوا فما سكن عجيجهم الا تسليم رجل على الباب
صيت جلد قال السلام عليكم يا اهل البيت كل نفس ذائقة الموت الاية ان في الله خلفا من كل احد ودركا لكل رغبة ونجاة من كل مخافة فالله
فارجوا وبه فثقوا فاستمعوا له وانكروه وقطعوا البكاء فلما انقطع البكاء فقد صوته فاطلع احدهم فلم ير احدا ثم عادوا فبكوا فناداهم
مناد اخر لا يعرفون صوته يا اهل البيت اذكروا الله واحمدوه على كل حال تكونوا من المخلصين ان في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا
من كل رغبة فالله فاطيعوا وبامره فاعملوا فقال ابو بكر هذا الخضر واليسع حضرا النبي صلى الله عليه وسلم واستوفى القعقاع بن عمرو حكاية
خطبة ابي بكر رض فقال قام ابو بكر في الناس خطيبا حيث قضى الناس عبراتهم بخطبة جلها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله واثنى
عليه وقال اشهد ان لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وغلب الاحزاب وحده فلله الحمد وحده واشهد ان محمدا عبده ورسوله
وخاتم انبيائه واشهد ان الكتاب كما نزل وان الدين كما شرع وان الحديث كما حدث وان القول كما قال وان الله هو الحق المبين اللهم
فصل على محمد عبدك ورسولك ونبيك وحبيبك وامينك وخيرتك وصفوتك بافضل ما صليت به على احد من خلقك
اللهم واجعل صلواتك ومعافاتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وخاتم النبيين وامام المتقين محمد قائد الخير وامام الخير ورسول
الرحمة اللهم قرب زلفته وعظم برهانه وكرم مقامه وابعثه مقاما محمودا يغبطه به الاولون والاخرون وانفعنا بمقامه المحمود
يوم القيامة واخلفه فينا في الدنيا والاخرة وبلغه الدرجة والوسيلة من الجنة اللهم صل على محمد وعلى ال محمد وبارك على محمد وال محمد
كما صليت وباركت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد
الله فان الله حي لم يمت وان الله قد تقدم اليكم في امره فلا تدعوه جزعا فان الله تعالى قد اختار لنبيه صلى الله عليه وسلم ما عنده على ما
عندكم وقبضه الى ثوابه وخلف فيكم كتابه وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام فمن اخذ بهما عرف ومن فرق بينهما
انكر يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ولا يفتننكم عن دينكم وعاجلوا
الشيطان بالخير تعجزوه ولا تستنظروه فيلحق بكم ويفتنكم وقال ابن عباس رض من خطبته ايها الناس ان الذي
بلغني انك تقول ما مات نبي الله اما ترى ان نبي الله عليه الصلاة والسلام يوم كذا كذا وكذا ويوم كذا كذا وكذا وقال الله تعالى
في كتابه انك ميت وانهم ميتون فقال عمر والله لكاني لم اسمع بها في كتاب الله قبل الان لما نزل بنا اشهد ان الكتاب كما انزل
وان الحديث كما حدث وان الله حي لا يموت انا لله وانا اليه راجعون وصلوات الله على رسوله وعند الله نحتسب رسوله صلى
الله عليه وسلم ثم جلس الى ابي بكر وقالت عائشة رض فلما اجتمعوا لغسله قالوا والله لا ندري كيف نغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
انجرده عن ثيابه كما نصنع بموتانا او نغسله في ثيابه قالت فارسل الله عليهم النوم حتى ما بقي منهم رجل الا واضع لحيته على
صدره ثم قال قائل لا يدرى من هو غسلوا النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه فانتبهوا ففعلوا ذلك فاقررناه فغسلناه في قميصه حتى اذا
فرغ من غسله كفن وقال علي رض اردنا خلع قميصه فنودينا لا تخلعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثيابه فاقررناه فغسلناه في قميصه
كما نغسل موتانا مستلقيا ما نشاء ان يقلب لنا منه عضو لم يبالغ فيه الا قلب لنا حتى نفرغ وان معنا لحفيفا في البيت
كالريح الرخاء ويصوت بنا ارفقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم ستكفون فهكذا كانت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يترك سبدا ولا لبدا الا دفن
معه قال ابو جعفر فرش لحده مفرشه وقطيفته وفرشت ثيابه عليها التي كان يلبس يقظان على القطيفة والمفرش ثم وضع
عليها في اكفانه فلم يترك بعد وفاته مالا ولا بنى في حياته لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ففي وفاته عبرة تامة للمسلمين

وفاة ابي بكر رضي الله عنه

لما احتضر ابو بكر جاءت عائشة رض فتمثلت بهذا البيت
لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى • اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر • فكشف عن وجهه وقال ليس كذلك
ولكن قولي وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد • انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما وكفنوني فيهما
فان الحي الى الجديد احوج من الميت • وقالت عائشة عند موته • وابيض يستسقى الغمام بوجهه • ربيع اليتامى

فقال ابو بكر رضي الله عنه ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم • ودخلوا عليه فقالوا الا ندعوا لك طبيبا ينظر اليك فقال قد نظر الي
طبيبي وقال اني فعال لما اريد • ودخل عليه سلمان الفارسي يعوده فقال يا ابا بكر اوصنا قال ان الله فاتح عليكم الدنيا فلا
تاخذن منها الا بلاغك واعلم ان من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله فلا تخفرن الله في ذمته فيكبك على النار على وجهك ولما ثقل
ابو بكر واراد الناس منه ان يستخلف واستخلف عمر فقال الناس استخلفت علينا فظا غليظا فماذا تقول لربك قال اقول استخلفت
على خلقك خير خلقك ثم ارسل الى عمر فاتى فقال اني موصيك بوصية اعلم ان لله حقا في النهار لا يقبله بالليل وان له حقا بالليل لا
يقبله بالنهار وانه لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق
في الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحق ان يثقل وانما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيامة باتباع الباطل وخفته
عليهم وحق لميزان ان لا يوضع فيه الا الباطل ان يخف وان الله ذكر اهل الجنة باحسن اعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم فيقول القائل انا دون هؤلاء
ولا ابلغ مبلغ هؤلاء وان الله ذكر اهل النار باسوء اعمالهم ورد عليهم صالح العمل الذي عملوا فيقول القائل انا افضل من هؤلاء وان الله ذكر
اية الرحمة واية العذاب ليكون المؤمن راغبا وراهبا ولا يلقي بيديه الى التهلكة ولا يتمنى على الله غير الحق فان حفظت وصيتي هذه
فلا يكون غايب احب اليك من الموت ولابد لك منه وان ضيعت وصيتي فلا يكون غايب ابغض اليك من الموت ولست بمعجزه وقال سعيد
ابن المسيب لما احتضر ابو بكر اتاه ناس من الصحابة فقالوا يا خليفة رسول الله زودنا فانا نراك لما بك فقال من قال هؤلاء الكلمات ثم مات
جعل الله روحه في الافق المبين فقالوا وما الافق المبين قال قاع بين يدي العرش فيه رياض وانهار واشجار يغشاه كل يوم مائة رحمة فمن قال هذا القول
جعل الله روحه في ذلك المكان • اللهم انك ابتدات الخلق من غير حاجة بك اليهم ثم جعلتهم فريقين فريقا للنعيم وفريقا للسعير فاجعلني للنعيم ولا
تجعلني للسعير • اللهم انك خلقت الخلق فرقا وميزتهم قبل ان تخلقهم فجعلت منهم شقيا وسعيدا وغويا ورشيدا فلا تشقني بمعاصيك
اللهم انك علمت ما تكسب كل نفس قبل ان تخلقها فلا محيص لها مما علمت فاجعلني ممن تستعمله بطاعتك • اللهم ان احدا لا يشاء حتى تشاء
فاجعل مشيئتك ان اشاء ما يقربني اليك • اللهم انك قدرت حركات العباد فلا يتحرك احد الا باذنك فاجعل حركاتي في تقواك
اللهم انك خلقت الخير والشر وجعلت لكل واحد منهما عاملا يعمل به فاجعلني من خير القسمين • اللهم انك خلقت الجنة والنار وجعلت
لكل واحد منهما عاملا يعمل به فاجعلني من خير القسمين • اللهم انك خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحدة منهما اهلا فاجعلني من سكان
جنتك • اللهم انك اردت بقوم الضلالة وضيقت به صدورهم فاشرح صدري للايمان وزينه في قلبي • اللهم انك دبرت
الامور فجعلت مصيرها اليك فاحيني بعد الموت حياة طيبة وقربني اليك زلفى • اللهم من اصبح وامسى ثقته ورجاؤه غيرك
فانت ثقتي ورجائي • ولا حول ولا قوة الا بالله قال ابو بكر هذا كله في كتاب الله تم

وفاة عمر رضي الله عنه

قال عمرو بن ميمون كنت قائما غداة اصيب عمر ما بيني وبينه الا عبد الله بن عباس وكان اذا مر بين الصفين قام بينهما
فاذا راى خللا قال استووا حتى اذا لم ير فيهم خللا تقدم فكبر قال وربما قرا سورة يوسف او النحل او نحو ذلك في الركعة الاولى حتى يجتمع الناس
فما هو الا ان كبر فسمعته يقول قتلني او اكلني الكلب حين طعنه ابو لؤلؤة فطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمر على احد يمينا وشمالا الا
طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا فمات منهم تسعة وفي رواية سبعة فلما راى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا فلما ظن العلج انه ماخوذ
نحر نفسه وتناول عمر عبد الرحمن بن عوف فقدمه فاما من يلي عمر فقد راى ما رايت واما نواحي المسجد فلا يدرون ما الامر غير انهم فقدوا
صوت عمر وهم يقولون سبحان الله • سبحان الله فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة فلما انصرفوا قال يا ابن عباس انظر من قتلني
قال فجال ساعة ثم جاء فقال غلام المغيرة بن شعبة فقال قاتله الله لقد كنت امرت به معروفا ثم قال الحمد لله الذي لم يجعل منيتي
بيد رجل مسلم قد كنت انت وابوك تحبان ان يكثر العلوج بالمدينة وكان العباس اكثرهم رقيقا فقال ابن عباس ان شئت فعلت اي قتلناهم
فقال بعدما تكلموا بلسانكم وصلوا الى قبلتكم وحجوا حجكم فاحتمل الى بيته فانطلقنا معه قال وكان الناس لم تصبهم مصيبة
قبل يومئذ قال فقائل يقول اخاف عليه وقائل يقول لا باس فاتي بنبيذ فشرب منه فخرج من جرحه فعرفوا انه ميت
قال فدخلنا عليه وجاء الناس يثنون عليه وجاء رجل شاب فقال ابشر يا امير المؤمنين ببشرى من الله قد كانت لك

وفاة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وارضاه

صحبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم في الاسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت ثم شهادة فقال وددت ان ذلك كان كفافا لا علي ولا لي
فلما ادبر الرجل اذا ازاره يمس الارض فقال ردوا علي الغلام فقال يا ابن اخي ارفع ثوبك فانه انقى لثوبك واتقى لربك ثم قال يا عبد الله انظر ما
علي من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين الفا او نحوه فقال ان وفى به مال ال عمر فاده من اموالهم والا فسل في بني عدي بن كعب فان لم
تف اموالهم فسل في قريش ولا تعدهم الى غيرهم وادّ عني هذا المال انطلق الى ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقل عمر يقرا عليك السلام
ولا تقل امير المؤمنين فاني لست اليوم للمؤمنين اميرا وقل يستاذن عمر بن الخطاب ان يدفن مع صاحبيه فذهب عبد الله فسلم
واستاذن ثم دخل عليها فوجدها جالسة تبكي فقال يقرا عليك عمر السلام ويستاذن ان يدفن مع صاحبيه فقالت كنت اريده لنفسي
ولاوثرنه به اليوم على نفسي فلما اقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد اتى فقال ارفعوني فاسنده رجل اليه فقال ما لديك قال الذي تحب يا امير
المؤمنين اذنت قال الحمد لله ما كان شيء اهم الي من ذلك فاذا انا قبضت فاحملوني ثم سلم وقل يستاذن عمر فان اذنت لي فادخلوني وان
ردتني فردوني الى مقابر المسلمين وجاءت ام المؤمنين حفصة والنساء يسترنها فلما رايناها قمنا فولجت عليه فبكت عنده ساعة
واستاذن الرجال فولجت داخلا فسمعنا بكاءها من الداخل فقالوا اوص يا امير المؤمنين واستخلف فقال ما ارى احق بهذا الامر
من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمى عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن وقال
يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الامر شيء كهيئة التعزية له فان اصابت الامارة سعدا فذاك والا فليستعن به ايكم امر فاني
لم اعزله عن عجز ولا خيانة ثم قال اوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الاولين ان يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم واوصيه
بالانصار خيرا الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم ان يقبل من محسنهم وان يعفو عن مسيئهم واوصيه باهل الامصار
خيرا فانهم ردء الاسلام وجباة الاموال وغيظ العدو وان لا يوخذ منهم الا فضلهم عن رضى منهم واوصيه بالاعراب خيرا
فانهم اصل العرب ومادة الاسلام ان يوخذ من حواشي اموالهم ويرد على فقرائهم واوصيه بذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم ان
يوفى لهم بعهدهم وان يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا الا طاقتهم قال فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشي فسلم عبد الله بن عمر وقال يستاذن
عمر بن الخطاب فقالت ادخلوه فادخل فوضع هنالك مع صاحبيه الحديث وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال لي جبريل ليبك الاسلام
على موت عمر وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل ان يرفع وانا فيهم فلم يرعني الا رجل قد اخذ منكبي
فالتفت فاذا هو علي بن ابي طالب فترحم على عمر وقال ما خلفت احدا احب الي ان القى الله بمثل عمله منك وايم الله ان كنت لاظن
ان يجعلك الله مع صاحبيك وذلك اني كنت كثيرا اسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ذهبت انا وابو بكر وعمر وخرجت انا وابو بكر وعمر فان كنت
لارجو ولاظن ان يجعلك الله معهما

وفاة عثمان رضي الله تعالى عنه

الحديث في قتله مشهور وقد قال عبد الله بن سلام اتيت اخي عثمان لاسلم عليه وهو محصور فدخلت عليه فقال مرحبا باخي رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة في هذه الخوخة وخوخة في البيت فقال يا عثمان حصروك قلت نعم قال اعطشوك
فقلت نعم قال فادلى دلوا فيه ماء فشربت حتى رويت اني لاجد برده بين ثديي وبين كتفي وقال لي ان شئت نصرت عليهم وان
شئت افطرت عندنا فاخترت ان افطر عنده فقتل ذلك اليوم رحمه الله وقال عبد الله بن سلام لمن حضر تشحط عثمان في الموت حين جرح
من الدار ماذا قال عثمان وهو يتشحط قالوا سمعناه يقول اللهم اجمع امة محمد صلى الله عليه وسلم ثلثا فقال والذي نفسي بيده لو دعا الله ان لا
يجتمعوا ابدا ما اجتمعوا الى يوم القيامة وعن ثمامة بن حزن القشيري قال شهدت الدار حين اشرف عليهم عثمان رضي الله عنه فقال ائتوني
بصاحبيكم اللذين البّاكم علي قال فجيء بهما كانهما جملان او حماران فاشرف عليهم عثمان فقال انشدكم بالله والاسلام هل تعلمون ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال من يشتري بئر رومة فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين
بخير له منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي فانتم اليوم تمنعوني ان اشرب منها ومن ماء البحر قالوا اللهم نعم فقال انشدكم الله والاسلام
هل تعلمون ان المسجد ضاق باهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري بقعة ال فلان فيزيدها في المسجد بخير منها في الجنة فاشتريتها
من صلب مالي فانتم اليوم تمنعوني ان اصلي فيه ركعتين قالوا اللهم نعم قال انشدكم الله والاسلام هل تعلمون اني جهزت جيش العسرة

من مال قالوا اللهم نعم ثم قال انشدكم الله والاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على ثبير وعمه ابو بكر وعمر وانا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض قال فركضه برجله وقال اسكن ثبير فانما عليك نبي وصديق وشهيدان قالوا اللهم نعم فقال الله اكبر شهدوا لي ورب الكعبة انى شهيد ثلثا ويروى عن شيخ من ضبة ان عثمان لما ضرب والدم يسيل على لحيته جعل يقول لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين اللهم انى استعيذ بك عليهم واستعينك على جميع اموري واسالك الصبر على ما ابتليتني

وفاة علي رضي الله عنه

قال الاصبغ الحنظلي لما كانت الليلة التى اصيب فيها علي رضي الله عنه اتاه ابن النباح حين طلع الفجر يؤذنه بالصلاة وهو مضطجع متثاقل فعاد الثانية وهو كذلك ثم عاد الثالثة فقام علي وهو يمشي وينشد • اشدد حيازيمك للموت فان الموت لاقيك • ولا تجزع من الموت اذا حل بواديك • فلما بلغ الباب الصغير شد عليه ابن ملجم فضربه فخرجت ام كلثوم ابنته فجعلت تقول ما لي ولصلاة الغداة قتل زوجي امير المؤمنين صلاة الغداة وقتل ابي صلاة الغداة وعن شيخ من قريش ان عليا لما ضربه ابن ملجم قال فزت ورب الكعبة وعن محمد بن علي انه لما ضرب اوصى بنيه ثم لم ينطق الا بلا اله الا الله حتى قبض • ولما ثقل الحسن بن علي دخل عليه الحسين رضه فقال يا اخي اي شيء تجزع تقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى علي بن ابي طالب وهما ابواك وعلى خديجة وفاطمة بنت محمد وهما امّاك وعلى حمزة وجعفر وهما عماك فقال يا اخي اقدم على امر الله لم اقدم على مثله • وعن محمد بن الحسن لما نزل القوم بالحسين وايقن انهم قاتلوه قام في اصحابه خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم قال قد نزل من الامر ما ترون وان الدنيا قد تغيرت وتنكرت وادبر معروفها وتشمرت حتى لم يبق منها الا صبابة كصبابة الاناء • الا خسيس عيش كالمرعى الوبيل • الا ترون الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله فاني لا ارى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا برما

الباب الخامس في كلام المحتضرين من الخلفاء والامراء والصالحين

لما حضرت معاوية بن ابي سفيان الوفاة قال اقعدوني فاقعدوه فجعل يسبح الله ويذكره ثم بكى وقال تذكر ربك يا معاوية بعد الهرم والحطام الا كان هذا وغصن الشباب نضر ريان ثم بكى حتى علا بكاؤه وقال يا رب ارحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي اللهم اقل العثرة واغفر الزلة وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ولا وثق باحد سواك وروى شيخ من قريش انه دخل على معاوية في مرضه فرأوا في جلده غضونا فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فهل الدنيا اجمع الا ما جربنا ورأينا اما والله لقد استقبلنا زهرتها جدتنا وباستلذاذ بعيشنا فما لبثت الدنيا ان نقضت ذلك منا حالا بعد حال وعروة بعد عروة فاصبحت الدنيا وقد وترتنا واخلقتنا واستلانت الينا فاف للدنيا من دار ثم اف لها من دار ويروى ان اخر خطبة خطبها معاوية قال ايها الناس ان من زرع فقد استحصد واني قد وليتكم ولن يليكم احد بعدي الا من هو شر مني كما كان من قبلي خيرا مني ويا يزيد اذا وفي اجلي فول غسلي رجلا لبيبا فان اللبيب من الله بمكان فلينعم الغسل وليجهر بالتكبير ثم اعمد الى منديل في الخزانة فيه ثوب من ثياب النبي صلى الله عليه وسلم وقراضة من شعره واظفاره فاستودع القراضة انفي وفمي واذني وعيني واجعل الثوب على جلدي دون اكفاني ويا يزيد احفظ وصية الله في الوالدين فاذا ادرجتموني في اكفاني ووضعتموني في حفرتي فخلوا معاوية وارحم الراحمين وقال محمد بن عقبة لما نزل بمعاوية الموت قال يا ليتني كنت رجلا من قريش بذي طوى واني لم اكن من هذا الامر شيئا ولما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة نظر الى غسال بجانب دمشق يلوي ثوبا بيده ثم يضرب به المغسل فقال عبد الملك والله ليتني كنت غسالا اكل من كسب يدي يوما بيوم ولم ال من امر الناس شيئا فبلغ ذلك ابا حازم فقال الحمد لله الذي جعلهم اذا حضرهم الموت يتمنون ما نحن فيه واذا حضرنا الموت لم نتمن ما هم فيه وقيل لعبد الملك بن مروان في مرضه كيف تجدك يا امير المؤمنين قال اجدني كما قال الله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم الاية وقالت فاطمة بنت عبد الملك زوجة عمر بن عبد العزيز كنت اسمع عمر في مرضه الذي مات فيه يقول اللهم اخف عليهم موتي ولو ساعة من نهار فلما كان اليوم الذي قبض فيه خرجت من عنده فجلست في بيت اخر بيني وبينه باب وهو في قبة له فسمعته يقول تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ثم هدأ فجعلت لا اسمع له حركة ولا كلاما فقلت لوصيف له انظر انائم هو فلما دخل صاح فوثبت فاذا هو ميت وقيل له لما حضره الموت اعهد يا امير المؤمنين فقال احذركم مثل مصرعي هذا فانه لا بد لكم منه وروى انه لما مرض عمر بن عبد العزيز دعي له طبيب فنظر اليه فقال اني ارى الرجل قد سقي السم ولا آمن عليه الموت فرفع عمر بصره وقال ولا تأمن الموت ايضا على من لم يسق السم فقال الطبيب هل احسست بذلك يا امير

قال نعم قد عرفت ذلك حين وقع في بطني قال فتعالج يا امير المؤمنين فاني اخاف ان تذهب نفسك فقال ربي خير مذهوب اليه والله لو علمت ان شفائي عند شحمة اذني ما رفعت يدي الى اذني فتناولته اللهم خر لعمر في لقائك فلم يلبث الا اياما حتى مات وقيل لما حضرته الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك يا امير المؤمنين ابشر فقد احيا الله بك سننا واظهر بك عدلا فبكى ثم قال اليس اوقف فاسأل عن هذا الخلق فوالله لو عدلت فيهم لخفت على نفسي ان لا تقوم بحجتها بين يدي الله الا ان يلقنها حجتها فكيف بكثير مما ضيعنا وفاضت عيناه فلم يلبث الا يسيرا حتى مات ولما قرب وقت موته قال اجلسوني فاجلسوه فقال انا الذي امرتني فقصرت ونهيتني فعصيت ثلث مرات ولكن لا اله الا الله ثم رفع راسه فاحد النظر فقيل له في ذلك فقال اني لارى حضرة ما هم بانس ولا جن ثم قبض • وحكي عن هارون الرشيد انه انتقى اكفانه عند الموت بيده وكان ينظر اليها ويقول ما اغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه • ولما حضرت المامون الوفاة فرش له رمادا واضطجع عليه وكان يقول يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه وقال المعتصم عند الموت لو علمت ان عمري هكذا قصير ما فعلت ما فعلت وكان المنتصر يضطرب على نفسه عند الموت فقيل له لا بأس عليك يا امير المؤمنين فقال ليس الا هذا لقد ذهبت الدنيا والاخرة وقال عمرو بن العاص عند الوفاة وقد نظر الى صناديق له من ياخذها بما فيها ليته كان بعرا وقال الحجاج عند موته اللهم اغفر لي فان الناس يقولون انك لا تغفر لي فكان عمر بن عبد العزيز يعجبه هذه الكلمة منه ويغبطه عليها ولما حكي ذلك للحسن قال اقالها قالوا نعم قال عسى

بيان اقاويل جماعة

لما حضرت معاذا الوفاة قال اللهم اني كنت اخافك وانا اليوم ارجوك اللهم انك تعلم اني لم اكن احب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الانهار ولا لغرس الاشجار ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر ولما اشتد به النزع ونزع نزعا لم ينزعه احد فكان كلما افاق من غمرة فتح طرفه ثم قال يا رب اخنقني خنقك فوعزتك انك لتعلم ان قلبي يحبك ولما حضرت سلمان الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك فقال ما ابكي جزعا على الدنيا ولكن عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تكون بلغة احدنا من الدنيا كزاد الراكب فلما مات سلمان نظر في جميع ما ترك فاذا قيمته بضعة عشر درهما • ولما حضرت بلالا الوفاة قالت امرأته واحزناه فقال بل واطرباه غدا نلقى الاحبة محمدا وحزبه وقيل فتح عبد الله بن المبارك عينيه عند الوفاة وضحك وقال لمثل هذا فليعمل العاملون • ولما حضرت ابراهيم النخعي الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك قال انتظر من الله رسولا يبشرني بالجنة او بالنار • ولما حضرت ابن المنكدر الوفاة بكى فقيل ما يبكيك فقال والله ما ابكي لذنب اتيته ولكن اخاف اني اتيت شيئا حسبته هينا وهو عند الله عظيم • ولما حضرت عامر بن عبد قيس الوفاة بكى فقيل ما يبكيك فقال ما ابكي جزعا من الموت ولا حرصا على الدنيا ولكني ابكي على ما يفوتني من ظمأ الهواجر وعلى قيام الليل في الشتاء • ولما حضرت فضيل الوفاة غشي عليه ثم فتح عينيه وقال وا بعد سفري وقلة زادي • ولما حضرت ابن المبارك الوفاة قال لنصر مولاه اجعل راسي على التراب فبكى نصر فقال له ما يبكيك قال ذكرت ما كنت فيه من النعيم وهوانت ذا تموت فقيرا غريبا فقال اسكت فاني سألت الله ان يحييني حياة الاغنياء وان يميتني موت الفقراء ثم قال له لقنّي ولا تعد علي ما لم اتكلم بكلام ثان • وقال عطاء بن يسار تبدى ابليس لرجل عند الموت فقال له نجوت فقال ما امنتك بعد • وبكى بعضهم عند الموت فقيل له ما يبكيك قال اية في كتاب الله انما يتقبل الله من المتقين • ودخل الحسن على رجل يجود بنفسه فقال ان امرا هذا اوله لجدير ان يتقى اخره وان امرا هذا اخره لجدير ان يزهد في اوله وقال الجريري كنت عند الجنيد في حال نزعه وكان يوم الجمعة ويوم النيروز وهو يقرأ القرآن فختم فقلت له في هذه الحالة يا ابا القاسم فقال ومن اولى بذلك مني وهو ذا تطوى صحيفتي • وقال رويم حضرت وفاة ابي سعيد الخراز وهو يقول

حنين قلوب العارفين الى الذكر ... وتذكارهم وقت المناجاة للسر

اديرت كؤوس المنايا عليهم ... فاغفوا عن الدنيا كاغفاء ذي الشكر

همومهم جوالة بمعسكر ... به اهل ود الله كالانجم الزهر

فاجسادهم في الارض قتلى بحبه ... وارواحهم في الحجب نحو العلى تسري

فما عرسوا الا بقرب حبيبهم ... وما عرجوا من مس بؤس ولا ضر

وقيل للجنيد ان ابا سعيد الخراز كان كثير التواجد عند الموت فقال لم يكن بعجيب ان تطير روحه اشتياقا وقيل لذي النون

وقيل لبعضهم وهو في النزع قل الله فقال الى متى تقولون وانا محترق بالله وقال بعضهم كنت عند ممشاد الدينوري

فقدم فقير فقال السلام عليكم هل هنا موضع نظيف يمكن للانسان ان يموت فيه قال فاشاروا اليه بمكان فكان ثم عين ماء

فجدد الفقير الوضوء وركع ما شاء الله ومضى الى ذلك المكان ومد رجليه ومات وكان ابو العباس الدينوري يتكلم في مجلسه فصاحت

امراة تواجدا فقال لها موتي فقالت المراة فلما بلغت باب الدار التفتت اليه وقالت قد مت ووقعت ميتة وحكي

عن فاطمة اخت ابي علي الروذباري قالت لما قرب اجل ابي علي وكان راسه في حجري فتح عينيه وقال هذه ابواب السماء قد فتحت وهذه

الجنان قد زينت وهذا قائل يقول يا ابا علي قد بلغناك الرتبة القصوى وان لم تردها ثم انشا يقول

وحقك لا نظرت الى سواكا • بعين مودة حتى اراكا • اراك معذبي بفتور لحظ • وبالخد المورد من جناكا • وقيل

للجنيد قل لا اله الا الله فقال ما نسيته فاذكره وسال جعفر بن نصير ان الدينوري خادم الشبلي ما الذي رايت منه فقال قال لي

علي درهم مظلمة وتصدقت عن صاحبه بالوف فما على قلبي شغل اعظم منه ثم قال وضئني للصلوة ففعلت ونسيت تخليل لحيته

وقد امسك على لسانه فقبض على يدي وادخلها في لحيته ثم مات فبكى جعفر وقال ما تقولون في رجل لم يفته في اخر عمره ادب

من اداب الشريعة وقيل لبشر بن الحرث لما احتضر وكان يشق عليه كانك تحب الحيوة فقال القدوم على الله شديد • وقيل للعلا

ابن سمار الا توصي بابنك وعيالك فقال اني لاستحيي من الله ان اوصي بهم الى غيره • ولما احتضر ابو سليمان الداراني اتاه اصحابه

فقالوا ابشر فانك تقدم على رب غفور فقال لهم الا تقولون احذر فانك تقدم على رب يحاسبك بالصغير ويعاقبك بالكبير • ولما

احتضر ابو اسحق قيل له اوصنا فقال احفظوا اسرار الحق فيكم • واحتضر بعضهم فبكت امراته فقال لها ما يبكيك فقالت عليك

ابكي فقال ان كنت باكية فابكي على نفسك فلقد بكيت لهذا اليوم اربعين سنة • وقال الجنيد دخلت على سري السقطي وهو

في مرض موته فقلت كيف تجدك فانشا يقول كيف اشكو الى طبيبي ما بي • والذي بي اصابني من طبيبي

فاخذت المروحة لاروحه فقال كيف يجد روح المروحة من جوفه يحترق ثم انشا يقول

القلب محترق والدمع مستبق • والكرب مجتمع والصبر مفترق

كيف القرار على من لا قرار له • مما جناه الهوى والشوق والقلق

يا رب ان يك شيء فيه لي فرج • فامنن علي به ما دام بي رمق

وحكي ان قوما من اصحاب الشبلي دخلوا عليه وهو في الموت فقالوا له قل لا اله الا الله فانشا يقول

ان بيتا انت ساكنه • غير محتاج الى السرج • وجهك المامول حجتنا • يوم ياتي الناس بالحجج • لا اتاح الله لي فرجا

وحكي ان ابا العباس بن عطاء دخل على الجنيد وقت نزعه فسلم فلم يجبه ثم اجاب بعد ساعة وقال اعذرني فاني كنت

في وردي ثم ولى وجهه الى القبلة وكبر ومات وقيل للكتاني لما حضرته الوفاة ما كان عملك فقال لو لم يقرب اجلي ما اخبرتكم

به وقفت على باب قلبي اربعين سنة فكلما مر فيه غير الله حجبته عنه وحكي عن المعتمر قال كنت فيمن حضر الحكم بن عبد

حين جاءه الحق فقلت اللهم هون عليه سكرات الموت فانه كان وكان فذكرت محاسنه فافاق فقال من المتكلم فقلت

انا فقال ان ملك الموت عليه السلام يقول اني بكل سخي رفيق ثم طفى ولما حضرت يوسف بن اسباط الوفاة شهده حذيفة

فوجده قلقا فقال يا ابا محمد هذا اوان القلق والجزع فقال يا ابا عبد الله وكيف لا اقلق ولا اجزع ولا اعلم اني صدقت الله في شيء من عملي

فقال حذيفة واعجبا لهذا الرجل الصالح يحلف عند موته انه لا يعلم انه صدق الله في شيء من عمله وعن المغازلي قال دخلت على

شيخ من اصحاب هذه القصة وهو عليل وهو يقول يمكنك ان تعمل بي ما تريد فارفق بي ودخل بعض المشايخ على ممشاد

الدينوري في وقت وفاته فقال له فعل الله وصنع من باب الدعاء فضحك ثم قال منذ ثلثين سنة تعرض علي الجنة بما فيها

فما اعرتها طرفي وقيل لرويم عند الموت قل لا اله الا الله فقال لا احسن غيره ولما حضرت النوري الوفاة قيل

له قل لا اله الا الله فقال اليس اليه ثم اصير ودخل المزني على الشافعي في مرضه الذي توفي فيه فقال له كيف اصبحت يا ابا محمد

فقال اصبحت من الدنيا راحلا وللاخوان مفارقا ولسوء عملي ملاقيا وبكاس المنية شاربا وعلى الله تعالى واردا ولا ادري اروحي تصير الى

الجنة فاهنيها ام الى النار فاعزيها ثم انشا يقول

فلما قسى قلبي وضاقت مذاهبي • جعلت رجائي نحو عفوك سلما

فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل • تجود وتعفو منة وتكرما

تعاظمني ذنبي فلما قرنته • بعفوك ربي كان عفوك اعظما

ولولاك لا يغوى بابليس عابد • وكيف وقد اغوى صفيك آدما

ولما حضرت احمد بن خضرويه الوفاة سئل عن مسئلة فدمعت عيناه وقال يا بني باب كنت ادقه خمسا وتسعين سنة هو ذا يفتح

الساعة لا ادري ايفتح لي بالسعادة او الشقاوة فاني لي اوان الجواب فهذه اقاويلهم وانما اختلفت بحسب اختلاف احوالهم فغلب على بعضهم الخوف

وعلى بعضهم الرجا وعلى بعضهم الشوق والحب فتكلم كل واحد عن مقتضى حاله والكل صحيح بالاضافة الى احوالهم

الباب السادس في اقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور

اعلم ان الجنازة عبرة للبصير • وفيها تنبيه وتذكير • الا لاهل الغفلة فانه لا يزيدهم مشاهدتها الا قساوة لانهم يظنون ابدا انهم الى جنازة

غيرهم ينظرون • ولا يحسبون انهم لا محالة على الجنائز يحملون • او يحسبون ذلك ولكنهم على القرب لا يقدرون ولا يتفكرون • ان الحاملين على الجنائز

كلهم هكذا كانوا يحسبون • فبطل حسبانهم • وانقرض على القرب زمانهم • فلا ينظرن عبد الى جنازة الا ويقدر نفسه محمولا عليها فانه محمول

عليها على القرب وكان قد ولعله في غد او بعد غد فيروى عن ابي هريرة رضي الله عنه انه كان اذا راى جنازة قال امضوا فانا على اثر • وكان مكحول الدمشقي

اذا راى جنازة قال اغدوا فانا رائحون • موعظة بليغة • وغفلة سريعة • يذهب الاول والاخر لا عقل له • وقال اسيد بن حضير ما شهدت

جنازة فحدثت نفسي بشيء سوى ما هو مفعول به • وما هو صائر اليه • ولما مات اخو مالك بن دينار خرج مالك في جنازته يبكي ويقول

والله لا تقر عيني حتى اعلم الى ماذا صرت ولا اعلمه ما دمت حيا • وقال الاعمش كنا نشهد الجنائز فلا ندري من نعزي لحزن الجميع • وقال

ثابت البناني كنا نشهد الجنائز فلا نرى الا متقنعا باكيا فهكذا كان خوفهم من الموت • والان لا ننظر الى جماعة يحضرون جنازة الا

واكثرهم يضحكون • ويلهون ولا يتكلمون الا في ميراثه وما خلفه لورثته ولا يتفكر اقرانه واقاربه الا في الحيلة التي بها يتناول بعض ما خلفه

ولا يتفكر واحد منهم الا ما شاء الله في جنازة نفسه وفي حاله اذا حمل عليها ولا سبب لهذه الغفلة الا قسوة القلوب • بكثرة المعاصي والذنوب

حتى نسينا الله تعالى واليوم الاخر • والاهوال التي بين ايدينا • فصرنا نلهو ونغفل ونشتغل بما لا يعنينا • فنسال الله تعالى اليقظة من هذه

الغفلة فان احسن احوال الحاضرين على الجنائز بكاؤهم على الميت ولو عقلوا لبكوا على انفسهم لا على الميت نظر ابراهيم الزيات الى اناس

يترحمون على ميت فقال لو ترحمون انفسكم لكان خيرا لكم انه نجا من اهوال ثلثة • وجه ملك الموت قد راى • ومرارة الموت قد ذاق

وخوف الخاتمة قد امن • وقال ابو عمرو بن العلا جلست الى جرير وهو يملي على كاتبه شعرا فطلعت جنازة فامسك وقال شيبتني والله

هذه الجنائز وانشا يقول

تروعنا الجنائز مقبلات • ونلهو حين تذهب مدبرات

كروعة ثلة لمغار ذئب • فلما غاب عادت راتعات

فمن اداب حضور الجنائز التفكر والتنبه والاستعداد والمشي امامها على هيئة التواضع كما ذكرنا ادابه وسننه في فن الفقه ومن اداب

حسن الظن بالميت وان كان فاسقا واساءة الظن بالنفس وان كان ظاهرها الصلاح فان الخاتمة مخطرة لا يدرى حقيقتها ولذلك

روي عن عمر بن ذر انه مات واحد من جيرانه وكان مسرفا على نفسه فتجافى كثير من الناس عن جنازته فحضرها هو وصلى عليها فلما دلي

في قبره وقف على قبره وقال يرحمك الله يا فلان فلقد صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود وان قالوا مذنب وذو خطايا

فمن منا غير مذنب وغير ذي خطايا ويحكى ان رجلا من المنهمكين في الفساد مات في بعض نواحي البصرة فلم تجد امراته من يعينها

على حمل جنازته اذ لم يدر بها احد من جيرانه لكثرة فسقه فاستاجرت حمالين وحملتها الى المصلى فما صلى عليه احد فحملتها الى الصحراء للدفن فكان

على جبل قريب من الموضع زاهد من الزهاد الكبار فراوه كالمنتظر للجنازة ثم قصد ان يصلي عليه فانتشر الخبر في البلد بان الزاهد نزل ليصلي

انظر هنا

على فلان فخرج اهل البلد فصلى الزاهد وصلوا عليه وتعجب الناس من صلاة الزاهد عليه فقال قيل لي في المنام انزل الى الموضع الفلاني ترى فيه جنازة ليس معها الا امرأة فصل عليه فانه مغفور له فزاد تعجب الناس فاستدعى الزاهد امرأته وسألها عن حاله وانه كيف كانت سيرته قالت كما عرف كان طول نهاره في الماخور مشغولا بشرب الخمر فقال انظري هل تعرفين شيئا من اعمال الخير قالت نعم ثلثة كان لا يزال يفيق من سكره وقت الصبح في جماعة ثم يعود الى الماخور ويشتغل بالفسق والثاني انه كان لا يخلو بيته ابدا عن يتيم او يتيمين وكان احسانه اليهم اكثر من احسانه الى اولاده وكان شديد التفقد لهم والثالث انه كان يفيق في اثناء سكره في ظلام الليل فيبكي ويقول يا رب اي زاوية من زوايا جهنم تريد ان تملاها بهذا الخبيث يعني نفسه فانصرف الزاهد وقد ارتفع اشكاله من امره وعن صلة بن اشيم وقد دفن اخ له فقال على قبره

فان تنج منها تنج من ذي عظيمة * والا فاني لا اخالك ناجيا

بيان حال القبر واقاويلهم عند القبور

قال الضحاك قال رجل يا رسول الله من ازهد الناس قال من لم ينس القبر والبلى وترك فضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من ايامه وعد نفسه من اهل القبور وقيل لعلي ما شأنك جاورت المقبرة قال اني اجدهم جيران صدق يكفون الالسنة ويذكرون الآخرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيت منظرا الا والقبر افظع منه وقال عمر بن الخطاب خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المقابر فجلس الى قبر وكنت ادنى القوم منه فبكى وبكيت وبكوا فقال ما يبكيكم قلنا بكينا لبكائك قال هذا قبر امي آمنة بنت وهب استأذنت ربي في زيارتها فاذن لي واستأذنته في ان استغفر لها فابى علي فادركني ما يدرك الولد من الرقة وكان عثمان بن عفان يبكي اذا وقف على قبر حتى يبل لحيته فسئل عن ذلك وقيل له تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي اذا وقفت على قبر فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان القبر اول منازل الآخرة فان نجا منه صاحبه فما بعده ايسر منه وان لم ينج منه فما بعده اشد وقيل ان عمرو بن العاص نظر الى المقبرة فنزل وصلى ركعتين فقيل له هذا شيء لم تكن تصنعه فقال ذكرت اهل القبور وما حيل بينهم وبينه فاحببت ان اتقرب بهما وقال مجاهد اول ما يكلم ابن آدم حفرته فتقول انا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة هذا ما اعددت لك فما اعددت لي وقال ابو ذر ألا اخبركم بيوم فقري يوم اوضع في قبري وكان ابو الدرداء يقعد الى القبور فقيل له في ذلك فقال اجلس الى قوم يذكروني معادي وان قمت لم يغتابوني وكان جعفر بن محمد يأتي القبور ليلا ويقول يا اهل القبور ما لي اذا دعوتكم لا تجيبوني ثم يقول حيل والله بينهم وبين جوابي وكأني بي اكون مثلهم ثم يستقبل الصلاة الى طلوع الفجر وقال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه يا فلان لقد ارقت الليلة متفكرا في القبر وساكنه انك لو رأيت الميت بعد ثلث في قبره لاستوحشت من قربه بعد طول الانس منك به ولرأيت بيتا تجول فيه الهوام ويجري فيه الصديد وتخترقه الديدان مع تغير الريح وبلى الاكفان بعد حسن الهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب قال ثم شهق شهقة خر مغشيا عليه وكان يزيد الرقاشي يقول ايها المقبور في حفرته والمتخلي في القبر بوحدته المستأنس في بطن الارض باعماله ليت شعري باي اعمالك استبشرت وباي اخوانك اغتبطت ثم يبكي حتى يبل عمامته ثم يقول استأنس والله باعماله الصالحة واغتبط والله باخوانه المتعاونين على طاعة الله تعالى وكان اذا نظر الى القبور خار كما يخور الثور وقال حاتم الاصم من مر بالمقابر ولم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم وكان بكر العابد يقول يا اماه ليتك كنت بي عقيما ان لابنك في القبر حبسا طويلا ومن بعد ذلك منه رحيلا وقال يحيى بن معاذ يا ابن آدم دعاك ربك الى دار السلام فانظر من اين تجيبه ان اجبته من دنياك واشتغلت بالرحلة اليه دخلتها وان اجبته من قبرك منعتها وكان الحسن بن صالح اذا اشرف على المقابر يقول ما احسن ظواهرك انما الدواهي في بواطنك وكان عطاء السلمي اذا جن عليه الليل خرج الى المقبرة فوقف ثم يقول يا اهل القبور متم فواموتاه وعاينتم اعمالكم فواعملاه ثم يقول غدا عطاء في القبر غدا عطاء في القبر فلا يزال ذلك دأبه حتى يصبح وقال سفيان من اكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عنه وجده حفرة من حفر النيران وكان الربيع بن خثيم قد احتفر في داره قبرا فكان اذا وجد في قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع ومكث ما شاء الله ثم يقول رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت ثم يرد على نفسه يا ربيع قد رجعتك فاعمل وقال احمد بن حرب تتعجب الارض من رجل يمهد مضجعه ويسوي فراشه للنوم فتقول يا ابن آدم لم لا تتذكر طول بلاك وما بيني وبينك شيء وقال ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز الى المقبرة فلما نظر الى القبور بكى ثم اقبل علي فقال يا ميمون هذه قبور آبائي بني امية كأنهم لم يشاركوا اهل الدنيا في لذاتهم وعيشهم اما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات واستحكم فيهم البلى واصابت الهوام مقيلا في ابدانهم ثم بكى وقال والله

وقال

ما لهم احد الا من مات الا هذه القبور [illegible] وقال ثابت البناني دخلت المقابر فلما قصدت الخروج منها فاذا قائل يقول يا ثابت لا يغرنك صموت اهلها فكم من نفس مغمومة فيها ويروى ان فاطمة بنت الحسين نظرت الى جنازة زوجها الحسن بن الحسن فغطت وجهها وقالت

وكانوا رجاء ثم امسوا رزية * لقد عظمت تلك الرزايا وجلت

وقيل انها ضربت على قبره فسطاطا واعتكفت عليه سنة فلما انقضت السنة قلعوا الفسطاط ودخلت المدينة فسمعوا صوتا من جانب البقيع هل وجدوا ما فقدوا وسمعوا من الجانب الآخر بل يئسوا فانقلبوا وقال ابو موسى التميمي توفيت امرأة الفرزدق فخرج في جنازتها وجوه البصرة وفيهم الحسن فقال له الحسن يا ابا فراس ما اعددت لهذا اليوم فقال شهادة ان لا اله الا الله منذ ستين سنة فلما دفنت قام الفرزدق على قبرها فقال

اخاف وراء القبر ان لم تعافني * اشد من القبر التهابا واضيقا
اذا جاءني يوم القيامة قائد * عنيف وسواق يسوق الفرزدقا

وقد انشدوا في اهل القبور

قف بالقبور وقل على ساحاتها * من منكم المغمور في ظلماتها
ومن المكرم منكم في قعرها * قد ذاق برد الامن من روعاتها
اما السكون لذي العيون فواحد * لا يستبين الفضل في درجاتها
لو جاوبوك لاخبروك بألسن * تصف الحقائق بعد من حالاتها
اما المطيع فنازل في روضة * يفضي الى ما شاء من دوحاتها
والمجرم الطاغي بها متقلب * في حفرة يأوي الى حياتها
وعقارب تسعى اليه فروحه * في شدة التعذيب من لدغاتها

ومر داود الطائي على امرأة تبكي على قبر وهو يقول

عدمت الحياة ولا نلتها * اذا انت في القبر قد الحدوكا
فكيف اذوق لطعم الكرى * وانت بيمناك قد وسدوكا

ثم قالت يا ابناه ليت شعري باي خديك بدأ الدود فصعق داود مكانه وخر مغشيا عليه وقال مالك بن دينار

اتيت القبور فناديتها * فاين المعظم والمحتقر
واين المدل بسلطانه * واين المزكي اذا ما افتخر
تفانوا جميعا فما مخبر * وماتوا جميعا ومات الخبر
تروح وتغدو بنات الثرى * فتمحو محاسن تلك الصور
فيا سائلي عن اناس مضوا

ابيات وجدت مكتوبة على القبور

وجد على قبر مكتوب

تناجيك اجداث وهن صموت * وسكانها تحت التراب خفوت
ايا جامع الدنيا لغير بلاغه * لمن تجمع الدنيا وانت تموت

ووجد على قبر آخر مكتوب

ايا غانما اما ذراك فواسع * وقبرك معمور الجوانب محكم
وما ينفع المقبور عمران قبره * اذا كان فيه جسمه يتهدم

وقال ابن السماك مررت بالمقابر فاذا على قبر مكتوب

يمر اقاربي جنبات قبري * كأن اقاربي لم يعرفوني
ذوو الميراث يقتسمون مالي * وما يألون ان جحدوا ديوني
وقد اخذوا سهامهم وعاشوا * فيا لله اسرع ما نسوني

ووجد ايضا على قبر مكتوب

ان الحبيب مع الاحباب مختلس * لا يمنع الموت بواب ولا حرس
فكيف تفرح بالدنيا ولذتها * يا من يعد عليه اللفظ والنفس
اصبحت يا غافلا في النقص منغمسا * وانت دهرك في اللذات منغمس
لا يرحم الموت ذا جهل لغرته * ولا الذي كان منه العلم يقتبس
كم اخرس الموت في قبر وقفت به * عن الجواب لسانا ما به خرس
قد كان قصرك معمورا له شرف * فقبرك اليوم في الاجداث مندرس

ووجد على قبر آخر مكتوب

وقفت على الاحبة حين صفت * قبورهم كافراس الرهان
فلما ان بكيت وفاض دمعي

ووجد على قبر طبيب مكتوب • قد قلت لما قال لي قايل • قد صار لقمان الى رمسه • فاين ما يوصف من طبه • وحذقه في الماء مع

ووجد على قبر مكتوب

يا ايها الناس كان لي امل • قصر بي عن بلوغه الاجل

فليتق الله ربه رجل • امكنه في حياته العمل

ما انا وحدي نقلت حيث ترى • كل الى مثله سينتقل

فهذه ابيات كتبت على القبور لتقصير سكانها عن الاعتبار قبل الموت والبصير هو الذي ينظر الى قبر غيره فيرى مكانه بين اظهرهم فيستعد للحوق بهم ويعلم انهم لا يبرحون من مكانهم ما لم يلحق بهم وليتحقق انه لو عرض يوم واحد من ايام عمره الذي هو مضيع له لكان ذلك احب اليهم من الدنيا بحذافيرها لانهم عرفوا قدر الاعمال وانكشفت لهم الحقايق فانما حسرتهم على يوم من العمر ليتدارك المقصر به تقصيره فيتخلص عن العقاب وليستزيد الموفق به رتبته فيتضاعف له الثواب فانهم انما عرفوا قدر العمر بعد انقطاعه فحسرتهم على ساعة من الحياة وانت قادر على تلك الساعة ولعلك تقدر على امثالها ثم انت مضيع لها فوطن نفسك على التحسر في تضييعها عند خروج الامر عن اختيارك اذ لم تاخذ نصيبك من ساعتك على سبيل الابتدار فقد قال بعض الصالحين رايت اخا لي في الله فيما يرى النايم فقلت يا فلان عشت الحمد لله رب العالمين فقال لان اقدر على ان اقولها اعني الحمد لله رب العالمين احب الي من الدنيا وما فيها ثم قال الم تر حيث كانوا يدفنوني فان فلانا قام وصلى ركعتين لان اكون اقدر على ان اصليهما احب الي من الدنيا وما فيها

بيان اقاويلهم عند موت الولد

حق على من مات ولده او قريب من اقاربه ان ينزل تقدمه عليه عند الموت منزلة ما لو كان في سفر فسبقه ولده الى البلد الذي هو مستقره ووطنه فانه لا يعظم عليه تاسفه لعلمه بانه لاحق به على القرب وليس بينهما الا تقدم او تاخر وهكذا الموت فان معناه السبق الى الوطن الى ان يلحق المتاخر فان اعتقد هذا قل جزعه وحزنه لا سيما وقد ورد في موت الولد من الثواب ما يعزى به كل مصاب • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان اقدم سقطا احب الي من ان اخلف ماية فارس كلهم يقاتل في سبيل الله وانما ذكر السقط تنبيها بالادنى على الاعلى والا فالثواب على قدر محل الولد من القلب وقال زيد بن اسلم توفي ابن لداود عليه الصلاة والسلام فحزن عليه حزنا شديدا فقيل له ما كان عدله عندك فقال ملء الارض ذهبا قيل له فان لك من الاجر مثل ذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المسلمين ثلثة من الولد فيحتسبهم الا كانوا له جنة من النار فقالت امراة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم او اثنان قال او اثنان وليخلص الوالد الدعاء لولده عند الموت فانه ارجى دعاء واقربه الى الاستجابة • وقف محمد بن سليمان على قبر ولده فقال اللهم اني اصبحت ارجوك له واخافك عليه فحقق رجائي وآمن خوفي • ووقف ابو سنان على قبر ابنه فقال اللهم اني قد غفرت له ما وجب لي عليه فاغفر له ما وجب لك عليه فانك اجود واكرم • ووقف اعرابي على قبر ابنه فقال اللهم اني قد وهبت له ما قصر فيه من بري فهب له ما قصر فيه من طاعتك • ولما مات ذر بن عمر بن ذر قام ابوه عمر بن ذر بعدما وضع في لحده فقال يا ذر لقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك فليت شعري ماذا قلت وماذا قيل لك ثم قال اللهم ان هذا ذر متعتني به ما متعتني ووفيته اجله ورزقه ولم تظلمه اللهم وقد كنت الزمته طاعتك وطاعتي اللهم وما وعدتني عليه من الاجر في مصيبتي فقد وهبت ذلك له فهب لي عذابه ولا تعذبه فابكى الناس ثم قال عند انصرافه ما علينا بعدك من خصاصة يا ذر وما بنا الى احد مع الله حاجة فلقد مضينا وتركناك ولو اقمنا ما نفعناك ونظر رجل الى امراة بالبصرة فقال ما رايت مثل هذه النضارة وما ذاك الا من قلة الحزن فقالت يا عبد الله اني لفي حزن ما يشركني فيه احد قلت وكيف قالت ان زوجي ذبح شاة في يوم الاضحى وكان لي صبيان مليحان يلعبان فقال الاكبر للاصغر اتريد ان اريك كيف ذبح ابي الشاة قال نعم فاخذه فذبحه فما شعرنا به الا متشحطا في دمه فلما ارتفع الصراخ هرب الغلام فلجا الى جبل فرهقه ذيب فاكله وخرج ابوه يطلبه فمات عطشا من شدة الحر قالت فافردني الدهر كما ترى فامثال هذه المصايب ينبغي ان تتذكر عند موت الاولاد ليتسلى بها عن شدة الجزع فما من مصيبة الا ويتصور ما هو اعظم منها وما يدفعه الله في كل حال فهو الاكثر •

بيان زيارة القبور والدعاء للميت

وما يتعلق به زيارة القبور مستحبة على الجملة للتذكر والاعتبار وزيارة قبور الصالحين مستحبة لاجل التبرك مع الاعتبار وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

نهى عن زيارة القبور ثم اذن في ذلك بعد وقد روي عن علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فان في زيارتها تذكرة للآخرة غير ان لا تقولوا هجرا وزار رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر امه في الف مقنع فلم ير باكيا اكثر من يوميذ وفيه قال اذن لي في الزيارة دون الاستغفار كما رويناه من قبل وقال ابن ابي مليكة اقبلت عايشة رضي الله عنها يوما من المقابر فقلت يا ام المومنين من اين اقبلت فقالت من قبر اخي عبد الرحمن فقلت اليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها قالت نعم ثم امر بها ولا ينبغي ان يتمسك بها فيوذن للنساء في الخروج الى المقابر فانهن يكثرن الهجر على روس المقابر فلا يفي خير زيارتهن بشرها ولا يخلون في الطريق عن تكشف وتبرج وهذه عظايم والزيارة سنة فكيف يحتمل ذلك لاجلها نعم لا باس بخروج المراة في ثياب بذلة ترد اعين الرجال عنها وذلك بشرط الاقتصار على الدعاء وترك الحديث على راس القبر وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زر القبور تذكر بها الآخرة واغسل الموتى فان معالجة جسد خاو موعظة بليغة وصل على الجنايز لعل ذلك ان يحزنك فان الحزين في ظل الله وقال ابن ابي مليكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زوروا موتاكم فسلموا عليهم وصلوا عليهم فان لكم فيهم عبرة وعن نافع ان ابن عمر رضي الله عنهما كان لا يمر بقبر احد الا وقف عليه وسلم عليه وعن جعفر بن محمد عن ابيه ان فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم كانت تزور قبر عمها حمزة في الايام فتصلي وتبكي عنده وقال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبر ابويه او احدهما في كل جمعة غفر له وكتب برا وعن ابن سيرين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليموت والداه وهو عاق لهما فيدعو الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارين وقال عليه الصلاة والسلام من زار قبري فقد وجبت له شفاعتي وقال من زارني بالمدينة محتسبا كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة وقال كعب ما من فجر يطلع الا نزل سبعون الفا من الملايكة حتى يحفوا بالقبر يضربون باجنحتهم ويصلون على النبي حتى اذا امسوا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك حتى اذا انشقت الارض خرج في سبعين الفا من الملايكة يوقرونه

والمستحب في زيارة القبور ان يقف مستدبر القبلة مستقبلا بوجهه الميت وان يسلم ولا يمسح القبر ولا يقبله ولا يمسه فان ذلك من عادة النصارى قال نافع كان ابن عمر ياتي القبور فيقول السلام على النبي السلام على ابي بكر السلام على ابي وينصرف وعن ابي امامة قال رايت انس بن مالك اتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلاة فسلم على النبي ثم انصرف وقالت عايشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يزور قبر اخيه ويجلس عنده الا استانس به ورد عليه حتى يقوم وقال سليمان بن سحيم رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هولاء الذين ياتونك ويسلمون عليك اتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم وقال ابو هريرة اذا مر الرجل بقبر الرجل يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وقال رجل من آل عاصم الجحدري رايت عاصما في منامي بعد موته بسنتين فقلت اليس قد مت قال بلى قلت فاين انت قال انا والله في روضة من رياض الجنة انا ونفر من اصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها الى بكر بن عبد الله المزني فنتلاقى اخباركم قلت اجسامكم ام ارواحكم فقال هيهات بليت الاجسام وانما تتلاقى الارواح قال قلت فهل تعلمون بزيارتنا اياكم قال نعلم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت الى طلوع الشمس قلت وكيف ذاك دون الايام كلها قال لفضل يوم الجمعة وعظمه وكان محمد بن واسع يزور يوم الجمعة فقيل له لو اخرت الى يوم الاثنين فقال بلغني ان الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده وقال الضحاك من زار قبرا يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته قيل وكيف ذاك قال لمكان يوم الجمعة وقال بشر بن منصور لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلف الى الجبان فيشهد الصلاة على الجنايز فاذا امسى وقف على باب المقابر فقال آنس الله وحشتكم ورحم غربتكم وتجاوز عن سيياتكم وقبل حسناتكم لا يزيد على هذه الكلمات قال الرجل فامسيت ذات ليلة فانصرفت الى اهلي ولم آت المقابر فادعو كما كنت ادعو فبينا انا نايم اذا انا بخلق كثير قد جاوني فقلت ما انتم وما حاجتكم قالوا نحن اهل المقابر قلت ما جا بكم قالوا انك كنت عودتنا منك هدية عند انصرافك الى اهلك قلت وما هي قالوا الدعوات التي كنت تدعو لنا قلت فاني اعود لذلك فما تركتها بعد ذلك وقال بشار بن غالب النجراني رايت رابعة العدوية في منامي وكنت كثير الدعاء لها فقالت يا بشار بن غالب هداياك تاتينا على

زيارة النسا للمقابر

وفي نسخة عند النبي صلى الله عليه وسلم

اطباق من نور مخمرة بمناديل الحرير قلت وكيف ذاك قالت وهكذا دعاء المؤمنين الاحياء اذا دعوا للموتى فاستجيب لهم جعل ذلك الدعاء على اطباق النور
وخمر بمناديل الحرير ثم اتي به الميت فقيل هذه هدية فلان اليك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الميت في قبره الا كالغريق المتغوث ينتظر
دعوة تلحقه من ابيه او اخيه او صديق له فاذا لحقته كانت احب اليه من الدنيا وما فيها وان هدايا الاحياء للاموات الدعاء والاستغفار لهم
وقال بعضهم مات اخ لي فرايته في المنام فقلت ما كان حالك حين وضعت في قبرك قال اتاني آت بشهاب من نار فلولا ان داعيا دعا لي لرايت انه
سيضربني به وعن هذا **يستحب تلقين الميت** بعد الدفن والدعاء له قال سعيد بن عبد الله الاودي شهدت ابا امامة الباهلي
وهو في النزع فقال يا سعيد اذا مت فاصنعوا بي كما امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذا مات احدكم فسويتم عليه التراب فليقم احدكم على
راس قبره ثم يقول يا فلان بن فلانة فانه يسمع ولا يجيب ثم ليقل يا فلان بن فلانة الثانية فانه يستوي قاعدا ثم ليقل يا فلان بن فلانة فانه يقول
ارشدنا يرحمك الله ولكن لا تسمعون فيقول اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وانك رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا
وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وبالقران اماما فان منكرا ونكيرا يتاخر كل واحد منهما فيقول انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا وقد لقن حجته ويكون الله حجيجه
دونهما فقال رجل يا رسول الله فان لم يعرف اسم امه قال فلينسبه الى حواء **ولا** باس بقراءة القران على القبر روي عن علي بن موسى الحداد قال كنت
مع احمد بن حنبل في جنازة ومحمد بن قدامة الجوهري معنا فلما دفن الميت جاء رجل ضرير يقرا عند القبر فقال له احمد يا هذا ان القراءة على القبر بدعة فلما خرجنا
من المقابر قال محمد بن قدامة لاحمد يا ابا عبد الله ما تقول في مبشر بن اسماعيل قال ثقة قال هل كتبت عنه شيئا قال نعم قال اخبرني مبشر بن اسماعيل عن عبد الرحمن
ابن العلاء بن اللجلاج عن ابيه انه اوصى اذا دفن ان يقرا عند راسه بفاتحة البقرة وخاتمتها وقال سمعت ابن عمر يوصي بذلك فقال له احمد فارجع الى الرجل
فقل له يقرا وقال محمد بن احمد المروزي سمعت احمد بن حنبل يقول اذا دخلتم المقابر فاقرؤا بفاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله احد واجعلوا
ثواب ذلك لاهل المقابر فانه يصل اليهم وقال ابو قلابة اقبلت من الشام الى البصرة فنزلت الخندق فتطهرت وصليت ركعتين بليل ثم
وضعت راسي على قبر فنمت ثم انتبهت فاذا صاحب القبر يشتكيني يقول لقد اذيتني منذ الليلة ثم قال انكم لا تعلمون ونحن نعلم ولا نقدر
على العمل ثم قال للركعتان اللتان ركعتهما خير من الدنيا وما فيها ثم قال جزى الله اهل الدنيا عنا خيرا اقرئهم السلام فانه قد يدخل علينا من دعائهم
نور امثال الجبال **فالمقصود** من زيارة القبور للزائر الاعتبار وللمزور الانتفاع بدعائه فلا ينبغي ان يغفل الزائر عن الدعاء لنفسه
وللميت ولعن الاعتبار واما يحصل له الاعتبار بان يصور في قلبه الميت كيف تفرقت اجزاؤه وكيف يبعث من قبره وانه عن قريب يلحق به
كما روي عن مطرف بن ابي بكر الهذلي قال كانت عجوز في عبد القيس متعبدة فكانت اذا اتى الليل تحزمت ثم قامت الى المحراب واذا جاء النهار
خرجت الى القبور فبلغني انها عوتبت في كثرة اتيانها المقابر فقالت ان القلب القاسي اذا جفا لم يلينه الا رسوم البلى واني لاتي القبور
فكاني انظر وقد خرجوا من بين اطباقها وكاني انظر الى تلك الوجوه المتعفرة والى تلك الاجسام المتغيرة والى تلك الاكفان الدسمة فيالها
من نظرة لو اشربها العباد قلوبهم ما انكل مرارتها للانفس واشد تلفها للابدان بل ينبغي ان يحضر من صورة الميت ما ذكره عمر بن عبد العزيز
حيث دخل عليه فقيه فتعجب من تغير صورته لكثرة الجهد والعبادة فقال له يا فلان لو رايتني بعد ثلاث وقد ادخلت قبري وقد
خرجت الحدقتان فسالتا على الخدين وتقلصت الشفتان عن الاسنان وخرج الصديد من الفم وانفتح الفم ونتا البطن فعلا على
الصدر وخرج الصلب من الدبر وخرج الدود والصديد من المناخر لرايت اعجب مما تراه الان **ويستحب** الثناء على
الميت وان لا يذكر الا بالجميل قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات صاحبكم فدعوه ولا تقعوا فيه وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الاموات
فانهم قد افضوا الى ما قدموا وقال صلى الله عليه وسلم لا تذكروا موتاكم الا بخير فانهم ان يكونوا من اهل الجنة تاثموا وان يكونوا من اهل النار فحسبهم
ما هم فيه وقال انس بن مالك مرت جنازة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاثنوا عليها شرا فقال عليه الصلاة والسلام وجبت ومروا باخرى فاثنوا
عليها خيرا فقال وجبت فساله عمر رضي الله عنه فقال ان هذا اثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة وهذا اثنيتم عليه شرا فوجبت له النار وانتم
شهداء الله في الارض وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليموت فيثني عليه القوم الثناء يعلم الله منه غيره فيقول الله تعالى
لملائكته اشهدكم اني قد قبلت شهادة عبيدي على عبدي وتجاوزت عن علمي في عبدي

الباب السابع في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر الى نفخة الصور

بيان حقيقة الموت

بيان حقيقة الموت

اعلم ان للناس في حقيقة الموت ظنونا كاذبة قد اخطؤا
فيها فظن بعضهم ان الموت هو العدم وانه لا حشر ولا نشر ولا عاقبة للخير والشر وان موت الانسان كموت الحيوانات وجفاف
النبات وهذا راي الملحدة وكل من لا يؤمن بالله واليوم الاخر وظن قوم انه ينعدم بالموت ولا يتالم بعقاب ولا يتنعم بثواب ما دام في
القبر الى ان يعاد في وقت الحشر وقال اخرون ان الروح باقية لا تنعدم بالموت وانما المثاب والمعاقب هي الارواح دون الاجساد
وان الاجساد لا تبعث ولا تحشر اصلا وكل هذه الظنون فاسدة ومائلة عن الحق بل الذي تشهد له طرق الاعتبار وتنطق به الايات والاخبار
ان الموت معناه تغير حال فقط وان الروح باقية بعد مفارقة الجسد اما معذبة واما منعمة ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع
تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها فان الاعضاء الات للروح تستعملها حتى انها لتبطش باليد وتسمع بالاذن وتبصر بالعين
وتعلم حقيقة الاشياء بالقلب والقلب هاهنا عبارة عن الروح والروح تعلم الاشياء بنفسها من غير الة ولذلك قد يتالم بنفسه بانواع
الحزن والغم والكمد ويتنعم بانواع الفرح والسرور وكل ذلك لا يتعلق بالاعضاء فكل ما هو وصف للروح بنفسها فيبقى معها بعد مفارقة الجسد وما
هو لها بواسطة الاعضاء فيتعطل بموت الجسد الى ان تعاد الروح الى الجسد ولا يبعد ان تعاد الى الجسد في القبر ولا يبعد ان تؤخر الى يوم البعث
والله اعلم بما حكم به على كل عبد من عباده وانما تعطل الجسد بالموت يضاهي تعطل اعضاء الزمن بفساد مزاج يقع فيه وبشدة تقع في الاعصاب
تمنع نفوذ الروح فيها فتكون الروح العالمة العاقلة المدركة باقية مستعملة لبعض الاجزاء وقد استعصى عليها بعضها والموت عبارة عن
استعصاء الاعضاء كلها وكل الاعضاء الات والروح هي المستعملة لها واعني بالروح المعنى الذي يدرك من الانسان العلوم والام الغموم
ولذات الافراح ومهما بطل تصرفها في الاعضاء لم يبطل منها العلوم والادراكات ولا بطل منها الافراح والغموم ولا بطل منها قبولها للالام
واللذات والانسان بالحقيقة هو المعنى المدرك للعلوم وللالام واللذات وذلك لا يموت اي لا ينعدم ومعنى الموت انقطاع تصرفه عن
البدن وخروج البدن عن ان يكون الة له كما ان معنى الزمانة خروج اليد عن ان تكون الة مستعملة فالموت زمانة مطلقة في الاعضاء كلها وحقيقة
الانسان نفسه وروحه وهي باقية نعم تغير حاله من وجهين احدهما انه سلب منه عينه واذنه ولسانه ويده ورجله وجميع اعضائه
وسلب منه اهله وولده واقاربه وساير معارفه وسلب منه خيله ودوابه وغلمانه ودوره وعقاره وساير املاكه ولا فرق بين ان تسلب هذه
الاشياء من الانسان وبين ان يسلب الانسان من هذه الاشياء فان المولم هو الفراق والفراق يحصل تارة بان ينهب مال الرجل وتارة
بان يسبى الرجل عن المال والملك واحد في الحالتين وانما معنى الموت سلب الانسان عن امواله بازعاجه الى عالم اخر لا يناسب هذا
العالم فان كان له في الدنيا شيء يانس به ويستريح اليه ويعتد بوجوده فيعظم تحسره عليه بعد الموت وتضاعف شقاوه في مفارقته بل
يلتفت قلبه الى واحد واحد من ماله وجاهه وعقاره حتى الى قميص كان يلبسه مثلا ويفرح به وان لم يكن يفرح الا بذكر الله ولم يانس الا به
باسه عظم نعيمه وتمت سعادته اذ خلي بينه وبين محبوبه وقطعت عنه العوائق والشواغل اذ جميع اسباب الدنيا شاغلة عن ذكر الله وهذا
احد وجهي المخالفة بين حال الموت وحال الحياة والثاني انه ينكشف له بالموت ما لم يكن مكشوفا له في الحياة كما ينكشف للمستيقظ ما لم
يكن مكشوفا في النوم والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا واول ما ينكشف له ما يضره وما ينفعه من حسناته وسيئاته وقد كان ذلك
مسطورا في كتاب مطوي في سر قلبه وكان يشغله عن الاطلاع عليه شواغل الدنيا فاذا انقطعت الشواغل انكشف له جميع اعماله فلا ينظر الى
سيئة الا ويتحسر عليها تحسرا يؤثر ان يخوض غمرة النار للخلاص من تلك الحسرة وعند ذلك يقال له كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا
ويكشف كل ذلك عند انقطاع النفس وقبل الدفن وتشتعل فيه نيران الفراق اعني فراق ما كان يطمئن اليه من هذه الدنيا
الفانية دون ما اراد منها لاجل الزاد والبلغة فان من طلب الزاد للبلغة فاذا بلغ المقصد فرح بمفارقته بقية الزاد اذ لم يرد الزاد
لعينه وهذا حال من لم ياخذ من الدنيا الا بقدر الضرورة وكان يود ان تنقطع ضرورته ليستغني عنه فقد حصل منه ما كان يوده
واستغنى عنه وهذه انواع من العذاب والالام عظيمة تهجم عليه قبل الدفن ثم عند الدفن فقد ترد روحه الى الجسد لنوع اخر من العذاب وقد يعفى عنه
ويكون حال المتنعم بالدنيا المطمئن اليها كحال من تنعم عند غيبة ملك من الملوك في داره وملكه وحريمه اعتمادا على ان الملك يتساهل في امره او
ان الملك ليس يدري ما يتعاطاه من قبيح افعاله فاخذه الملك بغتة وعرض عليه جريدة قد دونت فيها جميع فواحشه وجناياته ذرة ذرة
وخطوة خطوة والملك قاهر متسلط وغيور على حرمه ومنتقم من الجناة على ملكه وغير ملتفت الى من يتشفع اليه في العصاة عليه فانظر الى هذا

الموت كيف كون حاله قبل نزول عذاب الملك به من الخوف والخجلة والحيا والتحسر والندم فهذا حال الميت الفاجر المغتر بالدنيا المطمئن اليها قبل
نزول عذاب القبر بل عند موته نعوذ بالله منه فان الخزي والافتضاح وهتك الستر اعظم من كل عذاب يحل بالجسد من الضرب والقطع وغيرهما فهذه
اشارة الى حال الميت عند الموت شاهدها ذو البصاير بمشاهدة باطنة اقوى من مشاهدة العين وشهد لذلك شواهد الكتاب والسنة نعم
لا يمكن كشف الغطاء عن كنه حقيقة الموت اذ لا يعرف الموت من لا يعرف الحياة ومعرفة الحياة بمعرفة حقيقة الروح في نفسها وادراك ماهية ذاتها
ولم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتكلم فيها ولا ان يزيد على ان يقول قل الروح من امر ربي فليس لاحد من علماء الدين ان يكشف عن سر الروح وان
اطلع عليه وانما المأذون فيه ذكر حال الروح بعد الموت ويدل على ان الموت ليس عبارة عن انعدام الروح وانعدام ادراكها ايات واخبار كثيرة
اما الايات فما ورد في الشهداء اذ قال الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون ولما قتل صناديد
العرب يوم بدر ناداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا فلان يا فلان قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا
فقيل له يا رسول الله اتناديهم وهم اموات فقال عليه السلام والذي نفسي بيده انهم لاسمع لهذا الكلام منكم الا انهم لا يقدرون على الجواب فهذا نص في بقاء
روح الشقي وبقاء ادراكها ومعرفتها والاية نص في ارواح الشهداء ولا يخلو الميت عن سعادة او شقاوة وقال صلى الله عليه وسلم القبر اما حفرة من
حفر النار واما روضة من رياض الجنة وهذا نص صريح في ان الموت معناه تغير حال فقط وان ما سيكون من شقاوة الميت وسعادته يتعجل عند الموت
من غير تأخير وانما يتأخر بعض انواع العذاب والثواب دون اصله وروى انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الموت القيامة من مات فقد
قامت قيامته وقال صلى الله عليه وسلم اذا مات احدكم عرض عليه مقعده غدوة وعشية ان كان من اهل الجنة فمن الجنة وان كان من اهل النار فمن النار
يقال هذا مقعدك حتى تبعث اليه يوم القيامة وليس يخفى ما في مشاهدة المقعدين من عذاب ونعيم في الحال وعن ابي قيس قال كنا مع علقمة في جنازة
فقال اما هذا فقد قامت قيامته وقال علي حرام على كل نفس ان تخرج من الدنيا حتى تعلم من اهل الجنة هي ام من اهل النار وقال ابو هريرة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات مريضا مات شهيدا ووقي فتان القبر وغدي وريح عليه برزقه من الجنة وقال مسروق ما غبطت احدا
ما غبطت مومنا في اللحد قد استراح من نصب الدنيا وامن عذاب الله وقال يعلى بن الوليد كنت امشي يوما مع ابي الدرداء فقلت له ما تحب لمن تحب
قال الموت قلت فان لم يمت قال يقل ماله وولده وانما احب الموت لانه لا يحبه الا المومن والموت اطلاق المومن من السجن وانما
احب قلة الولد والمال لانه فتنة وسبب للانس بالدنيا والانس بمن لا بد من فراقه غاية الشقاوة وكل ما سوى الله وذكره والانس به
فلا بد من فراقه عند الموت لا محالة ولهذا قال عبد الله بن عمرو انما مثل المومن حين تخرج نفسه او روحه مثل رجل كان في سجن فاخرج
منه فهو يتفسح في الارض ويتقلب فيها وهذا الذي ذكره حال من تجافى عن الدنيا وتبرم بها ولم يكن له انس الا بذكر الله وكانت شواغل الدنيا تحبسه
عن محبوبه ومقاساة الشهوات تؤذيه فكان في الموت خلاصه عن جميع المؤذيات وانفراده بمحبوبه الذي كان به انسه من غير عائق ولا دافع وما
اجدر ذلك بان يكون منتهى النعيم واللذات واكمل اللذات للشهداء الذين قتلوا في سبيل الله لانهم ما اقدموا على القتال الا قاطعين التفاتهم علائق
الدنيا مشتاقين الى لقاء الله تعالى راضين بالقتل في طلب مرضاته فان نظر الى الدنيا فقد باعها طوعا بالاخرة والبايع لا يلتفت قلبه الى المبيع
وان نظر الى الاخرة فقد اشتراها وتشوق اليها فما اعظم فرحه بما اشتراه اذا رآه وما اقل التفاته الى ما باعه اذا فارقه وتجرد القلب
لحب الله قد يتفق في بعض الاحوال ولكن لا يدركه الموت عليه فيتغير والقتال هو الموت سبب فكان سببا لادراك الموت على مثل هذه الحالة
فلهذا عظم النعيم اذ معنى النعيم ان ينال الانسان ما يريده قال الله تعالى ولهم فيها ما يشاءون فكان هذا اجمع عبارة لمعاني لذات الجنة واعظم
العذاب ان يمنع الانسان عن مراده كما قال الله تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون فكان هذا اجمع عبارة لعقوبات اهل جهنم وهذا
النعيم يدركه الشهداء كما انقطع نفسه من غير تأخير وهذا امر انكشف لارباب القلوب بنور اليقين وان اردت عليه شهادة
من جهة السمع فجميع احاديث الشهداء يدل عليه وكل حديث يشتمل على التعبير عن منتهى نعيمهم بعبارة اخرى فقد روي عن عائشة رضي الله عنها
انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر الا ابشرك يا جابر وكان قد استشهد ابوه فقال بلى بشرك الله بالخير فقال ان الله تعالى
قد احيا اباك فاقعده بين يديه فقال تمن علي عبدي ما شئت اعطيكه فقال يا رب ما عبدتك حق عبادتك اتمنى عليك
ان تردني الى الدنيا فاقاتل مع نبيك فاقتل فيك مرة اخرى قال له انه قد سبق مني انك اليها لا ترجع وقال كعب يوجد رجل في الجنة يبكي فيقال له

لم تبكي وانت في الجنة فقال ابكي لاني لم اقتل في سبيل الله الا قتلة واحدة وكنت اشتهي ان ارد فاقتل في سبيل الله قتلات واعلم ان المومن
ينكشف له عقيب الموت من سعة جلال الله تعالى ما تكون الدنيا بالاضافة اليه كالسجن والمضيق ويكون مثاله كالمحبوس في بيت مظلم فتح له
باب الى بستان واسع الاكناف والطرف لا يبلغ طرفه اقصاه وفيه انواع الاشجار والازهار والطيور والثمار فلا يشتهي العود الى
السجن المظلم وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا فقال لرجل مات اصبح هذا مرتحلا من الدنيا وتركها لاهلها فان كان
قد رضي فلا يسره ان يرجع الى الدنيا كما لا يسر احدكم ان يرجع الى بطن امه فعرفك بهذا ان نسبة سعة الاخرة الى الدنيا كنسبة سعة
الدنيا الى ظلمة الرحم وقال صلى الله عليه وسلم ان مثل المومن في الدنيا كمثل الجنين في بطن امه اذا خرج من بطنها بكى على مخرجه
حتى اذا رأى الضوء ووضع لم يحب ان يرجع الى مكانه كذلك المومن يجزع من الموت فاذا افضى الى ربه لم يحب ان يرجع
الى الدنيا كما لا يحب الجنين ان يرجع الى بطن امه وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا قد مات فقال مستريح او مستراح
منه اشار بالمستريح الى المومن وبالمستراح منه الى الفاجر ان يستريح اهل الدنيا منه وقال ابو عمر صاحب السقيا مر بنا ابن
عمر ونحن صبيان فنظر الى قبر فاذا جمجمة بادية فامر رجلا فواراها ثم قال ان هذه الابدان ليس يضرها هذا الثرى شيئا وانما
الارواح التي تعاقب وتثاب الى يوم القيامة وعن عمرو بن دينار قال ما من ميت يموت الا وهو يعلم ما يكون
في اهله بعده وانهم ليغسلونه ويكفنونه وانه لينظر اليهم وقال مالك بن انس بلغني ان ارواح المومنين مرسلة تذهب
حيث شاءت وقال النعمان بن بشير سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا انه لم يبق من الدنيا الا مثل الذباب
تمور في جوها فالله الله في اخوانكم من اهل القبور فان اعمالكم تعرض عليهم وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تفضحوا موتاكم
بسيئات اعمالكم فانها تعرض على اوليائكم من اهل القبور وقال ابو الدرداء اللهم اني اعوذ بك ان اعمل عملا اخزى به عند عبد الله
بن رواحة وكان من ذوي رحمه وهو خاله وسأل ابن عمر بن عباس عن ارواح المومنين اذا ماتوا اين هي قال صور طير بيض
في ظل العرش وارواح الكافرين في الارض السابعة وقال ابو سعيد الخدري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الميت يعرف من يغسله
ومن يحمله ومن يدليه في قبره وقال صالح المري بلغني ان الارواح تتلاقى عند الموت فتقول ارواح الموتى للروح التي تخرج اليهم
كيف كان ماواك وفي اي الجسدين كنت في طيب او خبيث وقال عبيد بن عمير اهل القبور يتوكفون الاخبار فاذا
اتاهم الميت قالوا ما فعل فلان فيقول الم ياتكم او ما قدم عليكم فيقولون انا لله وانا اليه راجعون سلك به غير سبيلنا
وعن جعفر بن محمد عن جده قال اذا مات الرجل استقبله ولده كما يستقبل الغائب وقال مجاهد ان الرجل ليبشر بصلاح
ولده في قبره وروى ابو ايوب الانصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان نفس المومن اذا قبضت يلقاها اهل الرحمة
من عند الله كما يتلقى البشير في الدنيا يقولون انظروا اخاكم حتى يستريح فانه كان في كرب شديد فيسألونه ماذا فعل فلان وما فعلت
فلانة وهل تزوجت فلانة فاذا سألوه عن رجل مات قبله فقال مات قبلي قالوا انا لله وانا اليه راجعون ذهب به الى امه

كلام القبر للميت وكلام الموتى

كلام القبر للميت اما بلسان المقال او بلسان الحال التي هي
افصح في تفهيم الموتى من لسان المقال في تفهيم الاحياء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول القبر للميت
حين يوضع فيه ويحك يا ابن آدم ما غرك بي الم تعلم اني بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود ما
غرك بي اذ كنت تمر بي فذاذا فان كان مصلحا اجاب عنه مجيب القبر فيقول ارأيت ان كان يأمر بالمعروف وينهى عن
المنكر فيقول القبر اني اذا اتحول عليه روضة خضراء ويعود جسده نورا وتصعد روحه الى الله تعالى والفذاذ هو الذي يقدم رجلا
ويوخر اخرى كذلك فسره الراوي وقال عبيد بن عمير الليثي ليس من ميت يموت الا نادته حفرته التي يدفن فيها
انا بيت الظلمة والوحدة والانفراد فان كنت في حياتك لله مطيعا كنت اليوم عليك رحمة وان كنت عاصيا فانا عليك
اليوم نقمة انا الذي من دخلني مطيعا خرج مسرورا ومن دخلني عاصيا خرج مثبورا وقال محمد بن صبيح بلغنا ان الرجل اذا
وضع في قبره فعذب واصابه بعض الذي يكره ناداه جيرانه من الموتى ايها المتخلف في الدنيا بعد اخوانه وجيرانه اما كان لك

بيا معتبرا اما كان لك في تقدمنا اياك فكرا اما رايت انقطاع اعمالنا عنا وانت في المهلة فهلا استدركت ما فات من
اخوانك وتناديه بقاع الارض ممن غرته الدنيا قبلك ثم سبق به اجله الى القبور وانت تراه محمولا تهاداه احبته الى المنزل الذي لا بد له منه
وقال يزيد الرقاشي بلغني ان الميت اذا وضع في قبره احتوشته اعماله ثم انطقها الله تعالى فقالت ايها العبد المنفرد في
حفرته انقطع عنك الاخلاء والاهلون فلا انيس لك اليوم عندنا وقال كعب الاحبار اذا وضع العبد الصالح في القبر
احتوشته اعماله الصالحة الصلاة والصيام والحج والجهاد والصدقة قال وتجيء ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول الصلاة
لا سبيل لكم عليه فقد اطال القيام لله عليهما فياتونه من قبل راسه فيقول الصيام لا سبيل لكم عليه فقد اطال ظماه لله تعالى
في دار الدنيا فلا سبيل لكم عليه قال فياتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد اليكم عنه فقد انصب نفسه واتعب بدنه
وحج وجاهد في سبيل الله لا سبيل لكم عليه قال فياتونه من قبل يديه فتقول الصدقة كفوا عن صاحبي فكم من صدقة
خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت في يد الله تعالى ابتغاء وجهه فلا سبيل لكم عليه قال فيقال له هنيئا طبت حيا وطبت ميتا
قال وتاتيه ملائكة الرحمة فتفرش له فراشا من الجنة ودثارا من الجنة ويفسح له في قبره مد بصره ويؤتى بقنديل من الجنة فيستضيء
بنوره الى يوم القيامة ويبعثه الله من قبره وقال عبد الله بن عبيد بن عمير في جنازة بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الميت يقعد وهو يسمع
خطو مشيعيه فلا يكلمه شيء الا قبره ويقول ويحك ابن آدم اليس قد حذرتني وحذرت ضيقي ونتني وهولي ودودي
فماذا اعددت لي

بيان عذاب القبر وسؤال منكر ونكير

قال البراء بن عازب خرجنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الانصار فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره منكسا راسه ثم قال اللهم اني اعوذ بك
من عذاب القبر ثلاثا ثم قال ان المؤمن اذا كان في قبل من الآخرة بعث الله ملائكة كان وجوههم الشمس معهم حنوطه وكفنه فيجلسون
مد بصره فاذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والارض وفتحت ابواب السماء فليس منها باب الا يحب ان يدخل روحه منه
فاذا صعد بروحه قيل اي رب عبدك فلان فيقول ارجعوه فاروه ما اعددت له من الكرامة فاني وعدته منها خلقناكم وفيها
نعيدكم ومنها نخرجكم وانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول
ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم قال فينتهرانه انتهارا شديدا وهي آخر فتنة تعرض على الميت
فاذا قال ذلك نادى مناد ان صدقت وهي معنى قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة
ثم ياتيه آت حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول ابشر برحمة من ربك وجنات فيها نعيم مقيم فيقول وانت فبشرك الله
بخير من انت فيقول انا عملك الصالح والله ما علمت ان كنت لسريعا في طاعة الله تعالى بطيئا عن معصية الله فجزاك الله خيرا ثم ينادي
مناد ان افرشوا له من فرش الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فيفرش له فرش من الجنة ويفتح له باب الى الجنة فيقول اللهم عجل قيام الساعة
حتى ارجع الى اهلي ومالي قال واما الكافر فانه اذا كان في قبل من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت اليه ملائكة غلاظ شداد
معهم ثياب من نار وسرابيل من قطران فيحتوشونه فاذا خرجت نفسه لعنه كل ملك بين السماء والارض وكل ملك في السماء
وغلقت ابواب السماء فليس منها باب الا يكره ان يدخل بروحه منه فاذا صعد بروحه نبذ وقيل اي رب عبدك فلان لم
يقبله سماء ولا ارض فيقول ارجعوه فاروه ما اعددت له من الشر اني وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم وانه ليسمع
خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال له يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول لا ادري ثم ياتيه آت قبيح
منتن الرائحة قبيح الثياب فيقول ابشر بسخط من الله وعذاب اليم فيقول بشرك الله بشر من انت فيقول انا
عملك الخبيث والله ان كنت لسريعا في معصية الله تعالى بطيئا عن طاعة الله تعالى فجزاك الله شرا فيقول وانت فجزاك
الله شرا ثم يقيض له اصم اعمى ابكم معه مرزبة من حديد لو اجتمع عليها الثقلان على ان يقلوها لم يستطيعوا او ضرب
بها جبل لصار ترابا فيضربونه بها ضربة فيصير ترابا ثم يعود فيه الروح فيضرب بين عينيه ضربة يسمعها من على الارض ليس
الثقلان قال ثم ينادي مناد ان افرشوا له لوحين من النار وقال محمد بن علي ما من ميت يموت الا مثل له عند الموت اعماله

الحسنة واعماله السيئة قال فيشخص الى حسناته ويطرق عن سيئاته وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا احتضر اتته
الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر الريحان فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين ويقال ايتها النفس المطمئنة اخرجي
مرضية ومرضيا عنك الى روح الله وكرامته فاذا اخرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت عليها الحريرة وبعث
بها الى عليين وان الكافر اذا احتضر اتته الملائكة بمسح فيه جمر فتنزع روحه انتزاعا شديدا ويقال ايتها الروح الخبيثة
اخرجي ساخطة ومسخوطا عليك الى هوان الله وعذابه فاذا اخرجت روحه وضعت على تلك الجمرة وان لها نشيشا ويطوى
عليها المسح ويذهب به الى سجين وعن محمد بن كعب القرظي انه قرا قوله تعالى حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون
لعلي اعمل صالحا قال اي شيء تريد في اي شيء ترغب اتريد ان ترجع لتجمع الاموال وتغرس الغراس وتبني البنيان وتشق
الانهار قال لا لعلي اعمل صالحا فيما تركت فيقول الجبار تعالى كلا انها كلمة هو قائلها اي ليقولنها عند الموت وقال
ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب له في قبره سبعون ذراعا ويضيء حتى يكون كالقمر
ليلة البدر هل تدرون فيما انزلت فان له معيشة ضنكا قالوا الله ورسوله اعلم قال عذاب الكافر في قبره
يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا هل تدرون ما التنين تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة رؤوس يخدشونه ويلحسونه
وينفخون في جسمه الى يوم القيامة ولا ينبغي ان يتعجب من هذا العدد على الخصوص فان اعداد هذه الحيات والعقارب
بعدد اعداد الاخلاق المذمومة من الكبر والرياء والحسد والغل والحقد وسائر الصفات فان لها اصولا معدودة
ثم تتشعب منها فروع معدودة ثم تنقسم فروعها الى اقسام وتلك الصفات باعيانها هي المهلكات وهي باعيانها تنقلب عقارب
وحيات فالقوي منها يلدغ لدغ التنين والضعيف يلدغ لدغ العقرب وما بينهما يؤذي ايذاء الحية فارباب القلوب
والبصائر يشاهدون بنور البصيرة هذه المهلكات وانشعاب فروعها الا ان مقدار عددها لا يوقف عليه الا بنور النبوة
فامثال هذه الاخبار لها ظواهر صحيحة واسرار خفية ولكنها عند ارباب البصائر واضحة فمن لم تنكشف له حقائقها فلا ينبغي ان
ينكر ظواهرها بل اقل درجات الايمان التصديق والتسليم **فان قلت** نحن نشاهد الكافر في قبره
مدة ونراقبه ولا نشاهد شيئا من ذلك فما وجه التصديق على خلاف المشاهدة فاعلم ان لك ثلاث مقامات في التصديق بامثال هذا احدها
وهو الاظهر والاصح والاسلم ان تصدق بانها موجودة وهي تلدغ الميت ولكنك لا تشاهد ذلك فان هذه العين لا تصلح لمشاهدة
هذه الامور الملكوتية وكل ما يتعلق بالآخرة فهو من عالم الملكوت اما ترى الصحابة كيف كانوا يؤمنون بنزول جبريل وما كانوا
يشاهدونه ويؤمنون بانه عليه السلام يشاهده فان كنت لا تؤمن بهذا فتصحيح اصل الايمان بالملائكة والوحي اهم عليك وان آمنت به وجوزت ان
يشاهد النبي صلى الله عليه وسلم ما لا تشاهده الامة فكيف لا تجوز هذا في الميت وكما ان الملك لا يشبه الآدميين والحيوانات فالحيات والعقارب التي تلدغ في
القبر ليس من جنس حيات عالمنا بل هي جنس آخر وتدرك بحاسة اخرى **المقام الثاني** ان تذكر امر النائم
فانه قد يرى في نومه حية تلدغه وهو يتالم بذلك حتى تراه في نومه يصيح ويعرق جبينه وقد ينزعج من مكانه كل ذلك يدركه
من نفسه ويتاذى به كما يتاذى اليقظان وهو يشاهده وانت ترى ظاهره ساكنا ولا ترى حواليه حية والحية موجودة في حقه
والعذاب حاصل ولكنه في حقك غير مشاهد واذا كان العذاب في الم اللدغ فلا فرق بين حية تتخيل او تشاهد **المقام**
الثالث انك تعلم ان الحية بنفسها لا تؤلم بل الذي يلقاك منها وهو السم ثم السم ليس هو الالم بل عذابك في الاثر الذي يحصل فيك من السم
فلو حصل مثل ذلك الاثر من غير سم لكان العذاب قد توفر وكان لا يمكن تعريف ذلك النوع من العذاب الا بان يضاف الى السبب
الذي يفضي اليه في العادة فانه لو خلق في الانسان لذة الوقاع مثلا من غير مباشرة صورة الوقاع لم يمكن تعريفها الا بالاضافة اليه
ليكون الاضافة للتعريف بالسبب وتكون ثمرة السبب حاصلة وان لم تحصل صورة السبب والسبب يراد لثمرته لا لذاته وهذه
الصفات المهلكات تنقلب مؤذيات ومؤلمات في النفس عند الموت فتكون آلامها كآلام لدغ الحيات من غير وجود حيات
وانقلاب الصفات مؤذية يضاهي انقلاب العشق مؤذيا عند موت المعشوق فانه كان لذيذا فطرات حالة صار اللذيذ نفسه

مؤلماً حتى نزل بالقلب من انواع العذاب ما لم ينزل به لو لم يكن قد تنعم بالعشق والوصال بل هذا بعينه هو احد انواع عذاب الميت
فانه قد سلط العشق في الدنيا على نفسه فصار يعشق ماله وعقاره وجاهه وولده واقاربه ومعارفه ولو اخذ منه جميع ذلك
في حياته من لا يرجو استرجاعها منه فماذا يكون حاله اليس يعظم شقاؤه ويشتد عذابه ويتمنى ويقول ليتني لم يكن لي مال قط
ولا جاه ولا اتاذى بفراقه **فالموت** عبارة عن مفارقة المحبوبات في الدنيا وتركها دفعة واحدة وما حال من كان لا فرح له
الا بالدنيا فيوخذ منه الدنيا ويسلم الى اعدائه ثم يضاف الى هذا العذاب تحسره على ما فاته من نعيم الآخرة والحجاب
عن الله تعالى فان حب غير الله يحجب عن الله تعالى والتنعم به فيتوالى عليه الم الفراق في جميع محبوباته وحسرة ما فاته من نعيم الآخرة ابد الآباد
وذل الرد والحجاب عن الله تعالى هو الذي يعذب به اذ لا يبلغ نار الفراق الا نار جهنم كما قال الله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا
الجحيم **واما** من لا يانس بالدنيا ولم يحب الا الله تعالى وكان مشتاقا الى لقاء الله تعالى فقد تخلص من سجن الدنيا ومقاساة الشهوات
عن الاشتغال والزواد ابد الآباد ولمثل ذلك فليعمل العاملون **والمقصود** ان الرجل قد يخير في شعب بين
ان يوخذ منه وبين ان يلدغه عقرب فاختار الصبر على لدغ العقرب **فاذا** الم الفراق للفرس عنده اعظم من لدغ العقرب
وجه الفرس هو الذي يلدغه اذا اخذ فرسه فليستعد لهذه اللدغات فان الموت ياخذ منه فرسه ومركبه وداره وعقاره واهله
وولده واحبابه ومعارفه وياخذ منه جاهه وقبوله بل ياخذ منه سمعه وبصره واعضاءه وياس من رجوع جميع ذلك اليه فاذا لم
اعظم عليه من العقارب والحيات ولو اخذ ذلك منه وهو حي فيعظم عقابه فكذلك اذا مات لانا قد بينا ان المعنى المدرك للآلام
واللذات لم يمت بل عذابه بعد الموت اشد لانه في الحيات يتسلى باسباب يشتغل بها حواسه من مجالسة ومحادثة ويتسلى
برجاء العوض والسلو بعد الموت اذ قد انسد عليه طرق التسلي وحصل الياس **فاذا** كل قميص له ومنديل قد اخذ بحيث
كان يشق عليه لو اخذ منه فانه يبقى متاسفا عليه ومعذبا به فان كان مخفا من الدنيا سلم وهو المعنى بقوله نجا المخفون
وان كان مثقلا عظم عذابه وكما ان حال من يسرق منه دينار اخف من حال صاحب الف دينار وما من شيء من الدنيا مخلف
عنك عند الموت الا وهو حسرة عليك بعد الموت وان شئت فاستكثر وان شئت فاستقلل فان استكثرت فلست
مستكثرا الا من الحسرة وان استقللت فلست مستقلا الا من الحسرة ولست مستخفا الا عن ظهرك **وانما** كثرت الحيات والعقارب
في قبور الاغنياء الذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وفرحوا بها واطمانوا اليها فهذه مقامات الايمان في حيات القبر وعقاربه
وسائر انواع عذابه راى ابو سعيد الخدري ابنا له قد مات في المنام فقال له يا بني عظني فقال لا تخالف الله تعالى فيما يريد قال
يا بني زدني فقال يا ابت لا تطيق قال قل قال لا تجعل بينك وبين الله تعالى قميصا فما لبس قميصا ثلاثين سنة **فان قلت**
فما الصحيح من هذه المقامات فاعلم ان من الناس من لم يثبت الا الاول وانكر ما بعده ومنهم من انكر الاول واثبت الثاني ومنهم من لم
يثبت الا الثالث وانما الحق الذي انكشف لنا بطريق الاستبصار ان كل ذلك في حيز الامكان وان من ينكر بعض ذلك فهو لضيق حوصلته
وجهله باتساع قدرة الله تعالى وعجائب تدبيره فينكر من افعال الله تعالى ما لم يانس به ويالفه وذلك جهل وقصور بل هذه الطرق الثلاثة في
التعذيب ممكنة والتصديق بها واجب ورب عبد يعاقب بنوع واحد من هذه الانواع ورب عبد تجمع عليه هذه الانواع الثلاثة
نعوذ بالله من قليله وكثيره هذا هو الحق فصدق به تقليدا فيعز على بسيط الارض من يعرف ذلك تحقيقا والذي اوصيك به ان لا
تكثر نظرك في تفصيل ذلك ولا تشتغل بمعرفته بل اشتغل بالتدبير في دفع العذاب كيفما كان فان اهملت العمل والعبادة
واشتغلت بالبحث عن ذلك كنت كمن اخذه سلطان وحبسه ليقطع يده ويجدع انفه فاخذ طول الليل يتفكر في انه يقطعه
بسكين او بسيف او بموسى واهمل طريق الحيلة في دفع اصل العذاب عن نفسه وهذا غاية الجهل فقد علم على القطع ان العبد
بعد الموت لا يخلو من عذاب عظيم او نعيم مقيم فينبغي ان يكون الاستعداد له فاما البحث عن تفصيل العقاب والثواب
ففضول وتضييع زمان

بيان سؤال منكر ونكير وصورتهما وضغطة القبر وبقية القول فيه

قال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات العبد اتاه ملكان اسودان ازرقان يقال لاحدهما منكر وللآخر نكير فيقولان
ما كنت تقول في النبي فان كان مؤمنا قال هو عبد الله ورسوله اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فيقولان ان كنا
لنعلم انك تقول ذلك ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ذراعا وينور له في قبره ثم يقال له نم فيقول دعوني
ارجع الى اهلي فاخبرهم فيقال له نم فينام كنومة العروس الذي لا يوقظه الا احب اهله اليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وان كان
منافقا قال لا ادري كنت اسمع الناس يقولون شيئا وكنت اقوله فيقولان ان كنا لنعلم انك تقول ذلك ثم يقال للارض التئمي
عليه فتلتئم عليه حتى تختلف فيها اضلاعه فلا يزال معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وعن عطاء بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لعمر بن الخطاب يا عمر كيف بك اذا انت مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلاثة اذرع في ذراع وشبر ثم رجعوا اليك فغسلوك
وكفنوك وحنطوك ثم احتملوك حتى يضعوك فيه ثم يهيلوا عليك التراب ويدفنوك فاذا انصرفوا عنك اتاك فتانا القبر
منكر ونكير اصواتهما كالرعد القاصف وابصارهما كالبرق الخاطف يجران اشعارهما ويحثيان القبر بانيابهما فيتلتلانك ويترترانك
كيف بك عند ذلك يا عمر فقال عمر ويكون معي مثل عقلي الآن قال نعم قال **فاذا** اكفيكهما وهذا نص صريح في ان العقل لا يتغير
بالموت انما يتغير البدن والاعضاء فيكون الميت عاقلا مدركا عالما بالآلام واللذات كما كان لا يتغير من عقله شيء وليس العقل المدرك
هذه الاعضاء بل هو شيء باطن ليس له طول ولا عرض بل الذي لا ينقسم في نفسه هو المدرك للاشياء ولو تناثرت اعضاء الانسان
كلها ولم يبق الا الجزء المدرك الذي لا يتجزى ولا ينقسم لكان الانسان العاقل بكماله قائما باقيا وهو كذلك بعد الموت فان ذلك الجزء لا يحله
الموت ولا يطرا عليه العدم وقال محمد بن المنكدر بلغني ان الكافر يسلط عليه في قبره دابة عمياء صماء في يدها سوط من حديد في راسه
مثل عرف البعير يضربه به الى يوم القيامة لا يراه فيتقيه ولا يسمع صوته فيرحمه وقال ابو هريرة اذا وضع الميت في قبره جاءت اعماله
الصالحة فاحتوشته فان اتاه من قبل راسه جاءت قراءة القرآن وان اتاه من قبل رجليه جاء قيامه وان اتاه من قبل يديه قالت اليدان والله
لقد كان يبسطني للصدقة والدعاء لا سبيل لكم عليه وان جاء من قبل فيه جاء ذكره وصيامه وكذلك الصلاة والصبر ناحية فيقول اما اني
لو رايت خللا لكنت انا صاحبه قال سفيان تحاجج عنه اعماله الصالحة كما يحاجج الرجل عن اخيه واهله وولده ثم يقال له عند ذلك
بارك الله لك في مضجعك فنعم الاخلاء اخلاؤك ونعم الاصحاب اصحابك وعن حذيفة قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في
جنازة فجلس على راس القبر ثم جعل ينظر فيه ثم قال يضغط المؤمن في هذا ضغطة تزول منها حمائله وقالت عائشة رضي الله عنها
قال رسول الله عليه الصلاة والسلام ان للقبر ضغطة لو سلم منها او نجا احد لنجا سعد بن معاذ وعن انس قال توفيت زينب
بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امراة مسقامة فتبعها النبي صلى الله عليه وسلم فساءنا حاله فلما انتهينا الى القبر فدخله التمع وجهه صفرة
فلما خرج اسفر وجهه فقلنا يا رسول الله راينا منك شيئا فمم ذلك قال ذكرت ضغطة ابنتي وشدة عذاب القبر فاتيت فاخبرت
ان الله تعالى قد خفف عنها ولقد ضغطت ضغطة سمع صوتها ما بين الخافقين

الباب الثامن

اعلم ان انوار البصائر المستفادة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن مناهج الاعتبار عرفتنا احوال الموتى على الجملة
وانقسامهم الى سعداء واشقياء ولكن حال زيد وعمرو بعينه لا ينكشف به اصلا فانا ان عولنا على ايمان زيد فلا ندري على ماذا مات
وكيف ختم له وان عولنا على صلاحه الظاهر فالتقوى محله القلب وهو غامض قد يخفى على صاحب التقوى فكيف على غيره فلا حكم لظاهر
الصلاح دون التقوى الباطن قال الله تعالى انما يتقبل الله من المتقين فلا يمكن معرفة حكم زيد وعمرو الا بمشاهدته ومشاهدة ما يجري
عليه فاذا مات فقد تحول من عالم الملك والشهادة الى عالم الغيب والملكوت فلا يرى بالعين الظاهرة وانما يرى بعين اخرى خلقت
تلك العين في قلب كل انسان ولكن الانسان جعل عليها غشاوة كثيفة من شهواته واشغاله الدنياوية فصار لا يبصر بها ولا
يتصور ان يبصر بها شيئا من عالم الملكوت ما لم تنقشع تلك الغشاوة عن عيني قلبه ولما كانت الغشاوة منقشعة
عن اعين الانبياء فلا جرم نظروا الى الملكوت وشاهدوا عجائبه والموتى في عالم الملكوت فشاهدوهم واخبروا ولذلك
راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ضغطة القبر في حق سعد بن معاذ وفي حق زينب ابنته وكذلك حال جابر لما استشهد اذ
اخبر ان الله تعالى اقعده بين يديه ليس بينهما ستر ومثل هذه المشاهدات لا مطمع فيها لغير الانبياء والاولياء الذين تقرب

درجاتهم ثم واما المكاشفة امثالنا مشاهدة اخرى ضعيفة الا انها ايضا مشاهدة نبوية واعني بها المشاهدة في المنام وهي من
انوار النبوة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وهي ايضا انكشاف لا يحصل
الا بانقشاع الغشاوة عن القلب فلذلك لا يوثق الا برؤيا الرجل الصالح الصادق ومن كثر كذبه لم تصدق رؤياه ومن
كثر فساده ومعاصيه اظلم قلبه وكان ما يراه اضغاث احلام ولذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطهارة عند النوم لينام
طاهرا وهو اشارة الى طهارة الباطن ايضا فهو الاصل وطهارة الظاهر بمنزلة التتمة والتكملة له ومهما صفا الباطن انكشف في حدقة القلب ما سيكون
في المستقبل كما انكشف دخول مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم حتى نزل قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن
المسجد الحرام ان شاء الله امنين وقلما يخلو انسان عن منامات دلت على امور فوجدت صحيحة والرؤيا ومعرفة الغيب في
النوم من عجائب صنع الله تعالى وبدائع فطرة الادمي وهو من اوضح الادلة على عالم الملكوت والخلق غافلون عنه كغفلتهم عن سائر
عجائب القلب وعجائب العالم والقول في حقيقة الرؤيا من دقائق علوم المكاشفة فلا يمكن ذكره علاوة على علم المعاملة ولكن القدر
الذي يمكن ذكره ها هنا مثال يفهمك المقصود وهو ان تعلم ان القلب مثاله مثال مرآة تتراءى فيه الصور وحقائق الامور وان
كل ما قدره الله تعالى من ابتداء خلق العالم الى اخره مسطور ومثبت في خلق خلقه الله تعالى يعبر عنه تارة باللوح وتارة بالكتاب
المبين وتارة بامام مبين كما ورد في القرآن فجميع ما جرى في العالم وما سيجري مكتوب فيه ومنقوش عليه نقشا لا
يشاهد بهذه العين ولا تظنن ان ذلك اللوح من خشب او حديد او عظم وان الكتاب من كاغد او ورق بل ينبغي ان
تفهم قطعا ان لوح الله تعالى لا يشبه لوح الخلق وكتاب الله تعالى لا يشبه كتاب الخلق كما ان ذاته وصفاته لا تشبه
ذات الخلق وصفاتهم بل ان كنت تطلب له مثالا يقربه الى فهمك فاعلم ان ثبوت المقادير في اللوح المحفوظ يضاهي ثبوت
كلمات القرآن وحروفه في دماغ حافظ القرآن وقلبه فانه مسطور فيه حتى كانه حيث يقرؤه ينظر اليه ولو فتشت دماغه
جزءا جزءا لم تشاهد من ذلك الخط حرفا فمن هذا النمط ينبغي ان تفهم كون اللوح منقوشا بما قدره الله تعالى وقضاه في
اللوح في المثال كمرآة ظهرت فيها الصور فلو وضع في مقابلة المرآة مرآة اخرى لكانت صورة تلك المرآة تتراءى في هذه الا ان
يكون بينهما حجاب والقلب مرآة تقبل رسوم العلوم واللوح مرآة رسوم العلوم كلها موجودة فيه واشتغال
القلب بشهواته ومقتضى حواسه حجاب مرسل بينه وبين مطالعة اللوح الذي هو من عالم الملكوت فان هبت ريح حركت
هذا الحجاب ورفعته تلألأ في مرآة القلب شيء من عالم الملكوت كالبرق الخاطف وقد يثبت ويدوم وقد لا يدوم وهو الغالب
وما دام مستيقظا فهو مشغول بما يورده الحواس عليه من عالم الملك والشهادة وهو حجاب عن عالم الملكوت ومعنى النوم ان تركد
الحواس فلا يورد عليه شيئا واذا تخلص منه ومن الخيال وكان صافيا في جوهره ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ فوقع في قلبه
شيء مما في اللوح كما تقع الصورة من مرآة في مرآة اخرى اذا ارتفع الحجاب بينهما الا ان النوم مانع سائر الحواس عن العمل وليس مانعا
للخيال عن عمله وعن تحركه فما يقع في القلب يبتدره الخيال فيحاكيه بمثال يقاربه وتكون المتخيلات اثبت في الحفظ من غيرها فيبقى
الخيال في الحفظ فاذا انتبه لم يتذكر الا الخيال فيحتاج المعبر ان ينظر ان هذا الخيال حكاية اي معنى من المعاني فيرجع الى المعاني
بالمناسبة التي بين المتخيل والمعاني وامثلة ذلك ظاهرة عند من نظر في علم التعبير ويكفيك مثال واحد وهو ان رجلا
قال لابن سيرين رايت كان بيدي خاتما اختم به افواه الرجال وفروج النساء فقال انك مؤذن تؤذن للناس
قبل الصبح في رمضان قال صدقت فانظر ان روح الخاتم هو المنع ولاجله يراد الخاتم وانما ينكشف للقلب حال الشخص
من اللوح المحفوظ كما هو عليه وهو كونه مانعا الناس من الاكل والشرب ولكن الخيال الف المنع بالختم فمثله بالصورة الخيالية
التي تتضمن روح المعنى ولا يبقى في الحفظ الا الصورة الخيالية فهذه نبذة يسيرة من بحر علم الرؤيا التي لا تنحصر عجائبه وكيف
وهو اخو الموت وانما الموت هو عجيب من العجائب وهذا لانه يشبهه من وجه ضعيف اثره في كشف الغطاء عن عالم
الغيب حتى صار النائم يعرف ما سيكون في المستقبل فماذا ترى في الموت الذي يخرق الحجاب ويكشف الغطاء بالكلية حتى يرى

الانسان عند انقطاع النفس من غير اخبار بنفسه اما محفوفا بالانكال والمخازي والفضائح نعوذ بالله من ذلك واما مكنوفا بالنعيم
المقيم والملك الكبير الذي لا اخر له وعند ذلك يقال للاشقياء وقد انكشف الغطاء لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك
غطاءك فبصرك اليوم حديد ويقال افسحر هذا ام انتم لا تبصرون واليهم الاشارة بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
فاعلم العلماء واحكم الحكماء ينكشف له عقيب الموت من العجائب والايات ما لم يخطر قط بباله ولا اختلج به
ضميره فلو لم يكن للعاقل هم وغم الا الفكر في خطر تلك الحالة ان الحجاب عما ذا يرتفع وما الذي ينكشف عنه الغطاء من شقاوة
لازمة او سعادة دائمة لكان ذلك كافيا في استغراق جميع العمر والعجب من غفلتنا وهذه العظائم بين ايدينا واعجب
من ذلك فرحنا باموالنا واهلينا واسبابنا واولادنا بل باعضائنا وسمعنا وبصرنا مع العلم بمفارقة ذلك جميعه لا محالة ولكن
اين من نفث روح القدس في روعه فيقول له ما قال لسيد المرسلين احبب ما احببت فانك مفارقه وعش ما شئت
فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به فلا جرم لما كان ذلك مكشوفا له بعين اليقين كان في الدنيا كعابر سبيل لم يضع لبنة
على لبنة ولا قصبة على قصبة ولم يخلف دينارا ولا درهما ولم يتخذ حبيبا ولا خليلا نعم قال لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر
خليلا ولكن صاحبكم خليل الرحمن فبين ان خلة الرحمن تخللت باطن قلبه • ولاحبه تمكن من قلبه فلم يترك فيه متسعا لخليل
وحبيب • وقد قال لامته ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فانما امته من اتبعه • وما اتبعه الا من اعرض
عن الدنيا واقبل على الاخرة فانه ما دعا الا الى الله واليوم الاخر وما صرف الا عن الدنيا والحظوظ العاجلة فبقدر ما اعرضت عن الدنيا
واقبلت على الاخرة فقد سلكت سبيله الذي سلكه وبقدر ما سلكت سبيله فقد اتبعته • وبقدر ما اتبعته صرت من امته وبقدر
ما اقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله ورغبت عن متابعته فالتحقت بالذين قال الله تعالى فيهم فاما من طغى واثر الحياة الدنيا
فان الجحيم هي الماوى • فلو خرجت من مكمن الغرور وانصفت نفسك يا رجل وكلنا ذلك الرجل لعلمت انك من حين تصبح الى حين
تمسي لا تسعى الا في الحظوظ العاجلة ولا تتحرك الا للعاجل ثم تطمع في ان تكون غدا من امته واتباعه ما ابعد ظنك • وما ابرد طمعك
افنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون • ولنرجع الى ما كنا فيه وبصدده فقد استدعى بنا الكلام الى غير مقصوده
ولنذكر الان من المنامات الكاشفة لاحوال الموتى ما يعظم الانتفاع به • اذ ذهبت النبوة وبقيت المبشرات • وليس ذلك

بيان منامات تكشف عن احوال الموتى والاعمال النافعة في الاخرة فمن ذلك رؤيا رسول الله

فقد قال صلى الله عليه وسلم من رآني في المنام فقد رآني فان الشيطان لا يتمثل بي وقال عمر بن الخطاب رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
في المنام فرأيته لا ينظر الي فقلت يا رسول الله ما شاني فالتفت الي وقال الست المقبل وانت صائم قال فوالذي نفسي بيده لا اقبل امراة
وانا صائم ابدا وقال العباس كنت ودا لعمر فاشتهيت ان اراه في المنام فما رايته الا عند راس الحول فرايته يمسح العرق
عن جبينه ويقول هذا اوان فراغي ان كان عرشي ليهد لولا اني لقيته رؤوفا رحيما وقال الحسن بن علي قال لي علي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سنح لي الليلة في منامي فقلت يا رسول الله ما لقيت من امتك قال ادع عليهم فقلت اللهم ابدلني بهم
من هو خير لي منهم وابدلهم بي من هو شر لهم مني فخرج فضربه ابن ملجم وقال بعض المشايخ رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت يا رسول الله استغفر لي فاعرض عني فقلت يا رسول الله ان سفيان بن عيينة حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله
انك لم تسأل شيئا قط فقلت لا فاقبل علي فقال غفر الله لك وروي عن العباس بن عبد المطلب قال كنت مواخيا لابي
لهب مصاحبا له فلما مات واخبر الله تعالى عنه بما اخبر حزنت عليه واهمني امره فسالت الله تعالى ان يريني اياه في المنام قال
فرايته يلتهب نارا فسالته عن حاله فقال صرت الى النار في العذاب لا يخفف عني ولا يروح الا ليلة الاثنين في كل الليالي
والايام قلت وكيف ذلك قال ولد في تلك الليلة محمد صلى الله عليه وسلم فجاءتني اميمة فبشرتني بولادة امنة اياه
ففرحت به واعتقت وليدة لي فرحا به فاثابني الله تعالى بذلك ان رفع عني العذاب في كل ليلة اثنين وقال عبد الواحد بن زيد
خرجت حاجا فصحبني رجل لا يقوم ولا يقعد ولا يتحرك ولا يسكن الا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم فسالته عن ذلك فقال اخبرك عن ذلك

خرجت اول مرة الى مكة ومعي ابي فلما انصرفنا نمت في بعض المنازل فبينا انا نائم اذ اتاني آت فقال لي قم فقد امات الله اباك وسود وجهه فقمت مذعورا فكشفت الثوب عن وجهه فاذا هو ميت اسود الوجه فداخلني من ذلك رعب فبينا انا في ذلك الغم اذ غلبتني عيني فنمت فاذا على راس ابي اربعة سودان معهم اعمدة حديد اذ اقبل رجل حسن الوجه بين ثوبين اخضرين فقال لهم تنحوا فمسح وجهه بيده ثم اتاني فقال قم فقد بيض الله وجه ابيك فقلت من انت بابي انت وامي فقال انا محمد صلى الله عليه وسلم قال فقمت فكشفت الثوب عن وجهه فاذا هو ابيض فما تركت الصلاة بعد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عمر بن عبد العزيز قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر رضي الله عنهما جالسان عنده فسلمت وجلست فبينا انا جالس اذ اتي بعلي ومعاوية فادخلا بيتا واجيف عليهما الباب وانا انظر فما كان باسرع ان خرج علي كرم الله وجهه وهو يقول قضي لي ورب الكعبة وما كان باسرع من ان خرج معاوية وهو يقول غفر لي ورب الكعبة ● واستيقظ ابن عباس من نومه مرة فاسترجع وقال قتل الحسين والله وكان ذلك قبل قتله وانكره اصحابه فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه زجاجة من دم فقال الا تعلم ما صنعت امتي بعدي قتلوا ابني الحسين وهذا دمه ودم اصحابه ارفعها الى الله تعالى فجاء الخبر بعد اربعة وعشرين يوما بقتله في اليوم الذي رآه ورئي الصديق رضي الله عنه في المنام فقيل له انك كنت تقول ابدا في لسانك هذا اوردني الموارد فما فعل الله بك فقال قلت به لا اله الا الله فاوردني الجنة

بيان منامات المشايخ رحمة الله عليهم اجمعين

قال بعض المشايخ رأيت مسمع الاورقي في المنام فقلت يا سيدي ما فعل الله بك فقال الامر في هيبة الجناب فقيل له يا مسمع هل اتحفت من ثنيا فقلت له يا سيدي قد نوا استحييت فيها شيئا كل ذلك اليه ولجا وصلك اني ورئي يوسف بن الحسين في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي قيل بماذا قال ما خلطت جدا بهزل ● وعن منصور بن اسماعيل قال رأيت عبد الله البزاز في المنام فقلت ما فعل الله بك قال اوقفني بين يديه فغفر لي كل ذنب اقررت به الا ذنبا واحدا فاني استحييت ان اقر به فوقفني في العرق حتى سقط لحم وجهي فقلت ما كان ذلك الذنب قال نظرت الى غلام جميل فاستحسنته فاستحييت من الله تعالى ان اذكره وقال ابو جعفر الصيدلاني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وحوله جماعة من الفقراء فبينما هو كذلك اذ انشقت السماء ونزل منها ملكان احدهما بيده طست وبيد الآخر ابريق فوضع الطست بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فغسل يده ثم امر حتى غسلوا ايديهم ثم وضع الطست بين يدي فقال احدهما للآخر لا تصب على يديه فانه ليس منهم فقلت يا رسول الله أليس قد روي عنك انك قلت المرء مع من احب قال بلى قلت يا رسول الله فاني احبك واحب هؤلاء الفقراء فقال عليه الصلاة والسلام اصبب على يديه فانه منهم وقال الجنيد رأيت في النوم كأني اتكلم على الناس فوقف علي ملك فقال اقرب ما تقرب به المتقربون الى الله تعالى ماذا فقلت عمل خفي بميزان وفي فولى الملك وهو يقول كلام موفق والله ● ورئي مجمع في النوم فقيل كيف رأيت الامر فقال رأيت الزاهدين في الدنيا ذهبوا بخير الدنيا والآخرة وقال رجل من اهل الشام للعلاء بن زياد رأيتك في النوم كأنك في الجنة فنزل عن مجلسه واقبل عليه ثم قال لعل الشيطان اراد امرا فعصمت منه فاتخذ رجلا يحفظ علي وقال محمد بن واسع الرؤيا تسر المؤمن ولا تغره وقال صالح بن بشير رأيت عطاء السلمي في النوم فقلت له رحمك الله لقد كنت طويل الحزن في الدنيا فقال والله لقد اعقبني ذلك راحة طويلة وفرحا دائما فقلت له في اي الدرجات انت فقال مع الذين انعم الله عليهم من النبيين وسئل زرارة بن اوفى في المنام اي الاعمال افضل عندكم فقال الرضا وقصر الامل وقال يزيد بن مذعور رأيت الاوزاعي في المنام فقلت يا ابا عمرو دلني على عمل اتقرب به الى الله تعالى قال ما رأيت هناك درجة ارفع من درجة العلماء ثم درجة المحزونين قال وكان يزيد شيخا كبيرا فلم يزل يبكي حتى اظلمت عيناه وقال ابن عيينة رأيت اخي في المنام فقلت يا اخي ما فعل الله بك فقال كل ذنب استغفرت منه غفر لي وما لم استغفر منه لم يغفر لي وقال علي الطلحي رأيت في المنام امرأة لا تشبه نساء الدنيا فقلت من انت فقالت حوراء فقلت زوجيني نفسك قالت اخطبني الى مولاي وامهرني قلت وما مهرك قالت حبس نفسك عن آفاتها وقال ابراهيم بن اسحق الحربي رأيت زبيدة في المنام فقلت ما فعل الله بك قالت غفر لي فقلت بما انفقت في طريق مكة قالت اما النفقات التي انفقتها رجعت

اجورها الى اربابها وغفر لي بنيتي ● ولما مات سفيان الثوري رئي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال وضعت اول قدمي على الصراط والثاني في الجنة وقال احمد بن ابي الحواري رأيت فيما يرى النائم جارية ما رأيت احسن منها وكان وجهها يتلألأ نورا فقلت لها من اين ضوء وجهك فقالت تذكر تلك الليلة التي بكيت فيها قلت نعم قالت اخذت دمعك فمسحت به وجهي فمن ثم ضوء وجهي كما ترى وقال الكتاني رأيت الجنيد في المنام فقلت له ما فعل الله بك فقال طاحت تلك الاشارات وذهبت تلك العبارات وما حصلنا الا على ركيعات كنا نصليها في الليل ورئيت زبيدة في المنام فقيل لها ما فعل الله بك قالت غفر لي بهذه الكلمات الاربع لا اله الا الله افني بها عمري لا اله الا الله ادخل بها قبري لا اله الا الله اخلو بها وحدي لا اله الا الله القى بها ربي ورئي بشر في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال رحمني ربي تعالى وقال يا بشر اما استحييت مني كنت تخافني كل ذلك الخوف ورئي ابو سليمان في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال رحمني وما كان شيء اضر علي من اشارات القوم الي وقال ابو بكر الكتاني رأيت في النوم شابا لم ار احسن منه فقلت له من انت قال التقوى قلت فاين تسكن قال كل قلب حزين ثم التفت فاذا امرأة سوداء اوحش ما يكون فقلت من انت فقالت انا السقم قلت فاين تسكنين قالت كل قلب فرح مرح قال فانتبهت واعتقدت اني لا اضحك الا غلبة وقال ابو سعيد الخراز رأيت في المنام كأن ابليس وثب علي فاخذت العصا لاضربه فلم يفزع مني فهتف بي هاتف ان هذا لا يخاف من هذه وانما يخاف من نور يكون في القلب وقال المسوحي رأيت ابليس في المنام عريانا يمشي فقلت الا تستحيي من الناس فقال ما هؤلاء ناس لو كانوا من الناس ما تلاعبت بهم طرفي النهار كما يتلاعب الصبيان بالكرة بل الناس غير هؤلاء قد اسقموا جسمي واشار بيده الى اصحابنا الصوفية وقال ابو سعيد الخراز كنت في دمشق فرأيت في المنام كأن النبي صلى الله عليه وسلم جاءني متكئا على ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فجاء فوقف علي وانا اقول شيئا من الاصوات وادق في صدري فقال شر هذا اكثر من خيره ● وعن ابن عيينة قال رأيت سفيان الثوري في المنام كأنه يطير في الجنة من شجرة الى شجرة يقول لمثل هذا فليعمل العاملون فقلت له اوصني فقال اقلل من معرفة الناس ● وروى ابو حاتم الرازي عن قبيصة بن عقبة قال رأيت سفيان الثوري فقلت ما فعل الله بك ● فقال هذه الابيات

نظرت الى ربي كفاحا فقال لي ● هنيئا رضائي عنك يا ابن سعيد
فقد كنت قواما اذا اظلم الدجى ● بعبرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر اي قصر اردته ● وزرني فاني منك غير بعيد

ورئي الشبلي بعد موته بثلاثة ايام فقيل له ما فعل الله بك فقال ناقشني حتى ايست فلما رأى يأسي تغمدني برحمته ورئي مجنون بني عامر بعد موته في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي وجعلني حجة على المحبين ● ورئي الثوري في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال رحمني فقيل له ما حال عبد الله بن المبارك فقال هو ممن يلج على ربه في كل يوم مرتين ● ورئي بعضهم فسئل عن حاله فقال حاسبونا فدققوا ● ثم منوا فاعتقوا ● ورئي مالك بن انس فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي بكلمة كان يقولها عثمان بن عفان رضي الله عنه عند رؤية الجنازة سبحان الحي الذي لا يموت ● ورئي في الليلة التي مات فيها الحسن البصري كأن ابواب السماء مفتحة وكأن مناديا ينادي الا ان الحسن البصري قدم على الله وهو عنه راض ● ورئي الجاحظ في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال ولا تكتب بكفك غير شيء ● يسرك في القيامة ان تراه ● ورأى الجنيد ابليس في المنام فقال الا تستحيي من الناس فقال هؤلاء ناس الناس اقوام في مسجد الشونيزية فرأيت جماعة قد وضعوا رؤوسهم على ركبهم يتفكرون فلما رأوني قالوا لا يغرنك حديث الخبيث ● ورئي النصراباذي بمكة بعد وفاته في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال عوتبت عتاب الاشراف ثم نوديت يا ابا القاسم ابعد الاتصال انفصال فقلت لا يا ذا الجلال فما وضعت في اللحد حتى لحقت بالاحد ورأى عتبة الغلام حوراء في المنام على صورة حسنة فقالت يا عتبة انا لك عاشقة فانظر لا تعمل من الاعمال شيئا يحال بيني وبينك فقال عتبة طلقت الدنيا ثلاثا لا رجعة لي فيها حتى القاك وقيل رأى ايوب السختياني جنازة عاص فدخل الدهليز لئلا يصلي عليه فرآه

وقال أبو سعيد الشحام رأيت سهلا الصعلوكي في المنام فقلت أيها الشيخ فقال دع التشيخ قلت وتلك الأحوال التي شاهدتها قال لم تغن
عنا شيئا فقلت ما فعل الله بك قال غفر لي بمسائل كان يسأل عنها العجز وقال أبو بكر الرشيدي رأيت محمد الطوسي المعلم في المنام فقال لي
قل لأبي سعيد الصفار المؤدب * وكنا على أن لا نحول عن الهوى * فقد وحياة الحب حلتم وما حلنا * فانتبهت فذكرت
ذلك له فقال كنت أزور قبره كل جمعة فلم أزره هذه الجمعة * وقال ابن راشد رأيت ابن المبارك في النوم بعد موته فقلت أليس قد مت قال بلى
قلت فما فعل الله بك قال غفر لي مغفرة أحاطت بكل ذنب قلت فسفيان الثوري قال بخ بخ ذاك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين
والصديقين * وقال الربيع بن سليمان رأيت الشافعي بعد وفاته في المنام فقلت يا أبا عبد الله ما صنع الله بك قال أجلسني
على كرسي من ذهب ونثر علي اللؤلؤ الرطب * ورأى رجل من أصحاب الحسن البصري ليلة مات الحسن مناديا ينادي إن الله اصطفى
آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين واصطفى الحسن بن أبي الحسن البصري على أهل زمانه وقال أبو يعقوب القاري الدقيقي
رأيت في منامي رجلا آدم طوالا والناس يتبعونه فقلت من هذا فقيل أويس القرني فاتبعته فقلت أوصني يرحمك الله فكلح في وجهي
فقلت مسترشد فأرشدني أرشدك الله فأقبل علي وقال اتبع رحمة ربك عند محبته واحذر نقمته عند معصيته ولا
تقطع رجاءك منه في خلال ذلك ثم ولى وتركني * وقال أبو بكر بن مريم رأيت وقاء بن بشر الحضرمي فقلت ما فعلت يا وقاء
قال نجوت بعد جهد كل قلت فأي الأعمال وجدتم أفضل قال البكاء من خشية الله * وقال يزيد بن نعامة هلكت جارية في الطاعون
فرآها أبوها في المنام فقال لها يا بنية أخبريني عن الآخرة فقالت يا أبت قدمنا على أمر عظيم نعلم ولا نعمل وتعملون ولا
تعلمون والله لتسبيحة أو تسبيحتان أو ركعة أو ركعتان في صحيفة عملي أحب إلي من الدنيا وما فيها * وقال بعض أصحاب عتبة
الغلام رأيت عتبة الغلام في المنام فقلت ما صنع الله بك قال دخلت الجنة بتلك الدعوة المكتوبة في بيتك فلما أصبحت جئت إلى بيتي فإذا
خط عتبة على حائط البيت مكتوب يا هادي المضلين * ويا راحم المذنبين * ويا مقيل عثرات العاثرين * ارحم عبدك ذا الخطر العظيم
والمسلمين كلهم أجمعين * واجعلنا مع الأحياء المرزوقين * الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين رب
العالمين * وقال موسى بن حماد رأيت سفيان الثوري في الجنة يطير من نخلة إلى نخلة ومن شجرة إلى شجرة فقلت يا أبا عبد الله بم نلت هذا
قال بالورع قلت فما بال علي بن عاصم قال ذاك لا يكاد يرى إلا كما يرى الكوكب الدري الذي في أفق السماء * ورأى رجل من التابعين
النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال يا رسول الله عظني قال نعم من لم يتفقد النقصان فهو في نقصان ومن كان في نقصان فالموت خير له وقال
بعضهم رأيت في هذه الأيام أمرا أفزعني وأبكاني ولم يطلع عليه غيري كأنه كان البارحة أتاني آت في منامي فقال يا عبد العزيز ادع بهذا قل اللهم
إني لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا * ولا أستطيع أن آخذ إلا ما أعطيتني * ولا أتقي إلا ما وقيتني اللهم فوفقني
لما تحب وترضاه من القول والعمل في عافية فلما أصبحت أعدت ذلك فما ترحل النهار حتى أعطاني الله طلبتي * وسهل الخلاص مما كنت فيه فعليكم بهذه
الدعوات لا تغفلوا عنها فهذه جملة من المكاشفات تدل على أحوال الموتى وعلى الأعمال المقربة إلى الله تعالى زلفى فلنذكر بعد هذا ما بين يدي
الموتى من ابتداء نفخة الصور إلى آخر القرار * إما في الجنة أو النار *

الشطر الثاني من كتاب ذكر الموت

من وقت نفخة الصور إلى آخر الاستقرار * في الجنة أو في النار * وفيه صفة نفخة الصور * وصفة أرض المحشر وأهله * وصفة عرق أهل المحشر
وصفة طول يوم القيامة ودواهيه وأساميه * وصفة المساءلة عن الذنوب * وصفة الميزان * وصفة الخصماء ورد المظالم * وصفة الصراط
وصفة الشفاعة * وصفة الحوض * وصفة جهنم وأهوالها وأنكالها وحياتها وعقاربها * وصفة الجنة وأصناف نعيمها * وعدد الجنان
وأبوابها * وغرفها * وحيطانها * وأنهارها * وأشجارها * ولباس أهلها وفرشهم * وصفة طعامهم * وصفة الحور العين والولدان * وصفة
النظر إلى وجه الله تعالى * وباب في سعة رحمة الله تعالى به ختم الكتاب * **صفة نفخة الصور** * قد عرفت فيما سبق شدة
حال الميت في سكرات الموت وخطره في خوف العاقبة ثم مقاساته لظلمة القبر وديدانه ثم لمنكر ونكير وسؤالهما ثم لعذاب القبر وخطره
إن كان مغضوبا عليه وأعظم من ذلك كله الأخطار التي بين يديه من نفخة الصور * والبعث يوم النشور والعرض على الجبار والسؤال عن القليل
والكثير ونصب الميزان لمعرفة المقادير * ثم جواز الصراط مع دقته وحدته ثم انتظار النداء عند فصل القضاء * إما بالإسعاد * أو بالإشقاء فهذه

أهوال وأهوال لا بد من معرفتها ثم الإيمان بها على سبيل الجزم والتصديق ثم تطويل الفكر في ذلك لينبعث من قلبك
دواعي الاستعداد لها وأكثر الناس لم يدخل الإيمان باليوم الآخر صميم قلوبهم ولم يتمكن من سويداء أفئدتهم ويدل على ذلك
شدة تشمرهم واستعدادهم لحر الصيف وبرد الشتاء وتهاونهم بحر جهنم وزمهريرها مع ما تكتنفه من المصاعب والأهوال بل إذا سئلوا
عن اليوم الآخر نطقت به ألسنتهم ثم غفلت عنه قلوبهم ومن أخبر بأن ما بين يديه من الطعام مسموم فقال لصاحبه صدقت
ومد اليد لتناوله كان مصدقا بلسانه ومكذبا بعمله وتكذيب العمل أبلغ من تكذيب اللسان وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
قال الله تعالى شتمني ابن آدم وكذبني وما ينبغي له أن يشتمني ويكذبني أما شتمه إياي فيقول إن لي ولدا وأما تكذيبه فقوله
لن يعيدني كما بدأني وإنما قصور البواطن عن قوة اليقين والتصديق بالبعث والنشور لقلة الفهم في هذا العالم لأمثال
تلك الأمور فلو لم يشاهد الإنسان توالد الحيوانات وقيل له إن صانعا يصنع من النطفة القذرة مثل هذا الآدمي المصور العاقل
المتكلم المتصرف لاشتد نفور باطنه عن التصديق له ولذلك قال الله تعالى أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم
مبين وقال تعالى أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوي بنانه وقال تعالى أيحسب الإنسان أن يترك
سدى ألم يك نطفة من مني يمنى فخلق الآدمي مع كثرة عجائبه واختلاف تركيب أعضائه أعجب من بعثه
وإعادته فكيف ينكر ذلك من حكمة الله تعالى وقدرته من يشاهد ذلك في صنعه وقدرته فإن كان في إيمانك ضعف
فقو الإيمان بالنظر في النشأة الأولى فإن الثانية مثلها وأسهل منها وإن كنت قوي الإيمان بها فأشعر قلبك تلك المخاوف
والأخطار وأكثر فيها التفكر والاعتبار ليسلب عن قلبك الراحة والقرار فتشتغل بالتشمر للعرض على الجبار وتفكر
أولا فيما يقرع أسماع أهل القبور من نفخة الصور فإنها صيحة واحدة تنفرج بها القبور عن رؤوس الموتى فيثورون
دفعة واحدة فتوهم نفسك وقد وثبت متغيرا وجهك مغبرا بدنك من قرنك إلى قدمك من تراب قبرك
مبهوتا من شدة الصعقة شاخص العين نحو النداء وقد ثار الخلق ثورة واحدة من القبور التي طال فيها بلاؤهم وقد أزعجهم الفزع
والرعب مضافا إلى ما كان عندهم من الهموم والغموم وشدة الانتظار لعاقبة الأمر كما قال الله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات
ومن في الأرض وقال تعالى فإذا نقر في الناقور وقال تعالى ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ما ينظرون إلا صيحة واحدة
فلو لم يكن بين يدي الموتى إلا هول تلك النفخة لكان جديرا بأن يتقى فإنها نفخة وصيحة يصعق بها من في السموات والأرض
إلا من شاء الله وهم بعض الملائكة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن
وحنى الجبهة وأصغى بالأذن متى يؤمر فينفخ قال مقاتل الصور هو القرن وذلك أن إسرافيل واضع فاه على
هيئة البوق ودائرة رأس القرن كعرض السموات والأرض وهو شاخص ببصره نحو العرش ينتظر متى يؤمر فينفخ النفخة الأولى
فإذا نفخ صعق من في السموات والأرض أي مات كل حيوان من شدة الفزع إلا من شاء الله وهو جبريل وميكائيل وإسرافيل
وملك الموت ثم يأمر ملك الموت أن يقبض روح جبريل ثم روح ميكائيل ثم روح إسرافيل ثم يأمر ملك الموت
فيموت ثم يلبث الخلق بعد النفخة الأولى في البرزخ أربعين سنة ثم يحيي الله إسرافيل فيأمره أن ينفخ الثانية فذلك
قوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون أي إلى البعث وقال صلى الله عليه وسلم حين بعثت بعث إلي صاحب الصور فأهوى
به إلى فيه وقدم رجلا وأخر أخرى ينتظر متى يؤمر بالنفخ ألا فاتقوا النفخ فتفكر في الخلائق وذلهم وانكسارهم
واستكانتهم عند الانبعاث خوفا من هذه الصعقة وانتظارا لما يقضى عليهم من سعادة أو شقاوة وأنت فيما بينهم منكسر
كانكسارهم متحير كتحيرهم بل إن كنت في الدنيا من المترفين والأغنياء المتنعمين فملوك الأرض في ذلك اليوم أذل الخلق وأصغرهم
وأحقرهم يوطئون بالأقدام مثل الذر وعند ذلك تقبل الوحوش من البراري والجبال منكسة رؤوسها مختلطة بالخلائق بعد
توحشها ذليلة ليوم النشور من غير خطيئة تدنست بها ولكن حشرهم شدة الصعقة وهول النفخة وشغلهم ذلك عن الهرب من الخلق والتوحش
منهم وذلك قوله تعالى وإذا الوحوش حشرت ثم أقبلت الشياطين المتمردة بعد تمردها وإذعانها خاشعة من هيبة العرض على الله تعالى

تصديقا لقوله تعالى فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا فتفكر في حالك وحال قلبك هنالك

صفة أرض المحشر وأهله

ثم انظر كيف يساقون بعد البعث والنشور وهم حفاة عراة إلى أرض المحشر وهي أرض بيضاء قاع صفصف لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ولا ترى عليها ربوة يختفي الإنسان وراءها ولا وهدة ينخفض عن الأعين فيها بل هو صعيد واحد بسيط لا تفاوت فيه يساقون إليه زمرا فسبحان من جمع الخلائق على اختلاف أصنافهم من أقطار الأرض إذ ساقهم بالراجفة تتبعها الرادفة والراجفة هي النفخة الأولى والرادفة هي الثانية وحقيق لتلك القلوب أن تكون يومئذ واجفة ولتلك الأبصار أن تكون خاشعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها معلم لأحد قال الراوي والعفرة بياض ليس بالناصع والنقي هو النقي عن القشر والنخالة وقوله ليس بها معلم أي لا بناء يستر ولا تفاوت يرد البصر ولا تظنن أن تلك الأرض مثل أرض الدنيا بل لا تساويها إلا في الاسم قال تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات قال ابن عباس رضي الله عنهما يزاد فيها وينقص وتذهب أشجارها وجبالها وأوديتها وما فيها وتمد مد الأديم العكاظي أرض بيضاء مثل الفضة لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة والسموات تذهب شمسها وقمرها ونجومها فانظر يا مسكين في هول ذلك اليوم وشدته فإنه إذا اجتمع الخلائق على هذا الصعيد تناثرت من فوقهم نجوم السماء وطمس الشمس والقمر وأظلمت الأرض لخمود سراجها فبينما هم كذلك إذ دارت السماء فوق رؤوسهم وانشقت مع غلظها وشدتها خمسمائة عام وللملائكة قيام على حافاتها وأرجائها فيا هول ذلك اليوم ويا صوت انشقاقها في سمعك وبا هيبة ليوم تنشق فيه السماء مع صلابتها وشدتها ثم تنهار وتسيل كالفضة المذابة يخالطها صفرة فصارت وردة كالدهان وصارت السماء كالمهل وصارت الجبال كالعهن واشتبك الناس كالفراش المبثوث وهم عراة حفاة مشاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث الناس عراة حفاة غرلا قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان قالت سودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قلت يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا إلى بعض فقال شغل الناس عن ذلك لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه فأعظم بيوم تنكشف فيه العورات ويؤمن فيه مع ذلك من النظر والالتفات إلى غيرهم قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف ركبانا ومشاة وعلى وجوههم فقال رجل يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم فقال الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم وفي طبع الآدمي إنكار كل ما لم يأنس به ولو لم يشاهد الإنسان الحية وهي تمشي على بطنها كالبرق الخاطف لأنكر تصور المشي من غير رجل والمشي بالرجل أيضا مستبعد عند من لم يشاهده فإياك أن تنكر شيئا من عجائب يوم القيامة لمخالفة قياس ما في الدنيا فإنك لو لم تكن قد شاهدت عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت أشد إنكارا لها فأحضر في قلبك صورتك وأنت واقف عريانا مكشوفا ذليلا مدحورا متحيرا مبهوتا تنتظر ما يجري عليك من القضاء بالسعادة أو بالشقاوة وأعظم بهذه الحالة فإنها عظيمة

صفة العرق

ثم تفكر في ازدحام الخلائق واجتماعهم حين ازدحم على الموقف أهل السموات السبع والأرضين السبع من ملك وجن وإنس وشيطان ووحش وسبع وطير فأشرقت عليهم الشمس وقد تضاعف حرها وتبدلت عما كانت عليه من خفة أمرها ثم أدنيت من رؤوس الخلائق كقاب قوسين فلم يبق على الأرض ظل إلا ظل عرش رب العالمين ولم يمكن من الاستظلال به إلا المقربون فمن بين مستظل بالعرش وبين مضحى لحر الشمس قد صهرته بحرها واشتد كربه وغمه من وهجها ثم تدافعت الخلائق ودفع بعضهم بعضا لشدة الزحام واختلاف الأقدام وانضاف إليه شدة الخجلة والحياء من الافتضاح والاخزاء عند العرض على جبار السموات والأرض فاجتمع وهج الشمس وحر الأنفاس واحتراق القلوب بنار الحياء والخوف ففاض العرق من أصل كل شعرة حتى سال على صعيد القيامة ثم ارتفع إلى أبدانهم على قدر منازلهم عند الله تعالى فبعضهم يبلغ ركبتيه وبعضهم حقويه وبعضهم إلى شحمة أذنيه وبعضهم كاد يغيب فيه قال ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب

عرقهم في الأرض سبعين ذراعا ويلجمهم ويبلغ آذانهم كذا رواه البخاري ومسلم في الصحيح وفي حديث آخر قياما شاخصة أبصارهم أربعين سنة إلى السماء فيلجمهم العرق من شدة الكرب وقال عقبة بن عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تدنو الشمس من الأرض يوم القيامة فيعرق الناس فمن الناس من يبلغ عرقه عقبه ومنهم من يبلغ نصف ساقه ومنهم من يبلغ ركبته ومنهم من يبلغ فخذه ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من يبلغ فاه وأشار بيده فألجمها فاه ومنهم من يغطيه عرقه وضرب بيده على رأسه هكذا فتأمل يا مسكين في عرق أهل المحشر وكربهم وشدته وإن فيهم من ينادي ويقول يا رب أرحني من هذا الكرب والانتظار ولو إلى النار وكل ذلك ولم يلقوا بعد حسابا ولا عقابا فإنك واحد منهم ولا تدري من أين يبلغ منك العرق فاعلم أن كل عرق لم يخرجه التعب في سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد في قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة في أمر بمعروف ونهي عن منكر فسيخرجه الحياء والخوف في صعيد القيامة ويطول فيه الكرب ولو سلم ابن آدم من الجهل والغرور لعلم أن تعب العرق في تحمل مصاعب الطاعات أهون أمرا وأقصر زمانا من عرق الكرب والانتظار في القيامة فإنه يوم عظيم شديد طويل مدته

صفة طول يوم القيامة

يوم تقف فيه الخلائق شاخصة أبصارهم منفطرة قلوبهم لا يكلمون ولا ينظر في أمورهم يقفون ثلثمائة عام لا يأكلون فيه أكلة ولا يشربون فيه شربة ولا يجدون فيه روح نسيم قال كعب وقتادة يوم يقوم الناس لرب العالمين قال يقومون ثلثمائة عام قال عبد الله بن عمر تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ثم قال كيف بكم إذا جمعكم الله كما يجمع النبل في الكنانة خمسين ألف سنة لا ينظر إليكم قال الحسن ما ظنك بقوم قاموا على أقدامهم خمسين ألف سنة لم يأكلوا فيها أكلة ولم يشربوا فيها شربة حتى إذا انقطعت أعناقهم عطشا واحترقت أجوافهم جوعا انصرف بهم إلى النار فسقوا من عين آنية قد آن حرها واشتد نضجها فلما بلغ الجهد منهم ما لا طاقة لهم به كلم بعضهم بعضا في طلب من يكرم على مولاه ليشفع لهم فلم يتعلقوا بنبي إلا دفعهم وقال دعوني نفسي نفسي شغلني أمري عن أمر غيري واعتذر كل واحد بشدة غضب الله تعالى وقال قد غضب ربنا اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله حتى يشفع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لمن يؤذن له لا يملكون الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا فتأمل في طول هذا اليوم وشدة الانتظار فيه حتى يخف عليك انتظار الصبر عن المعاصي في عمرك واعلم أن من طال انتظاره في الدنيا للموت لشدة مقاساته للصبر عن الشهوات فإنه يقصر انتظاره في ذلك اليوم خاصة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن طول ذلك اليوم فقال والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون عليه أهون من الصلاة المكتوبة يصليها في الدنيا فاجتهد أن تكون من أولئك المؤمنين فما دام يبقى لك نفس من عمرك فالأمر إليك والاستعداد بيديك فاعمل في أيام قصار لأيام طوال تربح ربحا لا منتهى لسروره واستحقر عمرك بل عمر الدنيا وهو سبعة آلاف سنة فإنك لو صبرت سبعة آلاف سنة مثلا لتخلصت من يوم مقداره خمسون ألف سنة لكان ربحك كثيرا وتعبك يسيرا

صفة يوم القيامة ودواهيه وأساميه

فاستعد يا مسكين لهذا اليوم العظيم شأنه المديد زمانه القاهر سلطانه القريب أوانه يوم السماء فيه انفطرت والكواكب انتثرت والنجوم الزواهر انكدرت والشمس فيه كورت والجبال سيرت والعشار عطلت والوحوش حشرت والبحار سجرت والنفوس إلى الأبدان قد زوجت والجحيم قد سعرت والجنة أزلفت والجبال قد نسفت والأرض قد مدت يوم زلزلت فيه الأرض زلزالها وأخرجت أثقالها يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم يوم حملت فيه الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية يوم تسير الجبال وترى الأرض بارزة يوم رجت الأرض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش يوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار يوم ينسف الجبال فيه نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا يوم ترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب يوم انشقت فيه السماء فكانت وردة كالدهان فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان يوم يمنع العاصي فيه من الكلام ولا يسأل فيه عن الإجرام بل يؤخذ بالنواصي والأقدام يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا يوم تجد كل نفس ما أحضرت وتشهد ما قدمت وأخرت يوم تخرس فيه الألسن وتنطق فيه الجوارح يوم شيب ذكره سيد المرسلين إذ قال له الصديق قد شبت يا رسول الله فقال شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت

فيا ايها القارئ العاجز الاحمق من قراءتك الى تجمع القرآن وتحرك اللسان ولو كنت متفكرا فيما تقراه لكنت جديرا بان تنشق مرارتك
مما شاب منه شعر سيد المرسلين واذا قنعت بحركة اللسان فقد حرمت ثمرة القرآن فالقيامة احد ما ذكرنا وقد وصف الله بعض
دواهيها واكثر اساميها لتقف بكثرة اساميها على كثرة معانيها وليس المقصود تكرير الاسامي والالقاب بل الغرض تنبيه اولي
الالباب فتحت كل اسم من اسماء القيامة سر وفي كل نعت من نعوتها معنى فاحرص على ادراك معانيها ونحن الان نجمع لك اساميها
فهو يوم القيامة ويوم الحسرة ويوم الندامة ويوم المحاسبة ويوم المسائلة ويوم المسابقة ويوم المنافسة
ويوم المناقشة ويوم الزلزلة ويوم الدمدمة ويوم الصاعقة ويوم الواقعة ويوم القارعة ويوم الراجفة
ويوم الرادفة ويوم الغاشية ويوم الداهية ويوم الازفة ويوم الحاقة ويوم الطامة ويوم الصاخة
ويوم التلاق ويوم الفراق ويوم المساق ويوم التلاف ويوم القصاص ويوم التناد ويوم الحساب
ويوم المآب ويوم العذاب ويوم الفرار ويوم القرار ويوم اللقاء ويوم البقاء ويوم القضاء ويوم الجزاء
ويوم البلاء ويوم البكاء ويوم البعث ويوم الحشر ويوم الوعيد ويوم العرض ويوم الوزن
ويوم الحق ويوم الحكم ويوم الفصل ويوم الجمع ويوم النشور ويوم البعث ويوم المصير
ويوم الفتح ويوم الخزي ويوم عظيم ويوم عقيم ويوم عسير ويوم الدين ويوم اليقين
ويوم النفخة ويوم الصيحة ويوم الرجفة ويوم الرجة ويوم الزجرة ويوم السكرة ويوم الفزع
ويوم الجزع ويوم المنتهى ويوم المأوى ويوم الميقات ويوم المرصاد ويوم القلق ويوم العرق
ويوم الافتقار ويوم الانكدار ويوم الانتشار ويوم الانشقاق ويوم الوقوف ويوم الخروج ويوم الخلود
ويوم الوعيد ويوم التغابن ويوم عبوس ويوم معلوم ويوم موعود ويوم مشهود ويوم لا ريب فيه
ويوم تبلى السرائر ويوم لا تجزي نفس عن نفس شيئا ويوم تشخص فيه الابصار ويوم لا يغني مولى عن مولى شيئا
ويوم لا تملك نفس لنفس شيئا يوم يدعون الى نار جهنم دعا يوم يسحبون في النار على وجوههم يوم تقلب وجوههم
يوم لا يجزي والد عن ولده شيئا يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون يوم
لا مرد له ويوم هم على النار يفتنون ويوم لا ينفع مال ولا بنون ويوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة
ولهم سوء الدار ويوم ترد فيه المعاذير وتبلى السرائر وتظهر الضمائر وتكشف فيه الاستار وتخشع فيه
الابصار وتسكن الاصوات ويقل الالتفات وتبرز الخفيات وتظهر الخطيئات ويساق العباد ومعهم الاشهاد
ويشيب الصغير ويسكر الكبير ووضعت الموازين ونشرت الدواوين وبرزت الجحيم واغلي الحميم وزفرت النار
ويئس الكفار وسعرت النيران وتغيرت الالوان وخرس اللسان ونطقت جوارح الانسان فيا ايها الانسان
ما غرك بربك الكريم حيث اغلقت الابواب وارخيت الستور واستترت عن الخلائق وقارفت الفجور فماذا تفعل
وقد شهدت عليك جوارحك فالويل كل الويل لنا معشر الغافلين يرسل الله لنا سيد المرسلين وينزل على الكتاب المبين
ويخبرنا بهذه الصفات من نعوت يوم الدين ثم يعرفنا غفلتنا ويقول اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما ياتيهم من ذكر
من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم ثم يعرفنا قرب القيامة فيقول اقتربت الساعة وانشق القمر انهم يرونه
بعيدا ونراه قريبا وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ثم يكون احسن احوالنا ان نتخذ دراسة هذا القرآن عملا فلا نتدبر
معانيه ولا ننظر في كثرة اوصافه واساميه ولا نستعد للتخلص من دواهيه فنعوذ بالله من هذه الغفلة الا ان يتداركنا الله

بواسع الرحمة

صفة المسائلة

ثم تفكر يا مسكين بعد هذه الاحوال فيما يتوجه عليك من السؤال
شفاها من غير ترجمان فتسأل عن القليل والكثير والنقير والقطمير فبينا انت في كرب القيامة وعرقها وشدة
عظائمها اذ نزلت ملائكة من ارجاء السماء باجسام عظام واشخاص ضخام غلاظ شداد امروا ان ياخذوا بالنواصي المجرمين

الى موقف العرض على الجبار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملكا ما بين شفري عينيه مسيرة مائة عام فما ظنك بنفسك
اذا شاهدت مثل هؤلاء الملائكة ارسلوا اليك لياخذوك الى مقام العرض وترى على عظم اشخاصهم منكرين لشدة اليوم مشفقين
خائفا من غضب الجبار على عباده وعند نزولهم لا يبقى نبي ولا صديق ولا صالح الا ويخرون لاذقانهم خوفا من ان يكونوا هم
المأخوذين فهذا حال المقربين فما ظنك بالعصاة المجرمين وعند ذلك يبادر قوم من شدة الفزع فيقولون للملائكة
افيكم ربنا وذلك لعظم موكبهم وشدة هيبتهم فتفزع الملائكة من سؤالهم اجلالا لخالقهم عن ان يكون فيهم فنادوا باصواتهم
مترهبين سبحان مليكنا ما هو فينا وهو اهل الارض وقالوا سبحان ربنا ما فينا ولكنه آت من بعد وعند ذلك تقوم الملائكة صفا
محدقين بالخلائق من الجوانب وعلى جميعهم شعار الذل والخضوع وهيبة الخوف والمهابة لشدة اليوم وعند ذلك يصدق الله تعالى
قوله فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين وقوله فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون فيبدأ بالانبياء
يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا فيا لشدة يوم تذهل فيه عقول الانبياء وتنمحي علومهم من شدة الهيبة
اذ يقال لهم ماذا اجبتم وقد ارسلتم الى الخلائق وكانوا قد علموا فتدهش عقولهم فلا يدرون بماذا يجيبون فيقولون من
شدة الهيبة لا علم لنا انك انت علام الغيوب وهم في ذلك الوقت صادقون اذ طارت فيه العقول وانمحت العلوم الا ان
يقويهم الله تعالى فيدعو نوح فيقال له هل بلغت فيقول نعم فيقال لامته هل بلغكم فيقولون ما اتانا من نذير ويدعى عيسى
ابن مريم فيقول الله تعالى أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فيبقى متشحطا تحت هيبة هذا السؤال
فيا لعظم يوم يقام فيه السياسة على الانبياء بمثل هذا السؤال ثم تقبل الملائكة فينادون واحدا واحدا يا فلان ابن فلان
هلم الى موقف العرض وعند ذلك ترتعد الفرائص وتضطرب الجوارح وتبهت العقول ويتمنى اقوام ان يذهب
بهم الى النار ولا تعرض قبائح اعمالهم على الجبار ولا يكشف سترهم على ملأ الخلائق وقبل الابتداء بالسؤال
يظهر نور العرش واشرقت الارض بنور ربها وايقن قلب كل عبد باقبال الجبار لمسائلة العباد وظن كل واحد انه ما
يريد احدا سواه وانه المقصود بالاخذ والسؤال دون ما عداه فيقول الجبار عند ذلك يا جبريل ائتني بالنار فياتيها
جبريل فيقول يا جهنم اجيبي خالقك ومليكك فيصادفها جبريل على غيظها وغضبها فلم يلبث بعد ندائه ان ثارت وفارت
وزفرت الى الخلائق وشهقت وسمع الخلائق تغيظها وزفيرها وانتهض حرسها متوثبة الى الخلائق غضبا على من عصى الله تعالى
وخالفه فاخطر ببالك واحضر قلبك حالة قلوب العباد وقد امتلأت فزعا ورعبا فتساقطوا على ركبهم
مدبرين يوم ترى كل امة جاثية وسقط بعضهم على الوجوه منكبين وينادي الظالمون بالويل والثبور وينادي الصديق
نفسي نفسي فبينا هم كذلك اذ زفرت النار زفرتها الثانية فتضاعف خوفهم وخاروا في قواهم وظنوا انهم ماخوذون ثم
زفرت الثالثة فتساقط الخلائق على وجوههم وشخصوا بابصارهم ينظرون من طرف خاشع خفي وانصدعت عند ذلك القلوب
قلوب الظالمين فبلغت لدى الحناجر كاظمين فذهلت عقول السعداء والاشقياء اجمعين وبعد ذلك يقبل الله تعالى
على الرسل فيقول ماذا اجبتم فاذا راوا ما قدم من السياسة على الانبياء اشتد الفزع على العصاة فيفر الوالد من ولده
والاخ من اخيه والزوج من زوجته ويبقى كل واحد منتظرا لامره ثم يؤخذ واحد واحد ويسأله الله تعالى شفاها عن قليل عمله وكثيره
وعن سره وعلانيته وعن جميع جوارحه واعضائه قال ابو هريرة قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فقال هل
تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليس دونها سحابة قالوا لا قال فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا قال
فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية الله تعالى فيلقى العبد فيقول له الم اكرمك واسودك وازوجك واسخر لك الخيل
والابل واذرك ترأس وتربع فيقول العبد نعم فيقول اظننت انك ملاقي فيقول لا فيقول اني انساك كما نسيتني فقدّر
في نفسك يا مسكين وقد اخذت الملائكة بعضديك وانت واقف بين يدي الله تعالى يسألك شفاها فيقول الم انعم عليك
بالشباب ففيماذا ابليته الم امهلك في العمر ففيماذا افنيته الم ارزقك المال فمن اين اكتسبته وفيماذا انفقته الم اكرمك

عملت فيها

بالعلم فإذا أهملت فكيف ترى حالك وخجلتك وهو يعد عليك إنعامه ومعاصيك وأياديه ومساويك فإن أنكرت شهدت
عليك جوارحك قال أنس كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك ثم قال أتدرون مم أضحك قلنا الله ورسوله أعلم قال من
مخاطبة العبد ربه تعالى فيقول يا رب ألم تجرني من الظلم قال فيقول بلى قال فيقول إني لا أجيز على نفسي إلا شاهدا مني فيقول الله تعالى
كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين
الكلام فيقول لأعضائه بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل فنعوذ بالله تعالى من الافتضاح على ملأ الخلائق بشهادة الأعضاء إلا أن
الله وعد المؤمن بأن يستر عليه ولا يطلع عليه غيره سأل ابن عمر رجل فقال له كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم يا رب فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم
فيقول إني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته يوم القيامة
فهذا إنما يرجوه عبد مؤمن يستر على الناس عيوبهم واحتمل في حق نفسه تقصيرهم ولم يحرك لسانه بذكر مساوي الناس ولم يذكرهم
في غيبتهم بما يكرهون لو سمعوه فهو جدير بأن يجازى بمثله في القيامة وهب أنه قد ستره عن غيرك أليس قد قرع سمعك النداء إلى العرض
فيكفيك تلك الروعة جزاء عن ذنوبك إذ يؤخذ بناصيتك فتقاد وفؤادك مضطرب ولبك طائر وفرائصك مرتعدة وجوارحك مضطربة ولونك
متغير والعالم عليك من شدة الهول مظلم فقدر نفسك وأنت بهذه الصفة تتخطى الرقاب وتخترق الصفوف وتقاد كما يقاد الفرس المجنوب
وقد رفع الخلائق إليك أبصارهم فتوهم نفسك أنك في أيدي الموكلين بك على هذه الصفة حتى انتهى بك إلى عرش الرحمن فرموك بين يديه وناداك
الله تعالى بعظيم جلاله وكلامه يا ابن آدم أدن مني فدنوت منه بقلب خافق محزون وطرف خاشع ذليل وفؤاد منكسر وأعطيت كتابك الذي لا
يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها فكم من فاحشة نسيتها فتذكرتها وكم من طاعة غفلت عن آفاتها فانكشفت لك عن مساويها فكم لك من خجل وجبن وكم لك من
حصر وعجز فليت شعري بأي قدم تقف بين يديه وبأي لسان تجيب وبأي قلب تعقل ما تقول ثم تفكر في عظيم حيائك إذا ذكرك ذنوبك
شفاها إذ يقول يا عبدي أما استحييت مني فبارزتني بالقبيح واستحييت من خلقي فأظهرت لهم الجميل أكنت أهون عليك من سائر عبادي استخففت
بنظري إليك فلم تكترث به واستعظمت نظر عبادي ألم أنعم عليك فما غرك مني أظننت أني لا أراك وأني لا ألقاك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليقفن أحدكم بين يدي الله تعالى ليس بينه وبينه حجاب فيقول له ألم أنعم عليك ألم أوتك مالا فيقول بلى ألم أرسل إليك رسولا فيقول بلى ثم ينظر عن يمينه
فلا يرى إلا النار ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار فليتق أحدكم النار ولو بشق تمرة فإن لم يجد فبكلمة طيبة وقال [illegible]
أحدا ويسأله رب العالمين ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان وقال ابن مسعود ما منكم من أحد إلا سيخلو الله تعالى به كما يخلو أحدكم
بالقمر ليلة البدر ثم يقول يا ابن آدم ما غرك بي يا ابن آدم ماذا عملت فيما علمت يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين يا ابن آدم ألم أكن رقيبا على عينك
وأنت تنظر بها إلى ما لا يحل لك ألم أكن رقيبا على أذنيك وهكذا حتى عد سائر أعضائه وقال مجاهد لا تزول قدما عبد يوم القيامة من بين يدي
الله تعالى حتى يسأل عن أربع خصال عن عمره فيم أفناه وعن علمه ما عمل فيه وعن جسده فيم أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه فأعظم يا مسكين
بحيائك عند ذلك وبخطرك فإنك بين يدي الله تعالى بين أن يقال سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فعند ذلك يعظم سرورك وفرحك
ويغبطك الأولون والآخرون وإما أن يقال خذوا هذا العبد السوء فغلوه ثم الجحيم صلوه وعند ذلك لو بكت عليك السماوات والأرض
لكان جديرا بذلك لعظم مصيبتك وشدة حسرتك على ما فرطت فيه من طاعة الله تعالى وعلى ما بعته من آخرتك بدنياك الفانية التي لم تبق معك

صفة الميزان

ثم لا تغفلن عن الفكر في الميزان وتطاير الكتب إلى الشمائل والأيمان فإن الناس بعد السؤال ثلاث فرق
فرقة ليس لهم حسنة فيخرج من النار عنق أسود فيلتقطهم لقط الطير الحب وينطوي عليهم ويلقيهم في النار فتبتلعهم النار وينادى عليهم شقاوة
لا سعادة بعدها وقسم آخر لا سيئة لهم فينادي مناد ليقم الحمادون لله تعالى على كل حال فيقومون ويسرحون إلى الجنة ثم يفعل ذلك بأهل قيام
الليل ثم بمن لم تشغله تجارة الدنيا ولا بيعها عن ذكر الله تعالى فينادى عليهم بسعادة لا شقاوة بعدها ويبقى قسم ثالث هم الأكثرون خلطوا
عملا صالحا وآخر سيئا وقد يخفى عليهم ولا يخفى على الله تعالى أن الغالب حسناتهم أو سيئاتهم ولكن يأبى الله تعالى إلا أن يعرفهم ذلك ليبين
فضله عند العفو وعدله عند العقاب فتتطاير الصحف والكتب منطوية على الحسنات والسيئات وينصب الميزان وتشخص الأبصار إلى الكتاب أيقع

في اليمين أو في الشمال ثم إلى لسان الميزان أيميل إلى جانب الحسنات أو إلى جانب السيئات وهذه حالة هائلة تطيش فيها عقول الخلائق روي
عن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رأسه في حجر عائشة رضي الله عنها فنعس فذكرت الآخرة فبكت حتى سالت دموعها على خد النبي صلى الله عليه وسلم فانتبه
فقال ما يبكيك يا عائشة قالت ذكرت الآخرة هل تذكرون أهليكم يوم القيامة قال والذي نفسي بيده في ثلاث مواطن فإن أحدا لا يذكر إلا
نفسه إذا وضعت الموازين ووزنت الأعمال حتى ينظر ابن آدم أيخف ميزانه أم يثقل وعند الصحف حتى ينظر أبيمينه يأخذ أم بشماله
وعند الصراط وعن أنس قال يؤتى بابن آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتي الميزان ويوكل به ملك فإن ثقل ميزانه نادى الملك
بصوت يسمع الخلائق سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا وإن خف ميزانه نادى بصوت يسمع الخلائق شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها
أبدا وعند خفة كفة الحسنات تقبل الزبانية وبأيديهم مقامع من حديد عليهم ثياب من نار فيأخذون نصيب النار إلى النار قال صلى الله عليه وسلم
يوم القيامة إذ ينادي الله تعالى قم يا آدم فابعث بعث النار فيقول وكم بعث النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون في
النار وواحد في الجنة فلما سمع الصحابة ذلك أبلسوا حتى ما أوضحوا بضاحكة فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ما عند أصحابه قال اعملوا وقاربوا وأبشروا
فوالذي نفسي بيده إنكم لمع خليقتين ما كانتا مع أحد قط إلا كثرتاه مع من هلك من بني آدم وبني إبليس فقالوا وما هما يا رسول الله قال
يأجوج ومأجوج قال فسري عن القوم وقال اعملوا وأبشروا فوالذي نفس محمد بيده ما أنتم في الناس يوم القيامة إلا كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة
في ذراع الدابة

صفة الخصماء ورد المظالم

قد عرفت هول الميزان وخطره وأن الأعين شاخصة
إلى لسان الميزان فمن ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية ومن خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ما هيه نار حامية واعلم أنه لا ينجو من خطر
الميزان إلا من حاسب نفسه في الدنيا ووزن فيها بميزان الشرع أعماله وأقواله وخطراته ولحظاته كما قال عمر رضي الله عنه حاسبوا أنفسكم
قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وإنما حسابه لنفسه أن يتوب عن كل معصية توبة نصوحا ويتدارك ما فرط من تقصيره في فرائض الله تعالى
ويرد المظالم حبة بعد حبة ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده وسوء ظنه بقلبه ويطيب قلوبهم حتى يموت ولم يبق عليه مظلمة ولا فريضة
فهذا يدخل الجنة بغير حساب وإن مات قبل رد المظالم أحاط به خصماؤه فهذا يأخذ بيده وهذا يقبض على ناصيته وهذا
يتعلق بلببه وهذا يقول ظلمتني وهذا يقول شتمتني وهذا يقول استهزأت بي وهذا يقول ذكرتني في الغيبة بما يسوءني
وهذا يقول بايعتني فغبنتني وأخفيت عني عيب متاعك وهذا يقول كذبت في سعر متاعك وهذا يقول رأيتني محتاجا
وكنت غنيا فما أطعمتني وهذا يقول وجدتني مظلوما وكنت قادرا على دفع الظلم فداهنت الظالم وما راعيتني فبينا أنت كذلك
وقد أنشب الخصماء فيك مخالبهم وأحكموا في تلابيبك أيديهم وأنت مبهوت متحير من كثرتهم حتى لم يبق
أحد عاملته على درهم أو جالسته في مجلس إلا وقد استحق عليك مظلمة بغيبة أو خيانة أو نظر بعين استحقار وقد ضعفت
عن مقاومتهم ومددت عنق الرجاء إلى سيدك ومولاك لعله يخلصك من أيديهم إذ قرع سمعك نداء الجبار اليوم تجزى كل نفس بما
كسبت لا ظلم اليوم فعند ذلك ينخلع قلبك من الهيبة وتوقن نفسك بالبوار وتتذكر ما أنذرك الله تعالى على لسان نبيه ولا تحسبن الله
غافلا عما يعمل الظالمون فما أشد فرحك اليوم بتمضمضك بأعراض الناس وتناولك أموالهم وما أشد حسرتك في ذلك
اليوم إذا وقف بك على بساط العدل وشوفهت بخطاب السياسة وأنت مفلس فقير عاجز مهين لا تقدر على أن ترد حقا
أو تظهر عذرا فعند ذلك تؤخذ حسناتك التي تعبت فيها عمرك وتنقل إلى خصمائك عوضا عن حقوقهم قال أبو هريرة رضي الله عنه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون من المفلس قلنا المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع فقال المفلس من أمتي من يأتي يوم
القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته
وإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار فانظر إلى مصيبتك في هذا اليوم إذ ليس
تسلم لك حسنة من آفات الرياء ومكايد الشيطان فإن سلمت واحدة في مدة طويلة ابتدرها خصماؤك وأخذوها ولعلك لو حاسبت
نفسك وأنت مواظب على صيام النهار وقيام الليل لعلمت أنه لا ينقضي عنك يوم إلا ويجري على لسانك من غيبة المسلمين
ما يستوفي جميع حسناتك فكيف ببقية السيئات من أكل الحرام والشبهات والتقصير في الطاعات وكيف ترجو الخلاص من المظالم

في يوم تشتهر فيه الجماء من القرناء فقد روى ابو ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى شاتين تنتطحان فقال يا ابا ذر اتدري فيما تنتطحان قال
لا قال ولكن ربك يدري وسيقضي بينهما يوم القيامة وقال ابو هريرة في قوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم
انه يحشر الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شيء فيبلغ من عدل الله تعالى ان ياخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا فذلك حين يقول
الكافر يا ليتني كنت ترابا فكيف انت يا مسكين في يوم ترى صحيفتك خالية من حسنات طال فيها تعبك فتقول اين حسناتي فيقال نقلت الى صحيفة خصمائك
وترى صحيفتك مشحونة بسيئات طال في الصبر عنها نصبك واشتد بسبب الكف عنها عناؤك فتقول يا رب هذه سيئات ما قارفتها قط فيقال
هذه سيئات القوم الذين اغتبتهم وشتمتهم وظلمتهم في المبايعة والمجاورة والمخاطبة والمناظرة والمذاكرة والمدارسة وسائر
اصناف المعاملة قال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قد يئس ان يعبد الاصنام بارض العرب ولكن سيرضى
منكم بما دون ذلك بالمحقرات وهي الموبقات فاتقوا الظلم ما استطعتم فان العبد ليجيء يوم القيامة بامثال الجبال من الطاعات فيرى انهن سينجينه فما زال
عبد يجيء فيقول يا رب ان فلانا ظلمني بمظلمة فيقول امح من حسناته فما يزال كذلك حتى ما يبقى له من حسناته شيء وان مثل ذلك كمثل سفر نزلوا بفلاة
من الارض ليس معهم حطب فتفرق القوم فاحتطبوا فلم يلبثوا ان اعظموا نارهم وصنعوا ما ارادوا فكذلك الذنوب ولما نزل قوله تعالى انك ميت
وانهم ميتون قال الزبير يا رسول الله ايكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب قال نعم ليكررن عليكم حتى يؤدى الى كل ذي حق حقه
قال الزبير والله ان الامر لشديد فما اعظم شدة يوم لا يسامح فيه بخطوة ولا يتجاوز فيه عن لطمة ولا عن كلمة حتى ينتقم للمظلوم من الظالم قال انس رضي الله عنه
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله العباد يوم القيامة عراة غرلا بهما قال قلنا ما بهما قال ليس معهم شيء ثم يناديهم ربهم بصوت يسمعه من بعد
كما يسمعه من قرب انا الملك انا الديان لا ينبغي لاحد من اهل الجنة ان يدخل الجنة ولاحد من اهل النار عنده مظلمة ولا لاحد من اهل النار ان يدخل النار
ولاحد من اهل الجنة عنده مظلمة حتى اقصه منه حتى اللطمة قلنا يا رسول الله وكيف وانما ناتي الله عراة غرلا بهما فقال بالحسنات والسيئات فاتقوا
الله عباد الله في مظالم العباد في اخذ اموالهم والتعرض لاعراضهم وتضييق قلوبهم واساءة الخلق في معاشرتهم فان ما بين العبد وبين الله
خاصة فالمغفرة اليه اسرع ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال اصحاب المظالم فليكثر من حسناته ليوم القصاص
وليسر ببعض الحسنات بينه وبين الله تعالى بكمال الاخلاص بحيث لا يطلع عليه الا الله فعساه يقربه ذلك الى الله تعالى فينال به لطفه الذي ادخره لاحبابه
المؤمنين في دفع مظالم العباد عنهم **كما روي** عن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بينما رسول الله جالس اذ رايناه ضحك حتى بدت
ثناياه فقال عمر ما اضحكك يا رسول الله بابي انت وامي قال رجلان من امتي جثيا بين يدي رب العزة فقال احدهما يا رب خذ
لي مظلمتي من اخي فقال الله تعالى اعط اخاك مظلمته فيقول يا رب لم يبق من حسناتي شيء فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع ولم يبق من حسناته
شيء فقال يا رب فليحمل عني من اوزاري قال ففاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء ثم قال ان ذلك اليوم يوم عظيم يوم يحتاج
الناس ان يحمل عنهم من اوزارهم قال فقال الله تعالى للطالب ارفع راسك فانظر في الجنان فرفع راسه وقال يا رب ارى مدائن من فضة
مرتفعة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لاي نبي هذا او لاي صديق هذا او لاي شهيد هذا قال لمن اعطى الثمن قال يا رب ومن يملك ثمنه
قال انت تملكه قال يا رب وما هو قال عفوك عن اخيك قال يا رب اني قد عفوت عنه قال الله تعالى خذ بيد اخيك وادخله الجنة
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان الله تعالى يصلح بين المؤمنين وهذا تنبيه على ان ذلك
انما ينال بالتخلق باخلاق الله تعالى وهو اصلاح ذات البين وسائر الاخلاق فتفكر الآن في نفسك ان خلت صحيفتك عن المظالم او تلطف
لك حتى عفي عنك وايقنت بسعادة الابد كيف يكون سرورك في منصرفك من مفصل القضاء وقد خلع عليك خلعة الرضا وعدت بسعادة
ليس بعدها شقاوة وبنعيم لا يدور بحواشيه الفناء وعند ذلك طار قلبك سرورا وفرحا وابيض وجهك واستنار واشرق
كما يشرق القمر ليلة البدر فتوهم تبخترك بين الخلائق رافعا راسك خاليا من الاوزار ظهرك ونضرة نسيم النعيم وبرد الرضا
يتلالا من جبينك وخلق الاولين والآخرين ينظرون اليك والى حالك ويغبطونك على حسنك وعلى جمالك والملائكة يمشون بين يديك
ومن خلفك وينادون على رؤوس الاشهاد هذا فلان بن فلان رضي الله عنه وارضاه وقد سعد سعادة لا يشقى بعدها ابدا افترى ان هذا
المنصب ليس باعظم من المكانة التي تنالها في قلوب الخلق في الدنيا بريائك ومداهنتك وتصنعك وتزينك وان كنت تعلم

انه خير منه بل لا نسبة له اليه فتوسل الى ادراك هذه الرتبة بالاخلاص الصافي والنية الصادقة في معاملتك مع الله تعالى
فلن تدرك ذلك الا به وان تكن الاخرى والعياذ بالله وخرجت من صحيفتك جريمة كنت تحسبها هينة وهي عند الله عظيمة فمقتك
لاجلها فقال عليك لعنتي يا عبد السوء لا اتقبل منك عبادتك فلا تسمع هذا النداء الا ويسود وجهك ثم تغضب الملائكة
لغضب الله تعالى فيقولون وعليك لعنتنا ولعنة الخلائق اجمعين وعند ذلك تتناولك الملائكة وقد غضبت لغضب خالقها
فاقدمت عليك بفظاظتها وزعارتها وصورها المنكرة فاخذوا بناصيتك يسحبونك على وجهك على ملأ الخلائق وهم
ينظرون الى سواد وجهك والى ظهور خزيك وانت تنادي بالويل والثبور وهم يقولون لك لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا
وادعوا ثبورا كثيرا فتنادي الملائكة ويقولون هذا فلان بن فلان كشف الله تعالى عن فضائحه ومخازيه ولعنه بقبائح
مساويه فشقي شقاوة لا سعادة بعدها ابدا وربما يكون ذلك بذنب اذنبته خيفة من عباد الله تعالى او طلبا للمكانة
في قلوبهم او خوفا من الافتضاح عندهم فما اعظم جهلك اذ تحترز من الافتضاح عند طائفة يسيرة من عباد الله في الدنيا
المنقرضة ولا تخشى من الافتضاح العظيم مع التعرض لسخط الله تعالى وعقابه الاليم والسياق بايدي الزبانية الى سواء الجحيم
فهذه احوالك وانت لا تشعر بالخطر الاعظم وهو خطر الصراط

صفة الصراط

ثم تفكر بعد هذه
الاهوال في قوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا وفي قوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم
وقفوهم انهم مسئولون والناس بعد هذه الاهوال يساقون الى الصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم احد من السيف
وادق من الشعر فمن استقام في هذا العالم على الصراط المستقيم خف على صراط الآخرة ونجا ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا
واثقل ظهره بالاوزار وعصى تعثر في اول قدم من الصراط وتردى فتفكر الآن فيما يحل بك من الفزع بفؤادك
اذا رايت الصراط ودقته ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها وقد كلفت ان تمشي
على الصراط مع ضعف حالك واضطراب قلبك وتزلزل قدمك وثقل ظهرك بالاوزار المانعة لك عن المشي على بساط الارض
فضلا عن حدة الصراط فكيف بك اذا وضعت عليه احدى رجليك فاحسست بحدته واضطررت الى ان ترفع القدم الثانية
والخلائق بين يديك يزلون ويتعثرون وتتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب وانت تنظر اليهم كيف ينكسون
الى جهة النار رؤوسهم وتعلو ارجلهم فيا له من منظر ما افظعه ومن مرتقى ما اصعبه ومجاز ما اضيقه فانظر الى حالك
وانت تزحف عليه وتصعد اليه وانت مثقل الظهر باوزارك تلتفت يمينا وشمالا الى الخلق وهم يتهافتون في النار والرسول يقول
يا رب سلم سلم والزعقات بالويل والثبور قد ارتفعت اليك من قعر جهنم لكثرة من زل عن الصراط من الخلائق وكيف بك لو زلت
قدمك ولم ينفعك ندمك وقلت واويلاه هذا ما كنت اخافه فيا ليتني قدمت لحياتي يا ليتني اتخذت مع الرسول
سبيلا يا ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يا ليتني كنت ترابا يا ليتني كنت نسيا منسيا يا ليتني لم تلدني امي فعند ذلك
تختطفك النيران والعياذ بالله وينادي المنادي اخسئوا فيها ولا تكلمون فلا يبقى سبيل الا الصياح والانين
والتنفس والاستغاثة فكيف ترى الآن عقلك وهذه الاخطار بين يديك فان كنت غير مؤمن بذلك فما اطول
مقامك مع الكفار في دركات جهنم وان كنت به مؤمنا وعنه غافلا وبالاستعداد له متهاونا فما اعظم
خسرانك وطغيانك وماذا ينفعك ايمانك اذا لم يبعثك على السعي في طلب رضا الله تعالى بطاعته وترك
معاصيه فلو لم يكن بين يديك الا هول الصراط وارتياع قلبك من خطره في الجواز وان سلمت فناهيك به هولا
وفزعا ورعبا **قال** رسول الله صلى الله عليه وسلم يضرب الصراط بين ظهري جهنم فاكون اول من يجيز بامته من الرسل ولا
يتكلم يومئذ الا الرسل ودعوى الرسل اللهم سلم سلم اللهم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان غير انه لا يعلم
قدر عظمها الا الله تعالى تختطف الناس باعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو وقال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف تختطف الناس يمينا وشمالا وعلى

جنبيه ملئكة يقولون اللهم سلم سلم ومن الناس من يمر مثل البرق ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس المجرى
ومنهم من يسعى سعيا ومنهم من يمشي مشيا ومنهم من يحبو حبوا ومنهم من يزحف زحفا فاما اهل النار الذين
هم اهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون واما ناس فيؤخذون بذنوب وخطايا فيحترقون فيكونون فحما ثم يؤذن في الشفاعة
الحديث وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم يجمع الله الاولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياما اربعين سنة شاخصة
ابصارهم الى السماء ينتظرون فصل القضاء وذكر الحديث الى ذكر سجود المؤمنين ثم قال يقال ارفعوا رؤسكم فيرفعون
رؤسهم فيعطيهم نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه ومنهم من يعطى نوره اصغر من ذلك
ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة ومنهم من يعطى نوره اصغر من ذلك حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نوره على ابهام قدميه
فيضيء مرة ويطفى مرة فاذا اضاء قدم قدمه فيمشي واذا اظلم قام ثم ذكر مرورهم على الصراط على قدر نورهم
فمنهم من يمر على الصراط كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض
النجم ومنهم من يمر كشد الفرس ومنهم من يمر كشد الرجل حتى يمر الذي اعطى نوره على ابهام قدميه يحبو على وجهه
ويديه ورجليه تخر منه يد وتعلق اخرى وتعلق رجل وتخر الاخرى وقد اصابت جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص
فاذا خلص وقف عليها ثم قال الحمد لله لقد اعطاني الله تعالى ما لم يعط احدا اذ نجاني منها بعد اذ رأيتها فينطلق به الى
غدير عند باب الجنة فيغتسل منه وقال انس بن مالك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الصراط كحد السيف او كحد
الشعرة وان الملئكة ينجون المؤمنين والمؤمنات وان جبريل عليه السلام لآخذ بحجزتي واني لاقول يا رب سلم سلم فالزالون
والزالات يومئذ كثير فهذه اهوال الصراط وعظائمه فطول فيه فكرك فان اسلم الناس من اهوال القيامة
من طال فكره فيها في الدنيا فان الله تعالى لا يجمع على عبد خوفين فمن خاف هذه الاهوال في الدنيا امنها في الآخرة ولست
اعني بالخوف رقة كرقة النساء تدمع عينيك ويرق قلبك في حال السماع ثم تنساه على القرب وتعود الى لهوك ولعبك
فما ذلك من الخوف في شيء لان من خاف من شيء هرب منه ومن رجا شيئا طلبه فلا ينجيك الا خوف يمنعك عن معاصي الله
ويحثك على طاعته وابعد من رقة النساء خوف الحمقى اذا سمعوا الاهوال سبقت السنتهم الى الاستعاذة وقال
[illegible] نعوذ بالله سلم سلم وهم مع ذلك مصرون على المعاصي التي هي سبب هلاكهم فالشيطان يضحك من
[illegible] على من يقصده سبع ضاري في صحراء ووراءه حصن فاذا رأى انياب السبع وصولته من بعد قال اعوذ
بهذا الحصن الحصين واستعين بشدة بنيانه واحكام ابوابه واركانه فيقوله بلسانه وهو قاعد في مكانه فانى يغني ذلك
من السبع فكذلك اهوال الآخرة ليس لها حصن الا قول لا اله الا الله صادقا ومعنى صدقه ان لا يكون له مقصود
سوى الله ولا معبود سواه ومن اتخذ الهه هواه فهو بعيد من الصدق في توحيده وامره مخطر في نفسه وان عجزت
عن ذلك كله فكن محبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حريصا على تعظيم سنته ومتشوقا الى مراعاة قلوب الصالحين من امته
ومتبركا بادعيتهم فعساك تنال من شفاعته او شفاعتهم فتنجو بالشفاعة ان كنت قليل البضاعة

صفة الشفاعة

اعلم انه اذا حقت النار على طوائف المؤمنين فان الله تعالى بفضله
يقبل فيهم شفاعة الانبياء والصديقين بل شفاعة العلماء والصالحين وكل من له عند الله جاه وحسن معاملة
فان له شفاعة في اهله وقرابته واصدقائه ومعارفه فكن حريصا على ان تكتسب لنفسك عندهم رتبة الشفاعة
وذلك بان لا تحتقر آدميا اصلا فان الله تعالى خبأ ولايته في عباده فلعل الذي تزدريه عينك هو ولي الله ولا تستصغر
معصية اصلا فان الله تعالى خبأ غضبه في معاصيه فلعل مقت الله تعالى فيه ولا تستحقر طاعة اصلا فان الله تعالى خبأ رضاه في
طاعته فلعل رضاه الله تعالى فيه ولو الكلمة الطيبة او اللقمة او النية الحسنة او ما يجري مجراه وشواهد الشفاعة في القرآن
والاخبار كثيرة قال الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وروى عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول

ابراهيم عليه الصلاة والسلام رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم
وقول عيسى عليه الصلاة والسلام ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ثم رفع يديه وقال اللهم
امتي امتي ثم بكى فقال الله عز وجل يا جبرائيل اذهب الى محمد صلى الله عليه وسلم فسله ما يبكيك فاتاه فسأله فاخبره
والله اعلم به فقال الله يا جبريل اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك وقال صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا
لم يعطهن احد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض مسجدا
وترابها طهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل واعطيت الشفاعة وكل نبي بعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس
عامة وقال صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة كنت امام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر وقال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد
آدم ولا فخر وانا اول من تنشق عنه الارض وانا اول شافع ومشفع بيدي لواء الحمد تحته آدم فمن دونه وقال صلى الله عليه وسلم
لكل نبي دعوة مستجابة فاريد ان اختبئ دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
للانبياء منابر من ذهب يجلسون عليها ويبقى منبري لا اجلس عليه قائما بين يدي ربي منتصبا مخافة ان يبعث
بي الى الجنة وتبقى امتي بعدي فاقول يا رب امتي فيقول الله تعالى يا محمد وما تريد ان اصنع بامتك فاقول
يا رب عجل حسابهم فما ازال اشفع حتى اعطى صكاكا برجال قد بعث بهم الى النار وحتى ان مالكا خازن النار يقول
يا محمد ما تركت للنار لغضب ربك في امتك من بقية وقال صلى الله عليه وسلم اني لاشفع يوم القيامة لاكثر مما على وجه الارض من حجر
ومدر وقال ابو هريرة اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع وكان يعجبه فنهس منه نهسة ثم قال انا سيد الناس
يوم القيامة وهل تدرون مم ذلك يجمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو
الشمس فيبلغ الناس من الكرب والغم ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس بعضهم لبعض عليكم بآدم عليه السلام
فيأتون آدم فيقولون انت ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وامر الملئكة فسجدوا لك اشفع لنا الى
ربك الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم آدم ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن
يغضب بعده مثله وانه قد نهاني عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح عليه السلام
فيأتون نوحا فيقولون يا نوح انت اول الرسل الى اهل الارض وقد سماك الله عبدا شكورا اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه
فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله وانه كانت لي دعوة دعوت بها على قومي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا
الى ابراهيم خليل الرحمن فيأتون ابراهيم فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل الارض اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن
فيه فيقول لهم ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله واني كذبت ثلاث كذبات ويذكرها نفسي
نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى موسى فيأتون موسى فيقولون انت موسى رسول الله فضلك برسالته وبكلامه على الناس
اشفع لنا الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله واني قتلت نفسا لم
اومر بقتلها نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى عيسى فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى انت رسول الله وكلمته القاها الى مريم
وروح منه وكلمت الناس في المهد اشفع لنا الا ترى الى ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب
بعده مثله ولم يذكر ذنبا نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى محمد صلى الله عليه وسلم فيأتون محمدا فيقولون يا محمد انت رسول الله
وخاتم الانبياء وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فانطلق فآتي تحت العرش فاقع
ساجدا لربي ثم يفتح الله تعالى علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على احد قبلي ثم يقال يا محمد ارفع راسك وسل تعط واشفع
تشفع فارفع راسي فاقول امتي امتي يا رب فيقال يا محمد ادخل من امتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن من ابواب
الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب ثم قال والذي نفسي بيده ان ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر او كما بين
مكة وبصرى وفي حديث آخر هذا السياق بعينه مع ذكر خطايا ابراهيم وهو قوله في الكواكب هذا ربي وقوله لآلهتهم بل فعله كبيرهم

هذا وقوله انى سيتم فهذه شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي احاد امته من العلماء والصالحين شفاعة ايضا حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدخل الجنة بشفاعة رجل من امتي اكثر من ربيعة ومضر وقال عليه الصلاة والسلام يقال للرجل قم يا فلان فاشفع فيقوم الرجل فيشفع
للقبيلة ولاهل البيت والرجل والرجلين على قدر عمله وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا من اهل الجنة يشرف يوم القيامة على
اهل النار فيناديه رجل ويقول يا فلان هل تعرفني فيقول لا والله ما اعرفك من انت فيقول انا الذي مررت بي في الدنيا يوما فاستسقيتني
شربة من الماء فسقيتك قال قد عرفتك قال فاشفع لي بها عند ربك فيسال الله تعالى فيقول اني اشرفت على اهل النار فنادى رجل
من اهلها فقال هل تعرفني فقلت من انت قال انا الذي استسقيتني في الدنيا فسقيته فاشفع لي بها فشفعني فيه فيشفعه
الله تعالى فيه فيامر به فيخرج من النار وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا
وفدوا وانا مبشرهم اذا يئسوا لواء الحمد يومئذ بيدي وانا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر وقال صلى الله عليه وسلم فاكسى حلة من حلل الجنة
ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلق يقوم ذلك المقام غيري وقال ابن عباس جلس ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ينتظرونه فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله تعالى اتخذ من خلقه خليلا اتخذ
ابراهيم خليلا وقال اخر ماذا باعجب من كلام موسى كلمه تكليما وقال اخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال اخر
ادم اصطفاه الله تعالى فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وتعجبكم ان ابراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى نجي الله
وهو كذلك وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك وادم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد
يوم القيامة ولا فخر وانا اول شافع ومشفع يوم القيامة ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فادخلها ومعي
فقراء المؤمنين وانا اكرم الاولين والاخرين

صفة الحوض

اعلم ان الحوض مكرمة عظيمة خص الله
بها نبينا صلى الله عليه وسلم وقد اشتملت الاخبار على وصفه ونحن نرجو ان يرزقنا الله تعالى في الدنيا علمه وفي الاخرة ذوقه فان
من صفاته ان من شرب منه لم يظما ابدا قال انس اغفى رسول الله صلى الله عليه وسلم اغفاءة فرفع راسه متبسما
فقلت يا رسول الله لم ضحكت فقال اية انزلت علي انفا وقرا بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر حتى ختمها
ثم قال هل تدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله اعلم قال انه نهر وعدنيه ربي عز وجل في الجنة عليه خير كثير عليه حوض ترد عليه
امتي يوم القيامة انيته عدد نجوم السماء وقال انس قال رسول الله عليه الصلاة والسلام بينما انا اسير في الجنة اذا انا
بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف قلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي اعطاك ربك وضرب الملك بيده فاذا
طينه مسك اذفر وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين لابتي حوضي مثل ما بين صنعاء والمدينة او مثل ما
بين المدينة وعمان وروى ابن عمر انه لما نزل قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو نهر في الجنة حافتاه
من ذهب شرابه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل واطيب ريحا من المسك يجري على جنادل اللؤلؤ والمرجان وقال
ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان حوضي ما بين عدن الى عمان البلقاء ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل واكوابه
عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظما بعدها ابدا واول الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين فقال عمر بن الخطاب ومن هم يا رسول
الله قال هم الشعث رؤوسا الدنس ثيابا الذين لا ينكحون المتنعمات ولا يفتح لهم ابواب السدد فقال عمر بن عبد العزيز
والله لقد نكحت المتنعمات فاطمة بنت عبد الملك وفتحت لي ابواب السدد الا ان يرحمني الله تعالى لا جرم لا ادهن راسي حتى
يشعث ولا اغسل ثوبي الذي على جسدي حتى يتسخ وعن ابي ذر قال قلت يا رسول الله ما انية الحوض قال والذي
نفسي بيده لانيته اكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة المظلمة المصحية من شرب منه لم يظما اخر ما عليه يشخب فيه ميزابان
من الجنة عرضه مثل طوله مثل ما بين عمان وايلة ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل وعن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان لكل نبي حوضا وانهم يتباهون ايهم اكثر واردة واني لارجو ان اكون اكثرهم واردة فهذا رجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
فليرج كل عبد ان يكون في جملة الواردين وليحذر ان يكون متمنيا ومغترا وهو يظن انه راج فان الراجي للحصاد من بث البذر
ونقى الارض وسقاها الماء ثم جلس يرجو فضل الله تعالى بالانبات ودفع الصواعق الى اوان الحصاد فاما من ترك الحراثة والزراعة وتنقية

الارض وسقيها واخذ يرجو من فضل الله تعالى ان ينبت له الحب والفاكهة فهذا مغتر ومتمنٍ وليس من الراجين في شيء وهكذا
حال اكثر الخلق وقد غرهم بالله الغرور نعوذ بالله من الغرور والغفلة فان الاغترار بالله اعظم من الاغترار بالدنيا قال الله تعالى فلا تغرنكم
الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور

القول في صفة جهنم واهوالها وانكالها

ايها الغافل عن نفسه المغرور بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا المشرفة على الانقضاء دع التفكر فيما انت مرتحل عنه واصرف الفكر الى
موردك فانك اخبرت ان النار مورد للجميع اذ قيل وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا فانت من
الورود على يقين ومن النجاة على شك فاستشعر في قلبك هول ذلك المورد فعساك تستعد للنجاة بالشروع في اعماله وتامل
حال الخلائق وقد قاسوا من دواهي القيامة ما قاسوا فبينما هم في كربها واهوالها واقفين ينتظرون حقائق انبائها وتشفع شفعائها
اذ احاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب واظلت عليهم نار ذات لهب وسمعوا لها زفيرا وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ
والغضب فايقن المجرمون بالعطب وجثت الامم على الركب حتى اشفق البراء من سوء المنقلب وخرج المنادي من الزبانية
اين فلان المسوف نفسه في الدنيا بطول الامل المضيع عمره في سوء العمل فيبادرونه بمقامع من حديد ويستقبلونه بعظائم
التهديد ويسوقونه الى العذاب الشديد وينكسونه في قعر الجحيم ويقولون له ذق انك انت العزيز الكريم فاسكنوا دارا
ضيقة الارجاء مظلمة المسالك مبهمة المهالك يخلد فيها الاسير ويوقد فيها السعير شرابهم فيها الحميم ومستقرهم الجحيم
الزبانية تقمعهم والهاوية تجمعهم امانيهم فيها الهلاك وما لهم منها فكاك قد شدت اقدامهم الى النواصي واسودت
وجوههم من ظلمة المعاصي ينادون من اكنافها ويصيحون في اطرافها يا مالك قد حق علينا الوعيد يا مالك قد اثقلنا
الحديد يا مالك قد نضجت منا الجلود يا مالك اخرجنا منها فانا لا نعود فتقول الزبانية هيهات لات حين
امان ولا خروج لكم من دار الهوان فاخسئوا فيها ولا تكلمون لو اخرجتم منها لكنتم الى ما نهيتم عنه عائدون فعند ذلك يقنطوا
وعلى ما فرطوا في جنب الله يتاسفون فلا ينجيهم الندم ولا ينفعهم الاسف بل يكبون على وجوههم مغلولين النار
من فوقهم والنار من تحتهم والنار عن ايمانهم والنار عن شمائلهم فهم غرقى في النار طعامهم وشرابهم نار ولباسهم
ومهادهم نار بين مقطعات النيران وسرابيل القطران وضرب المقامع وثقل السلاسل فهم يتجلجلون فيها
وفي مضايقها ويتحطمون في دركاتها ويضطربون بين غواشيها تغلي بهم النيران كغلي القدور ويهتفون بالويل
والعويل ومهما دعوا بالثبور صب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد تهشم بها جباههم
فيتفجر الصديد من افواههم وتنقطع من العطش اكبادهم ويسيل على الخدود احداقهم ويسقط من الوجنات لحومها
من الاطراف شعورها بل جلودها وكلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها وعريت من اللحم عظامهم فبقيت الارواح منوطة
بالعروق وعلائق العصب وهي تنش في لفح تلك النيران وهم يتمنون الموت فلا يموتون فكيف بك لو نظرت اليهم وقد سودت
وجوههم اشد سوادا من الحميم واعميت ابصارهم واخرست السنتهم وقصمت ظهورهم وكسرت عظامهم
وجدعت اذانهم ومزقت جلودهم وغلت ايديهم الى اعناقهم وجمع بين نواصيهم واقدامهم وهم يمشون على وجوههم
في النار ويطؤون حسك الحديد باحداقهم فلهيب النار سار في بواطن اجزائهم وحيات الهاوية وعقاربها
متشبثة بظواهر اعضائهم هذه جملة احوالهم وانظر الان في تفصيل اهوالهم وتفكر ايضا في اودية جهنم
وشعابها فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان في جهنم سبعين الف واد في كل واد سبعون الف شعب في كل شعب
سبعون الف ثعبان وسبعون الف عقرب لا ينتهي الكافر والمنافق حتى يواقع ذلك كله وقال علي قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا من جب الحزن او وادي الحزن قيل يا رسول الله وما وادي الحزن او جب الحزن قال
واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة اعده الله تعالى للقراء المرائين فهذه سعة جهنم وانشعاب اوديتها
وهي بحسب عدد اودية الدنيا وشهواتها وعدد ابوابها بعدد الاعضاء السبعة التي يعصي بها العبد بعضها فوق

العبد بعضها فوق بعض اولها جهنم ثم سقر ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية فانظر الان الى عمق الهاوية فانه لا حد لعمقها كما لا حد لعمق شهوات الدنيا فكما لا ينتهي ارب من الدنيا الا الى ارب اعظم منه فلا تنتهي هاوية من جهنم الا الى هاوية اعمق منها قال ابو هريرة كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا وجبة فقال اتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله اعلم قال هذا حجر ارسل في جهنم منذ سبعين عاما الان حين انتهى قعرها **ثم انظر** الى تفاوت الدركات فان الآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا فكما ان اكباب الناس على الدنيا متفاوت فمنهم من هو منهمك مستكثر كالغريق فيه ومنهم خائض فيه الى حد محدود فكذلك تناول النار لهم متفاوت فان الله لا يظلم مثقال ذرة فلا تترادف انواع العذاب على كل من في النار كيف كان بل لكل واحد حد معلوم على قدر عصيانه وذنبه الا ان اقلهم عذابا لو عرضت عليه الدنيا بحذافيرها لافتدى بها من شدة ما هو فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل النار عذابا يوم القيامة ينتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه فانظر الان الى من خفف عليه واعتبر به من شدد عليه ومهما شككت في شدة عذاب النار فقرب اصبعك من النار وقس ذلك به ثم اعلم انك اخطأت في القياس فان نار الدنيا لا يناسب نار جهنم ولكن لما كان اشد عذاب في الدنيا عذاب هذه النار عرف عذاب جهنم بها وهيهات لو وجد اهل الجحيم مثل هذه النار لخاضوها طائعين هربا مما هم فيه وعن هذا عبر في بعض الاخبار حيث قيل ان نار الدنيا غسلت بسبعين ماء من مياه الرحمة حتى اطاقها اهل الدنيا بل صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفة نار جهنم فقال امر الله تعالى ان يوقد على النار الف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة وقال صلى الله عليه وسلم اشتكت النار الى ربها فقالت يا رب اكل بعضي بعضا فاذن لها في نفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فاشد ما تجدونه في الصيف من حرها واشد ما تجدونه في الشتاء من زمهريرها وقال انس بن مالك رض يؤتى بانعم الناس في الدنيا من الكفار فيقال اغمسوه في النار غمسا ثم يقال له هل رأيت نعيما قط فيقول لا ويؤتى باشد الناس ضرا فيقال اغمسوه في الجنة غمسا ثم يقال له هل رأيت ضرا قط فيقول لا وقال ابو هريرة لو كان في المسجد مائة الف او يزيدون ثم تنفس رجل من اهل النار لماتوا وقد قال بعض العلماء في قوله تعالى تلفح وجوههم النار انها لفحتهم لفحة واحدة فما ابقت لحما على عظم الا القته عند اعقابهم **ثم انظر** بعد هذا الى نتن الصديد الذي يسيل من ابدانهم حتى يغرقون فيه وهو الغساق قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان دلوا من غساق جهنم القي في الدنيا لانتن اهل الارض فهذا شرابهم اذا استغاثوا من العطش فيسقى احدهم من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا **ثم انظر** الى طعامهم وهو الزقوم كما قال تعالى ثم انكم ايها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم وقال تعالى انها شجرة تخرج في اصل الجحيم وقال تعالى تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية وقال تعالى وطعاما ذا غصة وقال ابن عباس رض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا لافسدت على اهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه ذلك وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارغبوا فيما رغبكم الله فيه واحذروا وخافوا ما خوفكم الله به من عذابه وعقابه ومن جهنم فانها لو كانت قطرة من الجنة معكم في دنياكم التي انتم فيها لطيبتها لكم ولو كانت قطرة من النار معكم في دنياكم التي انتم فيها لخبثتها عليكم وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى على اهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع ويستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون انهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب فيستغيثون بالشراب فيرفع اليهم الحميم بكلاليب الحديد فاذا دنت من وجوههم شوت وجوههم فاذا دخلت بطونهم قطعت ما في بطونهم فيقولون ادعوا خزنة جهنم قال فيدعون خزنة جهنم ان ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فيقولون اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال قال فيقولون ادعوا مالكا فيدعون فيقولون يا مالك ليقض

علينا ربك قال فيجيبهم انكم ماكثون قال الاعمش انبئت ان بين دعائهم وبين اجابة مالك اياهم الف عام قال فيقولون ادعوا ربكم فلا احد خير من ربكم فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيجيبهم اخسئوا فيها ولا تكلمون قال فعند ذلك يئسوا من كل خير وعند ذلك اخذوا في الزفير والحسرة والويل قال ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ويسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب اليه فيكرهه فاذا ادني منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه واذا شربه قطع امعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه فهذا طعامهم وشرابهم عند جوعهم وعطشهم **فانظر** الان الى حيات جهنم وعقاربها والى شدة سمومها وعظم اشخاصها وفظاعة منظرها وقد سلطت على اهلها واغريت بهم فهي لا تفتر عن النهش واللدغ ساعة واحدة قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعني شدقيه يقول انا مالك انا كنزك ثم تلا قوله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله وقال صلى الله عليه وسلم ان في النار حيات مثل اعناق البخت يلسعن اللسعة فيجد حموتها اربعين خريفا وهذه العقارب والحيات انما تسلط على من سلطه في الدنيا البخل وسوء الخلق وايذاء الناس ومن وقي ذلك وقي هذه الحيات فلم تمثل له **ثم تفكر** بعد هذا كله في عظم اجسام اهل النار فان الله تعالى يزيد في اجسامهم واشخاصهم طولا وعرضا حتى يتزايد عذابهم بسببها فيحسون بلفح النار ولدغ العقارب والحيات من جميع اجزائهم دفعة واحدة على التوالي قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر في النار مثل احد وغلظ جلده مسيرة ثلاث وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شفته السفلى ساقطة على صدره والعليا قالصة قد غطت وجهه وقال عليه السلام ان الكافر ليجر لسانه في سجين يوم القيامة تتوطأه الناس وهو مع عظم الاجسام كذلك تحرقهم النار كرات فيجدد جلودهم ولحومهم قال الحسن كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها قال تأكلهم النار كل يوم سبعين الف مرة كلما اكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا **ثم تفكر** الان في بكاء اهل النار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم ولها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل على اهل النار البكاء فيبكون حتى ينقطع الدمع ثم يبكون الدم حتى يبقى في وجوههم كهيئة الاخدود لو ارسلت فيها السفن لجرت وما داموا يؤذن لهم في البكاء والشهيق والزفير والدعوة بالويل والثبور فلهم فيه مستروح ولكنهم يمنعون ايضا من ذلك قال محمد بن كعب لاهل النار خمس دعوات يجيبهم الله تعالى في اربعة فاذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها ابدا فيقولون ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل فيقول الله تعالى مجيبا لهم ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ثم يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا فيجيبهم الله تعالى اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال فيقولون ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فيجيبهم الله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير ثم يقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا فيجيبهم الله تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها ابدا وذلك غاية شدة العذاب قال مالك بن انس قال زيد بن اسلم في قوله تعالى سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص قال صبروا مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة اخرى ثم قالوا سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقال صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت يوم القيامة كانه كبش املح فيذبح فيقال يا اهل الجنة خلود لا موت يا اهل النار خلود لا موت وعن الحسن انه يخرج من النار رجل بعد الف عام وليتني كنت ذلك الرجل ورئي الحسن جالسا في زاوية وهو يبكي فقيل له لم تبكي قال

اخشى ان تطرحني في النار وانا باتي في هذه اصناف عذاب جهنم على الجملة وتفصيل غمومها واحزانها ومحنها وحسراتها لا نهاية لها فاعظم الامور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب فوت الجنة وفوت لقاء الله تعالى وفوت رضاه مع علمهم بانهم باعوا كل ذلك بثمن بخس دراهم معدودة اذ لم يبيعوها الا بشهوات حقيرة في الدنيا ايام قصيرة وكانت غير صافية بل كانت مكدرة منغصة فيقولون في انفسهم واحسرتاه كيف اهلكنا انفسنا بعصيان ربنا كيف لم نكلف انفسنا الصبر اياما قلائل ولو صبرنا لكانت قد انقضت علينا وبقينا الان في جوار الرحمن متنعمين بالرضا والرضوان فيا حسرة هؤلاء وقد فاتهم ما فاتهم وبلوا بما بلوا ولم يبق معهم شيء من نعيم الدنيا ولذاتها ثم انهم لو لم يشاهدوا نعيم الجنة لم يعظم حسرتهم لكنها تعرض عليهم فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى يوم القيامة بناس الى الجنة حتى اذا دنوا منها واستنشقوا من روائحها ونظروا الى قصورها والى ما اعد الله لاهلها نودوا ان اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة ما رجع الاولون بمثلها فيقولون يا ربنا لو ادخلتنا النار قبل ان ترينا ما اريتنا من ثوابك وما اعددت فيها لاوليائك كان اهون علينا قال ذلك اردت بكم كنتم اذا خلوتم بارزتموني بالعظائم واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراؤون الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني واجللتم الناس ولم تجلوني وتركتم للناس ولم تتركوا لي فاليوم اذيقكم العذاب الاليم مع ما حرمتم من الثواب المقيم قال احمد بن حرب ان احدنا يؤثر الظل على الشمس ثم لا يؤثر الجنة على النار وقال عيسى عليه الصلاة والسلام كم من جسد صحيح ووجه صبيح ولسان فصيح غدا بين اطباق النيران يصيح وقال داود الهي لا صبر لي على حر شمسك فكيف صبري على حر نارك ولا صبر لي على صوت رحمتك فكيف على صوت عذابك **فانظر** يا مسكين في هذه الاهوال واعلم ان النار خلقها الله تعالى باهوالها وخلق لها اهلا لا يزيدون ولا ينقصون وان هذا امر قد قضي وفرغ منه قال الله تعالى وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة ولعمري الاشارة الى يوم القيامة ولكن ما قضي في الازل لا يظهر الا يوم القيامة ما سبق له القضاء **فالعجب** منك كيف تضحك وتلهو وتشتغل بمحقرات الدنيا ولست تدري ان القضاء بماذا سبق في حقك **فان قلت** فليت شعري ماذا موردي والى ماذا مآلي ومرجعي وما الذي سبق به القضاء في حقي فلك علامة تستانس بها وتصدق رجاءك بسببها وهو ان تنظر الى احوالك واعمالك فان كلا ميسر لما خلق له فان كان قد يسر لك سبيل الخير فابشر فانك مبعد عن النار وان كنت لا تقصد خيرا الا ويحيط به العوائق فتدفعه ولا تقصد شرا الا ويتيسر لك اسبابه فاعلم انك مقضي عليك فان دلالة هذا على العاقبة كدلالة المطر على النبات ودلالة الدخان على النار فقد قال الله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم فاعرض نفسك على الايتين وقد عرفت مستقرك من الدارين

صفة الجنة واصناف نعيمها

اعلم ان تلك الدار التي عرفت غمومها وشرورها تقابلها الدار الاخرى فتامل نعيمها وسرورها فان من بعد من احداها استقر لا محالة في الاخرى فاستثر الخوف من قلبك بطول الفكر في اهوال الجحيم واستثر الرجاء بطول الفكر في النعيم المقيم الموعود لاهل الجنان وسق نفسك بسوط الخوف وقدها بزمام الرجاء الى الصراط المستقيم فبذلك تنال الملك العظيم وتسلم من العذاب الاليم وتفكر في اهل الجنة وفي وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك جالسين على منابر من الياقوت الاحمر في خيام من اللؤلؤ الرطب الابيض فيها بسط من العبقري الاخضر متكئين على ارائك منصوبة على اطراف انهار مطردة بالخمر والعسل محفوفة بالغلمان والولدان مزينة بالحور العين من الخيرات الحسان كانهن الياقوت والمرجان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان يمشين في درجات الجنان اذا اختالت احداهن في مشيها حمل اعطافها سبعون الفا من الولدان عليها من طرائف الحرير الابيض ما تتحير فيه الابصار مكللات بالتيجان المرصعة باللؤلؤ والمرجان شكلات غنجات عطرات امنات من الهرم والبؤس مقصورات في قصور من الياقوت بنيت وسط روضات الجنان قاصرات الطرف عين ثم يطاف عليهم وعليهن باكواب واباريق وكاس من معين بيضاء لذة للشاربين ويطوف عليهم خدام وولدان كامثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون في مقام امين في جنات وعيون في نهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ينظرون فيها الى وجه الملك الكريم وقد اشرقت في وجوههم نضرة النعيم لا يرهقهم قتر ولا ذلة بل عباد مكرمون وبانواع التحف من ربهم يتعاهدون فهم فيما اشتهت انفسهم خالدون لا يخافون فيها ولا يحزنون وهم من ريب المنون امنون فهم فيها يتنعمون ويتمتعون ويأكلون من اطعمتها ويشربون من انهارها لبنا وخمرا وعسلا في انهار اراضيها من فضة وحصباؤها مرجان وعلى ارض ترابها مسك اذفر ونباتها زعفران ويمطرون من سحاب فيها من ماء النسرين على كثبان الكافور ويؤتون باكواب من فضة مرصعة بالدر والياقوت والمرجان كوب فيه من الرحيق المختوم ممزوج به السلسبيل العذب كوب يشرق من نوره من صفاء جوهره يبدو الشراب من ورائه برقته وحمرته لم يصنعه ادمي فيقصر في تسوية صنعته وتحسين صناعته في كف خادم يحكي ضياء وجهه الشمس في اشراقها ولكن من اين للشمس مثل حلاوة صورته وحسن صداغه وملاحة احداقه فيا عجبا لمن يؤمن بدار هذه صفتها ويوقن انه لا يموت اهلها ولا تحل الفجائع بمن نزل بفنائها ولا تنظر الاحداث بعين التغيير الى اهلها كيف يانس بدار قد اذن الله في خرابها ويتهنأ بعيش دونها والله لو لم يكن فيها الا سلامة الابدان مع الامن من الموت والجوع والعطش وسائر اصناف الحدثان لكان جديرا بان يهجر الدنيا بسببها وان لا يؤثر عليها ما التصرم والتنغص من ضرورته كيف واهلها ملوك امنون وفي انواع السرور يتمتعون لهم فيها ما يشتهون وهم في كل يوم بفناء العرش يحضرون والى وجه الكريم ينظرون وينالون بالنظر الى الله ما لا ينظرون معه الى سائر نعيم الجنات ولا يلتفتون وهم على الدوام من اصناف هذه النعم مترددون وهم من زوالها امنون **قال** ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي مناد يا اهل الجنة ان لكم ان تصحوا فلا تسقموا ابدا وان لكم ان تحيوا فلا تموتوا ابدا وان لكم ان تشبوا فلا تهرموا ابدا وان لكم ان تنعموا فلا تباسوا ابدا فذلك قوله تعالى ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون ومهما اردت ان تعرف صفة الجنة فاقرأ القرآن فليس وراء بيان الله بيان واقرأ من قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان الى اخر سورة الرحمن واقرأ سورة الواقعة وغيرها من السور وان اردت ان تعرف تفصيل صفاتها من الاخبار فتامل الان تفصيلها بعد ان اطلعت على جملتها وتامل اولا عدد الجنات **قال** رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان قال جنتان من فضة انيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب انيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن **ثم انظر** الى ابواب الجنة فانها كثيرة بحسب اصول الطاعات كما ان ابواب النار بحسب اصول المعاصي قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق زوجين من ماله في سبيل الله دعي من ابواب الجنة وللجنة ثمانية ابواب فمن كان من اهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من اهل الصيام دعي من باب الريان ومن كان من اهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من اهل الجهاد دعي من باب الجهاد فقال ابو بكر والله ما على احد من ضرورة من ايها دعي فهل يدعى احد منها كلها فقال نعم وارجو ان تكون منهم وعن عاصم بن ضمرة عن علي كرم الله وجهه انه ذكر النار فعظم امرها ذكرا لا احفظه ثم قال وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا انتهوا الى باب من ابوابها وجدوا عنده شجرة تخرج من تحت ساقها عينان تجريان فعمدوا الى احداهما كانما امروا به فشربوا منها فاذهبت ما في بطونهم من اذى او باس ثم عمدوا الى الاخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلم تغير اشعارهم بعدها ولا تشعث رؤوسهم كانما دهنوا بالدهان ثم انتهوا الى الجنة فقالوا سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ثم تلقاهم الولدان يطوفون بهم كما يطيف ولدان اهل الدنيا بالحميم يقدم عليهم من غيبة يقولون له ابشر بما اعد الله لك من الكرامة كذا ثم قال فينطلق غلام من اولئك الولدان الى بعض ازواجه من الحور العين فيقول قد جاء فلان باسمه الذي كان يدعى به في الدنيا فتقول انت رأيته فيقول انا رأيته وهو باثري فيستخفها الفرح حتى تقوم الى اسكفة بابها فاذا انتهى الى منزله نظر الى اساس بنيانه فاذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح اخضر واحمر واصفر من كل لون ثم يرفع راسه فينظر الى سقفه فاذا مثل البرق فلولا ان الله تعالى قدره له لالم ان يذهب ببصره ثم طاطا راسه فاذا ازواجه واكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة ثم اتكأ فقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله ثم ينادي مناد تحيون فلا تموتون ابدا وتقيمون فلا

يطعمون ابدا وينعمون ولا يموتون ابدا وقال صلى الله عليه وسلم آتي يوم القيامة باب الجنة واستفتح فيقول الخازن من انت فاقول محمد فيقول بك امرت ان لا افتح لاحد قبلك **ثم تامل الآن** في ما عند الجنة واختلاف درجات العلو فيها وان الآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا وكما ان بين الناس في الطاعات الظاهرة والاخلاق المحمودة تفاوت ظاهر فكذلك فيما يجازون به تفاوت ظاهر فان كنت تطلب اعلى الدرجات فاجتهد ان لا يسبقك احد بطاعة الله تعالى فقد امر الله تعالى بالمسابقة والمنافسة فيها فقال تعالى وسابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض وقال وفي ذلك فليتنافس المتنافسون والعجب انه لو تقدم عليك اقرانك وجيرانك بزيادة درهم او بعلو بناء ثقل عليك ذلك وضاق به صدرك وتنغص بسبب الحسد عيشك واحسن احوالك ان تستقر في الجنة وانت لا تسلم فيها من اقوام يسبقونك بلطائف لا توازيها الدنيا بحذافيرها فقد قال ابو سعيد الخدري رض قال رسول الله عليه الصلاة والسلام ان اهل الجنة ليتراءون اهل الغرف فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري في الافق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وقال ايضا ان اهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في افق من آفاق السماء وان ابا بكر وعمر منهم وانعما وقال جابر قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا احدثكم بغرف الجنة غرف من اصناف الجوهر كله يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وفيها من النعيم واللذات والسرور ما لا عين رأت ولا اذن سمعت قال قلنا يا رسول الله لمن هذه الغرف قال لمن افشى السلام واطعم الطعام وادام الصيام وصلى بالليل والناس نيام قال قلنا يا رسول الله ومن يطيق ذلك قال امتي تطيق ذلك وسأخبركم عن ذلك من لقي اخاه فسلم عليه او رد عليه فقد افشى السلام ومن اطعم اهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد اطعم الطعام ومن صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلثة ايام فقد ادام الصيام ومن صلى العشاء الآخرة وصلى الغداة في جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام يعني اليهود والنصارى والمجوس وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن قال قصور من لؤلؤ في كل قصر سبعون دارا من ياقوت احمر في كل دار سبعون بيتا من زمرد اخضر في كل بيت سرير على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام في كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن في كل غداة يعني من القوة ما يأتي على ذلك اجمع

صفة حائط الجنة واشجارها وانهارها وارضها

تامل في صورة الجنة وتذكر غبطة اهلها وحسرة من حرمها بالقناعة بالدنيا عوضا عنها قال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة [illegible] الزعفران وطينها مسك وسئل عن تربة الجنة فقال درمكة بيضاء مسك خالص وقال ابو هريرة من سره ان يسقيه الله الخمر في الآخرة فليتركها في الدنيا ومن سره ان يكسوه الله الحرير في الآخرة فليتركه في الدنيا انهار الجنة تتفجر من تحت تلال او تحت جبال المسك ولو كان ادنى اهل الجنة حلية عدلت حليته حلية اهل الدنيا جميعا لكان ما يحليه الله تعالى به في الآخرة افضل من حلية اهل الدنيا جميعا وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها اقرأوا ان شئتم وظل ممدود وقال ابو امامة كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون ان الله عز وجل ينفعنا بالاعراب ومسائلهم اقبل اعرابي فقال يا رسول الله قد ذكر الله تعالى في القرآن شجرة موذية وما كنت ارى في الجنة شجرة موذية تؤذي صاحبها فقال صلى الله عليه وسلم وما هي قال السدر فان له شوكا فقال قال الله تعالى في سدر مخضود يخضده الله تعالى شوكه فيجعل مكان كل شوكة ثمرة تتفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لونا من طعام ما فيها لون يشبه الآخر وقال جرير بن عبد الله نزلنا الصفاح فاذا رجل نائم تحت شجرة قد كادت الشمس تبلغه فقلت للغلام انطلق بهذا النطع فاظله فلما استيقظ اذا هو سلمان فاتيته اسلم عليه فقال يا جرير تواضع لله فانه من تواضع لله في الدنيا رفعه الله تعالى يوم القيامة هل تدري ما الظلمات يوم القيامة قلت لا ادري قال ظلم الناس بينهم ثم اخذ عويدا لا اكاد اراه من صغره فقال يا جرير لو طلبت في الجنة مثل هذا لم تجده قلت يا ابا عبد الله اين النخل والشجر قال اصولها اللؤلؤ والذهب واعلاها الثمر

صفة لباس اهل الجنة وفرشهم

وسررهم وارائكهم وخيامهم قال الله تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير والآيات في تفصيل ذلك كثير واما تفصيله في الاخبار فقد روى ابو هريرة رض ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من يدخل الجنة ينعم ولا يبؤس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه في الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فقال رجل يا رسول الله اخبرنا عن ثياب اهل الجنة اتخلق خلقا ام تنسج نسجا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك بعض القوم فقال لهم مم تضحكون من جاهل سأل عالما ثم قال بل تشقق عنها ثمر الجنة مرتين وقال ابو هريرة قال عليه الصلاة والسلام اول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون آنيتهم وامشاطهم من الذهب والفضة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقيها من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشيا وفي رواية انه على كل زوجة سبعون حلة قال عم في قوله تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب قال عم ان عليهم التيجان ان ادنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب وقال عم الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا في كل زاوية منها للمؤمن اهل لا يراهم الآخرون رواه البخاري في الصحيح قال ابن عباس رض الخيمة درة مجوفة طولها فرسخ وعرضها فرسخ ولها اربعة آلاف مصراع من ذهب وقال ابو سعيد قال عم في قوله تعالى وفرش مرفوعة قال ما بين الفراشين كما بين السماء والارض

صفة طعام اهل الجنة

طعام اهل الجنة مذكور في القرآن من الفواكه والطيور السمان والمن والسلوى والعسل واللبن واصناف كثيرة لا تحصى قال تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به متشابها وذكر الله تعالى شراب اهل الجنة في مواضع كثيرة وقد قال ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت قائما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء حبر من احبار اليهود فذكر اسئلة له الى ان قال فمن اول الناس اجازة يعني على الصراط فقال فقراء المهاجرين فقال اليهودي فما تحفتهم حين يدخلون الجنة قال زيادة كبد النون قال فما غذاؤهم على اثرها قال ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من اطرافها قال فما شرابهم عليه قال من عين فيها تسمى سلسبيلا فقال صدقت وقال زيد بن ارقم جاء رجل من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابا القاسم الست تزعم ان اهل الجنة يأكلون فيها ويشربون وقال لاصحابه ان اقر لي بهذا خصمته فقال صلى الله عليه وسلم بلى والذي نفسي بيده ان احدهم ليعطى قوة مائة رجل في المطعم والمشرب والجماع فقال اليهودي ان الذي يأكل ويشرب يكون له الحاجة فقال عليه الصلاة والسلام حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل المسك فاذا البطن قد ضمر قال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتنظر الى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويا وقال حذيفة قال صلى الله عليه وسلم ان في الجنة طيرا امثال البخاتي قال ابو بكر انها لناعمة يا رسول الله قال انعم منها من يأكلها وانت ممن يأكلها يا ابا بكر وقال عبد الله بن عمر في قوله تعالى يطاف عليهم بصحاف من ذهب قال يطاف عليهم بسبعين صحيفة من ذهب كل صحيفة فيها لون ليس في الاخرى وقال عبد الله بن مسعود ومزاجه من تسنيم يمزج لاصحاب اليمين ويشربها المقربون صرفا وقال ابو الدرداء في قوله تعالى ختامه مسك قال هو شراب ابيض مثل الفضة يختمون به آخر شرابهم لو ان رجلا من اهل الدنيا ادخل يده فيه ثم اخرجها لم يبق ذو روح الا وجد ريح طيبها

صفة الحور والولدان

قد تكرر في القرآن اوصافهن ووردت الاخبار بزيادة شرح فيه وروى انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لغدوة في سبيل الله او روحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس احدكم او موضع قدمه من الجنة خير من الدنيا وما فيها ولو ان امرأة من نساء الجنة اطلعت الى الارض لاضاءت ولملأت ما بينهما رائحة ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها يعني الخمار وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى كأنهن الياقوت والمرجان قال ينظر الى وجهها في خدرها اصفى من المرآة وان ادنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب وانه يكون عليها سبعون ثوبا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اسري بي دخلت في الجنة موضعا يسمى البيذخ عليه خيام اللؤلؤ والزبرجد

لاخضر والياقوت الاحمر فقلن السلام عليك يا رسول الله فقلت يا جبريل ما هذا النداء قال هؤلاء المقصورات في الخيام
استأذن ربهن في السلام عليك فأذن لهن فطفقن يقلن نحن الراضيات فلا نسخط ابدا ونحن الخالدات فلا
نظعن ابدا وقرأ صلى الله عليه وسلم حور مقصورات في الخيام وقال مجاهد في قوله تعالى وازواج مطهرة يعني من الحيض
والغائط والبول والبصاق والنخامة والنجاسة والمني والولد وقال الاوزاعي في شغل فاكهون قال
شغلهم افتضاض الابكار وقال رجل يا رسول الله ايباضع اهل الجنة قال يعطى الرجل منهم من القوة في اليوم الواحد
افضل من سبعين منكم وقال عبد الله بن عمر ان ادنى اهل الجنة منزلة من يسعى معه الف خادم كل خادم على عمل ليس عليه
صاحبه وقال عليه الصلاة والسلام ان الرجل من اهل الجنة ليتزوج خمسمائة حوراء واربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيب
يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا وقال عليه الصلاة والسلام ان في الجنة سوقا ما فيها بيع ولا شراء الا الصور
من الرجال والنساء فاذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها وان فيها لمجتمع الحور العين يرفعن اصواتا لم يسمع
الخلائق بمثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط وطوبى لمن كان
لنا وكنا له وقال يحيى بن كثير في قوله تعالى في روضة يحبرون قال السماع في الجنة قال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الحور في الجنة يتغنين يقلن نحن الحور الحسان خبئنا لازواج كرام وقال ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من عبد يدخل الجنة الا ويجلس عند رأسه وعند رجليه ثنتان من الحور العين تغنيانه باحسن صوت يسمعه الانس والجن وليس بمزامير
الشيطان وليس بمزامير الشيطان ولكن بتحميد الله وتقديسه.

بيان جملة متفرقة من اوصاف اهل الجنة

وردت بها الاخبار روى اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه الا مشمر للجنة ان الجنة لا خطر لها
هي ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وفاكهة كثيرة نضيجة وزوجة حسناء
جميلة وحبرة ونعمة في مقام ابدا ونضرة في دار عالية بهية سليمة قالوا نحن المشمرون لها يا رسول الله قال قولوا
ان شاء الله تعالى ثم ذكر الجهاد وحض عليه وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هل في الجنة خيل فانها تعجبني قال
ان احببت ذلك اتيت بفرس من ياقوتة حمراء فتطير بك في الجنة حيث شئت وقال له رجل آخر ان الابل
تعجبني فهل في الجنة من ابل فقال يا عبد الله ان ادخلت الجنة فلك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عيناك
وروى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل من اهل الجنة ليولد له الولد كما يشتهي ويكون حمله وفصاله
ونشأته في ساعة واحدة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استقر اهل الجنة في الجنة اشتاق الاخوان الى الاخوان فيسير
سرير هذا الى سرير هذا فيلتقيان فيتحدثان ما كان بينهما في دار الدنيا فيقول يا اخي تذكر يوم كذا في مجلس كذا فدعونا
الله فغفر لنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجنة جرد مرد بيض جعاد مكحلون ابناء ثلاث وثلاثين على خلق
آدم طولهم ستون ذراعا في عرض سبعة اذرع وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادنى اهل الجنة الذي له ثمانون الف خادم واثنتان
وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية وصنعاء وان عليهم التيجان وان
ادنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب وقال عليه الصلاة والسلام نظرت الى الجنة فاذا الرمانة من
رمانها كجلد البعير المقتب واذا طيرها كالبخت واذا فيها جارية فقلت يا جارية لمن انت قالت لزيد بن حارثة
واذا في الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال كعب خلق الله آدم بيده وكتب التوراة بيده
وغرس اشجار الجنة بيده ثم قال لها تكلمي فقالت قد افلح المؤمنون فهذه صفات اهل الجنة ذكرناها جملة ثم نقلناها
تفصيلا وقد ذكر الحسن البصري جملتها فقال ان رمانها مثل الدلاء وان انهارها من ماء غير آسن وانهارا من لبن لم يتغير
طعمه وانهارا من عسل مصفى لم تصفه الرجال وانهارا من خمر لذة للشاربين لا تسفه الاحلام ولا يصدعون منها
الرؤوس وان فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ملوك ناعمين ابناء ثلث وثلاثين سنة في سن

واحد طولهم ستون ذراعا في السماء كحل جرد مرد قد امنوا العذاب واطمأنت بهم الدار وان انهارها لتجري على رضراض
من ياقوت وزبرجد وان عروقها ونخلها وكرمها اللؤلؤ وثمارها لا يعلم علمها الا الله تعالى وان ريحها ليوجد من مسيرة
خمسمائة عام وان لهم فيها خيلا وابلا هفافة رحالها وازمتها وسروجها من ياقوت يتزاورون فيها وازواجهم الحور العين
كأنهن بيض مكنون وان المرأة لتأخذ بين اصبعيها سبعين حلة فيلبسها فيرى مخ ساقها من وراء تلك السبعين حلة قد
طهر الله الاخلاق من السوء والاجساد من الموت لا يمتخطون فيها ولا يبولون فيها ولا يتغوطون وانما هو جشاء ورشح
مسك لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا اما انه ليس ليل يكر الغدو على الرواح والرواح على الغدو وان آخر من يدخل
الجنة وادناهم منزلة ليمد له في بصره وملكه مسيرة مائة عام في قصور الذهب والفضة وخيام اللؤلؤ ويفسح له في بصره
حتى ينظر الى اقصاه كما ينظر الى ادناه يغدى عليهم بسبعين الف صحيفة من ذهب ويراح عليهم بمثلها في كل صحيفة لون
ليس في الاخرى يجد طعم آخره كما يجد طعم اوله وان له في الجنة لياقوتة فيها سبعون الف دار في كل دار سبعون الف بيت
ليس فيها صدع ولا نصب وقال مجاهد ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن يسير في ملكه الف سنة يرى اقصاه كما
يرى ادناه وارفعهم الذي ينظر الى ربه بالغداة والعشي وقال سعيد بن المسيب ليس احد من اهل الجنة الا وفي يده ثلاثة
اسورة سوار من ذهب وسوار من لؤلؤ وسوار من فضة وقال ابو هريرة ان في الجنة حوراء يقال لها العيناء
اذا مشت مشى عن يمينها ويسارها سبعون الف وصيفة وهي تقول اين الآمرون بالمعروف والناهون عن
المنكر وقال يحيى بن معاذ ترك الدنيا شديد وفوت الجنة اشد وترك الدنيا مهر الآخرة وقال ايضا في طلب الدنيا ذل
النفوس وفي طلب الجنة عز النفوس فيا عجبا لمن يختار المذلة في طلب ما يفنى ويترك العز في طلب ما يبقى.

صفة الرؤية والنظر الى وجه الله تعالى

قال الله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وهذه
الزيادة هي النظر الى وجه الله الكريم وهي اللذة الكبرى التي ينسى فيها نعيم اهل الجنة وقد ذكرنا حقيقتها في كتاب المحبة
وقد شهد لها الكتاب والسنة على خلاف ما يعتقده اهل البدعة قال جرير بن عبد الله البجلي كنا جلوسا عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فرأى القمر ليلة البدر فقال انكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا
تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وهو مخرج في الصحيحين وروى مسلم في الصحيح عن صهيب قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم
قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار نادى مناد يا اهل الجنة ان لكم عند الله موعدا
يريد ان ينجزكموه قالوا ما هذا الموعد الم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار قال
فيرفع الحجاب وينظرون الى وجه الله عز وجل فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر اليه وقد روى حديث الرؤية جماعة
من الصحابة وهذه هي الغاية الحسنى ونهاية النعمى وكل ما فصلناه من النعيم عند هذه النعمة ينسى وليس لسرور
اهل الجنة غاية عند سعادة اللقاء ولا منتهى بل لا نسبة لشيء من لذات الجنة الى لذة اللقاء وقد اوجزنا الكلام هنا لما فصلناه
في كتاب المحبة والشوق والرضا ولا ينبغي ان يكون همة العبد من الجنة سوى لقاء المولى فاما سائر نعيم الجنة فانه يشارك فيه البهيمة
المسرحة في المرعى. فلنختم الكتاب

باب في سعة رحمة الله تعالى على سبيل التفاؤل

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الفأل وليس لنا من الاعمال ما نرجو به المغفرة فنقتدي برسول الله صلى الله عليه وسلم في التفاؤل
ونرجو ان يختم عاقبتنا بالخير في الدنيا والآخرة كما ختمنا الكتاب بذكر رحمة الله تعالى فقد قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وقال تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم
نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ونحن نستغفر الله تعالى من كل ما زلت به القدم او طغى به القلم في كتابنا هذا وفي
كتبنا ونستغفره من اقوالنا التي لا توافقها اعمالنا ونستغفره من اقوالنا التي لا يوافقها اعمالنا ونستغفره مما
ادعيناه واظهرناه من العلم والبصيرة بدين الله تعالى مع التقصير فيه ونستغفره من كل وعد وعدنا به من انفسنا ثم قصرنا

في الوفاء به ونستغفر الله من كل نعمة انعم بها علينا فاستعملناها في معصيته ونستغفره من كل تصريح وتعريض بنقصان ناقص
وتقصير مقصر كنا متصفين به ونستغفره من كل خطرة دعتنا الى تكلف وتصنع تزينا للناس في كتاب سطرناه
وكلام نظمناه او علم افدناه او استفدناه ونرجو بعد ذلك استغفارنا من ذلك كله لنا ولمن طالع في كتابنا هذا او كتبه او سمعه
ان يكرمنا بالرحمة والمغفرة والتجاوز عن جميع السيئات ظاهرا وباطنا فان الكرم عميم والرحمة واسعة والجود على اصناف
الخلائق فايض ونحن خلق من خلق الله ولا وسيلة لنا اليه الا فضله وكرمه فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عز وجل مائة رحمة
انزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والطير والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون واخر تسعا وتسعين رحمة ليوم
القيامة يرحم بها عباده وروي انه اذا كان يوم القيامة اخرج الله تعالى كتابا من تحت العرش فيه ان رحمتي سبقت غضبي وانا ارحم
الراحمين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجلى الله تعالى لنا يوم القيامة ضاحكا فيقول ابشروا معشر المسلمين فانه ليس منكم احد الا
وقد جعلت مكانه في النار يهوديا او نصرانيا وقال صلى الله عليه وسلم يشفع الله تعالى آدم عليه السلام يوم القيامة من جميع ذريته في مائة الف
الف وعشرة الف الف وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقول يوم القيامة للمؤمنين هل احببتم لقائي فيقولون نعم يا ربنا فيقول
لم فيقولون رجونا عفوك ومغفرتك فيقول قد اوجبت لكم مغفرتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله
عز وجل اخرجوا من النار من ذكرني يوما او خافني في مقام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتمع اهل النار في النار ومن شاء الله
تعالى معهم من اهل القبلة قال الكفار للمسلمين الم تكونوا مسلمين قالوا بلى فيقولون ما اغنى عنكم اسلامكم اذ انتم معنا في النار فيقولون
كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فيسمع الله تعالى ما قالوا فيامر باخراج من كان في النار من اهل القبلة فيخرجون فاذا راى ذلك الكفار قالوا
يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما خرجوا ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لله ارحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها وقال جابر بن عبد الله من زادت حسناته على سيئاته يوم القيامة
فذلك الذي يدخل الجنة بغير حساب ومن استوت حسناته وسيئاته يوم القيامة فذلك الذي يحاسب حسابا يسيرا
ثم يدخل الجنة وانما شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن اوبق نفسه واثقل ظهره وروي ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام
يا موسى استغاث بك قارون فلم تغثه وعزتي وجلالي لو استغاث بي لاغثته وعفوت عنه وقال سعد بن بلال يؤمر
يوم القيامة باخراج رجلين من النار فيقول الله تعالى ذلك بما قدمت ايديكما وما انا بظلام للعبيد ويامر بردهما الى النار
فيعدو احدهما في سلاسله حتى يقتحمها ويتلكأ الاخر فيؤمر بردهما ويسألهما عن فعلهما فيقول الذي عدا الى النار قد
حذرت من وبال المعصية فلم اكن لاتعرض لسخطك ثانية ويقول الذي تلكأ حسن ظني بك كان يشعرني ان لا تردني
اليها بعد ما اخرجتني منها فيؤمر بهما الى الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي مناد من تحت العرش يوم القيامة
يا امة محمد اما ما كان لي قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت التبعات فتواهبوا وادخلوا الجنة برحمتي ويروى ان
اعرابيا سمع ابن عباس يقرا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها فقال الاعرابي والله ما انقذكم منها وهو يريد
ان يوقعكم فيها فقال ابن عباس خذوها من غير فقيه وقال الصنابحي دخلت على عبادة بن الصامت وهو في مرض
الموت فبكيت فقال مهلا لم تبكي فوالله ما من حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم فيه خير الا حدثتكموه
الا حديثا واحدا وسوف احدثكموه اليوم وقد احيط بنفسي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من شهد ان لا اله
الا الله وان محمدا رسول الله حرم الله عليه النار وقال عبد الله بن عمرو بن العاص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله يستخلص رجلا من امتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل منها مد البصر ثم يقول
اتنكر من هذا شيئا اظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب قال افلك عذر قال لا يا رب فيقول بلى ان لك عندنا
حسنة وانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فيقول ما هذه البطاقة
مع هذه السجلات فيقول انك لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة

فلا يثقل مع اسم الله شيء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في اخر حديث طويل يصف فيه القيامة والصراط ان الله تعالى
يقول للملائكة من وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه من النار فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها
احدا ممن امرتنا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون
ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا
ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا فكان ابو سعيد يقول ان لم تصدقوني فاقرؤوا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة
يضاعفها قال فيقول الله تعالى شفعت الملائكة وشفعت النبيون وشفع المؤمنون فلم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة فيخرج
منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في افواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون منها كما تخرج
الحبة في حميل السيل الا ترونها تكون مما يلي الحجر او الشجر ما يكون الى الشمس اصفر وما يكون منها الى الظل ابيض فقالوا يا رسول الله كانك كنت
ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم اهل الجنة يقولون هؤلاء عتقاء الله تعالى الذين ادخلهم الجنة بغير عمل عملوه
ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رايتموه فهو لكم فيقولون ربنا اعطيتنا ما لم تعط احدا من العالمين فيقول الله تعالى لكم
عندي افضل من هذا فيقولون يا ربنا اي شيء افضل من هذا فيقول رضاي فلا اسخط عليكم ابدا رواه البخاري ومسلم في
وروى البخاري ايضا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال خرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ف[...] الامم يمر النبي معه الرجل
والنبي معه الرجلان والنبي ليس معه احد والنبي معه الرهط فرايت سوادا كثيرا فقيل [...] ثم قيل هؤلاء سبعون الفا
يدخلون الجنة بغير حساب فتفرق الناس ولم يبين لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكر[...] فاما نحن فولدنا في الشرك
ولكنا امنا بالله ورسوله وهؤلاء ابناؤنا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هم [...] ولا يكتوون ولا يتطيرون
وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة فقال ادع الله ان يجعلني منهم فقال انت منهم ثم قام اخر فقال [...] فقال
سبقك بها عكاشة وعن عمرو بن حزم الانصاري قال تغيب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا لا يخرج الا الى الصلاة
مكتوبة ثم يرجع فلما كان اليوم الرابع خرج الينا فقلنا يا رسول الله احتبست عنا حتى ظننا انه قد حدث حدث قال
لم يحدث الا خير ان ربي عز وجل وعدني ان يدخل من امتي الجنة سبعين الفا لا حساب عليهم واني سالت ربي في هذه الايام الثلاثة
المزيد فوجدت ربي واجدا ماجدا كريما فاعطاني مع كل واحد من السبعين الفا سبعين الفا لا حساب عليهم قال قلت
يا رب افتبلغ امتي هذا قال اكمل العدد من الاعراب وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض لي جبريل في جانب
الحرة فقال بشر امتك انه من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة فقلت يا جبريل وان سرق وان زنى
قال وان سرق وان زنى قلت وان سرق وان زنى قال وان سرق وان زنى وان شرب الخمر وقال ابو الدرداء
صلى الله عليه وسلم يوما ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنى وان سرق يا رسول الله فقال وان رغم انف ابي الدرداء
وقال عليه الصلاة والسلام اذا كان يوم القيامة دفع الى كل مؤمن رجل من اهل الملل فقيل له هذا فداؤك من النار
وروى مسلم في الصحيح عن ابي بردة انه حدث عمر بن عبد العزيز عن ابيه ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يموت رجل مسلم الا
ادخل الله تعالى مكانه النار يهوديا او نصرانيا فاستحلفه عمر بن عبد العزيز بالله الذي لا اله الا هو ثلاث مرات ان اباه حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فحلف له وروي انه وقف صبي في بعض المغازي ينادى عليه فيمن يزيد في يوم صائف شديد الحر فبصرت به امراة في خباء القوم
فاقبلت تشتد واقبل اصحابها خلفها حتى اخذت الصبي والصقته الى بطنها ثم القت ظهرها على البطحاء وجعلته على بطنها تقيه الحر
وقالت ابني ابني فبكى الناس وتركوا ما هم فيه واقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وقف عليهم فاخبروه الخبر فسر برحمتها ثم بشرهم
فقال اعجبتم من رحمة هذه لابنها قالوا نعم قال فان الله تعالى ارحم بكم جميعا من هذه بابنها فتفرق المسلمون على افضل السرور
واعظم البشارة فهذه الاحاديث وما اوردناه في كتاب الرجاء تبشرنا بسعة رحمة الله تعالى فنرجو من الله تعالى ان لا يعاملنا بما
نستحقه ويتفضل علينا بما هو اهله بمنه وكرمه وسعة جوده تم كتاب الموت وبتمامه تم كتاب احياء علوم الدين والله المحمود
على يد اضعف عباد الله والمحتاج الى عفو الله ورحمة الرحمن الفقير الحقير عثمان بن عثمان بن الشيخ عبد الرحمن
المستمد والمعتمد على الطاف الله الصمداني العبد والخادم للشيخ زين العلواني

رسوله محمد

...

بعد كما لا اله

رق وعده

بعد العالمين

ويخرج الميت

رون اللهم اسالكم ايمانا

والمعافاه في الدنيا والاخره ويصلي

ويقول رب اغفر وارحم واعف

عذاب النار ويمشي على هيئته

في السير السريع وهو

اقبل ابو جهل الشفا

كرسعا

يوم القيامه

احدهما في

وبالا

بعد

يا امة

عبدك وهذا مقام العائذ بك من النار، اللهم اجعلني من أكرم وفدك عليك ثم ليحمد الله كثيرا في هذا الموضع وليصل على رسوله محمد
صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الرسل كثيرا وليدع بحوائجه الخاصة وليستغفر الله من ذنوبه كان بعض السلف في هذا الموضع يقول
لمواليه تنحوا عني حتى اقر لربي بذنوبي **والسادس** اذا فرغ من ذلك ينبغي ان يصلي خلف المقام ركعتين
يقرأ في الاولى قل يا ايها الكافرون وفي الثانية الاخلاص وهما ركعتا الطواف قال الزهري مضت السنة ان يصلي لكل
اسبوع ركعتين وان قرن بين اسابيع وصلى ركعتين جاز فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل اسبوع طواف وليدع بعد ركعتي
الطواف وليقل اللهم يسر لي اليسرى وجنبني العسرى واغفر لي في الآخرة والاولى، اللهم اعصمني بألطافك حتى
لا اعصيك واعني على طاعتك بتوفيقك، وجنبني معاصيك واجعلني ممن يحبك ويحب ملائكتك ورسلك ويحب
عبادك الصالحين، اللهم حببني الى ملائكتك ورسلك والى عبادك الصالحين، اللهم فكما هديتني الى الاسلام فثبتني عليه بألطافك
وولايتك، واستعملني بطاعتك وطاعة رسولك واجرني من مضلات الفتن، ثم ليعد الى الحجر وليستلمه وليختم به
الطواف قال صلى الله عليه وسلم من طاف بالبيت اسبوعا وصلى ركعتين فله من الأجر كعتق رقبة هذه كيفية الطواف والواجب
من جملته بعد شروط الصلاة ان يستكمل عدد الطواف سبعا بجميع البيت وان يبتدئ بالحجر ويجعل البيت على يساره وان يطوف
داخل المسجد وخارج البيت لا على الشاذروان ولا في الحجر وان يوالي بين الاشواط ولا يفرقها تفريقا خارجا عن المعتاد
وما عدا هذا فهو سنن وهيئات **الجملة الخامسة في السعي** فاذا فرغ من الطواف فليخرج من باب الصفا وهو في محاذاة
الضلع بين الركن اليماني والحجر فاذا خرج من ذلك الباب وانتهى الى الصفا وهو جبل فيرقى فيه درجات في حضيض الجبل بقدر قامة
الرجل رقى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت له الكعبة وابتداء السعي من اصل الجبل كاف وهذه الزيادة مستحبة ولكن بعض ثلاث
الدرج فينبغي ان لا يخلفها وراء ظهره فلا يكون متمما للسعي واذا ابتدأ من ههنا سعى بينه وبين المروة سبعا وعند رقيه
في الصفا ينبغي ان يستقبل البيت ويقول الله اكبر الله اكبر الحمد لله على ما هدانا الحمد لله بمحامده كلها على جميع نعمه كلها لا اله
الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا اله الا الله وحده صدق وعده
صدق وعده ونصر عبده واعز جنده وهزم الاحزاب وحده لا اله الا الله مخلصين له الدين ولو كره المشركون الحمد لله رب العالمين
فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحي من الميت ويخرج الميت
من الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون اللهم اني اسألك ايمانا
دائما ويقينا صادقا وعلما نافعا وقلبا خاشعا ولسانا ذاكرا واسألك العفو والعافية والمعافاة في الدنيا والآخرة ويصلي
على محمد صلى الله عليه وسلم ويدعو الله بما شاء من حاجته عقيب هذا الدعاء ثم ينزل ويبتدئ السعي وهو يقول رب اغفر وارحم واعف
عما تعلم وانت الاعز الاكرم اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب النار ويمشي على هينته
حتى ينتهي الى الميل الاخضر وهو على زاوية المسجد الحرام فاذا بقي بينه وبين محاذاة الميل ستة اذرع اخذ في السير السريع وهو
الرمل حتى ينتهي الى الميلين الاخضرين ثم يعود الى الهينة فاذا انتهى الى المروة صعدها كما صعد الصفا واقبل بوجهه على الصفا
ودعا بمثل ذلك الدعاء وقد حصل السعي مرة واحدة فاذا عاد الى الصفا ودعا بمثل ذلك حصلت مرتان يفعل ذلك سبعا
ويرمل في موضع الرمل في كل مرة ويسكن في موضع السكون كما سبق وفي كل نوبة يصعد الصفا والمروة فاذا فعل ذلك فقد فرغ
من طواف القدوم والسعي وهما سنتان والطهارة مستحبة للسعي وليست بواجبة بخلاف الطواف واذا سعى فلا ينبغي ان يعيد
السعي بعد الوقوف ويكتفي بهذا ركنا فانه ليس من شرط السعي ان يتأخر عن الوقوف وانما ذلك شرط في طواف الركن نعم شرط كل سعي ان يقع
بعد طواف اي طواف كان **الجملة السادسة** في الوقوف وما قبله الحاج ان انتهى الى عرفات يوم عرفة فلا يشتغل بطواف القدوم
ودخول مكة قبل الوقوف وان دخل مكة فاذا وصل قبل ذلك بايام وطاف طواف القدوم فيمكث محرما الى اليوم السابع
من ذي الحجة فيخطب الامام بمكة خطبة بعد الظهر عند الكعبة ويأمر الناس بالاستعداد للخروج الى منى يوم التروية
والمبيت بها والغدو منها الى عرفة لاقامة فرض الوقوف بعد زوال الشمس اذ وقت الوقوف من الزوال الى طلوع الفجر
الصادق من يوم النحر فينبغي ان يخرج الى منى ملبيا ويستحب له المشي من مكة في المناسك الى انقضاء حجه ان قدر
عليه والمشي من مسجد ابراهيم صلى الله عليه وسلم الى الموقف افضل وآكد فاذا انتهى الى منى قال اللهم هذا منى فامنن علي بما مننته

به علاوليائك واهل طاعتك ولتمكث هذه الليلة بمنى وهو مبيت منزل لا يتعلق به نسك فاذا اصبح يوم عرفة صلى
الصبح فاذا طلعت الشمس على ثبير سار الى عرفات ويقول اللهم اجعلها خير غدوة غدوتها قط واقربها من رضوانك وابعدها
من سخطك اللهم اليك غدوت واياك اعتمدت ووجهك اردت فاجعلني ممن تباهي به اليوم من هو خير مني وافضل
فاذا اتى عرفات فليضرب خباءه بنمرة قريبا من المسجد ثم ضرب على اسماعيل قبته ونمرة هي بطن عرفة دون
الموقف ودون عرفة وليغتسل للوقوف فاذا زالت الشمس خطب الامام خطبة وقعد واخذ المؤذن في الاذان والامام في الخطبة
الثانية ووصل الاذان بالاقامة وفرغ الامام مع تمام اقامة المؤذن ثم جمع بين الظهر والعصر باذان واقامتين
وقصر الصلاة وراح الى الموقف فليقف بعرفة ولا يقفن في وادي عرنة واما مسجد ابراهيم وصدره في الوادي واخرياته
من عرفة فمن وقف في صدر المسجد لم يحصل له الوقوف بعرفة وتميز مكان عرفة من المسجد بصخرات كبار فرشت والافضل ان يقف
عند الصخرات بقرب الامام مستقبلا للقبلة راكبا وليكثر من انواع التحميد والتسبيح والتهليل والثناء على الله تعالى والدعاء والتوبة
ولا يصوم في هذا اليوم ليقوى على المواظبة على الدعاء ولا يقطع التلبية يوم عرفة بل المستحب ان يلبي تارة ويكب على الدعاء اخرى
ولا ينبغي ان ينفصل من طرف عرفة الا بعد الغروب ليجمع في عرفة بين الليل والنهار فان امكنه الوقوف يوم الثامن ساعة عند امكان
الغلط في الهلال فهو الحزم وبه امن من الفوات ومن فاته الوقوف حتى طلع الفجر يوم النحر فقد فاته الحج فعليه ان يتحلل من احرامه باعمال
العمرة ثم يريق دما لاجل الفوات ثم يقضي وليكن اهم اشتغاله في هذا اليوم الدعاء ففي مثل تلك البقعة ومثل ذلك الجمع ترجى
اجابة الدعوات **والدعاء الماثور** عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن السلف في يوم عرفة اولى ما يدعو به **فليقل** لا اله الا الله وحده
لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير اللهم اجعل في قلبي نورا وفي سمعي
نورا وفي بصري نورا اللهم اشرح لي صدري ويسر لي امري ويقول اللهم رب الحمد لك الحمد كالذي نقول وخير مما نقول لك صلاتي ونسكي
ومحياي ومماتي لله رب العالمين واليك مآبي واليك ثوابي اللهم اني اعوذ بك من وساوس الصدور وشتات الامر وعذاب
القبر اللهم اني اعوذ بك من شر ما يلج في الليل وشر ما يلج في النهار ومن شر ما تهب به الرياح ومن شر بوائق الدهر اللهم اني اعوذ بك
من تحول عافيتك وفجاءة نقمتك وجميع سخطك اللهم اهدني بالهدى واغفر لي في الاخرة والاولى يا خير مقصود وايسر منزول
عليه واكرم مسؤول ما لديه اعطني العشية افضل ما اوتيت احدا من خلقك وحجاج بيتك يا ارحم الراحمين اللهم يا رفيع الدرجات
ويا منزل البركات ويا فاطر الارضين والسموات ضجت اليك الاصوات بصنوف اللغات تسالك الحاجات وحاجتي اليك ان لا تنساني
في دار البلاء اذا نسيني اهل الدنيا اللهم انك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سري وعلانيتي ولا يخفى عليك شيء من امري
انا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المعترف بذنبه اسالك مسالة المسكين وابتهل اليك ابتهال
المذنب الذليل وادعوك دعاء الخائف الضرير دعاء من خضعت لك رقبته وفاضت لك عبرته وذل لك جسده
ورغم لك انفه اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رؤوفا رحيما يا خير المسؤولين واكرم المعطين الهي
من مدح اليك نفسه فاني لائم نفسي الهي اخرست المعاصي لساني فما لي وسيلة من عمل ولا شفيع سوى الامل الهي اني
اعلم ان ذنوبي لم تبق لي عندك جاها ولا للاعتذار وجها ولكنك اكرم الاكرمين الهي ان لم اكن اهلا ان ابلغ
رحمتك فان رحمتك اهل ان تبلغني رحمتك وسعت كل شيء وانا شيء الهي ان ذنوبي وان كانت عظاما ولكنها صغار
في جنب عفوك فاغفرها لي يا كريم الهي انت انت وانا انا انا العواد الى الذنوب وانت العواد الى المغفرة الهي
ان كنت لا ترحم الا اهل طاعتك فالى من يفزع المذنبون الهي تجنبت عن طاعتك عمدا وتوجهت الى معصيتك
قصدا فسبحانك ما اعظم حجتك علي واكرم عفوك عني فبوجوب حجتك علي وانقطاع حجتي وفقري اليك وغناك
عني الا غفرت لي يا خير من دعاه داع وافضل من رجاه راج بحرمة الاسلام وبذمة محمد عليه السلام اتوسل اليك فاغفر
لي جميع ذنوبي واصرفني من موقفي هذا مقضي الحوائج وهب لي ما سالت وحقق رجائي فيما تمنيت الهي دعوتك بالدعاء
الذي علمتنيه فلا تحرمني الرجاء الذي عرفتنيه الهي ما انت صانع العشية بعبد مقر بذنبه خاشع لك بذله
مستكين بجرمه متضرع اليك من عمله تائب اليك من اقترافه مستغفر لك من ظلمه مبتهل اليك في العفو عنه طالب
اليك في نجاح حوائجه راج اليك في موقفه مع كثرة ذنوبه فيا ملجأ كل حي وولي كل مؤمن من احسن فبرحمتك

يفوز ومن اساء فبخطيئته يهلك اللهم اليك خرجنا وبفنائك انخنا واياك املنا وما عندك طلبنا
ولاحسانك تعرضنا ورحمتك رجونا ومن عذابك اشفقنا ولبيتك الحرام حججنا يا من يملك حوائج السائلين
ويعلم ضمائر الصامتين يا من ليس معه رب يدعى ويا من ليس فوقه خالق يخشى ويا من ليس له وزير يؤتى ولا
حاجب يرشى يا من لا يزداد على كثرة السؤال الا كرما وجودا وعلى كثرة الحوائج الا تفضلا واحسانا انك جعلت لكل ضيف قرى
ونحن اضيافك فاجعل قرانا منك الجنة اللهم ان لكل وفد جائزة ولكل زائر كرامة ولكل سائل عطية ولكل راج ثوابا
ولكل ملتمس لما عندك جائزة ولكل زائر كرامة ولكل سائل عطية ولكل راج ثوابا ولكل مسترحم عندك رحمة ولكل راغب اليك زلفة
ولكل متوسل اليك عفوا وقد وفدنا الى بيتك الحرام ووقفنا بهذه المشاعر العظام وشاهدنا هذه المشاهد الكرام
رجاء لما عندك فلا تخيب رجاءنا الهنا تابعت النعم حتى اطمانت الانفس بتتابع نعمك واظهرت العبر حتى نطقت الصوامت
بحجتك وظاهرت المنن حتى اعترف اولياؤك بالتقصير عن حقك واظهرت الايات حتى افصحت السماء والارضون بادلتك
وقهرت بقدرتك حتى خضع كل شيء لعزتك وعنت الوجوه لعظمتك اذا اساء عبادك حلمت وامهلت واذا احسنوا
تفضلت وقبلت واذا عصيناك سترت واذا اذنبنا عفوت وغفرت واذا دعونا اجبت واذا ناديناك سمعت
واذا اقبلنا اليك قربت واذا ولينا عنك دعوت الهنا انك قلت في كتابك المبين لمحمد خاتم النبيين
قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فارضاك عنهم الاقرار بكلمة التوحيد بعد الجحود وانا نشهد لك بالتوحيد
مخبتين ولمحمد بالرسالة مخلصين فاغفر لنا بهذه الشهادة سوالف الاجرام ولا تجعل حظنا فيه انقص من حظ من دخل في الاسلام
الهنا انك احببت التقرب اليك بعتق ما ملكت ايماننا ونحن عبيدك وانت اولى بالتفضل فاعتقنا وانك
امرتنا ان نتصدق على فقرائنا ونحن فقراؤك وانت احق بالتطول فتصدق علينا ووصيتنا بالعفو عمن ظلمنا
وقد ظلمنا انفسنا فانت احق بالكرم فاعف عنا ربنا اغفر لنا وارحمنا انت مولانا ربنا آتنا في الدنيا حسنة
وفي الاخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب النار **وليكثر** من دعاء الخضر عليه السلام وهو ان يقول يا من لا يشغله شان عن شان
ولا يشغله سمع عن سمع ولا تشتبه عليه الاصوات يا من لا تغلطه المسائل ولا تختلف عليه اللغات يا من لا يبرمه الحاح
الملحين ولا تضجره مسالة السائلين اذقنا برد عفوك وحلاوة رحمتك **وليدع** بما بدا له وليستغفر
لذنبه ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات وليلح في الدعاء وليعظم المسالة فان الله لا يتعاظمه شيء قال مطرف بن عبد الله
وهو بعرفة اللهم لا ترد الجميع من اجلي **وقال** بكر المزني نظر رجل الى اهل عرفات فظننت انهم قد غفر لهم لولا اني كنت فيهم

الجملة السابعة في بقية اعمال الحج بعد الوقوف من المبيت والرمي والنحر والحلق والطواف فاذا افاض من عرفة بعد غروب
الشمس فينبغي ان يكون على السكينة والوقار وليجتنب وجيف الخيل والابل كما يعتاده بعض الناس فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن وجيف
الخيل وايضاع الابل وقال اتقوا الله وسيروا سيرا جميلا ولا تطؤوا ضعيفا ولا تؤذوا مسلما فاذا بلغ المزدلفة اغتسل
لها لان المزدلفة من الحرم فليدخلها بغسل وان قدر على دخولها ماشيا فهو افضل واقرب الى توقير الحرم وليكن رافعا
صوته في الطريق بالتلبية فاذا بلغ المزدلفة قال اللهم ان هذه مزدلفة جمعت فيها السنة مختلفة نسالك حوائج
مؤتنفة فاجعلني ممن دعاك فاستجبت له وتوكل عليك فكفيته ثم يجمع بين المغرب والعشاء بمزدلفة في وقت العشاء
قاصرا لها باذان واقامتين ليس بينهما نافلة ولكن يجمع نافلة المغرب والعشاء والوتر بعد الفريضتين
ويبدا بنافلة المغرب ثم بنافلة العشاء كما في الفريضتين وهكذا يفعل الجامع في السفر فان ترك النوافل في السفر
خسران ظاهر وتكليف ايقاعها في الاوقات اضرار وقطع التبعية بينها وبين الفرائض واذا جاز ان تؤدى النوافل
مع الفرائض بتيمم واحد بحكم التبعية فبان يجوز اداؤها على حكم الجمع بالتبعية اولى ولا يمنع من هذا مفارقة النفل الفرض في جواز
ادائه على الراحلة لما اومانا اليه من التبعية والحاجة ثم يمكث تلك الليلة بمزدلفة وهو مبيت نسك ومن خرج منها
في النصف الاول من الليل ولم يبت فعليه دم واحياء هذه الليلة الشريفة من محاسن القربات لمن يقدر عليها ثم اذا انتصف
الليل ياخذ في التاهب للرحيل ويتزود الحصى منها ففيها احجار رخوة فليأخذ سبعين حصاة فانه قدر الحاجة
ولا باس بان يستظهر بزيادة فربما يسقط منه بعضها وليكن الحصى خفافا بحيث تحتوي عليها اطراف البراجم

ثم ليغلس بصلاة الصبح وليأخذ في السير حتى إذا انتهى إلى المشعر الحرام وهو آخر المزدلفة فيقف ويدعو إلى الإسفار ويقول اللهم
بحق المشعر الحرام والبيت الحرام والشهر الحرام والركن والمقام بلغ روح محمد صلى الله عليه وسلم منا التحية والسلام يا ذا الجلال والإكرام
ثم يدفع منها قبل طلوع الشمس حتى ينتهي إلى موضع يقال له وادي محسر فيستحب أن يحرك دابته حتى يقطع عرض الوادي وإن كان راجلا أسرع
في المشي ثم إذا أصبح يوم النحر خلط التلبية بالتكبير فليلب تارة ويكبر أخرى فينتهي إلى منى ومواضع الجمرات وهي ثلاثة فيتجاوز
الأولى والثانية فلا شغل له معهما يوم النحر حتى ينتهي إلى جمرة العقبة وهي على يمين مستقبل القبلة في الجادة والمرمى مرتفع قليلا في سفح
الجبل وهو ظاهر مواضع الجمرات ويرمي جمرة العقبة بعد طلوع الشمس بقدر رمح وكيفيته أن يقف مستقبل القبلة وإن
استقبل الجمرة فلا بأس ويرمي سبع حصيات رافعا يده ويبدل التلبية بالتكبير ويقول مع كل حصاة الله أكبر على
طاعة الرحمن ورغم الشيطان اللهم تصديقا بكتابك واتباعا لسنة نبيك فإذا رمى قطع التلبية والتكبير إلا التكبير
عقيب فرائض الصلوات من ظهر يوم النحر إلى عقيب الصبح آخر أيام التشريق ولا يقف في هذا اليوم للدعاء بل يدعو في منزله
وصيغة التكبير أن يقول الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا لا إله إلا الله وحده
لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده لا إله إلا الله والله أكبر
ثم ليذبح الهدي إن كان معه والأولى أن يذبح بنفسه وليقل بسم الله والله أكبر اللهم هذا منك وبك وإليك تقبله
مني كما تقبلت من خليلك إبراهيم **والتضحية** بالبدن أفضل ثم بالبقر ثم بالشاة والشاة أفضل
من مشاركة ستة في البدنة أو البقرة والضأن أفضل من المعز قال صلى الله عليه وسلم خير الأضحية الكبش الأقرن والبيضاء
أفضل من الغبراء والسوداء قال أبو هريرة البيضاء أفضل في الأضحى من دم سوداوين **وليأكل منه** إن كان هدي
التطوع **ولا يضحين بالجدعاء** والعضباء والجرباء والشرقاء والخرقاء والمقابلة والمدابرة والعجفاء
ثم ليحلق بعد ذلك والسنة أن يستقبل القبلة ويبتدئ بمقدم رأسه فيحلق الشق الأيمن إلى العظمين المشرفين على
القفا ثم يحلق الباقي ويقول اللهم أثبت لي بكل شعرة حسنة وامح عني بها سيئة وارفع لي بها عندك درجة والمرأة
تقصر الشعر والأصلع يستحب له إمرار الموسى على الرأس ومهما حلق بعد رمي الجمرة فقد حصل له التحلل الأول وحل له
كل المحظورات إلا النساء والصيد ثم يفيض إلى مكة ويطوف كما وصفناه وهذا الطواف طواف ركن في الحج ويسمى
طواف الزيارة وأول وقته بعد نصف الليل من ليلة النحر وأفضل وقته يوم النحر ولا آخر لوقته بل له أن يؤخر إلى أي وقت
ولكن يبقى مقيدا بعلقة الإحرام ولا تحل له النساء إلى أن يطوف فإذا طاف تم التحلل وحل الجماع وارتفع الإحرام
بالكلية ولم يبق عليه إلا رمي أيام التشريق والمبيت بمنى وهي واجبات بعد زوال الإحرام على سبيل الاتباع للحج وكيفية
هذا الطواف مع الركعتين كما سبق في طواف القدوم فإذا فرغ من الركعتين فليسع كما وصفنا إن لم يكن سعى بعد
طواف القدوم وإن كان قد سعى فقد وقع ذلك ركنا فلا ينبغي أن يعيد السعي **وأسباب التحلل** ثلاثة الرمي والحلق
والطواف الذي هو ركن ومتى أتى باثنين من هذه الثلاثة فقد تحلل أحد التحللين ولا حرج عليه في التقديم والتأخير
بهذه الثلاثة مع الذبح ولكن الأحسن أن يرمي ثم يذبح ثم يحلق ثم يطوف والسنة للإمام في هذا اليوم أن يخطب بعد الزوال وهي
خطبة وداع رسول الله صلى الله عليه وسلم **ففي الحج أربع خطب** خطبة يوم السابع وخطبة يوم عرفة وخطبة يوم النحر وخطبة
يوم النفر الأول وكلها عقيب الزوال وكلها أفراد إلا خطبة يوم عرفة فإنها خطبتان بينهما جلسة **ثم إذا**
فرغ من الطواف عاد إلى منى للمبيت والرمي فيبيت تلك الليلة بمنى وتسمى ليلة القر لأن الناس في غد يقرون بمنى ولا ينفرون
فإذا أصبح اليوم الثاني من العيد وزالت الشمس اغتسل للرمي وقصد الجمرة الأولى التي تلي عرفة وهي على يمين الجادة
ووقف مستقبل القبلة وحمد الله وهلله وكبره ودعا مع حضور القلب وخشوع الجوارح ووقف مستقبل القبلة قدر
قراءة سورة البقرة مقبلا على الدعاء ثم يتقدم إلى الجمرة الوسطى ويرمي كما رمى الأولى ويقف كما وقف للأولى ثم يتقدم إلى
جمرة العقبة ويرمي سبعا ولا يعرج على شغل بل يرجع إلى منزله ويبيت تلك الليلة بمنى وتسمى هذه الليلة ليلة النفر
الأول ويصبح فإذا صلى الظهر في اليوم الثاني من أيام التشريق رمى في هذا اليوم إحدى وعشرين حصاة كاليوم الذي
قبله هو مخير بين المقام بها وبين العود إلى مكة فإن خرج من منى قبل غروب الشمس فلا شيء عليه وإن صبر إلى الليل لا يجوز له

الخروج بل لزمه المبيت حتى يرمي في يوم النفر الثاني أحدا وعشرين حجرا كما سبق وفي ترك المبيت والرمي إراقة دم وليتصدق
باللحم وله أن يزور البيت في ليالي منى بشرط أن لا يبيت إلا بمنى وكان صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك ولا يتركن حضور الفرائض
مع الإمام في مسجد الخيف فإن فضله عظيم فإذا أفاض من منى فالأولى أن يقيم بالمحصب من منى ويصلي العصر والمغرب والعشاء
ويرقد رقدة فهو السنة رواه جماعة من الصحابة فإن لم يفعل فلا شيء عليه **الجملة الثامنة** في صفة العمرة وما بعدها
إلى طواف الوداع من أراد أن يعتمر قبل حجه أو بعده كيف ما أراد فيغتسل ويلبس ثياب الإحرام كما سبق في الحج ويحرم بالعمرة
من ميقاتها وأفضل مواقيتها الجعرانة ثم التنعيم ثم الحديبية وينوي العمرة ويلبي ويقصد مسجد عائشة ويصلي
ركعتين ويدعو بما شاء ثم يعود إلى مكة وهو يلبي حتى يدخل المسجد الحرام فإذا دخل المسجد ترك التلبية وطاف سبعا
وصلى ركعتي الطواف وسعى سبعا بين الصفا والمروة كما وصفناه فإذا فرغ حلق رأسه وقد تمت عمرته
والمقيم بمكة ينبغي أن يكثر الاعتمار والطواف وليكثر النظر إلى البيت وإذا دخله فليصل بين العمودين فهو الأفضل
وليدخله حافيا موقرا **قيل** لبعضهم هل دخلت بيت ربك اليوم فقال والله ما أرى هاتين القدمين أهلا
للطواف حول بيت ربي فكيف أراهما أهلا لأن أطأ بهما بيت ربي وقد علمت حيث مشتا وليكثر شرب ماء زمزم
وليستق بيده من غير استنابة إن أمكنه وليرتو منه حتى يتضلع وليقل اللهم اجعله شفاء من كل داء وسقم وارزقني
الإخلاص واليقين والمعافاة في الدنيا والآخرة **قال** صلى الله عليه وسلم ماء زمزم لما شرب له أي يشفي ما قصد به
الجملة التاسعة في طواف الوداع مهما عن له الرجوع إلى الوطن بعد الفراغ من إتمام الحج والعمرة فليفرغ أولا أشغاله
وليشد رحاله وليجعل آخر أشغاله وداع البيت ووداعه بأن يطوف به سبعا كما سبق ولكن من غير رمل واضطباع
فإذا فرغ منه صلى ركعتين خلف المقام وشرب من ماء زمزم ثم يأتي الملتزم ويدعو ويتضرع ويقول اللهم البيت بيتك
والعبد عبدك وابن عبدك وابن أمتك حملتني على ما سخرت لي من خلقك حتى سيرتني في بلادك وبلغتني بنعمتك
حتى أعنتني على قضاء مناسكك فإن كنت رضيت عني فازدد عني رضى وإلا فمن الآن قبل تباعدي عن بيتك
هذا أوان انصرافي إن أذنت لي غير مستبدل بك ولا ببيتك ولا راغب عنك ولا عن بيتك اللهم أصحبني العافية
في بدني والعصمة في ديني وأحسن منقلبي وارزقني طاعتك ما أبقيتني واجمع لي خير الدنيا والآخرة إنك على كل شيء قدير
اللهم لا تجعل هذا آخر عهدي ببيتك الحرام وإن جعلته آخر عهدي فعوضني عنه الجنة والأحب أن لا يصرف بصره عن
البيت حتى يغيب عنه **الجملة العاشرة** في زيارة المدينة وآدابها **قال** صلى الله عليه وسلم من زارني بعد وفاتي
فكأنما زارني في حياتي وقال صلى الله عليه وسلم من وجد سعة ولم يفد إلي فقد جفاني وقال صلى الله عليه وسلم من جاءني زائرا لا يهمه إلا زيارتي
كان حقا على الله أن أكون له شفيعا فمن قصد زيارة المدينة فليصل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريقه كثيرا فإذا وقع بصره على
حيطان المدينة وأشجارها قال اللهم هذا حرم رسولك فاجعله لي وقاية من النار وأمانا من العذاب وسوء الحساب
وليغتسل قبل الدخول من بئر الحرة وليتطيب وليلبس أنظف ثيابه فإذا دخلها فليدخلها متواضعا معظما
وليقل بسم الله وعلى ملة رسول الله رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا
ثم يقصد المسجد ويدخله ويصلي بجنب المنبر ركعتين ويجعل عمود المنبر حذاء منكبه الأيمن ويستقبل السارية التي إلى جانبها
الصندوق وتكون الدائرة التي في قبلة المسجد بين عينيه فذلك موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يغير المسجد وليجتهد أن يصلي
في المسجد الأول قبل أن يزاد فيه ثم يأتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيقف عند وجهه وذلك بأن يستدبر القبلة ويستقبل جدار
القبر على نحو أربع أذرع من السارية التي في زاوية جدار القبر ويجعل القنديل على رأسه وليس من السنة أن يمس الجدار
ولا أن يقبله بل الوقوف من بعد أقرب للاحترام فيقف ويقول السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا نبي الله
السلام عليك يا أمين الله السلام عليك يا حبيب الله السلام عليك يا صفوة الله السلام عليك يا خيرة الله السلام
عليك يا أحمد السلام عليك يا محمد السلام عليك يا أبا القاسم السلام عليك يا ماحي السلام عليك يا عاقب
السلام عليك يا بشير السلام عليك يا نذير السلام عليك يا طهر السلام عليك يا طاهر السلام عليك
يا أكرم ولد آدم السلام عليك يا سيد المرسلين السلام عليك يا خاتم النبيين السلام عليك يا رسول رب العالمين

السلام عليك يا قائد الخير السلام عليك يا فاتح البر السلام عليك يا نبي الرحمة السلام عليك يا سيد الامة السلام عليك يا قائد الغر المحجلين السلام عليك وعلى اهل بيتك الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا السلام عليك وعلى اصحابك الطيبين وازواجك الطاهرات امهات المؤمنين جزاك الله عنا افضل ما جزى نبيا عن قومه ورسولا عن امته وصلى الله عليك كلما ذكرك الذاكرون وكلما غفل عن ذكرك الغافلون وصلى الله عليك في الاولين والاخرين افضل واكمل واعلى واجل واطيب واطهر ما صلى على احد من خلقه كما استنقذنا بك من الضلالة وبصرنا بك من العماية وهدانا بك من الجهالة اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وانك عبده ورسوله وامينه وصفيه وخيرته من خلقه واشهد انك قد بلغت الرسالة واديت الامانة ونصحت الامة وجاهدت عدوك وهديت امتك وعبدت ربك حتى اتاك اليقين وصلى الله عليك وعلى اهل بيتك الطيبين الطاهرين وسلم وكرم وشرف وعظم وان كان قد اوصى بتبليغ السلام فيقول السلام عليك من فلان ثم يتاخر قدر ذراع ويسلم على الصديق رضه لان راسه عند منكب رسول الله صلعم وراس عمر رضه عند منكب ابي بكر ثم يتاخر قدر ذراع ويسلم على الفاروق ويقول السلام عليكما يا وزيري رسول الله صلعم والمعاونين على القيام بالدين ما دام حيا والقائمين بعده في امته بامور الدين تتبعان في ذلك اثاره وتعملان بسنته فجزاكما الله خير ما جزى وزيري نبي على دينه ثم يرجع فيقف عند راس رسول الله بين القبر والاسطوانة اليوم ويستقبل القبلة وليحمد الله وليمجده وليكثر من الصلاة على رسول الله صلعم ثم يقول اللهم انك قلت ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما اللهم انا قد سمعنا قولك واطعنا امرك وقصدنا نبيك مستشفعين به اليك في ذنوبنا وما اثقل ظهورنا من اوزارنا تائبين من زللنا معترفين بخطايانا وتقصيرنا فتب اللهم علينا وشفع نبيك هذا فينا وارفعنا بمنزلته عندك وحقه عليك اللهم اغفر للمهاجرين والانصار واغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان اللهم لا تجعله اخر العهد من قبر نبيك ومن حرمك يا ارحم الراحمين ثم يأتي الروضة فيصلي فيها ويكثر من الدعاء ما استطاع لقوله صلعم ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة وقوله صلعم منبري على حوضي ويدعو عند المنبر ويستحب ان يضع يده على الرمانة التي كان صلعم يضع يده عليها عند الخطبة ويستحب له ان يأتي احدا يوم الخميس ويزور قبور الشهداء فيصلي الغداة في مسجد النبي ثم يخرج ويعود الى المسجد لصلاة الظهر فلا تفوته فريضة في الجماعة في المسجد ويستحب ان يخرج كل يوم الى البقيع بعد السلام على رسول الله ويزور قبر عثمان وقبر الحسن بن علي وفيه ايضا قبر علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد رضه ويصلي في مسجد فاطمة عم ويزور قبر ابراهيم بن رسول الله صلعم وقبر صفية عمة رسول الله صلعم فذلك كله بالبقيع ويستحب ان يأتي مسجد قباء في كل سبت ويصلي فيه لما روي انه صلعم قال من خرج من بيته حتى يأتي مسجد قباء ويصلي فيه كان له عدل عمرة ويأتي بئر اريس يقال ان النبي صلعم تفل فيها وهي عند المسجد ويتوضأ منها ويشرب من مائها ويأتي مسجد الفتح وهو على الخندق وكذا يأتي سائر المساجد والمشاهد ويقال ان جميع المشاهد والمساجد بالمدينة ثلثون موضعا يعرفها اهل البلد فيقصد ما قدر عليه وكذلك يقصد الابار التي كان صلعم يتوضأ منها ويغتسل ويشرب من مائها وهي سبع ابار طلبا للشفاء وتبركا به صلعم وان امكنه الاقامة بالمدينة مع مراعاة الحرمة فلها فضل عظيم قال صلعم لا يصبر على لأوائها وشدتها احد الا كنت له شفيعا يوم القيامة وقال صلعم من استطاع منكم ان يموت بالمدينة فليمت فانه لن يموت بها احد الا كنت له شفيعا او شهيدا يوم القيامة ثم اذا فرغ من اشغاله وعزم على الخروج من المدينة فالمستحب ان يأتي القبر ويعيد دعاء الزيارة كما سبق ويودع الرسول ويسأل الله ان يرزقه العود اليه ويسأل السلامة في سفره ثم يصلي ركعتين في الروضة الصغيرة وهي موضع مقام رسول الله صلعم قبل ان زيدت المقصورة في المسجد فاذا خرج فليخرج برجله اليسرى اولا ثم اليمنى وليقل اللهم صل على محمد وعلى ال محمد ولا تجعله اخر العهد بنبيك وحط اوزاري بزيارته واصحبني العافية في سفري ويسر رجوعي الى اهلي ووطني سالما يا ارحم الراحمين وليتصدق على جيران رسول الله صلعم بما قدر عليه وليتتبع المساجد التي بين المدينة ومكة فيصلي فيها وهي عشرون موضعا

فصل في سنن الرجوع

كان صلى الله عليه وسلم اذا قفل من غزو او حج او عمرة يكبر على كل شرف من الارض ثلث تكبيرات ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ايبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده

ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وفي بعض الروايات وكل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون فينبغي ان يستعمل هذه السنة في رجوعه واذا اشرف على مدينته يحرك الدابة ويقول اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا ثم ليرسل الى اهله من يخبرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة فذلك هو السنة ولا ينبغي ان يطرق اهله ليلا فاذا دخل البلد فليقصد المسجد اولا وليصل ركعتين فهي السنة كذلك كان يفعل رسول الله صلعم فاذا دخل بيته قال توبا توبا لربنا اوبا لا يغادر علينا حوبا فاذا استقر في منزله فلا ينبغي ان ينسى ما انعم الله به عليه من زيارة بيته وحرمه وقبر نبيه صلعم فيكفر تلك النعمة بان يعود الى الغفلة واللهو والخوض في المعاصي فما ذلك علامة الحج المبرور بل علامته ان يعود زاهدا في الدنيا راغبا في الاخرة متأهبا للقاء رب البيت بعد لقاء البيت

الباب الثالث في الاداب الدقيقة والاعمال الباطنة

بيان دقائق الاداب وهي عشرة الاول ان تكون النفقة حلالا وتكون اليد خالية من تجارة تشغل القلب وتفرق الهم حتى يكون الهم مجردا لله والقلب مطمئنا منصرفا الى ذكر الله وتعظيم شعائره فقد روي من طريق اهل البيت اذا كان اخر الزمان خرج الناس للحج اربعة اصناف سلاطينهم للنزهة واغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم للمسألة وقراؤهم للسمعة وفي الخبر اشارة الى جملة اغراض الدنيا التي يتصور ان تتصل بالحج فكل ذلك مما يمنع فضيلة الحج ويخرجه عن حيز حج الخصوص لا سيما اذا كان متجردا بنفس الحج بان يحج لغيره باجرة فيطلب الدنيا بعمل الاخرة وقد كره الورعون وارباب القلوب ذلك الا ان يكون قصده المقام بمكة ولم يكن له ما يبلغه فلا بأس ان يأخذ ذلك على هذا القصد لا ليتوصل بالدين الى الدنيا بل بالدنيا الى الدين وعند ذلك ينبغي ان يكون قصده زيارة بيت الله ومعاونة اخيه المسلم باسقاط الفرض عنه وفي مثله ينزل قوله صلعم يدخل الله تعالى بالحجة الواحدة الجنة ثلثة الموصي بها والمنفذ لها ومن حج بها عن اخيه ولست اقول لا تحل الاجرة او يحرم ذلك بعد ان اسقط فرض الاسلام عن نفسه ولكن الاولى ان لا يفعل ولا يتخذ ذلك مكسبه ومتجره فان الله تعالى يعطي الدنيا بالدين ولا يعطي الدين بالدنيا **وفي الخبر** مثل الذي يغزو في سبيل الله ويأخذ اجرا مثل ام موسى ترضع ولدها وتأخذ اجرها فمن كان مثاله في اخذ الاجرة على الحج مثال ام موسى فلا بأس باخذه فانه يأخذ ليتمكن من الحج والزيارة وليس يحج ليأخذ الاجرة بل يأخذ الاجرة ليحج كما كانت تأخذ ليتيسر لها الارضاع بتلبيس حالها عليهم **الثاني** ان لا يعاون اعداء الله بتسليم المكس وهم الصادون عن المسجد الحرام من امراء مكة والاعراب المترصدين في الطريق فان تسليم المال اليهم اعانة لهم على الظلم وتيسير لاسبابه عليهم فهو كالاعانة بالنفس فليتلطف بحيلة في الخلاص فان لم يقدر فقد قال بعض العلماء ولا بأس بما قاله ان ترك التنفل بالحج والرجوع عن الطريق افضل من اعانة الظلمة فان هذه بدعة احدثت وفي الانقياد لها ما يجعلها سنة مطردة وفيه ذل وصغار على المسلمين ببذل جزية ولا معنى لقول القائل ان ذلك يؤخذ مني وانا مضطر فانه لو قعد في البيت او رجع من الطريق لم يؤخذ منه شيء بل ربما يظهر اسباب الترفه فتكثر مطالبته فلو كان في زي الفقراء لم يطالب فهو الذي ساق نفسه الى حالة الاضطرار **الثالث** التوسع في الزاد وطيب النفس بالبذل والانفاق من غير تقتير ولا اسراف بل على الاقتصاد واعني بالاسراف التنعم باطايب الاطعمة والترفه بشرب انواعها على عادة المترفين فاما كثرة البذل فلا سرف فيه اذ لا خير في السرف ولا سرف في الخير كما قيل وبذل الزاد في طريق الحج نفقة في سبيل الله والدرهم بسبعمائة درهم قال ابن عمر من كرم الرجل طيب زاده في سفره وكان يقول افضل الحجاج اخلصهم نية وازكاهم نفقة واحسنهم يقينا وقال صلعم الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة فقيل يا رسول الله ما بر الحج قال طيب الكلام واطعام الطعام **الرابع** ترك الرفث والفسوق والجدال كما نطق به القران والرفث اسم جامع لكل لغو وخنا وفحش من الكلام ويدخل فيه مغازلة النساء ومداعبتهن والتحدث بشأن الجماع ومقدماته فان ذلك يهيج داعية الجماع المحظور والداعي الى المحظور محظور والفسوق اسم جامع لكل خروج عن طاعة الله والجدال هو المبالغة في الخصومة والمماراة بما يورث الضغائن ويفرق في الحال الهمة ويناقض حسن الخلق وقد قال سفيان من رفث فسد حجه وقد جعل صلعم طيب الكلام مع اطعام الطعام من بر الحج والمماراة تناقض طيب الكلام فلا ينبغي ان يكون كثير الاعتراض على رفيقه وجماله وعلى غيره من اصحابه بل يلين جانبه ويخفض جناحه للسائرين الى بيت الله ويلزم حسن

ان عليه فذلك افضل اوصى عبد الله بن المبارك بنيه عند موته فقال يا بني حجوا مشاة فان للحاج الماشي بكل خطوة يخطوها
سبعمائة حسنة من حسنات الحرم قيل وما حسنات الحرم قال الحسنة بمائة الف والاستحباب في المشي في المناسك والتردد من مكة الى
الموقف والى منى آكد منه في الطريق وان اضاف الى المشي الاحرام من دويرة اهله فقد قيل ان ذلك من اتمام الحج قال عمر وعلي وابن مسعود
في معنى قوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله وقال بعض العلماء الركوب افضل لما فيه من الانفاق والمؤنة ولانه ابعد عن ضجر النفس واقل
لاذاه واقرب الى سلامته وتمام حجه وهذا عند اهل التحقيق ليس مخالفا للاول بل ينبغي ان يفصل ويقال من سهل عليه المشي فهو افضل
وان كان يضعف ويؤدي ذلك به الى سوء خلق وقصور عن عمل فالركوب له افضل كما ان الصوم افضل للمسافر والمريض ما لم يفض الى
ضعف وسوء خلق وسئل بعض العلماء عن العمرة المشي فيها افضل او يكتري حمارا بدرهم فقال ان كان وزن الدرهم اشد
عليه فالكري افضل من المشي وان كان المشي اشد عليه كالاغنياء فالمشي له افضل فكأنه ذهب فيه الى طريق مجاهدة النفس
وله وجه ولكن الافضل ان يمشي ويصرف ذلك الدرهم الى خير فهو اولى من صرفه الى المكاري عوضا عن ابتذال الدابة فاذا كان لا تتسع نفسه
للجمع بين مشقة النفس ونقصان المال فما ذكره غير بعيد فيه. والسادس ان لا يركب الا زاملة اما المحمل فليجتنبه
الا اذا كان يخاف على الزاملة او لا يستمسك عليها لعذر وفيه معنيان احدهما التخفيف عن البعير فان المحمل يؤذيه والثاني
اجتناب زي المترفين والمتكبرين حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلة وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمتها
اربعة دراهم وطاف على الراحلة لينظر الناس الى هديه وشمائله وقال خذوا عني مناسككم وقيل ان هذه المحامل احدثها الحجاج
وكان العلماء في وقته ينكرونها وروى سفيان الثوري عن ابيه انه قال برزت من الكوفة الى القادسية للحج ووافت
الرفاق من البلدان فرأيت الحاج كلهم على زوامل وجوالقات ورواحل وما رأيت في جميعهم الا محملين وكان ابن عمر اذا
نظر الى ما احدث الحاج من الزي والمحامل يقول الحاج قليل والركب كثير ثم نظر الى رجل مسكين رث الهيئة تحته جوالق
فقال نعم هذا من الحجاج. السابع ان يكون رث الهيئة اشعث اغبر غير مستكثر من الزينة ولا مائل الى اسباب
التفاخر والتكاثر فيكتب في ديوان المتكبرين والمترفين ويخرج من حزب الضعفاء والمساكين وخصوص الصالحين
فقد امر صلى الله عليه وسلم بالشعث والاحتفاء ونهى عن التنعم والرفاهية في حديث فضالة بن عبيد وفي الخبر انما الحاج الشعث
التفل يقول الله تعالى انظروا الى زوار بيتي قد جاؤني شعثا غبرا من كل فج عميق وقال تعالى ثم ليقضوا تفثهم والتفث الشعث
والاغبرار وقضاؤه بالحلق وقص الاظفار وكتب عمر بن الخطاب الى امراء الاجناد اخلولقوا واخشوشنوا اي
البسوا الخلقان واستعملوا الخشونة في الاشياء وقد قيل زين الحجيج اهل اليمن لانهم على هيئة التواضع والضعف
وسيرة السلف وينبغي ان يجتنب الحمرة في زيه على الخصوص والشهرة كيفما كانت على العموم فقد روي انه صلى الله عليه وسلم كان في سفر
فنزل اصحابه منزلا فقال اري هذه الحمرة قد غلبت عليكم قال فقمنا اليه ونزعناها عن ظهورنا حتى شرد بعض الابل. الثامن
ان يرفق بالدابة فلا يحملها ما لا تطيق والمحمل خارج عن حد طاقتها والنوم عليها يؤذيها ويثقل عليها
كان بعض اهل الورع لا ينامون على الدواب الا غفوة عن قعود وكانوا لا يقفون عليها الوقوف الطويل قال
صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي ويستحب ان ينزل عن دابته غدوة وعشية يروحها
بذلك وهو سنة وفيه آثار للسلف وكان بعض السلف يكتري بشرط ان لا ينزل ويوفي الاجرة
ثم كان ينزل ليكون بذلك محسنا الى الدابة فيكون في حسناته ويوضع في ميزانه لا في ميزان
المكاري وكل من آذى بهيمة وحملها ما لا تطيق طولب به في القيامة قال ابو الدرداء لبعير له
عند الموت يا ايها البعير لا تخاصمني الى ربك فاني لم احملك فوق طاقتك وعلى الجملة في كل كبد حرى
اجر فليراع حق الدابة وحق المكاري جميعا وفي نزوله ساعة ترويح الدابة وسرور قلب المكاري
قال رجل لابن المبارك احمل هذا الكتاب معك لتوصله فقال حتى استاذن الجمال فاني قد اكتريت فانظر
كيف تورع من حمل كتاب لا وزن له وهو طريق الحزم في الورع فانه اذا فتح باب القليل انجر الى
الكثير يسيرا يسيرا. التاسع ان يتقرب باراقة دم وان لم يكن واجبا عليه ويجتهد ان يكون
من سمين النعم ونفيسه وليأكل منه ان كان تطوعا ولا يأكل ان كان واجبا قيل في تفسير ذلك

ومن يعظم شعائر الله اي تحسينه وتسمينه وسوق الهدي من الميقات افضل ان كان لا يجهده ولا يكده وليترك المكاس في شرائه
فقد كانوا يغالون في ثلث ويكرهون المكاس فيهن الهدي والاضحية والرقبة فان افضل ذلك اغلاه ثمنا وانفسه عند اهله
وروي ان عمر اهدى نجيبة فطلبت منه بثلثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه
عن ذلك وقال بل اهدها وذلك لان القليل الجيد خير من الكثير الدون وفي ثلثمائة دينار قيمة ثلثين بدنة وفيها تكثير
اللحم ولكن ليس المقصود اللحم انما المقصود تزكية النفس وتطهيرها عن صفة البخل وتزيينها بجمال التعظيم لله تعالى فلن ينال الله
لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وذلك يحصل بمراعاة النفاسة في القيمة كثر العدد ام قل وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بر
الحج قال العج والثج وروت عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما عمل آدمي يوم النحر احب الى الله من اهراق دم وانها لتأتي يوم
القيامة بقرونها واظلافها فان الدم يقع من الله بمكان قبل ان يقع بالارض فطيبوا بها نفسا وفي الخبر لكم بكل صوفة من جلدها حسنة
وكل قطرة من دمها حسنة وانها لتوضع في الميزان فابشروا. العاشر ان يكون طيب النفس بما انفقه من نفقة
وهدي وبما اصابه من خسران ومصيبة في مال او بدن ان اصابه ذلك فان ذلك من دلائل قبول حجه فان المصيبة في طريق
الحج تعدل النفقة في سبيل الله الدرهم بسبعمائة درهم وهو بمثابة الشدائد في طريق الجهاد فله بكل اذى احتمله وخسران اصابه
ثواب فلا يضيع منه شيء عند الله. ويقال ان من علامة قبول الحج ترك ما كان عليه من المعاصي وان يستبدل باخوانه البطالين
اخوانا صالحين وبمجالس اللهو والغفلة مجالس الذكر واليقظة

بيان الاعمال الباطنة ووجه الاخلاص في النية

اعلم ان اول الحج الفهم اعني فهم موقع الحج في الدين ثم الشوق اليه ثم العزم عليه ثم قطع العلائق المانعة منه ثم شراء ثوب الاحرام
ثم شراء الزاد ثم اكتراء الراحلة ثم الخروج ثم المسير في البادية ثم الاحرام من الميقات بالتلبية ثم دخول مكة
ثم استتمام الافعال كما سبق وفي كل واحد من هذه الامور تذكرة للمتذكر وعبرة للمعتبر وتنبيه للمريد الصادق
وتعريف واشارة للفطن فلنرمز الى مفاتحها حتى اذا انفتح بابها وعرفت اسبابها انكشف لكل حاج من
اسرارها ما يقتضيه صفاء قلبه وطهارة باطنه وغزارة علمه. اما الفهم اعلم انه لا وصول الى الله سبحانه الا بالتنزه عن الشهوات والكف
عن اللذات والاقتصار على الضرورات فيها والتجرد لله تعالى في جميع الحركات والسكنات ولاجل هذا انفرد الرهبانيون في الملل عن
الخلق وانحازوا الى قلل الجبال وآثروا التوحش عن الخلق لطلب الانس بالله فتركوا لله اللذات الحاضرة والزموا انفسهم
المجاهدات الشاقة طمعا في الآخرة واثنى الله عليهم في كتابه فقال ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون
فلما اندرس ذلك واقبل الخلق على اتباع الشهوات وهجروا التجرد لعبادة الله وفتروا عنه بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم لاحياء
طريق الآخرة وتجديد سنة المرسلين في سلوكها فسأله اهل الملل عن الرهبانية والسياحة في دينه فقال ابدلنا بها الجهاد
والتكبير على كل شرف يعني الحج وسئل عن السائحين فقال هم الصائمون فانعم الله على هذه الامة بان جعل الحج
رهبانية لهم فشرف البيت العتيق بالاضافة الى نفسه ونصبه مقصدا لعباده وجعل ما حواليه حرما لبيته تفخيما
لامره وجعل عرفات كالميدان على فناء حرمه واكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ووضعه على مثال
حضرة الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق ومن كل اوب سحيق شعثا غبرا متواضعين لرب البيت ومستكينين له
خضوعا لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف بتنزهه عن ان يحويه بيت او يكتنفه بلد ليكون ذلك ابلغ في رقهم
وعبوديتهم واتم في اذعانهم وانقيادهم ولذلك وظف عليهم فيها اعمالا لا تأنس بها النفوس ولا تهتدي الى معانيها
العقول كرمي الجمار بالاحجار والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار وبمثل هذه الاعمال يظهر كمال الرق والعبودية فان
الزكاة ارفاق ووجهه معلوم وللعقل اليه ميل والصوم كسر للشهوة التي هي آلة عدو الله وتفرغ للعبادة بالكف عن الشواغل والركوع
والسجود في الصلاة تواضع لله بافعال هي هيئة التواضع وللنفوس انس بتعظيم الله فاما ترددات السعي ورمي الجمار وامثال
هذه الاعمال فلا حظ للنفس فيها ولا انس للطبع بها ولا اهتداء للعقل الى معانيها فلا يكون في الاقدام عليها باعث الا الامر
المجرد وقصد الامتثال للامر من حيث انه امر واجب الاتباع فقط وفيه عزل للعقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع
عن محل انسه فان كل ما ادرك العقل معناه مال الطبع اليه ميلا ما فيكون ذلك الميل معينا للامر وباعثا معه على الفعل
فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في الحج على الخصوص لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا ولم يقل ذلك في صلاة

ولا يزعجها وإذا اقتضت حكمة الله تعالى ربط نجاة الخلق بأن تكون أعمالهم على خلاف هوى طباعهم وأن يكون زمامها بيد الشرع فيترددون في أعمالهم على سنن الانقياد وعلى مقتضى الاستعباد كان ما لا يهتدى إلى معانيه أبلغ أنواع التعبدات في تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطباع والأخلاق إلى مقتضى الاسترقاق وإذا تفطنت لهذا فهمت أن تعجب النفوس من هذه الأفعال العجيبة مصدره الذهول عن أسرار التعبدات وهذا القدر كاف في تفهيم أصل الحج **أما الشوق** فإنما ينبعث بعد الفهم والتحقق بأن البيت بيت الله وأنه وضع على مثال حضرة الملوك فقاصده قاصد إلى الله وزائر له وأن من قصد البيت في الدنيا جدير بأن لا يضيع زيارته فيرزق مقصود الزيارة في ميعاده المضروب له وهو النظر إلى وجه الله الكريم في دار القرار من حيث إن العين القاصرة الفانية في دار الدنيا لا تتهيأ لقبول نور النظر إلى وجه الله ولا تطيق احتماله ولا تستعد للاكتحال به لقصورها وأنها إن أمدت في دار الآخرة بالبقاء ونزهت عن أسباب التغير والفناء استعدت للنظر والإبصار ولكنه بقصد البيت والنظر إليه يستحق لقاء رب البيت بحكم الوعد الكريم فالشوق إلى لقاء الله تعالى يشوقه إلى أسباب اللقاء لا محالة هذا مع أن المحب مشتاق إلى كل ما له إلى محبوبه إضافة والبيت مضاف إلى الله تعالى فبالحري أن يشتاق إليه لمجرد هذه الإضافة فضلاً عن الطلب لنيل ما وعد عليه من الثواب الجزيل **وأما العزم** فليعلم أنه بعزمه قاصد إلى مفارقة الأهل والوطن ومهاجرة الشهوات واللذات متوجهاً إلى زيارة بيت الله وليعظم في نفسه قدر البيت وقدر رب البيت وليعلم أنه عزم على أمر رفيع شأنه خطير أمره وأن من طلب عظيماً خاطر بعظيم وليجعل عزمه خالصاً لوجه الله بعيداً عن شوائب الرياء والسمعة وليتحقق أنه لا يقبل من قصده وعمله إلا الخالص وأن من أفحش الفواحش أن يقصد بيت الملك وحرمه والمقصود غيره فليصحح مع نفسه العزم وتصحيحه بإخلاصه وإخلاصه باجتناب كل ما فيه رياء وسمعة أن يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير **وأما** قطع العلائق فمعناه رد المظالم والتوبة الخالصة لله تعالى عن جملة المعاصي فكل مظلمة علاقة مثل غريم حاضر متعلق بتلابيبه ينادي عليه ويقول له إلى أين تتوجه أتقصد بيت ملك الملوك وأنت مضيع أمره في منزلك هذا ومستهين به ومهمل له أولا تستحي أن تقدم عليه قدوم العبد العاصي فيردك ولا يقبلك فإن كنت راغباً في قبول زيارتك فنفذ أوامره ورد المظالم وتب إليه أولاً من جميع المعاصي واقطع علاقة قلبك عن الالتفات إلى ما وراءك لتكون متوجهاً إليه بوجه قلبك كما أنت متوجه إلى بيته بوجه ظاهرك فإن لم تفعل ذلك لم يكن لك من سفرك أولاً إلا النصب والشقاء وآخراً إلا الرد والطرد وليقطع العلائق عن وطنه قطع من انقطع عنه وقدر أن لا يعود إليه وليكتب وصية لأهله وأولاده فإن المسافر وماله لعلى قلت إلا ما وقى الله وليتذكر عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الآخرة فإن ذلك بين يديه على القرب وما يقدمه من هذا السفر طمع في تيسير ذلك السفر فهو المستقر وإليه المصير فلا ينبغي أن يغفل عن ذلك السفر عند الاستعداد لهذا السفر **وأما الزاد** فليطلبه من موضع حلال وإذا أحس من نفسه بالحرص على استكثاره وطلب ما يبقى منه على طول السفر ولا يتغير ولا يفسد قبل بلوغ المقصد فليتذكر أن سفر الآخرة أطول من هذا السفر وأن زاده التقوى وأن ما عداه مما يظن أنه زاد يتخلف عنه عند الموت ويخونه فلا يبقى معه كالطعام الرطب الذي يفسد في أول منازل السفر فيبقى وقت الحاجة متحيراً محتاجاً لا حيلة له فليحذر أن تكون أعماله التي هي زاده إلى الآخرة لا تصحبه بعد الموت بل تفسد شوائب الرياء وكدورات التقصير **وأما الراحلة** فإذا أحضرها فليشكر الله تعالى على تسخيره له الدواب لتحمل عنه الأذى وتخفف عنه المشقة وليتذكر عنده المركب الذي يركبه إلى دار الآخرة وهي الجنازة التي يحمل عليها فإن أمر الحج من وجه يوازي أمر السفر إلى الآخرة ولينظر أيصلح سفره على هذا المركب لأن يكون زاداً له لذلك السفر على ذلك المركب فما أقرب ذلك منه وما يدريه لعل الموت قريب ويكون ركوبه للجنازة قبل ركوبه للجمل وركوب الجنازة مقطوع به وتيسر أسباب السفر مشكوك فيه فكيف يحتاط في أسباب السفر المشكوك فيه ويستظهر في زاده وراحلته ويهمل أمر السفر المستيقن **وأما شراء ثوبي الإحرام** فليتذكر عنده الكفن ولفه فيه فإنه سيرتدي ويتزر بثوبي الإحرام عند القرب من بيت الله الحرام وربما لا يتم سفره إليه وأنه سيلقى الله ملفوفاً في ثياب الكفن لا محالة فكما لا يلقى بيت الله إلا مخالفاً عادته في الزي والهيئة فلا يلقى الله بعد الموت إلا في زي مخالف لزي الدنيا وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب إذ ليس فيهما مخيط ولا محيط كما في الكفن وأما الخروج من البلد فليعلم

عنده أنه فارق الأهل والوطن متوجهاً إلى الله تعالى في سفر لا يضاهي أسفار الدنيا فليحضر في قلبه أنه ماذا يريد وأين يتوجه وزيارة من يقصد أنه متوجه إلى ملك الملوك في زمرة الزائرين له الذين نودوا فأجابوا وشوقوا فاشتاقوا واستنهضوا فقطعوا العلائق وأقبلوا على بيت الله الذي فخم أمره وعظم شأنه ورفع قدره تسلياً بلقاء البيت عن لقاء رب البيت إلى أن يرزقوا منتهى مناهم ويسعدوا بالنظر إلى مولاهم وليحضر في قلبه رجاء الوصول والقبول لا إدلالاً بأعماله في الارتحال ومفارقة الأهل والمال ولكن ثقة بفضل الله ورجاء لتحقيقه وعده لمن زار بيته وليرج أنه إن لم يصل وأدركته المنية في الطريق لقي الله وافداً إليه إذ قال ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله **وأما** دخول البادية إلى الميقات ومشاهدة تلك العقبات فليتذكر فيها ما بين الخروج من الدنيا بالموت إلى ميقات القيامة وما بينهما من الأهوال وليتذكر فيها ما بين الخروج من الدنيا بالموت إلى ميقات القيامة وما بينهما من الأهوال والمطالبات وليتذكر فيها ما بين الخروج من الدنيا بالموت من هول قطاع الطريق هول سؤال منكر ونكير ومن سباع البوادي عقارب القبر وديدانه وما فيه من الأفاعي والحيات ومن انفراده عن أهله وأقاربه متزوداً لمخاوف القبر **وأما الإحرام** فليعلم أن معناه إجابة نداء الله تعالى فارج أن تكون مقبولاً واخش أن يقال لك لا لبيك ولا سعديك فكن بين الرجاء والخوف متردداً وعن حولك وقوتك متبرئاً وعلى فضل الله وكرمه متكلاً فإن وقت التلبية هو بداية الأمر وهو محل الخطر قال سفيان بن عيينة حج علي بن الحسين فلما أحرم واستوت به راحلته اصفر لونه وانتفض ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع أن يلبي فقيل له لم لا تلبي فقال أخشى أن يقول لي لا لبيك ولا سعديك فلما لبى غشي عليه وسقط عن راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه وقال أحمد بن أبي الحواري كنت مع أبي سليمان الداراني حين أراد الإحرام فلم يلب حتى سرنا ميلاً وأخذته الغشية ثم أفاق وقال يا أحمد إن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام مر ظلمة بني إسرائيل أن يقلوا من ذكري فإني أذكر من ذكرني منهم باللعنة ويحك يا أحمد بلغني أن من حج من غير حله ثم لبى قال الله تعالى لا لبيك ولا سعديك حتى ترد ما في يديك فما نأمن أن يقال لنا **فليتذكر** الملبي عند رفع الأصوات بالتلبية في الميقات إجابته لنداء الله تعالى إذ قال وأذن في الناس بالحج نداء الخلق بنفخ الصور وحشرهم من القبور وازدحامهم في عرصات القيامة مجيبين لنداء الله تعالى ومنقسمين إلى مقربين وممقوتين ومقبولين ومردودين ومترددين في أول الأمر بين الرجاء والخوف تردد الحاج في الميقات حيث لا يدرون أيتيسر لهم إتمام الحج وقبوله أم لا **وأما دخول مكة** فليتذكر عندها أنه قد انتهى إلى حرم آمن وليرج عنده أن يأمن بدخوله من عقاب الله وليخش أن لا يكون أهلاً للقرب فيكون بدخوله الحرم خائباً مستحقاً للمقت وليكن رجاؤه في جميع الأوقات غالباً فالكرم عميم وشرف البيت عظيم وحق الزائر مرعي وذمام المستجير اللائذ غير مضيع **وأما وقوع البصر** فينبغي أن يحضر عنده عظمة البيت في القلب ويقدر كأنه مشاهد لرب البيت لشدة تعظيمه وارج أن يرزقك الله النظر إلى وجهه الكريم كما رزقك النظر إلى بيته العظيم واشكر الله على تبليغه إياك هذه الرتبة وإلحاقه إياك بزمرة الوافدين إليه واذكر عند ذلك انصباب الناس في القيامة إلى جهة الجنة آملين لدخولها كافة ثم انقسامهم إلى مأذونين لهم في الدخول ومصروفين انقسام الحاج إلى مقبولين ومردودين ولا تغفل عن تذكر أمور الآخرة في شيء مما تراه فإن كل أحوال الحاج دليل على أحوال الآخرة **وأما الطواف بالبيت** فاعلم أنه صلاة وأحضر قلبك فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة ما فصلناه في كتاب الصلاة واعلم أنك بالطواف متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين حوله ولا تظنن أن المقصود طواف جسمك بالبيت بل المقصود طواف قلبك بذكر رب البيت حتى لا تبتدئ الذكر إلا منه ولا تختم إلا به كما تبتدئ الطواف بالبيت وتختم به واعلم أن الطواف الشريف هو طواف القلب بحضرة الربوبية وأن البيت مثال ظاهر في عالم الملك لتلك الحضرة التي لا تشاهد بالبصر وهي في عالم الغيب وأن عالم الملك والشهادة مدرجة إلى عالم الغيب والملكوت لمن فتح له الباب وإلى هذه الموازنة وقعت الإشارة بأن البيت المعمور في السماوات بإزاء الكعبة وأن طواف الملائكة به كطواف الإنس بهذا البيت ولما قصرت رتبة أكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف أمروا بالتشبه بهم بحسب الإمكان ووعدوا بأن من تشبه

والتلبية

بقوم مقربين والذي يعتمد على مثل ذلك الطواف هو الذي يقال ان الكعبة تزوره وتطوف به على ما راه بعض المكاشفين لبعض اولياء الله
واما الاستلام فاعتقد عنده انك مبايع لله تعالى على طاعته فصمم عزيمتك على الوفاء ببيعتك فمن غدر في المبايعة استحق
المقت وقد روى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحجر الاسود يمين الله في الارض يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل
اخاه **واما التعلق باستار الكعبة** والالتصاق بالملتزم فلتكن نيتك في الالتزام طلب القرب حبا وشوقا
للبيت ولرب البيت وتبركا بالمماسة ورجاء للتحصن من النار في كل جزء لا في القلب ولتكن نيتك في التعلق بالستر
الالحاح في طلب المغفرة وسؤال الامان كالمذنب المتعلق بثياب من اذنب اليه المتضرع اليه في عفوه عنه المظهر له انه
لا ملجأ له منه الا اليه ولا مفزع له الا عفوه وكرمه وانه لا يفارق ذيله الا بالعفو وبذل
الامن في المستقبل **واما السعي** بين الصفا والمروة في فناء البيت فانه يضاهي تردد العبد بفناء دار الملك
جائيا وذاهبا مرة بعد اخرى اظهارا للخلوص في الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة كالذي دخل على الملك وخرج
وهو لا يدري ما الذي يقضي به الملك في حقه من قبول او رد فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة بعد اخرى يرجو ان يرحم
في الثانية ان لم يرحم في الاولى وليتذكر عند تردده بين الصفا والمروة تردده بين كفتي الميزان في عرصات القيامة
وليمثل الصفا بكفة الحسنات والمروة بكفة السيئات وليتذكر تردده بين الكفتين ناظرا الى الرجحان والنقصان
مترددا بين العذاب والغفران **واما الوقوف بعرفة** فاذكر بما ترى من ازدحام الخلق وارتفاع الاصوات واختلاف
اللغات واتباع الفرق ائمتهم في الترددات مع الانبياء واقتفاء بهم سيرا بسيرهم عرصات القيامة واجتماع
الامم مع الانبياء واقتفاء كل امة نبيها وطمعهم في شفاعتهم وتحيرهم في ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول
واذا تذكرت ذلك فالزم قلبك الضراعة والابتهال الى الله فتحشر في زمرة الفائزين المرحومين وحقق رجاءك
بالاجابة فالموقف شريف والرحمة انما تصل من حضرة الجلال الى كافة الخلائق بواسطة القلوب العزيزة من اوتاد الارض
ولا ينفك الموقف عن طبقة من الابدال والاوتاد وطبقات من الصالحين وارباب القلوب فاذا اجتمعت هممهم وتجردت
للضراعة والابتهال قلوبهم وارتفعت الى الله ايديهم وامتدت اليه اعناقهم وشخصت نحو السماء ابصارهم مجتمعين بهمة
واحدة على طلب الرحمة فلا تظنن انه يخيب املهم ويضيع سعيهم ويدخر عنهم رحمة تغمرهم ولذلك قيل ان من
اعظم الذنوب ان يحضر عرفات ويظن ان الله لم يغفر له وكان اجتماع الهمم والاستظهار بمجاورة الابدال
والاوتاد المجتمعين من اقطار البلاد هو سر الحج وغاية مقصوده فلا طريق الى استدرار رحمة الله مثل اجتماع
الهمم وتعاون القلوب في وقت واحد على صعيد واحد **واما رمي الجمار** فاقصد به الانقياد للامر اظهارا
للرق والعبودية وانتهاضا لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس ثم اقصد به التشبه بابرهيم عم حيث
ظهر له ابليس في ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة او يفتنه بمعصية فامره الله ان يرميه بالحجارة طردا له وقطعا
لامله فان خطر لك ان الشيطان عرض له وشاهده فلذلك رماه واما انا فليس يعرض لي الشيطان
فاعلم ان هذا الخاطر من الشيطان وانه الذي القاه في قلبك ليفتر عزمك في الرمي ويخيل اليك انه فعل لا فائدة فيه
وانه يضاهي اللعب فلم تشتغل به فاطرده عن نفسك بالجد والتشمير في الرمي فبه ترغم انف الشيطان واعلم انك في الظاهر
ترمي الحصى الى العقبة وفي الحقيقة ترمي به وجه الشيطان وتقصم به ظهره اذ لا يحصل ارغام انفه الا بامتثالك امر الله
تعالى تعظيما له بمجرد الامر من غير حظ للنفس والعقل فيه **واما ذبح الهدي** فاعلم انه تقرب الى الله تعالى بحكم الامتثال
فاكمل الهدي واجزاءه وارج ان يعتق الله بكل جزء منه جزءا منك من النار فهكذا ورد الوعد فكلما كان الهدي اكبر
واجزاؤه اوفر كان فداؤك به من النار اعم **واما زيارة المدينة** فاذا وقع بصرك على حيطانها
فتذكر انها البلدة التي اختارها الله لنبيه عم وجعل اليها هجرته وانها داره التي شرع فيها فرائض الله وسننه
وجاهد عدوه واظهر بها دينه الى ان توفاه الله ثم جعل تربته فيها وتربة وزيريه القائمين بالحق من بعده ثم مثل
في نفسك مواقع اقدام رسول الله عم عند تردداته فيها وانه ما من موضع قدم تطأه الا وهو موضع قدمه العزيز فلا
تضع قدمك عليه الا على سكينة ووجل وتذكر مشيه وتخطيه في سككها وتصور خشوعه وسكينته في المشي وما

استودع الله قلبه من عظيم معرفته ورفعه وذكره حتى قرنه بذكر نفسه واحباط عمل من هتك حرمته ولو برفع صوته فوق
صوته ثم تذكر ما من الله به على الذين ادركوا صحبته وسعدوا بمشاهدته واستماع كلامه واعظم تاسفك
على ما فاتك من صحبته وصحبة اصحابه ثم اذكر انك قد فاتتك رؤيته في الدنيا وانك من رؤيته في الاخرة على خطر
وانك ربما لا تراه الا بحسرة وقد حيل بينك وبين قبوله اياك بسوء عملك كما قال صلى الله عليه وسلم يرفع الي اقوام فيقولون
يا محمد يا محمد فاقول يا رب اصحابي فيقول انك لا تدري ما احدثوا بعدك فاقول بعدا وسحقا فان تركت حرمة شريعته
ولو في دقيقة من الدقائق فلا تامن ان يحال بينك وبينه بعدولك عن محجته ولتعظم مع ذلك رجاءك ان لا يحول
بينك وبينه بعد ان رزقك الايمان واشخصك من وطنك لاجل زيارته من غير تجارة ولا حظ في دنيا بل لمحض حبك
له وشوقك الى ان تنظر الى اثاره والى حائط قبره اذ سمحت نفسك بالسفر لمجرد ذلك لما فاتتك رؤيته
فما اجدرك بان ينظر الله تعالى اليك بعين الرحمة **فاذا بلغت** المسجد فاذكر انها العرصة التي اختارها الله تعالى
لنبيه عم ولاول المسلمين وافضلهم عصابة وان فرائض الله عز وجل اول ما اقيمت في تلك العرصة وانها جمعت افضل
خلق الله حيا وميتا فليعظم املك في الله عز وجل ان يرحمك بدخولك اياه فادخله خاشعا معظما وما اجدر هذا
المكان بان يستدعي الخشوع من قلب كل مؤمن كما حكي عن ابي سليمان انه قال حج اويس القرني رح ودخل المدينة فلما
وقف على باب المسجد قيل له هذا قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشي عليه فلما افاق قال اخرجوني فليس يلذ لي بلد محمد عم
فيه مدفون **واما زيارة رسول الله** صلى الله عليه وسلم فينبغي ان تقف بين يديه كما وصفناه وتزوره
ميتا كما تزوره حيا ولا تقرب من قبره الا كما كنت تقرب من شخصه الكريم لو كان حيا وكما كنت ترى الحرمة
في ان لا تمس شخصه الكريم لو كان حيا ولا تقبله بل تقف من بعد ماثلا بين يديه فكذلك فافعل فان المس والتقبيل
للمشاهد عادة النصارى واليهود واعلم انه عالم بحضورك وقيامك وزيارتك وانه يبلغه سلامك
وصلاتك فمثل صورته الكريمة في خيالك موضوعا في اللحد بازائك واحضر عظيم رتبته في قلبك فقد روي
عنه عم ان الله تعالى وكل بقبره ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من امته هذا في حق من لم يحضر قبره فكيف
بمن فارق الوطن وقطع البوادي شوقا الى لقائه واكتفى بمشاهدة مشهده الكريم اذ فاته مشاهدة
غرته الكريمة وقد قال صلى الله عليه وسلم من صلى علي مرة صلى الله عليه بها عشرا فهذا جزاؤه في الصلاة عليه
بلسانه فكيف في الحضور لزيارته ببدنه ثم ائت منبر الرسول عم وتوهم صعود النبي عم المنبر ومثل في
قلبك طلعته البهية قائما على المنبر وقد احدق به المهاجرون والانصار وهو يحثهم على طاعة الله بخطبته
وسل الله ان لا يفرق في القيامة بينك وبينه فهذه وظيفة القلب في اعمال الحج فاذا فرغ منها فينبغي ان يلزم قلبه
الهم والحزن والخوف فانه ليس يدري اقبل منه حجه واثبت في زمرة المحبوبين ام رد حجه والحق بالمطرودين
وليتعرف ذلك من قلبه ومن اعماله فان صادف قلبه قد ازداد تجافيا عن دار الغرور وانصرافا الى دار الانس
بالله عز وجل ووجد اعماله قد اتزنت بميزان الشرع فليثق بالقبول فان الله تعالى لا يقبل الا من احبه الله ومن
احبه تولاه واظهر عليه اثار محبته وكف عنه سطوة عدوه ابليس فاذا ظهر ذلك دل على القبول وان كان الامر
بخلافه فيوشك ان يكون حظه من سفره العناء والتعب نعوذ بالله من ذلك تم كتاب الحج يتلوه كتاب اداب قراءة

كتاب اسرار (اداب) قراءة القران

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي امتن على عباده بنبيه المرسل صلى الله عليه وسلم وكتابه
المنزل الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه حتى اتسع على اهل الافكار طريق الاعتبار بما فيه من
القصص والاخبار واتضح به سلوك المنهج القويم والصراط المستقيم بما فصل فيه من الاحكام
وفرق بين الحلال والحرام فهو الضياء والنور وبه النجاة من الغرور وفيه شفاء لما في الصدور من خالفه
من الجبابرة قصمه الله ومن ابتغى العلم في غيره اضله الله وهو حبل الله المتين والنور المبين والعروة الوثقى

والمعتصم الأوفى وهو المحيط بالقليل والكثير والصغير والكبير لا تنقضي عجائبه ولا تتناهى غرائبه
لا يحيط بفوائده عند أهل العلم تحديد ولا يخلقه عند أهل التلاوة كثرة الترديد هو الذي أرشد الأولين والآخرين
ولما سمعه الجن لم يلبثوا أن ولوا إلى قومهم منذرين فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا
به فكل من آمن به فقد وفق ومن قال به فقد صدق ومن تمسك به فقد هدي ومن عمل به فقد فاز
وقد قال الله تعالى إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ومن أسباب حفظه في القلوب والمصاحف تلاوته والمواظبة
على دراسته مع القيام بآدابه وشروطه والمحافظة على ما فيه من الأعمال الباطنة والآداب الظاهرة
وذلك لا بد من بيانه وتفصيله وينكشف مقاصده في أربعة أبواب

الباب الأول في فضل القراءة	الباب الثاني في آداب التلاوة في الظاهر	الباب الثالث في الأعمال الباطنة عند التلاوة	الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره بالرأي وغيره

الباب الأول في فضل القرآن وأهله وذم المقصرين في تلاوته

فضيلة القرآن

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من شفيع أفضل منزلة عند الله يوم القيامة من القرآن لا نبي ولا ملك ولا غيره وقال
صلى الله عليه وسلم لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار وقال صلى الله عليه وسلم أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن وقال
أيضاً إن الله عز وجل قرأ طه ويس قبل أن يخلق الخلق بألف عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالت طوبى لأمة
ينزل عليهم هذا وطوبى لأجواف تحمل هذا وطوبى لألسنة تنطق بهذا وقال صلى الله عليه وسلم خيركم من تعلم القرآن وعلمه
وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومسألتي أعطيته ثواب الشاكرين وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة يوم القيامة
على كثيب من مسك أسود لا يهولهم فزع ولا ينالهم حساب حتى يفرغ مما بين الناس رجل قرأ القرآن
ابتغاء وجه الله عز وجل وأم به قوماً وهم به راضون الحديث وقال صلى الله عليه وسلم أهل القرآن أهل الله وخاصته وقال
[...] إن هذا القرآن وذكر الموت وقال صلى الله عليه وسلم لله أشد أذناً إلى قارئ القرآن من صاحب القينة إلى قينته

الآثار قال أبو أمامة الباهلي اقرؤوا القرآن ولا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة فإن الله لا يعذب قلباً
وعى القرآن وقال ابن مسعود رضي الله عنه إذا أردتم العلم فأثيروا القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين وقال أيضاً
اقرؤوا القرآن فإنكم تؤجرون عليه بكل حرف عشر حسنات أما إني لا أقول الحرف الم ولكن الألف حرف واللام حرف والميم حرف
وقال أيضاً لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن فإن كان يحب القرآن ويعجبه فهو يحب الله ورسوله وإن كان يبغض
القرآن فهو يبغض الله ورسوله وقال عمرو بن العاص كل آية في القرآن درجة في الجنة ومصباح في بيوتكم وقال أيضاً من قرأ
القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليه وقال أبو هريرة إن البيت الذي يتلى فيه كتاب الله
اتسع بأهله وكثر خيره وحضرته الملائكة وخرجت منه الشياطين وإن البيت الذي لا يتلى فيه كتاب الله تعالى
ضاق بأهله وقل خيره وخرجت منه الملائكة وحضرته الشياطين وقال أحمد بن حنبل رأيت الله عز وجل في المنام
فقلت يا رب ما أفضل ما تقرب به المتقربون إليك قال بكلامي يا أحمد قال قلت يا رب بفهم أو بغير فهم قال بفهم وبغير فهم
وقال محمد بن كعب القرظي إذا سمع الناس القرآن من الرحمن عز وجل يوم القيامة فكأنهم لم يسمعوه وقال الفضيل بن
عياض ينبغي لحامل القرآن أن لا يكون له إلى أحد حاجة ولا إلى الخلفاء فمن دونهم وينبغي أن تكون حوائج الخلق إليه وقال أيضاً
حامل القرآن حامل راية الإسلام لا ينبغي أن يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيماً لحق القرآن وقال سفيان
الثوري إذا قرأ الرجل القرآن قبل الملك بين عينيه وقال عمرو بن ميمون من نشر مصحفاً حين يصلي الصبح فقرأ منه مائة آية
رفع له مثل عمل جميع أهل الدنيا ويروى أن خالد بن عقبة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اقرأ علي فقرأ عليه إن الله يأمر بالعدل
والإحسان الآية فقال له أعد فأعاد فقال والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر
وما يقول هذا بشر وقال الحسن والله ما دون القرآن من غنى ولا بعده من فاقة وقال الفضيل من قرأ خاتمة سورة
الحشر حين يصبح ثم مات من يومه ختم له بطابع الشهداء ومن قرأها حين يمسي ثم مات من ليلته ختم له

بطابع الشهداء وقال القاسم بن عبد الرحمن قلت لبعض النساك ما ههنا أحد نستأنس به فمد يده إلى المصحف ووضعه على حجره
وقال هذا وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ثلاث يزدن في الحفظ ويذهبن البلغم السواك والصيام وقراءة
القرآن

في ذم تلاوة الغافلين

وقال أنس بن مالك رب تال للقرآن والقرآن يلعنه وقال ميسرة
الغريب هو القرآن في جوف الفاجر وقال أبو سليمان الداراني الزبانية أسرع إلى حملة القرآن الذين يعصون الله منهم
إلى عبدة الأوثان حين عصوا الله بعد القرآن وقال بعض العلماء إذا قرأ ابن آدم القرآن ثم خلط ثم عاد
يقرأ قيل له ما لك ولكلامي وقال ابن الرماح ندمت على استظهاري القرآن لأنه بلغني أن أصحاب القرآن يسألون عما
يسأل عنه الأنبياء يوم القيامة وقال ابن مسعود ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذ الناس نائمون وبنهاره
إذ الناس يفطرون وبحزنه إذ الناس يفرحون وببكائه إذ الناس يضحكون وبصمته إذ الناس يخوضون وبخشوعه
إذ الناس يختالون وينبغي لحامل القرآن أن يكون مستكيناً ليناً ولا ينبغي له أن يكون جافياً ولا ممارياً ولا صياحاً ولا صخاباً
ولا حديداً وقد قال صلى الله عليه وسلم أكثر منافقي هذه الأمة قراؤها وقال صلى الله عليه وسلم اقرأ القرآن ما نهاك فإذا لم ينهك فلست تقرؤه وقال
بعض السلف إن العبد ليفتتح سورة فتلعنه حتى يفرغ منها فقيل كيف ذلك فقال إذا أحل حلالها وحرم حرامها صلت عليه وإلا
لعنته وقال بعض العلماء إن العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه وهو لا يعلم يقول ألا لعنة الله على الظالمين وهو ظالم نفسه
ألا لعنة الله على الكاذبين وهو منهم وقال الحسن إنكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل وجعلتم الليل جملاً فأنتم تركبونه فتقطعون
به مراحله وإن من كان قبلكم رأوه رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار وقال ابن مسعود رضي الله عنه أنزل القرآن عليهم
ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملاً إن أحدهم ليقرأ القرآن من فاتحته إلى خاتمته ما يسقط منه حرفاً وقد أسقط العمل به
وفي حديث ابن عمر وحديث جندب لقد عشنا دهراً وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن وتنزل السورة
على محمد صلى الله عليه وسلم فيتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها وما ينبغي أن يقف عنده منها ثم لقد رأيت رجالاً يؤتى أحدهم
القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته لا يدري ما آمره وما زاجره وما ينبغي أن يقف عنده
منه ينثره نثر الدقل وقد ورد في التوراة يا عبدي أما تستحي مني يأتيك كتاب من بعض إخوانك
وأنت في الطريق تمشي فتعدل عن الطريق وتقعد لأجله وتقرؤه وتتدبره حرفاً حرفاً حتى لا يفوتك شيء منه وهذا
كتابي أنزلته إليك انظر كم فصلت لك فيه من القول وكم كررت عليك فيه لتتأمل طوله وعرضه ثم أنت معرض عنه
أفكنت أهون عليك من بعض إخوانك يا عبدي يقعد إليك بعض إخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغي إلى حديثه
بكل قلبك فإن تكلم متكلم أو شغلك شاغل عن حديثه أومأت إليه أن كف وها أنا ذا مقبل عليك ومحدث
لك وأنت معرض بقلبك عني أفجعلتني أهون عندك من بعض إخوانك

الباب الثاني في ظاهر آداب التلاوة

وهي عشرة

الأول في حال القارئ وهو أن يكون على الوضوء واقفاً على هيئة الأدب والسكون إما قائماً وإما جالساً مستقبل القبلة
مطرقاً رأسه غير متربع ولا متكئ ولا جالس على هيئة التكبر ويكون جلوسه وحده كجلوسه بين يدي أستاذه وأفضل
الأحوال أن يقرأ في الصلاة قائماً وأن يكون في المسجد وذلك من أفضل الأعمال وإن قرأ على غير وضوء وكان مضطجعاً في الفراش فله أيضاً
فضل ولكنه دون ذلك قال الله تعالى الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم فأثنى على الكل ولكن قدم القيام في الذكر ثم القعود
ثم الذكر مضطجعاً قال علي رضي الله عنه من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأ القرآن وهو جالس في الصلاة
كان له بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأ وهو جالس في غير الصلاة فله بكل حرف خمس عشرة حسنة ومن قرأ في غير صلاة وهو على وضوء
فخمس وعشرون حسنة ومن قرأ على غير وضوء فعشر حسنات وما كان من القيام بالليل فهو أفضل لأنه أفرغ للقلب قال
أبو ذر الغفاري رضي الله عنه إن كثرة السجود بالنهار وإن طول القيام بالليل أفضل

الثاني في مقدار القراءة وللقراء عادات
مختلفة في الاستكثار والاقتصار فمنهم من يختم في اليوم والليلة مرة وبعضهم مرتين وانتهى بعضهم إلى
ثلاث ومنهم من يختم في الشهر مرة وأولى ما يرجع إليه في التقديرات قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم
من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفقهه وذلك لأن الزيادة عليه تمنع الترتيل وقد قالت عائشة رضي الله عنها لما سمعت
رجلاً يهذ القرآن هذاً إن هذا ما قرأ القرآن ولا سكت وأمر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو أن يختم

في سبع وكذلك كان جماعة من الصحابة يختمون القرآن في كل جمعة كعثمان وزيد بن ثابت وابن مسعود وابي بن كعب ففي الختم اربع درجات
الختم في يوم وليلة وقد كرهه جماعة والختم في كل شهر كل يوم جزؤ من ثلثين فكانه مبالغة في الاقتصار كما ان الاول
مبالغة في الاستكثار وبينهما درجتان معتدلتان احداهما في الاسبوع مرة والثانية في الاسبوع مرتان تقريبا
من الثلثة والاحب ان يختم في الاسبوع بالليل وختمة بالنهار ويجعل ختمة النهار يوم الاثنين في ركعتي الفجر او بعدهما
ويجعل ختمة الليل ليلة الجمعة في ركعتي الجمعة ليستقبل بختمته اول النهار واول الليل فان الملئكة تصلي عليه ان كان ختمه ليلا
حتى يصبح وان كان نهارا حتى يمسي فتشمل بركتهما جميع الليل والنهار **والتفصيل** في مقدار القراءة انه ان
كان من العابدين السالكين طريق العمل فلا ينبغي ان ينقص عن ختمتين في الاسبوع وان كان من السالكين باعمال القلب
وضروب الفكر او من المشغولين بنشر العلم فلا باس ان يقتصر في الاسبوع على مرة وان كان نافذ الفكر في معاني القرآن
فقد يكتفي في الشهر مرة لحاجته الى كثرة الترديد والتامل **الثالث** في وجه القسمة اما من ختم في الاسبوع مرة
فيقسم القرآن بسبعة اجزا فقد حزب الصحابة رض القرآن احزابا **فروى** ان عثمان رض كان يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة الى
المائدة وليلة السبت بالانعام الى هود وليلة الاحد بيوسف الى مريم وليلة الاثنين بطه الى طسم موسى وفرعون
وليلة الثلثا بالعنكبوت الى ص وليلة الاربعا بتنزيل الى الرحمن ويختم ليلة الخميس وابن مسعود رض كان يقسمه
بسبعة اقسام لا على هذا الترتيب **وقيل** احزاب القرآن سبعة فالحزب الاول ثلث سور والحزب الثاني خمس سور والحزب
الثالث سبع سور والرابع تسع سور والخامس احدى عشرة سورة والسادس ثلث عشرة سورة والسابع المفصل من ق فهكذا
حزبه الصحابة رض فكانوا يقرؤنه كذلك وفيه خبر عن رسول الله صلعم وهذا قبل ان عملت الاخماس والاعشار والاجزا فما سوى
هذا محدث **الرابع** في الكتبة يستحب تحسين كتابة القرآن وتبيينه ولا باس بالنقط والعلامات بالحمرة وغيرها فانه
تزيين وتبيين وصد عن الخطا واللحن لمن يقرؤه وقد كان الحسن وابن مسعود ينكران الاخماس والاجزا وروي عن
الشعبي وابرهيم كراهية النقط بالحمرة واخذ الاجرة على ذلك وكانوا يقولون جردوا القرآن والظن بهؤلاء انهم كرهوا فتح هذا
الباب خوفا من ان يؤدي الى احداث زيادات وحسما للباب وشوقا الى حراسة القرآن عما يطرق اليه تغييرا واذا لم
يؤد الى محذور واستقر امر فيه على ما يحصل به مزيد معرفة فلا باس به ولا يمنع منه كونه محدثا فكم من محدث حسن كما
قيل في اقامة التراويح في الجماعة انها من محدثات عمر وانها بدعة حسنة وانما البدعة المذمومة ما تضاد السنة القديمة
او يكاد يفضي الى تغييرها وبعضهم كان يقول اقرا في المصحف المنقوط ولا انقط بنفسي **وقال** الاوزاعي عن يحيى
ابن ابي كثير كان القرآن مجردا في المصاحف فاول ما احدثوا فيه النقط على الباء والتاء وقالوا لا باس به فانه نور له ثم احدثوا
بعده نقطا كبارا عند منتهى الاي فقالوا لا باس به يعرف به راس الاية ثم احدثوا بعد ذلك الخواتم والفواتح **وقال** ابو بكر
الهذلي سالت الحسن عن تنقيط المصاحف بالاحمر فقال وما تنقيطها قلت يعربون الكلمة بالعربية قال اما
اعراب القرآن فلا باس به **قال** خالد الحذاء دخلت على ابن سيرين فرايته يقرا في مصحف منقوط وقد كان يكره النقط وقيل
ان الحجاج هو الذي احدث ذلك واحضر القراء حتى عدوا كلمات القرآن وحروفه وسووا اجزاءه وقسموه الى ثلثين جزا والى
اقسام اخر **الخامس** الترتيل هو المستحب في هيئة القرآن لانا سنبين ان المقصود من القراءة التفكر والترتيل
معين عليه ولذلك نعتت ام سلمة قراءة رسول الله صلعم فاذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا **قال** ابن عباس رض لان
اقرا البقرة وآل عمران ارتلهما واتدبرهما احب الي من ان اقرا القرآن كله هذرمة وقال ايضا لان اقرا اذا
زلزلت والقارعة اتدبرهما احب الي من ان اقرا البقرة وآل عمران تهذيرا وسئل مجاهد عن رجلين دخلا في الصلاة
فكان قيامهما واحدا الا ان احدهما قرا البقرة فقط وقرا الاخر القرآن كله فقال هما في الاجر سواء واعلم ان الترتيل مستحب
لا لمجرد التدبر فان العجمي الذي لا يفهم معنى القرآن يستحب له في القراءة الترتيل والتؤدة لان ذلك اقرب الى التوقير والاحترام واشد
تاثيرا في القلب من الهذرمة والاستعجال **السادس** البكاء مستحب مع القراءة **قال** رسول الله صلعم اتلوا القرآن
وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا **وقال** صلعم ليس منا من لم يتغن بالقرآن **وقال** صالح المري قرات القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال لي يا صالح هذه القراءة فاين البكاء وقال ابن عباس اذا قراتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان

لم تبك عين احدكم فليبك قلبه وانما طريق تكلف البكا ان يحضر قلبه الحزن فمن الحزن ان ينشا البكا وقال صلعم ان
القرآن نزل بحزن فاذا قراتموه فتحازنوا **ووجه** احضار الحزن ان يتامل ما فيه من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود ثم يتامل
تقصيره في اوامره وزواجره فيحزن لا محالة ويبكي فان لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر ارباب القلوب الصافية فليبك على
فقد الحزن والبكا فان ذلك اعظم المصائب **السابع** ان يراعي حق الايات فاذا مر باية سجود سجد وكذلك اذا سمع
من غيره سجدة سجد اذا سجد التالي ولا يسجد الا اذا كان على طهارة وفي القرآن اربع عشرة سجدة وفي الحج سجدتان وليس في ص سجدة
واقله ان يسجد بوضع جبهته على الارض واكمله ان يكبر ويسجد ويدعو في سجوده بما يليق بالاية التي قراها مثل ان يقرا قوله تعالى
خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون فيقول اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون
من المستكبرين على امرك او على اوليائك واذا قرا قوله تعالى ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا فيقول اللهم اجعلني من الباكين اليك
الخاشعين لك وكذلك في كل سجدة ويشترط في هذه السجدة شروط الصلاة من ستر العورة واستقبال القبلة وطهارة الثوب
والبدن من الحدث والخبث ومن لم يكن على طهارة عند السماع فاذا تطهر يسجد **وقد قيل** في كمالها انه يكبر رافعا يديه لتحريمه
ثم يكبر للانحطاط ثم يسلم وزاد زايدون التشهد ولا اصل لهذا الا القياس على سجود الصلاة وهو بعيد فانه ورد الامر بالسجود فليتبع
فيه الامر وتكبيرة الهوي اقرب للبداية وما عدا ذلك ففيه بعد ثم الماموم ينبغي ان يسجد عند سجود الامام ولا يسجد لتلاوة نفسه
الثامن ان يقول في مبتدا قراءته اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب اعوذ بك من همزات الشياطين
واعوذ بك رب ان يحضرون وليقرا قل اعوذ برب الناس وسورة الحمد وليقل عند فراغه من كل سورة صدق الله تعالى وبلغ
رسوله الكريم اللهم انفعنا وبارك لنا فيه الحمد لله رب العالمين واستغفر الله الحي القيوم وفي اثناء القراءة اذا مر باية
تسبيح سبح وكبر واذا مر باية دعاء واستغفار دعا واستغفر وان مر بمرجو سال وان مر بمخوف استعاذ
يفعل ذلك بلسانه او بقلبه فيقول سبحان الله نعوذ بالله اللهم ارزقنا اللهم ارحمنا **قال** حذيفة صليت
مع رسول الله صلعم فابتدا سورة البقرة فكان لا يمر باية عذاب الا استعاذ ولا باية رحمة الا سال ولا باية تنزيه الا سبح
واذا فرغ قال ما كان يقوله صلعم عند ختم القرآن اللهم ارحمني بالقرآن واجعله لي اماما ونورا وهدى ورحمة اللهم ذكرني
منه ما نسيت وعلمني منه ما جهلت وارزقني تلاوته اناء الليل والنهار واجعله حجة لي يا رب العالمين **التاسع**
في الجهر بالقراءة ولا شك في انه لا بد وان يجهر به الى حد يسمع نفسه اذ القراءة عبارة عن تقطيع الصوت بالحروف ولا بد
من صوت واقله ما يسمع نفسه فان لم يسمع نفسه لم تصح صلاته فاما الجهر بحيث يسمع غيره فهو محبوب على وجه
ومكروه على وجه اخر ويدل على استحباب الاسرار ما روي انه صلعم قال فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل
صدقة السر على صدقة العلانية **وفي** لفظ اخر الجاهر بالقراءة كالجاهر بالصدقة والمسر بها كالمسر بالصدقة وفي
الخبر العام يفضل عمل السر على عمل العلانية سبعين ضعفا وكذلك قوله خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي وفي الخبر
لا يجهر بعضكم على بعض في القراءة بين المغرب والعشاء وسمع سعيد بن المسيب ذات ليلة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم
عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة في صلاته وكان حسن الصوت فقال لغلامه اذهب الى هذا المصلي فمره ان يخفض من صوته
فقال الغلام ان المسجد ليس لنا وللرجل فيه نصيب فرفع سعيد صوته وقال يا ايها المصلي ان كنت تريد الله عز وجل بصلاتك فاخفض
صوتك وان كنت تريد الناس فانهم لن يغنوا عنك من الله شيئا فسكت عمر وخفف ركعته فلما سلم اخذ نعليه وانصرف
وهو يومئذ امير المدينة ويدل على استحباب الجهر ما روي انه صلعم سمع جماعة من اصحابه يجهرون في صلاة الليل فصوب
وقد قال صلعم اذا قام احدكم من الليل يصلي فليجهر بقراءته فان الملئكة وعمار الدار يستمعون الى قراءته ويصلون
بصلاته **ومر** صلعم على ثلثة من اصحابه مختلفة الاحوال فمر على ابي بكر وهو يخافت فساله عن ذلك فقال ان
الذي اناجيه هو يسمعني ومر على عمر وهو يجهر فساله عن ذلك فقال اوقظ الوسنان وازجر الشيطان ومر على
بلال وهو يقرا آيا من هذه السورة فساله عن ذلك فقال اخلط الطيب بالطيب فقال صلعم كلكم قد احسن واصاب فالوجه
في الجمع بين هذه الاحاديث ان الاسرار ابعد عن الرياء والتصنع فهو افضل في حق من يخاف ذلك على نفسه فان لم يخف ولم
يكن في الجهر ما يشوش الوقت على مصل اخر فالجهر افضل لان العمل فيه اكثر ولان فائدته ايضا تتعلق بغيره والخير المتعدي افضل

من الاثم ولانه يوقظ قلب القارئ ويجمع همه الى الفكر فيه ويصرف اليه سمعه ولانه يطرد النوم برفع الصوت ولانه يزيد في نشاطه
للقراءة ويقلل من كسله ولانه يرجو بجهره تيقظ نائم فيكون هو سبب احيائه ولانه قد يراه بطال غافل فينشط بسبب نشاطه
ويشتاق الى الخدمة فمتى حضره شيء من هذه النيات فالجهر افضل وان اجتمعت هذه النيات تضاعف الاجر وبكثرة النيات يزكو عمل
الابرار وتتضاعف اجورهم فان كان في عمل واحد عشر نيات كان فيه عشر اجور ولهذا نقول قراءة القرآن في المصحف افضل اذ يزيد عمل
البصر وتامل المصحف فيزيد الاجر بسببه وقد قيل الختمة في المصحف بسبع لان النظر في المصحف ايضا عبادة وقد خرق
عثمان رض مصحفين لكثرة قراءته منهما وكان كثير من الصحابة يقرءون القرآن من المصحف ويكرهون ان يخرج يوم ولم ينظروا
في المصحف ودخل بعض فقهاء مصر على الشافعي رض في السحر وبين يديه المصحف فقال شغلكم الفقه عن القرآن اني لاصلي العتمة واضع المصحف بين يدي
فما اطبقه حتى اصبح **العاشر** تحسين القراءة وترتيلها بترديد الصوت من غير تمطيط مفرط يغير النظم فذلك سنة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن باصواتكم وقال صلى الله عليه وسلم ما اذن الله لشيء اذنه لحسن الصوت بالقرآن وقال عم ليس منا من لم
يتغن بالقرآن فقيل اراد به الاستغناء وقيل اراد به الترنم وترديد الالحان به وهو اقرب عند اهل اللغة وروي ان النبي صلعم
كان ينتظر عائشة رض فابطات عليه فقال ما حبسك فقالت يا رسول الله كنت اسمع قراءة رجل ما سمعت احسن صوتا منه فقام
حتى استمع اليه طويلا ثم رجع فقال هذا سالم مولى ابي حذيفة الحمد لله الذي جعل في امتي مثله واستمع ايضا ذات ليلة الى
عبد الله بن مسعود ومعه ابو بكر وعمر فوقفوا طويلا ثم قال من اراد ان يقرأ القرآن غضا كما انزل فليقرأه على قراءة ابن ام عبد
وقال رسول الله عم لابن مسعود اقرأ علي فقال يا رسول الله اقرأ وعليك انزل فقال اني احب ان اسمعه من غيري فكان يقرأ ورسول الله
عيناه تفيضان واستمع عم الى قراءة ابي موسى فقال لقد اوتي هذا من مزامير آل داود فبلغ ذلك ابا موسى فقال يا رسول الله
لو علمت انك تسمع لحبرته تحبيرا ورأى الهيثم القارئ النبي عم في المنام فقال لي انت الهيثم الذي تزين القرآن بصوتك قلت نعم
قال جزاك الله خيرا وفي الخبر كان اصحاب رسول الله عم اذا اجتمعوا امروا احدهم ان يقرأ سورة من القرآن وقد كان عمر رض
يقول لابي موسى ذكرنا ربنا فيقرأ عنده حتى يكاد وقت الصلاة ان يتوسط فيقال يا امير المؤمنين الصلاة الصلاة
فيقول اولسنا في صلاة اشارة الى قوله تعالى ولذكر الله اكبر وقال صلى الله عليه وسلم من استمع الى آية من كتاب الله عز وجل كانت له نورا
يوم القيامة وفي خبر كتب له عشر حسنات ومهما عظم اجر الاستماع وكان التالي هو السبب فيه كان شريكا في الاجر الا ان
يكون قصده الرياء والتصنع

الباب الثالث في اعمال الباطن في التلاوة وهي عشرة

فهم اصل الكلام ثم التعظيم ثم حضور
القلب ثم التدبر ثم التفهم ثم التخلي عن موانع الفهم ثم التخصيص ثم التأثر ثم الترقي ثم التبري **الاول**
فهم عظمة الكلام وعلوه وفضل الله سبحانه ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله الى درجات افهام خلقه فلينظر كيف لطف الله تعالى
بخلقه في ايصال معاني كلامه الذي هو صفة قديمة قائمة بذاته الى افهام خلقه وكيف تجلت لهم تلك الصفة في طي حروف واصوات
هي صفات البشر اذ يعجز البشر عن الوصول الى فهم صفات الله تعالى الا بوسيلة صفات نفسه ولولا استتار كنه جلالة كلامه
بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره ولولا تثبيت الله عز وجل
موسى عم لما اطاق سماع كلامه كما لم يطق الجبل مبادي تجليه حيث صار دكا ولا يمكن تفهيم عظمة الكلام الا بامثلة على حد فهم
الخلق ولهذا عبر بعض العارفين عنه فقال ان كل حرف من كلام الله تعالى في اللوح المحفوظ اعظم من جبل قاف وان الملائكة لو اجتمعت
على الحرف الواحد ان يقلوه ما اطاقوه حتى ياتي اسرافيل وهو ملك اللوح فيرفعه فيقله باذن الله تعالى ورحمته لا بقوته وطاقته ولكن الله
طوقه ذلك واستعمله به ولقد تانق بعض الحكماء في التعبير عن وجه اللطف في ايصال معاني الكلام مع علو درجته الى فهم الانسان
مع قصور رتبته وضرب له مثلا لم يقصر فيه وذلك انه دعا بعض الملوك الى شريعة الانبياء فساله الملك عن امور فاجاب
بما يحتمله فهمه فقال الملك ارأيت ما يأتي به الانبياء اذا ادعيت انه ليس بكلام الناس وانه كلام الله فكيف يطيق الناس
حمله فقال الحكيم انا راينا الناس لما ارادوا ان يفهموا بعض الدواب والطير ما يريدون من تقديمها وتاخيرها واقبالها
وادبارها ورأوا الدواب يقصر تمييزها عن فهم كلامهم الصادر عن انوار عقولهم مع حسنه وترتيبه وبديع نظمه نزلوا الى
درجة تمييز البهائم واوصلوا مقاصدهم الى بواطن البهائم باصوات يضعونها لائقة بها من النقر
والصفير والاصوات القريبة من اصواتها التي تطيق حملها وكذلك الناس يعجزون عن حمل كلام الله تعالى بكنهه وكمال صفاته

بان اصغوا بينهم من الاصوات التي سمعوا بها الحكمة كصوت النقر والصفير التي سمعت به الدواب من الناس ولم يمنع ذلك
معاني الحكمة المخبوءة في تلك الصفات من ان شرف الكلام اي الاصوات لشرفها وعظم لتعظيمها فكان الصوت للحكمة جسدا
ومسكنا والحكمة للصوت نفسا وروحا فكما ان اجساد البشر تكرم وتعز لمكان الروح فكذلك اصوات الكلام
تشرف للحكمة التي فيها والكلام علي المنزلة رفيع الدرجات قاهر السلطان نافذ الحكم في الحق والباطل وهو القاضي
العادل والشاهد المرتضى يأمر وينهى ولا طاقة للباطل ان يقوم بين يدي كلام الحكمة كما لا يستطيع الظل ان يقوم
بين يدي شعاع الشمس ولا طاقة للبشر ان ينفذوا غور الحكمة كما لا طاقة لهم ان ينفذوا بابصارهم ضوء عين الشمس
ولكنهم ينالون من عين الشمس ما تحيا به ابصارهم ويستدلون به على حوائجهم فقط فالكلام كالملك المحجوب الغائب
وجهه الشاهد امره وكالشمس العزيزة الظاهرة مكنون عنصرها وكالنجوم الزاهرة التي قد يهتدي بها من لا يقف على سيرها
فهو مفتاح الخزائن النفيسة وشراب الحياة من شرب منه لم يمت ودواء الاسقام الذي من سقي منه لم يسقم فهذا
الذي ذكره الحكيم نبذة من تفهيم معنى الكلام والزيادة عليه لا يليق بعلم المعاملة فينبغي ان يقتصر عليه **الثاني**
التعظيم للمتكلم فالقارئ عند البداية بتلاوة القرآن ينبغي ان يحضر في قلبه عظمة المتكلم ويعلم ان ما يقرؤه ليس
من كلام البشر وان في تلاوة كلام الله عز وجل غاية الخطر فانه تعالى قال لا يمسه الا المطهرون وكما ان ظاهر جلد المصحف وورقه
محروس عن ظاهر بشرة اللامس الا اذا كان متطهرا فباطن معناه ايضا بحكم عزه وجلاله محجوب عن باطن القلب الا اذا كان متطهرا
عن كل رجس ومستنيرا بنور التعظيم والتوقير وكما لا يصلح لمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان
ولا لنيل معانيه كل قلب ولمثل هذا التعظيم كان عكرمة بن ابي جهل اذا نشر المصحف غشي عليه ويقول هو كلام ربي هو كلام ربي فتعظيم
الكلام بتعظيم المتكلم ولن تحضره عظمة المتكلم ما لم يتفكر في صفاته وجلاله وافعاله فاذا خطر بباله العرش والكرسي والسموات
والارضين وما بينهما من الجن والانس والدواب والاشجار وعلم ان الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها واحد وان الكل في قبضة
قدرته مترددون بين فضله ورحمته وبين نقمته وسطوته ان انعم فبفضله وان عاقب فبعدله وانه هو الذي يقول
هؤلاء في الجنة ولا ابالي وهؤلاء في النار ولا ابالي وهذه غاية العظمة والتعالي فبالتفكر في امثال هذا يحضر تعظيم المتكلم ثم تعظيم
الكلام **الثالث** حضور القلب وترك حديث النفس قيل في تفسير يا يحيى خذ الكتاب بقوة اي بجد واجتهاد
واخذه بالجد ان يكون متجردا له عند قراءته منصرف الهمة اليه عن غيره قيل لبعضهم اذا قرأت القرآن تحدث نفسك
بشيء فقال او شيء احب الي من القرآن احدث به نفسي وكان بعض السلف اذا قرأ سورة لم يكن قلبه
فيها اعادها ثانية وهذه الصفة تتولد عما قبلها من التعظيم فان المعظم للكلام الذي يتلوه يستبشر به ويستأنس به ولا يغفل
عنه ففي القرآن ما يستأنس به القلب ان كان التالي اهلا له فكيف يطلب الانس بالفكر في غيره وهو في متنزه ومتفرج والذي يتفرج
في المتنزهات لا يتفكر في غيرها فقد قيل ان في القرآن ميادين وبساتين ومقاصير وعرائس وديابيج ورياضا وخانات
فالميمات ميادين القرآن والراءات بساتين القرآن والحاءات مقاصيره والمسبحات عرائس القرآن والحاميمات
ديابيجه والمفصل رياضه والخانات ما سوى ذلك فاذا دخل القارئ في الميادين وقطف من البساتين ودخل المقاصير
وشهد العرائس ولبس الديباج وتنزه في الرياض وسكن غرف الخانات استغرقه ذلك وشغله عما سواه فلم يعزب
قلبه ولم يتفرق فكره **الرابع** التدبر وهو وراء حضور القلب فانه قد لا يتفكر في غير القرآن ولكنه يقتصر
على سماع القرآن من نفسه وهو لا يتدبره والمقصود من القراءة التدبر ولذلك سن فيه الترتيل لان الترتيل في الظاهر ليتمكن من التدبر
في الباطن قال علي رض لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها واذا لم يتمكن من التدبر الا بترديد فليردد
الا ان يكون خلف امام فانه لو بقي في تدبر آية وقد اشتغل الامام بآية اخرى كان مسيئا مثل من يشتغل بالتعجب من كلمة واحدة
ممن يناجيه عن فهم بقية كلامه وكذلك اذا كان في تسبيح الركوع وهو متفكر في آية قرأها امامه فهذا وسواس فقد روي
عن عامر بن عبد قيس انه قال الوسواس يعتريني في الصلاة فقيل في امر الدنيا فقال لان تختلف في الاسنة احب الي من ذلك
ولكن يشتغل قلبي بموقفي بين يدي ربي واني كيف انصرف فعد ذلك وسواسا وهو كذلك فانه يشغله عن فهم ما هو فيه والشيطان
لا يقدر على مثله الا بان يشغله بمهم ديني ولكن يمنعه عن الافضل ولما ذكر ذلك للحسن قال ان كنتم صادقين عنه

فما اصطنع الله عندنا ، وروي انه صلى الله عليه وسلم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة وانما رددها للتدبر
في معانيها ، وعن ابي ذر رضي الله عنه قال قام بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقام باية يرددها وهي ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر
لهم فانك انت العزيز الحكيم ، وقام تميم الداري ليلة بهذه الاية ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا
وعملوا الصالحات ، وقام سعيد بن جبير بهذه الاية وامتازوا اليوم ايها المجرمون ، وقال بعضهم اني لافتتح السورة
فيوقفني بعض ما اشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الفجر ، وكان بعضهم يقول كل اية لا افهمها ولا يكون قلبي فيها
لا اعد لها ثوابا ، وحكي عن ابي سليمان الداراني انه قال اني لأتلو الاية فاقيم فيها اربع ليال او خمس ليال ولولا
اني اقطع الفكر فيها ما جاوزتها الى غيرها ، وعن بعض السلف انه بقي في سورة هود ستة اشهر يكررها ولا يفرغ من التدبر فيها ، وقال
بعض العارفين لي في كل جمعة ختمة وفي كل شهر ختمة وفي كل سنة ختمة ولي ختمة منذ ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد وذلك بحسب درجات
تدبره ، وكان هذا ايضا يقول اقمت نفسي مقام الاجراء فانا اعمل مياومة ومشاهرة ومسانهة ومشاهدة

الخامس التفهم ، وهو ان يستوضح من كل اية ما يليق بها اذ القران يشتمل على ذكر صفات الله وذكر افعاله وذكر احوال
انبيائه وذكر احوال المكذبين لهم وانهم كيف اهلكوا ، وذكر اوامره وزواجره ، وذكر الجنة والنار ، **اما صفات الله**
فكقوله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، وكقوله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر فليتأمل معاني هذه
الاسماء والصفات لينكشف له اسرارها فتحتها معان مدفونة لا تنكشف الا للموفقين ، واليه اشار علي رضي الله عنه بقوله ما
اسر الي رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا كتمه عن الناس الا ان يؤتي الله عبدا فهما في كتابه فليكن حريصا على طلب ذلك الفهم ، قال ابن مسعود رضي الله عنه
من اراد علم الاولين والاخرين فليثور القران واعظم علوم القران تحت اسماء الله وصفاته اذ لم يدرك اكثر الخلق منها الا امورا
لائقة بافهامهم ولم يعثروا على اغوارها ، **واما افعاله** فكذكره تعالى خلق السموات والارض وغيرها فليفهم التالي منها
صفات الله وجلاله اذ الفعل يدل على الفاعل فتدل عظمته على عظمته فينبغي ان يشهد في الفعل الفاعل دون الفعل فمن عرف الحق راه
في كل شيء اذ كل شيء فهو منه ، واليه ، وبه ، وله فهو الكل على التحقيق ، ومن لا يراه في كل ما يراه فكانه ما عرفه ومن عرفه عرف
ان كل ما خلا الله باطل وان كل شيء هالك الا وجهه ، لا انه سيبطل في ثاني الحال بل هو الان باطل ان اعتبر ذاته من حيث هو الا ان يعتبر
وجوده من حيث انه موجود بالله وبقدرته فيكون له بطريق التبعية ثبات وبطريق الاستقلال بطلان محض وهذا مبدأ من
مبادئ علم المكاشفة ولهذا ينبغي اذا قرأ التالي قوله تعالى افرأيتم ما تحرثون ، افرأيتم الماء الذي تشربون ، افرأيتم النار
التي تورون ، افرأيتم ما تمنون ، فلا يقصر نظره على الماء والنار والحرث والمني بل يتأمل في المني وهو نطفة متشابهة الاجزاء
ثم ينظر في كيفية انقسامها الى اللحم والعظم والعروق والعصب وكيفية تشكل اعضائها بالاشكال المختلفة من الراس
واليد والرجل والكبد والقلب وغيرها ثم الى ما ظهر فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيرها ثم الى
ما ظهر فيها من الصفات المذمومة من الغضب والشهوة والكفر والجهل والتكذيب والمجادلة كما قال الله تعالى اولم ير الانسان
انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ، فيتأمل هذه العجائب ليترقى منها الى اعجب العجائب وهو الصفة التي منها صدرت
هذه الاعاجيب فلا يزال ينظر الى الصنعة ويرى الصانع ، **واما احوال الانبياء** فاذا سمع منها انهم كيف كذبوا وضربوا
وقتل بعضهم فليفهم منه صفة الاستغناء لله تعالى عن الرسل والمرسل اليهم وانه لو اهلك جميعهم لم يؤثر في ملكه واذا سمع
نصرتهم في اخر الامر فليفهم قدرة الله وارادته لنصرة الحق ، **واما احوال المكذبين** كعاد وثمود وما جرى
عليهم فليكن فهمه منه استشعار الخوف من سطوته ونقمته وليكن حظه منه الاعتبار في نفسه وانه ان غفل واساء الادب
واغتر بما امهل فربما تدركه النقمة وتنفذ فيه القضية وكذلك اذا سمع وصف الجنة والنار وسائر ما في القران فلا يمكن
استقصاء ما يفهم منه لان ذلك لا نهاية له وانما لكل عبد منه بقدر رزقه فلا رطب ولا يابس الا في كتاب
مبين ، قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ، ولذلك قال علي رضي الله عنه
لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب ، فالغرض مما ذكرناه التنبيه على طريق التفهم لينفتح بابه
فاما الاستقصاء فلا مطمع فيه ومن لم يكن له فهم ما في القران ولو في ادنى الدرجات دخل في قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى اذا
خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال انفا اولئك الذين طبع الله على قلوبهم ، فالطابع هي الموانع التي سنذكرها

من الفهم ، وقد قيل لا يكون المريد مريدا حتى يجد في القران كل ما يريد ويعرف منه النقصان من المزيد ويستغني بالمولى عن العبيد

السادس التخلي عن موانع الفهم فان اكثر الناس منعوا عن فهم معاني القران لاسباب وحجب اسدلها الشيطان
على قلوبهم فعميت عليهم عجائب اسرار القران ، قال صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم لنظروا الى الملكوت
ومعاني القران من جملة الملكوت وكل ما غاب عن الحواس ولم يدرك الا بنور البصيرة فهو من الملكوت ، وحجب الفهم اربعة
اولها ان يكون الهم منصرفا الى تحقيق الحروف باخراجها من مخارجها وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقراء ليصرفهم
عن معاني كلام الله فلا يزال يحملهم على ترديد الحروف يخيل اليهم انه لم يخرج من مخرجه فهذا يكون تامله مقصورا على مخارج
الحروف فانى تنكشف له المعاني واعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعا لمثل هذا التلبيس ، ثانيها ان يكون
مقلدا لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول اليه
ببصيرة ومشاهدة فهذا شخص قيده معتقده عن ان يجاوزه فلا يمكنه ان يخطر بباله غير معتقده فصار نظره
موقوفا على مسموعه فان لمع برق على بعد وبدا له معنى من المعاني التي تباين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة
وقال كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد ابائك فيرى ان ذلك غرور الشيطان فيتباعد منه ويحترز من مثله
ولمثل هذا قالت الصوفية ان العلم حجاب وارادوا به العقائد التي استمر عليها اكثر الناس بمجرد التقليد او بمجرد
كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب والقوها اليهم فاما العلم الحقيقي الذي هو الكشف والمشاهدة بنور البصيرة
فكيف يكون حجابا وهو منتهى المطلب وهذا التقليد قد يكون باطلا فيكون مانعا كمن يعتقد من الاستواء على العرش
التمكن والاستقرار فان خطر له في القدوس انه المقدس عن كل ما يجوز على خلقه لم يمكنه تقليده من ان يستقر ذلك
في نفسه ولو استقر في نفسه لانجر الى كشف ثان وثالث ولتواصل ولكن يتسارع الى دفع ذلك عن خاطره
لمناقضته تقليده الباطل وقد يكون حقا ويكون ايضا مانعا من الفهم والكشف لان الحق الذي كلف الخلق اعتقاده
له مراتب ودرجات وله مبدأ ظاهر وغور باطن وجمود الطبع على الظاهر يمنع من الوصول الى الغور الباطن كما ذكرناه
في الفرق بين العلم الباطن والظاهر في كتاب قواعد العقائد ، ثالثها ان يكون مصرا على ذنب او متصفا بكبر
او مبتلى في الجملة بهوى في الدنيا مطاع فان ذلك سبب ظلمة القلب وصداه وهو كالخبث على المراة فيمنع جلية الحق من
ان يتجلى فيه وهو اعظم حجاب القلب وبه حجب الاكثرون وكلما كانت الشهوات اشد تراكما كانت معاني القران اشد
احتجابا وكلما خف عن القلب اثقال الدنيا قرب تجلي المعنى فيه فالقلب مثل المراة والشهوات مثل الصدا ومثل
معاني القران مثل الصور التي تتراءى في المراة والرياضة للقلب باماطة الشهوات مثل تصقيل الجلاء للمراة ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم اذا عظمت امتي الدينار والدرهم نزعت منها هيبة الاسلام ، واذا تركوا الامر بالمعروف
حرموا بركة الوحي ، واذا تسابت امتي سقطت من عين الله ، قال الفضيل يعني حرموا بركة فهم القران وقد شرط الله
الانابة في الفهم والتذكر فقال تعالى تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ، وقال تعالى وما يتذكر الا من ينيب ، وقال تعالى
انما يتذكر اولوا الالباب ، والذي اثر غرور الدنيا على نعيم الاخرة فليس من ذوي الالباب ، فلذلك لا تنكشف له اسرار الكتاب
رابعها ان يكون قد قرأ تفسيرا ظاهرا واعتقد انه لا معنى لكلمات القران الا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد
وغيرهما وان ما وراء ذلك تفسير بالرأي وان من فسر القران برأيه فقد تبوأ مقعده من النار فهذا ايضا من الحجب العظيمة
وسنبين معنى التفسير بالرأي في الباب الرابع وان ذلك لا يناقض قول علي رضي الله عنه الا ان يؤتي الله عبدا فهما في القران وانه
لو كان المعنى هو الظاهر المنقول لما اختلف الناس فيه

السابع التخصيص ، وهو ان يقدر انه المقصود بكل خطاب
في القران فان سمع امرا او نهيا قدر انه المامور والمنهي وان سمع وعدا او وعيدا فكمثله وان سمع قصص الاولين
والانبياء علم ان السمر غير مقصود وانما المقصود ليعتبر به وليأخذ من تضاعيفه ما يحتاج اليه فما من قصة في القران
الا وسياقها لفائدة في حق النبي وامته ولذلك قال الله تعالى وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك
فليقدر العبد ان الله يثبت فؤاده بما يقصه عليه من احوال الانبياء وصبرهم على الايذاء وثباتهم في الدين لانتظار
نصر الله ، وكيف لا يقدر هذا والقران ما انزل على النبي صلى الله عليه وسلم خاصة بل هو شفاء وهدى ورحمة ونور للعالمين ولذلك امر الله

الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة وقال لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم
وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم كذلك يضرب الله للناس امثالهم • واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم هذا بصاير
للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين • واذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد
الاحاد وهذا الواحد القارى مقصود فما له ولساير الناس فليقدر انه المقصود قال الله تعالى واوحي الي هذا القران لانذركم به
ومن بلغ وقال محمد بن كعب القرظي من بلغه القران فكانما كلمه الله واذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القران عمله بل يقراه
كما يقرا العبد كتاب مولاه الذي كتبه اليه ليتامله ويعمل بمقتضاه ولذلك قال بعض العلما هذا القران رسايل اتتنا من قبل ربنا
بعهوده نتدبرها في الصلوات ونقف عليها في الخلوات وننفذها في الطاعات بالسنن المتبعات • وكان مالك بن دينار
يقول ما زرع القران في قلوبكم يا اهل القران • ان القران ربيع المومن كما ان الغيث ربيع الارض قال قتادة لم يجالس احد هذا
القران الا قام بزيادة او نقصان قال الله تعالى وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمومنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا

الثامن التاثر وهو ان يتاثر قلبه باثار مختلفة بحسب اختلاف الايات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به
قلبه في الحزن والخوف والرجا وغيره ومهما تمت معرفته كانت الخشية اغلب الاحوال على قلبه فان التضييق غالب على ايات القران فلا يرى
ذكر المغفرة والرحمة الا مقرونا بشروط يقصر العارف عن نيلها كقوله واني لغفار ثم اتبعه ذلك باربعة شروط لمن تاب وامن
وعمل صالحا ثم اهتدى وقوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ذكر اربعة
شروط وحيث اقتصر ذكر شرطا جامعا فقال ان رحمة الله قريب من المحسنين والاحسان يجمع الكل وهكذا من يتصفح القران
من اوله الى اخره ومن فهم ذلك فجدير ان حاله الخشية والحزن ولذلك قال الحسن والله ما اصبح اليوم عبد يتلو هذا القران
يومن به الا كثر حزنه وقل فرحه وكثر بكاوه وقل ضحكه وكثر نصبه وشغله وقلت راحته وبطالته وقال وهيب بن
الورد نظرنا في هذه الاحاديث والمواعظ فلم نجد شيا ارق للقلوب ولا اشد استجلابا للحزن من قراة القران وتفهمه
وتدبره فتاثر العبد بالتلاوة ان يصير بصفة الاية المتلوة فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط يتضاءل من خيفته
كانه يكاد يموت • وعند التوسيع ووعد المغفرة يستبشر كانه يطير من الفرح وعند ذكر صفات الله واسمائه يتطاطا خضوعا
لجلاله واستشعارا لعظمته • وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله تعالى كذكرهم لله تعالى ولدا وصاحبة يغض صوته وينكسر باطنه
حياء من قبح مقالتهم • وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه شوقا اليها • وعند وصف النار ترتعد فرايصه
خوفا منها ولما قال صلى الله عليه وسلم لابن مسعود اقرا علي قال فافتتحت سورة النساء فلما بلغت فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد
وجينا بك على هولاء شهيدا رايت عينيه تذرفان بالدمع فقال لي حسبك الان وهذا لان مشاهدة تلك الحالة
استغرقت قلبه بالكلية ولقد كان من الخايفين من خر مغشيا عليه عند ايات الوعيد ومنهم من مات في سماع
الايات فمثل هذه الاحوال يخرج عن ان يكون حاكيا في كلامه فاذا قال اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم فاذا لم
يكن خايفا كان حاكيا • واذا قال ولنصبرن على ما اذيتمونا فلم تكن حالته الصبر او العزيمة عليه حتى يجد حلاوة التلاوة
فان لم يكن بهذه الصفات ولم يتردد قلبه بين هذه الحالات كان حظه من التلاوة حركة اللسان مع صريح اللعن على نفسه
في قوله الا لعنة الله على الظالمين • وفي قوله كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون • وفي قوله وهم في غفلة معرضون وفي قوله
فاعرض عمن تولى عن ذكرنا وفي قوله ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون الى غير ذلك من الايات فكان داخلا في معنى قوله ومنهم اميون
لا يعلمون الكتاب الا اماني يعني التلاوة المجردة وفي قوله تعالى وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون
لان القران هو المبين لتلك الايات في السموات والارض ومهما تجاوزها ولم يتاثر بها كان معرضا عنها ولذلك قيل ان من لم يكن متخلقا
باخلاق القران فاذا قرا القران ناداه الله تعالى ما لك ولكلامي وانت معرض عني دع عنك كلامي ان لم تتب الي ومثال العاصي
اذا قرا القران وكرره مثال من يكرر كتاب الملك في كل يوم مرات وقد كتب اليه في عمارة مملكته وهو مشغول بتخريبها ومقتصر على دراسة كتابه
فلعله لو ترك الدراسة عند المخالفة لكان ابعد من الاستهزاء واستحقاق المقت ولذلك قال يوسف بن اسباط اني لاهم
بقراة القران فاذا ذكرت ما فيه خشيت المقت فاعدل الى التسبيح والاستغفار والمعرض عن العمل به اريد بقوله
فنبذوه وراء ظهورهم الاية ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقروا القران ما ايتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فاذا

اختلفتم فلستم تقرونه وفي بعضها فاذا اختلفتم فقوموا عنه وقال الله تعالى الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الاية وقال صلى الله عليه وسلم
ان احسن الناس صوتا بالقران الذي اذا سمعته يقرا رايت انه يخشى الله تعالى وقال ايضا لا يسمع القران من احد اشهى منه ممن
يخشى الله فالقران يراد لاستجلاب هذه الاحوال الى القلب والعمل به والا فالمونة في تحريك اللسان بحروفه خفيفة ولذلك
قال بعض القرا قرات القران على شيخ لي ثم رجعت لاقرا ثانيا فانتهرني وقال جعلت القراة علي عملا اذهب فاقراه على الله
فانظر ماذا يامرك وبماذا ينهاك وما يفهمك ولهذا كان شغل الصحابة في الاحوال والاعمال فمات النبي صلى الله عليه وسلم عن عشرين الفا
من الصحابة لم يحفظ القران منهم الا ستة اختلف منهم في اثنين وكان اكثرهم يحفظ السورة او السورتين وكان الذي
يحفظ البقرة وال عمران والانعام من علمائهم ولما جاء واحد ليتعلم القران فانتهى الى قوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره
ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال يكفيني هذا وانصرف فقال صلى الله عليه وسلم انصرف الرجل وهو فقيه فانما العزيز مثل
تلك الحالة التي يمن الله بها على قلب عبد عقيب فهم الاية واما مجرد حركة اللسان فقليل الجدوى بل التالي باللسان
المعرض عن العمل جدير بان يكون هو المراد بقوله ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى
وبقوله كذلك اتتك اياتنا فنسيتها اي تركتها ولم تنظر اليها ولم تعبا بها فان المقصر في الامر يقال انه نسي الامر
وتلاوة القران حق تلاوته ان يشترك فيه اللسان والعقل والقلب • فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل وحظ
العقل تفسير المعاني وحظ القلب الاتعاظ والتاثر بالانزجار والايتمار • فاللسان واعظ والعقل مترجم والقلب
متعظ **التاسع** الترقي واعني به ان يترقى الى ان يسمع الكلام من الله لا من نفسه فدرجات القراة ثلث ادناها
ان يقدر كانه يقراه على الله تعالى واقفا بين يديه وهو ناظر اليه ومستمع منه فيكون حاله عند هذا التقدير السوال
والتملق والتمكن والتضرع والابتهال **الثانية** ان يشهد بقلبه كان ربه يخاطبه بالطافه ويناجيه بانعامه
واحسانه فمقامه الحيا والتعظيم والاصغا والفهم • **الثالثة** ان يرى في الكلام المتكلم • وفي الكلمات الصفات
فلا ينظر الى نفسه ولا الى قراءته ولا الى تعلق الانعام به من حيث انه منعم عليه بل يكون مقصور الهم على المتكلم موقوف الفكر
عليه كانه مستغرق بمشاهدة هذا المتكلم عن غيره وهذه درجة المقربين • وما قبله درجات اصحاب اليمين •
وما خرج عن هذا فهو درجات الغافلين • وعن الدرجة العليا اخبر جعفر بن محمد الصادق فقال والله لقد تجلى الله تعالى
لخلقه في كلامه ولكنهم لا يبصرون وقال ايضا وقد سالوه عن حالة لحقته في الصلاة حتى خر مغشيا عليه فلما سري عنه قيل
له في ذلك فقال ما زلت اردد الاية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته • وفي مثل هذه الدرجة
تعظم الحلاوة ولذة المناجاة ولذلك قال بعض الحكما كنت اقرا القران فلا اجد له حلاوة حتى تلوته كاني اسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتلوه على اصحابه ثم رفعت الى مقام فوقه فكنت اتلوه كاني اسمعه من جبريل يلقيه على النبي صلى الله عليه وسلم • ثم جاء الله بمنزلة
اخرى فانا الان اسمعه من المتكلم به فعندها وجدت له لذة ونعيما لا اصبر عنه وقال عثمان وحذيفة لو طهرت
القلوب لم تشبع من قراة القران وانما قالا ذلك لانها بالطهارة تترقى الى مشاهدة المتكلم في الكلام ولذلك قال
ثابت البناني كابدت القران عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة وبمشاهدة المتكلم دون ما سواه يكون العبد ممتثلا
لقوله ففروا الى الله ولقوله ولا تجعلوا مع الله الها اخر فمن لم يره في كل شي فقد راى غيره • وكل ما التفت اليه العبد تضمن التفاته
شيا من الشرك الخفي بل التوحيد الخالص ان لا يرى في كل شي الا الله **العاشر** التبري واعني به ان يتبرا من حوله
وقوته والالتفات الى نفسه بعين الرضى والتزكية فاذا تلى ايات الوعد والمدح للصالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك بل
يشهد الموقنين والصديقين فيها ويتشوق الى ان يلحقه الله بهم واذا تلا ايات المقت وذم العصاة والمقصرين شهد نفسه
هناك وقدر انه المخاطب خوفا واشفاقا ولذلك كان عمر رضي الله عنه يقول اللهم اني استغفرك لظلمي وكفري فقيل له هذا
الظلم فما بال الكفر فتلا قوله ان الانسان لظلوم كفار وقيل ليوسف بن اسباط اذا قرات القران بماذا تدعو فقال بما
ذا ادعو استغفر الله من تقصيري سبعين مرة فاذا راى نفسه بصورة التقصير في القراة كان رويته سبب
قربه فان من شهد البعد في القرب لطف به بالخوف حتى يسوقه الى درجة اخرى في القرب وراه ومن شهد القرب في
البعد مكر به بالامن الذي يفضيه الى درجة اخرى في البعد اسفل مما هو فيه ومهما كان مشاهدا نفسه بعين

امرنا صار محجوبا بنفسه واذا جاوز حد الالتفات الى نفسه ولم يشاهد الا الله في قراءته انكشف له الملكوت قال سليمان ابن ابي سليمان الداراني وعد ابن ثوبان اخا له ان يفطر عنده فابطا عليه حتى طلع الفجر فلقيه اخوه من الغد فقال له وعدتني ان تفطر عندي فاخلفت فقال لولا ميعادك ما اخبرتك بالذي حبسني عنك اني لما صليت العتمة قلت اوتر قبل ان اجيئك لاني لا آمن ما يحدث من الموت فلما كنت في الدعاء من الوتر دفعت الى روضة خضراء فيها انواع الزهر من الجنة فما زلت انظر اليها حتى اصبحت وهذه المكاشفات لا تكون الا بعد التبري من النفس وعدم الالتفات اليها والى هواها ثم تخصص هذه المكاشفات بحسب احوال المكاشف فحيث يتلو ايات الرجاء ويغلب على حاله الاستبشار تنكشف له صورة الجنة ويشاهدها كانه يراها عيانا وان غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى انواع عذابها وذلك لان كلام الله تعالى يشتمل على السهل اللطيف والشديد العسوف والمرجو والمخوف وذلك بحسب اوصافه اذ منها الرحمة واللطف والانتقام والبطش فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب القلب في اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها تستعد للمكاشفة بامر يناسب تلك الحالة ويقاربها اذ يستحيل ان يكون حال المستمع واحدا والمسموع مختلفا اذ فيه كلام راض وكلام غضبان وكلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار وكلام متكبر لا يبالي وكلام حنان متعطف لا يهمل

الباب الرابع في فهم القران وتفسيره بالراى من غير نقل

لعلك تقول عظمت الامر فيما سبق في فهم اسرار القران وما ينكشف لارباب القلوب الزكية من معانيه فكيف يستحب ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم من فسر القران برايه فليتبوا مقعده من النار وعن هذا شنع اهل العلم بظاهر التفسير على اهل التصوف من المنسوبين الى التصوف في تاويل كلمات القران على خلاف ما نقل عن ابن عباس وساير المفسرين وذهبوا الى انه كفر فان صح ما قاله اهل التفسير فما معنى قوله عم من فسر القران برايه فليتبوا مقعده من النار فاعلم ان من زعم ان لا معنى للقران الا ما يترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حد نفسه وهو مصيب في الاخبار عن نفسه ولكنه مخطئ في الحكم برد الخلق كافة الى درجته التي هي حده ومحطه بل الاخبار والاثار تدل على ان في معاني القران متسعا لارباب الفهم قال علي كرم الله وجهه الا ان يوتي الله عبدا فهما في القران فانه لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم وقال صلى الله عليه وسلم ان للقران ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا ويروى ايضا عن ابن مسعود رض موقوفا عليه وهو من علماء التفسير فما معنى الظهر والبطن والحد والمطلع وقال علي لو شيت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب فما معناه وتفسير ظاهرها في غاية الاختصار وقال ابو الدرداء لا يفقه الرجل حتى يجعل القران وجوها وقد قال بعض العلماء لكل اية ستون الف فهم وما بقي من فهمها اكثر وقال اخر القران يحوي سبعة وسبعين الف علم ومايتي علم اذ كل كلمة علم ثم يتضاعف ذلك اربعا اذ لكل واحد ظهر وبطن وحد ومطلع وترديد النبي صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم عشرين مرة لا يكون الا لتدبره باطن معانيه والا فترجمته وتفسيره ظاهر لا يحتاج مثله الى تكريره وقال ابن مسعود رض من اراد علم الاولين والاخرين فليثور القران وذلك لا يحصل بمجرد تفسير الظاهر وبالجملة فالعلوم كلها داخلة في افعال الله وصفاته وفي القران شرح ذاته وافعاله وصفاته وهذه العلوم لا نهاية لها وفي القران اشارة الى مجامعها والمقامات في التعمق في تفصيله راجع الى فهم القران ومجرد ظاهر التفسير لا يشير الى ذلك بل كل ما اشكل على النظار واختلف فيه الخلايق في النظريات والمعقولات ففي القران رموز اليه ودلالات عليه يختص اهل الفهم بدركها فكيف يفي بذلك ترجمة ظاهره وتفسيره ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اقروا القران والتمسوا غرايبه وقال عم في حديث علي رض والذي بعثني بالحق لتفترقن امتي على اصل دينها وجماعتها على اثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعون الى النار فاذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله تعالى فان فيه نبا من كان قبلكم ونبا ما ياتي بعدكم وحكم ما بينكم من خالفه من الجبابرة قصمه الله ومن ابتغى العلم في غيره اضله الله هو حبل الله المتين ونوره المبين وشفاوه النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقام ولا يزيغ فيستقيم ولا تنقضي عجايبه ولا يخلقه كثرة الرد الحديث وفي حديث حذيفة لما اخبره عم بالاختلاف والفرقة بعده قال فقلت يا رسول الله فما تامرني ان ادركت ذلك قال تعلم كتاب الله واعمل بما فيه فهو المخرج من ذلك قال فاعدت عليه ثلثا فقال ثلثا تعلم كتاب الله واعمل بما فيه ففيه النجاة وقال علي كرم الله وجهه من فهم القران فسر جمل العلم اشار به الى ان القران مشير الى

مجامع العلوم كلها وقال ابن عباس رض في قوله تعالى ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا يعني الفهم في القران وقال تعالى ففهمناها سليمان وكلا اتينا حكما وعلما سمى ما اتاهما علما وحكما وخصص ما انفرد به سليمان بالتفطن له باسم الفهم وجعله مقدما على العلم والحكم فهذه الامور تدل على ان في فهم معاني القران مجالا رحبا ومتسعا بالغا وان المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الادراك فيه فاما قوله صلى الله عليه وسلم من فسر القران برايه ونهيه عنه وقول ابي بكر رض اي ارض تقلني واي سماء تظلني اذا قلت في القران برايي الى غير ذلك مما ورد في الاخبار والاثار من النهي عن تفسير القران بالراي فلا يخلو اما ان يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط والاستقلال بالفهم او المراد به امر اخر وباطل قطعا ان يكون المراد به ان لا يتكلم احد في القران الا بما يسمعه لوجوه احدها انه يشترط ان يكون ذلك مسموعا من النبي ومسندا اليه وذلك مما لا يصادف الا في بعض القران فاما ما يقوله ابن عباس رض وابن مسعود من انفسهما فينبغي ان لا يقبل ويقال هو تفسير بالراي لانهم لم يسمعوه من النبي وكذا غيرهما من الصحابة والثاني ان الصحابة والمفسرين اختلفوا في تفسير بعض الايات فقالوا فيها اقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها وسماع جميعها من النبي محال ولو كان الواحد مسموعا لترد الباقي فيتبين على القطع ان كل مفسر قال في المعنى بما ظهر له باستنباطه حتى قالوا في الحروف التي في اوايل السور سبعة اقاويل فقيل الر هي حروف الرحمن وقيل ان الالف الله واللام لطيف والراء رحيم وقيل غير ذلك والجمع بين الكل غير ممكن فكيف يكون الكل مسموعا والثالث انه عم دعا لابن عباس رض اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فان كان التاويل مسموعا كالتنزيل ومحفوظا مثله فما معنى تخصيصه بذلك والرابع انه قال تعالى لعلمه الذين يستنبطونه منهم فاثبت لاهل العلم استنباطا ومعلوم انه وراء السماع وجملة ما نقلناه من الاثار في فهم القران يناقض هذا الخيال فبطل ان يشترط السماع في التاويل وجاز لكل واحد ان يستنبط من القران بقدر فهمه وحد عقله واما النهي فانه ينزل على احد وجهين احدهما ان يكون له في الشيء راي واليه ميل من طبعه وهواه فيتاول القران على وفق رايه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه ولو لم يكن له ذلك الراي والهوى لكان لا يلوح له من القران ذلك المعنى وتارة يكون مع العلم كالذي يحتج ببعض ايات القران على تصحيح بدعته وهو يعلم انه ليس المراد بالاية ذلك ولكن يلبس به على خصمه وتارة يكون مع الجهل ولكن اذا كانت الاية محتملة فيميل فهمه الى الوجه الذي يوافق غرضه ويترجح ذلك الجانب برايه وهواه فيكون قد فسر برايه اي رايه هو الذي حمله على ذلك التفسير ولولا رايه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه وتارة قد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القران ويستدل عليه بما يعلم انه ما اريد به كمن يدعو الى الاستغفار بالاسحار فيستدل بقوله عم تسحروا فان في السحور بركة ويزعم ان المراد به التسحر بالذكر وهو يعلم ان المراد به الاكل وكالذي يدعو الى مجاهدة القلب القاسي فيقول قال الله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى ويشير الى قلبه ويومي الى انه المراد بفرعون وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد الصحيحة تحسينا للكلام وترغيبا للمستمع وهو ممنوع وقد يستعمله الباطنية في المقاصد الفاسدة لتغرير الناس ودعوتهم الى مذهبهم الباطل فينزلون القران على وفق رايهم ومذهبهم على امور يعلمون قطعا انها غير مرادة به فهذه الفنون احد وجهي المنع من التفسير بالراي ويكون المراد بالراي الراي الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح والراي يتناول الصحيح والفاسد والموافق للهوى قد يخصص باسم الراي **والوجه الثاني** ان يتسارع الى تفسير القران بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرايب القران وما فيه من الالفاظ المبهمة والمبدلة وما فيها من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتاخير فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر الى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل في زمرة من فسر القران بالراي فالنقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير اولا ليتقي به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع التفهم والاستنباط والغرايب التي لا تفهم الا بالسماع كثيرة ونحن نرمز الى جمل منها ليستدل بها على امثالها ويعلم انه لا يجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر اولا ولا مطمع في الوصول الى الباطن قبل احكام الظاهر ومن ادعى فهم اسرار القران ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن يدعي البلوغ الى صدر البيت قبل مجاوزة الباب او يدعي فهم مقاصد الاتراك من كلامهم وهو لا يفهم لغة الترك فان ظاهر التفسير يجري مجرى

تعليم اللغة التي لا بد منها للتفهم وما لا بد منها من السماع فنون كثيرة منها الايجاز بالحذف والاضمار كقوله تعالى وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها معناه آية مبصرة فظلموا انفسهم بقتلها فالناظر الى ظاهر العربية يظن ان المراد به ان الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء ولا يدري انهم بماذا ظلموا وانهم ظلموا غيرهم او انفسهم وقوله تعالى واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم اي حب العجل فحذف الحب وقوله اذاً لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات اي ضعف عذاب الاحياء وضعف عذاب الموتى فحذف العذاب وابدل الاحياء والموتى بذكر الحياة والموت وكل ذلك جائز في فصيح اللغة وقوله واسأل القرية التي كنا فيها والاهل محذوف ومضمر وقوله ثقلت في السموات والارض معناه خفيت على اهل السموات والارض فالشيء اذا خفي ثقل فابدل اللفظة واقيم في مقام على واضمر الاهل وحذف وقوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي شكر رزقكم وقوله وآتنا ما وعدتنا على رسلك اي على السنة رسلك فحذف السنة وقوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر اراد القرآن وما سبق له ذكر وقوله تعالى حتى توارت بالحجاب اراد الشمس وما سبق لها ذكر وقوله تعالى والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم اي يقولون ما نعبدهم وقوله تعالى فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك معناه لا يفقهون يقولون ما اصابك فلو لم يرد هذا كان مناقضا لقوله قل كل من عند الله وليسبق الى الفهم منه مذهب القدرية

ومنها **المنقول والمنقلب** كقوله وطور سينين اي طور سيناء وقوله سلام على ال ياسين اي على الياس وقيل ادريس لان في حرف ابن مسعود على ادراسين ومنه المكرر القاطع لوصل الكلام في الظاهر كقوله تعالى وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن معناه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء وقوله تعالى قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم معناه قال الذين استكبروا لمن آمن من الذين استضعفوا **ومنها المقدم والمؤخر** وهو مظنة الغلط كقوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى معناه ولولا كلمة واجل مسمى لكان لزاما ولولا لكان نصبا كاللزام وقوله تعالى يسألونك كانك حفي عنها اي يسألونك عنها كانك حفي وقوله تعالى لهم مغفرة ورزق كريم كما اخرجك ربك من بيتك بالحق فهذا الكلام غير متصل وانما هو عائد الى قوله السابق قل الانفال لله والرسول كما اخرجك ربك من بيتك بالحق اي فصارت الانفال لك اذ انت راض بخروجك وهم كارهون فاعترض بين الكلام الامر بالتقوى وغيره ومن هذا النوع قوله تعالى حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم ومنها المبهم وهو اللفظ المشترك بين معان من كلمة او حرف اما الكلمة فكالشيء والقرين والامة والروح ونظائرها قال الله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء اراد به النفقة مما رزق وقوله تعالى وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء اي الامر بالعدل والاستقامة وقوله تعالى فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء اراد به من صفات الربوبية وهي العلوم التي لا يحل السؤال عنها حتى يبتدئ العارف بها في اوان الاستحقاق وقوله تعالى ام خلقوا من غير شيء اي من غير خالق فربما يتوهم انه يدل على انه لا يخلق شيء الا من شيء **اما القرين** فقوله تعالى وقال قرينه هذا ما لدي عتيد اراد به الملك الموكل به وقوله تعالى قال قرينه ربنا ما اطغيته اراد به الشيطان **واما الامة** فتطلق على ثمانية اوجه الامة الجماعة كقوله تعالى وجد عليه امة من الناس يسقون واتباع الانبياء كقولك نحن من امة محمد ورجل جامع للخير يقتدى به كقوله تعالى ان ابراهيم كان امة والامة الدين كقوله تعالى انا وجدنا آباءنا على امة والامة الحين والزمان كقوله تعالى الى امة معدودة وقوله تعالى وادكر بعد امة والامة القامة يقال فلان حسن الامة اي القامة وامة رجل منفرد بدين لا يشركه فيه احد قال صلى الله عليه وسلم يبعث زيد بن عمرو بن نفيل امة وحده والامة الام يقال هذه امة زيد اي امه **والروح** ايضا ورد في القرآن بمعان كثيرة فلا نطول بايرادها وكذلك قد يقع الابهام في الحروف مثل قوله تعالى فاثرن به نقعا فوسطن به جمعا فالهاء الاولى كناية عن الحوافر وهي الموريات اي اثرن بالحوافر نقعا والثانية كناية عن الاغارة وهي المغيرات صبحا وسطن به جمعا جمع المشركين فاغاروا بجمعهم وقوله تعالى فانزلنا به الماء يعني السحاب فاخرجنا به من كل الثمرات يعني الماء وامثال هذا في القرآن لا ينحصر **ومنها التدريج في البيان** كقوله تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن اذ لم يظهر به انه ليلا او نهارا وبان بقوله تعالى انا انزلناه في ليلة مباركة ولم يظهر اي ليلة فظهر بقوله انا انزلناه

في ليلة القدر وربما يظهر في الظاهر الاختلاف بين هذه الآيات وهذا وامثاله لا يغني فيه الا النقل والسماع والقرآن من اوله الى آخره غير خال عن هذا الجنس لانه انزل بلغة العرب فكان مشتملا على اصناف كلامهم من ايجاز وتطويل واضمار وحذف وابدال وتقديم وتاخير ليكون ذلك مفحما لهم ومعجزا في حقهم فكل من اكتفى بفهم ظاهر العربية وبادر الى تفسير القرآن ولم يستظهر بالسماع والنقل في هذه الامور فهو داخل فيمن فسر القرآن برأيه مثل ان يفهم من الامة المعنى المشهور منه فيميل طبعه ورأيه اليه فاذا سمعه في موضع آخر مال بطبعه الى ما يفهم من مشهور معناه وترك تتبع النقل في كثرة معانيه فهذا ما يمكن ان يكون منهيا دون التفهم لاسرار المعاني كما سبق فاذا حصل السماع بمثل هذه الامور علم ظاهر التفسير وهو ترجمة الالفاظ ولا يكفي ذلك في فهم حقائق المعاني ويدرك الفرق بين حقائق المعاني وظاهر التفسير بمثال وهو ان الله تعالى قال وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فظاهر تفسيره واضح وحقيقة معناه غامض فانه اثبات للرمي ونفي له وهما متضادان في الظاهر ما لم يفهم انه رمى من وجه ولم يرم من وجه آخر ومن الوجه الذي لم يرم رماه الله ولذلك قال تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم فاذا كانوا هم المقاتلين فكيف يكون الله هو المعذب وان كان الله تعالى هو المعذب بتحريك ايديهم فما معنى امرهم بالقتال فحقيقة هذا تستمد من بحر عميق من علوم المكاشفات لا يغني عنه ظاهر التفسير وهو ان يعلم وجه ارتباط الافعال بالقدرة الحادثة ويفهم وجه ارتباط القدرة الحادثة بقدرة الله تعالى حتى ينكشف بعد ايضاح امور كثيرة غامضة صدق قوله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ولعل العمر لو انفق في استكشاف اسرار هذا المعنى وما يرتبط بمقدماته ولواحقه لانقطع العمر قبل استيفاء جميع لواحقه وما من كلمة من القرآن الا وتحقيقها محوج الى مثل ذلك وانما ينكشف للراسخين في العلم من اسراره بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وتوفر دواعيهم على التدبر وتجردهم للطلب ويكون لكل واحد حد في الترقي الى درجة اعلى فاما الاستيفاء فلا مطمع فيه ولو كان البحر مدادا والاشجار اقلاما فاسرار كلمات الله لا نهاية لها فتنفد الابحر قبل ان تنفد كلمات الله فمن هذا الوجه تتفاوت الخلق في الفهم بعد الاشتراك في معرفة ظاهر التفسير وظاهر التفسير لا يغني عنه ومثاله فهم ارباب القلوب من قوله صلى الله عليه وسلم في سجوده اعوذ برضاك من سخطك واعوذ بمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك ان قيل له اسجد واقترب فوجد القرب في السجود فنظر الى الصفات فاستعاذ ببعضها من بعض فان الرضا والسخط وصفان ثم زاد قربه فاندرج القرب الاول فيه فرقي الى الذات فقال اعوذ بك منك ثم زاد قربه بما استحيا به عن الاستعاذة على بساط القرب فالتجأ الى الثناء فاثنى بقوله لا احصي ثناء عليك ثم علم ان ذلك قصور فقال انت كما اثنيت على نفسك فهذه خواطر تنفتح لارباب القلوب ثم لها اغوار وراء هذا وهو فهم معنى القرب واختصاصه بالسجود ومعنى الاستعاذة من صفة بصفة ومنه به واسراره كثيرة ولا يدل تفسير ظاهر اللفظ عليه وليس هو مناقضا لظاهر التفسير بل هو استكمال له ووصول الى لبابه عن ظاهره فهذا ما نريده بفهم المعاني الباطنة لا ما يناقض الظاهر والله اعلم

كتاب الاذكار والدعوات

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الشامل رأفته العام رحمته الذي جازى عباده عن ذكرهم بذكره فقال اذكروني اذكركم ورغبهم في السؤال والدعاء بامره فقال ادعوني استجب لكم واطمع المطيع والعاصي والداني والقاصي في الانبساط الى حضرة جلاله برفع الحاجات والاماني بقوله فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعاني والصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم سيد انبيائه وعلى آله واصحابه وسلم كثيرا **اما بعد** فليس بعد تلاوة كتاب الله عبادة تؤدى باللسان افضل من ذكر الله ورفع الحاجات بالادعية الخالصة الى الله فلا بد من شرح فضيلة الذكر على الجملة ثم على التفصيل في اعيان الاذكار وشرح فضيلة الدعاء وشروطه وآدابه ونقل الماثور من الدعوات الجامعة لمقاصد الدين والدنيا والدعوات الخاصة لسؤال المغفرة والاستعاذة وغيرها ويتحرر المقصود من ذلك بذكر ابواب خمسة **الباب الاول** في فضيلة الذكر وفائدته جملة وتفصيلا **الباب الثاني** في فضيلة الدعاء وآدابه وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم **الباب الثالث** في ادعية ماثورة معزية الى اصحابها واسبابها

الباب الرابع [illegible] **الباب الخامس** [illegible]

والصبر والعطايه وقال تعالى ذم المنافقين ولا يذكرون الله الا قليلا وقال تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو
والآصال وقال تعالى ولذكر الله اكبر قال ابن عباس له وجهان احدهما ان ذكر الله اكبر لكم من ذكركم اياه والآخر ان ذكر الله اكبر من كل عبادة
سواه الى غير ذلك من الآيات **واما الاخبار** فقد قال صلى الله عليه وسلم ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط
الهشيم وقال صلى الله عليه وسلم ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل بين الفارين وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى انا مع عبدي اذا ذكرني وتحركت بي شفتاه
وقال صلى الله عليه وسلم ما عمل ابن آدم من عمل انجى له من عذاب الله من ذكر الله قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله الا ان
تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع وقال عليه السلام من احب ان يرتع في رياض الجنة
فليكثر من ذكر الله وسئل صلى الله عليه وسلم اي الاعمال افضل فقال ان تموت ولسانك رطب بذكر الله وقال صلى الله عليه وسلم اصبح وامس ولسانك
رطب بذكر الله تصبح وتمسي وليس عليك خطيئة وقال لذكر الله بالغداة والعشي افضل من حطم السيوف في سبيل الله
ومن اعطاء المال سحا وقال قال الله تعالى اذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي واذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من
ملائه واذا تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا واذا تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا واذا مشى الي هرولت اليه يعني بالهرولة
سرعة الاجابة وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله من جملتهم رجل ذكر الله في خلاء ففاضت عيناه من خشية الله تعالى
وقال ابو الدرداء قال صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير لكم من اعطاء الورق والذهب
وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربون اعناقهم ويضربون اعناقكم قالوا وما ذاك يا رسول الله قال ذكر الله دائما وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى
من شغله ذكري عن مسألتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين **واما الآثار** فقد قال الفضيل بلغنا
ان الله تعالى قال يا ابن آدم اذكرني بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة اكفك ما بينهما وقال بعض العلماء ان الله تعالى يقول ايما عبد
اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وانيسه وقال الحسن
الذكر ذكران ذكر الله بين نفسك وبين الله ما احسنه واعظم اجره وافضل من ذلك ذكر الله عند ما حرم الله ويروى
ان كل نفس تخرج من الدنيا عطشى الا ذاكر الله عز وجل وقال معاذ بن جبل ليس يتحسر اهل الجنة على شيء الا على ساعة مرت
بهم لم يذكروا الله فيها **فضيلة مجالس الذكر** قال صلى الله عليه وسلم ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله الا حفت بهم الملائكة
وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده وقال ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله لا يريدون بذلك الا وجهه الا ناداهم مناد
من السماء قوموا مغفورا لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات وقال صلى الله عليه وسلم ما قعد قوم مقعدا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا
على النبي صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم حسرة الى يوم القيامة وقال داود عليه السلام الهي اذا رأيتني اجاوز مجالس الذاكرين الى مجالس الغافلين فاكسر رجلي
دونهم فانها نعمة تنعم بها علي وقال صلى الله عليه وسلم المجلس الصالح يكفر عن المؤمن الفي الف مجلس من مجالس السوء وقال ابو هريرة رضي الله عنه
ان اهل السماء ليتراءون بيوت اهل الارض التي يذكر فيها اسم الله كما تتراءى النجوم وقال سفيان بن عيينة اذا اجتمع قوم
يذكرون الله اعتزل الشيطان والدنيا فيقول الشيطان للدنيا الا ترين ما يصنعون فتقول الدنيا دعهم فانهم اذا
تفرقوا اخذت باعناقهم اليك وعن ابي هريرة انه دخل السوق وقال اراكم ههنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم في المسجد
فذهب الناس الى المسجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثا فقالوا يا ابا هريرة ما رأينا ميراثا يقسم قال فما رأيتم قالوا
رأينا قوما يذكرون الله ويقرءون القرآن قال فذلك ميراث محمد صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى ملائكة سياحين في الارض
فضلا عن كتاب الناس فاذا وجدوا قوما يذكرون الله تعالى تنادوا هلموا الى بغيتكم فيجيئون فيحفون بهم
الى السماء الدنيا فيقول الله تعالى اي شيء تركتم عبادي يصنعون فيقولون تركناهم يحمدونك ويسبحونك ويمجدونك فيقول
وهل رأوني فيقولون لا فيقول كيف لو رأوني فيقولون لو رأوك لكانوا اشد تسبيحا وتحميدا وتمجيدا فيقول لهم من اي شيء يتعوذون
فيقولون من النار فيقول وهل رأوها فيقولون لا فيقول فكيف لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا اشد هربا منها
واشد نفورا فيقول واي شيء يطلبون فيقولون الجنة فيقول وهل رأوها فيقولون لا فيقول فكيف لو رأوها
فيقولون لو رأوها لكانوا اشد حرصا عليها فيقول فاني اشهدكم اني قد غفرت لهم فيقولون كان فيهم فلان لم يردهم
انما جاء لحاجة فيقول هم قوم لا يشقى بهم جليسهم **فضيلة التهليل** قال صلى الله عليه وسلم افضل ما قلت انا والنبيون من
قبلي لا اله الا الله وحده لا شريك له وقال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء

في كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى
يمسي ولم يأت احد يوم القيامة بافضل مما جاء به الا احد عمل اكثر من ذلك وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد توضأ فاحسن الوضوء ثم رفع رأسه او طرفه
الى السماء فقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له ابواب الجنة يدخل من ايها شاء وقال صلى الله عليه وسلم ليس على
اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في النشور كأني انظر اليهم عند الصيحة ينفضون رؤوسهم من التراب ويقولون الحمد لله الذي اذهب
عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور **وقال** ايضا يا ابا هريرة ان كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة الا شهادة ان لا اله الا الله
فانها لا توضع في ميزان لانها لو وضعت في ميزان من قالها صادقا ووضعت السموات السبع والارضون السبع وما فيهن كان لا اله الا الله
ارجح من ذلك **وقال** لو جاء قائل لا اله الا الله صادقا بقراب الارض ذنوبا لغفر الله له وقال يا ابا هريرة لقن الموتى شهادة ان لا اله الا
الله فانها تهدم الذنوب هدما قلت يا رسول الله هذا للموتى فكيف للاحياء فقال هي اهدم واهدم وقال صلى الله عليه وسلم من قال
لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة وقال لتدخلن الجنة كلكم الا من ابى وشرد على الله شراد البعير على اهله فقيل يا رسول الله
من الذي يأبى قال من لم يقل لا اله الا الله فاكثروا من ذكر لا اله الا الله قبل ان يحال بينكم وبينها فانها كلمة التوحيد وهي كلمة الاخلاص
وهي كلمة التقوى وهي الكلمة الطيبة وهي دعوة الحق وهي العروة الوثقى وهي ثمن الجنة وقال الله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان
فقيل الاحسان في الدنيا قول لا اله الا الله وفي الآخرة الجنة وكذا قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة **وروى** البراء بن عازب
انه صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان له عدل رقبة او نسمة
وقال من قال في يوم مائة مرة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لم يسبقه احد كان قبله
ولم يدركه احد كان بعده الا من عمل بافضل من عمله **وقال** عمر رضي الله عنه من قال في سوق من الاسواق لا اله الا الله وحده لا شريك له
له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتبت له الف الف حسنة ومحيت عنه الف الف سيئة وبني
له بيت في الجنة **ويروى** ان العبد اذا قال لا اله الا الله اتت على صحيفته فلا تمر على خطيئة الا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس
جنبها وقال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن اعتق اربع انفس
من ولد اسماعيل **وقال** صلى الله عليه وسلم من تعار من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الحمد لله
وسبحان الله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله ثم قال اللهم اغفر لي او اتى بدعاء الا استجيب له فان توضأ فصلى قبلت صلاته
فضيلة التسبيح والتحميد وبقية الاذكار قال صلى الله عليه وسلم من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وكبر ثلاثا وثلاثين
وحمد ثلاثا وثلاثين وختم المائة بلا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت له ذنوبه ولو
كانت مثل زبد البحر **وروى** ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال تولت عني الدنيا وقلت ذات يدي فقال فاين انت من صلاة
الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون فقال وماذا يا رسول الله قال قل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم استغفر الله
مائة مرة ما بين طلوع الفجر الى ان تصلي الصبح تأتيك الدنيا راغمة صاغرة ويخلق الله من كل كلمة ملكا يسبح الله الى يوم القيامة لك
ثوابه وقال صلى الله عليه وسلم اذا قال العبد الحمد لله ملأت ما بين السموات والارض فاذا قال الحمد لله الثانية ملأت ما بين السماء
السابعة الى الارض فاذا قال الحمد لله الثالثة قال الله تعالى سل تعط وقال رفاعة الزرقي كنا يوما نصلي وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما رفع رأسه من الركوع وقال سمع الله لمن حمده وقال رجل وراءه ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فلما انصرف صلى الله عليه وسلم
من صلاته قال لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها ايهم يكتبها اولا وقال صلى الله عليه وسلم الباقيات الصالحات هي لا اله الا الله
وسبحان الله والله اكبر والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله وقال صلى الله عليه وسلم ما على الارض رجل يقول لا اله الا الله والله اكبر وسبحان
الله والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله الا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر رواه ابن عمر **وروى** النعمان بن بشير انه
صلى الله عليه وسلم قال الذين يذكرون من جلال الله وتسبيحه وتهليله وتحميده ينعطف حول العرش له دوي كدوي النحل يذكر
بصاحبهن او لا يحب احدكم ان لا يزال عند الله ما يذكر به وقال صلى الله عليه وسلم لان اقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
احب الي مما طلعت عليه الشمس وفي رواية اخرى وزاد ولا حول ولا قوة الا بالله وقال صلى الله عليه وسلم خير من الدنيا وما فيها
وقال صلى الله عليه وسلم احب الكلام الى الله اربع سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر لا يضرك بايهن بدأت وقال صلى الله عليه وسلم
الطهور شطر الايمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والله اكبر تملآن ما بين السماء والارض والصلاة نور

والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك او عليك كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها او موبقها وقال ﷺ كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وقال ابو ذر قلت يا رسول الله اى الكلام احب الى الله قال ما اصطفى الله لملائكته سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وقال ابو هريرة قال ﷺ ان الله اصطفى من الكلام سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فاذا قال العبد سبحان الله كتب له عشرون حسنة وحط عنه عشرون سيئة واذا قال الله اكبر مثل ذلك وذكر الى اخر الكلمات وقال ﷺ من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة وقال الفقراء لرسول الله ﷺ ذهب اهل الدثور بالاجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول اموالهم فقال او ليس قد جعل لكم ما تصدقون قال ﷺ ان لكم بكل تسبيحة صدقة وتحميدة صدقة وتهليلة صدقة وتكبيرة صدقة وامر بمعروف صدقة ونهي عن منكر صدقة ويضع احدكم اللقمة في في اهله فهي صدقة وفي بضع احدكم صدقة قالوا يا رسول الله يأتي احدنا شهوته ويكون له فيها اجر قال ارأيتم لو وضعها في حرام اكان عليه فيها وزر كذلك ان وضعها في الحلال كان له فيها اجر وقال ابو ذر قلت لرسول الله سبق اهل الاموال بالاجر يقولون ما نقول وينفقون ولا ننفق فقال افلا ادلك على عمل اذا انت فعلته ادركت من قبلك وفت من بعدك الا من قال مثل قولك تسبح بعد كل صلاة ثلثا وثلثين وتحمد ثلثا وثلثين وتكبر اربعا وثلثين وروت بسرة رضي الله عنها قال ﷺ عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس فلا تغفلن واعقدن بالانامل فانها مستنطقات يعني بالشهادة يوم القيامة وقال ابن عمر رأيت النبي ﷺ يعقد التسبيح وقال ﷺ اذا قال العبد لا اله الا الله والله اكبر قال الله صدق عبدي لا اله الا انا وانا اكبر واذا قال العبد لا اله الا الله وحده لا شريك له قال الله صدق عبدي لا اله الا انا لا شريك لي واذا قال لا حول ولا قوة الا بالله يقول الله صدق عبدي لا حول ولا قوة الا بي ومن قالهن عند الموت لم تمسه النار وقال ﷺ ايعجز احدكم ان يكسب كل يوم الف حسنة قيل كيف ذلك فقال يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له الف حسنة ويحط عنه الف سيئة وقال ﷺ يا عبد الله بن قيس او يا ابا موسى الا ادلك على كنز من كنوز الجنة قال بلى قال لا حول ولا قوة الا بالله وقال ﷺ الا اعلمك عملا من كنز الجنة ومن تحت العرش قول لا حول ولا قوة الا بالله يقول الله اسلم عبدي واستسلم وقال ﷺ من قال حين يصبح وحين يمسي رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا كان حقا على الله ان يرضيه يوم القيامة وفي اخرى فاذا قال ذلك رضي عنه وقال مجاهد اذا خرج الرجل من بيته فقال بسم الله قال الملك هديت واذا قال توكلت على الله قال الملك كفيت واذا قال لا حول ولا قوة الا بالله قال الملك وقيت فتتفرق عنه الشياطين فيقولون لا سبيل لكم عليه قد هدي وكفي ووقي

فان قلت فما بال ذكر الله مع خفته على اللسان وقلة التعب فيه صار افضل وانفع من جملة العبادات مع كثرة المشقات فيها فاعلم ان تحقيق هذا لا يليق الا بعلم المكاشفة والقدر الذي يسمح بذكره في علم المعاملة ان المؤثر النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب فاما الذكر باللسان والقلب لاه فهو قليل الجدوى وفي الاخبار ما يدل عليه ايضا وحضور القلب في لحظة بالذكر والذهول عن الله مع الاشتغال بالدنيا ايضا قليل الجدوى بل حضور القلب مع الله على الدوام او في اكثر الاوقات هو المقدم على العبادات بل به تشرف سائر العبادات وهو غاية ثمرة العبادات العملية وللذكر اول واخر فاوله يوجب الانس والحب واخره يوجبه الانس والحب ويصدر عنه والمطلوب ذلك الانس فان المريد في بداية الامر قد يكون متكلفا بصرف قلبه ولسانه عن الوسواس الى ذكر الله فان وفق للمداومة انس به وانغرس في قلبه حب المذكور فلا ينبغي ان يتعجب من هذا فان من المشاهد في العادات ان يذكر غائب غير مشاهد بين يدي شخص ويكرر ذكر خصاله عنده فيحبه وقد يعشق بالوصف وكثرة الذكر ثم اذا عشق بكثرة الذكر المتكلف اولا صار مضطرا الى كثرة الذكر اخرا بحيث لا يصبر عنه فان من احب شيئا اكثر من ذكره ومن اكثر ذكر شيء وان كان متكلفا احبه فكذلك اول الذكر متكلف الى ان يثمر الانس بالمذكور والحب له ثم يمتنع الصبر عنه اخرا فيصير الموجب موجبا والثمرة مثمرا وهذا معنى قول بعضهم كابدت القرآن عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة فلا يصدر التنعم الا من الانس والحب ولا يصدر الانس الا من المداومة على المكابدة والتكلف مدة طويلة حتى يصير التكلف طبعا وكيف يستبعد هذا وقد يتكلف الانسان تناول طعام يستبشعه اولا ويكابد اكله ويواظب عليه فيصير موافقا لطبعه حتى لا يصبر عنه والنفس معتادة متحملة لما تتكلف كما قال الشاعر: هي النفس ما عودتها تتعود • اي ما كلفتها اولا يصير لها طبعا اخرا ثم اذا حصل الانس بذكر الله انقطع عن غير الله وما سوى الله هو الذي يفارقه عند الموت فلا يبقى معه في القبر اهل ولا مال ولا ولد ولا ولاية ولا يبقى الا ذكر الله فان كان قد انس به تمتع به وتلذذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه اذ ضرورات الحاجات في الحياة تصد عن ذكر الله ولا يبقى بعد الموت عائق فكأنه خلي بينه وبين محبوبه فعظمت غبطته وتخلص من السجن الذي كان ممنوعا فيه عما به انسه ولذلك قال ﷺ ان روح القدس نفث في روعي احبب ما احببت فانك مفارقه اراد به كل ما يتعلق بالدنيا فان ذلك يفنى في حقه بالموت فكل من عليها فان ويبقى وجه ربك وانما تفنى الدنيا بالموت في حقه الى ان يفنى في نفسه عند بلوغ الكتاب اجله وهذا الانس يتلذذ به العبد بعد موته الى ان ينزل في جوار الله ويترقى من الذكر الى اللقاء وذلك بعد ان يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور ولا ينكر بقاء ذكر الله معه بعد الموت فيقول انه اعدم فكيف يبقى معه ذكر الله فانه لم يعدم عدما يمنع الذكر بل عدما من الدنيا وعالم الملك والشهادة لا من عالم الملكوت والى ما ذكرناه الاشارة بقوله ﷺ القبر اما حفرة من النار او روضة من رياض الجنة وبقوله ﷺ ارواح الشهداء في حواصل طيور خضر وبقوله لقتلى بدر من المشركين يا فلان ويا فلان وقد سماهم اني قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقال عمر يا رسول الله كيف يسمعون وانى يجيبون وقد جيفوا فقال والذي نفسي بيده ما انتم باسمع لكلامي منهم ولكنهم لا يقدرون ان يجيبوا هذا قوله في المشركين واما المؤمنون والشهداء فقد قال ﷺ ارواحهم في حواصل طير خضر معلقة تحت العرش وهذه الحالة وما اشير بهذه الالفاظ اليه لا ينافي ذكر الله تعالى وقال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون ولاجل شرف ذكر الله عظمت رتبة الشهادة لان المطلوب الخاتمة ونعني بالخاتمة وداع الدنيا والقدوم على الله والقلب مستغرق بالله فلا يقدر على ان يموت في تلك الحالة الا في صف القتال فانه قطع الطمع عن مهجته وماله وولده واهله بل من الدنيا كلها فانه يريدها لحياته وقد هون على قلبه حياته في حب الله وطلب مرضاته فلا تجرد لله تعالى اعظم من ذلك ولذلك عظم امر الشهادة وورد فيه من الفضائل ما لا يحصى فمن ذلك انه لما استشهد عبد الله الانصاري يوم احد قال رسول الله ﷺ لولده الا ابشرك يا جابر قال بلى بشرك الله بالخير قال ان الله احيا اباك فاقعده بين يديه وليس بينه وبينه ستر فقال تعالى تمن علي يا عبدي ما شئت اعطيكه فقال يا رب ان تردني الى الدنيا حتى اقتل فيك وفي نبيك مرة اخرى فقال الله تعالى قد سبق القضاء مني بانهم اليها لا يرجعون **ثم القتل سبب الخاتمة** على مثل هذه الحالة فانه لو لم يقتل وبقي مدة ربما عادت شهوات الدنيا وغلبت ما استولى على قلبه من ذكر الله ولهذا عظم خوف اهل المعرفة من الخاتمة فان القلب وان الزم ذكر الله فهو متقلب لا يخلو عن الالتفات الى شهوات الدنيا ولا ينفك عن فترة تعتريه فاذا تمثل في اخر الحال في قلبه امر من الدنيا واستولى عليه وارتحل عن الدنيا والحالة هذه فيوشك ان يبقى استيلاؤه عليه فيحن بعد الموت اليه ويتمنى الرجوع الى الدنيا وذلك لقلة حظه في الاخرة اذ يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه **واسلم الاحوال** عن هذا الخطر خاتمة الشهادة اذا لم يكن قصد الشهيد نيل مال او ان يقال انه شجاع او غير ذلك كما ورد به الخبر بل حب الله واعلاء كلمته فهذه الحالة هي التي عبر عنها بان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ومثل هذا الشخص هو البائع للدنيا بالاخرة وحالة الشهيد توافق معنى قولك لا اله الا الله فانه لا مقصود له سوى الله وكل مقصود معبود وكل معبود اله فهذا الشهيد قائل بلسان حاله لا اله الا الله اذ لا مقصود له سواه ومن يقول ذلك بلسانه ولم يساعده حاله فامره في مشيئة الله ولا يؤمن في حقه الخطر ولذلك فضل رسول الله ﷺ قول لا اله الا الله على سائر الاذكار وذكر ذلك مطلقا في مواضع الترغيب ثم ذكر في بعض المواضع الصدق والاخلاص فقال مرة من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة ومعنى الاخلاص مساعدة الحال للمقال فنسأل الله ان يجعلنا في الخاتمة من اهل لا اله الا الله حالا ومقالا ظاهرا وباطنا حتى نودع الدنيا غير ملتفتين اليها بل متبرمين بها ومحبين للقاء الله فان من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فهذه نبذ من معاني ذكر الله لا يمكن الزيادة عليها في علم المعاملة

الباب الثاني في

قال الله تعالى واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان وقال ادعوني استجب لكم وقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية

انه لا يحب المعتدين. وقال: قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى. وقال: وقال ربكم ادعوني استجب لكم
ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين. **وقال** صلى الله عليه وسلم: ان الدعاء هو العبادة. ثم قرأ ادعوني استجب
لكم. وقال عليه السلام: الدعاء مخ العبادة. وقال عليه السلام: ليس شيء اكرم على الله من الدعاء. وقال عليه السلام: ان العبد لا يخطئه من الدعاء احدى
ثلاث: اما ذنب يغفر له، واما خير يعجل له، واما خير يدخر له. وقال ابو ذر: يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي مع الطعام
من الملح. وقال عليه السلام: سلوا الله من فضله فانه يحب ان يسأل، وافضل العبادة انتظار الفرج.

آداب الدعاء

وهي عشرة. **الاول** ان يترصد لدعائه الاوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة ورمضان من الشهور ويوم الجمعة من
الاسبوع ووقت السحر من ساعات الليل. قال تعالى: وبالاسحار هم يستغفرون. وقال عليه السلام: ينزل الله كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى
الثلث الاخير من الليل فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له. وقيل ان يعقوب انما
قال سوف استغفر لكم ربي ليدعو في وقت السحر فقيل انه قام في وقت السحر يدعو واولاده يؤمنون خلفه فاوحى الله اليه اني قد غفرت لهم
وجعلتهم انبياء. **الثاني** ان يغتنم الاحوال الشريفة. قال ابو هريرة: ان ابواب السماء تفتح عند زحف الصفوف في سبيل الله وعند نزول
الغيث وعند اقامة الصلاة المكتوبة فاغتنموا الدعاء فيها. **وقال** مجاهد: ان الصلاة جعلت في خير الساعات فعليكم
بالدعاء خلف الصلوات. وقال عليه السلام: الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد. وقال عليه السلام: الصائم لا ترد دعوته. وبالحقيقة يرجع
شرف الاوقات الى شرف الحالات ايضا اذ وقت السحر وقت صفاء القلب واخلاصه وفراغه من المشوشات. ويوم عرفة ويوم الجمعة
وقت اجتماع الهمم وتعاون القلوب على استدرار رحمة الله فهذا احد اسباب شرف الاوقات سوى ما فيها من اسرار لا يطلع البشر عليها
وحالة السجود جديرة بالاجابة. قال عليه السلام: اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا فيه من الدعاء. وقال عليه السلام: اني نهيت
ان اقرأ القرآن راكعا وساجدا فاما الركوع فعظموا فيه الرب واما السجود فاجتهدوا فيه من الدعاء فانه قمن ان يستجاب لكم. **الثالث**
ان يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه بحيث يرى بياض ابطيه. **وروى** جابر بن عبد الله ان رسول الله اتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل
يدعو حتى غربت الشمس. وقال سلمان: ان ربكم حي كريم يستحيي من عبده اذا رفع يديه اليه ان يردهما صفرا. **وقال** انس: كان عليه السلام يرفع
حتى يرى بياض ابطيه في الدعاء ولا يشير باصبعيه. **وروى** ابو هريرة انه عليه السلام مر على انسان يشير باصبعيه السبابتين فقال احد احد
اقتصر على الواحدة. **وقال** ابو الدرداء: ارفعوا هذه الايدي قبل ان تغل بالاغلال. ثم ينبغي ان يمسح بهما وجهه في آخر الدعاء. قال عمر:
كان عليه السلام اذا مد يديه في الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه. وقال ابن عباس: كان اذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما
يلي وجهه. فهذه هيئات اليد. ولا يرفع بصره الى السماء. **وقال** صلى الله عليه وسلم: لينتهين اقوام عن رفع ابصارهم الى السماء عند
الدعاء او لتخطفن ابصارهم. **الرابع** خفض الصوت بين المخافتة والجهر لما روى ان ابا موسى الاشعري قال: قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما دنونا من المدينة كبر الناس ورفعوا اصواتهم فقال: يا ايها الناس ان الذي تدعون ليس باصم ولا غائب، ان الذي تدعون بينكم وبين
اعناق ركابكم. **وقالت** عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها: اي بدعائك. وقد اثنى الله على نبيه زكريا عليه السلام اذ قال: اذ نادى
ربه نداء خفيا. وقال: ادعوا ربكم تضرعا وخفية. **الخامس** ان لا يتكلف السجع في الدعاء فان حال الداعي ينبغي ان يكون
حال متضرع والتكلف لا يناسبه. قال عليه السلام: سيكون قوم يعتدون في الدعاء. وقد قال: ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين.
قيل معناه التكلف للاسجاع. **والاولى** ان لا يجاوز الدعوات المأثورة فانه قد يعتدي في دعائه فيسأل ما لا تقتضيه
مصلحته فما كل احد يحسن الدعاء. ولذلك قيل في الخبر او الاثر ان العلماء يحتاج اليهم في الجنة اذ يقال لاهل الجنة تمنوا فلا يدرون
كيف يتمنون حتى يتعلموا من العلماء. وقد **قال** عليه السلام: اياكم والسجع في الدعاء، بحسب احدكم ان يقول اللهم اني اسألك الجنة وما قرب
اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل. وفي الخبر: سيأتي قوم يعتدون في الدعاء والطهور. ومر بعض السلف
بقاص يدعو بسجع فقال له: أعلى الله تبالغ؟ اشهد لقد رأيت حبيبا العجمي يدعو ما يزيد على قوله: اللهم اجعلنا جيدين، اللهم لا تفضحنا
يوم القيامة، اللهم وفقنا للخير. والناس يدعون من كل ناحية وراءه، وكان يعرف بركة دعائه. وقيل: ادعوا بلسان الذلة
والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق. وقيل: ان العلماء والابدال لا يزيد احدهم في الدعاء على سبع كلمات فما
دونها، ويشهد له آخر سورة البقرة فان الله لم يخبر في موضع من ادعية عباده اكثر من ذلك. واعلم ان المراد بالسجع هو المتكلف

من الكلام فان ذلك لا يلائم الضراعة والذلة، والا ففي الادعية المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات متوازنة لكنها غير متكلفة كقوله عليه السلام:
اسألك الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفين بالعهود انك رحيم ودود وانت
تفعل ما تريد. وامثال ذلك. فليقتصر على المأثور من الدعوات او ليلتمس بلسان التضرع من غير سجع وتكلف، فالتضرع
هو المحبوب. **السادس** التضرع والخشوع والرهبة. قال تعالى: انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا.
وقال: ادعوا ربكم تضرعا وخفية. **وقال** صلى الله عليه وسلم: اذا احب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه. **السابع** ان يجزم الدعاء
ويوقن بالاجابة ويصدق رجاءه فيه. قال عليه السلام: لا يقل احدكم اذا دعا اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت، ليعزم
المسألة فانه لا مكره له. وقال عليه السلام: اذا دعا احدكم فليعظم الرغبة فان الله لا يتعاظمه شيء. وقال عليه السلام: ادعوا الله وانتم
موقنون بالاجابة واعلموا ان الله لا يستجيب الدعاء من قلب غافل. **وقال** سفيان بن عيينة: لا يمنعن احدكم من الدعاء ما يعلمه
من نفسه فان الله اجاب شر الخلق ابليس اذ قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين. **الثامن**
ان يلح في الدعاء ويكرره ثلاثا. قال ابن مسعود: كان صلى الله عليه وسلم اذا دعا دعا ثلاثا واذا سأل سأل ثلاثا. وينبغي ان لا
يستبطئ الاجابة لقوله عليه السلام: يستجاب لاحدكم ما لم يعجل فيقول دعوت فلم يستجب لي، فاذا دعوت فسل الله كثيرا
فانك تدعو كريما. وقال بعضهم: اني اسأل الله منذ عشرين سنة حاجة وما اجابني وانا ارجو الاجابة، سألت الله ان يوفقني
لترك ما لا يعنيني. **وقال** عليه السلام: اذا سأل احدكم ربه مسألة فتعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،
ومن ابطأ عنه من ذلك شيء فليقل الحمد لله على كل حال. **التاسع** ان يفتتح الدعاء بذكر الله فلا يبدأ بالسؤال.
قال سلمة بن الاكوع: ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء الا قال سبحان ربي العلي الاعلى الوهاب. وقال ابو سليمان
الداراني: من اراد ان يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبي عليه السلام ثم يسأل حاجته ثم يختم بالصلاة عليه فان الله يقبل الصلاتين
وهو اكرم من ان يدع ما بينهما. وقال عليه السلام: اذا سألتم الله حاجة فابدؤا بالصلاة علي فان الله تعالى اكرم من ان يسأل حاجتين
فيقضي احداهما ويرد الاخرى. رواه ابو طالب المكي. **العاشر** وهو الادب الباطن وهو الاصل في الاجابة: التوبة ورد المظالم
والاقبال على الله بكنه الهمة فذلك هو السبب القريب في الاجابة. قال كعب الاحبار: اصاب الناس قحط شديد على عهد موسى رسول الله
موسى عليه السلام ببني اسرائيل ليستسقي لهم فلم يسقوا ثم خرج ثلاث مرات ولم يسقوا فاوحى الله تعالى الى موسى اني لا استجيب لك
ولمن معك وفيكم نمام. فقال موسى: يا رب ومن هو حتى نخرجه من بيننا؟ فاوحى الله اليه: يا موسى انهاكم عن النميمة واكون نماما. فقال
موسى لبني اسرائيل: توبوا جميعكم من النميمة. فتابوا فارسل الله عليهم الغيث. **وقال** سعيد بن جبير: قحط الناس في زمان
ملك من الملوك من بني اسرائيل فاستسقوا فقال الملك: ليرسلن الله علينا السماء او لنؤذينه. فقيل له: وكيف تقدر ان
تؤذيه وهو في السماء؟ فقال: اقتل اولياءه واهل طاعته فيكون ذلك اذى له. فارسل الله السماء. **وقال** سفيان الثوري: بلغني
ان بني اسرائيل قحطوا سبع سنين حتى اكلوا الميتة من المزابل واكلوا الاطفال، وكانوا كذلك يخرجون الى الجبال ويبكون ويتضرعون، فاوحى الله
الى انبيائهم عليهم السلام: لو مشيتم الي باقدامكم حتى تحفى ركبكم وتبلغ ايديكم عنان السماء وتكل السنتكم عن الدعاء فاني لا اجيب لكم داعيا
ولا ارحم لكم باكيا حتى تردوا المظالم الى اهلها. ففعلوا فمطروا من يومهم. **وقال** مالك بن دينار: اصاب الناس في بني اسرائيل
قحط فخرجوا مرارا فاوحى الله الى نبيهم ان اخبرهم انكم تخرجون الي بابدان نجسة وترفعون الي اكفا قد سفكتم بها
الدماء وملأتم بطونكم من الحرام، الآن قد اشتد غضبي عليكم ولن تزدادوا مني الا بعدا. **وقال** ابو الصديق الناجي: خرج
سليمان عليه السلام يستسقي فمر بنملة ملقاة على ظهرها رافعة قوائمها الى السماء وهي تقول: اللهم انا خلق من خلقك ولا غنى بنا عن
رزقك فلا تهلكنا بذنوب غيرنا. فقال سليمان: ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم. **وقال** الاوزاعي: خرج الناس
يستسقون فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله واثنى عليه ثم قال: يا معشر من حضر الستم مقرين بالاساءة؟ قالوا: اللهم نعم. فقال:
اللهم انا سمعناك تقول ما على المحسنين من سبيل وقد اقررنا بالاساءة فهل تكون مغفرتك الا لمثلنا، اللهم اغفر لنا وارحمنا
واسقنا. فرفع يديه ورفعوا ايديهم فسقوا. **وقيل** لمالك بن دينار: ادع لنا ربك. فقال: انكم تستبطئون المطر وانا
استبطئ الحجارة. **وروى** ان عيسى عليه السلام خرج يستسقي فلما ضجروا قال لهم عيسى: من اصاب منكم ذنبا فليرجع.
فرجعوا كلهم ولم يبق في المفازة الا رجل واحد فقال له عيسى: اما لك من ذنب؟ فقال: والله ما علمت من شيء غير اني كنت ذات يوم

اصبع فجرت امرأة فنظرت اليها بعيني هذه فلما جاوزت ادخلت اصبعي في عيني فانتزعتها واتبعت المرأة بها فقال له عيسى يا ادم حتى
آمنتني على دعائك ثم دعا فتجللت السماء سحابا ثم صبت فسقوا وقال حبي العتابي اصاب الناس قحط على عهد داود فاختار
ثلثة من علمائهم فخرجوا حتى يستسقوا بهم فقال احدهم اللهم انك انزلت في توراتك ان تعفو عمن ظلمنا اللهم انا ظلمنا انفسنا فاعف
عنا وقال الثاني اللهم انك انزلت في توراتك ان نعتق ارقاءنا فانا ارقاؤك فاعتقنا وقال الثالث اللهم انك انزلت في
توراتك ان لا نرد المساكين اذا وقفوا بابوابنا اللهم انا مساكينك وقفنا ببابك فلا ترد دعاءنا فسقوا وقال عطاء
السلمي منعنا الغيث فخرجنا نستسقي فاذا سعدون المجنون في المقابر فنظر الي فقال يا عطا هذا يوم النشور او بعثر ما في القبور
فقلت لا ولكنا منعنا الغيث فخرجنا نستسقي فقال يا عطاء بقلوب ارضية او بقلوب سماوية فقلت بقلوب سماوية فقال
هيهات يا عطاء قل للمتبهرجين لا تتبهرجوا فان الناقد بصير ثم رمق الى السماء بطرفه وقال الهي وسيدي لا تهلك بلادك
بذنوب عبادك ولكن بالمكتوم من اسمائك وما وارت الحجب من آلائك الا ما سقيتنا ماء غدقا تحيي به العباد وتروي به البلاد
يا من هو على كل شيء قدير قال عطاء فما استتم الكلام حتى ارعدت السماء وابرقت وجاءت بمطر كافواه القرب فولى وهو يقول
نعم الزاهدون والعابدونا ، اذ لمولاهم اجاعوا البطونا ، اسهروا الاعين العليلة فيه ، فانقضى ليلهم وهم ساهرونا
شغلتهم عبادة الله حتى ، قيل في الناس ان فيهم جنونا ، وقال ابن المبارك قدمت المدينة في عام شديد القحط فخرج الناس
يستسقون وخرجت معهم اذ اقبل غلام اسود عليه قطعتا خيش قد اتزر باحداهما والقى الاخرى على عاتقه فجلس الى جنبي فسمعته يقول الهي
اخلقت الوجوه عندك كثرة الذنوب ومساوي الاعمال وقد حبست عنا غيث السماء لتؤدب عبادك بذلك فاسالك يا حليما ذا اناة
يا من لا يعرف عباده منه الا الجميل ان تسقيهم الساعة الساعة فلم يزل يقول الساعة الساعة حتى اكتست السماء بالغمام واقبل المطر من كل مكان
قال ابن المبارك فجئت الى الفضيل فقال لي اراك كئيبا فقلت سبقنا اليه غيرنا فتولاه دوننا وقصصت عليه القصة فصاح الفضيل وخر
مغشيا عليه ويروى ان عمر استسقى بالعباس رضي الله عنهما فلما فرغ عمر من دعائه قال العباس اللهم انه لم ينزل بلاء من السماء الا بذنب
ولم يكشف الا بتوبة وقد توجه القوم بي اليك لمكاني من نبيك عم وهذه ايدينا اليك بالذنوب ونواصينا بالتوبة وانت الراعي
لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعة فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الشكوى وانت تعلم السر واخفى فاغثهم
بغياثك قبل ان يقنطوا فيهلكوا فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون قال فما تم كلامه حتى ارخت السماء مثل الجبال

فضيلة الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ويروى انه
جاء ذات يوم والبشر يرى في وجهه فقال عم انه جاءني جبريل فقال اما ترضى يا محمد ان لا يصلي عليك احد من امتك الا صليت عليه عشرا
وقال عم من صلى علي صلت عليه الملائكة ما صلى علي فليقلل عند ذلك او ليكثر وقال عم ان اولى الناس بي اكثرهم علي صلاة وقال عم
بحسب المؤمن من البخل ان اذكر عنده فلا يصلي علي وقال عم اكثروا الصلاة علي يوم الجمعة وقال عم من صلى علي من امتي كتب له عشر حسنات
ومحيت عنه عشر سيئات وقال عم من قال حين يسمع الاذان والاقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد
عبدك ورسولك واعطه الوسيلة والفضيلة والشفاعة يوم القيامة حلت له شفاعتي وقال عم من صلى علي في كتاب لم تزل
الملائكة يستغفرون له ما دام اسمي في ذلك الكتاب وقال عم ان في الارض ملائكة سياحين يبلغوني من امتي السلام وقال عم
ليس احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام وقيل له يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد
وازواجه وذريته كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد ويروى ان عمر رضي الله عنه سمع بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكي ويقول
بابي انت وامي يا رسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى
جعلت يدك عليه فسكن فامتك كانت اولى بالحنين عليك لما فارقتهم بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغت من فضيلتك عنده
ان اخبرك بالعفو عنك قبل ان اخبرك بالذنب فقال تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده
ان بعثك اخر الانبياء وذكرك في اولهم فقال تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابرهيم بابي انت وامي
يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار يودون ان يكونوا قد اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا
اطعنا الله واطعنا الرسولا بابي انت وامي يا رسول الله لئن كان موسى بن عمران اعطاه الله حجرا تفجر منه الانهار فما
ذلك باعجب من اصابعك حين نبع منها الماء بابي انت وامي يا رسول الله لئن كان سليمان اعطاه الله الريح غدوها شهر ورواحها شهر

فما ذلك باعجب من البراق حين سرت عليه الى السماء السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالابطح صلى الله عليك بابي انت
وامي يا رسول الله لئن كان عيسى بن مريم اعطاه الله احياء الموتى فما ذلك باعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهي مشوية
فقالت الذراع لا تأكلني فاني مسمومة بابي انت وامي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا كلنا فلقد وطئ ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا
خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون بابي انت وامي يا رسول الله لقد اتبعك في قلة سنيك وقصر عمرك ما لم يتبع نوحا
في كثرة سنه وطول عمره ولقد امن بك الكثير وما امن معه الا القليل بابي انت وامي يا رسول الله لو لم تجالس الا كفوا لك ما
جالستنا ولو لم تنكح الا كفوا لك ما نكحت الينا ولو لم تؤاكل الا كفوا لك ما واكلتنا فلقد والله جالستنا ونكحت الينا
وواكلتنا ولبست الصوف وركبت الحمار واردفت خلفك ووضعت طعامك على الارض ولعقت اصابعك تواضعا
منك صلى الله عليك **فضيلة الاستغفار** قال الله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا
لذنوبهم وقال ابن مسعود في القرآن ايتان ما اذنب عبد ذنبا فقرأهما واستغفر الا غفر الله له والذين اذا فعلوا فاحشة
وقوله ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما وقال تعالى والمستغفرين بالاسحار وقال تعالى
فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا وكان عم يكثر ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي انك انت التواب
الرحيم وقال عم من اكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب وقال عم
اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم سبعين مرة هذا مع انه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وقال عم انه ليغان
على قلبي حتى اني لاستغفر الله كل يوم مائة مرة وقال عليه الصلاة والسلام من قال حين يأوي الى فراشه استغفر الله الذي
لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه ثلث مرات غفر الله ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر وعدد رمل عالج او عدد ورق
الشجر او عدد ايام الدنيا وقال في حديث اخر من قال ذلك غفرت ذنوبه وان كان فارا من الزحف وقال حذيفة كنت
ذرب اللسان على اهلي فقلت يا رسول الله لقد خشيت ان يدخلني لساني النار فقال صلى الله عليه وسلم فاين انت من الاستغفار
في اليوم مائة مرة وقالت عائشة رضي الله عنها قال لي صلى الله عليه وسلم ان كنت الممت بذنب فاستغفري الله فان التوبة من الذنب
الندم والاستغفار وكان عم يقول في الاستغفار اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي واسرافي في امري وما انت
اعلم به مني اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطائي وعمدي وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت
وما اسررت وما اعلنت وما انت اعلم به مني انت المقدم وانت المؤخر وانت على كل شيء قدير وقال علي رضي الله عنه كنت رجلا
اذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعني الله به بما شاء ان ينفعني منه واذا حدثني احد من اصحابه استحلفته فاذا
حلف صدقته قال وحدثني ابو بكر وصدق ابو بكر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد يذنب ذنبا
فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يستغفر الله الا غفر الله له ثم تلا قوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة وقال صلى الله عليه وسلم
ان المؤمن اذا اذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها وان زاد زادت حتى يعلو قلبه فذلك
الران الذي ذكر الله كلا بل ران على قلوبهم وقال عم ان الله ليرفع الدرجة للعبد في الجنة فيقول يا رب انى لي هذه فيقول
باستغفار ولدك لك ولذلك انه عم قال اللهم اجعلني من الذين اذا احسنوا استبشروا واذا اساؤا استغفروا وقال
اذا اذنب العبد ذنبا فقال اللهم اغفر لي يقول الله اذنب عبدي ذنبا فعلم ان له ربا يأخذ بالذنب ويغفر الذنب
عبدي اعمل ما شئت فقد غفرت لك وقال عم ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وقال ان رجلا لم يعمل
خيرا قط نظر الى السماء فقال ان لي لربا يا رب اغفر لي فقال الله قد غفرت لك وقال عم من اذنب ذنبا فعلم ان الله قد
اطلع عليه غفر له وان لم يستغفره وقال عم يقول الله يا عبادي كلكم مذنب الا من عافيته فاستغفروني اغفر لكم ومن
علم اني ذو قدرة على ان اغفر له غفرت له ولا ابالي وقال عم من قال سبحانك ظلمت نفسي وعملت سوءا فاغفر
لي انه لا يغفر الذنوب الا انت غفرت ذنوبه ولو كانت كمدب النمل ويروى ان افضل الاستغفار اللهم انت
ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء لك
بنعمتك علي وابوء بذنبي وقد ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي ما قدمت منها وما اخرت انه لا يغفر الذنوب

جميعا الا انت **الآثار** قال خالد بن معدان قال الله ان احب عبادي الي المتحابون في جبي والمعلقة قلوبهم بالمساجد والمستغفرون بالاسحار اولئك الذين اذا اردت اهل الارض بعقوبة ذكرتهم فتركتهم وصرفت العقوبة عنهم **وقال** قتادة ان القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم اما داؤكم فالذنوب واما دواؤكم فالاستغفار **وقال** علي رضي الله عنه العجب ممن يهلك ومعه النجاة قيل وما هو قال الاستغفار وقيل ما الهم الله عبدا الاستغفار وهو يريد ان يعذبه وقال الفضيل قول العبد استغفر الله تفسيره اقلني **وقيل** العبد بين ذنب ونعمة لا يصلحهما الا الحمد والاستغفار وقال الربيع بن خثيم لا يقولن احدكم استغفر الله واتوب اليه فيكون ذنبا وكذبا ان لم يفعل ولكن ليقل اللهم اغفر لي وتب علي **وقال** الفضيل الاستغفار بلا اقلاع توبة الكذابين **وقالت** رابعة استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير **وقال** بعض الحكماء من قدم الاستغفار على الندم كان مستهزئا بالله وهو لا يعلم وسمع اعرابي وهو متعلق باستار الكعبة يقول اللهم ان استغفاري مع اصراري للؤم وان تركي استغفارك مع علمي بسعة عفوك لعجز فكم تتحبب الي بالنعم مع غناك عني واتبغض اليك بالمعاصي مع فقري اليك يا من اذا وعد وفى واذا اوعد عفا ادخل عظيم جرمي في عظيم عفوك يا ارحم الراحمين **وقال** ابو عبد الله الوراق لو كان عليك مثل عدد القطر وزبد البحر ذنوبا لمحيت عنك اذا دعوت ربك بهذا الدعاء مخلصا ان شاء الله تعالى اللهم اني استغفرك من كل ذنب تبت اليك منه ثم عدت فيه واستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسي ولم اوف لك به واستغفرك من كل عمل اردت به وجهك فخالطه غيرك واستغفرك من كل نعمة انعمت بها علي فاستعنت بها على معصيتك واستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كل ذنب اتيته في ضياء النهار وسواد الليل في ملأ وخلاء وسر وعلانية يا حليم وقيل انه استغفار الخضر عليه السلام

الباب الثالث في ادعية ماثورة ومعزية الى اصحابها وادابها مما يستحب ان يدعو بها المريد

صباحا ومساء وبعقب كل صلاة فمنها دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ركعتي الفجر قال ابن عباس رضي الله عنه بعثني العباس الى رسول الله فاتيته ممسيا وهو في بيت خالتي ميمونة فقام يصلي من الليل فلما صلى الركعتين قبل صلاة الفجر قال اللهم اني اسالك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملي وتلم بها شعثي وترد بها الفتي وتصلح بها ديني وتحفظ بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتبيض بها وجهي وتلهمني بها رشدي وتعصمني بها من كل سوء اللهم اعطني ايمانا صادقا ويقينا ليس بعده كفر ورحمة انال بها شرف كرامتك في الدنيا والاخرة اللهم اني اسالك الفوز عند القضاء ومنازل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء ومرافقة الانبياء اللهم اني انزل بك حاجتي وان ضعف رايي وقصر عملي وافتقرت الى رحمتك فاسالك يا قاضي الامور ويا شافي الصدور كما تجير بين البحور ان تجيرني من عذاب السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور اللهم ما قصر عنه رايي وضعف عنه عملي ولم تبلغه نيتي وامنيتي من خير وعدته احدا من عبادك او خير انت معطيه احدا من خلقك فاني ارغب اليك فيه واسالكه يا رب العالمين اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين حربا لاعدائك سلما لاوليائك نحب بحبك الناس ونعادي بعداوتك من خالفك من خلقك اللهم هذا الدعاء مني وعليك الاجابة وهذا الجهد وعليك التكلان وانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله ذي الحبل الشديد والامر الرشيد اسالك الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفين بالعهود انك رحيم ودود وانت تفعل ما تريد سبحان الذي تعطف بالعز وقال به سبحان الذي لبس المجد وتكرم به سبحان الذي لا ينبغي التسبيح الا له سبحان ذي الفضل والنعم سبحان ذي القدرة والكرم سبحان الذي احصى كل شيء بعلمه اللهم اجعل لي نورا في قلبي ونورا في قبري ونورا في سمعي ونورا في بصري ونورا في شعري ونورا في بشري ونورا في لحمي ونورا في دمي ونورا في عظامي ونورا من بين يدي ونورا من خلفي ونورا عن يميني ونورا عن شمالي ونورا من فوقي ونورا من تحتي اللهم زدني نورا واعطني نورا واجعل لي نورا برحمتك يا ارحم الراحمين

دعاء عائشة رضي الله عنها

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة عليك بالجوامع الكوامل قولي اللهم اني اسالك من الخير كله عاجله واجله ما علمت منه وما لم اعلم واعوذ بك من الشر كله عاجله واجله ما علمت منه وما لم اعلم واسالك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل واسالك من خير ما سالك عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم واستعيذك مما استعاذ منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم واسالك ما قضيت لي من امر ان تجعل عاقبته رشدا برحمتك يا ارحم الراحمين

دعاء فاطمة رضي الله عنها

قال صلى الله عليه وسلم يا فاطمة ما يمنعك ان تسمعي ما اوصيك به ان تقولي يا حي يا قيوم برحمتك استغيث لا تكلني الى نفسي طرفة عين واصلح لي شاني كله

دعاء الصديق رضي الله عنه

علم صلى الله عليه وسلم ابا بكر رضي الله عنه ان يقول اللهم اني اسالك بمحمد صلى الله عليه وسلم نبيك وابرهيم خليلك وموسى نجيك وعيسى كلمتك وروحك وبكلام موسى وانجيل عيسى وزبور داود وفرقان محمد وكل وحي اوحيته او قضاء قضيته او سائل اعطيته او غني افقرته او فقير اغنيته او ضال هديته واسالك باسمك الذي انزلته على موسى واسالك باسمك الذي به بثثت ارزاق العباد واسالك باسمك الذي وضعته على الارض فاستقرت واسالك باسمك الذي وضعته على السموات فاستقلت واسالك باسمك الذي وضعته على الجبال فارست واسالك باسمك الذي به استقل عرشك واسالك باسمك الطهر الطاهر الاحد الصمد الوتر المنزل في كتابك من لدنك من النور المبين واسالك باسمك الذي وضعته على النهار فاستنار وعلى الليل فاظلم وبعظمتك وكبريائك وبنور وجهك ان ترزقني القرآن والعلم وتخلطه بلحمي ودمي وسمعي وبصري وتستعمل به جسدي بحولك وقوتك فانه لا حول ولا قوة الا بك يا ارحم الراحمين

دعاء بريدة الاسلمي رضي الله عنه

قال له صلى الله عليه وسلم يا بريدة الا اعلمك كلمات من اراد الله به خيرا علمهن اياه ثم لم ينسهن اياه ابدا قلت بلى يا رسول الله قال قل اللهم اني ضعيف فقو في رضاك ضعفي وخذ الى الخير بناصيتي واجعل الاسلام منتهى رضاي اللهم اني ضعيف فقوني واني ذليل فاعزني واني فقير فاغنني يا ارحم الراحمين

دعاء قبيصة بن المخارق رضي الله عنه

اذ قال للنبي صلى الله عليه وسلم علمني كلمات ينفعني الله بها فقد كبرت سني وعجزت عن اشياء كنت اعملها فقال اما لدنياك فاذا صليت الغداة فقل ثلث مرات سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده لا حول ولا قوة الا بالله فاذا قلتهن امنت من غم وجذام وبرص وفالج واما لاخرتك فقل اللهم اهدني من عندك وافض علي من فضلك وانشر علي من رحمتك وانزل علي من بركاتك ثم قال اما انهن اذا وافى بهن عبد يوم القيامة لم يدعهن فتح له اربعة ابواب من الجنة يدخل من ايها شاء

دعاء ابي الدرداء رضي الله عنه

قيل لابي الدرداء ذات يوم قد احترقت دارك وكانت النار قد وقعت في محلته فقال ما كان الله ليفعل ذلك فقيل له ذلك ثلثا فقال ما كان الله ليفعل ذلك ثم اتاه ات فقال يا ابا الدرداء ان النار حين دنت من دارك طفيت فقال علمت ذلك فقيل له ما ندري اي قوليك اعجب قال اني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من قال هؤلاء الكلمات في ليل او نهار لم يضره شيء وقد قلتهن وهي اللهم انت ربي لا اله الا انت عليك توكلت وانت رب العرش العظيم لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن اعلم ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما اللهم اني اعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة انت اخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم

دعاء ابرهيم الخليل عليه السلام

كان يقول اذا اصبح اللهم هذا خلق جديد فافتحه علي بطاعتك واختمه لي بمغفرتك ورضوانك وارزقني فيه حسنة تقبلها مني وزكها وضعفها لي وما عملت فيه من سيئة فاغفرها لي انك غفور رحيم ودود كريم قال ومن دعا بهذا الدعاء اذا اصبح فقد ادى شكر يومه

دعاء عيسى صلى الله عليه وسلم

كان يقول اللهم اني اصبحت لا استطيع دفع ما اكره ولا املك نفع ما ارجو واصبح الامر بيد غيري واصبحت مرتهنا بعملي فلا فقير افقر مني اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسوء بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تجعل الدنيا اكبر همي ولا مبلغ علمي ولا تسلط علي من لا يرحمني

دعاء الخضر عليه السلام

قيل ان الخضر والياس اذا التقيا في كل موسم لم يتفرقا الا عن هذه الكلمات بسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله ما شاء الله كل نعمة فمن الله ما شاء الله الخير كله بيد الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله فمن قالها ثلثا اذا اصبح امن من الغرق والحرق والسرق

دعاء معروف الكرخي رحمه الله تعالى

قال محمد بن حسان قال لي معروف الكرخي الا اعلمك عشر كلمات خمس للدنيا وخمس للاخرة من دعا الله بهن وجد الله عندهن قلت اكتبها قال لا ولكني اردها عليك كما رددها علي بكر بن خنيس حسبي الله لديني حسبي الله لدنياي حسبي الله الكريم لما اهمني حسبي الله الحليم القوي لمن بغى علي حسبي الله الشديد لمن كادني بسوء حسبي الله الرحيم عند الموت حسبي الله الرؤف عند المسايلة في القبر حسبي الله الكريم عند الحساب حسبي الله اللطيف عند الميزان حسبي الله القدير عند الصراط حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وقد روي عن ابي الدرداء من قال كل يوم سبع مرات فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم كفاه الله ما اهمه من امر اخرته صادقا كان بها او كاذبا

دعاء عتبة الغلام

وقد رؤي عتبة الغلام في المنام فقال دخلت الجنة بهذه الكلمات اللهم يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين ومقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم اجمعين واجعلنا مع الاحياء المرزوقين الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين امين يا رب العالمين

دعاء ادم عليه السلام

قالت عائشة لما اراد الله ان يتوب على ادم طاف بالبيت سبعا وهو يومئذ ليس بمبني ربوة حمراء ثم قام فصلى ركعتين ثم قال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم اني اسالك ايمانا يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى اعلم انه لن يصيبني الا ما كتبته علي وارضني بما قسمته لي فاوحى الله اليه اني قد غفرت لك ولن ياتيني احد من ذريتك فيدعوني بمثل الذي دعوتني به الا غفرت له وكشفت غمومه وهمومه ونزعت الفقر من بين عينيه واتجرت له من وراء كل تاجر وجاءته الدنيا وهي راغمة وان كان لا يريدها

دعاء علي رضه

رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا ... الى اسم المجيد لنفسه كل يوم ويقول اني انا الله رب العالمين اني انا الله لا اله الا انا الحي القيوم اني انا الله لا اله الا انا العلي العظيم اني انا الله لا اله الا انا لم الد ولم اولد اني انا الله لا اله الا انا العفو الغفور اني انا الله لا اله الا انا مبدئ كل شيء واليّ يعود اني انا الله لا اله الا انا العزيز الحكيم اني انا الله لا اله الا انا الرحمن الرحيم اني انا الله لا اله الا انا مالك يوم الدين اني انا الله لا اله الا انا خالق الخير والشر اني انا الله لا اله الا انا خالق الجنة والنار اني انا الله لا اله الا انا الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لم اتخذ صاحبة ولا ولدا اني انا الله لا اله الا انا الفرد الوتر اني انا الله لا اله الا انا عالم الغيب والشهادة اني انا الله لا اله الا انا الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر اني انا الله لا اله الا انا الخالق البارئ اني انا الله لا اله الا انا الاحد المصور اني انا الله لا اله الا انا الكبير المتعال اني انا الله لا اله الا انا المقتدر القهار الحليم الكريم اني انا الله لا اله الا انا اهل الثناء والمجد اني انا الله لا اله الا انا عالم السر واخفى اني انا الله لا اله الا انا القادر الرزاق اني انا الله لا اله الا انا فوق الخلق والخليقة اني انا الله لا اله الا انا وذكر في كل كلمة اني انا الله لا اله الا انا كما ورد في الحديث الاول في دعاء من الاسماء فليقل الملك الا الله لا اله الا انت كذا وكذا فمن دعا بها كتب مع الساجدين المخبتين الذين يجاورون محمدا وابراهيم وموسى وعيسى والنبيين في دار الجلال وله ثواب العابدين في السموات والارضين

دعاء المعتمر رضه

وهو سليمان التيمي وتسبيحاته روى ان ابو بن عبيد راى رجلا في المنام ممن قتل شهيدا ببلاد الروم فقال يا فضل ما رايت اكثر من الاعمال قال رايت تسبيحات المعتمر من الله بمكان وهي هذه سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله عدد ما خلق وعدد ما هو خالق وزنة ما خلق وزنة ما هو خالق وملء سمواته وملء ارضه ومثل ذلك واضعاف ذلك وعدد خلقه وزنة عرشه ومنتهى رحمته ومداد كلماته ومبلغ رضاه وحتى يرضى واذا رضي وعدد ما ذكره به خلقه في جميع ما مضى وعدد ما هم ذاكروه فيما بقي في كل سنة وشهر وجمعة ويوم وليلة وساعة من الساعات ونسم ونفس من ابد الى الابد ابد الدنيا وابد الاخرة واكثر من ذلك كله لا ينقطع اوله ولا ينفد اخره

دعاء ابرهيم بن ادهم رحمه الله تعالى

روى ان ابرهيم بن بشار خادمه انه كان يقول هذا الدعاء في يوم الجمعة اذا اصبح واذا امسى مرحبا بيوم المزيد والصبح الجديد والكاتب والشهيد يومنا هذا يوم عيد اكتب لنا ما نقول بسم الله الحميد المجيد الرفيع الودود الفعال في خلقه ما يريد اصبحت بالله مؤمنا وبلقائه صادقا وبحجته معترفا ومن ذنبي مستغفرا ولربوبية الله خاضعا ولسوى الله من الالهة جاحدا والى الله فقيرا وعلى الله متوكلا والى الله منيبا اشهد الله واشهد ملئكته وانبياءه ورسله وحملة عرشه ومن خلقه ومن هو خالقه بانه هو الله لا اله الا هو وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان الجنة حق والنار حق والحوض حق وان الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور على ذلك احيا وعليه اموت وعليه ابعث ان شاء الله اللهم انت ربي لا رب لي غيرك خلقتني وانا عبدك على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك اللهم من شر كل ذي شر اللهم اني ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا انت واصرف عني سيئها فانه لا يصرف سيئها الا انت لبيك وسعديك والخير كله بيديك انا لك واليك استغفرك واتوب اليك امنت اللهم بما ارسلت من رسول وامنت اللهم بما انزلت من كتاب وصلى الله على محمد النبي وعلى اله وسلم كثيرا خاتم النبيين ومفتاحه وعلى انبيائه ورسله اجمعين امين رب العالمين اللهم اوردنا حوضه واسقنا بكاسه مشربا رويا سائغا هنيا لا نظما بعده ابدا واحشرنا

في زمرته غير خزايا ولا ناكثين ولا مرتابين ولا مفتونين ولا مغضوبا علينا ولا ضالين اللهم اعصمني من فتن الدنيا ووفقني لما تحب وترضى واصلح لي شاني كله وثبتني بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة ولا تضلني وان كنت ظالما سبحانك سبحانك يا علي يا عظيم يا بار يا رحيم يا عزيز يا جبار سبحان من سبحت له السموات باكنافها وسبحان من سبحت له الجبال باصواتها وسبحان من سبحت له البحار بامواجها وسبحان من سبحت له الحيتان بلغاتها وسبحان من سبحت له النجوم في السماء بابراجها وسبحان من سبحت له الاشجار باصولها وثمارها وسبحان من سبحت له السموات السبع والارضون السبع ومن فيهن ومن عليهن سبحانك سبحانك يا حي يا حليم سبحانك لا اله الا انت وحدك لا شريك لك تحيي وتميت وانت حي لا تموت بيدك الخير وانت على كل شيء قدير

الباب الرابع في ادعية ماثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وعلاوة في الاسانيد

يستحب للمريد اذا اصبح ان يكون احد اوراده الدعاء كما سياتي في كتاب الاوراد فان كنت من المريدين حرث الاخرة من المقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم فينبغي ان تدعو به فقل اذا افتتحت دعواتك اعتقاب صلواتك سبحان ربي العلي الاعلى الوهاب لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقل رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ثلث مرات وقل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه اشهد ان لا اله الا انت اعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه وقل اللهم اني اسالك العفو والعافية في ديني ودنياي واهلي وولدي ومالي اللهم استر عوراتي وامن روعاتي واقلني عثراتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي واعوذ بك ان اغتال من تحتي اللهم لا تؤمني مكرك ولا تولني غيرك ولا ترفع عني سترك ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني من الغافلين وقل اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت وابوء لك بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب وقل اللهم عافني في بدني وعافني في سمعي وعافني في بصري لا اله الا انت ثلث مرات وقل اللهم اني اسالك الرضا بعد القضا وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة واعوذ بك ان اظلم او اظلم او اعتدي او يعتدى علي او اكتسب اثما او ذنبا لا تغفره اللهم اني اسالك الثبات في الامور والعزيمة على الرشد واسالك شكر نعمتك وحسن عبادتك واسالك قلبا سليما ولسانا صادقا وخلقا مستقيما وعملا متقبلا واسالك من خير ما تعلم واعوذ بك من شر ما تعلم واستغفرك مما تعلم فانك تعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت فانك انت المقدم وانت المؤخر وانت على كل شيء قدير وعلى كل شيء شهيد اللهم اني اسالك ايمانا لا يرتد ونعيما لا ينفد وقرة عين الابد ومرافقة نبيك محمد في اعلى جنة الخلد اللهم اني اسالك الطيبات وفعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين اسالك حبك وحب من احبك وحب عمل يقرب الى حبك وان تتوب علي وتغفر لي وترحمني واذا اردت بقوم فتنة فاقبضني اليك غير مفتون اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق احيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي اسالك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة العدل في الرضا والغضب والقصد في الغنا والفقر ولذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك واعوذ بك من ضراء مضرة وفتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تدخلنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا اللهم املأ وجوهنا منك حياء وقلوبنا بك فرحا واسكن في نفوسنا من عظمتك وذلل جوارحنا لخدمتك واجعلك احب الينا مما سواك واجعلنا اخشى لك ممن سواك اللهم اجعل اول يومنا هذا صلاحا واوسطه فلاحا واخره نجاحا اللهم اجعل اوله رحمة واوسطه نعمة واخره تكرمة الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لعزته وخضع كل شيء لملكه واستسلم كل شيء لقدرته والحمد لله الذي سكن كل شيء لهيبته واظهر كل شيء بحكمته وتصاغر كل شيء لكبريائه اللهم صل على محمد وعلى اله وازواجه وذريته وبارك على محمد وعلى اله وازواجه وذريته كما باركت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم في العالمين انك حميد مجيد اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي ورسول الامين والخطيب المقام المحمود يوم الدين اللهم اجعلنا من اوليائك المتقين وحزبك المفلحين وعبادك الصالحين استعملنا لمرضاتك عنا ووفقنا لمحابك منا صرفنا بحسن اختيارك لنا نسالك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه ونعوذ بك من جوامع الشر وفواتحه

ذنبي انك انت ربي الملك انه لا يغفر الذنوب الا انت اللهم الهمني رشدي وقني شر نفسي واغفر لي ذنبي انك انت ربي
اللهم ارزقني حلالا لا تعاقبني عليه وقنعني بما رزقتني واستعملني به صالحا تقبله مني اسالك العفو والعافية وحسن اليقين والمعافاة
في الدنيا والاخرة يا من لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة هب لي ما لا يضرك واعطني ما لا ينقصك افرغ علينا صبرا وتوفنا
مسلمين والحقني بالصالحين انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة
ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم ربنا اغفر لنا ذنوبنا
واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ربنا اتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا ربنا اتنا في الدنيا حسنة
وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ان امنوا بربكم فامنا الى قوله انك لا تخلف الميعاد ربنا
لا تؤاخذنا الى اخر السورة رب اغفر لي ولوالدي رب ارحمهما كما ربياني صغيرا واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الاحياء منهم والاموات
رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم انك انت الاعز الاكرم وانت خير الراحمين وخير الغافرين وانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل

انواع الاستعاذة الماثورة عنه صلى الله عليه وسلم

اللهم اني اعوذ بك من البخل واعوذ بك من الجبن واعوذ بك من ان ارد الى ارذل العمر واعوذ بك من فتنة الدنيا واعوذ بك من عذاب القبر
اللهم اني اعوذ بك من طمع يهدي الى طبع ومن طمع في غير مطمع ومن طمع حيث لا مطمع اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع
ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع ومن الجوع فانه بئس الضجيع ومن الخيانة فانها بئست البطانة ومن الكسل والبخل والجبن ومن
الهرم ومن فتنة الدجال وعذاب القبر اللهم انا نسالك قلوبا اواهة مخبتة منيبة في سبيلك اللهم انا نسالك عزائم
مغفرتك وموجبات رحمتك والسلامة من كل اثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار اللهم اني اعوذ بك من
التردي واعوذ بك من الغم والغرق والهدم واعوذ بك من ان اموت في سبيلك مدبرا واعوذ بك من ان اموت
لطلب الدنيا اللهم اني اعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم اعلم اللهم جنبني منكرات الاخلاق والاعمال والادواء
والاهواء اللهم اني اعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الاعداء واعوذ بك من الكفر
والدين والفقر واعوذ بك من عذاب جهنم واعوذ بك من فتنة الدجال اللهم اني اعوذ بك من شر سمعي وبصري ومن شر
لساني وقلبي ومن شر منيي ... اللهم اني اعوذ بك من جار السوء في دار المقامة اللهم اني اعوذ بك من القسوة والغفلة
والعيلة والذلة والمسكنة واعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق والشقاق والنفاق والسمعة والرياء واعوذ بك من الصمم
والبكم والجنون والجذام والبرص وسيئ الاسقام اللهم اني اعوذ بك من زوال نعمتك ومن تحول عافيتك ومن
فجاة نقمتك ومن جميع سخطك اللهم اني اعوذ بك من عذاب النار ومن فتنة النار وعذاب القبر وفتنة القبر ومن شر
فتنة الغنى ومن شر فتنة الفقر ومن شر فتنة المسيح الدجال واعوذ بك من المغرم والماثم اللهم اني اعوذ بك من نفس لا تشبع
وقلب لا يخشع وصلاة لا تنفع ودعوة لا تستجاب واعوذ بك من شر الغم وفتنة الصدور اللهم اني اعوذ بك من غلبة الدين

الباب الخامس في الادعية الماثورة عند كل حادث من الحوادث

اذا اصبحت وسمعت الاذان يستحب لك جواب المؤذن فاذا خرجت الى المسجد فقل اللهم اجعل في قلبي نورا وفي لساني نورا
واجعل في سمعي نورا وفي بصري نورا واجعل خلفي نورا ومن امامي نورا واجعل من فوقي نورا اللهم اعطني نورا وقل ايضا اللهم اني
اسالك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا اليك لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء
سخطك وابتغاء مرضاتك فاسالك ان تنقذني من النار وان تغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب الا انت ۵
وان خرجت من المنزل لحاجة فقل بسم الله رب اعوذ بك ان اظلم او اظلم او اجهل او يجهل علي بسم الله الرحمن الرحيم
لا حول ولا قوة الا بالله التكلان على الله **واذا** انتهيت الى المسجد تريد دخوله فقل اللهم صل على محمد وسلم اللهم اغفر لي ذنوبي
وافتح لي ابواب رحمتك وقدم رجلك اليمنى في الدخول **واذا** رايت في المسجد من يبيع او يبتاع فقل لا اربح الله تجارتك **واذا**
رايت من ينشد ضالة فقل لا ردها الله عليك فانا نهينا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم **واذا** صليت ركعتي الصبح فقل اللهم اني اسالك
رحمة من عندك تهدي بها قلبي الى اخر الدعاء **واذا** ركعت فقل اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك امنت ولك اسلمت
وعليك توكلت انت ربي خشع سمعي وبصري ومخي وعظامي وعصبي وما استقلت به قدمي لله رب العالمين **وان**

اجبت فقل سبحان ربي العظيم ثلث مرات او سبوح قدوس رب الملائكة والروح **واذا** رفعت راسك من الركوع فقل سمع الله
لمن حمده ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شيء بعد اهل الثناء والمجد كلنا لك عبد لا مانع لما
اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد **واذا** سجدت فقل اللهم لك سجدت وبك امنت ولك اسلمت
سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره فتبارك الله احسن الخالقين اللهم سجد لك سوادي وخيالي وبك امن فؤادي
ابوء بنعمتك علي وابوء بذنبي وهذا ما جنيت على نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت او تقول سبحان ربي الاعلى ثلث
ثلث مرات **واذا** فرغت من الصلاة فقل اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام وتدعو بسائر الادعية
التي ذكرناها **واذا** قمت من المجلس واردت دعاء يكفر لغو المجلس فقل سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت
استغفرك واتوب اليك عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت **واذا** دخلت السوق فقل
لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير بسم الله اللهم
اني اسالك خير هذه السوق وخير ما فيها واعوذ بك من شرها وشر ما فيها اللهم اني اعوذ بك ان اصيب فيها يمينا فاجرة
او صفقة خاسرة **وان** كان عليك دين فقل اللهم اكفني بحلالك عن حرامك واغنني بفضلك عمن سواك **واذا**
لبست ثوبا جديدا فقل اللهم كسوتني هذا الثوب فلك الحمد اسالك من خيره وخير ما صنع له واعوذ بك من شره وشر ما صنع له
واذا رايت شيئا من الطيرة تكرهه فقل اللهم لا ياتي بالحسنات الا انت ولا يذهب بالسيئات الا انت لا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم **واذا** رايت الهلال فكبر الله ثلثا فقل اللهم اهله علينا بالامن والايمان والسلامة والاسلام ربي وربك الله
او تقول هلال رشد وخير امنت بخالقك اللهم اني اسالك خير هذا الشهر وخير القدر واعوذ بك من شر يوم الحشر وكبر
قبله ثلثا **واذا** هبت الريح فقل اللهم اني اسالك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما ارسلت به واعوذ بك من
شرها وشر ما فيها وشر ما ارسلت به **واذا** سمعت صوت الرعد ورايت الصواعق فقل اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا
تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته **واذا** مطرت السماء فقل اللهم سقيا
هنيا وصيبا نافعا اللهم اجعله سيب رحمة ولا تجعله سيب عذاب **واذا** بلغك وفاة احد فقل انا لله وانا اليه راجعون
وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم اكتبه من المحسنين واجعل كتابه في عليين واخلفه على عقبه في الغابرين اللهم لا تحرمنا
اجره ولا تفتنا بعده واغفر لنا وله **وتقول** عند التصدق ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم **وتقول** عند الخسر
عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون **وتقول** عند ابتداء الامور ربنا اتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من
امرنا رشدا رب اشرح لي صدري ويسر لي امري **وتقول** عند النظر الى السماء ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا
عذاب النار تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا **وتقول** عند الغضب اللهم اغفر لي ذنبي واذهب
غيظ قلبي واجرني من الشيطان الرجيم **واذا** خفت قوما فقل اللهم انا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم **واذا**
غزوت فقل اللهم انت عضدي ونصيري وبك اقاتل **واذا** طنت اذنك فصل على محمد فقل ذكر الله من ذكرني بخير **واذا**
رايت استجابة دعائك فقل الحمد لله الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات وان ابطات فقل الحمد لله على كل حال **واذا** سمعت
اذان المغرب فقل اللهم هذا استقبال ليلك وادبار نهارك واصوات دعاتك وحضور صلواتك اسالك ان تغفر لي **واذا**
اصابك هم فقل اللهم اني عبدك وابن عبدك وابن امتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك اسالك
بكل اسم هو لك سميت به نفسك او انزلته في كتابك او علمته احدا من خلقك او استاثرت به في علم الغيب عندك ان تجعل
القران ربيع قلبي ونور بصري وضياء صدري وجلاء غمي وذهاب همي وحزني **قال** صلى الله عليه وسلم ما اصاب احدا
حزن فقال ذلك الا اذهب الله همه وابدله مكانه فرحا قيل يا رسول الله افلا نتعلمها فقال بلى ينبغي لمن سمعها ان يتعلمها
واذا وجدت وجعا في جسدك او جسد غيرك فارق برقية رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى الانسان قرحة او جرحا
وضع سبابته على الارض ثم رفعها وقال بسم الله تربة ارضنا بريقة بعضنا يشفى بها سقيمنا باذن ربنا
واذا وجدت وجعا في جسدك فضع يدك على الموضع الذي يالم من جسدك وقل بسم الله ثلثا وقل سبع مرات
اعوذ بالله وقدرته من شر ما اجد واحاذر **واذا** اصابك كرب فقل لا اله الا الله العلي الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم

لا اله الا الله رب السموات والارض ورب العرش الكريم واذا اردت النوم فتوضأ اولا ثم توسد على يمينك مستقبل القبلة
ثم كبر الله اربعا وثلثين وسبحه ثلثا وثلثين وتحمده ثلثا وثلثين ثم قل اللهم انى اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك
من عقوبتك واعوذ بك منك اللهم لا استطيع ان ابلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن انت كما اثنيت على نفسك اللهم
باسمك احيا واموت اللهم رب السموات ورب الارض ورب كل شئ ومليكه فالق الحب والنوى ومنزل التورية والانجيل
والقران اعوذ بك من شر كل ذى شر ومن شر كل دابة انت اخذ بناصيتها انت الاول فليس قبلك شئ وانت الاخر فليس بعدك شئ وانت
الظاهر فليس فوقك شئ وانت الباطن فليس دونك شئ اقض عنى الدين واغننى من الفقر اللهم انك خلقت نفسى وانت
تتوفاها لك مماتها ومحياها اللهم ان امتها فاغفر لها وان احييتها فاحفظها اللهم انى اسألك العافية باسمك ربى
وضعت جنبى فاغفر لى اللهم قنى عذابك يوم تجمع عبادك اسلمت نفسى اليك ووجهت امرى اليك والجات
ظهرى اليك رغبة ورهبة اليك لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك امنت بكتابك الذى انزلت ونبيك الذى ارسلت
وليكن هذا اخر دعائك فقد امر رسول الله ص بذلك وليقل قبل ذلك اللهم ايقظنى فى احب الساعات اليك واستعملنى باحب
الاعمال اليك تقربنى اليك زلفى وتبعدنى من سخطك بعدا اسألك فتعطينى واستغفرك فتغفر لى وادعوك فتستجيب لى
واذا استيقظت من نومك عند الصباح فقل الحمد لله الذى احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور اصبحنا واصبح الملك
لله والعظمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله اصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص ودين نبينا محمد ص
وملة ابينا ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين اللهم بك اصبحنا وبك امسينا وبك نحيا وبك نموت واليك المصير
اللهم انا نسألك ان تبعثنا فى هذا اليوم الى كل خير واعوذ بك ان اجترح فيه سوءا او اجره الى مسلم فانك قلت وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم
ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى اللهم فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا اسألك خير هذا اليوم وخير
ما فيه واعوذ بك من شره وشر ما فيه بسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله ما شاء الله الخير كله بيد
الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك
المصير واذا امسيت قال ذلك الا انه يقول امسينا ويقول مع ذلك اعوذ بكلمات الله التامات واسمائه كلها من شر ما ذرأ وبرأ
ومن شر كل ذى شر ومن شر كل دابة انت اخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم **واذا** نظرت فى المرآة فقل الحمد لله الذى
سوى خلقى فعدله وكرم صورة وجهى وحسنها وجعلنى من المسلمين **واذا** اشتريت خادما او غلاما او دابة فخذ بناصيته
وقل اللهم انى اسألك خيره وخير ما جبل عليه واعوذ بك من شره وشر ما جبل عليه **واذا** هنئت بالنكاح فقل بارك الله فيك
وبارك عليك وجمع بينكما بخير **واذا** قضيت الدين فقل للمقضى له بارك الله لك فى اهلك ومالك اذ قال ص انما جزاء السلف
الحمد والاداء فهذه ادعية لا يستغنى المريد عن حفظها **فان قلت** فما فائدة الدعاء والقضاء لا مرد له
فاعلم ان من القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة كما ان الترس سبب لرد السهم والماء
سبب لخروج النبات من الارض فكما ان الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان وليس من شرط الاعتراف
بقضاء الله ان لا يحمل السلاح وقد قال الله تعالى خذوا حذركم وان لا تسقى الارض بعد بث البذر فيقال ان سبق القضاء
بالنبات نبت بل ربط الاسباب بالمسببات هو القضاء الاول الذى هو كلمح البصر وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الاسباب
على التدريج والتقدير هو القدر والذى قدر الخير قدره بسبب والذى قدر الشر قدر لدفعه سببا فلا تناقض بين هذه
الامور عند من انفتحت بصيرته **ثم فى الدعاء من الفائدة** ما ذكرناه فى الذكر فانه يستدعى حضور القلب مع الله
وهو منتهى العبادات ولذلك قال ص الدعاء مخ العبادة والغالب على الخلق انه لا تنصرف قلوبهم الى ذكر الله عز وجل الا عند حاجة
وارهاق ملمة فان الانسان اذا مسه الشر فذو دعاء عريض فالحاجة تحوج الى الدعاء والدعاء يرد القلب الى الله تعالى
بالتضرع والاستكانة فيحصل به الذكر الذى هو اشرف العبادات ولذلك صار البلاء موكلا بالانبياء عليهم السلام ثم الاولياء ثم
الامثل فالامثل لانه يرد القلب بالافتقار والتضرع الى الله ويمنع من نسيانه واما الغنى فسبب للبطر فى غالب الامور فان
الانسان ليطغى ان راه استغنى فهذا ما اردنا ان نورده من جملة الاذكار والدعوات والله الموفق تم كتاب الاذكار ويتلوه كتاب ترتيب الاوراد

كتاب ترتيب الاوراد

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله على الائه حمدا كثيرا ونذكره ذكرا لا يغادر فى القلب استكبارا ولا نفورا
ونشكره اذ جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا ونصلى على محمد نبيه الذى بعثه بالحق بشيرا ونذيرا
وعلى اله وصحبه الاكرمين الذين اجتهدوا فى عبادة الله غدوة وعشية وبكرة واصيلا حتى اصبح كل واحد منهم نجما فى الدين هاديا
وسراجا منيرا **اما بعد** فان الله تعالى جعل الارض ذلولا لعباده لا ليستقروا فى مناكبها بل ليتخذوها منزلا
منها محترزين من مصايدها ومعاطبها ويتحققون ان العمر يسير بهم سير السفينة براكبها والناس فى هذا العالم
سفر واول منازلهم المهد واخرها اللحد والوطن هو الجنة او النار والعمر مسافة السفر فسنوه مراحله
وشهوره فراسخه وايامه امياله وانفاسه خطواته وطاعته بضاعته واوقاته رؤس امواله وشهواته واغراضه
قطاع طريقه وربحه الفوز بلقاء الله تعالى فى دار السلام مع الملك الكبير والنعيم المقيم وخسرانه البعد من الله تعالى مع الانكال
والاغلال والعذاب الاليم فى دركات الجحيم فالغافل فى نفس من انفاسه حتى ينقضى فى غير طاعة تقربه الى الله زلفى
متعرض فى يوم التغابن لغبينة وحسرة ما لها منتهى ولهذا الخطر العظيم والخطب الهائل شمر الموفقون عن ساق
الجد وودعوا بالكلية ملاذ النفس واغتنموا بقايا العمر ورتبوا بحسب تكرار الاوقات وظائف الاوراد حرصا على
احياء الليل والنهار فى طلب القرب من الملك الجبار والسعى الى دار القرار فصار من مهمات علم طريق الاخرة تفصيل
القول فى كيفية قسمة الاوراد وتوزيع العبادات التى سبق شرحها على مقادير الاوقات ويتضح هذا المهم بذكر بابين

الباب الاول فى فضيلة الاوراد وترتيبها فى الليل والنهار	الباب الثانى فى فضيلة احياء الليل وفضيلته وما يتعلق به	الباب الاول فى فضيلة الاوراد

فضيلة الاوراد وبيان ان المواظبة عليها هى الطريق الى الله تعالى اعلم ان الناظرين بنور البصيرة علموا انه لا
نجاة الا فى لقاء الله تعالى وانه لا سبيل الى اللقاء الا بان يموت العبد محبا لله وعارفا بالله وان المحبة والانس لا تحصل الا من دوام
ذكر المحبوب والمواظبة عليه وان المعرفة به لا تحصل الا بدوام الفكر فيه وفى صفاته وافعاله وليس فى الوجود شئ سوى الله
وافعاله ولن يتيسر دوام الذكر والفكر الا بوداع الدنيا وشهواتها والاجتزاء منها بقدر البلغة والضرورة وكل ذلك
لا يتم الا باستغراق اوقات الليل والنهار فى وظائف الاذكار والافكار والنفس لما جبلت عليه من السامة والملال لا تصبر
على فن واحد من الاسباب المعينة على الذكر والفكر بل اذا ردت الى نمط واحد اظهرت الملال والاستثقال وان الله
لا يمل حتى تملوا فمن ضرورة اللطف بها ان تروح بالتنقل من فن الى فن ومن نوع الى نوع بحسب كل وقت لتغزر بالانتقال
لذتها وتعظم باللذة رغبتها وتدوم بدوام الرغبة مواظبتها فلذلك تقسم الاوراد قسمة مختلفة فالذكر والفكر ينبغى
ان يستغرقا جميع الاوقات او اكثرها فان النفس بطبعها مائلة الى ملاذ الدنيا فان صرف العبد شطر اوقاته الى تدبيرات
الدنيا وشهواتها المباحة مثلا والشطر الاخر الى العبادات رجح جانب الميل الى الدنيا لموافقتها الطبع اذ يكون الوقت
متساويا فانى يتقاومان والطبع لاحدهما مرجح اذ الظاهر والباطن يتساعدان على امور الدنيا ويصفو فى طلبها
القلب ويتجرد واما الرد الى العبادات فمتكلف ولا يسلم اخلاص القلب وحضوره الا فى بعض الاوقات فمن اراد ان يدخل
الجنة بغير حساب فليستغرق اوقاته فى الطاعة ومن اراد ان ترجح كفة حسناته وتثقل موازين خيراته فليستوعب
فى الطاعة اكثر اوقاته فان خلط عملا صالحا واخر سيئا فامره مخطر ولكن الرجاء غير منقطع والعفو من كرم الله منتظر فعسى الله
ان يغفر له بجوده وكرمه فهذا ما انكشف للناظرين بنور البصيرة فان لم تكن من اهله فانظر الى خطاب الله لرسوله ص
واقتبس بنور الايمان فقد قال تعالى لاقرب عباده اليه وارفعهم درجة لديه ان لك فى النهار سبحا طويلا وقال واذكر
اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا وقال تعالى واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا وقال تعالى وسبح بحمد ربك
قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود وقال تعالى ان ناشئة الليل هى اشد وطأ واقوم قيلا وقال ومن اناء الليل فسبح واطراف النهار
لعلك ترضى وقال تعالى واقم الصلوة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ثم انظر كيف وصف الفائزين من عباده
وبماذا وصفهم فقال تعالى امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما الاية وقال تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع الاية وقال تعالى
والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقال تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وقال تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون

ومن لم واطرد الذين يدعون ربهم بالغدوة والعشي يريدون وجهه وبهذا كله يتبين لك ان الطريق الى الله مراقبة الاوقات وعمارتها
بالاوراد على سبيل الدوام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم احب عباد الله الى الله الذين يراعون الشمس والقمر والاظلة لذكر الله وقال تع
والشمس والقمر بحسبان وقال تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل الاية وقال تعالى والقمر قدرناه منازل وقال تعالى وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا
فلا تظنن ان المقصود من سير الشمس والقمر بحساب منظوم مرتب ومن خلق الظل والنور والنجوم ان تستعان بها على امور الدنيا بل
لتعرف مقادير الاوقات فتشتغل فيها بالطاعات والتجارة للدار الاخرة يدلك عليه قوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان
يذكر او اراد شكورا اي يخلف احدهما الاخر ليتدارك في احدهما ما فات في الاخر وبين ان ذلك للذكر والشكر لا لغيره وقال تع
وجعلنا الليل والنهار ايتين الى لتبتغوا فضلا من ربكم واما الفضل المبتغى هو الثواب والمغفرة **بيان عدد الاوراد وترتيبها**
اعلم ان اوراد النهار سبعة فما بين طلوع الصبح الى طلوع قرص الشمس ورد وما بين طلوع الشمس الى الزوال وردان وما بين
الزوال الى وقت العصر وردان وما بين العصر الى الغروب وردان **والليل** ينقسم باوراد اربعة وردان من المغرب
الى وقت نوم الناس وردان في النصف الاخير من الليل الى طلوع الصبح فلنذكر وظيفة كل ورد وفضيلته
وما يتعلق به **فالورد الاول** من طلوع الصبح الى طلوع الشمس وهو وقت شريف ويدل على فضله وشرفه اقسام الله
به اذ قال والصبح اذا تنفس وتمدحه به اذ قال تعالى فالق الاصباح وقال قل اعوذ برب الفلق واظهاره القدرة بقبض الظل فيه
اذ قال ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وهو وقت قبض الظل وبسط نور الشمس وارشاده الناس الى التسبيح فيه بقوله فسبحان
الله حين تمسون وحين تصبحون واما ترتيبه فليأخذ من وقت انتباهه من النوم فاذا انتبه فينبغي ان يبتدئ بذكر الله تع
فيقول الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور الى اخر الادعية والايات التي ذكرناها في دعاء الاستيقاظ من كتاب الدعوات
ويلبس ثوبه وهو في الدعاء وينوي به ستر العورة امتثالا لامر الله واستعانة على عبادته من غير قصد رياء ورعونة ثم يتوجه
الى بيت الماء ان كانت به حاجة ويدخل اولا رجله اليسرى ويدعو بالادعية المذكورة في كتاب الطهارة عند الدخول والخروج
ثم يستاك على السنة ويتوضأ مراعيا لجميع السنن والادعية فانا انما قدمنا احاد العبادات لكي نذكر في هذا الكتاب وجه
التركيب والترتيب فقط فاذا فرغ من الوضوء صلى ركعتي الصبح اعني السنة في منزله كذلك كان يفعل صلى الله عليه وسلم ويقرأ بعد الركعتين
اذا اخذ في البيت او المسجد الدعاء الذي رواه ابن عباس رضه اللهم اني اسألك رحمة من عندك الى اخره ثم يخرج من البيت متوجها
الى المسجد ولا ينسى دعاء الخروج الى المسجد ولا يسعى الى الصلاة بل يمشي وعليه السكينة كما ورد الخبر به ولا يشبك بين اصابعه ويدخل المسجد
وليطلب الصف الاول ان وجد متسعا ولا يتخطى رقاب الناس والازدحام ثم يصلي ركعتي الفجر ان لم يصليهما في المنزل
ويشتغل بالدعاء المذكور بعده وان كان قد صلى ركعتي الفجر صلى ركعتي التحية وجلس منتظرا للجماعة والاحب التغليس بالجماعة
فقد كان صلى الله عليه وسلم يغلس بالصبح ولا ينبغي ان يدع الجماعة في الصلاة عامة وفي الصبح والعشاء خاصة فلها زيادة فضل
فقد قال صلعم في صلاة الصبح من توضأ ثم توجه الى المسجد يصلي فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة ومحي عنه سيئة والحسنة بعشر امثالها
فاذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة في جسده حسنة وانقلب بحجة مبرورة فاذا جلس حتى يركع كتب له بكل ركعة
الفي الف حسنة ومن صلى العتمة فله مثل ذلك وانقلب بعمرة مبرورة **وكان** من عادة السلف دخول المسجد
قبل طلوع الفجر قال رجل من التابعين دخلت المسجد قبل طلوع الفجر فلقيت ابا هريرة قد سبقني فقال لي يا ابن اخي
لم خرجت من منزلك هذه الساعة فقلت لصلاة الغداة فقال ابشر فانا كنا نعد خروجنا وقعودنا في المسجد في هذه الساعة
بمنزلة غزوة في سبيل الله او قال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن علي كرم الله وجهه ان النبي صلعم طرقه وفاطمة وهما نائمان فقال
الا تصليان قال علي فقلت يا رسول الله انما انفسنا بيد الله فاذا شاء ان يبعثنا بعثنا فانصرف صلعم وسمعته وهو مدبر
يضرب فخذه ويقول وكان الانسان اكثر شيء جدلا **ثم ليشتغل** بالاستغفار والتسبيح الى ان تقام الصلاة
فيقول استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه سبعين مرة وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
مائة مرة ثم يصلي الفريضة مراعيا لجميع ما ذكرناه ثم ليقعد في المسجد الى طلوع الشمس مشتغلا بذكر الله فقد قال صلعم
لان اقعد في مجلس اذكر الله فيه من صلاة الغداة الى طلوع الشمس احب الي من ان اعتق اربع رقاب **وقد روي** انه صلعم اذا صلى
الغداة قعد في مصلاه الى ان تطلع الشمس وفي بعض الروايات ويصلي ركعتين اي بعد الطلوع **وقد ورد** في فضل ذلك
ما لا يحصى **وروى** الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيما يذكر من رحمة ربه يقول انه تعالى قال يا ابن ادم اذكرني بعد صلاة الفجر ساعة

وبعد العصر ساعة اكفك ما بينهما فاذا ظهر فضل ذلك فليقعد ولا يتكلم الى طلوع الشمس بل ينبغي ان يكون وظيفته
الى الطلوع اربعة انواع ادعية وتكريرها في سبحة وقراءة قرآن وتفكر اما الادعية فكلما فرغ من صلاته فليبدأ وليقل اللهم
صل على محمد وعلى ال محمد اللهم انت السلام ومنك السلام واليك يعود السلام حينا ربنا بالسلام وادخلنا دار السلام
تباركت يا ذا الجلال والاكرام ثم يفتتح الدعاء بما كان صلى الله عليه وسلم يفتتح به وهو قوله سبحان ربي العلي الاعلى الوهاب لا اله
الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا اله الا الله اهل النعمة
والفضل والثناء الحسن لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ثم يبدأ بالادعية التي اوردناها
في الباب الثالث والرابع من كتاب الادعية فيدعو بجميعها ان قدر عليها او يحفظ من جملتها ما يراها اوفق بحاله وارق لقلبه واخف
على لسانه **واما الاذكار المكررة** فهي كلمات ورد في تكرارها فضائل لم نطول بايرادها واقل ما ينبغي ان
يكرر كل واحد منها ثلثا او سبعا واكثرها مائة او سبعون واوسطها عشرة فليكرر بقدر فراغه وسعة وقته وفضل
الاكثر اكثر والاوسط الاقصد ان يكررها عشر مرات فهو اجدر بان يدوم عليه وخير الامور ادومها وان قل وكل وظيفة
لا يمكن المواظبة على كثيرها فقليلها مع المداومة افضل واشد تاثيرا في القلب من كثيرها ومثال القليل الدائم كقطرات
ماء تتقاطر على الارض على التوالي فتحدث فيها حفرة ولو وقع على الحجر ومثال الكثير المتفرق ماء يصب دفعة او دفعات
متفرقة متباعدة الاوقات فلا يتبين لها اثر ظاهر وهذه الكلمات عشرة **الاولى** قوله لا اله الا الله وحده لا شريك
له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير **والثانية** سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم **والثالثة** سبوح قدوس رب الملائكة والروح **والرابعة**
سبحان الله العظيم وبحمده **والخامسة** استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واسأله التوبة **والسادسة**
اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد **والسابعة** لا اله الا الله الملك الحق المبين
والثامنة بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم **والتاسعة**
اللهم صل على سيدنا محمد وعلى ال محمد **والعاشرة** اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب اعوذ بك من
همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون فهذه العشرة الكلمات اذا كرر كل واحدة عشر مرات حصل له مائة
مرة فهو افضل من ان يكرر ذكرا واحدا مائة مرة لان لكل واحدة من هذه الكلمات فضلا على حدة وللقلب بكل واحدة تنبه
وتلذذ وللنفس في الانتقال من كلمة الى كلمة نوع استراحة وامن من الملال **واما القراءة** فيستحب له قراءة ايات
ورد في الاخبار فضلها وهو ان يقرأ سورة الحمد واية الكرسي وامن الرسول وشهد الله وقل اللهم مالك الملك ولقد
جاءكم رسول من انفسكم ولقد صدق الله رسوله الرؤيا الى اخر السورة وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا وخمس ايات من اول
الحديد وثلثا من اخر الحشر وان قرأ المسبعات العشر التي اهداها الخضر الى ابرهيم التيمي ووصاه ان يقولها غدوة وعشية
فقد استكمل الفضل وجمع له ذلك فضيلة الادعية المذكورة **فقد روي** عن كرز بن وبرة وكان من الابدال قال
اتاني اخ لي من اهل الشام فاهدى لي هدية وقال يا كرز اقبل مني هذه الهدية فانها نعم الهدية فقلت يا اخي من اهدى لك هذه الهدية
قال اعطانيها ابرهيم التيمي قلت افلم تسأل ابرهيم من اعطاها اياه قال بلى قال كنت جالسا في فناء الكعبة وانا في
التهليل والتسبيح والتمجيد فجاءني رجل فسلم علي وجلس عن يميني فلم ار في زماني احسن منه وجها ولا احسن منه ثيابا ولا اشد بياضا
ولا اطيب ريحا منه فقلت يا عبد الله من انت ومن اين جئت فقال انا الخضر فقلت في اي شيء جئتني فقال جئتك للسلام عليك
وحبا لك في الله وعندي هدية اريد ان اهديها لك فقلت وما هي قال هي ان تقول قبل طلوع الشمس وقبل ان تنبسط على
الارض وقبل الغروب فاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله احد وقل يا ايها الكافرون واية الكرسي كل واحدة سبع مرات
وتقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر سبعا وتصلي على النبي صلعم سبعا وتستغفر للمؤمنين والمؤمنات سبعا وتستغفر
لنفسك ولوالديك سبعا كل واحد سبعا سبعا وتقول اللهم افعل بي وبهم عاجلا واجلا في الدين والدنيا والاخرة ما انت له اهل ولا
تفعل بنا يا مولاي ما نحن له اهل انك غفور رحيم جواد كريم رؤف رحيم سبع مرات وانظر ان لا تدع ذلك غدوة ولا عشية فقلت احب
ان تخبرني من اعطاك هذه العطية فقال اعطانيها محمد صلعم فقلت اخبرني بثواب ذلك فقال اذا لقيت محمدا فاسأله عن
ثوابه فانه يخبرك بذلك فذكر ابرهيم التيمي انه رأى ذات يوم في منامه كان الملائكة جاءته فاحتملته حتى ادخلوه الجنة

بيدي فقلت يا رسول الله ان الخضر اخبرني انه سمع منك هذا الحديث فقال صدق الخضر عليه السلام وكل ما يحكيه فهو حق وهو عالم اهل الارض وهو رئيس الابدال
وهو من جنود الله في الارض فقلت يا رسول الله فمن فعل هذا وعمله ولم ير مثل الذي رايت في منامي هل يعطى شيئا مما اعطيته فقال
والذي بعثني بالحق انه ليعطى العامل بهذا وان لم يرني ولم ير الجنة انه ليغفر له جميع الكبائر التي عملها ويرفع الله عنه غضبه ومقته
ويؤمر صاحب الشمال ان لا يكتب عليه شيئا من السيئات الى سنة والذي بعثني بالحق نبيا ما يعمل بهذا الا من خلقه الله سعيدا ولا يتركه
الا من خلقه الله شقيا وكان ابرهيم التيمي اربعة اشهر لم يطعم ولم يشرب فلعله كان بعد هذه الرؤيا فهذه وظيفة القراءة فان انضم
اليها شيئا مما انتهى اليه ورده من القرآن او اقتصر عليه فحسن فان القرآن جامع لفضل الذكر والفكر والدعاء مهما كان بتدبر وأما الافكار
فليكن ذلك احد وظائفه وسياق تفصيل ما يتفكر فيه وكيفيته ولكن جامعه يرجع الى فنين احدهما ان يتفكر فيما ينفعه في المعاملة بان
يحاسب نفسه فيما سبق من تقصيره ويرتب وظائف يومه الذي بين يديه ويدبر في دفع الصوارف والعوائق الشاغلة له عن
الخير ويتذكر تقصيره وما يتطرق اليه الخلل من اعماله ليصلحه ويحضر في قلبه النيات الصالحة في اعماله في نفسه وفي معاملته للمسلمين
والفن الثاني فيما ينفعه في علم المكاشفة وذلك بان يتفكر مرة في نعم الله وتواتر آلائه الظاهرة والباطنة لتزيد معرفته بها
ويكثر شكره عليها او في عقوباته ونقماته لتزيد معرفته بقدرة الله واستغنائه ويزيد خوفه منها ولكل واحد من هذه الامور شعب
كثيرة يتسع التفكر فيها على بعض الخلق دون بعض ومهما تيسر الفكر فهو اشرف العبادات اذ فيه معنى الذكر لله وزيادة امرين احدهما
زيادة المعرفة اذ الفكر مفتاح المعرفة والكشف والثاني زيادة المحبة اذ لا يحب القلب الا من اعتقد تعظيمه ولا تنكشف عظمة الله وجلاله الا بمعرفة
صفاته ومعرفة قدرته وعجائب افعاله فيحصل من الفكر المعرفة ومن المعرفة التعظيم ومن التعظيم المحبة والذكر ايضا يورث الانس وهو نوع من
المحبة ولكن المحبة التي سببها المعرفة اقوى واثبت واعظم ونسبة محبة العارف الى انس الذاكر من غير تمام الاستبصار نسبة عشق من شاهد
جمال شخص بالعين واطلع على حسن اخلاقه وافعاله وفضائله وخصاله الحميدة بالتجربة الى انس من كرر على سمعه وصف شخص غائب عن عينه بالحسن في الخلق والخلق
مطلقا من غير تفصيل وجوه الحسن فيهما فليس محبته كمحبة المشاهد وليس الخبر كالمعاينة والعباد المواظبون على ذكر الله بالقلب واللسان
الذين صدقوا بما جاءت به الرسل بالايمان التقليدي ليس معهم من محاسن صفات الله الا امور جملية اعتقدوها بتصديق من وصفها
لهم والعارفون هم الذين شاهدوا ذلك الجلال والجمال بعين البصيرة الباطنة التي هي اقوى من البصر الظاهر لانهم لم يحيطوا
بكنه جلاله وجماله فان ذلك غير مقدور لاحد من الخلق ولكن كل واحد شاهد بقدر ما رفع له من الحجاب ولا نهاية لجمال حضرة الربوبية ولا
لحجبها وانما عدد حجبها التي استحقت ان تسمى نورا وكاد ان يظن الواصل اليها انه قد تم وصوله الى الاصل سبعون ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان لله سبعين
حجابا من نور وتلك الحجب ايضا مترتبة وتلك الانوار متفاوتة في الرتب تفاوت الشمس والقمر والكواكب ويبدو في الاول اصغرها
ثم ما يليه وعليه اول بعض الصوفية درجات ما كان يظهر لابرهيم عليه السلام في ترقيه فقال فلما جن عليه الليل اي اظلم عليه الامر
رأى كوكبا اي وصل الى حجاب من حجب النور فعبر عنه بالكوكب وما اريد به هذه الاجسام المضيئة فان احاد العوام لا يخفى عليهم
ان الربوبية لا تليق بالاجسام بل يدركون ذلك باوائل نظرهم فما لا يضل العوام لا يضل الخليل عليه السلام والحجب المسماة انوارا ما اريد
بها الضوء المحسوس بالبصر بل اريد به ما اريد بقوله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ولنتجاوز هذه المعاني
فانها خارجة عن علم المعاملة ولا يوصل الى حقائقها الا الكشف التابع للفكر الصافي وقل من ينفتح له بابه والمتيسر على جماهير الخلق
الفكر فيما يفيد في علوم المعاملة وذلك ايضا مما تكثر فائدته ويعظم نفعه فهذه الوظائف اربع اعني الدعاء والذكر والقراءة والفكر
ينبغي ان تكون وظيفة المريد بعد صلاة الصبح بل في كل ورد بعد الفراغ من وظيفة الصلاة فليس بعد الصلاة وظيفة سوى هذه
الاربع ويقوى على ذلك بان يأخذ سلاحه ومجنه والصوم هو الجنة التي تضيق مجاري الشيطان المعادي الصارف له عن سبيل
الرشاد وليس بعد طلوع الصبح سوى ركعتي الفجر وفرض الصبح الى الطلوع كان رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة يشتغلون في هذه
الاوقات بالاذكار فهو الاولى الا ان يغلبه النوم قبل الفرض ولم يندفع الا بالصلاة فلو صلى لذلك فلا بأس

والورد الثاني

ما بين طلوع الشمس الى ضحوة النهار واعني بالضحوة منتصف ما بين طلوع الشمس والزوال وذلك بمضي ثلث ساعات من النهار اذا فرض
النهار اثنتي عشرة ساعة وهو الربع وفي هذا الربع من النهار وظيفتان زائدتان احداهما صلاة الضحى والاولى ان يصلي
ركعتين عند الاشراق وذلك اذا انبسطت الشمس وارتفعت قيد نصف رمح ويصلي اربعا او ستا او ثمانيا اذا رمضت الفصال
وضحيت الاقدام بحر الشمس فوقت الركعتين هو الذي اراد الله تعالى بقوله يسبحن بالعشي والاشراق فانه وقت اشراق الشمس وهو ظهور تمام
نورها بارتفاعها عن موازاة البخارات والغبارات التي على وجه الارض فانها تمنع اشراقها التام ووقت الاربع هو الضحى الاعلى

الذي اقسم الله به فقال والضحى والليل اذا سجى وخرج صلى الله عليه وسلم على اصحابه وهم يصلون عند الاشراق فنادى
باعلى صوته الا ان صلاة الاوابين اذا رمضت الفصال فلذلك نقول اذا كان يقتصر على مرة واحدة في الصلاة فهذا
الوقت افضل لصلاة الضحى وان كان اصل الفضل يحصل بالصلاة بين طرفي وقتي الكراهية وهو ما بين ارتفاع الشمس بطلوع نصف رمح تقريبا
الى ما قبل الزوال في ساعة الاستواء واسم الضحى ينطلق على الكل وكان ركعتي الاشراق تقع في مبدأ وقت الاذن في الصلاة وانقضاء الكراهية اذ
قال صلى الله عليه وسلم ان الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فاذا ارتفعت فارقها فاقل ارتفاعها ان ترتفع عن بخار الارض وغبارها وهذا
يراعى بالتقريب

والوظيفة الثانية

في هذا الوقت الخيرات المتعلقة بالناس التي جرت بها العادات بكرة من عيادة
مريض وتشييع جنازة ومعاونة على بر وتقوى وحضور مجلس علم وما يجري مجراه من قضاء حاجة لمسلم وغيرها فان لم يكن شيء من
ذلك عاد الى الوظائف الاربع التي قدمناها من الادعية والذكر والقراءة والفكر والصلوات المتطوع بها ان شاء فانها مكروهة بعد صلاة
الصبح وليست مكروهة الان فتصير الصلاة قسما خامسا من جملة وظائف هذا الوقت لمن اراد واما بعد فريضة الصبح فتكره
كل صلاة لا سبب لها وبعد الصبح الاولى ان يقتصر على ركعتي الفجر وتحية المسجد ولا يشتغل بالصلاة بل بالاذكار والدعاء والقراءة والفكر

والورد الثالث

من ضحوة النهار الى الزوال ونعني بالضحوة المنتصف وما قبله بقليل وان كان بعد كل ثلث ساعات صلاة
فاذا انقضى ثلث ساعات بعد الطلوع فعندها وقبيل مضيها صلاة الضحى فاذا مضت ثلثة اخرى فالظهر فاذا مضت ثلثة
اخرى فالعصر فاذا مضت ثلثة اخرى فالمغرب ومنزلة الضحى من بين الزوال والطلوع كمنزلة العصر بين الزوال والغروب الا
ان الضحى لم تفترض لانه وقت انكباب الناس على اشغالهم فخفف عنهم والوظيفة في هذا الوقت الاقسام الاربعة ويزيد امران احدهما
الاشتغال بالكسب وتدبير المعاش وحضور السوق فان كان تاجرا فينبغي ان يتجر بصدق وامانة وان كان صاحب صناعة فبنصح وشفقة
ولا ينسى ذكر الله في جميع اشغاله ويقتصر من الكسب على قدر حاجته ليومه مهما قدر على ان يكتسب لكل يوم لوقته فاذا حصلت كفاية يومه فليرجع الى
بيت ربه وليتزود لاخرته فان الحاجة الى زاد الاخرة اشد والتمتع به ادوم فالاشتغال بكسبها اهم من طلب الزيادة على حاجة الوقت
فقد قيل لا يوجد المؤمن الا في ثلثة مواطن مسجد يعمره او بيت يستره او حاجة لا بد له منها وقل من يعرف القدر فيما لا بد منه
بل اكثر الناس يقدرون فيما عنه بد انه لا بد لهم منه وذلك لان الشيطان يعدهم الفقر ويأمرهم بالفحشاء فيصغون اليه ويجمعون ما لا يأكلون
خيفة الفقر والله يعدهم مغفرة منه وفضلا فيعرضون عنه ولا يرغبون فيه

والامر الثاني القيلولة وهي سنة يستعان بها
على قيام الليل كما ان التسحر سنة يستعان به على صيام النهار فان كان لا يقوم بالليل ولكن لو لم ينم لم يشتغل بخير وربما خالط اهل
الغفلة وتحدث معهم فالنوم احب له اذا كان لا ينبعث نشاطه للرجوع الى الاذكار والوظائف اذ في النوم الصمت والسلامة
وقد قال بعضهم ياتي على الناس زمان الصمت والنوم فيه افضل اعمالهم وكم من عابد احسن احواله النوم وذلك اذا كان
يرائي بعبادته والجلوس فكيف بالغافل الناهي والفاسق وقال سفيان الثوري كان يعجبهم اذا تفرغوا ان يناموا طلبا للسلامة
فاذا نومه على طلب قصد السلامة ونية قيام الليل قربة ولكن ينبغي ان يتنبه قبيل الزوال بقدر الاستعداد للصلاة بالوضوء
وحضور المسجد قبل دخول وقت الصلاة فان ذلك من فضائل الاعمال وان لم ينم ولم يشتغل بالكسب واشتغل بالصلاة
والذكر فهو افضل اعمال النهار لانه وقت غفلة الناس عن الله واشتغالهم بهموم الدنيا فالقلب المتفرغ لخدمة ربه مع اعراض العبيد
عن بابه جدير بان يزكيه الله ويصطفيه لقربه ومعرفته وفضل ذلك كفضل احياء الليل فان الليل وقت غفلة بالنوم
وهذا وقت الغفلة باتباع الهوى والاشتغال بهموم الدنيا واحد معني قوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة اي يخلف احدهما الاخر
في الفضل والثاني انه خلفة ليتدارك فيه ما فات في احدهما

والورد الرابع

ما بين الزوال الى الفراغ من صلاة الظهر وراتبته
وهذا اقصر اوراد النهار وافضلها فاذا كان قد توضأ قبل الزوال وحضر المسجد فمهما زالت الشمس وابتدأ المؤذن الاذان
فليصبر الى الفراغ من جواب الاذان ثم ليقم الى احياء ما بين الاذان والاقامة فهو وقت الاظهار الذي اراده الله بقوله
وحين تظهرون وليصل في هذا الوقت اربع ركعات لا يفصل بينهن بتسليمة هذه الصلاة وحدها من بين سائر التطوعات
الا نقل انه عم يصليها بتسليمة واحدة ولكن طعن في بعض الرواية بعض العلماء ومذهب الشافعي انه يصلي مثنى مثنى كسائر النوافل
فليطول هذه الركعات اذ فيها تفتح ابواب السماء وليقرأ فيها سورة البقرة او سورة من المئين او اربعا من المثاني ثم ليصل
الظهر بجماعة فهذه ساعة تستجاب فيها الدعاء واحب صلى الله عليه وسلم ان يرفع له فيها عمل ثم يصلي الظهر بجماعة بعد اربع ركعات

ليكون جامعا فيه بين الدعاء والذكر والقراءة والصلاة والتحميد والتسبيح مع شرف الوقت **والورد الخامس** ما بعد ذلك
الى العصر ويستحب فيه العكوف في المسجد مشتغلا بالذكر والصلاة او فنون الخير ويكون في انتظار الصلاة معتكفا فمن فضائل الاعمال
انتظار الصلاة بعد الصلاة وكان ذلك سنة السلف كان الداخل يدخل المسجد بين الظهر والعصر فيسمع للمصلين دويا
كدوي النحل من التلاوة فان كان بيته اسلم لدينه واجمع لهمه فالبيت افضل في حقه واحياء هذا الورد وهو ايضا وقت
غفلة الناس كاحياء الورد الثالث في الفضل وفي هذا الوقت يكره النوم لمن نام قبل الزوال اذ يكره نومتان بالنهار
قال بعض العلماء ثلاث يمقت الله عليها الضحك بغير عجب والاكل من غير جوع والنوم بالنهار من غير سهر بالليل والحد في النوم
ان الليل والنهار اربع وعشرون ساعة فالاعتدال في نومه ثمان ساعات في الليل والنهار جميعا فان نام هذا القدر بالليل
فلا معنى للنوم بالنهار وان نقص منه مقدارا استوفاه بالنهار فحسب ابن آدم ان عاش ستين سنة ان ينقص من عمره عشرون سنة
ومهما نام ثمان ساعات وهو الثلث فقد نقص من عمره الثلث ولكن لما كان النوم غذاء للروح كما ان الطعام غذاء للبدن وكما ان
العلم والذكر غذاء للقلب لم يمكن قطعه عنه وقدر الاعتدال هذا والنقصان منه ربما يفضي الى اضطراب البدن الا من يتعود السهر
تدريجا فقد يمرن نفسه عليه من غير اضطراب وهذا الورد هو اطول الاوراد وامتعها للعباد وهو احد الآصال التي
ذكرها الله تعالى اذ قال ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال واذا سجد لله الجمادات
فكيف يغفل العبد العاقل عن انواع العبادات **والورد السادس** اذا دخل وقت العصر دخل الورد السادس وهو الذي
اقسم الله به اذ قال والعصر هذا معنى الآية وهو المراد بالآصال في احد التفسيرين وهو العشي المذكور في قوله وعشيا وفي قوله
بالعشي والاشراق وليس في هذا الورد صلاة الا اربع ركعات بين الاذانين ثم يصلي الفرض ويشتغل بالاقسام الاربعة المذكورة
في الورد الاول الى ان ترتفع الشمس الى رؤوس الحيطان وتصفر والافضل فيه اذ منع عن الصلاة فيشتغل بتلاوة القرآن بتدبر
وتفهم اذ يجمع ذلك معنى الذكر والدعاء والفكر فيندرج في هذا القسم اكثر مقاصد الاقسام الثلثة **والورد السابع**
اذا اصفرت الشمس بان تقرب من الارض بحيث يغطي نورها الغبارات والبخارات التي على وجه الارض ويرى صفرة في ضوئها
دخل هذا الورد وهو مثل الورد الاول من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لانه قبل الغروب كما ان ذلك قبل الطلوع وهو المراد بقوله
فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وهو الطرف الثاني وهو المراد بقوله واطراف النهار **قال** الحسن كانوا اشد تعظيما
للعشي منهم لاول النهار **وقال** بعض السلف كانوا يجعلون اول النهار للدنيا وآخره للآخرة فيستحب في هذا الوقت
التسبيح والاستغفار خاصة وسائر ما ذكرناه في الورد الاول لقوله تعالى واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار
والاستغفار على الاسماء التي في القرآن احب كقوله استغفر الله انه كان غفارا استغفر الله انه كان توابا رب اغفر
وارحم وانت خير الراحمين اغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين ويستحب ان يقرأ قبل غروب الشمس والشمس
وضحاها والليل اذا يغشى والمعوذتين ولتغرب عليه الشمس وهو في الاستغفار فاذا سمع الاذان قال اللهم اني اسألك
عند اقبال ليلك وادبار نهارك الدعاء كما سبق ثم يجيب المؤذن ويشتغل بصلاة المغرب وبالغروب قد انتهت
اوراد النهار فينبغي ان يلاحظ العبد احواله ويحاسب نفسه فقد انقضى من عمره مرحلة فقد ساوى يومه امسه
فيكون مغبونا او كان شرا منه فيكون ملعونا فقد **قال** صلى الله عليه وسلم لا بورك لي في يوم لا ازداد فيه خيرا فان رأى
نفسه متوفرا على الخير جميع نهاره مترفها عن التجشم كانت بشارة فليحمد الله على توفيقه وتسديده اياه على طريقه وان تكن
الاخرى فالليل خلفة النهار فليعزم على تلافي ما سبق من تفريطه فان الحسنات يذهبن السيئات فليشكر الله على صحة جسمه وبقاء
بقية من عمره طول الليل ليشتغل بتدارك تقصيره وليحضر في قلبه ان نهار العمر له آخر تغرب فيه شمس الحياة فلا يكون
لها بعده طلوع وعند ذلك يغلق باب التدارك والاعتذار فليس العمر الا اياما معدودة تنقضي لا محالة جملتها بانقضاء آحادها

بيان اوراد الليل وهي خمسة الاول اذا غربت الشمس صلى المغرب واشتغل باحياء ما بين العشائين فآخر
هذا الورد عند غيبوبة الشفق اعني الحمرة التي بغيبوبتها يدخل وقت العتمة وقد اقسم الله به فقال فلا اقسم بالشفق والصلاة فيه ناشئة
الليل لانه اول نشوء ساعاته وهو آية من آناء الليل المذكورة ومن آناء الليل فسبح وهي صلاة الاوابين وهي المراد بقوله
تتجافى جنوبهم عن المضاجع روي ذلك عن الحسن واسنده ابن ابي زياد الى النبي صلعم انه سئل عن هذه الآية فقال الصلاة

ما بين العشائين ثم قال صلعم عليكم بالصلاة بين العشائين فانها تذهب بملاغات النهار وتهذب آخره
والملاغات جمع ملغاة من اللغو وسئل انس عمن ينام بين العشائين فقال لا يفعل فانها الساعة المعنية بقوله تتجافى
جنوبهم عن المضاجع وترتيب هذا الورد ان يصلي بعد المغرب ركعتين يقرأ فيهما قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد
ويصليهما عقيب المغرب من غير تخلل كلام وشغل ثم يصلي اربعا يطيلها ثم يصلي الى غيبوبة الشفق ما تيسر له وان كان
المنزل قريبا من المسجد فلا باس ان يصليها في بيته ان لم يكن عزمه العكوف في المسجد وان عزم على العكوف فيه لانتظار
العتمة فهو الافضل اذا كان آمنا من التصنع والرياء **والورد الثاني** يدخل بدخول وقت العشاء الآخرة الى حد نومة الناس وهو اول
استحكام الظلام وقد اقسم الله تعالى به اذ قال فلا اقسم بالشفق والليل وما وسق اي وما جمع من ظلمته وقال الى غسق الليل
فهناك يغسق الليل وتستوسق ظلمته وترتيب هذا الورد بمراعاة ثلاثة امور الاول ان يصلي سوى فرض العشاء عشر
ركعات اربع قبل الفرض احياء لما بين الاذانين وست بعد الفرض ركعتان ثم اربع ويستحب ان يقرأ فيها من القرآن
الآيات المخصوصة كآخر البقرة وآية الكرسي واول الحديد وآخر الحشر وغيرها والثاني ان يصلي ثلاث عشرة ركعة
آخرهن الوتر فانه اكثر ما روي ان النبي صلعم صلى به من الليل والاكياس يأخذون اوقاتهم من اول الليل والاقوياء من آخره والحزم
التقديم فانه ربما لا يستيقظ او يثقل عليه القيام الا اذا صار ذلك عادة له فآخر الليل افضل ثم ليقرأ في هذه الصلاة
قدر ثلاثمائة آية من السور المخصوصة التي كان صلعم يكثر قراءتها مثل يس والسجدة لقمان وحم الدخان وسورة
المخصوصة التي كان صلعم يكثر قراءتها تبارك الملك والزمر والواقعة فان لم يصل فلا يدع قراءة هذه السور او بعضها قبل النوم فقد
روي في ثلاثة احاديث ما كان يقرأه صلعم في كل ليلة اشهرها السجدة وتبارك الملك وفي رواية الزمر وبني اسرائيل وفي اخرى
انه كان يقرأ المسبحات في كل ليلة ويقول فيها آية افضل من الف آية وكان العلماء يجعلونها ستا فيزيدون سبح اسم ربك الاعلى
اذ في الخبر انه صلعم كان يحب سبح اسم ربك الاعلى وكان يقرأ في ثلاث ركعات الوتر سورة الاعلى وقل يا ايها الكافرون والاخلاص فاذا فرغ قال
سبحان الملك القدوس ثلاث مرات والثالث الوتر فليوتر قبل النوم ان لم يكن عادته القيام **قال** ابو هريرة رضي الله عنه
اوصاني صلعم ان لا انام الا على وتر وان كان معتادا لصلاة الليل فالتأخير افضل قال صلعم صلاة الليل مثنى مثنى فاذا خفت
الصبح فاوتر بركعة **وقالت** عائشة رضي الله عنها اوتر رسول الله صلعم اول الليل واوسطه وآخره وانتهى وتره الى السحر وقال علي رضي الله عنه
الوتر على ثلاثة انحاء ان شئت اوترت اول الليل ثم صليت ركعتين ركعتين يعني انه يصير وترا بما مضى وان شئت
اوترت بركعة فاذا استيقظت شفعت اليها اخرى ثم اوترت من آخر الليل وان شئت اخرت الوتر ليكون آخر
صلاتك هذا ما روي عنه والطريق الاول والثالث لا باس به واما نقض الوتر فقد صح فيه نهي فلا ينبغي ان ينقض
وروي مطلقا انه صلعم قال لا وتران في ليلة ولمن يتردد في استيقاظه تلطف استحسنه بعض العلماء وهو ان يصلي بعد
الوتر ركعتين جالسا على فراشه عند النوم كان صلعم يزحف الى فراشه ويصليهما ويقرأ فيهما اذا زلزلت والهاكم لما فيهما من
التحذير والوعيد وفي رواية قل يا ايها الكافرون لما فيها من التبرئة وافراد العبادة لله فقيل ان استيقظ قامتا مقام ركعة واحدة
وكان له ان يوتر بركعة في آخر صلاته وكانه صار ما مضى شفعا بهما وحسن استئناف الوتر فاستحسن هذا ابو طالب المكي وقال
فيه ثلاثة اعمال قصر الامل وتحصيل الوتر والوتر في آخر الليل وهو كما ذكره ولكن ربما يخطر انهما لو شفعتا ما مضى لكان
كذلك وان لم يستيقظ وبطل وتره الاول فكونه شفعا ان استيقظ غير مشفع ان نام فيه نظر الا ان يصح عن النبي صلعم
ايتاره قبلهما واعادته الوتر فيفهم منه ان الركعتين شفع بصورتهما وتر بمعناهما فيحسب وترا ان لم يستيقظ وشفعا
ان استيقظ ثم يستحب بعد التسليم من الوتر ان يقول سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات
والارض بالعظمة والجبروت وتعززت بالقدرة وقهرت العباد بالموت وروي انه صلعم ما مات حتى كان اكثر صلاته
جالسا الا المكتوبة وقد قال للقاعد نصف اجر القائم وللنائم نصف اجر القاعد وذلك يدل على صحة النافلة
نائما **والورد الثالث** النوم ولا باس ان يعد ذلك في الاوراد فانه اذا روعيت آدابه عبادة فقد
نقل انه اذا نام العبد على الطهارة ذاكرا لله يكتب مصليا حتى يستيقظ ويدخل في شعاره ملك فان تحرك في نومه
فذكر الله دعا له الملك واستغفر له وفي الخبر انه اذا نام على الطهارة رفعت روحه الى العرش هذا في العوام فكيف

العلما وارباب القلوب لطائفه فانهم يكاشفون بالاسرار في النوم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم نوم العالم عبادة ونفسه
تسبيح وقال معاذ لابي موسى كيف تصنع في قيام الليل فقال اقوم الليل اجمع لا انام منه شيئا واتفوق القرآن فيه تفوقا فقال
معاذ لكني انام ثم اقوم واحتسب في نومتي ما احتسب في قومتي فذكرا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاذ افقه منك **وآداب النوم عشرة**
الاول الطهارة والسواك قال عم اذا نام العبد على طهارة عرج بروحه الى العرش فكانت رؤياه صادقة وان لم ينم على طهارة
قصرت روحه عن البلوغ فتلك المنامات اضغاث احلام لا تصدق وهذا اريد به طهارة الظاهر والباطن جميعا وطهارة
الباطن هي المؤثرة في انكشاف حجب الغيب **والثاني** ان يعد عند راسه سواكه وطهوره وينوي القيام وينوي القيام
للعبادة عند التيقظ وكلما انتبه استاك كذلك كان يفعل بعض السلف **وروي** عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يستاك
كل ليلة مرارا عند كل نومة وعند التنبه منها وان لم يتيسر له الطهارة فكانوا يستحبون مسح الاعضاء بالماء فان لم يجد
فليقعد وليستقبل القبلة وليشتغل بالذكر والدعاء والتفكر في آلاء الله وقدرته فذلك يقوم مقام قيام الليل
وقال عم من اتى فراشه وهو ينوي ان يقوم ويصلي من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من ربه
والثالث ان لا يبيت من له وصية الا ووصيته مكتوبة عند راسه فانه لا يامن القبض في النوم وقال من مات
على غير وصية لم يؤذن له في الكلام بالبرزخ الى يوم القيامة يتزاور الاموات ويتحدثون وهو لا يتكلم فيقول بعضهم لبعض
هذا المسكين مات من غير وصية وذلك مستحب خوفا من موت الفجاة وموت الفجاة تخفيف الا لمن ليس مستعدا للموت لكونه
مثقل الظهر بالمظالم **والرابع** ان ينام تائبا من كل ذنب سليم القلب لجميع المسلمين لا يحدث نفسه بظلم احد
ولا يعزم على معصية ان استيقظ قال عم من اوى الى فراشه لا ينوي ظلم احد ولا يحقد على احد غفر له ما اجترم **والخامس**
ان لا يتنعم بتمهيد الفرش الناعمة بل يترك ذلك او يقتصد فيه فكان بعض السلف يكره التمهيد ويرى ذلك تكلفا
وكان اهل الصفة لا يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا ويقولون منها خلقنا واليها نرد وكانوا يرون ان ذلك ارق لقلوبهم واجدر
بتواضع نفوسهم فمن لا تسمح بذلك نفسه فليقتصد **والسادس** ان لا ينام ما لم يغلبه النوم ولا يتكلف استجلابه
الا اذا قصد به الاستعانة على القيام من آخر الليل فقد كان نومهم غلبة واكلهم فاقة وكلامهم ضرورة ولذلك وصفوا بانهم
كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وان غلبهم النوم عن الصلاة والذكر وصار لا يدري ما يقول فلينم حتى يعقل ما يقول كان ابن
عباس رض يكره النوم قاعدا وفي الخبر لا تكابدوا الليل وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصلي بالليل فاذا غلبها النوم تعلقت
بحبل فنهى عن ذلك وقال ليصل احدكم من الليل ما تيسر له فاذا غلبه النوم فليرقد وقال تكلفوا من العمل ما تطيقون
فان الله لا يمل حتى تملوا وقال خير هذا الدين ايسره وقيل له ان فلانا يصلي فلا ينام ويصوم فلا يفطر فقال لكني
اصلي وانام واصوم وافطر هذه سنتي فمن رغب عنها فليس مني وقال لا تشادوا هذا الدين فانه متين فمن يشاده يغلبه
ولا تبغض اليك عبادة الله **والسابع** ان ينام مستقبل القبلة والاستقبال على ضربين احدهما استقبال
استقبال المحتضر وهو المستلقي على قفاه فاستقباله ان يكون وجهه واخمصاه الى القبلة **والثاني** استقبال
اللحد وهو ان ينام على جنب بان يكون وجهه اليها مع قبالة بدنه اذا نام على الشق الايمن **والثامن** الدعا
عند النوم فيقول باسمك ربي وضعت جنبي وبك ارفعه الى آخر الدعوات المأثورة التي اوردناها في كتاب الدعوات
ويستحب ان يقرأ الآيات المخصوصة مثل آية الكرسي وآخر البقرة وغيرها ويقرأ قوله والهكم اله واحد الى يعقلون وقيل
ان من قرأها عند المنام حفظ عليه القرآن فلم ينسه ويقرأ ان ربكم الله الذي خلق الى آخر وقل ادعوا الله او ادعوا الرحمن
الى آخر السورة فانه يدخل في شعاره ملك يوكل بحفظه يستغفر له ويقرأ المعوذتين وينفث بهما في يديه ويمسح بهما
وجهه وساير جسده كذلك روي من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وليقرأ عشرا من اول الكهف وعشرا من آخرها وهذه
الآي للاستيقاظ للقيام لليل وقال علي رض ما ارى ان رجلا مستكملا عقله ينام قبل ان يقرأ آمن الرسول
وليقل خمسا وعشرين مرة سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر لتكون مجموع هذه الكلمات الاربع مائة مرة
والتاسع ان يتذكر عند النوم ان النوم نوع وفاة والتيقظ نوع بعث قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها
والتي لم تمت في منامها سماه توفيا وكما ان المتيقظ تنكشف له مشاهدات لا تناسب احواله في النوم فكذلك المبعوث

يرى ما لم يخطر قط بباله ولا شاهده حسه ومثل النوم بين الحياة والموت مثل البرزخ بين الدنيا والآخرة وقال لقمان
لابنه يا بني ان كنت تشك في الموت فلا تنم فكما انك تنام فكذلك تموت وان كنت تشك في البعث فلا تنتبه فكما
انك تنتبه بعد نومك فكذلك تبعث بعد موتك **وقال** كعب الاحبار اذا نمت فاضطجع على شقك الايمن واستقبل
القبلة بوجهك فانها وفاة **وقالت** عائشة رض كان صلى الله عليه وسلم آخر ما يقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى
وهو يرى انه ميت في ليلته تلك اللهم رب السموات السبع والارضين السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل
شيء ومليكه الى آخر الدعاء فحق على العبد ان يفتش عن قلبه عند نومه انه على ماذا ينام وما الغالب عليه حب الله وحب لقائه
او حب الدنيا وليتحقق انه يتوفى على ما هو الغالب عليه ويحشر على ما يتوفى عليه فان المرء مع من احب ومع ما احب **والعاشر**
الدعاء عند التنبه فليقل في تيقظاته وتقلباته مهما انتبه ما كان يقوله عم لا اله الا الله الواحد القهار رب السموات
والارض وما بينهما العزيز الغفار وليجتهد ان يكون آخر ما يجري على قلبه عند النوم ذكر الله واول ما يرد على قلبه عند التيقظ
ذكر الله فهو علامة الحب ولا يلازم القلب في هاتين الحالتين الا ما هو الغالب عليه فليجرب قلبه به فانها علامة تكشف عن
باطن القلب وانما استحبت هذه الاذكار لتستجر القلب الى ذكر الله فاذا استيقظ ليقوم قال الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا
واليه النشور الى آخر ادعية التيقظ **والورد الرابع** يدخل بمضي النصف الاول من الليل الى ان يبقى من الليل سدسه
وعند ذلك يقوم العبد للتهجد فاسم التهجد يختص بما بعد الهجود والهجوع وهو النوم وهذا وسط الليل ويشبه
الورد الذي بعد الزوال وهو وسط النهار وبه اقسم الله اذ قال والليل اذا سجى اي اذا سكن وسكونه هدوه في هذا
الوقت فلا يبقى عين الا نائمة سوى الحي القيوم الذي لا تاخذه سنة ولا نوم وقيل اذا سجى اذا امتد وطال وقيل اذا اظلم وقيل
للرسول صلى الله عليه وسلم اي الليل اسمع فقال جوف الليل وقال داود عم الهي اني احب ان اتعبد لك فاي وقت افضل فاوحى الله اليه
يا داود لا تقم اول الليل ولا آخره فانه من قام اوله نام آخره ومن قام آخره لم يقم اوله ولكن قم وسط الليل حتى تخلو بي
واخلو بك وارفع الي حوائجك **وسئل** النبي عم اي الليل افضل فقال نصف الليل الغابر يعني الباقي والى آخر الليل
وردت الاخبار باهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن ومن نزول الجبار الى السماء الدنيا وغيره من الاخبار
وترتيب هذا الورد انه بعد الفراغ من ادعية التيقظ للاستيقاظ يتوضأ وضوءا كما سبق ثم يتوجه الى مصلاه ويقوم مستقبل القبلة
ويقول الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا ثم ليسبح عشرا وليحمد عشرا وليهلل عشرا وليقل الله اكبر ذو الملك والملكوت
والجبروت والكبرياء والعظمة والجلال والقدرة وليقل هذه الكلمات فانها ماثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيامه للتهجد اللهم لك
الحمد انت نور السموات والارض ولك الحمد انت بهاء السموات والارض ولك الحمد انت زين السموات والارض ولك الحمد انت
قيوم السموات والارض ومن فيهن ومن عليهن انت الحق ومنك الحق ولقاؤك حق اللهم لك اسلمت وبك آمنت وعليك
توكلت واليك انبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت
انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت اللهم آت نفسي تقواها وزكها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها
اللهم اهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا انت اسألك مسألة البائس المسكين
وادعوك دعاء المفتقر الذليل فلا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رؤوفا رحيما يا خير المسئولين واكرم المعطين
وقالت عائشة رض كان عم اذا قام من الليل افتتح صلاته وقال اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات
والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك
تهدي من تشاء الى صراط مستقيم ثم يفتتح الصلاة ويصلي ركعتين خفيفتين ثم يصلي مثنى مثنى ما تيسر له ويختم
بالوتر ان لم يكن قد صلى الوتر ويستحب ان يفصل بين الصلاتين بعد تسليمه بمائة تسبيحة ليستريح ويزيد نشاطه
للصلاة وقد صح في صلاته عم بالليل انه صلى اولا ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون اللتين
قبلهما ثم لم يزل يقصر بالتدريج الى ثلث عشرة ركعة وسئلت عائشة اكان يجهر عم في قيام الليل ام يسر فقالت
ربما جهر وربما اسر وقال عم صلاة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فاوتر بركعة وقال عم صلاة المغرب وتر
صلاة النهار فاوتروا صلاة الليل واكثر ما صح عنه عم في قيام ثلث عشرة ركعة وليقرأ في هذه الركعات من ورده من
القرآن او من السور المخصوصة ما خف عليه وهو في حكم هذا الورد الى ان يبقى من السدس الاخير من الليل **الورد الخامس**

السدس الاخير من الليل وهو وقت السحر قال تعالى وبالاسحار هم يستغفرون قيل يصلون لما فيها من الاستغفار وهو
مقارب للفجر الذي هو وقت انصراف ملائكة الليل واقبال ملائكة النهار وقد امر بهذا الورد سلمان اخاه ابا
الدرداء في ليلة زاره في حديث طويل قال في آخره فلما كان الليل ذهب ابو الدرداء ليقوم فقال له سلمان نم فنام ثم
ذهب ليقوم فقال له نم فنام فلما كان الصبح قال له سلمان قم الآن فقاما فصليا فقال ان لنفسك عليك
حقا وان لاهلك عليك حقا وان لضيفك عليك حقا فاعط كل ذي حق حقه وذلك ان امرأة ابي الدرداء اخبرت
سلمان انه لا ينام الليل قال فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فذكرا ذلك له فقال صدق سلمان وهذا هو الورد الخامس ويدخل
السحور وذلك عند خوف طلوع الفجر والوظيفة فيه وردان الصلاة فاذا طلع الفجر انقضت اوراد الليل ودخلت
اوراد النهار فيقوم فيصلي ركعتين الفجر وهو المراد بقوله فسبحه وادبار النجوم ثم يقرأ شهد الله انه لا اله الا هو الى آخر
ثم يقول انا اشهد بما شهد الله به لنفسه وشهدت به ملائكته واولو العلم من خلقه واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله
وديعة واسأله حفظها حتى يتوفاني عليها اللهم احطط بها عني وزرا واجعلها لي عندك ذخرا واحفظها علي وتوفني
عليها حتى القاك بها غير مبدل تبديلا فهذه ترتيب اوراد العباد وقد كانوا يستحبون ان يجمعوا مع ذلك في كل يوم بين اربعة امور
صوم وصدقة وان قلت وعيادة مريض وشهود جنازة وفي الخبر من جمع بين هذه الاربع في يوم غفر له وفي رواية دخل
الجنة فان اتفق بعضها وعجز عن البعض كان له اجر الجميع بحسب نيته وكانوا يكرهون ان ينقضي اليوم ولم يتصدقوا فيه
بتمرة او بصلة او كسرة خبز لقوله عليه السلام الرجل في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس ولقوله عليه السلام اتقوا النار ولو بشق تمرة **ودفعت**
عائشة الى سائل عنبة واحدة فاخذها فنظر بعضهم الى بعض فقالت ما لكم ان فيها لمثاقيل ذر كثيرة وكانوا لا يستحبون
رد السائل اذ كان من اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ما سأله احد شيئا فقال لا لكنه ان لم يقدر عليه سكت وفي الخبر
يصبح ابن آدم وعلى كل سلامى من جسده صدقة يعني المفصل وفي جسده ثلاثمائة وستون مفصلا فامرك بالمعروف صدقة
ونهيك عن المنكر صدقة وحملك عن الضعيف صدقة وهدايتك الى الطريق صدقة واماطتك الاذى صدقة حتى ذكر التسبيح
والتهليل ثم قال وركعتا الضحى تأتي على ذلك كله او تجمع لك ذلك

بيان اختلاف الاوراد باختلاف الاحوال

اعلم ان المريد لحرث الآخرة السالك لطريقها لا يخلو عن ستة احوال فانه اما عابد او عالم او متعلم واما وال واما
محترف واما موحد مستغرق بالواحد الصمد عن غيره الاول العابد وهو المتجرد للعبادة الذي لا شغل له اصلا ولو ترك
العبادة لجلس بطالا فترتيب اوراده ما ذكرناه نعم لا يبعد ان تختلف وظائفه بان يستغرق اكثر الاوقات اما في الصلاة او
في القرآن او في التسبيحات فقد كان في الصحابة من ورده في اليوم اثنا عشر الف تسبيحة وكان فيهم من ورده ثلاثون الفا
وكان فيهم من ورده ثلاثمائة ركعة الى ستمائة ركعة والى الف ركعة واقل ما نقل الصلاة في اليوم والليلة وكان بعضهم اكثر ورده
القرآن فكان يختم الواحد منهم في اليوم مرة وروي مرتين عن بعضهم وكان بعضهم يقضي اليوم او الليلة في التفكر في آية واحدة
يرددها وكان كرز بن وبرة مقيما بمكة وكان يطوف في كل يوم سبعين اسبوعا وفي كل ليلة سبعين اسبوعا وكان مع ذلك
يختم القرآن في اليوم والليلة مرتين فحسب ذلك فكان عشرة فراسخ ويكون مع كل اسبوع ركعتان وهو مائتان وثمانون
ركعة وختمتان وعشرة فراسخ **فان قلت** فما الاولى ان يصرف اليه اكثر الاوقات من هذه الاوراد فاعلم
ان قراءة القرآن في الصلاة قائما مع التدبر يجمع الجميع ولكن ربما تعسر المواظبة عليه فالافضل يختلف باختلاف حال الشخص
ومقصود الاوراد تزكية القلب وتطهيره وتحليته بذكر الله وايناسه به فلينظر المريد الى قلبه فما يراه اشد تأثيرا فيه
فليواظب عليه فاذا احس بملالة منه فلينتقل الى غيره وكذلك نرى الاصوب لاكثر الخلق توزيع هذه الخيرات المختلفة على
الاوقات كما سبق والانتقال من نوع منها الى نوع لان الملال هو الغالب على الطبع واحوال الشخص الواحد ايضا في ذلك تختلف
ولكن اذا فهم فقه الاوراد وسرها فليتبع المعنى فان سمع تسبيحة مثلا واحس لها بوقع في قلبه فليواظب على تكرارها ما دام
يجد لها وقعا وقد روي عن ابراهيم بن ادهم عن بعض الابدال انه قام ذات ليلة يصلي على ساحل البحر فسمع صوتا عاليا بالتسبيح ولم ير
احدا فقال من انت اسمع صوتك ولا ارى شخصك فقال انا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر اسبح الله تعالى بهذا التسبيح
منذ خلقت قلت فما اسمك قال مهلهيائيل قلت فما ثواب من قاله قال من قاله مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده
من الجنة او يرى له والتسبيح قوله سبحان الله العلي الديان سبحان الله الشديد الاركان سبحان من يذهب بالليل ويأتي بالنهار

سبحان من لا يشغله شأن عن شأن • سبحان الله الحنان المنان • سبحان الله المسبح في كل مكان • فهذا وامثاله اذا
سمعه المريد ووجد في قلبه له وقعا فليلازمه واي ما وجد القلب عنده وفتح له فيه خير فليواظب عليه
والثاني العالم الذي ينفع الناس بعلمه في فتوى او تدريس او تصنيف فترتيبه للاوراد يخالف ترتيب العابد فانه
يحتاج الى المطالعة للكتب والى التصنيف والافادة ويحتاج الى مدة لها لا محالة فان امكنه استغراق الاوقات فيه فهو
افضل ما يشتغل به بعد المكتوبات ورواتبها ويدل على ذلك جميع ما ذكرناه في فضيلة العلم والتعليم في كتاب العلم وكيف
لا وفي العلم المواظبة على ذكر الله تعالى وتأمل ما قال الله تعالى وقال رسوله وفيه منفعة الخلق وهدايتهم لطريق الآخرة ورب مسألة واحدة
يتعلمها المتعلم فيصلح بها عبادة عمره ولو لم يتعلمها لكان سعيه ضايعا وانما نعني بالعلم المقدم على العبادة العلم الذي يرغب
الناس في الآخرة ويزهدهم في الدنيا او العلم الذي يعينهم على سلوك طريق الآخرة اذا تعلموها على قصد الاستعانة به على السلوك دون
العلوم التي تزيد الرغبة في المال والجاه وقبول الخلق والاولى بالعالم ان يقسم اوقاته ايضا فان استغراق الاوقات في ترتيب
العلم لا يحتمله الطبع فينبغي ان يخصص ما بعد الصبح الى طلوع الشمس بالاذكار والاوراد وبعد الطلوع الى ضحوة النهار في الافادة والتعليم
ان كان عنده من يستفيد علما لاجل الآخرة وان لم يكن فيصرفه الى الفكر فيتفكر فيما يشكل عليه من علوم الدين فان صفاء القلب
بعد الفراغ من الذكر وقبل الاشتغال بهموم الدنيا يعين على التفطن للمشكلات ومن ضحوة النهار الى العصر للتصنيف والمطالعة
لا يتركهما الا وقت اكل وطهارة ومكتوبة وقيلولة خفيفة ان طال النهار ومن العصر الى الاصفرار يشتغل بسماع ما يقرأ
بين يديه من تفسير او حديث او علم نافع ومن الاصفرار الى الغروب يشتغل بالاستغفار والتسبيح فيكون ورده الاول قبل
طلوع الشمس عمل اللسان وورده الثاني في عمل القلب بالفكر الى الضحوة • وورده الثالث الى العصر في عمل العين واليد
بالمطالعة والكتابة بعد العصر بما استحسنت العين وعند الاصفرار يعود الى ذكر اللسان فلا يخلو جزء من النهار عن عمل
له بالجوارح مع حضور القلب في الجميع **واما بالليل** فاحسن قسمة قسمة الشافعي رحمه الله اذ كان يقسم الليل ثلاثة اجزاء
ثلث للمطالعة وترتيب العلم وهو الاول • وثلث للصلاة وهو الوسط • وثلث للنوم وهو الاخير وهذا يتيسر في ليالي
الشتاء والصيف ربما لا يحتمل ذلك الا اذا اكثر النوم بالنهار فهذا ما نستحبه من ترتيب العالم **والثالث** المتعلم والاشتغال
بالتعلم افضل من الاشتغال بالاذكار والنوافل فحكمه حكم العالم في ترتيب الاوراد لكن يشتغل بالاستفادة حيث يشتغل العالم بالافادة
وبالتعليق والنسخ حيث يشتغل العالم بالتصنيف ويرتب اوقاته كما ذكرنا في فضيلة التعلم والتعليم في كتاب العلم يدل على ان ذلك
افضل بل ان لم يكن متعلما على معنى انه يعلق ويحصل ليصير عالما بل كان من جملة العوام فحضوره مجالس العلم والذكر والوعظ افضل
من اشتغاله بالاوراد وفي حديث ابي ذر ان حضور مجلس ذكر افضل من صلاة الف ركعة وشهود الف جنازة وعيادة
الف مريض **وقال** صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها قيل يا رسول الله وما رياض الجنة قال حلق الذكر **وقال** كعب الاحبار لو ان ثواب
مجالس العلماء بدا للناس لاقتتلوا عليه حتى يترك كل ذي امارة امارته وكل ذي سوق سوقه وقال عمر رضي الله عنه ان الرجل ليخرج من
منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة فاذا سمع العالم خاف واسترجع على ذنوبه انصرف الى منزله وليس عليه ذنب
فلا تفارقوا مجالس العلماء فان الله تعالى لم يخلق على وجه الارض تربة اكرم من مجالس العلماء **وقال** رجل للحسن اشكو اليك قساوة
قلبي فقال ادنه من مجالس الذكر • ورأى عمار الراهب مسكينة الطفاوية في المنام وكانت من المواظبات على حلق
الذكر فقال مرحبا يا مسكينة فقالت هيهات هيهات ذهبت المسكنة وجاء الغنى فقال هنيئا فقال ما تسألين
عمن ابيح لها الجنة بحذافيرها قال وبم ذلك قالت بمجالسة اهل الذكر وعلى الجملة فما ينحل من القلب من عقدة من عقد
حب الدنيا بقول واعظ حسن الكلام زكي السيرة اشرف من ركعات كثيرة مع اشتغال القلب بحب الدنيا **والرابع**
المحترف الذي يحتاج الى الكسب لعياله فليس له ان يضيع العيال ويستغرق الاوقات في العبادات بل ورده في وقت الصناعة
حضور السوق والاشتغال بالكسب ولكن ينبغي ان لا ينسى الله تعالى في صناعته بل يواظب على التسبيحات والاذكار وقراءة القرآن فان
ذلك يمكن ان يجمع الى العمل وانما لا يتيسر مع العمل الصلاة الا ان يكون ناظرا فانه لا يعجز عن اقامة اوراد الصلاة مع العمل مهما
فرغ من كفايته ينبغي ان يعود الى الترتيب في الاوراد وان داوم على الكسب وتصدق بما فضل عن حاجته فهو افضل من سائر
الاوراد التي ذكرناها لان العبادات المتعدية فائدتها انفع من اللازمة والصدقة والكسب على هذه النية عبادة له في نفسه تقربه
الى الله ثم يحصل بها فائدة الغير وتنجذب اليه بركة دعوات المسلمين ويتضاعف به الاجر **والخامس** الوالي مثل الامام

او القاضي او المتولي لامور المسلمين فبقيامه بحاجات المسلمين واغراضهم على وفق الشرع وقصد الاخلاص افضل من الاوراد
المذكوره بالليل فحقه ان يشتغل بحقوق الناس نهارا ويقتصر على المكتوبه ويقيم الاوراد المذكوره بالليل كما كان عمر رضي الله عنه يفعل اذ
قال ما لي وللنوم لو نمت بالنهار ضيعت المسلمين ولو نمت بالليل ضيعت نفسي وقد فهمت بما ذكرناه انه يقدم على
العبادات البدنية امران احدهما العلم والاخر الرفق بالمسلمين لان كل واحد من العلم وفعل المعروف عمل في نفسه وعبادة
وتفضل ساير العبادات بتعدي فايدته وانتشار جدواه فكانا مقدمين عليه **السادس** الموحد المستغرق
بالواحد الصمد الذي اصبح وهمومه هم واحد فلا يحب الا الله ولا يخاف الا منه ولا يتوقع الرزق من غيره ولا ينظر في
شي الا ويرى الله فيه فمن ارتفعت رتبته الى هذه الدرجه لم يفتقر الى تنويع الاوراد واختلافها بل كان ورده بعد المكتوبات
واحدا وهو حضور القلب مع الله في كل حال فلا يخطر بقلوبهم امر ولا يقرع سمعهم قارع ولا يلوح لابصارهم لايح الا كان لهم فيه
عبرة وفكرة ومزيد فلا محرك لهم ولا مسكن الا الله فهولاء جميع احوالهم تصلح ان تكون سببا لازديادهم فلا تتميز عندهم
عبادة عن عبادة وهم الذين فروا الى الله كما قال تعالى لعلكم تذكرون ففروا الى الله وتحقق فيهم قوله واذا اعتزلتموهم وما يعبدون
واليه الاشارة بقوله اني ذاهب الى ربي سيهدين وهذا منتهى درجات الصديقين ولا وصول اليها الا بعد ترتيب الاوراد
والمواظبة عليها دهرا طويلا فلا ينبغي ان يغتر المريد بما سمعه من ذلك فيدعيه لنفسه ويفتر عن وظايف عباداته فعلامة ذلك
علامته ان لا يهجس في قلبه وسواس ولا يخطر بقلبه معصية ولا تزعجه هواجم الاهوال ولا تستفزه عظايم
الاشغال وانى يرزق احد هذه الرتبه فكل احد فيتعين على الكافه ترتيب الاوراد كما ذكرناه وجميع ما ذكرناه طرق الى الله
قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا فكلهم مهتدون وبعضهم اهدى وفي الخبر الايمان ثلث وثلثون وثلثمايه
طريقه من لقي الله بالشهادة على طريقه منها دخل الجنه **وقال** بعض العلما الايمان ثلثمايه وثلثة عشر خلقا بعدد الانبياء فكل مومن على
خلق منها فهو سالك الطريق الى الله فاذا الناس وان اختلفت طرقهم في العبادة فكلهم على الطريق اولئك الذين يدعون
يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب فانما يتفاوتون في درجات القرب لا في اصله واقربهم الى الله اعرفهم به ولا بد ان يكون اعبدهم
[illegible] والاصل في الاوراد في حق كل صنف من الناس المداومة فان المراد منه تغيير صفات الباطن وآحاد
الاعمال يقل آثارها بل لا يحس بآثارها وانما يترتب الاثر على المجموع فاذا لم يعقب العمل الواحد اثرا محسوسا ولم يردف بثان
وثالث على القرب انمحى الاثر الاول وكان كالفقيه لا يصير فقيه النفس الا بتكرار كثير فلو بالغ ليلة في التكرار وترك شهرا
او اسبوعا ثم عاد وبالغ ليلة لم يوثر هذا فيه ولو وزع ذلك القدر على الليالي المتواصلة لاثر فيه ولهذا السر قال عم
احب الاعمال الى الله ادومها وان قل وسئلت عايشة رض عن عمل رسول الله صلعم فقالت كان عمله ديمة وكان
اذا عمل عملا اثبته ولذلك قال عم من عوده الله عبادة فتركها ملالة مقته الله وهذا كان هو السبب في صلاته
بعد العصر تداركا لما فاته من ركعتين شغله عنهما الوفد ثم لم يزل بعد ذلك يصليهما بعد العصر في منزله لا في المسجد
كيلا يقتدى به روت عايشة وام سلمه **فان قلت** هل لغيره ان يقتدى به في ذلك مع ان الوقت وقت
كراهيه فاعلم ان المعاني الثلث التي ذكرناها في الكراهية من الاحتراز عن التشبه بعبدة الشمس او السجود وقت
ظهور قرن الشيطان او الاستراحة من العبادة حذرا من الملال لا يتحقق في حقه فلا يقاس عليه في ذلك غيره ويشهد لذلك
فعله في المنزل حتى لا يقتدى به **الباب الثاني في الاسباب الميسرة لقيام الليل وفي الليالي التي يستحب احياوها**
وفي فضيلة احياء الليل وما بين العشايين وكيفية قسمة الليل **فضيلة ما بين العشايين** [illegible]
ان افضل الصلوات عند الله صلاة المغرب لم يحطها عن مسافر ولا مقيم فتح بها صلاة الليل وختم بها صلاة النهار
فمن صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين بنى الله له قصرين في الجنة قال الراوي لا ادري من ذهب او فضه ومن صلى
بعدها اربع ركعات غفر الله له ذنب عشرين سنة او قال اربعين سنة وقال عم من صلى ست ركعات بعد
المغرب عدلت له عبادة سنة او كانه ليلة القدر وقال عم من عكف نفسه ما بين المغرب والعشا في مسجد جماعة
لم يتكلم الا بصلاة او بقرآن كان حقا على الله ان يبني له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغرس له
بينهما غراسا لو طافه اهل الدنيا لوسعهم وقال عم من ركع عشر ركعات ما بين المغرب والعشا بني له قصر
في الجنة فقال عمر اذا تكثر قصورنا يا رسول الله فقال الله اكبر وافضل او قال اطيب وقال عم من صلى المغرب

في جماعة ينبغي ان يصلي بعده ركعتين ولا يتكلم بعده بشي فيما بين ذلك من امر الدنيا ويقرا في الاولى الفاتحة وعشر آيات
من اول البقرة وآيتين من وسطها والهكم اله واحد الى يعقلون وقل هو الله احد خمس عشرة مرة ثم يركع ويسجد
فاذا قام في الركعة الثانيه قرا الفاتحة وآية الكرسي الى قوله هم فيها خالدون وثلث آيات من آخر البقرة من قوله لله ما في
السموات وما في الارض الى آخر السوره وقل هو الله احد خمس عشرة مرة وقال كرز بن وبرة وهو من الابدال قلت للخضر علمني شيا
اعمله في كل ليلة فقال اذا صليت المغرب فقم الى صلاة العشا مصليا من غير ان تكلم احدا واقبل على صلاتك التي انت
فيها وسلم في كل ركعتين واقرا في كل ركعة الفاتحة مرة والاخلاص ثلثا فاذا فرغت من صلاتك انصرف الى منزلك ولا
تكلم احدا وصل ركعتين واقرا الفاتحة وقل هو الله سبع مرات في كل ركعة ثم اسجد بعد تسليمك واستغفر الله
سبع مرات وقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم سبع مرات ثم ارفع
راسك من السجود واستو جالسا وارفع يديك وقل يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام يا اله الاولين والاخرين يا رحمن
الدنيا والاخرة ورحيمهما يا رب يا رب يا رب يا الله يا الله يا الله ثم قم وانت رافع يديك فادع بهذا الدعا
ثانيا ثم نم حيث شيت مستقبل القبلة على يمينك وصل على النبي صلعم وادم الصلاة عليه حتى يذهب بك النوم وكان
فقلت له احب ان تعلمني ممن سمعت هذا فقال اني حضرت محمدا صلعم حيث علم هذا الدعاء واوحي اليه به وكنت عنده
وذلك بمحضر مني فتعلمته ممن علمه اياه ويقال ان هذا الدعاء وهذه الصلوة من داوم عليها بحسن يقين وصدق نية راى
رسول الله صلعم في منامه قبل ان يخرج من الدنيا وقد فعل ذلك بعض الناس فراى انه ادخل الجنة وراى فيها الانبيا وراى
رسول الله صلعم وكلمه وعلمه وعلى الجملة ما ورد في فضل ما بين العشائين كثير حتى قيل لعبيد مولى رسول الله صلعم هل كان يامر
رسول الله صلعم بصلاة غير المكتوبة قال ما بين المغرب والعشا وقال عم من صلى ما بين المغرب والعشا فانها صلاة الاوابين
وقال الاسود ما اتيت ابن مسعود في هذا الوقت الا ورايته يصلي فسالته فقال نعم هي ساعة الغفلة وكان
انس رضي الله عنه يواظب عليها ويقول هي ناشئة الليل ويقول فيه نزل قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع **وقال** احمد بن ابي الحوارى قلت
لسليمان الداراني اصوم النهار واتعشى ما بين المغرب والعشا احب اليك او افطر بالنهار واحيي ما بينهما فقال
اجمع بينهما فقلت ان لم يتيسر قال افطر وصل ما بينهما **فضيلة قيام الليل** اما الايات فقوله تعالى ان ربك يعلم
انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وقوله تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطا وقوله تعالى تتجافى جنوبهم وقوله تعالى امن هو قانت آناء الليل
والذين يبيتون لربهم واستعينوا بالصبر والصلوة قيل هي قيام الليل يستعان بالصبر على مجاهدة النفس ومن الاخبار
قال صلى الله عليه وسلم يعقد الشيطان على قافية راس احدكم اذا هو نام ثلث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد
فان استيقظ وذكر الله انحلت عقدة فان توضا انحلت عقدة فان صلى انحلت عقدة فاصبح نشيطا طيب النفس والا
اصبح خبيث النفس كسلانا **وفي خبر** انه ذكر عنده صلعم رجل ينام كل الليل حتى يصبح فقال ذاك رجل بال الشيطان
في اذنه وفي الخبر ان للشيطان سعوطا ولعوقا وذرورا فاذا اسعط العبد ساء خلقه واذا العقه ذرب لسانه
بالشر واذا ذره نام بالليل حتى يصبح **وقال** صلى الله عليه وسلم ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل الاخير
خير له من الدنيا وما فيها ولولا ان اشق على امتي لفرضتهما عليهم وقال المغيرة بن شعبة قام صلعم حتى تفطرت
قدماه فقيل له قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا ويظهر من معناه ان ذلك
كناية عن زيادة الرتبة فان الشكر سبب المزيد قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم **وقال** صلعم يا ابا هريرة اتريد
ان تكون رحمة الله عليك حيا وميتا ومقبورا ومبعوثا فقم من الليل فصل وانت تريد رضا ربك يا ابا هريرة صل في زوايا
بيتك يكن نور بيتك في السماء كنور الكواكب والنجوم عند اهل الدنيا وقال عم عليكم بقيام الليل فانه داب الصالحين
قبلكم وان قيام الليل قربة الى الله تعالى وتكفير للذنوب ومطردة للداء عن الجسد ومنهاة عن الاثم وقال عم ما من امرئ
تكون له صلاة بالليل فيغلبه عليها نوم الا كتب الله له اجر صلاته وكان نومه صدقة عليه وقال عم لابي ذر لو اردت
سفرا اعددت له عدة فكيف سفر طريق القيامة الا انبئك يا ابا ذر بما ينفعك ذلك اليوم قال بلى بابي انت
وامي قال صم اليوم الشديد الحر ليوم النشور وصل ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور وحج حجة لعظائم

فقال اذا كان ذلك فاذنوني فاتاه فاستمع فلما اصبح قال يا فلان هلا سالت الجنة قال يا رسول الله اني لست هناك
ولا يبلغ عملي ذلك فلم يلبث الا يسيرا حتى نزل جبريل عم وقال اخبر فلانا ان الله قد اجاره من النار وادخله الجنة وقال
جبريل للنبي عم نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلي بالليل فاخبره النبي عم بذلك فكان يداوم بعده على قيام الليل قال نافع كان يصلي
بالليل ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول لا فيعاود لصلاته ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول نعم فيقعد يستغفر الله حتى يطلع الفجر
وقال علي بن ابي طالب شبع يحيى بن زكريا من خبز الشعير فنام عن ورده حتى اصبح فاوحى الله اليه يا يحيى اوجدت دارا
خيرا لك من داري ام وجدت جوارا خيرا لك من جواري وعزتي يا يحيى لو اطلعت الى الفردوس اطلاعة لذاب شحمك ولزهقت
نفسك اشتياقا ولو اطلعت الى جهنم اطلاعة لذاب شحمك ولبكيت الصديد بعد الدموع ولبست الحديد بعد المسوح
وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلي الليل فاذا اصبح سرق فقال سينهاه ما يقول وقال عم رحم الله رجلا قام
من الليل فصلى ثم ايقظ امراته فصلت فان ابت نضح في وجهها الماء ورحم الله امراة قامت من الليل فصلت
ثم ايقظت زوجها فان ابى نضحت في وجهه الماء وقال عم من استيقظ من الليل وايقظ امراته فصليا ركعتين
كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وقال عم افضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل وقال عمر قال عم من
نام عن حزبه او عن شيء منه بالليل فقراه بين صلاة الفجر والظهر كتب له كانما قراه بالليل • **الاثار** يروى
ان عمر كان يمر بالاية في ورده بالليل فيسقط حتى يعاد منها اياما كثيرة كما يعاد المريض وكان ابن مسعود اذا هدأت
العيون قام فيسمع له دوي كدوي النحل حتى يصبح ويقال ان سفيان الثوري شبع ليلة فقال ان الحمار اذا زيد في
علفه زيد في عمله فقام تلك الليلة حتى اصبح وكان طاوس اذا اضطجع على فراشه يتقلى عليه كما تتقلى الحبة في المقلى
ثم يثب ويصلي الى الصباح ثم يقول طير ذكر جهنم نوم العابدين وقال الحسن ما نعلم عملا اشد من مكابدة الليل
ونفقة هذا المال فقيل له ما بال المتهجدين احسن الناس وجوها فقال انهم خلوا بالرحمن فالبسهم نورا من نوره وقدم
بعض الصالحين من سفره فمهد له فراش فنام عليه حتى فاته ورده فحلف ان لا ينام بعده على فراش ابدا فكان عبد العزيز بن
ابي رواد اذا جن عليه الليل ياتي فراشه فيمر يده عليه ويقول انك للين والله ان في الجنة لالين منك ولا يزال يصلي الليل كله
وقال الفضيل اني لاستقبل الليل من اوله فيهولني طوله فافتتح القرآن فاصبح وما قضيت نهمتي وقال الحسن ان الرجل ليذنب
الذنب فيحرم به قيام الليل وصيام النهار فاعلم انك لمحروم وقد كثرت خطيئاتك وكان صلة بن اشيم يصلي الليل كله
فاذا كان في السحر قال الهي ليس مثلي يطلب الجنة ولكن اجرني برحمتك من النار وقال رجل لبعض الحكماء اني لاضعف عن قيام الليل فقال
له يا اخي لا تعصه بالنهار ولا تقم بالليل وكان للحسن جارية فباعها من قوم فلما كان في جوف الليل قامت الجارية فقالت يا اهل الدار الصلاة
الصلاة فقالوا اصبحنا اطلع الفجر فقالت وما تصلون الا المكتوبة فقالوا لا فرجعت الى الحسن فقالت يا مولاي بعتني الى قوم
لا يصلون بالليل ردني فردها وقال الربيع بت في منزل الشافعي ليالي كثيرة فلم يكن ينام من الليل الا يسيرا وقال
ابو الجويرية لقد صحبت ابا حنيفة ستة اشهر فما فيها ليلة وضع جنبه وكان ابو حنيفة يحيي نصف الليل فمر بقوم فقالوا
ان هذا يحيي الليل كله فقال اني استحيي ان اوصف بما لا افعل فكان بعد ذلك يحيي الليل كله وقيل ما كان له فراش بالليل ويقال
ان مالك بن دينار قام يردد ام حسب الذين اجترحوا السيئات الاية فقبض على لحيته فخنقته العبرة فجعل يقول اللهم حرم
شيبة مالك على النار الهي قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار فاي الرجلين مالك واي الدارين دار مالك فلم يزل ذلك قوله
حتى طلع الفجر وقال مالك سهوت ليلة عن وردي ونمت فاذا انا بجارية في المنام كاحسن ما يكون وفي يدها رقعة فقالت لي
اتحسن تقرا فقلت نعم فدفعت الي الرقعة فاذا فيها • االهتك اللذائذ والاماني • عن البيض الاوانس في الجنان •
تعيش مخلدا لا موت فيها • وتلهو في الجنان مع الحسان • تنبه من منامك ان خيرا • من النوم التهجد بالقرآن •
وقيل حج مسروق فما بات الا ساجدا ويروى ان ازهر بن مغيث وكان من القوامين قال رايت في المنام امراة
لا تشبه نساء اهل الدنيا فقلت من انت فقالت حوراء فقلت زوجيني نفسك فقالت اخطبني الى سيدي وامهرني
فقلت وما مهرك قالت طول التهجد وقال يوسف بن مهران بلغني ان تحت العرش ملكا في صورة ديك براثنه
من لؤلؤ وصيصته من زبرجد اخضر فاذا مضى ثلث الليل الاول ضرب بجناحه وزقا وقال ليقم القانتون

فاذا مضى ثلث الليل ضرب بجناحه وقال ليقم المصلون فاذا طلع الفجر ضرب بجناحه وقال ليقم الغافلون وعليهم اوزارهم
وقيل ان وهب بن منبه ما وضع جنبه الى الارض ثلاثين سنة وكان يقول لان ارى في بيتي شيطانا احب الي من ان ارى
وسادة لانها تدعو الى النوم قال بعضهم رايت رب العزة في النوم فسمعته يقول وعزتي وجلالي لاكرمن مثوى سليمان
التيمي فانه صلى لي الغداة بوضوء العشاء اربعين سنة ويقال كان مذهبه ان النوم اذا خامر القلب بطل الوضوء وروي
عن الله تعالى انه قال ان عبدي الذي هو عبدي حقا الذي لا ينتظر لقيامه صياح الديكة

بيان الاسباب التي بها يتيسر قيام الليل

اعلم ان قيام الليل عسير على الخلق الا على من وفق للقيام بشروطه الميسرة له ظاهرا وباطنا فاما الظاهر فاربعة امور
الاول ان لا يكثر الاكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام وكان بعض الشيوخ يقف كل ليلة على المائدة
ويقول معاشر المريدين لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا وترقدوا كثيرا فتخسروا عند الموت كثيرا وهذا هو الاصل الكبير وهو تخفيف
المعدة عن ثقل الطعام **والثاني** ان لا يتعب نفسه بالنهار في الاعمال التي تعيا بها الجوارح وتضعف بها
الاعصاب فان ذلك ايضا مجلبة للنوم **والثالث** ان لا يترك القيلولة بالنهار فانها سنة للاستعانة
على القيام بالليل **والرابع** ان لا يحتقب الاوزار بالنهار فان ذلك مما يقسي القلب ويحول بينه وبين اسباب الرحمة قال
رجل للحسن يا ابا سعيد اني ابيت معافى واني احب قيام الليل واعد طهوري فما بالي لا اقوم فقال ذنوبك قيدتك وكان
الحسن اذا دخل السوق فسمع لغطهم ولغوهم يقول اظن ان ليل هؤلاء ليل سوء فانهم لا يقيلون وقال الثوري حرمت قيام الليل
خمسة اشهر بذنب اذنبته قيل وما ذلك الذنب قال رايت رجلا يبكي فقلت في نفسي هذا مراء وقال بعضهم دخلت على كرز بن وبرة
وهو يبكي فقلت اتاك نعي بعض اهلك فقال اشد فقلت وجع يؤلمك قال اشد قلت وما ذاك قال بابي مغلق
وستري مسبل ولم اقرا حزبي البارحة وما ذاك الا بذنب احدثته وهذا لان الخير يدعو الى الخير والشر يدعو الى
الشر والقليل من كل واحد منهما يجر الى الكثير ولذلك قال ابو سليمان الداراني لا تفوت احدا صلاة جماعة الا بذنب
وكان يقول الاحتلام بالليل عقوبة والجنابة البعد وقال بعض العلماء اذا صمت يا مسكين فانظر عند من تفطر وعلى
اي شيء تفطر فان العبد ليأكل اكلة فيتقلب قلبه عما كان عليه ولا يعود الى حالته الاولى **فالذنوب** كلها تورث قساوة
وتمنع من قيام الليل واخصها بالتاثير تناول الحرام وتؤثر اللقمة الحلال في تصفية القلب وتحريكه الى الخير ما لا يؤثر غيرها ويعرف
ذلك اهل المراقبة للقلوب بالتجربة بعد شهادة الشرع له ولذلك قال بعضهم كم من اكلة منعت قيام ليلة وكم
من نظرة منعت قراءة سورة وان العبد ليأكل الاكلة او يفعل فعلة فيحرم بها قيام سنة وكما ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر
فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلاة وسائر الخيرات وقال بعض السجانين كنت سجانا نيفا وثلاثين سنة اسال كل ماخوذ
بالليل انه هل صلى العشاء في جماعة فكانوا يقولون لا وهذا تنبيه على ان بركة الجماعة تنهى عن تعاطي الفحشاء والمنكر واما
الميسرات الباطنة فاربعة • الاول • سلامة القلب عن الحقد على المسلمين وعن البدع وعن فضول هموم الدنيا
والمستغرق الهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له قيام الليل وان قام فلا يتفكر في صلاته الا في مهماته ولا يجول الا في وساوسه وفي
الثاني خوف غالب يلزم القلب مع قصر الامل فانه اذا تفكر في اهوال الاخرة ودركات جهنم طار نومه وعظم حذره
كما قال طاوس ان ذكر جهنم طير نوم العابدين وكما حكي ان غلاما بالبصرة اسمه صهيب كان يقوم الليل كله فقالت
له سيدته ان قيامك بالليل يضر بعملك بالنهار فقال ان صهيبا اذا ذكر النار لا ياتيه النوم وقيل لغلام اخر وهو
يقوم كل الليل فقال اذا ذكرت النار اشتد خوفي واذا ذكرت الجنة اشتد شوقي فما اقدر ان انام • ولذي النون
منع القرآن بوعده ووعيده • مقل العيون بليلها ان تهجعا • فهموا عن الملك الجليل كلامه • فرقابهم ذلت اليه تخضعا
وانشدوا يا طويل الرقاد والغفلات • كثرة النوم تورث الحسرات • ان في القبر ان نزلت اليه • لرقادا يطول بعد الممات
والثالث ان يعرف فضل قيام الليل بسماع هذه الايات والاخبار والاثار حتى يستحكم به رجاؤه وشوقه الى ثوابه فيهيجه
الشوق لطلب المزيد والرغبة في درجات الجنان كما حكي ان بعض الصالحين رجع من غزوته وامراته كانت تنتظر قدومه
تلك الليلة فدخل المسجد فلم يزل يصلي حتى اصبح فقالت زوجته كنا ننتظرك مدة فلما قدمت صليت الى الصبح فقال والله
كنت اتفكر في حوراء من حور الجنة طول الليل فنسيت الزوجة والمنزل فقمت طول ليلي شوقا اليها **والرابع** وهو

اشرف البواعث الحب لله وقوة الايمان بانه في قيامه لا يتكلم بحرف الا وهو مناج به ربه وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما يخطر بقلبه
وان تلك الخطرات من الله خطاب معه فاذا احبه احب لا محالة الخلوة به وتلذذ بالمناجاة فتحمله لذة المناجاة بالحبيب على
طول القيام ولا ينبغي ان تستبعد هذه اللذة اذ يشهد لها العقل والنقل اما العقل فليعتبر حال المحب لشخص بسبب جماله او لملك
بسبب انعامه واموالِه انه كيف يتلذذ بالخلوة به ومناجاته حتى لا ياتيه النوم طول الليل **فان قلت** ان الجميل يتلذذ بالنظر
اليه وان الله لا يرى فاعلم انه لو كان الجميل المحبوب وراء ستر او كان في بيت مظلم لكان المحب يتلذذ بمجاورته المجردة دون النظر ودون
الطمع في امر اخر سواه وكان يتنعم باظهار حبه عليه وذكره بلسانه بمسمع منه وان كان ذلك معلوما عنده **فان قلت**
انه ينتظر جوابه فيتلذذ بسماع جوابه وليس يسمع كلام الله فاعلم انه ان كان يعلم انه لا يجيبه ويسكت عنه فقد بقيت له لذة
في عرض احواله ورفع سريرته اليه كيف والموقن يسمع من الله كل ما يرد على خاطره في اثناء مناجاته فيتلذذ به وكذا الذي يخلو بالملك
ويعرض حاجاته عليه في جنح الليل يتلذذ به في رجاء انعامه والرجاء في حق الله اصدق وما عند الله ابقى وانفع مما عند غيره فكيف لا يتلذذ
بعرض الحاجات عليه في الخلوات **واما النقل** فيشهد له احوال قوام الليل في تلذذهم بقيام الليل واستقصارهم
له كما يستقصر المحب ليلة وصال الحبيب حتى قيل لبعضهم كيف انت والليل قال ما راعيته قط يريني وجهه ثم ينصرف وما
تاملته بعد وقال اخر انا والليل فرسا رهان مرة يسبقني الى الفجر ومرة يقطعني عن الفكر وقيل لبعضهم كيف الليل
عليك فقال ساعة انا فيها بين حالتين افرح بظلمته اذا جاء واغتم بفجره اذا طلع ما تم فرحي به قط وقال علي بن بكار
منذ اربعين سنة ما احزنني شيء سوى طلوع الفجر وقال الفضيل بن عياض اذا غربت الشمس فرحت بالظلام واذا طلعت
حزنت لدخول الناس علي وقال ابو سليمان اهل الليل في ليلهم الذ من اهل اللهو في لهوهم ولولا الليل ما احببت البقاء
في الدنيا وقال ايضا لو عوض الله اهل الليل من ثواب اعمالهم ما يجدونه من اللذة لكان ذلك اكثر من اعمالهم وقال بعض العلماء ليس في الدنيا
وقت يشبه نعيم اهل الجنة الا ما يجده اهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة وقال بعضهم لذة المناجاة ليس من الدنيا انما هي من الجنة
اظهرها الله لاوليائه لا يجدها سواهم وقال ابن المنكدر ما بقي من لذات الدنيا الا ثلث قيام الليل ولقاء الاخوان والصلاة في جماعة وقال
بعض العارفين ان الله ينظر بالاسحار الى قلوب المتيقظين فيملؤها انوارا فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير ثم تنتشر من قلوبهم العوافي
الى قلوب الغافلين • وقال بعض العلماء من القدماء ان الله اوحى الى بعض الصديقين ان لي عبادا من عبادي يحبونني واحبهم ويشتاقون
الي واشتاق اليهم ويذكرونني واذكرهم وينظرون الي وانظر اليهم فان حذوت طريقهم احببتك وان عدلت عنهم مقتك
قال يا رب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما تحن الطير الى اوكارها فاذا جنهم
الليل واختلط الظلام وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الي اقدامهم وافترشوا الي وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوا الي بانعامي فبين
صارخ وباك وبين متاوه وشاك بعيني ما يتحملون من اجلي وبسمعي ما يشتكون من حبي اول ما اعطيهم ان اقذف من نوري في قلوبهم
فيخبرون عني كما اخبر عنهم والثانية لو كانت السموات والارض وما فيهما في موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة اقبل بوجهي عليهم
افترى من اقبلت بوجهي عليه ايعلم احد ما اريد ان اعطيه وقال مالك بن دينار اذا قام العبد يتهجد من الليل قرب منه الجبار وكانوا
يرون ما يجدون في قلوبهم من الرقة والحلاوة والانوار من قرب الرب من القلب وهذا له سر وتحقيق سياتي اليه الاشارة في كتاب المحبة
وفي الاخبار عن الله اي عبدي انا الله الذي اقتربت لقلبك وبالغيب رايت نوري وشكا بعض المريدين الى
استاذه طول سهر الليل وطلب حيلة يجتلب بها النوم فقال استاذه يا بني ان لله نفحات في الليل والنهار تصيب القلوب المتيقظة
وتخطئ القلوب النائمة فتعرض لتلك النفحات فقال يا استاذ تركتني لا انام بالليل والنهار **واعلم** ان هذه النفحات
ارجى بالليل لما في قيام الليل من صفاء القلب واندفاع الشواغل وقال صلى الله عليه وسلم ان في الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسال الله تعالى
خيرا الا اعطاه اياه وفي لفظ اخر يسال الله خيرا من امر الدنيا والاخرة الا اعطاه اياه وذلك كل ليلة ومطلوب القائمين تلك الساعة وهي
مبهمة في جملة الليل كليلة القدر في رمضان وكساعة يوم الجمعة وهي ساعة النفحات المذكورة

بيان طرق القسمة لاجزاء الليل

اعلم ان احياء الليل من حيث المقدار له سبع مراتب **المرتبة الاولى** • احياء كل الليل وهذا شان الاقوياء الذين تجردوا لعبادة
الله وتلذذوا بمناجاته وصار ذلك غذاء لهم وحياة قلوبهم فلم يتعبوا بطول القيام وردوا المنام الى النهار في وقت اشتغال الناس
بالدنيا وقد كان ذلك طريق جماعة من السلف كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء حكى ابو طالب المكي ان ذلك حكي على طريق الاشتهار عن اربعين

من التابعين وكان من واظب عليه اربعين سنة قال منهم سعيد بن المسيب وصفوان بن سليم المدنيان وفضيل بن عياض ووهيب
ابن الورد المكيان وطاوس ووهب بن منبه اليمانيان والربيع بن خيثم والحكم الكوفيان وابو سليمان الداراني وعلي بن بكار الشاميان
وابو عبد الله الخواص وابو عاصم العباديان وحبيب ابو محمد وابو جابر السلماني الفارسيان ومالك بن دينار وسليمان التيمي ويزيد الرقاشي
وحبيب بن ثابت ويحيى البكاء البصريون وكهمس بن المنهال وكان يختم في الشهر تسعين ختمة وما لم يفهمه رجع وقراه مرة اخرى
ومن اهل المدينة ابو حازم ومحمد بن المنكدر في جماعة يكثر عددهم • **والثانية** • ان يقوم نصف الليل وهذا لا ينحصر عدد المواظبين عليه
من السلف واحسن طريق فيه ان ينام الثلث الاول من الليل والسدس الاخير منه حتى يقع قيامه في جوف الليل ووسطه فهو الافضل
والرتبة الثانية ان يقوم ثلث الليل فينبغي ان ينام نصف الليل الاول والسدس الاخير وبالجملة نوم اخر الليل محبوب لانه يذهب
النعاس بالغداة وكانوا يكرهون ذلك ويقلل صفرة الوجه والشهرة به فلو قام اكثر الليل ونام سحرا قلت صفرة وجهه وقل نعاسه
قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اوتر من اخر الليل فان كانت له حاجة الى اهله دنا منهن والا اضطجع في مصلاه حتى ياتيه
بلال فيؤذنه بالصلاة وقالت ايضا ما الفيته السحر الاعلى الا نائما حتى قال بعض السلف هذه الضجعة قبل الصبح سنة منهم ابو هريرة
وكان نوم هذا الوقت سبب المكاشفة والمشاهدة من وراء حجب الغيب • وذلك لارباب القلوب • وفيه استراحة تعين على الورد الاول
من اوراد النهار وقيام ثلث الليل من النصف الاخير ونوم السدس الاخير قيام داود عليه السلام والرتبة الثالثه ان يقوم سدس الليل
او خمسه وافضله ان يكون في النصف الاخير وقبل السدس الاخير منه والرتبة الخامسة ان لا يراعي التقدير فان ذلك انما يتيسر
لنبي يوحى اليه او لمن يعرف منازل القمر ويوكل به من يراقبه ويوقظه ثم ربما يضطرب في ليالي الغيم ولكنه يقوم من اول الليل الى ان يغلبه
النوم فاذا انتبه قام فاذا غلبه النوم عاد الى النوم فيكون له في الليل نومتان وقومتان وهو من مكابدة الليل واشد الاعمال وافضلها
وقد كان هذا من اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو طريقة ابن عمر واولي العزم من الصحابة وجماعة من التابعين وكان بعض السلف يقول هي اول
نومة فاذا انتبهت ثم عدت الى النوم فلا انام الله عيني فاما قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث المقدار فلم يكن على ترتيب واحد
بل ربما كان يقوم نصف الليل او ثلثيه او سدسه يختلف ذلك في الليالي ودل عليه قوله تعالى في موضعين من سورة المزمل من قوله ان ربك يعلم
انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه فادنى من ثلثي الليل كانه نصفه ونصف سدسه فان كسر قوله ونصفه وثلثه كان نصف الثلثين
وثلثه فيقرب من الثلث والربع وان نصب كان نصف الليل وثلثه وقد قالت عائشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم يقوم اذا سمع الصارخ
يعني الديك وهذا يكون السدس فما دونه • **وروى غير واحد** انه قال راعيت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر ليلا فنام بعد العشاء
زمانا ثم استيقظ فنظر في الافق فقال ربنا ما خلقت هذا باطلا حتى بلغ انك لا تخلف الميعاد ثم استل من فراشه سواكا
فاستاك وتوضا وصلى حتى قلت قد صلى مثل ما نام ثم اضطجع حتى قلت نام مثل ما صلى ثم استيقظ فقال ما قال اول مرة وفعل
ما فعل اول مرة والرتبة السادسة وهي الاقل ان يقوم مقدار اربع ركعات او ركعتين او يتعذر عليه الطهارة فيجلس
مستقبل القبلة ساعة مشتغلا بالذكر والدعاء فيكتب له من جملة قوام الليل برحمة الله وفضله **وقد جاء في الاثر** صل من الليل
ولو قدر حلب شاة فهذه طرق القسمة فليختر المريد لنفسه ما يراه ايسر عليه وحيث يتعذر عليه القيام في وسط الليل فلا
ينبغي ان يهمل احياء ما بين العشائين والورد الذي بعد العشاء ثم يقوم قبل الصبح وقت السحر فلا يدركه الصبح نائما ويقوم
بطرفي الليل وهذه الرتبة السابعة ومهما كان النظر الى المقدار فترتيب هذه المراتب بحسب طول الوقت وقصره واما
المرتبة الخامسة والسابعة لم ينظر فيهما الى المقدار فليس يجري امرهما في التقدم والتاخر على الترتيب المذكور اذ السابعة ليست دون
ما ذكرنا • في السادسة ولا الخامسة دون الرابعة

بيان الليالي والايام الفاضلة

اعلم ان الليالي المخصوصة بمزيد الفضل
التي تتاكد فيها استحباب الاحياء في السنة خمسة عشر ليلة لا ينبغي ان يغفل المريد عنها فانها مواسم الخيرات ومظان التجارات ومتى غفل
التاجر عن المواسم لم يربح ومتى غفل المريد عن فضل الاوقات فات لم ينجح فستة من هذه الليالي من شهر رمضان خمسة منها في اوتار

العشر الاخير اذ تطلب فيها ليلة القدر وليلة سبع عشرة من رمضان هي ليلة صبيحة يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فيه كانت وقعة بدر

وقال ابن الزبير هي ليلة القدر واما الثماني الاخر فاول ليلة من المحرم وليلة عاشورا واول ليلة من رجب وليلة النصف منه وليلة سبع وعشرين منه وهي ليلة المعراج وفيه صلاة ماثورة فقد قال صلى الله عليه وسلم للعامل في هذه الليلة حسنات مائة سنة فمن صلى فيها اثنتي عشرة ركعة يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة من القران يتشهد في كل ركعتين ويسلم في اخرهن ثم يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر مائة مرة ويستغفر الله مائة مرة ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة ويدعو لنفسه بما شاء من امر دنياه واخرته ويصبح صائما فان الله يستجيب دعاءه كله الا ان يدعو في معصية **واما ليلة النصف من شعبان** ففيها مائة ركعة في كل ركعة بعد الفاتحة قل هو الله احد عشر مرات كانوا لا يتركونه كما اوردناه في صلاة التطوع • وليلة عرفة وليلتا العيدين قال صلى الله عليه وسلم من احيا ليلتي العيد لم يمت قلبه يوم تموت القلوب **واما الايام الفاضلة** فهي تسعة عشر يوما نستحب مواصلة الاوراد فيها يوم عرفة ويوم عاشورا ويوم سبعة وعشرين من رجب ويوم سبعة عشر من شهر رمضان ويوم النصف من شعبان ويوم الجمعة ويوما العيدين والايام المعلومات وهي عشرة من ذي الحجة والايام المعدودات هي ايام التشريق وقد روى انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم يوم الجمعة سلمت الايام واذا سلم شهر رمضان سلمت السنة وقال بعض العلماء من اخذ مهناه في الايام الخمسة في الدنيا نيل مهناه في الاخرة واراد به العيدين والجمعة ويوم عرفة ويوم عاشورا **ومن فواضل الايام في الاسبوع** الخميس والاثنين ترفع فيهما الاعمال الى الله وقد ذكرنا فضايل الاشهر والايام للصيام في كتاب الصوم فلا حاجة الى الاعادة والله سبحانه وتعالى اعلم

تم ربع العبادات بنهاية كتاب الاوراد من الكتب العشرة التي هي ربع

كتاب احياء علوم الدين لمولانا شيخ مشايخ الاسلام

والمسلمين الشيخ محمد الغزالي

عليه رحمة الله تعالى

امين